

المواخط والأعني في ذكر الخط والاشكال

لنهي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقدسي

٧٦٦ - ٨٤٥ هـ
١٣٦٥ - ١٤٤١ م

حَقَّقَهَا وَكَتَبَ مُقَدِّمَهَا وَوَصَّيَ قَهَّارَهَا
الدكتور أمهرن فؤاد سيد



مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي
لندن ١٤١٦ / ١٩٩٥

فهرست الموضوعات

صفحة

٣٢ - ٣٤

تَضْيِيرُ لِعَالِي الشَّيْخِ أَحْمَدَ زَكِيَّ يَمَانِي

مَقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

٣٥ - ٣٦

مَوْضُوعُ الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ

٣٣ - ٤٣

حَارَاتُ الْقَاهِرَةِ وَأَخْطَاطُهَا

٤٣ - ٥٧

دُورُ وَقُصُورُ الْقَاهِرَةِ

٥٧ - ٦٤

الْقَاهِرَةُ فِي عَظَرِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ

٦٥ - ٦٩

قَلْعَةُ الْجَبَلِ

٧٠ - ٨١

مَصَادِرُ الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ

٨٢ - ١٣٦

النُّسخُ الْمُسْتَعْدَمَةُ فِي هَذَا الْمَجْلَدِ

١٣٧ - ١٤٤

طَرِيقَتِي فِي إِخْرَاجِ النَّصِّ

ذَكَرْنَا مَا أَذْكُرُ عَلَيْهِ الْمُقَرَّرِي الْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرَهَا مِنَ الْأَخْوَالِ

ذِكْرُ حَارَاتِ الْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا

٣ - ٤

حَارَةُ بَهَاءِ الدِّينِ

٤ - ٦

..... ذِكْرُ وَايِقَةِ الْعَبِيدِ

٧ - ٩

حَارَةُ بَرْجِيَّانَ

٧ - ٩

بَرْجِيَّانُ الْخَادِمِ

١٠

حَارَةُ رُؤَيْلَةَ

١١

حَارَةُ الْمُحْمُودِيَّةِ

١٢

حَارَةُ الْجَوْدَرِيَّةِ

١٣ - ٢١

..... حَارَةُ الْوَزِيرِيَّةِ

صفحة	
١٣-٢١	يَعْقُوبُ بْنُ يَكْلَسَ
٢١-٢٢	حَاوَةُ الْبَاطِلِيَّةِ
٢٢-٢٣	حَاوَةُ الرُّومِ
٢٣.....	حَاوَةُ الدَّيْلَمِ
٢٣-٢٧	أَفْتَكِينُ التُّرْكِيِّ
٢٧-٢٨	حَاوَةُ الْأَثْرَاكِ
٢٨	حَاوَةُ كُتَاةَ
٢٨-٣٢	ذِكْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْخِيِّ
٣٢	حَاوَةُ الصَّالِحِيَّةِ
٣٢-٣٣	حَاوَةُ الْبَرْزَوِيَّةِ
٣٣-٣٦	ذِكْرُ الْأَمْرَاءِ الْبَرْزَوِيَّةِ وَوَزَارَةِ خِزْرَغَامَ
٣٦-٣٧	حَاوَةُ الْعُطُورِيَّةِ
٣٧-٣٨	حَاوَةُ الْجَوَانِيَّةِ
٣٩	حَاوَةُ الْبُسْتَانِ
٣٩.....	حَاوَةُ الْمُوتَاخِيَّةِ
٣٩	حَاوَةُ الْقَرْجِيَّةِ
٣٩	حَاوَةُ فَارَجَ
٣٩-٤٠	حَاوَةُ قَائِدِ الْقُرَّادِ
٤٠-٤٣	مُحْسِنُ بْنُ الْقَائِدِ جَمُوهَرُ
٤٣	حَاوَةُ الْأَمْرَاءِ
٤٣	حَاوَةُ الطُّوَارِقِ
٤٤.....	حَاوَةُ الشَّرَايِيَّةِ
٤٤	حَاوَةُ الدَّمِيرِيِّ
٤٤	حَاوَةُ الشَّامِيِّينَ
٤٤	حَاوَةُ الْمُهَاجِرِينَ
٤٤-٤٥	حَاوَةُ الْعَدَوِيَّةِ
٤٥.....	حَاوَةُ الْعِيدَانِيَّةِ

صفحة

٤٥	حازة الحَبَانِيَّة
٤٦	حازة الحَمَزِيَّين
٤٦	حازة بني سُوس
٤٦-٤٧	حازة اليانِيسِيَّة
٤٨-٤٩	ذِكْرُ وَزَارَةِ أَبِي الْقُتَيْبِ نَاصِرِ الْجُيُوشِ يانِسِ الْأَزْمَنِيِّ
٤٩-٥٣	ذِكْرُ الْأَمِيرِ حَسَنِ بْنِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ
٥٣	حازة الْمُتَنَجِّبِيَّة
٥٣-٥٥	الحازة الْمُتَصَوِّرَة
٥٥-٥٨	حازة الْمُصَايِمَة
٥٨	حازة الْهَلَالِيَّة
٥٨-٥٩	حازة الْبِيَّازِيَّة
٥٩-٦٣	حازة الْحُسَيْنِيَّة
٦٣-٦٨	ذِكْرُ مُدْوَماً الْأَوْتَرَانِيَّة
٦٨	حازة خَلَب
٦٩-١٠٧	ذِكْرُ أَخْطَاطِ الْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا
٦٩	خُطُّ خَانَ الْوِرَاقَةِ
٦٩-٧٠	خُطُّ بَابِ الْقَنْطَرَةِ
٧١-٧٢	خُطُّ بَيْنِ السُّورَتَيْنِ
٧٢-٧٦	خُطُّ الْكَافُورِيِّ
٧٦-٧٩	كَافُورُ الْإِخْشِيدِيِّ
٧٩	خُطُّ الْخُرْتَشَفِ
٨٠	خُطُّ اسْتِطْلَاقِ الْقُطَيْبَةِ
٨٠-٨١	خُطُّ بَابِ سِرِّ الْمَارِشْتَانِ
٨١-٨٥	خُطُّ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ
٨٥	خُطُّ الْحُسَيْنِيَّة
٨٥-٨٧	ذِكْرُ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ الظَّافِرِ

صفحة	
٨٧	خُطُّ سَقِيْقَةِ الْعَدَّاس
٨٩-٨٨	علي بن عُمر بن العَدَّاس
٩٢-٨٩	خُطُّ الْبَنْدَقَانِيَيْنِ
٩٣-٩٢	خُطُّ دَارِ الدِّيَّاسِجِ
٩٣	خُطُّ الْمُلْحِجَيْنِ
٩٥-٩٤	المِشْطَاح
٩٥-٩٤	خُطُّ أَمِيرِ سِلَاحٍ
٩٦-٩٥	بُكْنَشُ الْفَخْرِيِّ
٩٨-٩٦	أَوْلَادُ شَيْخِ الشُّبُوحِ
٩٩	خُطُّ قَصْرِ بَشْتَاكِ
١٠١-٩٩	بَشْتَاكِ النَّاصِرِيِّ
١٠٢	خُطُّ بَابِ الرُّهُومَةِ
١٠٢	خُطُّ الزُّرَاكِشَةِ الْقَتِيقِ
١٠٢	خُطُّ الشَّيْعِ خَوْخِ الْقَتِيقِ
١٠٣-١٠٢	خُطُّ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ
١٠٣	خُطُّ الْأَكْفَانِيَيْنِ
١٠٣	خُطُّ الْمَنَاحِ
١٠٣	خُطُّ سَوَيْقَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ
١٠٣	خُطُّ دِكَّةِ الْحَبَشَةِ
١٠٣	خُطُّ الْفَهَّادِينَ
١٠٤	خُطُّ خِزَانَةِ الْبُشُودِ
١٠٤	خُطُّ السَّفِينَةِ
١٠٤	خُطُّ خَانَ السَّيْلِ
١٠٥	خُطُّ بُشْتَانِ ابْنِ صَمَرَمَ
١٠٥	خُطُّ قَصْرِ ابْنِ عَمَّارٍ
١٠٧-١٠٥	الحَسَنُ بْنُ عَمَّارٍ
١٠٧	خُطُّ ؟

١٠٨-١٣٩	ذِكْرُ الذُّرُوبِ وَالْأَزْقَةِ
١٠٨	دَرْبُ الْأَثْرَاكِ
١٠٨	دَرْبُ الْأُسْتَوَانِي
١٠٨-١٠٩	دَرْبُ شَعْسِ الدَّوْلَةِ
١٠٩-١١١	تُورَانِشَاه
١١١	دَرْبُ مُلُوكِيَا
١١٢	دَرْبُ السُّلَيْلَةِ
١١٢	دَرْبُ الشُّعْسِي
١١٢-١١٣	دَرْبُ ابْنِ طَلَايِعِ
١١٣-١١٦	أَلْدَمُرْ أَمِيرُ جَانْدَارِ مَنِيْفِ الدِّينِ
١١٦	دَرْبُ قَيْطُونِ
١١٦	دَرْبُ السُّرَّاجِ
١١٦-١١٧	دَرْبُ الْقَاضِي
١١٧	دَرْبُ الْمُتَقِيْذِي
١١٧	دَرْبُ خَرِيْطَةِ صَالِحِ
١١٨	دَرْبُ الْحُسَامِ
١١٨	دَرْبُ الْمُتَصَوْرِي
١١٨	دَرْبُ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ
١١٩	دَرْبُ الْقَمَّاحِينَ
١١٩	دَرْبُ الْعَتَلِ
١١٩	دَرْبُ الْجَبَّاسَةِ
١١٩-١٢٠	دَرْبُ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ
١٢٠	دَرْبُ الْخَازِنِ
١٢٠	دَرْبُ الْحَبِيْشِي
١٢٠	دَرْبُ نَقُولَا الصَّغَارِ بِحَاذَةِ الرُّومِ
١٢١	دَرْبُ دَعْمَشَ

صفحة

١٢١	دَرْبُ أَرْقُطَاي
١٢١-١٢٢	الأمير سيف الدين أَرْقُطَاي
١٢٣	دَرْبُ البَتَّادِين بحارة الرُّوم
١٢٣	دَرْبُ المَكْرَم بحارة الرُّوم
١٢٣	دَرْبُ الضَّيْف بحارة الدَّيْلَم
١٢٣	دَرْبُ الرِّصَاصِي بحارة الدَّيْلَم
١٢٤	دَرْبُ ابن المَجَاوِر
١٢٤	دَرْبُ كُزْكَامَةِ
١٢٤	دَرْبُ الصُّفَيْرَةِ
١٢٥	دَرْبُ الأَنْجَب
١٢٥	دَرْبُ كَنِيسَةِ مَجْدَةِ
١٢٥	دَرْبُ ابن قُطْر
١٢٥-١٢٦	دَرْبُ الحَرِيرِي
١٢٦	دَرْبُ ابن عَزَب
١٢٦	دَرْبُ ابن مُعْطِن
١٢٧	دَرْبُ مُشْتَرَك
١٢٧	دَرْبُ العَدَّاس
١٢٧	دَرْبُ كَاتِبِ سِيدِي
١٢٧-١٢٨	الوزير كَاتِبِ سِيدِي
١٢٨	دَرْبُ مُخْلِص
١٢٨	دَرْبُ كَوَّكَب
١٢٩	دَرْبُ الوُشَاقِي بحارة زَوِيلَةَ
١٢٩	دَرْبُ الصَّغَالِيَةِ بحارة زَوِيلَةَ
١٢٩	دَرْبُ الكَنْجِي بحارة زَوِيلَةَ
١٢٩-١٣٠	دَرْبُ رَوِيَّة
١٣٠	دَرْبُ الخُضَيْرِي

صفحة	
١٣٠	دَرْبُ شُغْلَةٍ
١٣٠-١٣١	دَرْبُ نَادِر
١٣١	دَرْبُ رَاشِد
١٣١	دَرْبُ التَّغْيِيرِ
١٣١	دَرْبُ قَرَاصِيَا
١٣٢	قَرَاصِيَا
١٣٢	دَرْبُ السَّلَامِي
١٣٢-١٣٣	مَتَجِدُ الدِّينِ السَّلَامِي
١٣٣-١٣٤	دَرْبُ خَاصِّ ثُرُوك
١٣٤	دَرْبُ شَاطِي
١٣٤ ...	دَرْبُ الرُّشِيدِي
١٣٤	دَرْبُ الْفَرْجِيَّةِ
١٣٥	الدَّرْبُ الْأَصْفَرُ
١٣٥	دَرْبُ الطَّاوُوسِ
١٣٥	دَرْبُ بَايْنَجَار
١٣٥	دَرْبُ كُوسَا
١٣٦	دَرْبُ الْحَاكِي
١٣٦	دَرْبُ الْحَرَامِي بِالْحَيْكِرِ
١٣٦-١٣٧	دَرْبُ الرُّزَّاقِ بِالْحَيْكِرِ
١٣٧	رُفَاقُ طَرِيف
١٣٧	رُفَاقُ مُنْعِمِ بَحَارَةِ الدُّيْلَمِ
١٣٨	رُفَاقُ الْحَمَامِ بَحَارَةِ الدُّيْلَمِ
١٣٨	رُفَاقُ الْحَارُونِ بَحَارَةِ الدُّيْلَمِ
١٣٨	رُفَاقُ الثُّرَابِ بِالْجُودَرِيَّةِ
١٣٨	رُفَاقُ عَامِرٍ بِالْوَزِيرِيَّةِ
١٣٩	رُفَاقُ فَسْرَج

صفحة	
١٣٩	رُقاق خُدرة الزَّاهدي بحارة بَرَجوان
١٣٩	رُقاق الكُخل
١٤٨-١٤٠	ذِكْرُ الخُوخ
١٤٠	الخُوخُ الشَّبيع
١٤١-٢١	بابُ الخُوخة ..
١٤١	خُوخةُ أَيْدَعْمَش
١٤٢-١٤١	أَيْدَعْمَشُ الثَّاصِرِي
١٤٣	خُوخةُ الأَرْقِي بِأَجِير حَاوَةَ الباطِلِيَّة
١٤٣	خُوخةُ رَسْلان
١٤٣	خُوخةُ عُسَيْلَة
١٤٣	خُوخةُ الصَّالِح
١٤٤-١٤٣	خُوخةُ المَطْوَوع
١٤٤	خُوخةُ حُسَيْن
١٤٥-١٤٤	حُسَيْن بن أَبِي الهَيْجَاء
١٤٦-١٤٥	خُوخةُ الحَلْبِي
١٤٦	خُوخةُ الجَوْهَرَة
١٤٦	خُوخةُ مصطفى
١٤٧	خُوخةُ ابنِ المَأْثُون
١٤٧	خُوخةُ آقِ مُنْقَرِ كَرْنِه
١٤٨-١٤٧	خُوخةُ أَمِيرِ حُسَيْن
١٦٨-١٤٩	ذِكْرُ الرُّوحَاب
١٤٩	رَحْبَةُ بابِ العِيد
١٥٥-١٤٩	رَحْبَةُ قَضَرِ الشُّوك
١٥٠	رَحْبَةُ الجامعِ الأزْهر
١٥٠	رَحْبَةُ الحِلِّي
١٥١	رَحْبَةُ البائِياسِي

صفحة	
١٥١	رَحْبَةُ الأَيْدَمَرِي
١٥٢	رَحْبَةُ البَذَرِي
١٥٢	رَحْبَةُ صَرْوُط
١٥٢	رَحْبَةُ أَقْبَغَا
١٥٢	رَحْبَةُ مُقْبِل
١٥٣	رَحْبَةُ الدَّمَر
١٥٣	رَحْبَةُ قُرْدِيَّة
١٥٣	رَحْبَةُ المَنْصُورِي
١٥٣	رَحْبَةُ المَشْهَد
١٥٤	رَحْبَةُ أَبِي البَقَاء
١٥٤	رَحْبَةُ الْحِجَازِيَّة
١٥٤	رَحْبَةُ قَصْر بَشْتَاك
١٥٤-١٥٥	رَحْبَةُ سَلَار
١٥٥	رَحْبَةُ قُطْلُوْبَغَا القَحْرِي
١٥٥	رَحْبَةُ الأَكْر بِحُطَّ الكافُورِي
١٥٥-١٥٦	رَحْبَةُ جَعْفَر
١٥٧	رَحْبَةُ الأَفْيَال
١٥٧	رَحْبَةُ مَازَان
١٥٧	رَحْبَةُ أَقُوش
١٥٧	رَحْبَةُ بَرْوَلْنِي
١٥٨	رَحْبَةُ لَوْوُلُو
١٥٨	رَحْبَةُ كَوَكَاي
١٥٨	رَحْبَةُ ابن أَبِي زَكْرِي
١٥٨	رَحْبَةُ بَيْرَس
١٥٩	رَحْبَةُ بَيْرَس الْحَاجِب
١٥٩	رَحْبَةُ المَوْفُق

صفحة

١٥٩-١٦١	رَحْبَةُ أَبِي ثَرَاب
١٦١	رَحْبَةُ أَرْطُلَاي
١٦١	رَحْبَةُ ابْنِ الصَّيْف
١٦١-١٦٢	رَحْبَةُ وَزِيرِ بَغْدَاد
١٦٢-١٦٣	رَحْبَةُ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ
١٦٣	رَحْبَةُ كَتَّيْفَا
١٦٣-١٦٤	رَحْبَةُ حَوْنَد
١٦٤	رَحْبَةُ قَرَأْسَنْقَر
١٦٥	رَحْبَةُ يَمَغْرَا بِدَرْبِ مُلُوحِيَا
١٦٥	رَحْبَةُ سِنَجَر
١٦٥-١٦٦	رَحْبَةُ ابْنِ عَلَّكَان
١٦٦	رَحْبَةُ أَرْذَمَرِ بِالْجَوْذَرِيَّةِ
١٦٦	رَحْبَةُ الْأَخْسَائِيِّ
١٦٧	رَحْبَةُ بَابِ اللُّوقِ
١٦٧	رَحْبَةُ التَّنِّينِ
١٦٨	رَحْبَةُ النَّاصِرِيَّةِ
١٦٨	رَحْبَةُ أَرْغُونِ أَرْكَمَ
١٦٩-٢٦٠	ذِكْرُ الدُّورِ
١٧٠	دَارُ الْأَخْمَدِيِّ
١٧٠-١٧١	يَمِيزُ الْأَخْمَدِيِّ
١٧١	دَارُ قَرَأْسَنْقَرِ
١٧٢	دَارُ الْيَلْقِينِيِّ
١٧٢	دَارُ مَنَكُوتَمَرِ
١٧٣-١٧٤	دَارُ الْمُظْفَرِ
١٧٥	دَارُ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
١٧٦	دَارُ الْجَمْعَدَارِ

صفحة	
١٧٧	دارُ آقوش الرومي بحارّة بزجوان
١٧٨-١٧٧	دارُ بنت السعيدى
١٧٨	دارُ الحَاجِب
١٧٩	دارُ تَنكِز
١٨٠-١٧٩	تَنكِز الأشرفى
١٨١-١٨٠	دارُ أمير مشعود
١٨١	دارُ نائِب الكرك
١٨٢-١٨١	آقوش الأشرفى
١٨٢	دارُ ابن صَغِير ...
١٨٢	دارُ بَيَّزَس الحَاجِب
١٨٣-١٨٢	بَيَّزَس الحَاجِب
١٨٣	دارُ عَبَّاس
١٨٥-١٨٣	عَبَّاس بن يحيى بن تَمِيم
١٨٥	دارُ ابن فَضْل الله
١٨٦-١٨٥	شَرْفُ الدِّين عبد الوهاب
١٨٧-١٨٦	مُحْيى الدِّين يحيى
١٨٨-١٨٧	عِلاءُ الدِّين علي بن يحيى
١٩٢-١٨٩	بَذْرُ الدِّين محمد بن علي
١٩٣-١٩٢	دارُ بَيَّزَس
١٩٤-١٩٣	المُتَبَّع قاعات
٢٠٠-١٩٤	عَلَمُ الدِّين ابن رُثْبُور
٢٠٠	دارُ الدُّوَاداري
٢٠٢-٢٠٠	دارُ فَتْح الله
٢٠٤-٢٠٢	فَتْحُ الله بن مُنْتَقِم
٢٠٥-٢٠٤	دارُ ابن قِرْقَة
٢٠٥	ابنُ قِرْقَة
٢٠٦-٢٠٥	دارُ خَوْنَد

صفحة	
٢٠٦	دَارُ ابْنِ شَاكِر
٢٠٧-٢٠٦	دَارُ الذَّهَبِ
٢٠٧	دَارُ الْحَاجِبِ
٢١٠-٢٠٨	بُكَتْمَرُ الْحَاجِبِ
٢١٠ ..	دَارُ الْجَاوِلِيِّ
٢١١-٢١٠	دَارُ أَمِيرِ أَحْمَدَ
٢١١	دَارُ الْيُوسُفِيِّ
٢١٤-٢١١	دَارُ ابْنِ الْبُقَيْرِيِّ
٢١٤	دَارُ طُولُنْبَايَ
٢١٦-٢٠٤	طُلُنْبَايَ
٢١٦	دَارُ حَارِسِ الطَّيْرِ
٢١٨-٢١٧	الدَّارُ الْقُرْدُمِيَّةُ
٢١٨	دَارُ الصَّالِحِ
٢٢٠-٢١٨	دَارُ بَهَادُرَ
٢٢١-٢٢٠	دَارُ الْيَقَرِ
٢٢٣-٢٢١	قَصْرُ بُكَتْمَرِ الشَّاقِيِّ
٢٢٥-٢٢٤	الدَّارُ الْبَيْسَرِيَّةُ
٢٢٧-٢٢٦	الْأَمِيرُ بَيْسَرِيُّ الصَّالِحِيِّ النُّجُمِيِّ
٢٣٠-٢٢٧	قَصْرُ بَشْتَاكَ
٢٣٢-٢٣١	قَصْرُ الْحِجَازِيَّةِ
٢٣٥-٢٣٣	قَصْرُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيِّ وَقَصْرُ الطُّنْبُغَا الْمَارْدِيْنِيِّ
٢٣٨-٢٣٥	إِسْطَعْبِلُ قَوْصُونِ
٢٣٩	دَارُ أَرْغُونِ الْكَامِلِيِّ
٢٤٠-٢٣٩	أَرْغُونُ الْكَامِلِيِّ
٢٤٢-٢٤٠	دَارُ طَاز
٢٤٣-٢٤٢	الْأَمِيرُ طَاز

صفحة	
٢٤٤-٢٤٣	دَارُ صَرْعَتَمَش
٢٤٤	دَارُ أَلْمَاس
٢٤٤	دَارُ بهادر المَقْدَم
٢٤٥-٢٤٤	بَهَادُرُ المَقْدَم
٢٤٥	دَارُ السَّتِّ سُفْرَا
٢٤٥	دَارُ ابنِ عِنَان
٢٤٦	دَارُ بَهَادُرِ الأَعْمَر
٢٤٦	بَهَادُرُ الأَعْمَرِ القَجَاوِي
٢٤٧-٢٤٦	دَارُ ابنِ رَجَب
٢٤٨-٢٤٧	محمد بن رَجَب بن كَلْفَت
٢٤٨	دَارُ القَسْلِيْجِي
٢٤٩-٢٥٠	جمال الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ المعروف بِجمالِ الكُفَاه
٢٥٠-٢٥١	دَارُ بَهَادُرِ المِيزْرِي
٢٥٢	دَارُ طِينَال
٢٥٢-٢٥٣	دَارُ الهِزْمَاس
٢٥٣-٢٥٤	دَارُ أَوْحَدِ الدِّينِ
٢٥٤-٢٥٦	أَوْحَدُ الدِّينِ عبد الواجِد بن إِسْمَاعِيل
٢٥٦-٢٥٧	رَبِيعُ الرُّيْتِي
٢٥٧-٢٥٨	الدَّارُ الَّتِي فِي أَوَّلِ التَّرِيقَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الَّتِي حِيطَانُهَا حِجَارَةٌ بَيْضٌ مَنُحَوَّتُهُ
٢٥٨-٢٥٩	دَارُ الثَّمَر
٢٥٩-٢٦٠	عِمَارَةُ أُمِّ السُّلْطَان
٢٦١-٢٨٥	ذِكْرُ الحَمَامَات
٢٦٢	حَمَامَاتُ المِيقَدَةِ العَمَّة
٢٦٣	حَمَامُ السَّابَاط
٢٦٤	حَمَامُ ابنِ حُبَابَةِ
٢٦٤	حَمَامُ الصَّنِيعَةِ

صفحة	
٢٦٤	حَمَامُ نَر
٢٦٥-٢٦٤	حَمَامُ كُرْجِي
٢٦٥	حَمَامُ كُتَيْلَة
٢٦٥	حَمَامُ ابْنِ أَبِي الدَّم
٢٦٥	حَمَامُ الحَصَيبِيَّة
٢٦٦	حَمَامُ الذَّهَب
٢٦٦	حَمَامُ ابْنِ قِرْقَة
٢٦٦	حَمَامُ السُّلْطَان
٢٦٧	حَمَامُ خَوْنَد بِحَارَة زَوِيلَة
٢٦٨-٢٦٧	حَمَامُ ابْنِ عَمْرٍود
٢٦٨	حَمَامُ الصَّاحِب
٢٦٨	حَمَامُ السُّلْطَان
٢٦٨	حَمَامُ طُفْرِيل
٢٦٩	حَمَامُ الفَاضِل
٢٦٩	حَمَامُ الشُّوَيْشِي
٢٦٩	حَمَامُ عَجِيْبَة
٢٧٠-٢٦٩	حَمَامُ دُرِّي
٢٧٠	حَمَامُ الرُّضَاصِي
٢٧٢ ٢٧٠	حَمَامُ الجُبُوشِي
٢٧٢-٢٧١	حَمَامُ الرُّومِي
٢٧٣-٢٧٢	مُنْقَر الرُّومِي الصَّالِحِي التَّجْمِي
٢٧٣	حَمَامُ سَوَيْد
٢٧٣	حَمَامُ طَغْلَق
٢٧٣	حَمَامُ ابْنِ عَمْلَكَان
٢٧٤	حَمَامُ الصَّاحِب
٢٧٤	حَمَامُ كَمُشْبَغَا الْأَسَدِي

صفحة	
٢٧٤	حَمَامُ التَّنَطُّشِ عَازِ
٢٧٥-٢٧٥	حَمَامُ الْقَاضِي
٢٧٥	حَمَامُ الْخَوَّاطِينَ
٢٧٦-٢٧٥	حَمَامُ الْحَشِيَّةِ
٢٧٦	حَمَامُ الْكُوَيْتِ
٢٧٦	حَمَامُ الْجُوَيْنِي
٢٧٧	حَمَامُ الْقَفَّاصِينَ
٢٧٧	حَمَامُ الصُّفَيْرِ
٢٧٧	حَمَامُ الْأَعْسَرِ
٢٨٠-٢٧٨	سُتْقَرُ الْأَعْسَرِ
٢٨٠	حَمَامُ الْحَسَامِ
٢٨٠	حَمَامُ الصُّوْفِيَّةِ
٢٨١	حَمَامُ بَهَادِرِ
٢٨١	حَمَامُ الدُّرودِ
٢٨٢-٢٨١	حَمَامُ ابْنِ أَبِي الْخَوَّافِ
٢٨٣-٢٨٢	حَمَامُ قَتَّالِ السَّبْعِ
٢٨٣	حَمَامُ لُؤْلُؤِ
٢٨٥-٢٨٣	لُؤْلُؤُ الْحَاجِبِ
٢٨٦-٢٠٣	ذِكْرُ الْقِيَاسِ
٢٨٦	قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ قُرَيْشٍ
٢٨٧	قَيْسَارِيَّةُ الشُّرْبِ
٢٨٧	قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ أَبِي أُسَامَةَ
٢٨٨	قَيْسَارِيَّةُ سُنُقَرِ الْأَشَقَرِ
٢٨٨	قَيْسَارِيَّةُ أَمِيرِ عَلِي
٢٨٩-٢٨٨	قَيْسَارِيَّةُ رَشْلَانَ
٢٨٩	قَيْسَارِيَّةُ جِهَازِ كَسِ

صفحة	
٢٩٤-٢٩٠	جهاز كس الصلاحي
٢٩٤	قِسَارِيَّةُ الْفَاضِل
٢٩٥-٢٩٤	قِسَارِيَّةُ تَبِيرَس
٢٩٥	القِسَارِيَّةُ الطَّوِيلَة
٢٩٦-٢٩٥	قِسَارِيَّةُ جَانِي بَك ...
٢٩٦	قِسَارِيَّةُ الْقَضْفَر
٢٩٦	قِسَارِيَّةُ الْعَبْر ..
٢٩٧	قِسَارِيَّةُ الْفَائِزِي
٢٩٩-٢٩٧	الوزيرُ هبة الله بن صَاحِد الْفَائِزِي
٢٩٩	قِسَارِيَّةُ بَكْتَشَر الشَّافِي
٣٠٠-٢٩٩	قِسَارِيَّةُ ابْنِ يَحْيَى
٣٠٠	قِسَارِيَّةُ طَاشْتَشَر
٣٠٠	قِسَارِيَّةُ الْفُقَرَاء
٣٠١	قِسَارِيَّةُ بِشْتَاك
٣٠١	قِسَارِيَّةُ ابْنِ الْحَمِينِي
٣٠٢	قِسَارِيَّةُ الْجَامِعِ الطُّولُونِي
٣٠٣-٣٠٢	قِسَارِيَّةُ ابْنِ مُيَمَّر الْكَبِيرِي
٣٠٣	قِسَارِيَّةُ عَبْدِ الْبَاسِط
٣١٤-٣٠٤	ذِكْرُ الْخَانَاتِ وَالْفَتَادِق
٣٠٥-٣٠٤	خَانُ مَشْوَر
٣٠٦-٣٠٥	فُنْدُقُ بِلَالِ الْمُغِيثِي
٣٠٧-٣٠٦	فُنْدُقُ الصَّالِح
٣٠٨	خَانُ السَّيْل
٣٠٩-٣٠٨	خَانُ مَنكَوَرَش
٣٠٩	فُنْدُقُ ابْنِ قُرَيْش
٣١٠-٣٠٩	وَكَالَةُ قَوْضُون

صفحة

٣١١-٣١٠

٣١١

٣١٤-٣١٢

٣١٤

٣٥٤-٣١٥

٣١٦-٣١٥

٣١٧

٣١٧

٣١٧

٣١٩-٣١٨

٣٢٠-٣١٩

٣٢١-٣٢٠

٣٢١

٣٢٢-٣٢١

٣٢٣-٣٢٢

٣٢٣

٣٢٤

٣٢٦-٣٢٥

٣٢٦

٣٢٩-٣٢٧

٣٣٠-٣٢٩

٣٣١-٣٣٠

٣٣٢-٣٣١

٣٣٤-٣٣٣

٣٣٥-٣٣٤

٣٣٦

دارُ الثَّقَّاح

وَكَالَة باب الجَوَائِذِ

خَانُ الحَلِيلِي

قُنْدُق طُرُنْطَاي

ذِكْرُ الْأَسْوَاقِ

القَصْبَة

سُوقُ باب القُتُوح

سُوقُ المُرْحَلِينَ

سُوقُ خان الرُّؤَاسِيْنَ

سُوقُ حَاذَة بَرَجِيَّان

سُوقُ الشَّمَاعِينَ

سُوقُ الدَّجَاجِينَ

سُوقُ بَيْنَ القَصْرِينِ

سُوقُ السَّلَاحِ

سُوقُ القُقَيْصَاتِ

سُوقُ باب الرُّهُومَة

سُوقُ المِهَامِزِيِّينَ

سُوقُ اللُّحْجِيِّينَ

سُوقُ الجَوَاجِيْنَ

سُوقُ الشَّرَاشِيْنَ

سُوقُ الحَوَائِصِيِّينَ

سُوقُ الحَلَاوِيِّينَ

سُوقُ الشُّوَّالِيْنَ

الشَّارِغُ خَارِج باب زَوِيلَة

سُوَيْقَة أمير الجيُوش

سُوقُ الجَمَلُون الصَّغِيرِ

صفحة

٣٣٧-٣٣٦	سوق المحارئين
٣٣٨-٣٣٧	الصاغة
٣٣٩-٣٣٨	سوق الكتبيين
٣٣٩	سوق الصناديقين
٣٤٠-٣٣٩	سوق الحريريين
٣٤١-٣٤٠	سوق العنبريين
٣٤١	سوق الحراطين
٣٤٢-٣٤١	سوق الجملون الكبير
٣٤٣-٣٤٢	سوق الفرائين ..
٣٤٤-٣٤٣	سوق البخانقين ..
٣٤٤	سوق الحلقين
٣٤٥-٣٤٤	سوق الصايب
٣٤٦-٣٤٥	سوق البندقانيين
٣٤٦	سوق الأخفانيين
٣٤٨-٣٤٧	سوق الكتبيين
٣٤٨	سوق الأقباعيين
٣٤٩	سوق السقطين
٣٤٩	سوق خزانة البود
٣٤٩	سوق المشعودي
٣٥٠-٣٤٩	سوق طلق
٣٥٠	سوق الصوابي
٣٥١-٣٥٠	سوق البلشون
٣٥١	سوق اللفت
٣٥١	سوق زاوية الحدام
٣٥١	سوق جامع آل ملك
٣٥٢	سوق أبي ظهير

صفحة	
٣٥٢	سُوَيْقَةُ السَّنَابِلَةِ
٣٥٣-٣٥٢	سُوَيْقَةُ الْعَرَبِ
٣٥٣	سُوَيْقَةُ الْعِرَاقِ
٣٥٤-٣٥٣	سُوَيْقَةُ الْعَمَّاطِينَ
٣٥٤	سُوَيْقَةُ الْعِرَاقِيِّينَ
٣٥٥	ذِكْرُ مَدَارَاتِ الطَّوَّاحِينَ
٣٥٩-٣٥٦	ذِكْرُ الْغَوَائِدِ الَّتِي كَانَتْ بِقَصَبَةِ الْقَاهِرَةِ ..
٣٦٣-٣٦٠	ذِكْرُ مَا كَانَتْ ظَوَاهِرُ الْقَاهِرَةِ عَلَيْهِ وَمَا صَارَتْ الْأُخْوَالُ إِلَيْهِ
٣٦٨-٣٦٣	ذِكْرُ ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ الْمُعْرِئَةِ
٣٧٦-٣٦٩	ذِكْرُ مَيْدَانِ الْقَبْجِ
٣٧٧-٣٧٦	ذِكْرُ بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ
٣٧٨	ذِكْرُ الْأَخْكَارِ الَّتِي فِي غَرْبِ الْخَلِيجِ
٣٨١-٣٧٨	جَكْرُ الزُّهْرِيِّ
٣٨٢-٣٨١	جَكْرُ الْخَلِيلِيِّ
٣٨٣-٣٨٢	جَكْرُ قَوْصُونِ
٣٨٤	جَكْرُ الْحَلَسِيِّ
٣٨٤	جَكْرُ الْبَوَاشِقِيِّ
٣٨٦-٣٨٤	جَكْرُ أَفْبَغَا
٣٨٦	جَكْرُ السَّتِّ حَدَقِ
٣٨٧-٣٨٦	جَكْرُ السَّتِّ مَشَكَّةَ
٣٨٨	جَكْرُ طُقُوزْدَمَرِ بِيْجَوَارِ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ
٣٩٢-٣٨٨	أَرْضِي اللُّوقِ
٣٩٣-٣٩٢	بُشْتَانُ ابْنِ ثَعْلَبَ
٣٩٤-٣٩٣	مُشْتَأَةُ ابْنِ ثَعْلَبَ

صفحة	
٣٩٤	باب اللوق
٣٩٥-٣٩٤	جِكرُ قُرْدِيَّة
٣٩٥-٣٩٤	جِكرُ كريم الدين
٣٩٥	رَحْبَةُ الثَّيْن
٣٩٥	مُشْتَنَانُ السَّعِيدِي
٣٩٥	بِرْكَةُ قَزْمُوط
٣٩٦-٣٩٥	الحَزُور
٣٩٦	الشيخ كريم الدَّوْلَةُ الصُّغْبِي
٣٩٧	جِكرُ مُشْتَنَانِ الْعِدَّة
٣٩٧	جِكرُ جَوْهَرِ الثُّرَيِّي
٣٩٨	جِكرُ خَزَائِنِ السَّلَاح
٣٩٨	جِكرُ تَكَان
٣٩٩	جِكرُ ابْنِ الْأَسَدِ جَفْرِيل
٣٩٩	جِكرُ الْيَتْدَادِيَّة
٤٠٠-٣٩٩	جِكرُ الْفَارِسِ تَحْطَلْبَا
٤٠٠	تَحْطَلْبَا بنِ مُوسَى الْكَامِلِي
٤٠١-٤٠٠	جِكرُ ابْنِ مُنْقِذ
٤٠١	جِكرُ فَارِسِ الْمُسْلِمِينَ بَنَرِ بنِ رُزَيْك
٤٠١	جِكرُ شَخْسِ الْخَوَاصِّ مَشْرُور
٤٠٢-٤٠١	جِكرُ الْعَلَاثِي
٤٠٢	جِكرُ الْحَرِيرِي
٤٠٢	الحِكرُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَرْضِ الْبَيْضَاء
٤٠٢	إِسْطَيْلِ الْمَسَاح
٤٠٣-٤٠٢	الدُّمَكَةُ
٤١٣-٤٠٢	ذِكْرُ الْمَقْسِ وَفِيهِ الْكَلَامُ عَلَى الْمَكْسِ
٤١٤-٤١٣	ذِكْرُ مَيْدَانِ الْقَمَح

صفحة

٤١٨-٤١٥	ذِكْرُ أَرْضِ الطَّبَائِلَةِ
٤٢٥-٤١٨	ذِكْرُ حَشِيئَةِ الْفُقَرَاءِ
٤٦٦-٤٢٥	ذِكْرُ أَرْضِ الْبُغْلِ وَالنَّاجِ
٤٣٨-٤٢٧	ذِكْرُ صَوَاحِي الْقَاهِرَةِ
٤٢٩-٤٢٨	ذِكْرُ مَنِيَّةِ الْأَمْرَاءِ
٤٣٠-٤٢٩	ذِكْرُ كُومِ الرِّيشِ
٤٣٤-٤٣٠	ذِكْرُ بُولَاقِ
٤٣٥-٤٣٤	ذِكْرُ مَا بَيْنَ بُولَاقِ وَمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي
٤٣٦	زَرْيَقَةُ السُّلْطَانِ
٤٣٨-٤٣٦	مُنْشَأَةُ الْكُتَّابِ
٤٥٢-٤٣٩	ذِكْرُ خَارِجِ بَابِ زَوَيْلَةَ
٤٤٤-٤٤٢	خَوْضُ ابْنِ هَنْسَ
٤٤٦-٤٤٤	مَنَاظِرُ الْكَبِشِ
٤٤٧-٤٤٦	حُطُّ دَرْبِ ابْنِ الْبَاهَا
٤٤٨-٤٤٧	الْأَمِيرُ جَنْكَلِي بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَاهَا
٤٤٩-٤٤٨	جَنْكُو الْحَازِنِ
٤٥٠-٤٤٩	رَبْعُ الْبِرَادِيَّةِ
٤٥٠	حُطُّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ
٤٥٢-٤٥٠	بَيْتُ الْوَطَاوِيطِ
٤٦١-٤٥٣	ذِكْرُ خَارِجِ بَابِ الْفُتُوحِ
٤٦١-٤٥٤	ذِكْرُ الْحَشْدَقِ
٤٦١	صَخْرَاءُ الْهَلِيلَجِ
٤٦٤-٤٦٢	ذِكْرُ خَارِجِ بَابِ التَّنْصَرِ
٤٦٤	الرَّائِدَانِيَّةُ

صفحة

ذِكْرُ الخَلْجَانِ الَّتِي بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ

٤٨٤-٤٦٥

٤٧٩-٤٦٥

ذِكْرُ خَلِيجِ مِصْرَ

٤٧٩

٤٨١-٤٧٩

٤٨٤-٤٨١

٤٨٤

٥٠٨-٤٨٥

٤٩٨-٤٨٥

٤٨٦-٤٨٥

٤٨٨-٤٨٦

٤٩١-٤٨٨

٤٩١

٤٩٢

٤٩٢

٤٩٣-٤٩٢

٤٩٣

٤٩٤-٤٩٣

٤٩٤

٤٩٥

٤٩٦-٤٩٥

٤٩٦

٤٩٨-٤٩٦

٥٠٥-٤٩٨

٤٩٩-٤٩٨

٤٩٩

ذِكْرُ الْقَنَايِطِ

ذِكْرُ قَنَايِطِ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ

[قَنْطَرَةُ عَهْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ]

قَنْطَرَةُ السُّدِّ

قَنَايِطُ السَّبَاعِ

قَنْطَرَةُ عُثْمَانِ

قَنْطَرَةُ طُفُزْدَمَرِ

قَنْطَرَةُ آقِ سُنْتَرِ

قَنْطَرَةُ بَابِ الْحَزَقِ

قَنْطَرَةُ الْمُوشَكِيِّ

قَنْطَرَةُ الْأَمِيرِ مُحْسِنِ

قَنْطَرَةُ بَابِ الشُّعْرِيَّةِ

الْقَنْطَرَةُ الْجَدِيدَةُ

قَنَايِطُ الْإِوَزِ

قَنَايِطُ بَنِي وَائِلِ

قَنْطَرَةُ الْأَمِيرِيَّةِ

القَنَايِطُ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ الثَّاصِرِيِّ

قَنْطَرَةُ الْفَخْرِ

قَنْطَرَةُ قَدَادَارِ

صفحة

٥٠٢-٤٩٩	سَيِّفُ الدِّينِ قَدَادَار
٥٠٣-٥٠٢	قَنْطَرَةُ الْكَتَبَةِ
٥٠٤-٥٠٣	قَنْطَرَةُ نَمِ الْخَوَزِ الْمَعْرُوفَةِ بِقَنْطَرَةِ الْمَقْصِي
٥٠٥-٥٠٤	قَنْطَرَةُ بَابِ الصَّخَرِ
٥٠٦-٥٠٥	قَنْطَرَةُ الْحَاجِبِ
٥٠٧-٥٠٦	قَنْطَرَةُ الدُّكَّةِ
٥٠٧	قَنَايِزُ بَخَرِ أَبِي الْمُتَّجَا
٥٠٨-٧٥٠	قَنَايِزُ الْحَمِيرَةِ
٥٥٠-٥١٠	ذِكْرُ الْبِرَكِ
٥٢٧-٥١٠	بِرْكَةُ الْحَبَشِ
٥٢٧-٥٢٣	ذِكْرُ بَسَاتِينِ الْوَزِيرِ
٥٢٩-٥٢٧	بِرْكَةُ الشُّعْبِيَّةِ
٥٣١-٥٢٩	ذِكْرُ الْمَغْشُوقِ
٥٣٣-٥٣١	ابْنُ نَمَاتِي
٥٣٣	بِرْكَةُ شَطَا
٥٣٥-٥٣٤	بِرْكَةُ قَاوُونِ
٥٣٨-٥٣٥	بِرْكَةُ الْفِيلِ
٥٣٨	بِرْكَةُ الشُّقَافِ
٥٤٠	بِرْكَةُ السَّبَاعِينَ
٥٤١-٥٤٠	بِرْكَةُ الرُّطْلِي
٥٤٢-٥٤٠	الْبِرْكَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِسُطْنِ الْبَقَرَةِ
٥٤٤	بِرْكَةُ بَحَنَاقِ
٥٤٧-٥٤٤	بِرْكَةُ الْحُجَّاجِ
٥٤٩-٥٤٨	بِرْكَةُ قَرْمُوطِ
٥٤٩	بِرْكَةُ قَرَايَا
٥٥٠-٥٤٩	الْبِرْكَةُ النَّاصِرِيَّةُ

صفحة	
٥٦٦-٥٥١	ذِكْرُ الجُسُور
٥٥٢-٥٥١	جِسْرُ الْأَقْرَم
٥٥٢	الجِسْرُ الْأَعْظَم
٥٥٢	الجِسْرُ بِأَرْضِ الطَّبَّالَةِ
٥٥٥-٥٥٣	الجِسْرُ مِنْ بُولاقَ إِلَى مَنِيَةِ السَّيْرَج
٥٥٧-٥٥٥	الجِسْرُ بِوَسْطِ بَحْرِ الشَّيْلِ
٥٦١-٥٥٧	الجِسْرُ فِيمَا بَيْنَ الْحِيزَةِ وَالرَّوَضَةِ الْمَعْرُوفِ بِجِسْرِ مَنَجَك
٥٦٣-٥٦٢	جِسْرُ الْخَلِيلِي
٥٦٤-٥٦٣	جِسْرُ شَيْبِينَ
٥٦٥-٥٦٤	جِسْرًا مِصْرَ وَالْحِيزَةَ
٥٦٦-٥٦٥	الجِسْرُ مِنْ قَلْبِيوبَ إِلَى دِمْيَاطَ
٥٩٥-٥٦٧	ذِكْرُ الْجَزَائِرِ
٥٨٨-٥٦٨	ذِكْرُ الرَّوَضَةِ
٥٨١-٥٧٩	الْهَوْدَج
٥٨٨-٥٨١	ذِكْرُ قَلْعَةِ الرَّوَضَةِ
٥٨٨	الْمِيقَاسُ
٥٩٠	جَزِيرَةُ الْعُصَانُونِي
٥٩٣-٥٩٠	ذِكْرُ جَزِيرَةِ الْغِيلِ
٥٩٤	جَزِيرَةُ أَرْوَى
٥٩٥-٥٩٤	الْجَزِيرَةُ الَّتِي غَرِقَتْ بِحَلِيمَةِ
٦٠١-٥٩٦	ذِكْرُ السَّجُونِ
٥٥٩٨-٥٩٧	حَبْسُ الْمَعُونَةِ بِمِصْرَ
٥٩٩-٥٥٩٨	حَبْسُ الصَّغَارِ
٥٩٩	حِزَانَةُ الْبُثُودِ
٥٩٩	حَبْسُ الْمَعُونَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ
٦٠٠	حِزَانَةُ سَمَائِلَ

صفحة	
٦٠١	المَقْشَرَة
٦٠١	الجُبُّ بَقْلَة الجَبَل
٦٠٢-٦٢٤	ذِكْرُ المواضع المعروفة بالصَّنَاعَة
٦٠٧-٦١٨	القِبداء
٦١٨-٦٢٢	صِنَاعَةُ المَقْشَر
٦٦٢	صِنَاعَةُ الجَزِيرَة
٦٢٢-٦٢٤	صِنَاعَةُ بَصْر
٦٢٥-٦٣٦	ذِكْرُ المِيَادِين
٦٢٥	مَيْدَانُ ابن طُولُون
٦٢٥	مَيْدَانُ الإخْشِيد
٦٢٥-٦٢٦	مَيْدَانُ القَضْر
٦٢٦	مَيْدَانُ قَرَأْقُوش
٦٢٦	مَيْدَانُ المَلِك العَزِيز
٦٢٦-٦٢٧	المَيْدَانُ الصَّالِحِي
٦٢٨-٦٢٩	المَيْدَانُ الظَّاهِرِي
٦٢٩-٦٣٠	مَيْدَانُ بَرْكَةِ الفِيل
٦٣٠-٦٣١	مَيْدَانُ المَهَارَى
٦٣١-٦٣٤	مَيْدَانُ سَيُومَاقُوس
٦٣٥-٦٣٦	المَيْدَانُ الثَّاصِرِي

ذِكْرُ قَلْعَةِ الجَبَل

٦٣٨-٦٤٣	ذِكْرُ ما كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ قَلْعَةِ الجَبَل قَبْلَ بَنَائِهَا
٦٤٤-٦٤٨	ذِكْرُ بِنَاءِ قَلْعَةِ الجَبَل
٦٤٨-٦٤٩	البَيْتُ الَّتِي بِالْقَلْعَةِ
٦٥٠-٦٩٨	ذِكْرُ صِفَةِ الْقَلْعَةِ

صفحة	
٦٥٥-٦٥٤	بابُ الدُرْفيل
٦٥٩-٦٥٥	دارُ العُدُلِ القَدِيمَةِ
٦٦٨-٦٥٩	الإيوان المعروف بدار العُدُلِ
٦٦٦-٦٦٢	ذِكْرُ النَّظَرِ فِي الْمَطَالِمِ
٦٦٨-٦٦٦	ذِكْرُ بَحْثَةِ الإيوان المعروف بدار العُدُلِ
٦٧١-٦٦٩	القَصْرُ الْأَبْلَقُ
٦٧٣-٦٧١	الْأَسْطِطَةُ السُّلْطَانِيَّةُ
٦٧٥-٦٧٣	ذِكْرُ الْعَلَامَةِ السُّلْطَانِيَّةِ
٦٧٨-٦٧٦	الْأَشْرَفِيَّةُ
٦٧٩	الْبَيْتِصَرِيَّةُ
٦٨٠	الدَّهْيَشَةُ
٦٨١	السُّنْبُغُ قَاعَاتُ
٦٨٢-٦٨١	الْجَامِعُ بِالْقَلْعَةِ
٦٨٣-٦٨٢	الدَّارُ الْجَدِيدَةُ
٦٨٣	خِزَانَةُ الْكُتُبِ
٦٨٤	الْقَاعَةُ الصَّالِحِيَّةُ
٦٨٤	بابُ الثُّحَاسِ
٦٨٥	بابُ الْقُلَّةِ
٦٨٦	الرَّوْفُوفُ
٦٨٨-٦٨٦	الْجُبُ
٦٩١-٦٨٨	الطَّبْلَخَانَاهُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ
٦٩٥-٦٩١	الطَّبَاقُ بِسَاحَةِ الْإِيوانِ
٦٩٨-٦٩٥	دَارُ النِّيَابَةِ
٧١١-٦٩٩	ذِكْرُ جَيْشِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ وَزِينَتِهَا وَعَوَائِدِهَا
٧١٨-٧١٢	ذِكْرُ الْحَبَبَةِ

٧١٨-٧١٣	ذِكْرُ أَحْكَامِ السِّيَاسَةِ
صفحة	
٧١٨	أَمِيرُ جَانْدَار
٧١٩	الْأَسْتَنَادَار
٧٢٠	أَمِيرُ بِلَاح
٧٢١-٧٢٠	الْدُّوَادَار
٧٢١	نِقَابَةُ الْجُمُوش
٧٢٢	الْوِلَايَةِ
٧٢٤-٧٢٢	قَاعَةُ الصَّاجِب
٧٢٦-٧٢٥	نَظَرُ الدَّوْلَةِ
٧٢٧-٧٢٦	نَظَرُ التَّيُوت
٧٢٧	نَظَرُ بَيْتِ الْمَالِ
٧٣٠-٧٢٧	نَظَرُ الْإِسْطِيلَات
٧٣٤-٧٣٠	دِيَوَانُ الْإِنْشَاء
٧٣٤	نَظَرُ الْحَيْش
٧٣٥-٧٣٤	نَظَرُ الْخَاصِّ
٧٣٩-٧٣٥	ذِكْرُ عَادَةِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فِي الْخَلْعِ وَمَرَايِبِهَا
٧٤١-٧٣٩	الْمَقْدَانُ بِالْقَلْعَةِ
٧٤٢-٧٤١	الْحُوشُ خَارِجَ بَابِ الْقَرَّاقَةِ
٧٤٥-٧٤٣	ذِكْرُ الْمِيَاهِ الَّتِي بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ
٧٤٦-٧٤٥	الْمَطْبَخُ
٧٤٩-٧٤٧	ذِكْرُ أَهْرَاجِ الْحَمَامِ
٧٥٠	ذِكْرُ مَلُوكِ مِصْرَ فَنُذْ بَيِّنَتْ قَلْعَةُ الْجَبَلِ
٧٦٣-٧٥١	ذِكْرُ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ مِنَ الْأَنْكِرَادِ
٧٧٩-٧٦٣	ذِكْرُ دَوْلَةِ الْمَالِيكِ الْبَحْرِيَّةِ
٧٨٨-٧٧٩	ذِكْرُ دَوْلَةِ الْمَالِيكِ الْجَرَاكِسَةِ
٧٨٧-٧٨٣	[الْخُلَفَاءُ الْعَبَّاسِيُّونَ بِمِصْرَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

ذِكْرُ حَارَاتِ الْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا^١

قال ابن سيده : والحارة كلُّ مَحَلَّةٍ دَنَتْ منازلُهم^٢ . قال : والمَحَلَّةُ مَنَزِلُ الْقَوْمِ^٣ .
وبالقاهرة وظواهرها عِدَّةُ حَارَاتٍ ، وهي :

حَارَةُ بَهَاءِ الدِّينِ

هذه الحارة كانت قديمًا خارج باب الفتوح الذي وَضَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ عِنْدَمَا اخْتَطَّ أُسَاسَ
الْقَاهِرَةِ مِنَ الطُّوبِ النَّيِّءِ ؛ وَقَدْ بَقِيَ مِنْ هَذَا الْبَابِ عَقْدَةٌ بِرَأْسِ حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ . وَصَارَتْ هَذِهِ
الْحَارَةُ الْيَوْمَ مِنْ دَاخِلِ بَابِ الْفَتْوحِ الَّذِي وَضَعَهُ أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ ، وَهُوَ الْمَوْجُودُ الْآنَ .
وَحَدُّ هَذِهِ الْحَارَةِ غَرْبًا مِنْ حُطٍّ بِابِ الْفَتْوحِ الْآنَ إِلَى حُطِّ خَانَ^٤ الْوَرَاةِ بِشَوَقِ الْمُرَحِّلِينَ ،

(a) بولاق : منازلها . (b) بولاق : حارة .

٢٥٣) . وفي رأي أن موضع هذا الفضل كما وَزَّعَ فِي الْمُسَوَّدَةِ
كَانَ أَتَيْنِ مِنْ نَقْلِهِ إِلَى «ذِكْرِ قَاهِرَةِ الْمِيزَةِ» ، فَمِنْ طَرِيقِهِ يَسْتَطِيعُ
الْقَارِئُ أَنْ يَسْتَوْضِحَ أَمَاكِنَ الْحَارَاتِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَعِلَاقَتِهَا
بِبَعْضِهَا الْبَعْضَ يُغَيِّدًا وَقُرْبًا .

٢ ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٣٨٨ .

١ سَمَّى الْمُقْرِيزِيُّ هَذَا الْفَصْلَ فِي مَسَوَدَةِ الْمَوَاضِعِ : «ذِكْرُ
الْحَارَاتِ وَالْخِطَطِ بِالْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا» ، وَبَدَأَهُ بِقَرْصٍ شَامِلٍ
لِحَارَاتِ الْقَاهِرَةِ وَأَخْطَاطِهَا (٣٣١-٣٣٤) ، ثُمَّ فَضَّلَ
بِعِنَانٍ : الْمَسَالِكَ وَالشُّوَارِعَ بِالْقَاهِرَةِ (٣٣٥-٣٤٨) . وَفِي
الْمُبَيَّنَةِ نَقَلَ الْمُقْرِيزِيُّ هَذَا الْفَضْلَ إِلَى بَدَايَةِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ
تَجَزِئَتِهِ ، الَّذِي سَمَّاهُ : «ذِكْرُ قَاهِرَةِ الْمِيزَةِ» (فِيمَا تَقَدَّمَ ٢: ٢٤٤-

وخذها طولاً فيما وراء ذلك إلى حُطَّ باب القنطرة . وكانت هذه الحارة تُعرف بحارة الرُّيحانيَّة والوزيرية - وهما طائفتان من طوائف عَشْكَر الخلفاء الفاطميين - فإنَّ بها كانت مساكنهم ، وكان فيها لهاتين الطائفتين دُورٌ عَظِيمَةٌ وَحَوَانِثٌ عِدَّةٌ^(a) . وقيل لها أيضاً «بَيْنَ الْحَارَتَيْنِ» ، وَاتَّصَلَتِ الْعِمَارَةُ إِلَى الشُّور ،^(b) ثُمَّ عُرِفَتْ فِي الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ بِحَارَةِ بَهَاءِ الدِّين ، وهو الأمير بهاء الدِّين قَرَأُوش^(c) ١ . ولم تَزَلِ الرُّيحَانِيَّةُ وَالْوَزِيرِيَّةُ بهذه الحارة إلى أن كانت واقعةً السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِالْقَيْدِ .

ذِكْرُ وَاقِعَةِ الْقَيْدِ - وَسَبَبُهَا أَنَّ مُؤْتَمَرَ الْخِلَافَةِ جَوْهَرًا - أَخَذَ الْأُسْتَاذِينَ الْمُتَكِنِينَ بِالْقَصْرِ - تَحَدَّثَ فِي إِزَالَةِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مِنْ وَزَارَةِ الْخَلِيفَةِ الْعَاظِدِ لِدِينِ اللَّهِ عِنْدَمَا ضَاقَ أَهْلُ الْقَصْرِ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ^(d) الدَّوْلَةَ وَأَضْعَفَ جَانِبَ الْخِلَافَةِ ، وَقَبَضَ عَلَى أَكْبَارِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ . فَصَارَ مَعَ جَوْهَرَ عِدَّةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمَصْرِيِّينَ وَالْجُنْدِ ، وَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى الْفِرْنَجِ بِلَادَ السَّاحِلِ يَسْتَدْعُونَهُمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ صَلَاحُ الدِّينِ لِقِتَالِهِمْ^(e) ، بَعَثَهُ ، ثَارُوا هُمْ فِي الْقَاهِرَةِ^(f) ، وَاجْتَمَعُوا مَعَ الْفِرْنَجِ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ مِصْرَ .

فَسَيَّرُوا رَجُلًا إِلَى الْفِرْنَجِ ، وَجَعَلُوا كُتُبَهُمْ الَّتِي مَعَهُ فِي نَقْلِ ، وَحَفِظَتْ بِالْجِلْدِ مَخَافَةَ أَنْ يُفْطَنَ بِهَا . فَسَارَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِ^(g) الْبَيْضَاءِ^٢ قَرِيبًا مِنْ بَلْبَيسَ ، فَإِذَا بَعْضُ أَصْحَابِ صَلَاحِ الدِّينِ هُنَاكَ ، فَأَتَكَرَّ أَمْرَ الرَّجُلِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ جَعَلَ الثَّقَلَيْنِ فِي يَدِهِ ، وَرَأَاهُمَا وَلَيْسَ فِيهِمَا أَثَرُ الْمَشْيِ وَالرَّجُلُ رَتَّ الْهَيْبَةِ ، فَازْتَابَ وَأَخَذَ مِنْهُ^(h) الثَّقَلَيْنِ وَشَقَّهُمَا فَوَجَدَ الْكُتُبَ فِي بَاطِنِهَا⁽ⁱ⁾ . فَحَمَلَ الرَّجُلُ وَالْكَتُوبَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ ، فَتَبَعَتْ حُطُوطُ الْكُتُبِ حَتَّى عُرِفَتْ ، فَإِذَا الَّذِي كَتَبَهَا مِنَ الْيَهُودِ الْكَتَّابَ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَاعْتَصَمَ بِالْإِسْلَامِ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَهُ الْحَبَرُ .

(a) بولاق : عديدة . (b-c) إضافة من مسودة المواظ . (c) بولاق : أمور . (d) بولاق : إلى قتالهم . (e) بولاق : ثاروا وهم بالقاهرة . (f) بولاق : البهر . (g) ساقطة من بولاق . (h) بولاق : بطيها .

١ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٢ .

٢ المقرئ : مسودة المواظ ٣٦٣-٣٦٤ .

٢ الْبَيْتُ الْبَيْضَاءُ . أَحَدُ مَوَازِيِ الْبَرِيدِ الْقَدِيمَةِ ، كَانَتْ تَقَعُ بَيْنَ بَلَدَتِي الْخَانِكَةِ وَبَلْبَيسَ ، وَيُذَلُّ عَلَى مَكَانِهَا الْيَوْمَ جِزَّةُ أَبِي حَبِيبِ الْوَاقِعَةِ فِي حَوْضِ الْبَيْضَاءِ بِأَرْضِي نَاحِيَةِ الزَّوَاوِيلِ بِمَرْكَزِ بَلْبَيسَ بِمَحَافِظَةِ الشَّرْقِيَّةِ . (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤٤٤هـ : ١١ ، ٢٧٩هـ : ٢) .

وَيُحَدِّدُ مَوْضِعَ حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ الْمَرْ لِدِينِ اللَّهِ عِنْدَ الْحَدِّ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِلْجَامِعِ الْحَاكِمِ ، وَمِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ الْحَيْشِ شِمَالِ مِيدَانِ بَابِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَيَتَوَسَّطُهَا شَارِعُ بَيْنِ الْعِيَارِجِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ . (رَاجِعِ : ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الرُّوضَةُ الْبَهِيَّةُ ٦٥) .

فَبَلَغَ ذَلِكَ مُؤْتَمَرُ الْخِلَافَةِ، فَاسْتَشْعَرَ الشَّرَّ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَزِمَ الْقَصْرَ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْهُ^(a). فَأَعْرَضَ صَلَاحُ الدِّينُ/ عَنْ ذَلِكَ جَمْلَةً. وَطَالَ الْأَمَدُ، فَظَنَّ الْخَصِيَّ أَنَّهُ قَدْ أَهْمِلَ أَمْرَهُ، وَشَرَعَ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ، وَكَانَتْ لَهُ مَنَظَرَةٌ بَنَاهَا بَنَاجِيَةُ الْخُرْقَانِيَّةُ^(b) فِي بُشْتَانٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا فِي جَمَاعَةٍ. وَبَلَغَ ذَلِكَ صَلَاحُ الدِّينِ، فَأَنَهَضَ إِلَيْهِ عِدَّةً هَدَمُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِحَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، وَاحْتَرَقُوا رَأْسَهُ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ. فَاسْتُهِرَ ذَلِكَ بِالْقَاهِرَةِ وَأُشِيعَ، فَغَضِبَ الْعَشَقَرِيُّ الْمَصْرِيَّ وَتَارَوْا بِاجْمَعِهِمْ فِي سَادِسٍ عَشْرِينَ، وَقَدْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ عَالَمٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعَامَّةِ حَتَّى صَارُوا مَا يَنِيْفُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفًا، وَسَارُوا إِلَى دَارِ الْوِزَارَةِ، وَفِيهَا يَوْمَئِذٍ سَاكِنًا بِهَا صَلَاحُ الدِّينِ، وَقَدْ اسْتَعْدُّوا بِالْأَسْلِحَةِ. فَجَدَرَ^(b) شَمْسُ الدَّوْلَةِ فُخْرُ الدِّينِ ثُورَانُ شَاهٍ أَخُو صَلَاحِ الدِّينِ، وَصَرَخَ فِي عَسَاكِرِ الْعُزِّ، وَزَكَبَ صَلَاحُ الدِّينِ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَجَمِيعُ الْعُزِّ، وَرَبَّتْهُمْ. وَوَقَفَتِ الطَّائِفَةُ الرَّيْحَانِيَّةُ وَالطَّائِفَةُ الْجَبُوشِيَّةُ وَالطَّائِفَةُ الْفَرَجِيَّةُ^(c)، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الطَّوَائِفِ السُّودَانِ^(d)، وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ. فَدَارَتْ الْحَرْبُ^(e) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ صَلَاحِ الدِّينِ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا هَرَمِيَّةُ صَلَاحِ الدِّينِ وَأَصْحَابُهَا. (فَلَمَّا عَايَنَ الْعُلُبَّ^(f) أَمَرَ ثُورَانُ شَاهٍ بِالْحَقْلَةِ عَلَى السُّودَانِ، فَقَتِلَ فِيهَا أَحَدٌ مَقْدُمِيهِمْ، فَانْكَفَ بِأَسْهُمٍ قَلِيلًا، وَعَظُمَتِ حَمْلَةُ الْعُزِّ عَلَيْهِمْ، فَانْكَسَرُوا إِلَى بَابِ الذُّهَبِ ثُمَّ إِلَى بَابِ الزُّهْمَةِ، وَقَتِلَ حَيْثُذِ عِدَّةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْمَصْرِيِّينَ وَكَثِيرٌ مِّنْ عَدَاهُمْ.

وَكَانَ الْعَاضِدُ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ يُشْرِفُ مِنَ الْمَنَظَرَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ الْقَصْرِ كَثْرَةَ^(g) السُّودَانِ وَعَسَاكِرَ مِصْرَ، رَمَوْا عَلَى الْعُزِّ مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ بِالنُّشَابِ وَالْحِجَارَةِ حَتَّى أَتَكَرَّوا فِيهِمْ، وَكَفَّوهُمْ عَنِ الْقِتَالِ وَكَادُوا يَنْهَزِمُونَ. فَأَمَرَ حَيْثُذِ صَلَاحُ الدِّينِ الثَّقَاطِينَ بِإِخْرَاقِ الْمَنَظَرَةِ، فَأَخْضَرَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ الثَّقَاطِينَ، وَأَخَذُوا فِي تَطْيِيبِ قَارُورَةِ النَّفْطِ وَصَوَّبُوا بِهَا عَلَى الْمَنَظَرَةِ الَّتِي فِيهَا الْعَاضِدُ. فَخَافَ الْعَاضِدُ عَلَى نَفْسِهِ، وَفَتَحَ بَابَ الْمَنَظَرَةِ زَعِيمُ الْخِلَافَةِ أَحَدُ الْأَشْدَاذِينَ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسَلِّمُ عَلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ، وَيَقُولُ دُونَكُمْ وَالْقَبِيدَ الْكِلَابَ، أَخْرِجُوهُمْ مِنْ

(a) بولاق : منه . (b) بولاق : فبادر . (c) بولاق : الفرغية . (d) بولاق : السودانية . (e) بولاق وليدن : فثارت الحروب . (f-f) بولاق وليدن : فعند ذلك . (g) بولاق : كسرت .

بلادكم. فلما سمع السودان ذلك صَعَقَتْ قُلُوبُهُمْ وَتَخَذَلُوا، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْغُرُّ فَانكسروا، وَرَكِبَ الْقَوْمُ أَقْبِيَّتَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى الشَّيْبِيِّينَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا وَأَسَرَّ مِنْهُمْ كَثِيرًا، وَامْتَنَعُوا هُنَاكَ عَلَى الْغُرِّ بِكَانٍ فَأُخْرِقَ عَلَيْهِمْ.

وكان في دار الأَرَمْن^١ التي كانت قَرِيبًا مِنْ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ خَلْقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأَرَمَنِ كُلِّهِمْ رُمَاءٌ، وَلَهُمْ جَارٍ فِي الدَّوْلَةِ يَجْرِي عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَمَا قَرَّبَ مِنْهُمْ الْغُرُّ رَمَوْهُمْ عَنْ يَدٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى امْتَنَعُوا عَنْ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى الْعَبِيدِ، فَأُخْرِقَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ دَارَهُمْ حَتَّى هَلَكُوا خَرَقًا وَقَتْلًا، وَمَرُّوا إِلَى الْعَبِيدِ. فَصَارُوا كُلُّمَا دَخَلُوا مَكَانًا أُخْرِقَ عَلَيْهِمْ وَقِيلُوا فِيهِ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَابِ زَوِيلَةَ فَإِذَا هُوَ مَغْلُوقٌ، فَحَصِرُوا هُنَاكَ، وَاسْتَحْرَجَهُ^٢ فِيهِمْ الْقَتْلُ مَدَّةَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ بَلَغَهُمْ أَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ أُخْرِقَ الْمَنْصُورَةَ الَّتِي كَانَتْ أَعْظَمَ حَارَاتِهِمْ^٣. وَأُخِذَتْ عَلَيْهِمْ أَقْوَاهُ السَّكَّكَ، فَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ أُجِدُّوا لَا مَحَالَةَ، فَصَاحُوا: الْأَمَانُ، فَأَمَّنُوا، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلْيَلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ؛ وَفُتِّحَ لَهُمْ بَابُ زَوِيلَةَ فَخَرَجُوا إِلَى الْحِيْزَةِ. فَعَدَّى عَلَيْهِمْ شَمْسُ الدَّوْلَةِ فِي الْعَشْكَرِ - وَقَدْ قَوَّوْا بِأَمْوَالِ الْمَهْزُومِينَ وَأَسْلَحَتِهِمْ - وَحَكَّمُوا فِيهِمُ الشَّيْفَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ، وَتَلَاشَى مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ أُمُرُ الْعَاضِدِ^٤.

وكان من غَرَائِبِ الْأَتِّفَاقَاتِ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْفَاطِمِيَّةَ كَانَ الَّذِي افْتَتَحَ لَهَا بِلَادَ مِصْرَ وَبَنَى الْقَاهِرَةَ جَوْهَرُ الْقَائِدِ، وَالَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي إِزَالَةِ الدَّوْلَةِ وَخَرَابِ الْقَاهِرَةِ جَوْهَرُ الْمَنْعُوتِ بِمُؤْتَمَنِ الْخِلَافَةِ هَذَا. ثُمَّ لَمَّا اسْتَبَدَّ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بِسُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، بَعْدَ مَوْتِ الْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ لَدِينِ اللَّهِ، سَكَنَ هَذِهِ الْحَاوِزَةَ الْأَمِيرُ الطَّوَّاشِيُّ الْخَصِمِيُّ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَأُوشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ فَفَرِقَتْ بِهِ.

(٥) بولاق: واستمر.

١ خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٩١، ٧: ١١٥٢؛ التبريزي: نهاية الأرب ٢٨: ٣٦٠ - ٣٦١؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٧: ٤٤٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١/٤: ٦٧-٧١، ١٣١؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ٣١١-٣١٣، وفيما يلي ٥٣؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة ٥: ٣٥٤، ٦: ٢٠؛ ابن قاضي شعبة: الكواكب النورية ١٨٣-١٨٥؛ Lev, Y., *Saladin in Egypt*, pp. 81-84.

٢ لم يُحْصَصَ الْمُقْرِئِيُّ أَيَّ مَدَّخَلٍ لِلْحَدِيثِ عَنْ هَذِهِ النَّارِ فِي كِتَابِهِ.

٣ فيما يلي ٥٣.

٤ عن واقعة العبيد انظر كذلك، ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٣: ٦٥ - ٦٦؛ ابن الأثير: الكامل ١١: ٣٤٥-٣٤٧، أبا شامة: الروضتين ١: ٤٥٠-٤٥٢؛ ابن واصل: مرجع الكروب ١: ١٧٤-١٧٧، ٢: ٢٠٢؛ ابن

حازة بزجوان

منسوبة إلى الأستاذ أبي الفتح بزجوان الخادم، كان خَصِيًّا أبيض تام الخِلقة، رُئِيَ في دار الخليفة العزيز بالله، وولاه أَمْرَ القُصور، فلما حضرته الوفاة وصَّاه على ابنه الأمير أبي علي منصور^١. فلما مات العزيز بالله، أقيم ابنه منصور في الخلافة من بعده، وقام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمار الكتامي^٢، فدبَّر الأمور وبزجوان ثنايكة فيما يَصُدَّر منه^٣، ويختص بطوائف من العسكر دونه، إلى أن قَسَدَ^٤ أَمْرُ ابن عمار. فنظَر بزجوان في تدبير الأمور يوم الجمعة لثلاث بقين من رَمَضان سنة سبع وثمانين وثلاث مائة، وصار الواسطة بين الحاكم وبين الناس، فأمر بجمع الخِلمان ونهأهم عن التعرض لأحد من الكتامين والمغاربة.

ووجه إلى دار ابن عمار، فَمَنَعَ الناس من التعرض إليها^٥ بعد أن كانوا قد أحاطوا بها وانتهبوا منها، وأمر أن يجري لأصحاب الرُشوم والزوايب جميع ما كان ابن عمار قَطَعَهُ، وأجرى لابن عمار ما كان يجري له في أيام العزيز بالله من الجرايات لنفسه ولأهله وحريمه. ومبلغ ذلك من اللحم والثوابل خمس مائة دينار في كل شهر، تزيد عن ذلك أو تنقص عنه على قدر الأشعار، مع ما كان له من الفايكة وهو في كل يوم سَلَّةٌ بدينار، وعشرة أرطال شمع بدينار ونصف، وحُثْلُ ثَلَجٍ^٦.

وجعل كاتبه أبا الغلاء/ فهد بن إبراهيم النضراني يوقع عنه^٧، وينظر في قصص الرافعين وظلاماتهم. فجلَسَ لذلك في القصر، وصار يطالعه بجميع ما يحتاج إليه. ورُتِبَ الخِلمان في

(a) بولاق: عنه. (b) بولاق: أنسد. (c) بولاق: فمِنَعَ الناس عنها. (d) بولاق: بلح.

في الدولة الفاطمية، زعيم المغاربة في زمن الحاكم بأمر الله. أنقضي عن الوساطة عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م وحل محله بزجوان مما أدى إلى تفوق المشارقة على المغاربة. (ابن مسير: أخبار مصر ١٧٩: ابن الصيرفي: الإشارة ٥٦: النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٨: المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٥-٦، المقفي الكبير ٣: ٤٣٤٥ وفيما يلي ١٠٥-١٠٧).

^٣ أبو الغلاء فهد بن إبراهيم النضراني، لُقِّبَ بـ=

^١ راجع أخبار بزجوان عند، ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٥٧-٥٨: ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٦٠: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢٧٠-٢٧١: الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ١١٠: النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٧١-١٧٥: المقرئ: المقفى الكبير Lewis, B., *El² art. Bardjawân I*, ٥٧٥-٥٧٢: ٢ pp. 1073-74.

^٢ أمين الدولة الحسن بن محمد بن عمار، أوَّل من تَلَقَّبَ

P

1.

10

Y.

- «الرئيس» في جمادى الأولى سنة ٣٨٨هـ/١٩٩٨ م. (ابن الصبري: الإشارة ١٥٧ ساويرس بن المقفع: تاريخ البطارقة ٢/٢: ١٢٣ الميزري: انعطاف الحنفا ٢: ١١٤ أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٦٢).

وكان^٥ من خَبَر قَتْل بزجوان أَنَّهُ لما دَخَلَ إلى القَصْرِ ، كان الحَاكِم في بُسْتَانٍ يُعْرَف بِدُوَيْرَةِ التَّيْنِ والعِيَابِ ومعه زَيْدَان^٦ ، فوافاه بزجوان بهما وهو قائمٌ فسَلَّمَ ووَقَّفَ ، فسَارَ الحَاكِم إلى أَن خَرَجَ من باب الدُّوَيْرَةِ ، فَوَثَبَ زَيْدَان^٦ على بزجوان وَصَرَّه بِسَكِينٍ كانت معه في حُقْفِهِ^٧ ، وَابْتَدَرَهُ قَوْمٌ كانوا قد أُعِدُّوا لِلْفَتْكِ بِهِ ، فَأَتَحْنُوا جِرَاحَهُ^٨ بِالخَنَاجِرِ ، واحْتَرُوا رَأْسَهُ وَذَقْنُوهُ هُنَاكَ . ثم إِنَّ الحَاكِمَ أُخْصِرَ إليه الرَّئِيسُ فَهَذَا بعد عِشَاءِ الآخِرَةِ ، وقال له : أَنْتَ كَاتِبِي ، وَطَلَّعْنِي وَأَمْتَنِي^٩ .

فكانت مُدَّةُ نَظَرِ بزجوان في الوَسَاطَةِ سَتِينَ وثمانية أَشْهُرٍ تنقُصُ يوماً وإِحدى .

وَوَجَدَ الحَاكِمُ في تَرْكِهِ مائةً مِنْدِيلٍ - يعني عِمَامَةٍ - كلها سُرُوبٌ مُلَوَّنةٌ مَعْقِمةٌ على مائةِ شَائِئِيَّةٍ ، وأَلْفِ سَراويلَ دِيَقِيَّةٍ بِأَلْفِ يَكَّةٍ خَمْرٍ أُرْمَنِيٍّ ، ومن الثِّيَابِ المَخِيطةِ وَالصُّحاحِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالطُّيْبِ وَالْفَرْشِ وَالصَّيَاغَاتِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ما لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، ومن العَيْنِ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ومن الخَيْلِ لِرِكَابِهِ^{١٠} مائةٌ وخَمْسِينَ فَرَسًا وخَمْسِينَ بَغْلَةً ، ومن يَغَالِ الثَّقَلِ وَدَوَابِ الْعِلْمَانِ نحو ثَلَاثِ مائةِ رَأْسٍ ، ومائةٍ وخَمْسِينَ سَرْجًا منها عَشْرُونَ ذَهَبًا ، ومن الكُتُبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ^{١١} . وَحُمِلَ لَجَارِيَتِهِ من مِصرَ إلى القَاهِرَةِ رَحْلٌ على ثَمَانِينَ حِمَارًا .

قال ابنُ خُلْكَانَ : وَبَزْجَوَانُ بَقِيَ البَاءُ الْمُوَحَّدَةُ وَسَكُونُ الرَّاءِ وَفَتْحُ الجِيمِ وَالْوَاوُ وَبعد الأَلْفِ نون^{١٢} ؟ هَكَذَا وَجَدْتُهُ مُقَيَّدًا بِحُطٍّ بَعْضُ الْفُضْلَاءِ .

وقال ابنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَيُسَمَّى الْوَزْعُ ، سَمَّاهُ بِهِ الحَاكِمُ^{١٣} .

(a) بولاق : فكان . (b) بولاق : زيدان . (c) بولاق : عنقه . (d) بولاق : فأثخنوه جراحه . (e) بولاق : وأمنه وطنه . (f) بولاق : الركاية .

^١ المقرئ : اتعاط الحنفا ٢٥:٢ - ٣٠ .
^٢ المقرئ : مسودة المواظ ٣٦١ - ٣٦٣ ، اتعاط الحنفا ٣٠ - ٢٥:٢ .

^٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٧١ .
^٤ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٣ : المقرئ : مسودة المواظ ٣٦٠ .

ولم يُخَدِّدَ المقرئ مكان حارة بزجوان وَقَصَرَ حَدِيثَهُ فَقَطَ على بزجوان الَّذِي تُنسَبُ إليه الحَارَةُ ، جَلَسًا بِأَيْتَانِهَا مَشْغُوطَ رَأْسِهِ وَبِهَا دَارُهُ (فَما تَقَدَّمَ ٣٧:١ - ٣٩:٢) . وَإِنْ

كان أشار (فَما تقدم ٢: ٢١٩) إلى أَنَّها كانت تَشْتَمِلُ على المواضع الثلاثة المعروفة بـ : دار بزجوان العزيري وَرَحْبَةُ الْأَفْئَالِ وَدارُ الصَّيَّافَةِ الْقَدِيمَةِ .

وَيُذَلُّ على مَوْضِعِ هذه الحارة اليوم المنطقة الواقعة تجاه الجامع الأتَمَرِ وَالتي يَحْدُها شَمَالًا جَامِعُ سُلَيْمَانَ أَغَا السَّليخدار ، وَيَتَوَسَّطُها اليوم شارعُ بَزْجَوَانِ وَحَقْلَةُ بَزْجَوَانِ وما يَتَفَرَّعُ مِنْهُمَا مِنَ الْغَطَفِ وَالْأَرْقَةِ . (راجع ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٣ - ٦٥ ؛ ابن أَيْك : كنز الدرر ٦ : ١٤٢ ؛ الْقَلْقَشَنْدِي : صَبَحُ الْأَعْيُنِ ٣ : ٣٥٢ =

حارة زويلة

قال ابن عبد الظاهر: لما نَزَلَ الفَائِدُ جَوْهَرُ بالقاهرة، اختطت كُلُّ قَبِيلَةٍ خِطَّةً عُرِفَتْ بها. فزويلة بَنَتْ الحارة المعروفة بها، والبئر التي تُعْرَفُ بِبُيْرِ زويلة في المكان الذي تُعْمَلُ فيه الزوايا الآن^(a)، وهي التي اختطت البائتين المعروفين بباي زويلة^(b).^١

وقال ياقوت: زويلة - بفتح الزاي وكسر الواو وباء ساكنة وفتح اللام - أربعة مواضع: الأول: زويلة السودان، وهي قَصَبَةٌ من أعمال قُرَّان في جنوب إفريقية، مدينة كثيرة النخل والزروع.

الثاني: زويلة المهديّة، بَلَدٌ كالرَبَضِ للمهديّة، اختطه عُبيد الله الملقَّبُ بالمهدي، وأسكنه الرعيّة، وسكَنَ هو بالمهديّة التي استحدثها^(c)، فكانت ذكاكين الرعيّة وأمتعتهم بالمهديّة، ومنازلهم وحزمهم بزويلة، فكانوا يَظْلُونَ بالنهار في المهديّة، ويبيتون ليلاً بزويلة. وزعم المهديُّ أَنَّهُ فَعَلَ بهم ذلك ليأمن غائلتهم، قال: أحول بينهم وبين أموالهم ليلاً، وبينهم وبين نساءهم نهائراً.

الثالث: باب زويلة بالقاهرة من جهة المُسْطَاط. الرابع: حارة زويلة، محلّة كبيرة بالقاهرة بينها وبين باب زويلة عِدَّةُ مُحَالٍ، سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ جَوْهَرًا عَلَّامَ المِيزِ لما اختط القاهرة^(d)، أنزل أهل زويلة بهذا المكان فسمّوا^(e) بهم^٢.

(a) بولاق: الآن الروايا. (b) العبارة في بولاق والمسودة والبابان المعروفان بباي زويلة، والتصويب من ابن عبد الظاهر. (c) بولاق: استجلسها. (d) بولاق: اختط محلة بالقاهرة. (e) بولاق: فتسمى.

= المقرئ: مسودة المواضع ٣٦٠-٣٦١ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٨٠). وكلُّ هذه المصادر لم تُحَدِّدْ أيضًا موضع هذه الحارة.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨ المقرئ: مسودة المواضع ١٣٥٧ وفيما يلي ٣٣.

^٢ ياقوت: معجم البلدان ١٥٩: ١٦٠. ويختلف نصُّ ياقوت عن ما نقله عنه المقرئ، ممَّا يدلُّ على أَنَّهُ وَقَفَ على نسخةٍ أَمَّ أو مخالفة للنسخة التي وصلت إلينا.

وتدلُّ على موضع حارة زويلة الآن المنطقة التي تُحَدِّدُ من الشمال بشارع الحُرُونِش، ومن الغرب بشارع زويلة وقرب الكتاب، ومن الجنوب بشارع الصنقالية، ومن الشرق بحارة اليهود القرائين وحارة خميس القدس بحي الجمالية. وهذه الحارة كانت تعرف إلى وقت قريب بحارة اليهود لأن أغلب سكانها كانوا من اليهود. (راجع، ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ المقرئ: مسودة المواضع ٣٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٢٠).

حارة المحمودية^(a)

الصواب في هذه الحارة أن يقال حارة المحمودية على الإضافة، فإنها عُرِفَتْ بطائفة من طوائف عساكر^(b) الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة المحمودية. وقد ذَكَرَهَا المسبحي في تاريخه مرارًا، قال في سنة^(c): وفيها اُفتَتِلَتْ^(d) الطائفة المحمودية واليانسية.

- واشْتَبَهَ أَقْرَبُ هذه الحارة على ابن عبد الظاهر فلم يَعْرِفْ نِسْبَتَهَا لِمَنْ، وقال: لا أَعْلَمُ في الدولة المصرية من اسمه محمود إلا رُكْنُ الإسلام محمود بن أخت الصالح بن رُزَيْكٍ صاحب الثروة بالقرافة، اللهم إلا أن يكون محمود بن مَصَالٍ اللُّكِّي^(e) الوزير، فقد ذَكَرَ ابنُ القِطْطِيِّ أَنَّ اسمه محمود، ومحمود صاحب المسجد بالقرافة، وكان في زَمَنِ السُّرِيِّ بن الحَكَمِ قبل ذلك^١. وهذا وَهْمٌ آخَرٌ، فَإِنَّ ابنَ مَصَالٍ الوزير اسمه سُلَيْمَانٌ^(f) وَيُنْقَطُ بِنَجْمِ الدِّينِ^٢.

- ١٠ وَوَقَّعَتْ في هذه الحارة نُكُتَةٌ، قال القاضي الفاضل في «مُتَجَدِّدَات» سنة أربع وتسعين وخمسمائة، والسلطان يومئذٍ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين: وكان في شُعْبَانٍ قد تَتَابَعَ أَهْلُ مصر والقاهرة في إظهار المنكرات وترك الإنكار لها، وإباحة أهل الأمر والنهي فَعَلَهَا، وتَفَاعَشَ الأَمْرُ فيها إلى أن غَلَا سِعْرُ الْعِنَبِ لكثرة من يَغْصِرُهُ. وَأُقِيمَتْ طَاخُونٌ بِالْمَحْمُودِيَّةِ لَطَخْنَ خَشِيشَةَ الْمِزْرِ وَأَقْرَدَتْ بِرَشْمِهِ، وَحُمِّيتْ بيوت المِزْرِ وأُقيمت عليها الضرائب الثقيلة، فمنها ما انتهى أمرُهُ في كُلِّ يومٍ إلى ستة عشر دينارًا، ومنع المِزْرُ البَيْتُوتِي لِيَتَوَفَّرَ الشَّرَاءُ من مَوَاضِعِ الْحَقِّي، وَحُمِلَتْ أَوَانِي الْحَقْرِ على رُءُوسِ الْأَشْهَادِ وفي الْأَشْوَاقِ من غير مُنْكَرٍ، وَظَهَرَ من عَاجِلِ عُقُوبَةِ اللَّهِ وَقُوفِ زِيَادَةِ الثَّيْلِ عن مُعْتَادِهَا، وزِيَادَةِ سِعْرِ الْعَلَّةِ في وَقْتِ مَيْسُورِهَا^٣.

(a) بولاق: الحارة المحمودية. (b) بولاق: عسكر. (c) بياض في النسخ، وأثبتت بولاق تاريخًا خاطئًا: أربع وتسعين وخمسمائة! (d) بولاق: اتصلت. (e) بولاق: الملكى. (f) المسودة: سليم.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٢؛ للمقريزي: مسودة المواقظ ٣٥١-٣٥٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى

^٢ انظر، ابن ميسر: أخبار مصر ١٤١، Canard, M., ٣٥٣:٣.

^٣ El² art. Ibn Mas'ūd, p. 892.

^٣ المقريزي: السلوك ١: ١٤٢.

وتدلُّ على موقع الحارة المحمودية الآن المنطقة الواقعة شمال جامع المؤيد على يسار الداخل من باب زويلة

حارة الجوذريّة

هذه الحارة أيضًا عُرفَت بالطائفة الجوذريّة، إحدى طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله، على ما ذكره المستبحي.

وقال ابن عبد الظاهر: الجوذريّة^(a) منسوبة إلى جماعة تُعرف^(b) بالجوذريّة^(c) اختطوها، وكانوا أربع مائة [رجل]^(d)، منهم أبو علي منصور الجوذري^(e) الذي كان في أيام العزيز بالله [على الأخباس]^(f)، وزادت مكانته في الأيام الحاكمة، فأضيفت إليه مع الأخباس الحيشية وسوق الرقيق والشواجل وغير ذلك؛^(g) وكان يجلس في الصنّاعة يخطّ المكوس^(h).

ولها حكاية سمعتُ جماعة يحكونها، وهي أنها كانت سكنَ اليهود المعروفة بهم، فبلغ الخليفة الحاكم أنهم يجتمعون بها في أوقات خلواتهم ويُغنون:

[مجزوءه الرجز]

وأمةٌ قد ضلّوا ودبتهم مغتَلٌ
قال لهم نبيهم نعم الأدام الخَلُّ

ويستخرون من هذا القول، ويعرضون إلى ما لا ينبغي سماعه⁽ⁱ⁾، فأتى إلى أبوابها وسدّها عليهم ليلاً وأخرقها؛ فإلى هذا الوقت لا يبيتُ بها يهودي ولا يشكُّنها أبدًا.

وقد كان في الأيام الغزيرية جوذُر الصقلبي أيضًا، ضُرب عنقه، ونُهب ماله في سنة ست^(j) وثمانين وثلاث مائة^(k).

(a) بولاق: جودر والجودرية وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه. (b) الروضة: يعرفون. (c) إضافة من الروضة. (d-d) إضافة من المسودة والروضة. (e) بولاق: ساعة. (f) الروضة: سبع.

(المقريزي: مسودة المواظ ٣٥٢).

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٤-٥٥؛ المقريزي: مسودة المواظ ٣٥٢-٣٥٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ أبو الهاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٣: ١٧٨-١٧٩.

ويُدلّ على موقع هذه الحارة المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه تخلف مبنى محكمة باب الخلق.

^١ أبو علي منصور الغزيري الجوذري صاحب كتاب «سيرة الأستاذ جوذُر» (Sezgin, F., *GAS I*, pp. 358-59)، ونشر هذا الكتاب محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٥٤، ونقله إلى الفرنسية ماريوس كانار Canard, M., *Vie de l'Ustadh Jawdhar (contenant sermons, lettres et rescripts des premiers califes fatimides)*, Algiers 1958. وجوذر خدام المهدي هو الذي تُنسب إليه الجوذريّة

حارة الوزيرية

هي أيضًا تُنسب إلى طائفة يُقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر. وكانت أولًا تُعرف بحارة بُشتان المصمودي، وعُرِفَت أيضًا بحارة الأكراد^١.

قال ابن عبد الظاهر: الوزيرية منسوبة إلى الوزير يُغقوب بن كِلْس^٢.

- وقال ابن الصِّيرفي: والطائفة المنعوتة بالوزيرية إلى الآن منسوبة إليه - يعني الوزير يُغقوب بن يوسف بن كِلْس أبو الفرج - كان يهوديًا من أهل بغداد، فخرج منها إلى بلاد الشام، ونزل بمدينة الرملة وأقام بها، فصار فيها وكيلًا للتجار بها، واجتمع في قبيله مَالٌ عَجَزَ عن أدائه. ففر إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي، فتعلق بخدمته، ومث^(أ) إليه بالمشجر، فباع إليه أمتعة أحيل بشمنها على ضياع مصر، فكثُر لذلك تردده إلى^(ب) الرِّيف، وعُرف أخبار القرى. وكان صاحب جيلٍ ودهاءٍ ومكرٍ ومعرفة، مع ذكاءٍ مُفْرِطٍ وفطنة، فتمهّر في معرفة الضياع حتى كان إذا سُئِلَ عن أمر غلايلها

(a) بولاق: ووثب. (b) بولاق: على.

عمون الأخبار ٦: ٢٢٨-٢٣٣، ٢٤١-٢٤٢؛ المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٤١؛ فاروق عمر فوزي: «يغقوب بن كِلْس اليهودي أول وزير للفاطمين في مصر»، مجلة الدراسات الفلسطينية (بغداد ١٩٧٢)؛ أين فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٠-٣٢١، ٥٨٤.

Mann, J., *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs*, Oxford 1920, I. pp. 17-19; Fischel, J. W., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, N.Y. 1969, pp. 45-68; Canard, M., *El² art. Ibn Killis III*, pp. 864-65; Lev, Y., «The Fatimid vizier Ya'qûb ibn Killis and the Beginning of the Fatimid Administration in Egypt», *Der Islam* 58 (1981), pp. 237-49; al-Imâd, L. S., *The Fatimid Vizierate 969-1172*, Berlin, Klaus Schwartz, 1990; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 157-71.

^١ كانت الحارة الوزيرية تقع جنوب غرب القاهرة الفاطمية، تحتل المنطقة التي تُعَدُّ اليوم من الشمال بسكة اللبودة وشارع الوزير صاحب، ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوة والشامي من حارة اليهودية ومن الشرق بشارع بيرس.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة ٥٢؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ١١٤١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٣؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٦٦؛ أبو المحاسن: النجوم ٤: ٥١. وراجع أخبار الوزير ابن كِلْس عند: ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٧-٥٢؛ ابن حلكان: وفيات الأعيان ٧: ٢٧-٣٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٦٥-١٦٧؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ١٤١، ٢٢٦-٢٢٧؛ المقرئ: انعاظ الحنفا ١: ٢٦٨-٢٦٩؛ ومسودة المواعظ ٣٦٧-٣٧٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٥٨؛ عماد الدين إدريس:

ومبلغ ارتفاعها وسائر أحوالها الظاهرة والباطنة، أتى من ذلك بالقرض. فكثرت أمواله، واتسعت أحواله، وأعجب به كافور لما خبر فيه من القطة وحسن السياسة، فقال: لو كان هذا مثلي لما صلح أن يكون وزيراً. فلما بلغه هذا عن كافور، تأقت نفسه إلى الولاية، وأخضر من علمه شرائع الإسلام سراً^١.

٥ (قال ابن زولاق^٢): فلما كان في شعبان من^٣ سنة ست وخمسين وثلاث مائة^٤، دخل إلى الجامع بمصر وصلى صلاة الصبح، وركب إلى كافور ومعه محمد بن عبد الله بن الحازن في خلق كثير. فخلع عليه كافور، ونزل إلى داره ومعه جمع كبير، وركب إليه أهل الدولة يهنئونه، ولم يتأخر عن الحضور إليه أحد. فقص بمكانه الوزير أبو الفضل جعفر بن القرات وقلق بسببه، وأخذ في التذير عليه ونصب الحبال له حتى خافه يعقوب، فخرج من مصر فاراً منه يريد بلاد المغرب في سؤال سنة سبع وخمسين، وقد مات كافور. فلحق بالمعز لدين الله أبي تميم معق، فوقع منه مرقعاً حسناً، وشاهد منه معرفة وتديراً.

١٥ فلم يزل في خدمته حتى قديم من المغرب إلى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنين وستين وثلاث مائة، فقلده في رابع عشر المحرم سنة ثلاث وستين الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة والسواجل والأغشار والجوالي والأحباس والموارث والشروطتين، وجميع ما يضاف^٥ إلى ذلك وما يطرأ في مصر، وسائر الأعمال. وأشرك معه في ذلك كله غشلوج بن الحسن، وكتب لهما سيجلاً قرئ في يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، فقضت أهدي سائر العمال والمتصنين^٦.

وجلس يعقوب وغشلوج في دار الإمارة في جامع أحمد بن طولون للثناء على الضياع وسائر وجوه الأموال، وحضر الناس/ للقبالات^٧، وطالباً بالبقايا من الأموال مما على الناس من المالكين

(a-2) إضافة من مسودة المواظع (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: يضاف.

^١ ابن الصبري: الإشارة ٤٨، ٥١، ٥٢؛ المقرئ: ٣ عن نظام الضمان انظر أمين فؤاد: الدولة الفاطمية مسودة المواظع ٣٦٧. ٥١٦-٥١٤.

^٢ مصدر كل الخبر التالي كما في المسودة: ابن زولاق وانظر فيما تقدم ٤٣٠:١ وأيضاً اتماظ الحنفا ١٤٥:١-١٤٦ حيث حدد المقرئ أنه من كتابه «سيرة المعز لدين الله».

^٣ عن نظام القبالة انظر أمين فؤاد: المرجع السابق ٥١٨-٥٢١ وفيما تقدم ٢١٨:١-٢٣٠.

والمُتَقَبِّلِينَ وَالْعُمَّالَ ، وَاسْتَقْصَا فِي الطَّلَبِ ، وَنَظَرَ فِي الْمَظَالِمِ ^١ . فَتَوَفَّرَتِ الْأَمْوَالُ ، وَزِيدَ فِي الضِّيَاعِ ، وَتَرَايَدَ النَّاسُ وَتَكَاشَفُوا ، وَامْتَنَعَا أَنْ يَأْخُذَا إِلَّا دِينَارًا مُعِزِّيًّا ، فَاتَّصَعَ الدِّينَارُ الرَّاضِي وَانْحَطَّ [إِلَى نَحْوِ ثُلْثِي دِينَارٍ] ^٢ وَتَقَصَّ مِنْ صَرْفِهِ أَكْثَرُ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ ، فَخَبِرَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي الدِّينَارِ الْأَبْيَضِ وَالدِّينَارِ الرَّاضِي . وَكَانَ صَرْفُ الْمُعِزِّيِّ خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا وَنِصْفًا .

- وَاشْتَدَّ الاسْتِخْرَاجُ ، فَكَانَ يُسْتَخْرَجُ فِي الْيَوْمِ ثَيْفٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعِزِّيَّةً ، وَاسْتُخْرِجَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعِزِّيَّةً ، وَحَصَلَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ مَالِ تَيْبَسٍ وَدِمْيَاطٍ وَالْأَشْمُونِيِّينَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ بِمِثْلِهِ فِي بَلَدٍ ^٣ .

- فَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَتَنَاقَلَ ^٤ يَغْقُوبُ عَنْ حُضُورِ دِيوانِ الْحَرَاجِ ، وَانْفَرَدَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي قَصْرِهِ وَفِي الدُّورِ وَالْمَوَاقِفِ ^٥ عَلَيْهَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ مَاتَ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ مِنْهَا ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْخِلَافَةِ ابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَبُو مَنْصُورِ نِزَارٍ ، فَقَوَّضَ لِيَغْقُوبِ النَّظَرَ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ، وَجَعَلَهُ وَزِيرًا لَهُ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ .

- وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ لَقِيَ بِهِ «الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ» ، وَأَمَرَ أَلَّا يُخَاطَبَهُ أَحَدٌ وَلَا يُكَاتِبَهُ إِلَّا بِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمِلَ ^٦ . وَرَسَمَ لَهُ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ أَنْ يَبْدَأَ فِي مُكَاتَبَاتِهِ بِاسْمِهِ عَلَى عُتُونَاتِ الْكُتُبِ النَّافِذَةِ عَنْهُ ، وَخَرَجَ تَوْقِيعُ الْعَزِيزِ بِذَلِكَ ^٧ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اغْتَقِلَ فِي الْقَصْرِ ، وَرُدَّ الْأَمْرُ إِلَى جَبْرِ بْنِ الْقَاسِمِ ^٨ ، فَأَقَامَ مَعْتَقَلًا عِدَّةَ شُهُورٍ ، ثُمَّ أُطْلِقَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، وَحُمِلَ عَلَى عِدَّةِ خُيُولٍ ، وَقُرِئَ سِجْلُ بَرْدِهِ إِلَى [مَا كَانَ لَهُ مِنْ] ^٩ .

(a) زيادة من ابن ميسر . (b) بولاق : تشاغل ، المسودة : تنازل . (c) بولاق : الموافق . (d) زيادة من الإشارة لابن الصيرفي مصدر هذه المعلومات .

^١ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٦٣ ، المقرئ : مسودة الموعظ ١٤٦:١-١٤٧ ومسودة الموعظ ٣٧٠ ، أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٤٦-١٤٨ .

^٢ ٢١٨:١ ، وفيما يلي ٢: ٢٢٦٩ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ١٢٧ .

^٣ ابن الصيرفي : الإشارة ٤٩:١ ، أمين فؤاد : المرجع السابق ٣٢٠ .

^٤ نفسه ٤٩ .

^٥ انظر عنه ، ابن الصيرفي : الإشارة ٥٣ .

^٦ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٦٤ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا

تدبير الدولة، ووجهه خمس مائة غلام من النائية وألف غلام من المغاربة ملكه العزيز رفاقتهم . فكان يفتقوب أول وزراء الخلفاء الفاطميين بديار مصر ، فذكر أمور مصر والشامات والخرميين وبلاد المغرب ، وأعمال هذه الأقاليم كلها من الرجال والأموال والقضاء والتدبير ، وعمل له إقطاعاً في كل سنة بمصر والشام مبلغها ثلاث مائة ألف دينار ، واتسعت دائرته ، وعظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطرز وفي الكتب .

وكان يجلس كل يوم في داره يأمر وينهى ، فلا يُرفع إليه رُقعة إلا وقع فيها ، ولا يُشال في حاجة إلا قضاه . ورُتب في داره الحُجُوب نُوباً على مراتب^(a) ، وألبسهم الدياج وقلدهم السيوف ، وجعل لهم المناطق ، ورُتب في داره فرسين للثوبة لا تَبْرَح واقعةً بشروجهما ولحمها لهنم يرد^(b) .

ونصّب في داره الدواوين : فجعل ديواناً للقرزية فيه عدّة كُتّاب ، وديواناً للجبش فيه عدّة كُتّاب ، وديواناً للأموال فيه عدّة كُتّاب ،^(c) وديواناً للسجلات والإنشاء وديواناً للعجم وديواناً للعلوفات فيه عدّة كُتّاب^(d) وعدّة بجهايدة ، وديواناً للخراج ، وديواناً للمستغلات ، وأقام على هذه الدواوين زماماً . وجعل في داره خزانة للكسوة ، وخزانة للمال ، وخزانة للذخائر ، وخزانة للأشربة ، وعمل على كل خزانة ناظرًا .

وكان يجلس عنده في كل يوم الأطباء لينظروا في حال العلّمان ، ومن يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء ، ورُتب في داره الكُتّاب والأطباء يقفون بين يديه ، وجعل فيها العلّماء والأدباء والشُعراء والفُقهَاء والمتكلّمين وأزباب الصنائع ، لكل طائفة مكان مفرد ، وأجرى على كل منهم الأرزاق .

وألف كُتُبا في الفقه والقراءات ، ونصّب له مجلساً في داره يحضره في كل يوم ثلاثاء ، ويحضر إليه الفُقهَاء والمتكلّمون وأهل الجدَل يتناظرون بين يديه . فمن تأليفه كتاب في القرآن^(d) ، وكتاب في الأديان - وهو كتاب الفقه واختصره - وكتاب في آداب رسول الله ﷺ ، وكتاب في علم الأبدان وصلاحيها في ألف ورقة ، وكتاب في الفقه ممّا سمعه من الإمام المعز لدين الله والإمام العزيز بالله . وكان يجلس في يوم الجمعة أيضاً ، ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ، وفي حضرته القضاء والفُقهَاء والقُرّاء وأصحاب الحديث والنُحاة والشُهود . فإذا قرع من قراءة ما يقرأ من مصنفاته ، قام الشُعراء يُنشدون مدائحهم فيه .

(a) بولاق : وأجلسهم على مراتب . (b) بولاق : لهم برد . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : القراءات .

وكان في داره عِدَّةُ كُتَّابٍ يَنْسَخُونَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْفِقْهَ وَالطُّبَّ وَكُتُبَ الْأَدَبِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْعُلُومِ، فَإِذَا قَرَعُوا مِنْ نَسْخِهَا قُرِئَتْ وَضُبَّتْ. وَجَمَلَ فِي دَارِهِ قُرَاءً وَأُثْمَةً يُصَلُّونَ فِي مَسْجِدِ دَارِهِ، وَأَقَامَ بِدَارِهِ عِدَّةً مَطَايِخَ لِنَفْسِهِ وَلِحُلَسَائِهِ وَلِغُلَامَانِهِ وَخَوَاشِيهِ.

وكان يَنْصُبُ مَائِدَةً لِحَاضِيَتِهِ يَأْكُلُ هُوَ وَخَوَاصُّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَوُجُوهُ كُتَّابِهِ وَخَوَاصُّ غُلَامَانِهِ وَمَنْ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ عَلَيْهَا، وَيَنْصُبُ عِدَّةً مَوَائِدَ لِبَقِيَّةِ الْحُجَّابِ وَالْكُتَّابِ وَالْخَوَاشِي.

وكان إذا جَلَسَ لِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ^(أ) فِي الْفِقْهِ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الْمُعِزِّ وَالْعَزِيزِ، لَا يَجْمَعُ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَيَجْتَمِعُ عِنْدَهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ. وَرَتَّبَ عِنْدَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ جَمَاعَةً لَا يُخَاطَبُونَ إِلَّا بِالْقَائِدِ، وَأَنْشَأَ عِدَّةً مَسَاجِدَ وَمَسَاكِينَ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ.

وكان يُعِيمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْأَطْعِمَةَ لِلْفُقَهَاءِ وَالْوُجُوهِ النَّاسِ وَأَهْلِ الشَّرِّ وَالنَّعْفِ، وَجَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الْفُقَرَاءِ. وَكان إذا قَرَعَ الْفُقَهَاءَ وَالْوُجُوهُ مِنَ الْأَكْلِ مَعَهُ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالطُّيْبِ. وَمَرَضَ مَرَّةً مِنْ عِلَّةٍ أَصَابَتْ يَدَهُ، فَقَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الْجَوْعِ^(ب):

[البيط]

رَأَيْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ذَلِكَ الْأَلَمَا	/يَدُ الْوَزِيرِ هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ أَلَمَتْ
مِنْ أَجَلِهِ، وَاسْأَلِ الْقِرْطَاسَ وَالْقَلَمَا	تَأْتِلُ الْمَلِكُ وَانْظُرْ قِرْطَ عَلَيْهِ
إِلَى الْعِلْمَا، وَكثِيرًا مَا رَوَيْنَ دَمَا	وَشَاهِدَ الْبَيْضَ فِي الْأَعْمَادِ حَائِمَةً
كَأَنَّمَا أَشْعِرَتْ مِنْ أَجَلِهِ يَسْقَمَا	وَأَنْفُسَ النَّاسِ بِالشُّكْرِى قَدْ انْقَصَلَتْ
سَاقٌ يُقَدِّمُ فِي إِنْهَاضِهِ قَدَمَا؟	هَلْ يَنْهَضُ الْجَبَدُ إِلَّا أَنْ يُؤَيِّدَهُ
تَحْقِيقَتَنَا شَطُوبٌ تَشْتَبِ الْأَنْمَمَا	لَوْلَا الْعَزِيزُ وَآرَاءُ الْوَزِيرِ مَعَا
لَا أَوْهَنَ اللَّهُ رُكْنَيْهِ وَلَا انْهَدَمَا	فَقُلْ لِهَذَا وَهَذَا أَتُنْمَا شَرَفٌ
مَبْسُوطَةً وَلِسَانًا نَاطِقًا وَمَعَا	كَلَامًا لَمْ يَزَلْ فِي الصَّالِحَاتِ يَدَا
وَلَا طُوبَى لَكُمَا مَا عِشْتُمَا غَلَمَا	وَلَا أَصَابَكُمَا أَحْدَاثٌ ذَهَرَكُمَا
فَقَدْ مَحَوَتْ بِمَا أَوْلَيْتَنِي الْعَدَمَا	وَلَا أَتَمَعْتَ عَنْكَ يَا مَوْلَايَ عَافِيَةً

(أ) بولاق: يقرأ كتابه. (ب) بولاق: ابن أبي الجوع.

^١ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي الجوع الأديب الزواقي. كان تليح الخط جليد الضبط وخطه مرغوب فيه، أدركه الموت وأبام كافر ووصل إليه من العزيز بالله وابنه الحاكم بأمر الله جملة كبيرة على الوراقة، وكان له تعلق باللغة والنحو والبلاغة وقول الشعر، وتوفي بمصر سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. (ابن حلكان: وفیات الأعيان ٤: ٣٧٩، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ٥٢٧).

وكان الناس يُفتنون بكتابيه في الفقه، ودرّس فيه الفقهاء بجامع مصر، وأجرى العزيز بالله لجماعة فقهاء يحضرون مجلس الوزير أوزاقاً في كل شهر تكفيهم .
وكان للوزير مجلس في داره للنظر في رِقاع المرافعين والمتظلمين، ويوقع بيده في الرِقاع، ويخاطب الخصوم بنفسه .

وأراد العزيز بالله أن يسافر إلى الشام في زمن ابتداء الفايكة، فأمر الوزير أن يأخذ الأهبة لذلك، فقال : يا مؤلاي لكل سفر أهبة على مقداره، فما الغرض من السفر؟ فقال : إني أريد التفرّج بدمشق لأكل القراضيا . فقال : الشنع والطاعة .

وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام، وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء من هي عنده . وكانت مائة وثيقاً وعشرين طائراً - ثم التمس من طيور دمشق التي هي في مصر عدّة، فأحضرها، وكتب إلى نائيه بدمشق يقول : إن بدمشق كذا وكذا طائراً، وعرفه أسماء من هي عنده، وأمره بإحضارها إليه جميعها، وأن يصبر^(١) من القراضيا في كل كاغدة، ويشدّها على كل طائر منها، ويسترحها في يوم واحد .

فلم يمض إلا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وصلت الحمام كلّها، ولم يتأخر منها إلا نحو عشر، وعلى جناحها القراضيا . فاستخرجها من الكواغد، وعملها في طيقي من ذهب وعطافها، وبعث بها إلى العزيز بالله مع خادِم، وركب إليه وقدم ذلك، وقال : يا أمير المؤمنين قد حضرنا قبالك القراضيا ههنا، فإن أغناك هذا القدر وإلا استدعينا شيئاً آخر . فعجب العزيز بالوزير، وقال : مثلك يتخدم الملوك يا وزير .

واتفق أنه سابتق العزيز بين الطيور، فسبتق طائر الوزير بتغيب طائر العزيز . فشق ذلك على العزيز، ووجد أهداء الوزير سبيلاً إلى الطغن فيه، فكتبوا إلى العزيز «أنه قد اختار من كل صنف أغلاه، ولم يترك لأمر المؤمنين إلا أدناه حتى الحمام» . فتلع ذلك الوزير، فكتب إلى العزيز :
[السريع]

قُلْ لأبيير المؤمنين الذي له الغلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكئه لم يأت إلا وله حاجب

فأعجب العزيز ذلك، وأعرض عما وُشي به .

ولم يَزَلْ على حال رَفِيعَةٍ وَكَلِمَةٍ نَافِذَةٍ إِلَى أَنْ ابْتَدَأَتْ بِهِ عِلَّتُهُ يَوْمَ الْأَحَدِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ^(٨) سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ الْغَزِيرُ بِاللَّهِ يَعُودُهُ ، وَقَالَ لَهُ : وَبَدَتْ أُنْكَ تُبَاعُ فَأَتْبَاعُكَ بِمَالِي ، أَوْ تُفْدَى فَأَفْدِيكَ بَوَلَدِي ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ تُوصِي بِهَا يَا يَعْقُوبُ ؟ فَهَكَى وَقَبَّلَ بِهِ ، وَقَالَ : أَمَّا فِيمَا يَخْطُبُنِي فَأَنْتَ أَرْغَى بِحَقِّي مِنْ أَنْ أُسْتَرْعِيكَ إِثَّاهُ ، وَأَزَافَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُوصِيكَ بِهِ . وَلَكِنِّي أَنْصَحُ لَكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكَ وَبِدَوْلَتِكَ : سَالِمِ الزُّومِ مَا سَالَمُوكَ ، وَافْتَحَ مِنْ الْحَمْدَانِيَّةِ بِالذُّغْوَةِ وَالشُّكْرِ ، وَلَا تُبْقِ عَلَى مُفْرَجِ بْنِ دَغِيلٍ إِنْ عَرَضَتْ لَكَ فِيهِ فُرْصَةٌ . وَانْصَرَفَ الْغَزِيرُ ، فَأَخَذَتْهُ الشُّكَّةُ . وَكَانَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ يَقُولُ : « لَا تَغْلِبْ اللَّهَ غَالِبٌ » .

ثُمَّ قَعَصَى نَحْبَهُ لَيْلَةَ الْأَحَدِ الْخَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَرْسَلَ الْغَزِيرُ بِاللَّهِ إِلَى دَارِهِ الْكَفَنَ وَالْحُنُوطَ ، وَتَوَلَّى غُسْلَهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الثُّغْمَانِ ، وَقَالَ : كُنْتَ وَاللَّهِ أَغْصِلَ لِحْيَتَهُ وَأَنَا أَرْفُقُ بِهِ خَوْفًا أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَهُ فِي وَجْهِهِ . وَكُفِّنَ فِي خَمْسِينَ ثَوْبًا بَيْنَ مُثْقَلٍ^(ب) - يَعْنِي مَسْجُوحًا بِالذَّهَبِ - وَوُشِيَ مُذْهَبٌ وَشَرِبَ دَبِيقِي مَذْهَبًا وَخَفَقَ كَافُورٌ وَقَارُورَتِي مِشْكًا ، وَخَمْسِينَ مِثْقًا مَاءً وَزِدَ ؛ وَبَلَّغَتْ قِيَمَةُ الْكَفَنِ وَالْحُنُوطِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ .

وَخَرَجَ مُخْتَارُ الصُّقْلَبِيِّ^(ج) وَعَلِيٌّ بْنُ غَمَرِ الْقَدَّاسِ وَالرَّجَالُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يُنَادُونَ : لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ وَلَا يَنْطِقُ . وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ الْقَصْرِ وَدَارِ الْوَزِيرِ الَّتِي عُرِفَتْ بِدَارِ الدِّيَابِاجِ . ثُمَّ خَرَجَ الْغَزِيرُ مِنَ الْقَصْرِ عَلَى بَعْلَةٍ ، وَالنَّاسُ يَمَشُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ بِغَيْرِ مِظْلَةٍ وَالْحَزَنُ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى دَارِهِ ، فَتَزَلَّ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ طُرِحَ عَلَى تَابُوتِهِ ثَوْبٌ مُثْقَلٌ ، وَوَقَفَ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُبَّةِ الَّتِي كَانَ بَنَاهَا وَهُوَ يَبْكِي ، ثُمَّ انْصَرَفَ . وَسَمِعَ الْغَزِيرُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاطْوِلْ / أَسْفِي عَلَيْكَ يَا وَزِيرَ ، وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَفْدِيكَ بِجَمِيعِ مَا أَمْلِكُ لَفَعَلْتُ .

وَأَمَرَ بِإِجْرَاءِ عِلْمَانِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ ، وَعَتَقَ جَمِيعَ مَمَالِيكِهِ ، وَأَقَامَ ثَلَاثًا لَا يَأْكُلُ عَلَى مَائِدَتِهِ ، وَلَا يَخْضُرُهَا مَنٌ عَادَتَهُ الْخُضُورُ .

وَعَمِلَ عَلَى قَبْرِهِ ثَوْبَانِ مُثْقَلَانِ ، وَأَقَامَ النَّاسُ عِنْدَ قَبْرِهِ شَهْرًا ، وَعَدَا الشُّعْرَاءُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَرَنَاءَهُ مِائَةَ شَاعِرٍ أَجْهَزُوا كُلَّهُمْ .

(٨) بولاق والنسخ : شوال والتصويب من المسودة . (ب) بولاق : ثلاثين مثقالًا وهو تصحيف والتصويب من المسودة . (ج) المسودة : العزيزي .

وَبَلَغَ الْعَزِيزُ أَنَّ عَلَيْهِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ دَيْنًا، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى قَبْرِه، فَوَضِعَتْ عَلَيْهِ، وَفُوتَتْ عَلَى أَرْبَابِ الدُّيُون، وَالزَّمَّ الْقُرَاءَ بِالْمَقَامِ عَلَى قَبْرِه، وَأَجَزَى عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ. وَكَانَتْ الْمَوَائِدُ تُخَضَّرُ إِلَى قَبْرِه كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَةَ شَهْرٍ، وَتَحْضَرُ^(٥) نِسَاءُ الْخَاصَّةِ كُلَّ يَوْمٍ وَمَعَهُنَّ نِسَاءُ الْعَامَّةِ، فَتَقُومُ الْجَوَارِي بِإِقْدَاحِ الْفِطَّةِ وَالْيَلُورِ وَمَلَايِقِ الْفِطَّةِ، فَتَسْقِي^(٦) النَّسَاءَ الْأَشْرَبَةَ وَالشَّوْبِقَ بِالسَّكَّرِ، وَلَمْ تَتَأَخَّرْ نَائِحَةٌ وَلَا لَاعِبَةٌ عَنْ حَضُورِ الْقَبْرِ مِثْلَةَ الشَّهْرِ.

وَعَلَّفَ أَهْلًا كَمَا وَضِيعًا^(٧) مَا بَيْنَ^(٨) قِيَاسِ رِبَاعٍ، وَعَيْتًا وَوَرَقًا، وَأَوَانِي دَهَبًا وَفِطَّةً وَجَوْهَرًا وَعَنْبَرًا وَطَبِيبًا وَثِيَابًا، وَفَرَشًا وَمَصَاحِفَ وَكُتُبًا، وَجَوَارِي وَعَبِيدًا، وَخَيْلًا وَبَعَالًا وَتُوقًا وَحُمْرًا وَإِبِلًا وَغِلَالًا، وَخَزَائِنَ مَا بَيْنَ أَشْرَبَةٍ وَأَطْعَمَةٍ قَوَّمتْ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ، سِوَى مَا جَهَّزَ بِهِ ابْنَتَهُ وَهُوَ مَا قِيَمَتُهُ مِائَتَا أَلْفَ دِينَارٍ. وَخَلَّفَ ثَمَانِ مِائَةِ حَظِيَّةٍ سِوَى جَوَارِي الْخِدْمَةِ. فَلَمَّ يَتَعَرَّضُ الْعَزِيزُ لَشَيْءٍ مِمَّا يَمْلِكُهُ أَهْلُهُ وَجَوَارِيهِ وَغِلْمَانُهُ، وَأَمَرَ بِحِفْظِ جِهَازِ ابْنَتِهِ إِلَى أَنْ زَوَّجَهَا^(٩)، وَأَجْرَى لِمَنْ فِي دَارِهِ كُلِّ شَهْرٍ سِتِّ مِائَةِ دِينَارٍ لِلتَّفَقُّةِ، سِوَى الْكُشُوفَةِ وَالْجِرَابَاتِ وَمَا يُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَطْعَمَةِ مِنَ الْقَصْرِ، وَأَمَرَ بِنَقْلِ مَا خَلَفَهُ إِلَى الْقَصْرِ. فَلَمَّا نَمَّ لَهُ مِنْ يَوْمِ وَفَاتِهِ شَهْرٌ أَقْطَعَ الْأَمِيرُ مَنَصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ جَمِيعَ مَسْتَعْلَاتِهِ^(١٠).

وَأَقَرَّ الْعَزِيزُ جَمِيعَ مَا فَعَلَهُ الْوَزِيرُ وَمَا وَلَّاهُ مِنَ الْعُمَالِ عَلَى حَالِهِ، وَأَجْرَى الرُّشُومَ الَّتِي كَانَ يُجْرِيهَا، وَأَقَرَّ غِلْمَانَهُ عَلَى حَالِهِمْ وَقَالَ: هَؤُلَاءِ صَنَائِعِي - وَكَانَتْ عِدَّةُ غِلْمَانِ الْوَزِيرِ أَرْبَعَةَ أَلْفِ غَلَامٍ عَرَفُوا بِالطَّائِفَةِ الْوَزِيرِيَّةِ - وَزَادَ الْعَزِيزُ أَرْزَاقَهُمْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ وَأَذْنَاهُمْ. وَإِلَيْهِمْ تُنْسَبُ الْوَزِيرِيَّةُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَسَاكِينَهُمْ.

وَاتَّفَقَ أَنَّ الْوَزِيرَ عَمَرَ قُبَّةً^(١١) اتَّفَقَ عَلَيْهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَآخِرُ مَا قَالَ: لَقَدْ طَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْقُبَّةِ مَا هَذِهِ قُبَّةٌ، هَذِهِ ثُرْبَةٌ^(١٢) فَكَانَتْ كَذَلِكَ، وَدُفِنَ تَحْتَهَا. وَمَوْضِعُ قَبْرِهِ الْيَوْمَ الْمُدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّةُ^(١٣).

(٥) بولاق: يحضر. (٦) بولاق: فيسقين. (٧-c) ساقطة من بولاق.

^١ في مسودة المواظع ٣٧٢: «إلى أن تزوجت ياروخ التركي - أحد مالِك العز - على صدق مبلغه عشرة آلاف» فيها: المتصحي.
^٢ المقرري: مسودة المواظع ٣٧٠-٣٧٢ ومصدره
^٣ انظر فيما يلي ٢: ٣٧١.

وَأَتَّفَقَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي دَارِهِ رُقْعَةً مَكْتُوبَةً فِيهَا :

[الرمز]

اخْذَرُوا مِنْ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ وَتَوَقُّوا طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ
قد أَيْتَمَّ رَبُّ الزَّمَانِ وَنُتِمَ رَبُّ خَوْفٍ مُكْمِنٍ فِي الْأَمَانِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَلَمْ يَلُثْ بَعْدَهَا إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً
وَمَرَضَ فَمَاتَ .

حَارَّةُ الْبَاطِلِيَّةِ

عُرِفَتْ بِطَائِفَةٍ يُقَالُ لَهُمُ الْبَاطِلِيَّةُ ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَكَانَ الْمُجِرُّ لَمَّا قَسَمَ الْقَطَاءَ فِي النَّاسِ ،
جَاءَتْ طَائِفَةٌ فَسَأَلَتْ عَطَاءً ، فَقِيلَ لَهَا فَرَّغَ مَا كَانَ حَاضِرًا وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ ، فَقَالُوا : رُخْنَا نَحْنُ
بَاطِلٌ^(أ) فَسَمِعُوا الْبَاطِلِيَّةَ ، وَعُرِفَتْ هَذِهِ الْحَارَّةُ بِهِمْ^١ .

١٠

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ اخْتَرَقَتْ حَارَّةُ الْبَاطِلِيَّةِ ، عِنْدَمَا كَثُرَ الْحَرِيقُ فِي الْقَاهِرَةِ
وَمِصْرَ ، وَأَتَاهُمُ النَّصَارَى بِفَعْلٍ ذَلِكَ^٢ . فَجَمَعَهُمُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْتْرُوسَ ، وَحَمَلَتْ لَهُمُ الْأَخْطَابُ
الْكَثِيرَةَ وَالْحُلَفَاءَ ، وَقَدَّمُوا لِيَخْرُقُوا بِالنَّارِ . فَتَشَفَّعَ لَهُمُ الْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايَ أَتَابِكَ الْعَسَاكِرَ ،
عَلَى أَنْ يَلْتَمِزُوا بِالْأَمْوَالِ الَّتِي اخْتَرَقَتْ ، وَأَنْ يَحْمِلُوا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَرَكُوا .

١٥

وَجَرَى فِي ذَلِكَ مَا يُسْتَحْسِنُ حِكَايَتَهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ مَعَ النَّصَارَى سَائِرَ الْيَهُودِ ، وَرَكِبَ
الْسلْطَانُ لِيَخْرِقَهُمْ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِلتَّنَشُّفِ بِخَرِيقِهِمْ لَمَّا نَالَهُمْ مِنَ
الْبَلَاءِ فِيمَا دُهِمُوا بِهِ مِنْ حَرِيقِ الْأُمَاكِينِ ، لَاسِيَمَا الْبَاطِلِيَّةَ فَإِنَّهَا أَتَتْ النَّارُ عَلَيْهَا حَتَّى خَرِبَتْ^(ب)

(أ) بولاق : رحنا نحن في الباطل ، ابن أبيك وابن دقماق : الحق باطل . (ب) بولاق : حرق .

^٢ انظر تفصيل خبر هذا الحريق عند مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد 475- (1919) pp. *Patr. Or. XII* 777 النويري : نهاية الأرب ٣٠ : ١١٤ ، المقرئ : السلوك ٥٣٥ : ١ .

ولم يذكر المقرئ تحريق الباطليّة في مُسَوِّدَةِ المواعظ ، واكتفى بقوله : قال كاتبه : واحترقت الباطليّة ، وترك بعد ذلك بياضاً استدركه في المبيضة .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٤٢ وانظر كذلك ابن أبيك : كنز الدرر ١٤٠ : ٦ - ١٤١ : ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥١ ، المقرئ : مسودة المواعظ ٣٤٩ لها المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦ .

ويُبدّلُ على موضع هذه الحارة اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية شرقي الجامع الأزهر .

بأسرها . فلما حَضَرَ السُّلْطَانُ ، وَقَدَّمَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لِيَحْرِقُوا ، بَرَزَ ابْنُ الْكَازَرُونِيِّ الْيَهُودِي -
وكان صَمِيرَفِيًّا - وقال للسُّلْطَانُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَحْرِقْنَا مَعَ هَؤُلَاءِ الْكِلَابِ الْمَلَاعِينِ أَغْدًا إِنَّا
وَأَغْدَائِكُمْ ، أَخْرَقْنَا نَاحِيَةً وَخَدْنَا . فَضَحِكَ السُّلْطَانُ وَالْأَمْرَاءُ ، وَحِينَئِذٍ تَقَرَّرَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذُكِرَ ،
فَتِدَبَ لاسْتِخْرَاجِ الْمَالِ مِنْهُمْ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَلْبَانُ الْمَهْرَانِي ، فَاسْتَخْلَصَ بَعْضَ ذَلِكَ فِي عِدَّةِ
سَنِينَ . وَتَطَاوَلَ الْحَالُ فَدَخَلَ كُتَّابُ الْأَمْرَاءِ مَعَ مَخَادِيمِهِمْ ، وَتَحِيلُوا فِي إِبْطَالِ مَا بَقِيَ ، فَتَطَلَّ فِي
أَيَّامِ السَّعِيدِ بْنِ الظَّاهِرِ .

وكان سَبَبُ فِعْلِ النَّصَارَى لِهَذَا الْحَرِيقِ جِنْفُهُمْ لَمَّا أَخَذَ الظَّاهِرُ مِنَ الْفِرْنَجِ أَرْسُوفَ وَقَيْسَارِيَّةَ
وَطَرَابُلسَ وَيَافَا وَأَنْطَاكِيَةَ ^١ .

وما زَالَتِ الْبَابِلِيَّةُ خَرَابًا ، وَالنَّاسُ تَضْرِبُ بِحَرِيقِهَا الْمَثَلَ لِمَنْ يَشْرَبُ الْمَاءَ كَثِيرًا يَقُولُونَ : كَأَنَّ
فِي بَابِلِيَّةٍ حَرِيقَ الْبَابِلِيَّةِ .

ولَمَّا عَمَّرَ الطَّوَّاشِيُّ بَهَائِرَ الْمُقَدَّمِ دَارَهُ بِالْبَابِلِيَّةِ ، عَمَّرَ فِيهَا مَوَاضِعَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ
مِائَةٍ ^٢ .

حَاذَةُ الرُّومِ

قال ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ : وَاخْتَصَّتْ الرُّومُ حَارَتَيْنِ : حَاذَةُ الرُّومِ الْآنَ [المشهورَة] ^(a) ، وَحَاذَةُ الرُّومِ
الْجَوَانِيَّةِ ^(b) وَهِيَ الَّتِي تَقْرُبُ مِنْ بَابِ النَّصْرِ عَلَى يَسَارِ الدَّاخِلِ مِنْهُ ^(b) . فَلَمَّا ^(b) صَارَ النَّاسُ يَقُولُونَ
حَاذَةَ الرُّومِ الْبَرْبَانِيَّةَ وَحَاذَةَ الرُّومِ الْجَوَانِيَّةَ ^(b) ، ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : «الْجَوَانِيَّةُ» لَا غَيْرَ . وَالْوَرَّاقُونَ
إِلَى هَذَا الْوَقْتِ يَكْتُبُونَ حَاذَةَ الرُّومِ الشَّقْلَى وَحَاذَةَ الرُّومِ الْعُلْيَا الْمَعْرُوفَةَ بِالْجَوَانِيَّةِ ^٣ .

(a) زيادة من ابن عبد الظاهر . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ انظر ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٢٣٥ - ٢٣٩ . وما تزال حارة الرُّومِ الْبَرْبَانِيَّةَ مَعْرُوفَةً إِلَى الْآنَ بِحَاذَةِ الرُّومِ
^٢ فيما يلي ٢٤٤ .
^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢١ ؛ المقرئ : مسودة للمواعظ ٣٥٠ ؛ وانظر كذلك ، ابن أبيك : كنز الدرر ٦ : ١٤١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٥ ؛ أبا
المحسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٢ ؛ وفيما يلي ٣٧ .

وفي سابع عشر ذي الحِجَّة سنة تسع وتسعين وثلاث مائة، أَمَرَ الخَلِيفَةُ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ بِهِذِهِمْ حَاذَةَ الرُّومِ، فَهَدِمَتْ وَنُهَبَتْ.

حَاذَةُ الدَّيْلَمِ

عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِنُزُولِ الدَّيْلَمِ الوَاصِلِينَ مَعَ أَفْتَكِينَ^(a) الشَّرَاطِي^١، حِينَ قَدِمَ وَمَعَهُ أَوْلَادُ/ مَوْلَاهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الْبُؤْنِيهِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْأَتْرَاكِ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، فَسَكَنُوا بِهَا وَفَرَّقَتْ بِهِمْ^٢.

وَأَفْتَكِينَ هَذَا يُقَالُ لَهُ أَفْتَكِينَ أَبُو مَنْصُورِ التُّرْكِيِّ الشَّرَاطِي^٢، عَلَامٌ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ بْنُ بُؤْنِيهِ، تَرَفَّقُوا فِي الْحَيْدَمِ حَتَّى غَلَبَ فِي بَغْدَادَ عَلَى عِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارٍ^(b) بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَفَبَاتَ فِي الْحَرْبِ.

فَلَمَّا سَارَتِ الْأَتْرَاكُ مِنْ بَغْدَادَ لِلْحَرْبِ الدَّيْلَمِ، جَزَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عَظِيمٌ اشْتَهَرَ فِيهِ أَفْتَكِينَ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ انْتَهَزُوا عَنَّهُ وَصَارَ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ، فَوَلَّى بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَهُمْ نَحْوُ الْأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَسَارَ

(a) بولاق والنسخ: هفتكين والتصويب من المسودة وتكرر التصحيف في كل مرة يذكر فيها اسم أفتكين فيما يلي. (b) بولاق: مختار.

وراجع عن الدَّيْلَمِ واستعانة الخليفة الفاطمي العزيز بالله

هم Lev, Y., «Army, Regime, and Society in Fatimid Egypt, 358-487/ 968-1094», *JMES* 19 (1987), pp. 343-45. أمين غزاد: الدولة الفاطمية في مصر ٦٦٤-٦٦٧.

^٣ عن أفتكين أو ألبكين التركي الذي يرد كذلك هفتكين - كما عند الذهبي في سير أعلام النبلاء وفي بعض نسخ الخطط - راجع، ابن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق ١١-

٢١ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣:٤-٥٤ في ترجمة عضد الدولة؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦:٣٧-٣٠٨ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢١٨:١-٢٢٢، ٢٣٨-

٢٥٠، ٢٩٣ *Damas et la Syrie* Bianquis, Th., sous la domination fatimide, pp. 90-127.

^١ حاشية بخط المؤلف: «الدَّيْلَمُ الجماعة من كل شيء»، قال غُتْرَةُ:

حَلَّتْ بِأَرْضِ الرُّومِ فَأُضْيِضَتْ زُرُورًا تَكْفِي عَنْ جَاهِضِ الدَّيْلَمِ
أَيَّ عِدَاوَةٍ كَعِدَاوَةِ الدَّيْلَمِ، وَالدَّيْلَمُ: الْجَمَاعَةُ.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٢، المقرئ: مسودة المواعظ ٣٥٣، وانظر كذلك، ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ١١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٤، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٣.

وتُنْقَلُ مَوْقِعَ هَذِهِ الْحَارَةِ الْآنَ: حَارَةُ الْكُحْكِيِّينَ وَدَرْبُ الْأَتْرَاكِ وَحَارَةُ الْحَقَامِ وَغَطَفَةُ الشَّبَاعِيِّ وَدَرْبُ لَوْلِيَّةٍ وَحَارَةُ خَوْشِ قَدَمِ جَنُوبِ غَرْبِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ فِي الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ لِمَجْمَعِ الْفَاكِهِينَ، وَيُوجَدُ دَاخِلَ حَارَةِ خَوْشِ قَدَمِ رُقَاقٍ يَعْرِفُ بِحَيْثِ الدَّيْلَمِ.

إلى الرحبة، وأخذ منها على البر إلى أن قُوت من مجوسية^(١) - إحدى قرى الشام - وقد وقّع في قلوب الغزيان منه مهابة .

فخرج إليه ظالم بن مؤهوب الفقيلي من بعلبك، وبعث إلى أبي محمود إبراهيم بن جعفر، أمير دمشق من قبل الخليفة الميزر لدين الله، يعلمه بقدم أفتكين من بغداد لإقامة الخطبة العباسية وخوفه منه . فأنفذ إليه عسكرًا وسار إلى ناحية مجوسية^(٢) يريد أفتكين، وسار بشارة الخادم من قبل أبي المعالي بن حمدان عونًا لأفتكين، فردّ ظالم إلى بعلبك من غير حرب، وسار بشارة بأفتكين إلى جنص، فحمل إليه أبو المعالي، وتلقاه وأكرمه .

وكان قد ناز بدمشق بجماعة من أهل الزعارة والفساد^(٣)، وحاربوا عمال السلطان، واشتد أمرهم، وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد . فلما بلغهم خبر أفتكين بعثوا إليه من دمشق إلى جنص يستدعونه، ووعدوه بالقيام معه على عساكر الميزر وإخراجهم من دمشق لنجلي عليهم . فوقّع ذلك منه بالموافقة، وصار حتى نزل بنية الغقاب^(٤) لأيام بقيت من شعبان سنة أربع وستين وثلاث مائة .

فبلغ عسكر الميزر خبر الفيرنج، وأنهم قد قصّدوا طرابلس، فساروا بأجمعهم إلى لقاء العدو . ونزل أفتكين على دمشق من غير حرب فأقام أيامًا، ثم سار يريد محاربة ظالم ففر منه . ودخل أفتكين بعلبك، فطرقه العدو من الزوم والفرنج، وانتهبوا بعلبك وأحرقوا، وذلك في شهر رمضان، وانتشروا في أعمال بعلبك والبقاع يقتلون وبأسرون ويحرقون، وقصّدوا دمشق وقد التحق بها أفتكين، فخرج إليهم أهل دمشق، وسألوهم الكف عن البلد والتزموا بمال .

فخرج إليهم أفتكين وأهدى إليهم، وتكلم معهم في أنه لا يستطيع جباية المال لقوة ابن الماورد وأصحابه، وأغرى^(٥) ملك الزوم به فقبض عليه وقبّذه، وعاد فجئى المال من دمشق بالغنف،

(١) بولاق : جوسيه . (٢) بولاق : أمر .

^١ *Orients XIII* (1982), pp. 97-106.

^٢ نية الغقاب . النية في الأصل كل غنية في الجبل مملوكة، ونية الغقاب نية مشرفة على غوطة دمشق بطوها القاميد من دمشق إلى جنص . (باقوت : معجم البلدان ٢: ٨٥).

قرية من قرى حمص من جهة دمشق (باقوت : معجم البلدان ٢: ١٥٤).

^٣ عن اللغات والأحداث بدمشق في هذه الفترة، راجع Lev, Y., «The Fatimids and the Ahdath of Damascus 386/996-411/1021», *Die Welt des*

وحمل إلى ملك الروم ثلاثين ألف دينار ، وزحل إلى ييوت ، ثم إلى طرابلس . فتمكن أفتكين من دمشق ، وأقام بها البعثة لأبي بكر عبد الكريم الطائع بن المطيع العباسي ، وسير إلى العرب الشرايا فطيرت ، وعادت إليه بعدة ممن أسرته من رجال العرب فقتلهم صبرا .

وكان قد تخوف من المعز ، فكاتب القرامطة يستدعيهم من الأخصاء للقدوم عليه لمحاربة عساكر المعز ، ومازال بهم حتى وافوا دمشق في سنة خمس وستين ، ونزلوا على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب أفتكين الذين كانوا قد تشتتوا في البلاد ، فقوي بهم ، ولقي القرامطة وحمل إليهم وسرو بهم ، فأقاموا على دمشق أياما ، ثم زحلوا نحو الرملة وبها أبو محمود فلحق بياقا ، ونزل القرامطة الرملة ، ونصبوا القتال على يافا حتى كل الفريقان ، وسيموا جميعا من طول الحرب .

١٠ وسار أفتكين على الساحل ، ونزل صيدا وبها ظالم بن مؤهب العقيلي وابن الشيخ من قبل المعز ، فقاتلهم قتالا شديدا أنهزم منه ظالم إلى صور ، وقيل بين الفريقين نحو أربعة آلاف رجل ، فقطع أيدي القتلى من عساكر المعز ، وسيرها إلى دمشق فطيف بها ، ثم سار عن صيدا يريد عكا وبها عسكر المعز . وكان قد مات المعز في شهر ربيع الآخر ، وقام من بعده ابنه العزيز بالله ، وسير جوهرا القائد في عسكر عظيم إلى قتال أفتكين والقرامطة .

١٥ فبلغ ذلك القرامطة وهم على الرملة ، ووصل الخبر بمسيره إلى أفتكين وهو على عكا ، فخاف القرامطة وفروا عنها ، فنزلها جوهرا . وسار من القرامطة إلى الأخصاء - التي هي بلادهم - جماعة ، وتأخر عدة ، وسار أفتكين من عكا إلى طبرية ، وقد علم بمسير القرامطة وتأخر بعضهم ، فاجتمع بهم في طبرية واستعد للقاء جوهرا وجمع الأقوات من بلاد حوران والبشينة^١ وأدخلها إلى دمشق ، وسار إليها فتحصن بها . ونزل جوهرا على ظاهر دمشق لثمانين بقين من ذي القعدة ، فبنى على معسكره سورا ، وحفر خندقا عظيما وجعل له أبوابا . وجمع أفتكين الناس للقتال ، وكان قد بقي بعد ابن الماورد رجل يعرف بمشام الثراب ، وصار في عدة وافرة من الدغار ، فأعانة أفتكين وقواه وأمدّه بالسلاح وغيره . ووقعت بينهم وبين جوهرا حروب عظيمة طويلة إلى يوم الحادي عشر من ربيع الأول سنة ست وستين وثلاث مائة ، فاحتل أمر أفتكين وهم بالفرار ، ثم إنه استظهر .

^١ حوران . كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة . (بافوت : معجم البلدان ٢: ٣١٨) والبشينة أو البشنة : قرية بين دمشق وأفرحات (نفسه ١: ٣٣٨) .

وَوَزَدَتِ الْأَخْبَارُ بِقُدُومِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ إِلَى دِمَشْقَ ، فَطَلَبَ جَوْهَرَ الصُّلَحَ عَلَى أَنْ يرحل عن دِمَشْقَ من غير أن يتبعه أَحَدٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَمْوَالَهُ قَدْ قَلَّتْ ، وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ عَسْكَرِهِ رِجَالًا وَأَعْوَزَهُمُ الْعَلْفُ ، وَخَشِيَ قُدُومَ الْقَرَامِطَةِ . فَأَجَابَهُ أَفْتَكِينَ وَقَدْ عَظُمَ فَرْحُهُ وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ . فَرَحَلَ فِي ثَالِثِ جُمَادَى الْأُولَى ، وَجَدَّ فِي الْمَسِيرِ وَقَدْ قَرُبَ الْقَرْمَطِيُّ^(٨) فَأَنَاخَ بِطَبْرِيقَةٍ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَرْمَطِيُّ / ، فَفَصَدَّهُ وَقَدْ سَارَ عَنْهَا إِلَى الرُّمَّةِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَرِيَّةٍ كَانَتْ لَهَا مَعَ جَوْهَرَ وَقَعَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَذْرَكَ الْقَرْمَطِيُّ وَسَارَ فِي أَثَرِهِ أَفْتَكِينَ . فَمَاتَ الْحَسَنُ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيُّ بِالرُّمَّةِ ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْقَرَامِطَةِ ابْنُ عَمِّهِ جَعْفَرُ ، فَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَفْتَكِينَ ، وَرَجَعَ عَنِ الرُّمَّةِ إِلَى الْأَحْشَاءِ ، وَنَاصَبَ أَفْتَكِينَ الْقِتَالَ وَأَلْحَ فِيهِ عَلَى جَوْهَرَ حَتَّى انْتَهَزَمَ عَنْهُ وَسَارَ إِلَى عَشَقَلَانَ ، وَقَدْ غَنِمَ أَفْتَكِينَ مِمَّا كَانَ مَعَهُ شَيْئًا يَجَلُّ عَنِ الْوُضْفِ ، وَنَزَلَ عَلَى الْبَلَدِ مُحَاصِرًا لَهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْغَزِيزُ فَاسْتَعَدَّ لِلْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ .

فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى جَوْهَرَ ، رَاسَلَ أَفْتَكِينَ حَتَّى يُقَرَّرَ الصُّلَحُ عَلَى مَا لِي يَحْمِلُهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْ تَحْتِ سَيْفِ أَفْتَكِينَ ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ عَلَى بَابِ عَشَقَلَانَ ، وَخَرَجَ جَوْهَرُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَوَجَدَ الْغَزِيزُ قَدْ بَرَزَ يُرِيدُ الْمَسِيرَ فَسَارَ مَعَهُ . وَكَانَ مُدَّةً قِتَالِ أَفْتَكِينَ لَجَوْهَرَ عَلَى ظَاهِرِ الرُّمَّةِ وَفِي عَشَقَلَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا .

وَسَارَ الْغَزِيزُ بِاللَّهِ حَتَّى نَزَلَ الرُّمَّةَ ، وَكَانَ أَفْتَكِينَ بِطَبْرِيقَةٍ ، فَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الْغَزِيزِ وَمَعَهُ أَبُو إِسْحَاقَ وَأَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بَخْتِيَارَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُؤَيْهِ ، وَأَبُو كَالِيَجَارَ^(ب) مَرْزُبَانَ ابْنِ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِبَخْتِيَارَ بْنِ مُعِزِّ^(ج) الدَّوْلَةِ بْنِ بُؤَيْهِ ، فَحَازَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَاعَةٍ حَتَّى هَزَمَتْ عَسَاكِرُ الْغَزِيزِ عَسْكَرَ أَفْتَكِينَ ، وَمَلَكَوهُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ لَسَبْعِ بَقِيْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ .

وَاسْتَأْمَنَ أَبُو إِسْحَاقَ وَمَرْزُبَانُ بْنُ بَخْتِيَارَ ، وَقُتِلَ أَبُو طَاهِرٍ أَخُو عِزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بَخْتِيَارَ ، وَأَخَذَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ أَسْرَى ، وَطُلِبَ أَفْتَكِينَ فِي الْقَتْلِ فَلَمْ يُوجَدْ ، وَكَانَ قَدْ فَرَ وَقْتُ الْهَزِيمَةِ عَلَى قَوْسٍ بِمُفْرَدِهِ ، فَأَخَذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ أَسِيرًا وَقَدِيمًا^(د) ، بِهِ عَلَى مُفْرِجِ بْنِ دَعْقِلَ بْنِ الْحَرَّاحِ الطَّائِي وَعِمَامَتِهِ فِي عُنُقِهِ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْغَزِيزِ ، فَأَمَرَ بِهِ فُشِيهِزَ فِي الْمَشْكَرِ ، وَطِيفَ بِهِ عَلَى

جَمَل، فَأَحَذَ النَّاسُ يَلْطِمُونَهُ وَيَهْزُونَ لِحْيَتَهُ حَتَّى رَأَى فِي نَفْسِهِ الْغَيْرَ^١.

ثم سَارَ الْعَزِيزُ بِأَتَكِينٍ وَالْأَشْرَى إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَاصْطَلَقَهُ وَمِنْ مَعِهِ، وَأَخْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ وَوَاصَلَهُ بِالْعَطَاءِ وَالْخَلْعِ، حَتَّى قَالَ: لَقَدْ اخْتَشَشْتُ مِنْ رُكُوبِي مَعَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي^٢ إِلَيْهِ، بِمَا عَمَّرَنِي مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ.

- فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ قَالَ لِعَمِّهِ حَيْدَرَةَ: يَا عَمِّ، وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَرَى النِّعَمَ عِنْدَ النَّاسِ ظَاهِرَةً، وَأَرَى عَلَيْهِمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالْجَوْهَرَ وَلَهُمُ الْخَيْلُ وَاللِّبَاسُ وَالضُّبَاعُ وَالْعَقَارُ، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي.

وَبَلَغَ الْعَزِيزُ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْعَامَّةِ يَقُولُونَ: مَا هَذَا التُّرْكِيُّ؟ فَأَمَرَ بِهِ فَشِيرَ فِي أَجْمَلِ حَالٍ. وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ تَطَوُّفِهِ^٣، وَهَبَ لَهُ مَالًا جَزِيلًا، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ سَائِرَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يُدْعَوْهُ إِلَى دُورِهِمْ. فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ عَمِلَ لَهُ دَعْوَةٌ، وَقَدِمَ إِلَيْهِ، وَقَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْخَيْلَ. ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ قَالَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ١٠ كَيْفَ رَأَيْتَ دَعَوَاتِ أَصْحَابِنَا؟ فَقَالَ: يَا مَوْلَانَا حَسَنَةً فِي الْعَايَةِ، وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَنْتُمْ وَأَكْرَمَ^٤. فَصَارَ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ وَالتَّفَرُّجِ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَثْرَاكِ وَالذَّيْلَمِ، وَاسْتَحْجَبَهُ وَاخْتَصَّ بِهِ. وَمَا زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ. فَاتَّهَمَ الْعَزِيزُ وَزِيرَهُ يَعْقُوبَ بْنَ كِلْسٍ أَنَّهُ سَمَّهَ، لِأَنَّ أَتَكِينَ كَانَ يَرْفَعُ عَلَيْهِ، فَاعْتَقَلَهُ مَدَّةً ثُمَّ أَخْرَجَهُ^٥.

حَاذَةُ الْأَثْرَاكِ

هَذِهِ الْحَاذَةُ تَجَاهُ الْجَامِيعِ الْأَزْهَرِ، وَتُعْرِفُ الْيَوْمَ بِدَرْبِ الْأَثْرَاكِ، وَكَانَ نَافِلًا إِلَى حَاذَةِ الذَّيْلَمِ. وَالْوَزَارِقُونَ الْقَدَمَاءُ تَارَةً يُعْرِدُونَهَا مِنْ حَاذَةِ الذَّيْلَمِ، وَتَارَةً يُضَيِّفُونَهَا إِلَيْهَا وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ حُقُوقِهَا، فَيَقُولُونَ تَارَةً: حَاذَةُ الذَّيْلَمِ وَالْأَثْرَاكِ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: حَاذَتِي الذَّيْلَمِ وَالْأَثْرَاكِ. وَقِيلَ لَهَا حَاذَةُ الْأَثْرَاكِ لِأَنَّ أَتَكِينَ لَمَّا غَلِبَ بِبَغْدَادَ، سَارَ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ مِنَ الْأَثْرَاكِ،

(a) بولاق: تطوفي. (b) بولاق: تطوفه.

^٢ المقرئري: اتعاط الحنفا ٢٣٨:١-٢٤٤:١-٢٤٥.

^١ المقرئري: اتعاط الحنفا ٢٣٨:١-٢٤٤:١-٢٤٥ وانظر

^٣ نفسه ٢٦٢:١، وقارن مع مسودة المواعظ ٣٥٤

كذلك، النوبري: نهاية الأرب ١٥٤:٢٨-١٥٨:١

فهناك خلافٌ كبيرٌ في النص.

المقرئري: مسودة المواعظ ٣٥٤-٣٥٥.

وتلاحق به عند ورود القرامطة عليه بدمشق عدّة من أصحابه ، فلما جمعت الحزب العزيز بالله كان أصحابه ما بين ثوك وذئلم . فلما قبض عليه العزيز ودخل به إلى القاهرة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلاث مائة كما تقدّم ، نزل الذئلم مع أصحابهم في موضع حارة الذئلم ، ونزل أفتكين بأثراكيه في هذا المكان فصار يُعرف بحارة الأثراك . وكانت مختلطة بحارة الذئلم لأنهما أهل دعوة واحدة ، إلا أن كل جنس على حدة لتخالفهما في الجنسية ، ثم قيل بعد ذلك ذرب الأثراك^١ .

حارة كُتامة

هذه الحارة مُجاورة لحارة الباطليّة ، وقد صارت الآن من جملتها ؛ كانت متنازل كُتامة بها عندما قديموا من المغرب مع القائيد جوهر ثم مع المعز^٢ . وموضع هذه الحارة اليوم حُمام كراي^٣ وما جاوَزها ممّا وراء مدرّسة ابن الفُقام^٤ - حيث الموضع المعروف بدرب ابن الأعسر إلى رأس الباطليّة - وكانت كُتامة هي أصل دُولة الخلفاء الفاطميين .

يُذكر أبي عبد الله الشيعي^٥ - هو الحسين^٦ بن أحمد بن محمد بن زكريّا الشيعي ، من أهل صنعاء اليمن ، وليّ الحشبة في بعض أعمال بغداد ، ثم سار إلى ابن خوْشَب باليمن ، وصار من كبار أصحابه ، وكان له عِلْم وفهْم ، وعنده ذهاء ومَكْر . فورد على ابن خوْشَب مؤثّ الخلواني داعي المغرب وزفيقه ، فقال لأبي عبد الله الشيعي : إن أرض كُتامة من بلاد المغرب قد حرّثها^٧ الخلواني وأبو شفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة مُتهدّدة لك . فخرج من اليمن

(a) بولاق : العزيز . (b) بولاق : كراي . (c) بولاق : الحسن . (d) بولاق : غربها .

^١ المقرئزي : مسودة المواظظ ٥٢ ، ٣٣١ ، وفيما يلي
١٠٨ .

وكان ذرب الأثراك يُواجه باب الجامع الأزهر المعروف
اليوم باب المغاربة . (ابن عبد الظاهر : الروضة البهية
١٢: ٣٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠٣: ٤) .
الزاهرة ٤٦: ٤) .

^٢ فيما يلي ١١٩ .

وموضع حارة كُتامة المنطقة التي يتوسطها الآن حارة
الأزهرى وعطفة التوداري وما يتفرع منها من العطف
هناك .

والدروب الكائنة في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر .
(راجع : ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٤٢ ؛ ابن أبيك :

كنز الدرر ٦: ١٤٠ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٥: ٣٧ ؛
القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٥٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم
الزاهرة ٤٦: ٤) .

^٣ نُورد المقرئزي خبر أبي عبد الله الشيعي أيضًا فيما

تقدم ١٧٥: ٢-١٨٠ ، راجع المصادر والمراجع المذكورة
هناك .

إلى مَكَّة ، وقد رَزَّوْهُ ابنُ حَوْشَبَ بَمَالٍ / ، فسأل عن حُجَّاجِ كُثَامَة فَأَوْشَدَ إِلَيْهِمْ ، واجتمع بهم وأخفى عنهم قَصْدَهُ . وذلك أَنَّهُ جَلَسَ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَسَمِعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ بِفَضَائِلِ آلِ الْبَيْتِ ، فحَدَّثَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَطَالَ ، ثُمَّ نَهَضَ لِيَقُومَ ، فسألوه أَن يَأْذَنَ لَهُمْ فِي زِيَارَتِهِ فَأَذِنَ لَهُمْ ، فصاؤوا يتردّدون إليه لما رأوا من عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ . ثم إنَّهُمْ سألوه : أَيْنَ يَقْصِدُ ؟ فقال : أريدُ مصرَ . فسروا بَصُغْتِهِ وَرَحَلُوا مِنْ مَكَّةَ ، وهو لا يُخْبِرُهُمْ شَيْئًا مِنْ خَبْرِهِ وما هو عليه من القَصْدِ ، وشاهدوا منه عِبَادَةً وَوَرَعًا وَتَحَرُّجًا وَزَهَادَةً . فَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيهِ ، واشتملوا على مَحَبَّتِهِ ، واجتمعوا على اغْتِقَادِهِ ، وساروا بأُسْرِهِمْ حَدَمًا لَهُ . وهو في أَثناءِ ذَلِكَ يَسْتَحْضِرُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ ، وَيُفْخِصُ عَنْ قِبَائِلِهِمْ ، وكيف طاعَتْهُمُ لِلسُّلْطَانِ بِإِفْرِيقِيَّةَ . فقالوا له : ليس له علينا طَاعَةٌ ، وبيننا وبينه عشرة أَيَّامَ . قال : أَتَفْتَحِلُونَ السَّلَاحَ ؟ قالوا : هو شُغْلُنَا . وما نَبْرَحُ حَتَّى نَعْرِفَ جَمِيعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مِصرَ أَخَذَ يُوَدِّعُهُمْ ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فِرَاقُهُ ، وسألوه عَنْ حَاجَتِهِ بِمِصرَ ، فقال : ما لي بها مِنْ حَاجَةٍ إِلَّا أَنِّي أَطْلُبُ التَّغْلِيمَ بِهَا . قالوا : فَأَمَّا إِذَا كُنْتَ تَقْصِدُ هَذَا ، فَإِنَّ بِلَادَنَا أَنْفَعُ لَكَ وَأَطْوَعُ لِأَمْرِكَ ، ونحن نَعْرِفُ بِحَقِّكَ . وما زَالُوا بِهِ حَتَّى أَجَابَهُمْ إِلَى الْمَسِيرِ مَعَهُمْ . فساروا بِهِ إِلَى أَن قَارَبُوا بِلَادَهُمْ ، وَخَرَجَ إِلَى لِقَائِهِمْ أَصْحَابُهُمْ - وَكَانَ عِنْدَهُمْ جِسْرٌ كَبِيرٌ مِنَ التَّشْيِيعِ ، وَاعْتِقَادَ عَظِيمٍ فِي مَحَبَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ كَمَا قَرَّزَهُ الْحَلَوَانِيُّ - فَعَرَفَهُمُ الْقَوْمُ خَبَرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فقاموا بِحَقِّ تَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ ، وَرَغِبُوا فِي تَرْوِيلِهِ عِنْدَهُمْ ، واقتَرَعُوا فِيمَنْ يُضَيِّفُهُ .

ثُمَّ ازْتَحَلُوا إِلَى أَرْضِ كُثَامَة ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا مُنْتَصِفَ رَبِيعٍ^(a) الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ سَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلُهُ عِنْدَهُ ، فلم يُوَافِقْ أَحَدًا مِنْهُمْ وقال : أَيْنَ يَكُونُ فَجِجُ الْأَخْيَارِ ؟ فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ ، ولم يَكُونُوا قَدْ ذَكَرُوهُ لَهُ مِنْذُ صَاحِبِيهِ ، فَذَلُّهُ عَلَيْهِ فَقَصَّدَهُ وقال : إِذَا حَلَلْنَا بِهِ صِرْنَا نَأْتِي كُلَّ قَوْمٍ مِنْكُمْ فِي دِيَارِهِمْ ، وَتَرْوِزُهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ . فَرَضُوا جَمِيعًا بِذَلِكَ⁽¹⁾ .

وَسَارَ إِلَى جَبَلِ إِيْكُجَانٍ^(b) وَفِيهِ فَجِجُ الْأَخْيَارِ ، فقال : هَذَا فَجِجُ الْأَخْيَارِ وَمَا سُمِّيَ إِلَّا بِكُمْ ، وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَارِ لِلْمُهَدِّي هِجْرَةٌ يُتَبَوَّأُ بِهَا عَنِ الْأَوْطَانِ يَنْصُرُهُ فِيهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَوْمٌ اسْمُهُمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكُثْمَانِ ، وَلِخُرُوجِكُمْ فِي هَذَا الْفَجِجِ سُمِّيَ فَجِجُ الْأَخْيَارِ .

(a) يولاي : الربيع . (b) بولاق : إبلحان تصحيف .

⁽¹⁾ عماد الدين إدريس - تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب
⁽²⁾ إيكجان . مدينة في المغرب الأوسط (الجزائر الحالية)
 تقع بين مَدْنِ قَسَنْطِينِيَّةَ جَنُوبًا وَمِيلَةً شَمَالًا وَسَطِيفَ غَرْبًا .

فتسامعت به القبائل، وأنته البيزير من كل مكان، وعظم أمره حتى أن كُتامة اقتتلت عليه مع قبائل البيزير، وهو لا يذكر اسم المهدي ولا يخرج عليه. فبلغ خبره إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، فقال أبو عبد الله لكُتامة: أنا صاحب البدر الذي قال لكم أبو شفيان والحلواني. فازدادت محبتهم له، وعظم أمره فيهم، وأنته القبائل من كل مكان. وسار إلى مدينة تازروت^(أ)، وجمع الخيل، وصير أمرها للحسن بن هارون كبير كُتامة، وخرج للحزب فظفر وغيم، وعمل على تازروت^(أ) خندقاً. فرجعت إليه قبائل من البيزير وحاربوه، فظفر بهم وصارت إليه أموالهم، ووالى الغزو فيهم حتى استقام له أمرهم، فسار وأخذ مدائن عدة.

فبعث إليه ابن الأغلب بمساكر كانت له معهم محروب عظيمة وتخطوت عديدة، وأنباء كثيرة آلت إلى غلب أبي عبد الله وأنتشار أصحابه من كُتامة في البلاد، فصار يقول: «المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيأطوني لمن هاجر إلي وأطاعني». وأخذ يغري الناس بابن الأغلب، ويذكر كرامات المهدي وما يفتح الله له، ويعدهم بأنهم يملكون الأرض كلها.

وسير إلى غيبه الله بن محمد رجالاً من كُتامة ليخبروه بما فتح الله له، وأنه ينتظره. فوافوا غيبه الله بسلامية من أرض حمص، وكان قد اشتهر بها، وطلبه الخليفة المكتفي، ففر منه بانه أبي القاسم وسار إلى مصر، وكان لهما قصص مع الثوشري عامل مصر حتى خلاصاً منه، ولحقاً ببلاد المغرب.

وبلغ ابن الأغلب زيادة الله خبر مسير غيبه الله، فأزكى له الثيون، وأقام له الأعوان حتى قبض عليه بسجلماصة - وكان عليها الإشع بن مذار - وحبس بها هو وابنه أبو القاسم. وبلغ ذلك أبا عبد الله، وقد عظم أمره، فسار وضائق زيادة الله بن الأغلب، وأخذ مدائنه شيئاً بعد شيء، وصار فيما ينبف على مائتي ألف، وألح على القيروان حتى فر زيادة الله إلى مصر، وملكها أبو عبد الله، ثم سار إلى رقادة فدخلها أول رجب سنة ست وتسعين ومائتين، وفوق الدور على كُتامة، وبعث الغمال إلى البلاد، وجمع الأموال، ولم تخطب باسم أخيه. فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة، فاهتز لرحيله المغرب بأشبهه، وخافته زانته وغيرها

(أ) بولاق: تاصروق.

^١ تازروت. اسم لهضبة تئصب إليها المدينة تقع بين مدينتي إكجان وميلة.

وَبَثُّوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَسَارَ إِلَى سِجْلَمَاسَةَ ، فَقَرَّ مِنْهُ الشَّيْخُ بْنُ مِذْرَارٍ وَالْيَهَا ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ فَأَخْرَجَ عِبِيدَ اللَّهِ وَابْنَهُ مِنَ السَّجْنِ ، وَقَالَ : « هَذَا الْمَهْدِيُّ الَّذِي كُنْتُ أَذْعُو لَهُ »^(a) . وَأَرْكَبَهُ هُوَ وَابْنَهُ ، وَمَشَى بِسَائِرِ رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَهُوَ يَقُولُ : « هَذَا مَوْلَاكُمْ » ، وَيَكِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قُشَطَاطٍ ضَرِبَ لَهُ فَأَنْزَلَ فِيهِ ، وَبَعَثَ فِي طَلَبِ الشَّيْخِ ، فَأَدْرَكَ^(b) وَحُمِلَ إِلَيْهِ فَضَرَبَتْهُ بِالشَّيَاطِ وَقَتْلَهُ .

ثُمَّ سَارَ الْمَهْدِيُّ إِلَى رَقَادَةَ ، فَصَارَ بِهَا فِي آخِرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَلَمَّا تَمَكَّنَ قَتَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَأَخَاهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَانَ هَذَا ابْتِدَاءُ أَمْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ^١ .

/أَوْ مَا زَالَتْ كُتَامَةُ هِيَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مُدَّةَ خِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ غُيَيْدَ اللَّهِ ، وَخِلَافَةِ ابْنِهِ أَبِي^(c) الْقَاسِمِ الْقَاسِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَخِلَافَةِ الْمَنْصُورِ بِتَضَرُّعِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ^(d) ، وَخِلَافَةِ مَعَدِّ الْمَعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ بْنِ الْمَنْصُورِ ؛ وَبِهِمْ أَخَذَ دِيَارَ مِصْرَ لَمَّا سَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا مَعَ الْقَائِدِ بَجُوهَرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَهُمْ أَيْضًا كَانُوا أَكْأَبَرِ مِنْ قَدِيمٍ مَعَهُ مِنَ الْمَغْرِبِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ .

فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامٍ وَلَدَهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ يَزَارُ ، اضْطَرَّعَ الدَّيْلَمُ وَالْأَثْرَاكُ^٢ وَقَدَّمَهُمْ وَجَعَلَهُمْ خَاصَّةً ، فَتَنَافَسُوا وَصَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُتَامَةِ تَحَاشُدٌ ، إِلَى أَنْ مَاتَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو عَلِيٍّ الْمَنْصُورُ الْمُلَقَّبُ بِالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَقَدَّمَ ابْنَ عَمَّارِ الْكُتَامِيِّ وَوَلَّاهُ الْوَسَاطَةَ - وَهِيَ فِي مَعْنَى رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ - فَاسْتَبَدَّ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ ، وَقَدَّمَ كُتَامَةَ وَأَعْطَاهُمْ ، وَخَطَّ مِنَ الْعِلْمَانِ الْأَثْرَاكِ وَالْدَّيْلَمِ الَّذِينَ اضْطَرَّتْ لَهُمُ الْعَزِيزُ . فَاجْتَمَعُوا إِلَى بَرْجَوَانَ - وَكَانَ صَقْلِيًّا وَقَدْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْوِلَايَةِ - فَأَعَزَّى الْمُضْطَنِّقَةَ بِابْنِ عَمَّارٍ حَتَّى وَضَعُوا مِنْهُ وَاعْتَزَّلَ عَنِ الْأَمْرِ ، وَتَقَلَّدَ بَرْجَوَانَ الْوَسَاطَةَ ، فَاسْتَخْدَمَ الْعِلْمَانَ الْمُضْطَنِّقَيْنِ فِي الْقَضَرِ ، وَزَادَ فِي عَطَايَاهُمْ وَقَوَاهُمْ . ثُمَّ قَتَلَ الْحَاكِمُ ابْنَ عَمَّارٍ وَكَثِيرًا مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، فَضَعُفَتْ كُتَامَةُ ، وَقَوِيَّتِ الْعِلْمَانُ .

(a) بولاق : أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ . (b) بولاق : فَأَدْرَكَهُ . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الْقَاسِمِ .

^١ انظر فيما تقدم ١٧٥:٢ - ١٨٠ ، حيث أُوْزِدَ الْمُقْرِيزِي

^٢ فيما تقدم ٢٣ .

نص هذا الخبر والإحالات المذكورة هناك .

فَلَمَّا مَاتَ الْحَاكِمُ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ عَلَيَّ، أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِو وَمَالَ إِلَى الْأَثْرَاكِ وَالْمَشَارِقَةِ، فَالْحَطَّ جَانِبُ كُتَامَةِ، وَمَا زَالَ يَنْقُصُ قَدْرُهُمْ وَيَتَلَاشَى أَفْرُهُمْ حَتَّى مَلَكَ الْمُشْتَصِيرُ بَعْدَ أَبِيهِ الظَّاهِرِ، فَاسْتَكْبَرَتْ أُمُّهُ مِنَ الْعَبِيدِ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُمْ بَلَّغُوا نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ أَسُودَ، وَاسْتَكْبَرَتْ هُوَ مِنَ الْأَثْرَاكِ، وَتَنَافَسَ كُلُّ مِنْهُمَا مَعَ الْآخَرِ، فَكَانَتِ الْحَرْبُ الَّتِي آلَتْ إِلَى خَرَابِ مِصْرَ وَزَوَالِ تَهْجِئِهَا^١. إِلَى أَنْ قَدِمَ أَمِيرُ الْجَبُوشِ بَذْرُ الْجَمَالِيِّ مِنْ عَمَّا، وَقَتَلَ رِجَالَ الدَّوْلَةِ، وَأَقَامَ لَهُ مَجْنَدًا وَعَسْكَرًا مِنَ الْأَرْمَنِ، فَصَارَ مِنْ حِينِئِذٍ مُقْطَعُ الْجَيْشِ الْأَرْمَنِ، وَذَهَبَتْ كُتَامَةُ وَصَارُوا مِنْ جَمَلَةِ الرَّيَّةِ، بَعْدَمَا كَانُوا وَجُوهَ الدَّوْلَةِ وَأَكَابِرَ أَهْلِهَا.

حَاذِرَةُ الصَّالِحِيَّةِ

عُرِفَتْ بِعِلْمَانِ الصَّالِحِ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكٍ، وَهِيَ مَوْضِعَان: الصَّالِحِيَّةُ الْكُبْرَى، وَالصَّالِحِيَّةُ الصُّغْرَى. وَمَوْضِعُهُمَا فِيمَا بَيْنَ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَرَحْبَةِ الْأَيْدُمَرِيِّ وَبَيْنَ الْبَرْقِيَّةِ. وَكَانَتْ مِنَ الْحَارَاتِ^٢ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ خَرِبَتْ الْآنَ، وَبَاقِيهَا مُتَدَاعٍ إِلَى الْخَرَابِ^٣.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الْحَارَةُ الصَّالِحِيَّةُ مَنَسُوبَةٌ إِلَى الصَّالِحِ طَلَّاعِ بْنِ رُزَيْكٍ، لِأَنَّ عِلْمَانِهِ كَانُوا يَشْكُونَهَا، وَهِيَ مَكَانَان. وَلِلصَّالِحِ دَارٌ بِحَارَةِ الدَّيْلَمِ كَانَتْ سَكَنَتَهُ قَبْلَ الْوَزَارَةِ وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ، وَبِهَا بَعْضُ ذُرِّيَّتِهِ. وَالْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ بِخُوخَةِ الصَّالِحِ نَسَبَةٌ إِلَيْهِ^٤.

حَاذِرَةُ الْبَرْقِيَّةِ

هَذِهِ الْحَارَةُ عُرِفَتْ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْعَسْكَرِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ يُقَالُ لَهَا الطَّائِفَةُ الْبَرْقِيَّةُ^٥ ذَكَرَهَا الْمُسْتَبَحِيُّ.

(٢) فِي مَسُودَةِ الْمَوَاعِظِ: الْأَخْطَاطُ.

^١ فِيمَا تَقَدَّمَ ١٣٥:٢ - ١٤٢.

^٢ الْمُقْرِيزِيُّ: مَسُودَةُ الْمَوَاعِظِ ٣٧٧.

خُلُودَةٌ. (أَبُو الْهَاسَنِ: النُّجُومُ ٥٣:٤ هـ).

^٣ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الرُّوضَةُ الْبَهِيَّةُ ٣٤؛ الْمُقْرِيزِيُّ:

مَسُودَةُ الْمَوَاعِظِ ٣٧٦.

^٤ حَارَةُ الْبَرْقِيَّةِ. يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِهَا الْآنَ الْمَنْطَقَةُ الَّتِي -

وَالْحَارَةُ الصَّالِحِيَّةُ كَانَتْ تَقَعُ فِي الْمَنْطَقَةِ الَّتِي تُحَدُّ الْيَوْمَ مِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ أُمِّ الْغُلَامِ، وَمِنَ الشَّمَالِ بِشَارِعِ الْحِمَادِيَّةِ، وَمِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ الْبَلُوَّةِ، وَمِنَ الْجَنُوبِ بِشَارِعِ الشَّيْخِ

قال ابن عبد الظاهر: ولما نزل بالقاهرة - يعني المعز لدين الله^(١) - اختطت كل طائفة خطة عرفت بها. قال: واختطت جماعة من أهل بركة الحازة المعروفة بالبرقية^١. انتهى.

والى هذه الحازة تنسب الأمراء البرقية.

ذكر الأمراء البرقية ووزارة ضرغام - وذلك أن الصالح طلائع بن زريك كان قد أنشأ في وزارته أمراء يقال لهم «البرقية»، وجعل ضرغامًا مقدّمهم، فترقى حتى صار صاحب الباب^٢، وطبع في شاور الشعدي لما ولي الوزارة بعد زريك بن الصالح طلائع بن زريك، فجمع رفقته، وتخوف شاور منه، وصار الحشكر فرقتين: فوقه مع ضرغام، وفوقه مع شاور. فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارة شاور، ثار ضرغام في رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة، وصاح على شاور فأخرجته من القاهرة، وقتل ولده الأكبر المسمى بطي، وبقي شجاع المنعوت بالكامل. وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل الوزير رضوان بن ولحشي، فإنه كان رفيقًا له في تلك الكوة.

واستقر ضرغام في وزارة الخليفة العاضد لدين الله بعد شاور، وتلقب بالملك المنصور. فشكر الناس سيرته، فإنه كان فارس عضره، وكان كاتبا جميل الصورة فكة المحاضرة عاقلاً كريماً، لا يضع كرمه إلا في شععة ترفعه أو مداراة تنفعه، إلا أنه كان أذناً مستحيلاً على أصحابه، وإذا ظنّ بأحد^(٣) شراً جعل الشك يقيماً وعجل له القوبة.

وعلب عليه مع ذلك في وزارته أخواه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام، وأخذ ينتكر لرفقته البرقية الذين قاموا بنصرتهم وأعانوه على إخراج شاور وتقليده للوزارة، من أجل أنه بلغه عنهم أنهم يخسّدونه ويضغون منه، وأن منهم من كاتب شاور وحثه على القدوم إلى القاهرة

(a) الروضة: يعني جوهر، وهو الأصح. (b) بولاق: في أحد.

مسودة المواعظ ٣٦٥؛ الفلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٤٧؛ وفيما تقدم ١٠.

^٢ عن صاحب الباب، وهي رتبة نلي رتبة الوزارة وصاحبها من الأمراء المطوفين، ويقال لها: الوزارة الصغرى. (انظر فيما تقدم ٣: ٣٣٩).

= يخرقها الجزء الشرقي من شارع الأزهر، ويحدها من الشرق شارع المنصورة وشارع قراة المجاورين، ومن الشمال بيكة كفر الطماحين وعطقة بير العلو، ومن الغرب شارع العلو وشارع الكفر، ومن الجنوب شارع الغرب ومسجد عبد الرحمن كمنخل الموجود أثره داخل حرم الجامعة الأزهرية.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٤٢؛ المقرئ:

ووعده بالمعاونة له . فأظلم الجؤ بينه وبينهم ، وتجرّد للإيقاع بهم على عادته في التّسرع للعقوبة^(a) ، وأحضرهم إليه في دار الوزارة ليلاً ، وقتلهم بالسيف صبراً ، وهم : صُبّح بن شاهنشاه ، والظاهر^(b) مُرتَفِع المعروف بالجلّواص ، وعَين الزّمان ، وعليّ بن الزّبد ، وأسَد القاوي^(c) ، وأقاربهم وهم نحو من سبعين أميراً سوى أتباعهم ، فذهبت لذلك رجال الدّولة ، واختلت أحوالها وضعفت بذهاب أكابرها وقد أصحّاب الرّأي والتّدير .

وقصد الفِرْنَج ديار مصر ، فخرّج إليهم هَمّام أخو ضِرغام وانتهزم منهم ، وقُتل بينهم^(d) عدّة ، ونزّلوا على حصن بَلْبَيس ، وملكوا بعض الشّور ثم ساروا . وعاد هَمّام عَوْذاً رديفاً ، فبعث به ضِرغام إلى الإسكندرية وبها الأمير مُرتَفِع الجَلّواص ، فأخذَه العزب ، وقاده هَمّام إلى أخيه فضرب عُنقه وصلّبه على باب زويلة .

فما هو إلّا أن قَدِمَ رُسُلُ الفِرْنَج على ضِرغام في طلب مال الهدنة المقرّر في كلّ سنة ، وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار ، وإذا بالخير قد ورّد بقُدوم شاور من الشّام ومعه أسد الدّين شيركوه في كثير من العُرّ ، فأزعجه ذلك ؛ وأصبح الثّامن يوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسة مائة خائفين على أنفسهم وأموالهم ، فجمّعوا الأتوات والماء وتحولوا من مساكنهم .

وخرّج هَمّام بالعشكر أوّل يوم من جمادى الآخرة ، فسار إلى بَلْبَيس ، وكانت له وقعة مع شاور انتهزم فيها ، وصار إلى شاور وأصحابه جميع ما كان مع عشكر هَمّام وأسروا عدّة . ونزل شاور بمن معه إلى الثّاج ظاهر القاهرة^(١) ، في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة ، فجمع ضِرغام الثّاس ، وضمّ إليه الطائفة^(e) الزّهانية والطائفة الجيوشية بداخل القاهرة ، وشاور مُقيم بالثّاج مدة أيّام وطواله من العُزبان ، تُطارِدُ^(f) عشكر ضِرغام بأرض الطّبالَة^(٢) خارج القاهرة .

ثم سار شاور ونزل بالْمَقَس ، فخرّج إليه عشكر ضِرغام وحاربوه فانتهزم هزيمة قبيحة ، وسار إلى بركة الحبش ، ونزل بالشّرف الذي يُعرّف اليوم بالرّضد ، وملك مدينة مصر ، وأقام بها أيّاماً .

(a) بولاق : أسرع العقوبة . (b) بولاق : الطهر . (c) بولاق : الفاري . (d) بولاق : منهم . (e) بولاق : طائفة . (f) بولاق : قطارد .

^١ انظر عن الثّاج ، فيما تقدم ٥٦٧ : ٢ ؛ وفيما يلي ٤٢٥ . ^٢ انظر عن أرض الطّبالَة فيما يلي ٤١٥ - ٤١٨ .

فَأَخَذَ ضِرْغَامٌ مَالَ الْأَيْتَامِ الَّذِي كَانَ بِمَوْذَعِ الْحُكْمِ ، فَكَرِهَهُ النَّاسُ وَاسْتَعْجَزُوهُ ، وَمَالُوا مَعَ شَاوَرٍ . فَتَنَكَّرَ مِنْهُمْ ضِرْغَامٌ ، وَتَحَدَّثَ بِإِيقَاعِ الْعُقُوبَةِ بِهِمْ ، فَنَزَادَ يُنْصُصُهُمْ لَهُ .

وَنَزَلَ شَاوَرٌ فِي أَرْضِ اللُّوقِ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، وَطَارَدَ رِجَالُ ضِرْغَامٍ . وَقَدْ خَلَّتِ الْمَنْصُورَةُ وَالْهَلَالِيَّةُ ، وَبَيَّتَ^(أ) أَهْلُ الْيَانِيسِيَّةِ بِهَا ، وَزَحَفَ إِلَى بَابِ سَعَادَةِ وَبَابِ الْقَنْطَرَةِ ، وَطَرَحَ النَّارَ فِي اللُّؤْلُؤَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الدُّورِ . وَعَظُمَتِ الْحُرُوبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِ ضِرْغَامٍ ، وَفَتِيَ كَثِيرٌ مِنَ الطَّائِفَةِ الرِّيحَانِيَّةِ ، فَبَغَتْهُوا إِلَى شَاوَرٍ وَوَعَدُوهُ بِأَنَّهُمْ عَوْنٌ لَهُ ، فَانْحَلَّ أَكْثَرُ ضِرْغَامٍ ، فَأَرْسَلَ الْعَاصِذُ إِلَى الرُّمَاءِ بِأَمْرِهِمْ بِالْكَفِّ عَنِ الرَّمِيِّ ، فَخَرَجَ الرِّجَالُ إِلَى شَاوَرٍ ، وَصَارُوا مِنْ جَمَلَتِهِ .

وَقَتَرَتْ هَيْئَةُ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ وَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ يُعْمِلُ الْحِيلَةَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى شَاوَرٍ ، فَأَمَرَ ضِرْغَامٌ بِضَرْبِ الْأَبْوَابِ لِتَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضَرِبَتْ الْأَبْوَابُ وَالطُّبُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْأَشْوَارِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَانْفَلَكَ عَنْهُ النَّاسُ ، فَسَارَ إِلَى بَابِ الذَّهَبِ مِنْ أَبْوَابِ الْقَصْرِ وَمَعَهُ خَمْسُ مِائَةِ فَارِسٍ فَوَقَّفَ وَطَلَبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُشْرِفَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاقِ ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ بِآبَائِهِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ . وَاسْتَمَرَّ وَاقِفًا إِلَى الْعَصْرِ ، وَالنَّاسُ تَنَحَّلَ عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ فَارِسًا ، فَزَوَّدَتْ عَلَيْهِ رُقْعَةً فِيهَا «تُحَذِّرُ نَفْسَكَ وَانْجِبْ بِهَا» .

وَإِذَا بِالْأَبْوَابِ وَالطُّبُولِ قَدْ دَخَلَتْ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ وَمَعَهَا عَسَاكِرُ شَاوَرٍ ، فَمَرَّ ضِرْغَامٌ إِلَى بَابِ زَوَيْلَةَ ، فَصَاحَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَلَعَنُوهُ وَتَحَطَّفُوا مِنْ مَعِهِ ، وَأَذْرَكَ الْقَوْمُ فَأَزْدُوهُ عَنْ قَرِيبِهِ قَرِيبًا مِنَ الْحِشْرِ الْأَعْظَمِ - فِيمَا بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ - وَاحْتَرَوْا رَأْسَهُ فِي سَلْعٍ جَمَادَى الْآخِرَةِ ، وَقَرَّ مِنْهُمْ أَخُوهُ إِلَى جِهَةِ الْمَطْرِيَّةِ ، فَأَذْرَكَ الطَّلَبَ ، وَقُبِّلَ عِنْدَ مَسْجِدِ يَتَرٍ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ ، وَقُبِّلَ أَخُوهُ الْآخَرُ عِنْدَ بَرْكَةِ الْفِيلِ ، فَصَارَ جَسَدُ^(ب) ضِرْغَامٍ مُلْتَقَى يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى الْقَرَّافَةِ وَدُفِنَ بِهَا .

وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ ، وَأَشْجَعِ قُزْسَانِهِمْ وَأَجْوَدِهِمْ لِعِبَادِ الْبُكَرَةِ ، وَأَشَدُّهُمْ زَمْنِيًا بِالسُّهَامِ ، وَيَكْتُبُ مَعَ ذَلِكَ كِتَابَةً ابْنَ مُثَقَّلَةَ ، وَيَنْظُمُ الْمُؤَشَّحَاتِ الْحَيَّةَ^١ .

(أ) بولاق : وثبت . (ب) بولاق : حيثل .

^١ أوردته ابنُ الأَثَرَاتِ فِي «تَارِيخِهِ» وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْمُقْرِيزِيُّ - سِوَاءَ بِطَرِيقٍ مُبَاشَرٍ أَوْ غَيْرِ مُبَاشَرٍ - وَأَثْبَتَهُ هُنَا فِي الْمَوَاعِظِ بِطَرِيقَةٍ مُلَخَّصَةٍ . وَنَشَرَ هَذَا الْجُزْءَ مِنْ تَارِيخِ ابْنِ الْفَرَاتِ كُلُّودُ كَاهَنَ فِي مَقَالٍ هَامٍ عُنَوَانُهُ : «Un récit inédit du Cahen, Cl.»

مصدر هذه المعلومات عند المقرئ هُنَا وَفِي اتِّعَاضِ الْخَفَاءِ ٣: ٢٦٤-٢٧١ هُوَ جُزْءٌ لَطِيفٌ مَجْهُولُ الْمُؤَلِّفِ سَمَّاهُ مُؤَلَّفُهُ «أَخْبَارَ الدُّوَلَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا جَرَى بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ مِنْ أَيَّامِ الْإِمَامِ إِلَى أَيَّامِ شِيرْكُوهِ» . وَهُوَ نَعَشَ

ولما جاء برأيه إلى شاور، رُفِعَ على قَنَاةٍ وطيفَ به، فقال الفقيه عُمارة^١:

[الوافر]

أَرَى خَنَكَ^(a) الْوَزَارَةَ صَارَ سَيْفًا يُحَرِّقُ بِحَدِّهِ صَيْدًا^(b) الرِّقَابِ
كَأَنَّكَ رَائِدُ الْجَنُودِ وَالْأَ بَقِيَّةُ الْبَلَدِ وَالْمَصَابِ

فكان كما قال عُمارة، فَإِنَّ الْبَلَدَ وَالْمَنَابِيا مِنْ حَيْثُ تَتَابَعَتْ عَلَى دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَيْشٌ تَطْرُفُ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ.

حَاذِرَةُ الْعُطُوفِيَّةِ

هذه الحَاذِرَةُ تُنسَبُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْعَشْكَرِ يُقَالُ لَهَا الْعُطُوفِيَّةُ^٢.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ: الْعُطُوفِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ لِعُطُوفٍ، أَحَدُ خُدَّامِ الْقَصْرِ^(c)، وَهُوَ عُطُوفُ غُلَامِ الطُّوْلَةِ، وَكَانَ قَدْ خَدَّمَ سَتَّ الْمَلِكِ أَنْتَ الْحَاكِمِ. (دَكَرَهُ ابْنُ أَبِي الْمَنْصُورِ فِي كِتَابِ «السِّيَاسَةِ»^(d)). قَالَ: وَسَكَنْتْ - يَعْنِي الطَّائِفَةُ الْجَيْوشِيَّةُ - بِحَاذِرَةِ الْعُطُوفِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ^٤.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْأَدِيبِ إِبْرَاهِيمَ الْمُعَمَّارِ إِذْ يَقُولُ مُوَالِيًا يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ حَارَاتٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَفِيهِمَا^(e) تَوْرِيَّةٌ:

(a) بولاق: جنك. (b) بولاق: صيد. (c) مسودة المواضع: الدولة المصرية. (d) إضافة من مسودة المواضع. (e) بولاق: القاهرة، وفيها.

حَاذِرَةُ الْعُطُوفِ وَيَكُونُ الْعُطُوفُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الثُّخْرِ عَلَى تَسَارِ الدَّخَالِ مِنْهُ.

^٣ ابن أبي المنصور هو علي بن طاهر الأزدي، المتوفى سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وكتاب «أساس السياسة» أحد مصادر ابن عبد الظاهر في «الروضة البهية». (الروضة البهية ٥، ٦٦).

^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٤٨-٤٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٥؛ المقرئ: مسودة المواضع ٣٥٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٠.

vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-46; Canard, M., *El² art. Dirghâm II*, pp. 327-28

وفيما تقدم ٢٠٣: ٢-٢٠٤.

^١ عمارة اليمني: النكت العصرية ٧٧، وفيه: «ولما جازوا برأسه على الخليج، وكنت أسكن صَدَفَ الْخَلِيجِ بِالْقَاهِرَةِ، قُلْتُ ارْتِجَالًا؛ أَبُو شَامَةَ: الرُّوسَتَيْنِ ١: ٣٣٣؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٧٢.

^٢ الْعُطُوفِيَّةُ. يُدَلُّ عَلَى مَوْقِعِهَا الْمَنْطِقَةُ الَّتِي يَتَوَسَّطُهَا الْآنَ

في الجَوْدِيَّة رَأَيْتُ صُورَةَ هِلَالِيَّةٍ لِلْبَاطِلِيَّةِ تَمِيلُ لَا لِلْعُطُوفِيَّةِ
لَهَا مِنَ اللَّوْلُوَّةِ تَغْرِزُهُنْ مَنْشِيَةٌ إِنْ حَوَّكُوا وَجْهَهَا بَتَّتِ الْحُسَيْنِيَّةِ
وَكَانَتِ الْعُطُوفِيَّةُ مِنْ أَجْلِ مَسَاكِينِ الْقَاهِرَةِ^١، وَفِيهَا مِنَ الدُّورِ الْعَظِيمَةِ وَالْحَمَامَاتِ وَالْأَسْوَاكِ
وَالْمَسَاجِدِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَضَرٍ، وَقَدْ خَرِبَتْ كُلُّهَا، وَبِيعَتْ أَنْقَاضُهَا وَبِوُثُهَا وَمَنَازِلُهَا،
وَأَضْحَتْ أَوْحَشَ مِنْ وَتْدٍ فِي قَاعٍ.
وَعُطِفَ هَذَا كَانَ خَادِمًا أَشْوَدَ، قَتَلَهُ الْحَاكِمُ بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْأَثْرَاكِ وَقَفُّوا لَهُ فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ،
وَاخْتَرَوْا رَأْسَهُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِإِحْدَى/ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، قَالَه
الْمُسَبِّحِيُّ^٢.

حَارَةُ الْجَوَانِيَّةِ

١. كَانَ يُقَالُ لِهَذِهِ الْحَارَةِ أَوَّلًا حَارَةُ الرُّومِ الْجَوَانِيَّةِ، ثُمَّ ثَقُلَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّاسُ:
الْجَوَانِيَّةِ. وَكَانَ أَيْضًا يُقَالُ لَهَا حَارَةُ الرُّومِ الْغُلْيَا الْمَعْرُوفَةُ بِالْجَوَانِيَّةِ^٣.
وَقَالَ الْمُسَبِّحِيُّ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا كَتَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَمَانَاتِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَتَسْعِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ: وَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ أَمَانًا لِلْعَرَاةِ الْجَوَانِيَّةِ، فَدَلَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْ جَمِلَةِ الطَّوَائِفِ قَوْمٌ
يُغْرِفُونَ بِالْجَوَانِيَّةِ^٤.
١٥. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: قَالَ لِي^(ب) الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ، وَفَقَّهُ اللَّهِ: إِنَّ الْجَوَانِيَّةَ مَنْسُوبَةٌ لِلْأَشْرَافِ
الْجَوَانِيِّينَ، مِنْهُمْ الشَّرِيفُ النَّسَابَةُ الْجَوَانِيُّ^٥.

(٥) العبارة في مسودة المواظ: قال كاتبه: هذه الحارة بجوار الجوانية، وكان بها من الدور والمساجد. (ب) بولاق:
قال لي مؤلفه!

^١ المسبّحي: نصوص ضائعة ٣٠.
^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢١، المقرئ: المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٣، والشريف النشابة الجواني،
هو محمد بن أشهد بن علي الجواني صاحب كتاب التلطف
لمعجم ما أشكل من الخطوط أحد أهم مصادر المقرئ في
الكتاب. (انظر مقدمة المجلد الثاني ٤٠).
^٣ المسبّحي: نصوص ضائعة ٢٢، المقرئ: اتعاظ
الحنفا ٢: ٥٦.
^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢١، المقرئ:

قال كاتبه^١: فعلى هذا يكون بفتح الجيم، فإن الجواني - بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون - يشبه إلى مجوان على وزن حران، وهي قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وعلى القول الأول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها، فإن أهل مصر يقولون لما خرج عن المدينة أو الدار «بزا» ولما دخل «جوا» بضم الجيم، وهو خطأ. ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لأنها من خارج القصر، ويكتبون حارة الروم الجوانية لأنها من داخل القاهرة، ولا يُصار إليها إلا بعد المرور على القصر. وكان موضعها إذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر، فكانها في داخل البلد.

ولذلك أضل، قال ابن سيده في مادة «ج و» من كتاب «المحكم»: «وجو» البيت داخله، لقطة شامية^٢ فتعين فتح الجيم من الجوانية، ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني، الحسن بن محمد الجواني بن عبيد الله الجواني ابن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: وقيل لمحمد بن عبيد الله^٣ «الجواني» بسبب ضيقة من ضياع المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - يُقال لها الجوانية. وكانت تُسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلايلها، لا يُطلب شيء إلا وُجد بها، وهي قرية من «صربا»^٤ ضيقة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الرضا.

وكانت الجوانية ضيقة لعبيد الله فتوفي عنها، فوزنها بعده ولده وأزواجه، فاشتري محمد الجواني ولده - بما حصل له بالميراث - الباقي من الورثة، فحصلت له كاملة فعرف بها، فقيل الجواني.

قال: ولم تزل أجد مؤلفه يتقداد إلى حين قدوم ولده أسعد النحوي مع أبيه من بغداد إلى مصر، ومولده بالموصل في سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة^٥.

(a) بولاق: مؤلف. (b) بولاق: جوا. (c) بولاق: عبد الله. (d) بولاق: صرار.

^١ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٧: ٣٣٢. سنة ١١٥٥/٥٥٠ م. (العماد الكاتب: خريدة القصر
^٢ الشريف القاضي شفاء الملك أبو البركات أسعد بن علي بن معمر بن عمر الحسيني الجواني النحوي، المتوفى نحو ٢٣٠: ٢٣١؛ المقرئ: المقي الكبير ٨٠: ٨١).
 (قسم مصر) ١١٩: ١٢٠؛ القفطي: إنباه الرواة

حازة البشتان

ويقال لها حازة بشتان المصمودي ، وحازة الأكراد أيضًا ، وهي الآن من جملة الوزيرية التي تقدم ذكرها ^١.

حازة المرتاجية

هذه الحازة عُرفت بالطائفة المرتاجية إحدى طوائف العسكر . قال ابن عبد الظاهر : حُطُّ باب القنطرة يُعرف في كُتُب الأملاك القديمة بالمرتاجية ^٢.

حازة القرجية

كانت سَكَن الطائفة القرجية ، وهي بجوار حازة المرتاجية ؛ فإلى يؤمنا هذا ، فيما بين شوتقة أمير الجيوش وباب القنطرة ، زقاق يُعرف بدَرْب القرجية .
والقرجية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء ، وكانت عبيد الشراء عدَّة طوائف ، وهم : القرجية ، والحسينية ، والميمنية ، يُنسبون إلى ميمون دَبَه ^(a) أحد الخدام ^٣.

حازة فرج

كانت تُعرف قديمًا بدَرْب الثميري ، ثم عُرفت بالأمير جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب ، وهي الآن داخلية في دَرْب الطفل من حُط قصر الشوك ^(b).

حازة قائد القواد

هذه الحازة تُعرف الآن بدَرْب ملوئخيا ، وكانت أولًا تُعرف بحازة قائد القواد لأنَّ

(a) بولاق : وهو . (b) هنا في هامش آياصوفيا : ياض سطر .

^١ فيما تقدم ١٣ .

الأعشى ٣ : ٣٥٧ ؛ القريري : مسودة المواظ ٣٧٨ ؛ وفيما يلي ٦٩ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١١ ؛ القلقشندي : صبح ^٣ انظر عن ميمون دَبَه فيما يلي ١٤٠ .

حُسَيْن بن جَوْهَر - الملقَّب قَائِد القُوَاد - كَانَ يَشْكُن بِهَا فَعْرِقَتْ بِهِ ^١.

حُسَيْن بن القَائِد جَوْهَر أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الملقَّب بِقَائِد القُوَاد، لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ جَوْهَر القَائِد خَلَعَ العَزِيزُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَهُ فِي رُتْبَةِ أَبِيهِ، وَلَقَّبَهُ بِالقَائِدِ ابْنِ القَائِد، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَشَيْءٍ مِمَّا تَرَكَهُ جَوْهَر ^٢.

فَلَمَّا مَاتَ العَزِيزُ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الحَاكِمُ، اسْتَدْنَاهُ، ثُمَّ إِنَّهُ قَلَّدَهُ البَرِيدَ وَالْإِنْشَاءَ فِي سَوَالِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِمُؤَكِّبٍ، وَقَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِدَّةَ أَفْرَاسٍ، وَحَمَلَ مَعَهُ ثِيَابًا كَثِيرَةً. فَاسْتَخْلَفَ أَبَا مَنْصُورَ بَشَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَوْرِينَ الْكَاتِبَ النُّصْرَانِيَّ عَلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى أَخْذِ رِقَاعِ النَّاسِ وَتَوْقِيعَاتِهِمْ أَمِيرَ الدَّوْلَةِ الْمُؤَصِّلِيَّ.

وَلَمَّا تَقَلَّدَ بَرْجَوَانَ النَّظَرَ فِي تَذْيِيرِ الْأُمُورِ، وَجَلَسَ لِلْوَسَاطَةِ بَعْدَ ابْنِ عَثَارٍ، كَانَ الْكَافَّةُ يَلْقَوْنَهُ فِي دَارِهِ، وَيُرْكَبُونَ جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ دَارِهِ إِلَى الْقَصْرِ، مَا خَلَا الْقَائِدَ حُسَيْنَ وَمُحَمَّدَ بْنَ الثَّعْمَانَ الْقَاضِيَّ، فَإِنَّهُمَا كَانَا يُسْلِمَانِ عَلَيْهِ بِالْقَصْرِ فَقَطْ.

فَلَمَّا قَتَلَ الحَاكِمُ الْأُسْتَاذَ بَرْجَوَانَ - كَمَا تَقَدَّمَ ^٣ - خَلَعَ عَلَى الْقَائِدِ حُسَيْنَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جِمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تَمَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ثَوْبًا أَحْمَرَ وَعِمَامَةً زَرْقَاءَ مُذَهَّبَةً، وَقَلَّدَهُ سَيْفًا مُحَلًى بِذَهَبٍ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِسَرْجٍ وَلِجَامٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَقَادَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَةَ أَفْرَاسٍ بِمَرَاجِبِهَا، وَحَمَلَ مَعَهُ خَمْسِينَ ثَوْبًا صِيحَاخًا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، وَرَدَّ إِلَيْهِ التَّوْقِيعَاتِ وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِ النَّاسِ وَتَذْيِيرِ الْمَمْلَكَةِ كَمَا كَانَ بَرْجَوَانُ، وَلَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ اسْمُ وَزِيرٍ.

فَكَانَ يُيَكِّرُ إِلَى الْقَصْرِ، وَمَعَهُ خَلِيفَتُهُ الرَّئِيسُ أَبُو الْعَلَاءِ فَهْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النُّصْرَانِيَّ كَاتِبَ بَرْجَوَانَ، فَيَنْظُرَانِ فِي الْأُمُورِ، ثُمَّ يَدْخُلَانِ وَيُنْهِيَانِ الْحَالَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَيَكُونُ الْقَائِدُ جَالِسًا، وَفَهْدٌ مِنْ خَلْفِهِ قَائِمًا.

وَمَتَعَ الْقَائِدُ النَّاسَ أَنْ يَلْقَوْهُ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ يَرْكَبُوا إِلَيْهِ فِي دَارِهِ، وَأَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيُلَاقِهِ إِلَّا بِهَا بِالْقَصْرِ، وَمَتَعَ النَّاسَ مِنْ مُخَاطَبَتِهِ فِي الرِّوَاقِ بِسَيِّدِنَا، وَأَمَرَ أَلَّا يُخَاطَبَ وَلَا يُكَاتَبَ إِلَّا بِالْقَائِدِ

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٤٤٨ القلقشندي: مقتولاً سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، عند، المقرئ: المقفى الكبير
صبح الأعشى ٣: ٣٥٥، المقرئ: مسودة المواظ ٣٣٢
أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٩، وفيما يلي ١١١. ويدل
عليها الآن حارة قصر الشوك أحد فروع شارع قصر الشوك
بقسم الجمالية.

^٢ فيما تقدم ٧-٨.

^٣ راجع ترجمة قائد القواد الحسين بن جوهر، للتوفى

فقط، وتشدّد في ذلك لخوفه من غيرة الحاكم؛ حتى إنّه رأى جماعة من القواد الأتراك قياماً على الطريق ينتظرونه، فأمتسك عنان فرسه، ووقف وقال لهم: كلنا عبيد مولانا - صلوات الله عليه - وماليك، ولست والله أبزح من موضعي أو تنصروا عني، ولا تلقاني أحد إلا في القصر، فانصروا.

وأقام بعد ذلك خدماً من الصقالية الطرادين على الطريق بالثوبة، لمنع الناس المجيء إلى داره ومن لقائه إلا في القصر، وأمر أبا الفتح مشعود الصقلبي، صاحب الشتر، أن يوصل الناس بأسرهم إلى الحاكم، وألا يمتنع أحدًا عنه^١.

فلما كان في سابع عشر جمادى الآخرة، قرئ سجل على سائر المناير بتلقيب القائد حسين بـ «قائد القواد»، وتخلع عليه.

وما زال إلى يوم الجمعة سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة، فاجتمع سائر أهل الدولة في القصر بعدما طلبوا، وخرج الأمر إليهم ألا يُقام لأحد، وخرج خادِم من عند الخليفة فأسر إلى صاحب الشتر كلاماً فصاح: صالِح بن علي؛ فقام صالِح بن علي الزودباري - متقلد ديوان الشام - فأخذ صاحب الشتر بيده وهو لا يعلم هو ولا أحد ما يُراد به، فأذجل إلى بيت المال، وأخرج عليه ذراعة مضمتة وجماعة مذهبة ومعه مشعود، فأجلسه بحضرة قائد القواد، وأخرج سجلاً قرأه ابن عبد السميع الخطيب^٢، فإذا فيه «رُد سائر الأمور التي ينتظر فيها قائد القواد حسين بن جؤهر إليه»، فعندما سمع في^٣ السجل ذكره قام وقبّل الأرض، فلما انتهت قراءة السجل قام قائد القواد، وقبّل خدّ صالِح وهنأه وانصرف^٤.

فكان يركب إلى القصر، ويحضر الأشمطة إلى اليوم الثالث من سؤال، أمره الحاكم أن يلزم داره هو وصهره قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان، وألا يركبا هما وسائر أولادهما. فليسا الصوف، ووثيق الناس من الاجتماع بهما، وصاروا يجلسون على حضرة^٥.

(a) بولاق: من.

^١ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢٩: ٢ - ٣٠.

^٢ هو أبو طالب علي بن عبد السميع القباسي الخطيب،

^٣ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٧٢.

^٤ نفسه ٢: ٧٣.

كان يتولى قراءة السجلات في عهدي الحاكم بأمر الله والظاهر لإعزاز دين الله (المسبحي: أخبار مصر ٤، ٦، ١٠،

فلما كان في تاسع عشر ذي القعدة ، عفا عنهما الحاكم ، وأذن لهما في الركوب ، فركبا إلى القصر بزيهما من غير خلق شعير ولا تغيير حال الحزن^١.

فلما كان في حادي عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مائة ، قبض على عبد العزيز بن الثعمان ، وطلب حسين بن جوهر ففر هو وابنه في جماعة ، وكثر الصياح بدار عبد العزيز ، وغلقت حوائث القاهرة وأشواقها ، فأخرج عنه ونودي : ألا يغلق أحد . فرد حسين بعد ثلاثة أيام بابنه ، وتمثلوا بحضرة الحاكم ، ففقا عنهم ، وأمرهم بالمسير إلى دورهم بعد أن خلغ على حسين وعلى صهره عبد العزيز وعلى أولادهما ، وكتب لهما أمانان . ثم أعيد عبد العزيز في شهر رمضان إلى ما كان يتقلده من النظر في المظالم^٢.

ثم رد الحاكم ، في شهر ربيع الأول سنة أربع مائة ، على حسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز ما كان لهم من الإقطاعات ، وقرئ لهم سجل بذلك^٣.

فلما كان ليلة التاسع من ذي القعدة ، فر حسين بأولاده وصهره وجميع أموالهم وسلاحهم ، فسير الحاكم الخيل في طلبهم نحو دجوة فلم يدركهم ، وأوقع الخوطة على سائر دورهم ، وجعلت للديوان المفرد - وهو ديوان أخدمته الحاكم بتعلق بما يقبض من أموال من يشخط عليه - وحمل سائر ما وجد لهم بعدما ضبط^٤.

وخرجت القساكر في طلب حسين ومن معه ، وأُشيع أنه قد صار إلى بني قرة بالبحيرة^٥ ، فأُنذرت إليه الكتب بتأمينه واستدعائه إلى الحضور ، فأعاد الجواب : بأنه لا يَدْخُل ما دام أبو نصر ابن غيدون النضراني الملقب بالكافي ، ينظر في الوساطة ، ويوقع عن الخليفة ، فإني أحسنت إليه أيام نظري ، فسعى بي إلى أمير المؤمنين ، ونال مني كل منال ، ولا أعود أبداً وهو وزير^٦.

فصُرف ابن غيدون في رابع المحرم سنة إحدى وأربع مائة ، وقدم حسين بن جوهر ومعه عبد العزيز بن الثعمان وسائر من خرج معهما . فخرج جميع أهل الدولة إلى لقاءه ، وتلقته الخيل فأقيمت عليه وعلى أولاده وصهره ، وقيد بين أيديهم الدواب . فلما وصلوا إلى باب القاهرة

^١ المقرري : اتعاط الحفا ٢ : ٧٤ . القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٥٣ ، وفيما يلي ٢ : ٢٨٧ .

^٢ نفسه ٢ : ٧٧ ، ٧٨ .

^٣ نفسه ٢ : ٨١ .

^٤ نفسه ٢ : ٨٤ .

^٥ نفسه ٢ : ٨٢ ، وانظر عن الديوان المفرد كذلك

تَرْجُلُوا وَمَشَوْا، وَمَشَى النَّاسُ بِأَسْرِهِمْ إِلَى الْقَصْرِ فَصَارُوا بِخَضْرَةِ الْحَاكِمِ . ثُمَّ خَرَجُوا وَقَدْ عَفَا عَنْهُمْ ، وَأَذَنَ الْحُسَيْنُ أَنْ يُكَاتَبَ بِقَائِدِ الْقَوَادِ ، وَيَكُونَ اسْمُهُ تَالِيًا لِلْقَبِيهِ ، وَأَنْ يُخَاطَبَ بِذَلِكَ . وَانْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ ، فَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَا قُبِضَ لَهُ مِنْ مَالٍ وَعَقَارٍ وَغَيْرِهِ ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ ، وَوَاضِلَ الرُّكُوبُ هُوَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ التُّغْمَانِ إِلَى الْقَصْرِ^١ .

٥ ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَاعْتُقِلَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ ثُمَّ حُلِفَا أَنَّهِنَّ لَا يَغِيْبَانِ عَنِ الْخَضْرَةِ ، وَأَنْتَهَدَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِذَلِكَ ، وَأَفْرِجَ عَنْهُمَا ، وَخَلَفَ لِهَما الْحَاكِمُ فِي أَمَانٍ كَتَبَهُ لِهَما^٢ .

فَلَمَّا كَانَ فِي ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، رَكِبَ مُحْسِنٌ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ عَلَى رَسْمِهِمَا إِلَى الْقَصْرِ . فَلَمَّا خَرَجَ السَّلَامُ^٣ عَلَى النَّاسِ قِيلَ لِلْحُسَيْنِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَبِي عَلِيٍّ أَخِي الْفَضْلِ : اجْلِسُوا لِأَمْرِ تُرِيدُهُ الْخَضْرَةُ مِنْكُمْ . فَجَلَسَ الثَّلَاثَةُ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ / فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ وَقُتِلُوا فِي وَثْبٍ وَاحِدٍ ، وَأُحِيطَ بِأَمْوَالِهِمْ وَضِيَاعِهِمْ وَدُورِهِمْ ، وَأُخِذَتِ الْأَمَانَاتُ وَالسَّجَلَاتُ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ ، وَاسْتَدْعَى أَوْلَادَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ التُّغْمَانِ وَأَوْلَادَ مُحْسِنٍ بْنِ جَوْهَرٍ ، وَوَعَدُوا بِالْجَمِيلِ وَخُلِعَ عَلَيْهِمْ وَحُمِلُوا^٤ .

حازة الأمراء

وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا حازة الأمراء الأشراف الأقارب ، وَمَوْضِعُهَا يُعْرَفُ بِدَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^٥ .

حازة الطوارق

وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا حازة صِنِّيَانِ الطَّوَارِقِ ، وَهَمِنْ جَمَلَةٌ طَوَائِفُ الْعَشْكَرِ ، كَانُوا مُعَدِّينَ لِحَمْلِ الطَّوَارِقِ . وَمَوْضِعُ هَذِهِ الْحَازَةِ فِي طَرِيقِ مَنْ سَلَكَ مِنَ الرُّقَّتِي شُوقِ الْخَلْعِيِّينَ دَاخِلَ بَابِ زَوِيلَةَ طَالِيَا الْبَاطِلِيَّةِ ، بِالزُّفَاقِ الطَّوِيلِ الصَّبِيحِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ حَلَقُ الْجَمَلِ ، السَّالِكِ إِلَى دَرْبِ أَرْقَطَايَ^٥ .

(B) بولاق : للسلام ، اتعاظ : المتسلم .

^١ المقرئزي : مسودة للمواعظ ٣٥٥ وفيما يلي ١٠٨ .

^٢ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٨٤ .

^٣ فيما يلي ١٢١ .

^٤ نفسه ٢ : ٨٥ .

^٥ نفسه ٢ : ٨٦ - ٨٧ .

حَاذَةُ الشَّرَابِيَّةِ

عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَوْضِعَ سَكَنِ الْعِلْمَانِ الشَّرَابِيَّةِ إِخْدَى طَوَائِفِ الْعَشْكَرِ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ الْبَابِلِيَّةِ وَحَاذَةِ الطَّوَارِقِ^١.

حَاذَةُ الدَّمِيرِي

• هي من جملة العُطُوفِيَّةِ^(٢).

حَاذَةُ الشَّامِيَيْنِ

• من جملة العُطُوفِيَّةِ^(٣).

حَاذَةُ الْمُهَاجِرِينَ

وَمَوْضِعُهَا الْآنَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَكَانِ الَّذِي يُعْرَفُ بِالزُّقَاقِ الْمَعْدِّ لَشَوْقِ الْخَلْعِيِّينَ بِجَوَارِ بَابِ زَوَيْلَةَ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ شَوْقُ الْخَشَّائِينَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ شَوْقُ الْخُلْعِيِّينَ^٢.

وَمَوْضِعُ هَذِهِ الْحَاذَةِ بِجَوَارِ الْخُوخَةِ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِالشَّيْخِ السَّمْعِدِ بْنِ نَسْتَبُوهِ^(ب) النَّصْرَانِي الْكَاتِبِ، وَهِيَ الْخُوخَةُ الَّتِي يُشَلِّكُ إِلَيْهَا مِنَ الزُّقَاقِ الْمُقَابِلِ لِحَمَامِ الْفَاضِلِ الْمَعْدِّ لِدُخُولِ النِّسَاءِ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى دَرْبِ كُوزِ الزُّيْرِ بِحَاذَةِ الزُّومِ. وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْحَاذَةُ تُعْرَفُ بِدَرْبِ ابْنِ الْحَقِّدَارِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^٣.

حَاذَةُ الْعَدَوِيَّةِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الْعَدَوِيَّةُ هِيَ مِنْ بَابِ الْخُشْيَةِ إِلَى أَوَّلِ حَاذَةِ زَوَيْلَةَ، عِنْدَ حَمَامِ^(ج) الْحُسَامِ الْجَلْدَكِيِّ الْآنَ، مَنْسُوبَةٌ لِمَجَاعِيَةِ عَدَوِيَيْنِ تَزَلُّوا هُنَاكَ^٤؛ وَهَذَا الْمَكَانُ الْيَوْمَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوْضِعِ

(a) بعد ذلك في أباصوفيا: بياض قدر نصف سطر. (b) بولاق: فشيره. (c) الروضة الزاهرة: دار.

^٢ فيما يلي ٣٤٤.

^٣ لم يذكره المقرئ في الذروب.

^٤ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٧؛ المقرئ: =

^١ ويذلل على موقع الحارثين: حارة الطوارق وحارة الشرايكة، المنطقة الواقعة بين عطفة الزوم جنوباً وشارع الباطنية الواقع شرق الجامع الأزهر شمالاً.

الذي تلقاه عند خروجه من رُفاق حُمام حُشينة ، الذي يتوصّل إليه من سوق باب الزُهومة ، فإذا انتهيت إلى آخر هذا الرُفاق وأخذت على يمينك ، صوّت في حارة العدويّة . وموضعها الآن من فُندق بلال المُنشي إلى باب سِرّ المارستان^١ .

وتدخل في العدويّة رَحْبَةُ بَيَّيُوس التي فيها الآن فُندق الزّمام^٢ وما عن يمينك إذا خرجت في الرّحبة المذكورة - التي صارت الآن دَرْبًا - إلى باب سِرّ المارستان ، وما عن يسارك إلى حُمام الكُوَيْك وحُمام الجُرْنِي - الذي تَقُولُهُ^٣ العائمة الجُهْنِي - وإلى سوق الرّجّاجيين ؛ وكلّ هذه المواضع هي من حُقوق العدويّة .

وكانت العدويّة قَدِيمًا واقعةً فيما بين المَيْدان الذي يُعرَف اليوم بالحُرُونُشَف وحارة زَوَيْلَة ، وبين سَقِيقَة القُدّاس والصّاعَة القَدِيمَة ، التي صارَ في^٤ موضعها الآن سوقُ الحريرين الشراريين^٥ برأس الوُزّاقين وسوق الرّجّاجيين .

حارة العبدانية

حارة الحبانية^٦

كانت تُعرَف أَوَّلًا بحارة البديعيين ، ثم قيل لها بعد ذلك الحبانية^٧ ، من أجل البُستان الذي يُعرَف بالحَبَانِيَّة الجاري في وَقْف الخانقاه الصّلاحية سَعِيد السَّعْدَاء . ويتوصّل إلى هذه الحارة من تِجَاه قَنْطَرَة آق سُنْفَر ، وبعض دُورها الآن تُشرف على بُستان الحبانية ، وبعضها يُطلّ على بَرْكَة الفيل .

(a) بولاق : الرخام . (b) بولاق : تقول له . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الشرايين .

=مسودة المواظ ٣٧٥ .

^١ فيما يلي ٣٠٥ .

وتدُلّ على موقعها اليوم المنطقة الواقعة بين حارة الصاغة جنوبا وامتداد شارع خان أبي طايقة غربا ، خلف مجموعة قلاوون بشارع المعز لدين الله .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «الحبانية قَوِيّة تقرب من الكوفة

قيل بها زياد بن خراش البجلي أحد الخوارج من أهل الكوفة
أمام زياد بن أبيه» .

وتدُلّ على موقع حارة الحبانية الآن المنطقة الواقعة بين شارع القلعة (محمد علي) شرقا وشارع بورسعيد غربا ويتوسطها السكة المعروفة بسيكة الحبانية . وانظر كذلك ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٦ .

حارة الحَمْزِيَّينَ

كانت تُعرَفُ أَوَّلًا بِالْحَبَايِزَةِ ، ثم قيل لها حارة الحَمْزِيَّينَ من أجل أنَّ جماعةً من الحَمْزِيَّينَ نَزَلُوا بها : منهم الحاج يُوسُفُ بن فَاتِنَ الحَمْزِيَّ^١ /، وأخوه صِرْغَامُ بن فَاتِنَ بن سَاعِدِ الحَمْزِيَّ ، والحاج عَوْنِي الطُّلْحَانُ ، ابن يُونُسَ بن فَاتِنَ الحَمْزِيَّ ، وِرْضَوَانُ بن يُوسُفَ بن فَاتِنَ الحَمْزِيَّ الحَمَّامِي ، وأخوه سَالِمُ بن يُوسُفَ بن فَاتِنَ الحَمْزِيَّ ، وكان هؤلاء بعد سنة ست مائة .

وهذه الحارةُ خارجُ باب زَوَيْلَةَ .

ومن بلاد إفريقية قَرْيَةٌ يُقالُ لها حَمْزِيَّ ، تُسَمَّى^(أ) إليها محمد بن أحمد^(ب) بن حَلَفِ القَيْسِي الحَمْزِيَّ من أهل المَرْيَةِ^(ج) وقاضِيهَا ، توفي سنة تسع وثلاثين وخمس مائة ، ولا يُعَدُّ أنَّ تكون هذه الحارة تُسَمَّى إلى أهل قَرْيَةِ حَمْزَةَ هذه لَنَزُولِهِمْ بها ، كَنَزُولِ بني سُوسَ وَكُتَامَةَ وغيرهم في المواضع التي تُسَمَّى إليهم .

حارة بَنِي سُوسَ

عُرِفَتْ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْمَصَامِدَةِ يُقالُ لَهُمْ بَنُو سُوسَ كانوا يسكنون بها^(د) .

حارة الْيَانِيسِيَّةِ

تُعرَفُ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْعَسْكَرِ يُقالُ لَهَا الْيَانِيسِيَّةُ ، مَنَسُوبَةٌ لِخَادِمٍ خَصِيٍّ مِنْ خُدَّامِ الْعَزِيزِ بالله يُقالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ يَانِسُ الصَّقْلِي^(هـ) ، حَلَفَهُ عَلَى الْقَاهِرَةِ ، فَلَمَّا مَاتَ الْعَزِيزُ أَقْرَاهُ ابْنُهُ الْحَاكِمُ

(أ) بولاق : ينسب . (ب) بولاق : حمد . (ج) بولاق : القرية . (د) في هامش أباصوفيا هنا بياض نحو عشرة أسطر . (هـ) بولاق : الصقلي .

^١ حاشية بخط المؤلف : «والحَمْزِيَّينَ أَيْضًا يُنسَبونَ إلى

حَمْزَةَ بن أَذْرَكَ الشَّارِي ، خَرَجَ بِخُرَّاسَانَ فِي أَهْمَامِ هَارُونَ بن مُحَمَّدِ الرَّشِيدِ فَعَثَّ وَأَقْتَضَى وَفَضَّ جُمُوعَ عِيْسَى بن عَلِيٍّ عامل خُرَّاسَانَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأَنْهَزَمَ عِيْسَى إِلَى كَابِلَ ثُمَّ غَرِقَ حَمْزَةُ بِوَادٍ فِي كَرْمَانَ ، فَغُرِفَتْ طَائِفَتُهُ بِالْحَقَرِيَّةِ» .

وهذه الحاشية مقحمة في النص في النسخ المعتمدة عليها

وتَدُلُّ عَلَى مَوْقِعِ حَارَةِ الْحَمْزِيَّينَ الْآنَ الْمَنْطَقَةُ الْوَاقِعَةُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ وَيُحِيطُ بِهَا حَارَةُ الْحَمْزِيَّةِ ، وَبِحَدِّهَا مِنَ الشَّرْقِ حَارَةُ الْقَرْيَةِ وَمِنَ الْغَرْبِ بَيْكَةُ خَوْشِ الشُّرْقَاوِيِّ وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعُ الدَّائِدَةِ .

بأمر الله على خلافة القصور، وخلق عليه وحمله على فرسين . فلما كان في المحرم سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة سار لولاية بركة بعدما خلع عليه ، وأعطى خمسة آلاف دينار وعدة من الخيل والثياب .

قال ابن عبد الظاهر: اليانيسية خارج باب زويلة^١، أظنها منسوبة ليايس وزير الحافظ لدين الله، الملقب بأمير الجيوش سيف الإسلام، ويُعرف بيايس الفاضل، وكان أزميني الجنس، وسُمي الفاضل لأنه فصّد الأمير حسن بن الحافظ، وترّكه مخلولاً فصّاده حتى مات .

وله خبر غريب في وفاته، كان الحافظ/ قد نَمَّ عليه أشياء طَلَب قتله بها باطنًا، فقال لطبيبه: اكفني أمره بما كَل أو مشرب . فأبى الطبيب ذلك خوفاً أن يصير عند الحافظ بهذه العين وربما قتله بها، والحافظ يحثه على ذلك . فاتفق ليايس الوزير المذكور أنه مريض بزحير، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك، فقال: يا مؤلاي قد أمكنتك الفُرصة، وتلفت مقصودك، ولو أن مؤلانا عاده في هذه المُرصة اكتسب حُسن أخدوة . وهذه المُرصة ليس دواؤه منها إلا التودع^٢ والشكون، ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة . فمجرد ما يسمع^٣ بقضده مؤلانا له تحرك، واهتم ببقاء مؤلانا وانزعج، وفي ذلك تلف^٤ نفسه . ففعل الخليفة ذلك، وأطال الجلوس عنده، فمات^٥ .

وهذا الخبر فيه أوهام: منها أنه جعل اليانيسية منسوبة ليايس الوزير، وقد كانت اليانيسية قبل يانيس هذا بمدة طويلة . ومنها أنه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصاده، وليس كذلك، وإنما مات مسموماً . ومنها أنه زعم أن يانيس تولى فضده، وليس كذلك، بل الذي تولى قتله بالسم أبو سعيد بن بركة . ومنها أن الذي نَمَّ عليه الحافظ من الأمراء فخائه في ابنه حسن، إنما هو الأمير المقظم جلال الدين محمد المعروف بجلب راغب . وهذا نص الخبر، فبره^٦ بالثبوت .

(a) بولاق: الدعة . (b) بولاق: فمجرد ما سمع . (c) النسخ: تلاف . (d) بولاق: فزه .

^١ الحازة اليانيسية . يُدل على موقعها الآن مجموعة المساكن الواقعة خارج باب زويلة، على يسار الخارج منه، التي يخرقها حازة اليانيسية وذُرب الأنسية - المحرف عن اليانسية . ومدخلها من شارع الذُرب الأحمر تجاه جامع قنجماس الإسفاني المعروف بجامع أبي حريه، ولها مدخل آخر بشارع المغزلين بجوار زاوية سيدي علي القُورمي .

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٥-١٣٦ .

^٣ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٩، القريري: مسودة الخطوط ٤٢ ط-٤٣ د .

ذَكَرَ وزارة أبي الفتح ناصر الجيوش يائس الأزمي - وكان من خَيْرِ ذلك أَنَّ الخليفةَ الأمير بأحكام الله أبا عليّ مَنصُورًا لما قَتَلَهُ التُّرَاثِيَّةُ ، فِي ذِي القَعْدَةِ سنة أربع وعشرين وخمسة مائة ، أَقامَ هِزْرُ الملوك جَواتِزِدَ و^(١) العادلُ يَزْعَشُ الأميرَ أبا الميمون عبد المجيد فِي الخِلافةِ كَفِيلًا لِلحَمَلِ الَّذِي تَرَكَه الأمير ، وَلَقَّبَ بِهِ الحافظَ لِدِينِ الله ، وَلَيْسَ هِزْرُ الملوك يَخْلَعُ الوِزَارَةَ ^١ . فَتَارَ الحَمْدُ ، وَأَقَامُوا أبا عليّ أحمد الملقَّبَ بِكُتَيْفَاتٍ - وَلَدَ الأَفْضَلُ بن أمير الجيوش - فِي الوِزَارَةِ . وَقُتِلَ هِزْرُ الملوك ، وَاسْتَوَلَى كُتَيْفَاتٍ عَلَى الأَمْرِ ، وَقَبِضَ عَلَى الحافظ ، وَسَجَنَهُ بِالْقَضَرِ مُقَيَّدًا إِلَى أَنْ قُتِلَ كُتَيْفَاتٍ فِي الحَرَمِ سنة سِتٍّ وعشرين وخمسة مائة ^٢ .

وبادر صبيحان الخاص الذين تولوا قتله إلى القصر ، ودخلوا معهم الأمير يائس مُتَوَلِّي الباب إلى الخزانة التي فيها الحافظ ، وأخرجوه إلى الشباك وأجلسوه في منسب الخِلافة وقالوا له : والله ما حَرَكْنَا عَلَى هذا إِلَّا الأمير يائس . فجازاه الحافظُ بِأَنْ قُوِّضَ إِلَيْهِ الوِزَارَةُ فِي الحال وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَبَاشَرَهَا مُبَاشَرَةً جَيِّدَةً ^٣ . وَكَانَ عَاقِلًا مُهَابًا مَتَمَاسِكًا مُحَافِظًا ^(ب) لِقَوَانِينِ الدَّوْلَةِ . فَلَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَلَا خَرَجَ عَمَّا يُعَيِّنُهُ الخليفةُ لَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ أَسَاطِدٍ مِنْ خَوَاصِّ الخليفةِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ مِنَ القَضَرِ مِنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةِ الخليفةِ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ بِخِزَانَةِ البُثُودِ . فَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الخليفةُ وَخَشِيَ مِنْ زِيَادَةِ مَنَعِهِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الفَعْلَةُ غَلَطَةً مِنْهُ .

ثم إِنَّهُ خَافَ مِنْ صَبِيحَانِ الخاصِّ أَنْ يَفْتِكُوا بِهِ كَمَا فَتَكُوا بِكُتَيْفَاتٍ ، فَتَنَكَّرَ لَهُمْ ، وَتَخَوَّفَهُ أَيْضًا . فَزَكَّبَ فِي خَاصِيَّتِهِ وَأَزَكَّبَ العَسْكَرَ ، وَزَكَّبَ صَبِيحَانِ الخاصِّ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقْفَةٌ قُبَالَةَ بابِ التَّجَانِينِ بَيْنَ القَضَرَتَيْنِ ، قَوِيَ فِيهَا يائسُ وَقَتَلَ مِنْ صَبِيحَانِ الخاصِّ مَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَغْيَانِهِمْ فِيهِمْ قَتْلَةُ أَبِي عَلِيٍّ كُتَيْفَاتٍ ، وَكَانُوا نَحْوَ الخَمْسِ مِائَةِ فَارِسَ ، فَاتَكَسَّرَتْ شَوْكُهُمْ ،

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : متعسكا متحفظا .

لما ذكره المقرئ هنا وفيما تقدم ٣٤٩:٢ - ٣٥٠ . وفي اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٧ ، عند أمين فؤاد : الدولة الفاطمية ٢٤٢ - ٢٥٣ Stern, S. M., «The Succession of the Fatimid Imam al-Amir», *Oriens IV* (1951), pp. 119-243.

^٢ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٣ - ١٤٤ .

^١ لم يُقَمَّ مَزَلَر [هَزْر] الملوك جَواتِزِدَ والعادلُ يَزْعَشُ ، الأمير عبد المجيد خَلِيفَةً وَهُمَا بِأَمْرِهِ بولاية العهد وتدير المملكة كَفِيلًا لِحَمَلِ مَنْظَرٍ فِي بَلَدِ أَمَّة . (ابن ميسر : أخبار مصر ١١١٣ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٦ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢ - ٢٤٣) .

^٢ انظر تفصيل هذه الأحداث التي تَمَّتْ بِطَرِيقَةِ مَخَالَفَةِ

وَصَغَفَ جَانِبَهُمْ . وَاشْتَدَّ بِأُسْ يائِسَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ ، فَتَقَلَّ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَتَحَمَّلَ مِنْهُ ، فَأَحْسَنَ بِذَلِكَ ، فَأَخَذَ كُلُّ مَعْنَاهُ فِي التَّذِيرِ عَلَى الْآخَرِ ، فَأَعَجَلَ يائِسَ وَقَبِضَ عَلَى حَاشِيَةِ الْخَلِيفَةِ وَمِنْهُمْ قَاضِي الْقَضَاةِ وَدَاعِي الدُّعَاةِ أَبُو الْفَخْرِ وَأَبُو الْفَتْحِ بْنِ قَادُوسَ ، وَقَتْلَهُمَا ^١ . فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَافِظِ ، وَدَعَا طَبِيبَهُ وَقَالَ : اكْفِنِي أَمْرَ يائِسَ . فَيَقَالُ إِنَّهُ سَمَّهُ فِي مَاءِ الْمُسْتَرَحِ ، فَأَنْفَتَحَ دُؤْبُهُ ، وَاتَّسَعَ حَتَّى مَا بَقِيَ يَقْدِرُ عَلَى الْجُلُوسِ . فَقَالَ الطَّبِيبُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَكْمَلْتُكَ الْفُرْصَةَ وَبَلَغْتَ مَقْصُودَكَ .

فَلَوْ أَنَّ مُؤَلَانَا عَادَهُ فِي هَذِهِ الْمَرْضَةِ لَكُنْتُمْ حُشِنَ الْأَحْدَوَّةِ ، فَإِنَّ هَذَا الْمَرَضَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا الدُّعَاةُ وَالشُّكُونُ ، وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ أَضَرَّ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْإِنْزِعَاجِ ؛ وَهُوَ إِذَا سَمِعَ بِقَصْدِ مُؤَلَانَا لَهُ تَحَرُّكًا ، وَاهْتَمَّ لِلْقَاءِ وَالزَّرْعِ ، وَفِي ذَلِكَ تَلَاَفَ نَفْسُهُ ، فَتَهَضَّ لِمَا يَدَّبَهُ .

وَعِنْدَمَا بَلَغَ ذَلِكَ يائِسَ قَامَ لِيَلْقَاهُ ، وَتَزَلَّ عَنِ الْفِرَاشِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ ؛ فَأَطَالَ الْخَلِيفَةُ جُلُوسَهُ عِنْدَهُ وَهُوَ يُحَادِثُهُ ، فَلَمْ يَنْقُصْ حَتَّى سَقَطَتْ أَمْعَاءُ يائِسَ وَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فِي سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ^٢ .

وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَعَةً أَشْهُرَ وَأَيَّامًا ، وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ كَفَلَهُمَا الْحَافِظُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا . وَكَانَ يائِسُ هَذَا مَوْلَى أَرْمِينِيَا لِبادِيسَ بَدَّ عِيَّاسَ الْوَزِيرِ ، فَأَهْدَاهُ إِلَى الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَتَرَفَّقَ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى أَنْ تَأَمَّرَ ، ثُمَّ وَلَّى الْبَابَ - وَهِيَ أَكْثَرُ رُتَبِ الْأُمَرَاءِ - وَكُنِيَ بِأَبِي الْفَتْحِ وَلَقَّبَ بِالْأَمِيرِ الْمُشْعِدِ . ثُمَّ لَمَّا وَلَّى الْوِزَارَةَ بُعِثَ بِهَ نَاصِرِ الْجِيُوشِ سَيْفَ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْهِمَّةِ ، بَعِيدَ الْغُورِ ، كَثِيرَ الشَّرِّ ، شَدِيدَ الْهَيْبَةِ ^٣ .

فَذَكَرَ الْأَمِيرُ حَسَنَ بْنِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظَ - وَلَمَّا مَاتَ الْوَزِيرُ يائِسَ ، تَوَلَّى الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَسْتَوْزِرْ أَحَدًا ، وَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ . فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ عَهْدًا إِلَى وَلَدِهِ شَلِيمَانَ - وَكَانَ أَسَنَ أَوْلَادِهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ - وَأَقَامَهُ مُقَامَ الْوَزِيرِ ^٤ ، فَمَاتَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ وِلَايَةِ

^١ المقرئ: اتعاظ الحنفا ١٤٤: ٣-١٤٤٥-١٤٤٥ أبا المحاسن: النجوم الملقح: تاريخ بطاركة الكنيسة ١/٣: ٢٨. الزاهرة: ٥: ٢٤٠.

^٢ راجع، ابن مسير: أخبار مصر ١١٧-١١٨ ابن ظافر: أخبار الدول ٩٨ (وفيه أن وفاته ليلتين خلطا من ذي القعدة) وكذلك ابن أبيك: كنز الدرر ٦: ٦٠٦ ابن الأثير: الكامل ١٠: ٦٧٣: النوري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٩٩ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك - خ ٤٢: ٣-٤٣ و٤٤

^٣ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٥.

^٤ ابن مسير: أخبار ١١٢١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٣٧: ٣: ١٤٩ أبا المحاسن: النجوم ٥: ٢٤١. ويوجد في سوهاج بصعيد مصر نقش أثري من ثمانية أسطر على لوح من الرخام يحمل اسم «ولي عهد»

العهد، فجعل مكانه أخاه حيدر في ولاية العهد، ونصبه للنظر في المظالم^١. فشق ذلك على أخيه الأمير حسن - وكان كثير المال متسع الحال، له عدة بلاد ومواش وحاشية وديوان مفرد - فسعى في نقض ذلك بأن أوقع الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الرنيحانية، وكانت الرنيحانية قوية الشوكة مهابة مخوفة الجانيب. فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين؛ وصاح الجند: «يا حسن يا منصور يا للحسنية». والتقى الفريقان فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف نفس، فكانت هذه الواقعة أول مصائب الدولة الفاطمية من فقد رجالها ونقص عساكرها، فلم يبق من الطائفة الرنيحانية إلا من نجا بنفسه من ناحية النفس وألقى نفسه في بحر النيل.

واستظهر الأمير حسن وقام بالأمر، وانضم إليه أوباش الناس ودعائهم، ففرق فيهم الرزد، وسماهم «صبيان الرزدة»، وجعلهم خاصته. فاحتقوا به وصاروا لا يفارقونه، فإن ركب أحاطوا به، وإن نزل لازموا داره، فقامت قيامة الناس منهم^٢.

وسرع في تتبع الأكابر، فقبض على ابن العشاف وقتله، وقصد أباه الخليفة الحافظ وأخاه حيدر بالضرر حتى خافا منه وتغييا، فجاء في طلب أخيه حيدر، وهتك بأوباشه الدين اختارهم حرمة القصر وخرق ناموسه، وسلطهم يقتشون القصر في طلب الخليفة الحافظ وابنه حيدر، واشتد بأسهم، وحسنوا له كل رذيلة، وجروه على الأذى.

فلم يجد الحافظ بدا من مداراة حسن وتلافي أمره عساه يتصلح، وكتب سيجلاً بولايته العهد، وأرسله إليه فقرأ على الناس^٣. فما زاده ذلك إلا جراءة عليه وإفساداً له، وسدد في التضييق على أبيه وأخذ بأنفاسه. فبعث حينئذ الخليفة بالأستاذ إسعاف^٤ إلى بلاد الصعيد ليجمع

(a) بولاق: ابن إسعاف.

ابن حيدر أن يختار من رجال دولته ووجوه أجناده وشيعته طائفة تنحى إليه تسمى بـ «الطائفة المهدية» تظل مرفوقة على خدمة ولي العهد حيدر؛ وهي أول مرة يقابلنا فيها إنشاء طائفة مماثلة في العصر الفاطمي.

^٢ ابن الطوير: نزهة ٥٩؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١/٣: ٢٨؛ المقرئ: المقفى ٣: ٤١٦.

^٣ في ٢٦ رمضان سنة ٥٢٨هـ/ ٢٠ يولية سنة ١١٣٤م -

= أمير المؤمنين... سليمان بن الإمام الحافظ لدين الله، مؤرخ في الحرم سنة تسع وعشرين وخمس مائة (Wiet, G.,) RCEA VIII, p. 193 n° 3071.

^١ انظر نص سجل تولية حيدر عند القلقشندي: صبح الأعشى ٩: ٣٧٧-٣٧٩ ونقله جمال الدين الشمال في مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦١-٢٦٥، مع دراسة تحليلية في الصفحات ١٠٣-١٠٧ ورجح فيها أن الحافظ عهد إلى ابنه حيدر في أوائل رمضان سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م، وأمر الحافظ

من يُقدّر عليه من الرّيحانيّة، فمضى واستنصرخ النّاس لثُصرة الخليفة على ولّيه حسن، وجمع أمّا لا يُخصيها إلّا الله وسارّ بهم.

فبلغ ذلك حسنًا، فزجّ عسكرًا للقاء إشعاف فالتقيا، وكانت بينهما وقعة هبت فيها ريح سوداء على عسكر إشعاف حتى هزمتهم، وركبهم عسكر حسن فلم ينج منهم إلّا القليل، وغرق أكثرهم في البحر، وأخذ إشعاف أسيرًا فحمل إلى القاهرة على جمل وفي رأسه طرطور لبد أحمر، فلما وصل بين القصرين ريشق بالشّباب حتى هلك، ورُمي من القصر الغربي بأستاذ آخر فقيل، وقيل الأمير شرف الأمراء^٨. فاشتد ذلك على الحافظ وخاف على نفسه فكتب ورقة، وكاد ابنه بأن ألقى إليه تلك الورقة فيها: «يا ولدي أنت على كلّ حال ولدي، ولو عمل كلّ ميّا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيبه مكرهه، ولا يخيّلني قلبي، وقد انتهى الأمر إلى أمراء الدّولة - وهم فلان وفلان - وقد شدّت وطأتك عليهم وخافوك، وهم معولون على قتلك، فخذ جذرك يا ولدي».

فعندما وقف حسن على الورقة، غصّب ولم يتأنّ وبعث إلى أولئك، فلما صاروا إليه أمر صبيان الرّزد بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم - وكانوا عدّة من أعيان الأمراء - وأحاط بدورهم وأخذ سائر ما فيها. فاشتدّت المصيبة وعظمت الرّزية، وتحوّف من بقي من الجند ونفّروا منه؛ فإنّه كان جريحًا مُفسدًا شديد الفحص عن أحوال النّاس والاشتيقّاء لأخبارهم، يريد إقلاب الدّولة وتغييرها ليقدّم أوباشه، وأكثر من مصادرة النّاس، وقتل قاضي القضاة أبا الثّرثما نجم لأنّه كان من خواصّ أبيه، وقتل جماعة من الأعيان، وردّ القضاء لابن ميسر^٩.

وتفاقم أمره وعظم خطبه، واشتدّت الوحشة بينه وبين الأمراء والأجناد، وهُموا بخلع الحافظ ومحاورة ابنه حسن، وصاروا يدا واحدة، واجتمعوا بين القصرين وهم عشرة آلاف ما بين فارس وراجل، وسيّروا إلى الحافظ يشكون ما هم فيه من البلاء مع ابنه حسن، ويطلبون منه أن يُزيله من

(٨) بولاق: شرف الدين.

= (المقريزي: القفى ٤١٦:٣ واتعاظ ١٥٠:٣).
 ١ هما القاضي أبو الثّرثما نجم بن جعفر والقاضي أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسر القهستاني. (ابن ميسر: أخبار ٤٤٣).
 ١١٨، ١٢٠، المقريزي: اتعاظ الخنفا ١٤٦:٣ والمقفى الكبير ٣٩٨:٧-٤٠١؛ ابن حجر: رفع الإصر ٤٢٦-٤٢٩، ٤٤٣.

ولاية العهد . فعجزَ حسنٌ عن مُقاومتِهِمْ ، فإنه لم يبق معه سوى الواجل من الطائفة الجبوشية ،
ومن يقول بقولهم من الغزُ الغزباء ، فتحيّر وخافَ على نفسه ، فالتجأ إلى القصر ، وصارَ إلى أبيه
الحافظ . فما هو إلا أن تمكّن منه أبوه فقَبِضَ عليه وقيّده ، وبعثَ إلى الأمراء يُخبرهم بذلك ،
فاجتمعوا على قتله ، فردّ عليهم أنه قد صرّفه عنهم ، ولا يُمكنه أبداً من التصرف ووعدهم بالزيادة
في الأرزاق والإقطاعات ، وأن يَكفُّوا عن طلب قتله . فالتحوا في قتله ، وقالوا : إما نحن وإما هو .
واشتدَّ^٥ طلبهم إيّاه حتى أحضروا الأخطاب والثيران ليخرقوا القصر ، وبالقوا في التجري على
الخليقة ، فلم يجد بُداً من إجابتهم إلى قتله ، وسألهم أن يُهلوه ثلاثاً ، فأنأخوا بين القصرين ،
وأقاموا على خالهم حتى تنقضي الثلاث . فما وسّع الحافظ إلا أن اشتدعى طبيبه - وهما أبو
منصور اليهودي ، وابن قزقة النضرائي - وبدأ بأبي منصور وفاوضه في عمله شقية قاتلة ، فاشتتغ
من ذلك وحلفَ بالتثؤرة أنه لا يعرف عمل شيء من ذلك . فتركه وأحضر ابن قزقة ، وكلّمه في
هذا ، فقال : الساعة ، ولا يقطع منها جسده ، بل تفيض النفس لا غير . فأحضر الشقية من
يومه ، فبعثها إلى حسن مع عِدّة من الصقالية ، وما زالوا يُكرهُونه على شربها حتى فُعل ، ومات
في العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فبعثَ الحافظ إلى القوم سيّراً يقول : قد كان ما أردتم ، فامضوا إلى دُوركم . فقالوا : لا بد أن
يُشاهده منا من نثق به . / ونذّبوا منهم أميراً معروفاً بالجرأة والشّر يُقال له المعظم جلال الدين
محمد - ويُعرف بجلب راغب الآمري - فدخَلَ إلى القصر ، وسارَ جنبَ حسن ، فإذا به قد
شجى بثوب ، فكشَفَ عن وجهه ، وأخرج من وسطه آلة من حديد ، وغرزه بها في عِدّة مواضع
من بدنه إلى أن تيقن أنه قد مات ، وعادَ إلى القوم وأخبرهم ، ففرّقوا^١ .

(٥) بولاق : اشتد .

^١ راجع تفصيل الصراع بين الحافظ وابنه الحسن عند :
ابن ميسر : أخبار مصر ١١٩-١٢١ ؛ ابن طاهر : أخبار
الدول ٩٦-٩٧ ؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ البطارقة ٣ /
٢٨:١-٣٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٧٣ و ١١/٢٢٢ ؛
الزاهرة ٢٤١:٥-٢٤٢ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية
٢٥٥-٢٥٨ .

وعندما سَكَتَ الذُّهْمَاءُ ، حَقَّدَ الحَافِظُ لَابِنَ قِرَّةَ وَقَتْلَهُ بِخِزَانَةِ الشُّودِ ، وَأَنْعَمَ بِجَمِيعِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى أَبِي مَنصُورِ الْيَهُودِيِّ ، وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . فَهَذَا مَا كَانَ مِنْ خَيْرِ بَائِسٍ وَكَيْفِيَةِ مَوْتِهِ ، وَخَيْرِ حَسَنٍ وَالْخَيْرِ عَنْ قَتْلِهِ .

حَاذَةُ الْمُنْتَجِيَةِ^(a)

- قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَحَجَّبُ لَشَنْسِ الدِّينِ قَاضِي زَادَةَ ، كَانَ يَقُولُ :
إِنَّ هَذِهِ الْخِطَّةَ مَنْسُوبَةَ لِحَدِّهِ مُتَتَجَبِّ الدَّوْلَةُ^١ .

الْحَاذَةُ الْمَنْصُورَةُ^(b)

- هَذِهِ الْحَاذَةُ [خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ]^(c) كَانَتْ كَبِيرَةً مُتَّبِعَةً جِدًّا فِيهَا عِدَّةُ مَسَاكِينِ الشُّودَانِ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ وَاقِعَتْهُمْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ حَاذَةِ بَهَاءِ الدِّينِ^٢ ، أَمَرَ صَلاَحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي بَشَّارٍ الْمَنْصُورَةَ هَذِهِ وَتَعَفَّى أَثَرَهَا ، فَخَرَّبَهَا خَطْلِبًا ابْنُ مُوسَى الْمَلْقَبُ صَارِمُ الدِّينِ ، وَعَمَلَهَا بُشْتَانًا^٣ .

وَكَانَ لِلشُّودَانِ بِدْيَارِ مِصْرَ شَوْكَةٌ وَقُوَّةٌ ، فَتَبِعَهُمْ صَلاَحُ الدِّينِ بِلَادَ الصُّعِيدِ حَتَّى أَفْنَاهُمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُمْ بِدْيَارِ مِصْرَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَمَحَلَّةٍ وَضَيْعَةٍ مَكَانٌ مُفْرَدٌ لَا يَدْخُلُهُ الْوَالِي وَلَا غَيْرُهُ اخْتِرَامًا لَهُمْ . وَقَدْ كَانُوا يُرِيدُونَ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفًا ، وَإِذَا ثَارُوا عَلَى وَزِيرٍ قَتَلُوهُ ، وَكَانَ الضَّرَرُ بِهِمْ عَظِيمًا

(a) فِي مَسْوَدَةِ الْخَطِّ وَالنَّسَخِ : الْمُنْجِيَّةُ وَسِيَاقُ الْخَبَرِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الْمُنْتَجِيَّةُ فِيهِ نِسْبَةً إِلَى مَنْ يَدْعَى مُتَتَجَبِّ الدَّوْلَةِ لَا مُتَجَبِّ الدَّوْلَةِ (b) بُولَاقُ : الْمَنْصُورَةُ . (c) زِيَادَةُ مِنَ الرُّوْضَةِ الْبَهِيَّةِ .

^١ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الرُّوْضَةُ الْبَهِيَّةُ ٤١٣٥ القَلْقَشَنْدِيُّ :
صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ٣ : ١٣٥٩ المَقْرِيزِيُّ : مَسْوَدَةُ الْخَطِّ ٤٤٣ .
وَكَانَتْ حَاذَةُ الْمُنْتَجِيَّةِ تَقَعُ عَلَى بَيْنِ السَّالِكِ بِالْشَّارِعِ
خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ مُتَّجِهًا إِلَى الْجَنُوبِ ، وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ الْحَاذَةِ
مِنْ جِهَتِهَا الْبَحْرَةِ الْيَوْمَ الذُّزْبُ الْمَعْرُوفُ بِذُرْبِ الْأَغَاوَاتِ .
وَكَانَتْ الْحَاذَةُ الْهَلَالِيَّةُ تَقَعُ تَجَاهَهَا عَلَى مَسَارِ السَّالِكِ
بِالشَّارِعِ خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ ، وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ الْحَاذَةِ مِنْ جِهَتِهَا
الْبَحْرَةِ الْيَوْمَ الذُّزْبُ الْمَعْرُوفُ بِذُرْبِ الدَّالِيِّ حَسِينِ . (أَبُو
الْحَاسَنِ : النُّجُومُ ١٤ : ٥ هـ^٣ تَعْلِيقُ لِمُحَمَّدٍ رَمَزِي) .
^٢ نِيْمَا تَقَدَّمَ ٦ .
^٣ أَبُو شَامَةَ : الرُّوْضَتَيْنِ ١ : ٤٥٢ ؛ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ :
الرُّوْضَةُ الْبَهِيَّةُ ٤١٣٧ ؛ وَفِيهَا يَلِي ٣٩٩ - ٤٠٠ .
وَالْحَاذَةُ الْمَنْصُورَةُ تَقَعُ خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ عَلَى بَيْنِ الْخَارِجِ
مِنْ جَنُوبِ حَاذَةِ الْمُنْتَجِيَّةِ ، تَطُلُّ مِنْ جَانِبِ عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ
وَمِنْ جَانِبِ آخِرِ عَلَى صَلِيْبَةِ ابْنِ طُولُونِ .

لا تُمَدِّد أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَأَهَالِيَهُمْ . فَلَمَّا كَثُرَ بَغْيُهُمْ ، وَزَادَ تَعَدِّيَهُمْ ، أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ^١ .

وفي واقعة السودان وتُخْرِيبِ الْمَنْصُورَةِ ، وَقَتْلِ مُؤَمِّنِ الْخِلَافَةِ - الَّذِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ^٢ - يَقُولُ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ الْكَاتِبُ يُخَاطِبُ بِهَا الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ^٣ :

[النسر]

بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ اسْتَنَازَتْ	فِي عَصْرِنَا أَوْجُهُ الْقَضَائِلِ
يُوشَفُ مِصْرَ الَّذِي إِلَيْهِ	تَشَدُّ آمَانُنَا الرُّوَاجِلِ
رَأَيْكَ فِي الذُّهْرِ عَنْ رَزَابَا	بِحُلَى مُهَيَّاتِهِ الْجَلَائِلِ
أَجْمَرَتْ نَمْلَيْنِ فِي قَرَاهَا :	يَمِلُّ لِحْمِغٍ وَنَيْلٍ نَائِلِ
كَمْ كَرِمٍ مِنْ نَدَاكَ جَارِ	وَكَمْ دَمٍ مِنْ عِدَاكَ سَائِلِ
وَكَمْ مَعَادٍ بِلَا مَعَادِ	وَمُسْتَطِيلٍ بِغَيْرِ طَائِلِ
وَحَايِدٍ كَابِدِ الْمَسَاعِي	وَسَائِدِ نَافِقِي الْوَسَائِلِ
أَقْرَزَتْ عَيْنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى	لَمْ يَبْقَ فِيهَا قَذَى لِبَاطِلِ
وَكَيْفَ يَزْهَى بِمُلْكٍ يَضُرُّ	مَنْ يَسْتَقِيلُ ذَنْبًا لِنَائِلِ
وَمَا نَفَيْتَ الشُّودَانَ حَتَّى	خَكَّغْتَ الْبَيْضَ فِي الْمَقَاتِلِ
صَيَّرْتَ رَحْبَ الْقَضَاءِ ضِيقًا	عَلَيْهِمْ تَكْفَهُ لِحَابِلِ
وَكُلُّ رَأَى مِنْهُمْ كَرَاءِ	وَأَوْضُ مِصْرَ كَلَامِ وَاصِلِ
وَقَدْ تَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَغَانِي	وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ الْمَنَازِلُ
وَمَا أُصِيبُوا إِلَّا بِطَلِّ	فَكَيْفَ لَوْ أُنْطِرُوا بِوَائِلِ
وَقَدْ تَجَلَّى الْحَقُّ مَا بَالِ	بِاطِلٍ فِي مِصْرَ كَانَ عَاجِلِ

ابن قاضي شعبة: الكواكب الدرية ١٨٣-١٨٥ وانظر كذلك أمين قواد: الدولة الفاطمية ٣٠١-٣٠٢، Lev, Y., *Saladin in Egypt*, pp. 81-84.

^٢ فيما تقدم ٤-٥.

^٣ وردت الأبيات مع اختلاف في عددها عند أبي شامة: الروضتين ٤٥٢:١-٤٥٣؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١٧٧-١٧٨.

^١ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة ٣/ ٦٥:٢-٦٦؛ ابن الأثير: الكامل ٣٤٥:١١-٣٤٧؛ أبو شامة: الروضتين ٤٥٠:١-٤٥٢؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١٧٤:١-١٧٩؛ ابن خلكان: وفيات ٧١:٤، ١٥٧:٧؛ النويري: نهاية الأرب ٣٦٠:٢٨-٣٦١؛ ابن أبيك: كنز الدرر ١١٤٤:٧؛ ابن الفرات: تاريخ ٦٧:١-٦٨؛ المقرئ: اتعاظ الخلفاء ٣١١:٣-٣١٣؛ وفيما تقدم ٤-٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٥٤:٥، ٢٠:٦.

والشود بالبيض قد تنحوا فهي بوادهم تَوازِلُ
مؤتمن القوم خان حثى غالثه من شره القوائِلُ
عالمكم بالحقنا فاضحى ورأسه فوق رأس عامِلُ
وحالف الدل بعد عز والذهر أخواله حوائِلُ
يا مخجل البحر بالأبادي قد آن أن تُفتح الشواجلُ
فقدس القدس من نجات أوجاس كُفر عُثم أراذلُ

وكان مَوْضِعُ المنصورة على يَمَنَةِ من سَلَكَ في الشَّارِعِ خارج باب زَوَيْلَة .

قال ابن عبد الظاهر: كانت للشودان حارة تُعرف بهم تُسمى المنصورة، خربتْها صلاح الدين، وأخذها حطْلُها فعمرها بُستانًا وحَوْصًا. وهي إلى جانب الباب الجديد^١ - يعني الذي يُعرف اليوم بالقوس - عند رأس المنتحية^٢ فيما بينها وبين الهلائية؛ وقد حُكِرَ هذا البُستانُ في الأيام الظاهرية. وبعضها - يعني المنصورة - من جهة بركة الفيل إلى جانب بُستان سيف الإسلام، ويسمى الآن بجُكر/ العُثمى، لأنَّ العُثمى هذا كان سَوْغ^٣ بستان سيف الإسلام، فحُكِرَ في هذه الجهة، وهي الآن أخكار الديوان السلطاني^٤.

وجُكر العُثمى، الذي كان بُستان سيف الإسلام، يُعرف اليوم بتراب ابن البابا بحارة^٥ البُتْدُقْدارية بجوار حُمام الفازقاني، قريب من صليبة جامع ابن طولون^٦.

حارة المصايدة

هذه الحارة عُرِفَتْ بِطائفة المصايدة، إحدى طوائف عساكر الخلفاء الفاطميين، اختطت في وزارة المأمون البطايحي وخلافة الأمير بأحكام الله بعد سنة خمس عشرة وخمس مائة. قال ابن عبد الظاهر: حارة المصايدة، مقلدُهم عبد الله المصمودي. وكان المأمون البطايحي، وزير الخليفة الأمير بأحكام الله، قدَّمه ونوّه بذكره، وسلَّم له أتبائه للتميت عليها،

(a) بولاق: المنجية. (b) بولاق: شرع. (c) بولاق: نجاه.

^١ الباب الجديد انظر فيما يلي ٣٣٣ هـ.

^٢ قارن مع ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٧؛ ^٣ فيما يلي ٤٤٧، ٣٩٩: ٢.

وأضاف إليه جماعة من أصحابه . فلما استخلص المصامدة وقربهم ، سَير أبا بكر المصمودي ليختار لهم حارة . فتوجه بالجماعة إلى البانيسية بالشوارع ، فلم يجد بها مكاناً ، وجدها تضيق عنهم . فسير المهندسين لاختيار حارة لهم ، فاتفقوا على بناء حارة ظاهرة الباب الجديد ، على نمطة الخارج على شاطئ بركة الفيل ، فقال : بل تكون على نمشة الخارج والفشع قدامها إلى بركة الفيل . فبنيت الحارة على نمشة الخارج من الباب المذكور ، وبني بجانبها مسجد على زلاقة الباب المذكور ، وبني أبو بكر المصمودي مسجداً أيضاً - وهذه فيما أعتقد هي الهلالية - وحدّر من بناء شيء قبلتها ، في الفضاء الذي بينها وبين بركة الفيل ، لانتفاع الناس بها .

وصار ساجل بركة الفيل من المسجد قبالة هذه الحارة إلى آخر حصن دؤيرة مشعور إلى الباب الجديد . ولم يزل ذلك إلى بعض أيام الخليفة الحافظ لدين الله .

قال : وبني في صف هذه الحارة من قبليها عدة دور بحوانيت تحتها ، إلى أن اتصل البناء بالمساجد الثلاثة الحاكمة المتعلقة^١ ، والقنطرة المعروفة بدار ابن طولون ، وبعدها بستان ذكر أنه كان في جملة قاعات الدار المذكورة . قال : وأطلق المساجد هي التي قبالة حوض الجاولي^(٢) المعروف بأحدهم بالشيخ عبد الله الرومي^(٣) .

قال : وبني المأمون ظاهره حوضاً ، وأجرى الماء له ، وذلك قبالة مشهد محمد الأصغر والسيدة شكينة^(٤) ، ومشهد شكينة أنشأه أبو علي الأفضل^(٥) . قال : وأطلق هذا البستان ، هو الذي بنته شجر الدر بستاناً وداراً وحمامات قريب من مشهد السيدة نفيسة^(٦) .

(٢-٥) إضافة من مسودة الخطط .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٣-١٣٤ ، ١٣٧ القلقشندي : صبح ٣ : ٣٥٩ ، السخاوي : تحفة الأحباب ١١٨ وفيه أنَّ الدار تعرف في وقته بدار الخلافة لأنها كانت سكن الخلفاء العباسيين بالقاهرة (وفيما يلي ٤٤٧) والمدرسة معروفة باسمها والحمام بحمام الست .

وهنا حاشية بخط المؤلف : «دار شجر الدر من جملتها الدار التي هي اليوم سكن الخلفاء العباسيين بجوار المدرسة الأشرافية بالقرب من المشهد الثقفي» .

^١ المساجد الثلاثة الحاكمة المتعلقة ، بناها الحاكم بأمر الله لحوسنة ٤٠٢ هـ (أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٥٤) وتقع في خط ابن طولون ومنها مشهد محمد الأصغر والمشهد المعروف بعدد الرحمن الطولوني (السخاوي : تحفة الأحباب ١١٤ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٥٣ ، Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 356-61.

وجاء على هامش أباصوفيا هنا : «المساجد الثلاثة ودار ابن طولون في الخراب الذي قبلي جامع ابن طولون مروّراً بركة قارون فيما بين حلزة بن قميحة والمشهد المعروف بزن العابدين» .

قَالَ: وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِالنَّدَاءِ فِي الْقَاهِرَةِ مَعَ مَصْرٍ^(a) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بَأَنَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَارٌ فِي الْخَرَابِ أَوْ مَكَانٌ يُعْمَرُهُ، وَمَنْ عَجِزَ عَنْ أَنْ يُعْمَرَهُ فَلْيُؤَجِّرْهُ مِنْ غَيْرِ ثَقُلْ شَيْءٍ مِنْ أَنْفَاضِهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا حَقَّ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَلَا حِجْرٌ يُلْزِمُهُ؛ وَأَبَاحَ تَغْمِيرَ ذَلِكَ جَمِيعَهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ بِحَقِّ فِيهِ. فَطَلَبَ النَّاسُ كَافَّةً مَا هُوَ جَارٍ فِي الدِّيَّانِ السُّلْطَانِي وَغَيْرِهِ، وَعَمَرُوهُ حَتَّى صَارَ الْيَلْدَانُ لَا يَتَخَلَّلُهُمَا دَارٌ وَلَا دَارِشٌ. وَبُنِيَ فِي الشَّارِعِ - يَعْنِي خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ - مِنَ الْبَابِ الْجَدِيدِ إِلَى الْحَبْلِ عَرَضًا، وَهُوَ الْقَلْعَةُ الْآنَ.

قَالَ: وَكَانَ الْخَرَابُ اسْتَوَى عَلَى تِلْكَ الْأَمَاكِينِ فِي زَمَنِ الْمُسْتَعْمِرِ^١ فِي أَيَّامِ وَزَارَةِ الْيَازُورِيِّ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ بَنَى حَائِطًا يَشُرُّ الْخَرَابَ عَنْ نَظَرِ الْخَلِيفَةِ إِذَا تَوَجَّهَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى مِصْرَ، وَبَنَى حَائِطًا آخَرَ عِنْدَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ.

قَالَ: وَعَمَرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ الْمُتَعَمِّرُونَ بِالْقَاهِرَةِ وَالْمُسْتَعْمِدُونَ يُصَلُّونَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ بِالْقَاهِرَةِ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى سَكِينِهِمْ^(b) فِي مِصْرَ لَا يَزَالُونَ فِي ضَوْءٍ وَسُرُجٍ وَسُوقٍ مُؤَقَّدٍ إِلَى بَابِ الصُّفَا - وَهُوَ الْمَعَاوِزِ الْآنَ -^٢ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَابِ الْجَدِيدِ الْحَاكِمِيِّ^٣ عَلَى يَمِينَةِ بَرْكَةِ الْفِيلِ^(c) لِعِنْدِ دُورَةِ مَسْغُودٍ وَبَعْدَهَا الْبُيُوتَانِ، أَظُنُّهُ بُشْتَانٌ سَيْفِ الْإِسْلَامِ وَكَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ أَنْهَارٍ وَلَهُ ذَهَالِيزٌ^(d)

(a) الروضة: في القاهرة ومصر. (b) بولاق: مساكنهم. (c-c) إضافة من مسودة المخطوط.

والشاحل هو من تجاه قنطرة السد إلى المعاريج بمصر.^١
٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤-١٣٥ وفيما يلي ٣٣٣، ٢: ٢٦٥. وهنا حاشية بخط المؤلف نصها: «باب الصفا موضعه الآن بقرب كوم الجوارح خارج مصر»؛ وانظر فيما تقدم ١٦٨: ٢-١٦٩.

٣ حاشية بخط المؤلف: «الباب الجديد يعرف اليوم بباب القوس خارج باب زويلة».

وكان هذا الباب يقع في عرض الطريق الممتد خارج باب زويلة والمعروفة بشارع الميزيلين تجاه زاوية السكك عائشة الينوسية على رأس شارع النأودية من الجهة الغربية؛ وانظر فيما يلي ٣٣٣.

= وما زالت بقايا مَدْرَسَةٍ وَتَشْهَدُ شَجَرُ الدُّرِّ قَائِمَةٌ فِي شَارِعِ الْخَلِيفَةِ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ سَكِينَةَ وَفِي مُوَاجَهَةِ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ رُفْقَةً وَهِيَ مَسْجِدَةٌ بِالْأَثَارِ بِرَقْمِ ١٦٩. (راجع: ابن دقاق: الانتصار ٤: ١٢٥؛ علي مبارك: المخطوطات التوفيقية ٢: ١٨٧، ٥: ٧٨-٧٩، وفيما يلي Behrens - Abouseif, D., «The Lost ١٤٤٧ Minaret of Shajarat ad-Durr at her Complex in the Cemetery of Sayyida Nafisa», MDAIK 39 (1983), pp. 1-16.

١ حاشية بخط المؤلف: «هذا الخراب هو في موضع القطائع وفي موضع الشكر وفي موضع الشاحل القديم؛ فالقطائع من موضع قلعة الحبيل إلى جامع ابن طولون، والعسكر هو من قناطر الشباح إلى ما دار بجامع ابن طولون،

(^٨) كِبَارُ عَلَيْهَا جَوَاسِقٌ فِيهَا ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ كُلٌّ مِنْهَا يُنْظَرُ إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ وَكَانَ يُعْرَفُ بِأَبِي الْحُسَيْنِ مُزَيْدِ الطَّائِي ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى يَانِسَ ، وَبَعْدَهُ بُشْتَانُ الْوَزِيرِ الْمَغْرِبِيِّ ، أَظْهَرَهُ بُشْتَانُ جَوْهَرِ الَّذِي فِيهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قُبَالَةَ هَذَا الْبُشْتَانِ ، وَكَانَتْ فِيهِ حُثَامٌ مَلِيحَةٌ ، وَبَعْدَهُ بُشْتَانُ الشَّامِيِّينَ - الظَّاهِرِ أَنَّ دَثْرَ - وَبَعْدَهُ بُشْتَانُ مُخْتَارِ الْمَعْرُوفِ بِدَكُوجَةٍ أَظْهَرَهُ دَثْرُ (^٩) ؛ وَقُبَالَةَ جَمِيعِ ذَلِكَ حَوَانِثٌ مَسْكُونَةٌ عَامِرَةٌ بِالْمُتَعَيِّشِينَ إِلَى (^{١٠}) مَسْجِدِ النَّفِيقِ (كَذَا) ، وَهُوَ عَلَى يَسْرَةِ الشَّالِكِ إِلَى مِصْرٍ وَقَدْ تَهَدَّمَتْ وَبَقِيََتْ أَثَارُهُ وَكَانَتْ الصُّلُوكُ فِيهِ جَامِعَةٌ وَحَوَانِثُهُ كُلُّهَا مَسْكُونَةٌ (^{١١}) وَالْمَعَاشُ مُسْتَمِرُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ (^{١٢}) هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، وَقَدْ مَجْهَلَتْ هَذِهِ الْمَعَالِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا وَسَاتَّبَعَهَا وَأُثِّبَتْ عَنْهَا مَا أَغْلَمَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (^{١٣}).

حَاذَةُ الْهَلَالِيَّةِ

(^{١٤}) كَانَتْ حَاذَةُ لِلشُّودَانِ فِي الْأَيَّامِ الْفَاطِمِيَّةِ ، فَلَمَّا كَانَتْ وَاقِعَةُ الشُّودَانِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ أُخْرِقَ الشُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْحَاذَةُ الْمَذْكُورَةُ - وَكَانَتْ تَسْمَى الْمُتَّصِرَةَ - وَحَدَّثَهَا مِنْ بَابِ الْهَلَالِيَّةِ إِلَى الشُّورِ الْحَجَرِ غَرَضًا (^{١٥}). ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَنَّهَا عَلَى يَسْرَةِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَابِ الْجَدِيدِ الْحَاكِمِيِّ (^{١٦}) ^١.

حَاذَةُ الْبِيَازَةِ

هَذِهِ الْحَاذَةُ خَارِجُ بَابِ الْقَنْطَرَةِ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ مِنْ شَرْقِيهِ ، فِيمَا بَيْنَ رُقَاقِ الْكَخْلِ وَبَابِ الْقَنْطَرَةِ ، حَيْثُ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِرُكَّةِ بَجْنَقٍ وَالْكَدَّاشِينَ ، وَإِلَى قَرِيبٍ مِنْ حَاذَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ^٢.

وَاخْتَصَّطَتْ هَذِهِ الْحَاذَةُ فِي الْأَيَّامِ الْآمِرِيَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ زِمَامَ الْبِيَازَةِ شَكَا ضَيْقَ دَارِ الطُّيُورِ بِمِصْرَ وَسَأَلَ أَنْ يُفْتَسَحَ لِلْبِيَازَةِ فِي عِمَارَةِ حَاذَةِ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ لِحَاجَةِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ

(٨-٩) إضافة من مسودة الخطط . (ب) هنا في هامش أباصوفيا : بياض نحو عشرة أسطر .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٣ . الدالي حسين . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤:٥ هـ ١٤٠٥ هـ . وكانت الحاذة الهلالية تقع تجاه حاذة المتنجية على يسار الشالِك في الشارع خارج باب زويلة متجهًا إلى الجنوب ، وفي أولها اليوم من الجهة البحرية النُزْبُ المعروف بنُزْبُ . ^٢ انظر فيما يلي ١٠٥ .

إلى الماء، فأذن له في ذلك. فاحتطوا هذه الحارة، وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج، وفي كل دار باب يمرُّ يُنزَل منه إلى الخليج.

وأصل بناء هذه الحارة بزقاق الكحل^١، فغرقت بهم وشيّت بحارة البيازرة (واحدُهم بازيار). ثم إن المختار الصفلي زمام القصر أنشأ بجوارها بُشتاناً وبني فيه منظرَةً عظيمة. وهذا البشتان يُعرف اليوم موضعه ببشتان ابن صيرم خارج باب الفتوح.

فلما كثرت العمائر في حارة البيازرة، أمر الوزير المأمون بعمل الأمانة لشَي الطوب على شاطئ الخليج الكبير، إلى حيث كان البشتان الكبير الجبوشي الذي تقدّم ذكره في ذكر مناظر الخلفاء ومتنزهاتهم^٢.

حارة الحسينية

غرقت بطائفة من عبيد الشراء يُقال لهم الحسينية. قال المسبحي في حوادث سنة خمس وتسعين وثلاث مائة: وأمر بعمل شونة مما يلي الجبل ملقت بالمنط والبوص والخلفاء، فابتدئ بعملها في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وثلاث مائة، إلى شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين، فخامر قلوب الناس من ذلك جزع شديد، وظن كل من يتعلق بخدمة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن هذه الشونة عملت لهم. ثم قويت الإشاعات، وتحدثت العوام في الطرقات أنها للكُتاب وأصحاب الدواوين وأشباههم.

فاجتمع سائر الكُتاب، وخرجوا بأجمعهم في خامس ربيع الأول، ومعهم سائر المتصرفين في الدواوين من المسلمين والنصارى، إلى الرماحين^(١) داخل باب القنطرة^(٢) بالقاهرة، ولم يزالوا يُقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر، فوقفوا على بابهم يَدعون ويتضرعون ويضجّون ويسألون الغفر عنهم - ومعهم رفعة قد كُيّت عن جميعهم - إلى أن دخلوا باب القصر الكبير، وسألوا أن يُنفى عنهم، ولا يُسمع فيهم قول ساع يسعى بهم. وسلموا رُفعتهم إلى قائد القواد الحسين ابن جُوهر، فأوصلها إلى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، فأجيبوا إلى ما سألوا.

(a-a) ساقطة من بولاق.

^١ انظر عن زقاق الكحل فيما تقدم ٢٢١:٢-٢٢٢؛ ^٢ المقرري: مسودة المواظ ١٣٨٤ وفيما تقدم وفيما يلي ١٣٩.

وخرج إليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور لقراءة سبيل بالعفو عنهم ، فأنصرفوا بعد العصر . وقرأ من القد سبيل كُتِبَ منه نسخة للمسلمين ، ونسخة للتصاري ، ونسخة لليهود ، بأمانٍ لهم والعفو عنهم ^١ .

وقال في ربيع الآخر : واشتد خوف الناس من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، فكُتِبَ ما شاء الله من الأمانات للعلمان الأتراك الخاصة وزمائمهم ^(٨) ومن يخدمهم ^(٩) من الحفدانية والبكجورية والعلمان الغزفاء ، والمماليك وصبيان الدار ، وأصحاب الإقطاعات والمرتقة ، والعلمان الحاكيمية القدم على اختلاف أصنافهم .

وكُتِبَ أمانٌ لجماعة من خدم القصر المؤسومين بخدمة الحضرة ، بعدما تجمعوا ، وصاروا إلى تربة العزيز بالله ، وضجوا بالبكاء ، وكشفوا رؤوسهم . وكُتِبَ سبيلات عدة بأمانات للذين لهم والجيل والعلمان الشراعية والعلمان المرتاجية ^(١٠) والعلمان البشارية والعلمان المفردة العجم وغيرهم ، والنقباء والروم المرتقة . وكُتِبَ عدة أمانات للزويليين والتباديين والطبائين والبرقيين والعطوفيين ، وللعرفاء الجوانية ، والجوذرية ، وللمظفرية ، ولصنهاجين ، ولعبد الشراء الحسينية ، وللميمونية ، وللفرجية ، وأمانٌ لمؤذني أبواب القصر ، وأمانات لسائر البيازة والفهادين والحجاليين ، وأمانات أخر لعدة أقوام ؛ كل ذلك بعد سؤالهم وتضرعهم ^{١١} .

وقال في جمادى الآخرة : وخرج أهل الأسواق على طبقاتهم : كل يلتبس كتب أمان يكون لهم . فكُتِبَ قوق المائة سبيل بأمانٍ لأهل الأسواق على نسخة واحدة ، وكان يقرأ جميعها في القصر أبو علي أحمد بن عبد السميع العبّاسي ، وتسلم أهل كل شوق ما كُتِبَ لهم . وهذه نسخة إخذها بعد التسلمة :

«هذا يكتب من عبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، لأهل مسجد عبد الله ^{١٢} : أنكم من الأمنين بأمانٍ الله الملك الحق المبين ، وأمان مجدنا محمد خاتم النبيين ، وأبينا علي خير الوصيين ،

(٨-٩) بولاق : وأمرائهم . (١٠) بولاق : الريحانية .

^١ نفسه ٢١ : نفسه ٥٥ : ٥٦ .

^٢ المسيحي : نصرص ضائعة ٢٠ : المقريري : اتعاط

^٣ انظر عن مسجد عبد الله فيما تقدم ١٢٥ : ٢٠ هـ .

الحنفا ٥٤ : ٥٥ .

وَأَبَائِنَا الذُّرِّيَّةَ النَّبَوِيَّةَ الْمَهْدِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى الرَّسُولِ وَوَصِيهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى النَّفْسِ وَالْحَالِ وَالذَّمِّ وَالْمَالِ: لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَمْتَدُّ يَدُ بَشَرٍ إِلَيْكُمْ، إِلَّا فِي حَدِّ يُقَامُ بِوَاجِبِهِ، وَحَقٌّ يُؤْخَذُ لِمُسْتَوْجِبِهِ. فَلْيُؤْتَقَ بِذَلِكَ، وَلْيَعُولَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكُتِبَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى خَيْرِ الْوَصِيِّينَ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِينَ ذُرِّيَّةِ النَّبَوَةِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا^١.

وقال ابنُ عبد الظَّاهر: فَأَمَّا الْحَارَاتُ الَّتِي مِنْ بَابِ الْقُتُوحِ مَيِّمَةً وَمَيْسَرَةً لِلخَارِجِ مِنْهُ. فَالْمَيِّمَةُ إِلَى الْهَلِيلِجَةِ وَالْمَيْسَرَةُ إِلَى يَوْكَةِ الْأَرْضِ^٢ بِرِشْمِ الرِّيحَانِيَّةِ - وَهِيَ الْحُسَيْنِيَّةُ الْآنَ - وَكَانَتْ بِرِشْمِ الرِّيحَانِيَّةِ الْقَرَاوِيَةِ^٣ وَالْمَوْلُودَةِ وَالْعُجْمَانِ وَعَبِيدِ الشُّرَاءِ، وَكَانَتْ ثَمَانِ حَارَاتٍ وَهِيَ: حَارَةُ حَامِدٍ، بَيْنَ الْحَارَتَيْنِ، الْمُنْشِئَةِ الْكَبِيرَةِ، [وَالْمُنْشِئَةِ الصَّغِيرَةِ]^٤، الْحَارَةُ الْكَبِيرَةُ، [حَارَةُ عَبِيدِ الشُّرَاءِ]^٥، الْحَارَةُ الْوُسْطَى، حَارَةُ الشُّوْقِ الْكَبِيرِ، الْوَزِيرِيَّةُ^٦. وَلِلْأَجْنَادِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ حَارَاتٌ، وَهِيَ: حَارَةُ الْبَيَازَةِ، وَالْحُسَيْنِيَّةِ، بِجَمِيعِ ذَلِكَ سَكَنَ الرِّيحَانِيَّةِ^٧.

وَسَكَنُ الْجَبُوشِيَّةِ وَالْعُطُوفِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ الْخَرُوسَةِ^٨ وَبِظَاهِرِهَا الْهَلَالِيَّةِ وَالشُّوْبُكِ وَخَلَبَ^٩ وَالْحَبَابِيَّةِ وَالْمَأْمُونِيَّةِ وَحَارَةُ الرُّومِ وَحَارَةُ الْمَصَامِدَةِ وَالْحَارَةُ الْكَبِيرَةُ وَالْمَنْصُورَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْيَانِسِيَّةُ وَحَارَةُ أَبِي بَكْرٍ وَالْمَقْسُ وَبَنُ ابْنِ الْبُتَّانِ^{١٠} وَالشَّارِعَ. وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَجْنَادِ فِي هَذَا الْوَجْهِ غَيْرَ حَارَةٍ غَنَّتْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُرْجَلَةَ.

(a) بولاق: الغزاوية، والروضة البهية: القزارية. (b) زيادة من ابن عبد الظاهر. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: رأس الثبان.

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٢-١٢٣.

^٤ المقرئ: مسودة الملاحظ ٣٨٥.

^٥ حاشية بخط المؤلف: «تُعرف خَلَب اليوم بِرِشْمِ خَلَبٍ»

قريباً من يَوْكَةِ الْقَيْلِ بِجَوَارِ خَوْضِ ابْنِ هَنْسٍ، وَفِيهَا يَلِي

٦٨.

^١ المسبحي: نصوص ضائعة ٤٢١ المقرئ: اتعاط

الحفا ٥٧: ٥٨.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «يَوْكَةُ الْأَرْضِ تُعْرَفُ بِبَرْكَةِ

قَرَايَا قَرِيبِ الْخَلْدَقِ»، وَانْظُرْ فِيمَا يَلِي ٤٥٣، ٥٤٩، وَتَرَكَ

المقرئ: بعدها فراغاً في مسودة الملاحظ ٣٨٦.

وكانت كل حارة من هذه بلدة كبيرة بالبرازين والعطارين والجزارين وغيرهم، والؤلاة لا يحكمون عليها، ولا يحكم فيها إلا الأرملة ونوابهم. وأعظم الجميع الحارة الحسينية التي هي آخر صف الميمنة إلى الهليلجة - وهي الحسينية الآن - لأنها كانت سكن الأرمين فارسهم وراجلهم، وكان يجتمع بها قريب من سبعة آلاف نفس وأكثر من ذلك، وبها أشواق عدة^١.

وقال في موضع آخر: الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين كانوا في الأيام الكاميلية. قدموا من الحجاز، فنزلوا خارج باب النصر بهذه الأمكنة واستوطنوها، وبنا بها مديان صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفي، فسميت بالحسينية. ثم سكنها الأجناد بعد ذلك، وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة^٢.

وهذا وهم، فإنه تقدم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية، وتقدم - فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا - أن الحسينية كانت عدة حارات، والأيام الكاميلية إنما كانت بعد الست مائة، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما يُنصف عن مائتي سنة، فتدبره.

واعلم أن الحسينية شقتان: إحداهما/ ما خرج عن باب الفتوح، وطولها من خارج باب الفتوح إلى الخندق، وهذه الشقة هي التي كانت مساكن الجند في أيام الخلفاء الفاطميين، وبها كانت الحارات المذكورة. والشقة الأخرى ما خرج عن باب النصر وامتد في الطول إلى الرندانية، وهذه الشقة لم يكن بها في أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر، وما بين المصلى إلى الرندانية فضاء لا بناء فيه، وكانت القوافل إذا برزت تُريد الحج تنزل هناك^٣.

^١ الحسينية في العصرين المملوكي والعثماني، رسالة ماجستير بآثار القاهرة ١٩٩٠. أمّا ضخراء الهليلج فضع بين الرائدانية والخندق، أي ما يعادل الآن منطقتي العباسية والدوبراش.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٢-١٢٣؛ المقرئ: مسودة المواظع ٣٨٥.

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٢؛ المقرئ: مسودة المواظع ٣٨٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٥.

^٤ المقرئ: مسودة المواظع ٣٨٣، وتوجد هنا حاشية بخط المؤلف نصها: «الرائدانية تُنسب إلى زئدان الصقلي أحد خدام الخليفة العزيز بالله، ولا أدري هذا الاسم عربيا أو عجميا، فإن كان عربيا فإنه من مائة: ري، ويقال: ريح زئدة رواه ورائدانية - أي لينة الهبوب -، وقيل: ريح زئدة كثيرة الهبوب؛ فلعلة أريد بزئدان اللين، والله أعلم».

وتدُل على موضع الحارة الحسينية المنطقة الواقعة تجاه باب الفتوح والتي يتوسطها من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع التيجومي حتى ميدان الجيش، وانظر Behrens - Abouseif, D., «The North-Eastern Extension of Cairo under the Mamluks», *An Isl.* (1981), pp. 160-65. ولأمل محمد المصري:

فلما كان بعد الخمسين وأربع مائة، وقَدِمَ أميرُ الجيوش بِدُرِّ الجَمالي، وقامَ بِتَدييرِ أمرِ دولة الخَلِيفَةِ المُعْتَصِرِ بالله^(١)، أنشأ بِبحري مُصلَّى العيد، خارج باب النُصر، ثُوبَةً عَظِيمَةً وفيها قَبْرُهُ هو وولَدُهُ الأَمَصلُ بن أمير الجيوش وأبو علي كُتَيْفات بن الأَفْضَل وغيره، وهي باقية إلى يَومِنا هذا، ثم تَتَابَعَ النَّاسُ في إنْشاء الثَّرَبِ هناك حتى كَثُرَتْ. ولم تَزَلْ هذه الشُّقَّةُ مواضِعَ للثَّرَبِ ومَقابِرِ أَهْلِ الحُسَيْنِيَّةِ والقَاهِرَةِ إلى بعد السبع مائة^١.

ولقد حَدَّثَتْ عن المُشِيخَةِ مِمَّنْ أَذَرَكَ، بأنَّ ما بين مُصلَّى الأَموات التي خارج باب النُصر وبين دار كَهْرَدَاش التي تُعْرَفُ اليوم بِدار الحَاجِب، مَكَانًا يُعْرَفُ بِالْمَرَاغَةِ مُعَدًّا لِتَقْرِيعِ الدُّوَابِ به، وأنَّ ما في صَفِّ المُصلَّى من بَحْرِها الثَّرَبِ فقط.

ولم تُعْمَرْ هذه الشُّقَّةُ إلَّا في الدَّوْلَةِ الثُّرَيَّا لاسِيَّما لما تَغَلَّبَ الشُّرُ على تَمَالِكِ المَشْرِقِ^(٢) والعِراق، وَجَفَلَ النَّاسُ إلى مصر، فَتَزَلُّوا بِهذه الشُّقَّةِ وبالشُّقَّةِ الأُخْرَى، وَعَمَّروا بِهما المَساكينَ، وَنَزَلَ بِها أيضًا أُمَرَاءُ الدَّوْلَةِ. فَصَارَتْ من أَعْظَمِ عَمَائِرِ مصر والقَاهِرَةِ، وَأَتَّخَذَ الأُمَرَاءُ بِها - من بَحْرِها فيما بين الزُّنْدَاقِيَّةِ إلى الخَنْدَقِ - مَنَاحَاتِ الجِمالِ وإِسْطَبْلَاتِ الحَيْلِ، ومن وَرَائِها الأَشْواقِ والمَساكينَ العَظِيمَةَ في الكَثَرَةِ، وَصَارَ أَهْلُها يُوصَفُونَ بِالْحُسْنِ خُصُوصًا لما قَدِمَتْ الأُتُورَانِيَّةُ^٢.

ذِكْرُ قُدُومِ الأُتُورَانِيَّةِ^٣ - وكان من خَيْرِ هذه الطَّائِفَةِ أَنَّ يَتَدَرَا بن طُرْغَاي بن هُولاكو لما قَتِلَ في ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^(٤)، وقامَ في المَلِكِ من بَعْدِهِ على المُلْكِ المَلِكُ غازان

(a) بولاق : الدولة الخليفة المتعصر بالله . (b) بولاق : الشرق . (c) النسخ : وسبع مائة .

Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 451-52

وفيما يلي ٤٦٢ .

٢ المقريري : مسودة المواظ ٣٨٦ تحت عنوان : صحراء

الهليلج .

٣ الأوبرانية . نسبة إلى لفظ أوبرات وإقال أيضا غوبرات ، وهو اسم جنس يُطلق على عبدة قبائل مغولية كانت تسكن الجزء الأعلى من نهر ينسي Yenssei بأواسط آسيا . (المقريري : السلوك ١ : ٧٠٨ هـ ٣ ؛ وانظر أيضا فيما يلي ٦٥ هـ ١) .

= وانظر فيما تقدم ٢ : ٢١٠ ، وفيما يلي ٤٦٤ ، ومقال

دوريس أبو سيف السابق Behrens - Abouseif, D., *op.cit.*, pp. 165-71 ومسودة المواظ ٣٨٣ .

١ انظر فيما يلي ٣٦٨ ، ٤٦٢ وأيضًا علي مبارك :

الخطوط التوفيقية ٢ : ٢١٤ ؛ Pauty, Ed., «Le mausolée présumé de Badr adj-Djamali», *CR du comité ex.* (1933-35), pp. 162-63; Ragib, Y., «Le mausolée de Yûnus al-Sa'dî est-il celui de Badr al-Gamâlî?», *Arabica XX* (1973), pp. 305-7; Fu'ad

محمود بن خزيمة بن إيفاني، تخوف منه جدته من المثل يعرفون بالأوتراية، وفروا عن بلاده إلى نواحي بغداد، فتركوا هناك مع كبيرهم طرغاي. وجزت لهم خطوب آلت بهم إلى اللحاق بالفرات، فأقاموا بها هنالك، وبعثوا إلى نائب حلب يستأذنه في قطع الفرات ليمبروا إلى نمالك الشام، فأذن لهم، وعدوا الفرات إلى مدينة بهشتا^١، فأكرمهم نائبها، وقام لهم بما ينبغي من العلوفاط والصيافات.

وطولع الملك العادل زين الدين كتيبا - وهو يومئذ سلطان مصر والشام - بأمرهم، فاستشار الأمراء فيما يعمل بهم، فاتفق الرأي على استدعاء أكابرهم إلى الديار المصرية، وتقريب باقيهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام. وخرج إليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري والأمير شمس الدين شتر الأعسر إلى دمشق، فجهزوا من أكابر الأوتراية نحو الثلاث مائة للقدوم على السلطان، ووقفا من بقي منهم بالبقاع العزيزة وبلاد الساحل.

ولما قرب الجماعة من القاهرة، خرج الأمراء بالعشكر إلى لقاءهم، واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ الفضاء للنظر إليهم. فكان لدخولهم يوم عظيم، صاروا إلى قلعة الجبل، فأنعم السلطان على طرغاي مقدمهم بإمرة طبلخاناه^٢، وعلى اللوص بإمرة عشرة، وأعطى البقية نقادهم في الحلقة وإقطاعات، وأجرى عليهم الرواتب، وأنزلوا بالمستبينة. وكانوا على غير الملة الإسلامية، فسق ذلك على الناس، وبلوا منهم^٣ مع ذلك بأنواع من البلاء لشوء أخلاقهم، وكفر^٤ نفوسهم، وشدة جبروتهم.

وكان إذ ذاك بالقاهرة ومصر غلاء كبير وفناء عظيم، فتضاعفت المصروف، واشتد الأمر على الناس^٥، وقال في ذلك الأديب شمس الدين محمد بن ذانيال:

(a) بولاق : بهنسا . (b) بولاق : طبلخانة . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : نفرة .

المصورى: زيادة الفكرة ١٣٠٩، النويرى: نهاية الأرب ٣١: ٢٩٣-٢٩٤، ابن أيلك: كنز الدرر ٨: ٣٦٣-٣٦٥، ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٨٤، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ٢٠٨-٢١٠، المقرئى: السلوك ١: ٨١٢-٨١٣، أبا النحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٦٠، ١٧٩: ابن لياس: بدائع الزهور ١/١: ٣٨٩-٣٩١.

^١ بهشتا. قلعة حصينة بقرب ترغش وسميساط من أعمال حلب (باقوت: معجم البلدان ١: ٥١٦)، تعرف الآن باسم بسني Besni في شرق تركيا (Cahen, Cl., *El² art.*), *Besni I*, pp. 1225-26; Éddé, A. M., *La principauté ayyoubide d'Alep (579/1183-658/1260)*, Stuttgart 1999, pp. 49-50, 695.

^٢ راجع عن غلاء سنة ١٢٩٥هـ/١٢٩٥م، بريس

[الخفيف]

وَبِمَا أَكْثِيفَ عَنَّا الْعَذَابَ فَإِنَّا قَدْ تَلَفْنَا فِي الدَّوْلَةِ الْمُغْلِبَةِ
جَاءَنَا الْمَلُّ وَالْقَلَا فَانْصَلَقْنَا وَانْطَبَخْنَا فِي الدَّوْلَةِ الْمُغْلِبَةِ

ولَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، لَمْ يَصُحَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَوْثَرِيَّةِ. وَقِيلَ لِلشُّلْطَانِ ذَلِكَ، فَأَتَى أَنْ يُكْرِهَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْعَ مِنْ مُعَارَضَتِهِمْ، وَنَهَى أَنْ يُشَوِّشَ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ، وَأَظْهَرَ الْعَنَاءَ بِهِمْ. وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ عَوْنًا يَتَّقَوْنَ بِهِمْ، فَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ حَتَّى أَثَرُ فِي قُلُوبِ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ مِنْهُ إِحْسَانًا، وَخَشَوُا لِمَقَاعِهِ بِهِمْ.

فَإِنَّ الْأَوْثَرِيَّةَ كَانُوا أَهْلَ جَنْسٍ كَثِيفًا، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ صُورًا جَمِيلَةً، فَاقْتَنَى بِهِمُ الْأُمَرَاءُ، وَتَنَاقَشُوا فِي أَوْلَادِهِمْ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَأَخَذُوا^(أ) مِنْهُمْ عِدَّةً صَبِيْرِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ مُجْنَدِهِمْ وَتَعَشَّقُوهُمْ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَسْتَفْسِدُ^(ب) مِنْ صَاحِبِهِ مِنْ اخْتِصَرَّ بِهِ وَجَعَلَهُ مَحَلَّ شَهْوَتِهِ.

ثُمَّ مَا قَتَعَ الْأُمَرَاءُ مَا كَانَ بِمَصْرَ مِنْهُمْ حَتَّى أَوْسَلُوا إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَاسْتَدْعَوْا مِنْهُمْ طَائِفَةً كَبِيرَةً. فَتَكَاثَرَ تَسْلُهُمْ فِي الْقَاهِرَةِ، وَاسْتَدَّتْ الرُّغْبَةُ مِنَ الْكَافَّةِ فِي أَوْلَادِهِمْ، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَرْءَاءِ فِي الْإِنَاثِ وَالذُّكْرَانِ^(ج)، فَوَقَعَ/ التَّحَاشُدُ وَالتَّشَاجُّرُ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، إِلَى أَنْ آلَ الْأُمُرُ بِسَبَبِهِمْ، وَبِأَسْبَابٍ أُخَرَ، إِلَى خَلْعِ الشُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَثِيفًا مِنَ الْمَلِكِ فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

فَلَمَّا قَامَ فِي السُّلْطَنَةِ مِنْ بَعْدِهِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ خُصَامُ الدِّينِ لَاجِنَ، قَبِضَ عَلَى طُرْغَايَ مُقَدِّمِ الْأَوْثَرِيَّةِ وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَكَابِرِهِمْ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَسَجَنَتْهُمْ بِهَا وَقَتَلَهُمْ، وَفَرَّقَ جَمِيعَ الْأَوْثَرِيَّةِ عَلَى الْأُمَرَاءِ، فَاسْتَخْدَمُوهُمْ وَجَعَلُوهُمْ مِنْ مُجْنَدِهِمْ، فَصَارَ أَهْلُ الْحُشَيْبَةِ لَذَلِكَ يُوصَفُونَ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ الْبَارِعِ. وَأَذَرْنَا مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا جَيِّدًا، وَكَانَ لِلنَّاسِ فِي نِكَاحِ نِسَائِهِمْ رَغْبَةً، وَلَاخِرِينَ شَغَفَ بِأَوْلَادِهِمْ^١.

وَلِلَّهِ دَرُّ الشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ الشُّرُوجِي إِذْ يَقُولُ مِنْ أَثْيَابٍ :

(أ) بولاق : وانخذوا. (ب) بولاق : يستفشد. (ج) بولاق : الذكور.

^١ راجع خبر الأوثريّة عند، المقرئ: المسودة ٣٨٦-
٣٨٨ وقارن مع مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٣٨-٣٩
٣٨٦٢ ابن حبيب : تذكرة النبوة ١ : ١١٨٥ ابن الفرات : تاريخ
٢٠٣ : ٢٠٥ - ٢٠٥ : المقرئ : السلوك ١ : ٨١٢ - ٨١٣ -
١ راجع خبر الأوثريّة عند، المقرئ: المسودة ٣٨٦-
٣٨٨ وقارن مع مجهول : تاريخ سلاطين المماليك ٣٨-٣٩
٣٨٦٢ ابن حبيب : تذكرة النبوة ١ : ١١٨٥ ابن الفرات : تاريخ
٢٠٣ : ٢٠٥ - ٢٠٥ : المقرئ : السلوك ١ : ٨١٢ - ٨١٣ -

[السرير]

باساعي الشوق الذي مَذَّجَرِي جَرَّتْ دُمُوعِي فِيهِ أَغْوَانُهُ
تُحَذِّ لِي جَوَابًا عَنْ كِتَابِي الَّذِي إِلَى الْحُسَيْنِيَّةِ عُثُورُهُ
فَهِ كَمَا قَدْ قِيلَ وَادِي الْحَقِّي وَأَهْلُهَا فِي الْحُسْنِ غِزْلَانُهُ
أَمْسِ قَلِيلًا وَانْعَظْ بِمَشْرَةِ يَلْقَاكَ دَرْبٌ طَالَ بُشْيَانُهُ
وَأَقْصِدْ بِصُدْرِ الدَّرْبِ ذَاكَ الَّذِي بِحُسْنِهِ تَحْسُنُ جِوَارُهُ
سَلِّمْ وَقُلْ يَخْشَى مِنْ أَيِّ مَنْ أَقْشَرُ حَدِيثًا طَالَ كِثْمَانُهُ
وَسَلِّ لِي الْوُضْلَ فَإِنْ قَالَ بَقَى فَقُلْ أَوْتُ قَدْ طَالَ هِجْرَانُهُ

وما ترحوا يوصفون بالزراعة والشجاعة، وكان يقال لهم البدورة: فيقال البذر فلان، والبذر فلان، ويعانون لباس الفتوة وحمل السلاح، ويؤثر عنهم حكايات كثيرة وأخبار جملة.

وكانت الحسينية قد أُرِبت في عمارتها على سائر أخطاط مصر والقاهرة، حتى لقد قال لي ثقة ممن أدركت من المشيخة: إنه يعرف الحسينية عامرة بالأسواق والدور، وسائر شوارعها كاطة بازديح الناس من الباعة والمارة وأرباب المعاش، وأصحاب اللهو والملاعب. فيما بين الرندانية - محطة المحمل يوم خروج الحاج من القاهرة - وإلى باب الفتوح، لا يستطيع الإنسان أن يمر في هذا الشارع الطويل العريض، طول هذه المسافة الكبيرة، إلا بمشقة من الزحام، كما كنا نعرف شارع بين القصرين فيما أذكرنا.

وما زال أثر الحسينية متماسكًا إلى أن كانت الحوادث والحج منذ سنة ست وثمان مائة وما بعدها، فخرت حاراتها، وتقصت مبانيها، وبيع ما فيها من الأخشاب وغيرها، وباد أهلها^٢. ثم حدث بها، بعد سنة عشرين وثمان مائة، آفة^٣ من آيات الله تعالى؛ وذلك أن في أعوام بضع وتسعين^٤، وسبع مائة، بدأ بناحية مزج^٥ الزيات - فيما بين المطرية وبيرواقوس - فساد الأرضة التي من شأنها العبث في الكُثْب والثياب، فأكلت لشخص نحو ألف وخمسة مائة قطة دريس.

(a) بولاق: آية. (b) بولاق: ستين. (c) بولاق: برج.

Raymond, A. & Wiet, G., Les *Marchés du Caire*, p. 222. الفرنسية في كتابيهما

^٢ المقريري: مسودة المواعظ ٣٨٦-٣٨٨.

العربي: عقد الجمان - عصر سلاطين المماليك ٣٠٤:٣-٣٠٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦٠:٨. وانظر أيضًا تعليق

نوريس Norris, H.T., BSOAS LX (1997), pp. 356-57.

^١ ابتداءً من هنا وحتى صفحة ٦٨ نقله ريمون وفيهت إلى

فَكُنَّا لَا نَزَالُ نَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ فَتَشْتَ هُنَاكَ ، وَشَنَعَ عَيْبُهَا فِي شُقُوفِ الدُّورِ ، وَسَرَتْ حَتَّى عَائَتْ فِي أَحْشَابِ شُقُوفِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَغَلَّتْ أَهْلُهَا وَسَائِرِ أُمْتِعَتِهِمْ ، حَتَّى أَثَلَقَتْ شَيْقًا كَثِيرًا ، وَقَوِيَتْ حَتَّى صَارَتْ تَأْكُلُ الْجُدْرَانَ . فَبَادَرَ أَهْلُ تِلْكَ الْجِهَةِ إِلَى هَذِمِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّورِ خَوْفًا عَلَيْهَا مِنَ الْأَرْضَةِ ، شَيْقًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى قَارَبُوا بَابَ الْفَتْوحِ وَبَابَ النَّصْرِ^١ .

وقد بقي منها اليوم قليلٌ من كثير يُخَافُ إِنْ اسْتَمَرَّتْ أَحْوَالُ الْإِقْلِيمِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ أَنْ تُذْثِرَ وَتُمَحِّيَ آثَارُهَا ، كَمَا ذُتِرَ سِوَاهَا ، وَلِلَّهِ ذُرُّ الْقَائِلِ :

[البيسط]

والله إن لم يُدارِكها وقد وَجَلَتْ^٢ بَلَعَحَ أَوْ بَلَطَطَ مِنْ لَدِيهِ خَفِيٍّ
ولم يَجِدْ بَثْلَافِهَا عَلَى عَجَلٍ مَا أَمْرُهَا صَائِرٌ إِلَّا إِلَى تَلَفٍ

حَاذِرَةُ حَلَبَ

هذه الحَاذِرَةُ خَارِجُ بَابِ زَوَيْلَةَ ، تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِزُقَاقِ حَلَبَ ، وَكَانَتْ قَدِيمًا مِنْ جَمَلَةِ مَسَاكِنِ الْأَجْنَادِ^٣ .

قال يَاقُوتٌ فِي بَابِ «حَلَبَ» : الْأَوَّلُ حَلَبُ الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ بِالنِّشَامِ ، وَهِيَ قَصَبَةُ نَوَاحِي قُسْرَيْنَ وَالْعَوَاصِمِ الْيَوْمَ . الثَّانِي حَلَبُ الشَّاجُورِ^٤ مِنْ نَوَاحِي حَلَبَ أَيْضًا . الثَّلَاثُ كَفَرُ حَلَبَ مِنْ قُرَاهَا أَيْضًا . الرَّابِعُ مَحَلَّةُ بَظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ بِالشَّارِعِ مِنْ جِهَةِ الْقُسْطَاطِ^٥ .

(a) بولاق : رحلت . (b) بولاق : الساجود .

^١ نهاية ما نقله ريمون وفييت .
الواقعة بين شارع السوفية وشارع اللباس المحاجب .

^٢ كانت تقع شرقي بركة الفيل بين دَرْبِ ابْنِ الْبَابَا جَنُوبًا
^٣ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٢٩٠ .

^٤ وخوض بن هتس شمالاً . وبدل على موقعها الآن المنطقة

ذَكَرَ أَخْطَاطُ الْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرَهَا^١

قد تقدّم ذكر ما يُطلَق عليه حازة من الأخطاط . ويُريد أن تُذكر من الحِطَّط ما لا يُطلَق عليه اسم حازة ولا دَرْب ، وهي كثيرة ، وكلُّ قليلٍ تَتَغَيَّرُ أَشْهُامُهَا ، ولا بد من إيراد ما تَبَيَّنَ منها .

حُطَّ حَانَ الْوَرَاة

- هذا الحُطَّ فيما بين حازة بَهَاء الدِّين وشَرِيقَةِ أمير الجيوش ، وفي شرقيه شوق المُرَحِّلِينَ ، وهو يشتمل على عِدَّة مَسَاكِين وبه طاحون ، وكان موضعه قَدِيمًا لِنَسْطِلُ الصُّبَّيَّانِ الحُجُجِيَّةَ لِمَوْقِفِ خُيُولِهِمْ كما تقدّم . فلَمَّا زَالَتِ الدُّوَلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ اخْتُطَّ مَوَاضِعٌ لِلشُّكْنَى ، وقد سَمَّيَهُ الْخَرَابُ^٢ .

١/ حُطَّ بَاب الْقَنْطَرَة

- هذا الحُطَّ كان يُعْرَف قَدِيمًا بِحازة المُرَاحِيَةِ وحازة الفَرَحِيَةِ والرُّمَّاحِينَ . وكان ما بين باب^٣ الرُّمَّاحِينَ - الذي يُعْرَف اليوم بِيَاب الْقَوْسِ داخل باب الْقَنْطَرَة - وبين الْخَلِيجِ قَصَاءً لَا عِمَارَةَ فِيهِ بطول ما بين باب الرُّمَّاحِينَ إِلَى باب الْخَوْخَةِ وَإِلَى باب سَعَادَةِ وَإِلَى باب الْفَرَجِ . ولم يكن إِذْ ذَاكَ عَلَى حَافَةِ الْخَلِيجِ عَمَائِرُ أَلْبَنَةٍ ، وَإِنَّمَا الْعَمَائِرُ مِنْ جَانِبِ الْكَافُورِيِّ - وَهِيَ مَنَاطِرُ اللَّوْلُؤَةِ وَمَا جَاوَزَهَا مِنْ قِبَلِهَا إِلَى باب الْفَرَجِ ، وَتَخْرُجُ الْعَامَّةُ غَضْرِيَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ الشَّرْقِيِّ تَحْتَ الْمَنَاطِرِ لِلتَّفَرُّجِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ كَانَ قَصَاءً مَا بَيْنَ بَسَاتِينَ وَبِرَكٍ ، كما سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١٥

قال القاضي الفاضل في «مُتَجَدِّدَاتِ» سنة سبع وثمانين وخمسمائة : في شَوَالٍ قَطَعَ النَّيْلُ الْحُشُورَ ، وَاقْتَلَعَ الشَّجَرَ ، وَغَرَّقَ النَّوَاحِي ، وَهَدَمَ الْمَسَاكِينَ ، وَأَتَلَفَ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ . وَكَثُرَ الرِّخَاءُ بِمَصْرَ : فَالْقَمَحُ كُلُّ مِائَةِ أَرْدَبٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا ، وَالْحَبُّزُ الْهَابِتُ سِتَّةَ أَرْطَالٍ بِرُبْعٍ دِرْهَمٍ ،

(a) ساقطة من بولاق .

^٢ فيما تقدم ٢ : ٥١٠ .

^١ من هنا تبدأ نسخة قُطْبِ الدِّينِ الْقَسْطَلَانِيِّ المحفوظة في

وَالرُّطْبُ الْأَمْهَاتُ سِتَّةُ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ ، وَالْمَوْزُ سِتَّةُ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ ، وَالزَّمَانُ الْجَيِّدُ مِائَةُ حَبَّةٍ بِيْزْهِمْ ، وَالْحَمْلُ الْخِيَارُ بِيْزْهِمَيْنِ ، وَالتِّيْنُ ثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ ، وَالْعِنَبُ سِتَّةُ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ فِي شَهْرِ بَابَةِ بَعْدِ انْقِصَاءِ مُؤَسِّمِهِ الْمُفْهُودِ بِشَهْرَيْنِ ، وَالْيَاسْمِينُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ ^١ . وَآلُ أُمْرِ أَصْحَابِ الْبَيْسَاتَيْنِ إِلَى أَنْ لَا يَجْتَمِعُوا الزُّهْرُ لِنَقْصِ ثَمَنِهِ عَنْ أَجْرَةِ جَمْعِهِ ، وَتَمُرُّ الْحَيَاءُ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ ، وَالبُسْرُ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ بِيْزْهِمْ مِنْ جَيِّدِهِ ، وَالْمُتَوَسِّطُ خَمْسَةُ عَشَرَ رَطْلًا بِيْزْهِمْ . وَمَا فِي مِصْرٍ إِلَّا مُتَسَخِّطٌ بِهَذِهِ النُّعْمَةِ ^٢ .

قَالَ : وَلَقَدْ كُنْتُ فِي خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ مِنْ جِهَةِ الْمَقْسِ لِانْقِطَاعِ الطُّرُقِ بِالْمِيَاهِ ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ تَمْلُؤًا سَمَكًا وَالزَّيَادَةَ قَدْ طَبَقَتْ الدُّنْيَا ، وَالتَّخْلُ تَمْلُؤًا تَمْرًا ، وَالْمَكْشُوفُ مِنَ الْأَرْضِ تَمْلُؤًا رِيْحَانًا وَيُقُولًا . ثُمَّ نَزَلْتُ فَوَصَلْتُ إِلَى الْمَقْسِ ، فَوَجَدْتُ مِنَ الْقَلْعَةِ الَّتِي بِالْمَقْسِ إِلَى مِثْنَةِ السَّيْرِجِ غِلَالًا قَدْ مَلَأَتْ صُبُرَهَا الْأَرْضُ ، فَلَا يَدْرِي الْمَاشِي أَيْنَ يَضَعُ رِجْلَهُ مَتَّصِلًا عَرَضُ ذَلِكَ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ ، وَعَلَى الْخَلِيجِ عِنْدَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ مِنْ مَرَائِبِ الْعَلَّةِ مَا قَدْ سَتَرَ سَوَاجِلَهُ وَأَرْضَهُ .

قَالَ : وَدَخَلْتُ الْبَلَدَ فَرَأَيْتُ فِي الشُّوقِ مِنَ الْأَخْجَازِ وَاللُّحُومِ وَالْأَلْبَانِ وَالْفَوَاحِيهِ مَا قَدْ مَلَأَهَا ، وَهَجَمَتْ مِنْهُ الْعَيْنُ عَلَى مَنْظَرٍ مَا رَأَيْتُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ .

قَالَ : وَفِي الْبَلَدِ مِنَ الْبَغْيِ وَمِنِ الْمَعَاصِي وَمِنِ الْجَهْرِ بِهَا ، وَمِنِ الْفَاسِقِينَ ^٣ بِالزُّنَا وَاللُّوَاطِ ، وَمِنِ شَهَادَاتِ ^٤ الزُّورِ ، وَمِنِ مَظَالِمِ الْأَمْزَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ، وَمِنِ اسْتِحْلَالِ الْفِطْرِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ وَشُرْبِ الْخَمْرِ فِي لَيْلِهِ يَمُنُّ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ عَدَمِ التَّكْبِيرِ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعِهِ مَا لَمْ يُشْتَمَعْ وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلَهُ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَظَفِرَ بِجَمَاعَةٍ مُجْتَمِعِينَ فِي حَازَةِ الزُّومِ يَتَغَدَّوْنَ فِي قَاعَةٍ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَمَا كَلَّمُوا ، وَبَقُومٍ مُسْلِمِينَ وَنَصَارَى اجْتَمَعُوا عَلَى شُرْبِ خَمْرِ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ فَمَا أُقِيمَ فِيهِمْ حَدٌّ .

وَحُطُّ بَابِ الْقَنْطَرَةِ فِيمَا بَيْنَ حَازَةِ نَهَاءِ الدِّينِ وَسُوقَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَيَنْتَهِي مِنْ قِبَلِهِ إِلَى حُطِّ بَيْنِ السُّورَيْنِ ^٥ .

(أ) بولاق : الفسق . (ب) بولاق : شهادة .

^١ المقرئ : السلوك ١ : ١٠٨ .

^٢ يُدُلُّ عَلَى مَوْقِعِهِ الْآنَ الْمَنْطَقَةُ الَّتِي تُحَدُّ شَمَالًا بِشَارِعِ بَيْنِ الشَّجَارِجِ ، وَغَرْبًا بِشَارِعِ الْحَيْشِ وَمِيدَانِ =

^٣ نفسه ١ : ١٠٨ .

خُطُّ بَيْنَ السُّورَيْنِ

هذا الخُطُّ من حَدِّ باب الكافُوري في القَرْبِ إلى باب سَعَادَة، وبه الآن صَفَّان من الأُملاك: أَحَدُهُما مُشْرِفٌ على الخَلِيج، والآخَرُ مُشْرِفٌ على الشَّارِعِ المسلوك فيه من باب القَنْطَرَة إلى باب سَعَادَة. ويُقال لهذا الشَّارِعِ «بَيْنَ السُّورَيْنِ»: تَسْمِيَةً سَمَّتهُ العائِمَةُ بها^(a)، فاشْتَهَرَ بِذلك^١.

وكان في القَدِيم بهذا الخُطُّ البَيْتَانُ الكافُوري، مُشْرِفٌ^(b) عليه بِحَدِّه الغربي، ثُمَّ^(c) مَنَاطِرُ اللُّؤْلُؤَة، وقد بَقِيَتْ مِنْهَا عَقُودٌ مَبْنِيَّةٌ بِالْأَجْرِ يَمُرُّ السَّالِكُ فِي هَذَا الشَّارِعِ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ مَنَاطِرُ دَارِ الذَّهَبِ، وَمَوْضِعُهَا الْآنَ دَارٌ تُعْرَفُ بِدَارِ بَهَاذِرِ الْأَعْسَرِ، وَعَلَى بَابِهَا بَيْتٌ يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا الْمَاءُ فِي حَوْضٍ يَشْرَبُ مِنْهُ الدُّوَابُّ، وَيُجَاوِرُهَا قَبْوٌ مَعْقُودٌ يُعْرَفُ بِقَبْوِ الذَّهَبِ هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ مَنَاطِرِ دَارِ الذَّهَبِ^٢.

وبِحِذَاءِ^(d) دَارِ الذَّهَبِ مَنَظَرَةُ غَزَالَةٍ، وَهِيَ بِجَوَارِ قَنْطَرَةِ الْمُوسِكِيِّ، وَقَدْ بُنِيَ فِي مَكَانِهَا رَنْجٌ يُعْرَفُ إِلَى الْيَوْمِ بِرَنْجِ غَزَالَةٍ؛ وَدَارُ ابْنِ قِرْقَةٍ - وَقَدْ صَارَ مَوْضِعُهَا جَامِعُ ابْنِ الْمُغْرَبِيِّ - وَحَمَّامُ ابْنِ قِرْقَةٍ، وَبَقِيَ مِنْهَا الْبُيُوتُ الَّتِي يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا إِلَى الْيَوْمِ بِحَمَّامِ السُّلْطَانِ، وَجِدَّةٌ دُورُ كُلِّهَا فِيمَا يَلِي شُقَّةَ الْقَاهِرَةِ مِنْ صَفِّ بَابِ الْخُورْجَةِ^٣.

وَكَانَ مَا بَيْنَ الْمَنَاطِرِ وَالْخَلِيجِ بَرَاخًا، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعِمَائِرِ الَّتِي بِحَاقَةِ الْخَلِيجِ الْيَوْمِ أَلْبَنَةً. وَكَانَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، مَنَعَ مِنَ الزُّكُوبِ فِي الْمَرَائِكِبِ بِالْخَلِيجِ، وَسَدَّ أَبْوَابَ الْقَاهِرَةِ الَّتِي تَلِي الْخَلِيجَ، وَأَبْوَابَ الدُّوَرِ الَّتِي هُنَاكَ وَالطَّاقَاتِ الْمُطْلَعَةَ عَلَيْهِ، عَلَى مَا حَكَاهُ الْمُتَنَبِّحِيُّ^٤.

(a) بولاق: تسميه العامة بها. (b) بولاق: يشرف. (c) بولاق: ثمة. (d) بولاق: ويحد. (e) بولاق: شهادة.

^١ باب الشعبة، وجنوبًا شارع الحرفش. ^٢ فيما تقدم ٥٣٣:٢ وفيما يلي ٢٠٤، ٢٦٦.

^٣ فيما يلي ١٣٦٤ وانظر المقرئ: السلوك ٤: ٣٩٤، ^٤ المسيحي: نصوص ضائعة ١٢٩ للمقرئ: اتعاط الحنفيا ٢: ٨٥ وفيما يلي ٤٧٥-٤٧٦.

.Fu'ād Sāyyid, A., op.cit., p. 394. ١٤٢٣

^٥ فيما يلي ٢٤٦.

وقال ابن المأمون في حوادث سنة ست عشرة وخمس مائة : ولما وَقَعَ الاهتمام بسكن اللؤلؤة ، والمقام بها مُدَّة الثَّيْل على الحُكْم الأول - يعني قبل أيام أمير الجيوش بَدر وابنه الأفضَل - وإزالة ما لم تكن العادة جارية عليه من مُضايقة اللؤلؤة بالبناء ، وأنها صارت حارات تُعرف بالفَرَجية والسودان وغيرهما ، أمر مُحسَّام الملك - مُتَوَلِّي بابه - بإحضار عُرقاء الفَرَجية والإنكار عليهم في تجاسيرهم على ما استجدَّوه وأقدَّموا عليه . فاعتذروا بكثرة الرجال وضيق الأمانة عليهم ، فبتوا لهم قياتا يسيرة . فتقدم - يعني أمر الوزير المأمون - إلى مُتَوَلِّي الباب بالإئعام عليهم ، وعلى جميع من بَني في هذه الحارة بثلاثة آلاف درهم ، وأن يُقسَم بينهم بالسوية ويأمرهم بنقل قسَّتهم^٥ ، وأن يبتوا لهم حارة قُبالة بُشتان الوزير^١ - يعني / ابن المغربي - خارج الباب الجديد من الشَّارع خارج باب زويلة .

١٠ قَالَ : وَتَحَوَّلَ الخليفةُ إلى اللؤلؤة بحاشيته ، وأطلقت التَّوسِعة في كُلِّ يومٍ لما يُخَصَّ الخاص والجهات والأستاذين من جميع الأصناف ، وانضاف إليها ما يُطْلَق كُلُّ ليلة عَيْتًا وورِقًا وأطعمةً للبايئين بالنوطة - يرسم الحرس بالنهار والشَّهر في طول اللَّيْل ، من باب قنطرة بهادر إلى مسجد اللَّيْمونة من البرئين - من صبيان الخاص والركاب والرهجية^٢ والسودان والحُجَّاب كُلُّ طائفةٍ بتقيها . والعرض من مُتَوَلِّي الباب واقِع بالعمدة في طرفي كُلِّ ليلة ، ولا يُمكن بعضهم بعضًا من المنام . والرهجية تخدم على الدَّوام^٣ .

خُطَّة الكافوري

هذا الخط كان بُشتانًا من قَبْل بناء القاهرة وتملك الدولة الفاطمية لدهار مصر ، أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طُغج بن جَفَّ الملقَّب بالإخشيد ، وكان بجانيه مَيْدانٌ فيه الخَيْبُول ، وله أبواب من حَدِيد . فلما قَدِمَ جَوْهَرُ القَائِد إلى مصر ، جعلَ هذا البُشتان من داخل القاهرة ،

(a) بولاق : قسمهم .

^٢ انظر عن الرهجة فيما تقدم ٢ : ٣٠٤ .

^٣ ابن المأمون : أخبار مصر ٥٧ ، وقرن المقرري : اعماظ

الحنفا ٣ : ٨١ .

^١ حاشية بخط المؤلف : « هذه الحارة التي استجدت قُبالة

بُشتان الوزير الذي من جملة موضعه البندقدارية وما لي صفها

إلى الصليبية هي من جملة المتصورة » .

وَعُرِفَ بُيُوتَانِ كَافُورٍ، وَقِيلَ لَهُ فِي الدُّوَلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ «البُيُوتَانُ الْكَافُورِي»، ثُمَّ اخْتِطُ مَسَاكِينُ بَعْدَ ذَلِكَ.

- قال ابنُ زُولاقي في كتاب «سيرة الإخشيد»: وَلَسْتُ خَلَوْنُ مِنْ سُؤَالِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، سَارَ الْإِخْشِيدُ إِلَى الشَّامِ فِي عَسَاكِرِهِ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ أَبَا الْمُظْفَرَ بْنَ طُغْجٍ^١. قَالَ: وَكَانَ يَكْرِهُ سَفَلَ الدِّمَاءِ، وَلَقَدْ سَرَعَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ فِي آخِرِ سَفَرَاتِهِ وَسَارَ الْعَشْكَرَ - وَكَانَ نَازِلًا فِي بُيُوتَانِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ الْيَوْمَ - فَرَكِبَ لِلْمَسِيرِ. فَسَاعَةً خَرَجَ مِنْ بَابِ الْبُيُوتَانِ اعْتَرَضَهُ شَيْخٌ يُعْرَفُ بِمَسْمُودِ الصَّابُونِيِّ يُتَقَلَّمُ إِلَيْهِ، فَتَنَظَّرَ لَهُ فَقَطَّرَ بِهِ وَقَالَ: خُذْوه إِبْطَاحُوه، فَبَطِخَ، وَضَرَبَ خَمْسَ عَشْرَةَ مِثْقَالَةً وَهُوَ سَاكِتٌ، فَقَالَ الْإِخْشِيدُ: هُوَ ذَا يَنْشَاطِرًا فَقَالَ لَهُ كَافُورٌ: قَدْ مَاتَ؛ فَانْزَعَجَ وَاسْتَقَلَّ^٢ سَفَرَتَهُ وَعَادَ لِبُيُوتَانِهِ، وَأَخْضَرَ أَهْلَ الرُّجُلِ وَاسْتَحْلَمَهُمْ، وَأَطْلَقَ لَهُمْ ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ، وَحَمَلَ الرُّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ مَيِّتًا، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ عَظِيمَةً^٣. وَسَافَرَ الْإِخْشِيدُ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مِصْرَ، وَمَاتَ بِبَيْتِشَقٍ.

- وَقَالَ فِي كِتَابِ «تَيْمَّةُ كِتَابِ أَمْرَاءِ مِصْرَ لِلْكِنْدِيِّ»: وَكَانَ كَافُورُ الْإِخْشِيدِيِّ أَمِيرُ مِصْرَ يُوَاصِلُ الْوُكُوبَ إِلَى الْمِيدَانِ وَإِلَى بُيُوتَانِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الثَّلَاثَةِ.
- قَالَ: وَفِي عِيدِ هَذَا الْيَوْمِ - يَعْنِي يَوْمَ الثَّلَاثَةِ - لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، يَوْمَ مَوْتِ الْأَسَازِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ، خَرَجَ الْعِلْمَانُ وَالْحُنْتُ إِلَى الْمَنْظَرِ^٤، وَخَرَّبُوا بُيُوتَانِ كَافُورٍ، وَنَهَبُوا دَوَائِهِ، وَطَلَبُوا مَالَ الْبَيْعَةِ.

- وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الْبُيُوتَانُ الْكَافُورِي هُوَ هُوَ الَّذِي كَانَ بُيُوتَانًا لِكَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَنْتَزِعُ بِهِ، وَبُنِيَتْ الْقَاهِرَةُ عِنْدَهُ، وَلَمْ يَزَلْ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَاخْتَلَعَتْهُ الْبَحْرِيَّةُ وَالْعَزِيمَةُ إِسْطِغْلَاتٍ، وَأُزِيلَتْ أَشْجَارُهُ. قَالَ: وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ خَرَابَتَهُ كَانَ بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ كَانَ عُرِفَ بِالْحَشِيْمَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُهَا الْفُقَرَاءُ^٥ (وَالَّتِي تَطْلُعُ بِهِ^٦) يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحُسْنِ.

(a) بولاق: استقال. (b) بولاق: المنظرة. (c-c) جاء عند ابن عبد الظاهر عوضًا عن هذه العبارة: والسفلة وكانت تزود به ولا ينكر ذلك أحد.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد بن محمد الأسدي الدمشقي المعروف باليعموري^١: أنشدني الإمام العالم، المعروف بجموع الفضائل، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي^٢ لنفسه، وهو أول من عمل فيها:

[الطويل]

وَحَضْرَاءُ كَافُورِيَّةَ بَاتَ فِعْلُهَا بِأَلْبَابِنَا فِعْلَ الرَّحِيقِ الْمُعْتَقِ
إِذَا نَفَخْنَا مِنْ سَدَّهَا بِنَفْحَةٍ تَدِبُ لَنَا فِي كُلِّ غَضُو وَمَنْطِقِ
غَنِيَتْ بِهَا عَنْ شَرْبِ حَشْرٍ مُعْتَقِ وَبِالدُّلَى عَنْ لَبَسِ الْجَدِيدِ الْمَزُوقِ

وَأَنشَدَنِي الْحَافِظُ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو الْعِزِّ^(a) بِنَ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الصَّائِغِ الْمَعْرُومِي
لِنَفْسِهِ:

[الرملي]

عَاطِنِي خَضْرَاءُ كَافُورِيَّةَ تَكْتُبُ الْخَمْرَ لَهَا مِنْ جَنْدِهَا
أَشْكُرُنَا فَوْقَ مَا تُشْكِرُنَا وَرَبِّحْنَا أَنْفُسًا مِنْ حَدِّهَا
وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ:

[الكامل]

قُمَ عَاطِنِي خَضْرَاءُ كَافُورِيَّةَ قَامَتْ مَقَامَ سِلَاقَةِ الصَّبْغَاءِ
يَقْدُو الْفَقِيرُ إِذَا تَنَاولَ دِزْهَمًا مِنْهَا لَهُ تَبِيَّةٌ عَلَى الْأُمَرَاءِ
وَوَرَاهُ مِنْ أَقْوَى الْوَزَى فَإِذَا تَحَلَّى مِنْهَا عَذَنَاهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ

وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ أَيْضًا:

[السرعي]

عَاطِيَتْ مِنْ أَهْوَى وَقَدْ زَلَزَنِي كَالْبَذْرِ وَأَقَى لَيْلَةَ الْبَذْرِ
وَالْبَحْرُ قَدْ مَدَّ عَلَى مَثْنِيهِ شُعَاعَهُ جَسَرُوا مِنَ الثُّبْرِ
خَضْرَاءُ كَافُورِيَّةَ زَنَحَتْ أَعْطَاهُ مِنْ شِدَّةِ الشُّكْرِ
يَفْعَلُ مِنْهَا دِزْهَمَ فَوْقَ مَا تَفْعَلُ أَوْطَالَ مِنَ الْخَمْرِ
فَرَاخَ نَشْوَانًا بِهَا غَانِلًا لَا يَعْرِفُ الْخَلْوَ مِنَ الْمُرِّ

(a) بولاق: المعز.

قَالَ وقد نَالَ بها أَمْرَهُ فَبَاتَ مَرْدُودًا إِلَى أَمْرِي
قَتَلْتَنِي قُلْتُ نَعَمْ سَيِّدِي قَتَلْتَنِي بِالسُّكْرِ وَبِالْبَحْرِ

قال شاعرهم نُورُ الدِّين أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْيَتْبَعِي لِنَفْسِهِ :

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعْتَهُ وَتَدِيمِي شَاهِدِي وَهُوَ مُشْبِعِي وَسَمِيرِي
مَجْلِسِي مَسْجِدٌ وَشُرْبِي مِنْ خَضْ رَاءِ تَزْهِوٍ بِمُحْسِنٍ لَوْ لَيْتَ نَصِيرِي
قَالَ لِي صَاحِبِي وَقَدْ قَاعَ مِنْهَا نَشْرُهَا مُزْرِيًا بِنَشْرِ الْعَبِيرِ :
أَمِنْ الْمَيْثُكُ ؟ قُلْتُ لَيْسَتْ مِنَ الْمَيْثُ لِكِ ، وَلَكِنَّهَا مِنَ الْكَافُورِي^١

قَالَ : وَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ - يَعْنِي نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ - الْأَمِيرَ جَمَالَ الدِّينِ أَبَا الْقَتَّحِ مُوسَى بْنِ يَغْمُورَ ، أَنْ يَتَخَعَ مِنْ يَزْرَعٍ فِي الْكَافُورِي مِنَ الْحَشِيشَةِ شَيْئًا . فَدَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَرَأَى فِيهِ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا ، فَأَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ فَجُمِعَ وَأُخْرِقَ . فَأَتَشَدَّنِي فِي الْوَاقِعَةِ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ لِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتٍّ مِائَةٍ :

[الكامل]

صَرَفَ الزَّمَانَ وَحَادِثَ الْمَقْدُورِ تَرَكْنَا نَكِيرَ الْخَطْبِ غَيْرَ نَكِيرِ
يَا سَالِمًا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا وَلَا طَوْدًا سَمًا بَلْ ذَكَدَكَ بِالطُّورِ
لَهْفِي وَهَلْ يُجْدِي التَّلَهُّفُ فِي رَدَى طَرِبَ الْغَنَى وَأُنْسَ كُلَّ فَقِيرِ
أَحْتِ الْمَذَلَّةَ لَا تَزْكَابَ مُحْرَمِ قُطِبَ الشَّرُّورِ بِأَيْسَرِ الْمُتَشَوِّرِ
جَمَعْتَ مُحَابِينَ مَا اجْتَمَعْنَ لغيرِهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ فِي الْمَقْمُورِ
مِنْهَا طَعَامٌ وَالشُّرَابُ كِلَاهُمَا وَالْبَقْلُ وَالزُّيْحَانُ وَقَتَ مُحَضَّرِ
هِيَ رَوْضَةٌ إِنْ شِفَتْهَا وَرِبَاضَةٌ يُغْنَى بِهَا عَنْ رَوْضَةٍ وَخُشُورِ
مَا فِي الْمُدَامَةِ كُلُّهَا مِنْهَا سِوَى لَأْسِ الْمُدَامِ وَصُحْبَةِ الْمُخْشُورِ
كَلَا وَنَكْهَةِ خَمْرَةٍ هِيَ شَاهِدُ عَذْلِي عَلَى حَدِّ وَجَلْدِ ظُهُورِ
أَسَقَا لِدَهْرٍ غَالَهَا ، وَلَزِمَا ظُلَّ الْكَسْرِ بِمِثْلِ الْمَأْسُورِ
جَمَعْتَ لَهُ الْأَشْهَادَ تَكُونَا أَحْضَرَا كَقَرُوسَةٍ تُجَلَّى بِخَضِرِ حَرِيرِ

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٢-٦٣؛ المواظ ٣٥٩-٣٦٠؛ أبو الحسن: النجوم الزاهرة القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٢؛ القرطبي: مسودة ٤: ٤٨.

زُقُوا لَهَا نَارًا فَخَلْنَا بَجْنَةً بَرَزَتْ لَنَا قَدْ زُوِّجَتْ بِالشُّورِ
ثُمَّ اكْتَسَتْ مِنْهَا غِلَاةً صُفْرَةً فِي خُضْرَةٍ مَقْرُونَةٍ بِزَفِيرِ
فَكَأَنَّهَا لَهَبُ اللَّطَى فِي خُضْرَةٍ مِنْهَا وَطَرُفُ رَمَادِهَا الْمُثُورِ
جَارَى النُّضَارِ عَلَى مَذَابِ زَمَرْدَ تَرَكَأ فَنِيَتِ الْمِشْكُ فِي الْكَافُورِ
لَهُ ذَرَكٌ حَيَّةٌ أَوْ مَيِّتَةٌ مِنْ مَنَظَرٍ بِهِجٍ بِغَيْرِ نَظِيرِ
أَوْدَيْتِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ فَسَفَى الْحَيَا تَرَبَّا تَضْمَنَ مِنْكَ ذُوبٌ عَبِيرِ
عِنْدِي لَذَكَرِكَ مَا بَقِيَتْ مَخْلُودًا سَخَّ الدُّمُوعُ وَتَفَقَّعَ الْمَضُورِ

كَافُورُ الْإِخْشِيدِ - كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ خَصِيًّا^١، مَثْقُوبَ الشَّقَّةِ الشَّفَلَى، بَطِينًا قَبِيحَ الْقَدَمَيْنِ ثَقِيلَ الْبَدَنِ، جُلِبَ إِلَى مِصْرَ وَعمره عشر سنين فما قَوَّضَهَا فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثٍ مِائَةٍ. فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى مِصْرَ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ أَمِيرَهَا، فَبَاعَهُ الَّذِي جَلَبَهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ هَاشِمٍ، أَحَدِ الْمُتَقَبِّلِينَ لِلضَّبَاعِ، فَبَاعَهُ لِابْنِ عَبَّاسِ الْكَاتِبِ. فَمَرَّ يَوْمًا بِمِصْرَ عَلَى مُنْجَمٍ، فَتَنَظَّرَ لَهُ فِي نُجُومِهِ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ تَصِيرُ إِلَى رَجُلٍ جَلِيلِ الْقَدْرِ، وَتَبْلُغُ مَعَهُ مَبْلَغًا عَظِيمًا. فَدَفَعَ إِلَيْهِ دَرَاهِمِينَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَاهُمَا، فَزَمَى بِهِمَا إِلَيْهِ وَقَالَ: أَتَشْرِكُ بِهَذِهِ الْبِشَارَةِ وَتَقْطِيعِي دَرَاهِمِينَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَأَزِيدُكَ، أَنْتَ تَمْلِكُ هَذِهِ الْبِلَدَ وَأَكْثَرَ مِنْهَا، فَادُّكُونِي.

وَاتَّفَقَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسِ الْكَاتِبَ أُرْسِلَهُ بِهَدِيَّةٍ يَوْمًا إِلَى الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجِ الْإِخْشِيدِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَحَدُ قَوَادِ تَكْنِينَ أَمِيرِ مِصْرَ - فَأَخَذَ كَافُورًا وَرَدَّ الْهَدِيَّةَ، فَتَرَفَّى عِنْدَهُ فِي الْحَيْدَمِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَتَحْصُ خَدَمِهِ.

وَلَمَّا مَاتَ الْإِخْشِيدُ بِدِمَشْقَ صَبَطَ كَافُورُ الْأُمُورَ، وَدَارَى النَّاسَ وَوَعَدَهُمْ، إِلَى أَنْ سَكَنَتْ الدُّهُمَاءُ بَعْدَ أَنْ اضْطَرَبَ النَّاسُ، وَجَهَّزَ أَسَاتَذَهُ وَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَسَارَ إِلَى مِصْرَ فَدَخَلَهَا.

وَقَدْ اتَّفَقَ الْأَمْرُ بَعْدَ الْإِخْشِيدِ لِابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَوْثُوجُورَ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ وُزُودِ الْخَبَرِ مِنْ دِمَشْقَ بِأَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَلِيَّ بْنَ حَمْدَانَ أَخَذَهَا وَسَارَ إِلَى الرَّهْطَةِ. فَخَرَجَ كَافُورُ بِالْقَسَاكِرِ،

^١ الإخشيدي، مجلة كلية الآداب - جامعة قواد الأول ٦ (مايو ١٩٤٢)، ٢٣-٤٥؛ سيدة كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة ١٩٧٠، ١٣٤-١٥٨؛ Ehernkreutz, A.S., *El art. Kāfur* IV, pp. 436-37.

^١ انظر ترجمة كافور عند، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١٩٩-٢٠١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٩٩:٤-١١٠٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩٠:١٦-١٩٣؛ الصغددي: الوافي بالوفيات ٣٠٥-٣١٠؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ١١٠-١٠٤؛ حسن إبراهيم حسن: كافور

وَضُرِبَتِ الدِّبَادِبُ^٥ - وهي الطُّبُول - على بابِ مَضْرِبِهِ في وَفْتِ كُلِّ صَلَاةٍ، وَسَارَ فَظْفِرَ وَغَنِمَ .
ثُمَّ قَدِمَ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ عَظُمَ، فَقَامَ بِخِلَافَةِ أُونُوجُورَ، فَخَاطَبَهُ الْقَوَاذُ بِـ«الْأُسْتَاذِ»، وَصَارَ الْقَوَاذُ
يَجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ، فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ وَيَحْمِلُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ وَقَّعَ لِحَانِكَ - أَحَدِ الْقَوَاذِ
الإخشيديَّة - فِي يَوْمٍ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَمَا زَالَ عَبْدًا لَهُ حَتَّى مَاتَ .

٥. وَانْبَسَطَتْ يَدُهُ فِي الدَّوْلَةِ، فَتَزَلَّ وَوَلَّى وَأَعْطَى وَحَرَمَ، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى الْمَنَائِرِ كُلِّهَا لِأَلَّا يَنْتَبِرَ مِصْرَ
وَالرُّمْلَةَ وَطَبْرِيَّةَ، ثُمَّ دُعِيَ لَهُ بِهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ، وَصَارَ يَجْلِسُ لِلْمُظَالِمِ فِي كُلِّ
سَبْتٍ، وَيَحْضُرُ مَجْلِسَهُ^(ب) (الْوُزَرَاءُ وَ^(ب) الْقُضَاةُ وَالشُّهُودُ وَوُجُوهُ الْبَلَدِ . فَوَقَّعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ
أُونُوجُورَ، وَتَحَوَّزَ كُلُّ مَنِهَا مِنَ الْآخَرِ، وَقَوِيَتِ الرُّوحَةُ بَيْنَهُمَا، وَافْتَرَقَ الْجُنْدُ فَصَارَ كُلُّ
وَاحِدٍ طَائِفَةً .

١٠. وَاتَّفَقَ مَوْتُ أُونُوجُورَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ - وَيُقَالُ إِنَّهُ سَمَّهُ - فَأَقَامَ
أَحَاهُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ الإخشيديِّ مِنْ بَعْدِهِ، وَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ دُونَهُ، وَأَطْلَقَ لَهُ فِي كُلِّ سَنَةِ أَرْبَعَ مِائَةِ
أَلْفَ دِينَارٍ، وَاسْتَقْبَلَ بِسَائِرِ أَحْوَالِ مِصْرَ وَالشَّامِ . فَقَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ، فَضَيَّقَ
عَلَيْهِ كَافُورَ، وَمَنَعَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، فَاعْتَلَّ بِعِلَّةِ أَخِيهِ وَمَاتَ - وَقَدْ طَالَتْ بِهِ - فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ
خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ فَبَقِيَتْ مِصْرُ بِغَيْرِ أَمِيرٍ أَيْمَانًا لَا يُدْعَى فِيهَا سِوَى لِلْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ فَقَطْ،
وَكَافُورُ يُدَبِّرُ أَمْرَ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي الْخَرَاجِ وَالرِّجَالِ .

١٥. فَلَمَّا كَانَ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ الْمَذْكُورِ، أَخْرَجَ كَافُورُ كِتَابًا مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُطِيعِ بِتَقْلِيدِهِ بَعْدَ عَلِيٍّ
ابْنَ الإخشيديِّ . فَلَمْ يُغَيِّرْ لِقَبِّهِ بِـ«الْأُسْتَاذِ»، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى الْمَنَائِرِ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ .

وَكَانَتْ لَهُ فِي أَيَّامِهِ قِصَصٌ عِظَامٌ، وَقَدِمَ عَشَكْرٌ مِنَ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَقَدَّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى
الْوَاهِتَاتِ، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ بِجَيْشٍ أَخْرَجُوا الْعَشَكْرَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ، وَصَارَتِ الطُّبُولُ تُضْرَبُ عَلَى بَابِهِ
خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَعِدَّتْهَا مِائَةُ طَلِيَّةٍ مِنْ نَحَاسٍ .

٢٠. وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ دُعَاةُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ يَدْعُوْنَهُ إِلَى طَاعَتِهِ فَلَا طَفْهَمَ، وَكَانَ أَكْثَرُ
الإخشيديَّةِ وَالْكَافُورِيَّةِ وَسَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْكَتَّابِ قَدْ أُخِذَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةُ لِلْمُعِزِّ^١ .

(٥) بولاق: وضرب الدباديب . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ وَصَلَتْ إِلَيْنَا ثَلَاثَةُ دَنَائِرٍ فَاطِمِيَّةٍ تَحْمِلُ مَكَانَ الضَّرْبِ (مِصْرَ)، مَوْزُوعَةٌ فِي السَّنَاتِ ٣٤١هـ/٩٥٢م=

وقَصُرَ مَدُّ النَّيْلِ فِي أَيَّامِهِ ، فَلَمْ يَتَلُغْ تِلْكَ السَّنَةَ سِوَى اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا وَأَصَابِعَ . فَاشْتَدَّ الْغَلَاءُ ، وَفُحِّشَ الْمَوْتُ فِي النَّاسِ حَتَّى عَمَّجُوا عَنْ تَكْفِينِهِمْ وَمُوارَاتِهِمْ ^١ .

وَأُزْجِفَ بِمَسِيرِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَبَدَتْ غِلْمَانُهُ تَتَنَكَّرُ لَهُ ، وَكَانُوا أَلْفًا وَسَبْعِينَ غُلَامًا تَرْكِبًا سِوَى الرُّومِ وَالْمَوْلُودِينَ ، فَمَاتَ لِعَشْرِ بَقِيٍّ مِنْ جُمَاذَى الْأُولَى سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ عَنْ سِتِينَ سَنَةً ؛ فَوُجِدَ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ سَبْعُ مِائَةٍ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَمِنَ الزُّورِ وَالْحُلِيِّ وَالْجَوْهَرِ وَالْعَنْبَرِ وَالطَّيِّبِ وَالثِّيَابِ وَالْآلَاتِ وَالْقَرَشِ وَالْحِيَامِ وَالْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي وَالذُّوَابِ مَا قَوَّمَتْ بِسِتِّ مِائَةٍ أَلْفٍ أَلْفٍ دِينَارٍ . وَكَانَتْ مُدَّةُ تَذْيِيرِهِ أَمْرَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحَرَمَيْنِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، مِنْهَا مُتَقَرِّدًا بِالْوِلَايَةِ بَعْدَ أَوْلَادِ أَسْتَاذِهِ سِنَتَانِ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ . وَمَاتَ عَنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَا مَائِرَةٍ يُذَكَّرُ بِهَا ، وَدُعِيَ لَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ بِالْكُتْبَةِ الَّتِي كَتَّاهُ بِهَا الْخَلِيفَةُ ، وَهِيَ «أَبُو الْمِشْكِ» ، أَرْبَعُ عَشْرَةَ جُمُعَةً . وَبَعْدَهُ اخْتَلَّتْ مِصْرُ ، وَكَادَتْ تُذْمَرُ ، حَتَّى قَدِمَتْ مَجِيُوشُ الْمُعَزِّ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ جَوْهَرٍ ، فَصَارَتْ مِصْرُ دَارَ خِلَافَةٍ ^٢ .

وَوُجِدَ عَلَى قَبْرِهِ مَكْتُوبٌ :

[البسيط]

مَا بِالْ قَبْرِكَ يَا كَافُورَ مُنْقَرِدًا
بِالصُّمُخَصِّحِ الْمَوْتِ ^٣ بَعْدَ الْعَشْكَرِ اللَّجْبِ
يَذُورُ قَبْرِكَ أَذْنَى الرِّجَالِ وَقَدْ
كَانَتْ أَشْوَدُ الشَّرِّ تَحْشَاكَ فِي الْكُتُبِ ^٤
وَوُجِدَ أَيْضًا :

١٥

(a) بولاق : بصائع الموت .

على التقود العربية الإسلامية» ، أبحاث الندوة الدولية
لألفية القاهرة ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ أيمان فؤاد :
الدولة الفاطمية في مصر ١٢٩ - ١٣٠ .

^١ المقرئزي : إغاثة الأمة ١٢ ، ١٣ .

^٢ انظر عن ملاهات هذه الفترة : للمقرئزي : المقفى
الكبير ٥٣٦ : ٥٤١ ، ٣٤٣ : ٣٤٦ ، Bianquis ،
Th. ، «L'acte de succession de Kafûr d'après
Maqrîzî» ، An. Isl. XII (1974) ، pp. 263-69 .

^٣ على هامش آياصوفيا : «الصُّمُخَصِّحُ مَا انْجَزَدَ مِنْ -

= ٣٤٣/٣٥٤ م ، ٣٥٣/٩٦٤ م ضُرِبَتْ - كما هو
واضح - قبل وصول الفاطميين إلى مصر تَدْلُ عَلَى
فعالية الدَّعَاةِ الفاطمية في مصر في عهد كافور ، وكان
الغرض منها ترويجها بواسطة الدَّعَاةِ عَلَى الْأَفْرَادِ الَّذِينَ
يُوسَمُونَ فِيهِمُ الْإِسْتِجَابَةُ لِلدَّعْوَةِ ، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ
أَبُو الْحَاسَنِ مِنْ أَنَّ أُمُورَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَدْ اضْطَرَبَتْ فِي
أَوَاخِرِ عَهْدِ الْإِسْخِيدِيَّينَ «بِسَبَبِ الْمَغَارِبَةِ أَهْوَانِ الْخُلَفَاءِ
الْفَاطِمِيَّينَ الْوَارِدِينَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَغْرِبِ» (النجوم الزاهرة
٣٢٦ : ٣ وانظر محمد أبو الفرج العس : مصر ، القاهرة

[البسط]

انْظُرْ إِلَى عَيْر^(a) الْأَيَّامِ مَا صَنَعَتْ أَفَنَتْنَا أَنَا بِهَا كَانُوا وَمَا فَعَيْتْ
دُنْيَاهُمْ صَحِيحَك^(b) أَيَّامِ ذَوْلَتِهِمْ حَتَّى إِذَا فَعَيْتْ نَاعَتْ لَهُمْ وَبَكَتْ

خُطُّ الحُرْنُشَفْ^(c)

- هذا الخطُّ فيما بين حازة بَرْجَوَان والكافوري، ويُتَوَصَّلُ إليه من بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ، فيُذْخَلُ له من قَبْرِ يُعْرِفُ بِقَبْرِ الحُرْنُشَفْ^(c) - وهو الذي كَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِبَابِ التَّجَانِينِ - وَيُفْلَكُ من الحُرْنُشَفْ^(c) إِلَى خُطِّ بَابِ سِرِّ المَارِشْتَانِ، وإلى حازة زَوِيلَةَ.

وكان مَوْضِعُ الحُرْنُشَفْ^(c)، في أيامِ الخُلَفَاءِ الفاطميين، مَيْدَانًا بجوار القصرِ العُزْبِيِّ والبُشْتَانِ الكافوري. فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ اخْتُطَّتْ، وصَارَ فِيهِ عِدَّةُ مَسَاكِينِ، وبه أيضًا سُوقٌ.

- وَأَمَّا سُمِّيَ بِالْحُرْنُشَفْ^(c) لَأَنَّ العُزْدَ^(d) أَوَّلَ مَنْ بَنَى فِيهِ الإِسْطَبْلَاتِ بِالْحُرْنُشَفْ^(c)، وهو ما يَتَحَجَّرُ مِمَّا يُوقَدُ به عَلَى مِيَاهِ الحِمَّامَاتِ مِنَ الْأَزْبَالِ وَغَيْرِهَا.

قال ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ: الحازَةُ المعروفةُ بِالْحُرْنُشَفْ^(c) كانت قَدِيمًا مَيْدَانًا لِلخُلَفَاءِ، فَلَمَّا وَرَدَ العُزْدُ^(d) بَنَوْا به إِسْطَبْلَاتٍ، وكذلك القصرُ العُزْبِيُّ. وقد كَانَ النِّسَاءُ اللَّاتِي أُخْرِجْنَ مِنَ القصرِ سُكَّرَ^(e) بِالْقصرِ النَّافِعِيِّ^١، فامْتَدَّتْ الأَيْدِي إِلَى طُوبِهِ/ وَأَخْشَاهِ وَبِيعَتْ، وتَلَاشَى حالُهُ، وَبُنِيَ به وبالمَيْدَانِ إِسْطَبْلَاتٌ وَذُؤْبُرَاتٌ بِالْحُرْنُشَفْ^(c) فَسُمِّيَ بِذَلِكَ، ثم بُنِيَ به الأَدْرُ والطَّوَارِحِينَ وَغَيْرَهَا، وذلك بعدَ السَّتِّ مائة. وَأَكْثَرُ أَرْضِي المَيْدَانِ جُكَّرٌ لِلأَدْرِ القُطَيْبَةِ^٢.

(a) بولاق: غير. (b) بولاق: أَصْحَكَتْ. (c) بولاق: الحُرْنُشَفْ. (d) بولاق: العُزْدُ. (e) بولاق: يَسْكُنُ.

= الأرضِ واستوى، وأَرْضُ عَزَتْ ومكانُ مَزَتْ قَصْرٌ لَا نَبَاتَ فِيهِ، قاله ابنُ سِيْدَه. والكُتُبُ بالناءِ المثلثةُ القُربِ، والكُتُبُ جمعُ كُتَابٍ؛ وانظرَ فِيهَا تَقْدِيمُ ٢: ٥٣٨.

^١ انظرَ عَنِ القصرِ النَّافِعِيِّ فِيما تَقْدِمُ ٢: ٣٥٤.

^٢ ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ: الرُّوضَةُ البَهِيَّةُ ٦٢؛ القَلْقَلَشَنْدِي:

صَبِيحُ الأَعْشَى ٣: ٣٥٢؛ المَقْرِيزِيُّ: مَسْودَةُ المَوَاعِظِ ٣٥٧-

٣٥٨؛ أَبُو المَحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤: ٤٧-٤٨ وهو فِيهَا:

حازَةُ الحُرْنُشَفْ.

وبَدَّلَ عَلَى مَوْضِعِ هَذَا الخُطِّ الآنَ المِنطَقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّامِلِ بِالْجِزْءِ الشَّرْقِيِّ مِنْ شَارِعِ الحُرْنُشَفْ، وَمِنْ الْغَرْبِ حازَةُ خَمْسِ العَدَسِ وحازَةُ الْيَهُودِ الْقَرَّائِينَ، وَمِنْ الْجَنُوبِ غَطْفَةُ الذَّكِيِّ، وَمِنْ الشَّرْقِ حازَةُ الْبِرْقُوقِيَّةِ وَمَدْخَلُ شَارِعِ الحُرْنُشَفْ.

وَتُعَدُّ الآنَ الْبَاحِثَةُ آمَالُ المِصْرِيِّ رِسَالَةً دَكْتُورَاهُ عَنْ حَيِّ الحُرْنُشَفْ بِكَلِيَّةِ الأَثَارِ - جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ.

خُطُّ اسْطَبِلِ الْقُطَيْبَةِ

هذا الخطُّ أيضًا من جملة أراضي الميِّدان . ولما انتقلت القاعة التي كانت سَكَنَ أخت الحايك بأمر الله بعد زوال الدَّوْلَةِ الفاطميَّة^٤، صارت إلى الملك الْمُفْضِلِ قُطْبِ الدِّينِ أَحْمَدِ ابنِ الملك العادل أبي بكر بن أيُّوب، فاستقرَّ بها هو وذُرِّيَّتُهُ فصارَ يُقالُ لها الدَّارُ القُطَيْبِيَّةُ . واتَّخَذَ هذا المكان اسْطَبِلًا لهذه القاعة، فعرِفَ بِاسْطَبِلِ الْقُطَيْبَةِ .

ثم لما اتَّخَذَ الملكُ المنصورُ قلاوون القاعةَ القُطَيْبِيَّةَ من مؤنِّسَةِ خاتون، المعروفة بدار إقبال، ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيُّوب، أخت الْمُفْضِلِ قُطْبِ الدِّينِ أَحْمَدِ المعروفة بخاتون القُطَيْبَةِ، وعَمِلَها المارِشْتانِ النَّصُورِي، بَنَى في هذا الاسْطَبِلِ المسايكِنَ، وصارَ من جملة الأخطاط^٥ المشهورة، ويتَّوَصَّلُ إليه من وَسَطِ شُوقِ الخُرُونْشَفِ^٦، ويُشَلِّكُ فيه من آخره إلى المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ والمَدْرَسَةِ الطَّاهِرِيَّةِ المستجدة، وعَمِلَ على أوله دَرْبًا يُقالُ، وهو خُطُّ عاير .

خُطُّ بابِ سِرِّ المارِشْتانِ

هذا الخطُّ يُشَلِّكُ إليه من الخُرُونْشَفِ^٦، ويَصِيرُ السَّالِكُ فيه إلى البُنْدُاقَيْنِ . وبعضُ هذا الخطِّ، وهو جلُّه ومعظمه، من جملة اسْطَبِلِ الجُمُيْزَةِ الذي كان فيه خُبُولُ الدَّوْلَةِ الفاطميَّةِ، وقد تقدَّم ذكره^٢. ومَوْضِعُ بابِ سِرِّ المارِشْتانِ النَّصُورِي هو بابُ الشَّاباطِ^٣. فلما زالت الدَّوْلَةُ واخْتُطَّ الكافُورِي والخُرُونْشَفُ واسْطَبِلِ الْقُطَيْبَةِ، صارَ هذا الخطُّ واقعا بين هذه الأخطاط، ونُسِبَ إلى بابِ سِرِّ المارِشْتانِ لأنَّه من هنالك . وأذَرَكْتُ بعضَ هذه الخِطَّةِ وهي خراب .

ثم أُلْشِقَ فيه القاضي جمالُ الدِّينِ محمودُ القَيْصَرِي، مُخْتَصِبُ القَاهِرَةِ^٤، في أَثْناء ولايته نَظَرَ المارِشْتانِ في سنة إحدى وثمانين وسبع مائة، الطاحون العظيمة ذات

(٥) النسخ : الخطط . (٦) بولاق : الخرشف .

^١ انظر فيما تقدم ٤٩٩:٢ - ٥٠٠ .

^٢ فيما تقدم ٥١٨:٢ .

^٣ فيما تقدم ٥٠٦:٢ .

^٤ القاضي جمال الدِّين محمود بن محمد بن عبد الله القَيْصَرِي، المتوفى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م . (راجع عنه، ابن حجر: رفع الإصر ٤٣٣، إنباء الغمر =

الأحجار والفُؤن والوُزع غُلُوهُ في المكان الخراب، وجَعَلَ ذلك جاريًا في جملة أوقاف المارِستان المنصوري.

خُطْبَتَا الْقُصْرَيْنِ

- هذا الخطُّ أَغْمَرُ أَخْطَاطِ القَاهِرَةِ وَأَنْزَهَهَا. وقد كان في الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّةِ فَضَاءٌ كَبِيرًا وَمَرَاخًا وَابْتِغَاءً يَقِفُ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ الْعَشْكَرِ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ وَيَكُونُ بِهِ طَرَادُهُمْ وَوُقُوفُهُمْ لِلخِدْمَةِ كَمَا هُوَ الْحَالُ الْيَوْمَ فِي الرُّمَيْلَةِ تَحْتَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ.
- فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّةِ، وَخَلَّتِ الْقُصُورُ مِنْ أَهَالِيهَا، وَنَزَلَ بِهَا أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ وَغَيْرُوا مَعَالِيهَا، صَارَ هَذَا الْمَوْضِعُ شَوْقًا مُبْتَدِلًا بَعْدَ مَا كَانَ مَلَذًا مُبْجَلًا، وَقَعَدَ فِيهِ الْبَاعَةُ بِأَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ مِنَ اللَّحْمَانِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَالْحَلَاوَاتِ الْمَصْنُوعَةِ وَالْفَاكِهَةِ وَغَيْرِهَا. فَصَارَ مُتَنَزِّهًا تَمُرُّ فِيهِ أَغْيَانُ النَّاسِ وَأُمَائِلُهُمْ فِي اللَّيْلِ مُشَاءَةً لِرُؤْيَا مَا هُنَاكَ مِنَ السُّرُجِ وَالْقَنَادِيلِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْحَدِّ فِي الْكَثْرَةِ، وَلِرُؤْيَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ مِمَّا فِيهِ لَذَّةٌ لِلْحَوَاسِ الْخَفِيسِ.
- وكَانَتْ تُقَعَّدُ فِيهِ عِدَّةٌ جَلَقَتْ لِقِرَاءَةِ السِّيرِ وَالْأَخْبَارِ وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ وَالتَّفَنُّنِ فِي أَنْوَاعِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، فَيَصِيرُ مَجْمَعًا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، وَلَا يُمْكِنُ حِكَايَةُ وَصْفِهِ^٢. وَسَأْتَلُو عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ذَلِكَ مَا لَا تَجِدُهُ مَجْمُوعًا فِي كِتَابٍ.
- قَالَ الْمُسَبِّحِيُّ فِي حَوَادِثِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ: وَفِيهِ مُنِيعٌ كُلُّ أَحَدٍ مِمَّنْ يَرْكَبُ مَعَ الْمَكَارِينِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَابِ الْقَاهِرَةِ رَاكِبًا، وَلَا الْمَكَارِينِ أَيْضًا بِحَمِيرِهِمْ، وَلَا يَجْلِسُ أَحَدٌ عَلَى بَابِ الرُّهُومَةِ مِنَ الشُّجَارِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَا يَتَشَبَّهِ أَحَدٌ مُلَاصِقَ الْقُصْرِ مِنْ بَابِ الرُّهُومَةِ إِلَى أَقْصَى بَابِ الرُّمُودِ. ثُمَّ غُفِيَ عَنِ الْمَكَارِينِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكُتِبَ لَهُمْ أَمَانٌ قُرِئَ^٣.

- وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: وَيَبِيتُ خَارِجَ بَابِ الْقُصْرِ كُلُّ لَيْلَةٍ خَمْسُونَ فَارِسًا، فَإِذَا أُذِّنَ بِالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ دَاخِلِ الْقَاعَةِ، وَصَلَّى الْإِمَامُ الرَّاكِبُ بِهَا بِالْمَقِيمِينَ فِيهَا مِنَ الْأَشْتَادِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَفَّ عَلَى بَابِ

٣- ٣٦٢: ٣ ح أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ١٥٨.

٢ المسيحي: نصوص طباعة ٢٢٢: المقريزي: اتعاظ

الحنفا ٢: ٥٧.

١ أبو حامد المقدسي: الفوائد النفيسة الباهرة في بيان

حكم شوارع القاهرة ١٣.

القصر أمير يقال له «سينان الدولة بن الكر كندي»، فإذا عَلِمَ بِقَرَاغِ الصَّلَاةِ أَمَرَ بِضَرْبِ التُّوْبَاتِ مِنَ الطُّبْلِ وَالْبُوقِ وَتَوَاعِيْعُهُمَا مِنْ عِدَّةٍ وَافِرَةٍ بِطَرِيقِي مُسْتَحْسِنَةٍ مُدَّةً^(٥) سَاعَةً زَمَانِيَةً .

ثم يَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ أَشْتَاذٌ بِرِسْمِ هَذِهِ الْحِدْمَةِ فيقول : «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزُودُ عَلَى سِنَانِ الدَّوْلَةِ السَّلَامِ» ، فيَضْغَعُ وَيَغْرِسُ حَوْزَةً عَلَى الْبَابِ ، ثم يرفعها بيده ، فإذا رَفَعَهَا أُغْلِقَ الْبَابُ ، وسَارَ إِلَى حَوَالِي الْقَصْرِ سَبْعَ دَوْرَاتٍ . فإذا انْتَهَى ذَلِكَ جَعَلَ عَلَى الْبَابِ الْبَيْتَاتَيْنِ وَالْفَرَاشَيْنِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرَهُمْ ، وَالنُّصْرَى^(٦) الْمُؤَدَّنُونَ إِلَى خِزَانَتِهِمْ هُنَاكَ ، وَتُرْوَمَى^(٧) السُّلْسَلَةُ عِنْدَ الْمُضِيْقِ آخِرَ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ مِنْ جَانِبِ الشُّيُوفِيِّينَ ، فَيَقْطِيعُ الْمَاءَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى أَنْ تَضْرِبَ التُّوْبَةُ سَحَرًا قَرِيبَ الْقَجَرِ ، فَتَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنْ هُنَاكَ بَارْتِفَاعِ السُّلْسِلَةِ^١ . انتهى .

وَأُخْبِرَنِي الْمَشِيخَةُ أَنَّهُ مَا زَالَ الرُّسْمُ إِلَى قَرِيبٍ : أَنَّهُ لَا يَمُرُّ بِشَارِعِ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ حَتَّى يَتَيْنِ وَلَا حَتَّى يَخْطُبَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَوْقِفَ فَرَسًا فِيهِ ، فَإِنْ سَاقَ أَحَدٌ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَخُرِقَ بِهِ .
وقال ابن سعيد في كتاب «المغرب» : والمكان الذي يُعرَفُ في القاهرة «بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ» هُوَ مِنَ التَّوْبَتَيْنِ السُّلْطَانِيَّاتِ ، لِأَنَّ هُنَاكَ سَاحَةً مُنْسَعَةً لِلْعَشْكَرِ وَالتَّفَرُّجَيْنِ مَا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ . وَلَوْ كَانَتِ الْقَاهِرَةُ كُلُّهَا كَذَلِكَ ، كَانَتْ عَظِيمَةً الْقَدْرَ ، كَامِلَةً الْهَيْئَةَ السُّلْطَانِيَّةَ^٢ .

وقال ياقوت : وَبَيْنَ الْقَصْرَيْنِ كَانَ بِيْعْدَادِ بِيَابِ الطَّاقِ ، يُرَادُ بِهِ قَصْرُ أَسْمَاءَ بِنْتِ الْمُتَّصِرِ وَقَصْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، وَكَانَ يُقَالُ لِهَمَا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ . وَبَيْنَ الْقَصْرَيْنِ أَيْضًا بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، وَهُمَا قَصْرَانِ مُتَقَابِلَانِ بَيْنَهُمَا طَرِيقُ الْعَائِمَةِ وَالشُّوْقِ ، عَمَّرَهُمَا مُلُوكُ مِصْرَ الْمُتَعَلُّوِيَّةِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ عَلَوِيَّةٌ^٣ .

وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي^(٤) الرَّئِيسُ تَقِيُّ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، نَاطِلُ الْخَوَاصِّ الشَّرِيفَةِ ، ابْنُ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ قُحْرَ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَاكِرٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَشْتَرِي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ - بِرِسْمِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ قُحْرَ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَصِيبٍ - مِنَ الدُّجَاجِ الْمُطْلَبِينَ^٥ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : وأفضى . (c) بولاق : رميت . (d) بولاق : الفاضل .

^١ ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١٠ - ٢١١ ؛ المقرئ : حراسة القصر سنة ٤٤٠ عند ناصر خسرو : سفرنامه ٨٩ .
^٢ ابن سعيد : التجوم الزاهرة ٢٤ .
^٣ ياقوت الحموي : معجم البلدان ١ : ٥٣٤ .
^٤ مسودة المواظع ٧٥-٧٦ ، وفيما تقدم ٢ : ٥١١ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٥١٨-٥١٩ ، وانظر وصف

والقَطَا وفراخ الحَمَام والعصافير المَقْلَاة بمبلغ مائتي دِرْهَم وخمسين دِرْهَمًا فِضَّةً ، يكون عنها يومئذٍ نحو من اثني عشر مِثْقَالًا من الذَّهَب ، وَأَنَّ هذا كان ذَابَهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ^١ . ولا يَكَادُ مثل هذا مع كَثْرَتِهِ لِرُخَاءِ الْأَسْعَارِ ، يُؤَثَّرُ نَقْصُهُ فيما كان هنالك من هذا الصَّنْفِ ، لِعِظَمِ ما كان يُوَضَّعُ في بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ من هذا التُّرُوعِ وغيره .

- ٥ ولقد أَدْرَكْنَا ، في كُلِّ لَيْلَةٍ من بعد العَصْرِ ، يجلس الباعَةُ بصِنْفِ لَحْمَانِ الطُّيُورِ التي تُقْلَى صَفًّا من باب المَدْرَسَةِ الكَامِلِيَّةِ إلى باب المَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ ، وذلك قبل بناء المَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ المُسْتَجْدَةِ^٢ ، فَيُبَاعُ لَحْمُ الدُّجَاجِ الْمُطْبُخِ وَلَحْمُ الْإِوَرِّ الْمُطْبُخِ كُلُّ رطل بِيْزِهِمْ ، وَتَارَةً بِيْزِهِمْ وَرُبْعَ ، وَثَبَاعُ الْعَصَافِيرِ الْمُقْلَوَةِ كُلُّ عُصْفُورٍ بِفِلْسٍ ، حِسَابًا عن كُلِّ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ بِدِرْهَمٍ . وَالْمَشِيخَةُ تقول : إِنَّا حَبِئْزُ فِي غَلَاءٍ لِكثَرَةِ مَا تُصِيفُ من سَعَةِ الْأَرْزَاقِ وَرُخَاءِ الْأَسْعَارِ في الزَّمَنِ الذي أَدْرَكُوهُ قبل الْفَنَاءِ الْكَبِيرِ^٣ .

- ١٠ ومع ذلك فلقد وَقَعَ في سنة سِتٍّ وَثَمَانِينَ [وسبع مائة]^(a) شيءٌ لا يَكَادُ يَصْدُقُهُ الْيَوْمَ من لم يُدْرِكْ ذَلِكَ الزَّمَانُ ؛ وهو أَنَّهُ كان لنا من بَقْضِ^(b) جِيرَانِنَا بِحَارَةَ بَرْجَوَانَ ، شَخْصٌ يُعَانِي الْجُنْدِيَّةَ وَيَرْكَبُ الْخَيْلَ . فَبَلَغَنِي عن غَلَامِهِ أَنَّهُ خَرَجَ في لَيْلَةٍ من لِيَالِي رَمَضَانَ - وكان رَمَضَانُ إِذْ ذَاكَ في فَصْلِ الصَّيْفِ - ومعه زَفِيقٌ له من غِلْمَانِ الْخَيْلِ ، وَأَنَّهُمَا سَرَقَا من شَارِعِ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ وما قَرَّبَ مِنْهُ بَضْعًا وَعَشْرِينَ بِطَيِّخَةٍ خَضِرَاءَ ، وَبَضْعًا وَثَلَاثِينَ شَقْفَةً جُبْنَ ، وَالشَّقْفَةُ أَبَدًا من نَصْفِ رِطْلٍ إِلَى رِطْلٍ . فما مِنَّا إِلَّا من تَعَجُّبٍ من ذلك ، وَكَيْفَ تَهَيَّأَ لِاثْنَيْنِ فِعْلُ هَذَا وَحَمْلُ هَذَا الْقَدْرِ يَحْتَاجُ إِلَى دَابَّتَيْنِ ، إِلَى أَنِ قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لِي بعد ذلك أَنِ اجْتَمَعْتُ بِأَحَدِ الْغِلَامِينَ الْمَذْكُورِينَ وَسَأَلْتُهُ عن ذلك فَاعْتَرَفَ لِي بِهِ . قُلْتُ : صِفْ لِي كَيْفَ عَمِلْتُمَا . فَذَكَرَ أَنَّهُمَا كانَ يَقِفَانِ على حَائِثِ الْجَبَانِ أَوْ مَقْعَدِ الْبُطِّيخِيِّ - وكان إِذْ ذَاكَ يُعْمَلُ من الْبُطِّيخِ في بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ مَرَصَّاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، في كُلِّ مَرَصٍّ ما شَاءَ اللَّهُ من الْبُطِّيخِ - قال : فَإِذَا وَقَفْنَا قَلْبَ أَحَدُنَا بِطَيِّخَةٍ ، وَقَلْبَ الْآخَرِ أُخْرَى ، فَلَشِدَّةُ ارْتِدِحَامِ النَّاسِ يَتَناول أَحَدُنَا بِطَيِّخَتِهِ بِخَفَّةٍ يَدٍ وَصِنَاعَةٍ ، وَيَقُومُ فلا يُفْطِنُ بِهِ ، أَوْ يُقَلِّبُ أَحَدُنَا

(a) زيادة لتوضيح المقصود . (b) ساقطة من بولاق .

^١ أبو حامد المقدسي : الفوائد النفيسة الباهرة ١٣-١٤ . ^٢ وقع الفناء الكبير حول سنة ١٣٤٩/٧٢٤٩م (انظر

^٢ بنيت المدرسة الظاهرية المستجدة سنة ٧٨٦-٧٨٨هـ / فيما تقدم ٢: ٢٢٤) .

ورَفِيقَهُ قَائِمٌ مِنْ وَرَائِهِ ، وَالْبَيْتُ مَشْغُولُ الْبَالِ لِكثْرَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُشْتَرِينَ وَمَا فِي ذَلِكَ الشَّارِعِ مِنْ غَزِيرِ النَّاسِ ، فَيُخَذَفُهَا مِنْ تَحْتِهِ وَهُوَ جَالِسٌ الْقَرْفُصَاءَ ، فَإِذَا أَحْسَسَ بِهَا رَفِيقَهُ تَنَاوَلَهَا وَمَرَّ ، وَكَذَلِكَ كَانَ فَعْلُهُمْ مَعَ الْجَبَانِينَ وَكَانُوا كَثِيرًا . فَنَظَرُ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - إِلَى بَضَاعَةِ يُشْرِقُ مِنْهَا مِثْلُ هَذَا الْقَلْبِ ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ مِنْ كَثْرَةِ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْبَضَائِعِ وَلِعَظُمِ الْخَلْقِ .

٥ ولقد حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ ، مِّنْ قَدِيمٍ مَعَ قَاضِي الْقَضَاةِ عِمَادِ الدِّينِ أَحْمَدَ الْكَرْكَي ، أَنَّهُ لَمَّا قَدِمُوا مِنَ الْكَرْكِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، كَادُوا يُذْهِلُونَ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ . وَقَالَ لِي ابْنُهُ مُحِبُّ الدِّينِ مُحَمَّدٌ : أَوَّلُ مَا شَاهَدْتُ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ حَسِبْتُ أَنَّ زُلَّةً أَوْ جَنَازَةً كَبِيرَةً تَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ ^(١) ، فَلَمَّا لَمْ يَنْقَطِعِ الْمَارَّةُ سَأَلْتُ : مَا بِأَلِ النَّاسِ مُجْتَمِعِينَ لِلْمُرُورِ مِنْ هُنَا ؟ فَقِيلَ لِي : هَذَا ذَاتُ الْبَلَدِ دَائِمًا ^١ .

١٠ ولقد كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُومُ خَلْفَ الشَّابِ أَوْ الْمَرْأَةِ ، عِنْدَ التَّمَشُّيِ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، وَيُجَامِعُ حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ وَهُمَا مَارِشِيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْزِرَكُهُمَا أَحَدٌ ، لِشِدَّةِ الرَّحَامِ وَاشْتِغَالِ كُلِّ أَحَدٍ بِلَهْوِهِ .

١٥ وما يَرِخْتُ أَجِدُ مِنَ الْإِزْدِحَامِ مَشَقَّةً ، حَتَّى أَفَادَنِي بَعْضُ مَنْ أَدْرَكَتُ أَنَّ مِنَ الرُّؤْيَى فِي الْمَشْيِ أَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ فِي مِثْبَهِ نَحْوِ شِمَالِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ كَمَا يَجِدُ غَيْرُهُ مِنَ الرُّحَامِ : فَاعْتَبَرْتُ ذَلِكَ آلَافَ مَرَّاتٍ فِي عِدَّةِ سِنِينَ فَمَا أَخْطَأَ مَعِيَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَكْثَرُ مِنْ تَأَمُّلِ الْمَارَّةِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، فَإِذَا هُمْ صَفَّانِ كُلُّ صَفٍّ يَمُرُّ مِنْ صَوْبِ شِمَالِهِ كَالسَّيْلِ إِذَا انْدَفَعَ . وَعَلَّلَ هَذَا الَّذِي أَفَادَنِي أَنَّ الْقَلْبَ مَنْ يَسَارُ كُلُّ أَحَدٍ ، وَالنَّاسُ تَمِيلُ إِلَى جِهَةِ قُلُوبِهِمْ ، فَلِذَلِكَ صَارَ مَشْيُهُمْ مِنْ صَوْبِ شِمَالِهِمْ ، وَكَذَا صَنَعَ لِي مَعَ طُولِ الْإِقْتِيَادِ ^٢ .

٢٠ وَلَمَّا حَدَّثْتُ هَذِهِ الْحِجَّةَ بَعْدَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ^(ب) ، تَلَامَنِي أَمْرُ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ ، وَذَهَبَ مَا هُنَاكَ . وَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الْقَاهِرَةِ كَمَا قِيلَ :

(a) بولاق : هنالك . (b) بولاق : سنة ست وثمانين وثمان مائة وهو خطأ .

^١ اَلْخُصْرُ هَذِهِ الْقَفْرَةُ أَبُو حَامِدٍ الْمُقْدِسِي : الْفَوَائِدُ النَّفِيسَةُ الْقَصْرَيْنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا ، إِلَى الْفَرَنْسِيَةِ فِي كِتَابَيْهَا ،

الباهرة ١٤ . Raymond, A. & Wiet, G., *Les Marchés du Caire*,

pp. 217-21.

^٢ نَقَلَ جَاسْتُونُ فَيْتِ وَأَنْدَرِيه رَعُونَ الْفَصْلَ الْخَاصَ بَيْنَ

[الخفيف]

هذه بَلْدَةٌ قَضَى اللهُ بِهَا صَا ح عليها كما تَرَى بِالْحَرَابِ
قَيْفَ الْعَيْسِ وَقَفَّةً وَابِكَ مِنْ كَا ن بها مِنْ شُبُوحِهَا وَالشُّبَابِ
وَاعْتَبِرْ إِنْ دَخَلْتَ يَوْمًا إِلَيْهَا فَهِيَ كَانَتْ مَنَازِلَ الْأَحْبَابِ

خُطُّ الْحُشْبَةِ

هذا الخُطُّ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ وَسْطِ سُوقِ بَابِ الزُّهُومَةِ ، وَيُنْتَلِكُ فِيهِ إِلَى الْحَاذِرَةِ الْقَدَوِيَّةِ ، حَيْثُ تُنْفَذُ الرُّمَامُ^(١) بِرُخْبَةِ بَيْبُزَسَ ، وَإِلَى دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ .

وَقِيلَ لَهُ خُطُّ الْحُشْبَةِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الظَّافِرَ لَمَّا قَتَلَهُ نَصْرُ بْنُ عَبَّاسَ ، / وَبَنَى عَلَى مَكَانِهِ الَّذِي دَفَنَهُ فِيهِ الْمَسْجِدَ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَسْجِدِ الْحَلِيبِيِّينَ^(٢) ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِمَسْجِدِ الْخُلَفَاءِ^(٣) ، نُصِبَتْ هُنَاكَ حُشْبَةٌ حَتَّى لَا يَمُرُّ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ رَاكِبًا ، فَعُرِفَ بِحُشْبِيَّةٍ تَصْغِيرَ حُشْبَةٍ .

وَمَا زَالَتْ هُنَاكَ حَتَّى زَالَتْ الدَّوْلَةُ وَقَامَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ بِسُلْطَنَةِ مِصْرَ ، فَأَزَالَ الْحُشْبِيَّةَ ، وَعُرِفَ هَذَا الْخُطُّ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ . وَيُقَالُ لَهُ خُطُّ حُثَامٍ حُشْبِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ الْحُثَامِ الَّتِي هُنَاكَ^(٤) . وَلَقُتِلَ الظَّافِرَ خَبِيرٌ يَحْسُنُ ذِكْرَهُ هُنَا .

ذِكْرُ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ الظَّافِرِ - وَكَانَ مِنْ خَبِيرِ الظَّافِرِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبُو الْيَمِينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنُ الْأَمِيرِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ ، فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ لَخْمِيسٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، بُويعَ ابْنُهُ أَبُو الْمُتَّصِرِ إِسْمَاعِيلُ ، وَنُعِيَ^(٥) بِـ «الظَّافِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ» بِوَصِيَّةٍ مِنْ أَبِيهِ لَهُ بِالْخِلَافَةِ ، وَقَامَ بِتَذْيِيرِ الْوِزَارَةِ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مِصَالٍ . فَلَمَ يَرُوضُ الْأَمِيرُ الْمُظْفَرُ عَلِيُّ بْنُ السَّلَارِ - وَإِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَالتَّحِيرَةِ يَوْمَئِذٍ - بِوِزَارَةِ ابْنِ مِصَالٍ ، وَحَشَدَ وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ؛ فَقَرَأَ ابْنُ مِصَالٍ ، وَاسْتَقَرَّ ابْنُ السَّلَارِ فِي الْوِزَارَةِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْعَادِلِ . فَجَهَّزَ الْعَسَاكِرَ لِلْحَارِثِيَّةِ ابْنَ مِصَالٍ فَحَارَبَتْهُ وَقُتِلَ . فَقَوِيَ وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الظَّافِرُ ، وَخَافَ مِنْهُ ابْنُ السَّلَارِ وَاحْتَرَزَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ لَهُ رِجَالًا يَمْشُونَ فِي رِكَابِهِ بِالزُّرْدِ وَالْخُوذِ -

(١) بولاق : الرخام . (ب) بولاق : مسجد الحلبيين . (ج) بولاق : لقب .

وَعَدَّوْهُمْ - سِت مائة رَجُلَ بِالنُّوبَةِ - وَنَقَلَ جُلُوسَ الظَّافِرِ مِنَ الْقَاعَةِ إِلَى الْإِيوَانِ فِي الْبِرَاحِ وَالشَّعَةِ،
حَتَّى إِذَا دَخَلَ لِلخِدْمَةِ يَكُونُ أَصْحَابُ الزُّرْدِ مَعَهُ .

ثُمَّ تَأَكَّدَتِ الثَّقَرَةُ بَيْنَهُمَا، فَفَبَضَّ عَلَى صِبْيَانِ الْخَاصِّ وَقَتَلَ أَكْثَرَهُمْ، وَفَرَّقَ بَاقِيَهُمْ وَكَانُوا
خَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ . وَمَا زَالَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ رَبِيعَةُ عَبَّاسُ بْنُ تَمِيمٍ يَدَ وَلَدِهِ نَضْرَ،
وَاشْتَقَرَّ بَعْدَهُ فِي وَزَارَةِ الظَّافِرِ .

وَكَانَ بَيْنَ نَاصِرِ الدِّينِ نَضْرَ بْنِ عَبَّاسِ الْوَزِيرِ وَبَيْنَ الظَّافِرِ مَوَدَّةٌ أَكِيدَةٌ وَمُخَالَطَةٌ، بِحَيْثُ كَانَ
الظَّافِرُ يَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَيَخْرُجُ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى دَارِ نَضْرَ بْنِ عَبَّاسٍ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ الْمَذْرُوءَةُ
السُّيُوفِيَّةُ . فَخَافَ عَبَّاسُ مِنْ جَرَاةِ ابْنِهِ، وَخَشِيَ أَنْ يَحْمِلَهُ الظَّافِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَيَقْتُلَهُ كَمَا قَتَلَ
الْوَزِيرَ عَلِيَّ بْنَ السَّلَّارِ زَوْجَ بَجْدَتِهِ أُمِّ عَبَّاسٍ . فَتَهَاوَنَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَلْخَفَ فِي تَأْنِيهِهِ وَأَفْرَطَ فِي لَوْمِهِ،
لَأَنَّ الْأُمَرَاءَ كَانُوا مُسْتَوْجِبِينَ مِنْ عَبَّاسٍ، وَكَارِهِينَ مِنْهُ تَقْرِيبَهُ أُسَامَةَ بْنَ مُثَنَّى لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ أَنَّهُ هُوَ
الَّذِي حَسَنَ لِعَبَّاسٍ قَتْلَ ابْنِ السَّلَّارِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي خَبَرِهِ، وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَتَحَدَّثُوا مَعَ الْخَلِيفَةِ
الظَّافِرِ فِي ذَلِكَ ^١ .

فَبَلَغَ أُسَامَةُ مَا هُمْ عَلَيْهِ - وَكَانَ غَرِيبًا مِنَ الدَّوْلَةِ - فَأَخَذَ يُغْرِى الْوَزِيرَ عَبَّاسَ بْنَ تَمِيمٍ بِابْنِهِ نَضْرَ،
وَيُبَالِغُ فِي تَقْبِيحِ مُخَالَطَتِهِ لِلظَّافِرِ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ مَرَّةً: كَيْفَ تَضْمُرُ عَلَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي حَقِّ
وَلَدِكَ مِنْ أَنَّ الْخَلِيفَةَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَفْعَلُ بِالنِّسَاءِ؟ فَأَنْزَلَ ذَلِكَ فِي قَلْبِ عَبَّاسٍ .

وَاتَّفَقَ أَنَّ الظَّافِرَ أَنْعَمَ بِمَدِينَةِ قَلْبُوبَ عَلَى نَضْرَ بْنِ عَبَّاسٍ، فَلَمَّا خَصَرَ إِلَى أَبِيهِ وَأَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ،
وَأُسَامَةُ حَاضِرٌ فَقَالَ لَهُ: يَا نَاصِرَ الدِّينِ مَا هِيَ بِمَهْرِكَ غَالِيَةً، يُعْرَضُ لَهُ بِالْقُحُشِ . فَأَخَذَ عَبَّاسُ مِنْ
ذَلِكَ مَا أَخَذَهُ، وَتَحَدَّثَ مَعَ أُسَامَةَ لِيَقْبِيَهُ بِهِ فِي كَيْفِيَّةِ الْخَلَاصِ مِنْ هَذَا، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِ الظَّافِرِ إِذَا
جَاءَ إِلَى دَارِ نَضْرَ عَلَى عَادَتِهِ فِي اللَّيْلِ، فَأَمَرَهُ بِمُغَاوَرَةِ ابْنِهِ نَضْرَ فِي ذَلِكَ . فَاغْتَنَمَهَا أُسَامَةُ، وَمَا
زَالَ يَنْضَرُّ يُشْتَعِّعُ عَلَيْهِ، وَيُجَرِّمُهُ عَلَى قَتْلِ الظَّافِرِ حَتَّى وَعَدَهُ بِذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ آخِرِ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، خَرَجَ الظَّافِرُ مِنْ قَصْرِهِ
مُتَنَكِّرًا وَمَعَهُ خَادِمَانِ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ، وَمَشَى إِلَى دَارِ نَضْرَ بْنِ عَبَّاسٍ، فَإِذَا بِهِ قَدْ أَعَدَّ لَهُ قَوْمًا،
فَعِنْدَمَا صَارَ فِي دَاخِلِ دَارِهِ وَثَبُّوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ هُوَ وَأَحَدُ الْخَادِمَيْنِ، وَتَوَارَى عَنْهُمَا الْخَادِمُ الْآخَرُ وَلَحِقَ
بَعْدَ ذَلِكَ بِالْقَصْرِ، ثُمَّ دَفَنُوا الظَّافِرَ وَالْخَادِمَ تَحْتَ الْأَرْضِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ الْآنَ الْمَسْجِدُ ^٢ .

^١ انظر فيما يلي ١٨٤ .

^٢ راجع، أُسَامَةُ بْنُ مُثَنَّى: الاعتبار ٤٣-٤٤ .

وكانَ سِنُّهُ يَوْمَ قُتِلَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ ، مِنْهَا فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِيهِ أَرْبَعٌ سِتِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ تَنْقُصُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ مَحْكُومًا عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ . وَفِي أَيَّامِهِ مَلَكَ الْفِرْعُ مَدِينَةَ عَسْقَلَانَ ، وَظَهَرَ الْوَهْشُ فِي الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ كَثِيرَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْجَمَاعَ الْمَعْرُوفَ بِجَمَاعِ الْفَكَاهِينِ^١ .

- ٥ وَبَلَغَ أَهْلُ الْقَصْرِ مَا عَمِلَهُ نَضْرُ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَتْلِ الظَّافِرِ ، فَكَاتِبُوا طَلَائِعَ بْنِ زُرَيْكٍ - وَكَانَ عَلَى الْأَشْمُوثِيِّ - وَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِشُغُورِ النَّسَاءِ يَسْتَضَرِّخُونَ بِهِ عَلَى عَبَّاسٍ وَابْنِهِ . فَقَدِمَ بِالْجُمُوعِ ، وَقَرَّ عَبَّاسٌ وَأَسَامَةُ وَنَضْرُ . وَدَخَلَ طَلَائِعُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ سُودٌ ، وَأَعْلَامُهُ وَبُيُودُهُ كُلُّهَا سُودٌ ، وَشُغُورُ النَّسَاءِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْقَصْرِ عَلَى الرِّمَاحِ ، فَكَانَ قَالًا عَجَبِيًّا ، فَإِنَّهُ بَعْدَ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً دَخَلَتْ أَعْلَامُ بَنِي الْعَبَّاسِ السُّودَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ لَمَّا مَاتَ الْعَاضِدُ وَاسْتَبَدَّ صَلاَحُ الدِّينِ بِمُلْكِهِ دِيَارَ مِصْرَ .

وكانَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ طَلَائِعُ أَنْ مَضَى مَاشِيًّا إِلَى دَارِ نَضْرُ ، وَأَخْرَجَ الظَّافِرَ وَالْحَادِمَ وَعَسَلَهُمَا وَكَفَّنَهُمَا ، وَحَمَلَ الظَّافِرَ فِي ثَابُوتٍ مُعَشَّى ، وَمَشَى طَلَائِعُ حَافِيًا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْقَصْرِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُ الْخَلِيفَةِ الْفَائِزُ ، وَدُفِنَ فِي ثَوْبَةِ الْقَصْرِ^٢ .

حُطَّ سَقِيقَةُ الْعَدَّاسِ

- ١٥ هَذَا الْحُطُّ فِيمَا بَيْنَ دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ وَالْبُنْدُقَانِيَيْنِ ، كَانَ يُقَالُ لَهُ أَوَّلًا سَقِيقَةُ الْعَدَّاسِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِالصَّاعَةِ الْقَدِيمَةِ / ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْأَسَاكِفَةِ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِالْحَرِيرِيَيْنِ الشَّرَارِيِّينَ ، وَبِسُوقِ الزُّمَّاجِيْنَ ، وَفِيهِ يُبَاعُ الزُّجَاجُ ، وَهُوَ حُطٌّ عَامِرٌ^٣ .

(٥) بولاق : الفاكهين .

^١ - أباشامة : الروضتين ٣٤٣:١ - ٣٤٥ ؛ ابن خلكان :
وفيات الأعيان ١: ٢٣٧ ، ٣: ١٤١٩ ؛ ابن ميسر : أخبار
مصر ١٤٧ : ١٤٧ : ٢٨ : ٣١٦ ؛ ابن أبيك :
كنز الدرر ٦: ٥٥٧ ، ٥٦٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات
٩: ١٥١ - ١٥٢ ؛ المقرئ : انعاظ الحنفا ٣: ٢٠٨ ؛ والمقفى
٢: ٤٢٠ - ٤٢٣ ، ١٢٢ ؛ وفيما يلي ١٨٣ - ١٨٤ .

^٢ - فيما يلي ٢: ٢٩٣ .

^٣ - ابن ميسر : أخبار ١٤٩ - ١٥٠ ؛ النويري : نهاية
الأرب ٢٨: ٣١٩ - ٣٢٠ ؛ المقرئ : انعاظ الحنفا
٣: ٢١٥ - ٢١٧ .

^٤ - يُدَلُّ عَلَى مَوْقِعِ حُطِّ سَقِيقَةِ الْعَدَّاسِينَ الْآنَ الْمُنَاطِقَةُ
الوَاقِعَةُ خَلْفَ جَامِعِ الشَّيْخِ مُطَهَّرٍ وَجَامِعِ الْأَشْرَفِ زَرْسَبَايَ ، =

وهذا العُدَّاس هو علي بن عمر بن العُدَّاس أبو الحسن، ضَمِنَ في أيام المِعْزَ لدين الله كُوزة بوسير، فحَلَّغَ عليه وجعَلَه، وسارَ حَلْفَه^(a) بالبُيُود والطُّبُول في جُمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاث مائة^١. فلما كان في أوَّل خلافة العزيز بالله بن المِعْزَ لدين الله، ولَّاه الوَساطَةَ - وهي رُتَبَةُ الوِزَارَةِ - بعد مَوْت الوَزيز يَعْقُوب بن يَكْلَس، ولم يُلْقِبْهُ بالوَزيز. فجلَسَ في القَصْرِ لتسع عشرة حَلَّتْ من ذي الحِجَّة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وأَمَرَ ونَهَى، ونَظَرَ في الأُمُوال، ورَتَّب العُثمَال، وأَمَرَ ألا يُطْلَقَ شيءٌ إلا بِتَوْقيعه، ولا ينفذ إلا ما قَرَّرَه وأَمَرَ به. وأَمَرَ العزيز بالله أن لا يَرْتَفِقَ - أي يَرْتَشِي - ولا يَزْتَرِقَ - يعني أَنَّهُ لا يَقْبَل هَدِيَّةً - ولا يُضَيِّع دِينَارًا ولا دِرْهَمًا^٢، فأقام سَنَةً، وصَرِفَ في أوَّل المحَرَّم من سنة ثلاث وثمانين، فقَرَّرَ في ديوان الاستيفاء. إلى أن كان جُمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، حَسَنَ لأبي طاهر محمود الثُّخوي الكاتب - وكان مُنْقَطِعًا إليه - أن يَلْقَى الحَاكِم بأمر الله ويُطْلِعَه ما تَشْكُوهُ النَّاسُ من تَظَاهُرِ النَّصَارَى وَعَلْيِهِم على المملكة وتَوَازُرِهِم، وأنَّ فَهَدَ بن إبراهيم هو الذي يُقَوِّي نُفُوسَهُم، ويُفَوِّضُ أُمُرَ الأُمُوال والدَّواوين إليهم، وأَنَّهُ آفَقَ على المسلمين وعُدَّةً لِلنَّصَارَى.

فَوَقَّفَ أبو طاهر للحاكم ليلاً في وقت طَوافِهِ في اللَّيْلِ وبَلَّغَهُ ذلك، ثم قال: يا مَوْلانا إن كنت تُؤثِّرُ جَمْعَ الأُمُوال وإِعْزَازَ الإِسْلام، فَأَرِنِي رَأْسَ فَهَدَ بن إبراهيم في طَسْتٍ، وإلا لم يتم من هذا شيء! فقال له الحاكم: وَيَحْكُ، وَمَنْ يَقُومُ بهذا الأَمْرِ الذي تَبَدَّلَه^(b) وَيَضْمَنُهُ؟ فقال: عَبْدُكَ علي ابن عمر بن العُدَّاس. فقال: وَيَحْكُ، أَوْ يَفْعَلُ هذا؟ قال: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. قال: قُلْ له يَلْقَانِي هَلْهُنَا في عَيدٍ.

وَمَضَى الحَاكِمُ، فجاء أبو طاهر إلى ابن العُدَّاس وأَعْلَمَه بما جَرَى، فقال: وَيَحْكُ قَتَلْتَنِي وَقَتَلْتَ نَفْسَكَ. فقال: مَعَاذَ اللَّهِ! أَقْتَضِي لِهَذَا الكَلْبِ الكَافِرِ على ما يَفْعَلُ بالإِسْلام والمُسلمين، وَيَحْكُمُ فِيهِم من اللَّيْبِ بالأُمُوال؟ والله إن لم تَشْعُ في قَتْلِهِ لَيْسَعِينَ في قَتْلِنَا^(c).

(a) بولاق: خلفته. (b) بولاق: تذكره. (c) النسخ: قتلك والمثبت من المسودة.

= ويخترقها شارع السكة الجديدة (بحوهر القائد) من الشرق إلى الغرب، وشارعي سوق الشحك والشبع قاعات البحرية من الجنوب إلى الشمال.
١ المقرئ: انما الحنفيا ١: ٢١٧.
٢ نفسه ١: ٢٧٣، ٢٩٣.
من شارع الحفراوي الصخر بين حارة شمس الدولة وشارع الأزهر. (أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٤: ٥٢٠هـ).
أما شقيقة العُدَّاسين فيحدّد موضعها الآن الجزء الغربي

فلما كان في الليلة القابلة، وَقَفَ علي بن عمر القدّاس للحاكم ووافقه على ما يحتاج إليه .
فَوَعَدَهُ بِأَنْجَازِ مَا أُنْفَقَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْكِثْمَانِ ، وَأَنْصَرَفَ الْحَاكِمُ . فلما أَصْبَحَ رَكِبَ القدّاس إلى
دار قائد القوّاد حُسين بن جُوهر القائِد ، فلقي عنده فَهْد بن إبراهيم ، فقال له فَهْد : يا هذا ، كم
تُؤْذِنِي وَتَقْدَحُ فِيَّ عِنْدَ سُلْطَانِي ؟ فقال القدّاس : والله ما يَقْدَحُ وَلَا يُؤْذِنِي عِنْدَ سُلْطَانِي وَيَسْئَلُنِي
عَلِيَّ غَيْرِكَ . فقال فَهْد : سَلَطَ اللهُ عَلَى مَنْ يُؤْذِي صَاحِبَهُ فِيْنَا وَيَسْئَلُنِي بِهِ سَيْفَ هَذَا الْإِمَامِ الْحَاكِمِ
بِأَمْرِ اللهِ .

فقال القدّاس : آمين ، وَعَجَّلْ ذَلِكَ وَلَا تُثْمِلْهُ .

فَقُتِلَ فَهْدٌ فِي ثَامِنِ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَضُرِبَتْ عُقْفُهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنْذُ نَظَرٍ فِي الرُّؤَاسَةِ خَمْسَ سِنِينَ
وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا^١ ، وَقُتِلَ القدّاسُ بَعْدَهُ بِتِسْعَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَاشْتَجِبَ دُعَاءُ كُلِّ
مِنْهُمَا فِي الْآخِرِ ، وَذَهَبَا جَمِيعًا ، وَلَا يَظَلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاكِمَ خَلَعَ عَلَى القدّاسِ فِي
رَابِعِ عَشْرِهِ وَجَعَلَهُ مَكَانَ فَهْدٍ ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ . فَهَنَأَهُ النَّاسُ ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى خَامِسِ
عَشْرِينَ رَجَبَ مِنْهَا . فَضُرِبَتْ رَقَبَةُ أَبِي طَاهِرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ التُّخُوِي^٢ - وَكَانَ يَنْظُرُ فِي أَعْمَالِ الشَّامِ -
لِكَثْرَةِ مَا رُفِعَ عَلَيْهِ مِنَ التَّجْبِيرِ وَالْعَشْفِ . ثُمَّ قُتِلَ القدّاسُ فِي سَادِسِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
وِثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَأُخْرِقَ بِالنَّارِ^٣ .

حُطُّ الْبُنْدُقَانِيَيْنِ

هَذَا الْحُطُّ كَانَ قَدِيمًا إِسْطَبْلَ الْجُمَيْرَةِ - أَحَدِ إِسْطَبْلَاتِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ^٤ - فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ
اِخْطُطَّ وَصَارَتْ فِيهِ مَسَاكِينٌ وَشَوْقٌ مِنْ جَمَلَتِهِ عِدَّةٌ ذَكَاءِ كِنٍ لَعَمَلِ قَيْسِي الْبُنْدُقِ ، فَغَرِفَ الْحُطُّ
بِالْبُنْدُقَانِيَيْنِ لِذَلِكَ .

ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَرَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلنَّصَفِ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ
الْجُمُعَةِ ، فَمَا قَضَى النَّاسُ الصَّلَاةَ إِلَّا وَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ . فَزَكِبَ إِلَيْهِ الْوَالِي الْقَاهِرَةُ وَالتَّيْرَانِ قَدْ ارْتَفَعَ

^١ وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (ابن الصيرفي : ٥٨) .

الإشارة ٥٨؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٤٤٠٢ . ^٣ المقرئ : مسودة المواعظ ٣٨٠-٣٨٢ ، وقارن :

^٢ وذلك في خامس عشر شهر رجب سنة ثلاث وتسعين

وثلاثمائة (المقرئ : اتعاظ ٤٤٠٢) ؛ وراجع عن أبي الطاهر

محمود بن محمد النحوي بن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق

^٤ فيها تقدم ٥١٨:٢-٥١٩ .

لَهَيْهَا، واجْتَمَعَ النَّاسُ فلم يُعْرِفْ من أين كان ابتداء الحريق. وَاثَقَّ هُبُوبُ رِيَّاحٍ عَاصِفَةٍ، فَحَمَلَتْ شَرَرَ النَّارِ إِلَى أَمَدٍ بَعِيدٍ، وَوَصَلَتْ أَشْعَثُهَا إِلَى أَنْ رُمِيتْ مِنَ الْقَلْعَةِ. فَزَكِبَ الْوَزِيرُ مَنْجَلَكَ بِمَالِكَ الْأُمَرَاءِ، وَجَمِعتِ السُّقَاوُونَ لَطْفِي النَّارِ، فَعَجَزُوا عَنْ إطفَائِهَا.

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ فَزَكِبَ الْأَمِيرُ شَيْخُو وَالْأَمِيرُ طَازُ وَالْأَمِيرُ مُغَلَطَايَ أَمِيرَا خُورٍ، وَتَرَجَّلُوا عَنْ خُيُولِهِمْ، وَمَنْعُوا النَّهَابَةَ مِنَ التَّعَرُّضِ إِلَى نَهَبِ الْبُيُوتِ الَّتِي اخْتَرَقَتْ. وَعَمَّ الْحَرِيقُ ذَكَائِينَ الْبُنْدُقَانِيِّينَ وَذَكَائِينَ الرُّسَامِينَ وَخَوَانِيتِ الْفُقَاعِيِّينَ وَالْفُنْدُقِ الْمَجَاوِرِ لَهَا وَالزُّوْبَعِ عُلُوهُ، وَعَمِلَتْ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي نَيْتَ بَيْتِ بَيْبُوسَ رُكْنَ الدِّينِ الْمَلْقَبُ بِالْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ، وَالزُّوْبَعِ الْمَجَاوِرِ لَهُ إِلَى رُقَاقِ الْكُنَيْسَةِ. فَمَا زَالَ الْأَمِيرُ شَيْخُو وَاقِفًا بِنَفْسِهِ وَمَالِيكُهُ وَمَعَهُ الْأُمَرَاءُ إِلَى أَنْ هَلِمَ مَا هُنَالِكَ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ مَا تَمُرُّ بِهِ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ الدَّلَاءِ - الَّتِي كَانَتْ تُعْرِفُ قَدِيمًا بِبَيْتِ زَوَيْلَةَ، وَمِنْهَا كَانَ يُسْتَقَى لِاسْطَبْلِ الْجَمِيزَةِ - فَأَخْرَقَتْ مَا جَاوَزَ الْبَيْتَ مِنَ الْأَمَاكِينِ إِلَى خَوَانِيتِ الْفُكَّاهِ وَالطَّبَّاخِ وَمَا يَجَاوِرُهُمَا مِنَ الْخَوَانِيتِ وَالزُّوْبَعِ الْمَجَاوِرِ لِدَارِ الْجَوْكُنْدَارِ، وَكَادَتْ أَنْ تَصِلَ إِلَى دَارِ الْقَاضِي عِلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ كَاتِبِ السَّرِّ، الْمَجَاوِرَةِ لِحَمَامِ الشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِود^١.

وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْخَطِّ حَتَّى حَوَّلَ مَتَاعَهُ خَوْفًا مِنَ الْحَرِيقِ. فَكَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ / بَيْنَمَا هُمْ فِي نَقْلِ ثِيَابِهِمْ، وَإِذَا بِالنَّارِ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ، فَيَتَرَكُونَ مَا فِي الدَّارِ وَيَنْجُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَالْأُمَرَاءُ يَغْضُمُ وَالْهَدْمُ وَاقِعٌ فِي الدُّورِ الْمَجَاوِرَةِ لِأَمَاكِينِ الْحَرِيقِ خَشْيَةً مِنْ تَعَلُّقِ النَّارِ بِهَا، فَسَرَى إِلَى جَمِيعِ الْبُلْدِ إِلَى أَنْ أَتَى الْهَدْمُ عَلَى سَائِرِ مَا كَانَ هُنَالِكَ. فَأَقَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَتَيْنِ وَالْأُمَرَاءُ وَقُوفٌ. فَلَمَّا خَفَّ انْصَرَفَ الْأُمَرَاءُ، وَوَقَّفَ وَالِي الْقَاهِرَةِ وَمَعَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ لَطْفِي مَا بَقِيَ، فَاسْتَمَرُّوا فِي طَفِيقِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ.

وَكَانَ الْمُصَابُ بِهَذَا الْحَرِيقِ عَظِيمًا تَلَفَ فِيهِ لِلنَّاسِ مِنَ الْمَالِ وَالثِّيَابِ وَالْمَصَاغِ وَغَيْرِهِ بِالْحَرِيقِ وَالتَّهَبِ مَا لَا يَغْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ. هَذَا مَعَ مَا كَانَ فِيهِ الْأُمَرَاءُ مِنْ مَنَعِ النَّهَابَةِ، وَكَمْفِهِمْ عَنْ أُمُورِ النَّاسِ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَدْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَعَظَبَ بِالنَّارِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَوَصَلَ خَرِيقُ النَّارِ إِلَى قَيْسَارِيَةِ طَشْتَشْمَرٍ وَزَيْعٍ بِكُتْمَرِ السَّاقِي.

فَلَمَّا كَفَى اللَّهُ أَمْرَ هَذَا الْحَرِيقِ، وَأَعَانَ عَلَى طَفِيقِهِ، بَعْدَ أَنْ هُدِمَتْ عِدَّةُ أَمَاكِينٍ جَلِيلَةٍ مَا بَيْنَ رِيَّاحٍ وَخَوَانِيتٍ، وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي أَمَاكِينٍ مِنْ دَاخِلِ الْقَاهِرَةِ وَخَارِجِ بَابِ زَوَيْلَةَ. وَوُجِدَ فِي بَعْضِ

^١ واسمه علاء الدين علي بن الكوراني (فيما يلي ٩٠: ٩١).

المواضيع التي بها الحريق كعكات يَزَيَّب وقطران ، فثَلِمَ أَنَّ هذا من فعل النَّصَارَى ، كما وَقَعَ في الحريق الذي كان في أيام الملك الناصر ، وقد ذُكِرَ في خَبَرِ البَوَكَّة^(a) النَّاصِرِيَّة^١ .

فثَوَدِي في النَّاس أَن يَخْتَرِشُوا على مَسَاكِنِهِمْ . فلم يَبْقَ أَحَدٌ من النَّاس ، أَغْلَاهُمْ وَأَذْنَاهُمْ ، حتى أَغْد في داره أَوْعِيَّةٌ مَلَانَةٌ بالماء ما بين أخواضٍ وأزيار ، وصاروا يَتَنَازَبُونَ الشَّهْرَ في اللَّيْلِ ، ومع ذلك فلا يَذَرِي أَهْلُ الْبَيْتِ إِلَّا وَالثَّار قد وَقَعَتْ في بَيْتِهِمْ ، فينداركون طَفَافًا لَعْلًا تَشْتَعِلُ وَيَضْعُبُ أَمْرُهَا .
وَتَرَكَ جَمَاعَةً من النَّاس الطَّيِّعِ في الدُّور ، وَتَمَادَى ذلك في النَّاس من نصفِ صَمَقَرٍ إلى عَايِرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . فَأَخْضَرَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُشْتَمَرُ^(b) شَادَ الدَّوَابِينَ نُشَابَةً في وَسْطِهَا نَقْطٌ قد وَجَدَهَا في سَطْحِ داره ، فأراها لِلْأَمْرَاءِ وهي محروقة النَّصْل . فَصَدَّرَ أَقْرَ الْوَزِيرِ مَنَجَلَكُ لِلْأَمِيرِ علاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الْكُورَانِي والي القاهرة بِالْقَبْضِ على الحَرَاغِيش^٢ ، وتقييدهم وسجنهم خَوْفًا من غَائِلَتِهِمْ وَتَهْبِيبِ النَّاسِ عند وَقُوعِ الْحَرِيقِ . فَتَجَبَّعَهُمْ وَقَبَضَ عَلَيْهِمْ في اللَّيْلِ من بُيُوتِهِمْ ومن الْحَوَانِيتِ حتى خَلَّتِ السَّكَكُ مِنْهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَاءَ كَلَّمُوا الْوَزِيرَ فِي أَمْرِهِمْ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَثَوَدِي في الْبَلَدِ إِلَّا يُعْجِمُ فِيهَا غَرِيبٌ ، وَطَلَّبُوا الْخَفَرَاءَ وَوَلَاةَ الْمَرَاكِزِ وَأَمَرُوا بِالْإِحْتِفَازِ وَتَجَبُّعِ النَّاسِ ، وَأَخَذَ مِنْ يَتَوَكَّمُ فِيهِ رِيَّةٌ أَوْ يُنْكَرُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ . هذا وَأَمَرُ^(c) الْحَرِيقُ في تَرَايِدِ ، وصَارَ والي القاهرة من ذلك في تَعَبٍ كَبِيرٍ ، لَا يَتَامَ هو وَلَا أَغْوَاهُ في اللَّيْلِ أَلْبَتَّةَ لِكثَرَةِ الصَّيْحَاتِ^(d) في اللَّيْلِ .

^(a) بولاق : السيرة . (b) بولاق : قشتمر . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الضججات .

المخترفين وذوي العاهات والمُتَعَطِّلِينَ والعاهرات . وَيَتَدَوَّنُ الْحَرَاغِيشُ قَدْ شَكَّلُوا تَوَعُّدًا مِنَ الطَّائِفَةِ كَانَ بِرَأْسِهَا شَيْخٌ يُطْلَقُ عَلَيْهِ «سُلْطَانُ الْحَرَاغِيشِ» ؛ كَمَا شَكَّلُوا جَمَاعَةً خَطِرَةً كَانَتْ تُسَاهِمُ فِي الْفِتَنِ الشَّعْبِيَّةِ وَفِي عَمَلِيَّاتِ التَّهْبِ . وَلَبَّطَ هَذِهِ الْعَانِصِرَ الْمَصْرُوعَةَ وَالْمُنَظَّمَةَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ ، كَانَ السَّلَاطِينُ وَكِبَاؤُ الْأَمْرَاءِ يَتَضَدَّقُونَ عَلَيْهِمْ ، كَمَا كَانَ يَتَوَلَّى الثَّقَفَةَ عَلَيْهِمْ فِي فَنَاتِ الْجَمَاعَاتِ الْأَمْرَاءِ وَكِبَاؤِ الشُّجَارِ . (راجع ، Brinner, W. M., «The Significance of the Harāfish and their 'Sultan'», *JESHO* VI (1963), pp. 190-215, id., *El* art. *Harāfish* III, p. 211-12. ؛ وفيما يلي ٧:٥٠٠ .

(١٨:٥٥٣) .

^١ فيما يلي ٥٥٠ ، ٥١٢:٢ ، ٥١٣ .
^٢ الْحَرَفُوشُ ج. الْحَرَاغِيشُ . مُصْطَلَحٌ يَدُلُّ عَلَى الْفَقَّةِ الدُّنْيَا مِنْ طَبَقَاتِ الْمُجْتَمَعِ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ ، مِثْلُ : الْمُشَرَّدِينَ أَوْ الشُّوْقَةَ أَوْ الْأَوْغَادَ ... وَهُوَ مُصْطَلَحٌ يُقَالُ فِي الْحَوَالِي وَالْمُؤَلَّفَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي نُكِتَتْ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ اغْتِيَاظًا مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الثَّلَاثِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ وَحَتَّى مِثْلَ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ / السَّادِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَآخِرُ الْمُؤَلَّفِينَ الَّذِينَ اسْتَعْدَمُوا هَذَا الْمِصْطَلَحَ بِهَذَا الْمَعْنَى ابْنُ يَاسِينَ .

وَيُمَثِّلُ الْحَرَاغِيشُ جَمَاعَاتٍ انْتَشَرَتْ فِي الْمَرَاكِزِ الْغُرْبَانِيَّةِ ، عَلَى الْأَخْصَ فِي الْقَاهِرَةِ وَدِمَشْقَ ، تَأَلَّفَ مِنَ الْمُتَسَوِّلِينَ

وَوَقَعَ حَرِيقٌ فِي شَوْنَةِ خَلْفَاءَ بِمَصْرٍ مُجَاوِرَةً لِمَطَابِغِ الشُّكْرِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَرَكِبَ الْقَاضِي عَلمُ الدِّينِ بْنِ زُبَيْرٍ نَاطِرَ الْخَاصِّ فِي جَمَاعَةٍ ، وَخَرَجَ عَائِلَةً أَهْلَ مِصْرَ وَتَكَاثَرُوا عَلَى الشُّونَةِ حَتَّى طَفِئَتْ . وَوَقَعَ الْحَرِيقُ فِي عِدَّةٍ أَمَاكِنَ بِمِصْرَ ، وَاسْتَمَرَ الْحَرِيقُ بِمِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ مَدَّةَ شَهْرٍ مِنْ ابْتِدَائِهِ بِالْبُنْدُقَانِيِّينَ وَلَمْ يُعْلَمَ لَهُ سَبَبٌ ^١ .

٥ واستمر أكثر حُطِّ البُنْدُقَانِيِّينَ خَرَابًا إِلَى أَنْ عَمَّرَ الْأَمِيرُ يُوسُفُ الثَّوْرُوزِيُّ ، ذَوادَارَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ ، الرَّوْبَعِ فَوْقَ بَيْتِ الدَّلَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِبَيْتِ زَوِيلَةَ ، وَأَنْشَأَ بِجَوَارِ ذَرْبِ الْأَنْجَبِ الْحَوَانِيَّتِ وَالزُّبَاعِ وَالْقَيْسَارِيَّةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

ثم أَنشَأَ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْحَاجِبِ ، ابْنُ أُخْتِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفُ الْأَشْتَادَارِ ، دَارَهُ بِجَوَارِ حَمَامِ ابْنِ عُبُودَ ، فَاتَّصَلَ ظَهْرُهَا بِذَكَائِنِ الْبُنْدُقَانِيِّينَ ، فَصَارَ فِيهَا مَا كَانَ مِنْ خَرَابِ الْحَرِيقِ هُنَاكَ حَيْثُ الْحَوْضُ الَّذِي أَنْشَأَهُ تَجَاهَ دَارِ بَيْتِزَسَ .

١٠ ولقد أَدْرَكْنَا فِي حُطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ عِدَّةً كَثِيرَةً مِنَ الْحَوَانِيَّتِ الَّتِي يُبَاعُ فِيهَا الْفُقَاعُ تَبْلُغُ نَحْوَ الْعِشْرِينَ حَافِئًا . وَكَانَتْ مِنْ أَنْزَعِ مَا يُرَى ، فَإِنَّهَا كَانَتْ كُلُّهَا مُرَحَّمةً بِأَنْوَاعِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ ، وَبِهَا مَصَانِعُ مِنْ مَاءٍ تَجْرِي إِلَى قَوَارَاتٍ تَقْدِفُ بِالْمَاءِ عَلَى ذَلِكَ الرُّخَامِ حَيْثُ كِيْزَانُ الْفُقَاعِ مَرْصُوصَةٌ ، فَيُسْتَحَسَنُ مَنَظَرُهَا إِلَى الْغَايَةِ ، لِأَنَّهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَالنَّاسِ يَمْرُونُ بَيْنَهُمَا .

١٥ وَكَانَ بِهَذَا الْحُطِّ عِدَّةُ حَوَانِيَّتٍ لَعْمَلِ ^(أ) قَيْسِي الْبُنْدُقِ ، وَعِدَّةُ حَوَانِيَّتٍ لِرِسْمِ أَشْكَالِ مَا يُطَوَّرُ بِالذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ ، وَقَدْ بَقِيََتْ مِنْ هَذِهِ الْحَوَانِيَّتِ بِقَايَا يَسِيرَةً . وَهُوَ مِنْ أَسْطِطَاطِ الْقَاهِرَةِ الْحَشِيمَةِ ^(ب) .

حُطُّ دَارِ الْيَسْتِجِاجِ

٢٠ هَذَا الْحُطُّ هُوَ فِيمَا بَيْنَ شُطْطِ الْبُنْدُقَانِيِّينَ وَالْوَزِيرِيَّةِ ، وَكَانَ أَوَّلًا يُعْرَفُ بِحُطِّ دَارِ الدِّيَاجِ ، لِأَنَّ دَارَ الْوَزِيرِ يَغْقُوبَ بْنِ كَلَّسَ - الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا الْيَوْمَ الْمَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّةُ وَذَرْبُ الْحَرِيرِيِّ وَالْمَدْرَسَةُ الشَّيْخِيَّةُ - عَمِلَتْ دَارًا يُنْتَجَجُ فِيهَا الدِّيَاجُ وَالْحَرِيرُ بِرِسْمِ الْخَلْفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَصَارَتْ تُعْرَفُ بِدَارِ

(أ) بولاق : لعمل . (ب) بولاق : الحسمة .

^١ انظر كذلك خبر هذا الحريق عند المقرئ: السلوك ١١٦:٢-١١٨؛ ابن إياس: بلاغ الزهور ١/

الدِّيَاج فَتُسَبَّ إِلَيْهَا الخُطُّ^١، إِلَى أَنْ سَكَنَ هُنَاكَ الوَزِيرُ صَفِي الدِّين عبد الله بن علي بن شُكْر، فِي أَيَّام العَادِل أَبِي بَكْر بن أَيُّوب، فَصَارَ يُعْرَفُ بِخُطِّ سُوَيْقَةِ الصَّاحِب. وَهُوَ خُطُّ حَشِيم^٢ بِهِ مَسَاكِينُ جَلِيلَةٌ وَشَوْقٌ وَمَذْرُوسَةٌ.

خُطُّ المِلْحِيَّين

- هَذَا الخُطُّ فِيمَا بَيْنَ الوَزِيرِيَّةِ وَالبُنْدُاقَانِيَّين مِنْ وَرَاءِ دَار الدِّيَاج، وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ خُطُّ طَوَاحِينِ المِلُوحِيَّين - هَوَاوٍ بَعْدَ اللَّامِ وَقَبْلَ الحَاءِ الْمَهْمَلَةِ - وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ خُطُّ المِلْحِيَّين، عُرِفَ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْعَشُكَّرِ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَنَصِرِ بِاللَّهِ يُقَالُ لَهَا المِلْحِيَّةُ؛ وَهِيَ الَّذِينَ قَامُوا بِالْفَيْتَةِ فِي أَيَّامِ الْمُشْتَنَصِرِ إِلَى أَنْ كَانَ مِنَ الْقَلَاءِ مَا أَوْجَبَ خَرَابَ الْبِلَادِ، وَنَهَبَ خَزَائِنَ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَنَصِرِ^٣.
١٠. فَلَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الجُيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَتَقَلَّدَ وَزَارَةَ الْمُشْتَنَصِرِ، وَتَجَرَّدَ لِإِصْلَاحِ إقْلِيمِ مِصْرَ، وَتَبَعَّ الْمُفْسِدِينَ وَقَتَّلَهُمْ، سَارَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعٍ مَائَةٍ إِلَى الْوَجْهِ الْبَيْخَرِيِّ، وَقَتَلَ لَوَائِةَ وَقَتَلَ مَقْدَمَهُمْ سُلَيْمَانَ اللَّوَاتِي وَوَلَدَهُ، وَاسْتَنْصَفَى أَمْوَالَهُ^٤، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى دِمْيَاطَ وَقَتَلَ فِيهَا عِدَّةً مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَلَمَّا أَصْلَحَ جَمِيعَ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ، غَدَى إِلَى الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ المِلْحِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ بِقَرْعِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ بَعْدَمَا أَقَامَ أَيَّامًا يُحَاصِرُ^٥ الْبَلَدَ وَهُمْ يَتَنَمَّوْنَ عَلَيْهِ وَيُقَاتِلُونَهُ إِلَى أَنْ أَخَذَهَا عُنُودُهُ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِدَّةً كَثِيرَةً^٦.
١٥. وَكَانَ بِهَذَا الخُطُّ عِدَّةٌ مِنَ الطَّوَاحِينِ، فَسَمِّيَ بِخُطِّ طَوَاحِينِ المِلْحِيَّين، وَبِهِ إِلَى الْآنَ يَسِيرُ مِنَ الطَّوَاحِينِ.

(a) بولاق : جسيم . (b) بولاق : أموالهم . (c) بولاق : محاصر .

^١ فيما تقدم ٥١٩:٢ - ٥٢٠.

^٢ فيما تقدم ١٣٥:٢ - ١٤٢، ٣٧٠ - ٣٧٩.

^٣ راجع، السجلات المستنصرية سجل ٥٦ و ٥٧؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ٩٩٦، ساويرس بن المقفع: تاريخ البطارقة ٢/٣:٢٠٣ - ٢٠٤؛ ابن ظافر:

أخبار الدول المنقطعة ١٧٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤١

النوري: نهاية الأرب ٢٨:٢٣٦ - ٢٣٨؛ المقرئ: انعاظ

الحنفا ٢: ٣١٤، المقفى الكبير ٢: ٣٩٦؛ أبا المحاسن: النجوم

الواهرة ٥: ٢١ - ٢٢؛ وفيما تقدم ٢: ٢٧٧ - ٢٧٨.

المسطح^(a)

هذا الخطُ فيما بين حُطِّ المَلْحِينِ وحُطِّ سُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ، وفيه اليوم سوق الرقيق - الذي يُعرَف بِسوق الجوار^١ - والمَدْرَسَةُ الحُسَامِيَّةُ^٢، وما دار به ويُعرَف بِالمِشْطَاح. وبخارج باب القَنْطَرَةِ، قَرِيبٌ من باب الشُّعْرِيَّةِ أَيْضًا^٣، حُطٌّ يُعرَف بِالمِشْطَاح^٤.

حُطُّ قَصْرِ امِيرِ سِلَاح

هذا الخطُ تَجَاهَ حِمَامِ البَيْتِ سَرِي تَيْنَ القَصْرِ تَيْنِ، يُشَلِّك فيه إلى مَدْرَسَةِ الطَّوَّاشِي سَابِقِ الدِّينِ المعروفة بِالشَّابِيقِيَّةِ^٥، وكان يُخْرَجُ منه إلى رَحْبَةٍ باب العيد من باب القصر إلى أن هَدَمَهُ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْشَفُ الأُسْتَاذَارُ، وَبَنَى فِي مَكَانِهِ القَيْسَارِيَّةَ المُسْتَجَلَّةَ بِجِوَارِ مَدْرَسَتِهِ من رَحْبَةٍ باب العيد، فَصَارَ هذا الخطُ غَيْرَ نَافِذٍ. وكان شَارِعًا مَسْلُوكًا يَمُرُّ فِيهِ النَّاسُ وَالدَّوَابُّ بِالأَحْمَالِ؛ فَزَكَّبَ عَلَيْهِ جَمَالُ الدِّينِ المَذْكُورُ دُرُوبًا لِحِفْظِ أَمْوَالِهِ.

(a) بولاقي: خط المسطح.

الخطط التوفيقية ٣: ١٢٨). وتُسَمَّى العَامَّةُ باب القَنْطَرَةِ خَطًّا بِاسْمِ باب الشُّعْرِيَّةِ. أمَّا بابُ الشُّعْرِيَّةِ فَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ القَاهِرَةِ الخَارِجَةِ فِي سورِهَا البَحْرِيِّ الَّذِي أَنشَأَهُ صَلَاحُ الدِّينِ غُرْبِي الخَلِيجِ فِي المَسَافَةِ الوَاقِعَةِ بَيْنَ الخَلِيجِ وَبَابِ البَحْرِ (انظر فيما يلي ٣١٥هـ). وكان قائمًا كَذَلِكَ فِي القرنِ التَّاسِعِ عَشَرَ حَيْثُ يَوجَدُ عَلَى خَرِيطَةِ Grand bey الَّتِي رَسَمَهَا سَنَةُ ١٨٧٤ عَلَى رَأْسِ سَكَّةِ بابِ الشُّعْرِيَّةِ ثُمَّ هُدمَ فِي سَنَةِ ١٨٨٤ بِمَعْرِفَةِ العُصْبِيَّةِ لَخَلَّي فِي مِنبَاهِ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ مَوْضِعَهُ كَانَ عَلَى يَسَارِ الدَّاخِلِ الآنَ فِي شَارِعِ بَورْسَعِيدٍ قَادِمًا مِنْ مِيدَانِ بابِ الشُّعْرِيَّةِ بِالقَرَبِ مِنْ جَامِعِ وَمَقَامِ سَيِّدِي العَدَوِيِّ عَلَى رَأْسِ سِكَّةِ الفُجَّالَةِ (من تَعْلِيقَاتِ مُحَمَّدٍ رَمَزِي عَلَى النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ٤: ٣٣٩هـ، ١١: ٢٣٣هـ).

^٤ المقرئ: مسودة المواظ ٣٨٢.

^٥ فيما يلي ٢: ٢٩٣.

^١ يُقَالُ سوقُ الرِّقِيقِ مِنْ مَوْضِعِهِ بِحُطِّ المِشْطَاح - فِيمَا بَيْنَ الوِزِيرِيَّةِ وَحُطِّ المَلْحِينِ - فِي رَجَبِ الأوَّلِ سَنَةِ ٨٢١هـ / ١٤١٨م، إِلَى قُدْتُقُ تَجَاهِ المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى مَوْضِعِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ. (المقرئ: السلوك ٤: ٤٤٢).

^٢ انظر المدرسة الحُسامِيَّةَ فِيمَا يَلِي ٢: ٣٨٦.

^٣ فَاتَنِي أَن أُحَدِّدَ مَوْضِعَ بابِ القَنْطَرَةِ وَالشُّعْرِيَّةِ عِنْدَ ذِكْرِ المقرئ لِأَبْوَابِ القَاهِرَةِ (فِيمَا تَقَدَّمَ ٢: ٢٧٩). فَبَابُ القَنْطَرَةِ الأوَّلُ الَّذِي أَقَامَهُ جَمُوحُ القَائِدِ كَانَ مَوْضِعُهُ عِنْدَ مَدْخَلِ شَارِعِ أَمِيرِ الجِيُوشِ الجُؤَانِيِّ تَجَاهَ مَدْرَسَةِ بابِ الشُّعْرِيَّةِ، ثُمَّ أَقَامَ صَلَاحُ الدِّينِ وَبِهَاءُ الدِّينِ فِرَاقُوشَ بابَ القَنْطَرَةِ الجَدِيدَ عَلَى حَافَةِ الخَلِيجِ إِلَى الْغَرْبِ مِنَ الْبَابِ الْقَدِيمِ وَعَلَى بَعْدِ ٢٥ مِتْرًا مِنْهُ، وَهَذَا الْبَابُ كَانَ مَوْجُودًا حَتَّى عَامَ ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م عِنْدَمَا أَمَرَ بِهَدْمِهِ الأَمِيرُ قَاسِمُ بَاشَا مُحَافِظِ مِصْرَ، وَكَانَ الدَّاخِلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ بِمِصْرِ فِي حَارَةِ المَرْتَاخَةِ. (علي مبارك:

وكان هذا الخُطُّ من أخصَصْ أَمَاكِنِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ، فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ، وَتَفَرَّقَ أُمَرَاءُ صَلَاح الدِّينِ يُوسُفَ الْقَصْرِ، عُرِفَ هَذَا الْمَكَانَ بِقَصْرِ شَيْخِ الشُّيُوخِ ابْنِ حَمَوَيْهِ الْوَزِيرِ لِسَكْنِهِ فِيهِ^١، ثُمَّ عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَصْرِ أَمِيرِ سِلَاحَ وَبَقَصْرِ سَابِقِ الدِّينِ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ. وَسَبَبُ شُهْرَتِهِ بِأَمِيرِ سِلَاحَ أَنَّهُ اتَّخَذَ بِهِ عَمَائِرَ جَلِيلَةً هِيَ بِيَدِ وَرَثَتِهِ إِلَى الْآنَ.

- وَأَمِيرُ سِلَاحَ هَذَا هُوَ (a) بَنُكَاشُ الْفَخْرِيُّ الْأَمِيرُ بَذَرُ الدِّينِ أَمِيرُ سِلَاحِ الصَّالِحِيِّ النُّجُمِيِّ^٢، كَانَ أَوَّلًا تَمْلُوكًا لِفَخْرِ الدِّينِ ابْنِ الشُّيُخِ، فَصَارَ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ قَدَمِهِ مِنَ الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ الَّذِينَ مَلَكَوا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مِنْ بَعْدِ انْقِصَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُيُوتِيَّةِ. وَتَأَمَّرَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَتَقَدَّمَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَازِ الْبُشْدُقْدَارِيِّ، وَاسْتَمَرَّ أَمِيرًا مَا يُنِيفُ عَلَى السُّتَيْنِ سَنَةً لَمْ يُنْكَبْ فِيهَا قَطُّ. وَعَظُمَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ^٣، تَجَاوَزَ مَرَّةً مَعَ السُّلْطَانِ فِي حَدِيثِ الْأُمَرَاءِ. فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ الْمُتَّصِرُ: أَمَّا الْيَوْمَ فَمَا بَقِيَ فِي الْأُمَرَاءِ غَيْرَ أَمِيرِ سِلَاحَ. إِذَا قُلْتَ فَارِسَ خَيْلِ شُجَاعٍ مَا يَرِدُ وَجْهَهُ عَنْ^(b) عَدُوِّهِ، وَإِذَا حَلَفَ مَا يَخُونُ، وَإِذَا قَالَ صَدَقَ. فَقَالَ طُرُنْطَايُ: وَاللَّهِ يَا خُوْنَدُ لَهُ إِقْطَاعٌ عَظِيمٌ مَا كَانَ يَصْلُحُ إِلَّا لِي. فَأَحْمَرُ وَجْهَهُ السُّلْطَانُ وَغَضِبَ، وَقَالَ لَهُ: وَئَيْلَكَ! إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهَذَا؛ وَاللَّهِ مَكَانَ يَصِلُ فِيهِ سَيْفُ أَمِيرِ سِلَاحَ مَا يَصِلُ نَشَابُكُ وَلَا نَشَابُ غَيْرِكَ.

(a) بِيَاضُ فِي أَبِيصُوفِيَا. (b) بُولَاقُ: مِنْ.

^١ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢: ٣٤٤.
^٢ الْأَمِيرُ بَذَرُ الدِّينِ أَمِيرُ سِلَاحِ بَنُكَاشُ الْفَخْرِيُّ الصَّالِحِيُّ النُّجُمِيُّ، التَّوُفَى سَنَةَ ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م. (رَاجِعْ، الصَّفْدِي: أَحْيَانُ الْعَصْرِ ٧٠٠: ٧٠١، الْوَاقِي بِالْوُفَيَاتِ ١٠: ١٨٨-١٨٩؛ ابْنُ حَيِّبٍ: تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ١: ٢٠٢، ٢٧٧؛ الْقُرَيْشِيُّ: الْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٤٥١: ٤٥٧، السُّلُوكُ ٢: ٣٠؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٤-١٥؛ الْعَمِينِيُّ: عَقْدُ الْجَمَانِ ٤: ٤٤٥؛ أَبَا الْخَاسَنِ: الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣: ٣٨٥-٣٨٦، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤: ٢٢٤).
وَأَمِيرُ سِلَاحَ لَقَّبَ عَلَى الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ السُّلْطَانِ

أَوْ الْأَمِيرِ، وَتَخْلُفُ صِيغَةُ هَذَا الْمَصْطَلَحِ مِنْ حَيْثُ التَّرْكِيبُ الْفَخْرِيُّ عَنِ الرُّوَافِفِ الْمَمْلُوكِيَّةِ الَّتِي يَدْخُلُ فِي تَكْوِينِهَا لَفْظَةُ «أَمِيرٍ» مِثْلُ: أَمِيرِ دَوَادَرٍ، وَأَمِيرِ خَازَنْدَارٍ. فَعِنِ الْحَالَةُ الْأَوَّلَى أُضِيفَتْ لَفْظَةُ «أَمِيرٍ» إِلَى اسْمِ الْآلَةِ «سِلَاحٍ»، فِي حِينِ أُضِيفَتْ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى اسْمِ الْوُظُفَةِ «دَوَادَرٍ» - خَازَنْدَارٍ. (ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِيُّ: مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٥٨؛ الْقُلُقَشْنَدِيُّ: صَبِيحُ الْأَعْشَى ٤: ١٨، ٥: ٤٥٦؛ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ: بَدَائِعُ الزُّهَرِ ١/١: ٣٢٣؛ حَسَنُ الْبَاشَا: الْفُنُونُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَالْوُظُفَاتُ ٢٢٥-٢٢٧، *El² art. Amir*, Ayalon, D., *Silāh* I, p. 458؛ وَفِيمَا يَلِي ٧٢٠).

وكان كريماً شجاعاً، يُسافر كل سنة مجزواً بالعسكر، فيصل إلى حلب للغزاة ومحاصرة قلاع العدو، فاشتهر بذلك في بلاد العدو، وعظم صيته، واشتدت مهابته. وكانت له رغبة في شراء المحاليل والخيول بأعلى القيم، وكان يبعث للأُمراء المجردين معه الثقة، ويقوم لهم بالشعير والأغنام. وبلغت مماليكه الغاية في الحشمة، وكان إقطاع كل منهم في السنة عشرين ألف درهم فضة، عنها يومئذ ألف يثقال من الذهب. ولكل من لجنّده خيّر مبلغه في السنة عشرة آلاف درهم، سوى كُلفهم من الشعير والذخيرة. ومع ذلك فكان خيّرًا دنيًا، له صدقات ومعروف وإحسان كثير. ومات بعدما ترك إفرته في مرضه الذي مات فيه للنصف من ربيع الآخر سنة ست وسبع مائة، رحمه الله.

وبهذا الخطّ عدّة دور جليّة، يأتي ذكرها عند ذكر الدور من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. ١٠
أولاد شيخ الشيوخ - جماعة أضلهم الذي ينتسبون إليه حمويه بن علي، يقال إنه من ولد رزم بن ثؤنان^(١) أحد قواد كشمري أنوشروان، وولي قيادة جيش نصر بن نوح بن سامان ودبر دولته، وهو جد شيخ الإسلام محمد وأخيه أبي سعد بني حمويه بن محمد بن حمويه^١.
وكان محمد وأبو سعد من ملوك خراسان، فتركوا الدنيا وأقبلوا على طريق الآخرة، ومات رُكن الإسلام أبو سعد بنجراباذ^(٢) من قرى مجوئين^٢ في سنة سبع وعشرين وخمس مائة، ومات أخوه شيخ الإسلام محمد بها في سنة ثلاثين وخمس مائة. ١٥

وترك أبو سعد زين الدين أحمد وبَنَات، وترك شيخ الإسلام محمد ولدًا واحدًا وهو أبو الحسن علي. فتزوج علي بن محمد بابة عمه أبي سعد، ورزق منها سعد الدين^(٣) ومعين الدين حسنًا وعماد الدين عمر. وترك زين الدين أحمد بن أبي سعد رُكن الدين أبا سعد وعزيز الدين وزين الدين القايم. فقَدِمَ عماد الدين عمر بن

(a) يولاق: يونان. (b) يولاق: بنجران. (c) يياض في آهاصوفيا مقدار كلمة.

^١ راجع عن أولاد شيخ الشيوخ، القاهرة ١٩٧٨.

Gattshalk, H. L., «Die Aulad Shaykh ash-Shuyūkh (Banū Hamawiya)», WZKM 53 (1950), pp. 57-87; id., art. *Awlād al-Shaykh* I, pp. 788-89; حامد زيان

^٢ مجوئين. كورة على طريق القوافل من بشتام إلى نيسابور تشمل حدودها بحدود يهق من جهة القبلة ويحسب إليها خلق كثير. (باقوت: معجم البلدان ٤: ١٦٤-١٦٥).

غانم: العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة

علي بن محمد بن حمّويه إلى دمشق، وصار شيخ الشيوخ بها، وقدم عليه ابنه شيخ الشيوخ صدر الدين علي.

فلما مات عمر في رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة بدمشق، أقر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده صدر الدين محمداً موضعه. وصار شيخ الشيوخ بدمشق فتزوج بابة القاضي/ شهاب الدين بن أبي عضرون، ورزق منها عشرة بنين: منهم عماد الدين عمر، وفخر الدين يوسف، وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن^١. فأرضعت أمهم - بنت أبي عضرون - السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فصار أمها لأولاد صدر الدين شيخ الشيوخ من الرضاغة. وقدم صدر الدين إلى القاهرة، وولي تدريس الشافعي بالقرافة ومشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد الشعداء، ثم سافر فمات بالموصل في رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع عشرة وست مائة^١.

واستبد الملك الكامل بمملكة مصر بعد أبيه، فزقى أولاد صدر الدين شيخ الشيوخ محمد ابن حمّويه الأربعة، وبعث عماد الدين عمر في الرسالة إلى الخليفة ببغداد، وجمع له بين رئاسة العلم والقلم في سنة ثلاث وثلاثين وست مائة، ولم يجمع ذلك لأحد في زمانه. وما زال على ذلك إلى أن مات الملك الكامل، وقام من بعده في سلطنة مصر ابنه الملك العادل أبو بكر بن الكامل. فخرج إلى دمشق ليخبر إليه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مؤدود بن العادل أبي بكر ابن أيوب نائب السلطنة بدمشق، فدمر عليه من قتله على باب الجامع في سادس عشرين جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وست مائة.

وأما فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين، فإن الملك الكامل جفله أحد الأمراء، وألبسه الشربوش والقباء وناذمه، وبعثه في الرسالة عنه إلى ملك الفرنج، ثم إلى أخيه المعظم بدمشق ثم إلى الخليفة ببغداد، وأقامه يتحدث بمصر في تذكير المملكة وتحصيل الأموال، ثم بعثه حتى تسلم حران والرها، وجهزه إلى مكة على عسكره. فقاتل صاحبها الأمير راجح الدين ابن قتادة، وأخذها بالسيف، وقتل عسكر اليمن.

(a) يولاق: حسين.

^١ القرطبي: للمفني الكبير ٤٢٠:٦ - ٤٢٢.

9

1.

19

^١ راجع، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٧٢١:٨-٧٢٤؛ الخدري: الشكلمة لوفيات النقطة ٥٠٦:٣-٥٠٧، أها شامة: ذيل الروضتين ١٦٧-١٦٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٩٧:٢٣-٩٩؛ أها المحاسن: النجوم الزاهرة ٣١٣:٦-٣١٤.

^٢ فيما تقدم ٥٩٥:١-٦٠٠، وراجع، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٧٧٦:٨-٧٧٨؛ أبا شامة: ذيل الروضتين ٧٧٦:٨-٧٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء

خُطُّ قَصْرِ بَشْتَاك

هذا الخُطُّ من جملة القصر الكبير، ويَتَوَصَّلُ إليه من تِجَاهِ الْمَدْرَسَةِ الْكَامِلِيَّةِ، حيث كان بابُ القصر المعروف بباب البَحر، وَهَدَمَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْتَزَسْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ^١، وصارَ اليوم في داخل هذا الباب حَازَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا عِدَّةُ دُورٍ جَلِيلَةٍ مِنْهَا قَصْرُ الْأَمِيرِ بَشْتَاك، وَبِهِ عُرِفَ هَذَا الْخُطُّ.

وَبَشْتَاكُ هَذَا هُوَ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ بَشْتَاكُ النَّاصِرِيِّ^٢. قُوَّةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَأَعْلَى مَحَلِّهِ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ - بَعْدَ مَوْتِ الْأَمِيرِ بَكْتَشُرِ الشَّاقِي - بِالْأَمِيرِ فِي عَاقِبَتِهِ. وَكَانَ زَائِدَ الْقِيَّةِ، لَا يَكَلِّمُ أَسْتَاذَاهُ وَكَاتِبِيهِ إِلَّا بِتُرْجُمَانٍ، وَيَعْرِفُ بِالْعَرَبِيِّ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَكَانَ لِقِطَاعِهِ سَبْعٌ^٣ عَشْرَةَ طَبْلَخَانَةً أَكْبَرَ مِنْ لِقِطَاعِ قَوْصُونَ.

وَلَمَّا مَاتَ بَكْتَشُرُ الشَّاقِي^٤، وَرِثَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَإِسْطَبْلِهِ الَّذِي عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ وَفِي امْرَأَتِهِ أُمُّ أَحْمَدَ، وَاشْتَرَى جَارِيَتَهُ خُوبِي^٥ بِسِتَّةِ آلَافِ دِينَارٍ، وَدَخَلَ مَعَهَا مَا قِيَمَتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ، وَأَخَذَ ابْنُ بَكْتَشُرٍ عَنْدَهُ.

(a) بولاق : ست والتصويب من الصنفدي والمقفى الكبير . (b) بولاق : جوبي .

^١ فيما تقدم ٢: ٤٢٥.

^٢ الأمير سَيِّفُ الدِّينِ بَشْتَاكُ - بَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسَكُونِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَتَاءِ ثَلَاثَةِ الْحُرُوفِ وَبَعْدَهَا أَلِفٌ وَكَافٌ - النَّاصِرِيِّ، الْمَشْرُوفِ سَنَةِ ٧٤٢هـ / ١٢٤٢م، رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ عِنْدَ الصَّنْفَدِيِّ: أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١: ٦٩٠-٦٩٤، الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٠: ١٤٢-١٤٤، الْمَقْرِيزِيُّ: الْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٢: ٤٢٣-٤٢٧ وَالسَّلُوكُ ٢: ٦١٣؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٠-١٢؛ أَبِي الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٠: ٧٤ وَلِلْمَنْهَلِ الصَّافِيِّ ٣: ٣٦٧-٣٧٢ وَفِيهَا هَلِي ٢٢٨-٢٣٠.

^٣ انظر عن الأمير سَيِّفِ الدِّينِ بَكْتَشُرِ الشَّاقِي (فِيْمَا بَلِي ٢٢١).

^٤ خُوبِي الْعَوَادَةِ - بَغِمْ الْحَتَاءَ الْمَعْجَمَةِ وَسَكُونِ الْوَاوِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةً مَكْسُورَةً - كَانَتْ مُعْتَبَرَةً فَائِزَةً فِي خَرْبِ الْقُوَدِ، اشْتَرَاهَا بَكْتَشُرُ الشَّاقِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ مَصْرِيَّةٍ وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مِصْرَ لَهَا قَطِيرٌ. وَلَمَّا بَلَغَهَا وَفَاةً بَكْتَشُرُ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ كَثُرَتْ غَوْدَاهَا؛ ثُمَّ بَاغَاهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ لِبَشْتَاكُ بِسِتَّةِ آلَافِ دِينَارٍ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَمَعَهَا مِنَ الْأَمْتَةِ أَشْعَافٌ ذَلِكَ فَلَمْ تَحْطِ عَنْدَهُ، وَيُقَالُ إِنَّهُ زَوَّجَهَا لِبَعْضِ عَمَالِيكِهِ وَمَاتَتْ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةِ (الصَّنْفَدِيُّ: أَعْيَانُ الْمَصْرِ ٢: ٣٣٧-٣٣٩؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٨٤).

^٥ خُوبِي الْعَوَادَةِ - بَغِمْ الْحَتَاءَ الْمَعْجَمَةِ وَسَكُونِ الْوَاوِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةً مَكْسُورَةً - كَانَتْ مُعْتَبَرَةً فَائِزَةً فِي خَرْبِ الْقُوَدِ، اشْتَرَاهَا بَكْتَشُرُ الشَّاقِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ مَصْرِيَّةٍ وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مِصْرَ لَهَا قَطِيرٌ. وَلَمَّا بَلَغَهَا وَفَاةً بَكْتَشُرُ بِطَرِيقِ الْحِجَازِ كَثُرَتْ غَوْدَاهَا؛ ثُمَّ بَاغَاهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ لِبَشْتَاكُ بِسِتَّةِ آلَافِ دِينَارٍ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَمَعَهَا مِنَ الْأَمْتَةِ أَشْعَافٌ ذَلِكَ فَلَمْ تَحْطِ عَنْدَهُ، وَيُقَالُ إِنَّهُ زَوَّجَهَا لِبَعْضِ عَمَالِيكِهِ وَمَاتَتْ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةِ (الصَّنْفَدِيُّ: أَعْيَانُ الْمَصْرِ ٢: ٣٣٧-٣٣٩؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٨٤).

وزاد أمره، وعظم محله، فنقل على السلطان، وأراد الفتك به فما تمكن. وتوجه إلى الحجاز، وأنفق في الأمراء وأهل الركب والفُقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيئاً كثيراً إلى الغاية، وأعطى من الألف دينار إلى المائة دينار إلى الدينار بحسب مراتب الناس وطبقاتهم. فلما عاد من الحجاز لم يشعر به السلطان إلا وقد حضر في نهر قليل من مماليكه، وقال: إن أردت إمساكي فيها أنا قد جئت إليك برقبتي. فعاطله^(a) السلطان، وطيب خاطره. وكان يُزَمَّى بأويد ودواهي من أمر الرضا.

وجزءه السلطان لإمساك تنكير نائب الشام، فحضر إلى دمشق بعد إمساكه هو وعشرة من الأمراء، فترلوا القصر الأبلق، وحلف الأمراء كلهم للسلطان ولذريته، واستخرج ودائع تنكير، وعرض خواصه ومماليكه وجواريه ونخيله / وسائر ما يتعلق به، ووسط طغاي وجبغاي تملوكي تنكير في سوق الخيل، ووسط وزان^(b) أيضاً بحضوره يوم المؤكب^(c). وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً، وعاد إلى القلعة، وبقي في نفسه من دمشق، وما تجاسر يُفادح السلطان في ذلك.

فلما مرض السلطان وأشفى^(d) على الموت، ألبس الأمير قوْصون مماليكه، فدخل بشتاك، فعرف السلطان ذلك، فجمع بينهما وتصالحا فدامه، ونص السلطان على أن الملك بعده لولده أبي بكر. فلم يوافق بشتاك، وقال: لا أريد إلا سيدي أحمد.

فلما مات السلطان، قام قوْصون إلى الشباك وطلب بشتاك، وقال له: يا أمير أنا ما يجيء مني سلطاناً، لأنني كنت أبيع الطشما والبرغالي والكشاتوين، وأنت اشتريت مني وأهل البلاد يعرفون ذلك. وأنت ما يجيء منك سلطاناً لأنك كنت تبيع الجوزا^(e)، وأنا اشتريت منك وأهل البلاد يعرفون ذلك. وهذا أستاذنا هو الذي وصى لمن هو أخبر به من أولاده، وما نسينا إلا امتثال أمره خيراً وميثاً، وأنا ما أخالفك إن أردت أحمد أو غيره، ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطاناً ما خالفك. فقال بشتاك: هذا كله صحيح، والأمور أمرك، وأخضرا المصحف وحلقاً عليه وتعانفاً، ثم قاما إلى رجلي السلطان فقبلاه، ووضعاً أبا بكر بن السلطان على الكرسي، وقبلا له الأرض وحلقاً له، وتلقب بالملك المنصور.

ثم إن بشتاكاً طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق، فأمر له بذلك وكتب تقييده. وبرز إلى ظاهر القاهرة وأقام يومين. ثم طلع في اليوم الثالث إلى السلطان ليودعه. فوثب عليه

(a) الصقدي: فكاكه. (b) بولاق: دران. (c) بولاق: المركب. (d) بولاق: أشرف. (e) بولاق: الكوزا.

الأمير قُطْلُوْبغا الفَخْرِي وأَمْسَكَ سَيِّقَه، وتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ فَأَمْسَكُوهُ، وَجَهَّزُوهُ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ فَأَغْتَقِلَ بِهَا، ثُمَّ قُتِلَ فِي الْخَامِسِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^١ لِأَوَّلِ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ كَنْجَكِ.

وكان شائبا أبيض اللونَ ظريفاً، مديداً القائمة نحيفاً، خفيف اللحية كأنها عذار، على حركاته رشاقة، بحسن العمة يتعمم الناس على مثالها. وكان يشبه بأبي سعيد ملك العراق، إلا أنه كان غير عفيف الفرج، زائد الهرج والمرج، لم تغف عن مليحة ولا قبيحة، ولم يدع أحداً يفوته، حتى يُمسك نساء الفلاحين وزوجات الملاحين، واشتهر بذلك ورُمي فيه بأوابع.

وكان زائد البدخ، مُنهمكاً على ما يقتضيه عُنفوان الشبيبة، كثير الصلف والفيه، لا يظهر الوافاة ولا الرحمة في تأليه. ولما توجه بأولاد السلطان ليفترجهم في دُمياط، كان يذبح لسيماطه في كل يوم خمسين رأساً من الغنم وفرساً لا بد منه، خارجاً عن الإوز والدجاج. وكان رايته دائماً كل يوم من الفخم يرسم المشوي مبلغ عشرين درهماً عنها يُقتال ذهب، وذلك سوى الطوارئ.

وأطلق له السلطان كل يوم بُقجة قماش من اللفافة إلى الخُف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلطاق والقباء^٢ والقباء الفوقاني بوجه إسكندري على سنجاب طري بطرز زركش^٣ رقيق وكتلوة وشاش، ولم يزل يأخذ ذلك كل يوم إلى أن مات السلطان. وأطلق له في يوم واحد، عن ثمن قرية يُنتى^٤ بتاجل الوئلة، مبلغ ألف ألف درهم فضة، عنها يومئذ خمسون ألف يُقتال من الذهب. وهو أول من أمسك بعد موت الملك الثاصير.

وقال الأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أثيرك الصفدي، ومن كتابه نقلت ترجمة بشتاك:

[الكامل]

قال الزُّمان وما سمعنا قوله والناس فيه زهائن الأشراكِ
من يُصبر المتصور من كيدي وقد صا الذوى بشتاك لي بشراكِ^٥

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مطرز زركش. (c) بولاق: تبنى.

^١ في المقي ٤٢٧:٢ أنه قتل في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول سنة ٧٤٢هـ.

^٢ يُنتى بالضم ثم السكون ونون وألف مقصور. يُليد

^٣ الصفدي أعيان العصر ١: ٦٩٤، الوافي =

قرب الوئلة فيه قبر صحابي يُقال هو أبو هريرة أو عبد الله بن أبي سرح (ياقوت: معجم البلدان ٥: ٤٢٨).

حُطُّ بَابِ الرُّهُومَةِ

هذا الحُطُّ عُرِفَ بِبَابِ الرُّهُومَةِ ، أَحَدُ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ ^١ . وَقَدْ صَارَ الْآنَ فِي هَذَا الْحُطِّ سُوقٌ وَقُنْدُقٌ وَعِدَّةٌ آدَرٌ ، يَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوَاضِعِهِ .

حُطُّ الزُّرَّارِكَةِ الْعَتِيقِ

هذا الحُطُّ فِيمَا بَيْنَ حُطِّ بَابِ الرُّهُومَةِ وَحُطِّ الشَّيْخِ حُوحَ ، وَبَعْضُهُ مِنْ دَارِ الْعِلْمِ الْجَدِيدَةِ ، وَبَعْضُهُ مِنْ جَمَلَةِ الْقَصْرِ الثَّاقِبِيِّ ، وَبَعْضُهُ مِنْ تَرْبَةِ الزُّعْفَرَانِ . وَفِيهِ الْيَوْمَ قُنْدُقُ الْمُهِتَمِّدَارِ الَّذِي يُدْقُ فِيهِ الذَّهَبُ ، وَخَانُ الْخَلِيلِيِّ ، وَخَانُ مَنَجَكْ ، وَدَارُ خَوَاجَا ، وَدَرْبُ الْحَبِيشِيِّ ^٢ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

حُطُّ السَّيِّحِ مَخْرَجِ الْعَتِيقِ

هذا الحُطُّ فِيمَا بَيْنَ حُطِّ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ وَحُطِّ الزُّرَّارِكَةِ الْعَتِيقِ . كَانَ فِيهِ قَدِيمًا أَيَّامَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ سَبْعُ حُوحٍ يُتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ^٣ . فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ ، اخْتُطَّتْ مَسَاكِنَ وَشُوقًا يُبَاعُ فِيهِ الْإِبْرُ الَّتِي يُخَاطُ بِهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ ، فَعُرِفَ بِالْأَبَّارِينَ .

حُطُّ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ

هذا الحُطُّ كَانَ إِسْطَبْلًا لِحَاصِّ الْخَلِيفَةِ يُشْرِفُ عَلَيْهِ قَصْرُ الشُّوكِ وَالْقَصْرُ الثَّاقِبِيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ ^٤ . وَكَانَتْ فِيهِ طَارِمَةٌ يَجْلِسُ الْخَلِيفَةُ تَحْتَهَا ، فَعُرِفَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ حَاوِةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا عِدَّةٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ ، وَبِهِ سُوقٌ وَحَمَّامٌ وَمَسَاجِدُ . وَهَذَا الْحُطُّ فِيمَا بَيْنَ

(٢) بولاق : الحبش .

^٢ فيما يلي ١٤٠ .

= بالوفيات ١٠ : ١٤٤ أبو المحاسن : المنهل الصافي

^٣ فيما تقدم ٢ : ٤٥٧ - ٤٥٩ .

٣ : ٣٧١ .

^١ فيما تقدم ٢ : ٤٣١ .

رَحْبَةً قَصْرَ الشُّوْكَ وَرَحْبَةً الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي ذِكْرِ
الرَّحَابِ^١.

خُطُّ الْأَخْفَانِيْن

هَذَا الْخُطُّ كَانَ يُعْرَفُ بِخُطِّ الْخُرُوقِيْن^(a)، جَمْعُ خُرُوقَةٍ.

خُطُّ الْمُنَاخِ

هَذَا الْخُطُّ فِيمَا بَيْنَ الْبَرْقِيَّةِ وَالْعُطُوفِيَّةِ، كَانَ مُوَاضِعَ طَوَاجِيْنِ الْقَصْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^٢. ثُمَّ
اخْتُطُّ/ بَعْدَ ذَلِكَ، وَصَارَ حَازَةً كَبِيرَةً، وَهُوَ الْآنَ مُتَدَاعٍ لِلْخَرَابِ.

خُطُّ سُوَيْفَةِ أَمِيرِ الْبُيُوتِ

كَانَ حَازَةً الْفَرْجِيَّةِ، وَسَيَاتِي ذِكْرِهِ فِي الْأَسْوَاقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^٣. وَهَذَا الْخُطُّ فِيمَا بَيْنَ حَازَةِ
بَرْجَوَانَ وَخُطِّ خَانَ الْوَرَّاقَةِ.

خُطُّ رَكَّةٍ^(b) الْكُحْسِيَّةِ

هَذَا الْخُطُّ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَكْتَرِ الْحَطَبِ، وَفِيهِ سُوقُ الْأَبَازَةِ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْبُنْدُقَانِيَيْنِ
وَالْمَحْمُودِيَّةِ، وَفِيهِ عِدَّةُ أَشْوَاقٍ وَدُورٍ.

خُطُّ الْقَمَّارِيْنِ

هَذَا الْخُطُّ فِيمَا بَيْنَ الْجَوَانِيَّةِ وَالْمُنَاخِ^(c).

(a) بولاق : الخرقين . (b) بولاق : بركة . (c) على هامش آياصوفيا : هنا يباض سطرين .

^٣ فيما يلي ٣٣٤ - ٣٣٥ .

^١ فيما يلي ١٥٠ .

^٢ فيما تقدم ٤٥٦ : ٢ .

خُطَّةُ خِزَانَةِ الْبُثُودِ

هذا الخطُّ فيما بين رَحْبَةِ باب العيد وَرَحْبَةِ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ ، وكان موضعه خِزَانَةُ تُقْرَفُ بِخِزَانَةِ الْبُثُودِ ، وكان أَوَّلًا يُعْمَلُ فِيهَا السِّلَاحُ ، ثم صَارَتْ سِجْنًا لَأَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانِهَا ، ثم أُسْكِنَ فِيهَا الْفِرَجُ إِلَى أَنْ هَدَمَهَا الْأَمِيرُ الْحَاجُّ آلُ فُلَيْكٍ ، وَلَحِيكَزَ مَكَائِهَا ، فَبْنِيَ فِيهِ الطَّاحُونُ وَالْمَسَاكِينُ كَمَا تَقْدُمُ ^١ .

خُطَّةُ الشَّيْخِيَّةِ

هذا الخطُّ فيما بين دَرْبِ السَّلَامِيِّ مِنْ رَحْبَةِ باب العيد وَبَيْنَ خِزَانَةِ الْبُثُودِ . كان يقف فيه الْمُتَطَلِّمُونَ لِلْخَلِيفَةِ كَمَا تَقْدُمُ ذَكَرَهُ ^٢ ، ثم اخْتُطُّ فِصَارٌ فِيهِ مَسَاكِينٌ ، وَهُوَ خُطُّ صَغِيرٌ ^٣ .

خُطَّةُ خَانَ السَّبِيلِ

هذا الخطُّ خَارِجُ باب الْقُتُوحِ ، وَهُوَ مِنْ مَجْمَلَةِ أَخْطَاطِ الْحُسَيْنِيَّةِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : خَانُ السَّبِيلِ بَنَاهُ الْأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَأُوشُ ، وَأَرْصَدَهُ لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَالْمَسَافِرِينَ بِغَيْرِ أُجْرَةٍ ، وَبِهِ يَتَرَسَّ قَافِلَةٌ وَخَوْضٌ ^٣ . انْتَهَى .

وَأَذَرْنَا هَذَا الْخُطُّ فِي غَايَةِ الْعِمَارَةِ يُعْمَلُ فِيهِ غَرْصَةٌ تُبَاعُ بِهَا الْغِلَالُ ، وَكَانَ فِيهِ سُوقٌ يُبَاعُ فِيهِ الْخَشَبُ ، وَيَجْتَمِعُ النَّاسُ هُنَاكَ بُكْرَةً كُلَّ يَوْمٍ مُجْمَعَةً ، فَيُبَاعُ فِيهِ مِنَ الْإِوَرِ وَالْذَّجَاجِ مَا لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، وَكَانَتْ فِيهِ أَيْضًا عِدَّةُ مَسَاكِينٍ مَا بَيْنَ دُورٍ وَخَوَانِيتٍ وَغَيْرِهَا . وَقَدْ اخْتُلَّ هَذَا الْخُطُّ ^٥ .

(a) على هامش أبياصوفيا : هنا يباض نحو ورقة .

^١ فيما تقدم ٣٩٥:٢ - ٤٤٠١ وفيما يلي ٥٩٩ .

^٢ فيما تقدم ٣٤٥:٢ - ٣٤٨ .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٣ القلقشندي : ٨٠٣ .

صبح الأعشى ٣: ٣٥٦ : المقرئ : مسودة المواظع ٣٨٢ - ٣٨٣ .

٣٨٣ : أبو الحسن : النجوم الزاهرة ٤: ٤٦٦ وفيما يلي ٣٠٨

^٤ غَرْصُهُ ج. عِرَاصٌ وَعَرَصَاتٌ وَأَعْرَاصٌ . كُلُّ بُقْعَةٍ بَيْنَ الدُّوَرِ وَاسِعَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ . (الفيروزآبادي : القاموس المحيط

خُطُّ بُشْتَانِ ابْنِ صَغِيرٍ

- هذا الخطُّ أيضًا خارج باب الفُتُوح ممَّا يلي الخَلِيج . ورُفَاق الكَحْل كان من جملة حازة البيازرة^١ ، فأنشأه زمام القَصْرِ المختار الصَّقْلَبِي بُشْتَانًا ، وبَنَى فِيهِ مَنْظَرَةً عَظِيمَةً . فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطميَّة ، اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّين شُوَيْخٌ^٢ بن صَغِيرٍ ، أَخَذَ أُمَرَاءَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ ، فَعَرَفَ بِهِ . ثُمَّ اخْتَطَّ وَصَارَ مِنْ أَجْلِ الأَخْطَاطِ عِمَارَةً تَسْكُنُهُ الأُمَرَاءُ والأَعْيَانُ مِنَ الجُندِ ، ثُمَّ هُوَ الآنَ أَيْلٌ إِلَى الدُّنُورِ .

خُطُّ قَضْرَ ابْنِ عَمَّارٍ

- هذا الخطُّ من جملة حازة كُتَّامَةٍ ، وَهُوَ الْيَوْمَ دَرْبٌ يُعْرَفُ بِالْقَمَّاحِينَ ، وَفِيهِ خَمَامٌ كَرَايٌ^٣ ودار خَوْنَد شُقْرًا يُشَلِّكُ إِلَيْهِ مِنْ خُطِّ مَدْرَسَةِ الْوَزِيرِ كَرِيمِ الدِّينِ بْنِ عَنَامٍ ، وَيُشَلِّكُ مِنْهُ إِلَى دَرْبِ الْمَنْصُورِيِّ .
- ١٠ وابنُ عَمَّارٍ هَذَا هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَمَّارٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْكَلْبِيِّ^٤ ، مِنْ بَنِي أَبِي الْحَسَنِ أَخَذَ أُمَرَاءَ صِيقَلِيَّةٍ وَأَخَذَ شَيْوخَ كُتَّامَةٍ . وَصَّاهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ لَمَّا اخْتَصَرَ ، هُوَ وَالْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الثَّعْمَانِ ، عَلَى وَلَدِهِ أَبِي عَلِيٍّ مَنصُورٍ . فَلَمَّا مَاتَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ ، وَاسْتُخْلِفَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ، اسْتَرْطَ الْكُتَّامِيُّونَ - وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَهْلُ الدَّوْلَةِ - أَلَّا يَنْظُرُوا فِي أُمُورِهِمْ غَيْرَ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَّارٍ بَعْدَمَا تَجَمَّعُوا ، وَخَرَجَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ نَحْوَ الْمُصَلَّى ، وَسَأَلُوا صَرَفَ عَيْسَى بْنِ نَسْطُورِسَ ، وَأَنْ تَكُونَ الْوَسَاطَةَ لَابْنِ عَمَّارٍ^٥ . فَتَدَبَّرَ لَذَلِكَ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ فِي ثَالِثِ شَوَّالِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ^٦ ، وَقُلِّدَ بِسَيْفٍ مِنْ شَيْفِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، وَحُمِّلَ عَلَى فَرَسٍ بِسَرِّجٍ ذَهَبٍ ،

(a) بولاق : سوبح . (b) بولاق : كراي .

١. p. 461.

٢. المقرئ : اتعاط الحنفا ٢ : ٤ .

٣. ورد هذا التاريخ في بولاق وسائر النسخ : سنة خمس وسبعين وثلاث مائة ، وهو غير صواب ، والصواب ما أثبتته عن المصادر .

٤. عن زقاق الكحل انظر فيما تقدم ٢٢١ : ٢ وفيما يلي ١٣٩ ، وعن حازة البيازرة انظر فيما تقدم ٥٨ - ٥٩ .

٥. راجع ترجمة ابن عَمَّارٍ عِنْدَ ابْنِ الصَّرِفِيِّ : الإِشَارَةُ ٥٧ - ٥٩ : ابن ظافر : أخبار الدول ٤٤٣ : ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧٧ : النويري : نهاية ٢٨ : ١٦٨ : المقرئ : المقفى ٤٣٣ : ٤٤١ : *Am̄ār, Banū* art. ٢ : Wiet, G., *El*

وَلُقِّبَ بِـ«أَمِينِ الدَّوْلَةِ» - وهو أوَّل من لُقِّبَ في الدَّوْلَةِ الفاطميَّة من رجال الدَّوْلَةِ - وتُقدِّم
يَدَيْهِ عِدَّةُ دَوَابٍ، ومُحْمِلٌ معه خمسون ثَوْبًا من سائر البُرِّ الرَّفِيع، وانصَرَفَ إلى دارِهِ في
مَوْكِبٍ عَظِيمٍ.

وَقَرِئَ سِجْلُهُ، فتولَّى قِرَاءَتَهُ القاضي محمد بن الثُّغَمَانِ بِجُلُوسِهِ لِلوَساطَةِ، وتلقَّيه بـ«أَمِينِ
الدَّوْلَةِ». وألْزِمَ سائِرُ النَّاسِ بالثَّرَجُلِ إليه، فترجَّلَ النَّاسُ بأَسْرِهِمَ له من أهل الدَّوْلَةِ، وصارَ يدخل
القَصْرَ رَاكِبًا، وَيُشَقُّ الدَّوَاوِينُ، وَيَدْخُلُ من الباب الذي يجلس فيه خَدَمُ الخَلِيفَةِ الخاصَّة، ثم
يعدل إلى باب الحُجْرَةِ التي فيها أميرُ المؤمنين الحاكم، فينزل على بابها ويركب من هناك^١.

وكان النَّاسُ من الشُّيوخ والرُّؤساء على طَبَقَاتِهِمْ يُكْرَمُونَ إلى دارِهِ، فيجلسون في الدِّهاليز بغير
تُزْيِينٍ والباب مُغْلَقٌ، ثم يُفْتَحُ فيدخل إليه جماعةٌ من الوجوه، ويجلسون في قاعة الدَّارِ على
حَصِيرٍ وهو جالِسٌ في مجلسه، ولا يدخل له أَحَدٌ سَاعَةً، ثم يَأْذُنُ لوجوه من خَصَرٍ - كالقاضي
ووجوه شُيوخ كُتَّامَةِ والقَوَاد - فتدخل أَعْيَانُهُمْ. ثم يَأْذُنُ لسائِرِ النَّاسِ، فيزدحمون عليه بحيث لا
يَقْدِرُ أَحَدٌ أن يصل إليه، فمنهم من يومئ بتقبيل الأرض، ولا يَزِدُّ السَّلَامَ على أَحَدٍ. ثم يخرج
فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ على تقبيل يده سوى أناسٍ بأَعْيَانِهِمْ، لِأَنََّّهُمْ يُومِعُونَ إلى تقبيل الأرض، وشَرَفَ
أَكَابِرُ النَّاسِ بتقبيل رِكَايِهِ، وأَجَلُ النَّاسِ من يَقْبِلُ رُكْبَتَهُ.

وَقَرَّبَ كُتَّامَةُ، وَأَنْفَقَ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ وَأَعْطَاهُمُ الخِيُولَ، وباعَ ما كان بالإسْطَبَلَاتِ من الخَيْلِ
والبِغَالِ والثَّجَبِ وغيرها وكانت شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَطَعَ أَكْثَرَ الرُّسُومِ التي كانت تُطْلَقُ لِأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ
من الأَثَرَاكِ، وَقَطَعَ أَكْثَرَ ما كان في المطابخ، وَقَطَعَ أَزْوَاقَ جَمَاعَةٍ، وفَرَّقَ كَثِيرًا من جَوَارِي القَصْرِ
- وكان به من الجَوَارِي والخدم عشرة آلاف جارية وخدامٍ - فباعَ من اِخْتَارِ البَيْعِ، وَأَعْتَقَ من سَأَلَ
العِتْقَ طَلَبًا للتَّوْفِيرِ.

واصْطَنَعَ أَحْدَاثَ المغَارِبَةِ، فَكَثُرَ عِيَّتُهُمْ، وامتدَّتْ أَيْدِيهِمْ إلى الحَرَامِ في الطَّرِيقَاتِ، وسَلَّحُوا
النَّاسَ ثِيَابَهُمْ. فَضَجَّ النَّاسُ مِنْهُمْ، واستغاثُوا إليه بشكايتهم، فلم يُدِّمْ منه كبيرَ تَكْبِيرٍ. فَأَقْرَطَ الْأُمُورُ
حتى تعرَّضَ جماعةٌ منهم للغلمان الأَثَرَاكِ وأرادوا/ أَخْذَ ثِيَابَهُمْ، فثارَ بسبب ذلك شَرٌّ قَتِيلٌ فيه غُلَامٌ

^١ راجع، ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة منصور بشار بن عبيد الله بن سورين؛ النوبري: نهاية الأرب ٥٦-٥٧؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٣١؛ ابن ميسر: ٢٨؛ ١٦٨؛ المقرئ: انماط الحنفيا ٥: ٢-٦. أخبار مصر ١٧٧ - ١٧٩ وفيه أن السجل من إنشاء أبي

من الأتراك وحدثت من المغاربة ، فاجتمع شيوخ الفريقين ، واقتتلوا يومين آخرهما يوم الأربعاء تاسع شعبان سنة سبع وثمانين وثلاث مائة .

- فلما كان يوم الخميس ركب ابن عمار لابسا آلة الحرب وحوّله المغاربة ، فاجتمع الأتراك ، واشتدت الحرب ، وقُتِلَ جماعةٌ وجرح كثيرٌ ، فعادَ إلى داره ، وقام بزوجان بضربة الأتراك ، فامتدت الأيدي إلى دار ابن عمار واسطبلاته ودار رشا غلامه ، فتهبّوا منها ما لا يُحصى كثرة .
فصار إلى داره بمصر في ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان ، واعتزلَ عن الأمر . فكانت مدة نظره أخذ عشر شهرًا إلا خمسة أيام ، فأقام بداره في مصر سبعة وعشرين يومًا .

- ثم خرج إليه الأمر بعوّده إلى القاهرة ، فعادَ إلى قصره هذا ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فأقام به لا يركب ولا يتدخل إليه أحدٌ إلا أتباعه وخدمته . وأُطْلِقَتْ له رؤسومُه وجراياهه التي كانت في أيام العزيز بالله ، وبلغها عن اللحم والتوابل والقوايك خمس مائة دينار في كل شهر ، وفي اليوم سلّة فاكهة بدينار وعشرة أظال شمع ونصف حمل ثلج . فلم يزل بداره إلى يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين وثلاث مائة ، فأذن له الحاكم في الركوب إلى القصر ، وأن ينزل موضع نزول الناس ، فواصل الركوب إلى يوم الاثنين رابع عشره . فحضرَ عشيّة إلى القصر وجلس مع من حضر ، فخرج إليه الأمر بالانصراف ، فلما انصرف ابتدّره جماعة من الأتراك وقفّوا له فقتلوه واختزّوا رأسه ودفّنوه مكانه ، وحملَ الرأس إلى الحاكم ، ثم نُقِلَ إلى تربيته بالقرافة فدُفِنَ فيها .

وكانت مدة حياته ، بعد عزله إلى أن قُتِلَ ، ثلاث سنين وشهرًا واحدًا وثمانية وعشرين^(a) يومًا^١ . وهو من جفلة وزّاء الدولة المصرية . ووُلِّيَ بعده بزوجان ، وقد مرّ ذكره^٢ .

خُطْبَةُ

(a) في اتعاظ الحنفا : ثمانية عشر . (b) من أباصوفيا : وبعدها على الهامش : يياض نحو ورقة وشيء .

زَكْرُ الدُّرُوبِ وَالْأَرْقَةِ

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدُّروب والأَرْقَةِ على شيء كثير. والعرض ذكر ما يتيسر لي من ذلك.

دَرْبُ الْأَثْرَاكِ

- هذا الدُّرْبُ أصله من حُطَّ حَاوَةَ الدَّيْلَمِ، وهو من الدُّروب القَدِيمة، وقد تقدّم ذكره في الحارات^١، ويُتَوَصَّلُ إليه من حُطَّ^(a) الجامع الأزهر، وقد كان فيما أدركناه من أعمر الأمكن.
- أخبرني خادمتنا محمد بن^(b) الشعودي قال: كنت أشكن في أغوام بضع وستين وسبع مائة بدرب الأثرأك، وكنت أعاني صِنَاعَةَ الحِيَاطَةِ، فجاءني في مَوَاسِمِ عيد الفطر من الجيران أطباق الكفك والحشكناج^٢ - على عادة أهل مصر في ذلك - فملأت زيرا كبيرا كان عندي مما جاءني من الحشكناج خاصة لكثرة ما جاءني من ذلك، إذ كان هذا الخطّ خاصا بكثرة الأكابر والأعيان. وقد حَرَبَ اليومُ عِدَّةَ مواضع منه^(c).

دَرْبُ الْأَسْوَانِي

يُنْسَبُ إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني^(d)، المعروف بابن عَنَاب.

دَرْبُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ

- هذا الدُّرْبُ كان قَدِيمًا يُعْرَفُ بِحَاوَةِ الْأَمْزَاءِ - كما تقدّم^٣ - فلما كان مجيء العُزَّ^(e) إلى مصر، واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر، سَكَنَ في هذا المكان الملكُ الْمُعْظَمُ شَمْسُ الدَّوْلَةِ

(a) بولاق : حطة. (b) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا. (c) بولاق : منه عدة مواضع. (d) آياصوفيا : الإشتائي. (e) بولاق : المعز.

^١ فيما تقدم ٢٧. ^٢ فيما تقدم ٤٣.

^٣ عن الحشكناج، انظر فيما تقدم ٤٠١:٢ هـ.

نُورَانِ شَاه ابنِ أَيُّوبَ فَعَرِفَ بِهِ ، وَشَعِيَ مِنْ حَيْثُ دَرْبُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى الْيَوْمِ^١ .

نُورَانِ شَاه - الْمُلُوكُ بِالْمَلِكِ الْمُعْظَمِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي بْنِ مَرْوَانَ^٢ . قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ مَعَ أَهْلِهِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، عِنْدَمَا تَقَلَّدَ صَلاَحُ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَزَارَةَ الْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ لَدِينِ اللَّهِ ، بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرَكُوهِ . وَكَانَتْ لَهُ أَعْمَالٌ فِي وَاقِعَةِ السُّودَانِ^٣ تَوَلَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَاقْتَحَمَ الْهَوَلَ ، فَكَانَ أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي نُصْرَةِ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ وَهَزِيمَةِ السُّودَانِ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ إِلَى الْجِيزَةِ ، فَأَقْنَاهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى أَبَادَهُمْ . وَأَعْطَاهُ صَلاَحُ الدِّينِ قُوصَ وَأَسْوَانَ وَعَجِذَا بَ ، وَجَعَلَهَا لَهُ إِقْطَاعًا ، فَكَانَتْ عَبْرَتُهَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِائَتِي أَلْفٍ وَسِتَّةٍ وَسِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى عَزُو بِلَادِ الثُّوبَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ ، وَفَتَحَ قَلْعَةَ إِبْرِيمَ ، وَسَبَى وَغَنِمَ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَمَا أَقْطَعَ إِبْرِيمَ^٤ بَعْضَ أَصْحَابِيهِ .

وَخَرَجَ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَكَانَ بِهَا عَبْدُ النَّبِيِّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَدْ مَلَكَ زَيْدٌ وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ . وَكَانَ الْفَقِيهُ عُمَارَةُ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى شَمْسِ الدَّوْلَةِ ، وَصَارَ يَصِفُ لَهُ بِلَادَ الْيَمَنِ ، وَيُرْغِبُهُ فِي كَثْرَةِ أَمْوَالِهَا ، وَيُغْرِيه بِأَهْلِهَا ، وَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتُهُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

[البسيط]

الْعِلْمُ مِذَّ كَانَ مُحْتَاجٌ إِلَى الْقَلَمِ وَشَفَرَةُ السَّيْفِ تَسْتَعْنِي عَنِ الْقَلَمِ

(a)

(a) من على هامش أباصوفيا : يياض نحو الصفحة .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٥٣ : الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٥٢ : المقرئ : مسودة المواعظ ٣٥٥ - ٣٥٦ .

وما يزال دَرْبُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ يُعْرَفُ إِلَى الْآنَ بِحَاذَةِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ وَيَقَعُ بَيْنَ شَارِعِي جَزْوَافِ الْقَائِدِ (السكة الجديدة) وَالْحَفْزَاوِي الصَّغِيرِ خَلْفَ جَامِعِ الْأَشْرَفِ بُرْسَايَ . (أَبُو الْحَسَنِ : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٥٢) .

^٢ راجع أخبار المعظم نُورَانِشَاهِ عِنْدَ ابْنِ خُلِكَانَ : وفيات الأعيان ١ : ٣٠٥ - ٣٠٦ : ابن واصل : مفرج الكروب

١٠٣٧ : ٢٤٣ ، ٩٦ : ١٠٢ - ١٠٤ : الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠ : ٤٤١ - ٤٤٣ : المقرئ : السلوك ١ : ٥٢ - ٥٣ ، وَلَمْ يَرْجَمْ لَهُ فِي الْمَقْيِ الْكَبِيرِ : أَبِي الْحَسَنِ : النجوم الزاهرة ٦ : ٨٧ : *El² art. Turâranshâh X* : وفيما يلي

^٣ انظر خبر واقعة السودان فيما تقدم ٤ - ٦ .

^٤ قَلْعَةُ إِبْرِيمَ ، مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالثُّوبَةِ (فيما تقدم

٥١٨ : ١) .

فَبَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ؛ فَسَارَ إِلَيْهَا فِي مُسْتَهْلَ رَجَبٍ، وَدَخَلَ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، وَسَارَ مِنْهَا فَتَزَلَّ عَلَى زَيْدٍ فِي سَابِعِ شَوَّالٍ. وَفِي نَهَارِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ شَوَّالٍ فَتَحَهَا بِالسَّيْفِ، وَقَبَضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْمُهَدِّي وَإِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَاسْتَوَلَى عَلَى مَا كَانَ فِي خَزَائِنِهِ مِنْ مَالٍ، وَتَسَلَّمَ الْحُصُونِ الَّتِي كَانَتْ بِيَدِهِ^١.

وَفِي مُسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ تَوَجَّهَ قَاصِدًا عَدَنَ، وَبَذَلَ لِيَاوِسَ بْنِ يِلَالٍ فِي كُلِّ سَنَةِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ، فَمَا رَغِبَ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يُقِيمَ بِهَا نَائِبًا عَنِ الْمَجْلِسِ/ الْفَخْرِيِّ، فَلَمَّا أَتَى ذَلِكَ نَزَلَ عَلَيْهَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ، وَمَلَكَهَا فِي سَاعَةِ بِالسَّيْفِ، وَقَبَضَ عَلَى يَاسِرٍ وَإِخْوَتِهِ وَوَلَدَيْهِ الدَّاهِي، فَاخْتَوَى عَلَى مَا فِيهَا، وَقَبَضَ عَلَى عَبْدِ النَّبِيِّ. وَاسْتَوَلَى أَيْضًا عَلَى تَعِزٍ وَتَعُكْرٍ^٢ وَصَنْعَاءَ وَظَفَّارٍ وَغَيْرِهَا مِنْ مُدُنِ الْيَمَنِ وَحُصُونِهَا، وَتَلَقَّبَ بِـ«الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ»، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ.

وَمَا زَالَ بِهَا إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى لِقَاءِ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ وَوَصَلَ إِلَيْهِ، وَمَلَكَهَ دِمَشْقَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ مَرَّةً مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَجَهَّزَهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ قَدْ عَمِلَهُ نَائِبًا يَتَغَلَّبُكَ، فَاسْتَنَابَ عَنْهُ فِيهَا، وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ صَلاَحُ الدِّينِ بِالإِسْكََنْدَرِيَّةِ، فَسَارَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي مُسْتَهْلَ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ بِالإِسْكََنْدَرِيَّةِ فَدُفِنَ بِهَا.

وَكَانَ كَرِيمًا وَاسِعَ الْعَطَاءِ، كَثِيرَ الْإِنْفَاقِ. مَاتَ وَعَلَيْهِ مِائَتَا أَلْفٍ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ ذَهَبًا، فَقَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ صَلاَحُ الدِّينِ.

وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ أَنَّهُ الثَّانِي بَدَأَهُ بِزَيْدٍ، فَارْتَجَلَ لَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مُبَارَكٌ بْنُ مُثَقِّلٍ^٣:

(a) بولاق: تفكر.

^١ عَنْ قَتْعِ الْأُمَوِيِّينَ لِلْيَمَنِ بِقِيَادَةِ ثُورَانِشَاهٍ رَاجِعٍ، ابْنِ حَاتِمِ الْيَاسِي: السُّنْطُ الْغَالِي الثَّمَنُ فِي أَحْبَارِ الْمُلُوكِ مِنَ الثُّغَرِ بِالْيَمَنِ، تَحْقِيقُ رَكْسِ سَمِيثِ GMS ١٩٧٤؛ مُحَمَّدٌ عَمِدُ الْعَامِلِ أَحْمَدُ: «الفتح الأموي لليمن»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١٠ (١٩٦٤)، ١٣٧-١٦٦، «دراسة حول أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأموي لليمن»، مجلة معهد المخطوطات ١٣ (١٩٦٧)، ٣١٩-٣٣٨، الأمويون في اليمن، الإسكندرية ١٩٨٠.

^٢ سَيْفُ الدَّوْلَةِ مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الْيَمُونِ الْمُبَارَكُ بْنُ كَامِلِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُثَقِّلٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُثَقِّلِ الْكِنَانِيِّ الشَّيْزُرِيِّ وَلَدُ =

[الكامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ سُوءًا بِإِمْرَأَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يُخَيِّبَهُ غَيْرَ سَعِيدٍ
أَغْرَاهُ بِالتَّزْوَاجِ مِنْ مِصْرٍ بِلَا سَبَبٍ وَأَشْكَنَهُ بِصَقِّ زَبِيدٍ
فَخَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ كَمَا تَقَدَّمَ .

- وَحَكَّى الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ مُهَذَّبُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَلِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
الْحَيْمِيِّ^١ ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ الْمُعْظَمِ شَمْسَ الدَّوْلَةِ وَقَدْ مَدَّخَتْهُ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ مَيِّتٌ ، فَلَفَّ كَفَنَهُ
وَرَمَاهُ إِلَيَّ وَأَنْشَدَنِي :

[البسيط]

- لَا تَسْتَقِلُّنَّ مَعْرُوفًا سَمَحْتُ بِهِ مَيِّتًا ، وَأَمْسَيْتُ عَنْهُ عَارِيًا بِدَنِي
وَلَا تَطْلُنَّ جُودِي شَابَهُ بَحَلٍّ مِنْ بَعْدِ بَذْلِي مُلْكُ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنِّي خَرَجْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ كُلِّ مَا مَلَكَتْ كَفِّي سِوَى كَفْنِي^٢

وَهَذَا الدَّرْبُ مِنْ أَغْمَرِ أَخْطَاطِ الْقَاهِرَةِ ، بِهِ ذَاؤُ عَجَّاسِ الْوَزِيرِ وَجَمَاعَةٍ ، كَمَا تَرَاهُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ .

دَرْبُ مُلُوحِيَا^٣

- هَذَا الدَّرْبُ كَانَ يُعْرَفُ بِحَارَةِ قَائِدِ الْقَوَادِ كَمَا تَقَدَّمَ^٤ ، وَعُرِفَ الْآنَ بِدَرْبِ مُلُوحِيَا - وَمُلُوحِيَا
كَانَ صَاحِبَ رِكَابِ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيُعْرَفُ بِمُلُوحِيَا الْفَرَّاشِ ، وَقَتْلَهُ الْحَاكِمُ وَبَاشَرَ قَتْلَهُ -
وَفِي هَذَا الدَّرْبِ مَدْرَسَةُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ^٥ ، وَقَدْ أَتَّصَلَ بِهِ الْآنَ الْخَرَابُ .

٦: ٣٢٢-٣٢٤).

^٢ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٥٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٠٩.

^٣ درب ملوئخيا (ملوئخية) يدل على مكانه الحارة المعروفة بحارة قصر الشوق أحد فروع شارع قصر الشوق في مواجهة مصلحة تمنع المصوغات.

^٤ فيما تقدم ٣٩؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٣٢.

^٥ فيما يلي ٣٦٦: ٢.

= بقلعة شقور سنة ٥٢٦هـ، رتبته صلاح الدين نقيب توران شاه لما توجه إلى اليمن في زيد، وولي بمصر أقر الدواوين ثمة، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٨٩هـ. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ١٤٤؛ الصفيدي: الوافي بالوفيات ٢٥: ٨٨-٩١؛ المقرئ: السلوك ١: ١٠٥؛ أبو الغاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٧٩).

^١ توفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م. (انظر الصفيدي: الوافي بالوفيات ٤: ١٨١-١٨٣؛ المقرئ: المقفى الكبير

دَرْبُ السِّلْسِلَةِ

هذا الدَرْبُ تجاه باب الزُّهومة ، يُعرف بالسِّلْسِلَةِ التي كانت تُمدُّ كلَّ ليلة بعد العشاء الآخرة كما تقدَّم ، وكان يُعرف بدَرْبِ افْتِخَارِ الدَّوْلَةِ الْأَسْعَدِ ، وعُرِفَ بَسْنَانَ الدَّوْلَةِ بْنِ الْكَزْكَلْدِيِّ ، وهو الآن دَرْبٌ عاير^١.

دَرْبُ الشَّمْسِيِّ

هذا الدَرْبُ بشوق المهاجرين تجاه قَيْسارية المُصَفَّرِ ، عُرِفَ بِالْأَمِيرِ غَلَاءِ الدِّينِ كَشْتَنْغْدِي^٢ الشَّمْسِيِّ ، أَخَذَ الْأَمْرَاءُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رَحْمَنَ الدِّينِ بَيْبُوسَ الْبَنْدُكْدارِي ، وَقُتِلَ عَلَى عَكَا فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةِ بِيَدِ الْفِرْعَنْجِ شَهِيدًا^٣.

وكان هذا الدَرْبُ في الْقَدِيمِ مَوْضِعُهُ دَارُ الضَّرْبِ ، ثُمَّ صَارَ مِنْ حُقُوقِ دَرْبِ ابْنِ طَلَّاعِ بِشُوقِ الْفَرَّائِينَ . وَقَدْ هَدَمَ بَعْضُ هَذَا الدَّرْبِ الْأَمِيرُ جَمَالَ الدِّينِ يُوسُفَ الْأُسْتَاذَارِمَا اغْتَصَبَ الْخَوَانِيتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى يَمِينَةِ السَّائِلِكِ مِنَ الْخُرَّاطِينَ إِلَى شُوقِ الْخَلِيجِيِّينَ ، وَكَانَتْ فِي وَقْفِ الْمُعْظَمِ خَمْرَتَاش^٤ الْحَافِظِي ، كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ مَدْرَسَتِهِ^٥.

دَرْبُ ابْنِ طَلَّاعِ

هذا الدَرْبُ عَلَى يَمِينَةِ مَنْ سَلَكَ مِنْ شُوقِ الْفَرَّائِينَ الْآنَ ، الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِالْخُرُوقِيِّينَ^٦ ، طَالِبَاتًا إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ . وَيُسَمَّى فِي هَذَا الدَّرْبِ إِلَى قَيْساريةِ الشُّرُوجِ وَبَابِ سِرِّ خَمَامِ الْخُرَّاطِينَ وَدَارِ الْأَمِيرِ الْأَذْمَرِ . وَعُرِفَ هَذَا الدَّرْبُ أَوَّلًا بِالْأَمِيرِ نُورِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ نَجْمَا بْنِ رَاجِحِ بْنِ طَلَّاعِ - ^(٧) وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ ابْنُ بَنْتِ طَلَّاعِ^٨ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الْجَاوَلِي الْكَبِيرِ - وَهُوَ الْأَمِيرُ عَزُّ

(a) بولاق : كشتندي . (b) بولاق : خمرتاش . (c) بولاق : بالخرقين . (d-d) إضافة من مسودة الخطط .

^٢ نفسه وا .

^٣ فيما يلي ٤٠١:٢ - ٤٠٢ .

^١ المقرري : مسودة الخطط حيث تبدأ مسودة الخطط

من أثناء الحديث على دَرْبِ السِّلْسِلَةِ ؛ وفيما تقدم ٥١١:٢ -

الدِّينِ جَاوَلِي الْأَسَدِي يَمْلُوكُ أَسَدُ الدِّينِ شِيُوكُوهِ بْنِ شَاذِي - ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْزَبِ الْعِمَادِ سُنَيْنَاتٍ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْزَبِ أَلْدَمُرٍ ، وَبِهِ يُعْرَفُ إِلَى الْآنَ^١.

أَلْدَمُرُ أمير جَانْدَار سَيِّفُ الدِّينِ^٢ - أَحَدُ أَمْثَرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، خَرَجَ إِلَى الْحَبْجِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ أَمِيرُ حَاجِ الرُّكْبِ الْعِرَاقِيِّ تِلْكَ السَّنَةِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ الْحَوْجِجِ مِنْ أَهْلِ تَوْرِيذٍ ، بَنَتْهُ أَبُو سَعِيدٍ مَلِكُ الْعِرَاقِ إِلَى مِصْرَ ، وَخَفَّ عَلَى قَلْبِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ بَلَغَهُ عَنْهُ مَا يَكْرَهُهُ فَأَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ .

وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ^٣ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَمِيرُ الرُّكْبِ الْعِرَاقِيِّ ، كَتَبَ إِلَى الشَّرِيفِ عُطَيْفَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ^٤ أَنْ يَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي قَتْلِهِ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ ، فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ مُبَارَكًا وَخَوَاصُّ قُوَّادِهِ ، فَاسْتَعَدُّوا لِذَلِكَ . فَلَمَّا وَقَفَ النَّاسُ بِعَرَفَةَ ، وَعَادُوا يَوْمَ النَّحْرِ إِلَى مَكَّةَ ، قَصَدَ الْعَبِيدُ إِثَارَةَ فِتْنَةٍ ، وَشَرَعُوا فِي النَّهْبِ لِيَنَالُوا غَرَضَهُمْ مِنْ قَتْلِ أَمِيرِ الرُّكْبِ الْعِرَاقِيِّ ، فَوَقَعَ الصَّارِخُ - وَلَيْسَ عِنْدَ الْمَصْرِيِّينَ خَبِيرٌ مِمَّا كَتَبَ بِهِ^٥ السُّلْطَانُ - فَتَهَضَّ أَمِيرُ الرُّكْبِ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ خَاصَّ ثُرُوكَ ، وَالْأَمِيرُ أَحْمَدُ قَرِيبُ السُّلْطَانِ ، وَالْأَمِيرُ أَلْدَمُرُ أَمِيرُ جَانْدَارٍ فِي مَمَالِكِهِمْ .

وَأَخَذَ أَلْدَمُرُ يَسِبُ الشَّرِيفَ رُمِيَّةً^٦ ، وَأَنْفَسَكَ بَعْضُ قُوَّادِهِ وَأَخْرَقَ^٧ بِهِ . فَقَامَ إِلَيْهِ الشَّرِيفُ

(a) بولاق : أن حويج . (b) بولاق : كبه . (c) بولاق : وأحدق .

الجزيري : درر الفوائد المنظمة ١: ٦٣١-٦٣٤ (وهو ينقل عن الخطوط) .

^٣ الشَّريف سَيِّفُ الدِّينِ عُطَيْفَةُ بْنُ أَبِي تَمِيمٍ بْنِ أَبِي سَعْدٍ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ الْحُسَيْنِيِّ الْمَكِّيِّ ، أَمِيرُ مَكَّةَ وَلِيَّ إِثْرَتِهَا نَحْوَ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مُسْتَقْلِلًا فِي بَعْضِهَا وَشَرِيكًا لِأَخِيهِ رُمَيْتَةَ فِي بَعْضِهَا . (الْقَاسِي : الْعَقْدُ الثَّمِينُ ٦: ٩٥-١٠٥) ابْنُ فَهْدٍ : غَايَةُ الْمَرَامِ بِأَخْيَارِ سُلْطَانَةِ الْبِلَادِ الْحَرَامِ ٢: ١١٣-١٢٩) .
^٤ الشَّرِيفُ رُمَيْتَةُ بْنُ تَمِيمٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُطَاعِينَ الْحُسَيْنِيِّ ، وَلِيَّ إِثْرَةِ مَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَزْهَدَ مُسْتَقْلِلًا بِذَلِكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَنِصْفًا ، وَشَرِيكًا لِأَخِيهِ لَحْمِيَّةً فِي مَرَّتَيْنِ مَجْمُوعَهَا نَحْوَ عَشْرِ سِنِينَ وَشَرِيكًا لِأَخِيهِ عُطَيْفَةَ خَمْسِ سِنِينَ . (الْقَاسِي : الْعَقْدُ =

^١ المقرئري : مسودة الخطوط ٢-٣ و .
^٢ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ أَلْدَمُرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ الْجَانْدَارِ (وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ الْخَازَنْدَانِ) ، التَّوَفَّى سَنَةَ ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م ، أَحَدُ أَمْثَرَاءِ الْأُلُوفِ بِالْأَمَارِ الْمِصْرِيَّةِ . (الصَّفْدِي : أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١: ٥٩٣-٥٩٤) وَفِيهِ أَلْدَمُرُ بِالْهَمْزَةِ وَاللَّامِ السَّاكِنَةِ وَالْدَالُ الْمُهْمَلَةُ الْمَفْتُوحَةُ وَالْمِيمُ الْمَكْسُورَةُ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ، وَهُوَ ضَبٌّ شَاذٌ خَاصَّةً وَأَنَّ أَبَا الْهَاجِمِينَ ذَكَرَ اسْمَهُ أَلْدَمُرَ بَدَلًا مِنْ أَلْدَمُرٍ^١ الْقَاسِي : الْعَقْدُ الثَّمِينُ ٣: ٣٢٧-٣٢٩) المقرئري : الْمُقْنَنُ الْكَبِيرُ ٢: ٢٨٠-٢٨٢ ، السُّلُوكُ ٢: ٣٢٣-٣٢٦ ، ابْنُ حَجَرٍ : الدَّرَرُ الْكَامِتَةُ ١: ٤٣٤-٤٣٥ ، أَبُو الْهَاجِمِينَ : الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣: ١٨٤-١٨٦ ، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٨٢ ، ابْنُ فَهْدٍ : إِشْغَافُ الْوَرَى ٣: ١٨٩-١٩٢

عُطِيفَةً وَلَا طَفَهَ ، فلم يرجع . وكان حديدَ النَّفْسِ شُجَاعًا / ، فَأَقْدَمَ إِلَيْهِمْ - وقد اجتمع قُوَادُ مَكَّةَ وَأَشْرَافُهَا وَهُمْ مُلَبَّسُونَ يُرِيدُونَ الرُّكْبَ الْعِرَاقِي - وَضَرَبَ مُبَارَكُ بْنُ عُطِيفَةَ بِدَبُوسٍ فَأَخْطَاهُ ، وَضَرَبَهُ مُبَارَكُ بِخَوْزَةِ نَفَذَتْ مِنْ صَنْثِرِهِ ، فَتَنَقَّطَ عَنْ فَرْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ . فَأُزْتُجَ النَّاسُ وَوَقَعَ الْقِتَالُ ، فَخَرَجَ أَمِيرُ الرُّكْبِ الْعِرَاقِي وَاخْتَرَسَ عَلَى نَفْسِهِ فَسَلِمَ^١ . وَسَقَطَ فِي يَدِ أَمِيرِ مَكَّةَ إِذَا فَاتَ مَقْصُودَهُ ، وَحَصَلَ مَا لَمْ يَكُنْ يَرَادُهُ . ثُمَّ سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ ، وَدُفِنَ الْأَذْمَرُ .

وكان قتله يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة ، فكأنما نادى مُنَادٍ فِي الْقَاهِرَةِ وَالْقَلْعَةِ ، وَالنَّاسُ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ ، بِقَتْلِ الْأَذْمَرِ وَوُقُوعِ الْفِتْنَةِ بِمَكَّةَ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ حَتَّى تَحْدُثَ بِذَلِكَ ، وَتَلْعَ السُّلْطَانُ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِالْخَبَرِ ، وَقَالَ : أَيْنَ مَكَّةَ مِنْ مِصْرَ ، وَمَنْ أَتَى بِهَذَا الْخَبَرِ ؟

وَاشْتَفِضَ هَذَا الْخَبَرَ بِقَتْلِ الْأَذْمَرِ حَتَّى انْتَشَرَ فِي إِقْلِيمِ مِصْرَ كُلِّهِ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَضَرَ مُبَشِّرُ الْحَاجِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي الْحَرَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، فَأَخْبَرُوا بِالْخَبَرِ مِثْلَ مَا أُشِيعَ . فَكَانَ هَذَا مِنْ أَغْرَبِ مَا سُمِعَ بِهِ .

وَلَمَّا تَلْعَ السُّلْطَانُ خَبَرَ قَتْلِ الْأَذْمَرِ ، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَصَارَ يَقُومُ وَيَقْعُدُ ، وَبَاطِلُ السَّمَاطِ . وَأَمَرَ فَجُرُودَ مِنَ الْعَشْكَرِ أَلْفَ فَارِسٍ ، كُلُّ مِنْهُمْ بِخَوْزَةٍ وَجَوْشَنٍ وَمِائَةِ فَوْزَةٍ نَشَابٍ وَقَاسٍ بِرَاسِينَ أَحَدُهُمَا لِلْقَطْعِ وَالْآخَرُ لِلهَيْئَةِ ، وَمَعَ كُلِّ مِنْهُمْ جَمَلَانِ وَقَرَسَانِ وَهَجِينِ . وَرَاسِمٌ لِأَمِيرِ هَذَا الْعَشْكَرِ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ إِلَى يَنْبُغِ وَعَدَّاهُ ، لَا يَزُقُّعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَلْ يَنْظُرْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَقْتُلْ كُلَّ مَنْ يَلْقَاهُ مِنَ الْغُرَبَانِ ، إِلَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ أَمِيرُ غَرْبٍ فَإِنَّهُ يَقْبِذُهُ وَيَسْخَبُهُ مَعَهُ . وَجُرُودٌ مِنْ دِمَشْقَ سِتِّ مِائَةٍ فَارِسٍ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ .

وَطُلِبَ الْأَمِيرُ أَنْتَمَشَ أَمِيرَ هَذَا الْجَيْشِ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْمُقَدِّمِينَ ، وَقَالَ لَهُ بَدَارِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْحَيْدَةِ : وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَكَّةَ لَا تَدْعَ أَحَدًا مِنَ الْأَشْرَافِ وَلَا مِنَ الْقَوَادِ وَلَا مِنْ عِبِيدِهِمْ يَسْكُنُ مَكَّةَ ، وَنَادِ فِيهَا : مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ حَلًّا دَمَهُ ، وَلَا تَدْعَ شَيْقًا مِنَ النَّحْلِ حَتَّى تَحْرِقَهُ بِجَمِيعِهِ ، وَلَا تَتْرَكَ بِالْحِجَازِ دِمْنَةً عَامِرَةً ، وَخَرْبَ الْمَسَاكِينِ كُلِّهَا ، وَأَقِمِ فِي مَكَّةَ بَيْنَ مَعَكَ حَتَّى أَقْبِثَ إِلَيْكَ بِعَشْكَرٍ ثَانٍ .

^١ = الثمين ٤: ٤٠٣ - ٤٢٤ ابن فهد : غاية المرام ٢: ٧٨ - من هنا وحتى رقم ١ في صفحة ١١٦ نقله الجزيري في «الدور الفرائد المنظمة» ١: ٦٣٦ - ٦٣٨ .

^١ قارن مع المعري : المعنى الكبير ٢: ٢٨١ .

وكان القضاة حاضرين ، فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني : يا مولانا السلطان هذا
 حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمناً وشرقه ، فرد عليه جواباً في غضب ؛ فقال الأمير
 أئتمش : يا خوند ، فإن حضر زميئة للطاعة وسأل الأمان ؟ فقال : أمه .
 ثم لما سكن عنه الغضب ، كتب باستيفار أهل مكة وتأمينهم ، وكتب أماناً
 نُسخته :

« هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله ﷺ وأماننا للمجلس
 العالي الأسدي زميئة بن الشريف نجم الدين محمد بن أبي نمي^{١٥} ، بأن
 يحضر إلى خدمة الصنّجق الشريف ، صُحبة الجنّاب العالي السيفي
 أئتمش الناصري ، آمناً على نفسه وأهله وماله وولده وما يتعلق به ، ولا
 يخشى حلول سطوة قاصبة ، ولا يخاف مؤاخضة حاسمة ، ولا يتوقع
 خديعة ولا مكراً ، ولا يحذر سوءاً ولا ضرراً ، ولا يستشعر مخافة ولا
 ضراً ، ولا يتوقع رجلاً ، ولا يذهب بأساً . وكيف يذهب من أحسن
 عملاً ؟

بل يحضر إلى خدمة الصنّجق آمناً على نفسه وماله وآله ، مطمئناً وإيقاً
 بالله ورسوله ، وبهذا الأمان الشريف المؤكّد الأسباب ، المبيّض الوجه ،
 الكريم الأخساب . وكلّما يخطر بباله أنا تؤاخذ به فهو مغفور ، والله عاقبة
 الأمور . وله من الإقبال والتّقديم ، وقد صفّحنا الصّفح الجميل ، وإن ربك
 هو الخلاق العليم .

فليثق بهذا الأمان الشريف ، ولا يُسيء به الظنون ، ولا يُضغى إلى قول
 الذين لا يعلمون ، ولا يستشير في هذا الأمر إلا نفسه . فيؤمّه عندنا نايخ
 لأُمسيه ، وقد قال ﷺ : يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : « أنا عند ظنّ عبدي بي ، فليظنّ
 بي خيراً » .

فتمسك بغرزة هذا الأمان فإنها وثقى ، واعمل عمل من لا يضل ولا
 يشقى . ونحن قد أمانك فلا تحف ، ورعيتنا لك الطاعة والشرف ، وعفا الله

عما سَلَفَ ، ومن أُمَّتَاهُ فَقَدْ فَازَ ، فِطْبَ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا فَأَنْتَ أَمِيرُ الْحِجَازِ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .^١

وكان أَلَدُّهُ فِيهِ شَهَامَةٌ وَشَجَاعَةٌ ، وله سَعَادَةٌ طَائِلَةٌ صَحْحَةٌ ، وَمَتَاجِرُ زِرَاعَاتٍ اقْتَنَى بِهَا أَعْوَالًا
جَزِيلَةً ، وَزَوْجُ ابْنِهِ بَابَةُ قَاضِي الْقَضَاةِ جَلَالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِي .

دَرْبُ قَيْطُون

هذا الدَّرْبُ بَيْنَ قَيْسَارِيَّةِ جِهَازِ كَسْ وَقَيْسَارِيَّةِ أَمِيرِ عَلِي ، وَهُوَ نَافِذٌ إِلَى خَلْفِ مُسْتَوْقَدِ حَمَامِ
القَاضِي ، وَكَانَ مِنْ حَقُوقِ دَرْبِ الْأَسْوَانِي ^(أ) أَوْ مِنْ حَقُوقِ خُطِّ الْحَزْرَوِيِّينَ الْمَعْرُوفِ الْآنَ
بِالْأَكْفَانِيِّينَ ^(ب) .

دَرْبُ السَّرَاجِ

هذا الدَّرْبُ عَلَى يَشْرَةِ مَنْ سَلَكَ مِنَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ طَائِلًا دَرْبِ الْأَسْوَانِي وَخُطِّ الْأَكْفَانِيِّينَ .
وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ خُطِّ دَرْبِ الْأَسْوَانِي ، ثُمَّ أُفْرِدَ فَصَارَ مِنْ خُطِّ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ^(ج) . وَكَانَ يُعْرَفُ أَوَّلًا
بِدَرْبِ ابْنِ ^(د) السَّرَاجِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الشَّامِيِّ ، وَهُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِدَرْبِ ابْنِ الصُّنْدَرِ عُمَرُ ^(هـ) .

دَرْبُ الْقَاضِي

هذا الدَّرْبُ مُقَابِلُ ^(د) مُسْتَوْقَدِ حَمَامِ الْقَاضِي ، عَلَى يَمْنَةٍ مِنْ سَلَكَ مِنْ دَرْبِ الْأَسْوَانِي إِلَى
الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَهُوَ مِنْ حَقُوقِ دَرْبِ الْأَسْوَانِي ^(أ) وَمِنْ خُطِّهِ ^(ب) . كَانَ يُعْرَفُ أَوَّلًا بِرُقَاقِ عَزَّازِ غُلَامِ
أَمِيرِ الْجَيْشِ شَاوَرِ السَّعْدِيِّ وَزَيْرِ الْعَاظِدِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْقَاضِيِ السَّعِيدِ أَبِي الْمَعَالِي هَبَّةَ اللَّهِ بْنِ

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) ساقطة من بولاق . (c) في هامش أباصوفيا : بياض قدر خمسة أسطر . (d) بولاق :

يقابل .

^١ الجزيري : الدرر الغرائد المنظمة ١: ٦٣٦-٦٣٨ . الجامع الأزهر وهو عندي أظهر .

^٢ المقرئزي : مسودة الخطوط ١ . ^٣ المقرئزي : مسودة الخطوط ٢-٢٢ ط .

^٤ انظر عن عزاز غلام شاور السعدي أيضًا فيما يلي .
^٥ القديمة آله من خط دَرْبِ الْأَسْوَانِي ، وفي أمكنها آله من خط

فَارِس، ثُمَّ عُرِفَ بِزُقَاقِ ابْنِ الْإِمَامِ، وَغُرِفَ أَخِيرًا بِدَرْبِ ابْنِ لُؤْلُؤٍ، وَهُوَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ لُؤْلُؤِ التَّاجِرِ بِقَوْمِ سَارِثَةِ جَهَارَكَس^١.

دَرْبُ الْبَيْضَاءِ

هُوَ مِنْ جَمَلَةِ خُطِّ الْأَكْفَانِيِّينَ الْآنَ، الْمَسْلُوكِ^(a) إِلَيْهِ مِنَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَسُوقِ الْقَوَالِينِ؛ وَغُرِفَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ بِهِ دَارٌ تُغْرَفُ/ بِالْأُورِ الْبَيْضَاءِ^٢.

دَرْبُ الْمُتَّقِذِيِّ

هَذَا الدَّرْبُ بَيْنَ سُوقِ الْحَيَمِيِّينَ وَسُوقِ^(b) الْقَشَّاشِينَ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِشَكْنَى^(b) الْحَرَّاطِينَ، عَلَى نِيْمَتَةٍ مِنْ سَلَكٍ مِنَ الْحَرَّاطِينَ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ. كَانَ يُغْرَفُ قَدِيمًا بِزُقَاقِ غَزَالٍ - وَهُوَ صَنِيعَةُ الدَّوْلَةِ أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُفَضَّلَ بْنِ غَزَالٍ - ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الْمُتَّقِذِيِّ، وَهُوَ الْآنَ يُغْرَفُ بِدَرْبِ^{١٠} الْأَمِيرِ بَكْتَمُرِ أَسْتَاذِارِ الْغَلَائِيِّ^٣.

دَرْبُ خَرِبةَ صَالِح

هَذَا الدَّرْبُ عَلَى يَسْرَةِ مَنْ سَلَكَ مِنْ أَوَّلِ الْحَرَّاطِينَ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ. كَانَ مَوْضِعُهُ فِي الْقَدِيمِ مَارِشْتَانًا، ثُمَّ صَارَ مَسَاكِينَ وَغُرِفَ بِخَرِبةَ^(c) صَالِحٍ. وَفِيهِ الْآنَ دَارُ الْأَمِيرِ طِينَالِ الَّتِي صَارَتْ يَدَ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ^(d) الْبَارِزِيِّ كَاتِبِ السَّرِّ، وَفِيهِ أَيْضًا بَابُ سُوقِ الصَّنَادِقِيِّينَ^٤. (يُغْرَفُ قَدِيمًا بِدَرْبِ الْحَجَّارِيِّينَ^(e)).

(a) ص: إِلَّا أَنَّ السُّلُوكَ. (b-b) إِضَافَةٌ مِنْ مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ. (c) بُولَاقٍ: خَرَابَةٌ. (d) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقٍ. (e-e) إِضَافَةٌ مِنْ مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ.

^٣ الْبَارِزِيِّ: مَسْوَدَةُ الْخَطِّطِ ٣ و١٠.

^٤ نَفْسُهُ ٢ و١٠.

^١ الْبَارِزِيِّ: مَسْوَدَةُ الْخَطِّطِ ٢ و١٠.

^٢ نَفْسُهُ ٣ و١٠.

دَرْبُ الْحَسَامِ

هذا الدَرْبُ على يَمْتَنَةِ مَنْ سَلَكَ مِنْ آخِرِ شَوَاقِقِ الْبَاطِلِيَّةِ إِلَى الْأَزْهَرِ، عُرِفَ بِحَسَامِ الدِّينِ لَاجِنِ الصَّقَرِيِّ^٥ أَسْتَادِ الْأَمِيرِ مَنَجْكَ^٢.

دَرْبُ الْمُتَّصُورِيِّ

هذا الدَرْبُ بأَوَّلِ الْحَاذَةِ الصَّالِحِيَّةِ نَجَاهِ دَرْبِ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ، عُرِفَ أَوَّلًا بِدَرْبِ الْجَوْهَرِيِّ - وَهُوَ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُتَّصُورِ الْجَوْهَرِيِّ، كَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ - وَعُرِفَ أُخِيرًا بِدَرْبِ الْمُتَّصُورِيِّ. وَهُوَ الْأَمِيرُ قُطْلُوبَغَا الْمُتَّصُورِيُّ حَاجِبُ الْحُجَابِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ ابْنِ مُحْسِنِينَ^٢.

دَرْبُ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ

هذا الدَرْبُ فِي طَرِيقِ مَنْ سَلَكَ مِنْ خُطِّ خَانَ الدِّمِيرِيِّ طَالِيًا إِلَى حَاذَةِ الصَّالِحِيَّةِ وَحَاذَةِ الْبَرْقِيَّةِ؛ اسْتَجَدَّهُ الْأَمِيرُ مُحْسِنُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، وَمَاتَ فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ. وَهُوَ وَالِدُ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ مُحْسِنِينَ^٣.

(a) بولاق: الصفدي.

حَاجِبُ الْحُجَابِ الْمَعْرُوفُ بِالْكَبِيرِ، تَوَفَّى بِسَجْنِ الْكَرْكِ سَنَةِ ٧١٦هـ / ١٣١٦م. (ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ أبو المحاسن: الدليل الشافي ٢: ٥٤٧).

^٣ ورد هنا على هامش نسخة ص: «عَمِلَ الْآنَ خُرُوعَهُ ثُمَّ أُعِيدَ دَرْبًا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَعَ مَا اسْتَشْجَدَ بِقُرْبِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ دُرُوبٍ فِي الْأَيَّامِ الْقَاصِرَةِ مُحَمَّدُ أَبُو الشَّعَادَاتِ نَجَلُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ قَائِمًا».

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٢ و. وورد هنا على هامش نسخة ص: «دَرْبُ الْحَسَامِ هَذَا أَخَذَهُ جَمِيعُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ قَائِمًا وَجَعَلَ مَكَانَهُ الصَّهْرِيحَ وَخَوَّضَ سَبِيلَ الدُّوَابِّ، وَكَذَلِكَ مَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنَ الدُّورِ وَالْقَاعَاتِ وَالْحَوَانِيتِ إِلَى دَرْبِ الْأَثْرَاكِ، وَأَنْشَأَ ذَلِكَ حَوَانِيتَ وَرَكَائِلَ يَعْمَلُهَا زَيْعٌ جَلِيلٌ نَجَاهِ بَاهِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الْغَرِيبَةِ».

^٢ نفسه ٣؛ والأَمِيرُ قُطْلُوبَغَا (قُطْلُوبُوك) الْمُتَّصُورِيُّ

دَرْبُ الْقَاحِين

هذا الدَّرْبُ بِحُطِّ قَصر ابن عَمَّار من جملة حَاذِرَة كُنَامَة قَرِيبًا من الحَاذِرَة الصَّالِحِيَّة ^(a) بِالْقُرْب من الحَمَام المعروفة الآن بِحَمَام كراي ، قَرِيبًا من مَدْرَسَة الصَّاحِب كَرِيم الدِّين بن القَنَام ^(b) . وفيه اليوم دار خَوْنَد سُقْرَا ، وَحَمَام كراي وَزَاء مَدْرَسَة ابن القَنَام ^(c) .

دَرْبُ الْعَسَل

هذا الدَّرْبُ على يَمَنَة من سَلَك ^(d) من حُطِّ الشَّيْب خَوْخ يُرِيد المُشْهَد الحُسَيْنِي ^(e) . كان يُعْرَف أَوَّلًا بِخَوْخَة الشَّرِيف الأمير عَقِيل ابن الحَلِيفَة المُعَزِّ لَدِين الله أَبِي تَمِيم مَقْدَّ أَوَّل خَلَائِف ^(f) القَاطِمِينَ بالقَاهِرَة ، ومَات في سنة أربع وسبعين وثلاث مائة هو وأخوه الأمير تَمِيم بن المُعَزِّ بالقَاهِرَة ، وَدُفِنَا بِثَوْبَة القَصر ^(g) .

دَرْبُ الْجَبَّاسَة

هذا الدَّرْبُ تَجَاه من يَخْرُج من شُوق الأَبَارِين إلى المُشْهَد الحُسَيْنِي . وهو من مُجْمَلَة القَصر الكَبِير ، وَه دار مُجْرَجِي ^(h) التي تُعْرَف اليوم بدار بَهَاذِر ⁽ⁱ⁾ .

دَرْبُ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِر

هذا الدَّرْبُ بِجَوَار فُنْدُق الذَّهَب بِحُطِّ الزُّرَاكِشَة العَتِيق وفي صَفِّه ، وهو من حُقُوق دار العِلْم التي اسْتَجَدَّت في خِلَافَة الأَمِير وَوَزَارَة المَأْمُون البَطَائِحِي . فَلَمَّا زَالَت الدَّوْلَة اخْطَطَ مَسَاكِين ، وَسَكَنَ هُنَاكَ القَاضِي مُعَيِّي الدِّين بن عبد الظَّاهِر ^(j) (بن نَشْوَان الشَّعْدِي الكَاتِب المُنْشِئ الإِمَام العَلَامَة صَاحِب كِتَاب « الرُّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة فِي خِطَط المُعَزِّمَة القَاهِرَة » ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَنْقُول ^(k))

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) بولاق : خرج والمسودة : ابتدأ الخروج . (c) بولاق : خلفاء . (d) بولاق : خوخي .

^٣ نفسه و٢ .

^١ فيما تقدم ٢٨ ، وفيما يلي ٢٤٥ .

^٢ المقريري : مسودة الخطوط و٢ .

(a) عنه في هذا الكتاب، وتوفي في سنة إحدى وتسعين وست مائة (a)، فغرف به ١.

عبد الله (b).

دَرْبُ الْخَازِنِ

هذا الدَرْبُ مُلَاصِقٌ لِمَشُورِ الْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي لِلْخَنَائِلَةِ، وَمُجَاوِرٌ لِبَابِ سِرِّ قَاعَةِ مَدْرَسَةِ الْخَنَائِلَةِ وَالسَّبِيلِ الَّذِي عَلَى بَابِ قَنْدُوقِ مَشْرُورِ الصَّغِيرِ. اسْتَجَدَّهُ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ شَيْخُ الْخَازِنِ الْأَشْرَفِيِّ وَالِي الْقَاهِرَةِ، الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ حِكْرُ الْخَازِنِ بِحُطِّ الصَّلِيَّةِ.

وَمِنْجَرٍ ٢ هَذَا كَانَتْ فِيهِ حِشَّةٌ، وَلَهُ ثَوْبَةٌ زَائِدَةٌ، وَيُحِبُّ أَهْلُ الْعِلْمِ. تَنْقُلُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ إِلَى أَنْ صَارَ وَالِي الْقَاهِرَةِ، فَاشْتَهَرَ بِدِقَّةِ الْفَهْمِ وَصِدْقِ الْحَدْسِ الَّذِي لَا يَكَاذُ يُخْطِئُ، مَعَ عَقْلِ وَسِيَاةٍ وَإِحْسَانٍ إِلَى النَّاسِ، وَغُزِلَ بِالْأَمِيرِ قَدَادَارٍ (c)، وَمَاتَ عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً فِي ثَامِنِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.

دَرْبُ الْحَبِيشِيِّ

هَذَا الدَّرْبُ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ سَلَكٍ مِنْ حُطِّ الزُّرَايْكَةِ الْعَتِيقِ طَالِيَا سُوقِ الْأَبَّارِينَ، وَهُوَ بِجَوَارِ دَارِ خَوَاجَا الْمُجَاوِرَةِ لِحَانَ مَنْجَلِكٍ. أَضْلَهُ مِنْ جَمَلَةِ الْقَضَرِ الثَّائِفِيِّ، وَكَانَ يُعْرِفُ بِحُطِّ الْقَضَرِ الثَّائِفِيِّ، ثُمَّ عُرفَ بِحُطِّ سُوقِ الْوَرَّاقِينَ، وَهُوَ الْآنَ يُعْرِفُ بِدَرْبِ الْحَبِيشِيِّ، وَهُوَ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ بَلْبَانُ الْحَبِيشِيِّ، أَحَدُ الْأَمْثَرَاءِ الظَّاهِرِيَّةِ يَتَبَرَّسُ ٣.

دَرْبُ نَقُولَا (d) الصَّفَارِ حَاثَةِ الرُّومِ

كَانَ يُعْرِفُ بِدَرْبِ الرُّومِيِّ الْجَزَّارِ ٤.

(a-a) إضافة من مسودة الخطط (b) إضافة من المسودة وبمدها بياض. (c) بولاق: قديدار. (d) بولاق: بقولا.

١ المقريري: مسودة الخطط ٢ و؛ وعن القاضي محيي الدين أبي الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، المتوفى سنة ٦٩٢هـ / سنة ١٣٣٥هـ / ١٣٣٥م. (انظر فيما يلي ٤٤٩).
٢ المقريري: مسودة الخطط ١ ط-٢ و.
٣ نفسه ٣ ط.
٤ المقريري: مسودة الخطط ٢ و؛ وعن القاضي محيي الدين أبي الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري، المتوفى سنة ٦٩٢هـ / سنة ١٣٣٥هـ / ١٣٣٥م. (انظر فيما يلي ٤٤٩).
٥ لا كما ذكر المقريري هنا، ومؤلف كتاب «الزُّوْجَةُ البَيْحَةُ الزَّاهِرَةُ»، انظر مقدمة المجلد الثاني ٤٠-٤٢*.

دَرْبُ دَعْمَش

هذا الدَرْبُ يُنْفِذُ إِلَى الْخَوَاطَةِ الَّتِي تُخْرَجُ قُبَالَةَ حَتَّامِ الْفَاضِلِ الْمَرْشُومِ لِدُخُولِ النِّسَاءِ . كَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِدَرْبِ دَعْمَش - وَيُقَالُ طَعْمَش - ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ كُوزِ الزُّيْرِ - وَيُقَالُ كُوزِ الزَيْتِ - وَيُعْرَفُ بِدَرْبِ الْقَصَاةِ بَنِي عُثْمَانَ^(أ) مِنْ خُفُوقِ حَاوِزَةِ الرُّومِ^١.

دَرْبُ أَرْقُطَاي

هذا الدَرْبُ بِحَاوِزَةِ الرُّومِ ، ^(ب) وَيُنْفِذُ إِلَى الْخَوَاطَةِ الَّتِي يُخْرَجُ مِنْهَا إِلَى قُبَالَةَ شُوحَةِ أَيْدَعْمَش^(ج) ، كَانَ يُعْرَفُ بِدَرْبِ الشُّعَاعِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ شَعْنَخ - وَهُوَ تَابِعُ الْقَرْبِ شَعْنَخِ الْحَلَبِيِّ - ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الْمُعْظَمِ ؛ وَهُوَ الْأَمِيرُ عِزُّ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ ابْنِ قَوَامِ الدَّوْلَةِ بَجَبَر - بِجِيمِ وَبَاءِ مُوَحَّدَةٍ - ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ أَرْسَلِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَرْسَلِ بْنِ قَرَا رَشَلَانَ الْكَامِلِيِّ وَالِدِ الْأَمِيرِ بَجَاوَلِيِّ الْمُعْظَمِيِّ الْمَعْرُوفِ بِبَجَاوَلِيِّ الصَّغِيرِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الْبَاشْقَرْدِيِّ^(د) ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرِ الْبَاشْقَرْدِيِّ^(هـ) أَحَدُ أَكْبَارِ الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ الصَّالِحِيَّةِ النُّجُمِيَّةِ ، وَوَلِيَّ نِيَابَةِ حَلَبِ^٢.

ثُمَّ عُرِفَ الْآنَ بِدَرْبِ أَرْقُطَاي - وَالْعَامَّةُ تَقُولُ رِقْطَايَ بِغَيْرِ هَمْزٍ - وَهُوَ أَرْقُطَايُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ الْحَاجِّ أَرْقُطَايِ ، أَحَدُ تَمَالِيكِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَصَارَ إِلَى أَخِيهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ فَجَعَلَهُ جَمْعًا^٣.

(أ) بولاق : غشم . (b-b) إضافة من مسودة الخطط . (c) بولاق : الباسعدي .

^٣ الأمير سَيْفِ الدِّينِ أَرْقُطَايِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَاجِّ أَرْقُطَايِ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ وَأَحَدِ الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ قَلَاوُونَ ، الْمُرُوفِي سَنَةِ ٧٥٠هـ/١٣٤٩م . (الصفدي : أعيان العصر ١: ٤٧٦-٤٨٠ ، الوافي بالوفيات ٨: ٣٦١-٣٦٢ ، المقرئ : المقفى الكبير ٢: ٣٠-٣٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٧٦) أبو الحسن : المنهل الصافي ٢: ٣٢٨ ، النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٤).

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٣-٤ و .
^٢ نفسه ٤ و ، ذكره تحت : دَرْبِ الشُّعَاعِ .
وعن الأمير عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرِ الْبَاشْقَرْدِيِّ الصَّالِحِي ، الْمُرُوفِي سَنَةِ ٦٨٦هـ/١٢٨٧م ، راجع الصفدي : الوافي بالوفيات ١٥: ٤٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ٥٨ ، المعني : عقد الجمان ٢: ٣٦٨ ، أبا المحاسن : المنهل الصافي ٦: ٧٤-٧٤ .

وكان هو والأمير أَيْتُمُش نَائِب الكَرَك بينهما أُخُوَّةٌ، ولهما معرفة بلسان التُّرك القُبجاقي،
ويُرْجَع إليهما في «الباشة» التي هي شريعة جَنْكِيْز خان، / التي تقول العائمة وأهل الجَهْل في
زَمَانِنَا: هذا مُحْكَمُ الشَّيْأَةِ، يُريدون مُحْكَمُ الباشة^١.

ثم إنَّ الملك النَّاصِرَ أَخْرَجَهُ مع الأمير تَنْكِيْز إلى دِمَشق، ثم استقرَّ في نيابة جِصص لسِتْع مَضِين
من رَجَب سنة عشر وسبع مائة، فبَاشَرَهَا مُدَّةً. ثم نَقَلَهُ إلى نيابة صَفْد في سنة ثمان عشرة، فأَقَامَ
بِهَا وَعَمَرَ فِيهَا أَفْلَاكًا وَزُيْنَةً.

فلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ، طُلِبَ إلى مصر، ومُجِهُزَّ الأمير أَيْتُمُش أَخُوهُ مَكَانَهُ، وَعَمِلَ
أَمِير مائة بمصر. فلَمَّا تَوَجَّهَ الْعَشْكَرُ إلى إِيَّاس خَرَجَ مَعَهُم وَعَادَ، فَكَانَ يَعْمَلُ نِيَابَةَ النَّيْبَةِ^٢ إِذَا خَرَجَ
السُّلْطَانُ لِلصَّيْدِ. ثم أَخْرَجَ إلى نيابة طَرَابُلُسَ عَوْضًا عَنْ طَيْنَال، فأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَجَّهَ الطُّبُغَا إلى
طَشْطُمُر نَائِب حَلَب، وكان معه بعسكر طَرَابُلُس.

فلَمَّا جَرَى مِنْ هُرُوبِ الطُّبُغَا مَا جَرَى كَانَ أَرْقُطَاي مَعَهُ، فَأَمْسِكَ وَاعْتَقَلَ بِسَكَنْدَرِيَّة. ثم أَفْرَجَ
عَنْ أَرْقُطَاي فِي أَوَّلِ سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بِوَسَايَةِ الْأَمِيرِ مَلِكْتُمُر الْحِجَازِيِّ، وَجَعَلَ أَمِيرًا إِلَى
أَنْ مَاتَ الصَّالِحُ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْمَلِكُ الْكَامِلُ شُعْبَانُ وَرَسَمَ لَهُ نِيَابَةَ حَلَبَ عَوْضًا عَنْ الْأَمِيرِ يَلْبُغَا
الْيَخْيَاوِيِّ، فَحَضَرَ إِلَيْهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ.

ثم طُلِبَ إلى مصر فَحَضَرَ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَلِيلٍ حَتَّى خُلِعَ الْكَامِلُ وَتَسَلَّطَنَ الْمُظْفَرُ
حَاجِي، وَوَلَاةَ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ بِمِصْرَ. فبَاشَرَهَا إِلَى أَنْ خُلِعَ الْمُظْفَرُ، وَأُقِيمَ فِي السُّلْطَنَةِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ
حَسَنُ^٣، اسْتَقْفَى مِنَ النَّيْبَةِ وَسَأَلَ نِيَابَةَ حَلَبَ، فَأُجِيبَ وَوُلِّيَ نِيَابَةَ حَلَبَ، وَخَرَجَ إِلَيْهَا. وَمَا زَالَ
فِيهَا إِلَى أَنْ نُقِلَ مِنْهَا إِلَى نِيَابَةِ دِمَشق، فَقَرِحَ أَهْلُهَا بِهِ وَسَارُوا إِلَى حَلَبَ فَرَحًا بِهِ^٤. فَتَزَلَّ بِهِ
مَرَضٌ، وَسَارَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَمَاتَ بَعَثِينَ الْمُبَارَكَةَ ظَاهِرَ حَلَبَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ خَامِسَ جُمَادَى الْأُولَى
سَنَةِ خَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَقَدْ أَنْفَتَ عَنِ السَّبْعِينَ، فَعَادَ أَهْلُ دِمَشقَ حَائِينَ.

وكان ذِكْرًا قَطِنًا، مِخْجَاجًا لَيْسًا، مَعَ عَجْمَةٍ فِي لِسَانِهِ، وَلَهُ تَنْدِيْبٌ^٥ مَطْبُوعٌ، وَمِثْلٌ إِلَى
الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ، مَا يَكَادُ يَمْلِكُ نَفْسَهُ إِذَا شَاهَدَهَا، مَعَ كَرَمٍ فِي الْمَأْكُولِ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فرحل عنها. (c) بولاق: نبئت.

^٢ عن نيابة النّبيّة، انظر فيما يلي ٦٩٨-.

^١ عن الباشة، انظر فيما يلي ٧١٣-٧١٨.

دَرْبُ البَنَادِين بِحَاةِ الرُّومِ

يُعرَفُ بالبَنَادِين من جملة طَوَائِفِ العَسَاكِرِ فِي الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ أَمِيرِ جَانْدَارٍ ، وَهُوَ يُنْعَدُ إِلَى حَتَمِ الفَاضِلِ المَرْسُومِ لِدُخُولِ^(أ) الرُّجَالِ^١ . وَأَمِيرُ جَانْدَارٍ هَذَا هُوَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرِ الصَّالِحِي المَعْرُوفُ بِأَمِيرِ جَانْدَارٍ .

دَرْبُ المَكْرَمِ بِحَاةِ الرُّومِ

يُعرَفُ بالقَاضِي المَكْرَمُ بجلال الدِّينِ حُسَيْنِ بنِ يَاقُوتِ البَرَّارِ نَسِيبِ ابْنِ سَتَاءِ المَلِكِ^٢ .

دَرْبُ الضَّيْفِ بِحَاةِ الدَّيْلَمِ

عُرِفَ بالقَاضِي ثِقَّةُ المَلِكِ أَبِي مَنصُورِ نَصْرِ بنِ القَاضِي المَوْفَّقِ أَمِينِ^(ب) المَلِكِ أَبِي الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلِ ابْنِ القَاضِي أَمِينِ الدَّوْلَةِ أَبِي مُحَمَّدِ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ نَصْرِ بنِ الضَّيْفِ . كَانَ مَوْجُودًا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَبِهِ أَيْضًا رَحْبَةٌ تُعرَفُ بِرَحْبَةِ الضَّيْفِ مَنسُوبَةٌ إِلَيْهِ^٣ .

دَرْبُ الرِّصَاصِي بِحَاةِ الدَّيْلَمِ

هَذَا الدَّرْبُ كَانَ يُعرَفُ بِحَكْرِ الْأَمِيرِ سَيِّفِ الدِّينِ حُسَيْنِ بنِ أَبِي الهَيْجَاءِ صِهْرِ بَنِي رُزَيْكِ مِنْ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ^٤ ، ثُمَّ عُرِفَ بِحَكْرِ تَاجِ المُلُوكِ^(ج) بِذَرَانِ بنِ الْأَمِيرِ سَيِّفِ الدِّينِ المَذْكُورِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَيْتِكِ الرِّصَاصِي^٥ .

(أ) بولاق : بدخول . (ب) بولاق : أمير . (ج) بولاق : الملك .

^١ المقرئزي : مسودة الخطوط ٤ و ٥ .
^٢ نفسه ٤ و ٥ .
^٣ نفسه ٤ و ٥ .
^٤ انظر ترجمته فيما يلي ١٤٤ - ١٤٥ .
^٥ المقرئزي : مسودة الخطوط ٤ و ٥ . ويدلُّ على موضع =

دَرْبُ ابْنِ الْمُجَاوِرِ

هذا الدَّرْبُ على بَشْرَةٍ من دَعَلَ من أَوَّلِ حَاوِزَةِ الدَّيْلَمِ، كان فيه دَارُ الْوَزِيرِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ الْمُجَاوِرِ، وَزِيرِ الْمَلِكِ الْقَزِيزِ عُثْمَانَ، عُرِفَ بِهِ. وهو يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ أَبُو الْفَتْحِ نَجْمِ الدِّينِ الْفَارِسِيِّ الشَّيرَازِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُجَاوِرِ^١.

كان والدُهُ صُوفِيًّا من أَهْلِ فَارِسَ ثُمَّ مِنْ شِيرَازَ. قَدِيمٌ دِمَشْقُ وَأَقَامَ فِي دُوْنَةِ الصُّوفِيَّةِ بِهَا، وَكَانَ مِنَ الزُّهْدِ وَالِدِينِ بِمَكَانٍ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ وَبِهَا مَاتَ فِي شَهْرِ^٢ رَجَبِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ. وَكَانَ أَخُوهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَحَدَّثَ، وَقَدِيمٌ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ أَوَّلَ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

دَرْبُ كُوكَلَمَسَةَ^(b)

هذا الدَّرْبُ فِيهِ الْمَدْرَسَةُ الْكُهَايَةِ^٢ بِجَوَارِ حَاوِزَةِ الْخَوْدَرِيَّةِ الْمَسْلُوكِ إِلَيْهِ مِنَ الْقَهَامِينَ^(c) وَالْعَضَارِيِّينَ^(d)، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الشَّرِيفِيَّةِ^٢، عُرِفَ.

دَرْبُ الصُّفَيَّةِ

بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ

هذا الدَّرْبُ بِجَوَارِ بَابِ زَوَيْلَةَ، وَهُوَ مِنْ حُقُوقِ حَاوِزَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَكَانَ نَافِذًا إِلَى الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَهُوَ الْآنَ غَيْرُ نَافِذٍ. وَأَصْلُهُ دَرْبُ الصُّفَيَّاءِ - تَصْغِيرُ صَفْرَاءَ، هَكَذَا يُوجَدُ فِي

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الكهارية. (c) بولاق: القماحين. (d) إضافة من مسودة الخطط. (e) ساقط من بولاق، وفي هامش أباصوفيا: يباض نحو سطر.

= الدَّرْبُ الْآنَ حَاوِزَةُ الْحَمَامِ الْمُتَفَرِّعَةِ مِنْ حَاوِزَةِ خَوْشِ قَدَمِ شَمَالِ جَامِعِ الْفِكَهَانِيِّ.

^١ المقرئ: مسودة الخطط ٤ ظ؛ وانظر ترجمة الوزير ابن المجاور المتوفى سنة ١٢٠٠هـ/١٢٠٤م عند ابن سعيد: الفصول اليازمة في محاسن شعراء اللغة السابعة، تحقيق إبراهيم الإياري، القاهرة ١٩٩٠، ١٩-٢٥؛ المنذري: التكملة لوفيات النقلة

٢: ٣٠-٣١، وتوفي والده المعروف بابن المجاور في مكة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م (نفسه ١: ١٤١)، وانظر كذلك، Rentz, G., *Et art. Ibn al-Mudjāwir* III, pp. 905-6.

^٢ نسبة إلى السيدة كُهاَر خاتون، انظر عنها فيما يلي ٢: ٥١٤. ^٣ المقرئ: مسودة الخطط ١٠. والمدرسة الشريفة هي المعروفة الآن بجامعة يبرس الخياط بشارع الجودرية.

الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ^١ - وَقَدْ دَخَلَ بِجَمِيعِ^٢ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الدُّورِ الْجَلِيلَةِ بِالْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِي .

دَرْبُ الْأَنْجَب

هَذَا الدَّرْبُ تَجَاهَ بَقَرِ زَوِيلَةَ الَّتِي مِنْ فَوْقَ قُوْهَتِهَا الْيَوْمَ رُبْعَ يُونُسَ مِنْ حُطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ . يُعْرَفُ بِالْقَاضِي الْأَنْجَبِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُصْرٍ بْنِ عَلِيٍّ أَخَذَ الشُّهُودَ فِي أَيَّامِ قَاضِي الْقَضَاةِ سَنَاءً^٣ الْمَلِكِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مُيَسَّرٍ ، وَكَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ بَضْعَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . أَوْ يُنْسَبُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ الْأَنْجَبِ الْمُقَدَّسِيِّ أَخَذَ الشُّهُودَ الْمُعَدَّلِينَ ، وَكَانَ مُوجُودًا فِي سَنَةِ سِتِّ مِائَةٍ . ثُمَّ عُرِفَ هَذَا الدَّرْبُ بِأَوْلَادِ الْقَمِيدِ الدَّمَشْقِيِّ فَإِنَّهُ كَانَ مَسْكَنَهُمْ^٤ . ثُمَّ عُرِفَ بِالْبَسَاطِي ، وَهُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ جَمَالَ الدِّينِ يُوسُفَ .

دَرْبُ كَنْسَةِ جَدَّةٍ بِزُيْنِ الْبَيْمِ

هَذَا الدَّرْبُ بِالْبُنْدُقَانِيِّينَ . كَانَ يُعْرَفُ بِدَرْبِ بَيْتِ^٥ جَدَّةٍ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الشَّيْخِ الشَّدِيدِ الْمَوْفِقِ^٦ .

دَرْبُ ابْنِ قُطْرٍ

هَذَا الدَّرْبُ بِجَوَارِ مُسْتَوَقَدِ حُثَامِ الصَّاحِبِ وَرِبَاطِ الصَّاحِبِ مِنْ حُطِّ سُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ . عُرِفَ بِنَاصِرِ الدِّينِ بُلْغَاقِ بْنِ الْأَمِيرِ / سَيِّفِ الدِّينِ قُطْرِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٧ .

دَرْبُ الْحَرِيرِيِّ

هَذَا الدَّرْبُ مِنْ جَمَلَةِ دَارِ الدِّيَاكِجِ هُوَ وَدَرْبُ ابْنِ قُطْرٍ الْمَذْكُورِ قَبْلَهُ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

(a) بولاق : جميع . (b) بولاق : سنان . (c) بولاق : بنت . (d) بياض سطر في آياصوفيا .

^١ فِي الْمَسْودَةِ ١٠ عَوْضًا عَنْ ذَلِكَ : «وَرَأَيْتُ فِي كُتُبِ الْأَمْلَاقِ الْقَدِيمَةِ دَرْبَ الصُّفَرَاءِ بِالْمَحْمُودِيَةِ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ وَبَعْدَ الرَّاءِ أَلْفَ تَصْغِيرٍ صَفَرَاءَ ، وَالظَّاهِرُ إِنَّهُ هَذَا ، وَسَمِعْتُ مِنْ

^٢ الْمَقْرِيزِيِّ : مَسْودَةُ الْخَطِّ ٦ و-ظ .

^٣ نَفْسُهُ ٦ و . ^٤ نَفْسُهُ ٦ و .

بَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ نَافِذًا إِلَى الْمَحْمُودِيَةِ وَلَكِنَّهُ الْآنَ غَيْرُ نَافِذٍ وَلَا

أَوَّلُ سُؤْيَةِ الصَّاحِبِ، وَفِيهِ الْمَدْرَسَةُ الْقُطَيْبِيَّةُ. عُرِفَ بِالْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي فَتْحِ الدِّينِ عُمَرَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَرِيرِيِّ، فَإِنَّهُ كَانَ سَاكِناً فِيهِ^١.

دَرْبُ ابْنِ عَرَبٍ

هَذَا الدَّرْبُ بَوَسْطَ^(a) سُؤْيَةِ الصَّاحِبِ، ^(b)تَجَاهُ الْمَدْرَسَةِ الْفَيْسَرَانِيَّةِ^(b)، كَانَ يُعْرَفُ بِدَرْبِ بَنِي أَسَامَةِ الْكُتَّابِ أَهْلُ الْإِنْشَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ بَنِي الزُّبَيْرِ الْأَكْبَرِ الرَّؤَسَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ. ثُمَّ سَكَنَهُ الْقَاضِي عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيٌّ بْنُ عَرَبٍ، مُخْتَصِبٌ الْقَاهِرَةَ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ يَأْبُغَا^(c) وَوَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ، فَعُرِفَ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ^٢.

وَابْنُ عَرَبٍ هَذَا هُوَ عَلَاءُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عُرِفَ بِابْنِ عَرَبٍ، وَلِيَّ الْحِشْبَةِ بِالْقَاهِرَةِ فِي آخِرِ صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. وَوَلِيَّ وَكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ أَيْضًا. وَتَوَفَّى [بِمَكَّةَ فِي ثَلَاثِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ بَعْدَ قَضَاءِ الْحِجِ]^(d) ٣.

دَرْبُ ابْنِ مُعَيْطِينَ^(e)

هَذَا الدَّرْبُ تَجَاهُ الْمَدْرَسَةِ الصَّاحِبِيَّةِ، عُرِفَ أَخِيرًا بِتَاجِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ كَاتِبِ الشَّعْدِيِّ وَنَاطِرِ الْخَوَاصِّ السُّلْطَانِيَّةِ^(f) فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزُقُوقٍ^(g)، وَلَهُ بِهِ دَارٌ مَلِيخَةٌ. وَكَانَ مَا جِئْنَا مَتَهَنِّكَأً يُزْمَنُ بِالشَّوْءِ، وَأَمَّا الدِّيَانَةُ فَإِنَّهُ قَيْطِي، وَعَنْهُ أَخَذَ شَعْدُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ غُرَابٍ^(h) وَظَلِيقَةُ نَاطِرِ الْخَوَاصِّ وَعَاقِبَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ صَارَ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَجْلِسِهِ. وَهَلَكَ فِي وَاقِعَةِ تَيْمُورَلْتَكْ بِدِمَشْقَ فِي سَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ، بَعْدَ مَا اخْتَرَقَ بِالنَّارِ لَمَّا أُخْرِقَتْ⁽ⁱ⁾ دِمَشْقُ، وَأَكَلَ الْكِلَابُ بَعْضَهُ.

(a) بولاق : بخط . (b-b) إضافة من مسودة الخطط . (c) بولاق : بليغاق . (d) يياض بجميع النسخ والمثبت من السلوك للمقرئزي . (e) بولاق : ابن قنقش . (f) بولاق : ناظر الخااص والمثبت من المسودة . (g) بولاق : احترقت .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ٥٦ و .
^٢ نفسه ٥٦ و .
^٣ انظر ، المقرئزي : السلوك ٣ : ٣٥٠ ؛ أبا المحاسن : غُرَاب ، انظر عنه فيما يلي ٢٠٣ .
 النجوم الزاهرة ١١ : ١٩٥ .

دَرْبُ مُشْتَرَك

هذا الدَرْبُ يُقْرَبُ من دَرْبِ الْعَدَّاسِ ، تَجَاهُ الْخُطِّ الَّذِي كَانَ يُعْرِفُ بِالْمِشْطَاحِ ، وَفِيهِ الْآنَ شَوْقُ الْجَوَارِي . عُرِفَ أَوَّلًا بِدَرْبِ الْأَخْنَائِي قَاضِي الْقَضَاةِ يُزْهَانُ الدِّينَ الْمَالِكِي فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِيهِ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يُقَالُ لَهُ دَرْبُ مُشْتَرَك .

- وهذه كلمة تركية أَضْلُهَا بِلِسَانِهِمْ «أُج تَرَكَ» - بَضْمُ الْهَمْزَةِ وَإِشْمَامُهَا ثُمَّ جِيمٌ بَيْنَ الْجِيمِ وَالشَّيْنِ - وَمَعْنَى ذَلِكَ : «ثَلَاثٌ ، وَتَرَكَ - بَتَاءً مِثْلَةً مِنْ فَوْقِ ثُمَّ رَاءَ مَهْمَلَةٍ وَكَافٍ - وَمَعْنَاهَا الْخُتْلُ» . وَمَعْنَى هَذَا الْاسْمِ ثَلَاثُ نَخِيلٍ ، وَعَرَبِيَّتُهُ الْعَامَّةُ فَقَالَتْ : مُشْتَرَكٌ . وَهُوَ مُشْتَرَكُ السَّلَاحِ دَارُ الظَّاهِرِيِّ سَيِّفِ الدِّينِ بَرْقُوقٍ^(a) ، فَإِنَّهُ سَكَنَ بِهِ^١ وَمَاتَ فِي سَنَةِ^(b) .

دَرْبُ الْعَدَّاسِ

- ١٠ هذا الدَرْبُ فِيمَا بَيْنَ دَارِ الدُّبْيَاجِ وَالْوَزِيرِيَّةِ ، عُرِفَ بِعَلِيِّ بْنِ عُمَرَ الْعَدَّاسِ^٢ صَاحِبِ سَقِيْفَةِ الْعَدَّاسِ .

دَرْبُ كَاتِبِ سِيدِي

هذا الدَرْبُ مِنْ جَمَلَةِ خُطِّ الْمَلْحِينِ^(c) ، كَانَ يُعْرِفُ بِدَرْبِ تَقِيِّ الدِّينِ الْأَطْرِبَانِي ، أَخَذَ مُوقَعِي الْحُكْمِ عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ الْأَخْنَائِي ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْوَزِيرِ الصَّاحِبِ عِلْمِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقَبْطِيِّ الشَّهِيرِ بِكَاتِبِ سِيدِي .

- ١٥ الرَّزِيْزُ كَاتِبُ سِيدِي - تَسَمَّى لَمَّا أَسْلَمَ بَعْدَ الْوَهَّابِ بْنِ الْقَيْسِيسِ ، وَتَلَقَّبَ عِلْمُ الدِّينِ ، وَغُرِفَ بَيْنَ الْكُتَّابِ الْأَقْبَاطِ بِكَاتِبِ سِيدِي^٤ ، وَتَرَقَّى فِي الْخِدْمَةِ الدِّيَوَانِيَّةِ حَتَّى وَلِيَ دِيْوَانَ الْمُؤْتَمَعِ ،

(a) بولاق : الظاهر برقوق . (b) يياض بالأصول . (c) مسودة الخطط : بأخر خطط طواحين الملحنيين .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط هـ .

^٢ نفسه هـ ط .

^٣ نفسه هـ ط ، وهو فيها : بأخر خطط طواحين الملحنيين .

^٤ الوزير عِلْمُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الْقَيْسِيسِ الْمَعْرُوفِ ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٦٥ : ٣ ؛ أَبُو الْحَاسَنِ : النجوم الزاهرة =

وَتَخَصَّصَ بِالْوَزِيرِ الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ كَاتِبَ أَرْلَانَ^١، فَلَمَّا أَشْرَفَ مِنْ مَرَضِهِ عَلَى الْمَوْتِ عُيِّنَ لِلوَزَارَةِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَمُ الدِّينِ هَذَا. فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ وَظِيفَةَ الوَزَارَةِ بَعْدَ مَوْتِ الوَزِيرِ شَمْسِ الدِّينِ، فِي سَادِسَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، فَبَاسَرَ الوَزَارَةَ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعَ عَشْرِينَ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ، وَأُقِيمَ فِي مَنْصِبِ الوَزَارَةِ بِدَلَّةِ الوَزِيرِ الصَّاحِبِ كَرِيمِ الدِّينِ بْنِ الْعَتَامِ وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ^٢.

وَكَانَ قَدْ أَرَادَ مُصَادَرَةَ كَرِيمِ الدِّينِ، فَاتَّفَقَ اسْتِغْرَاؤُهُ فِي الوَزَارَةِ وَتَمَكُّنُهُ مِنْهُ فَأَلْزَمَهُ بِحَمَلِ مَالٍ قَرَّزِهِ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ: إِنَّهُ حَمَلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ، عَنْهَا إِذَا ذَاكَ نَحْوَ الْعَشْرَةِ آلَافٍ يَثْقَالُ دَهَبًا، وَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ. وَكَانَ كَاتِبًا بَلِيغًا كَتَبَ بِيَدِهِ بِضْعًا وَأَرْبَعِينَ رِزْمَةً مِنَ الْوَرَقِ. وَكَانَتْ أَثَامُهُ سَاكِتَةً، وَالْأَخْوَالُ مَتَمَشِّئَةً، وَفِيهِ لَيْنٌ.

دَرْبُ مُخْلِصٍ

هَذَا الدَّرْبُ بِحَاذَةِ زَوِيلَةٍ، عُرِفَ بِمُخْلِصِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَيَاءِ مُطَهَّرِ الْمُسْتَنْصِرِي، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ الرَّائِضِ، وَهُوَ الْأَمِيرُ طِرَازُ الدَّوْلَةِ الرَّائِضِ بِإِسْطَبُلِ الْخِلَافَةِ^٣.

دَرْبُ الْكُوكَبِ

هَذَا الدَّرْبُ هُوَ الْآنَ رُقَاقٌ شَارِعٌ يُشَلِّكُ فِيهِ مِنْ حَاذَةِ زَوِيلَةٍ إِلَى دَرْبِ الصَّفَالِيَّةِ، عُرِفَ أَوَّلًا بِالْقَائِدِ الْأَعَزِّ مَشْعُودِ الْمُسْتَنْصِرِي، ثُمَّ عُرِفَ بِكُوكَبِ الدَّوْلَةِ ابْنِ الْجَنَّاكِيِّ^٤ (أ).

(أ) بولاق: الحناكي.

^٢ الصيرفي: نزعة النفوس ١: ١٥٦.

^٣ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٠، وهو فيها: دَرْبُ مُخْلِصِ الدَّوْلَةِ.

^٤ نفسه ٥٠، وهو فيها: دَرْبُ الْجَنَانِ.

١١: ٣١٦؛ الصيرفي: نزعة النفوس ١: ١٥٦).

^١ الوزير الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِكَاتِبِ أَرْلَانَ - وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ كَاتِبُ أَرْلَانَ -، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٧٨٩هـ/١٣٨٧م. (أَبُو الْخَاسَنِ: النُّجُومُ الْوَاهِرَةُ ١١: ٣١٢).

دَرْبُ الوُشَاقِي بِحَاذَةِ رُومِيَّة

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ سُنْقَرُ الوُشَاقِي ، المعروف بِالْأَعْتَرِ السَّلَاحِ دَار ، أَحَدُ أَمْرَاءِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوشَفِ بْنِ أَيُّوبَ^١ .

دَرْبُ الصَّقَالِبَةِ بِحَاذَةِ رُومِيَّة

عُرِفَ بِطَائِفَةِ الصَّقَالِبَةِ ، إِحْدَى طَوَائِفِ الْعَسَاكِرِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ^(١) مِنْهُمْ نَصْرُ الصَّقَلْبِيِّ عَلَّامِ الْمُيَزَّ الَّذِي سَيَّرَهُ إِلَى الشَّامِ فِي جَيْشٍ قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ^(٢) .

دَرْبُ الْكَنْجِي بِحَاذَةِ رُومِيَّة

كَانَ يُعْرَفُ بِدَرْبِ خَلِيلَةَ^(ب) ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْأَمِيرِ شَعْسِ الدِّينِ سُنْقَرُ شَاهِ الْكَنْجِي الْحَاجِبِ الظَّاهِرِيِّ الدُّكْنِيِّ^(ج) ، قَتَلَهُ^(أ) الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ^(أ) قَلَاوُونَ أَوَّلَ سُلْطَنَتِهِ^٣ .

دَرْبُ رُومِيَّة

هَذَا الدَّرْبُ كَانَ فِي الْقَدِيمِ فِيمَا بَيْنَ رُقَاقِ الْقَابِلَةِ وَدَرْبِ الرُّزَاقِ^٤ . فَرُقَاقِ الْقَابِلَةِ فِيهِ الْيَوْمَ كَنِيْسَةُ الْيَهُودِ بِحَاذَةِ رُومِيَّة ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى السَّبْعِ قَاعَاتِ^(د) وَدَارِ تَبْيِزَسِ الَّتِي عُرِفَتْ بِدَارِ كَاتِبِ الْمَرْزُوقِ ابْنِ فَضْلٍ اللَّهِ تَجَاهَ حَمَامِ ابْنِ عَمِيْدٍ . وَدَرْبُ الرُّزَاقِ هُوَ الْيَوْمَ مِنْ جَمَلَةِ خُطِّ سُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ ، وَيَنْهَمَا الْآنَ دُورٌ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ قَطْعِ مَسَافَةٍ .

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) بولاق : حليلة . (c) إضافة من مسودة الخطوط . (d) بولاق : السقايات .

^١ المقرئزي : مسودة الخطوط هـ ، وهو فيها : دَرْبُ شَنْقَرِ^٤ فِي الْمَسْوَدَةِ هـ : « وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ يُجَاوِرُ رُقَاقِ الْقَابِلَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْبُخْرِيَّةِ ، وَفِي بَعْضِهَا مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ يُجَاوِرُ دَرْبِ الرُّزَاقِ » ،
^٢ نفسه ٧ ط . ^٣ نفسه هـ و .

ودُزِبَ رُومِيَّةٌ كان يُعْرَفُ أَوَّلًا بِرُقَاقِ حُسَيْنِ بْنِ إِدْرِيسِ الْقَزْزِي ، أَخَذَ أَتْبَاعَ الْخَلِيفَةِ الْقَزْزِي بِاللَّهِ / يَزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِدُزِبِ رُومِيَّةٍ . وَهُوَ بِجَوَارِ رُقَاقِ الْقَابِلَةِ الَّذِي عُرِفَ بِرُقَاقِ الْعَسَلِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِرُقَاقِ الْمُقَصَّرَةِ ، وَعُرِفَ الْيَوْمَ بِرُقَاقِ الْكَيْسَةِ^١ .

دُزِبُ الْخُصَيْرِي

هذا الدُزِبُ يُقَابِلُ بَابَ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ الْبَحْرِي ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مُحَقِّقِ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ الْقَزْزِي ؛ عُرِفَ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَيْدَمَرُ الْخُصَيْرِي ، أَخَذَ أَمْزَاءَ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ ، وَبِهِ (٨) دَارُ الْمَلِكِ الْمَشْهُودِ نَجْمُ الدِّينِ خِضْرُ بْنُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُزَسَ ، ثُمَّ عُرِفَتْ بِدَارِ الْأَمِيرِ صِلَاحِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ الْأَمِيرِ خِضْرَ ، وَهِيَ دَارُ بَكْتُوتِ الْحَقِصِيِّ الصَّغِيرِ الظَّاهِرِيِّ ، وَتُعْرَفُ فِي زَمَنِنَا هَذَا بِدَارِ الْخُصَيْرِي وَلَهَا بَابٌ مِنْ تَحْتِ قَبْوِ الْخَزُونَشَفِ وَبَابٌ مِنْ دَاخِلِ دُزِبِ الْخُصَيْرِي^٢ .

دُزِبُ شُعْلَةِ

هُوَ الشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ مِنْ بَابِ دُزِبِ مُلُوحِنَا إِلَى خُطِّ الْقَهَّادِينَ وَالْعُطُوفِيَّةِ ، وَقَدْ خَرِبَ^٣ .

دُزِبُ نَادِرٍ^٤

هذا الدُزِبُ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ الْجَمَالِيَّةِ^٥ ، فِيمَا بَيْنَ دُزِبِ رَاشِدٍ وَدُزِبِ مُلُوحِنَا . عُرِفَ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ نَادِرِ الصُّقْلِيِّ ، وَتَوَفَّى لِأَنْتَسِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ الْقَزْزِي بِاللَّهِ لَكَفْنِهِ خَمْسِينَ قِطْعَةً مِنْ دِيَاغٍ وَمُثْقَلٍ^٦ . وَخَلَّفَ ثَلَاثَ مِائَةٍ أَلْفِ دِينَارٍ عَشْرًا وَآنِيَةً مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ وَغَبِيدًا وَخَيْلًا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا بَلَغَتْ قِيمَتُهُ نَحْوَ ثَمَانِينَ أَلْفِ دِينَارٍ . وَكَانَ أَخَذَ الْخُدَامَ ، ذَكَرَهُ الْمَسْبُوحِيُّ فِي تَارِيخِهِ^٧ .

(a-a) إضافة من مسودة الخطط (b) مسودة الخطط : درب سيف الدولة نادر . (c) بولاق : ديباج مثقل .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ٥٥ - ظ . ^٢ نفسه ١٠١ . ^٣ انظر عن المدرسة الجمالية فيما يلي ٣٩٢ : ٢ .

^٤ نفسه ١٠١ - ظ . ^٥ المقرئزي : مسودة الخطط ١ ظ .

وقد ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّ بالشَّوْقَةَ النَّيْ دُونَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ دَرْبًا يُعْرَفُ بِدَرْبِ نَادِرٍ، فَلَعَلَّهُ نُسِبَ إِلَيْهِ دَرْبٌ كَانَ هُنَاكَ فِي الْقَدِيمِ أَيْضًا. (٨) قَالَ كَاتِبُهُ: الَّذِي أَعْرِفُهُ فِيمَا حَفِظْتُهُ قَدِيمًا أَنَّ الدَّرْبَ الْكَبِيرَ الَّذِي قَبْلَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ يُعْرَفُ بِدَرْبِ الرُّمَّاحِينَ، وَلَا يَحْضُرُنِي فِي أَيِّ الْكُتُبِ رَأَيْتُ ذَلِكَ (٩).

دَرْبُ رَاشِد

هَذَا الدَّرْبُ نَجَاهُ خِزَانَةِ الْبُنُودِ، عُرِفَ بِسَمَنِ الدَّوْلَةِ رَاشِدِ الْقَزِيرِيِّ، ذَكَرَهُ الْمُسْتَبْحِي (١٠).

دَرْبُ التَّمِيرِيِّ

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ سَيِّفِ الْمَجَاهِدِينَ مُحَمَّدِ بْنِ التَّمِيرِيِّ، أَحَدُ أَمْرَاءِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ، وَوَلِيَ عَشَقَلَانَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهَا أَكْبَرَ مِنْ وِلَايَةِ دِمَشْقٍ.

١٠. وَهَذَا الدَّرْبُ كَانَ يُنْقَذُ إِلَى دَرْبِ رَاشِدٍ، وَهُوَ الْآنَ غَيْرُ نَافِذٍ، وَفِي دَاخِلِهِ دَرْبٌ يُعْرَفُ بِأَوْلَادِ الدَّيَّةِ طَاهِرٍ وَقَاسِمِ الْأَفْضَلَيْنِ، أَحَدُ أَتْبَاعِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجَبُوشِ، وَعُرِفَ الْآنَ (١١) الدَّرْبُ التَّمِيرِيُّ (١٢) بِدَرْبِ الطُّفْلِ (١٣). وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ خِطَّةِ قَصْرِ الشُّوكِ، فَإِنَّهُ قُبَالَةَ بَابِ قَصْرِ الشُّوكِ، وَبَيْنَهُمَا شَوَقَةٌ رَخِيَّةٌ الْيَدْمَرِي.

دَرْبُ قَرَّاشِيَا

١٥. هَذَا الدَّرْبُ مِنْ جَمَلَةِ الدَّرُوبِ الْقَدِيمَةِ، وَكَانَ تَجَاهَ بَابِ قَصْرِ الزُّمُرْدِ الَّذِي فِي مَكَانِهِ الْيَوْمَ الْمَدْرَسَةُ الْحِجَازِيَّةُ (١٤).

وَهَذَا الدَّرْبُ الْيَوْمَ مِنْ جَمَلَةِ خِطَّةِ رَخِيَّةِ بَابِ الْعِيدِ بِجَوَارِ سِجْنِ الرُّخْبَةِ. وَقَدْ هَدَمَهُ الْأَمِيرُ بِجَمَالِ الدِّينِ يُوسُفِ الْأَشْتَاذَارِ، وَهَدَمَ كَثِيرًا مِنْ دُورِهِ وَعَمَلِهَا وَكَالَةِ، فَمَاتَ وَلَمْ تَكْمَلْ، وَهِيَ إِلَى الْآنَ غَيْرُ تَكْمَلَةٍ. ثُمَّ كَمَّلَهُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخٌ، وَجَعَلَهُ وَقْفًا عَلَى جَائِعِهِ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ خَائِنٌ عَامِرٌ.

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b) إضافة من مسودة الخطوط. (c-c) ساقطة من بولاق.

^١ المقريري: مسودة الخطوط ١٨.

^٢ نفسه ٦ ط.

^٣ نفسه ٧ ط.

^٤ نفسه ٦ و، واكتفى في المسودة فقط بمدخل أوله: دَرْبُ قَرَّاشِيَا مِنْ رَخِيَّةِ الْعِيدِ؟ وَفِيمَا يَلِي ٢: ٣٨٢.

^٥ استخدم المقريري في هاتين الفقرتين مصطلحين=

وقراضيا هذا^(a).

دَرْبُ السَّلَامِي

هذا الدَّرْب من جملة حُطَّ رَحْبة باب العيد ، وفيه إلى اليوم أحد أبواب القَصْرِ المسَمَّى بباب العيد ، والعائمة سَمِيه القاهرة . وهذا الدَّرْب يُسَلِّك منه إلى حُطَّ قصر الشُّوك ، وإلى المَارِستان العتيق الصِّلَاحي ، وإلى دار الضَّرْب وغير ذلك^١. عُرِفَ بِخَوَاجَا «مَجْد الدِّين السَّلَامِي» إسماعيل ابن محمد بن ياقوت الخَوَاجَا مَجْد الدِّين السَّلَامِي^٢، تاجر الخاص في أيام الملك النَّاصِر محمد ابن قلاوون ، وكان يدخل إلى باب الطَّطَر^(b)، ويَتَجَر ويعود بالزَّقِيق وغيره ، واجتهد مع مجوبان إلى أن اتَّفَق الصُّلَح بين الملك النَّاصِر وبين القان أبي سَعِيد^٣، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سَعِيه ، فازدادت وَجَاهَتُهُ عند الملكين .

(a) ساقطة من بولاق ، وبعدها بياض في أباصوفيا . (b) المقفى الكبير : التر .

القان أَبَقَا بن هُولاكو ، آخر ملوك التار المتوفى سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م . (الصفدي : أعيان العصر ٦٨:٢ - ٧٠ : وفيه : والناس يقولون فيه أبو سعيد على أَنَّهُ كُتِبَ ، والصحيح أَنَّهُ عَلِمَ ، هكذا رأيت نُكْبِه التي كانت ترد على السُّلْطَان الملك النَّاصِر محمد يكتب على ألقابه الذهبية «هو سعيد» باللازُوزد الفائق ، «وَيَزُكُّ بِالذَّهَب» ، الوافي بالوفيات ١٠:٣٢٢ - ٣٢٣ ؛ ابن حبيب : تذكرة النيه ٢: ١٠١ ؛ المقرئزي : السلوك ٢: ٤٠٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٣٤ - ٣٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٣٨ ، ٣٠٩ ، المنهل الصافي ٣: ٤٤٢ - ٤٤٣) . وتوفي نفيه سيف الدِّين جربان بن ثُلُك ابن ندوان سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ١٦٩ - ١٧١ ، الوافي بالوفيات ١١: ٢٢٠ - ٢٢٢ ؛ الفاسي : العقد الثمين ٣: ٤٤٦ - ٤٤٨ ؛ المقرئزي : السلوك ٢: ٣٠٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٧٨ - ٧٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٢٧٢ - ٢٧٣ ، المنهل الصافي ٥: ٣٣ - ٣٤) .

=عُثْرَانَيْن مختلفين ، حيث استخدم مصطلحًا خاصًا بالتخطيط المبكر للقسطاط هو : «خُطَّة» ، ومصطلح خاص بالقاهرة بعد العصر الفاطمي هو : «خُطَّة» . وأظن أن المقصود في الحالتين هو المصطلح الثاني : «خُطَّة» .

^١ قارن مع مسودة الخطط ٦ ط .

وانظر عن المارستان الصِّلَاحي ، ابن جبير : الرحلة ٢٦ ، وفيها تقدم ٢: ٣٥٠ - ٣٥١ .

^٢ الخَوَاجَا نَجْم الدِّين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السَّلَامِي - نسبة إلى بَلْدَةٍ يقال لها السَّلَامِيَّة ببلاد المشرق (ياقوت : معجم البلدان ٣: ٢٣٤) - أحد أشهر تجار الزَّقِيق من الممالك والجزايري في عهد السلطان النَّاصِر محمد بن قلاوون ، توفي في داره بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٣م . (الصفدي : أعيان العصر ١: ٥٢٣ - ٥٢٤ ، الوافي بالوفيات ٩: ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ المقرئزي : المقفى الكبير ٢: ١٨١ - ١٨٢ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤١٣ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ١٩) .

^٣ القان بوسعيد بن محمد خَرَبْتَنَدَا بن القان أَرْغُون بن

وكان الملك النَّاصِرُ يُسَفِّرُهُ وَيَقَرَّرُ معه أُمُورًا، فَيَتَوَجَّهُ وَيَقْضِيهَا عَلَى وَفْقِ مُرَادِهِ بِزِيَادَاتٍ. فَأُحْجِبَهُ وَقَرَّبَهُ، وَرَتَّبَ لَهُ الرِّوَاثِبَ الْوَافِرَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاللَّحْمِ وَالْعَلِيقِ وَالشُّكْرِ وَالْحَلْوَى^٥ وَالْكُنَاجِ^١ وَالرِّفَاقِ، ثُمَّ يَتَلَفُّ فِي الْيَوْمِ مِائَةً وَخَمْسِينَ دِرْهَمًا، عَنْهَا يَوْمِيَّةٌ ثَمَانِيَّةٌ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَأَغْطَاهُ قُرْبَةَ أَرَاكَ بِعَقْلِكَ، وَأَعْطَى مَمَالِيكَهَ إِقْطَاعَاتٍ فِي الْحَلَقَةِ.

وكان يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَزْدُوبِ^٥، وَيَقِيمُ فِيهِ الثَّلَاثَ سَنِينَ وَالْأَرْبَعَ وَالتَّرِيدَ لَا يَنْقُطِعُ عَنْهُ، وَتُجَهَّزُ إِلَيْهِ التَّحْفُ وَالْأَقْمِشَةُ لِيَفْرِقَهَا عَلَى مَنْ يَرَاهُ مِنْ خَوَاصِّ أُمِّي سَعِيدٍ وَأَعْيَانِ الْأَزْدُوبِ^٥ ثِقَةً بِمَعْرِفَتِهِ وَدِرَافَتِهِ. وَكَانَ الثُّشُونُ نَاطِلُ الْخَاصِّ^٢ لَا يُفَارِقُهُ، وَلَا يَضْمُرُ عَنْهُ. وَمِنْ أَمْلَاكِهِ بِيْلَادُ الشُّرُوقِ^٥: السَّلَامِيَّةُ، وَالْمَاحُودَةُ^٥، وَالْمَرَاوِزَةُ، وَالْمَنَاصِيفُ. وَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، تَغَيَّرَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ قَوْصُونُ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَبْلَغًا يَسِيرًا.

وكان ذا عَقْلٍ وَافِرٍ وَفِكْرٍ مُصِيبٍ، وَخَيْرَةٍ بِأَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَمَا يَلِيقُ بِخَوَاطِرِهَا، وَدُرِّيَّةٌ^٥ بِمَا يُنْحَفِهَا بِهِ مِنَ الرِّبَاقِ وَالْجَوَاهِرِ، وَتُطْلَقُ سَعِيدٌ، وَتُحْلَقُ رَضِيٌّ، وَشِكَاةٌ حَسَنَةٌ، وَطَلْعَةٌ بَهِيَّةٌ. وَمَاتَ فِي دَارِهِ مِنْ دَرْبِ السَّلَامِي هَذَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَذُقْنَ بِتَرْبَتِهِ خَارِجَ بَابِ النُّصَرِ.

وَمَوْلَاهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ بِالسَّلَامِيَّةِ - بَلَدَةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُؤَصِّلِ عَلَى يَوْمٍ مِنْهَا بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ - وَهِيَ بَفَتْحِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ وَبَعْدِ الْمِيمِ يَاءُ مِثْنَةٍ مِنْ تَحْتِ مَشْدُودَةٍ ثُمَّ تَاءُ التَّائِيثِ.

دَرْبُ خَاصِ ثُرُوك

هَذَا الدَّرْبُ بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ، عُحِرَفَ بِالْأَمِيرِ الْكَبِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ - الْمَعْرُوفِ بِخَاصِ الثُّرُوكِ الْكَبِيرِ - أَحَدِ الْأَمْرَاءِ الصَّالِحِيَّةِ الثَّجُمِيَّةِ، أَوْ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَيْتِكَ الْمَعْرُوفِ بِخَاصِ الثُّرُوكِ الصَّغِيرِ،

(٥) بولاق : الحلواء . (b) بولاق : الأردن . (c) بولاق : المشرق . (d) بولاق : المأخوذة . (e) بولاق : دراية .

^١ الْكُنَاجُ . فارسي ، وهو نوع من الخبز الأبيض يصنع بدون خميرة ، ويكون أسمك من الخبز العادي . (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar. II, p. 495).

^٢ الْقَاضِي شَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّهْمَنِ بْنِ قُضَلِ اللَّهِ الْمَعْرُوفُ بِالثُّشُونِ نَاطِلُ الْخَاصِّ، التَّوُفَى سَنَةَ ٥٧٤٠/١١٣٣ م.

(الصفدي : أعيان العصر ٣: ٢٠٠-٢٠٤، الوافي بالوفيات ١٩: ٣٢٤-٣٢٦؛ المقرئ : السلوك ٥: ٥٠٥-٥٠٦، ابن حجر : الدرر الكامنة ٣: ٤٢٣-٤٤٤؛ أبو الحسن : النهل الصافي ٧: ٣٩٠-٣٩٣، النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٣).

سِلَاح دار الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبُزَس البَنْدُقداري^١.

دَرْب شَاطِي

هذا الدَّرْبُ يَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى قَصْرِ الشُّوك (الذي هَدَمَهُ الْأَمِيرُ جَعَالُ الدِّين الْأَسْتَاذَار، وَإِلَى الْآنَ لَمْ يُعْمَرْ وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِ الصُّرُوبِ^٢)، عُرِفَ بِالْأَمِيرِ شَرَفِ الدِّينِ شَاطِي السِّلَاحِ دَارٍ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُون. وَكَانَ أَمِيرًا كَبِيرًا مُقَدَّمًا بِالذَّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ، وَأَخْرَجَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابْنُ قَلَاوُون إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِدِمَشْقَ، وَكَانَتْ لَهُ حُرْمَةٌ وَافِرَةٌ وَدِهَانَةٌ وَفِيهِ خَيْرٌ، وَمَاتَ بِهَا فِي الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ / مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^٣.

دَرْبُ الرَّشِيدِي

هذا الدَّرْبُ مُقَابِلُ بَابِ الْجَوَانِيَّةِ، عُرِفَ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَيَّدَمُرَ الرَّشِيدِي، تَمْلُوكِ الْأَمِيرِ بَلْبَانَ الرَّشِيدِي خُوشْدَاشِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُزَسِ الْبَنْدُقداري. وَوَلِيَّ الْأَمِيرِ أَيَّدَمُرُ هَذَا أُسْتَاذًا رَافِعًا لِأُسْتَاذِهِ بَلْبَانَ، ثُمَّ وَلِيَّ أُسْتَاذًا رَافِعًا لِلْأَمِيرِ سَلَارَ، وَمَاتَ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ^٤. وَكَانَ سَكَنُهُ فِي هَذَا الدَّرْبِ، وَكَانَ عَاقِلًا ذَا ثَرْوَةٍ وَجَاهٍ. وَكَانَ فِي الْقَدِيمِ مَوْضِعُ هَذَا الدَّرْبِ تَرَاخَا قُدَّامَ الْحَجَرِ.

دَرْبُ الْقَرَنَجِيَّةِ^(b)

هذا الدَّرْبُ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ خَرَجٍ مِنَ الْجَمَلُونِ الصَّغِيرِ طَالِيًا دَرْبِ الرَّشِيدِي الْمَذْكُورِ، وَهُوَ مِنَ الدَّرُوبِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ^٥.

(a-b) إضافة من مسودة الخطط. (b) بولاق: الفريحية.

^١ المقرئ: مسودة الخطط ٦ ظ. المقرئ: الكبير ٢: ٣٥٣-٣٥٤، السلوك ١: ٥١؛ ابن حجر:

^٢ نفسه ٦ ظ. الدرر الكامنة ١: ٤٥٨.

^٣ نفسه ٦ ظ؛ وانظر ترجمة الأمير عِزِّ الدِّينِ أَيَّدَمُرَ نفسه ٦ ظ.

الرَّشِيدِي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م عند، المقرئ:

الدَّرْبُ الْأَصْفَرُ

هذا الدَّرْبُ يَجَاهُ خَائِقَاهُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرُ رُحْنُ الدِّينِ بَيْبُزُسَ الْجَاشَنكِيرِ، وَمَوْضِعُ هَذَا الدَّرْبِ هُوَ الْمُنْحَرُ الَّذِي تَقْدَمُ ذَكَرُهُ^١.

دَرْبُ الطَّائُوسِ

- هذا الدَّرْبُ فِي الْحَدَوَةِ الَّتِي عِنْدَ بَابِ سِرِّ الْمَارِسْتَانِ الْمُتَّصُورِيِّ، عَلَى تَيْمَنَةٍ مِنْ ابْتِدَاءِ الْخُرُوجِ مِنْهُ، وَكَانَ مَوْضِعُهُ بِجَوَارِ بَابِ السَّابَاطِ أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ، وَقَدْ تَقْدَمُ ذَكَرُهُ^٢.
وَدَرْبُ الطَّائُوسِ أَيْضًا بِالْقُرْبِ مِنْ دَرْبِ الْعَدَّاسِ فِيمَا بَيْنَ بَابِ الْخَوْخَةِ وَالْوَزِيرِيَّةِ^٣.

دَرْبُ بَانْجَارِ

- هذا الدَّرْبُ بِجَوَارِ جَامِعِ أَمِيرِ مُحْسِنِينَ مِنْ حِكْرِ جَوْهَرِ الثُّوبِيِّ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ، عُرفَ بِالْأَمِيرِ بَانْجَارِ الرُّومِيِّ الْوَاقِدِ فِي^(أ) أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُزُسَ. وَقَدْ خَرِبَتْ تِلْكَ الدِّيَارُ فِي سَلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخِ^٤.
- ١٠

دَرْبُ كُوسَا

- هُوَ الْآنَ يُسَمَّى فِيهِ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ مِنْ قَنْطَرَةِ الْأَمِيرِ مُحْسِنِينَ إِلَى قَنْطَرَةِ الْمُوشَكِيِّ، عُرفَ بِحُصَامِ الدِّينِ كُوسَا، أَحَدِ مُقَدَّمِي الْحَلَقَةِ^(ب) فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمُتَّصُورِ قَلَاوُونَ، مَاتَ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.
- ١٥
- وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَجَاهُ دَارِ الذَّهَبِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَارِ الْأَمِيرِ مُحْسِنِينَ الشُّرِّي، السَّلَاحِ دَارِ النَّاصِرِيِّ، وَقَدْ خَرِبَتْ أَيْضًا^٥.

(أ) بولاق: الوافدي. (ب) بولاق: الخلفاء.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١ ط، وفيما تقدم ٢: ٤٣١. ^٤ نفسه ٧ و٩ وانظر المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٣٨٦.

٣٨٧.

^٢ فيما تقدم ٢: ٥٠١.

^٣ المقرئ: مسودة الخطوط ١ ط. ^٥ نفسه ٧ و - ط.

دَرْبُ الْحَمَاكِي

هذا الدَرْبُ بالحِمْكِر، عُرِفَ بالأمير شَرْفُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حُسَيْنٍ^(٥) بن علي بن الجُنَيْدِ الحماكي المِهْمَنْدَارِ النَّصُورِيِّ^١. وقد دَثَّرَ في أيام المؤيَّد على يد الأمير قُحْرُ الدِّينِ عبد الغني بن أبي الفَرَجِ الأُسْتَاذَارِ لَمَّا خَرَّبَ مَا هُنَاكَ^٢.

دَرْبُ الْحَرَامِيِّ بِالْحَمَكِر

عُرِفَ بِمَقْعَدِ الدِّينِ حُسَيْنِ بن عُمَرَ بن مُحَمَّدِ الْحَرَامِيِّ وابنه مُجِيرُ الدِّينِ يُوسُفُ، وَكَانَا مِنْ أَلْجُنَادِ الْحَلَقَةِ^(ب) فِي أَيَّامِ^{٣(ج)}.

دَرْبُ الزُّرَّاقِ بِالْحَمَكِر

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ أَيْدَمُرُ الزُّرَّاقِ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ^(د) وَأَمِيرُ جَانْدَارِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^{(٤(د))}. وَلَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الخلفاء . (c-c) ساقطة من بولاق والثبت من المسودة . (d-d) إضافة من مسودة الخطط .

^١ حاشية بخط المؤلف : «الحماكية قومٌ من طائفة الأكراد الحسنانية يسكنون بلاد الكرك من شَهْرزُور» .

^٢ المقرئ : مسودة الخطط ٧ ظ .

^٣ نفسه ٧ ظ .

^٤ نفسه ٧ ظ ؛ وترجم المقرئ في المقفى الكبير لاثني

من الأمراء المعاصرين يعرفان بالأمير عز الدين أَيْدَمُرُ الزُّرَّاقِ وهما ترجمتان متداخلتان ، الأول (٣٦٥:٢) استقر في ولاية

القاهرة ، ثم خلع عليه أمير جاندَار سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م

عوضاً عن الأمير أَيْدَمُرُ المقتول بمكة (فيما تقدم ١١٣) وذكر

وفاته في حدود الستين ومِئَةِ مائة . والثاني (٣٦٩:٢) تولى

نيابة عَزَّة سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م وأعيد بعد مُدَّة إلى القاهرة ،

ونُقلَ بين القاهرة ودمشق وحلب ولم يذكر تاريخ وفاته ،

وأظن أنهما شخص واحد . راجع ترجمته عند ، =

والأمير قُحْرُ الدِّينِ هو الأمير الفُخْرِيُّ قُحْرُ الدِّينِ عبد

الغني بن الأمير الوزير الأُسْتَاذَارِ تاج الدِّينِ عبد الزُّرَّاقِ بن

أبي الفَرَجِ ، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م (الفاسي : العقد

الثلثون ٤٦٩:٥ ابن حجر : إنباء الفهر ٣: ١٨٧ ، ذيل

الدرر الكامنة ٢٦٣-٢٦٤ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي

٣١٤:٧-٣١٨ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٤: ٢٤٨-٢٤٩

٢٥١) . ويستفاد مما ذكره أبو المحاسن والسخاوي أنَّ

المقرئ ترجم ترجمة مُطَوَّلَةً للأمير فخر الدِّينِ عبد الغني

في كتابه «دُرَرُ العقود الفريدة» قال فيها : «كان بجِلَّارًا قاسيًا

شديدًا جَلَدًا عَوبُومًا بعيدًا عن التَّرف ، قُتِلَ من عباد الله ما

فَلَاوُونَ نِيَابَةَ غَزَّةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً ، ثُمَّ اسْتَعْفَى بَعْدَ مَوْتِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى دِمَشْقَ لِلخَوْطَةِ عَلَى مَوْجُودِ الْخَاصِكِيَّةِ يَلْبَغَا الْيَتَحْيَاوِي فِي الْأَيَّامِ الْمُظْفَرَّةِ وَعَادَ .

فَلَمَّا رَكِبَ الْعَشَكَرَ عَلَى الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَى الرُّزَّاقِ وَأَقَى سُنْفَرًا وَأَيْدَمُرَ الشُّمْسِي . فَتَقَمَّ الْخَاصِكِيَّةَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَأَخْرَجُوهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَوَصَلُوا إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ الرُّزَّاقُ بِدِمَشْقَ . ثُمَّ وَزَعَ مَرْسُومَ السُّلْطَانِ حَسَنَ تَوَجُّهِهِمْ إِلَى حَلَبَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا عَلَى إِقْطَاعٍ وَبِهَا مَاتَ ، وَكَانَ دَيْنًا لَيْتًا فِيهِ خَيْرٌ .

وَكَانَ هَذَا الدُّرْبُ عَابِرًا ، وَفِيهِ دَارُ الرُّزَّاقِ الدَّارُ الْعَظِيمَةُ^١ ، وَقَدْ خَرِبَ هَذَا الدُّرْبُ وَمَا خُوِّلَهُ مِنْذُ كَانَتْ الْحَوَادِثُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، ثُمَّ نُقِضَتِ الدَّارُ فِي أَيَّامِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخٍ ، عَلَى يَدِ ابْنِ أَبِي الْقَرَجِ .

رُزَّاقُ طَرِيفَ

بِمُتَابَعَةِ الْمُسْتَعْمِلِ

هَذَا الرُّزَّاقُ مِنْ أَرْقَةِ الْبُرُوقِيَّةِ ، عُرِفَ بِالْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ طَرِيفِ بْنِ بَكْتَوْتِ ، وَكَانَ يُعْرِفُ بِرُزَّاقِ مُنَادٍ^٢ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ مُنَادٍ^٣ ، تَوَفَّى فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ^٤ .

رُزَّاقُ مُنْعِمٍ

بِمُتَابَعَةِ الدُّرْبِ

كَانَ يُعْرِفُ بِمَسَاطِبِ الدُّيْلَمِ وَالْأَثْرَاكِ ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْأَمِيرِ مُنْعِمِ الدَّوْلَةِ بَانَكِينِ الْبُوشَحَاقِي ، ثُمَّ عُرِفَ بِرُزَّاقِ جَمَالِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ بِرُزَّاقِ الْخَلَّاطِي^٥ ، ثُمَّ بِرُزَّاقِ الصُّهْرَجَتِي ، وَهُوَ الْقَاضِي الْمُنْتَخَبُ نِقَّةَ الدَّوْلَةِ أَبُو الْقَضَلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ هَبَّةِ اللَّهِ بْنِ وَهَّابِ الصُّهْرَجَتِي ، وَكَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ سِتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ^٦ .

(a) بولاق : منار . (b) بولاق : الجلاطي .

^١ فيما يلي ٤٠١ .

^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ٣ ظ .

^٣ نفسه ٤ ر ، وفيه : وهو الرُّزَّاقُ الْغَيْرُ نَائِذُ الْمُلَاصِقِ =

= الصَفْدِي : أعيان مصر ١ : ٦٦٢-٦٦٦ ، الوافي بالوفيات

١٨ : ١٠-٢٢ ، أبي المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ١٨٢-

(١٨٣) .

زُقَاقُ الْحَمَامِ

بسماء الزين

عُرِفَ قَدِيمًا بِخُوخَةِ الْمُتَّقِذِي، ثُمَّ عُرِفَ بِخُوخَةِ سَيْفِ الدِّينِ حُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ صِهرِ بَنِي رُزَيْكٍ، ثُمَّ عُرِفَ بِزُقَاقِ حَمَامِ الرِّصَاصِ، ثُمَّ عُرِفَ بِزُقَاقِ الْمَزَارِ^١.

زُقَاقُ الْحَمَزُونِ

بسماء الزين

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ الْأَوْخَدِ سُلْطَانِ الْجَبُوشِ دُرِّي^(a) الْحَمَزُونِ رَفِيقِ الْعَادِلِ بْنِ السَّلَارِ، وَزِيرِ مِصْرَ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الظَّافِرِ بَأَمْرِ اللَّهِ، ثُمَّ عُرِفَ بِدَرْبِ مُسَافِرِ عِزِّ^(b) الْقَضَاءِ، ثُمَّ عُرِفَ بِزُقَاقِ الْقُبَّةِ^٢.

زُقَاقُ الْغُرَابِ

بسماء الزين

كَانَ يُعْرَفُ بِزُقَاقِ أَبِي الْعِزِّ^(c)، ثُمَّ عُرِفَ بِزُقَاقِ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَقِيلِيِّ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ زُقَاقُ الْغُرَابِ نِسْبَةً إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ رِضْوَانَ الْمَلْقَبِ بِغُرَابٍ^٣.

زُقَاقُ عَسَائِرِ

بسماء الزين

عُرِفَ بِعَسَائِرِ الْقَمَاحِ فِي حَازَةِ الْأَقَافِصَةِ^(d)^٤.

(a) بولاق : زري . (b) بولاق : عين . (c) بولاق : أبي المعز . (d) بولاق : الأقالصة .

= لمساطب الذهب والأثر، كذا وجدته في كتب الأملاك القديمة .

^١ المقريري : مسودة الخطوط ٥٠، وفيما يلي ١٤٤ .

^٢ نفسه ٤ ط .

^٣ نفسه ٥ ط .

^٤ نفسه ٥ ط .

زُقَاقُ فَرْج بِجِيم

من جملة أَرْقَة ذَوْب مُلُوجِيَا، عُرِفَ بِفَرْجٍ مِهْتَارِ الطُّشْتَخَانَاهِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصُورِ قَلَاوُونٍ؛
كَانَ حَيًّا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^١.

زُقَاقُ حَذَرَةِ الزَّاهِرِيِّ بِسُدْرَةِ تَهْمِيْقَاهِ

عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ زُكْنِ الدِّينِ يَتِيمُوسَ الزَّاهِدِيِّ الرُّمَّاحِ الْأَخْذَبِ أَحَدِ الْأَمْراءِ، وَمِنْ لَهُ عِدَّةُ غَزَوَاتٍ
فِي الْفَرِجِجِ. وَلَمَّا تَمَلَّأَ الْأَمْراءُ عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ ابْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَتِيمُوسَ وَسَبَقَهُمْ إِلَى الْقَلْعَةِ، كَانَ
قُدَامَهُ يَتِيمُوسَ الزَّاهِدِيِّ هَذَا، فَسَقَطَ عَنْ قَرْسِيهِ، وَخَرَجَتْ لَهُ حَذَبَةٌ فِي ظَهْرِهِ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ
وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

/وَكَانَ مَكَانُ هَذِهِ الْحَذَرَةِ أَخْصَاصًا، وَهِيَ الْآنَ مَسَاكِينُ بَيْنَهَا زُقَاقُ يُشَلِّكُ فِيهِ مِنْ رَأْسِ الْحَاذَرَةِ
إِلَى رَحْبَةِ الْأَفْيَالِ^٢.

٥) زُقَاقُ الْكَعْخَلِ

قَالَ كَاتِبُهُ: زُقَاقُ الْكَعْخَلِ مِمَّا يُعَدُّ فِي زَمَانِنَا مِنْ جُمْلَةِ شَقَّةِ الْحُمَيْنِيَةِ الَّتِي مِمَّا يَلِي خَارِجَ بَابِ
الْفُتُوحِ^٣.

٥-٥) إضافة من مسودة المواعظ.

يَحْضُرُ شَيْخُ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَيْرَسَ، وَأَنَّهَا خَارِجُ بَابِ الْفُتُوحِ
مِنْ الْقَاهِرَةِ بِخَطِّ زُقَاقِ الْكَعْخَلِ تُشْرِفُ عَلَى الْخَلِيجِ. وَتَدُلُّ
عَلَى مَوْقِعِ زُقَاقِ الْكَعْخَلِ الْآنَ الطَّرِيقَ الْمُسَمَّى بِنِكَّةِ الظَّاهِرِ أَوْ
شَارِعِ الْمُتَّسِي فِي مَوَاجِهَةِ الْمَدْخَلِ الْجَنُوبِيِّ لِجَامِعِ الظَّاهِرِ
بَيْرَسَ. (أَبُو الْحَسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٦١:٧ هـ^١، وَفِيهَا
تَقْدِمُ ٢٢٢:٢-٢٢٣ هـ^٢).

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٧.

^٢ نفسه ٧ ط، وفيه: وَهِيَ الْآنَ سَكَنُ الْفَرَازِينِ
وغيرهم، وَهِيَ بِجَوَارِ رَحْبَةِ الْأَفْيَالِ.

^٣ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٨٤، وَفِيهَا يَلِي
٢: ٤٣٠، حَيْثُ ذَكَرَ فِي مَعْرُضٍ حَدِيثَهُ عَنْ زَاوِيَةِ الشَّيْخِ

ذكر الخُحُوح

والقصد إيراد ما هو مشهور من الخُحُوح أو لذكره فائدة، وألاً فالخُحُوح والدُروث والأزقة كثيرة جدًا.

الخُحُوح السبع

^(١) هذا الخط مشهور بالقاهرة، وهو فيما بين إسطنبول الطارمة والجامع الأزهر. ولم أر ذكر هذا الاسم إلا في الكتب التي كتبت من استقبال دولة بني أيوب وإلى اليوم، وسمعت من يذكر أنها كانت سبع خُحُوح متصلة بإسطنبول الطارمة وأن الخلفاء الفاطميين كانوا يتوصلون منها حين يخرجون من القصر من باب الديلم - الذي هو باب المشهد الحسيني الآن - إلى الجامع الأزهر، وأنها لم تكن مسلوكة للناس. وكذا سمي هذا الخط القاضي المرتضى ابن الطوير في كتابه «نزهة المقلتين في أخبار الدولتين»^(٢) وذكر أن هذا الخط يُعرف بخوخة الشريف الأمير عقيل؛ وأعطاه الأمير عقيل بن الخليفة المعز لدين الله باني القاهرة وأخو الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز وأخو الأمير تميم الشاعر المشهور؛ وتوفي الأمير عقيل في سنة أربع وسبعين وثلاث مائة، وفيها توفي الأمير تميم أيضًا ودُفِنَا بِثَوْبَةِ الْقَصْرِ^(٣). ثم عُرف بعد انقضاء دولة الفاطميين بخط الخوخ السبع، وليس لهذه الخوخ اليوم أثر ألبتة، ويُعرف اليوم بالأبوابين^(٤).

باب الخوخة

هو أحد أبواب القاهرة مما يلي الخليج^(٥)، في حد القاهرة البحري، يُنسك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المشعودي. ^(٦) وَجَدْتُ فِي كُتُب الْأَمْلَاقِ الْفَاطِمِيَّةِ أَنَّ^(٦) هذا الباب يُعرف أولاً بخوخة تميمون ذبه، ويُخرج منه إلى الخليج الكبير ^(٦) المعروف الآن بـخَلِيج اللؤلؤة^(٦).

(a-a) هذا النص من مسودة الخطط عوضاً عن النص الموجود في المبيعة. (b-b) إضافة من مسودة المواظ.

^١ فيما تقدم ١٠٢. ^٢ المقريري: مسودة الخطط ٩ و.

^٣ قارن مع ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٨؛ وفيما تقدم

^٤ باب الخوخة. عندما تكلم المقريري على مسجد باب الخوخة الذي أنشأه الوزير المأمون بن البطاحي سنة =

١٣: ٣٠١: ٢.

ومتيمون ذبه يكتنى بأبي سعيد، أخذ خُدام العزيز بالله كان خَصِيصًا^١.

خُوخَةُ أَيَّدُغُمُشْ

هذه الخُوخَةُ في مُحْكَمِ أبواب القاهرة، يُخْرَجُ منها إلى ظاهر القاهرة عند غَلْقِ الأبواب في اللَّيْلِ وأوقاتِ الْفِتَنِ إذا غُلِّقَتِ الأبواب، فينتهي الخارجُ منها إلى الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْيَانِيسِيَّةِ، وَيَسْتَلُكُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَابِ زَوَيْلَةَ، وَيُصَارُ إِلَيْهَا مِنْ دَاخِلِ القاهرة إِثْمًا مِنْ سُوقِ الرُّفَيْقِ أَوْ مِنْ حَاذَةِ الرُّومِ وَمِنْ دَرْبِ أَرْقُطَايِ^(أ) وَمِنْ حَاذَةِ الْبَابِلِيَّةِ فِي الرُّفَاقِ الطُّوِيلِ الصُّبْحِيِّ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِنَا بِخَلْقِ الْجَمَلِ وَيُفَرِّفُ هَذَا الرُّفَاقُ قَدِيمًا بِحَاذَةِ الطَّوَارِقِ^(ب). وهذه الخُوخَةُ بجوار حَتَّامِ أَيَّدُغُمُشْ^٢.

وهو أَيَّدُغُمُشْ الْقَاصِرِي الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ^٣، أَضْلَهُ مِنْ تَمَالِيكَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَلْبَانَ الطَّبَايَحِيِّ^(ب)، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ. فَلَمَّا قَدِمَ مِنَ الْكَرْكِ جَعَلَهُ أَمِيرًا خُورِ

(a-a) إضافة من مسودة الخطط. (b) بولاق: الصالحى.

^٢ المقرئى: مسودة الخطط ٩٠، وهنا في هامش نسخة: ص: «هذيت هذه الخُوخَةُ وصار مكانها رُفَاقُ نَافِذٍ إِلَى حَيْثُ يَرَادُ».

وكانت هذه الخُوخَةُ تقع في مَدْتَلِ حَاذَةِ الرُّومِ فِي جِهَةِ شَارِعِ الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ وَعَلَى بُغْدٍ نَحْوَ ١٧٠ مِترًا شَرْقِيَّ بَابِ زَوَيْلَةَ فِي شَارِعِ الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٧١هـ^٣).

وحَتَّامُ أَيَّدُغُمُشْ هو بِذَاتِهِ الْحَتَّامُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِحَتَّامِ الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ عَلَى رَأْسِ حَاذَةِ الرُّومِ.

^٣ الأمير علاء الدين أَيَّدُغُمُشْ (يَفْتَحُ الْهَمِزَةَ وَسُكُونُ الْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ وَضَمُّ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونُ الْعَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَبَعْدَ الْمِيمِ شَيْنٌ مَعْجَمَةٌ) أَمِيرًا خُورِ الْقَاصِرِي، المتوفى سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٥٢-٦٥٤، الوافي بالوفيات ٩: ٤٨٨-٤٨٩؛ المقرئى: المقفى الكبير ٢: ٣٤٥-٣٤٧، السلوك ٢: ٦٣٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٥٥-٤٥٧؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ١٦٥-١٦٨، النجوم الزاهرة ١٠: ٩٩-١٠٠).

- ٥١٦هـ، ذكر أنه كان تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب (فيما يلي ٤١٢: ٢)، ومسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية التي تعرف اليوم بجامع القاضي يحيى زَيْن الدِّينِ الْوَاقِعِ عِنْدَ تَقَاطُعِ شَارِعِي الْأَزْهَرِ وَبُورْسَعِيدٍ وَمُسَجِدٍ بِالْأَثَارِ بِرَقْمِ ٣٤٤، فيكون موقع باب الخوخة في الزاوية الواقعة تجاه جامع القاضي زَيْن الدِّينِ عَلَى يَمِينِ الْمَسْجِدِ إِلَى مِيدَانِ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ. (وراجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٧١هـ^١). وجاء على وَفْقِهِ الْجُزْءُ الثَّالِثُ مِنْ كِتَابِ «كُنْزِ الدَّرَرِ وَجَامِعِ الْفُزَرَةِ» لِابْنِ أَيْتِكِ الدُّوَادَارِيِّ الْمَحْفُوظِ فِي مَكْتَبَةِ أَحْمَدِ الثَّالِثِ بِإِسْتَنْبُولِ بِرَقْمِ ٢٩٣٢ أَنْ الْأَمِيرَ يَحْيَى ابْنَ عَبْدِ الرَّازِقِ الزَّيْنِيِّ الظَّاهِرِيِّ وَقَفَ هَذَا الْجُزْءَ عَلَى الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِهِ الْكَائِنِ خَارِجَ بَابِ الْخُوخَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ سَكْنِهِ، وَسَكْنِهِ كَمَا يَذْكُرُ السَّخَاوِيُّ (الضوء اللامع ١٠: ٢٣٣) كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْقُضْرِيَّةِ تَحْتَ الْقُورَيْنِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِجَامِعِ الثِّبَاتِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى شَارِعِ بُورْسَعِيدٍ وَمُسَجِدَةٍ بِالْأَثَارِ بِرَقْمِ ١٨٤.

^١ المقرئى: مسودة المواظ ٩٠.

عَوْضًا عن الأمير يَبْرُسَ الحَاجِبِ، ولم يَزَلْ حتى ماتَ الملكُ النَّاصِرُ، فقامَ مع قَوْصُونِ، ووافقه على خَلْعِ الملكِ المنصورِ أَبِي بَكْرِ ابنِ الملكِ النَّاصِرِ. ثم لما هَرَبَ الطَّبِيعَا الفُخْرِي، اتَّفَقَ الأُمَرَاءُ مع أَيْدَغُمُشَ على الأميرِ قَوْصُونِ، فوافقهم على مُحَارَبَتِهِ، وقَبِضَ على قَوْصُونِ وجماعته، وجَهَّزهم إلى الإسكَنْدَرِيَّةِ، وجَهَّزَ مَنْ أَمْسَكَ الطَّبِيعَا وَمَنْ مَعَهُ، وأرسلهم أيضًا إلى الإسكَنْدَرِيَّةِ.

وصارَ أَيْدَغُمُشُ في هذه التَّوْبَةِ هو المشار إليه في الحُلِّ والعَقْدِ، فأرسلَ ابنه في جماعةٍ من الأُمَرَاءِ والمَشَايخِ إلى الكَرْكِ بسببِ إحصارِ أحمدَ ابنِ الملكِ النَّاصِرِ محمد. فلما حَضَرَ أحمدُ من الكَرْكِ، وتلقَّبَ بالملكِ النَّاصِرِ، واستقرَّ أَفْرُهُ بِمِصْرَ، أخرجَ أَيْدَغُمُشَ نَائِبًا بِحَلَبَ. فسارَ إلى عَيْنِ جالوتَ، وإذا بالفُخْرِي قد صارَ إليه مُسْتَجِيرًا بِهِ، فأثَمَهُ وأنزله في خِيَمَةٍ. فلما أَلْقَى عنه سلاحه واطمأنَّ، قَبِضَ عليه وجَهَّزَه إلى الملكِ النَّاصِرِ أحمدَ، وتوجَّهَ إلى حَلَبَ فأقامَ بها إلى أن استقرَّ الملكُ الصَّالِحُ إسماعيلُ بنَ محمدٍ في السُّلْطَنَةِ فَقَلَّه عن نِيَابَةِ حَلَبَ إلى نِيَابَةِ دِمَشْقَ، فدَخَلَهَا في يومِ العشرين من صَفَرِ سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة، ومازالَ بها إلى يومِ الثلاثاءِ ثالثِ جمادى الآخِرَةِ منها. فعادَ من مَطْعَمِ طيوره، وجَلَسَ بدارِ السَّعَادَةِ حتى انقَضَتِ الخِدْمَةُ، وأكلَ الطَّارِي وتَحَدَّثَ، ثم دَخَلَ إلى دارِهِ فإذا جوارِيه يَخْتَصِمُونَ^(a)، فَضَرَبَ واجِدَةً منهن ضَرْبَتَيْنِ، وَشَرَعَ في الضَّرْبَةِ الثالثة فسَقَطَ مَيِّتًا، ودُفِنَ من الغَدِ في تَرْبِيَةِ خَارِجِ مَيِّدَانِ الحَصَا ظَاهِرِ دِمَشْقَ.

وكانَ جَوادًا كَرِيمًا، وله مَكَائِدُ عندَ الملكِ النَّاصِرِ الكبيرِ بحيثُ أنه أَمَرَ أَوْلادَهُ الثَّلَاثَةَ^١. وكانَ قد بَقِيَ الملكُ الصَّالِحُ بالقَبْضِ عليه، فَبَلَغَ القاصِدُ في قَطْعِها مَوْتَهُ فعادَ.

(b) وكانَ لأَيْدَغُمُشَ وَلَدٌ يُقالُ لَهُ ناصِرُ الدِّينِ محمدُ بنُ أَيْدَغُمُشَ عاشَ أميرًا إلى خامسِ عشرِ من شهرِ ربيعِ الأوَّلِ سنة ثلاثٍ وتسعين وسبع مائة فماتَ وهو آخرُ من بقي من الأُمَرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ وقد شاخَ، قالَ مؤلَّفُهُ: رأيتُهُ غيرَ مَرَّةٍ^(b).

(a) أعيان العصر مصدر المقرري: يتخاصمون. (b-b) إضافة من نسخة: ص.

^١ هم: أمير علي وأمير حاج وأمير أحمد (الصفدي: أعيان العصر ١: ٦٥٤، الرافعي بالوفيات ٩: ٤٨٩، المقرري: المقفى الكبير ٢: ٣٤٦).

خُوخَة الْأَرْفِي^(a) بِأَمِير حَاوَة الْبَاطِلِيَّة

يُخْرَجُ مِنْهَا إِلَى سُوقِ الْغَنَمِ وَغَيْرِهِ ، وَهِيَ بِجَوَارِ دَارِ^(b) الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ الْأَرْفِي^(b) ^١.

^(b) خُوخَة رَسْدَان

بِحَاوَة كُتَامَة بِالْقُرْبِ مِنْ حَتَامِي كَرَايَ وَمَدْرَسَةِ الصَّاحِبِ كَرِيمِ الدِّينِ بْنِ عَنَامٍ ، يُشَلِّكُ فِيهَا إِلَى الْحَاوَةِ الصَّالِحِيَّةِ وَالتَّبْرِيقَةِ وَالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَتُعْرَفُ الْآنَ بِدَرْبِ ابْنِ الْأَعْمَسِ^(b).
٥

خُوخَة عَسَيْلَة

هَذِهِ الْخُوخَة مِنَ الْخُوخِ الْقَدِيمَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، وَهِيَ بِحَاوَةِ الْبَاطِلِيَّةِ ثَمَّا بَلِي حَاوَةِ الدَّيْلَمِ ، فِي ظَهْرِ الرُّفَاقِ الْمَعْرُوفِ بِخَرَابَةِ الْعَجِيلِ ، بِجَوَارِ دَارِ السُّتِّ حَذَقَ^١ ،^(b) وَهِيَ مِنَ الْخُوخِ الْقَدِيمَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، وَتُعْرَفُ بِعَسَيْلَة^(b).

خُوخَة الصَّالِحِ

هَذِهِ الْخُوخَة بِجَوَارِ حَبْسِ الدَّيْلَمِ ، قَرْيَةً مِنْ دَارِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ طَلَائِعِ بْنِ رُزَيْكٍ^(b) بِحَاوَةِ الدَّيْلَمِ^(b) الَّتِي هَدَمَهَا ابْنُ قَائِمَازٍ وَغَرَمَهَا . كَانَتْ تُعْرَفُ هَذِهِ الْخُوخَة^(b) قَدِيمًا فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ^(b) بِخُوخَةِ بَنَجْتَكِينَ - وَهُوَ الْأَمِيرُ بِجَمَالِ الدَّوْلَةِ بَنَجْتَكِينَ الظَّاهِرِي - ثُمَّ عُرِفَتْ بِخُوخَةِ الصَّالِحِ طَلَائِعِ بْنِ رُزَيْكٍ^١ ، لِأَنَّ دَارَهُ كَانَتْ هُنَاكَ ، وَبِهَا كَانَ سَكْنُهُ قَبْلَ أَنْ يَلِي وَزَارَةَ الظَّاهِرِ .
١٥

خُوخَة الْمَطَوَّعِ

هَذِهِ الْخُوخَة بِحَاوَةِ كُتَامَة ، فِي أَوَّلِهَا ثَمَّا بَلِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، عِنْدَ إِشْطَبِيلِ الْحُسَامِ الصَّفَرِيِّ^(c) ،

(a) بولاق : الأرفي . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط . (c) بولاق : الصفدي .

عُرِفَتْ بِالْمَطْرُوعِ الشَّيْزَرِيِّ^(a).

خَوْصَةُ حُسَيْنٍ

هذه الخَوْصَةُ فِي الرُّفَاقِ الصَّيِّقِ الْمُقَابِلِ لِمَنْ يَخْرُجُ مِنْ دَرْبِ الْأُسْوَانِي ، وَيَسْتَلُكُ فِيهِ إِلَى جُكْرِ الرُّصَاصِي بِحَارَةِ الدَّيْلَمِ . وَيُعْرَفُ هَذَا الرُّفَاقُ بِرُفَاقِ الْمَزَارِ ، لِأَنَّ فِيهِ قَبْرًا تَزْعُمُ الْعَامَّةُ وَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنَّ قَبْرَ يَحْيَى بْنِ عَقَبَ ، وَأَنَّهُ كَانَ مُؤَدَّبًا لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَهُوَ كَذِيبٌ مَخْلُوقٌ وَافَقَتْ مُفْتَرِي ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْقَبْرِ الَّذِي بِحَارَةِ بَرْجَوَانَ أَنَّ قَبْرَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، وَفِي الْقَبْرِ الْآخَرِ أَنَّ قَبْرَ أَبِي ثُرَابِ النَّخْشَبِيِّ ، وَفِي الْقَبْرِ/ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ مِنْ خَرَجٍ مِنَ الْبَابِ الْجَدِيدِ^(b) ظَاهِرُ بَابِ^(c) زَوَيْلَةَ أَنَّ قَبْرَ زَرْعٍ^(d) الثَّوِي وَأَنَّهُ صَحَابِي ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَكَاذِبِهِمُ الَّتِي اتَّخَذَهَا لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ أَنْصَابًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا^(e) .

وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْمَزَارَاتِ فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(f) .

وَمُحْسِنِينَ هَذَا هُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مُحْسِنُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ^(g) الْكُرْدِيُّ الْمَوْزَانِيُّ حَامِلُ الْعِيفِ الْمَنْصُورِ^(h) صِيَهْرُ بَنِي رُزَيْكٍ وَزَوْجُ ابْنَةِ الصَّالِحِ بْنِ رُزَيْكٍ ، وَكَانَ كُزْدِيًّا قَدَّمَ الصَّالِحُ ابْنَ رُزَيْكٍ بِنَ الصَّالِحِ لَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ وَتَوَّهَ بِهِ⁽ⁱ⁾ . فَلَمَّا مَاتَ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ رُزَيْكُ بْنُ الصَّالِحِ فِي الْوِزَارَةِ ، كَانَ مُحْسِنِينَ هَذَا هُوَ مُدَبِّرُ أَمْرِهِ بِوَصِيَّةِ الصَّالِحِ . وَاسْتَشَارَ مُحْسِنِينَ فِي صَرْفِ شَاوَرٍ عَنْ وِلَايَةِ قُوصٍ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِإِتْقَانِهِ ، فَأَبَى وَوَلَّى الْأَمِيرُ أَبِي الرُّفْعَةَ مَكَانَهُ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ شَاوَرٌ ، فَخَرَجَ مِنْ قُوصٍ إِلَى طَرِيقِ الْوَاخَاتِ ، فَلَمَّا سَمِعَ رُزَيْكُ بِمَسِيرِهِ ، رَأَى فِي الثَّوَمِ مَنَامًا عَجَبِيًّا ، فَأَخْبَرَ مُحْسِنِينَ بِأَنَّهُ رَأَى مَنَامًا ؛ فَقَالَ : إِنَّ بِمَصْرَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ ابْنُ نَضْرَ الْأَرْتَاجِيِّ ، وَهُوَ حَاقِظٌ فِي التَّغْيِيرِ . فَأَخْطَبَهُ وَقَالَ : رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقَمَرَ قَدْ أَحَاطَ بِهِ حَشَشٌ ، وَكَأَنِّي رَوَّاسٌ فِي حَائُوتٍ . فَعَالَطَهُ الْأَرْتَاجِيُّ فِي تَغْيِيرِ الرُّوِّيَا ، وَظَهَرَ ذَلِكَ لِلْحُسَيْنِ ، فَأَمْسَكَ حَتَّى

(a) بولاق : الشَّيْزَرِيُّ . (b) بولاق : باب الجديد . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : زارع . (e-e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٩ ط . ^٢ نفسه ٩ ط . ^٣ فيما يلي ١٥٥-١٥٦ ، ١٥٩-١٦١ .

^٤ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٣٢٨ المقرئ : انعطاف الخنفا ٣ : ٢٥٤ .

خَرَجَ وقال له : ما أعجبني كلامك ، والله لا بد أن تصدقني ولا بأس عليك . فقال : يا مَوْلَايَ ، القَمَرُ عندنا هو الوَزِيرُ ، كما أنَّ الشَّمْسَ الحَلِيقَةَ ، والحَتَشُ المستدير عليه حَبْسٌ مُصَحَّفٌ ، وكونه رُؤَاسَ أقلبها تجدها شَاوِرَ مُصَحَّفاً ، وما وَقَعَ لي غير هذا . فقال حُسَيْنٌ : اكْتُم هذا عن النَّاسِ . وَأَخَذَ حُسَيْنٌ فِي الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِ ، وَوُطِّئَ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّوَجُّهَ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَمَلَ إِلَيْهَا مَالًا وَقُمَاشًا وَأَوْدَعَهُ عِنْدَ مَنْ يَتَّقُ بِهِ .

هذا وَأَمْرُ شَاوِرَ يَتَقَوَّى وَيَتَزَايَدُ ، وَيَصِلُ الْإِرْجَافُ بِهِ إِلَى أَنْ قَرَّبَ مِنَ الْقَاهِرَةِ ؛ فَصَاحَ الصَّائِحُ فِي بَنِي رُزَيْكٍ - وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَارِسَ - فَأَوَّلَ مِنْ نَجَا بِنَفْسِهِ حُسَيْنٌ وَسَارَ . فَسَأَلَ عَنْهُ رُزَيْكٌ ، فَقَالُوا : خَرَجَ . فَانْقَطَعَ قَلْبُهُ لِأَنَّ حُسَيْنًا كَانَ مَذْكُورًا بِالشَّجَاعَةِ مَشْهُورًا بِهَا ، وَلَهُ تَقَدُّمٌ فِي الدَّوْلَةِ وَمَكَانَةٌ وَمُمَارَسَةٌ لِلْحُرُوبِ وَخِيزَةٌ بِهَا . وَلَمْ يَثْبُثْ بَعْدَ خُرُوجِ حُسَيْنٍ ، بَلْ انْهَزَمَ إِلَى ظَاهِرِ إِطْفِيحٍ . فَقَبِضَ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُبَيْضِ^(a) مُقَدِّمُ الْقَرْبِ ، وَأَحْضَرَهُ إِلَى شَاوِرَ فَحَبَسَهُ ، وَصَدَقَتْ رُؤْيَا . وَمَاتَ حُسَيْنٌ فِي

(b)

خُوخَةُ الْحَلَبِيِّ

هذه الخُوخَةُ فِي آخِرِ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ بِجَوَارِ حَتَّامِي^(c) الْأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرِ الْحَلَبِيِّ^١ ، وَفِي ظَهْرِ دَارِهِ^٢ .

سِنْجَرُ الْحَلَبِيِّ^٣ - أَحَدُ الْمَمَالِكِ الصَّالِحَةِ ، تَرَقَّى فِي الْخِدْمِ إِلَى أَنْ وَلَّاهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ سَيِّفُ الدِّينِ قُطْرَ نِيَابَةِ دِمَشْقَ ؛ فَلَمَّا قُتِلَ قُطْرُ عَلَى عَيْنِ جَالُوتٍ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِي السَّلْطَنَةِ بِالْأَمَارِ الْمَصْرِيَةِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبُوسَ ، نَازَ سِنْجَرُ بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ . وَبَقِيَ أَشْهُرًا وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ يُكَاتِبُ أُمَرَاءَ دِمَشْقَ إِلَى أَنْ خَافُوا عَلَى

(a) بولاق : النبيض . (b) بياض في جميع النسخ . (c) بولاق : حمام .

^١ لم يذكر المقرئ حَتَّامِي عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرِ الْحَلَبِيِّ (الصفدي : الوافي بالوفيات عند ذكره للحفامات . ٤٧٣ : ١٥ - ٤٧٤ ؛ ابن أليك : كنز الدرر ٦٣ : ٨ - ٦٤ ،

^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ٩ - ط . ٦٧ ، ١٦٣ ، ٣٤٤ .

^٣ الأمير الكبير عَلَمِ الدِّينِ سِنْجَرِ الْحَلَبِيِّ ، التوفي سنة

سِنْجَر، وحاصروه بقلعة دِمَشَق أَيَّامًا. فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُقْبِضَ عَلَيْهِ، فَرَّ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى بَغْلَبَك، فَجَهَّزَ إِلَيْهِ الظَّاهِرُ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ طَنْبُزَسَ الْوَزِيرِي، وَمَا زَالَ يُحَاصِرُهُ حَتَّى أَخَذَهُ أُسِيرًا، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ، فَاعْتَقَلَهُ الظَّاهِرُ. وَمَا زَالَ فِي الْإِحْتِقَالِ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^(٨)، مُدَّةً تَنِيْفَ عَلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً، مُدَّةً أَيَّامَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ وَوَلَدَيْهِ وَأَيَّامَ الْمَلِكِ الْمُتَصَوِّرِ قَلَاوُونَ. فَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ، أَخْرَجَهُ مِنَ السَّجْنِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَهُ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْأَكْبَارِ عَلَى عَادَتِهِ. فَلَمْ يَزَلْ أَمِيرًا بِمِصْرَ إِلَى أَنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^(٩)، وَقَدْ جَاوَزَ تِسْعِينَ سَنَةً، وَانْحَنَى ظَهْرُهُ وَتَقَوَّسَ.

خُوخَةُ بَخْرَهَرَةِ

هَذِهِ الْخُوخَةُ بِأَخِيرِ حَارَةِ زَوِيلَةَ، عُرِفَتْ الْيَوْمَ بِخُوخَةِ الْوَالِي لِقُرْبِهَا مِنْ دَارِ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ الْكُورَانِي^١ وَالْيَ الْقَاهِرَةِ، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ الْوُلاَةِ يَحْفَظُ كِتَابَ «الْحَاوِي» فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَقَامَ فِي وِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ بَعْدَ اسْتِذْمَارِ الْقَلَنْجَقِيِّ^(ب) وَالْيَ الْقَاهِرَةِ إِلَى^(ج).

خُوخَةُ مُصْطَفَى

هَذِهِ الْخُوخَةُ بِأَخِيرِ رُقَاقِ الْكَنِيسَةِ مِنْ حَارَةِ زَوِيلَةَ، يُخْرَجُ مِنْهَا إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي عِنْدَ حِمَامِ طَابِ الزُّمَانِ، الْمَسْلُوكِ مِنْهُ إِلَى قَبْرِ مَنظَرَةِ اللُّؤْلُؤَةِ عَلَى الْخَلِيجِ. عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ فَارِسِ الْمُسْلِمِينَ^(د) مُصْطَفَى أَحَدِ أُمَرَاءِ بَنِي أَيْوُبَ الْمُلُوكِ، وَهُوَ أَيْضًا صَاحِبُ هَذَا الْحِمَامِ^٢.

(a) بولاق: سبع مائة. (b) بولاق: القليجي. (c) يياض في النسخ. (d) بولاق: المكين.

ثم صُفِرَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ بَارْدُكُ الْأَعْمَى وَنُقِلَ إِلَى الْغُرْبَةِ عِوَضًا عَنْ اسْتِذْمَارِ الْقَلَنْجَقِيِّ ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِ الْكُشَفُ بِالْوَجْهِ الْبَغْرِيِّ عِوَضًا عَنْ ابْنِ صَبِيحٍ مَعَ وِلَايَةِ الْغُرْبَةِ فِي ثَمَانِ عَشْرِينَ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ.

وَانْظُرْ عَنْ كَاشِفِيَةِ الْوَجْهِ الْبَغْرِيِّ وَالْوَجْهِ الْقَيْطِيِّ، الْفَلَقَشَنْدِي: صَبْحِ الْأَعْمَى ٢٤: ٢٥ - ٢٤.

^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ٨ ظ - ٩٠ - ٩١.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٨ ظ، وتوجد هنا في آياصوفيا حاشية بخط المؤلف نُصِّبُهَا: «الْكُورَانِيَّةُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ بِجِبَالِ هَمْدَانَ وَشَهْرُزُورَ بَيْنَهُمْ لِحَنَّةٍ وَرَعِيَّةٍ وَكُلُّهُمْ أَهْلُ بَأْسٍ وَشِدَّةٍ». هَكَذَا بِخَطِ الْمَوْلَفِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ «عَلِي بْنُ [يَايُض] الْكُورَانِي الْكَرْدِي وَلِيَّ الْغُرْبَةِ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ وِلَايَةِ الْأَشْمُوتَيْنِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَأَقَامَ إِلَى ثَلَاثِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ، وَنُقِلَ مِنَ الْأَشْمُوتَيْنِ إِلَى الْكُشَفِ بِالْوَجْهِ الْقَيْطِيِّ،

خوخة ابن المأمون

هذه الخوخة في حارة زويلة، بالدرب الذي بقرب حمام عباس المعروف الآن بحمام الكوثك^١، ويُقال لهذه الخوخة اليوم باب حارة زويلة، وأصلها خوخة في درب ابن المأمون البطالحي.

خوخة آق شقر كرتية^٢

هذه الخوخة في الرقاق الذي بظهر المدرسة الفخرية بأحر سويقة الصاحب^٣، كان يُشلك منها إلى الخليج من جوار باب دار^٤ الذهب، وموضعها بجذاء بيت القاضي أمين الدين سيف^٥ ناظر الدولة. ولم تزل إلى أن بنى المهتار عبد الرحمن البابا داره بجوارها في سني بضع وتسعين وسبع مائة، فسندّها.

وعُرفت هذه الخوخة أخيراً بخوخة المسيري، وهو فخر الدين^٦ بن الشعيد المسيري^٣.

خوخة أمير حسين

هذه الخوخة من مجلّة الوزيرية، يُخرج منها إلى تجاه قنطرة أمير حسين، فتحتها الأمير شرف الدين/ حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن جندر بك^٥ الرومي^٤، حين بنى القنطرة على الخليج الكبير، وأنشأ الجامع بحجر جواهر الثوي^٥.

(a) بولاق : كوتيه . (b) ساقطة من بولاق . (c) زيادة من مسودة الخطط . (d) بولاق : قمر الدين . (e) بولاق : حيدرة بك .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ١١٠ .
^٢ انظر عن المدرسة الفخرية فيما يلي ٣٦٧ .
^٣ المقرئ : مسودة الخطط ١١٠ .
^٤ الأمير شرف الدين حسين بن أبي بكر بن جندر بك المعروف بأمير حسين الرومي ، المولود سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م وصاحب الجامع المعروف به (فيما يلي ٣٢٧) .
(الصفدي : أعيان العصر ٢ : ٢٥٩ - ٢٦٤ ، الوافي بالوفيات ١٢ : ٣٤٧ - ٣٥٠ ، المقرئ : الملقى الكبير ٣ : ٦٤٩ - ٦٥١ ، السلوك ٢ : ٣١٣ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ١٣٧ - ١٣٨ أبو المحاسن : النهل الصافي ٥ : ١٥٢ - ١٥٦ ، النجوم الزاهرة ٩ : ٢٧٦) .
^٥ فيما يلي ٣٩٧ ، ٤٩٣ ، ٣٠٦ .

وَجَزَى فِي فَتْحِ هَذِهِ الْخُوَّةِ^(a) أَمْرٌ لَا بَأْسَ بِإِيرَادِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمِيرَ حُسَيْنَ قَصَدَ أَنْ يَفْتَحَ فِي الشُّورِ خُوَّةَ لُتَمْرِ النَّاسِ مِنْ دَاخِلِ^(b) الْقَاهِرَةِ فِيهَا إِلَى شَارِعِ بَيْنَ الشُّوَرَيْنِ لِيَعْمُرَ جَامِعَهُ، فَمَنَعَهُ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِيَّجَرُ الْخَازِنِ^٢ وَالْيَ الْقَاهِرَةِ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا بِمُشَاوَرَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ. وَكَانَ لِلْأَمِيرِ حُسَيْنٍ إِقْدَامٌ عَلَى السُّلْطَانِ، وَلَهُ بِهِ مُؤَانَسَةٌ؛ فَعَرَفَهُ أَنَّهُ أَنْشَأَ جَامِعًا، وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْصَحَ لَهُ فِي فَتْحِ مَكَانٍ مِنَ الشُّورِ لِيَصِيرَ طَرِيقًا نَافِذًا يَمُرُّ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَيَخْرُجُونَ إِلَيْهِ. فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَسَمَّحَ بِهِ، فَتَزَلَّ إِلَى الشُّورِ وَخَرَقَ مِنْهُ قَدْرَ بَابٍ كَبِيرٍ، وَدَهَنَ عَلَيْهِ رَنْكَهُ^٣ بعدما رَكِبَ هُنَاكَ بَاتًا، وَمَرَّ النَّاسُ مِنْهُ.

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالْخَازِنِ وَالْيَ الْقَاهِرَةِ، وَقَالَ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاعِيَةِ: كَمْ كُنْتَ تَقُولُ مَا أُخْلِيكَ تَفْتَحَ فِي الشُّورِ بَاتًا حَتَّى تُشَاوِرَ السُّلْطَانِ. هَا أَنَا قَدْ شَاوَرْتُهُ، وَفَتَحْتَ بَاتًا عَلَى رَغْمِ أَثْفِكَ. فَحَقِيقُ الْخَازِنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَصَبَعَ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَدَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ وَقَالَ: يَا خَوْنَدُ، أَنْتَ رَسَمْتَ لِلْأَمِيرِ شَرَفَ الدِّينِ أَنْ يَفْتَحَ فِي الشُّورِ بَاتًا، وَهُوَ سُورٌ حَصِينٌ عَلَى الْبَلَدِ؟ فَقَالَ السُّلْطَانُ: إِنَّمَا شَاوَرْتَنِي أَنْ يَفْتَحَ خُوَّةً لِأَجْلِ حُضُورِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ فِي جَامِعِهِ. فَقَالَ الْخَازِنُ: يَا خَوْنَدُ، مَا فَتَحَ إِلَّا بَاتًا يُعَادِلُ بَابَ زَوَيْلَةَ، وَغَمِلَ عَلَيْهِ رَنْكُهُ، وَقَصَدَ يَعْمَلُ سُلْطَانًا عَلَى الْبَارِدِ، وَمَا جَرَتْ عَادَةٌ أَحَدٍ بِفَتْحِ سُورِ الْبَلَدِ.

فَأَثَرُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْخَازِنِ فِي نَفْسِ السُّلْطَانِ أَثَرًا قَبِيحًا، وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَبَعَثَ إِلَى النَّائِبِ - وَقَدْ اشْتَدَّ حَتْفُهُ - بِأَنْ يُسَفِّرَ حُسَيْنَ بْنَ جَنْدَرٍ^(c) إِلَى دِمَشْقَ بِحَيْثُ لَا يَبِيتُ فِي الْمَدِينَةِ؛ فَخَرَجَ مِنْ يَوْمِهِ مِنَ الْبَلَدِ بِسَبَبِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ.

(a) آخر الموجود في مسودة الخطط. (b) بولاق: أهل. (c) ساقطة من بولاق

^١ المقرئ: مسودة الخطط ١١٠.

^٢ الأمير غلام الدين سييجر الخازن الأشرفي، المتوفى سنة

٧٣٥هـ/١٣٣٥م. (الصفدي: أعيان العصر ٢: ٤٧٠ -

٤٧١، المقرئ: السلوك ٢: ٢١٥؛ أبو المحاسن: النجوم

الزاهرة ٩: ٣٠٥؛ وفيما يلي ١٣٥: ٢).

^٣ عن الوثائق ج. الزرك، انظر فيما يلي ٤٨٨هـ.

كانت خُوَّةُ أمير حسين تقع مكان تدخل شارع الاستشفاء الآن في الزاوية البحرية الغربية لمبنى محكمة باب الخلق، ويقع تجاهها مكان قنطرة الأمير حسين وحارة الأمير حسين التي بها جامعها الموجود إلى الآن. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٦٣هـ).

وَكُرُ الرِّحَاب

الرَّحْبَةُ - بِإِسْكَانِ الحَاءِ وَفَتْحِهَا - الْمَوْضِعُ الْوَاسِعُ ، وَجَمْعُهَا رِحَابٌ .
اعْلَمْ أَنَّ الرِّحَابَ كَثِيرًا مَا^(a) تَتَغَيَّرُ إِثْمًا بِأَنْ يُنْتَى فِيهَا فَتَذْهَبَ وَيَبْقَى اسْمُهَا ، أَوْ يُنْتَى فِيهَا وَيَذْهَبَ اسْمُهَا وَيُجْهَلُ ، وَرَبَّمَا انْقَلَبَ بُنْيَانٌ وَصَارَ مَوْضِعُهُ رَحْبَةً أَوْ دَارًا أَوْ مَسْجِدًا . وَالغَرَضُ ذِكْرُ مَا فِيهِ فَايِدَةٌ .

رَحْبَةُ باب العيد

هذه الرَّحْبَةُ كَانَ أَوَّلُهَا مِنْ بَابِ الرِّيحِ - أَخَذَ أَبْوَابَ الْقُصْرِ ، الَّذِي أَدْرَجْنَا هَذَا عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَشْنَاذَارِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ -^(b) وَفِي مَكَانِهِ الْآنَ الْقَيْسَارِيَّةُ الْمُسْتَجِدَّةُ بِرَحْبَةِ باب العيد^(c) وَإِلَى خِزَانَةِ الْبُثُودِ .

وَكَانَتْ رَحْبَةُ عَظِيمَةً فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، غَايَةً فِي الْإِتْسَاعِ ، يَقِفُ فِيهَا الْعَسَاكِرُ ، فَارِسُهَا وَرَاجِلُهَا فِي أَيَّامِ مَوَازِبِ الْأَعْيَادِ يَنْتَظِرُونَ رُكُوبَ الْخَلِيفَةِ وَخُرُوجَهُ مِنْ بَابِ الْعِيدِ ، وَيَذْهَبُونَ فِي خِدْمَتِهِ لَصَلَاةِ الْعِيدِ بِالْمُضَلَّى خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ ، ثُمَّ يَعودُونَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ الْمَذْكُورِ إِلَى الْقُصْرِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ^١ .

وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الرَّحْبَةُ خَالِيَةً مِنَ الْبِنَاءِ إِلَى مَا بَعْدَ السَّتِّ مِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَانْخَطَطَ فِيهَا النَّاسُ وَعَمَرُوا فِيهَا الدُّورَ وَالْمَسَاجِدَ وَغَيْرَهَا ، فَصَارَتْ خِطَّةً كَبِيرَةً مِنْ أَجْلِ أخطاطِ الْقَاهِرَةِ ، وَبَقِيَ اسْمُ رَحْبَةِ باب العيد بَاقِيًا عَلَيْهَا لَا تُغْرَفُ إِلَّا بِهِ^٢ .

رَحْبَةُ قُصْرِ الشُّوك

هذه الرَّحْبَةُ كَانَتْ قِبَلِي الْقُصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ ، فِي غَايَةِ الْإِتْسَاعِ كَبِيرَةِ الْمِقْدَارِ . وَمَوْضِعُهَا مِنْ حَيْثُ دَارُ الْأَمِيرِ الْحَاجِ آلِ مَلِكٍ بِجَوَارِ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَالْمَدْرَسَةِ الْمَلِكِيَّةِ إِلَى بَابِ قُصْرِ الشُّوكِ

(a) بولاق : كثيرة لا . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط .

^١ فيما تقدم ٤٧٨:٢ - ٤٩٤ . المنطقة التي تُحَدِّدُ الْآنَ مِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ خُبْسِ الرَّحْبَةِ وَشَارِعِ

^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ١٢ و- ط . وكانت تقع في بيت المال ، ومن الجنوب بِشَارِعِ قُصْرِ الشُّوكِ ، ومن الشرق =

عند جزالة البُود . وبينها وبين رَحْبَة باب العيد جزالة البُود والسفينة^(a) ١.

وكان السالك من باب الدَّيْلَم - الذي هو اليوم المشهد الحسيني - إلى جزالة البُود يمر في هذه الرَحْبَة ، ويصير سور القصر على يساره ، والمتاخ ودار أفتكين على يمينه ، ولا يتصل بالقصر بُنيان أبنية . وما زالت هذه الرَحْبَة باقية إلى أن خرب القصر بفناء أهله ، فاختط الناس فيها شيئاً بعد شيء ، حتى لم يبق منها سوى قطعة صغيرة تُعرف برَحْبَة الأندري^٢ .

رَحْبَة الجامع الأزهر

هذه الرَحْبَة كانت أمام الجامع الأزهر ، وكانت كبيرة جداً تبدئ من حُطَّ إسطنبول الطارئة إلى المؤضع الذي فيه مقعد الأتفانيين اليوم^(b) ، ومن باب الجامع البحري إلى حيث الخراطين ، ليس بين هذه الرَحْبَة ورَحْبَة قصر الشوك سوى إسطنبول الطارئة . فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر ، ترتجل القساكز كلها ، وتقف في هذه الرَحْبَة حتى يَدْخُل الخليفة إلى الجامع . وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله عند ذكر الجوامع^٣ .

ولم تزل هذه الرَحْبَة باقية إلى أثناء الدولة الأموية ، فشرع الناس في العماره بها إلى أن بقي منها ، قدام باب الجامع البحري ، هذا القدر اليسير^٤ .

رَحْبَة الحلي

هذه الرَحْبَة الآن من حُطَّ الجامع الأزهر ، ومن بقية رَحْبَة الجامع التي تقدم ذكرها . عُرفت بالقاضي نجم الدين أبي العباس أحمد بن شمس الدين علي بن نصر الله بن مظفر الحلي التاجر العدل^(c) لأنها تجاه داره ، وتوفي^(d) ٥ .

(a) بولاك : السقيفة . (b) النص في المسودة : وإلى أن تعطف إلى جهة المكان المعروف الآن بتراب الصُدر والأتفانيين . (c) بولاك : العادل . (d) زيادة من المسودة وبعدها بياض .

= حارة قصر الشوق ، ومن الشمال حارة الزاوية وحارة المبيضة . (أبو الحسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٠٠ هـ ٦) .
١ فيما تقدم ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٨ ، ٣٩٥ - ٤٠١ .
٢ المقرئ : مسودة الخطوط ١٢ و .
٣ فيما يلي ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٢ .
٤ المقرئ : مسودة الخطوط ١٢ و .
٥ نفسه ١٢ ظ .

رُحْبَةُ الْبَانِيَّاسِي

هذه الرُحْبَةُ ^(a) من جملة ^(a) دُزْب الْأَثْرَاك ^(a) بِحُطِّ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ^(a)، يَجَاهُ دَارِ الْأَمِيرِ طَبْدُمُرِ الْجَمْدَارِ النَّاصِرِيِّ، وَغُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الْبَانِيَّاسِي لِأَنَّ دَارَهُ كَانَتْ فِيهَا، وَمُسَجَّدَةً الْمُعَلَّقُ هُنَاكَ. وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ مِائَةٍ ^١.

رُحْبَةُ الْأَيْدُشَرِي

هذه الرُحْبَةُ ^(b) فِيمَا بَيْنَ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ / وَبَيْنَ خِزَانَةِ الثُّودِ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ هُنَاكَ، نُسِبَتْ إِلَى الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ يَبْلَبَكِ الْأَيْدُشَرِيِّ ^٢ لِأَنَّ دَارَهُ عِنْدَهَا وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ، وَكَانَ مِنْ أُمَرَاءِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ وَغَلَّتْ مَنَزَلُهُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتٍّ مِائَةٍ وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ مِنَ الْقَرَّافَةِ بِجَوَارِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهِيَ مَشْهُورَةٌ هُنَاكَ. وَأَظْلُهُ مَمْلُوكُ الْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ أَيَّدُمُرِ الْحَلِيِّ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ ^٣. وَهَذِهِ الرُحْبَةُ مِنْ جَمَلَةِ الرُحْبَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ قِبْلَتِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفَةِ بِقَصْرِ الشُّوكِ ^(b) ^٤.

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b-b) هذه الفقرة من مسودة الخطوط عوضًا عن ما جاء في سائر النسخ وبولاق، حيث يبدو النص فيها متورًا غير واضح.

- ^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٣ و.
- ^٢ الأمير بَدْرُ الدِّينِ يَبْلَبَكِ الْأَيْدُشَرِيِّ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ الصَّالِحِيَّةِ، ثُمَّ تَنَقَّلَ فِي الْحِلْمِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْمَنْصُورِيَّةِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م. (المقرئ: المَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٢: ٥٨٢-٥٨٣، السُّلُوكُ ١: ٤٤٧، ٦٦٦؛ أَبُو الْخَمَّاسِ: الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣: ٥١٥).
- ^٣ الْأَمِيرُ عَزِّ الدِّينِ أَيَّدُمُرُ الْحَلِيِّ الصَّالِحِي النَّجْمِي، مِنْ أَكْبَارِ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بَيْرَسَ وَنَائِبِ النَّيْبَةِ، تَوَفَّى بِقَلْعَةِ
- دمشق سَنَةَ ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ بِجَوَارِ مَسْجِدِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ يَنْمُورِ. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٥٠؛ المقرئ: المَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ٢: ٣٥٢، السُّلُوكُ ١: ٥٧٤؛ أَبُو الْخَمَّاسِ: الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣: ١٧٠-١٧١، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢: ٢٢٧).
- ^٤ المقرئ: مسودة الخطوط ١٣ و.
- وَيُذَلُّ عَلَى مَوْضِعِهَا الْآنَ لِلْمَنْطِقَةِ الْوَاقِعَةِ غَرْبَ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَيَخْتَرِفُهَا شَارِعُ أَمِ الْغَلَامِ وَحَارَةُ الْجِعَادِيَّةِ بِقَسَمِ الْجَمَالِيَّةِ.

رَحْبَةُ الْبَذَرِي

هذه الرَّحْبَةُ يُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ رَحْبَةِ الْأَيْدُمَرِي وَمِنْ بَابِ قَصْرِ الشُّوكِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَارِشْتَانِ الْعَتِيقِ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ . عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ يَتَذَمَّرُ الْبَذَرِي صَاحِبِ الْمَدْرَسَةِ الْبَذَرِيَّةِ ^(أ) ، فَإِنَّ دَارَهُ هُنَاكَ ^١ .

رَحْبَةُ ضَرْوُط

^(ب) بِأَوَّلِ الرُّقَاقِ الَّذِي فِي صَفِّ دَارِ الْحَاجِّ آلِ مَلِكٍ عَلَى يَمْنَةِ الشَّالِكِ مِنْ دَارِ آلِ مَلِكٍ إِلَى رَحْبَةِ الْأَيْدُمَرِي ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ رَحْبَةِ قَصْرِ الشُّوكِ ، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ ضَرْوُطِ الْحَاجِّ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ هُنَاكَ ^(ب) ^٢ .

رَحْبَةُ آقْبَغَا

هذه الرَّحْبَةُ هِيَ الْآنَ سُوقُ الْحَيَّيِّينَ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ رَحْبَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا . عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ آقْبَغَا عَبْدِ الْوَاحِدِ أَسْتَادَارِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَصَاحِبِ الْمَدْرَسَةِ الْآقْبَغَاوِيَّةِ ^(ج) بِجَوَارِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ^(ج) ^٣ .

رَحْبَةُ مُقْبِلِ

هذه الرَّحْبَةُ كَانَتْ تُعْرَفُ بِخُطِّ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ، لِأَنَّ هُنَاكَ مَسْجِدَيْنِ أَحَدُهُمَا يُقَابِلُ الْآخَرَ ، وَيُسَمَّى مِنَ هَذِهِ الرَّحْبَةِ إِلَى سُوَيْقَةِ الْبَابِلِيَّةِ وَالْإِلَى رِوَاقِ ثُرَيْدِهِ ^(د) . وَعُرِفَتْ آخِرًا بِالْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ مُقْبِلِ الرُّومِيِّ ^٤ أَمِيرِ جَانْدَارِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ ^٥ .

(أ) مسودة الخطط : البديرية . (ب-ب) النص المثلث من مسودة الخطط . (ج-ج) إضافة من مسودة الخطط . (د) بولاق : زقاق : ترهده .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ١٤ ط .
^٢ نفسه ١٤ ط - ١٥ ط .
^٣ انظر عنه فيما يلي ٣٨٤ : ٢ - ٣٨٥ .
^٤ الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ مُقْبِلُ الرُّومِيِّ الظَّاهِرِيِّ بَرْقُوقِ ، أَحَدُ مُقَدِّمِي الْأَكُوفِ فِي دَوْلَةِ ابْنِ أَسْتَادِهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجِ وَزُوجِ
 أَخْتُهُ حَوْتُودَ سَارَةَ ، قَتَلَ بِأَمْرِ الْأَمِيرِ تَوْرُوزِ الْخَافِظِيِّ بَعْدَ كِسْرِ النَّاصِرِ فَرَجِ فِي سَنَةِ ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م . (المقرئزي : السلوك ٤ : ٢٠٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ١١٩ ، الدليل الشافعي ٢ : ٧٣٩ - ٧٤٠ ، الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ٣٢١) .
^٥ المقرئزي : مسودة الخطط ١٤ ط .

رَحْبَةُ الدَّمْرِ

هذه الرحبة في الدَّزْبِ أَوَّلُ شَوْقِ الْقَوَائِنِ يَمَّا يَلِي الْأَكْفَانِيَيْنِ، ^(a) وفي هذا الدَّزْبِ بَابُ سِرِّ حَقَامِ الْحَوَاطِينِ ^(b). عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ الدَّمَرِ النَّاصِرِيِّ أَمِيرِ جَانْدَارٍ ^(b) الْمَقْتُولِ بِمَكَّةَ ^١.

رَحْبَةُ قُسْرِيَّةٍ

هذه الرحبة بِحُطِّ الْأَكْفَانِيَيْنِ نِجَاهِ دَارِ الْأَمِيرِ قُرْدِيَةِ الْجَمْدَارِ النَّاصِرِيِّ. وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِالْأَمِيرِ سِنْجَرِ الشُّكَارِيِّ، وَلَهُ أَيْضًا مَسْجِدٌ مُتَعَلِّقٌ يُدْخَلُ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى الرَّحْبَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَهَنَّاكَ الْيَوْمَ قَاعَةُ الذَّهَبِ الَّتِي فِيهَا الذَّهَبُ الشَّرِيطُ لِعَمَلِ الْمَرْزُكَشِ ^٢.

رَحْبَةُ الْمَنْصُورِيِّ

^(c) قِبَالَةَ بَابِ دَارِ الْأَمِيرِ قُطْلُوْبَغَا الْمَنْصُورِيِّ ^٣ بِجَوَارِ حَقَامِ طُغْلُقُ فِي دَرْزِ الْمَنْصُورِيِّ الْمَقْدَّمِ ^{١٠} ذِكْرُهُ ^(c) ^٤.

رَحْبَةُ الْمَشْهَدِ

^(d) هَذِهِ الرَّحْبَةُ نِجَاهِ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَبِجَوَارِهَا دَارُ الْأَمِيرِ جُزْجِي الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِدَارِ الْأَمِيرِ بِهَائِرٍ، وَيُنْزَلُ الْيَوْمَ إِلَى هَذِهِ الرَّحْبَةِ بِدَرْجٍ. كَانَتْ رَحْبَةً فِيمَا بَيْنَ بَابِ الدُّهْلَمِ - أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ - الَّتِي هِيَ الْآنَ الْمَشْهَدُ الْحُسَيْنِيِّ وَبَيْنَ إِسْطِطِلِ الطَّارِمَةِ ^(d) ^٥.

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b) إضافة من مسودة الخطوط. (c-c) النص المثبت من مسودة الخطوط.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٤١٤ و١٤١٥: ١٦: ١١٠: ٣.

الَّذِينَ الدَّمَرِ النَّاصِرِيِّ انظر فيما تقدم ١١٣. ^٣ انظر عنه فيما تقدم ١١٨.

^٢ نفسه ١٤١٤، وانظر كذلك عن قاعة الذهب المقرئ: مسودة الخطوط ١٧٠.

الخاصة لعمل الزركش، ابن إياس: بدائع الزهور. ^٥ نفسه ١٧٠.

رَحْبَةُ أَبِي الْبَقَاءِ

هذه الرَّحْبَةُ من جملة رَحْبَةِ باب العيد تجاه باب قاعة ابن كُتَيْبَةَ بِحُطَّ السُّفِينَةِ^٨، عُرِفَتْ بقاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام الشُّبْكِي الشَّافِعِي^١، ومولده في سنة سبع وسبع مائة، أخذ العلماء الأكابر. تقلد قضاء القضاة بديار مصر والشَّام، ومات في [ثالث عشر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وسبع مائة]^٢ (b).^٢

رَحْبَةُ الْحِجَازِيَّةِ^٣

هذه الرَّحْبَةُ تجاه المَدْرَسَةِ الْحِجَازِيَّةِ، وهي من جملة رَحْبَةِ باب العيد، (d) عُرِفَتْ بِرَحْبَةِ الْحِجَازَةِ ثم (d) عُرِفَتْ بِرَحْبَةِ الْحِجَازِيَّةِ^٣.

رَحْبَةُ قَصْرِ بَشْتَاك

هذه الرَّحْبَةُ تجاه قَصْرِ بَشْتَاك (d) وَقِبَالَةَ المَدْرَسَةِ الْكَامِلِيَّةِ^٤، وهي من جملة القضاة الذي بين القصرين^٤.

رَحْبَةُ سَلَار

تجاه حُجَّام الْبَيْتَرِي ودار الأمير سَلَار الصَّالِحِي^٥ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ^٥، هي أيضًا من

(a) بولاق : السقيفة . (b) يياض في سائر النسخ والمثبت من المصادر . (c) ورد العنوان في المُتَوَدَّة وبعض النُسخ، رجة الحجازة . (d-d) إضافة من مسودة الخطط . (e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر ابن يحيى بن علي بن تمام الشُّبْكِي الشَّافِعِي، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ/١٣٧٧م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٢١٠-٢١١-٢١٢) المقريري: السلوك ٣: ٢٥٩؛ ابن حجر: رفع الإصر ٣٦٠-٣٦١؛ الدرر الكامنة ٣: ٤٩٠؛ محمد عبد الصادق حسين: البيت السبكي (٧١-٧٢).
^٢ المقريري: مسودة الخطط ١٧ ط.
^٣ نفسه ١٧ ط.
^٤ نفسه ١٣ ط.
^٥ الأمير شَيْفُ الدِّين سَلَار التُّرْكِي الصَّالِحِي المنصوري نائب السُّلْطَنَةِ بِالْأَهْلِ الْمَصْرِيَّةِ، المتوفى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. كان أوَّلًا من ممالك الصَّالِح غلاء الدِّين علي بن المنصور قلاوون، فلما مات الصَّالِح صار من خاصَّة المنصور وهو من التُّرْك الْأَرْمَنِيَّةِ تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَشْيَاءُ فِي الْبَيْتِ وَالْمَنَادِيلِ. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٥٥-٥٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبّه =

جملة الفَضَاء الذي كان يَبْنِي القَصْرَيْنِ^١.

رَحْبَةُ قُطْلُوْبِنَا^٢ الْفَخْرِي

هذه الرَّحْبَةُ بِحُطِّ الكافُورِي تَجَاهَ باب دار الأمير سَيْف الدِّين قُطْلُوْبِنَا الطُّوِيل الْفَخْرِي السِّلَاح دار الأَشْرَفِي^٣، أَحَدُ أَمْراءَ^(ب) الطُّبْلَخَانَةِ فِي أَهَام^(ب) الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ^٤.

رَحْبَةُ الْأَكْزَرِ بِسَمَةِ الْفَخْرِي

هذه الرَّحْبَةُ تَجَاهَ دار الأمير سَيْف الدِّين الْأَكْزَرِ النَّاصِرِي الْوَزِيرِ^٥، وَتُعْرَفُ أَيْضًا بِرَحْبَةِ الْأَبُوْبَكْرِي لِأَنَّهَا تَجَاهُ دار الأمير سَيْف الدِّين الْأَبُوْبَكْرِي السِّلَاح دار النَّاصِرِي. وَهِيَ شَارَعَةٌ فِي الطَّرِيقِ، يُشَلِّكُ إِلَيْهَا مِنْ دار الأمير تَنْكِيزَ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى دار الأمير مَسْعُودَ وَبَقِيَّةِ الْكَافُورِي^(ب) وَإِلَى بابِ الْقَنْطَرَةِ وَبَيْنَ الشُّوَرَيْنِ^(ب)^٥.

رَحْبَةُ جَعْفَر

هذه الرَّحْبَةُ بِحَاذَةِ بَرْجَوَانَ، وَيُشْرِفُ عَلَيْهَا شَيْكَاكُ مَسْجِدِ تَزْعُمِ الْعَوَائِمِ أَنَّ فِيهِ قَبْرَ جَعْفَرِ

(a) إضافة من مسودة الخطوط. (b-b) إضافة من مسودة الخطوط.

١٢٥٩ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٣٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٣، الدليل الشافي ٢: ٥٤٦-٥٤٧. ٣ المقرئ: مسودة الخطوط ١٣.

٤ الأمير سَيْف الدِّين الْأَكْزَرِ النَّاصِرِي (بضم الكاف وإشباعها) لتَنْشِئَ وَأَوَّاءَ، ثُمَّ زَايَ) شَاذَ الدُّوَاوِينِ، الْخَوَفِي سَنَةِ ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٨٦-٨٨٨، الوافي بالوفيات ٩: ٣٤٨-٣٤٩ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣١-٤٣٢، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٣٥-٣٦). ٥ المقرئ: مسودة الخطوط ١٣.

= ١: ٢١٣، ٢٢١، ٢٩٠، المقرئ: السلوك ٢: ٩٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٧٦-٢٧٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٦-٢٠، المنهل الصافي ٦: ٥-١٣؛ ومحمد عبد الغني الأشقر: سلاسل الأمير البحري المسلم، القاهرة - مكتبة مدبولي ٢٠٠٠.

١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٣. ٢ الأمير سَيْف الدِّين قُطْلُوْبِنَا الشَّافِي النَّاصِرِي الْمَعْرُوفُ بِالْفَخْرِي، الْخَوَفِي مَقْتُولًا سَنَةَ ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م. (الصفدي: أعيان العصر ٤: ١١٢-١٢٠، الوافي بالوفيات ٢٤: ٢٥٥-٢٥٠).

الصَّادِق . وهو كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ وإفْكٌ مُفْتَرى ، ما اِخْتَلَفَ أَحَدٌ من أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَالْآثَارِ وَالتَّارِيخِ وَالسِّيَرِ أَنَّ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَام - مَاتَ قَبْلَ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ بِذَهْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً ، وَالْقَاهِرَةُ بِلَا خِلَافٍ اخْتُطَّتْ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بَعْدَ مَوْتِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بِنَحْوِ مِائَتَيْ سَنَةٍ وَعِشْرَ سَنِينَ .

وَالَّذِي أَظْهَرَ أَنَّ هَذَا مَوْضِعَ قَبْرِ جَعْفَرِ بنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَذَرِ الْجَمَالِيِّ ، الْمَكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْمَلْقَبِ بِالْمُظَفَّرِ ^(١) الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ دَارَ الْمُظَفَّرِ بِحَاوِزَةِ بَرْجَوَانَ الَّتِي مَوْضِعُ بَابِهَا الْآنَ دَارُ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ الطَّرَائِيسِيِّ الْحَقَنِيِّ ، وَهِيَ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ دَخَلٍ مِنْ بَابِ حَاوِزَةِ بَرْجَوَانَ ، فَإِذَا سَلَكَ تِلْكَ الطَّرِيقَ يُرِيدُ قَبْرَ جَعْفَرِ الْمَذْكُورِ صَارَتْ عَلَى يَسْرَتِهِ ^(٢) . وَلَمَّا وَلِيَ أَخُوهُ الْأَفْضَلُ بنَ أَمِيرِ الْجِيُوشِ الْوِزَارَةَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ ، جَعَلَ أَخَاهُ الْمُظَفَّرَ جَعْفَرَ يَلِي «الْعَلَاة» ^(٣) عَنْهُ . وَتَمَتَّ بِهِ «الْأَجَلُ الْمُظَفَّرُ» سَيْفَ الْإِمَامِ ، جَلَالِ الْإِسْلَامِ ، شَرَفِ الْأَنَامِ ، نَاصِرِ الدِّينِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَذَرِ الْجَمَالِيِّ . وَتَوَفَّى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ مَقْتُولًا ^(٤) يُقَالُ قَتَلَهُ خَادِمُهُ بِجَوْهَرِ مُمْبَاطِنَةٍ مِنَ الْقَائِدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بنِ فَاتِكِ الْبَطَائِحِيِّ . وَيُقَالُ بَلْ كَانَ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ يَشْرَبُ ، فَجَاءَ لَيْلَةً وَهُوَ سَكْرَانٌ ، فَمَارَحَهُ دَرَابَ حَاوِزَةِ بَرْجَوَانَ وَتَرَامَى بِالْحِجَاوَةِ ، فَوَقَعَتْ ضَرْبَةً فِي جَنْبِهِ آَلَتْ بِهِ إِلَى الْمَوْتِ ^(٥) .

وَالَّذِي نَقَلَ أَنَّهُ دُفِنَ بِتَرْبَةِ أَبِيهِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ^(٦) . فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ دُفِنَ هُنَا أَوَّلًا ثُمَّ نُقِلَ ، أَوْ لَمْ يُدْفَنْ هُنَا وَلَكِنَّهُ مِنْ جَمَلَةٍ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ بِجَوَارِ دَارِ الْمُظَفَّرِ الَّتِي مِنْ جُمَّلَتِهَا دَارُ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الطَّرَائِيسِيِّ وَمَا دَارُ بَيْتِهَا ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ دَارِ الْمُظَفَّرِ ^(٧) .

(u-b) إضافة من مسودة الخطط .

^١ عن العلامة ، انظر فيما تقدم ٣٣٨ .
^٢ عند ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٤ ، والمقرئوي :
 مسودة الموايعظ ١٣٣ ، أنه توفي في جمادى الأولى (الآخرة)
 سنة ٥١٥ هـ (؟)
^٣ المقرئوي : مسودة الخطط ١٥ ، المقفى الكبير
 ١٥ : ١٦ ، وقارن مسودة الموايعظ ١٣٣ - ١٣٤ ، وابن
 عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٤ - ٦٥ .
^٤ انظر فيما تقدم ٦٣ ، وفيما يلي ٤٦٢ .
^٥ فيما يلي ١٧٣ .
^٦ عن العلامة ، انظر فيما تقدم ٣٣٨ .
^٧ عند ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٤ ، والمقرئوي :
 مسودة الموايعظ ١٣٣ ، أنه توفي في جمادى الأولى (الآخرة)
 سنة ٥١٥ هـ (؟)
^٨ المقرئوي : مسودة الخطط ١٥ ، المقفى الكبير

رَحْبَةُ الْأَقْيَالِ

هذه/ الرَّحْبَةُ من جملة حازة بَزْجَوَان ، يُتَوَصَّلُ إليها من رأس الحازة ، ويُشَلِّك في حذرة الزَّاهِدِي إليها . وأذَرَكْتُهَا ساحةً كبيرةً والمَشْيِخَةُ ^(a) تُسَمَّى بِهَا رَحْبَةُ الْأَقْيَالِ ، وكذا يُوجد في مكاتيب الدور القديمة . ويُقالُ إِنَّ الْفَيْلَةَ في أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ كانت تُرَبِّطُ بهذه الرَّحْبَةِ أمامَ دار الضِّيَافَةِ .

ولم تَزَلْ خَرِبَةً إلى ما بعد سنة سبعين وسبع مائة ، فغَمَّرَ بِهَا دُورَاتٌ ، ووُجِدَ فِيهَا بِئْرٌ مَتَسِّعَةٌ ذات وجهين تُشَبِّه أن تكونَ الْبُئْرُ التي كانت سُؤاسُ الْفَيْلَةِ يَسْتَقْوُونَ مِنْهَا ، ثم طُمَّتْ هذه الْبُئْرُ بالثَّرَابِ ^١ .

رَحْبَةُ مَازَانَ ^(b)

هذه الرَّحْبَةُ ^(a) تَجَاهَ حَمَامِ الرُّومِي ^(a) بحازة بَزْجَوَان ، تَجَاهَ باب دار الأمير ^(b) مَازَانَ ^(c) التي خَرِبَتْ ، وفيها الْمَشْجِدُ الْمَعْرُوفُ بِمَشْجِدِ بَنِي الْكُوَيْكُ ^٢ .

رَحْبَةُ أَقْوَشِ

هذه الرَّحْبَةُ بحازة بَزْجَوَان تَجَاهَ قَاعَةَ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ أَقْوَشِ الرُّومِي السَّلَاحِ دارِ النَّاصِرِي ، التي خُلِّ وَفَّقَهَا بَهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبُرْجِي ، ثم بيعت من بعده . وماتَ أَقْوَشُ سنة خمسٍ وسبع مائة ^٣ .

رَحْبَةُ بَزْلَغِي

هذه الرَّحْبَةُ عند باب سِرِّ الْمَدْرَسَةِ الْقَرَامَنْثُورِيَّةِ تَجَاهَ دار الأمير سَيْفِ الدِّينِ بَزْلَغِي الصَّغِيرِ ، صَهْرُ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسِ الْجَاشَنْكِيرِ . وهذه الرَّحْبَةُ من جملة حُطَّتْ دار الْوَزَارَةِ ^٤ .

(a-b) إضافة من مسودة الخطوط (b) ساقطة من بولاق .. (c) بولاق : مازان .

^٣ نفسه ١٥ ظ ، وسماها : رحبة الرُّومِي .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ١٥ .

^٤ نفسه ١٥ ظ .

^٢ نفسه ١٥ ظ .

رَحْبَةُ ثُلُوثُ

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة الدُّنْيَم في الدُّزْب الذي بِحُطَط طَوَّاحِين^(a) ابن الزُّلَّامِي . وهي تِجَاه دار الأمير بَدْر الدِّين ثُلُوثُ الرُّزْد كاش النَّاصِرِي . وهو من جملة من فَرَّ مع الأمير قَرَّاسُنْقَر وأَقُوش الأَفَرَم إلى مَلِك التُّتَر تُوْسَعِيد^١.

رَحْبَةُ كوكاي

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة زَوِيلَة ، عُرِفَتْ بالأمير سَيِّف الدِّين كوكاي السُّلاح دار النَّاصِرِي^٢ ، وفيها المَدْرَسَةُ القُطَيْبِيَّة الجَدِيدَة ، ^(b) وَيُسَمَّى إِلَيْهَا من الخُرُونَشَف وغيره . وتوفى كوكاي^(b).

رَحْبَةُ ابن أبي زكري

هذه الرَّحْبَةُ بحارَة زَوِيلَة ، وهي التي فيها البَيْتُ السَّابِلَة بالقُرْب من المَدْرَسَة العاشُورِيَّة . عُرِفَتْ بالأمير^{١٠} ابن أبي زُكْرِي ، وهي من الرُّحَاب القَدِيمَة التي كانت أَيْام الخُلَفَاء ، وبها الآن سُوقُ حارَة اليهود القَرَّائِين^(d) ^(c) ^(e).

رَحْبَةُ تَيْبَرَس

هذه الرَّحْبَةُ يَتَوَصَّل إِلَيْهَا من مَوْثِقَة المَشْعُودِي ومن جِهَة^(e) حَمَام ابن عَجُود ، عُرِفَتْ بالملك المَظْفَر رُكْن الدِّين تَيْبَرَس الجاشنكير ، فَإِنَّ بَصْدَرَهَا دارَه التي كانت سَكَنَه قبل أن يَتَقَلَّد سُلْطَنَة ديار مصر ، وقد حُلَّ وَقَفُهَا وَبِعَتْ^٥.

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة الخطط . (c) بياض في آياصوليا . (d) في مسودة الخطط : وهي التي بوسط موبقة القرائين . (e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ١٥ ظ .
^٢ الأمير سيف الدين كوكاي السلاح دار الناصري ،
 أحد أعيان الأمراء الألوفا ، توفي في جمادى الأولى سنة
 ١٣٤٩ هـ / ١٣٤٩ م . (الصفدي : أعيان العصر ٤ : ١٦٢ -
 ١٦٣ ، الوافي بالوفيات ٢٤ : ٣٧٦ ؛ ابن حجر : الدرر
 الكامنة ٣ : ١٣٥٦ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٤١) .
^٣ المقرئزي : مسودة الخطط ١٥ ظ .
^٤ نفسه ١٥ ظ - ١٦ و .
^٥ نفسه ١٦ و .

رَحْبَةُ بَيْتِزَسِ الْحَاجِبِ

هذه الرَّحْبَةُ بِحُطِّ حَاذَةِ الْقَدَوِيَّةِ عِنْدَ بَابِ مِيرِ الصَّاعَةِ . عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ بَيْتِزَسِ الْحَاجِبِ الثَّاهِرِيِّ^(a) لِأَنَّ دَارَهُ بِهَا . وَبَيْتِزَسُ هَذَا هُوَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ غَيْطُ الْحَاجِبِ بِجَوَارِ قَنْطَرَةِ الْحَاجِبِ^(b) ظَاهِرُ أَرْضِ الطَّيَالَةِ^(c) .

- وبهذه الرَّحْبَةِ الْآنَ قُنْدُقُ الْأَمِيرِ الطَّوْاشِيِّ ، زِمَامُ الدُّورِ السُّلْطَانِيَّةِ^(b) فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ يَزْفُوقُ^(b) ، زَيْنُ الدِّينِ مُقْبِلُ ،^(b) اُنْتَحَذَهُ النَّاسُ حَاصِلًا لِلْأَمْوَالِ ، وَهُوَ قُنْدُقُ حَصِينٍ^(b) ؛ وَبِهِ صَارَ الْآنَ هَذَا الْخُطُّ يُعْرَفُ بِحُطِّ قُنْدُقِ الرُّمَامِ بَعْدَ مَا كُنَّا نَعْرِفُهُ بِحُطِّ رَحْبَةِ بَيْتِزَسِ الْحَاجِبِ^١ .

رَحْبَةُ الْمُؤَوَّقِ

- تُعْرَفُ هَذِهِ الرَّحْبَةُ بِحَاذَةِ زَوِيلَةَ ، يَجَاهَ دَارِ الصَّاحِبِ الْوَزِيرِ مُؤَوَّقِ الدِّينِ أَبِي الْبَقَاءِ هَيْبَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ بِالْمُؤَوَّقِ الْكَبِيرِ ، وَهِيَ بِالْقُرْبِ مِنْ شُوشَةِ الْمُؤَوَّقِ الْمُتَوَصِّلِ مِنْهَا إِلَى الْكَافُورِيِّ مِنْ حَاذَةِ زَوِيلَةَ .

رَحْبَةُ أَبِي ثَرَابٍ

- هذه الرَّحْبَةُ فِيمَا بَيْنَ الْحُرُونُشَفِ وَحَاذَةِ يَزْجَوَانَ يُشَبِّهُ أَنْ تَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَيْدَانِ^(c) ، أَدْرَكَتْهَا رَحْبَةُ^١ بِهَا كَيْمَانُ ثَرَابٍ . وَسَبَبُ نِسْبَتِهَا إِلَى أَبِي ثَرَابٍ : أَنَّ هُنَاكَ مَسْجِدًا مِنْ مَسَاجِدِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ تَزْعُمُ الْعَائِدَةُ وَمَنْ لَا خِلَافَ لَهُ ، أَنَّ بِهِ قَبْرَ أَبِي ثَرَابِ النَّحْشَبِيِّ^٢ . وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَقْبَحُ شَيْءٍ فِي الْكُذِبِ . فَإِنَّ أَبَا ثَرَابِ النَّحْشَبِيِّ هُوَ أَبُو ثَرَابِ عَشْكَرَ بْنِ مُحْصِنِ النَّحْشَبِيِّ صَاحِبِ حَاتِمَا الْأَصَمِّ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ الرُّسَالَةِ ، وَمَاتَ بِالْبَادِيَةِ نَهَشْتَهُ السَّبَاعِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ قَبْلَ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ بِنَحْوِ مِائَةِ وَثَلَاثِ سِنِينَ^٣ .

(a) إضافة من مسودة الخطوط . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط . (c) نص المسودة : « هذه الرحبة بأعر حارة يزجوان تشلك منها إلى الخرنشف » .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ١٦ و . الذهبي : سير أعلام النبلاء ١١ : ٥٤٥ - ٥٤٦ ؛ السبكي :

^٢ انظر ترجمته عند أبي نعيم : حلية الأولياء ١٠ : ٤٥٠ - طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ٣٠٦ - ٣٤٤ .

٥١ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ : ٣١٥ - ٣١٨ ؛ ^٣ المقرئ : مسودة الخطوط ١٦ ط .

وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطيب الحزومي^١ خال أمي^٢ - رحمه الله - قبل أن يَخْلُطَ ، قال : أخبرني مؤدِّي الذي قرأت عليه القرآن ، أنَّ هذا المكان كان كُورًا ، وأنَّ شَخْصًا حَفَرَ فيه ليبنى عليه دارًا فَظَهَرَتْ له شَرَفَات ، فما زال يتبع الحفر حتى ظَهَرَ هذا المَسْجِد ، فقال النَّاسُ : هذا أبو تراب من حيثي .

ويؤيد ما قال آلي أَدْرَكْتُ هذا المَسْجِدَ مَحْفُوفًا بالكيمان من جهاته ، وهو نازل في الأرض يُنْزَلُ إليه بنحو عشر دَرَج . وما تَرَجَّ كذلك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبعمئة ، فَتَقَلَّبَتِ الكيمانُ التراب التي كانت هناك حَوْلَهُ ، وَغُمِرَ مكانها ما هنالك من دُور ، وَغُمِلَ عليها دَرَبٌ من بعد سنة تسعين وسبعمئة ، وَزَالَتِ الرَّحْبَةُ والمَسْجِدُ على حاله . وأنا قرأت على بابه في رُحَامَةِ قَدِ نَقِشَ عليها بالقلم الكوفي عِدَّةُ أَشْطَرٍ تَتَضَعْنَ أَنَّ هذا قَبْرُ أَبِي تَرَابٍ حَيْذَرَةُ بنِ المُسْتَشِيرِ باللهِ أَخِي الخُلَفَاءِ الفاطميين . وتاريخ ذلك - فيما أظن - بعد الأربعمئة .

ثم لما كان في سنة ثلاث عشر وثمان مائة ، سَوَّلَتْ نَفْسُ بعض الشُّفَهَاءِ من العامة له أن يتقرب - بِزَعْمِهِ - إلى الله تعالى بهذم هذا المَسْجِدَ ويُعيدَ بناءه . فَجَبَّتِي من النَّاسِ مَالًا شَحَذَهُ منهم ، وَهَدَمَ المَسْجِدَ - وكان بناءً حَسَنًا - وَرَدَّمَهُ بالتراب نحو سبعة أذرع حتى ساوَى الأرض التي تَسْلُكُ المارَّةُ منها وَبَنَاءَ هذا البناء الموجود الآن . وَبَلَغَنِي أَنَّ الرَّحَامَةَ التي كانت على الباب نَصَبُوهَا على شكل قَبْرِ أَخَذْتُوهُ في هذا المَسْجِدَ .

وبالله أَنَّ الفِتْنَةَ بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة بَرْجَوَانِ الذي يُعْرَفُ بِجَعْفَرِ الصَّادِقِ لِعَظِيمَتِهِ^٢ . فَإِنَّهُمَا/ صارَا كالأنصاب التي كان تَتَّخِذُهَا مُشْرِكُو الْعَرَبِ يلجأ إليهما شُفَهَاءُ الْعَامَّةِ والنِّسَاءِ في أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ ، وَيُنْزَلُونَ بهذين الموضعين كُورَهُمْ وَشَدَائِدَهُم التي لا يَمْتَرِلُهَا الْعَبْدُ إِلَّا باللهِ رَئِيهِ ، وَيَسْأَلُونَ في هذين الموضعين ما لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى وَخَدَهُ مِنْ وَقَائِدِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ

(a) بولاق : خال أبي .

وسايت حاله . (الضوء اللامع ٢ : ٢٩٠ ولا توجد ترجمة خال أم المقرئ فيما نُثِيرُ من دُرَرِ المقود الفريدة ، وانظر فيما يلي ٢٧١ ، ٣٢٦ ، ٤٢٣) .

^٢ فيما تقدم ١٥٥ - ١٥٦ .

^١ القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد ابن عبد الوهاب بن الخطيب الحزومي الحنفي خال أم المقرئ . قال السخاوي : ذكره في «عقوده» مُطَوَّلًا ، وقال إِنَّهُ وَلَدَ بالقاهرة في حدود بضع وعشرين وسبع مائة ، ومات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمان مائة بعد أن اختلط وأتلف ماله

جهة معيّنة وطلّاب الولد ونحو ذلك ، ويحملون الثُّدُور من الزَّيْت وغيره إليهما طَعْنًا أَنَّ ذلك يُنْجِيهِم من المكارِه ويَجْلِب إليهم المنافع . ولعَنَري إن هي إلَّا كَرَّةٌ خاسِرةٌ ، والله الحَمْدُ على السَّلامَةِ .

رُجْبَةُ أَرْقُطَاي

- هذه الرُّجْبَةُ بحَاوِزَةِ الرُّومِ ، قُدَّامَ دارِ الأَمِيرِ الحَاجِ أَرْقُطَاي نَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَمِيرِ المِصْرِيَّةِ (a) في الدُّرْبِ المَعْرُوفِ بِدُرْبِ أَرْقُطَاي (a) ١ .

رُجْبَةُ ابْنِ الضَّيْفِ

- هذه الرُّجْبَةُ بِحَاوِزَةِ الدَّيْلَمِ ، وهي من الرُّحَابِ القَدِيمَةِ ، عُرِفَتْ بِالقَاضِي أَمِينِ المَلِكِ إِشْمَاعِيلِ بْنِ أَمِينِ الدَّوْلَةِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ الضَّيْفِ ، وفي هذه الرُّجْبَةِ الدَّارُ المَعْرُوفَةُ بِأَوْلَادِ الأَمِيرِ طَائِفًا (b) الطَّوِيلِ بِجِوَارِ حِجْرِ الرُّصَاصِي . وتُعْرَفُ هذه الرُّجْبَةُ بِحَفْدَانِ البَرَّازِ ، وبابنِ الخَزْرَمِيِّ . ١٠

رُجْبَةُ وَزِيرِ بُغْدَاد

- هذه الرُّجْبَةُ بِدُرْبِ مُلُوحِيَّةٍ ، عُرِفَتْ بِالأَمِيرِ الوَازِرِ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ شِيْزَوِينَ (c) المَعْرُوفِ بِوَزِيرِ بُغْدَادٍ ٢ ، قَدِيمٌ إِلَى مِصرَ يَوْمِ الجُمُعَةِ ثَامِنِ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، هُوَ وَحُسامُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ العَوْرِيِّ الحَنَفِيِّ قَادِمِينَ (d) مِنَ العِراقِ بَعْدَ قَتْلِ مُوسَى مَلِكِ الشَّرِّ . فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ بِإِقْطَاعِ إِقْرَةِ تَقْدِيمَةِ أَلْفِ مَكَانٍ ١٥ (e) الأَمِيرِ طَارِيقًا ٣ عِنْدَ وَفَاتِهِ فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ ثَامِنِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ٣ .

a-a (إضافة من مسودة الخطوط . (b بولاق : طينغا . (c بولاق : شردين . (d بولاق : فارين . (e السلوك : طاريقا .

١ فيما تقدم ١٢١ . السلوك ٢: ١٧٥٥ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥: ٩٩ ؛ أبو
٢ وزير بغداد ، نجم الدين محمود بن علي بن شيزوين
المتوفى مقعولاً بغزة في جمادى الآخرة سنة ٨٧٤٨ /
باب الوزير (فيما تقدم ٢: ٢٦٦ هـ) .
٣ (ابن حبيب : تذكرة النيه ٣: ٩٩ ، المقرئ : السلوك ٢: ٤٣٧ - ٤٣٨ ، أبو المحاسن : =
المقرئ : السلوك ٢: ٤٣٧ - ٤٣٨ ، أبو المحاسن : =

فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقام في الملك من بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر ابن محمد ، قلَّد الوزارة بالديار المصرية للأمير نجم الدين محمود وزير بغداد في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة اثنين وأربعين وسبع مائة ، وتبى له دار الوزارة بقلعة الجبل - وأذكر كناها دار الثيابة - وعمل له فيها سُجَّاكٌ يجلس فيه . وكان هذا قد أبطله الملك الناصر محمد ، وخربت قاعة الصاحب ^١ . فلم يزل إلى أن صُرف في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون عن الوزارة بالأمير ملكشتر الترمجواني في مستهل رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة ، ثم أعيد في آخر ذي الحجة بعد تمتع منه ، واشترط أن يكون جمال الكفاة ناظر الخاص معه صفة مشير ، فأجيب إلى ذلك .

فلما قُضِيَ على جمال الكفاة ، صُرف وزير بغداد ، وولِّي بعده الوزارة الأمير سيف الدين أيتمش الناصري في يوم الأربعاء ثاني عشرين ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ، بحكم استغاثته منها . فباشرها أيتمش قليلاً ، وسأل أن يُغفَى من المباشرة ، فأعفي وذلك لقلَّة المتحصل وكثرة المصروف في الإنعام على الجوّاري والخدم وخواشيهم . وكانت الكلف في كل سنة ثلاثين ألف ألف دينار ، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف بحق ^(أ) النصف . ومرتب الشكر في شهر رمضان كان ألف قنطار ، فتبلغ ثلاثة آلاف قنطار .

رَحْبَةُ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ

هذه الرحبة من غير قاهرة المعز التي وضَّعها القائد جوهر ، وكانت من جملة الفضاء الذي كان بين باب النضر والمصلّى ، فلما زاد أمير الجيوش بذر الجمالي في مقدار الشور ، صارت من داخل باب النضر الآن .

وكانت كبيرة فيما بين الحجر والجامع الحاكمي ، وفيما بين باب النضر القديم وباب النضر الموجود الآن ، ثم بُني فيها المدرسة الفاصدية التي هي تجاه الجامع وما في صفها إلى حمام

(أ) بولاق : نحو .

الجاوولي^١. وَبَنَى فِيهَا الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ الْهَرَمَاسَ - (٨) إمام الجامع الحاكمي - (٩) دَارًا مُلَاصِقَةً لِجِدَارِ الجامع، ثُمَّ هُدِمَتْ كَمَا سَبَأَتِي خَبَرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّورِ^٢.
وَفِي مَوْضِعِهَا الْآنَ الرَّبْعُ وَالْحَوَانِيتُ سِفْلُهُ، وَالْقَاعَةُ الْجَارِي ذَلِكَ فِي أَفْلَاكِ ابْنِ الْحَاجِبِ،
وَأَدْرَكَتْ إِنْشَاءَهَا فِيمَا بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِينَ^(ب). وَهَذِهِ الرَّحْبَةُ تُؤْخَذُ أُجْرَتُهَا لِحِجَّةٍ وَقَفَ الْجَامِعُ^٣.

رَحْبَةُ كَنْبُغَا

هَذِهِ الرَّحْبَةُ مِنْ جَمَلَةِ إِنْشَائِلِ الْحِيزَةِ، وَهِيَ الْآنَ مِنْ شُطْطِ الصَّيَارِفِ، يُشَلِّكُ إِلَيْهَا مِنَ الْجَعْلُونِ الْكَبِيرِ بِشَوْقِ الشَّرَافِيَّيْنَ وَمِنْ شُطْطِ طَوَاجِينِ الْمَلْحِيحِينَ وَغَيْرِهِ^(ج). عُرِفَتْ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ زَيْنِ الدِّينِ كَنْبُغَا، فَإِنَّهَا تَجَاهُ دَارِهِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا وَهُوَ أَمِيرٌ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ، وَسَكَنَهَا بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ فَغَرِقَتْ بِهِ، ثُمَّ حُلَّ وَقُفُّهَا فِي زَمَنَانَا وَبِيعَتْ^٤.

رَحْبَةُ خَوْنَد

هَذِهِ الرَّحْبَةُ بِآخِرِ حَاذِرَةِ زَوِيلَةَ، فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ سُوقَةِ الْمَشْغُودِي، يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مِنْ دَرْبِ الصَّقَالِيَّةِ وَمِنْ سُوقَةِ الْمَشْغُودِي، وَهِيَ مِنَ الرُّحَابِ الْقَدِيمَةِ. كَانَتْ تُعْرَفُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ بِرَحْبَةِ يَاقُوتَ، وَهُوَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَاقُوتَ وَالْيَ قُوصَ، أَخَذَ أَجْلَاءَ الْأَمْزَاءِ.
وَلَمَّا قَامَ طَلَائِعُ بَنِ زُرَّيْكَ بِالْوِزَارَةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، هَمَّ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَاقُوتَ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ، فَجَلَعَ طَلَائِعُ الْمَلِكُ بِالصَّالِحِ بَنِ زُرَّيْكَ ذَلِكَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ وَاعْتَقَلَهُمْ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعِ عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ. فَلَمْ يَزَلْ فِي الْإِعْتِقَالِ إِلَى

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b) بولاق: ثلاثين. (c) بعد ذلك في مسودة الخطوط: هي أيام دار الست خوند طغاي المروفة بأمر أنوك جهة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٧ ظ.
^٢ فيما يلي ٢٥٢.
^٣ هنا على هامش نسخة ص: «عمر الملك الأشرف فأبشي - سلطان زماننا هذا - حوانيت ووكالة يعلوها ربع مستطيل من حد باب الجامع القبلي وإلى الزقاق الذي به بيت
^٤ المقرئ: مسودة الخطوط ١٧ ظ.

أن مات فيه يوم السبت سابع عشر رجب سنة ثلاث وخمسين، فأخرج الصالح أولاده من الاعتقال، وأقرهم وأحسن إليهم^١.

ثم عرفت هذه الرخبة من بعده بولده الأمير ربيع الإسلام محمد بن ياقوت، ثم عرفت في الدولة/ الأيوبية برخبة ابن مقيّد، وهو الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن مقيّد^٢، ثم عرفت برخبة قلّك المسيري، وهو الوزير قلّك الدين عبد الرحمن المسيري وزير الملك العادل أبي بكر بن الكامل بن العادل بن أبي بكر بن أيوب^٣.

ثم عرفت الآن برخبة خوند، وهي الست الجميلة أزدوثكين ابنة نوغية السلاح دار^٤، زوج الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وامرأة أخيه من بعده الملك الناصر محمد، وهي صاحبة الثوبه خارج باب القرافة^٥ (عند جامع الصرّاب المعروفة بثوب الست) وكانت خيرة^٦ لها يّ وصدقات وصلات وطلقها الملك الناصر^٧، وماتت أيّما في سنة أربع وعشرين وسبع مائة^٨.

رَخْبَةُ قَراسْتَقَر

هذه الرخبة برأس حارة بهاء الدين تجاه دار الأمير قراستقر^٩، وبها الآن حوض تشرب منه الدواب^{١٠}.

(a) ياض بالأصل المنقول عنه نحو مسطرون نصف . (b) بولاق : الملك العادل بن أيوب . (c-c) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : العاظم الحنفا ٣ : ٢٣١ .
^٢ أزدوثكين أو أزدوكن أو أزدوكن (مكنا ورد رسم اسمها في المصادر) ابنة نوغية - نوحية - نوكاى بن قطعان ، مغولية الأصل تزوجها السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (وهي أخت زوجة أخيه الملك الصالح علي) إلى أن قُتِل ؛ ثم تزوجها أخوه الملك الناصر محمد سنة ٧٠٠هـ فولدت له ولدا ذكرًا مات وهو صغير سنة ٧١٠هـ ، ثم طلقها الناصر محمد سنة ٧١٧هـ وأُتِرَتْ من القلعة إلى القاهرة

ورثت لها ما يكفيها إلى أن ماتت في المحرم سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، ودفنت بترتيبها خارج باب القرافة (ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٣٧٠ ، المقرئ : السلوك ١ : ١٧١ ، ٩١٧ ، ٩٥٢ ، ١٧٧ : ٢ وفيما يلي ٢٠٥ ، ٣٩٨) .

^٣ المقرئ : مسودة الخطط ١٨ - ظ .

^٤ فيما يلي ١٧١ : ٢٤٣ - ٣٩٠ .

^٥ المقرئ : مسودة الخطط ١٨ - ظ .

رُحْبَةُ بَيْتَرَا بِدَرْبِ مُلُوحِيَّتَا

عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَيْتَرَا^١ لَأَنَّهَا يَجَاهُ دَارِهِ .

رُحْبَةُ الْفَخْرِيِّ بِدَرْبِ مُلُوحِيَّتَا

عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ مَنَّكَلِيِّ بَغَا الْفَخْرِيِّ^٢ صَاحِبِ الثُّوْبَةِ بِظَاهِرِ بَابِ النَّصْرِ ، لَأَنَّهَا يَجَاهُ دَارِهِ^٣ .

رُحْبَةُ سِنْجَرِ

هذه الرُحْبَةُ بِحَاوِزَةِ الصَّالِحِيَّةِ فِي آخِرِ دَرْبِ الْمَنْصُورِيِّ ، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ سِنْجَرِ الْجَمْعُودَارِ عَلَمِ الدِّينِ النَّاصِرِيِّ لَأَنَّهَا يَجَاهُ دَارِهِ^٤ . ثُمَّ عُرِفَتْ بِرُحْبَةِ ابْنِ طُورَغَايِ وَهُوَ الْأَمِيرُ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طُورَغَايِ الْجَاشَنْكِيرِ^٥ ، نَائِبِ طَرَاثُلَسَ^٦ .

رُحْبَةُ ابْنِ عَلْكَانِ

هذه الرُحْبَةُ بِالْجُودَرِيَّةِ فِي الدَّرْبِ الْمَجَاوِرِ لِلْمَدْرَسَةِ الشَّرِيفِيَّةِ ، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ شُجَاعِ الدِّينِ

- ^١ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْتَرَا النَّاصِرِيُّ ، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ/١٣٥٣م . (الصفدي : أعيان العصر ٢ : ١٠٠ ، الوافي بالوفيات ١٠ : ٣٦٤) المقرئ : المقفى الكبير ٢ : ٥٨١ ، السلوك ٢ : ٩٠٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٩٤) .
- ^٢ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ عَنَّكَلِيِّ بَغَا الْفَخْرِيِّ النَّاصِرِيُّ ، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ/١٣٥٣م . (الصفدي : أعيان العصر ٥ : ٤٥٣ - ٤٥٤ ، المقرئ : السلوك ٢ : ٨٨٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ١٣٦ ، أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢ : ٢٤٥) .
- ^٣ المقرئ : مسودة الخطوط ١٣ ط .
- ^٤ الأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرِ الْجَمْعُودَارِ ، أَحَدُ مُقَدِّمِي الْأَوَلَفِ أَتْرَاءَ الْمُهَيَّنِّ ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَشَايِخِ أَتْرَاءَ الْمَشُورَةِ الدِّينِ يَجْلِسُونَ بِحَضْرَةِ الشُّلْطَانِ ، تَوَفَى سَنَةَ ١٣٤٤هـ/١٣٤٤م . (الصفدي :
- أعيان العصر ٢ : ٤٦٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٢٧٠) .
- وَالْجَمْعُودَارِ ، (وَيُقَالُ أَيْضًا يَجْمَعُودَارٌ أَوْ يَشْتَقِدَانِ لِقَطْعِ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ بِحَمَلِ ثَمَلِ الشُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ عِنْدَ خَلْعِهِ لِلصَّلَاةِ) . (القلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٣٠٤-٣٠٥) .
- ^٥ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُورَغَايِ الْجَاشَنْكِيرِ النَّاصِرِيُّ ، المتوفى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م . (الصفدي : أعيان العصر ٢ : ٥٧٨-٥٧٩ ، الوافي بالوفيات ١٦ : ٤٢٥-٤٢٦ ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣ : ٥٦ ، الشجاعى : سيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون ٤١ ، ٢٦٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٣١٧ ، أبو المحاسن : المنهل الصافي ٦ : ٣٧٩ ، النجوم الزاهرة ١٠ : ١٠٧) . وَطُورَغَايِ اسْمٌ طَقِيرٌ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ .
- ^٦ المقرئ : مسودة الخطوط ١٤ ط .

عثمان بن علكان الكردي زَوْج ابنة الأمير يازكوج الأسدي ، وبابنه منها الأمير أبو عبد الله سيف الدين محمد بن عثمان ، وكان خَيْرًا استشهد على غَزَاة بيد الفِرَج في غَزَاة شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وست مائة ، وكانت داره ودار أبيه بهذه الرخبة ^١ .

ثم عُرِفَتْ بعد ذلك برخبة الأمير عَلم الدين سنجَر الصَّالِحِي الصَّالِحِي ^٢ .

رَخْبَةُ أَرْدَمَرِيَا بَخْوَرِيَّة

هذه الرخبة بالدرب المذكور أعلاه ، عُرِفَتْ بالأمير عز الدين أَرْدَمَرِيَا الأَعْمَى الكاشِف ^٣ (ب) والي الولاية بالوجه البحري ^٤ لأنها كانت أمام داره ^٥ .

رَخْبَةُ الْأَخْنَائِي

هذه الرخبة فيما بين دار الدياج والوزيرية بالقرب من خُوخَة أمير حُسَيْن ، عُرِفَتْ بقاضي القضاة بُزْهَان الدِّين إبراهيم بن قاضي القضاة عَلم الدين محمد بن أبي بَكْر بن عيسى بن بَدْرَان الْأَخْنَائِي ^٦ المَالِكِي ^٧ لأنها تجاه داره . وقد عُمِّرَ عليها دَرْبٌ في أَعْوَامِ بضع وتسعين وسبع مائة ^٨ .

(a-a) إضافة من مسودة الخطط . (b) بولاق : الإخنائي .

^١ المقرئزي : مسودة الخطط ١٤٠١ .

^٢ المقرئزي : مسودة الخطط ١٤٠١ .

^٣ القاضي بُزْهَان الدِّين إبراهيم بن محمد الْأَخْنَائِي المَالِكِي ، ولي القضاء في صفر سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦١م ، واستمر إلى أن توفي في الثامن من رجب سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٦م . (ابن حجر : رفع الإصر ٣٤-٣٥ ، الدرر الكامنة ١: ٦٠-٦١) .
^٤ المقرئزي : مسودة الخطط ١٤٠١ ، وسماعها في المسودة : رجة المالكِي .

^٥ الأمير عَلم الدين سنجَر الصَّالِحِي الدَّوَادَار ، المتوفي سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م . (أبو المحاسن : المنهل الصافي ٦: ٧٣) .
^٦ الأمير عز الدين أَرْدَمَرِيَا الأَعْمَى الكاشِف ، مملوك الأمير أَلْمَس ، عمي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م وتوفي سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م . (المقرئزي : المقفى الكبير ٢: ٣٦-٣٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٣٧٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٢٤-٢٢٨) .

رَحْبَةُ باب اللُّوق

رحابُ باب اللُّوق خَمْسُ رَحَابٍ يُطْلَقُ عَلَيْهَا كُلُّهَا الآن رَحْبَةُ باب اللُّوق ، وبها تجتمع أَصْحَابُ الْحِلْقِ وَأَزْبَابُ الْمَلَاعِيبِ^(a) ١ والخِرَاف ، كالمشعبدين والمُخَابِلِينَ والحَوَاةَ والمُتَأَقِّقِينَ^(b) والمُصَارِعِينَ^(c) وغير ذلك ، فَيَحْشُرُ هُنَاكَ مِنَ الْخَلَائِقِ لِلْفُرْجَةِ وَلَعَمَلِ الْقَسَادِ مَا لَا يَنْحَصِرُ كَثْرَةً .

وكان قبل ذلك ، في حدود ما قبل الثمانين وسبع مائة من سِنِي الهِجْرَةِ^(d) ، إِثْمًا تجتمع النَّاسُ^(e) لذلك في الطُّرُقِ الشَّارِعِ الْمَسْلُوكِ مِنْ جَامِعِ الطَّبَاحِ بِالْخُطِّ الْمَذْكُورِ إِلَى قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ^(f) ٢ .

رَحْبَةُ الثَّيْن

١٠ هذه الرَّحْبَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ رَحْبَةِ باب اللُّوق ، فِي بَحْرِي مُنْشَأَةِ الْجَوَانِيَةِ ، شَارِعَةٍ فِي الطُّرُقِ الْعَظْمَى الْمَسْلُوكِ فِيهَا مِنْ رَحْبَةِ باب اللُّوق إِلَى قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا الشَّالِكُ مِنْ عِدَّةِ جِهَاتٍ .

وكانت هذه الرَّحْبَةُ قَدِيمًا تَقِفُ فِيهَا الْجِمَالُ بِأَحْمَالِ الثَّيْنِ لُتْبَاعِ هُنَاكَ ، ثُمَّ اخْتُطَّتْ وَغُمِّرَتْ ، وَصَارَتْ بِهَا سُوَيْقَةٌ كَبِيرَةٌ عَامِرَةٌ بِأَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ . وَالْخُطُّ إِثْمًا يُعْرَفُ بِرَحْبَةِ الثَّيْنِ ، (وَأَذَرَكْنَا هَذَا الْخُطَّ فِي غَايَةِ الْعِمَارَةِ^(g) وَقَدْ خَرِبَ^(h) أَكْثَرُهُ فِي الْحِجْنِ الْكَائِنَةِ مِنْ⁽ⁱ⁾ ١٥ سَنَةٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ^(j) ٣ .

(a) بولاق : الملاعب . (b) بولاق : المتأققين . (c) إضافة من مسودة الخطط . (d) العبارة في مسودة الخطط : وكان قبل زمننا هذا بنحو ثلاثين سنة في حدود الثمانين وسبع مائة وما قبلها . (e) مسودة الخطط : الخلق . (f) هنا في هامش أباصوفيا : بياض اثنا عشر سطرا . (g-g) إضافة من مسودة الخطط .

٢ المقريري : مسودة الخطط ١٨ ظ .

٣ نفسه ١٩ و .

١ عن الملاعب وأنواعها ، انظر دراسة نبيل محمد عبد العزيز : الملاعب في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة - مكتبة الأجلو المصرية ٢٠٠٢ .

رَحْبَةُ النَّاصِرِيَّةِ

هذه الرَّحْبَةُ كانت فيما بين الميِّدان السلطاني والبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ أيام كانت تلك الخِطَّةُ عامِرَةً . وكان يَتَّقَى في ليالي أيام رُكُوب السلطان إلى الميِّدان في كُلِّ سَنَةٍ من الاجتماع والأُنس ما سَتَقِف على بعض وَصْفِهِ عند ذِكْرِ المنزهات إن شاء الله فيما يلي . وقد خَرِبَت الأماكن التي كانت هناك ، ومُجِهَلَت هذه الرَّحْبَةُ إِلَّا عند القليل من النَّاس^١ .

رَحْبَةُ أَرْغُونِ أَرْكَه

والعائَةُ تقول رَحْبَةُ أَرْكَه يباء . وهي رَحْبَةٌ كَبِيرَةٌ (أمام دار الأمير أَرْغُونِ أَرْكَه^٢) بالقرب من البِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ (بجوار جامع الإسماعيلي شارعًا على طَرِيق من سَلَك من قَنَايِر السَّبَاع وميِّدان المهارى إلى الميِّدان الكبير ، وكان خُطًّا عامِرًا به بِسُوقَةٍ كَبِيرَةٍ وقد خَرِبَ فيما خَرِبَ بعد سِتِّ وثمان مائة^٣) . وهذه الرَّحْبَةُ وما حَوَّلَهَا من جَمَلَةٍ بُشْتَان الزُّهْرِي الآتِي ذَكَرَهُ إن شاء الله في الأَحْكَار^٤ ، وعُرِفَت بِالْأَمِيرِ أَرْغُونِ أَرْكَه^٥ .

١-٢ (إضافة من مسودة الخطط) .

٢ فيما يلي ٣٧٨ - ٣٨١ .

٣ المقرئ : مسودة الخطط ١٩٠ ، وفيما يلي ٥٤٩ ،

٤ المقرئ : مسودة الخطط ١٩٠ و- ظ .

ذِكْرُ الدُّورِ

قال ابن سيده: الدَّارُ المحلُّ يَجْمَعُ البناءَ، والعَرْصَةُ أُنْثَى [قال ابن جني]^(a): هي من دارٍ يَدُورُ لكثرة حركات الناس فيها، والجمعُ أَذُورٌ وَأَذُورٌ، وديارٌ وديارةٌ ودياراتٌ وديرانٌ ودُورٌ ودُوراتٌ؛ والدَّارَةُ لغةٌ في الدَّارِ، والدَّارُ البلدُ^١.

والبيتُ من الشعر ما زاد على طريقةٍ واحدةٍ، وهو مُذَكَّرٌ يقع على الصغير والكبير، وقد يُقال للمبتنى من غير الأبنية التي هي الأخبية بيتٌ. وجمع البيت أَيْتاتٌ وأبايتٌ وبيوتٌ وبيوتاتٌ^٢. والبيتُ أخصُّ من الدَّارِ، فكلُّ دارٍ بيتٌ ولا ينعكس.

ولم تكن العربُ تعرِفُ البيتَ إلَّا الحِباءَ. ثم لما سَكَنُوا القُرى والأَمْصارَ وبَنَوْا بالمَكْرِ واللَّينِ، سَمَّوْا مَنَازِلَهُم التي سَكَنُوهَا دُورًا وبيوتًا.

وكانت القُرى لا تُبيحُ سَريَفَ البُنيانِ، كما لا تُبيحُ سَريَفَ الأشْماءِ، إلَّا لأهل البيوتات، كَصَنِيعِهِمْ في التَّوَارِيسِ والحَمَّاماتِ والقيابِ الخُضرِ والشُّرفِ على حيطانِ الدَّارِ، وكالْعَقْدِ على الدُّهْلِيِّزِ^(b)^٣.

(a) زيادة من ابن سيده. (b) هنا في هامش أباصوفيا: يياض نحو خمسة عشر سطرا.

A., «Les salles nobles des Palais mamlouks», *An. Isl.* XI (1972), pp. 1-22; Revault, J. & Maury, B., *Palais et Maisons du Caire du XIV^e - XVIII^e siècles*, I-IV, IFAO - Le Caire 1975-82; Revault, J., «L'architecture domestique du Caire à l'époque mamelouke (XIII^e - XVI^e siècles)», dans *Palais et Maisons du Caire I. Époque mamelouke* CNRS-Paris 1982, pp. 19-142; Ibrahim, L. "A., «Residential Architecture in Mamluk Cairo», *Muqarnas* II (1984), pp. 47-59; Shams al-Dîn, H. A., *Maqriẓi and Khitat. A Verisication of the Section on Dârs*, Ph. D. Thesis AUC 2001.

^١ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ١٠: ١٢١-١٢٢.

^٢ نفسه ١٠: ٢٠٩، ٢١٠.

^٣ عن دور مصر أو بيوت القاهرة وقصورها وتخطيطها وفننستها في العصر الإسلامي، راجع الدراسات الآتية: Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte*, Paris 1921; Pauty, Ed., *Les Palais et les Maisons d'époque musulmane au Caire*, MIFAO Le Caire 1932؛ عباس حلمي: تطوُّر المسكن المصري الإسلامي من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٨، Lézine.

دَارُ الْأَحْمَدِي

هذه الدار من جملة حارة بهاء الدين، وبها مُشترَف عالٍ فوق بَدَنَة من بَدَنَات سُور القَاهِرَة، يُنْظَرُ منه أرض الطَّيَالَة/ وخارج باب الفُتُوح، وهي إحدى الدُّور الشهيرة، عُرِفَتْ بِالْأَمِير بَيْزَس الْأَحْمَدِي^١.

بَيْزَس الْأَحْمَدِي - رُكْنُ الدِّين أمير جَانْدَار^٢: تنقَّل في الخِدْم أَيْامَ الْمَلِك النَّاصِر مُحَمَّد بن قَلَاوُون إلى أَنْ صَارَ أَمِير جَانْدَار أَحَدَ الْمُقَدِّمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، قَوِيَ عَزْمُ قَوْضَوْن عَلَى إِقَامَةِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ أَبِيهِ وَخَالَفَ بَشْتَاك. فَلَمَّا نُسِبَ الْمُتَّصِرُ إِلَى اللَّيْب، حَضَرَ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ وَقَالَ: إِيْش^٣ هَذَا اللَّيْب^٤!

فَلَمَّا وَلِيَ النَّاصِرُ أَحْمَدُ أَخْرَجَهُ لِنِيَاةٍ صَفَدَ، فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً. ثُمَّ أَحْسَسَ مِنَ النَّاصِرِ أَحْمَدُ بِشُوءٍ، فَخَرَجَ مِنْ صَفَدَ بِعَسْكَرِهِ إِلَى دِمَشْقَ وَلَيْسَ بِهَا نَائِبٌ، فَهَمَّ الْأَمْرَاءُ بِإِمْسَاكِهِ، ثُمَّ أَخْرَوْا ذَلِكَ وَأَرْسَلُوهُ إِلَيْهِ الْإِقَامَةَ، فَقَدِمَ التَّيْرُودُ مِنَ الْقَدِّ بِإِمْسَاكِهِ. فَكَتَبَ الْأَمْرَاءُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى السُّلْطَانِ يَشْفَعُونَ فِيهِ، فَعَادَ الْجَوَابُ بِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَنَهَبَ مَالَهُ وَقَطَعَ رَأْسَهُ وَأَرْسَلَهُ، فَأَتَبَوْا مِنْ ذَلِكَ، وَخَلَقُوا الطَّاعَةَ، وَشَقُّوا عَلَيْهِ^٥ جَمِيعًا فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ وُزُودِ الْخَبَرِ مِنْ مِصْرَ بِخَلْعِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ، وَإِقَامَةِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ فِي الْمَلِكِ بَدَلَهُ، وَالْأَحْمَدِيُّ مُقِيمٌ بِقُصْرٍ تَنْكِزُ مِنْ دِمَشْقَ. فَوَزَدَ عَلَيْهِ مَرْسُومٌ بِنِيَاةٍ طَرَائِلُسَ فَوَجَّهَهُ إِلَيْهَا وَأَقَامَ بِهَا نَحْوَ الشَّهْرَيْنِ، ثُمَّ طُلِبَ إِلَى مِصْرَ فَسَارَ إِلَيْهَا، وَأَخْرَجَ لِحَاصِرَةِ أَحْمَدَ بِالْكَرْكِ، فَحَصَرَهُ مُدَّةً وَلَمْ يَتَلَّ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَالِثَ عَشَرَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ نَحْوُ الثَّمَانِينَ سَنَةً.

(a) بولاق: أي شيء. (b) بولاق: وشقوا العصا جميعًا.

^١ هنا على هامش نسخة ص: «خَرِبَتْ الْآذَانُ». ^٢ الأَمِيرُ رُكْنُ الدِّين بَيْزَس الْأَحْمَدِي، المتوفى سنة ٨١٠هـ/١٤١٠م. (الصفدي: أعيان العصر ٨١:٢-٨٢، ٤٨١، النجوم الزاهرة ١٠:١٤٣). ^٣ انظر فيما تقدم ١٠٠. ^٤ هنا على هامش نسخة ص: «خَرِبَتْ الْآذَانُ». ^٥ الأَمِيرُ رُكْنُ الدِّين بَيْزَس الْأَحْمَدِي، المتوفى سنة ٨١٠هـ/١٤١٠م. (الصفدي: أعيان العصر ٨١:٢-٨٢، ٤٨١، النجوم الزاهرة ١٠:١٤٣). ^٦ انظر فيما تقدم ١٠٠.

وكان أخذ الأبطال الموصوفين بقوة النفس، وشدة العزم، ومحنة الفقراء، وإيثار الصالحين، وله تماليك قد عرّفوا بالشجاعة والتجدة، وكان ممن يُفتدى برأيه، وتتبع آثاره لمعرفة بالأنام والوقائع. وما برحت ذُرَيْتُهُ بهذه الدار إلى الآن، وأظنها موقوفة عليهم.

دَارُ قَرَأَشْتَقَر

- هذه الدار برأس حارة بهاء الدين، أنشأها الأمير شمس الدين قرأشتقر^١ وبها كان سكنته، وهي إحدى الدور الجليّة، ووُجد بها في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة لما أُحيط بها اثنان وثلاثون ألف ألف دينار، ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة، وسُروج مُذهّبة وغير ذلك. فحُجِّلَ الجميع إلى بيت المال.

- ١٠ ولم تزل جارية في أوقاف المدرسة القراشتقرية إلى أن اغتصبها الأمير جمال الدين يوسف الأشتادار فيما اغتصب من الأوقاف، وجعلها وفقًا على مدرسته التي أنشأها برحبة باب العيد. فلما قتل الملك الناصر قرج بن يزوق، ازتمج جميع ما خلفه وصار في جملة الأموال السلطانية. ثم أفرد من الأوقاف التي جعلها جمال الدين على مدرسته شيئًا، وجعل باقيها لأولاده وعلى تربيته التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر يزوق بالصخراء تحت الجبل خارج باب النصر^٢. فلما قُتِلَ الملك الناصر قرج، صارت هذه الدار بيد الأمير طوغان الدودار^٣؛ وكانوا كساري من ساري^٤.

وما من قتيل يُقتل إلا وعلى ابن آدم الأول كُفِّلَ منه؛ لأنه أول من سن القتل.

^١ الأمير شمس الدين قرأشتقر الجوكندار المنصوري، المتوفى سنة ١٣٢٨هـ/١٧٢٨م. (انظر ترجمته فيما يلي ٣٨٨:٢-٣٩٠).

^٢ انظر فيما يلي ٤٦٤:٢.

^٣ الأمير سيف الدين طوغان الحسني الظاهري الدودار الكبير المعروف بالحنون، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. (ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٨١؛ أبو الحسن: المهمل الصافي ٤٠٨:٢).

^٤ انظر كذلك تعليق القريري على بناء المارستان

وَارِثَةُ الْبَلْقَيْنِي

هذه الدار تجاه مدرسة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني من حارة بهاء الدين^١، أنشأها قاضي قضاة العسكر^٢ بذر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، ومات في يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ولم تكمل. فاشترها أخوه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ السلام وكملها، وبها الآن سكنته، وهي من أجل دور القاهرة صورة ومعنى.

وقد ذكرت الأخوين وأبائهما في كتابي المنقوت بـ «دور العقود القريبة في تراجم الأعيان المفيدة» فانظر هناك أخبارهم^٣.

وَارِثَةُ مَنكُوتَر

هذه الدار بحارة بهاء الدين بجوار المدرسة المنكوترية. أنشأها الأمير منكوتَر نائب السلطنة بجوار مدرسته الآتي ذكرها عند ذكر المدارس إن شاء الله تعالى^٢، وهي من الدور الجليّة، وبها إلى اليوم بعض دُرّيته، وهي وقفت.

(a) بولاق: العساكر.

١٤٢١م عند ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة ٢٨٥-٢٨٦، رفع الإصر ٢٢٦-٢٢٩ وفيه ذكره الشيخ تقي الدين المقرئ في «دور العقود القريبة في تراجم [الأعيان] المفيدة» فلم يسط ترجمته كما يسط ترجمة غيره، وإنما اقتصر على ما يتعلق بولائاته مع إجناف كثير، إنشاء الفهر ٢٥٩:٣-٢٦٠:١ السخاوي: الضوء اللامع ١٠٦:٤-١١٣:١ السيوطي: حسن المحاضرة ٤٣٨:١-٤٣٩:٢، ١٧٢:٢-١٧٤، وانظر كذلك أها المحاسن: المنهل الصافي ٨: ٢٨٧.

٣ فيما يلي ٢: ٣٨٧.

١ ذكر المقرئ في مسودة الخطوط ٩٨ في المدرسة البلقينية فقال: «بناها شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص عمر بن رسلان سراج الدين البلقيني مجتهد العصر في ٤٠٠٠... ولم يرد على ذلك».

٢ لم ترد تراجم الأخوين محمد بن عمر وعبد الرحمن ابن عمر وأبيهما عمر بن رسلان البلقيني فيما وصل إلينا من «دور العقود القريبة».

وانظر ترجمة القاضي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني، توفي سنة ٨٢٤هـ/

دار المظفر

هذه الدار كانت بحارة بروجوان ، أنشأها أمير الجيوش بَنَدُ الجَمَالِي وسَكَنَهَا^١ إلى أن مات .
فلما وَلِيَ الوِزَارَةَ من بعده ابنه الأَفْضَل بن أمير الجيوش وسَكَنَ دارَ القِيَاب التي عُرفت بدار الوِزَارَةَ
- وقد تَقَدَّمَ ذكرها - صارَ أخوه المَظْفَرُ أبو محمد جَعْفَرُ بن أمير الجيوش بهذه الدار فَعُرِفَتْ به ،
وقيل لها دارُ المَظْفَرِ ، وصارت من بعده دارَ الضِيَاةِ كما مرَّ في هذا الكتاب^١ .

وآخر ما أعرفه أنَّها كانت رَينًا وخمائمًا وخرائب ، فسَقَطَ الرَينُ بعد سنة سبعين وسبع مائة ،
وكانت الخمائم قد خَرِبَتْ قبل ذلك ، فلم تَزَلْ خرابًا إلى سنة ثمان وثمانين وسبع مائة . فشرع
قاضي القضاة شَمْسُ الدِّين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرَائِلسِي الحَنَفِي^٢ في عِمَارَتِهَا ، فلما
حَفَرَ أساسَ جدارِهِ القِبْلِيِّ ، ظَهَرَ تحت الرُومِ عَتَبَةٌ عَظِيمَةٌ من حَجَرِ صَوَانٍ مَائِعٍ يُشَبِّه أن يكون عَتَبَةٌ
دار المَظْفَرِ . وكان الأميرُ جِهَازُ كَمَسِ الحَلِيلِي إذ ذاك يتولَّى عِمَارَةَ المَدْرَسَةِ التي أنشأها الملكُ الظَّاهِرُ
بَرْقُوق بِحُطِّ بَيْتِ القَضَرَيْنِ ، فبَعَثَ بالرجال لهذه العَتَبَةِ وتكاثروا على جَرِّهَا إلى العِمَارَةِ ، فجَعَلَهَا
في المَزْمَلَةِ التي تَشْرَبُ منها النَّاسُ الماءَ بِيَهْلِيْزِ المَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ^٣ .

وَكَمَّلَ قاضي القضاة شَمْسُ الدِّين بناءَ دارِهِ حيث كانت دارُ المَظْفَرِ ، فجاءَتْ من أحسن دُورِ
القَاهِرَةِ ، وَتَحَوَّلَ إليها بأَهْلِهِ ، وما زالَ فيها حتى ماتَ بها - وهو متعلِّدٌ وَطِيفَةٌ قَضَاءُ/ القضاة الحَنَفِيَّةِ
بالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ - في ليلة السبت الثامن عشر من ذي الحِجَّةِ سنة تسع وتسعين وسبع مائة ، وله من
العُمُرِ سبعون سنةً وأشهر .

ومولده بطرَائِلسِ الشَّامِ ، وَأَخَذَ الفِقهَ على مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ - رحمه الله - عن جماعَةٍ من
أَهْلِ طرَائِلسِ ، ثم خَرَجَ منها إلى دِمَشْقَ ، فقرأَ على صَدْرِ الدِّين محمد بن مَنصُور الحَنَفِي ،
وَوَصَلَ إلى القَاهِرَةِ وقاضي الحَنَفِيَّةِ بها قاضي القضاة جمالُ الدِّين عبد الله التُّرْكُمَانِي ، فَلَازَمَهُ

(a) ساقطة من بولاق .

^١ فيما تقدم ٤٣٨:٢-٤٣٩ ، ٥٠٨-٥٠٩ المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢: ١١٥٧ الصيرفي : نزعة النفوس
المقريزي : مسودة المواعظ ١٣٣ ، وفيما تقدم ١٥٦ . والأبدان ١: ٤٥١ .

^٢ انظر ترجمته عند ، المقريزي : السلوك ٣: ٨٨٥ ابن حجر : رفع الإصر ٣٣٨ ، إنباء الغمر ١: ٥٣٩ أبي
المقريزي : مسودة المواعظ ١٣٤ ، ٤٥٠-٤٥١ .

وولاه العقود، وأجلّسه ببعض حوانيت الشهود، فتكسب من^(a) تحمّل الشهادة مدّة، وقرأ على قاضي القضاة سراج الهندي^(b) ولازمه، فولاه نيابة القضاء بالشارع، فباشرها مباشرة مشكورة، وأجازته العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي بالإفتاء والتدريس.

فلما مات صدّر الدين بن منصور، قلّده الملك الظاهر برفوق قضاء القضاة مكانه في يوم الاثنين ثاني عشرين شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وسبع مائة. فباشّر القضاء بعقّة وصيانة وقوّة في الأحكام لها النّهاية، ومهابة وحزمة وضوّة تُذعن لها الخاصّة والعامة، إلى أن صرف في سابع عشر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبع مائة بشيخنا قاضي القضاة مجدّ الدين إسماعيل ابن إبراهيم التركماني. فلم يزل إلى أن عزل مجدّ الدين، وولّي من بعده قاضي القضاة وناظر الجيوش جمال الدين محمود القيصري، وهو ملازم دازه وما يده من التدريس، وهو على حال خسيمة ونجيلة^(c) من الكافة، إلى أن استدعاه السلطان في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبع مائة، فقلّده وظيفة القضاء عوضاً عن محمود القيصري، فلم يزل حتى مات من عايمه، رحمه الله تعالى.

وهذه الدار على يئسرة من سلّك من باب حازة بزجوان طاليتا المسجد المسمى بجعفر؛ وأما الحمام فإنها في مكانها اليوم ساحة بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين. ومن جملة حقوق دار المظفر رغبة الأقبال وحذرة الزاهداني إلى الدار المعروفة بسكنى^١ قريتا من حمام الرومي^٢.

(a) بولاق : من . (b) بولاق : سراج الهدى . (c) بولاق : حسنة وتجلد .

^١ ذكر أبو المحاسن يوسف بن تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرزي المقرزي - أنه سمع كتاب «فضل الخيل» للحافظ شرف الدين الدمشقي بمنزل المقرزي بحازة بزجوان قبل وفاة المقرزي بأقل من شهر، يقول : «وقد سمعت أنا هذا الكتاب بقراءة الحافظ قطب الدين [محمد بن محمد بن عبد الله] القيصري في أربع مجالس آخرها في سلخ شعبان سنة خمس وأربعين وثمان مائة بالقاهرة في منزل المقيم بحازة بزجوان على الشيخ الإمام العلامة المحدث عمدة المؤرخين [مؤرخ الديار

المصرية] تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرزي الشافعي، بسماعه جميعه على الشيخ المسند ناصر الدين محمد بن علي بن يوسف بن الطيّار الحاروي، بسماعه جميعه من مؤلفه الحافظ أبي محمد الدمشقي (المتنيل الصافي) ٣٧٢:٧-٣٧٣، التجوم الزاهرة ٨: ٢١٩. وعن محمد موضع دار المقرزي بحازة بزجوان، انظر فيما تقدم ٣٧:١ - ٣٩.

^٢ النص في مسودة الخطوط ١٣٥: «موضع دار المظفر»

قازاين عبد العزيز

هذه الدار بحارة بوجوان ، على يمتة من سلك من باب الحارة طاليا حثام الرومي ، وهي أيضا من جملة دار المظفر . كانت طاحونا ثم خربت ، فابتدأ عمارتها فخر الدين أبو جعفر محمد ابن عبد اللطيف بن الكونك ناظر الأخباس^١ ، ومات ولم تكمل . فصارت لامرأته وابنة عمته تحديجة ، فماتت في رجب سنة اثنتين وستين وسبع مائة ، وقد تزوجت من بعده بالقاضي الرئيس بذر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي بن عبد الله بن سيدهم اللخمي الششراوي^٢ ، فانتقلت إليه ، ومات في سنة أربع وسبعين وسبع مائة في العشرين من جمادى الأولى^٣ . وورثه من بعد موته كريم الدين ابن أخيه - وهو عبد الكريم بن أحمد ابن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبي طالب بن علي بن عبد الله بن سيدهم ، ومات آخر ربيع الأول سنة سبع وثمان مائة عن سبعين سنة^٤ ، وولي نظر الجيوش بديار مصر للطاهر بوقوق - فباعها لقرية شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز فكملها^٥ وسكنها مدة طويلة إلى أن باعها في سنة خمس وتسعين وسبع مائة بالفي دينار ذهبا لحوندا فاطمة ابنة الأمير منجك ، فوَقَّعَتْهَا على عُتَقَائِهَا . وهي إلى اليوم بيدهم ، وتُعرف ببيت ابن عبد العزيز المذكور لطول سكّنه بها . وكان خيرا عارفا يلي كتابة ديوان الجيش وعدة مُبَاشَرَات ، ومات ليلة الثاني عشر من صفر سنة ثمان وتسعين وسبع مائة^٦ .

(a) بولاق : النجمي السيرواني . (b) بولاق : وكملها .

(المقريزي : السلوك ٣ : ٩٩ ، ١٦٨) .

^٢ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ١٠١ - ١٠٢ .

^٣ ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ١٥٧ - ١٥٨ ، إنشاء الغمر ٢ : ٣٠٦ - ٣٠٧ ، أبو الهاسن : المنهل الصافي

٣٣٣ : ٣٣٤ ، السخاوي : الضوء اللامع ٤ : ٣٠٧ .

^٤ ابن حجر : إنشاء الغمر ١ : ٥٢٠ .

«الدار المعروفة الآن بدار قاضي القضاة شمس الدين الطرابلسي الحنفي وما جاور بناءها بمكة وسرة . ومن حقوقها الدار التي أنا بها وما خلف داري من الدور والساكن التي تُعرف برحبة الأقبال وخدوة الزاهدي» .

^١ قَفَرُ الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكونك ناظر الأخباس ، المتوفى سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م .

دار الجَمْع

هذه الدار على بَشْرَة من سَلَك من باب حازة بَرْجوان تحت القَبْو طاليتا حَتَام الرُّومي، عُرِفَت بالأمر عَلَم الدِّين سِنَجَر الجَمْعَدَار من الأُمراء البُرْجِيَّة، وَقَدَّمَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّد تَقْدِيمَةً أَلْفَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنَ الْكَرْكِ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى الشَّامِ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ حَضَرَ قُطْلُوْبُقَا الْفَخْرِي فِي نَوْبَةِ أَحْمَدَ بِالْكَرْكِ، فَحَضَرَ مَعَهُمْ وَاسْتَقَرَّ عَنْهُ^٥ الأُمراءُ بِالْأَمْرِ الْمِصْرِيَّة إِلَى أَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَقَدْ كَبِّرَ وَارْتَقَشَ، وَكَانَ رُومِيًّا أَلْفًا^١.

ثُمَّ صَارَتْ لِخَالِدِ بْنِ الزُّرَّادِ الْمُقَدَّمِ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ وَمَاتَ فِي ثَانِي عَشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ تَحْتَ الْمَقَارِعِ، ارْتَجَعَتْ عَنْهُ لِدِيَانُ الشُّلْطَانِ حَسَنَ، فَصَارَتْ فِي يَدِ وَرَثَتِهِ إِلَى أَنْ بَاعَ بَعْضُ أَوْلَادِهِ أَشْهُمَا مِنْهَا، فَاشْتَرَاهَا الْأَمِيرُ سُودُونُ الشُّيْخُونِي نَائِبُ الشُّلْطَانَةِ^٢. ثُمَّ تَنَقَّلَتْ - وَبَعْضُهَا وَقَفَ بِيَدِ أَوْلَادِ الشُّلْطَانِ حَسَنَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ - إِلَى أَنْ مَلَكَ مَا تَمَلَّكَ مِنْهَا بِالشُّرَاءِ قَاضِي الْقَضَاةِ عِمَادُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى الْكَرْكِي^٣ وَسَكَنَهَا إِلَى أَنْ سَافَرَ، فَصَارَتْ مِنْ بَعْدِهِ لَوَرَثَتِهِ، فَبَاغَوْهَا لِلشُّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ الْقِمْنِيِّ، وَهِيَ بِيَدِهِ الْآنَ.

(٥) بولاق: من -

^١ قاضي القضاة عماد الدين أبو القباس أحمد بن عيسى ابن موسى بن عيسى بن سليم العائري الأزرق المقيري الكركي، المتوفى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م. (المقريزي: السلوك ٣: ٩٧٤، المقفى الكبير ١: ٥٥٥-٥٥٧، ابن حجر: رفع الإصر ٦٦-٦٨، إنباء الغمر ٢: ٦٠-٦٢، ذيل الدرر الكامنة ٦٥-٦٦، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٥٤-٥٥، النجوم الزاهرة ١٣: ٣، السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٦٠-٦١).

^٢ انظر عن الأمير عَلَم الدِّين سِنَجَر الجَمْعَدَار فيما تقدم ١٦٥.

^٣ الأمير سيف الدين سودون الشُّيْخُونِي الْفَخْرِي نَائِبُ الشُّلْطَانَةِ بِالدَّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، المتوفى سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م. (ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٤٤٧، المقريزي: السلوك ٣: ٨٦٥، ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٥١٧، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ١٠٤-١٠٩، النجوم الزاهرة ١٢: ١١٥١، الصيرفي: نزعة النفوس ١: ٤٣٤).

دار أقوش الرومي بحارة بزجوان

هذه الدار من أجل دور القاهرة، وبابها من نحاس يدعى الصنعة يُشبه باب المارستان المنصوري، وكان تجاهها إسطنبول كبير يعلوه رنق فيه عدة مساكن، عُرفت بالأمير جمال الدين أقوش الرومي السلاح دار الناصري^١، وتوفى سنة خمس^٢ وسبع مائة، وهي إمّا وقفه على تربيته بالقرافة، وقد خرب إسطنبولها وعلوه وبيع نقض ذلك، وتداعت الدار أيضًا للشقوط فأبيعت ألقاضًا، وصارت من جملة الأملاك^٣.

دار بنت السعيدى

هذه / الدار بحارة بزجوان، عُرفت بقاعة خيفة بنت السعيدى إلى أن اشتراها شهاب الدين أحمد بن طوغان دؤادار الأمير سودون الشيوخوني نائب السلطان في سنة تسع وتسعين وسبع

(a) بولاق : سبع، وفي المقتى والدرر الكانة : تسع.

^١ الأمير جمال الدين أقوش الرومي السلاح دار الناصري، المتوفى سنة ٧٠٩هـ (٧٠٥/١٣٠٩م. (المقريزي: المقتى الكبير ٢: ٢٣٦، ابن حجر: الدرر الكانة ١: ٤٢٦).

^٢ هنا على هامش نسخة ص: «ملكتها وما يقابلها المقر الزهني أبو بكر بن مظهر ناظر ديوان الإنشاء الشريف وعمرها وجعل بابها الثعالب على منزلة التي أنشأها مكان الإسطنبول، فجاءت من أحسن المنابر صورة وزهارة وحسن ونعم ودعان، تأتت فيها إلى الغاية رحمه الله».

أقول: المقر الزهني تقي الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بمظهر الدشتقي الأنصاري، ولي أولًا نظر الإسطنبول

ثم أضيف إليه الجوالي المصرية ثم الشامية ثم خائفاه سعيد الشعاء ووكالة بيت المال ثم نظر الجيوش، وأخيرًا نظر ديوان الإنشاء حتى وفاته في سادس رمضان سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م. (السخاري: الضوء اللامع ١١: ٨٨-٨٩، ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٥٥).

ومنزلة أبي بكر بن مظهر أنشأها بجوار داره بحارة بزجوان سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م، وهي مسجلة بالآثار برقم ٤٩ وتعد من روائع العمارة المملوكية الجركسية (راجع، Devonshire, R.L., «Abu Bekr ibn Muzhir et sa mosquée au Caire», *Mélanges Maspero* III, pp. 27-31. عاصم محمد رزق: «مدرسة القاضي أبي بكر بن مظهر بالقاهرة ٨٨٤-٨٨٥هـ/١٤٧٩-١٤٨٠م»، دراسات آثارية إسلامية ٢ (١٩٨٠)، ٦٩-٩١=

مائة^١، فَأَخَذَ عِدَّةَ مَسَاكِينَ مِمَّا حَوْلَهَا وَهَدَمَهَا وَصَيَّرَهَا سَاحَةً بِهَا . فَصَارَتْ مِنْ أَكْثَمِ الدُّورِ أَسْأَعًا وَزَخْرَفَةً، وَفِيهَا سَبْعَةُ آبَارٍ مُعَيَّنَةٍ، وَفَشْقِيَّةٌ يُثْقَلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ بِسَاقِيَةٍ عَلَى قُوَّةِ يَدٍ . وَمَا زَالَ صَاحِبُهَا شِهَابُ الدِّينِ فِيهَا إِلَى أَنْ سَافَرَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ، فَمَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَانْتَقَلَتْ مِنْ بَعْدِهِ لغير واحدٍ بِالتَّبَعِ .

رَأَى الْحَاجِبُ

هَذِهِ الدَّارُ فِيمَا بَيْنَ الْخُرُونُشْفِ وَحَازَةِ بَرْجَوَانَ، كَانَ مَكَانُهَا مِنْ جَمَلَةِ الْمِيدَانِ - وَكَانَ يُشْتَلِكُ مِنْ حَازَةِ بَرْجَوَانَ فِي طَرِيقِ شَارِعَةٍ إِلَى بَابِ الْكَافُورِيِّ، فَلَمَّا عَمَّرَ الْأَمِيرُ بَكَتُمُرُ هَذِهِ الدَّارَ، جَعَلَ إِسْطَبْلَهَا حَيْثُ كَانَتْ الطَّرِيقُ، وَرَكَّبَ بَابًا بِخُوخَةٍ مِمَّا يَلِي حَازَةَ بَرْجَوَانَ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ النَّاسُ الْأَيْمَنَ الْمَارَّةَ مِنْ سُلُوكِ هَذَا الْمَكَانِ، فَوَفَّى بِمَا اشْتَرَطَ .

وَمَا تَرَحَّ النَّاسُ يَمْشُونَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ فِي وَسْطِ الْإِسْطَبْلِ عَلَى بَابِ دَارِهِ، سَالِكِينَ مِنْ حَازَةِ بَرْجَوَانَ إِلَى الْكَافُورِيِّ وَالْخُرُونُشْفِ وَمِنْهُ إِلَى حَازَةِ بَرْجَوَانَ؛ وَسَلَكْتُ^٢ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا خُوخَةُ الْحَاجِبِ . ثُمَّ لَمَّا طَالَ الْأَمَدُ وَذَهَبَتِ الْمَشْيَخَةُ نُسِيَتِ هَذِهِ الطَّرِيقُ، وَقُفِّلَ الْبَابُ وَانْقَطَعَ سُلُوكُ النَّاسِ مِنْهُ، وَصَارَتْ تِلْكَ الطَّرِيقُ مِنْ جَمَلَةِ حُقُوقِ الدَّارِ .

وَمَا تَرَحَّتْ هَذِهِ الدَّارُ يُنْصَبُ عَلَى بَابِهَا الطُّوَارِقُ دَائِمًا كَمَا كَانَتْ عَادَةً دُورِ الْأُمَرَاءِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ . فَلَمَّا تَغَيَّرَتِ الرُّشُومُ وَبَطَلَتْ ذَلِكَ، قُلِبَتْ الطُّوَارِقُ مِنْ جَانِبِي الْبَابِ وَأَعْلَى أَسْكَفَتِهِ .

وَبَابُ هَذِهِ الدَّارِ تَجَاهَ بَابِ الْكَافُورِيِّ، وَعُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ سَيِّفِ الدِّينِ بَكَتُمُرِ الْحَاجِبِ صَاحِبِ الدَّارِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ وَالْمَدْرَسَةِ بِجَوَارِهِ، ثُمَّ حُلَّ وَقَفُّهَا فِي^٣ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ وَبِيعَتْ كَمَا يَبِيعُ غَيْرُهَا مِنَ الْأَوْقَافِ . وَهَنَكَ تَرَى تَرْجُمَتَهُ^٤ .

(a) بولاق : وَأَنَا سَلَكْتُ . (b) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقِ .

= وَكَانَ قَدْ أَعَدَّ رِسَالَةً مَاجِسْتِرَ بِنَفْسِ الْعُنْوَانِ بِكَلِيَّةِ الْأَدَابِ ١٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م . (المقريزي : دُرَرُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ٢١٣ - جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٧١ .

١٢١٤ هـ : ابْنُ حَجَرٍ : ذَيْلُ الدَّرَرِ الْكَامَةِ ١٦٦ ، إِنْهَاءُ الضَّرَرِ ٢ : ٣٣١ ؛ السَّخَاوِيُّ : الضَّرَرُ الْلَامِعُ ١ : ٣٢٠ .

^١ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ طُورْغَانَ الدُّودَارِ التُّرْكِيُّ سَنَةِ

^٢ فِيمَا يَلِي ٢٠٨ - ٢١٠ .

دَارُ تَنْكِر

- هذه الدار بِحُطِّ الكافوري كانت للأمير أَيْتُك البَغْدَادِي، وهي من أَجَلِّ دُور القَاهِرَةِ وأَعْظَمِهَا، أَنشأَهَا الأميرُ تَنْكِرُ نَائِبُ الشَّامِ، وَأَظْلَهُ أَوْقَفَهَا فِي جُمْلَةٍ مَا أَوْقَفَ، وَكَانَ بِهَا وَلَدُهُ . وَسَكَنَهَا قَاضِي الْقَضَاةِ بُزْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَمَاعَةَ، فَأَنْفَقَ فِي زَخْرَفَتِهَا عَلَى مَا أَشْبَحَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، عَنْهَا يَوْمَئِذٍ مَا يَنِيفُ عَنْ سَبْعِ مِائَةِ دِينَارٍ مِصْرِيَةٍ . وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الدَّارُ وَقُفًا إِلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَى أَنَّهَا مِلْكٌ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةِ بَدُونِ أَلْفِ دِينَارٍ، لَزَيْنِ الدِّينِ عَبْدِ الْبَاسِطِ بْنِ خَلِيلٍ، فَجَعَدَ بِنَاءَهَا وَبَنَى تِجَارَتَهَا جَامِعَةً .

- تَنْكِرُ الْأَشْرَفِي - سَيِّفُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ^١ حَبَلَتْهُ إِلَى مِصْرَ وَهُوَ صَغِيرٌ الْخَوَاجَا عِلَاءُ الدِّينِ الشُّوسِي، فَتَشَأَ بِهَا عِنْدَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بْنِ قَلَاوُونَ . فَلَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، أَمَرَ إِمْرَةً عَشْرَةَ قَبْلَ تَوَجُّعِهِ إِلَى الْكَرْكِ، وَسَافَرَ مَعَهُ إِلَى الْكَرْكِ، وَتَرَشَّلَ عَنْهُ مِنْهَا إِلَى الْأَقْرَمِ، فَاتَّهَمَهُ أَنَّ مَعَهُ كُتُبًا إِلَى الْأُمَرَاءِ بِالشَّامِ [فَفَتَّشَهُ]^٢ وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ، فَأَرْجَفَ مِنْهُ وَعَادَ إِلَى النَّاصِرِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ عُدْتُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَنْتَ نَائِبُ دِمَشْقَ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى الْمَلِكِ جَهَّزَهُ إِلَى دِمَشْقَ فَوَضَّلَهَا فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِ مِائَةِ، فَبَاشَرَ النِّيَابَةَ وَتَمَكَّنَ فِيهَا، وَسَارَ بِالْقَسَاكِرِ إِلَى مَلْطِيَّةٍ وَافْتَتَحَهَا فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَأَمَّنَ الرِّعَايَا حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَظْلُمُ ذِمِّيًّا فَضْلًا عَنْ مُثْلَمٍ، خَوْفًا مِنْ بَطْشِهِ وَشِدَّةِ عُقُوبَتِهِ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا بِمِصْرٍ إِلَّا وَيُشَاوِرُهُ فِيهِ وَهُوَ بِالشَّامِ، وَقَدِيمٌ غَيْرُ مَرَّةٍ عَلَى السُّلْطَانِ، فَأَكْثَرَتْهُ وَأَجَلَّهُ بِحَيْثُ أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي قُدُومِهِ إِلَى مِصْرَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ بِمَا مَبْلَغُهُ أَلْفُ أَلْفٍ

(٢) إضافة من أعيان مصر .

المحسن: المنهل الصافي ١٥٦:٤-١٦٧، النجوم الزاهرة ٣٢٧:٩-٣٢٨، حياه ناصر الحجي: «الأمير تنكر الحسامي نائب الشام في الفترة ٧١٢-٧٤١هـ/١٣١٢-١٣٤٠م»، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ١٩٨٠.

^١ الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكير الحسامي نائب السلطنة بالشام، المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م (الصفيدي: أعيان مصر ١١٦:٢-١٣٨، الوافي بالوفيات ٤٢٠:١٠-٤٣٥، المقرئ: المقفى الكبير ٦٠٧:٢-٦٢٢، السلوك ٥٠٦:٢، ابن حجر: الدرر الكامنة ٥٥:٢-٦٢؛ أبو

نِيَابَةِ غَزَّةَ ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهَا إِلَى لِمَازَةَ دِمَشْقَ ، وَوَلِيَ نِيَابَةَ طَرَابُلُسَ ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى دِمَشْقَ . وَأَصْلُهُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَمِيرِ تَنْكِيْزَ ، فَشَكَرَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَقَدَّمَهُ حَتَّى صَارَ أَمِيرًا حَاجِبًا . فَلَمَّا قُتِلَ تَنْكِيْزَ أَخْرَجَهُ لِنِيَابَةِ غَزَّةَ ، وَتَنَقَّلَ فِي نِيَابَةِ طَرَابُلُسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ اسْتُغْفِيَ مِنَ النِّيَابَةِ ، فَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِلِمَازَةَ فِي دِمَشْقَ ، وَعَلَى وَلَدَيْهِ بِلِمَازَةَ طَبْلَخَانَاةَ .

- وما زالَ مُقِيمًا بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي سَابِعِ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةِ بِدِمَشْقَ . وَمَوْلَدُهُ بِهَا لَيْلَةَ السَّبْتِ سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةِ .

دَارُ نَائِبِ الْكَرْكِ

هَذِهِ الدَّارُ فِيمَا بَيْنَ خُطِّ الْحُرْنُشْفِ وَخُطِّ بَابِ سِيَرِ الْمَارِشْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ أَرْضِ الْمَيْدَانِ . عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ أَقْوَشِ الْأَشْرَفِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِنَائِبِ الْكَرْكِ ، صَاحِبِ الْجَامِعِ .

١٠. أَقْوَشُ الْأَشْرَفِيُّ جَمَالُ الدِّينِ ^١ - وَلَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ نِيَابَةَ دِمَشْقَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنَ الْكَرْكِ ، وَعَزَلَهُ تَنْكِيْزَ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَاعْتَقَلَهُ إِلَى شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةِ ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ وَجَعَلَهُ رَأْسَ الْمِيمَنَةِ ، وَصَارَ يَقُومُ لَهُ إِذَا قَدِمَ مَمِيْرًا لَهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ .

- وَكَانَ لَا يَلْبَسُ [مُفَرَّكًا وَلَا^٢] مَضْفُوعًا ، وَيَمِشِي مِنْ دَارِهِ هَذِهِ إِلَى الْحَمَّامِ وَهُوَ حَامِلُ الْمِيزَرِ وَالطَّاسَةِ وَخَدَهُ ، فَيَدْخُلُ الْحَمَّامَ وَيَخْرُجُ غُرِيَانًا . فَأَتَقَّقَ مَرَّةً أَنَّ رَجُلًا رَأَاهُ فَقَرَفَهُ ، وَأَخَذَ الْحَجَرَ وَخَكَّ رِجْلَهُ وَغَسَلَهُ ، وَهُوَ لَا يَكْلِمُهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً . فَلَمَّا خَرَجَ وَصَارَ إِلَى دَارِهِ ، طَلَبَ الرَّجُلَ وَضَرَبَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا مَا لِي بِمَمْلُوكٍ ، مَا عِنْدِي غُلَامٌ ، مَا لِي بِبَايِهِ^٣ حَتَّى تَصْجُرُوا عَلَيَّ أَنْتَ .

(a) زيادة من أعيان العصر . (b) بولاق : طاسة .

(الصفدي : أعيان العصر ١: ٥٧٨-٥٨٢ ، الوافي بالوفيات

٩: ٣٣٦-٣٣٩ المقيري : المقفى الكبير ٢: ٢٤٨-٢٥٧ ،

السلوك : ٢: ١٤٠٥ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤٢٣-

٤٢٤ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٢٧-٣٠ ، النجوم

الزاهرة ٩: ٣١٠) .

^٢ باييه أو بابا . خدام الحَمَّامِ .

=المقري : السلوك ٢: ١٩٠٥ ابن حجر : الدرر الكامنة

٥: ١١٧ اليوسفي : لزهة الناطر ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ابن قاضي

شبهة : تاريخ ٢: ٥٧ أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢: ٧٣٣-

١٧٣٤ النجوم ١٠: ٢٩٢-٢٩٣) .

^١ الأمير جمال الدين أقوَشُ الأشرفي نائب الكرك ،

المتوفى سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م . ويُلقَّبُ بِإِيزَنَاقَ لِكِرِّ أَتَقَهُ .

وكان يتوجه إلى معبده في الجبل الأحمر ، وينفرد فيه وحده اليومين والثلاثة ، ويدخل منه إلى القاهرة وهو ماشٍ وذئله على كفيه حتى يصل إلى داره . وباشرَ نَظَرَ المارِستانَ المَنصوريَ مُباشرةً شديدةً ^a.

ثم أخرجه السلطان إلى نياطة طرابلس في أوّل سنة أربع وثلاثين وسبع مائة فأقام بها ، ثم طلب الإقالة ، فأعفي وقبض عليه واعتقل بقلعة دمشق ، ثم نُقِلَ منها إلى صَقد فحسب بها في بُرج ، ثم أُخْرِجَ منها إلى الإسكندرية فمات بها مُعتَقلاً في سنة ست وثلاثين وسبع مائة .

وكان عسوقاً جبّاراً في بطشه ، ماتَ عِدَّةً من الناس تحت الضروب قدامه ، وكان كريماً سَفاً إلى الغاية . وعُرفَ بنائب الكرك لأنه أقام في نياتيها من سنة تسعين وست مائة إلى سنة سبع وسبع مائة .

دار ابن صغير

هذه الدار من جملة الميَدان ، وهي اليوم من خِطة ^b باب سِرِّ المارِستانِ المَنصوري . أنشأها علاء الدين عليّ بن نجم الدين عبد الواحد بن شرف الدين محمد بن صغير رئيس الأطباء ، ومات بحلب عندما توجّه إليها في خدمة الملك الظاهر بَزَقوق في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة ست وتسعين وسبع مائة ودُفِنَ بها ، ثم نُقِلَتْ اهتته إلى القاهرة ودَفِنَتْه بظاهرها .

دار بيبيكوس الحاجب

هذه الدار بخط حارة العدوة ^٢ ، وهي الآن في حُطّ باب سِرِّ المارِستان ، عُرفَت بالأمير بيبيكوس الحاجب صاحب غيط الحاجب فيما بين جسر بركة الرطلي والجرف .

بيبيكوس الحاجب الأمير رُكنُ الدين - ترقى في الخدم إلى أن صارَ أميراً حُور ، فلما حَضَرَ الملكُ الناصرُ من الكرك غزاه بالأمير أَيْدَعْمُش وعمله حاجباً ، ونابَ في الغيبة عن الأمير تُكُوزَ بدمشق لما حج .

(a) بولاق : جيدة . (b) بولاق : خط .

الكامنة ٢: ٤١١؛ أبو الحسن: المنهل الصافي ٣: ٤٧٤-
٤٧٥، النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٠).

^٢ فيما تقدم ٤٤-٤٥ .

^١ الأمير رُكنُ الدين بيبيكوس الحاجب ، المتوفى سنة ١٣٤٣/٧٢٤٣ م. (الصفدي: أعيان العصر ٧٨: ٧٩،
الوافي بالوفيات ١٠: ٣٥١-٣٥٢، المقريزي: المقفى الكبير
٥٢٠: ٥٢٦، السلوك ٢: ٢٥٩) ابن حجر: الدرر

ثم تَجَرَّدَ إلى اليَمَنِ وعادَ ، فتنكَّرَ عليه السُّلْطَانُ ، وحبَّسَه في ذي القعدة سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة ، وأُفْرِجَ عنه في رَجَبِ سنة خمسٍ وثلاثين ، وجَهَّزَه من الإسكَنْدَرِيَّةِ إلى حَلَبَ ، فصارَ بها أميرًا من أُمَرَائِهَا .

ثم تنقَّلَ منها إلى إمْرَةِ بَيْدَمَشَقَ بعد عَزْلِ تَنْكِرَ ، فلم يَزَلْ بها إلى أن توجَّهَ الفُخْرِي وطَشْتَشَرُ إلى مصرَ ، فأقْرَه على نيَابَةِ القَيْبَةِ بَيْدَمَشَقَ ، وكان قد أُسْرُ ، وماتَ في شهر رَجَبِ سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مائة .

وأذَرْنَا له حفيدًا يُعْرَفُ بعلاء الدِّينِ أميرِ عليِّ بنِ شِهَابِ الدِّينِ أحمد بنِ يَبْيُوسَ الحاجبِ . قرَأَ القِرَاءَاتِ الشَّيْعِ على والِدِهِ ، وكان حَسَنَ الأَدَاءِ لِلْقِرَاءَةِ ، مَشْهُورًا بِالْعِلَاجِ بِمِائَةِ وَعَشْرَةِ أَرْطَالٍ . مات وهو شاخٍ في سابعِ ربيعِ الآخرِ سنة إحدى وثمان مائة .

١٠

الرَّابِعُ عَشَرَ

هذه الدَّارُ كانت في دَرْبِ شَعْسِ الدَّوْلَةِ ، عُرِفَتْ بِالْوَزِيرِ عَبَّاسِ بنِ يحيى بنِ تَمِيمِ بنِ المَعْرِزِ ابنِ باديسٍ . أَصْلُهُ من المغرب ، وَتَرَفَّى في الخِدْمِ حتَّى وَلِيَ الغَرْبِيَّةَ ، وَلَقَّبَ بِالْأَمِيرِ رُكْنِ الإِسْلَامِ^١ .

وكانت أُمُّهُ تحتَ الأَمِيرِ الْمُظَفَّرِ عَلِيِّ بنِ السَّلَارِ واليِ البَحْرِيَّةِ^٢ والإسكَنْدَرِيَّةِ . فلَمَّا رَحَلَ عَلِيُّ ابنُ السَّلَارِ إلى القَاهِرَةِ وأزال الوَزِيرَ نَجْمَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ بنَ مَصَالٍ من الوِزَارَةِ واستقرَّ مكانَهُ في وَزَارَةِ الخَلِيفَةِ الطَّائِفِ بِأَمْرِ اللَّهِ وتلقَّبَ بالعَادِلِ ، قَدَّمَهُ لِحَاوِزَةِ ابنِ مَصَالٍ فلم يَكَلَّ غَرَضًا ، فخرَّجَ إليه عَبَّاسٌ حتَّى ظَفِرَ به .

وولِّيَ ناصِرُ الدِّينِ نَصْرُ بنَ عَبَّاسٍ وِلَايَةَ مصرَ بشِغَاغَةِ جَدِّتِهِ أُمِّ عَبَّاسٍ ؛ فاختَصَّ به الخَلِيفَةُ الطَّائِفُ واشتَغَلَ به عَمَّنْ سِوَاهُ - وكان جَرِيْقًا مِقْدَامًا - فخرَّجَ أبُوهُ^٣ عَبَّاسٌ بِالْعَسْكَرِ لِحِفْظِ عَشَقْلَانَ من الْفِرْنَجِ ، ومعه من / الأَمْوَاءِ مِثْلُهُم وَالصُّرُغَامِ وَأَسَامَةُ بنِ مُتَيْقِدَ ، وكان أَسَامَةُ خَصِيصًا بِعَبَّاسٍ .

(a) بولاق : البحراء . (b) بولاق : فخرج إليه أمر .

^١ المقرئري : مسودة المواظ ٤٠١ ، ولخص المقرئري في مسودة المواظ خير الوزير عباس من «تاريخه» ابن كثير .

فلما نزلوا بلبثيس ثلَاكَر عبَّاس وأَسَامَةُ مصر وطبيها ، وما هم خارجون إليه من مُقاساة الشَّقَر
ولِقَاءِ القُدُو ، فنَازَهُ عبَّاسُ أَسَفًا على مُفارقة لَدَاتِهِ بمصر ، وأَخَذَ يُتَوَبُّ على العادل بن السُّلار ، فقال
له أَسَامَةُ : لو أَرَدْتَ كُنْتَ أَنْتَ سُلْطَانُ مصر ، فقال : كيف لي بذلك ؟

قال : هذا وَلَدُكَ ناصِرُ الدِّين بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلِيفَةِ مَوَدَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فحَاطِبُهُ على لِسَانِهِ أَنْ تَكُونَ
سُلْطَانُ مصر مَوْضِعَ زَوْجِ أُمِّكَ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّكَ وَيُكْرَهُهُ ، فإذا أَجَابَكَ فاقْتُلْهُ وَصِرْ فِي مَنْزِلِهِ .
فَأَعْتَجَبَ عَبَّاسُ ذَلِكَ ، وَجَهَّزَ ابْنَهُ لَتَقْرِيرِ مَا أَشَارَ بِهِ أَسَامَةُ ، فَسَارَ إِلَى القَاهِرَةِ وَدَخَلَهَا عَلَى حِينِ
عَفْلَةٍ مِنَ العادل ، وَاجْتَمَعَ بِالخَلِيفَةِ وَفَاوَضَهُ فِيمَا تَقَرَّرَ ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهِ ، وَنَزَلَ إِلَى دَارِ بَجْدَتِهِ وَكَانَ مِنْ
قَتْلِهِ لِلْعادل عَلِيَّ بْنِ سَلارٍ مَا كَانَ .

فَمَاجَ النَّاسُ ، وَسَرَّحَ الطَّاغُوتُ مِنَ القَصْرِ إِلَى عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَى بَلْبِيسٍ فِي الْإِنْتِظَارِ ، فَقَامَ مِنْ قُورِهِ
وَدَخَلَ القَاهِرَةَ سَحَرِ يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ الْحَرَمِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فَوَجَدَ عِدَّةً مِنْ
الْأَتْرَاكِ قَدْ تَفَرَّقُوا وَخَرَجُوا بِذَا وَاحِدَةٍ إِلَى الشَّامِ ، فَصَارَ إِلَى القَصْرِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَ الْوِزَارَةِ ،
فَبَاشَرَ الْأُمُورَ ، وَضَبَطَ الْأَحْوََالَ ، وَأَكْرَمَ الْأَمْرَاءَ ، وَأَحْسَنَ إِلَى الْأَجْنَادِ .

وَإِذَا ذَاتَ مَخَالِطَةٍ وَلَدَهُ لِلخَلِيفَةِ ، فَخَافَ أَنْ يَقْتُلَهُ مَا قَتَلَ ابْنَ السُّلارِ ، فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى قَتَلَ
الخَلِيفَةُ الطَّاغُوتَ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^١ ، وَصَارَ إِلَى القَصْرِ عَلَى الْعَادَةِ . فَلَمَّا جَلَسَ فِي «مَقْطَعِ الْوِزَارَةِ»^٢
سَأَلَ الْجَمْعَ بِالخَلِيفَةِ^٣ ، فَدَخَلَ الزُّمَامُ إِلَى دُورِ الْحَرَمِ فَلَمْ يَجِدِ الخَلِيفَةَ ، فَلَمَّا عَاذَ إِلَيْهِ أَحْضَرَ
أَخَوِي الطَّاغُوتَ وَأَتَهَمَهُمَا بِقَتْلِهِ وَقَتْلَهُمَا قُدَامَهُ ، وَاسْتَدْعَى بَوْلَدَ الطَّاغُوتِ عَيْسَى وَلَقَبَهُ بِالْفَائِزِ بَنَصْرٍ
اللَّهُ ، فَكَثُرَتْ^٤ النِّيَاحَةُ عَلَى الطَّاغُوتِ ، وَبَحَثَ أَهْلُ القَصْرِ عَلَى كَيْفِيَةِ قَتْلِهِ ، فَكَتَبُوا إِلَى طَلَائِعِ ابْنِ
رُزَيْكِ - وَهُوَ وَالِي الْأَشْمُونَيْنِ - يَسْتَدْعُوهُ فَحَشَدَ وَسَارَ . فَاضْطَرَبَ عَبَّاسٌ ، وَكَثُرَتْ مُنَاكَدَةُ أَهْلِ
القَاهِرَةِ لَهُ ، حَتَّى إِنَّهُ مَرَّ يَوْمًا فَرَمِيَّ مِنْ طَائِقٍ^٥ يُشْرِفُ عَلَى شَارِعٍ يَقْدِرُ تَمْلُوقُهُ طَعَامًا حَارًّا ، فَقَوْلَ
عَلَى الْفِرَارِ ، وَخَرَجَ وَمَعَهُ ابْنُهُ وَأَسَامَةُ بْنُ مُنْقِدٍ وَجَمِيعُ مَا لَهُمْ مِنْ أَتْبَاعٍ وَمَالٍ وَسِلَاحٍ .

وَدَخَلَ طَلَائِعُ إِلَى القَاهِرَةِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي وَزَارَةِ الخَلِيفَةِ الْفَائِزِ ، فَسَيَّرَ أَهْلَ القَصْرِ إِلَى الْفَرَجِ الْبَرِيدِ
بَطَلَبِ عَبَّاسٍ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ . وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَقْعَةٌ فَرَّ فِيهَا عَنْهُ^٦ أَسَامَةُ بِجَمَاعَةٍ إِلَى الشَّامِ ،

(a) بولاق : على الخليفة . (b) بولاق : وكثرت . (c) بولاق : طاقة . (d) ساقطة من بولاق .

^٢ انظر عن مَقْطَعِ الْوِزَارَةِ ، فِيمَا تَقَدَّمَ ٢٩٠ : ٢ هـ .^٤

^١ فِيمَا تَقَدَّمَ ٨٥ - ٨٦ .

فَطْفِرَ بِهِ الْفِرْنَجُ وَقَتْلُوهُ، وَأَخَذُوا ابْنَهُ فِي قَفَصٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَجَهَّزُوهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، فَلَمَّا وَصَلَ ابْنُهُ إِلَى الْقَصْرِ قُتِلَ وَصُلِبَ عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ، وَأُحْرِقَ بَعْدَ ذَلِكَ.^١

ثُمَّ عُرِفَتْ هَذِهِ الدَّارُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَارِ تَقِيٍّ الدِّينِ صَاحِبِ حِمَاةٍ، ثُمَّ خَرِبَتْ وَخُحِرَ مَكَانُهَا، فَصَارَ يُعْرَفُ بِحُكْرِ صَاحِبِ حِمَاةٍ، وَيُنَبِّئُ فِيهِ عِدَّةُ دُورٍ.^٢ وَمَوْضِعُهَا الْآنَ بِدَاخِلِ دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ حِمَامِ عَبَّاسٍ، الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِحِمَامِ الْكُؤُوكِ.^٣

ذو ابن فضل الله

هَذِهِ الدَّارُ فِيمَا بَيْنَ حَاذِرَةِ زَوَيْلَةَ وَالْبُنْدُقَانِيِّينَ، كَانَ مَوْضِعُهَا مِنْ جُمْلَةِ إِسْطَبْلِ الْجُمَيْزَةِ، عُرِفَتْ بِابْنِ فَضْلِ اللَّهِ.

- ١٠ وَبَنَى فَضْلُ اللَّهِ جَمَاعَةً: أَوَّلُهُمْ بِمِصْرَ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الصَّاحِبِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْمَآئِرِ فَضْلُ اللَّهِ بْنِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ بْنِ دَعْبَجَانَ الْعَمَرِيِّ، وَلِيَّ كِتَابَةِ السِّرِّ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْهَا وَوَلَّاهُ كِتَابَةَ السِّرِّ بِدِمَشْقَ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ فِي ثَالِثِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ.^٤ وَقَدْ عُمِّرَ وَبَلَغَ أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَخَلَّفَ أَثْرًا جَمَّةً، وَرِثَاهُ الشُّهَابُ مُحَمَّدٌ وَقَدْ وَلِيَ بَعْدَهُ، وَرِثَاهُ غَلَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ غَانِمٍ وَالْجَمَالُ بْنُ نُبَاتَةَ. وَكَانَ فَاضِلًا بَارِعًا أَدِيبًا، عَاقِلًا وَقُورًا نَاهِضًا، ثِقَّةً أَمِينًا مَشْكُورًا، مَلِيحَ الْخَطِّ
- ١٥

^١ انظر تفاصيل هذه الأحداث عند أسامة بن منقذ: الاعتبار ٤١-٤٤ ابن الطوير: نزعة المقتلين ٦١-٦٢ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٦-١٤٧؛ أبي شامة: الروضتين ١: ٢٢٦-٢٢٧؛ التوهمي: نهاية ٢٨: ٣١٤-٣١٥؛ المقرئ: اتعاظ الخلفاء ٣: ٢٠٤-٢٠٥، ٢٠٨، المقتضى ٢: ٤١-٤٣ و ١٢٢؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٧٦-٢٧٩.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٩-١١٠؛ المقرئ: مسودة المواقظ ٤٠٣.

^٣ المقرئ: مسودة المواقظ ٤٠٤.

^٤ انظر ترجمة شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المقرئ، المتوفى سنة ٧١٣هـ/١٣١٧م عند: الصفدي: أعيان مصر ٣: ١٩١-١٩٩، الوافي بالوفيات ١٩: ٣١٧-٣٢٤؛ المقرئ: السلوك ٢: ١٧٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٤٢؛ أبو الحسن: المنهل الصافي ٧: ٣٨٧-٣٩٠، النجوم الزاهرة ٩: ٢٤٠، وانظر سردًا لوظائفه عند القلقشندي: صبح الأعشى ١: ٩٧-٩٨، ١٢: ٩٣-٩٥.

^٥ وانظر عن عباس الصنهاجي، ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة ١٠٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٥٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٤٩٢-٤٩٣؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٥٦٧-٥٦٨؛ المقرئ: المقتضى الكبير ٤: ٤٢-٤٥.

جَيِّدُ الْإِنْشَاءِ، حَدَّثَ عَنِ الشَّيْخِ عَزَّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَغَيْرِهِ .

وَمِنْهُمْ مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بْنُ الصَّاحِبِ جَمَال الدِّينِ أَبِي الْمَآثِرِ فَضَّلَ اللَّهِ بْنِ مُجَلِّي بْنِ دَعْبَجَانَ
ابن خَلْفَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ عُثَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ الْعُمَرِيِّ^١، وَلِيَّ كِتَابَةِ السُّرِّ بِالْأُيُتْبَةِ الْمِصْرِيَّةِ عَنِ الْمَلِكِ النَّاسِرِ
مُحَمَّدٍ^٢، ثَقِيلٌ إِلَيْهَا مِنْ كِتَابَةِ سِرِّ دِمَشْقَ لَمَّا مَرَضَ غِلَاءُ الدِّينِ^٣ (ابن الأثير كاتب السُّرِّ^٤)
بِاسْتِذْعَائِهِ إِلَى مِصْرَ، وَأَقِيمَ بِذَلِكَ فِي كِتَابَةِ سِرِّ دِمَشْقَ شَرَفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الشَّهَابِ مُحَمَّدٌ،
وَكَانَ اسْتِقْرَارُهُ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، فَبَاشَرَهَا إِلَى ثَانِي عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وِثْلَاثِينَ، وَنُقِلَ مِنْهَا إِلَى كِتَابَةِ السُّرِّ بِدِمَشْقَ، وَطَلَبَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ الشَّهَابِ مُحَمَّدٌ، فَاسْتَقَرَّ
فِي كِتَابَةِ السُّرِّ بِمِصْرَ إِلَى شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، فَطَلَبَ مُحْيِي الدِّينِ مِنْ دِمَشْقَ هُوَ
وَابْنُهُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ، فَوَصَلَا إِلَى الْقَاهِرَةِ غُرَّةَ جُمَادَى الْأُولَى، وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا وَرَسَمَ لِهَما
بِكِتَابَةِ السُّرِّ، نَقَلَ^٥ ابْنُ الشَّهَابِ مُحَمَّدٌ إِلَى كِتَابَةِ السُّرِّ بِدِمَشْقَ. فَلَمْ يَزَلْ مُحْيِي الدِّينِ يُبَاشِرُ
كِتَابَةَ السُّرِّ هُوَ وَابْنُهُ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ تَنَكُّرِ السُّلْطَانِ لَوَلَدِهِ شِهَابِ الدِّينِ مَا كَانَ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ
اسْتَعْفَى مِنَ الْوُظُفَةِ لِثِقَلِ سَمْعِهِ وَكِبَرِ سِنَتِهِ، فَأُذِنَ لَهُ أَنْ يُقِيمَ ابْنَهُ الْقَاضِي شِهَابُ الدِّينِ يُبَاشِرُ عَنْهُ،
فَصَارَ الْأَسْمُ لِمُحْيِي الدِّينِ وَالْمُبَاشِرُ ابْنُهُ شِهَابُ الدِّينِ، إِلَى أَنْ حَضَرَ الْأَمِيرُ تَنَكُّرَ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى
الْقَلْعَةِ، وَسَأَلَ السُّلْطَانُ فِي عِلْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ قُطُوبِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ - الْمَعْرُوفِ بِابْنِ
الْقُطُوبِ - أَنْ يُولِيَهُ / كِتَابَةَ السُّرِّ بِدِمَشْقَ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ لَا يَمْتَنِعُ تَنَكُّرُ شَيْقًا يَسْأَلُهُ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبَهُ فِي ذَلِكَ عِوَضًا عَنْ جَمَالِ الدِّينِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَثِيرِ. فَأَخَذَ شِهَابُ الدِّينِ يُنْقِصُهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِأَنَّهُ نَضْرَانِي الْأَضْلُ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ
صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالسُّلْطَانُ مُغْضٍ عَنْهُ غَيْرَ مُلَقِّفَتٍ إِلَى مَا يُؤَمِّي بِهِ رِعَايَةً لَتَنَكُّرٍ. فَلَمَّا
كَتَبَ تَوْقِيعَ ابْنِ الْقُطُوبِ، أَرَادَ تَكْثِيرَ الْأَلْقَابِ وَالزِّيَادَةَ لَهُ فِي الْمَقْلُومِ. فَامْتَنَعَ شِهَابُ الدِّينِ مِنْ كِتَابَةِ
ذَلِكَ، وَكَانَ حَادُّ الْمَزَاجِ، قَوِيَّ النَّفْسِ، شَرِسَ الْأَخْلَاقِ، فَفَاجَأَ السُّلْطَانُ بِغِلْظَةٍ وَمُخَاسَنَةٍ فِي

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: طلب.

^١ انظر ترجمة محيي الدين يحيى بن فضال الله ٤٥٧:٢ ابن حجر: الدرر الكامنة ١٩٩:٥؛ أبي
الفتري، المتوفى سنة ١٣٣٨/٥٧٣٨م عند، الصفدي: المحاسن: النجوم الزاهرة ٣١٦:٩، الدليل الشافي
أعيان العصر ٥٧١:٥-٥٧٦:٥ القرطبي: السلوك ٧٧٩:٢-٧٨٠.

الْقَوْل . وكان من كلامه : كيف تَعْمَلُ قَبْطِيًّا أَشْلِيًّا كَاتِبَ السِّرِّ وَتَزِيدُ مَعْلُومَهُ؟ وبَالَيْهِ فِي الْجَرَاعَةِ
حتى قال : ما يَفْلَحُ من يَخْدِمُكَ ، وَيَخْدِمُكَ عَلَيَّ حَرَام . وَنَهَضَ قَائِمًا لَشِدَّةِ حَتِّهِ . وكان هذا
منه بِخُصْرَةِ الْأَمْرَاءِ ، فَغَضِبُوا لذلك وَهَمُّوا بِضَرْبِ غُنْقِهِ ، فَأَغْضَى السُّلْطَانُ عَنْهُ .

وَبَلَغَ مُحْيِي الدِّينِ ما كان من ابنه ، فَبَادَرَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَقِيلَ الْأَرْضُ ، وَاعْتَرَفَ بِخَطَأِ ابْنِهِ ،
وَاعْتَذَرَ عَنْ تَأْخُرِهِ بِثِقَلِ سَمْعِهِ . فَرَسَمَ لَهُ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيٌّ يَدْخُلُ وَيَقْرَأُ الْبَرِيدَ ،
فَاعْتَذَرَ بِأَنَّهُ صَغِيرٌ لَا يَقُومُ بِالْوِظَافَةِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ : أَنَا أَرْثِيهِ مِثْلَ مَا أَغْرِفُ ، فَصَارَ يَخْلُفُ أَبَاهُ
كَمَا كَانَ شِهَابُ الدِّينِ .

وَانْقَطَعَ شِهَابُ الدِّينِ فِي مَنْزِلِهِ مُدَّةَ سَنِينَ إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ مُحْيِي الدِّينِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَائِبِيعَ
شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ ، عَنْ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَهُوَ مَتَمَتِّعٌ
بِخَوَاسِهِ ، فَذَفِنَ ظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى تُرْبَتِهِمْ مِنْ سَفْحِ قَاسِيُونِ بِيَدِمَشْقَ . وَكَانَ صَدْرًا
مُعْظَمًا ، رَزِينًا كَامِلَ السُّؤْدَدِ ، مَوْلَاً^١ كَاتِبًا بَارِعًا ، ذَكِرَ الْأَقَالِيمَ بِكَفَايَتِهِ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ وَوُقُورِ
عَقْلِهِ وَأَمَانَتِهِ وَشِدَّةِ تَحَرُّزِهِ ، وَلَهُ النُّظُمُ وَالتَّنَزُّعُ الْبَدِيعُ الرَّائِقُ ، فَمَنْ يَشْفِرُهُ :

[الطويل]

تُضَاجِكُنِي لَيْلَى فَأَخْسَبُ ثَقَرَهَا سَنَا الْبِزْقِي لَكِنْ أَيْنَ مِنْهُ سَنَا الْبِزْقِي
وَأَخْفَتْ نَجْمَ الصُّبْحِ حِينَ تَبَسَّمتْ قَفَّضْتُ بِفَوْعَيْهَا أَشَدَّ عَلَى الشَّرْقِي
وَقُلْتُ سَوَاءٌ جُنْحُ لَيْلٍ وَسُغَرُهَا وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الصُّبْحَ مِنْ جِهَةِ الْفَرْقِي

عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيٌّ بنُ يَحْيَى بنِ فَضْلِ اللَّهِ الْقُمْرِيِّ^١ . اسْتَقْبَلَ بِوِظَافَةِ كِتَابَةِ السِّرِّ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ
مُحْيِي الدِّينِ ، وَخَلِيعَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ رَابِعَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ
أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً . فَخَرَجَ وَفِي خِدْمَتِهِ الصَّاحِبُ وَالِدُودَارِ ، وَتَقَدَّمَ أَمْرُ السُّلْطَانِ لِلْمَوْقُوعِينَ
بِائِيْشَالٍ مَا بِأَمْرِهِمْ بِهِ عَنْ السُّلْطَانِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَخِيهِ شِهَابِ الدِّينِ وَحَسَدَهُ ، وَرُبَّمَا قِيلَ إِنَّهُ
سَمَّهُ ، فَكَانَ يَقْتَرِيهِ دَمًا مِنْهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

a بولاق : حركا .

^١ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيٌّ بنُ يَحْيَى بنِ فَضْلِ اللَّهِ الْقُمْرِيِّ ، المَوتُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٧٦٩هـ/١٣٦٨م .
تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٣: ٣١٦؛ الْقُمْرِيُّ: السُّلُوكُ ٣: ١٦٦؛ ابْنُ
حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٣: ٢١٢-٢١٣؛ أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ
الْوَاهِرَةُ ١١: ١٠٢، الْمُتَهَلُّ الصَّافِي ٨: ٢٤٠-٢٤١ .
(الصَّفْدِيُّ: الوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ٢٢: ٣٢٢-٣٢٨؛ ابْنُ حَبِيبٍ:

ثم إنه كَتَبَ قِصَّةً يسأل فيها السَّفَر إلى الشَّام ، وشكا كَثْرَةَ التَّكْلَفَةِ - وكان قبل ذلك جَزَى ذكره في مَجْلِسِ السُّلْطَان ، فذَمَّهُ وَتَهَدَّدَهُ - فعندما قُرِئَتْ عليه قِصَّتُهُ تحرك ما كان ساكِئًا من غَضَبِهِ ، ورَسَمَ بِإِقْبَاعِ الحَوْطَةِ عليه . فحَمِلَ من دَارِهِ إلى قَاعَةِ الصَّاحِبِ من قَلْعَةِ الجَبَلِ في رابع عشرين شَعْبَانَ سنة تسع وثلاثين ، وخَرَجَ إليه الأَمِيرُ طَاجِرُ الدُّوَادَارِ ، وأَمَرَ به فَعُزِّيَ من ثِيَابِهِ لِیَضْرِبَ بِالمَقَارِعِ ، فَرَفَقَ به ولم يَضْرِبْهُ ، واشتَكَّبه حَطُّهُ بِحِمْلِ عشرة آلاف . فأُحِيطَ بِدَارِهِ ، وأُخْرِجَ سَائِرُ ما وُجِدَ له وبيع عليه ، وأُرْسِلَ مملوكه إلى بلاد الشَّامِ ، فباع كُلُّ ما له فيها ، واقتَرَضَ خمسين ألف درهم حتى يَحْمَلَ من ذلك كُلَّهُ مائة وأربعين ألف درهم ، عنها سبعة آلاف دينار .

فَسَكَنَ أَمْرُهُ وَخَفَّ الطَّلَبُ عنه ، وأقامَ إلى ثالث عشر ربيع الآخر سنة أربعين مُدَّةً سبعة أشهر وثمانية عشر يومًا ففَرَّجَ اللهُ عنه بِأَمْرِ عَجِيب . وهو أَنَّهُ لما كان يُيَاسِرُ عن أبيه ، وَقَعَ شَخْصٌ من الكُتَّابِ بشيءٍ رَوَّزَهُ^(a) ، فرَسَمَ السُّلْطَانُ بِقَطْعِ يده ،^(b) فلم يَزَلْ شِهَابُ الدِّينِ يَتَلَطَّفُ في أَمْرِهِ حتى عَفَا السُّلْطَانُ عنه من قَطْعِ يده^(b) ، وأَمَرَ به فمُجِنَ طُولُ هذه السَّنِينَ إلى أن قَدَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ رَفَعَ قِصَّةً يسأل فيها العَفْوُ عنه . فلَمَّا قُرِئَتْ على السُّلْطَانِ لم يعرفه ، فسأل عن خَبَرِهِ وشَأْنِهِ ، فقيل له لا يَعرِفُ خَبَرَ هذا إِلَّا شِهَابُ الدِّينِ بن فَضْلِ اللهِ ، فبَعَثَ إليه بِقَاعَةِ الصَّاحِبِ يَسْتَحْضِرُهُ عنه ، فطالَعَهُ بِقِصَّتِهِ وما كان منه ، فأَلَانَ اللهُ له قَلْبَ السُّلْطَانِ ، ورَسَمَ بالإفراج عن الرَّجُلِ وعن شِهَابِ الدِّينِ وعن مَمْلُوكِهِ ، ففَرَّجَ اللهُ عن الثلاثة .

ونَزَلَ شِهَابُ الدِّينِ إلى دَارِهِ ، وأقامَ إلى أن قَبَضَ السُّلْطَانُ على الأَمِيرِ تَتَكَبَّرُ نَائِبِ الشَّامِ ، فاستدعى شِهَابَ الدِّينِ إلى حَضْرَتِهِ وخَلَّفَهُ ، وولَّاهُ كِتَابَةَ السَّرِّ بِدِمَشْقَ عِوَضًا عن شَرَفِ الدِّينِ خَالِدِ بنِ عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ خَالِدِ ابنِ نَصْرِ الخَزْزُومِيِّ المعروف بِابنِ القَيْسَرَانِيِّ ، فبَاشَرَهَا حتى ماتَ بِدِمَشْقَ . وانْفَرَدَ أَخُوهُ غَلَاءُ الدِّينِ بِكِتَابَةِ السَّرِّ إلى أَنَّ ماتَ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ التاسع والعشرين من شهر رَمَضَانَ ، سنة تسع وستين وسبع مائة ، بمنزله من القَاهِرَةِ عن سبع وخمسين سنة ، وتَرَكَ سِتَّةَ بَنِينَ وَأَرْبَعَ بَنَاتٍ .

بَذَرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ فَضْلِ اللَّهِ^١، وَلَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ كِتَابَةُ السُّرِّ، وَأَبُوهُ فِي مَرَضٍ مَوْتُهُ، يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَامِنَ عَشْرِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْغُرَرِ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَجَعَلَ أَخَاهُ عِزُّ الدِّينِ حَقْمَزَةَ نَائِبًا عَنْهُ^٢ فَبَاشَرَ إِلَى شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ. فَصُرِفَ بِأَوْحَدِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَاحِدِ / بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ يَاسِينَ^٣، وَلَزِمَ دَارَهُ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ أَلْبَثَّةً إِلَى أَنْ مَاتَ أَوْحَدُ الدِّينِ، فَتَزَلَّ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ يُوسُفُ الدَّوَادَارِ وَاسْتَدْعَاهُ، فَرَكِبَ بِشِيَابِ مَجْلُوسِهِ مِنْ غَيْرِ خُفٍّ وَلَا فَرْجِيَّةٍ وَلَا شَاشٍ، وَصَعِدَ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَخُلِعَ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ.

فَلَمَّا تَارَ الْأَمِيرُ يُلْبِغَا النَّاصِرِيَّ عَلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ وَخَلَعَهُ مِنَ الْمَلِكِ، وَأَقَامَ الْمَلِكُ النَّصَائِحَ حَاجِي ابْنِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ وَلَقَّبَهُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَزُوقُ مِنْ مَحَبَّتِهِ بِالكَرْكِ، وَسَارَ إِلَى مُحَارَبَتِهِ^٤ الْأَمِيرُ تَمْرُزْبَغَا مِنتَاشَ^٥ وَمَعَهُ الْمَنْصُورُ حَاجِي، خَرَجَ^٦ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ. فَلَمَّا انْهَزَمَ مِنتَاشُ عَلَى شَقْحَبَ، وَاسْتَوَلَى يَزُوقُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَالْخَلِيفَةِ وَالْقُضَاةِ وَالْخَزَائِنِ، كَانَ^٧ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخُوهُ عِزُّ الدِّينِ فِي مَنْ قَرَّ مَعَ مِنتَاشَ إِلَى دِمَشْقَ، فَأَقَامَ بِهَا، وَاسْتَوَلَى يَزُوقُ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، قَوْلَى غِلَاءَ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى الْكَرْكِي كِتَابَةُ السُّرِّ.

وَأَخَذَ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ يَتَحَيَّلُ فِي الْحُزُوجِ مِنْ دِمَشْقَ، وَسَيَّرَ إِلَى السُّلْطَانِ مُطَالَعَةً فِيهَا مِنْ شِغْرِهِ:

[البسيط]

يُقْبَلُ الْأَرْضَ عَيْدٌ بَعْدَ خِذْمَتِكُمْ قَدْ مَشَّهَ ضَرَزٌ مَا مِثْلُهُ ضَرَزٌ
حَصْرٌ وَحَبْسٌ وَتَرْسِيمٌ أَقَامَ بِهِ وَفُرْقَةُ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْفِكَرِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: محاربة. (c) بولاق: فخرج. (d) بولاق: وكان.

^١ انظر ترجمته عند المقرئ: المقفى الكبير ٣٨٩:٥ -
٣٩٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢١٥:٤، أبي المحاسن:
النجوم الزاهرة ١٢:١٤٠، الدليل الشافى: ٢:٤٦٥٨
الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان ١:٣٩٤.
^٢ انظر ترجمة أُوَحَدِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ
يَاسِينَ فِيمَا يَلِي ٢٥٤.

^٣ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَمْرُزْبَغَا الْأَفْطَهْلِيُّ الْأَشْرَفِيُّ شُعْبَانَ
الشَّهِيرُ مِنتَاشُ، الْخَوْفِيُّ مَقْتُولًا بِقَلْعَةِ حَلَبِ سَنَةِ ٧٩٥هـ/
١٣٩٣م. (ابن حجر: الدرر الكامنة ٢:٥٢، ٥:١٢٤، أبو
المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢:٤٢-١١٢، المنهل الصافى
٩٤:٩٩-٩٤).

لكنه والوزرى مستبشرون بكم
والشغل يقضى لأن الناس قد ندموا
جؤزوا كما فرطوا في حقكم ورأوا
والله إن جاءهم من بآيكم أخذ
الله ينصركم طول المدى أبدا
يرجوا بم فرجا يأتي وينتظر
إذ عاثوا الجور من منطاش يتشتر
ظلمنا عظيما به الأكلأ تنقطر
قاموا له معكم بالروح وانتصروا
يا من زمانهم من دهرنا غرر

٥

قدِم إلى القاهرة ومعه أخوه عز الدين حمزة، وجمال الدين محمود القيصري ناظر الجيش،
وتاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاكر، وشمس الدين محمد بن الصاحب. فما زال في داره إلى
أن سافر الملك الظاهر إلى بلاد الشام في سنة ثلاث وتسعين. فتقدم أمره إليه بالسير مع القشكر
فسار بطلا، وقدر الله تعالى ضيف علاء الدين الكركي، فولاه كتابة السر، وصرف الكركي
في سؤال.

١٠

وكانت هذه ولاية ثالثة، فبشر وتمكن هذه المرة من سلطانه تمكنا زائدا، إلى أن سافر السلطان
إلى البلاد الشامية في سنة ست وتسعين، فمات بدمشق يوم الثلاثاء لعشرين من سؤال سنة ست
وتسعين وسبع مائة، ودفن بترتهم بسفح قاسيون، ومات أخوه حمزة أيضا بدمشق في أوائل
الحرم سنة سبع وتسعين وسبع مائة، ودفن بها.

وانقطع بمؤتهم هذا البيت، فلم يبق من بعدهما إلا كما قال الله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ
بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ﴾ [الآية ٥٩ سورة مريم].
ومن شعر البدر محمد بن فضل الله ما كتبه عنوانا لكتاب الملك الظاهر برفوق، جوابا عن
كتاب تيمورلنك الوارد إلى مصر في سنة ست وتسعين وسبع مائة، وعنوانه:

١٥

[الطول]

سلام وإهداء السلام من البغدي دليل على حفظ المودة والعهد

٢٠

فافتح البدر العنوان بقوله:

[الطول]

طويل حياة المرء كالיום في العد فحيزته ألا يزيد على العد
فلا بُد من نقص لكل زيادة لأن شديد البطش يقتصر للعبد
وكتب فيه من شعره أيضا جوابا عن كثرة تهديد تيمورلنك وافتخاره:

[البسط]

السيف والرمح والثأب قد علقت من الحروب فصلها فهي تنيكا
إذا العقينا نجد هذا مشاهدة في الحرب فائت فامر الله آتيكا

بِحُدْمَةِ الْحَزْمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضْلاً وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَحْلِيكَا
وبالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوَّدَنَا تُحْدِ الثَّوَارِيخَ وَاقْرَأْهَا فَتَنْبِيكَا
وَالْأَنْبِيَاءُ لَنَا الرُّكْنَ الشَّدِيدَ وَكَمْ بِجَاهِهِمْ مِنْ عَدُوٍّ رَاغٍ مَفْلُوكَا
وَمَنْ يَكُنْ رَأْيُهُ الْفَتْاحَ نَاصِرَهُ مَنِ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكَا

وقال :

[الطويل]

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْرِفْ قَبِيحَ خَطِيئَتِهِ^(a) وَلَا الذَّنْبَ مِنْهُ مَعَ عَظِيمِ بَلِيَّتِهِ
فَذَلِكَ غَيُّ الْجَهْلِ مِنْهُ مَعَ الْخَطَا وَمَنْ يَرَى عُقْبَاهُ عِنْدَ مَنِيَّتِهِ
وَلَيْسَ يُجَازِي الْمَرْءُ إِلَّا بِفِعْلِهِ وَمَا يَرْجِعُ الصَّبَا إِلَّا بِبَيْتِهِ

- ١٠ / وهذه الدار كانت موجودة قبل بني فضل الله ، وتُعرف بدار بَيْبُوس ، فعمّر فيها مُحَيِّي الدِّين وابنه علاء الدِّين ، وكانت من أْبْهَج دُور القاهرة وأعظمها . وما زالت بيد أولاد بَذَرِ الدِّين وأخيه عز الدِّين حنّرة ، إلى أن تغلب الأمير جمال الدِّين على أموال الخلق . فأخذ ابن أخيه الأمير شهاب الدِّين أحمد الحاجب - المعروف بسيدي أحمد - ابن أخت جمال الدِّين دار بني فضل الله منهم ، كما أخذ خاله دُور الناس وأوقافهم ، وعوض أولاد ابن فضل الله عنها ، وغنّى كثيراً من معالمها .

١٥

وسرط^(b) في الازدياد من العِمارة اقتداءً بخاله ، فأخذ دُوراً كانت بجوار مُشْتَوَقَد حُثَام ابن عُبُودِ المِقابِلة لدار ابن فضل الله ، واغتصّب لها الرُّحَام والأخجَار والأخشاب ، وهَدَمَ عِدَّة دُور وكثيراً من الثُّرْب بالقِرافَة - منها ثُروبة الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السلام ، وكانت عَجِيبة البناء - وأدخل ذلك في عِمَارَتِهِ المذكورة ، ووَسَّعَ فيها من جِهَة المُتَدَقِّقِينَ ما كان خراباً منذ الحريق الذي تَقَدَّمَ ذكره^١ ، وأنشأ من هناك حَوْضَ مَاءٍ تُشْرَبُ مِنْهُ الدُّوَاب .

٢٠

فلما قارب إكمالها ، قَبَضَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ عَلَى خَالِهِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفَ الْأُسْتَاذِ^(c) وَقَتْلَهُ ، وَكَانَ أَحْمَدُ هَذَا مِّنْ قَبِضٍ عَلَيْهِ مَعَهُ . فَوَضَعَ الْأَمِيرُ ثَغْرِي يَزِيدِي - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَجَلٌ أَمْرَاءِ النَّاصِرِ - يَدَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ ، وَمَا رَضِيَ بِأَخْذِهَا حَتَّى طَلَبَ كِتَابَهَا ، فَإِذَا بِهِ قَدْ تَضَمَّنَ أَنَّ أَحْمَدَ

(a) بولاق : خطية . (b) بولاق : وشرع . (c) بولاق : أستاذ .

وَقَفَ^(a) هذه الدار ، فما زال^(b) بقضاء العضر حتى حَكَمُوا له بهذه الدار ، وجعلوها له بطريق من طُرُقهم ، فأقام فيها حتى أخرجه الناصر لنيابة دمشق في سنة ثلاث عشرة وثمان مائة^(c) ، فنزل بها الأمير دُمُوداش^١ . فلما قُتِلَ الناصر وقام من بعده الملك المؤيد شيخ وقبض على الأمير دُمُوداش ، نازت ابنة جمال الدين - وهي امرأة أحمد المذكور ولها منه أولاد - وأرادت استرجاع الدار كما فعلت في مدرسة أبيها ، وكان لها ولورثة ثغري يودي شئون^(d) ، واستقرت لهن ثغري يودي^٢ .

دار بني بيزنس

هذه الدار فيما بين دار ابن فضل الله والشيع قاعات ، في ظهر حارة زويلة وقريبة من سويقة المشعودي ، تشبه أن تكون من جملة إسطنبول الجييزة . كانت دار الشريف بن ثعلب صاحب المدرسة الشريفة برأس حارة الجوزية . ثم عرفت^(e) بالأمير ركن الدين أباجي^٣ ، ثم عرفت^(e) بالأمير ركن الدين بيزنس الجاشنكير ، فإنه كان يسكنها وهو أمير قبل أن يلي السلطنة ، وخذل رُخامها من الرخام الذي دله عليه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح ، بالقصر الذي عرفت بقصر أمير سلاح من جملة قصر الخلفاء كما سيأتي خبر ذلك عند ذكر الخائفة الركنية بيزنس ، فإن بيزنس هذا هو الذي أنشأها^٤ .

(a) بولاق : قد وقف . (b) بولاق : فلم يزل . (c) بولاق : وسبع مائة . (d) بولاق : مخصصات . (e-e) ساقطة من بولاق .

- ^١ الأمير سيف الدين دُمُوداش المملي الأتابكي الظاهري ، نائب حلب ثم نائب دمشق ، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م . (المقريزي : السلوك ٤ : ٣٠١ ابن حجر : إنباء الغمر ٣ : ٧٩ ؛ أبو الحسن : المنهل الصافي ٣١٦ : ٣٢٤ ، المعجم الزاهرة ١٤ : ١٣٨ السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ٢١٩ ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ١٨٠) .
- ^٢ ذكرها أبو الحسن بن ثغري بردي في وثيقة وقفه المحفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة تحت رقم ١٤٧ محفظة ٢٣ ، ووصفها بالعبارة التالية : الدار الكائنة بخط رأس حارة بيزنجان بالقاهرة المحروسة بالقرب من حمام الزوسي
- بجوار المسجد العمور بذكر الله المعروف بمسجد الكوك ، وتلقى معد لطبخ السكر . (عبد اللطيف إبراهيم : هوقية ابن ثغري يودي في كتاب المؤرخ ابن ثغري يودي ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، وفيما يلي ٢٤٧هـ^١) .
- ولم يرد ذكر لمسجد الكوك في كتاب الخطط وأما ورد عرقًا بذكر لحمام الكوك المعروفة بحمام عتاس . (فيما تقدم ١٤٧ ، ١٨٥) داخل حارة زويلة وقرب شمس الدولة .
- ^٣ المقريزي : مسودة المواظظ ٤٠٥ .
- ^٤ فيما يلي ١٧ : ٤ .

ولم تزل إلى أن هدمها ناصر الدين محمد بن البارزي الحنوي كاتب السر بعد ما اشتراها نقضاً، كما اشترى غيرها من الأوقاف وذلك في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة .

السبع قاعات

هذه الدار عرفت بالسبع قاعات ، وهي يتوصل إليها من جوار دار بيبرس المذكورة ومن سويقة الصاحب ، وقد صارت عدة مساكن جميلة ، ومكائنها من جملة إسطنبول الجيزة . أنشأها الوزير الصاحب علم الدين بن زئيور ، ووقفها من ممتلكاته ما وقف . فلما قبض عليه قام^(a) الأمير صوغتمش في^(b) حل أوقافه ، ووعد بالسبع قاعات نحوئذ قطلوملك^(c) ابنة الأمير تنكيز الحسامي نائب الشام ، أم السلطان الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون .

ولقته الشرفان شرف الدين علي بن حسين بن محمد نقيب الأشراف وأبو العباس الصقراوي : أن الناصر لما قبض على كريم الدين الكبير ، بعث إلى كريم الدين من شهد عليه أن جميع ما صار يده من الأملاك - وقفها وطلقها - إنما هو من مال السلطان دون ماله ، وشهد بذلك عند قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، فأثبتت بهذه الشهادة أن أملاك كريم الدين جارية في أملاك السلطان فأقر السلطان ما وقفه كريم الدين منها على حاله ، وسماه «الوقف الناصري» .

فلما جلس السلطان الملك الصالح بدار العدل ، وحضر قاضي القضاة والأمراء وغيرهم من أهل الدولة على العادة ، تكلم الأمير صوغتمش مع قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة في حل أوقاف ابن زئيور ، فإنها ملك السلطان ومن ماله اشتراها ، وذكر قضية كريم الدين . فأجابته بأن تلك القضية كانت صحتها مشهورة ، وذلك أن خزائن السلطان وخواصله وأمواله كلها كانت بيد كريم الدين وفي داره يتصرف فيها على ما يختار كما^(d) جعل له السلطان بتوكيله والإذن له في التصرف . بخلاف ابن زئيور فإنه كان يتصرف في ماله الذي اكتسبه من الشجر وغيره ، فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الإسلام بصحته ، لا سبيل إلى حله ، وساعده في ذلك قاضي القضاة^(e) موفق الدين عبد الله الحنبلي . وتردد الكلام بينهما في ذلك ، فاحتج عليهما الأمير صوغتمش بما لقته الشرفان من مشاطرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وأخذه من كل عام نصف ماله ، وأن مال الوزير جميعه من مال

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : قطلوملك . (c) بولاق : يختاره ، وكما ساقطة . (d) بولاق : القاضي .

السلطان . فقال له ابن جماعة : يا أمير إن كنت تبحث معنا في هذه المسألة بحثنا معك ، وإن كان أخذ قد ذكرها لك فليخضّر حتى نُباجئها^٩ فيها ، فإن الذي ذكر لك هذه المسألة إنما قصد أن تصاير الناس وتأخذ أموالهم ، فوافقته رفقته الثلاث فضاة على قوله . وأراد ابن جماعة بقوله هذا التعريض بالشريفين - / وكان اختصاصهما بالأمير صرغتمش وقيامهما على ابن زنبور مشهورا - فشق هذا على الأمير صرغتمش ، وانفض المجلس وقد اشتد حنقه لما رُد عليه من كلامه ، وعورض فيه من مراده .

فبحث خوند أم السلطان إلى ابن جماعة تعرفه ما وعدت به من مصير السبع قاعات إليها ، وأكدت عليه في ألا يعارضها في حل أوقاف ابن زنبور . فأجابها بتقبيح هذا ، وخوفها سوء عاقبته ، فكفت عنه .

ولقوة غيظ الأمير صرغتمش مرض مَرَضًا شديدا من انفتاح صدره ، ونفيه الذم حتى يجف عليه الموت ، ثم عوفي بعد ذلك بأيام ، وذلك كله في سنة أربع وخمسين وسبع مائة . واستمرت السبع قاعات وفقا بيد ذرية ابن زنبور إلى يومنا^{١٠} ، إلا أن الأمير صرغتمش المذكور أخذ رُخامها ، ووجد فيها شيئا كثيرا من صيني ونحاس وقماش وغير ذلك قد أخفي في زواياها .

عَلِمَ الدِّين عبد الله بن تاج الدِّين أحمد بن إبراهيم المعروف بابن زنبور^١ ، أول ما باشر اشتفاء الوجه القبلي شريكًا لوهبة بن شجرة^٢ ، وطلع صُحْبته الأمير عَلِمَ الدِّين عبد الرزاق كاشف الوجه القبلي^٣ ونهض فيه . فلما كانت مصادرة ابن الجيعان كاتب الإسطبل ، طلب السلطان سائر الكتاب . وكان منهم ابن زنبور - فعرضهم ليختار منهم ، فشكر الفخر ناظر الجيش فيه^٤ ، وقال : هو وَلَدُ تاج الدِّين رفيقه ، وشكره الأكوز .

(a) بولاق : نبحث معه . (b) بولاق : يومنا هذا . (c) بولاق : لوهب بن سنجر . (d) بولاق : منه .

^١ الوزير الصاحب عَلِمَ الدِّين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن تاج الدِّين المعروف بابن زنبور القبطي المصري ، الحوفي سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م . قال الصفدي : «جميع له من الوظائف الجليلة ما لم يُجتمع لغيره» ، فقد كان وزيرًا بالدَّهْر المصرية ، ومتمولًا لتَظَرَّ الجيش ونظر الخاص ، ولم تجتمع هذه الوظائف الثلاث معًا لأحدٍ قبله . (الصفدي : أعيان العصر

٢ ذكره النبيه ٣ : ١٧٩ ، المقريزي : المقفى الكهر ٤ : ٤٢٦ - ٤٣٣ ، السلوك ٢ : ٨٧٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٣٤٥ ، أبو المحاسن : المنهل الصافي ٧ : ٦٩ - ٧١ ، النجوم الزاهرة ١٠ : ٢٩٩ .

^٣ كاشف ج كشاف ، وهو من أتراء الطُلُخانة ، =

فلَمَّا انقَضَ المَجْلِسُ طَلَبَهُ السُّلْطَانُ^٥ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَبَاشَرَ نَظَرَ الإِسْطَبِلِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَنَالَ فِيهِ سَعَادَةً طَائِلَةً ، وَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ مَاتَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الثَّانِي مُحَمَّدٌ ، وَحَكَّمَ الْأَمِيرُ أَيْدُغُش ، فَبَاشَرَ اسْتِيفَاءَ الصُّخْبَةِ^١ .

فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى جَمَالِ الْكُفَاةِ نَاطِرُ الْخَاصِّ وَنَاطِرُ الْجَيْشِ^٢ ، وَعَلَى الْمُؤَقَّقِ نَاطِرُ الدَّوْلَةِ ، وَعَلَى الصُّفِيِّ نَاطِرُ الْبُيُوتِ - الْمَعْرُوفُ بِكَاتِبِ قَوْصُونَ - فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَمَاتَ جَمَالُ الْكُفَاةِ فِي الْعُقُوبَةِ يَوْمَ الْأَحَدِ سَادِسَ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، غَيَّنَ ابْنُ زُنْبُورَ لَوْظِيْفَةَ نَاطِرِ الْخَاصِّ ، ثُمَّ قُرِّرَ فِيهَا الْقَاضِي مُؤَقَّقُ الدِّينِ هَيْبَةُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ نَاطِرَ الدَّوْلَةِ .

وَكَانَ ابْنُ زُنْبُورَ وَهُوَ مُسْتَوْفَى الصُّخْبَةِ ، قَدْ سَيَّرَهُ جَمَالُ الْكُفَاةِ قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الْفَلَاحِ الشَّامِيَّةِ ، وَمَعَهُ جَرَكْتُمْ^٣ الصَّاحِبِ^٤ إِبْعَاذًا لَهُ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَرْغُونُ الْغَلَاثِي يُعْنَى بِهِ . فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى جَمَالِ الْكُفَاةِ ، تَحَدَّثَ لَهُ الْغَلَاثِي مَعَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ فِي نَظَرِ الْخَاصِّ ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَخْضُرْ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ ، فَتَحَدَّثَ الْوَزِيرُ نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ - الْمَعْرُوفُ بِوَزِيرِ بَنْدَادٍ^٥ - مَعَ السُّلْطَانِ فِي وِلَايَةِ الْمُؤَقَّقِ نَظَرَ الْخَاصِّ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ .

وَحَضَرَ ابْنُ زُنْبُورَ مِنَ الشَّامِ ، فَبَاشَرَ نَظَرَ الدَّوْلَةِ عَلَمُ الدِّينِ بْنِ سَهْلُوكَ ، وَابْنُ زُنْبُورَ عَلَى مَا هِيَ عَادَتُهُ فِي اسْتِيفَاءِ الصُّخْبَةِ ، وَنَهَضَ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَخَصَّلَ الْأَمْوَالَ ، وَدَخَلَ هُوَ وَالْوَزِيرُ نَجْمُ الدِّينِ ، وَشَكَا تَوَقُّفَ الدَّوْلَةِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِنْعَامَاتِ وَالْإِطْلَاقَاتِ لِلْخُدَّامِ^٦ وَالْجَوَارِي وَمَنْ يُلَوِّذُ بِهِمْ . فَتَقَرَّرَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : جراكسر . (c) بولاق : الخدم .

= وَقَبْلَ اسْتِيفَاءِ وَظِيْفَتِي : نِيَابَةُ الْوَجْهِ الْقِبْلِي ، وَنِيَابَةُ الْوَجْهِ الْبَحْرِي فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزُفَرَقٍ ، كَانَ بِهِمَا كَاشِفَانِ . (الْقَلْقَشَنْدِي : صَبِيح الْأَعْيُنِ ٢٩:٤) .

^٢ جَمَالُ الْكُفَاةِ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِي نَاطِرُ الْخَاصِّ ثُمَّ الْجَيْشِ ثُمَّ الشَّدَّ (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢١١:١٠) .

^٣ اسْتِيفَاءُ الصُّخْبَةِ . أَرْفَعَ ذَوَابِينَ الْأَمْوَالَ ، ثَبَّتَ فِيهِ

التَّوَارِيقَ وَالْمَرَامِسَ السُّلْطَانِيَّةَ ، وَكُلٌّ مِنْ ذَوَابِينَ الْأَمْوَالَ هُوَ

فَرَعَ لِهَذَا الدَّيَّانِ . وَتَحَدَّثَ صَاحِبُ هَذَا الدَّيَّانِ فِي جَمِيعِ

الْمَمْلَكَةِ مِصْرًا وَشَامًا وَكَبَسَ تَرَاثِيمَ يُعَلِّمُ عَلَيْهَا السُّلْطَانُ ،

تَارَةً تَكُونُ بِمَا يُغْتَلَى فِي الْبِلَادِ ، وَتَارَةً بِإِطْلَاقَاتِ ، وَتَارَةً

^٤ انظُرِ الْمُقَرَّرِي : السُّلُوكُ ٢ : ٦٧٠ .

^٥ نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَرْوِينَ وَزِيرُ بَنْدَادٍ .

(فِيْمَا تَقْدَمُ ١٦١) .

الحال مع الأمراء على كتابة أوراق بكلف^(a) الدولة، فلما قرئت بمحضصر الأمراء، بلغت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم، والمتحصل خمسة عشر ألف^(b) ألف درهم. فأبطل ما استجد بعد موت الملك الناصر بأمره، فلم يستمر غير شهر واحد حتى عاد الأمر على ما كان عليه، بحيث بلغ مضرور الخواص خاناه في كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم، بعدما كانت في أيام الناصر محمد ثلاثة عشر ألف درهم.

فلما مات الملك الصالح إسماعيل، وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد، صرف الموقف عن نظر الخاص، ونقل ابن زنبور إليها^(c) من استيفاء الضريبة، واستقر فخر الدين السعيد في استيفاء الضريبة، وذلك في ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة. فباشر ذلك إلى أخريات رجب ثمانين يوماً. فولى الملك الكامل نظر الخاص لفخر الدين ابن السعيد مستوفى الدولة، وأعاد ابن زنبور من نظر الخاص إلى استيفاء الدولة.

فلما كان في المحرم سنة سبع وأربعين، أعيد نجم الدين وزير بغداد إلى الوزارة، وقرر ابن زنبور في نظر الدولة، فاستمر إلى أن قتل الكامل شعبان، وأقيم في الملك من بعده أخوه الملك المظفر حاجي في مستهل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين، فطلب ابن زنبور، وأعيد إلى نظر الخاص، وقبض على فخر الدين بن السعيد وطولب بالحقل، وأضيف إليه نظر الجيش، فباشر ذلك إلى سنة إحدى وخمسين، فأضيف إليه الوزارة في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة، وخلع عليه، وكان له يوم عظيم جداً.

فلما كان يوم السبت، جلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة في دشت الوزارة، واستدعى جميع المباشرين، وطلب المقدم ابن يوسف، وشد سطره على ما كان عليه، وطلب المعاملين وشلقهم على اللحم وغيره، واستكتب المباشرين أنه لم يكن في بيت المال ولا الأهراء من الدراهم والغلال شيء ألبته، ودخل بها وقرأها على السلطان والأمراء. وسرع في عرض لأزباب^(d) الوظائف كلهم، وطلب حساب الأقاليم بأمرها، وولى صهريه فخر الدين ماجد قزوينة^(e) نظر

(a) بولاق : كلفة . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : أرياب . (d) بولاق : فروية .

^١ الوزير الصاحب فخر الدين ماجد بن قزوينة القبطي حبيب : تذكرة النبيه ٣ : ٢٣٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة المصري، توفي تحت العقوبة سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٩م . (ابن ٣ : ٣٦١ ؛ أبو الحسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٩٧، النهل =

البيوت، وأنفق جامعيّة شهر، وحمل الرّوايب إلى الدّور السّلطانية، والأشميطة من السكر والزّيت والقلوبات وغير ذلك، وأقام بكتّمر المؤمني في وظيفّة شدّ الدّواوين، وألزم نفسه في المجلس السّلطاني بحضرة الأمراء أنّه يُمَاشِر الوِزارة بغير مغلوم، وقَرّر / ابنه في ديوان الممالك والتزم أنّه لا يتناول مغلومًا بل يُوفّر المعلومتين للسّلطان.

- ٥ وأبطلَ رُفَي السّعيير والتّزسيم من بلاد مصر - وكان يَحْصُل بِرُفَيهِمَا ضَرَرٌ كبيرٌ، فإنّ ذلك كان يُجَبِّي^(٥) من سائر البلاد، فيغرم على كل أردب أكثر من ثمنه - والتزم بتكفيّة بيت السّلطان^(٥) من السّعيير والتّزسيم بغير ذلك، فبطلَ على يديه، وكُتِبَ به مَرسُوم، وكُتِبَ نَقْشًا على حجرٍ في جانب باب القلعة من قلعة الجبل^١، وأمر بقياس أراضي الجيزة، فجاء زيادتها عن الارتفاع الذي مضى ثلاث مائة ألف درهم، وعنها خمسة عشر ألف دينار.

- ١٠ فلم يزل إلى سابع عشرين شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة، فأحيط به وقُبِضَ عليه حسنًا له على ما صار إليه ممّا لم^(٥) يجتمع لغيره في الدّولة التركية. وتولّى القيام عليه الأمير صرغتمش لأنّه عَلمَ أنّه من جهة الأمير شيوخو، ويقوم له بجمع ما يختاره، وأعانه عليه الأمير طاز. وما زال يذّاب في ذلك إلى أن عاد السّلطان الملك الصّالح من دمشق في يوم الاثنين خامس عشرين شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة إلى قلعة الجبل، وعَمِلَ يوم الخميس سماءًا مهشًا في القلعة، ولما انقضى السّماط، خلّع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء، وعلى الوزير وسائر المباشرين. فاتفق - لما قلّره الله تعالى - أنّه حضّر إلى الأمير صرغتمش - وهو يومئذ رأس توبة عشرة - تشريف غير تشريفه ودون رتبته، فأخذه ودخل إلى الأمير شيوخو، وألقى البقجة قُدّامه، وقال: انظر فقلّ الوزير معي، وكشّف الخيلة. فقال شيوخو: هذا غلط.

- ٢٠ فقام وقد أخذه من الغضب شبه الجنون، وقال: هذا شغلّ الوزير، وأنا ما أصبر على أن أهان لهذا الحدّ، ولا يذّ لي من القَبْض عليه، ومهما شئت أنت أفعل بي. وخرّج فإذا الوزير داخلٌ لشيوخو وعليه خيلة، فصاح في ممالكه: خذوه. فكشّفوا الخيلة عنه وسحبوه إلى بيت

(a) بولاقي: يحصل. (b) بولاقي: بيت المال. (c) بولاقي: ولم.

^١ انظر عن باب القلعة فيما يلي ٦٨٥.

= الصافي ٩: ١٨٥، وفيما يلي (٢٤٩).

صَرَعْتُمْش، وَسَرَّخ مَمَالِكُهُ فِي الْقَبْضِ عَلَى جَمِيعِ حَاشِيَةِ الْوَزِيرِ، فَقَبِضَ عَلَى سَائِرِ مَنْ يَلُودُ بِهِ لَأْتُهُمْ كَانُوا قَدْ اجْتَمَعُوا بِالْقَلْعَةِ .

وَحَالَطَتِ الْعَامَّةُ الْمَمَالِكِ فِي الْقَبْضِ عَلَى الْكُتَّابِ، وَأَخَذُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا كَثِيرًا .
حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ صَارَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سِتُّ عَشْرَةَ ذَوَاةً مِنْ ذَوَى الْكُتَّابِ، فَلَمْ يُمَكِّنْ مِنْهَا أَرْبَابُهَا إِلَّا بِمَالٍ يَأْخُذُهُ عَلَى كُلِّ ذَوَاةٍ مَا بَيْنَ عَشْرِينَ إِلَى خَمْسِينَ دِرْهَمًا . وَأَمَّا مَا سَلَبُوهُ مِنَ الْعَمَائِمِ وَالنِّيَابِ وَالْمَهَامِيزِ الْفِضَّةِ فَشَيْءٌ كَثِيرٌ .

وَخَرَجَ الْأَمِيرُ قَشْتَمُرُ الْحَاجِبِ وَغَيْرِهِ فِي جَمَاعَةٍ إِلَى دُورِهِ الَّتِي بِالْمُصُوصَةِ^(a) مِنْ مِصْرَ، فَأَوْقَعُوا الْحَوَاطَةَ عَلَى حَرِيمِهِ وَأَوْلَادِهِ، وَخَتَمُوا سَائِرَ بَيُوتِهِ وَبُيُوتِ خَوَاشِيهِ - وَكَانُوا قَدْ اجْتَمَعُوا وَتَزَيَّنُوا لِقُدُومِ رِجَالِهِمْ مِنَ الشُّعْرَى - وَأُنْزِلَ الْوَزِيرُ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ مِنْ بَيْتِ صَرَعْتُمْش . فَلَمَّا أَصْبَحَ طُلِبَ وَلَدُ الْوَزِيرِ، وَصَارَ بِهِ صَرَعْتُمْشُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ، وَأَحْضَرَ أُمَّهُ لِيُعَاقِبَهُ وَهِيَ تَنْظُرُهُ حَتَّى يَذْلُوهُ عَلَى الْمَالِ . فَفَتَحُوا لَهُ خِزَانَةً وَجَدَ فِيهَا خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً، وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِ صَنْدُوقٍ فِيهِ سِتَّةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَصَاعِ^(b)، وَخَضَرَتْ أَحْمَالُهُ مِنْ الشُّعْرَى، فَوُجِدَ فِيهَا سِتَّةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَحْفٍ وَثِيَابٍ وَأَصْنَافٍ .

وَأُلْزِمَ وَالِي مِصْرَ بِإِحْضَارِ بَنَاتِهِ، فَتَوَدَّيَ عَلَيْهِنَ فِي مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ، وَهَجَمَتِ عِدَّةٌ دُورَ بَسْبِيهِنَ . وَنَالَ النَّاسُ مِنْ نِكَاحَةِ أَعْدَائِهِمْ فِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ كُلِّ غَرَضٍ، فَإِنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَتَوَجَّهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ جِهَةِ صَرَعْتُمْشَ، وَيُرْمِي عَدُوَّهُ بِأَنْ عِنْدَهُ بَعْضُ خَوَاشِيِ ابْنِ زُنْبُورَ، فَيُؤْخَذُ بِمَجْرُودِ الثَّهْمَةِ . وَلَقِيَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ بَلَاءً عَظِيمًا .

ثُمَّ حُمِلَ إِلَى دَارِهِ وَعُرِّيَ لِيُضْرَبَ؛ فَقَدَلُ عَلَى مَكَانٍ اسْتُخْرِجَ مِنْهُ نَحْوُ مِنْ خَمْسَةِ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَضُرِبَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَغَصِرَتْ^(c) زَوْجَتُهُ، وَضُرِبَ وَلَدُهُ فَوُجِدَ لَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَايَةِ .

قَالَ الصَّفْدِيُّ خَلِيلُ بْنُ أَيْمَنَ، الْمَلُوقُ صَلَاحُ الدِّينِ، فِي كِتَابِ «أَغْيَانِ الْعَصْرِ»: وَأَمَّا مَا أُعِيدَ مِنْهُ فِي الْمُسَادَرَةِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، فَتَقَلَّتْ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ بَذَرِ الدِّينِ الْحِمَاصِيِّ مِنْ^(d) وَرَقَةٍ بِحَطِّهِ، عَلَى مَا أَفْلَاهُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْبَهْهَسِيُّ :

(a) بولاق : الصوصة . (b) بولاق : المصالح . (c) بولاق : عربت . (d) بولاق : في .

«أواني ذَهَبَ وَفَضَّةُ سِتُونَ قِنْطَارًا، جَوْهَرُ سِتُونَ رِطْلًا، لُؤْلُؤُ أَرْدَبَانٍ، ذَهَبُ مَضْكُوكٍ مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ضَمَنَ صَنْدُوقٌ، سِتَّةُ آلَافٍ حِيَاصَةَ ضَمَنَ صَنْدِيقُ زَرْكَشٍ سِتَّةُ آلَافٍ كَلُوتَةً، ذَخَائِرُ عِدَّةٍ، قِمَاشٌ بِدَنَةِ الْفَنِّ وَسِتُّ مِائَةِ فَرْجِيَّةٍ^(١)، بُسْطُ سِتَّةِ^(٢) آلَافٍ، صِنْجَةٌ، دِرَاهِمُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، شَاشَاتٌ ثَلَاثُ مِائَةِ شَاشٍ، ذَوَابُ عَامِلَةٍ سَبْعَةِ آلَافٍ، حَلَّابَةٌ سِتَّةُ آلَافٍ، خَيْلٌ وَبِغَالٌ أَلْفٌ، دِرَاهِمُ ثَلَاثَةِ أَرَادَبٍ، مَعَاصِرُ شُكْرِ خَمْسٍ وَعِشْرُونَ مَعْصَرَةً، إِقْطَاعَاتُ سَبْعِ مِائَةِ كُلُّ إِقْطَاعٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، غَبِيدٌ مِائَةٌ، خُدَّامُ سِتُونَ، جَوَارِي سَبْعِ مِائَةٍ، أُمْلَاكُ الْقِيَمَةِ عَنْهَا ثَلَاثُ مِائَةِ دِينَارٍ، مَرَاكِبُ سَبْعِ مِائَةٍ، رُخَامُ الْقِيَمَةِ عَنْهُ مِائَتَا أَلْفَ دِرْهَمٍ، تُحَاسُ قِيَمَتُهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ، سُرُوحٌ وَبَدَلَاتُ خَمْسِ مِائَةٍ، مَخَازِنُ وَمَتَاجِرُ أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ، نُطُوعٌ سَبْعَةِ آلَافٍ، ذَوَابُ خَمْسِ مِائَةٍ، بَسَاتِينُ مِائَتَانِ، سَوَاقِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ»^١.

وكان - في وَقْتِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ - أَشَدَّ النَّاسِ قِيَامًا فِي إِفْسَادِ صُورَتِهِ الشَّرِيفِ شَرَفُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ نَقِيبُ الْأَشْرَافِ، وَالشَّرِيفُ أَبُو الْعَبَّاسِ الصُّفْرَاوِي، وَبَدْرُ الدِّينِ نَازِلُ الْخَاصِ، وَأَمِيرُ الدِّينِ الصُّوْفِ أَسْتَاذَارُ الْأَمِيرِ صَرْغَتْمُش.

فَأَوَّلُ مَا فَتَحُوهُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَكَائِدِ أَنْ حَسَّنُوا لَصَرْغَتْمُش أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ، أَنَّ جَمِيعَ مَا لَهُ مِنَ الْأُمْلَاكِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْأَرْضِيهِ الْوَقْفِ وَالطَّلُقِ، جَمِيعُهَا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ دُونَ مَالِهِ، فَصَرَّ إِلَيْهِ ابْنُ الصُّلْطَرِ عُمَرُ وَشُهِدَ الْخِزَانَةُ، فَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.

ثُمَّ كَتَبُوا فُتْيَا فِي رَجُلٍ يَدْعَى الْإِسْلَامَ وَيُوجَدُ فِي بَيْتِهِ كَنِيسَةٌ وَصُلبَانٌ وَشُخُوصٌ مِنْ تَصَاوِيرِ النُّصَارَى وَلَحْمِ الْخَيْزُرِ، وَزَوْجَتُهُ نَصْرَانِيَّةٌ، وَقَدْ رَضِيَ لَهَا بِالْكَفْرِ وَكَذَلِكَ بَنَاتُهُ وَجَوَارِيهِ، وَأَنَّهُ لَا يُصَلِّي وَلَا يَصُومُ وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَبَالَعُوا فِي تَحْسِينِ قَتْلِهِ حَتَّى قَالُوا لَصَرْغَتْمُش: وَاللَّهِ لَوْ فَتَحْتَ

(١) بياض في بولاق.

^١ الصفدي: أعيان العصر ٢: ٦٥٥، وهي أحد المرات القليلة التي صرح فيها المقرئ بالنقل عن الصفدي، فواقع الأمر أن جميع تراجم أمراء المماليك ومعاصريهم الذين عاشوا قبل سنة ٧٦٠ هـ نقلها المقرئ من كتاب «أعيان العصر» للصفدي.

جزيرة قُبُوص، ما كُتِبَ لك أَجْرٌ من الله بِقَدْرِ ما يُؤْجِرُكَ الله على ما فَعَلْتَهُ مع هذا .
 فَأُخْرِجَ فِي هَائِنَةٍ^(a) وَزَنْجِيرٍ، وَضُرِبَ فِي رَحْبَةِ قَاعَةِ الصَّاحِبِ مِنَ الْقَلْعَةِ بِالْمَقَارِيعِ، وَتَوَالَتْ
 عُقُوبَتُهُ، وَأُسْلِمَ لَشَاؤُ الدَّوَاوِينَ لِتُعَاقِبَهُ حَتَّى يَمُوتَ . فَقَامَ الْأَمِيرُ شَيْخُو فِي أَمْرِهِ، فَرَدَّهُ صَرْعَتُمُش
 إِلَى دَارِهِ وَأَكْرَمَهُ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى سَابِعِ عَشْرِينَ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ، فَأُخْرِجَهُ مِنْ دَارِهِ،
 وَتَسَلَّمَهُ شَاؤُ الدَّوَاوِينَ، وَعَاقَبَهُ عُقُوبَةُ الْمَوْتِ فِي قَاعَةِ الصَّاحِبِ . فَاتَّفَقَ زُكُوثُ الْأَمِيرِ شَيْخُو مِنْ
 دَارِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَابْنُ زُنْثُورِ مُعَاقِبٍ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَّفَ وَمَنَعَ مِنْ ضَرْبِهِ، وَبَلَغَ الْحَبِيرُ
 صَرْعَتُمُشَ فَصَعِدَ إِلَى الْقَلْعَةِ، وَجَرَى لَهُ مَعَ شَيْخُو عِدَّةٌ مُفَاوِضَاتٍ كَادَتْ تُقْضَى إِلَى فِتْنَةٍ، وَآلُ
 الْأَمْرِ فِيهَا إِلَى تَشْفِيرِ ابْنِ زُنْثُورِ إِلَى قُوصٍ، فَأُخْرِجَ مِنْ لَيْلَتِهِ ؛ وَكَانَتْ مُدَّةُ شِدَّتِهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَأَقَامَ
 بِمَدِينَةِ قُوصٍ إِلَى أَنْ عَرَضَ لَهُ مَرَضٌ أَقَامَ بِهِ أَحَدَ عَشْرِ يَوْمًا، وَمَاتَ يَوْمَ الْأَحَدِ سَابِعِ عَشْرِ ذِي
 الْقَعْدَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَلَهُ بِالْقَاهِرَةِ السَّبِيلُ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ مِنْ دَخَلٍ مِنْ بَابِ
 زَوِيلَةَ بِجَوَارِ خِزَانَةِ شَمَائِلٍ^(b)، وَقَدْ دَخَلَ فِي الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِيِّ .

دَارُ الدَّوَاوِينِ

هذه الدَّارُ فيما بين حَاذَةِ زَوِيلَةَ وَإِسْطَبْلِ الْجَمِيْزَةِ، وَهِيَ الْيَوْمَ مِنْ جَمَلَةِ خُطِّ السُّبُحِ قَاعَاتِ
 غُرْفَتِ^(b)

دَارُ فَتْحِ اللَّهِ

هذه الدَّارُ الْيَوْمَ بِخُطِّ سُوَيْقَةِ الْمَسْعُودِيِّ، كَانَ مَوْضِعُهَا رُقَاقًا يُعْرَفُ بِرُقَاقِ الْبُتَّادَةِ، وَفِيهِ
 بَابٌ قَاعَةٍ أَنْشَأَهَا سَعْدُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ النَّجِيبِ أَبِي الْفَضَائِلِ الْمِثْمُونِي،
 أَخَذَ مُبَاشِرِي دِيْوَانِ الْجَيْشِ^(a) . وَهِيَ قَاعَةٌ فِي غَايَةِ الْمَلَاخَةِ مِنْ بَجْوَدَةِ رُخَامٍ وَكَثْرَةِ دِهَانٍ
 وَخَشْنِ تَرْتِيبٍ .

(a) بولاق : باشا . (b) بياض بالأصول وفي آياصوفيا : بياض سبعة أسطر .

^(a) لم يُفَرِّدِ الْقُرَيْزِيُّ هَذَا السَّبِيلَ بِمَدْخَلٍ مُسْتَقِلٍّ، كَمَا أَنَّهُ
 لم يُشِرْ إِلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ جَامِعَ الْمُؤَيَّدِ فِيمَا يَلِي ٣٢٨ : ٢ . الصيرفي : نزهة النفوس ٣٧١ : ١ .
^(b) انظر عن إِبْرَاهِيمَ الْمِثْمُونِيِّ، الْقُرَيْزِيِّ : السُّلُوكُ

ومات الميموني في ثاني ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبع مائة، فسكنها فتح الله ابن مفتصم وهو يومئذ رئيس الأطباء. فلما ولي كتابة السّر شره إلى العمارّة، فأخذ ما في الرّفاق المذكور من الدّور شيئاً بعد شيء، وأخرج منها سكّانها وهدمها، وابنى قاعةً تجاه قاعة الميموني، وجعل فيها بئراً وفسيحة ماء، وبني بها حماماً، ثم أنشأ إسطبلًا كبيرًا لخيليه. ولم يفتح بذلك حتى حمل القضاة على الحكم له باستبدال دار الميموني - وكانت وفقًا على أولاد الميموني، ومن بعدهم على الحرّمين - فعمل له طُرق في جواز الاستبدال^١ بها، على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة. فلما تمّ حكم القضاة له بملكها غيّر بابها وزاد في سعتها، وأضاف إليها عدّة مواضع ممّا كان بجوارها، وعزّس في جانبها عدّة أشجار، وزرع كثيرًا من الأزهار التي حملت إليه من بلاد الشام، وبألف في تحسين رخام هذه الدّار.

وأنشأ دهيشة^٢ كيسة إلى الغاية بوسطها فسيحة ماء يتخرط إليها من شايزوان^٣ عجيب الصّناعة بهج الرّي، وتشرف هذه الدهيشة على الجنينة التي أبدع فيها كلّ الإبداع. وركب علو هذه القاعات^(أ) الأزوقة العظيمة، وبني بجوارها عدّة مساكن لماليكه، وشمجداً معلقاً كان يصلّي فيه

(أ) بولاق : القاعة .

Fernandes, L., «Istibdal The Game of Exchange and its Impact on the Urbanization of Mamluk Cairo» in Behrens - Abouseif, D., (ed.) *The Cairo Heritage. Essays in Honor of Laila Afī Ibrahim*, Cairo AUC 2000, pp. 203-22
يلي ٢٠٢٢: ٢، ٢٢٥: ٥، ٢٣٠: ٨، ٢٩٦: ٢.

^٢ الدهيشة. لفظ أطلق على بعض المباني الملوكية لما لها من شكل جميل يُنبش الناظر إليه مثل : القاعة التي عثرها الصّالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون بالقلعة (فيما يلي ٦٨٠)، وزرع الدهيشة الذي أنشأه الناصر فرج بن بركات خارج باب زويلة . (محمد محمد أمين واهلي على إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق الملوكية ٤٩-٥٠).

^٣ الشايزوان ج. الشايزوانات. فارسي مُعَرَّب، ويقال أيضًا الشلسيل، يعني في الأصل ستر عظيم يُشعل على =

^١ الاستبدال - أدت كثرة الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي، إضافة إلى ضخامة ريعها وتنوع تصريفها، إلى جعلها تُطمع السلاطين والأمراء لاسيما في وقت الأزمات. ولم يقدم سلاطين الممالك وأمرأهم وسيلة شرعية للاستيلاء على ما يزغبون فيه من الأوقاف وعاونتهم على ذلك بعض القضاة والفُقهاء عن طريق «الاستبدال»، حيث أجاز بعض الفقهاء للواقف أن يشترط لنفسه، لو لم يراه، الحق في استبدال الموقف بوقف آخر بنفس الشروط على أن يتّص على ذلك صراحة في كتاب وقفيه، وإلا فليس لأخذ الحق في استبدال الأوقاف سوى القاضي إذا رأى المنفعة في ذلك. (راجع عؤل هذا الموضوع وأمثلة تطبيقية عليه، محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م - دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠، ٣٤١-٣٥٤

وراء إمام راتب قوزه له بمعلوم جار . فجاءت هذه الدار من أجل دور القاهرة وأبهجها .
ووقف ذلك كله مع أشياء غيرها على ثروته التي أنشأها خارج باب البرقية ، وعلى عدة جهات
من البر . فلما نكبت أنكره حتى رجع عن وقف هذه الدار على ما عيته في كتاب وقفه ، وجعلها
وفقا على أولاد السلطان الملك المؤيد شيخ ، فلما مات المؤيد عادت^(a) إلى وقف فتح الله^١ .

فتح الله بن مستعصم^(b) بن نفيس الإسرائيلي الداودي العتايي الثبريزي رئيس الأطباء وكاتب
السرا - ولد بتهريز في سنة تسع وخمسين وسبع مائة . وكان قد قدم جده نفيس إلى القاهرة في
سنة أربع وخمسين ، فأسلم وعظم بين الناس . ثم قدم فتح الله مع أبيه ، فتشأ بالقاهرة في كفالته
عنه ، ونظر في الطب ، وعاشر الفقهاء ، واتصل بصحبة بعض الأمراء ، فعرف منه أحد تمليكه
وكان يسمى بشيخ ، فلما تأمر شيخ قوته وأنكحه أمة ، وفوض إليه أمر ديوانه .

(a) بولاق : عاد ذلك . (b) بولاق : معتصم ، والتصويب من ذيل الدرر الكامنة بخط ابن حجر .

أمين ، يلي على إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق
الملوكية ٦٨ - ٦٩ : «Salsabil et Marçais, G., *Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, II, 639-48; Rabbat, N., *El² art. Shadhirwân IX* pp. 180-81; وفيما يلي ٤٠٦:٢) .

^١ جاء هنا على هامش نسخة ص : «قلت : التزعت هذه
الدار والقاعة من يد مستحق الوقف المذكور ، وأضاف ذلك
إلى داره الأمير سيف الدين قاني بك الجمالي الزردكاش وأحد
مقدمي الألوف بالديار المصرية في الأيام الأشرفية قابلي .
وكما تدين ثدان ولا يظلم رلك أحدها» .

^٢ انظر أيضا ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٢٣١ -
٢٣٢ ، إنشاء الغمر ٢٩:٣ - ٣٠ : أبا المحاسن : المنهل الصافي
٣٧٥:٨ - ٣٧٧ ، النجوم الزاهرة ٧: ٣٤١ ، الصيرفي : نزعة
النفس والأبدان ٢: ١٣٣٥ ، السخاوي : الضوء اللامع
١٦٥:٦ .

«شرايق السلاطين والوزراء وعلى الشرفة من القصر والدار .
وفي المصادر التاريخية يُقصد به عادة مُصطلحاً معمارياً يدلُّ
على بلاطة من حجر صلب أو من الرخام يُحفر في سطحها
زخارف هندسية ونباتية ، ينتج عن حفرها قنوات غائرة
متفرعة ، وتوضع في صدر الإيوان مائلة على الجدار بزوايا
تتراوح بين ١٥° و ٣٠° ، ويوضع عند حافتها العليا صنبور أو
أكثر ياتي إليه الماء من صهريج خلف الجدار فيسيل الماء منه
على سطح البلاطة متفرجا في القنوات الدقيقة مما يجعله
يتشغل في سيره فتريد فرصة تبيخره وتبريده فيلطف جو الإيوان
فضلاً عن تخريه الهادئ . وينتهي عند الطرف الأسفل
للبلطة إلى قناة تمتد على سطح أرضية المكان تُصب في
خوض للماء ذي شكل هندسي ، بعضها كان يُزود بنافورة في
وسطه مُزودة بأنابيب ليندفع منها الماء تحت ضغط ماء
الصهريج العلوي ، ويُصرف الماء الفائض في أنابيب أخرى
حتى المجاري . (فريد شافعي : العمارة العربية في مصر
الإسلامية - عصر الولاة ٤٥١:١ - ٤٥٣ : عبد الرحيم
غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ٢٣٢ : محمد محمد

- ثم مات عنه بديع بن نفيس ، فأقره الملك الظاهر برفوق مكانه في رئاسة الأطبائ ، فباشرها مباشرة مشكورة ، واختص بالملك الظاهر برفوق اختصاصا كبيرا ، فلما مات بذر الدين محمود الكلستانى^(a) قلده وظيفة كتابة السر ، وخلع عليه في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمان مائة ، ومات الظاهر ، وقد جعله أخذ أوصيائه . فما زال إلى أوائل ربيع الأول سنة ثمان وثمان مائة ، فقبض عليه ، واستقر بذله في كتابة السر سغد الدين إبراهيم [بن عبد الرزاق]^(b) .
- ابن غراب^٢ ، وضرب حتى حمل مالا ، ثم أفرج عنه ، فلزم دازه/ إلى شهر رمضان ، فحمل إلى دار الوزير فخر الدين ماجد [بن عبد الرزاق]^(b) بن غراب^٣ ، وألزم بمال آخر فحمله وأطلق .
- فقام الأمير جمال الدين يوسف الأشتادار في أمره ، وما زال بالملك الناصر فوج إلى أن أعاده إلى كتابة السر في أوائل ذي الحجة ؛ فاستقر فيها وتمكن من أعدائه ، وأراه الله مصارعهم ، واتسعت أحواله ، وانفرد بسلطانه وأنيط به لجل الأمور . فأصبح عظيم المصير ، نافذ الأمر ، قائما بتدبير الدولة ، لا يجد أحد من عظماء الدولة بدا من تحسين سفارته ، وأبدي للناس ديننا وخيرنا وتواضعا وحشنا وساطة بين الناس وبين السلطان .
- فلما كان من أمر الناصر وهزيمته على اللجون^٤ ما كان ، وقع فتح الله مع الخليفة المستعين بالله العباسي بن محمد المتوكل على الله وعدة من كتاب الدولة ، في قبضة الأمير ابن شيخ ونوروز ، وما زال عندها حتى قتل الناصر ، وأقيم من بعده أمير المؤمنين المستعين بالله ، وهو على حاله من نفوذ الكلمة وتدبير الأمور .

(a) بولاق : الكلستاني . (b) زيادة اقتضاها السياق .

^١ ترجمته عند ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٧٩-٨٠ .

^٢ القاضي الأمير سغد الدين بن غلم الدين إبراهيم بن عبد الرزاق الشهير بابن غراب الإسكندري القبطي ، المتوفى سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م . (المقريزي : السلوك ١/٤ : ٨٩ ؛ أبو المحاسن : الدليل الشافي ٢ : ٥٦٩ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ٦ : ٢٣٤) .

^٣ اللجون . تلذ بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، وبينه وبين الرملة بفلسطين أربعون ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ٥ : ١٣-١٤) .

^٤ ترجمته عند ابن حجر : ذيل الدرر الكامنة ٧٩-٨٠ .

^٥ القاضي الأمير سغد الدين بن غلم الدين إبراهيم بن عبد الرزاق الشهير بابن غراب الإسكندري القبطي ، المتوفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م . (المقريزي : السلوك ٤ : ٢٤ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ٣٢٨-٣٢٩ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ١ : ١٠٤-١١٢ ، النجوم الزاهرة ١٣ : ١٥٦ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ٢٢١ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ١ : ٦٥-٦٦ ؛ وفيما يلي ٢ : ٤١٩) .

فلما استبَدَّ الأمير شَيْخ بِمَمْلَكَةِ الدِّيارِ المِصرِيةِ ، واعتَقَلَ الخَلِيفَةَ وتلقَّبَ بالملك المُوَكَّدِ شَيْخ في سَعْبَانِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، أَقْرَقَتْهُ اللهُ عَلَى رُبَّتِهِ . ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ تَاسِعِ شَوَّالٍ وَعُوقِبَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَأُحِيطَ بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِ وَأَسْبَابِهِ وَخَوَاشِيهِ ، وَبِيعَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا وَجَدَ لَهُ ، وَحُمِلَ مَا تَحَصَّلَ مِنْهُ فَبَلَغَ مَا يَنِيفُ عَنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى مَا أُخِذَ مِمَّا لَمْ يُبِعْ وَهُوَ مَا يَتَجَاوَزُ^(أ) ذَلِكَ .

وما زال في العُقُوبَةِ إِلَى أَنْ تُحْنِقَ فِي لَيْلَةِ الْأَخْدِ خَامِسِ عَشْرِ شَهْرِ رَبِيعِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَحُمِلَ مِنَ الْغَدِ إِلَى تَرْبِيعِهِ [خَارِجَ بَابِ الْحَرْقِ]^(ب) فَدُقِّنَ بِهَا .

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - مِنْ خَيْرِ أَهْلِ زَمَانِهِ رِيَاضَةً وَدِيَانَةً ، وَطِيبَ مَقَالٍ وَتَأَلَّهَ وَتَنَشَّكَّ ، وَمَحَبَّةَ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَحُسْنَ قِيَامٍ مَعَ السُّلْطَانِ فِي أَمْرِ النَّاسِ ، وَبِهِ كَفَى اللهُ عَنِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ النَّاصِرِ فَرَجَ شَيْئًا كَثِيرًا . وَقَدْ ذَكَرْتَهُ بِأَبْسَاطٍ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِي «دُورُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ فِي تَرَاجِمِ الْأَعْيَانِ الْمُفِيدَةِ» وَفِي كِتَابِي «خُلَاصَةُ الثَّبَرِ فِي أَخْبَارِ كُتَّابِ الشَّرِّ»^(١) .

دَارُ ابْنِ فِرْقَةٍ

هَذِهِ الدَّارُ مِنَ الدُّورِ الْقَدِيمَةِ ، وَهِيَ بِخُطِّ سُوَيْفَةِ الْمَشْعُودِيِّ إِلَى خُطِّ يَتْنِ الشُّورَتَيْنِ ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ مَعَالِمُهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : دَارُ ابْنِ فِرْقَةٍ هِيَ الْآنَ سَكْنُ الْأَمِيرِ ضَارِمِ الدِّينِ الْمَشْعُودِيِّ وَالْيَاقَازَةِ ، بِأَوَّلِ حَازَةِ زَوَيْلَةٍ مِنْ جِهَةِ بَابِ الْخَوْخَةِ عَلَى بَشْرَةِ السَّالِكِ إِلَى دَاخِلِ الْحَازَةِ ، وَهِيَ مَعْرُوفَةُ الْآنَ^(ع) ، وَإِلَى جَانِبِهَا الْحَمَامُ الْمَعْرُوفَةُ بِابْنِ فِرْقَةٍ أَيْضًا . وَهَذِهِ الدَّارُ وَالْحَمَامُ أَنْشَأَهُمَا أَبُو سَعِيدِ بْنِ فِرْقَةٍ الْحَكِيمُ ، وَأَبَاغَهُمَا فِي حَالِ مُصَادَرَتِهِ مِمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَبْتَاغَتْهَا جِهَةً^(د) عَلِمَ السَّعْدَاءُ ، ثُمَّ سَكَنَهَا الْكَامِلُ بْنُ شَاوَرٍ ، وَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْخَلِيجِ^(هـ) .^(٢) انْتَهَى .

(أ) بولاق : بجاور . (ب) زيادة من المنهل الصافي . (ج) بولاق : اليوم . (د) ساقطة من بولاق . (هـ) عند ابن عبد الظاهر : في جهة باب الخوخة .

^١ نَقَلَ أَبُو الْحَسَنِ جِزَاءً مِنْ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ فِي الْمَنْهَلِ الصَّافِي ٣٧٦:٨-٣٧٧ . وَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ «دُورِ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ» لِلْمَقْرِزِيِّ لَا تَوْجِدُ بِهِ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ ؛ أَنَا كَتَبْتُهُ «خُلَاصَةُ الثَّبَرِ فِي أَخْبَارِ كُتَّابِ الشَّرِّ» فَهُوَ كِتَابٌ مَفْقُودٌ ، وَإِنْ وَجَدْتِ بَعْضَ الْمَوَادِّ الَّتِي يَجْتَمِعُ لَهَا الْمَقْرِزِيُّ فِي الْكَوَاثِبِ الْمَحْفُوظَةِ بِخَطِّهِ فِي مَكْتَبَةِ LIÈGE بِبَلْجِيكَا .

^٢ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الرُّوضَةُ الْبَهِيَّةُ ١٠٩ ؛ الْمَقْرِزِيُّ : مَسْرُودَةُ الْمَوَاعِظِ ٤٠٦ ؛ وَقَارَنَ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ : النُّجُومُ =

وهذه الدار والحمام قد هُدمتا ، وصارَ موضع الدار الجامع المعروف بجامع ابن المغربي برأس شويقة الصاحب وما يجاوره من دور ابن أبي شاكر^١ ، وآخر ما بقي منها شيء هُدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الوزير الصاحب فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر في رمضان سنة أربع وتسعين وسبع مائة^٢.

- وابن فسوق هذا كان يتولى الاشتغالات بدار الديباج وخزائن السلاح ، وكان ماهراً في علم الطب والهندسة ونحو ذلك من علوم الأوائل . وقُتله الخليفة الحافظ لدين الله من أجل أنه ذبح السم لابنه حسن بن الحافظ ، عندما ثار الخنثى وطلبوا من الخليفة قتل ابنه حسن كما تقدم ذكره^٣ ، فلما سكنت الدُهماء قبض عليه الخليفة ، واعتقله بجزاة الثود ، وقُتله في سنة تسع وعشرين وخمس مائة .

دار خوند

هذه الدار من حقوق حارة زويلة ، عُرفت بالسبت الجيلة خوند أزدوئكين ابنة نوحية السلاح دار الثري^٤ . تزوج بها الملك الأشرف خليل بن قلاوون ومات عنها ، فتزوجها من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وولدت منه ولدين وماتا ، ثم طلقها ونزلت من القلعة ، فسكنت هذه الدار ، وأنشأت لها توبة بالقرافة تُعرف الآن بتوبة السبت^٥ ، وجعلت لها عتدة أوقاف .

وكانت من الخير على جانب عظيم ، لها معروف وصدقات وإحسان عظيم ، وماتت ولها ما يُبف على الألف ما بين جارية وخادم اعتقتهم كلهم ، وخلفت أموالاً تخرج عن الحد في الكثرة ، وكانت وفاتها في ليلة السبت ثالث عشرين المحرم سنة أربع وعشرين وسبع مائة ، ودُفنت بتوبتها . فتقدم أمر السلطان للأمراء والقضاة لشهود جنازتها ، وحمل ما تركته من الجواهر والأموال .

= الزاهرة ٥: ٢٤٣؛ وفيما تقدم ٧١: ١٢.

^١ فيما يلي ٢: ٣٢٨.

^٢ المقريري: مسودة المواعظ ٣٩٧، ٤٠٦.

^٣ فيما تقدم ٥٢ .

^٤ عن خوند أزدوئكين (أردوئكين ، أركين) انظر فيما

تقدم ١٦٤.

الصحراء خارج باب القرافة ومسجلة بالآثار برقم ٣٠٠.

ذكرها ابن الزيات في الكواكب السارة ٢٨٤ بين توبة

محمود وتوبة القُدوري ، وتعرف اليوم بين العامة باسم توبة

وليان المنوفي . (راجع ، al- Harithy, H., «Turbat al-

Sitt : An Identification» in Behrens-Abouseif, D.

(ed.), The Cairo Heritage - Essays in Honor of

«Laila Ali Ibrâhîm, Cairo AUC 2000, pp. 102-21

وانظر أيضاً فيما يلي (٣٩٨).

^٥ مازالت توبة خوند أزدوئكين موجودة إلى الآن في

وطلب أخوها جمال الدين خضر بن نوحية ، وصوليح على إزته منها بمائة وعشرين ألف درهم ، عنها يومئذ سبعة آلاف دينار .

ولم تزل هذه الدار إلى أن تهدمت ^(a) ، فأخذها الأمير صلاح الدين محمد ، أستاذار السلطان ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمان مائة ، وأدخلها في داره التي أنشأها ، فجاءت من أجل دور القاهرة ^١ .

دار ابن شاعر

هذه الدار (b) .

دار الذهب

هذه الدار خارجة القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة ، بناها الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي . وكان فيما بين باب القنطرة وباب الخوخة منظره اللؤلؤة - التي تقدم ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ^٢ - ويجاورها من حيز باب الخوخة دار القلک ، وبناها قلک الملك / أخذ الأستاذين الحاكيمية ، ويلاصقها دار الذهب هذه ، ويجاور دار الذهب دار الشائورة ، ^(c) وسُميت هذه الدار بهذا الاسم ^٣ لأنها أبيع في أيام الشدة بشائورة خلواء ^(d) .

(a) بولاق : هدمت . (b) هذا المدخل يوجد في آياصوفيا وباريس وليدن ، وأمامه في آياصوفيا على الهامش : يياض سبعة أسطر . (c-c) إضافة من المودة .

^١ هنا على هامش نسخة من : «هذه الدار الآن يد الأمير الكبير سيف الدين أرتك الظاهري أتاك الماسكر المنصورة الأشرية قايي ، وأمكن بها أتهات أولاده وشرابه ، وله الأثر من قبل ومن بعد» .

أقول : أرتك الظاهري هو : الأمير سيف الدين أرتك من طليخ الظاهري جغتق حاجب الحجاب وأتابك العسكر في زمن السلطان الأشرف قايي ، وهو الذي أنشأ حي الأركية الذي ينسب إليه بين سنتي ٨٨٠هـ / ١٤٧٦م و٨٨٩هـ / ١٤٨٤م ، وتوفي سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م . (ابن

^٢ فيما تقدم ٥٣٦:٢ - ٥٣٧ .
ونفس المصوغة : هي الدار التي خارج باب الخوخة على بكرة الخارج منه مما يلي باب سعادة ، مطة على الخليج وتعرف في عصرنا بقو الذهب .
^٣ هذا النص في مصوغة الموايظ نقلًا عن ابن

ودار الذهب عُرِفَتْ أخيراً بدار الأمير بهادر الأعصر شاذ الدواوين^١، ثم الآن عُرِفَتْ بدار الأمير الوزير المشير الأستاذار فخر الدين عبد الغني بن الأمير الوزير الأستاذار تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج الأزمني الأضل، وعُني بها، وهدم كثيراً من الدور التي كانت تجاورها على بحر الخليج الشرقي، وأنشأ هناك داراً يُطَرَّقُ إليها من هذه الدار بساباط، وأنشأ بجوارها جامعاً الآتي ذكره وخمّامه^٢.

ثم هُدمَ كثيراً من الدور التي كانت على الخليج، وما وراءها بتلك الأحكار التي في الجانب الغربي من الخليج، وعُرسَ في أراضي تلك الدور الأشجار، وجعلها بُشْتَاناً تجاه داره، فمات قبل أن تُكْمَلَ، وصارَ أكثر مواضع الدور التي خربتْها هناك كيمناً^٣.

دار الحاجب

١٠ خارج باب النضر تجاه مُصَلَّى الأموات. هذه الدارُ أنشأها الأمير سيف الدين كُهرْداش المنصوري^٤، أخذ الممالك الزرقين، وهو الذي فتح جزيرة أزواد^٥ في المراكب المتوجهة إلى بلاد الفرج، وتولّى عِمَارَةَ مِقْدَنَةِ الْمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورِيَةِ لِمَا تَهْدَمَتْ فِي الزَّلْزَلَةِ، وتقدّم وكثرت أمواله، ومات بدمشق في سنة أربع عشرة وسبع مائة.

فاشترى هذه الدار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب، ولم تزل بها ذُرْبَتُهُ من بعد الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر والأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله، وبها الآن ولدا الأمير ناصر الدين، وهما الأمير علي وعبد الرحمن؛ وما يَرِخُ هذا البيت فيه الإمرّة والسعادة^٦.

(a) هنا في آياصوفيا: بعد ذلك يباض نحو ورقة وشيء.

= عبد الظاهر. (الروضة البهية ١١٢-١١٣ مسودة ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٥٥-٣٥٦؛ أبو الهواظ ٢٩٠-٢٩١).

^١ المقرئ: مسودة المواظ ٢٩٢ وفيما يلي ٢٤٦.

^٢ فيما يلي ٣٢٨.

^٣ سيف الدين كُهرْداش المنصوري الزرق، المتوفى سنة ١١٦١ م. (الصفدي: أعيان العصر ٤: ١٦١-١٦٢).

^٤ كُهرْداش خارج باب النضر.

=

بِكُتْمَرِ الْحَاجِبِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ^١ - كان أمير آخور، ثم وَلِيَّ شَدِّ الدَّوَالِينِ بِدِمَشْقَ فِي نِيَابَةِ الْأَفْرَمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلَامٌ فِي عَزْلِ وَلَا وِلَايَةٍ، ثُمَّ وَلِيَّ الْحُجُورِيَّةِ. وَتَوَجَّهَ إِلَى صَفَدٍ كَاشِفًا عَلَى الْأَمِيرِ نَاهِضَ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ أَبِي الْخَيْرِ، وَالْيَ الْوَلَاةِ وَشَادَّ الدَّوَالِينَ بِهَا، وَمَعَهُ مُعِينُ الدِّينِ بْنِ خَشِيشٍ، فَخَرَّزَ الْكَشْفَ، وَدَقَّقَهُ^٢ حَتَّى قَالَ فِيهِ زَيْنُ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ خِلَاوَاتٍ مُوقَّعَ صَفَدٍ:

[الكامل]

يَا قَاصِدًا صَفَدًا فَعُذَّ عَنْ بَلَدَةٍ مِنْ جُورِ بَكْتُمَرِ الْأَمِيرِ خَرَابٍ
لَا شَايِعَ تُغْنِي شَقَاعَتُهُ وَلَا جَانٍ لَهُ ثَمًا بَجَنَاهُ مَسَابٍ
عَشْرٌ وَمِيزَانٌ وَتَشْرُ صَحَائِفَ وَجَرَائِدُ مَعْرُوضَةٍ وَحِسَابٍ
وَبِهَا زَبَانِيَّةٌ تَحْتُ عَلَى الْوَرَى وَسَلَاسِلُ وَمَقَامِغُ وَعِقَابٍ
مَا فَاتَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا وَعِدُوا بِهِ فِي الْحُسْرِ لِأَنَّ رَاجِمَ وَمَقَابٍ^٣

وَلَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مِنَ الْكَرْكِ إِلَى دِمَشْقَ وَلَّاهُ الْحُجُورِيَّةَ، وَدَخَلَ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى مِصْرَ وَهُوَ حَاجِبٌ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ ثَانِيًا ثَانِيًا إِلَى غَزَّةَ فِي سَنَةِ عَشْرِ وَسَبْعِ مِائَةٍ فَأَقَامَ بِهَا قَلِيلًا، وَطَلَبَهُ وَوَلَّاهُ الْوِزَارَةَ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، عَوَضًا عَنْ الصَّاحِبِ فَقَرَّ الدِّينُ بْنُ الْخَلِيلِيِّ، فِي رَمَضَانَ سَنَةِ عَشْرِ، فَبَاشَرَ الْوِزَارَةَ إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ مُسْتَهْلَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةٍ، وَاعْتَقِلَ مُدَّةَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ، وَأُخِذَ لَهُ^٤ كَثِيرٌ مِنْ مَالِهِ. ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ وَأُخْرِجَ إِلَى صَفَدٍ ثَانِيًا فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ، وَأُتِمِّمَ عَلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، عَنْهَا يَوْمَئِذٍ خَمْسَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، وَطُلبَ إِلَى مِصْرَ فَصَارَ مِنْ أَمْرَاءِ الْمَشْهُورَةِ^٥، وَإِذَا تَكَلَّمَ السُّلْطَانُ فِي الْمَشْهُورَةِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ غَيْرُهُ لَمَّا

(a) بولاق: رفعه. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الأمراء المشهورة.

= وَيَقْدُلُ عَلَى مَوْضِعِ دَارِ الْحَاجِبِ الْآنَ الْمَقَابِرُ الْوَاقِعَةُ عَلَى رَأْسِ شَارِعِ جَيْمِ الدِّينِ عَارِجَ بَابِ التُّشُرِّ مِنْ جِهَةِ الْيَسَارِ. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ٤٤٤ هـ).^٢

^١ انظر ترجمة الأمير بَكْتُمَرِ الْحَاجِبِ الْحَسَامِيِّ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧٧٨ هـ/١٣٧٧ م، عِنْدَ: الصَّفْدِيِّ: أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١: ٧٠٣-٧٠٦، الْوَاقِفِيُّ بِالْوَقِيَّاتِ ١٠: ١٩٠-١٩٢، ابْنُ حَبِيبٍ: تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٢: ١٨٣؛ ابْنُ أَبِيكَ: كُنْزُ الدَّرَرِ ٩: ٣٥٢؛ الْمُقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٢: ٣١٤، الْمُقَفِّي الْكَبِيرُ

^٢ أَضَافَ الصَّفْدِيُّ فِي الْوَاقِفِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِيُحِطَ ابْنُ

النُّعَاوِيذِيِّ (أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م) مَعْرُوفَةً فِي دِيَوَانِهِ وَأَوَّلَهَا: يَا قَاصِدًا بَغْدَادَ جَزَ عَنْ بَلَدَةٍ لِلْجُورِ فِيهَا رُخْصَةٌ وَغَابُ وَهِيَ سَبْعَةُ عَشَرَ يَتًا قَالَهَا فِي الْوَزِيرِ ابْنِ التِّلْدِيِّ، فَاتَى ابْنَ خِلَاوَاتٍ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ لِلْفَاءِ فِي قَوْلِهِ وَفَقَدَهُ مُحَلٌّ.

عنده من المعرفة والخبرة ، وتزوج بابة الأمير بحمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك وأولاده الذين ذكرونا منها .

وسرق له مال كثير من خزانته بهذه الدار ادعى أنه مبلغ مائتي ألف درهم ، وكان في الباطن - على ما قيل - سبع مائة ألف درهم ، فما جسر ينفوه خوفاً من السلطان . وكان إذ ذاك والي القاهرة الأمير سيف الدين قدار ، المنسوب إليه القنطرة^١ على الخليج ، فتقدم أمر السلطان إليه بتسليم من سرق المال . فدرس إليه الأمير بكتنفر الشافعي والوزير مغليطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش في السر ، أن يتهاون في أمر السارقة بكاتبة لبكتنفر ، وأخذوا يحتجون لكل من اتهم ، ويقولون للسلطان : لئن الله ساعة هذه الغملة ، كل يوم يموت من الناس تحت المقاريح عدة ، وإلى متى يقتل المتهم الذي لا ذنب له ؟

فلما طال الأمر شكاً بكتنفر إلى السلطان في دار العدل ، فأخضِر الوالي وسبه السلطان ، فقال : « يا خَوْنَد ، اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقروا أن سيف الدين بخشي خازن داره اتفق معهم على أخذ المال وجماعة من الزّامة الذين في بابه » . فقال السلطان للجمالي الوزير : « أخضِر هؤلاء المذكورين وعاقبتهم » .

فأخذ بخشي وعصره - وكان عزيزاً عند بكتنفر ، قد زوجه بابنته ، وهو يثق بعقله ودينه وأمانته - فشق ذلك عليه ، واغتم غمّاً شديداً مات منه فجأة فيما بين الظهر إلى العصر من يوم (a) سنة ثمان وثلاثين^(b) وسبع مائة ؛ وكان خبيراً بالأمور ، بصيراً بالحوادث ، طويل الروح في الكلام ، لا يمل من تطويله ولو قعد في الحكم الواحد بين اليهودي والأمير ثلاثة أيام ، ولا يلهو من ذلك سائمة البتة ، مع معرفة تامة وخبرة بالسياسة لم ير مثله في حق أصحابه لكثرة تذكّرهم في غيبتهم ، والفكر في مصالحهم / ، وتفقد أخوالهم ، ومن بجفاه منهم عتب عليه .

وكان ستمحاً بجأه ، بخيلاً بما له إلى الغاية ، ساقط الهمة في ذلك ، وله متاجر وأمنلاك وسعادة لا تكاد تنحصر . ومع ذلك فله قدور يكرها لصلاتي القول والحيص ، وغير ذلك من العدد والآلات ، وبما جرك على أجرها ثمأحكة يفتتحى من ذكرها ، وأنشأ عدة دور ، واقتنى كثيراً من البساتين .

(a) ياض في الأصول ، وفي بولاق : من يومه . (b) بولاق : وعشرين .

^١ انظر عن قنطرة قدار فيما يلي ٤٩٩ .

وَوَلِّيَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنَهُ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدَ اللَّهِ الْإِمْرَةَ، وَكَانَ حَاجِبًا، وَلَأْيِهِ فِي سِيرَةِ الْبُخْلِ وَالْحِيْصِ الشَّدِيدِ تَابِعًا وَمُقَلِّدًا، وَتَوَلَّى إِمْرَةَ الْحَاجِّ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَخَرَجَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ لَوْلَايَةِ كَشَفِ الْجُشُورِ بِالْغَرْبِ، فَوَزَّدَ عَلَيْهِ كِتَابُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِرُفُوقِ الْإِنْكَارِ وَفِيهِ تَهْدِيدٌ مَهُولٌ، فَدَاخَلَهُ الْخَوْفُ وَمَرَضَ، فَحُجِّلَ فِي مَحْفَةٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ النَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، وَأُتِخَذَ لِقُطَاعِهِ الْأَمِيرُ بوري^(a).

وَصَارَ ابْنُهُ نَاصِرُ الدِّينِ أَحَدَ الْأَمْراءِ الْعَشْرَاوَاتِ، سَالِكًا طَرِيقَ أَبِيهِ وَجَدَّهُ فِي الْإِمْسَاكِ، إِلَى أَنْ مَاتَ فِي^(b) خَامِسِ عَشْرِينَ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِ مِائَةٍ، وَدُفِنَ بِتُورَبَتِهِمْ خَارِجَ بَابِ النُّصْرِ.

دَارُ الْجَاوَلِي

هَذِهِ الدَّارُ مِنْ جَمَلَةِ الْحُبَرِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرَهَا⁽¹⁾، وَهِيَ تَجَاهُ الْحَانَ الْجَاوَرِ لَوْكَالَةِ قَوْصُونَ، أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنَجَرُ الْجَاوَلِي، وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْجَاوَلِيَّةِ بِحُطِّ الْكَبْشِ جَوَارِ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ⁽²⁾. وَغُرِفَتْ فِي زَمَانِنَا بِقَاعَةِ الْبَغَادَةِ^(c)، لِمُسْكُنِي عَبْدِ الصَّمَدِ الْجَوْهَرِيِّ الْبَغْدَادِيِّ بِهَا هُوَ وَأَوْلَادُهُ مِنْ^(d) سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ إِلَى بَعْدِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ. وَهِيَ مِنَ الدُّوَرِ الْجَلِيلَةِ، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَشَعَّتْ لَطُولِ الزَّمَنِ.

دَارُ أَمِيرِ أَحْمَدَ

هَذِهِ الدَّارُ بِجَوَارِ دَارِ الْجَاوَلِي مِنْ غَرْبِهَا، غُرِفَتْ بِأَمِيرِ أَحْمَدَ قَرِيبَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، وَغُرِفَتْ فِي زَمَانِنَا بِسَكَنِ أَبُو دَقْنٍ نَاطِرِ الْمَوَارِيثِ⁽³⁾.

(a) بولاق : يودي . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : البغادة . (d) بولاق : في .

¹ فيما تقدم ٤٥٣:٢ - ٤٥٥ .

² فيما يلي ٣٩٨:٢ .

³ حاشية بخط المؤلف : فُتِّحَ الدِّينُ مُحَمَّدُ أَبُو دَقْنٍ، وَتَسَمَّيَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

كَانَ وَكِيلًا بِجَامِعِ الصَّلَاحِ . ثُمَّ دَوَّلَبَ وَكَالَةَ قَوْصُونَ

وهي من جُمْلَةِ ما اُعْتَصَبَه جَمَالُ الدِّينِ يُوسُفُ الأُسْتَاذُار من الدُّورِ الوَقْفِ ، وجَعَلَهَا لِأَخِيهِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ البِيرِي قَاضِي حَلَبَ وشَيْخَ الحَانَقَاهِ البِيرَسِيَّةِ ، فَقَفِرَ بِاتِّهَا وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْقَبْضِ عَلَى أَخِيهِ وَهُوَ بِهَا ^١.

دَارُ اليُوسُفِي

- هذه الدَّارُ بجوار بابِ الجَوَانِيَّةِ فيما بينها وبين الحَوْضِ الْمُقَدَّ لِشُرْبِ الدُّوَابِ ، أنشأها هي ^٥ والحَوْضُ الأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ بَهَائِرُ اليُوسُفِي السَّلاَحِ دارُ النَّاصِرِي ^٢.

دَارُ ابنِ البُقَري

- هذه الدَّارُ أنشأها الوَازِرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّينِ سَعْدُ اللَّهِ بنِ البُقَري ^٣ ، ابنُ أُخْتِ القَاضِي شَمْسِ الدِّينِ شَاكِرِ بنِ عَزْزِلِ البُقَري صَاحِبِ المَدْرَسَةِ البُقَريَّةِ ^٤ . أَظْهَرَ الإِسْلَامَ ، وَبَاشَرَ فِي الخِدْمِ الدِّيوانِيَّةِ إِلَى أَنْ وَلَّاهُ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْزُقُوكَ وَظِيْفَةَ نَظَرِ الدِّيوانِ المُفْرَدِ وَنَظَرَ الخَاصِّ ، عِوَضًا عَنِ الصَّاحِبِ كَرِيمِ الدِّينِ عَبْدِ الكَرِيمِ بنِ مُكَانِسٍ ^٥ ، فِي ثَالِثِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . فَبَاشَرَ ذَلِكَ إِلَى تَايِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ . وَنَزَلَ الأَمِيرُ يُوسُفُ الدُّوَادِرِ وَالْأَمِيرُ قُوقِمَاسُ الخَازِنْدَارِ إِلَى دَارِهِ هَذِهِ ، وَأَحَاطَ بِهَا وَأَخَذَ ^(b) جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ المَالِ وَالثِّيَابِ ^{١٠}.

(a-a) إضافة من هامش آهاصوفيا . (b) بولاق : وأحاط بها وأخذ .

^١ ذكر المقرئ في ما تقدم ٢٥٢:٢-٢٥٣ عند حديثه عن الشارع المسلوك فيه إلى باب النَّصْرِ ، أَنَّ السَّالِكَ بَعْدَ أَنْ يَتَجَاوَزَ حُدُودَ دَارِ الوِزَارَةِ الكَبِيرَى وَيَجِدَ عَلَى بَيْتِهِ دَارَ الأَمِيرِ شَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدِ ابْنِ خَالَةِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلَاوُونَ ، وَدَارَ الأَمِيرِ عَلَمِ الدِّينِ يَشْجَرَ الجَاوِلِي . وَهَذَا مِنْ حَقُوقِ الحُجَّجِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا عَمَالِكُ الخُلَفَاءِ ، وَأَجْنَادُهُمْ - وَيَجِدُ عَلَى يَسْرَتِهِ وَكَالَةِ الأَمِيرِ قُوسُونِ ، ثُمَّ يَسْلُكُ مِنْ بَابِ الوِكَالَةِ ، فَيَجِدُ مُقَابِلَ بَابِ قَاعَةِ الجَاوِلِي خَانَ الجَاوِلِي وَبَعْدَهَا بَابَ النَّصْرِ الْقَدِيمِ .

وهذا الوصف يدل على ترتيب وجود هذه العمارات في هذه المنطقة .

^٢ لم يذكر المقرئ دار اليوسفي عند وصفه للعمارات الواقعة في الشارع المسلوك فيه إلى باب النَّصْرِ ، ولكنه أشار إلى أن الأماكن التي كانت توجد في الجوانية وخطَّ القُهادين إلى العُطُوفية قد تحرَّبت في وقته .

^٣ انظر المقرئ : السلوك ٣ : ٧١١ ، ٧٢٤ ، ٧٣٢ .

^٤ فيما يلي ٢ : ٣٩١ .

^٥ الصَّاحِبُ كَرِيمُ الدِّينِ عَبْدِ الكَرِيمِ بنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ -

والأواني والحلي والجواري وغير ذلك ، وحمل إلى القلعة ، فبلغ قيمة ما وجد بداره في هذه التوبة مايتي ألف دينار . وسلم ابن البقري لشاذ الدواوين بقاعة الصاحب من القلعة ، فضرب بالمقارع نيقا وثلاثين شبيبا ، وولي مؤفق الدين أبو الفرج نظر الخاص .

ثم إن الملك الظاهر لما عاد إلى المملكة - بعد ثورة الأمير بلنغا الناصري والأمير تمربغا منطاش عليه ، وخلعه من الملك وسجنه بالكرك ، ثم قيابه بأهل الكرك ودخوله إلى القاهرة ، وعوّده إلى المملكة - ولّى ابن البقري الوزارة في يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة ، عوّضا عن مؤفق الدين أبي الفرج^١ ، ثم صرف في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان ، وأعيد الوزير أبو الفرج ، وأحيط بدور ابن البقري ، وأسلم هو وابنه تاج الدين عبد الله إلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص^٢ .

فلما استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقري^٣ في الوزارة يوم الثلاثاء سابع عشرين ذي الحجة منها^٤ ، عوّضا عن الوزير أبي الفرج ، اشترط على السلطان أمورا منها استخدام الوزراء المعزولين ؛ فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة ، ونعت إلى من بالقاهرة من الوزراء المعزولين ، وهم : شمس الدين عبد الله المقسي ، وعلم الدين عبد الوهاب بن الطنساوي المعروف بيسن إبرة ، وسعد الدين سعد الله بن البقري ، ومؤفق الدين أبو الفرج ، وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد الوزاق بن إبراهيم بن مكائس^٥ . فأقر المقسي ويسن إبرة معا في نظر الدولة ، وأقر ابن البقري ناظر البيوت ومشتوفي الدولة ، وقرر أبا الفرج في اشتيفاء الضخبة ، وابن مكائس في اشتيفاء

(٥) بولاق : الصفيدي .

^٢ الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص شاذ الدواوين ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م . (المقريزي : السلوك ٣ : ٧٩٤ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ١٤٦٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ : ١٣٦ الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٣٧٠ وأيضاً ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣١٨) .

^٣ المقريزي : السلوك ٣ : ٧٢٧ الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٣٤٢ .

^٤ نفسه ٣ : ٧٢٧ - ٧٢٨ .

= القبطي المصري المعروف بابن مكائس ، وزير الدنار المصرية وناظر خاصها منذ سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م ، وعزل سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م وتوفي بعد تخطوب قاساها سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م . (راجع ، المقريزي : السلوك ٣ : ١٠٧٢ ابن حجر : إنباء الغمر ٢ : ١٦٩ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣ : ٢٢ ، المنهل الصافي ٧ : ٣٣٧ - ٣٤٠ الصيرفي : نزهة النفوس ٢ : ١٢٩ السخاوي : الضوء اللامع ٤ : ٣١٢) .

^١ المقريزي : السلوك ٣ : ٧١١ .

الدَّوْلَةُ شَرِيكًا لابن البقرى . فكانوا يَوَكِّبُونَ فِي خِدْمَتِهِ دَائِمًا ، ويجلسون بين يَدَيْهِ ، ورُبَّمَا وَقَفَ ابن البقرى على قَدَمَيْهِ بحضرته ، بعد أن كان ابنُ الحُسام دَوَادِرَهُ ، لا يزال قائمًا بين يديه . فعَدَّ النَّاسُ هذا من أَعْظَمِ الْحَيَنِ التي لم يُشَاهَدْ فِي الدَّوْلَةِ التَّرْكِيَّةِ مِثْلَهَا ، وهو أن يَصِيرَ الرَّجُلُ خَادِمًا لِمَنْ كَانَ فِي خِدْمَتِهِ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَيَنِ .

- ٦٦:٢ ثم إنَّ الْوَزِيرَ ابنَ الْحُسَامِ قُبِضَ عَلَى ابنِ الْبَقْرِيِّ ، وَأَلْزَمَهُ بِحَقْلِ سَبْعِينَ أَلْفَ / دِرْهَمٍ ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْقُبْضِ عَلَى الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابنِ أَبِي شَاكِرٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ وَعُلِيَ رَأْسُهُ فِي حَادِي عَشْرِينَ شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ ، وَسَلِّمًا مَعَ عِدَّةٍ مِنَ الْكُتَّابِ لِشَأْنِ الدَّوَاوِينِ ، ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُمَا عَلَى حَقْلِ مَالٍ . فَلَمَّا وَلِيَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ رَجَبٍ بَنَ كَلَفَتِ الْوِزَارَةَ ، بَعْدَ الْوِزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ^١ ، قَرَّرَ ابنُ الْبَقْرِيِّ فِي نَظَرِ الدَّوْلَةِ عَوَضًا عَنْ بَدْرِ الدِّينِ الْأَقْفَهْسيِّ ، وَاسْتَحْلَمَ بَقِيَّةَ الْوُزَرَاءِ كَمَا فَعَلَ الْوَزِيرُ ابنُ الْحُسَامِ . فَلَمَّا خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ تَنْكِيْزٍ ، وَجَعَلَهُ أَسْتَاذًا لِلْأُمْلَاقِ فِي رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، قَرَّرَ ابنُ الْبَقْرِيِّ نَظَرَ الْأُمْلَاقِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، فَصَارَ يَتَحَدَّثُ فِي نَظَرِ الدَّوْلَةِ وَنَظَرِ الْأُمْلَاقِ .

- فلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ رَابِعِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ أُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ ، وَصُرِفَ عَنْهَا الْأَمِيرُ مُبَارَكُ شَاهِ الظَّاهِرِيِّ ، وَاسْتَقَرَّ بَدْرُ الدِّينِ (أ) مُحَمَّدُ بْنُ (ب) مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الطُّوْخِيِّ فِي نَظَرِ الدَّوْلَةِ . ١٥
ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَأُحِيطَ بِسَائِرِ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ مِنْ مَوْجُودِهِ ، وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُ ابنُ الطُّوْخِيِّ ، وَغَوَّقَ عِقَابًا شَدِيدًا فِي دَارِ الْأَمِيرِ غَلَاءَ الدِّينِ عَلِيِّ ابنِ الطُّبْلَاوِيِّ . ثُمَّ أُخْرِجَ نَهَارًا - وَهُوَ عَارٍ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ ، وَيَدُهُ حَبْلٌ مُبَجَّرٌ بِهِ ، وَثِيَابُهُ مَضْمُومَةٌ (أ) إِلَى صَدْرِهِ (ب) يَدُهُ الْأُخْرَى ، وَالنَّاسُ تَرَاهُ - مِنْ دَرْبِ قَرَاظِيَا بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ فِي الشُّوقِ إِلَى دَارِ ابنِ الطُّبْلَاوِيِّ ، وَقَدْ انْتَهَكَ بَدَنُهُ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ ، فَسُجِّنَ بِدَارٍ هُنَاكَ ، ثُمَّ خُتِنِقَ^٢ فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

(A-B) ساقطة من بولاق .

^١ حاشية بخط المؤلف: «مات أبو الفرج تحت وتسعين وسبع مائة» .

الطُّوْخِيُّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ حَادِي عَشْرِينَ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ^٢ الصيرفي: نزهة النفوس ١: ٤٤٢، ٤٥٢ .

وكان أحدُ كُتّاب الدُّنيا الذين انتهت إليهم السِّيادة في كِتابة الدِّيُونَة^(a)، مع عِفَّة الفَرْج، وجُودة الرأْي، وحُسن التَّدِير، إلَّا أنَّه لم يُوْت سَعْدًا في وَزارَتِه، وما يَرِخ يَنْكَب كُلُّ قَلِيل، وكان يُظْهِر الإسلام، ويَكْتُب بِحُطّه كُتُب الحديث وغيرها، ويُتَّهَم في باطن أمره^(b) بالتَّشَدُّد في النُّصْرانية.

٥. وولِّي ابنه تاجُ الدِّين عبد الله الوزارَة، ونَظَرَ الخاصَّ، وماتَ قَتِيلًا تحت العقوبة عند الأمير جمال الدِّين يوسف الأستادار في سنة ثمانٍ وثمان مائة^١.

وداؤُ ابن البُغْري هذه من أعظَم دُور القاهرة، وهي من جملة حُطّ حازة الجُوانية في أوَّلها.

دَارُ طُولَيْبَاي

١٠. هذه الدَّارُ بجوار حُمَام الأَعْمَر برأس باب^(c) حازة الجُوانية تجاه دَرْب الرُّشَيْدي. أنشأها الأميرُ شَمْسُ الدِّين سُنْقَرُ الأَعْمَر الوَزيز، ثم عُرِفَتْ بِحَوْنَد طُولَيْبَاي النَّاصِرِيَّة جِهَة الملك النَّاصِر^٢.

١٥. طَلَيْبَاي - ويُقال دُلَيْبِيَّة، ويُقال طُلُوبِيَّة ابنة طَعاَج بن هَندو بن بكو بن دُوشِي خان ابن جَنْكِزخان، ذات السُّنَر الرُّفيع الخاتوني^٣. كان السُّلْطَانُ الملكُ النَّاصِرُ مُحَمَّد بن قَلاوون قد جَهَّز الأمير أَيْدُغُدي الخَوارزمي^٤ في سنة سِتِّ عشرة وسبع مائة، يَخْطُبُ إلى أَرْبَك ملك التُّتَار بِتَتَا من الدَّرِيَّة الجَنْكِريَّة. فَجَمَعَ أَرْبَكُ أَمراءَ التُّومانات - وهم سَبْعون أَميرًا - وكَلَّمهم الرُّسولُ في ذلك، فَتَقَرَّوا منه. ثم اجتمعوا ثانياً بعد ما وَصَلَتْ إليهم هَدَاياهم وأجابوا ثم قالوا: إلَّا أنَّ هذا لا يكون إلَّا بعد أربع سنين: سنة سَلام، وسنة خِطْبَة، وسنة مُهاداة، وسنة زَواج، واشتَطُّوا في طَلَب المَهْرِ، فَزَجَعَ السُّلْطَانُ عن الخِطْبَة.

(a) بولاق: الرسوم الديوانية. (b) بولاق: الأمر. (c) ساقطة من بولاق.

^١ المقرئ: السلوك ٣: ١١٠٥، ١١٦٤. ٣٢٣: ٣٢٦ ابن أبيك: كنز الدرر ٩: ٣٠٢-٣٠٣.

^٢ فيها تقدم ٢: ٢٥٢، وهي من جملة أرض دار الوزارة المقرئ: السلوك ٢: ٢٠٣-٢٠٥، ٢٩٨.

الكبرى. ^٤ قارن المقرئ: السلوك ٢: ١٦٤، المقفى الكبير.

^٣ انظر أخبار الخاتون طليبية عند، التويزي: نهاية الأرب ٢: ٣٤٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٥٤.

ثم توجه سيف الدين طوجي^(a) بهدية وخيلة لأزبك، فلبسها وقال لطوجي^(a): قد جهّزت لأخي الملك الناصر ما كان طلب، وعيّنت له بنتاً من بيت بجنكيزخان من نسل الملك ماطوخان^(b). فقال طوجي^(a): لم يؤسني السلطان في هذا. فقال أزبك: أنا أُرسلها إليه من جهتي.

وأمر طوجي^(a) بحمل مهرها، فاعتذر بقدم المال، فقال: نحن نقترض من التجار، فاقترض عشرين ألف دينار وحملها. ثم قال: لا بد من عمل فرج تجتمع فيه الخواتين^١. فاقترض مالا آخر نحو سبعة آلاف دينار، وعمل الفرغ.

وجّهزت الخاتون «طولباي» ومعها جماعة من الرسل، وهم: باتنجار من كبار المغل، وإيتغلي^(c) وطقغنا، ومنعوش، وطوجي، وعثمان، وبكتسر، وقرطبا، والشيخ زوهان الدين إمام الملك أزبك، وقاضي هراي.

فساروا في زمن الخريف، وأقلعوا فلم يجدوا ريحاً تسير بهم، فأقاموا في برّ الزوم على ميناء ابن منشاشا خمسة أشهر، وقام بخدمتهم هو والأشكري ملك قشطنطينية، وأنفق عليهم الأشكري ستين ألف دينار، فوصلوا إلى الإسكندرية في شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مائة. فلما طلعت الخاتون من المراكب، حملت في خوكاة من ذهب على العجل، وجرها المماليك إلى دار السلطان^(d) بالإسكندرية. وبعث السلطان إلى خدمتها عدة من الحجاب وثمانية عشرة من الحرّم ونزلت في الحرّقة، فوصلت إلى القلعة يوم الاثنين خامس عشرين ربيع الأول المذكور،^{١٥} وفرش لها بالمنظر في الميدان دهليز أطلّس معدني، ومُدّ لهم سباط.

وفي يوم الخميس ثاني عشرين، أحضر السلطان رُسل أزبك، ووصل رُسل ملك الكرج ورُسل الأشكري بتقاضيهم. ثم بعث إلى الميدان الأمير سيف الدين أرغون النائب والأمير بكتسر الشافعي والقاضي كريم الدين ناظر الخاض، فمشوا في خدمة الخاتون إلى القلعة وهي في عزبة^(e)^٢.

(a) بولاق: طوجي. (b) بولاق: يا طرخان. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: السلطنة. (e) بولاق: عز.

IV, p. 1164; Abd ar-Râziq, A., *La femme au temps des Mamlouks en Égypte*, pp. 96-97.

^٢ ابن أبيك: كنز الدرر ٣٠٢:٩-٣٠٣.

^١ الخاتون ج. خواتين وخاتونات. لفظ تركي معناه: الشّيعة، كان يستخدم في عصر المماليك للتبديل على زوجات السلطان أو نساء طبقتهن. (حسن الباشا: الألقاب الإسلامية ٢٦٤-٢٦٦: *El Khātūn* art. *Boyl, J.A.*)

ثم عَقَدَ عليها يوم الاثنين سادس ربيع الآخر^١ على ثلاثين ألف دينار حالة، المعجل منها عشرون ألفاً، وعَقَدَ العَقْدَ قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وقَبَلَ عن السلطان/ النائب أرغون وبَنَى عليها.

وأعاد الرشل بعد أن سَمِلَهُم من الإنعام ما أَرَبَى على أَمَلِهِم، ومعهم هَدِيَّةٌ جَلِيلَةٌ، فساروا في شَعْبَان، وتأخَّرَ قاضي هراي حتى حَجَّ، وعادَ في سنة إحدى وعشرين.

ومَاتَ في رابع عشرين ربيع الآخر سنة خمس وستين وسبع مائة، ودُقِّنَتْ بِثَوْبَتِهَا خارج باب البريَّة بجوار ثُوبَةِ خَوْنَد طُغاي أم أُنوك^٢.

وَارْحَارِس الطَّيْرِ

هذه الدَّارُ بداخِل دَرْب قَرَاصِيَا بِحُط رَحْبَةٍ باب العيد، عُرِفَتْ بالأمر سيف الدين أَسْتَبَغَا حَارِس الطَّيْرِ، ترقى في الخِدم إلى أن صارَ نَائِبَ السُّلْطَنَةِ بديار مصر في أَيَّام السلطان حسن بن محمد بن قلاوون بعد بِيغَارُوس^٣. ثم عَزَلَ بالأمر قَبْلَاي، وَجَهَزَ إلى نِيَابَةِ غَزَّة فَأَقَامَ بها شهراً، وَقُبِضَ عليه وَخَضِرَ مُقْبِداً إلى الإسكندرية في شَعْبَان سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة، فسَجَنَ بها مُدَّة. ثم أُخْرِجَ إلى القُدْس، فَأَقَامَ بِطَالاً مُدَّةً، ثم نَقَلَ إلى نِيَابَةِ غَزَّة في شَعْبَان سنة ست وخمسين وسبع مائة^٤.

(a) بولاقي: بلغا روس.

^٣ لعل إشارة المقرري هنا هي الإشارة الوحيدة لتولي الأمير سيف الدين أَسْتَبَغَا نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ بعد بِيغَارُوس القاسمي الذي استمرَّ نائِباً للسُّلْطَنَةِ من ٥ شوال سنة ٧٤٨هـ إلى أن عَزَلَ في أثناء سنة ٧٥١هـ. فالمعروف أنَّ الذي تولَّى بينه وبين الأمير قَبْلَاي الناصري الحاجب الذي أصبح نائِباً للسُّلْطَنَةِ في رمضان سنة ٧٥٣هـ هما: بِيغَا أَرَس ططر وأرغون بن عبد الله الكامل. (راجع، محمد عبد الغني الأشتَر: نائب السُّلْطَنَةِ المملوكية في مصر (من ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة - تاريخ المصريين ١٩٥٨، ١٩٩٩، ٣٨٠-٣٨١).

^١ في كنز الدرر: يوم الجمعة سَلَخَ رِيحُ الأوَّلِ وَأَنَّ الذي كتب الكتاب الشريف السلطاني القاضي علاء الدين بن الأمير، كُتِبَ في شَقَّةِ أَمَلْسٍ أَبْيَضَ بِالزَّهَبِ المَحْلُول، وكان مبلغه ثلاثين ألف دينار حالة.

^٢ في السلوك ٩٥:٣ أنَّ التي ماتت في سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م خوند طولباي التركية عتيقة السلطان حسن وامرأة الأمير بَلْبَغَا الأتابك! ولها ترجمة عند ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٩؛ أبي الحسن: النجوم الزاهرة ١١: ٨٤، للنهل الصافي ٧: ٣١؛ وانظر فيما يلي ٢: ٤٢٥، ٤٦٤.

الدَّارُ الْقُرْومِيَّة

هذه الدَّارُ خارج باب زَوِيْلَة بِحُطِّ الْمَوَازِين^(a) من الشَّارِع الْمَسْلُوك فِيهِ إِلَى رَأْسِ الْمُتَجَبِّة^(b)، بِنَاهَا الْأَمِيرُ الْأَجَايِ النَّاصِرِيُّ^(c) سَيِّفُ الدِّينِ^(d) مَمْلُوكُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ^١.

وكان من أمره أنه ترقى في الخِدمِ السُّلْطَانِيَّةِ حَتَّى صَارَ دَاوُدَارُ^٢ السُّلْطَانِ بِغَيْرِ إِمْرَةٍ، رَفِيقًا لِلْأَمِيرِ بِهَاءِ الدِّينِ أَرْسَلَانَ الدَّوَادَارِ^٣. فَلَمَّا مَاتَ بِهَاءُ الدِّينِ، اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ (دَاوُدَارًا كَبِيرًا^(e)) بِإِمْرَةٍ عَشْرَةَ مُدَّةٍ ثَلَاثَ سَنِينَ، ثُمَّ أُعْطِيَ إِمْرَةً طَبْلَخَانَا.

وكان فقيهاً حَتْفِيًّا، يَكْتُبُ الْخَطَّ الْمَلِيحَ، وَنَسَخَ بِخَطِّهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي رَهْقَةٍ، وَكَانَ غَفِيْقًا عَنِ الْفَوَاحِشِ، خَلِيْعًا لَا يَكَادُ يَغْضَبُ، مُكَبِّيًا عَلَى الْأَشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ، مُجِبًّا لِأَقْبِيَاءِ الْكُتُبِ، مُوَظِّبًا عَلَى مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَبَلَغَ فِي إِثْقَانِ عِمَارَةِ هَذِهِ الدَّارِ، بِحَيْثُ أَنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى بَوَائِبِهَا خَاصَّةً مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قِصَّةً، عَنْهَا يَوْمَعْدَ نَحْوِ الْخَمْسَةِ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ. فَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا لَمْ يُمِثَّعْ بِهَا غَيْرُ قَلِيلٍ، وَمَرَضَ فَمَاتَ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَجَبٍ - وَقِيلَ فِي رَمَضَانَ - سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ وَهُوَ كَهْلٌ، فَذُفِنَ بِقَرَأَةِ مِصْرِ.

فَسَكَنَتْهَا^(d) مِنْ بَعْدِهِ خَوْنَدُ عَائِشَةُ خَاتُونٌ - الْمَعْرُوفَةُ بِالْقُرْومِيَّةِ - ابْنَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ ابْنِ قَلَاوُونَ زَمَانًا فَفَرِقَتْ بِهَا. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِمَّنْ يُضْرَبُ بِبِنَاهَا وَسَعَادَتُهَا الْمَثَلُ، إِلَّا أَنَّهَا عُمِرَتْ طَوِيلًا، وَتَصَرَّفَتْ فِي مَالِهَا تَصَرُّفًا غَيْرَ مَوْضِيٍّ، فَتَلَفَ فِي اللَّهْوِ حَتَّى صَارَتْ تُعَقَّدُ مِنْ جُمْلَةٍ

(a) بولاق : الموازين . (b) بولاق والنسخ : المنجبية . (c-c) زيادة من مسودة المواعظ . (d) بولاق : فسكنها .

^١ الأمير سيف الدين أَلجاي الدَّوْدَارُ النَّاصِرِي، المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. (الصفدي: أعيان مصر ١: ٥٩١-٥٩٢، الوافي بالوفيات ٩: ٣٥٣-٣٥٤؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٩: ٣٦٧؛ المقرئ: المغنى الكبير ٢: ٢٧٧-٢٧٨، السلوك ٢: ٣٥٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٣٣؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٣٩-٤٠، النجوم الزاهرة ٩: ٢٩٧).

^٢ عن الدَّوْدَارِ انظر فيما يلي ٧٢٠.

^٣ الأمير بهاء الدين أَرْسَلَانَ الدَّوَادَارِ، المتوفى سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٤٤٩-٤٥١، الوافي بالوفيات ٨: ٣٤٦؛ المقرئ: المغنى الكبير ٢: ١٧-١٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٣٠٠-٣٠٢، النجوم الزاهرة ٩: ٢٤١).

المساكين. وماتت في الخامس من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبع مائة، ومَحَدَّتْهَا حشوها^(١) من ليف^١. ثم سَكَنَ هذه الدَّارَ الأميرُ جمالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنِ عليِّ الأُستَاذِ مُدَّةً، وأنشأَ بِجَافِهَا مَدْرَسَةً^٢.

دَارُ الصَّالِحِ

هذه الدَّارُ بِحَاوِزَةِ الدَّيْلَمِ قَرِيبًا مِنَ السَّجَنِ، وَكَانَتْ دَارَ الصَّالِحِ طَلَّاحِ بنِ زُرَّيْكِ يَسْكُنُهَا وَهُوَ أميرُ قَبْلَ أَنْ يَلِيَّ الْوِزَارَةَ، بَنَاهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ. وَمَا زَالَتْ بَاقِيَةً إِلَى أَنْ تَحْرُقَهَا الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ رُكْنُ الدِّينِ عُمَرُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَائِمَازَ^٣ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٤، وَبَنَاهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ^(ب).

دَارُ بَهَادُرِ

هذه الدَّارُ بِالْقَاهِرَةِ جِوَارَ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ، فِي دَرْبِ مَجْرَجِي الْمَقَابِلِ لِلْأَبْيَارِينِ الْمَسْلُوكِ مِنْهُ إِلَى دَارِ الضَّرْبِ وَغَيْرِهِ. أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ بَهَادُرُ رَأْسِ نَوْبَةٍ^١، أَخَذَ تَمَالِيكَ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ مُمْنًا مَالًا الْأَمِيرُ بَذَرَ الدِّينَ يَتَدَرَا عَلَى قَتْلِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بنِ قَلَاوُونَ؛ فَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ

(a) زيادة من مسودة الموايعظ. (b) هنا في هامش أباصوفيا: بياض سطرين.

أَفْرَشَ قَتْلَ الشَّيْخِ فِي ١٢ مُحَرَّمِ سَنَةِ ٦٩٣هـ/١٢٩٢م. (ابن القرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٨٨؛ المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٥٠٠-٥٠١، السلوك ١: ٦٩٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٢). وَرَأْسُ نَوْبَةٍ أَحَدُ الْوِظَائِفِ الَّتِي كَانَ يَشْغُلُهَا أَزْوَاجُ السُّيُوفِ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ الْمُلُوكِيِّ - وَهِيَ خَمْسَ وَعِشْرُونَ وَظِيفَةً - وَتَرْتِيبُهَا الثَّلَاثَةُ بَيْنَهَا. وَمَوْضُوعُهَا الْحُكْمُ عَلَى الْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْأَخْذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَتَنْفِذُ أَمْرِ السُّلْطَانِ فِيهِمْ. وَجَزَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَعَةَ أَمْرَاءَ: وَاحِدٌ مُقَدَّمُ أَلْفٍ وَثَلَاثَةُ طَلِيعَانَاهُ. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٨، ٥: ١٤٥٤؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٥٤٥-٥٤٩).

^١ المقرئ: مسودة الموايعظ ٣٩٤-٣٩٥.

^٢ تُعْرَفُ بِالْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِشَارِعِ الْحَيِّيَّةِ، انظر فيما يلي ٣٩٥.

^٣ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ عُمَرُ بنِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ قَائِمَازَ أَسْتَادُ الْأَمِيرِ بَيْتِزِيسَ بنِ أَسْتِ السُّلْطَانِ تَرْغُوقَ، عُيِّنَ وَزِيرًا فِي ١٤ صَفَرِ سَنَةِ ٧٩٤هـ. (المقرئ: مسودة الموايعظ ٣٩٧).

^٤ نفسه ٣٩٧.

^٥ يرى صديقي الأستاذ محمد أبو العمام أن جزءًا من هذه الدَّارِ هُوَ الْقَاعَةُ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِقَاعَةِ الدُّزْدِيرِ (أثر رقم ٤٦٦).

^٦ الْأَمِيرُ شَيْخُ الدِّينِ بَهَادُرُ رَأْسِ نَوْبَةٍ، مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ بَاشَرِ قَتْلِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بنِ قَلَاوُونَ، قُتِلَ هُوَ وَالْأَمِيرُ

بأن يقاض أمر يَبْرَأَ وقَتله وإقامة الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون بعد أخيه الأَشْرَف خليل ، قَبِضَ على جماعةٍ مِّنْ وافَقَ على قتل الملك الأَشْرَف خليل . وقد تجمعت المالِكُ الأَشْرَفِيَّةُ مع الأمير عَلم الدِّين سينجر الشُّجاعِي - وهو يومئذٍ وزير الدِّيار المصريَّة^(١) - في دار النِّيابة من قلعة الجبل^١ عند الأمير زَيْن الدِّين كَتْبغا نائب السُّلْطَنَة ، وإذا بالأمير بهادر المذكور قد حَضَرَ هو والأمير جمال الدِّين أفوش المُوَصِّلِي الحاجب المعروف بِمُحْمِلَة - وكانا قد اختفيا فَوْقًا من سَطْوَةِ الأَشْرَفِيَّةِ حتى دَبَّرَ أمرهما النَّائب ، وأذن لهما في طُلُوع القلعة - فما هو إلَّا أن أبصرهما الأَشْرَفِيَّةِ حتى سَلَّوا سيوفهم ، وضربوا رَقَبَتَيْهِمَا في أَسْرَع وَقْت . فذهِشَ الحاضرون ، وما استطاعوا أن يتكلموا خَوْفًا من الأَشْرَفِيَّةِ^٢.

وَاتَّفَقَ في بناء هذه الدَّار ما فيه عِبْرَةٌ لمن اغْتَبَر ، وذلك أَنَّ بهادر هذا لما حَفَرَ أساسها وَجَدَ هناك قُبُورًا كثيرة ، فأَخْرَجَ تلك العِظَامَ ورماها . فَبَلَغَ ذلك قاضي القضاة تقي الدِّين مُحَمَّد^(ب) بن دَقِيق العيد ، فَبَعَثَ إليه بِهَا عن نَبَش القُبُور ورَمَى العِظَامَ ، وَخَوَّفَهُ عاقِبَةُ ذلك ؛ فقال : إذا مُتَّ يَجْرُوا رَجُلِي وَيَزْمُونِي ؛ فقال القاضي لما أُعِيدَ عليه هذا الجَوَاب : وقد يكون ذلك .

فَقَدَّرَ الله أَنَّهُ لما ضُرِبَت رَقَبَتُهُ ورَقَبَةُ أفوش ، رُبِطَ في رجليهما حَبْلٌ ، وَجُرُوا من دار النِّيابة بِالْقَلْعَةِ إلى الجاير والكيما ، نَعُوذُ بالله من سوء عاقِبَةِ الْقَضَاءِ^٣.

(١) قال كَاتِبُهُ : أنا حَضَرْتُ مثل ذلك ، لما عَمَّرَ الأميرُ جِهازَكَس الخَلِيلِي الفُنْدُق المعروف به الآن بِحُطَّ الزُّرَاكِشَةِ العَتِيق أخرج منه عِظَامَ المَقْبُورِينَ هناك - وقد تَقَدَّمَ أَنَّ مكانه كان ثَرْبَةً القَصْرِ المعروفة بِثَرْبَةِ الزُّعْفَرَانِ^٤ - فكانت تُحْمَلُ تلك العِظَامَ إلى كِيماِنِ البَرْقِيَّةِ خارج بابِ البَرْقِيَّةِ وتُزَمَّى هناك ، فَعاقَبَهُ الله بِمِثْلِ ذلك في الدُّنْيَا ، وهو أَنَّهُ كان مِّنْ خَرَج من القَاهِرَةِ في العَشْكَر الذي جَهَّزَهُ الملكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق لِحَزَبِ النَّاصِرِي في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة ، فَلَمَّا انْهَزَمَ هذا العَشْكَرُ بظَاهِرِ دِمَشْق قُتِلَ الخَلِيلِي وسَلِبَ وأقامَ رِمَّةً مَسْلُوبًا بالعِراءَ لم يُدْفَن . أخبرنا غير واحدٍ مِّنْ شَاهِدِهِ ، وقد اتَّفَعَ وهو مَسْلُوب لا يُواريه شيء^٥ . ذلك ليعلموا أَنَّ الله على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ^(ج).

(a) بولاق : وزيرًا لدبار مصر . (b) إضافة من المَقْفِي الكبير . (c-c) إضافة من مسودة المواظ .

^١ انظر عن دار النِّيابة فيما يلي ٦٩٥-٦٩٨ . الكبير ٥٠٠:٢-٥٠١ .

^٢ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٨: ١٧٣ . ^٤ فيما تقدم ٣٥١:٢-٣٥٢ .

^٣ المقرئ: مسودة المواظ ٣٩٨-٣٩٩ ، المَقْفِي

ثم عُرِفَت هذه الدَّارُ ببيت الأمير جَرَكَتْمُر بن بهادر المذكور، وكان خصيصًا بالأمير قَوْصُون، فَبَعَثَهُ لِقَتْلِ الشُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُون، لَمَّا نَفَاهُ إِلَى مَدِينَةِ قُوصٍ بَعْدَ خَلْعِهِ، فَتَوَلَّى قَتْلَهُ. فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى قَوْصُون، قُبِضَ عَلَى جَرَكَتْمُرِ فِي ثَانِي شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَقُتِلَ بِإِلْشَكَنْدَرِيَّةِ هُوَ وَقَوْصُونُ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِينَ عَشَرَ شَوَّالٍ^١ تَوَلَّى قَتْلَهُمَا الْأَمِيرُ

٥ ابن طَشْتَمُر طَلِيلِيَّةٍ وَأَحْمَدُ بْنُ صُبْحٍ. وَكَانَ جَرَكَتْمُرُ هَذَا فِيهِ أَذَبٌ / وَحِشَّةٌ، وَأَوَّلُ أَمْرِهِ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمِيرِ بِيَهْرُوسَ الْجَاشَنْكِيرِ فَقَدَّمَهُ وَأَعْطَاهُ إِمْرَةً عَشْرَةَ، ثُمَّ اتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ أَرْغُونُ النَّائِبِ فَأَعْطَاهُ إِمْرَةً طَبْلَخَانَةَ، وَكَانَ يَلْعَبُ الْأُكْمَةَ وَيُجِيدُ فِي لَعِبِهَا إِلَى الْغَايَةِ^٢.

ثُمَّ عُرِفَتِ هَذِهِ الدَّارُ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَهَادُرِ الْمُتَجَكِّيِ أَسْتَاذِارِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ، لَسَكَنَهُ بِهَا وَتَجْدِيدِ عِمَارَتِهَا، وَأَنْشَأَ بِجَوَارِهَا حَمَامًا، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٣. وَهَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ يَسْكُنُهَا الْأَمْرَاءُ.

١٠

دَارُ الْبَقَرِ

هَذِهِ الدَّارُ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ فِيمَا بَيْنَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَبِزَكَةِ الْفِيلِ، بِالْخُطِّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ خُذْرَةُ الْبَقَرِ، كَانَتْ دَارًا لِلْأَبْقَارِ الَّتِي يَرْسُمُ الشُّوَاظِيُّ الشُّلْطَانِيَّةَ، وَمُنْتَشِرًا لِلزُّبُلِ وَفِيهِ سَاقِيَةٌ^٤. ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ

^٤ تُعْرَفُ دَارُ الْبَقَرِ أَيْضًا فِي الْمَصَادِرِ بِدَيْتِ طَشْتَمُرِ الشَّقَاتِيِّ لِحُكْمِ أَشْطَرِهِ أَحَدِ آخَرَمِنْ أَقَامَ بِهَا.

وَيَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ هَذِهِ الدَّارِ الْمُنَاطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ الْحَلَمِيَّةِ، فِيمَا بَيْنَ زَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ شَارِعِ الْمَطْفَرِ، وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعُ الْمَطْفَرِ (وَهُوَ الَّذِي حُلَّ مَحَلَّ الشَّارِعِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُقْرِيزِيُّ بِاسْمِ خُذْرَةِ الْبَقَرِ، وَمِنَ الشَّرْقِ بِحَارَةِ رَفْعَتِ، وَمِنَ الشَّمَالِ تَحْطُّ تَصَوُّوْرِي يَمْتَدُّ مِنْ نِهَازَةِ حَارَةِ رَفْعَتِ إِلَى زَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْبُوقِ ذِكْرُهَا. وَكَانَ يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْمُنَاطِقَةِ كَذَلِكَ دَارُ عَلِيِّ بَاشَا مَبَارِكِ الَّتِي زَالَتْ آثَارُهَا الْيَوْمَ. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٢٢ هـ^١ تَعْلِيْقَاتُ رَمَزِي بِكَ ١: ١١٥٨-١٥٧) ٤٤٠: ٣، ٣٤٧: ٤، ٤١١: ٤١١ علي مَبَارِك: الْخَطُّ الطُّوْقِيَّةُ ٤٤٠: ٢ (١٥٧-١٥٨).

^١ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ جَرَكَتْمُرُ بْنُ بَهَادُرِ رَأْسُ نُوْبَةٍ، الْمُتَوَلَّى سَنَةِ ٧٤٢/١٤٣٨ م. (الْمُقْرِيزِيُّ: الْمَقْنَى الْكَبِيرُ ٢١: ٣-٢٢، السُّلُوكُ ٢: ٦٠٥) ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٧٠: ٢.

^٢ الْمُقْرِيزِيُّ: مَسُوْدَةُ الْمَوَاطِعِ ٣٩٨-٤٠٠.

^٣ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَهَادُرُ الْمُتَجَكِّي - نَسَبُهُ إِلَى مَعْتَقِهِ الْأَمِيرِ مَنُجَلَكِ الْيُوسُفِيِّ - أَسْتَاذَارُ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ، الْمُتَوَلَّى سَنَةِ ٧٩٠/١٣٨٨ م. (رَاجِعْ: ابْنُ الْفَرَاتِ: تَارِيخُ الدُّوَلِ وَالْمُلُوكِ ٩: ٤٣؛ الْمُقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٣: ٥٨٧؛ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ٣٠، إِنْبَاءُ الْغَمْرِ ١: ١٣٥٨) أَمَّا الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١: ٣١٦، الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٤٣٥: ٣-٤٣٦؛ الصَّبْرِيُّ: نَزْهَةُ النُّفُوسِ ١: ١٨٠).

النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ أَنشَأَهَا دَارًا وَإِسْطَيْلًا، وَعَزَسَ بِهَا عِدَّةَ أَشْجَارٍ. وَتَوَلَّى عِمَارَتَهَا الْقَاضِي كَرِيمُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْكَبِيرُ^١ (هناظر الخاص^٢)، فَبَلَغَ الْمَصْرُوفُ عَلَى عِمَارَتِهَا أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. وَغُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ طَفْتُمُرَ الدِّمَشْقِيِّ^٣، ثُمَّ غُرِفَتْ بِدَارِ الْأَمِيرِ طَشْتُمُرَ حُصَصَ أَخْضَرَ^٤. وَهَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةٌ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا يَنْزِلُهَا أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ^٥.

قصر بكتمر الشافعي

هَذَا الْقَصْرُ مِنْ أَكْثَمِ مَسَاكِينِ مِصْرَ، وَأَجْلُهَا قَدْرًا وَأَحْسَنُهَا بُيُوتًا، وَمَوْضِعُهُ تَجَاوِ الْكَشَشِ عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ. أَنشَأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ لِسَكْنِ أَجَلٍ أَمْرَاءَ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ بَكْتُمُرُ الشَّافِعِيُّ^٦، وَأَدْخَلَ فِيهِ أَرْضَ الْمَيْدَانِ الَّذِي أَنشَأَهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَتَبُغَا^٧.

(a-b) إضافة من مسودة المواعظ.

^١ القاضي كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جبة الله ابن الشديد القبطي المصري، المتوفى سنة ٥٧٢٤هـ/١٢٢٣م. (الصفدي: أعيان العصر ٥٨٦:٢-٥٩١، الوافي بالوفيات ٤٣٧:١٦-٤٤٢: ابن حبيب: تذكرة النبيه ٤٤٦:٣ المقرري: السلوك ٢: ٦٣٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٠؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٣٩٢-٣٩٤، النجوم الزاهرة ١٠: ١٠١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٩٧؛ وفيما يلي ٣٠٠).

^٥ المقرري: مسودة المواعظ ٤٠٨-٤٠٩؛ وأضاف أبو المحاسن أنها أصبحت في وقته ملك الأمير جزيباش الممليدي (الأناك: (النجوم ٩: ١٢٢).

^٦ الأمير سيف الدين بكتمر الشافعي المملي، أحد ممالك وكن الدين بكتمر الجاشنكير، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م. (الصفدي: أعيان العصر ٧٠٩-٧١٤؛ مصدر المقرري)، الوافي بالوفيات ١٠: ١٩٣-١٩٧؛ المقرري: المقفى الكبير ٢: ٤٦٨-٤٧٤، السلوك ٢: ٣٦٤؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٣٧).

^٧ الأمير سيف الدين طفتنغر الدمشقي أحد الممالك الناصرية محمد بن قلاوون، المتوفى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. (المقرري: المقفى الكبير ٤: ٢٨-٢٩، السلوك ٢: ١٦٨؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٢٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٣٧).

^٨ وتُعرف أيضًا بيت طشتنغر (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٢) وهو الأمير سيف الدين طشتنغر (طاشتنغر) الناصري الشافعي المشهور بحمص أخضر، المتوفى سنة ٤٢٤:٢، ٦٣٠، وفيما يلي ٤٦٤:١/١؛ وفيما يلي ٦٣٠، ٤٢٤:٢.

وَقَصَدَ أَنْ يَأْخُذَ قِطْعَةً مِنْ يَزْكَةِ الْفِيلِ لِيَتَسَّعَ بِهَا الْإِسْطَبَلُ الَّذِي لِلْأَمِيرِ بِكَثْرَتِهِ بِجَوَارِ هَذَا الْقَصْرِ ، فَبَعَثَ إِلَى قَاضِي الْقَضَاءِ شَمْسِ الدِّينِ الْحَرِيرِيِّ الْحَقَنِيِّ لِيَتَحَكَّمَ بِاسْتِئْذَانِهَا عَلَى قَاعِدَةِ مَذْهَبِهِ^١ . فَاثْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ تَنَزُّهًا وَتَوَرُّعًا ، وَاجْتَمَعَ بِالسُّلْطَانِ وَحَدَّثَهُ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ مِثْلِ السُّلْطَانِ إِلَى أَخْذِ الْأَرْضِ ، نَهَضَ مِنَ الْمَجْلِسِ مُغَضَّبًا ، وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

٥ فَأَرْسَلَ الْقَاضِي كَرِيمُ الدِّينِ الْكَبِيرُ ، نَازِلُ الْخَاصِّ ، إِلَى سِيرَاجِ الدِّينِ^(أ) الْحَقَنِيِّ عَنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ وَقَلَّدَهُ قَضَاءَ مِصْرَ مُنْفَرِدًا عَنِ الْقَاهِرَةِ ، فَحَكَّمَ بِاسْتِئْذَانِ الْأَرْضِ فِي غُرَّةِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَلَمْ يَلَيْتْ سِوَى مُدَّةِ شَهْرَيْنِ وَمَاتَ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ . فَاسْتَدْعَى السُّلْطَانُ قَاضِي الْقَضَاءِ شَمْسِ الدِّينِ الْحَرِيرِيِّ ، وَأَعَادَهُ إِلَى وَلايَتِهِ .

١٠ وَكَمَلَ الْقَصْرُ وَالْإِسْطَبَلُ عَلَى هَيْئَةِ قَلٍّ مَا رَأَتْ الْأَعْيُنُ مِثْلَهَا ، بَلَغَتْ الثَّقَفَةُ عَلَى الْعِمَارَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِبْلَغَ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ دِرْهَمٍ فِضَّةً ، مَعَ جَاهِ الْعَمَلِ لِأَنَّ الْعَجَلَ الَّتِي تَحْمِلُ الْحِجَارَةَ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ ، وَالْحِجَارَةَ أَيْضًا مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ ، وَالْفَعْلَةُ فِي الْعِمَارَةِ أَهْلُ الشُّجُونِ الْمُقِيدُونَ مِنَ الْحَايِسِ .

وَقُدِّرَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْعِمَارَةِ جَاهٌ وَلَا سُخْرَةٌ ، لَكَانَ مَضْرُوفُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِبْلَغَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ فِضَّةً . وَأَقَامُوا فِي عِمَارَتِهِ مُدَّةَ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ ، فَتَجَاوَزَتِ الثَّقَفَةُ عَلَى عِمَارَتِهِ مِبْلَغَ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فِضَّةً ، عَنْهَا زِيَادَةُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، سِوَى مَا حُجِّلَ ، وَسِوَى مَنْ سُخِّرَ فِي الْعَمَلِ وَهُوَ بَنَحُو ذَلِكَ . ١٥

فَلَمَّا تَمَّتْ عِمَارَتُهُ سَكَنَتْهُ الْأُمَرَاءُ بِكَثْرَتِهِ الشَّاقِي ، وَكَانَ لَهُ فِي إِسْطَبَلِهِ هَذَا مِائَةُ سَطَلٍ نَحَاسٍ لِمِائَةِ سَائِسٍ ، كُلُّ سَائِسٍ عَلَى سِتَةِ أَرْؤُسٍ خَيْلٍ ، سِوَى مَا كَانَ لَهُ فِي الْجُشَارَاتِ وَالنَّوَاحِي مِنَ الْخَيْلِ ، وَكَانَ مِنَ الْمَغْرِبِ يُغْلَقُ بَابُ إِسْطَبَلِهِ فَلَا يَصِيرُ لِأَخِيذِهِ بِهِ جِسٌّ .

وَلَمَّا تَزَوَّجَ أُنُوكُ بْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ بَابِنَةَ الْأَمِيرِ بِكَثْرَتِهِ الشَّاقِي ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، خَرَجَ شُؤْرَاهَا مِنْ هَذَا الْقَصْرِ^٢ ، فَكَانَتْ^(ب) عِدَّةُ الْحَمَالَيْنِ ثَمَانِ مِائَةٍ ٢٠

(أ) بياض في آياصوفيا مقدار كلمة . (ب) بولاق : وكان .

^١ انظر عن الاستبدال فيما تقدم ٢٠١ و٢٠٢ وجاء هنا على هامش نسخة من : «خَالَفَ مَذْهَبَهُ فِي صِيغَةِ الْإِسْتِئْذَانِ وَاسْتَدْعَى فِيهِ إِلَى أَقْوَالٍ ضَعِيفَةٍ ضَمَّنَهَا كَرَارِسَ لَا يُقْبَلُ بِهَا ، وَنَقِمَ عَلَيْهِ فَمُلِهَ هَذَا» .
^٢ أضاف الصفدي ، مصدر هذا الخبر : «كنت أنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلثين وسبع مائة ورأيت الشوار الذي لحمل من داره التي على يزكة الفيل إلى القلعة» .

حَمَّال : المَسَائِد الزُّرْكَش على أربعين حَمَّالاً عِدَّتْهَا عَشْرَةٌ مَسَائِد ، والمُدَوَّرَات ستة عشر حَمَّالاً ،
والكَرَاسِي اثنا عشر حَمَّالاً ، وكراسي لطاف أربعة حَمَّالين ، وَفَضِيَّات تسعة وعشرون حَمَّالاً ،
وسُلَّم الدَّكَك أربعة حَمَّالين ، والدَّكَك والثُّخُوت الأَتُوس المَقْصُصَةُ والمُوشَّغَةُ مائة واثنين وستين
حَمَّالاً ، والثُّخَاس الكَفَّت ثمانية وأربعين حَمَّالاً ، والصُّبْنِي ثلاثة وثلاثين حَمَّالاً ، والزُّجَاج
المَذْهَب اثني عشر حَمَّالاً ، والثُّخَاس الشَّامِي اثنين وعشرين حَمَّالاً ، والبَغْلَبَكِّي المَدْهُون اثني عشر
حَمَّالاً ، والخَوَلُجَات والخَفَافِي والزُّبَادِي ، والثُّخَاس تسعة وعشرين حَمَّالاً ، وصُنَادِيق الحَوَالِج خاناه
سِتَّة حَمَّالين ، وغير ذلك ثَمَّة العِدَّة ، والبِغَال المَحْمَلَةُ القُرُوش واللُّخَف والبُشْط والصُّنَادِيق التي فيها
المَصَاغ تسعة وتسعين بَغْلًا .

قال العَلَاءَةُ صَلَاحُ الدِّين خَلِيل بن أَثِيك الصَّفَدِي : قال لي المَهْدَب الكَاتِب : الزُّرْكَش
والمَصَاغ ثمانون قِنْطَارًا بالمِصْرِي دَهَب^(٨) .^{١٠}

ولمَّا مَات بَكْتَشَرُ هَذَا صَارَ هَذَا الْوَقْفُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَمَلَةِ أَوْقَافِهِ ، فَتَوَلَّى أَمْرَهُ وَأَمَرَ سَائِرَ أَوْقَافِهِ
أَوْلَادَهُ حَتَّى انْقَرَضَ أَوْلَادُهُ وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِ ، فَصَارَ أَمْرُ الْأَوْقَافِ إِلَى ابْنِ ابْنَتِهِ ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنِ قُرْطَايِ الْمَعْرُوفِ بِأَحْمَدُ بْنُ بَنْتِ بَكْتَشَرُ .

وهَذَا الْقَصْرُ عَلَى^(ب) غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ ، وَلَا يَنْزِلُهُ إِلَّا أَعْيَانُ الْأَمْرَاءِ إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةُ سَبْعَ عَشْرَةِ
وِثْمَانٍ مِائَةٍ وَكَانَ الْعَشِكُورُ غَايِبًا عَنْ مِصْرَ مَعَ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخٍ فِي مُحَازَرَةِ الْأَمِيرِ تَوْرُوزِ الْحَافِظِي^{١٥}
بِدِمَشْقٍ عَمَدَ هَذَا الْمَذْكُورِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَأَخَذَ رُحَامَتَهُ وَشَبَابِيكَهُ وَكَثِيرًا مِنْ شَعُوفِهِ وَأَهْوَابِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
وَبَاعَ الْجَمِيعَ ، وَعَمِلَ بِدَلِّ ذَلِكَ الرُّخَامِ الْبِلَاطَ ، وَبَدَّلَ الشَّبَابِيكَ الْحَدِيدَ بِالْخَشَبِ . وَقَطَّنَ بِهِ أَعْيَانُ
النَّاسِ قَقْصَدُوهُ ، وَأَخَذُوا مِنْهُ أَصْنَافًا عَظِيمَةً بِثَمَنٍ وَبِغَيْرِ ثَمَنٍ ، وَهُوَ الْآنَ / قَائِمُ الْبِنَاءِ يَشْكُنُهُ الْأَمْرَاءُ^٢ .

(٨) أعيان العصر : ذهب بالمصري . (ب) بولاق : في .

^١ الصفدي : أعيان العصر ١ : ٧١٣ - ٧١٤ .
^٢ هنا على هامش نسخة ص : ثم آل أمر هذا القصر
والإسطنبول من الحراب إلى أن صار إسطنبولًا لبغال المكارية
السلطانية الأشرية فابشاي .
وظل قصر بكتش الثاني موجودًا إلى أن بنى الأمير
صالح بك القاسمي أمير الحاج في سنة ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م
داره العظيمة المواجهة للكتش في مكانه (الجبرتي : عجائب
الآثار ١ : ٥٠٤) ، وأضاف علي مبارك أن هذه الدار صارت
تقلب مع تقلب الحوادث والأهالي إلى أن جُعِلَتْ في زمن
العائلة المحمدية وَرِثَةً لِعَمَلِ الْأَسْلِحَةِ (المخطط الترفيعة
٢ : ٣٣) . ثم خُلَّ مكانها سراي الخوض المرصود التي شُقَّ
في أرضها شارع محمد قنري الذي يربط شارع عبد =

الدَّارُ الْيَسْرِيَّةُ

هذه الدَّارُ بِحُطِّ بَيْتِ الْقَصْرَيْنِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، كانت في آخِرِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، لما قويتْ شَوْكَةُ الْفِرْنَجِ ، قَدْ أُعِدَّتْ لِمَنْ يَجْلِسُ فِيهَا مِنْ قُصَّادِ الْفِرْنَجِ عِنْدَمَا تَقْرُرُ الْأُمُورُ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ مَا يُتَحَصَّلُ مِنْ مَالِ الْبَلَدِ لِلْفِرْنَجِ ، فَصَارَ يَجْلِسُ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَاصِدٌ مُعْتَبَرٌ عِنْدَ الْفِرْنَجِ لِقَبْضِ^(a) الْمَالِ .

فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ بِالْفَرَجِ ، ثُمَّ زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي أَيُّوبَ ، وَوَلَّى سُلْطَنَةُ مِصْرَ الْمُلُوكُ مِنَ التُّرُكِ إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ الْبَنْدُقْدَارِي ، شَرَعَ الْأَمِيرُ بُدْرُ^(b) الدِّينِ بِعَسَرِي الشُّنْسِي الصَّالِحِي النُّجُمِي فِي عِمَارَتِهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتْ مِائَةٍ ، وَتَأَلَّقَ فِي عِمَارَتِهَا ، وَبَالَغَ فِي كَثْرَةِ الْمَصْرُوفِ عَلَيْهَا . فَأَتَكَرَّ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرُ بُدْرُ الدِّينِ أَيُّ شَيْءٍ خَلَيْتَ لِلْفَرَاةِ وَالْيَزَكِ^(c) ؟ فَقَالَ : صَدَقَاتُ السُّلْطَانِ ، وَاللَّهِ يَا خَوْنُدُ مَا بَنَيْتَ هَذِهِ الدَّارَ إِلَّا حَتَّى يَصِلَ خَبَرُهَا إِلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ ، وَيُقَالُ بَعْضُ تَمَالِيكَ السُّلْطَانِ عَمَرٌ دَارًا غَرِمَ عَلَيْهَا مَالًا عَظِيمًا . فَأَعْجَبَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ السُّلْطَانُ ، وَأَنْتَعَمَ لَهُ^(d) بِأَلْفِ دِينَارٍ عَتِيًّا . وَعُدَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ إِنْقَامِ السُّلْطَانِ^(e) .

فَجَاءَ سَعَةُ هَذِهِ الدَّارِ بِإِسْطِطْلَاقِهَا وَبُشْتَانِهَا وَالْحَمَامِ بِجَانِبِهَا نَحْوَ قَدَّانِينَ ، وَرُخَامُهَا مِنْ أَتْبَهَجِ رُخَامِ عُجَلٍ فِي الْقَاهِرَةِ وَأَحْسَنِهِ صُنْعَةً ، وَكَثُرَ تَعْجُبُ النَّاسِ إِذْ ذَاكَ مِنْ عِظَمِهَا لَمَّا كَانَ فِيهِ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ وَرِجَالُهَا حِينَئِذٍ مِنَ الْاِقْتِصَادِ ، حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا صَارَ أَمِيرًا لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ دَارِهِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا وَهُوَ مِنَ الْأَجْنَادِ .

وَعِنْدَمَا كَثَلَتْ عِمَارَةُ هَذِهِ الدَّارِ وَقَفَّهَا ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِوَقْفِهَا اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ عَدْلًا : مِنْ جَمَلَتِهِمْ قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ الدِّينِ بَنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنُ بِنْتِ الْأَعَزِّ ، وَقَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيَّ الدِّينِ بَنِ رَزِينِ ، قَبْلَ وَلَايَتِهِمُ الْقَضَاءِ فِي حَالِ تَحْمِلِهِمُ الشَّهَادَةَ .

(a) بولاق : بقض . (b) بولاق : ركن . (c) في المخطفي (٢: ٥٨٠) : يا أمير ماذا خلعت للبيكار ؟ فقد أنفقت مالك جميعه في عمارة دار . (d) بولاق : عليه . (e) مسودة المواظع : ولم يُستع عن الملك الظاهر ببيرس إلعام أكثر من هذا .

= المجلد الثَّانِي (مَرْسِيَا) بِشَارِعِ بُوْرْسَعِدِ قَرِبَ مِيْدَانِ السَّيْدَةِ
 ١ التَّزَكُ - مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْحُرْسِ الْمُتَقَدِّمِ ، يَكُونُ مِنَ اللَّجْنَةِ
 وَبَيْنَ الْعَدُوِّ ، مَا تَقَامُ مِنْ يَدْخُلِ أَوْ يَخْرُجُ مِنَ الْعَسْكَرِ . (Dozy,
 زَيْنَب . (النجوم الزاهرة ٩: ١٨٨هـ ٤) .
 (R., Suppl. Dict. Ar. II, p. 859) .

وما زالت بيد وِزْنَةِ بَيْسَرِي إلى سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مائة . فَشَرِهَتْ نَفْسُ الْأَمِيرِ قَوْضُونَ إلى أَخْلِهَا ، وسأل السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ في ذلك ، فَأَذِنَ لَهُ في التَّحَدُّثِ مع وِزْنَةِ بَيْسَرِي ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَأَرْضَاهُمْ حَتَّى أَدْعَنُوا لَهُ . فَجَعَلَ السُّلْطَانُ إلى قَاضِي الْقَضَاةِ شَرْفِ الدِّينِ الْحَوَّانِي ^(a) الْحَنْبَلِي يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْحُكْمَ بِاسْتِئْذَانِهَا ، كَمَا حَكَّمَ لَهُ ^(b) بِاسْتِئْذَانِ بَيْتِ قَتَالِ السَّبْعِ وَحُكْمِهِ ^(c) الَّذِي أَنشَأَ جَامِعَهُ بِحُطٍّ خَارِجَ الْبَابِ الْجَدِيدِ ^(d) مِنَ الشَّارِعِ ^(e) ، فَأَجَابَ إلى ذلك . وَنَزَلَ إِلَيْهَا عَلَاءُ الدِّينِ ^(f) بْنُ هِلَالِ الدَّوْلَةِ شَادَ الدَّوَّارِينَ ^(g) وَمَعَهُ شُهُودُ الْقِيَمَةِ ، فَقَوَّمتْ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَتِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةً ، وَتَكُونُ الْغِيْطَةُ لِلْأَهْلَامِ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ نَقْرَةً لَتَتِمَّ الْجُمْلَةُ مِائَتِي أَلْفٍ دِرْهَمٍ نَقْرَةً . وَحَكَّمَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَرْفُ الدِّينِ الْحَوَّانِي بَيْنَهُمَا ، وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ مِمَّا شَتَّعَ عَلَيْهِ ذِكْرُهُ ^(h) .

١٠. ثُمَّ اخْتَلَفَ الْأَيْدِي فِي الْاِسْتِئْلَاءِ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ ، وَاقْتَدَى الْقَضَاةُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِي الْحُكْمِ بِاسْتِئْذَانِهَا . وَآخِرَ مَا حَكَّمَ بِهِ مِنْ اِسْتِئْذَانِهَا فِي أَغْوَامٍ بَضِيعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةِ ، فَصَارَتْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَوْقَافِ الظَّاهِرِيَّةِ بَرَقُوقٍ ، وَهِيَ الْآنَ بِيَدِ ابْنَتِهِ ⁽ⁱ⁾ بَيْزَمَ ^(j) .
- وكان لها بابٌ يُوَاقِبُهُ مِنْ أَغْظَمَ مَا عُمِلَ مِنَ الْبُزَابَاتِ بِالْقَاهِرَةِ ، وَيَتَوَصَّلُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَهُوَ بِجَوَارِ حُكْمِ بَيْسَرِي مِنْ شَارِعٍ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، وَقَدْ بُنِيَ تَجَاهَ هَذَا الْبَابِ خَوَانِيتٌ حَتَّى خَفِيَ ، وَصَارَ يُدْخَلُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ مِنْ بَابٍ آخَرَ بِحُطٍّ الْخُرُونُشَفِ .

(a) يابض في مسودة المواظ . (b) ساقطة من بولاقي . (c) مسودة المواظ : التي بنى مكانها الجامع خارج باب زويلة . (d) بولاقي : فيه . (e) بولاقي : ابنة .

^١ المقرئ : السلوك ٢ : ٣٢١ .

^٢ عن جامع قَوْضُونَ انظر فيما يلي ٢ : ٣٠٧ .

^٣ المقرئ : مسودة المواظ ٤١١ - ٤١٣ .

^٤ وقد اُنْتُذِرَتْ الدَّارُ الْبَيْسَرِيَّةُ بِعَدْنِ هَدَفِهَا الْأَشْرَفِ بِرِسْبَايَ سنة ٨٣٥ هـ . (ابن ياس : بدائع الزهور ٢ : ١٤٠) ، وَتَقَدَّلَ عَلَى مَكَانِهَا الْآنَ مَجْمُوعَةُ الْمَبَانِي الْوَاقِعَةِ فِي الْمُنْطَقَةِ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ الْمَعَزِ لَدَيْنَ اللَّهِ ، وَمِنَ الشَّمَالِ بِشَارِعِ الْخُرُونُشَفِ ، وَمِنَ الْغَرْبِ بِحَارَةِ الْبَرْقُوقَةِ ، وَمِنَ الْجَنُوبِ دَارُ الْحَدِيثِ الْكَامِلَةِ ، فِي مُوَاجَهَةِ قَصْرِ تَشْتَاكِ الَّذِي مَازَالَتْ بِقَايَاهُ قَائِمَةً حَتَّى الْآنَ وَمُسَجَّلَةٌ بِالْأَتَارِ بِرَقْمِ ٣٤ .

^٥ شاد الدَّوَّارِينَ ويقال له أَيْضًا مَشْدُ الدَّوَّارِينَ . هِيَ الْوَلِيْفَةُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَايَاتِ الَّتِي كَانَ يَشْغُلُهَا عَسْكَرِيُونَ (أَرْبَابُ السِّيُوفِ) بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْعَصْرِ الْمَلُوكِيِّ . وَكَانَ شَأْنُهُ يَنْظُمُ أُمُيَّاتًا فِي حَالَةِ خَلْقِ الدَّوْلَةِ مِنْ وَزِيرٍ فَكَانَ يَسْتَقِلُّ بِتَدْيِيرِ أُمُورِهَا . وَمَهْمَتُهُ هِيَ اِسْتِخْلَاصُ مَا يَتَقَرَّرُ فِي الدِّيَّانِ عَلَى مَنْ يَعْصِرُ اِسْتِخْلَاصَهُ مِنْهُ ، وَرَجْمًا لَهَا إِلَى الشُّدَّةِ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ . (ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبْصَارِ ٥٩ ، الْقَلْتَشَنْدِي : صَبِاحُ الْأَعْشَى ٤ : ٢٢٢ ؛ حَسَنُ

يَتَسَرَّى - الأميرُ شَمْسُ الدِّينِ الشُّنَمْسِي الصَّالِحِي التَّجِيبي^١، أَحَدُ تَمَالِيكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيْوُبَ الْبَحْرِيَّةِ، تَنَقَّلَ فِي الْحَيْدَمِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَجَلِ الْأُمَرَاءِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَتَبَرَّسِ الْبُنْدُقْدَارِي، وَاشْتَهَرَ بِالشُّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ وَغُلُوِّ الْهَيْئَةِ. وَكَانَتْ لَهُ عِدَّةُ مَمَالِيكَ رَاتِبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةُ رطلِ لَحْمٍ، وَفِيهِمْ مَنْ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِبلغُ سِتِينَ غَلِيقَةً لَحِيشَةٍ، وَبَلَغَ عَلَيْهِ حَيْثُ وَخِيلَ تَمَالِيكُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ آلَافِ غَلِيقَةٍ سِوَى غَلَفِ الْجِمَالِ، وَكَانَ يُنْجِمُ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ وَبِالْخَمْسِ مِائَةِ غَيْرِ مِوَّةٍ.

وَلَمَّا فَرَّقَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَثِيفًا الْمَمَالِيكَ عَلَى الْأُمَرَاءِ، بَقِيَ لَهُ بِسِتِينَ تَمْلُوكًا، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ فِي يَوْمِهِمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ فَرَسَيْنِ وَتَغَلًّا. وَشَكَا إِلَيْهِ أَشْتَادُ أَرْهَ كَثْرَةَ خَرْجِهِ، وَحَسَّنَ لَهُ الْاِقْتِصَادَ فِي الثَّقَفَةِ، فَحَنَقَ عَلَيْهِ وَعَزَلَهُ وَأَقَامَ غَيْرَهُ، وَقَالَ: لَا يُرْنِي وَجْهَهُ أَبَدًا. وَلَمْ يُعْرِفْ عَنْهُ أَنَّهُ شَرِبَ الْمَاءَ فِي كُوزٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ، وَأَمَّا يَشْرَبُ كُلَّ مَرَّةٍ فِي كُوزٍ جَدِيدٍ، ثُمَّ لَا يُعَاوِدُ الشُّرْبَ مِنْهُ.

وَتَنَكَّرَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ فَسَجَنَهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَمَا زَالَ فِي سِجْنِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ دِمَشْقَ بِشَفَاعَةِ الْأَمِيرِ يَتَدْرَا وَالْأَمِيرِ سِنْجَرِ الشُّجَاعِي، وَأَمَرَ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ كَامِلٌ، وَيُكْتَبَ لَهُ مَنَشُورٌ بِامْرَةِ مِائَةِ فَارَسٍ، وَأَنْ يَلْبَسَ التَّشْرِيفَ مِنَ السُّجْنِ. فَجَهَّزَ التَّشْرِيفُ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ الْمَنَشُورُ فِي كَيْسٍ خَرِيرٍ أَطْلَسَ، وَعُظِّمَ فِيهِ تَغْظِيمًا زَائِدًا، وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً جَمًّا، وَسَارَ إِلَيْهِ يَتَدْرَا وَالشُّجَاعِي وَالدُّوَادَارُ وَالْأَقْرَمُ إِلَى السُّجْنِ لِيَمْشُوا فِي خِدْمَتِهِ إِلَى أَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ، فَاثْتَنَعَ مِنْ لَيْسَ التَّشْرِيفِ، وَالتَّرَمَّ بِأَيَّامٍ مَغْلُظَةٍ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ إِلَّا بِقَيْدِهِ وَلِبَاسِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ فِي السُّجْنِ. وَتَسَامَعَتِ الْأُمَرَاءُ وَأَهْلُ الْقَلْعَةِ بِخُرُوجِهِ، فَهَرَعُوا إِلَيْهِ. وَكَانَ لَخُرُوجِهِ نَهَارٌ عَظِيمٌ.

^١ انظر ترجمة الأمير تيسري المتوفى سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م عند الصفدي: أعيان العصر ٩٩: ٢ - ١٠٠، الوافي بالوفيات ١٠: ١٣٦٤، القرطبي: المفاتيح الكبير ٥٧٦: ٢ - ٥٨١، السلوك ١: ٨٨٠، ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٤٤٨، أبي المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٥٠٠ - ٥٠٢، النجوم الزاهرة ٨: ١٨٥.

وهنا حاشية بخط المؤلف نصها: «قال المحافظ في كتاب «الحيان»: ورأينا التيسري من الناس - وهو الذي يُخلق من بين البيض والهند - لا يخرج ذلك التاج من مقداري ضخمة الأوبون وقوتهما، ولكنه يحيى أعين وأقلع، وهم يسمون الماء إذا خالطته الملوحة يتسرا، قياسا على هذا التركيب الذي حكينا من البيض والهنديات. وقال ابن سيده في «الحكم»: والياصرة قوم بالشند يؤاجرون أنفسهم من أهل الشفن لحرب عدوهم».

وَدَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ/ بَقِيْدِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فُلُكٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأُفِيضَ عَلَيْهِ التُّشْرِيفُ فَقَبِلَ الْأَرْضَ وَأَكْرَمَهُ السُّلْطَانُ وَأَمَرَهُ. فَتَزَلَّ إِلَى دَارِهِ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى رُؤْيَتِهِ وَسُرُّوا بِخَلَاصِهِ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ عَشْرِينَ فَرَسًا وَعَشْرِينَ إَكَدِيْشًا^١ وَعَشْرِينَ بَغْلًا، وَأَمَرَ جَمِيعَ الْأَمْزَاءِ أَنْ يَمْعُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ حَتَّى سَيَّرَ إِلَيْهِ مَا يَقْبِرُ عَلَيْهِ مِنَ التُّخَفِ وَالْحَيْلِ^٢ وَالسَّلَاحِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَمِيرُ سِلَاحِ الْفُتَيِّ دِينَارَ عَيْنًا. وَكَانَتْ مُدَّةُ سَجْنِهِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَأَشْهُرًا، فَصَارَ يَكْتُبُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السَّجْنِ «يَيْسَرِي الْأَشْرَفِي» بَعْدَمَا كَانَ يَكْتُبُ «يَيْسَرِي الشُّعْسِي».

وَمَا زَالَ إِلَى أَنْ تَسَلَّطَنَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لِأَجَلَيْنِ فَأَخَذَ الْأَمِيرُ مَنُكُوتَمَرًا^٣ يُغَرِّبُهُ بِالْأَمِيرِ يَيْسَرِي وَيُخَوِّفُهُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ قَدْ تَعَيَّنَ لِلسُّلْطَنَةِ. فَعَمِلَهُ كَاشِفَ الْجِيْزَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْضُرَ الْخِزْمَةَ يَوْمِي الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ بِالْقَلْعَةِ، وَيَجْلِسَ رَأْسَ الْمَيْمَنَةِ تَحْتَ الطَّوَاشِي حُسَامِ الدِّهْنِ بِلَالِ الْمَغِيْثِي لِأَجْلِ كِبَرِهِ وَتَقَدُّمِهِ. ثُمَّ زَادَ مَنُكُوتَمَرًا^٤ فِي الْإِعْرَاءِ بِهِ وَالسُّلْطَانُ يَسْتَمْعِلُهُ^٥، إِلَى أَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَأَحَاطَ بِسَائِرِ مَوْجُودِهِ، وَحَبَسَ عِدَّةً مِنْ تَمَالِيكِهِ، فَشَرَّ مَنُكُوتَمَرًا^٦ بِمَشْكِهِ شُرُورًا عَظِيمًا. وَاسْتَمَرَّ فِي السَّجْنِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي تَاسِعِ عَشْرِ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ وَعَلَيْهِ ذِيُونٌ كَثِيرَةٌ، وَذُقَّ بِشُرَّتِيهِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قَصْرُ بَشْتَاك وَأَشْرَفْتُمْ ٤٣٤

هَذَا الْقَصْرُ هُوَ الْآنَ تَجَاهَ الدَّارِ الْيَيْسَرِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْقُصُورِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي كَانَ مَشْكِنًا لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ، وَيُشَلِّكُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الَّذِي كَانَ يُغْرَفُ فِي أَيَّامِ عِمَارَةِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ بِيَابِ الْبَحْرِ، وَهُوَ يُغْرَفُ الْيَوْمَ بِيَابِ قَصْرِ بَشْتَاك تَجَاهَ الْمَدْرَسَةِ الْكَامِلِيَّةِ^١.

وَمَا زَالَ إِلَى أَنْ اشْتَرَاهُ الْأَمِيرُ بَنَرُ الدِّهْنِ بَكْتِاشُ الْفَخْرِي^٢ - الْمَعْرُوفُ بِأَمِيرِ سِلَاحٍ - وَأَنْشَأَ دُورًا وَاسْطَبْلَاتٍ وَمَسَاكِينَ لَهُ وَلِحَوَاشِيهِ وَصَارَ يَنْزِلُ إِلَيْهِ هُوَ وَالْأَمِيرُ بَنَرُ الدِّهْنِ يَيْسَرِي عِنْدَ انْصِرَافِهِمَا

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: منكرتم. (c) بولاق: والسلطنة تستمهل.

^١ الإكديش جـ. أكاديش، كدشان. فَرَسٌ مِنْ شَلَالَةٍ (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 457).
^٢ فيما تقدم ٢: ٤٢٥.
^٣ عن أمير السِّلَاحِ بَنَرُ الدِّهْنِ بَكْتِاشُ الْفَخْرِي، انظر=

مُخَلَّطَةٌ، وَبُودَ أحيانًا كَقَرَسٍ خَصِي، أَوْ قَرَسٍ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ،
 كَانَ سُلَاطِينَ الْمَمَالِيكِ يَكْتَرُونَ مِنْ إِعْدَالِهِ إِلَى أَمْرَاتِهِمْ.

من الخِدْمَة السُلْطَانِيَّة بِقَلْعَة الجَبَل في مَوْكِبٍ عَظِيمٍ زَائِدِ الحِشْمَةِ ، ويدخلُ كُلُّ منهما إلى دارِهِ .
وكان مَوْضِعُ هذا القَصْرِ عِدَّةً مَسَاجِدَ ، فلم يَتَعَرَّضْ لِهَدمِها ، وأَبْقَاهَا على ما هي عليه .

فَلَمَّا ماتَ أَمِيرُ سِلَاحَ ، وَأَخَذَ الأَمِيرُ قَوْضُونَ الدَّارِ البَيْسَرِيَّةِ كما تَقَدَّمَ ذكره أَحَبُّ الأَمِيرِ بَشْتَاكُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ أَيْضًا دَارٌ بِالقَاهِرَةِ . وذلك أَنَّ قَوْضُونَ وَبَشْتَاكُ كانا يَتَنَاطَرَانِ في الأُمُورَ ، وَيَتَضَادَّانِ في سَائِرِ
الأَحْوَالِ ، وَيَقْصِدُ كُلُّ منهما أَنْ يُسَامِيَ الآخرَ وَيَزِيدَ عليه في التَّجَمُّلِ . فَأَخَذَ بَشْتَاكُ^١ يَعمَلُ في
الاسْتِيلاءِ على قَصْرِ أَمِيرِ سِلَاحَ حَتَّى اشْتَرَاهُ مِنْ وَرَثَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنَ السُّلْطَانِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ
قَلاوُونَ قِطْعَةً أَرْضٍ كانت دَاخِلَ هذا القَصْرِ مِنْ حَقُوقِ بَيْتِ المَالِ ، وَهَدَمَ دارًا كانت قد أُنشِئَتْ هناك
عُرِفَتْ بِدارِ أَقْطَوَانَ^٢ الشَّاقِي ، وَهَدَمَ أَحَدَ عَشَرَ مَسْجِدًا وأربعةَ مَعَابِدَ كانت مِنْ آثارِ الخُلَفَاءِ يَسْكُنُهَا
جَمَاعَةُ الفُقَرَاءِ ، وَأَدْخَلَ ذلكَ في البِنَاءِ إِلَّا مَسْجِدًا مِنْهَا فَإِنَّهُ عَمَّرَهُ ، وَيُعرَفُ اليَوْمَ بِمَسْجِدِ الفِجْلِ^٣ ١ .

فَجاءَ هذا القَصْرُ مِنْ أَعْظَمِ مَبَانِي القَاهِرَةِ ، فَإِنَّ اِرْتِفَاعَهُ في الهَوَاءِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَنُزُولُ أَساسِهِ
في الأَرْضِ مِثْلُ ذلكَ ، والماءُ يَجْرِي بِأَغْلَاهِ ، وَلَهُ شَبَابِيكُ مِنْ حَدِيدٍ تُشْرِفُ على شَارِعِ القَاهِرَةِ ،
وَيَنْظُرُ مِنْ أَغْلَاهِ عَامَّةُ القَاهِرَةِ والقَلْعَةُ والثَّيْلُ والبَسَاتِينَ . وَهُوَ مُشْتَرَفٌ^٤ جَلِيلٌ ، مَعَ حُسْنِ بِنَائِهِ ،
وَتَأْتِي زَخْرَفَتُهُ ، والمبالغةُ في تَزْوِيقِهِ وَتَوَحُّيمِهِ .

وَأُنشِأَ أَيْضًا في أَسْفَلِهِ حَوَانِيتٌ كان يُباعُ فيها الحَلَوَى وغيرها ، فَصارَ الأَمْرُ أخيرًا كما كان
أَوَّلًا بِتَشْمِيَةِ الشَّارِعِ «بَيْنَ القَصْرَيْنِ» . فَإِنَّهُ كانَ أَوَّلًا - كما تَقَدَّمَ - بِالقَاهِرَةِ القَصْرُ الكَبِيرُ الشَّرْقيُّ
الَّذِي قَصْرُ بَشْتَاكُ مِنْ جَمَلَتِهِ ، وَتَجَاهَهُ القَصْرُ الغَرْبيُّ الَّذِي الحُرْنُشَفُ مِنْ جَمَلَتِهِ ، فَصارَ قَصْرُ
بَشْتَاكُ وَقَصْرُ بَيْسَرِيٍّ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الشَّارِعِ يُقالُ لَهُ «بَيْنَ القَصْرَيْنِ» . وَمِنْ لا عِلْمَ لَهُ يَظُنُّ إِنَّمَا قِيلَ
لهَذَا الشَّارِعِ «بَيْنَ القَصْرَيْنِ» لِأَجْلِ قَصْرِ بَيْسَرِيٍّ وَقَصْرِ بَشْتَاكُ ، وَلَيْسَ هَذَا بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ
بَيْنَ القَصْرَيْنِ قَبْلَ ذلكَ مِنْ حِينِ بُنِيَ القَاهِرَةُ ، فَإِنَّهُ كانَ بَيْنَ القَصْرَيْنِ : القَصْرُ الكَبِيرُ الشَّرْقيُّ ،
وَالْقَصْرُ الصَّغِيرُ الغَرْبيُّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذلكَ مَشْرُوحًا مُبَيَّنًا^٥ . ٢٠

(a) بولاق : قطوان . (b) بولاق : المجلد . (c) بولاق : مشرق .

^٢ انظر عن هذا المسجد فيما يلي ٤١٣ : ٢ .

= فيما تقدم ٩٥ .

^٣ انظر فيما تقدم ٢ : ٢١٤ ، ٢٤٤ وهذا المجلد ٨١ .

^١ انظر ترجمة الأمير بشتاك صاحب القصر فيما تقدم



فضر بُشّاك : الواجهة قبل الترميم ، والقاعات الداخلية بعد الترميم

ولما أكمل بُشْتَاك بناءً هذا القصر والحوانيت التي في أسفله والحان المجاور له في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، لم يُبَارَكْ له فيه ولا تَمَتَّعَ به، وكان إذا نَزَلَ إليه يُقْبَضُ صَدْرُهُ، ولا تُنَسِّطُ نفسه ما دام فيه حتى يخرج منه فترك المجيء إليه، فصار يتعاهده أحياناً فيعْتَرِيهِ ما تقدَّم ذِكْرُهُ، فكَرِهَهُ وباعه لَزُوجَةِ بَكْتَمُرِ الشَّاقِي. وتداوله وَرَثَتُهَا إلى أن أَخَذَهُ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنَ ابنِ محمد بن قلاوون، فاستقرَّ بيد أولاده إلى أن تَحَكَّمَ الأميرُ الوَزِيرُ المُشِيرُ جَمَالُ الدِّينِ الأُسْتَاذُ في مصر، أَقامَ من شَهِدَ عند قاضي القضاة كمال الدين عُمَرُ بن العَدِيمِ الحَنَفِي بأنَّ هذا القصر يُضَرُّ بالحجار والماء، وأنه مُسْتَحَقٌّ للإزالة والهدم كما عَمِلَ ذلك في غير موضع بالقاهرة؛ فَحَكَّمَ له باستبداله، وصارَ من جملة أملاكه. فلَمَّا قَتَلَهُ المَلِكُ النَّاصِرُ فَزَجَ بن بَرْقُوق، استولى على سائر ما تَرَكَه، وجَعَلَ هذا القصر فيما عَينَهُ للثَّوْنَةِ التي أنشأها على قَبْرِ أبيه المَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ خارج باب النُّصْر^١.

فاستمرَّ في جملة أوقاف الثَّوْنَةِ المذكورة إلى أن قُتِلَ المَلِكُ النَّاصِرُ بِدِمَشْقَ في حَزْبِ الأميرِ شَيْخِ والأمير/ تَوْرُوز، وقَدِمَ الأميرُ شَيْخٌ إلى مصر هو والحَلِيفَةُ المُشْتَعِنُ بالله العَبَّاسُ بن محمد، وَقَفَّ له من بقي من أولاد جمال الدين وأقاربه - وكان لأهل الدَّوْلَةِ يومئذٍ بهم عناية - فَحَكَّمَ قاضي القضاة صَدْرُ الدِّينِ عَلِيَّ بن الأَدْمِي الحَنَفِي بِارْتِجَاعِ أملاك جمال الدين التي وَقَفَّها على ما كانت عليه، فتسلَّمَهَا أخوه، وصارَ هذا القصر إليهم، وهو الآن يدهم^٢.

Bachtak», *An. Isl.* X (1972), pp. 98-104, Revault, J. & Maury, B., *Palais et maisons du Caire du XIV^e au XVIII^e siècle*, Le Caire - IFAO 1977, II, pp. 1-20; Meincke, M., *Die Restaurierung der Madrase des Amirs Sâbiq al-Dîn Miṭṭāḡ al-Anûkî und die Sanierung des Darb Qirmiz in Kairo*, Mainz 1980, pp. 81-110; Speiser, Ph., «La restauration du palais Bachtak», *L'Habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la Méditerranée*, Le Caire - IFAO 1991, III, pp. 809-26; Fu'ad Sayyid, A., (*op.cit.* pp. 248-49).

وجاء على هامش نُسخة ص: «ثم استبدل هذا القصر الأمير قطولويه الخنودى الأشرفى زوسباي - أجد الأمراء العسرات بالدولة الظاهرية حشقدم - وزم ما نُشِئَتْ به=

^١ المقرئ: مسودة المواعظ ٤١٧-٤١٨ وفيما يلي ٤٠١:٢-٤٠٣ والسُّلُوك ٥٠١:٢-٥٠٢، وانظر كذلك أبا المحاسن: النجوم ١٤٩:٩-١٥٠، علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٠٢:٢-١٠٤.

^٢ ما يزال قصر بُشْتَاك قائماً يُشْرِف على شارع المعز لدين الله في الزاوية التي يلتقي فيها مع دُورِ قُوزِيز في مواجهة سبيل عبد الرحمن كسُخدا ومدرسة الظاهر بَرْقُوق ومجموعة قلاوون ومسجل بالآثار رقم ٣٤، وتم ترميمه سنة ١٩٨٢. (راجع عن تخطيطه وعمارته أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤٩:٩؛ Puuty, Ed., *Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire*, Le Caire 1933, pp. 42-44; Lézine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks - La qd'a du palais de

قصر الحجازية

هذا القصر^١ بخطط رَحْبَة باب العيد بجوار المدرّسة الحجازية، كان أولاً يُعرف بقصر الزُمُود، في أيام الخلفاء الفاطميين، من أجل أن باب القصر الذي كان يُعرف بباب الزُمُود كان هناك، كما تقدّم ذكره في هذا الكتاب عند ذكر القصور^٢.

- فلما زالت الدولة الفاطمية صار من جملة ما صار بيد ملوك بني أيّوب، واختلقت عليه الأيدي إلى أن اشتراه الأمير بُدُرُ الدّين أمير مشعود بن خطير الحاجب^٣ من أولاد الملوك بني أيّوب، واستمرّ بيده إلى أن رُسم بتسفيره من مصر إلى مدينة عَزّة، واستقرّ نائب السّلطنة بها في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة، وكاتب الأمير سيف الدّين قَوْصُون عليه ومُلْكُه إيّاه. فشرع في عمارته سبع قاعات، لكلّ قاعة إسْطَبْل ومنافع ومرافق، وكانت مساحة ذلك عشرة أفدنة، فمات قَوْصُون قبل أن يتم بناء ما أراد من ذلك. فصار يُعرف بقصر قَوْصُون إلى أن اشتترته خَوْنَد تَر الحجازية ابنة الملك النّاصر محمد بن قلاوون وزوج الأمير مَلِكْشَهْر الحجازي^٤، فقمرته عِمارة مَلُوكية، وتأنقت فيه تأنقاً زائداً، وأجرّب الماء إلى أعلاه، وعملت تحته^٥ إسْطَبْلاً كبيراً لحيلول خُدّامها وساحة كبيرة تُشرف عليها من شَبابيك حديد، فجاء شيقاً عَجَباً حُسْنُه. وأنشأت بجواره مدرّستها التي تُعرف إلى اليوم بالمدرّسة الحجازية^٥، وجعلت هذا القصر من جملة ما هو

(a) بولاق : تحت القصر.

^٢ فيما تقدم ٢: ٤٢٩.

^٣ فيما تقدم ١٨٠-١٨١.

^٤ الأمير سيف الدّين مَلِكْشَهْر الحجازي النّاصري أحد المقدّمين أُمراء الألوّف، توفي مقتولاً سنة ١٣٤٨/٥٧٤٨م (الصنّدي: أعيان العصر ٤٤٤:٥-٤٤٧؛ المقرئ: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١٢٧:٥؛ أبو الهامس: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٤؛ الدليل الشافي ٧٤١:٢).

^٥ فيما يلي ٢: ٣٨٢.

وسكّنه إلى أن مات في أوّل دولة الملك الأشرف قايتباي في واقعة شاه سُوار، فصار بيد الأمير علاء الدّين بن خاص بك جِهر المقام الشريف الأشرف المشار إليه.

ثم استُبدل للأمير ماماي أمير دوادار باني هذا القصر وعمره وزخرفته بالوعام المُتَمَنّ وتأنق فيه إلى الغاية مع ما وُضِعَ يده عليه واعتقته من دار الضُرب وأماكن كثيرة؛ وصُرف في ذلك من الأموال ما لا يُحصّر، فقتل قبل أن تكمل عمارته ولم يتمّع به غير مُدّة يسيرة، وهكذا خال الدّهر وتقلّباته.

^١ أطلق عليه المقرئ في المسودة: دار الحجازية.

مؤثوف عليها . فلما ماتت سكتها الأمراء بالأجرة إلى أن عمّر الأمير جمال الدين يوسف الأشتاذار داره المجاورة للمدرسة الشافعية ، وتولّى أشتاذارية الملك الناصر فرج ، صار يجلس برحبة هذا القصر والمقعد الذي كان بها ، وعمل القصر سجنًا يحبس فيه من يُعاقبه من الوزراء والأعيان ، فصار موجهًا لزُجّ النفوس ذكره لما قُتل فيه من الناس خنقًا وتحت العقوبة ، من بعد ما أقامَ دهرًا وهو مغني صبايات ، وملعب أتراب ، وموطن أفراس ، ودار عز ، ومنزل لهو ، ومحل أمانى النفوس ولذاتها .

ثم لما فحش كلب جمال الدين وسنّع شرهه في اغتصاب الأوقاف ، أخذ هذا القصر يتشعث شيء من زخارفه ، وحكم له قاضي القضاة كمال الدين عمر بن القديم الحنفي باشتداله^١ - كما تقدّم الحكم في نظائره - فقلّع زخامه ، فلما قُتل صار مُعطلًا مدة ، وهم الملك الناصر فرج ببنائه رباطًا ، ثم انتنى عزمه عن ذلك .

فلما عزّم على المسير إلى محاربة الأمير شيوخ والأمير نوروز في سنة أربع عشرة وثمان مائة ، نزل إليه الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيري ، وقلّع شبابيكه الحديد لتعمل آلات حرب . وهو الآن بغير زخام ولا شبابيك ، قائم على أضوله لا يكاد يتقفع به ، إلا أن الأمير المشير بدر الدين حسن بن مجيب الدين^٢ الأشتاذار^٣ ، لما سكن في بيت الأمير جمال الدين ، جعل ساحة هذا القصر إشطبلًا لحيوله ، وصار يحبس في القصر من يُصادره أحيانًا^٤ .

وفي شهر^٥ رمضان سنة عشرين وثمان مائة ذكر الأمير فخر الدين عبد الغني بن أبي الفرج الأشتاذار ، ما يجده المشجونون في السجن المستجد عند باب الفتوح بعد هدم خزانة شمائل ، من شدة الضيق وكرب^٦ الغم ، فقين هذا القصر ليكون سجنًا لأزباب الجرائم ، وأنعم على جهة وقف مدرسة^٧ جمال الدين بعشرة آلاف درهم فلوسًا عن أجرة سنتين ، فشرعوا في عمله سجنًا ، وأزالوا كثيرًا من معالنه ، ثم ترك على ما بقي فيه ولم يتخذ سجنًا^٨ .

(a) بولاق : بن محمد . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : كثرة .

^١ فيما تقدم ٢٠١ ، ٢٢٢ .

الحاسن : المنهل الصافي ٨٥:٥ - ٨٨ : السخاوي : الضوء

اللامع ١٠٢:٣ .

^٢ المقرئ : المسودة ٤٢٠ - ٤٢١ .

^٣ هنا على هامش نسخة ص : هذا القصر الآن بيد =

^٤ الأمير بدر الدين حسن بن عبد الله المعروف بابن مجيب الدين الطرابلسي المشير الوزير الأشتاذار ، المتوفى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م (المقرئ : السلوك ٤ : ٥٩٨ أبو

قَصْر بَلْبغا البِخايوي^١

هذا القصر موضعه الآن مدرسة السلطان حسن المطلة على الرميثة تحت قلعة الجبل^٢. وكان قصراً عظيماً. أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، ببنائه لسكنى الأمير بلبغا البخايوي^٣، وأن يُبنى أيضاً قصر يقابله يرسم سكنى الأمير الطنبغا المارديني^٤، لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما، حتى يكونا تجاهه، وينظر إليهما من قلعة الجبل. فركب بنفسه إلى حيث شوق الخيل من الرميثة تحت القلعة، وسار إلى حمام الملك السعيد^٥، وعين إسطنبول الأمير أيدغمش أمير آخور - وكان تجاهها - ليعمر^٦ هو ما يقابله قصرين متقابلين، ويضاف إلى ذلك^٧ إسطنبول الأمير طشتغر الشافي وإسطنبول الجوق^٨، وأمر الأمير

(a) بولاق: ليعمره. (b) بولاق: إليه.

أكابر الأمراء الخاصة، تولى نيابة كل من حماه وخلب ودرشق، وتوفي مقتولاً بقافون في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٨م. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ٥: ٥٨٤-٥٩٢؛ المقرئ: السلوك ٢: ٧٥٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ٢١٢-٢١٤؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٨٥، الدليل الشافي ٢: ٧٩٣).

^٤ الأمير علاء الدين الطنبغا المارديني (المارداني) الشافي الناصري المتوفى سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، صاحب الجامع المنسوب إليه خارج باب زويلة في شارع درب الأحمر (انظر فيما يلي ٢: ٣٠٨).

وكان قصر بلبغا البخايوي يشغل الجزء الجنوبي من أرض جامع السلطان حسن، بينما كان قصر الطنبغا المارديني يشغل القسم الشمالي الغربي من أرض الجامع.

^٥ حمام الملك السعيد بركة خان، كان يقع خلف مدرسة السلطان حسن، ولا يوجد له أثر اليوم. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٠هـ^٢).

^٦ انظر فيما يلي ٦٢٩.

= الأمير سيف الدين ماماى الأشرفي الدوادار، عمره ورثته ورثته وتألق فيه بعد أن كان حتم غاليه الأمير عمر من محمود شاه حاجب الحجاب الظاهري بفتح، وعاد القصر كما كان بل أحسن. وله الأثر من قبل ومن بعده.

^٧ أقول: وقد زال قصر الحجازية (الدائر الحجازية) تماماً، ويمكن تحديد موضعه الآن بالأرض التي تقوم عليها مصلحة الثقة والموازين والمكايل وقسم شؤنة الجمالية، ويحد هذا الموضع شارع بيت المال وشارع جنس الرغبة من الشرق، وعطفا القفاصين من الشمال وبيدات بيت القاضي من الغرب. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٣٨هـ^١،

٢٨٣: ١١ Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, p. 263).

^٨ ذكره المقرئ في مسودة المواعظ ٤١٤-٤١٧ تحت عنوان: والقمار بشوق الخيل تحت القلعة؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢١، ١٩٠؛ ابن إياس ١/١: ٥٥٩.

^٩ انظر مدرسة السلطان حسن فيما يلي ٣١٦.

^{١٠} الأمير سيف الدين بلبغا البخايوي الناصري، أحد

قَوْصُونَ أَنْ يَشْتَرِيَ مَا يُجَاوِرُ إِسْطَبْلَهُ مِنَ الْأَمْثَلِكِ ، وَيُوسِعَ فِي إِسْطَبْلِهِ ، وَجَعَلَ أَمْرَ هَذِهِ الْعِمَارَةِ إِلَى الْأَمِيرِ أَقْبَعًا عَبْدَ الْوَاحِدِ ^١ . فَوَقَعَ الْهَذْمُ فِيمَا كَانَ بِجَوَارِ بَيْتِ ^(أ) الْأَمِيرِ قَوْصُونَ ، وَزِيدَ فِي الْإِسْطَبْلِ ، وَجُعِلَ بَابُ هَذَا الْإِسْطَبْلِ مِنْ تَجَاهِ بَابِ الْقَلْعَةِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ السَّلْسِلَةِ ^٢ ، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِالْتَّفَقَةِ عَلَى الْعِمَارَةِ مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ عَلَى يَدِ النَّشْوِ ^٣ .

٥ وكان للملك الناصر رغبة كبيرة في العِمارة بحيث أنه أفرد لها ديواناً ، وَبَلَغَ مَضْرُوفُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةً . وَأَقْلُ مَا كَانَ يُضْرَفُ مِنْ دِيْوَانِ الْعِمَارَةِ فِي الْيَوْمِ ، بِرِشْمِ الْعِمَارَةِ ، مِبلَغُ ثَمَانِيَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَقْرَةً ^٤ . فَكَثُرَ ^(ب) الْاهْتِمَامُ فِي بِنَاءِ الْقَصْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ، / وَعَظُمَ الْجُيْهَادُ فِي عِمَارَتِهِمَا ، وَصَارَ السُّلْطَانُ يَنْزِلُ مِنَ الْقَلْعَةِ لِكَشْفِ الْعَمَلِ ، وَيَسْتَجِثُّ عَلَى فَرَاغِهِمَا .

١٠ وأَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ قَصْرُ يُلْبَغَا الْيَحْيَاوِي ، فَعُمِلَ أُسَاسُهُ حَصِيرَةً وَاجِدَةً انْصَرَفَ عَلَيْهَا وَخَذَهَا مِبلَغُ أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَقْرَةً ، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ صَانِعٌ لَهُ تَعَلَّقَ فِي الْعِمَارَةِ إِلَّا وَعَمِلَ فِيهَا حَتَّى كَمُلَ الْقَصْرُ . فَجَاءَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ ، وَبَلَغَتِ التَّفَقُّةُ عَلَيْهِ مِبلَغُ أَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةً : مِنْهَا ثَمَنٌ لَازَوْزْدَ خَاصَّةً مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

١٥ فَلَمَّا كَمُلَتِ الْعِمَارَةُ نَزَلَ السُّلْطَانُ لِرُؤْيَيْهَا وَحَضَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ طُورْغَايَ نَائِبَ خَلْبٍ ^٥ تَقْدِيمَةً ، مِنْ جَمَلَتِهَا عَشْرَةُ أَزْوَاجٍ بُسِطَ أَخَذَهَا حَرِيرٌ ، وَعِدَّةُ أَوَانِي مِنْ بَلُورٍ وَنَحْوِهِ وَخَيْلٌ وَبَحَائِي ، فَأَتَيْمَ بِالْجَمِيعِ عَلَى الْأَمِيرِ يُلْبَغَا الْيَحْيَاوِي . وَأَمَرَ الْأَمِيرُ أَقْبَعًا عَبْدَ الْوَاحِدِ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ ، وَمَعَهُ إِخْوَانُ سَلَارٍ يَرْفِقَتُهُ وَسَائِرُ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ ، لِعَمَلِ مُهِمٍّ ، فَبَاتَ النَّشْوُ نَاضِرَ الْخَاصِ هُنَاكَ لَتَعْبَةٍ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ اللَّحُومِ وَالتَّوَابِلِ وَنَحْوِهَا . فَلَمَّا تَهَيَّأَ ذَلِكَ خَضَرَ سَائِرُ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ مِنْ أَوَّلِ الثَّهَارِ ، وَأَقَامُوا بِقَصْرِ يُلْبَغَا الْيَحْيَاوِي فِي أَكْثَلِ شَرْبٍ وَلَهْوٍ ، وَفِي آخِرِ الثَّهَارِ خَضَرَتْ إِلَيْهِمُ التَّشَارِيفُ السُّلْطَانِيَّةُ - وَعِدَّتُهَا أَحَدُ عَشَرَ تَشْرِيفًا - بِرِشْمِ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ ، وَهُمْ

(أ) مسودة المواظع : دار . (ب) بولاقي : فلما كثر . (ج) الواو ساقطة من بولاقي .

^١ انظر عنه فيما يلي ٣٨٤:٢ - ٣٨٦ . فيما يلي (٧٤٥) .

^٢ عن باب السلسلة ، انظر فيما يلي ٦٨٨هـ . ^٤ المقريري : السلوك ١٣٠:٢ ، ٥٣٧ .

^٣ النَّشْوُ هُوَ شَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ التَّاجِ قُضِلَ اللَّهُ ناظر الخاص الشريف ، المتوفى سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م . (انظر خَلْبٍ ، المتوفى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٤م .

الأمير آقِيعَا عبد الواحد الأشتادَار ، والأمير قَوْصُون الشَاقِي ، والأمير بَشْتَاك ، والأمير طَقُوزْدَمَر أمير مَجْلِس في آخرين . وأخْضِر^a البَقِيَّةُ الأَمْزَاءُ جَلَعٌ وَأَقْبِيَّةٌ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ ، ^bوَعِدَّةُ التَّشَارِيفِ أَحَدُ عَشَرَ تَشْرِيفًا^b فَلَيْسَ الْجَمِيعُ التَّشَارِيفِ وَالْخَلَعِ وَالْأَقْبِيَّةِ ، وَأَرْكَبُوا الْخَيُْولَ الْمُحَضَّرَةَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْطَبْلِ الشَّلْطَانِي بِسُرُوجٍ وَكُنَائِشٍ مَا بَيْنَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ بِحَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ ، وَسَارُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ . وَذُبِخَ فِي هَذَا الْمُهَيْمِ سِتُّ مِائَةٍ رَأْسٍ غَنَمٍ وَأَرْبَعُونَ بَقَرَةً وَعِشْرُونَ فَرَسًا ، وَغُمِلَ فِيهِ ثَلَاثُ مِائَةِ قَنْطَارٍ سُكَّرَ بِرَشْمِ الْمَشْرُوبِ^١ فَإِنَّ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَكُونُوا يَتَطَاهَرُونَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْمُشْكِرَاتِ أَلْبَنَةٍ ، وَلَا يَجْشُرُ أَحَدٌ عَلَى عَمَلِهِ فِي مُهِمِّ أَلْبَنَةٍ .

وما زالت هذه الدَّارُ باقية إلى أن هَدَمَهَا الشَّلْطَانُ الْمَلِكُ التَّائِصِرُ حَسَنَ وَأَنْشَأَ مَوْضِعَهَا مَدْرَسَتَهُ الْمَوْجُودَةَ الْآنَ .

إِسْطَبْلُ قَوْصُون

(a) تجاه باب القلعة المعروف باب السعد

[أثر رقم ٢٦٦]

هذا الإسْطَبْلُ^٢ بجوار مَدْرَسَةِ الشَّلْطَانِ حَسَنَ ، وله يَابَانٌ : بَابٌ مِنَ الشَّارِعِ بِجِوَارِ حَذْرَةِ الْبَقَرِ ، وَبَابُهُ الْآخَرُ تَجَاهَ بَابِ السَّلْسِلَةِ^٣ الَّذِي يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْإِسْطَبْلِ الشَّلْطَانِي^٤ . وَقَلْعَةُ الْجَبَلِ . أَنْشَأَهُ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ بِنْجَرُ الْجَمَقْدَارِ^٥ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَوْصُون^٦ ، وَصَرَفَ لَهُ

(a) بولاق : وحضر . (b-b) زيادة من مسودة المواعظ .

من باب القَرْبِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى قَدِيمًا بَابَ الْإِسْطَبْلِ ، فِي الْمَسَاحَةِ الْمَتَدَةِ بَيْنَ جَامِعِ أَحْمَدَ أَغَا قُومُجِي إِلَى نَهَايَةِ هَذِهِ الْمَبَانِي مِنْ جِهَتِهَا الْغَرْبِيَّةِ وَالْقِبْلِيَّةِ وَالشَّرْقِيَّةِ . وَبِلَا حِظٍّ أَنَّ الْمَكَانَ الْحَالِيَّ لِلْإِسْطَبْلِ الْمَذْكُورِ لَيْسَ فِي مَنْسُوبِ أَرْضِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، بَلْ هُوَ فِي مَسْتَوًى أَوْطَأَ مِمَّا عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ وَيَحِيطُ بِهِ الشُّورُ الْأَسْفَلُ الْمَشْرِفُ عَلَى مِيدَانِ صَلَاحِ الدِّينِ . (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٢: ٤٤ هـ^١ تَعْلِيقَاتُ دُرْمِي بَلْ) .

^٥ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ بِنْجَرُ الْجَمَقْدَارِ ، أَخَذَ مُقَدِّمِي الْأَلُوفِ أَمْزَاءَ الْجَيْنِ . (انظر فيما تقدم ١٦٥) .

^٦ انظر ترجمة قَوْصُونِ فيما يلي ٣٠٧: ٢ .

^١ انظر فيما تقدم ٢: ٢٥١ ، المقرئ : مسودة المواعظ ٤١٤ - ٤١٧ هـ : أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٢١ .

^٢ الْإِسْطَبْلُ هُنَا بِمَعْنَى مَجْمُوعَةٍ مِنْ مَبَانٍ كَانَ يَقِيعُهَا بَعْضُ كِبَارِ أَمْزَاءِ دَوْلَتِي الْمَالِكِ لِأَجْلِ سَكْنَى الْأَمِيرِ هُوَ وَأُسْرَتِهِ وَمَخَالِكِهِ وَخِيُولِهِ ، بِحَيْثُ كَانَ الْإِسْطَبْلُ يَشْتَمِلُ قِصْرَ السَّكْنَى وَبُيُوتَ الْمَالِكِ وَإِسْطَبْلَاتِ الْخَيُْولِ وَمَخَازِنَ لِمَوْنَتِهَا وَحِفْظَ مَرْوَجِهَا . (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٠٠ هـ^١) .

^٣ انظر عن باب السَّلْسِلَةِ ، فيما يلي ٦٨٨ هـ^٢ .

^٤ الْإِسْطَبْلُ الشَّلْطَانِي . مَكَانُهُ الْيَوْمَ مَجْمُوعَةُ الْمَبَانِي الَّتِي تَعُودُ إِلَى عَصْرِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ وَالْوَاقِعَةُ بِالْقَلْعَةِ عَلَى يَمِينِ الدَّخَالِ

ثَمَنَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، فَرَادَ فِيهِ قَوْصُونَ إِسْطَبْلَ الْأَمِيرِ سُنْفُرَ الطَّوِيلِ ^١ . وَأَمَرَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابْنَ قَلَاوُونَ بِعِمَارَةِ هَذَا الْإِسْطَبْلِ ، فَبَنَى فِيهِ كَثِيرًا ، وَأَدْخَلَ فِيهِ عِدَّةَ عَمَائِرَ مَا بَيْنَ دُورٍ وَإِسْطَبْلَاتٍ ، فَجَاءَ قَصْرًا عَظِيمًا إِلَى الْعَايَةِ ، وَسَكَنَهُ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ مُدَّةَ حَيَاةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ .

فَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْمُتَّصِرُ أَبُو بَكْرٍ ، عَمِلَ عَلَيْهِ قَوْصُونَ وَخَلَعَهُ ، وَأَقَامَ بَعْدَهُ بِدَلَّةَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفُ كُنْجَكُ ابْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ . فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، حَدَثَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْهَا فِتْنَةٌ بَيْنَ الْأَمِيرِ قَوْصُونَ وَبَيْنَ الْأَمْرَاءِ وَكَبِيرِهِمْ أَيْدَعْمُشُ أَمِيرِ آخُورٍ ، فَنَادَى أَيْدَعْمُشُ فِي الْعَامَّةِ : يَا كَشَاةَ ، عَلَيْكُمْ بِإِسْطَبْلِ قَوْصُونَ أَنْتَهُبُوهُ ؛ هَذَا وَقَوْصُونَ مَخْصُورٌ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ . فَأَقْبَلَتِ الْعَامَّةُ مِنَ السُّوَالِ وَالْعِلْمَانِ وَالْجُنْدِ إِلَى إِسْطَبْلِ قَوْصُونَ ، فَمَنْعَهُمُ الْمَمَالِكُ الَّذِينَ كَانُوا فِيهِ ، وَرَمَوْهُمْ بِالنُّشَابِ ، وَأَثْلَفُوا مِنْهُمْ عِدَّةً . فَتَارَتِ تَمَالِكُ الْأَمِيرِ يَلْبِغَا الْيَحْيَاوِيَّ مِنْ أَعْلَى قَصْرِ يَلْبِغَا - وَكَانَ بِجَوَارِ قَصْرِ قَوْصُونَ حَيْثُ مَدْرَسَةُ السُّلْطَانِ حَسَنٌ - وَزَمُوا تَمَالِكُ قَوْصُونَ بِالنُّشَابِ حَتَّى انْكَفَّوْا عَنْ زَمِي الثَّهَابَةِ ، فَاتَّحَمَ غَوَاةُ النَّاسِ إِسْطَبْلَ قَوْصُونَ ، وَانْتَهَبُوا مَا كَانَ بِرِكَابِ خَانَاتِهِ وَخَوَاصِلِهِ ، وَكَسَرُوا بَابَ الْقَصْرِ بِالْفُؤُوسِ ، وَصَعِدُوا إِلَيْهِ بَعْدَ مَا تَسَلَّقُوا إِلَى الْقَصْرِ مِنْ خَارِجِهِ . فَخَرَجَتِ تَمَالِكُ قَوْصُونَ مِنَ الْإِسْطَبْلِ بِدَا وَاحِدَةً بِالسَّلَاحِ ، وَشَقُّوا الْقَاهِرَةَ ، وَخَرَجُوا إِلَى ظَاهِرِ بَابِ النَّصْرِ يُرِيدُونَ الْأَمْرَاءَ الْوَاصِلِينَ مِنَ الشَّامِ .

فَأَتَتِ الثَّهَابَةُ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي إِسْطَبْلِ قَوْصُونَ مِنَ الْخَيْلِ وَالشُّرُوجِ وَخَوَاصِلِ الْمَالِ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَصْرِ ، وَكَانَتْ تَشْتَمِلُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ وَالْقَمَاشِ وَالْأَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُعَدُّ كَثْرَةً . وَعِنْدَمَا خَرَجَتِ الْعَامَّةُ بِمَا نَهَبَتْ ، وَجَدَتِ تَمَالِكُ الْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ قَدْ وَقَفُوا عَلَى بَابِ الْإِسْطَبْلِ فِي الرَّمْيَةِ لَانْتِظَارِ مَنْ يَخْرُجُ ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنَ الثَّهَبِ أَخَذَهُ مِنْهُ أَقْوَى مِنْهُ ، فَإِنْ امْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهِ قُتِلَ .

وَاحْتَمَلَ الثَّهَابَةُ أَكْثِيَّاسَ الذَّهَبِ ، وَتَرَوُّهَا فِي الدَّهَالِيزِ وَالطَّرِيقِ ، وَظَفِرُوا بِجَوَاهِرِ نَفِيسَةٍ وَذَخَائِرِ مَلُوكِيَةٍ وَأَمْتِعَةٍ جَلِيلَةٍ الْقَدْرِ وَأَسْلِحَةٍ عَظِيمَةٍ وَأَقْمِشَةٍ مُثَمَّنَةٍ ، وَجَرَّوْا الْبُشَطَ الرُّومِيَّةَ وَالْأَمِيدِيَّةَ وَمَا هُوَ

وأضاف القريري هنا على هامش المسودة : «يُذكر هنا الثَّهَبُ مِنْ كِتَابِ سِيرَةِ النَّاصِرِ» ، أَيْ كِتَابِ «نُزْمَةِ النَّاطِرِ فِي سِيرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ» لِلرِّسْنِيِّ ، وَهُوَ غَيْرُ مُوجُودٍ فِي الْقِسْمِ الَّذِي وَصَّلَ إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ ؛ وَانْظُرْ كَذَلِكَ ، أَبَا الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٠ : ٤٠ - ٤٣ ؛ ابْنُ إِيَّاسٍ : بِدَائِعُ الزُّهُورِ ١ / ٤٩٣ : ١ .

^١ فِي مَسُودَةِ الْمَوَاضِئِ (٤٢٢) : «ثُمَّ غَرِبَ فِي وَاقِعَةِ قَوْصُونَ بَعْدَ مَوْتِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، فَأَقَامَ خُرَاتًا مِنْ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ إِلَى أَنْ قَتَلَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَحَكَمَ الْبِلَادَ الْأَمِيرَانِ بَرْكَةً وَبَرْقُوقُ فَنَزَلَ فِيهِ وَجَدَّهُ ، ثُمَّ خَرَبَتْهُ الْعَامَّةُ لَمَّا نَهَبَتْ دَارَ بَرْكَةٍ عِنْدَ وَاقِعَتِهِ مَعَ الْأَمِيرِ بَرْقُوقِ» .



الواجهة الخارجة لقصر قوشون - تاشيك



المدخل الشكاري لقصر قوشون - تاشيك

من عمل الشريف ، وتقاتلوا عليها ، وقطعوا قِطْعًا بالسكاكين وتقاسموها ، وكسروا أواني البلور والصيني ، وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والشروج الذهب والفضة وفكوا اللجم ، وقطعوا الخيم وكسروا الخزكاوات ، وأتلفوا سترها وأغشيتها الأطلس والزركفت .

وذكر عن كاتب قوضون أنه قال : أما الذهب المكيس والفضة فكان ينف على أربع مائة ألف دينار ، وأما الزركش والحوايص والمعصبات ، ما بين خواتم وأطباق فضة وذهب ، فإنه فوق / المائة ألف دينار ، والبلور والمصاغ المعمول يرسم النساء فإنه لا يحضر . وكان هناك ثلاثة أكياس أطلس فيها جوهر قد جمعه في طول أيامه لكثرة شغفه بالجواهر لم يجمع مثله ملك ، كان ثمنه نحو المائة ألف دينار .

وكان في حاصبه عدة مائة وثمانين زوج بشرط ، منها ما طوله من أربعين ذراعًا إلى ثلاثين ذراعًا عمل البلاد ، وستة عشر زوجًا من عمل الشريف بمصر ، ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نفرة ، منها أربعة أزواج بشرط من خير . وكان من جملة الخام نوبة خام جميعها أطلس معدني قصب جميع ذلك نهب وكيس وقطع . وأتلف سبغ الذهب بديار مصر عقيب هذه النوبة من دار قوضون ، حتى أبيع المئقال بأحد عشر درهمًا لكثرة في أيدي الناس ، بعدما كان سبغ المئقال عشرين درهمًا .

ومن حينئذ تلاشى أثر هذا القصر لزوال رخاياه في النهب ، وما برح مشككًا لأكابر الأمراء ، وقد اشتهر أنه من الدور المشعومة ، وقد أذركت في عمري غير واحد من الأمراء سكته ، وآل أمره إلى ما لا يخبر فيه ^١ . ومن سكته الأمير بركة الزنتي ، ونهب نهبة فاحشة ، وأقام عدة أعوام خرابًا لا يشكته أحد ثم أضح ، وهو الآن من أجل مساكن الأمراء ^(a) .

(a) بلاق : دور القاهرة .

^١ المقريزي : مسودة المواظ ٤٢١ - ٤٢٢ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٢ : ١٥٩ .

^٢ وأضاف أبو الهاسن المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م أن إسطنبول قوضون هو البيت المقدس لسكر كل من صار أتاك الفسايكر في زمانه (التحجيم الزاهرة ٩ : ١٢١) . وفي سنة ٨٨٠هـ أخذ الأمير تشبك من مهندي الدوادار بيت قوضون وزاد عليه ،

ثم لما عين الأمير فتح الدين أفندي بن علي باي الدوادار أتاكًا - في سلطنة الملك الأشرف قايتباي - سكن في هذه الدار كغيره من الأتاك (السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٣١٥) .

وكان يعرف أيضًا بالبيت الكبير عند خدزة البقر (ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٣٠٤ ، ٣٢٦) . وما زالت بقايا هذا القصر باقية خلف مدرسة السلطان حسن ومسجلة =

دَارُ أَرْغُون الكامي^(a)

هذه الدار بالجسر الأعظم على بركة الفيل، أنشأها الأمير أَرْغُون الكامي في سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وأُدخل فيها من أرض بركة الفيل عشرين ذراعاً^١.

أَرْغُون الكامي - الأمير سيف الدين نائب حلب ودمشق^٢، أنشأه^(b) الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، وزوجه أخته من أمه، بنت الأمير أَرْغُون الغلامي، في سنة خمس وأربعين وسبع مائة، وكان يُعرف أولاً بأَرْغُون الصغير؛ فلما مات الملك الصالح وقام من بعده في مملكة مصر أخوه الملك الكامل شُعبان بن محمد بن قلاوون، أعطاه إمرة مائة وثلاثة آلاف، ونهى أن يُدعى أَرْغُون الصغير، ويُسمى أَرْغُون الكامي.

فلما مات الأمير قطليجا الحموي في نيابة حلب، رَسَم له الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون نيابة حلب، فوصل إليها يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رجب سنة خمسين وسبع مائة، وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة، وهابه الثركمان والعرب، ومشت الأحوال به.

(a) المسودة: بيت أَرْغُون الكامي بالجسر الأعظم. (b) بولاق: تيناه.

والخاتناه الجاولية حيث يتقابل مع شارع الحضري، وكانت دار أَرْغُون الكامي تقع تجاه الخاتناه الجاولية المسجلة بالآثار برقم ٢٢١ والمطلّة الآن على شارع عبد المجيد اللبان (أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٢٧هـ^٣، وفيما يلي ٥٥٢).

وجاء هنا على هامش نسخة ص: «سكنه السلطان الملك الظاهر حشَقَم المؤيدي خال امرأته وتسلطن منه، وكذلك الملك الأشرف إيتال تسلطن فيه أيضاً».

^٢ راجع ترجمة أَرْغُون الكامي التوفى سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م عند الصفيدي: أعيان العصر ١: ٤٦٦-٤٧٦، الوافي بالوفيات ٨: ٣٥٦-٣٥٨، المقرئ: المغني الكبير ٢: ٢٧؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣٧٥؛ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٢: ٣١٩-٣٢٣ والنجوم ١٠: ٣٢٦.

= بالآثار برقم ٢٦٦ بين شارعي مناخ الوقف ومحمد كريم (قراول المنشية سابقاً)، ويُطلق عليه العاتة: قصر يَزْدَق. (راجع، Pauty, Ed., *Les palais et les maisons de l'époque musulmane au Caire*, p. 77; Lézine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks», *An. Isl. X* (1972), pp. 95-98; Revault, J. & Maury, (B., *op.cit.*, II, pp. 31-48. وكان يُطلق على الأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر: حوش يَزْدَق (أبو المحاسن: النجوم ٩: ١١٠-١١١هـ^٤، وانظر المقدمة).

^١ المقرئ: مسودة المواعظ ٤٢٢-٤٢٣؛ أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٢٧؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ٢: ٣٢١. والجسر الأعظم هو الطريق الذي يعرف الآن بشارع عبد المجيد اللبان (مزمينا) الذي يصل بين ميدان السيدة زينب

ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب ، فخرج في نفر يسير إلى دمشق ، فوصلها لثلاث بقين من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين ، فأكرمه الأمير أيتمش الناصري نائب دمشق ، وجهزه إلى مصر ، فأنعم عليه السلطان وأعادته إلى نيابة حلب ، فأقام بها إلى أن عزل أيتمش من نيابة دمشق في أول سلطنة الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون ، فتقل من نيابة حلب إلى نيابة دمشق ، فدخلها في حادي عشرين شعبان سنة الثنتين وخمسين وأقام بها ، فلم يصف له بها عيش ، فاشتق فلم يحب ، وما زال بها إلى أن خرج بيغاروس^٨ وحضر إلى دمشق ، فخرج وسار^٩ إلى لد ، واستولى بيغاروس^٨ على دمشق .

فلما خرج الملك الصالح من مصر وسار إلى بلاد الشام بسبب حركة بيغاروس^٨ ، تلقاه أرغون وسار بالتساكر إلى دمشق ، ودخل السلطان بعده وقد فر بيغاروس^٨ ، فقلده نيابة حلب في خامس عشرين شهر رمضان ، وعاد السلطان إلى مصر .

فلم يزل الأمير أرغون بحلب ، وخرج مها إلى الأبلستين في طلب بلد^{١٠} ابن بلغادر ، وحرقها وحرق قراها ، ودخل إلى قيصرية ، وعاد إلى حلب في رجب سنة أربع وخمسين .

فلما خلع الملك الصالح بأخيه الملك الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين ، طلب الأمير أرغون من حلب في آخر شوال . فحضر إلى مصر ، وعمل أمير مائة مقدم ألف إلى تاسع صفر سنة ست وخمسين ، فأمنسك وحمل إلى الإسكندرية ، واغتنق فيها وعنده زوجته . ثم تقل من الإسكندرية إلى القدس ، فأقام بها بطلا ، وبنى هناك ثوبة ، ومات بها يوم الخميس لخمس بقين من شوال سنة ثمان وخمسين وسبع مائة .

دار طراز^{١١}

[أثر رقم ٢٦٧]

هذه الدار بجوار مدفن^{١٢} المدرسة الهندقارية تجاه حمام الفارقاني^١ على يمتة من سلك من الصليبية يُريد حذرة البقر وباب زويلة . أنشأها الأمير سيف الدين طراز^{١٣} قسراً واشطبل^{١٤} في سنة

(a) بولاق : يلينا روس . (b) ساقطة من بولاق . (c) مسودة المواظ : بيت طراز . (d) زيادة من مسودة المواظ . (e-e) زيادة من مسودة المواظ .

^١ لم يُعَد المقيري حمام الفارقاني بمذخل خاص . وهذا الحمام بناء والمدرسة المجاورة له الأمير ركن الدين بيترس =



قصر طاز - المدخل الرئيس المطل على شارع الشيفقة

ثلاث وخمسين وسبع مائة، وكان موضعها عدة مساكن هدمها برضى أربابها^(a) وبغير رضاهم، وتولى الأمير متجك^١ عمارتها، وصار يقف عليها بنفسه حتى كملت^٢، فجاءت قسراً مشيداً وإسقاطاً كبيراً، وهي باقية إلى يومنا هذا يسكنها أكابر^(b) الأمراء.

وفي يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين، عمل الأمير طاز في هذه الدار وليمة عظيمة حضرها السلطان الملك الصالح صالح وجميع الأمراء. فلما كان وقت انصرافهم قدم الأمير طاز للسلطان أربعة أفراس بشروج ذهب وكنائش ذهب، وقدم للأمير شيخو^(c) فرسين كذلك، وللأمير صرغتمش فرسين كذلك^(d)، ولكل واحد من أمراء الأتوف قرشاً كذلك. ولم يفهد قبل هذا أن أحداً من الملوك الأتراك نزل إلى بيت أمير قبل الصالح هذا؛ فكان يوماً مذكوراً^٣.

١٠ طاز - الأمير سيف الدين أمير مجلس^٤، اشتهر ذكره في أيام الملك الصالح إسماعيل، ولم يزل أميراً إلى أن خلع الملك الكامل شعبان وأقيم المظفر حاجي، وهو أحد الأمراء الستة أرباب

(a) مسودة المواعظ : ملاكها . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : سنجر .

شارع السيوفية وشارع محمد كريم (فراول المنشية سابقاً) بالحملة الجديدة ومسجل الآثار برقم ٢٦٧، وأدخلت عليه إصلاحات وتجديدات متتالية في السنوات ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م و١٨٧٢ و١٩٣٤ حيث تحول إلى مدرستين أطلق عليها مدرسة الخلية الثانوية للبنين. وفي عام ٢٠٠٢ قُصدع قسم كبير منه كان يستخدم كمخازن لوزارة التربية والتعليم. (راجع، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٥هـ، علي مبارك: الخطط التوقفية ٢: ١٦١-١٦٢، Lezine, A., «Les salles nobles des palais mamelouks: La qâ'a de l'émir Tâz al-Nâsiri», *An. Isl.* X (1972), pp. 105-108; Revault, J. & Maury, B., *Palais et Maisons du Caire des XIV^e au XVIII^e siècles*, (II, pp. 49-60

= الفارقاني خارج باب زويلة فيما بين حذرة البقر (شارع المظفر الآن) وصليبة ابن طولون بجوار المدرسة الفارقانية تجاه البندقدارية (فيما يلي ٢: ٣٩٨ ابن إياس: بذائع الزهور ١/ ٤١٥:١ وفيه أنها تجاه مدرسة الأمير علاء الدين أهدكين البغدقناري، ١/ ٥٤٩).

وزال كل أثر لهذا الحَقام منذ زمن بعيد، ولكن المدرسة الفارقانية المجاورة له ما تزال باقية إلى الآن وتُعرف بجامع عليّ الدين أو علي نور الدين الفارقاني بشارع الشويخية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٦هـ، علي مبارك: الخطط التوقفية ٢: ١٨١). وانظر عن المدرسة البندقدارية فيما يلي ٢: ٤٢٠.

^١ عن الأمير متجك، انظر فيما يلي ٢: ٣٢٠-٣٢٤.

^٢ المقرئبي: مسودة المواعظ ٤٢٣-٤٢٤.

^٣ منازل نيت (دار، قسراً) طاز باي إلى الآن مشرفاً على

^٤ انظر ترجمة الأمير سيف الدين طاز بن قطماج الثائيري، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ/ ١٣٦٢م عند، الصنفدي: أعيان العصر ٢: ٥٦٧-٥٧١، الوافي بالوفيات =

الحل والعقد. فلما خُلع/ المُظفر وأقيم الملك الناصر حسن، زادت وجهته ومحرمته. وهو الذي أمسك الأمير بيلغاروس^٥ في طريق الحجاز، وأمسك أيضًا الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن المؤيد صاحب بلاد اليمن بمكة وأخضره إلى مصر. وهو الذي قام في نوبة السلطان حسن لما خُلع وأجلس الملك الصالح صالح على كرسي الملك.

- وكان يلبس في ذوب الحجاز عباءةً وسرفولاً^١ ويخفي نفسه ليتجسس على أخبار بيلغاروس^٥. ولم يزل على حاله إلى ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مائة، فخلع الصالح وأعيد الناصر حسن، فأخرج طاز إلى نيابة حلب وأقام بها.

دار صرغتمش

- ١٠ هذه الدار بخط يقر الوطاويط^٢، بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون من شارع الصليبية. كان موضعها مساكن، فاشتراها الأمير صرغتمش وبناها قصرًا واسطبلًا في سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة، وحمل إليه الوزراء والكتاب والأعيان من الزحام وغيره شيئًا كثيرًا. وقد ذكر التعريف به عند ذكر المدرسة الصرغتمشية من هذا الكتاب في ذكر المدارس^٣.

(٥) بولاك : بيلغاروس.

بابن جثابة لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التي أنشأها بخطه الحفراء سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م. ولما خربت السبع سقايات بُني فوق البئر المذكورة وتولّد بها كثير من الوطاويط ففُرقت بقر الوطاويط؛ ثم لما كثُر البناء حول المنطقة عُرف الخط بخط يقر الوطاويط. ويُحدّد موضع هذا الخط بتدان أحمد بن طولون المجاور لجامع أحمد بن طولون من الجهة الشمالية (البحرية). (فيما يلي ٤٥٠-٤٥١هـ أبو المحاسن: النجوم ١٠: ٢٦٧هـ^٦ Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 71-73).

^٣ المقرري: مسودة المواقظ ٤٢٤-٤٢٥هـ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٧١هـ وفيما يلي ٤٠٤-٤٠٥.

= ٣٨٣-٣٨٤هـ ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٢٥٥هـ المقرري: السلوك ٣: ١٧٨هـ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣١٤-٣١٥هـ أبي المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٣٦٢-٣٦٥هـ النجوم الزاهرة ١١: ١١٥هـ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٥٣٧-٥٣٩هـ، ٥٩٠.

^١ حاشية بخط المؤلف: «سرفول» كلمة فارسية معناها رأس الزنجل، فإن «سر» معناها رأس و«فول» زنجل، والثاس تقول اليوم «زفول»، يعنون ما يلبس في الرجلين.

^٢ يقر الوطاويط. هي في الأصل يقر أنشأها الوزير الإخشيد أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف

وهذه الدار عامرة إلى يومنا هذا، يسكنها الأمراء، ووقع الهدم في القصر خاصة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمان مائة^١.

دار الماس

هذه الدار بخط حوض ابن هتس^٢، فيما بينه وبين حذرة البقر، بجوار جامع الماس^٣. أنشأها الأمير الماس الحاجب، واعتنى برحمتها عناية كبيرة، واستدعى به من البلاد. فلما قتل في صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مائة، أمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في هذه الدار من الرخام، فقلع جميعه ونقل إلى القلعة. وهذه الدار باقية إلى يومنا هذا ينزلها الأمراء.

دار بهادر المقدّم

هذه الدار بخط الباطنية من القاهرة، أنشأها الأمير الطواشي سيف الدين بهادر، مقدّم الممالك السلطانية في أيام الملك الظاهر بوقوق^{١٠}. وبهادر هذا من ممالك الأمير يلبغا، وأقام في تقدمة الممالك جميع الأيام الظاهرية، وكثر ماله، وطال عمره حتى هزم، ومات في أيام الملك الناصر قرج، وهو على إمرته وفي وظيفة^{١١} تقدمة الممالك السلطانية، يوم الأحد سابع عشر رجب سنة اثنتين وثمان مائة^{١٢}.

(٨) بولاق : وظيفته .

^٢ حوض ابن هتس، انظر فيما يلي ٤٤٢.
^٣ أي في شارع السهوية، بينه وبين شارع المطفر، وانظر فيما يلي ٣٠٧:٢.

^٤ الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الشهابي الطواشي الرومي، المتوفى سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م (المقريزي: السلوك ٣: ١١٠٣٥ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ١١٩ أبو المحاسن: المنهل ٣: ٤٣٦، النجوم ١٣: ١٨ الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ١٦٧ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ١٩).

^١ كانت هذه الدار تشرف على شارع الصليبية بالقرب من المدرسة الصغرى عثمائية، وآلت في نهاية عصر دولة المماليك إلى السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري، بدليل وجود بقايا في الزاوية البحرية الشرقية من سور الدار في مدخل حارة الأربعين من الجهة الغربية عليها اسم الغوري. واندثرت تمامًا هذه الدار وتحل محلها الدار التي تحمل رقم ٩ بشارع الصليبية. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٦٧هـ^١ هـد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٤٩-٢٥١).

وَمَوْضِعُ هَذِهِ الدَّارِ مِنْ جُمْلَةِ مَا كَانَ اخْتَرَقَ مِنَ الْبَاطِلِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الطَّاهِرِ بَيْبُوسَ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ حَاذَةِ الْبَاطِلِيَّةِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَارَاتِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^١ . وَلَمَّا مَاتَ الْمَقْدُمُ بِهَذَا اسْتَقَرَّتْ مِنْ بَعْدِهِ مَثَلًا لِلْأَمْزَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

دَارُ التَّسْتِ شُقْرَا

- هَذِهِ الدَّارُ مِنْ جُمْلَةِ حَاذَةِ كُتَامَةِ^٢ ، وَهِيَ الْيَوْمَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدْرَسَةِ الْوَزِيرِ الصَّاحِبِ كَرِيمِ الدِّينِ ابْنِ عَنَامٍ بِجَوَارِ حَقَامِ كَرَايَ ، وَهِيَ مِنَ الدُّورِ الْجَمِيلَةِ . عُرِفَتْ بِخَوْنَدِ التَّسْتِ شُقْرَا ابْنَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فُلَاوُونَ ، وَتَزَوَّجَهَا الْأَمِيرُ أَرْوَسَ ، ثُمَّ انْحَطَّ قَدْرُهَا وَانْتَضَعَتْ فِي نَفْسِهَا إِلَى أَنْ مَاتَتْ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَامِينَ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٣ .

دَارُ ابْنِ عِنَانَ

- ١٠ هَذِهِ الدَّارُ بِحُطِّ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، أَنْشَأَهَا نُورُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عِنَانَ التَّاجِرُ بَقَيْسَارِيَّةٍ جِهَازَ كَسٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَتَاجَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ السُّلْطَانِي فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فُلَاوُونَ^٣ .

- كانَ ذَا ثَرَاءٍ^٤ وَنِعْمَةً كَثِيرَةً وَمَالٍ مُتَسَعٍ ، فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الْأَشْرَفِ انْجَمَعَ^٥ وَدَاخَلَهُ وَهَمٌ ، فَأَظْهَرَ فَاقَةً ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ دَفَنَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْأَلْفِ يُقَالُ ذَهَبَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَمْ يُعْلِمَ بِهِ أَحَدًا سِوَى زَوْجَتِهِ أَوْ أَوْلَادِهِ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَضَ وَخَرِسَ ، وَمَرَضَتْ زَوْجَتُهُ أَيْضًا ، فَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَامِينَ عَشَرَ شَوَّالَ سَنَةِ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَمَاتَتْ زَوْجَتُهُ أَيْضًا . فَأَيَّفَ أَوْلَادُهُ عَلَى فَقْدِ مَالِهِ ، وَخَفَرُوا مَوَاضِعَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ فَلَمْ يَظْهَرُوا بِشَيْءٍ أَلْبَيْتَ ، وَأَقَامَتْ مُدَّةً بِأَيْدِيهِمْ وَهِيَ مِنْ وَقْفِ أَبِيهِمْ ، وَمَاتَ وَلَدُهُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِنَانَ يَوْمَ السَّبْتِ تَاسِعَ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، ثُمَّ بَاعَهَا سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ كَمَا بَيَعَ غَيْرَهَا مِنَ الْأَوْقَافِ .

(٢) فِي الْمَسُودَةِ : يَحْرِفُ خَطَهَا قَدِيمًا بِقَصْرِ ابْنِ عِمَارٍ مِنْ حَارَةِ كُتَامَةِ . (ب) بُولَاق : ثُرُوءَ . (ج) بُولَاق : أَجْمَعَ .

^١ فِيهَا تَقْدِمُ ٢١-٢٢ .

^٣ نَفْسُهُ ٤٢٩-٤٣٠ .

^٢ الْمَقْرِيزِيُّ : مَسُودَةُ الْمَوَاعِظِ ٤٣٠ ، وَفِيهَا تَقْدِمُ ١١٩ .

دَارُ نَهْدَارِ الْأَعْمَرِ

هذه الدار بخط يَدِ الشُّورَيْنِ ، فيما بين شَوَيْقَةِ الْمَشْعُودِي مِنَ الْقَاهِرَةِ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ الَّذِي يُغْرِفُ الْيَوْمَ بِخَلِيجِ اللَّؤْلُؤَةِ . كَانَ مَكَانُهَا مِنْ جَمَلَةِ دَارِ الذَّهَبِ الَّتِي تَقْدِّمُ ذِكْرَهَا فِي ذِكْرِ مَنَاطِرِ الْخُلَفَاءِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ^١ ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِجَوَارِ هَذِهِ الدَّارِ قَبْتُ ، فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخَلِيجِ ، يُغْرِفُ بِقَبْوِ الذَّهَبِ مِنْ جَمَلَةِ أَقْبَاءِ دَارِ الذَّهَبِ ، وَتَمُوتُ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ هَذَا الْعَقْدِ ^٢ .

وَبِهَازِلِ هَذَا - هُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَهَادُرُ الْأَعْمَرِ الْقَجَاوِي ^٣ ، كَانَ مُشْرِقًا بِمَطْبَخِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَجَا أَمِيرِ شَكَارٍ ، ثُمَّ صَارَ زَرْدَكَاشَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ يَلْبِغَا الْخَاصِصِي ، وَوَلِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ مِهْمَنْدَارِ السُّلْطَانِ بَدَارِ الصِّيَافَةِ ، وَوَلِيَّ وَظِيفَةَ شَدِّ الدَّوَاوِينِ . إِلَى أَنْ قَدِمَ الْأَمِيرُ يَلْبِغَا النَّاصِرِي نَائِبَ خَلْبِ بَقْسَاكِرِ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ ، وَأَزَالَ دَوْلَةَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَزْقُوقَ فِي جَمَادَى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، قَبَضَ عَلَيْهِ وَنَفَاهُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى عَزَّةَ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَذِهِ الدَّارِ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَحُصِرَتْ تَرَكَّتُهُ وَكَانَ فِيهَا عِدَّةُ كُتُبٍ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ ^٤ .

وهذه الدار باقية إلى يومنا هذا ، وعلى بابها بئرٌ بجانبها حوضٌ / مَاءٌ يَمْلَأُ تَشْرَبُ ^٥ الدُّوَابُ مِنْهُ ^٦ .

دَارُ إِبْنِ رَجَبٍ

هذه الدار من جَمَلَةِ أَرَاضِي الْبُسْتَانِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ الْكَافُورِي ، كَانَ لِشَيْخِ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ كَلْفَتِ التُّرْكْمَانِي شَادَ الدَّوَاوِينِ ^٧ فِيمَا بَيْنَ دَارِهِ وَدَارِ الْأَمِيرِ تَنْكِزِ نَائِبِ الشَّامِ . فَلَمَّا

(a) بولاق : القبول . (b) بولاق : الحيواي . (c) بولاق : حوض يملأ لشرب .

^١ فيما تقدم ٢ : ٥٣٦ . ^٢ هنا على هامش نسخة من : « هذه الدار أخذها الأمير زَيْدُ الدِّينِ بِحِصْنِ الْأَشْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَزَّاقِ الْأَشْتَاذِارِ فِيمَا أَخَذَ وَغَدَمَهَا وَغَزَّرَ مَكَانَهَا دَوْرًا وَمَسَاكِنَ وَأَدْخَلَ ذَلِكَ وَقْفَهُ » .

^٣ المقرئ : مسودة المواظ ٤٢٩ وفيما تقدم ٢ : ٢٤ . ^٤ راجع ، المقرئ : مسودة المواظ ٢٩٢ - ٢٩٣ ،

^٥ الأمير علاء الدين علي بن كلفَت التُّرْكْمَانِي المتوفى سنة ٤٢٩ ، السلوك ٣ : ٨٦٤ ، أبا المحاسن : النجوم ١٢ : ٤١٥١

^٦ ابن الصبري : نزهة النفوس ١ : ٤٣٤ . ^٧ ٧٨٠ هـ . (المقرئ : السلوك ٣ : ١٣٥٠ ابن حجر : إنباء =

استقرَّ ناصرُ الدِّين محمد بن رجب في الوزارة، أنشأ بهذا الإسْطَبْل قَصْرًا كبيرًا ومَقْعَدًا صارَ يجلس فيه واستولى من بعده على ذلك كلُّه أولادُه .

- فلما عَمَّر الأمير جمالُ الدِّين يُوسُفُ الأُسْتادارَ مَدْرَسَتَه بِحُطٍّ رَحْبَةٍ بابِ العيد، أَخَذَ هذا القصرَ والإسْطَبْلَ في جملة ما أَخَذَ من أملاك النَّاسِ وأوقافِهِمْ . فلما قَتَلَهُ المَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ واستَوَلَّى على جميع ما خَلَّفَهُ، أَفْرَدَ هذا القصرَ والإسْطَبْلَ فيما أَفْرَدَهُ لِلْمَدْرَسَةِ المذكورة، فلم يَزَلْ من جملة أوقافِها إلى أن قُتِلَ المَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ، وَقَدِمَ الأميرُ شَيْخُ نَائِبِ الشَّامِ إلى مصر . فلما جَلَسَ على تَحْتَ المَلِكِ وتلقَّبَ بِالمَلِكِ المُوَيْدِ في غُرَّةِ شَعْبَانَ سنة خمس عشرة وثمان مائة، وَقَفَ إليه من بقي من أولادِ علاء الدِّين علي بن كَلَفَت، وهما امرأتان كانت إحداهما تحت المَلِكِ المُوَيْدِ قبل أن يَلِيَ نِيَابَةَ طَرَابُلُسَ، وهو من مَجْلَةِ أَمْراءِ مصر في أَيَّامِ المَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ، وذَكَرْتَا أَنَّ الأميرَ جمالَ الدِّين الأُسْتادارَ أَخَذَ وَقَفَ أبيهما بِغَيْرِ حَقٍّ، وَأَخْرَجْتَا كِتَابَ وَقَفِ أبيهما . فَقَوَّضَ ١٠ أَمْرُ ذَلِكَ لِقَاضِي القَضَاةِ جَلالُ الدِّين عبد الرَّحْمَنِ بن شَيْخِ الإسلامِ سِرَاجُ الدِّين عُمَرُ بن رَشلان ابن نصير البُلْقَيْنِي الشَّافِعِي، فلم يجد بيد أولاد جمال الدِّين مُسْتَنَدًا، فَقَضَى بهذا المَكَانَ لَوَرْنَةِ ابن كَلَفَت، وبَقَائِهِ على ما وَقَفَهُ حَسْبِما نَصَّحْنَهُ كِتَابَ وَقَفِهِ فَتَسَلَّمَ مُسْتَحَقَّ وَقَفِ ابن كَلَفَتِ القصرَ والإسْطَبْلَ، وهو الآن بأيديهم، وبين أولاد ابن رجب زِراعٌ في القصر فقط ١ .

- مُحَمَّدُ بن رَجَبِ بن محمد بن كَلَفَت^٢ - الأميرُ الوَزِيرُ ناصرُ الدِّين . نَشَأَ بِالْقَاهِرَةِ على طَرِيقَةِ ١٥ مَشْكُورَةٍ، فلما استقرَّ ناصرُ الدِّين محمد بن الحُسَّامِ الصُّفَرِيُّ^(a) شَادَ الدَّوَاوِينَ، بعد انْتِقَالِ الأميرِ

(a) بولاق : الصنفدي .

= الغمر ١ : ١٨٥، أبو الحاسن : النجوم ١١ : ١٩٥ وهو فيه علي بن كلبك (تصحيح) .

^١ المقرئ : مسودة المواظ ٤٣٢-٤٣٣ وقارن علي مارك : الخطوط التوقفية ٣ : ١٣٥-١٣٦ في حديثه على دار الأمير سيف الدين تنكر .

وجاء هنا على هامش نسخة ص : ثم تداوَلَت الأيدي على هذا القصر والإسْطَبْلَ إلى أن ملكها كاتبه - أي أبو الحاميين بن نُفَرِي يُوْدِي - بِالإبْتِياحِ الشَّرْعِيِّ من وَرْنَةِ القَاضِي زَيْن الدِّين كلبك) ؛ ابن الصيرفي : فزعة النفوس ١ : ٤٣٥ .

عبد الباسط، وأنشأتُ بِساحتِها مَقْعَدًا وبِها ساقية وبالقصر مبيت إلى غير ذلك . (وانظر فيما تقدم ١٩٢ هـ) .

^٢ الأمير ناصرُ الدِّين محمد بن رَجَبِ بن محمد بن كَلَفَتِ الثَّرْكَمانِي وزير مصر في زمن السلطان الظاهر بَرْقُوقَ إلى أن توفي سنة ٧٩٨ هـ . (المقرئ : السلوك ٣ : ١٨٦٥ ابن حجر : إنباء الغمر ١ : ٥٢٠، أبو الحاسن : النجوم ١٢ : ١٥٢، والدليل الشافعي ٢ : ٦٢١) (وهو فيهما ابن كلبك) ؛ ابن الصيرفي : فزعة النفوس ١ : ٤٣٥ .

جمال الدين محمود بن علي من شدّ الدّواوين إلى أستاذارية السلطان في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة سنة تسعين وسبع مائة ، أقام ابن رجب هذا أستاذاراً عند الأمير سُودون باق ، وكانت أوّل مُباشراته . ثم ولي شدّ الدّواوين بعد الأمير ناصر الدين محمد بن آقْبغا آص^(١) في ثامن شهر رَمضان سنة اثنتين وتسعين ، فباشر ذلك إلى أن صُرفَ بابن آقْبغا آص^(٢) في سابع عشرين ذي الحِجّة ، وعُوّض في شدّ الدواوين بشدّ ذواليب الخاصّ عوضاً عن خاله الأمير ناصر الدين محمد ابن الحُسام عند انتقاله إلى الوزارة . فلم يَزَلْ إلى أن تَوَجَّه الملك الظَّاهرُ بَرَقوق إلى الشَّام ، وأقام الأمير محمود الأستاذار . فقَدِمَ عليه ابن رجب بكتاب السلطان وهو مَخْتوم ، فإذا فيه أن يُقبَضَ على ابن رجب ، ويُلْزَمه بِحَمَلِ مبلغ مائة وستين ألف دِرْهَم نَقْرة . فقَبِضَ عليه في رابع شهر رَمَضان سنة ثلاث وتسعين ، وأُخِذَ منه مَبْلَغ سبعين ألف دِرْهَم نَقْرة .

فلما كان في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ، صرّف السلطان عن الوزارة الصّاحب مَوْفّق الدّين أبا الفرج ، واستقرّ بابن رجب في منصب الوزارة وخلع عليه ، فلم يُغيّر زِيّ الأُمراء ، وباشر الوزارة على قالب صَحْم وناموس مُهاب ، وصار أميراً وزيراً مُدبِّراً لمُحالك . وسلّك سيرة خاله الوزير ناصر الدين محمد بن الحُسام في استخدام كلِّ من باشر الوزارة ، فأقام الصّاحب سَعْد الدّين بن نصر الله بن البقري ناظر الدّولة ، والصّاحب كَرِيم الدّين عبد الكريم بن الغنّام ناظر البيوت ، والصّاحب عَلَم الدّين عبد الوهاب سن إبرة مُشتوفى الدّولة ، والصّاحب تاج الدّين عبد الرّحيم بن أبي شاكر رَفِيقاً له في اشتيفاء الدّولة .

وأُنْعِمَ عليه بِإمرة عشرين فارساً في سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين . فلم يَزَلْ على ذلك ، إلى أن مات من مَرَضٍ طَوِيلٍ في يوم الجمعة لأربع بقين من صَفَر سنة ثمان وتسعين وسبع مائة وهو وزير من غير نَكْبَة ، فكانت جنازته من الجنائز المذكورة . وقد ذكرته في كتاب «دُرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» .

وَأَرَأَيْتُمُ

هذه الدّائر من جملة حُطّ قَصْرِ بَشْتاك ، كانت أوّلاً من بعض دُور القَصْرِ الكبير الشرقي ، الذي تقدّم ذكره عند ذِكْرِ قُصُور الخُلَفَاء ، ثم عُرِفَتْ بدار جمال الكُفّاء .

وهو القاضي جمال الدين إبراهيم، المعروف بجمال الكفاة، ابن خالة النشو ناظر الخاص^١. كان أولاً من جملة الكتّاب النصاري فأسلم، وخدم في بستان السلطان^٢ الملك الناصر محمد ابن قلاوون - الذي كان ميّداً للملك الظاهر بيبرس بأرض اللوق - ثم خدم في ديوان الأمير تيدمر البندري^٣.

- فلما غرض السلطان ذواوين الأمراء، واختار منهم جماعة، كان من جملة من اختاره السلطان جمال الكفاة هذا، فجعله مستوفياً إلى أن مات المهذب كاتب الأمير بكتمر الساقى، فولاه السلطان مكانه في ديوان الأمير بكتمر، فخدمه إلى أن مات، فخدم بدوان الأمير بشتاك، إلى أن قبض الملك الناصر على النشو ناظر الخاص، ولأه وظيفة ناظر الخاص بعد النشو، ثم أضاف إليه وظيفة ناظر الجيش بعد المكين بن قزوين عند غضبه عليه ومصادرته. فباشر الوظيفة إلى أن مات الملك الناصر، فاستمر في أيام الملك المنصور أبي بكر والملك الأشرف كجك والملك الناصر أحمد. فلما ولي / الملك الصالح إسماعيل، بجعله مشير الدولة مع ما بيده من ناظر الخاص والجيش - وكان الوزير إذ ذاك الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد - وكتب له توقيع باستيفاره في وظيفة الإشارة؛ فعظم أمره، وكثر حساده إلى أن قبض عليه وضرب بالمقارع، وحقق ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وسبع مائة، ودفن بجوار زاوية ابن غثود من القرافة، وكانت مدة نظره في الخاص خمس سنين وشهرين تنقص أياماً. وكان ملبح الوجه، ١٥ جسن العبارة، كثير التصرف ذكياً، يعرف باللسان التركي ويتكلم به، ويعرف باللسان التوي والتكروري^٣.

٧٦٠

(a) ساقطة من بولاق.

^١ عن جمال الكفاة جمال الدين إبراهيم ابن خالة النشو ناظر الخاص انظر، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٨٠:٦-١٨١؛ المقرئ: المقفى الكبير ٣٢٨:١-٣٣١، والسلوك ٢٦٧٦-٢٦٧٧؛ الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ٢٧٠، ٢٧٥؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٨٢؛ أبا المحاسن: المنهل الصافي ١٩٣:١-١٩٦ والنجوم الزاهرة ١٠: ١١١ ابن ياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٠٢.

^٢ الأمير شيف الدين تيدمر البندري الناصري محمد بن قلاوون، كان أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولي نياة طرابلس، ونقل منها إلى نياة حلب، وتوفي مقتولاً بناية غزه سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. (الصفدي: أعيان العصر ١: ٩٨-٩٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٣؛ المقرئ: المقفى الكبير ٩٩، الوافي بالوفيات ١٠: ٥٦٨-٥٦٩؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٩٧).

^٣ قارن مع المقرئ: مسودة المواعظ ٤٣٠-٤٣١.

ولم تزل هذه الدار بغير تكملة إلى أن ترأس القاضي شمس الدين محمد بن أحمد القليجي الحنفي، ^(a) كان أولاً يكتب على مبيضة الغزل وهي يومئذ مضمنة لديوان السلطان، ثم اتصل بقاضي القضاة سراج الدين عمر بن إسحاق الهندي وتخدمه، فرفع من شأنه واستنابه في الحكم، فعب ذلك على الهندي، وقال فيه شمس الدين محمد بن محمد الصائغ الحنفي:

[الطول]

ولما رأينا كاتب المكس قاضياً علمنا بأن الدهر عاد إلى ورا
فقلنا لصحبي ليس هذا تعجبنا وهل يجلب الهندي شيقا سوى الحر^(a)

وولي إفتاء دار العدل^(b)، وناب عن القضاة في الحكم بعد مباشرة توقيع الحكم عدة سنين. فعظم ذكره، وتعد صيته، وصار يتوسط بين القضاة والأمراء في حوائجهم، ويخدم أهل الدولة فيما يعين لهم من الأمور الشرعية.

فصار كثير من أمور القضاة لا يقوم به غيره، حتى لقد كان شيخنا الأستاذ قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون يسميه ذرئ بن الصفة، يعني أنه صاحب رأي القضاة، كما أن ذرئ بن الصفة كان صاحب رأي هوازن يوم حنين، ^(c) يتيئزه بذلك^(c).

فلما فحم أمره أخذ هذه الدار، وقد تم بناء جذرانها، فرحمها وزخرفها ويصنها، فجاءت في أعظم قالب وأحسن هندام وأبهج زي، وسكنها إلى أن مات يوم الثلاثاء العشرين من شهر رجب سنة سبع وتسعين وسبع مائة بعدما وقفها، فاستمرت في يد أولاده مدة إلى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار كما أخذ غيرها من الدور^١.

دار نهادر المعري

هذه الدار بنزب راشد المجاور لخزانة البثود من القاهرة، عمرها الأمير سيف الدين بهائر المعري^٢. كان أصله من أولاد مدينة حلب من أبناء التركمان، فاشتره الملك المنصور لاجين قبل

(a-b) هذه الفقرة وردت في هامش نسخة أباصوفيا وكتب أمامها: «هكذا بخط المؤلف بغير تخريج» ونحوها بقوله: «هكذا وجدته بخطه». (b) بولاق: العلم. (c-c) ساقطة من بولاق.

^١ المعريزي: مسودة المواظع ٤٣٦-٤٣٢. ^٢ الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله التركماني

أَنْ يَلِي سُلْطَنَ مِصْرَ وَهُوَ فِي نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِدِمَشْقَ ، فَمَرَّقَى حَتَّى صَارَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْأُلُوفِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^١ عَنْ ابْنَتَيْنِ : إِخْدَاهُمَا تَحْتَ الْأَمِيرِ اسْتَذْمَرَ الْقَهْرِي^٢ ،^٣ وَالْأُخْرَى تَحْتَ مَمْلُوكِهِ أَقْتَمَرَ^٤ .

وَوَزَرَكَ مَالًا كَثِيرًا : مِنْهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةً ، وَأَرْبَعِ مِائَةِ فَرَسٍ ، وَثَلَاثِ مِائَةِ جَحَلٍ ، وَمِبْلَغِ خَمْسِينَ أَلْفَ أَرْدَبِ غَلَّةٍ ، وَثَمَانِ خَوَائِصِ ذَهَبٍ ، وَثَلَاثِ كَلُوتَاتِ زُرْكَشٍ ، وَاثْنِي عَشَرَ طِرَازَ زُرْكَشٍ وَعَقَارًا كَثِيرًا ، فَأَخَذَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ ابْنَ قَلَاوُونَ بِجَمِيعِ مَا خَلْفَهُ .

وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ ، مَعْرُوفًا بِالْقُرُوسِيَّةِ ، وَرَمَى فِي الْقَبْرِ الثُّشَابَ يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ ، وَلَعِبَ الرُّومَحَ لَيْبًا جَيِّدًا . وَكَانَ لَيِّنَ الْجَانِبِ ، مُحَلُّو الْكَلَامِ ، جَمِيلُ الْعِشْرَةِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُتَشِيرًا عَلَى نَفْسِهِ فِي مَأْكَلِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ لِكَثْرَةِ شُحِّهِ ، بِحَيْثُ أَنَّهُ اغْتَقِلَ مَرَّةً فَجَمَعَ مِنْ رَأْيِهِ الَّذِي كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ وَهُوَ فِي السُّجُنِ مِبْلَغُ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ نَقْرَةً ، أَخْرَجَهَا مَعَهُ مِنَ الْإِعْتِقَالِ^٥ .

(a) بولاق : المعزي .

^٢ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ اسْتَذْمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَهْرِي ، أَحَدُ الْمَمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٥٧٦١هـ / ١٣٦٠م (الصفدي : أعيان العصر ١: ٥٣٧-٥٣٩ ، الوافي بالوفيات ٩: ٢٤٩) المقيزي : الملقب الكبير ٢: ١٩١-١٩٢ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤١٣ ؛ أبو المحاسن : المنهل ٢: ٤٤٥) .

^٣ رُبَّمَا كَانَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَقْتَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّاحِبِي الْخَلِيلِي نَائِبَ السُّلْطَنَةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، الْمَتْرُوفِ سَنَةَ ٥٧٧٩هـ / ١٣٧٧م- (أبو المحاسن : المنهل ٢: ٤٩٢ والنجوم ١١: ١٩١) .

^٤ المقيزي : مسودة المواعظ ٤٣٣-٤٣٥ ، وَهُوَ آخِرُ الْمَوْجُودِ فِي مَسُودَةِ الْمَوَاعِظِ وَالْإِعْتِبَارِ نَسْخَةُ مَكْتَبَةِ خَزِينَةِ ، رَقْمُ ١٤٧٢ .

= السَّيْفِيُّ الْمَعْرِيُّ ، الْمَتْرُوفِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ٧٤٠ أَوْ آخِرِ سَنَةِ ٥٧٣٩هـ / ١٣٣٧ ، أَوْ ١٣٣٨م . (الصفدي : أعيان العصر ٢: ٥٩-٦٠ ، الوافي بالوفيات ١٠: ٢٩٨-٢٩٩ الشُّجَاعِي : تَارِيخُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ٥٤-٥٥ ، المقيزي : السُّلُوكُ ٢: ٤٧٠ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٩ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٤٣٠-٤٣١) .

^١ أَضَافَ الْمَقْرِي فِي مَسُودَةِ الْمَوَاعِظِ ٤٣٤ : وَأَخَذَ إِمْرَتَهُ تَرْشِيدًا الْحَاجِبِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَرْشِيدًا بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاجِبِ الَّذِي تُوْفِيَ مَقْتُولًا بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَعَ الْأَمِيرِ قَوْصُونَ وَالْأَمِيرِ الطَّنِيفَا الْعِلَاقِي سَنَةَ ٥٧٤٢هـ . (الصفدي : أعيان العصر ١: ٦٨٦-٦٨٨ ، الوافي ١٠: ١١٤) المقيزي : الملقب ٢: ٥٧٠-٥٧١ ابن حجر : الدرر الكامنة ٢: ٢٧ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣: ٢٨٢-٢٨٣) .

دَارُ طِينَال

هذه الدار بخط الحوَّاطين ، في داخل الدُزْب الذي كان يُعرف بِخَرَبَةِ صَالِح ، كان موضعها وما حَوَّلَهَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّة مَارِشَتَانَا . وَأَنْشَأَ هَذِهِ الدَّارَ الْأَمِيرُ طِينَالُ أَخَذَ تَمَالِيكَ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، أَقَامَهُ سَاقِيًا ثُمَّ عَمِلَهُ حَاجِيًا صَغِيرًا ، ثُمَّ أَعْطَاهُ إِفْرَةَ أَرْكَسَم^١ ، وَجَعَلَهُ أَمِيرَ مِائَةِ مُقَدِّمِ أَلْفٍ ، فَبَاشَرَ ذَلِكَ مُدَّةً ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ لِنِيَابَةِ طَرَابُلُسَ فَأَقَامَ بِهَا زَمَانًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى نِيَابَةِ صَفَدَ ، فَمَاتَ بِهَا فِي ثَلَاثِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^١ .

وَكَانَ تَتَرَّى الْجَنَسَ ، قَصِيرًا إِلَى الْغَايَةِ ، مَلِيحَ الرَّجَّةِ ، مُشْكُورًا فِي أَحْكَامِهِ ، مُحِبًّا لَجَمْعِ الْمَالِ شَحِيحًا . وَهَذِهِ الدَّارُ تَشْتَمِلُ عَلَى قَاعَتَيْنِ^٢ مُتَجَاوِرَتَيْنِ ، وَهِيَ مِنَ الدُّوَرِ الْجَلِيلَةِ . وَلَطِينَالُ أَيْضًا قَيْسَارِيَّةٌ بِشَوَيْفَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ .

دَارُ الْهَرَمَاسِ

هذه الدار كانت بجوار الجامع الحاكمي من قِتلِهِ ، شَارِعَةً فِي رَحْبَةِ الْجَامِعِ ، عَلَى يَسْرَةِ مِنْ يَمُرُّ إِلَى بَابِ النَّصْرِ ، عَمَرَهَا الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ^٣ الْمَقْدِسِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِالْهَرَمَاسِ^٢ ، وَسَكَنَهَا مُدَّةً . وَكَانَ أَثِيرًا عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، لَهُ فِيهِ اعْتِقَادٌ كَبِيرٌ . فَعَظُمَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرُهُ ، وَاشْتَهَرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ذِكْرُهُ ، إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ شَفْسُ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّقَّاشِ عَقَارِبُ الْحَسَدِ ، فَتَقَى بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ إِلَى أَنْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ وَأَبْعَدَهُ^٣ .

(a) بولاق : دكمر . (b) بولاق : قالمتين . (c) بياض في نسخة باريس .

^١ الأمير شَيْخُ الدِّينِ طِينَالُ الْأَشْرَفِي الْحَاجِبُ ، ذَكَرَ الْمُقْرِزِيُّ فِي الْمَقْفَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ تَمَالِيكَ الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ لَا مِنْ تَمَالِيكَ أَخِيهِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ . (رَاجِعْ ، الصَّفْدِي : أَحْيَانُ الْعَصْرِ ٦٣٠ : ٦٣٣ ، الْوَاقِي ١٦ : ٥١٦) ابْنُ حَبِيبٍ : تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٣ : ٤٤٣ : ٤٤٢ الْمُقْرِزِيُّ : الْمَقْفَى ٧ : ٤٩ ابْنُ حَجَرٍ : الدَّرَرُ الْخَاسِنُ : الدَّلِيلُ الشَّافِي (٧٠٥ : ٢) .

^٢ الشَّيْخُ قُطُبُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَرَمَاسُ بْنُ مَاضِي بْنِ أَبِي الْأَلَيْثِ الْمَقْدِسِيِّ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْهَرَمَاسِ ، التَّوَفَى سَنَةَ ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م . (الْمُقْرِزِيُّ : السَّلُوكُ ٣ : ١٦٨) ابْنُ حَجَرٍ : الدَّرَرُ الْخَاسِنُ ٥ : ٢١١ ؛ أَبُو الْحَاسَنِ : الدَّلِيلُ الشَّافِي (٧٠٥ : ٢) .

^٣ أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١ : ١٣ - ١٤ .

٣٣٤ : ٣٣٣ أَيْ الْحَاسَنِ : النُّجُومُ ١٠ : ١٠٣) .

- ثم رَكِبَ في يوم ^(a) سنة إحدى وستين وسبع مائة ، من قَلْعَةِ الجَبَلِ بِعَسَاكِرِهِ إلى باب زَوَيْلَةَ ، فعندما وَصَلَ إليه تُرِجِلُ الأَمْرَاءِ كُلِّهِمْ عن خُيُولِهِمْ ، وَدَخَلُوا مُشَاةً من باب زَوَيْلَةَ كما هي العادة ، وصارَ السُّلْطَانُ رَاكِبًا بمفرده وابنُ النَّقَّاشِ أيضًا رَاكِبًا بجانبه ، وسائرُ الأَمْرَاءِ والمماليك مُشَاةً في رِكَابِهِ على تَوْتِيهِمْ ، / إلى أن وَصَلَ السُّلْطَانُ إلى المَارِسْتَانِ المَنْصُورِيِّ بَيْنَ القُصْرَيْنِ ، فَتَرَلَّ إليه وَدَخَلَ القُبَّةَ ، وزارَ قَبْرَ أَبِيهِ وَجَدَّهُ وإِخْوَتِهِ ، وَجَلَسَ وقد حَضَرَ هناك مَشَايِخُ العِلْمِ والقُصَاةُ ، فَذَاكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ ، ثم قَامَ إلى النَّظَرِ في أُمُورِ المَرْصِيَّ بِالْمَارِسْتَانِ ، فدارَ عليهم حتى انتهى غَرَضُهُ من ذلك ، وَخَرَجَ فَرَكَبَ وسارَ نحو باب القُصْرِ ، والثَّاسُ مُشَاةً في رِكَابِهِ إلا ابنُ النَّقَّاشِ فَإِنَّهُ رَاكِبٌ بجانبه ، إلى أن وَصَلَ إلى رَحْبَةِ الجامعِ الحَاكِمِيِّ ، فَوَقَّفَ يَمُوجًا دارَ الهُرماسِ وأَمَرَ بِهَذْمِهَا ، فَهُلِيتَ وهو واقِفٌ ، وَقُبِضَ على الهُرماسِ وابنه ، وَضُرِبَ بالمقاريِعِ عُدَّةً شِثُوبٍ ، وَنُفِيَ من القَاهِرَةِ إلى مِصْرَافٍ . فقال الإمامُ العَلَامَةُ شُعْشُوسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ ابنُ الصَّائِغِ الحَنْفِيِّ في ذلك :

[مجزوء الرمل]

قَدْ ذَاقَ هِرْمَاسُ الحَتَاةَ من بعد عِزٍّ وَجَمَّارَةٍ
حَسِبَ البُهْتَانَ يَبْقَى أَخْرَبَ اللهُ دِيَارَهُ

- فَلَمَّا قِيلَ السُّلْطَانُ في سنة اثنتين وستين ، عَادَ الهُرماسُ إلى القَاهِرَةِ ، وَأَعَادَ بعضَ دارِهِ .
فَلَمَّا كَانَتْ سنة ثمانين وسبع مائة ، صَارَتْ هَذِهِ الدَّارُ إلى الأميرِ جَمَالِ الدِّينِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ بَكْتَمُرِ الحَاجِبِ ، فَأَنْشَأَهَا قَاعَةً وَعِدَّةً خَوَانِيَتٍ وَزَيْنًا عُلُوًّا ذَلِكَ ، وَانْتَقَلَ من بعده إلى أَوْلَادِهِ ، وَهُوَ بِأَيْدِيهِمْ إلى اليومِ .

دارُ أوحدِ الدِّين

- هَذِهِ الدَّارُ بِدَاخِلِ كَرْبِ السَّلَامِيِّ من ^(b) رَحْبَةِ بابِ العيدِ مُقَابِلَ قُصْرِ الشُّوْكَ وإلى جانبِ المَارِسْتَانِ العَتِيقِ الصَّلَاحِيِّ . كَانَ مَوْضِعُهَا من حُقُوقِ القُصْرِ الكَبِيرِ وَصَارَ آخِرًا طَاحُونًا ، فَهَدَمَهَا القَاضِي أوْحَدُ الدِّينِ عبدُ الوَاحِدِ أَيْامَ كَانَ يُبَايِشِرُ تَوْقِيعَ الأميرِ الكَبِيرِ بَرْقُوقٍ بعدَ سنة ثمانين وسبع مائة .

(a) بياض في آياصوفيا بمقدار كلمتين . (b) بولاق : في .

فلما حفر أساس هذه الدار، ووجد فيه هيئة قبة معقودة من لسن، وفي داخلها إنسان ميت قد تليت أكفائه، وصار عظما نَحِرا، وهو في غاية طول القامة يكون قدر خمسة أذرع، وعظام ساقيه خِلاف ما عهد من الكبر، ودماعه عظيم جدا.

فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر إلى أن مات بها، وقد حبستها على أولاده، فاستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأمير جمال الدين يوسف الأشتادار، كما أخذ غيرها من الأوقاف، فاستمرت في جملة ما بيده إلى أن قتله الملك الناصر فرج، فقبضها فيما قبض مما خلقه جمال الدين.

فلما قتل الملك الناصر فرج، واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر، استرجع أولاد جمال الدين ما كان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين، وصارت بأيديهم إلى أن وقف له أولاد أُوحد الدين في طلب دار أبيهم، ففقد لذلك مجلس اجتماع فيه القضاة، فتبين الحق^١ بيد أولاد أُوحد الدين، ففضى بإعادة الدار إلى ما وقفها عليه أُوحد الدين، فنسلمها أولاد أُوحد الدين من ورثة جمال الدين، وهي الآن بأيديهم.

عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفي، أُوحد الدين كاتب السر^١ - وُلد بالقاهرة، ونشأ بها في كنف قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن علي التركماني الحنفي لصهازة كانت بين أبيه وبين التركمانية، وباشر توقيع الحكم مدة.

واتفق أن أميراً من أمراء الملك الأشرف شغبان بن حستين، يُعرف بيونس الرماح، مات، فادعى بزقوق العثماني - أحد المماليك اليلنغاوية - أنه ابن عم يونس هذا، وأنه يستحق إرثه لموته عن غير وليد، وحضر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين - حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس - حتى ثبت ما ادعاه. فلما أراد الله^٢ من إشعاد جد أُوحد الدين، لم يقف بزقوق على أخذ من موقعي الحكم إلا عليه، وأخبره بما يُريد، فباكر إلى تزريق شوال باسم بزقوق، وإنهائه أنه ابن عم

(a) بولاق: أن الحق. (b) بولاق: فلما أراد الله.

١: ٢٩٥ ابن قاضي شهبة: تاريخ ١٤٦: ١٤٦، أبا المحاسن: المنهل الصافي ٣٧٦: ٣٧٧ والنجوم الزاهرة ١١: ٢٢٨، ٣٠١: الصيرفي: نزعة النفوس ١: ١٠٨.

^١ أُوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين بن أبي فُضّ الإفرقي المصري الحنفي كاتب السر، لتوفي بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ/١٣٨٤م. (راجع، المقرئ: السلوك ١٥٢٦: ٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ٣: ٣٤ وإنباء القصر

يُؤنس الزمّاح ، وأنّ عنده يَنْتَه تشهّد بذلك ، ودَخَلَ بهذا السُّؤال إلى قاضي القضاة ، وأنهى العمل حتى ثَبَتَ أنّ بَرْقوق ابن عَمِّ يُؤنس يستحق إرثه .

فلَمَّا قَرَعَ من ذلك دَفَعَ بَرْقوق إلى أُوخذ الدين مبلغ ذلك^(١) أجرة تَوْرِيقه ، كما هي عادة أهل مصر في هذا ، فامْتَنَعَ من أخذها ، وألْحَفَ بَرْقوق في سؤاله وهو يَمْتَنِع . فتقلّد له بَرْقوق المِئَة بذلك ، واعتَقَدَ أمانته وخِيَرَه ، وصارَ - لكثرة رُكونه إليه - إذا قَدِمَ فلاخِرَ إقطاعه يبعثهم إليه حتى يُحاسبهم عَمَّا حَمَلوه من الخراج .

فلَمَّا قُتِلَ الملك الأشرف ، وثارت الممالك وكان من أمرهم ما كان إلى أن تَغْلِبَ بَرْقوق ، وصارَ من جملة الأمراء ، واستولى على الإسطبل السلطاني في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبع مائة ، وصارَ أميراً خور أقام أُوخذ الدين مُوقِعاً عنده .

وما زالَ أَمْرُ بَرْقوق يَزْدَادُ قُوَّةً حتى أُنِيطَ به أُمُورُ المملكة كُلِّها ، فصارَ أُوخذ الدين صاحبَ الحلِّ والعقد ، وكاتبَ السّرِّ بَدْرُ الدين محمد بن عليّ بن فَضْل الله اشْمَا لا معنى له إلى أن جَلَسَ الأميرُ بَرْقوق على تَحْتَ المملكة في شهر رَمَضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة ، فَقَرَّرَ القاضي أُوخذ الدين في وَظِيفَةِ كِتَابَةِ السّرِّ عَوْضاً عن ابن فَضْل الله ، وَخَلَعَ عليه في يوم السبت ثاني عشر سَوّال من السنة المذكورة . فباشَرَ كِتَابَةَ السّرِّ على القالب الجاير ، وَضَبَطَ الأُمُورَ أَحْسَنَ ضَبْطٍ ، وَعَكَفَ سائِرُ النَّاسِ على بابِهِ لتمكُّنه من سُلْطَانِهِ .

وكان الأميرُ يُؤنسُ الدَّوَادارُ يَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ النَّاسِ من الأُمراءِ تَمَكُّيْنًا من السُلْطَانِ ، وَجَرَتْ العادةُ/ بِاتِّمَاعِ كَاتِبِ السّرِّ إلى الدَّوَادارِ . فَأَحْبَبَ أُوخذ الدين الاِشْتِيَادَ على الأميرِ يُؤنسِ الدَّوَادارِ ، فقال للسُلْطَانِ سِرّاً في غَيْبَةِ يُؤنسِ : إنّ السُلْطَانِ يَوسِمُ بِكِتَابَةِ مُهْمَّاتِ الدَّوْلَةِ وَأَسْرَارِ المملكة إلى البلاد الشّامية وغيرها ، والأميرُ الدَّوَادارُ يُريدُ من المملوك أن يُطْلَعَ على ذلك ، فلم يَظْهَرِ المملوكُ على مُخَالَفَتِهِ ، ولا أَمْكَنَهُ إِعْلَامُهُ إلّا بِإِذْنِ . فَأَنْفَى السُلْطَانُ من ذلك ، وقال : الحَذَرُ أن يُطْلَعَ على شيءٍ من مُهْمَّاتِ السُلْطَانِ أو أسْرَارِهِ ؛ فقال : أَخَافُ مِنْهُ إِنْ سَأَلَ وَلَمْ أَغْلِمْهُ ؛ فقال السُلْطَانُ : ما عليك مِنْهُ . فرأى أَنَّهُ قد تَمَكَّنَ حَيْثُ ذُكِرَ فَأَمْسَكَ أَثِمًا .

ثم أراد الاِزْدِيَادَ من الاِشْتِيَادِ ، فقال للسُلْطَانِ سِرّاً : قد رَمَسَ السُلْطَانُ أَلّا يُطْلَعَ أَحَدٌ على سِرِّ السُلْطَانِ ، ولا يَعرِفُ بما يَكْتُبُ من المُهْمَّاتِ وَطَائِفَةِ البَرِيدِيَّةِ كُلِّهِمْ يَمشون في خِدمَةِ الدَّوَادارِ ،

فإذا اقتضت آراء السلطان تشفير أحد منهم في مهم، يحتاج المملوك إلى استدعائه من خدمة الأمير الدوادار، فإذا التمس مني أني أخبره بالمعنى الذي توجه فيه البريدي لا أقدر على إغلايه بذلك ولا آمن إن كنته، وانصرف.

فلما كان من الغد، وطلع الأمراء إلى الخدمة على العادة، قال السلطان للأمير يؤنس الدوادار: أوسل البريدية كلهم إلى كاتب السر ليقتشوا ويؤكّبوا معه. فلم يجد بدءاً من إرسالهم، وحصل عنده من إرسالهم المقيم المقصد^(a).

فصار البريدية يزكّون نوباً في خدمة أوحد الدين، ويتصرف في أمور الدولة وخذة مع سُلطانه. فأنفرد بالكلمة، وخضع له الخاص والعام؛ إلا أنه نغص عليه في نفسه، ومريض مرضاً طويلاً سقطت معه شهوة الطعام، بحيث أنه لم يكن يشتهي شيئاً من الغذاء، وتوَّع له الماكيل بين يديه لكي تميل نفسه إلى شيء منها، ومتى تناول غذاء تقيأه في الحال. وما زال على ذلك إلى أن مات عن سبع وثلاثين سنة، في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبع مائة، ودُفن خارج باب النصر^١، فلم يتأخر أحد من الأمراء والأعيان عن جنازته.

وكان حسن السياسة، رضي الخلق، عاقلاً، كثير الشكون، جيّد الشيرة، جميل الصورة، حشيم^(b) الهيئة، عارفاً بأمر دنياه، مُجيباً للمداواة، صاحب باطن، قليل العلم، رحمه الله.

ربيع الزيتي

هذا الربيع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصري^٢، وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها أهل الخلاعة للقصف، فإنه كان يُشرف من جهاته الأربع على رياض وبساتين. ففي شرقيه غيط الزيتي وقد خرب وموضعه اليوم بركة ماء. وفي غريه غيط الحاجب ببيوت - وأدركته عامراً، وهو اليوم مزارع بعد ما كان له باب كبير بجانيه حوض ماء للسبيل، وعليه سياج من طين دائري به - ومن قبلي هذا الربيع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التي بأرض الطبالة، ومن بحرية بساتين تتصل بالبغل وكوم الزيش.

(a) بولاق: المقعد. (b) بولاق: حسن.

^١ أضاف ابن قاضي شعبة: بركة جده فخر الدين بن التركماني (تاريخ ١٤٦٠: ١). ^٢ فيما يلي ٥٥٥.

وما زال هذا الزَّيْعُ معموراً بالملذَّات^{١٥}، أهلاً بكثرة المسرات إلى أن كانت سنة العروة - وهي سنة خمس وخمسين وسبع مائة - فخرت دُورُ كُوم الرُّيش وغيرها، ووصل ماء النيل إلى قنطرة الحاجب، فخرت زَيْعُ الزُّيْنِي وأهمل أمره، حتى صار كُومًا عظيمًا، تجاه قنطرة الحاجب وغيط الحاجب. وسيفت من أدركته يُخبر عن هذا الزَّيْعُ بعجائب من الملاذ التي كانت فيه.

وكانت العائمة تقول في منزلها: «سَيِّئُ أَهْنِ كَسْتِي وَأَيْنَ رُخْتِي وَأَيْنَ جِيتِي». قالت: من زَيْعُ الزُّيْنِي: [الكامل]

ثُمَّ انْقَضَتْ بِلَكَ الشُّنُونِ وَأَهْلُهَا فَكَائِهَا وَكَائِهَا أَخْلَامُ^{١٦}

الدَّارُ الَّتِي فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الَّتِي حِطَّانُهَا بِجَمَارٍ بَيْضَ شُحُوتِ

- ١٠ هذه الدَّارُ بقي منها جدارٌ على يمين من سَلَكَ من المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ يُريد باب البَرْقِيَّةَ، وبقي منها أيضًا جدارٌ على يمين من سَلَكَ من رَحْبَةِ الأَيْدُمَرِيِّ إلى باب البَرْقِيَّةَ. وهي دارُ الأمير صُبَيْحِ ابن شاهنشاه، أَحَدُ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ الفاطمية في أيام الصَّالِحِ طلائع بن رُزَيْك، وكانت في غاية الكِبَرِ والتَّخْشِينِ. قال بَعْضُ أَصْحَابِ الصَّالِحِ: يا مَوْلَانَا أَبَقَاكَ اللهُ حَتَّى تُتِمَّ دَارُ ابن شاهنشاه.
- وكان الصُّرْغَامُ، قبل أن يَلِيَّ وَزَارَةَ مصر، قد قَوَّسَ العَادِلَ أَبَا شُجَاعِ رُزَيْكِ بن الصَّالِحِ طَلَّاعِ ابن رُزَيْك، فَظَهَرَ مِنْهُ فَارِسًا فِي غَايَةِ الْقُرُوسِيَّةِ، بَعِثَ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ فِي يَوْمِ عِيدِ الْحَلَقَةِ، وَأَخَذَ رُمْحًا وَحَرْبَةً وَقَوْسًا وَسَهْمًا، فَأَخَذَ الْحَلَقَةَ بِالرُّمُوحِ، وَزَمَى بِالسَّهْمِ فَأَصَابَ الْغُرْضَ، وَجُدِّفَ بِالْحَرْبَةِ فَأَثْبَتَهَا فِي الْمَرْمَى، وَلَعِبَ بِالرُّمُوحِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ. ثُمَّ دَخَلَ صُبَيْحُ بن شاهنشاه، فَعَمِلَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَتَحَرَّكَ الصُّرْغَامُ - وَكَانَ يَلْبِسُ عِمَامَةً بَعْدَبَةً وَأَكْمَامًا وَاسِقَةً عَلَى رِجْلَيْ الْمَصْرِيِّينَ يَوْمَئِذٍ - فَتَلَمَّ بِعَدَبَتِهِ، وَلَفَّ أَكْمَامَهُ، وَأَخَذَ رُمْحَهُ، وَلَعِبَ بِهِ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَطَرَدَ كَذَلِكَ، وَدَخَلَ فِي الْحَلَقَةِ وَأَخَذَهَا. فَعَجِبَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ فِي الْقَشْكَرِ، فَأَخَذَ عِنْدَ ذَلِكَ الأميرُ صُبَيْحُ بن شاهنشاه ٢٠ لِلْبَعْرَةِ، وَأَتَى إِلَيْهِ. وَقَالَ: يَا مَوْلَايَ كَفَاكَ اللهُ أَمْرَ الْعَيْنِ، فَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ. وَجَعَلَ يَدُورُ حَوْلَ قَرْسِيهِ وَيُسْخَرُهُ، وَالصُّرْغَامُ يَتَتَبَعُهُ وَيُفْجِعُهُ ذَلِكَ.

^{١٥} بولاق: اللذات.

^{١٦} المقرئ: مسودة الخطوط ١٥٠.

وبعد هذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسة مائة، ولم تكمل هذه الدار.

دار القصر

هذه الدار بمدينة مصر من خارجها، فيما انحسر / عنه ماء النيل بعد الخمس مائة من بيني الهجرة، وتُعرف اليوم بصناعة الثغر، تجاه الصاغة بخط شوق المعاريج، ومن جعلتها بيت بزهان الدين إبراهيم الحلي ومدرسته، وهذه الدار وقفها القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني، على فكاك الأشرى من المسلمين ببلاد القريش.

قال القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب «الدر النظيم في أوصاف القاضي الفاضل عبد الرحيم»: ومن جملة مبادئ دار الثغر بمصر الحروسية، ولها دخل عظيم يجمع ويشترى به الأشرى من بلاد القريش، وذلك مستمر إلى هذا الوقت. وفي كل وقت يُحضّر بالأسارى قتيبيون ويطوفون ويدعون له، وسمعتهم يراوا يقولون: «يا الله يا رحمن يا رحيم، ازحم القاضي الفاضل عبد الرحيم».

وقال القاضي جمال الدين^(a) بن شيب^(b): كان للقاضي الفاضل ربيع عظيم يؤجره بمبلغ كبير، فلما غزم على الحج ركب ومرو به ووقف عليه، وقال: «اللهم إنك تعلم أن هذا

(a) بولاق: مبان. (b) ياض في نسخة باريس.

المنصري: التكملة لوفيات النقلة ٣: ١٢١٧ ابن شاعر: فوات الوفيات ٢: ٣١٢-٣١٥؛ الأذوي: الطالع السعيد ٣٠٥-٣٠٨؛ القلقشندي: صبح الأعيان ٦: ٣٤٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ٢٧٠.

وكتابه «معالم الكنانة» نشره الخوري قسطنطين إلياس المختص في بيروت سنة ١٩١٣، ثم أعاد نشره محمد حسين شمس الدين في بيروت أيضًا، وصدر عن دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٨، ولم أقف على هذا القول في نشره «معالم الكنانة».

^١ القاضي الرئيس جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيب الأموي الإنشائي القوسي، وُلِدَ بأشاش سنة ١١٥٢/٥٥٤٧م ونشأ بقوص وولي الديوان بها ثم بالإسكندرية ثم بيت المقدس، وتوفي بعد ذلك بكتابة الإنشاء للملك المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر بن أيوب في دمشق حيث توفي بها سنة ١٢٢٨/١٢٢٥م ودفن بجرته بقايسون. كان تلميذًا للقاضي الفاضل ومقرئًا من الملك المعظم عيسى، وهو مؤلف كتاب «معالم الكنانة» وقفايم الإصانة. أخذ أوائل كُتب الإنشاء التي ترجع إلى العصر الأيوبي. (الصفدي: الوافي بالوفيات ١٨: ٣٧٩-٣٨٣؛

الحان ليس شيء أحب إلي مني (أو قال أعز علي مني)، اللهم فاشهد أنني وقفت على فكاك الأشرى (a) من بلاد الفرج (a).

وقال ابن المتوج: ومن جملة الأوقاف الوقف الفاضلي، وهو الدار المشهورة بصناعة الثمر، الوقف على فكاك الأشرى من يد القدو، المشتمة على مخازن وأخصاص وشون ومنازل علوية وخوانيت بمجازها وظاهرها، وهي اثنا عشر حائوتا، وخمسة مقاعد، وثمانية وخمسون مخزنا، وخمسة عشر حطفا، وست قاعات وساحة، وست شون، وخمسة وسبعون منزلا، وخمسة مقاعد علوية، الأجرة عن ذلك جميعه إلى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وست مائة في كل شهر ألف ومائة وستة ثلاثون درهما نفرة. واستجد بها القاضي جمال الدين (b) الوجيزي خليفة الحكم بمصر، حين كان ينظر في الأوقاف، دارا من ربع الوقف فأكلها البحر، فأمر ببناء زريبة أمامها من مالي الوقف.

عمارة أم السلطان

هذه العمارة من جملة المنحدر، كانت دارا تعرف بالأمير جمال الدين أيدغدي العزيري، ولها باب من الدرب الأصغر الذي هو الآن تجاه خائفه يتبوس، وباب من الحارين تجاه الجامع الأقمر. عرفت هذه الدار بالأمير مظفر الدين موسى (c) بن الملك (d) الصالح علي بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتقي، ثم خربت فأنشأها خوند بركة (e) أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، وجعلت منها قيسارية بخط الركن المخلوق بإيعار بها الجلود، ويعلوها زنج جليل لسكن العائلة يشتمل على عدة طباق، ووقفت ذلك على مدرستها بخط الثبابة خارج باب زويلة.

(a-a) ساقطة من آياصوفيا. (b) بياض في آياصوفيا وباريس قدر كلمة. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) ساقطة من بولاق.

¹ ربيع ج. ربيع. هي المساكن الجماعية التي تؤجر لأكثر من ساكن. ويقابلها هذا المصطلح كثيرا في النصوص التاريخية والوثائق الأرشيفية. ويبدو أن هذا النوع من المساكن قد عرف في العاصمة المصرية منذ القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي. وأول من أشار إلى الرباع في العصر الفاطمي، الخرومي في كتاب «المهاج»، ٤٤؛ ولكن ناصير خورشو قبله أشار إلى وجود ثمانية آلاف بيت في القاهرة ومصر يؤجرها السلطان للناس وتحصل أيجرتها كل شهر =

فلم تزل جارية في وقفها إلى أن اغتصبتها الوزير الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار فيما أخذ من الأوقاف، وجعلها وقفًا على مدرسته بخط رحنة باب العيد من القاهرة.

وجعلت خوند بركة من جملة هذه الدار قاعة لم يُعمر فيها سوى بوابتها لا غير، وهي أجل بوابات الدور، وقد دخلت أيضًا فيما أخذها جمال الدين، وصارت بيد مباشري مدرسته إلى أن أخذها السلطان الملك الأشرف أبو النصر^(٥) بزمبابي الدقماقي الظاهري، وابتدأ بعملها وكالة في شوال سنة خمس وعشرين وثمان مائة، فكمّلت في رجب سنة ست وعشرين، وغُيّر من الطراز المنقوش في الحجازة بجاني باب الدخول اسم شعبان بن محسن وكتب بزمبابي، فجاءت من أحسن المباني، وتغلوها طباق للشكّتي.

ولم يُستخر في عمارتها أحد من الناس كما أخذته ولادة الشوء في عمائرهم، بل كان العمال من البثائن والفعلة ونحوهم يؤفون أجورهم من غير غنّف ولا عسّيف، فإنه كان القائم على عمارتها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش، وهذه عادته في أعماله أن لا يُكلف فيها العمال غير طاقاتهم، ويدفع إليهم أجورهم^(٦).

(٥) بولاق: أبو العزير. (٦) بولاق: أجورهم، وعلى هامش نسخة أبياصوفيا أمام هذا الموضع: يابض عدة أوراق نحو نصف كراسة.

= (سفرنامه ٨٩). وقد استعمل ناصر بخشرو لفظ «بيت» للتدليل على «الزباج». ووصف بجبل حفظه القلقشندي هذه البيوت بـ«الزباج السلطانية» (صبح الأعشى ١٠: ٤٥٠). وتحصل أجرة هذه الزباج - تبعًا لناصر بخشرو والمقرومي - مُشافرة.

وتعدّ «الزباج» خاصية قاهرية، وهي نوع من البيوت المجهزة، يمكن أن نجد بها ما بين عشرة وخمس عشرة وخانة، كلّ منها يمكن أن يستوعب نحو عشرة أفراد ويغطّيها غرام الناس، وهي بذلك تشبه الـ insula الرومانية

. وتوجد الزباج عادة في الشوارع الكبيرة وبالقرب من الأسواق، على عكس الدور الخاصة، ونادرًا ما يكون بها حوش، وتبنى عادة أعلى صف من الدكاكين أو مطازن البضائع. (راجع: Clerget, M., *Le Caire I*, pp. 316-17; Zakariya, M., «Le rab^e de Tabbāna», *An. Isl. XVI* (1980), pp. 274-97; Raymond, A., «Le rab^e, un habitat collectif au Caire à l'époque ottomane», *MUSJL/3* (1984), pp. 531-51; Fu'ād Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 227-28. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٣٠٣هـ).

ذِكْرُ الْحَمَامَاتِ

(a) الْحَمَامُ مُذَكَّرٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَمِيمِ وَهُوَ الْمَاءُ الْحَارُّ^١، قَالَ ابْنُ سِيدَه : وَالْحَمِيمُ وَالْحَمِيمَةُ جَمِيعًا الْمَاءُ الْحَارُّ، وَالْحَمِيمَةُ أَيْضًا الْمَحْضُ إِذَا سُخِّنَ، وَقَدْ أَحْمَهُ وَحَمَّمَهُ، وَكُلُّ مَا سُخِّنَ فَقَدْ حُمِمَ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : وَالْحَمَائِمُ جَمْعُ الْحَمِيمِ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ الْحَارُّ، وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّ «فَعِيلًا» لَا يُجْمَعُ عَلَى «فَعَائِلٍ»، وَأَمَّا هُوَ يَجْمَعُ الْحَمِيمَةَ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ الْحَارُّ : لَفْعَةً فِي الْحَمِيمِ. [وَالْحَمَامُ : الدَّيْمَاسُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَمِيمِ]^(b) مُذَكَّرٌ، وَهُوَ أُخِذَ مَا جَاءَ مِنَ الْأَسْمَاءِ عَلَى «فَعَالٍ» نَحْوَ الْقَذَافِ وَالْجَبَانِ، وَالْجَمْعُ حَمَامَاتُ. قَالَ سَيِّدُوهُ : يَجْمَعُوهُ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ وَإِنْ كَانَ مُذَكَّرًا حِينَ لَمْ يُكْمَرْ، يَجْعَلُوا ذَلِكَ عَوَضًا عَنِ التَّكْسِيرِ.

وَالِاسْتِحْمامُ الْاغتِسَالُ بِالْمَاءِ الْحَارِّ، وَقِيلَ هُوَ الْاغتِسَالُ بِأَيِّ مَاءٍ كَانَ، وَالْحَمِيمُ الْقَرَقُ، وَاسْتَحَمَ الرَّجُلُ : عَرَقَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ لِدَاخِلِ الْحَمَامِ إِذَا خَرَجَ : «طَابَ حَمِيمُكَ» فَقَدْ يُعْنَى بِهِ [الاستحمام - وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي عُثَيْدٍ]، وَقَدْ يُعْنَى بِهِ^(b) الْقَرَقُ، أَيْ طَابَ عَرَقُكَ. وَإِذَا دُعِيَ لَهُ بِطَبِيبِ الْقَرَقِ فَقَدْ دُعِيَ لَهُ بِالصَّحَّةِ، لِأَنَّ الصَّحِيحَ يَطِيبُ عَرَقَهُ^١.

وَرَوَى عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَا دَرَهَمٌ يُنْفَقُهُ الْمُؤْمِنُ هُوَ فِيهِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ دَرَهَمٍ يُعْطَاهُ صَاحِبُ حَمَامٍ لِيُخْلِيَهُ لَهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ «الْمُبْتَدَأِ» : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْحَمَامَاتِ وَالطَّلَاءَ بِالنُّزَةِ شَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَأَنَّهُ لَمَّا دَخَلَهُ^(c) وَوَجَدَ غَمَّهُ^(d) قَالَ : «أَوَاهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوَاهُ».

وَذَكَرَ الْمُسَبِّحِيُّ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الْقَزِيرَ/ بِاللَّهِ يَزَارُ مِنَ الْمِعْرَ لَدَيْنَ اللَّهِ أَوَّلَ مَنْ بَنَى الْحَمَامَاتِ بِالقَاهِرَةِ^٢.

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) إضافة من المحكم لابن سيدة . (c) بولاق : دخل . (d) بولاق : حميمه .

^١ ابن سيدة : المحكم والمحيط الأعظم ٣٨٥:٢ - ٣٨٦ . الزهور ١/١ : ١٩٢ .

^٢ المسبحي : نصوص ضائعة ٤١٧ ابن لباس : بدائع وراجع عن حمامات مصر والقاهرة ، عبد اللطيف =

وَذَكَرَ الشَّرِيفُ [محمد بن^a] أَشْعَدَ الْجَوَانِي، عَنِ الْقَاضِي الْقُضَاعِي، أَنَّهُ كَانَ فِي مِصْرَ الْقُسْطَاطُ أَلْفَ وَمِائَةٍ وَسَبْعُونَ حَمَّامًا^١.

وَقَالَ ابْنُ الْمُتَوَّجِ: إِنَّ عِدَّةَ حَمَّامَاتِ مِصْرَ فِي زَمَنِهِ بَضْعَ وَسَبْعُونَ حَمَّامًا. وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَنَّ عِدَّةَ حَمَّامَاتِ الْقَاهِرَةِ إِلَى آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ تَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِينَ حَمَّامًا^٢. وَأَقْلَّ مَا كَانَتْ الْحَمَّامَاتُ بِبَغْدَادَ، فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ ابْنِ الْمُشْتَضِيِّ^b، نَحْوَ الْأَلْفَيْنِ حَمَّامًا.

حَمَّامَاتُ السَّيِّدَةِ الْعَمَّةِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: حَمَّامَا الْكَافِي^c يُقَرَّفَانِ بِحَمَّامَتِي السَّيِّدَةِ الْعَمَّةِ، وَانْتَقَلْنَا إِلَى الْكَامِلِ ابْنِ شَاوَرٍ، ثُمَّ إِلَى وَرَثَةِ الشَّرِيفِ بْنِ ثَغْلَبَ، وَهِيَ^d الْآنَ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا تَدُورُ إِلَّا الْوَاحِدَةُ^٣. وَهَذَانِ الْحَمَّامَانِ ذِكْرُهُمَا فِي كُتُبِ الْأَمْلاَكِ الْقَدِيمَةِ كَثِيرٌ جَدًّا، وَهِيَ^e كَانَتَا عَلَى يَمْنَةٍ مِنْ يَدُخْلَ مِنْ أَوَّلِ حَارَةِ الرُّومِ، تَجَاهَ رَمْعِ الْحَاجِبِ لُؤْلُؤًا^f الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِرَبْعِ الزُّيَّاتَيْنِ غُلُوَ الْفُنْدُقِ الَّذِي بَابُهُ بِشُوقِ الشُّوَاتَيْنِ. وَكَانَتْ أَحَدُهُمَا^g يَرْسُمُ الرِّجَالَ، وَالْآخَرَى يَرْسُمُ النِّسَاءَ، وَقَدْ خَرِبْنَا وَلَمْ يَبْقَ لِهَمَا أَثَرٌ أَلْبَتَّةُ^٤.

(a) إضافة اقتضاها السياق . (b) بولاق : المستنصر . (c) بولاق : الكامل . (d) بولاق : وهما . (e-e) من المسودة ، في سائر النسخ : وهاتان الحمامان . (f) ساقطة من بولاق . (g) بولاق : إحداهما .

= البغدادي : الإفادة والاعتبار ٦٩-٧١؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠١-١٠٤ ابن دقماق : الانتصار ١٠٤:٤-١٠٧، جومار : وصف مدينة القاهرة وقلة الجبل ٢١٥-٢٢٣ ودراسني إدموند بوتي Pauty, E., *Les Hammams du Caire*, Le Caire - MIFAO 1933 LXIV، وأندريه ريمون Raymond, A., «La localisation des bains publics au Caire au quinzième siècle d'après les *Khitat* de Maqrîzi», *BEO* XXX (1978), pp. 347-58.

١ انظر فيما تقدم ١٢٥:٢ .
٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠٣، المقرئزي : مسودة الخطوط ٢٠ ظ .
٣ نفسه ١١٠١ نفسه ٢٠ ظ .
٤ المقرئزي : مسودة الخطوط ٢٠ ظ .

حَمَامُ الشَّابَّاطِ

قال ابنُ عبد الظَّاهر: كان في القَصْرِ الصَّغِيرِ بابٌ يُعرَفُ بِبابِ الشَّابَّاطِ، كان الحَلِيفَةُ في العِبدِ يُخْرَجُ منه إلى المَيْدَانِ - وهو الحُرُوفُشَفُ الآن - وإلى المَتَحَرِّ لِيتَحَرَّ فيه الصُّحَايا^١.

قُلْتُ^٢: حَمَامُ الشَّابَّاطِ هذا يُعرَفُ في زَمَنِنَا بِحَمَامِ المَارِشَتَانِ، وهو بِرِشْمِ دُخُولِ النِّسَاءِ عِندَ بابِ سِرِّ المَارِشَتَانِ المَنْصُورِي. وهذا الحَمَامُ هو حَمَامُ القَصْرِ الصَّغِيرِ الغَرِيبِ، ويُعرَفُ أَيْضًا بِحَمَامِ الصُّنَيْمَةِ. فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ الخُلَفَاءِ الفاطِمِيِّينَ مِنَ القَاهِرَةِ، باعَهَا القاضِي مَدِيدُ الدِّينِ^٣ أَبُو المَنْصُورِ مُحَمَّدُ بنُ المُتَنَبِّهِ بنَ مُحَمَّدِ العَدْلِ الأَنْصَارِيِّ الشَّافِعِيِّ، وَكَيْلُ يَتِّتِ المَالِ فِي أَهْلَامِ المَلِكِ الغَزِيْرِي عُثْمَانُ بنَ صَلاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بنِ أَهْوَ، لِلأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَتَيْكَ الغَزِيْرِي، هِيَ وَساحاتُ تُحاذِيها، بِأَلْفٍ وَمائَتِي دِينَارٍ فِي ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسَ مائَةٍ. ثُمَّ باعَهَا الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَتَيْكَ لِلشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ قَائِمَازِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الحَمَوِيِّ التَّاجِرِ بِأَلْفٍ وَسِتِّ مائَةِ دِينَارٍ، فَوَرِثَهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ اسْتَحَقَّ إِرْثِهِ، ثُمَّ اشْتَرَى مِنَ الوَرِثَةِ نَصْفَهَا الأَمِيرُ الفَارِسُ صَارِمُ الدِّينِ خَطْلَبَا الكَامِلِيِّ العادِلِيِّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مائَةٍ - وَخَطْلَبَا هَذَا هُوَ صَاحِبُ الحِكْرِ الَّذِي خَارَجَ بِابِ الخُوخَةِ المَعْرُوفِ بِحَكْرِ الفَارِسِ خَطْلَبَا وَقَدْ ذُكِرَ فِي الأَحْكَارِ^٤ - وَانْتَقَلَتْ أَيْضًا مِنْهَا حِصَّةٌ إِلَى مَلِكِ الأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ أَتَيْدَكِينَ البَنْدُقدَارِيِّ الصَّالِحِيِّ التُّجَمِيِّ، أَشْأَذَارُ المَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرسَ^٥، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مائَةٍ.

فَلَمَّا تَمَلَّكَ المَلِكُ المَنْصُورُ قَلَاوُونَ الأَلْفِي، وَأَنْشَأَ المَارِشَتَانِ الكَبِيرَ المَنْصُورِي، صَارَتْ فِيما هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ، وَهِيَ الآنَ فِي أَوْقافِهِ، وَلِها شَهْرَةٌ فِي حَمَامَاتِ القَاهِرَةِ^٦.

(a) مسودة الخطط: قال المؤلف. (b) بولاق: مؤيد الدين. (c-c) إضافة من مسودة الخطط.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٢، القرطبي: ٤٢٠. ٢ انظر عنه فيما يلي ٢: ٤٢٠. ٣ المسودة الخطط ٢٠٠؛ وفيما تقدم ١٠١: ٥٠١. ٤ القرطبي: مسودة الخطط ٢٠٠ - ٢١٠. ٥ فيما يلي ٣٩٩ - ٤٠٠.

٥) حمام ابن حباب

بالخراطين الآن المعروف قديماً بالقشاشين وهي الآن جارية في أوقاف الأمير جمال الدين يوسف الأشتادار على مدرسته برحبة باب العيد ، وفيها نِزاع^١ .

حمام الصنينة

هذه الحمام كانت بالقرب من خزانة البثود ، على يشرة من سلك في رحبة باب العيد إلى قصر الشوك ، وقد خربت وغُيِّلَ في موضعها مَبِيضَةٌ للغزل بالقرب من الجمالية^٢ .

حمام شر

هذه الحمام كانت بَحْطُ دار الوزارة الكبرى ، وقد خربت وصار مكانها داراً عُرفَت بالأمير الشيخ علي ، وهي الدار المجاورة للمدرسة النابلسية في الزقاق المقابل لباب^٣ الخانقاه الصلاحية سعيد الشقاء^٤ .

وقر هذا - بتأين مفتوحين كل منهما منقوت بنقطتين من فوق - أخذ تمالكك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، استولى على هذه الحمام ، وكانت مُعَدَّة لدار الوزارة في مُدَّة الدولة الفاطمية ، فغُرِّقَ به هي^٥ وما حوَّلها . وإلى الآن يُعرَف ذلك الحُطَّ بِحُطِّ خَرَّابِ تَر ، والعائنة تقول : خَرَّابِ التَّر بالتعريف ، وهو خطأ^٦ .

حمام كوجي

هذه الحمام كانت بِحُطِّ خَرَّابِ تَر أيضاً ، في جوار المدرسة النابلسية تجاه باب الخانقاه الصلاحية . عُرفَت بالأمير عَلم الدين كوجي الأسدي ، أخذ الأمراء الأسديَّة في أيام السلطان

(a-a) ساقطة من بولاق ، وجاء موضعها : حمام لؤلؤ . وسرد فيما يلي ٢٨٣ . (b) ساقطة من بولاق .

^٣ نفسه ٢١٠ .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٢١٠ .

^٤ نفسه ٢١٠ .

^٢ نفسه ٢١٠ .

صلاح الدين يوسف بن أيوب^١. وقد خربت هذه الحمام ، ونُي في مكانها هذا البناء الذي يَجَاه باب الخائقاء بأول الرُّقاق .

حَمَامُ كُتَيْبَةَ

هذه الحمام كانت داخل باب الخُوخَة برأس سُوَيْقَة الصَّاحِب ، عُرِفَتْ أخيراً بالأمير صارم الدين ساروج شاذ الذراوين في أيام^(a) ،^(b) على يَسْرَة من سَلَك من سُوَيْقَة الصَّاحِب إلى باب الخُوخَة^(c) ثم خربت . ومكانها الآن مَسْمَطٌ تُذْبَح فيه الغنم وتُسَمَط^(d) .

حَمَامُ ابْنِ أَبِي الدَّم

هذه الحمام كانت فيما بين سُوَيْقَة المَسْعُودِي وباب الخُوخَة ؛ أنشأها^(e) ابن أبي الدَّم اليهودي ، أخذ كُتَاب الإنشاء في أيام الخَلِيفَة الحَاكِم ، وتَوَلَّى ابن خَيْرَان الدِّيوان ، ونُقِلَ عنه أَنَّهُ وَشِع بين السُّطُور في كِتَابٍ كَتَبَهُ إلى الخَلِيفَة عن^(f) وهذه مُكَاتِبَة الأَعْلَى إلى الأَدْنَى ، فَلَمَّا حَضَرَ وَأَنْكَبَر عليه ، أُلْحِقَ بين السُّطُر والسُّطُر سَطُوراً من نَشْبَة اللَّفْظ^(g) والمعنى من غير أن يَظْهَر ذلك ، فَقَعَا عنه .

وقد خربت ،^(h) وصارَ مكانها دَرْباً فيه دُور يُعْرِف بِسَكْن القَاضِي بَذَر الدِّين حَسَن البُرْدِينِي⁽ⁱ⁾ . أخذ خُلَفَاءُ الحُكْم العَزِيز^(j) الشَّافِعِي . وأدرَكَت بعض آثار هذه الحمام^(k) .

حَمَامُ الحَصِينِيَّة

هذه الحمام كانت في سُوَيْقَة الصَّاحِب من داخل دَرْب الحَصِينِيَّة ، الذي يُعْرِف اليوم بِدَرْب ابن عَرَب ، وقد خربت^(l) .

(a) هنا على هامش آياصوفيا : بياض سطر . (b-b) إضافة من مسودة المخطوط . (c) بياض قدر كلمة في آياصوفيا وباريس . (d) بولات : مناسباً للفظ . (e-e) عوضاً عن هذه العبارة في مسودة المخطوط : وآثار عقود حاصل الماء باقية في الدرب الذي هو سكن صاحبنا القاضي بذر الدين حسن بن البردني . (f) بولات : العزيزي .

^٢ نفسه ٢١ ط .

^١ المقرئ : مسودة المخطوط ٢١ و- ط .

^٤ نفسه ٢١ ط .

^٢ نفسه ٢١ ط .

حَمَامُ الذَّهَبِ

هذه الحَمَامُ كانت بدار الذهب - إحدى مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذُكِرَتْ في المناظر من هذا الكتاب^١ - وقد خَرِبَتْ هذه الحَمَامُ ولم يَبْقَ لها أثرٌ^٢.

١ حَمَامُ ابْنِ قُرْقُوتَ

هذه الحَمَامُ كانت بِحُطَّ سُوَيْقَةَ المَشْعُودِي من حازة زَوَيْلَة . أنشأها أبو سَعِيد بن قُرْقُوتَ الحكيم ، مُتَوَلِّي الاستعمالات بدار الدِّيَّاج وخَزَائِن السِّلاح في الدَّوْلَة الفاطمية ، بجوار داره التي تَقَدَّمت في الدَّور من هذا الكتاب^٣ . ثم عُرِفَتْ هذه الحَمَامُ في الدَّوْلَة الأيوبيَّة بالأَمِير صَارِم الدِّين المَشْعُودِي والي القَاهِرَة ، المُتَسَوِّب إليه سُوَيْقَةَ المَشْعُودِي المذكورة في الأسواق من هذا الكتاب^٤ .

ثم خَرِبَتْ هذه الحَمَامُ ، وعُمِلَ في مَوْضِعِهَا فُنْدُقٌ عُرِفَ أخيراً بِفُنْدُقِ عِمَادَة^٥ الحَمَامِي بجوار جامع^٦ بني المَقْرِي من جانبه الغَرْبِي ، وأُخِذَتْ بِقُرْ هذه الحَمَامُ فَعُمِلَتْ لِلحَمَامِ التي تُعْرَفُ اليَوْمَ بِحَمَامِ السُّلْطَانِ^٧ .

حَمَامُ السُّلْطَانِ

هذه الحَمَامُ يُتَوَصَّلُ إليها الآن من سُوَيْقَةَ المَشْعُودِي ومن قَنْطَرَة الموشكي ، وهي من الحَمَامَاتِ القَدِيمَة . عُرِفَتْ في الدَّوْلَة الفاطمية بِحَمَامِ الأَوَّحَد وهو^٨ ، ثم عُرِفَتْ في الدَّوْلَة الأيوبيَّة بِحَمَامِ ابْنِ يَحْيَى ، وهو القاضي المُفْضِلُ هَبَّةُ اللَّهِ بن يَحْيَى القُدْل ، ثم عُرِفَتْ بِحَمَامِ الطَّيْبِزَس ، ثم هي الآن تُعْرَفُ بِحَمَامِ السُّلْطَانِ^٩ .

(a) بولاق : عمار . (b) في بولاق والنسخ : ابن والتصويب من مسودة الخطط . (c) على هامش أباصوفيا هنا : ياض سطر .

^١ فيما تقدم ٥٣٦:٢-٥٣٧ ، وهذا المجلد ٢٠٦ - ^٤ فيما يلي ٣٤٩ .

٢٠٧ ، وفيما يلي ٣٢٨ : ^٥ المقرري : مسودة الخطط ٢١ ظ ، ٢٩ و .

^٦ نفسه ٢٤ و . ^٧ المقرري : مسودة الخطط ٢١ ظ .

^٨ وأضاف ابن أبي السرور البكري : «والآن تُعْرَفُ = ^٩ فيما تقدم ٢٠٤ .

حمّام خوّند

(بحارة زويلة^٥)

هذه الحمّام بجوار رَحْبَة خوّند المذكورة في الرّحاب من هذا الكتاب^١. وكانت يرسم النّار التي تُعرف الآن بدار خوّند أَرْدُووثكين، ثم أُفِرِدَتْ وصارت إلى الآن حمّامًا يدخله عامّة الرّجال في أوائل النّهار، ثم تَقْبُهم النّساء من بعد إلى أن هدَمَهَا الأمير صلاح الدّين محمد أشتادار الشّلطان ابن الأمير الوَزيز الصّاحب بَدْر الدّين حَسَن بن نَصْر الله، في شهر رَجَب سنة أربع وعشرين وثمان مائة، وعَمِلَ مَوْضَعَهَا من جملة دَارِهِ التي هناك^٢.

حمّام ابن عبّود

هذه الحمّام موضعها فيما بين إسْطَبْل الجَمِيْزة، المذكور في إسْطَبْلَات الخُلَفَاء من هذا الكتاب، وبين رأس حارة زويلة، وهي من الحمّامات القَدِيْمَة. عُرِفَتْ بِحَمّام الفَلَك، وهو القاضِي فَلَكُ الْمَلِكِ الْعَدْل^٣؛ ثم عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ عَلِيّ بن أَبِي الْفَوَّارِس؛ ثم عُرِفَتْ بِابْنِ عَبّود، وهو الشَّيْخ نَجْم الدّين أَبُو عَلِيّ الْحُسَيْن بن محمد بن إِسْمَاعِيل بن عَبّود الْقُرْشِي الصُّوفِي، مات في يوم المُنْمَعَة ثَالِثَ عَشْرِينَ سَوَّال سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، بعد ما عَظُمَ قَدْرُهُ، وَنَقَذَ في أَرْبَاب الدَّوْلَةِ نَهْيُهُ وَأَمْرُهُ. وهو صَاحِبُ الزَّوَايَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِزَاوِيَةِ ابْنِ عَبّود بَلْخَفِ الْجَبَلِ قَرِيبًا مِنَ الدِّيَنْوَرِي مِنَ الْقَرَّافَةِ الصُّغْرَى^٤، فَانْظُرْهَا في الزَّوَايَا من هذا الْكِتَاب^٥.

ولم تَزَلْ هذه الحمّام جاريةً في أَوْقَافِ الثَّرْبَةِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى أَنْ تَسَلَّطَ الْأَمِيرُ حَمَالُ الدّين عَلَى أَمْوَالِ أَهْلِ مِصْرَ، فَاعْتَصَبَ ابْنُ أُخْتِهِ الْأَمِيرُ شِهَابُ الدّين أَحْمَدُ، الْمَعْرُوفُ بِسَيِّدِي أَحْمَدِ ابْنِ

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b) بولاق: العادل. (c) إضافة من مسودة الخطوط.

= بحمام قنطرة الموشكي بجوار المدرسة المرادية (قطف) ذكرها المقرئ في مسودة الخطوط ٢٤ و بكلمتين: الأزهار ١٦٩ ط.

حمّام خوّند بحارة زويلة.

^١ فيما تقدم ١٦٤.

^٢ لم يذكرها في باب الزوايا!

أخت جمال الدين، هذه الحمام^١، واغتصَب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، واغتصَب آذراً أخر بجوارها، وعَمَر هناك داراً عظيمة كما قد ذُكر في الدور من هذا الكتاب^٢.

حَمَامُ الصَّاحِب

هذه الحمام بشوَيْقَة الصَّاحِب^٣، عُرِفَت بالصَّاحِب الوزير صَفِي الدين عبد الله بن شُكْر الدُّميري، صاحب المدرسة الصَّاحِبِيَّة التي بشوَيْقَة الصَّاحِب، ثم تَعَطَّلَت مُدَّة سنين. فلَمَّا وَلِيَ الأمير تاج الدين الشُّونكي ولاية القاهرة في أيام الملك المؤيَّد شَيْخ جَدَّدَهَا، وأدار بها الماء في سنة سبع عشرة وثمان مائة.

حَمَامُ السُّلْطَان

هذه الحمام كان موضعها قَدِيمًا من جملة دار الدِّياج، وهي الآن بِحُط بين القواميد من البُنْدُقَانِيين، بجوار خُوخَة شوق الجَوَار ومدرسة سَيْف الإسلام. أنشأها الأمير فَخْر الدين عُثْمَان ابن قَزَل أَسْتَاذ السُّلْطَان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيُّوب، وتنقَّلت إلى أن صارت في أَوْقَافِ الملك الناصر محمد بن قلاوون^٤.

حَمَامُ طُغْرَيْل^(a)

هاتان الحمامان ^(b) بجوار فُنْدُق فَخْر الدين بالقرب من شوَيْقَة حازة الوِزِيرِيَّة^(b). أنشأهما الأمير جَسَامُ الدين طُغْرَيْل^(a) المَهْراني أَخَذَ الأَمْرَاء في الدَّوْلَة^(c) الأتُويَّة^(c).

(a) بولاق : طغريك . (b-b) عوضاً عن ذلك في مسودة الخطط : على يسرة من سَلَك من فُنْدُق فَخْر الدين طالبا والي شوَيْقَة الوِزِيرِيَّة . (c) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقريري : مسودة الخطط ٢٤ و .
^٢ فيما تقدم ١٩١ .
^٣ لم يذكر المقريري في مسودة الخطط ٢٤ ط، أكثر من هذه العبارة، وانظر فيما يلي ٣٤٥ .
 (قطف الأزهار ١٧٠ و) .
^٤ المقريري : مسودة الخطط ٢٤ ط .
 نفسه ٢٤ ط .

« حَمَامُ الْفَاضِل »

(a) ١.

حَمَامُ الشُّوبَاشِي

- هذه الحَمَامُ كانت بِدَرْبِ طَلَائِعِ بَحْطِ الْخُرُوقِينَ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ الْفَرَائِينَ ، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ الْفَارِسِ عُمَامِ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ بَزْغَشِ الشُّوبَاشِي ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ كَمُجَتِ بْنِ شَيْرَكَ الْقَزْزِي ، وَالِي الْقَاهِرَةِ ^٢ .

حَمَامُ عَجِيْبَةِ (b)

- هذه الحَمَامُ كانت بِحُطِّ الْأَكْفَانِيِّينَ ، أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ ، أَخُو الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ مُوسَى ، فِي الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ ، وَتَنَقَّلَتْ حَتَّى صَارَتْ بِيَدِ أَوْلَادِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَاسِ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ مِمَّا أَوْقَفَ عَلَيْهِمَ ، وَعُرِفَتْ أَخِيرًا بِحَمَامِ عَجِيْبَةٍ ^(b) ، ثُمَّ خَرِبَتْ بَعْدَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَمَوْضِعُهَا الْآنَ خَرِبَةٌ بِجَوَارِ الْفُنْدُقِ الْكَبِيرِ الْمُقَدِّ لِديوانِ الْمَوَارِيثِ ^٣ .

حَمَامُ دُرِّي

- هذه الحَمَامُ كانت بِحُطِّ الْأَكْفَانِيِّينَ الْآنَ ، عُرِفَتْ بِشِهَابِ الدَّوْلَةِ دُرِّي الصَّغِيرِ غُلَامِ الْمُظْفَرِ ابْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ .
- ١٥ قَالَ الشَّرِيفُ النَّشَابَةُ ^(c) مُحَمَّدُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيِّ ^(c) الْجَوَانِي فِي كِتَابِ «التَّقَطُّ لِنَعْجَمِ مَا أَشْكَلَ مِنَ الْخِطَطِ» وَمِنْهُ نَقَلْتُ ^(c) : شِهَابُ الدَّوْلَةِ دُرِّي - الْمَعْرُوفُ بِالصَّغِيرِ الْمُظْفَرِيِّ - غُلَامُ الْمُظْفَرِ

(a-a) إضافة من مسودة المخطوط . (b) بولاق : عجيبة . (c) زيادة من مسودة المخطوط .

^٣ نفسه ٢٩ و .

^١ المقرئ : مسودة المخطوط ٢٤ ط .

^٢ نفسه ٢٩ و .

ابن^(a) أمير الجيوش^(b). كان أزمئياً وأسلم، وكان من المتشددين^(c) في مذهب الإمامية، وقرأ «الجملة» في الشحو للرجاجي، وكتاب «اللمع» لابن جني. وكانت له خرائط من القطن الأبيض في يديه ورجليه، وكان يتولى خزائن الكشوة، ولا يدخل على بسط السلطان^(d) ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله، ولا يدخل مجلسه إلا بتلك الخرائط في رجله، ولا يأخذ من أحد رُقعة إلا وفي يديه خريطة: يظن أن كل من لمسها نجسه؛ وشوشت منه. فإن^(e) اتفق أنه صافح أحداً، أو مس رُقعة بيده من غير خريطة، لا يحس ثوبه بها أبداً حتى يغسلها، فإن مس^(f) ثوبه بها غسل الثوب. وكان الأستاذون المحنكون يزعمون له في بساط الخليفة الحافظ العتب، فإذا مشى عليه وانفجر توصل^(g) ماؤه إلى رجله سَهَم^(h) وخرد، فيعجب الخليفة ذلك ويضحكه، ولا يؤاخذ به بما يضر منه. ومات بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة^١.

وقد خربت هذه الحماة، ولم يبق لها أثر يُعرف.

حماة الرضا صي

هذه الحماة كانت بحارة الدليم، أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبي الهيثم المرواني، حامل سيف المنصور، وأوقفها هي وجميع الأذر المجاورة لها على أولاده وذريته. فلما زالت الدولة الفاطمية، عرفت بالأمير عز الدين أيتك الرضا صي، ولم تزل باقية إلى بعد سنة أربعين وسبع مائة ثم خربت^٢.

حماة الجيوش صي

هذه الحماة كانت بحارة يزجون على يمتة من دخل من رأس الحارة، وكانت من حقوق دار المظفر بن أمير الجيوش، ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما أوقفه الملك العادل أبو بكر بن أيوب على رباطه الذي كان بخط النحالين⁽ⁱ⁾ من قسطنطين مصر. ثم وضع بنو الكوك،

(a) ابن : ساقطة من بولاق . (b) في مسودة الخطوط عرضاً عن ذلك : أخي الأفضل . (c) بولاق : للمتشددين . (d) مسودة الخطوط : السلاطين . (e) بولاق : فإذا . (f) بولاق : لمس . (g) بولاق : ووصل . والثبت من المسودة . (h) بولاق : سيهم . (i) بولاق : النحالين .

أضهار قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، أيديهم عليها في جملة ما وضَعُوا أيديهم عليه من الأوقاف بجاهه^(a) ابن جماعة، وانتفعوا بربيعها مُدَّة سنين، ثم خَرَبوها بعد سنة أربعين وسبع مائة. ومَوْضِعُهَا الآن بجوار دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرائُلسي، وبعضُها داخل في الدَّار المذكورة، وبُغِزَها بجوار القَبْرِ الذي يُعَلِّك من تحته إلى حَمَّام الرُّومِي داخل حارة بَرْجوان، ويَغْلُو هذا القَعْد حاصلُ الماء الذي للحَمَّام، ويمُرُّ على مجراه من حَجِيرٍ^(b) مُرَكَّبَةٍ على جدارٍ بجوار القَبْرِ إلى الحَمَّام المذكورة، وآثَارُ هذا الجدار باقية إلى اليوم^١.

وكان قد استأجر هذه البئر والقَبْر بعد تَعَطُّل الحَمَّام القاضي أبو الفداء تاج الدين إسماعيل ابن أحمد بن الخطَّاب الحَزْرَمِي^٢، من مُباشِرِي أوقاف رباط العادل، وبَنَى على البئر وبجوارها دارًا سَكَنَهَا مُدَّة أعوام، وأنشأ بأعالي^(c) حاصل الماء المُرَكَّب على القَبْرِ مُشْتَرَفًا^(d) عاليًا تَأْنَق في تَرْخيمه وِدْهَانِه، وَكَتَبَ بِدَائِرِه:

[الخفيف]

مُشْتَرَفٌ كَمَ شَبْهِهِ الْأَدْبَا	لَحْشِيهِ إِذْ جَاءَ شَيْئًا عَجَبِيَا
فَقَالَ قَوْمٌ فَلَعَةً مَبْنِيَةً	وَأَخْرَوْنَ شَبْهِهُ مَرْقَبَا
وَشَاعِرٌ أَعْجَبَهُ تَرْخِيمُهُ	فَقَالَ تِلْكَ رَوْضَةٌ فَوْقَ الرُّبَا
وَقَائِلٌ مَاذَا تَرَى تَشْبِيهِهِ	فَقُلْتُ هَذَا مِثْرُ ابْنِ الْخَطْبَا

ثم خَرِبَتْ هذه الدَّارُ بعد مَوْتِ ابْنِ الْخَطْبَا وَاحْتَرَقَتْ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ، وَآثَارُهَا بَاقِيَةٌ. وما زال ابن الخطَّاب يدفع جُكْرَ هذه البئر وهذا القَبْرَ لجهة الرُّبَا العادلي حتى خَرِبَ، وَعَقَى أثره وَجْهَلْ مَكَائِه. وقد رأيتُه في سنة أربع وتسعين وسبع مائة عامرًا.

حَمَّامُ الرُّومِي

هذه الحَمَّامُ بجوار حارة بَرْجوان، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ سُنْقُرِ الرُّومِي الصَّالِحِي، أَخَذَ الْأَمْرَاءُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُحْنِ الدِّينِ بَيْزَسُ الْبُنْدُقداري،^(e) كَانَ مَوْجُودًا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^(٣)،

(a) بولاق : بحارة . (b) بولاق : حجرة . (c) بولاق : بأعلى . (d) بولاق : مشرقا . (e-e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٢٩ و-ظ .

^٢ المقرئ : مسودة الخطط ٢٩ و-ظ .

^٣ المقرئ : مسودة الخطط ٢٩ و-ظ .

أنشأها بجوار إسطنبول الذي يُعرف اليوم بإسطنبول ابن الكوك، وذلك تجاه رَحْبَة داره التي عُرِفَتْ بدار مازان، ووَقِفَ هذه الدَّار والإسطنبول والحمام المذكورة في سنة اثنتين وستين وست مائة.

فأما الدَّار فإنها صارت أخيراً بيد رجلٍ من عاتمة النَّاس يُعرف بعيسى البهاء، فباعها أنقاصاً بعدما خَرَبَتْها في سنة سبع وثمان مائة، لرجلٍ من المباشرين، فهذَّما ليعمرها عِمارةً جليَّةً، فلم يُنْهَلْ وعاجله القضاء فمات وصارت خربة، فابتاعها بعض النَّاس من وَرَثَةِ المذكور، وسَرَعَ في عِمارة شيء منها.

وأما الإسطنبول والحمام، فَوَضَعَ بنو الكوك أُنْدِيَهُم عليهما مَدَّة أعوامٍ حتى صاروا يملكها لهم يُوزَّنان، وهما الآن بيد شرف الدِّين محمد بن محمد بن الكوك، وقد جفَلَ ما يخصُّه من الحمام وَقفاً على نفسه ثم على أناسٍ من بعده.

وفي هذه الحمام أيضاً حِصَّةً وَقَفَهَا شَيْخُنَا يُوهَانُ الدِّين إبراهيم الشامي الضَّرير على أَمَتِهِ وهي بيدها.

سَنَقُرُ الرُّومِي الصَّالِحِي النُّجْمِي - أَحَدُ تَمَالِيكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّين أَيُّوبَ الْبَحْرِيَّةِ، تَرْقَى عِنْدَهُ فِي الْحَدَمِ حَتَّى صَارَ جَائِدَارَ، وَكَانَ مِنْ خُوشْدَاشِيَّةِ بِيَّيُوسُ الْبُنْدُقْدَارِي وَأَصْدِقَائِهِ. فَلَمَّا قُتِلَ الْفَارِسُ أَقْطَايَ فِي أَيَّامِ الْمِعْرَ أَيْتِكِ التُّرْكْمَانِي، وَخَرَجَتْ الْبَحْرِيَّةُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، كَانَ شَتُّرٌ مِّنْ خَرَجٍ وَرَافِقٌ بِيَّيُوسُ، وَارْتَفَقَ بِصُحْبَتِهِ وَنَالَ مِنْهُ مَالاً وَثِيَاباً وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَتَنَقَّلَ مَعَهُ فِي الْكُوكِ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الصَّيْدِ مَعَ صَاحِبِ الْكُوكِ، فَطَلَبَ شَتُّرٌ مِنْ بِيَّيُوسُ شَيْئاً فَلَمْ يُجِبْهُ، وَامْتَنَعَ مِنْ إِعْطَائِهِ، فَحَتَّقَ وَفَارَقَهُ إِلَى مِصْرَ فَأَقَامَ بِهَا.

ثُمَّ إِنَّ بِيَّيُوسَ قَدِمَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ صَارَ أَمِيرًا، فَلَمْ يَغْبَأْ شَتُّرٌ بِهِ، وَلَا قَدَّمَ إِلَيْهِ شَيْئاً كَعَادَةِ الْخُوشْدَاشِيَّةِ. فَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى بِيَّيُوسَ، وَمَلَكَ بَعْدَ قُطْزٍ، قَدِمَ شَتُّرٌ وَأَعْطَاهُ الْإِقْطَاعَاتِ الْجَلِيلَةَ وَنَوَّهَ بِقُدْرِهِ فَلَمْ يَرْضَ، فَصَارَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْإِنْعَامُ السُّلْطَانِي لَا يَأْخُذْهُ بِقَبُولِ، وَيُخْلُو كُلُّ وَقْتٍ بِجَمَاعَةٍ بَعْدَ جَمَاعَةٍ، وَيَفْرُقُ فِيهِمُ الْمَالَ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ السُّلْطَانُ وَيُغْضِي عَنْهُ، وَرُبَّمَا بَعَثَ إِلَيْهِ وَخَذَرَهُ مَعَ الْأَمِيرِ قَلَاوُونَ وَغَيْرِهِ فَلَمْ يَنْتَه.

ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ تَمْلُوكَيْنِ مِنْ مَمَالِيكِهِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، فَعَزَّ قَتْلُهُمَا عَلَى السُّلْطَانِ، فَطَلَبَتْهُ فِي رَابِعِ عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ وَاعْتَقَلَهُ. فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ ذَنْبِي. فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ يُعَدُّ دُنُوبَهُ، فَتَحَسَّرَ وَقَالَ: أَوَاهُ لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا قَتَلَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرُ قُطْزَ حَتَّى أَعَانِدَ فِي الَّذِي

يجزى . وكان كثيرًا ما يقول ذلك ، وتَلَع هذا القولُ منه السلطان في حال إِمْرَتِهِ ، فقال : أنت أنحي ، وتتحشر كَوْنُكَ ما قَدَرْتَ أن تُعَيِّنَ عليّ .^(a)

حمام سُؤيد

هذه الحمامُ بآخِر سُؤيَّة أمير الجيوش ، عُرِفَتْ^(b) بالأمير عَزَّ الدِّين مَعالي ابن سُؤيد^(c) و^(d)كانت بجانبها حمامُ أخرى^(d) خَرِبَتْ^١ - ويُقال إنها غازت في الأرض ، وهَلَكَ فيها جماعةٌ - وبقيت الأخرى ، وهى الآن بيد الخليفة أبي الفضل القباس^(e) ابن محمد الموقل .

حمام طغلق

هذه^(f) الحمامُ بجوار دُزب المنصوري من حُط حازة الصالحية . صارت أخيرًا بيد وَرَثَةِ الأمير قُطْلُوبغا المنصوري حاجب الحُجَّاب في أَيَّام الملك الأشرف شُعبان بن حسين . وكانت مُعَدَّة^{١٠} لدُخُول الرِّجال ، ثم تَقَطَّلت بعد سنة تسعين وسبع مائة وأُخِذَ حاصِلُها . وعُهِدَ بها بعد سنة ثمان مائة أَطْلالًا واهية^٢ .

حمام ابن غلكان

هذه الحمامُ كانت بحازة الجَوْدَرِيَّة ، أنشأها الأمير شُجاع الدِّين عُثمان بن غلكان ، صَهِر الأمير الكبير فَخْر الدِّين عُثمان بن قَزَل ، ثم انتقلت إلى الأمير عَلم الدِّين سِنِجَر الصُّيُوفِي الصَّالحِي^{١٥} النُّجْمِي ، وما زالت إلى أن خَرِبَتْ بعد سنة أربعين وسبع مائة ، فَتَمَرَّ مَكَانُها الأميرُ أَزْدَمَر الكاشِفِ إِسْطَبَلًا بعد سنة خمسين وسبع مائة^٣ .

(a) يياض بنسخة باريس . (b) في المسودة وسائر النسخ الحديث عن حمام سويد بصيغة المفرد وجاءت في بولاق بالثنى : حماما ، هاتان الحمامان ، عرضا (c) يياض في آياصوفها . (d-d) إضافة من مسودة الخطط ، والعبارة في سائر النسخ : وقد خربت إحداهما . (e) بولاق : العباسي . (f) بولاق : هذا .

^٣ نفسه ٢٩ ط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٢٥ و .

^٢ نفسه ٢٩ ط .

حَمَامُ الصَّاحِبِ

هذه الحمامات بِحُطِّ طَوَاجِينِ الْمِلْحِيِّينَ^١.

حَمَامُ كُنُشْبِيحَا^(a) الْأَسَدِيِّ

هذه الحمامات موضعها الآن المَدْرَسَةُ النَّاصِرِيَّةُ بِحُطِّ بَيْنِ الْقَضَرَيْنِ^٢.

حَمَامُ أَلْتَطْمُشْ خَان

هذه الحمامات كانت بجوار مَيْصَنَاءَ الْمَلِكِ رُكْنِ الدِّينِ الظَّاهِرِ بَيْبَرْسَ المجاورة للمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِحُطِّ بَيْنِ الْقَضَرَيْنِ. أَنشَأَهَا الْخَاتُونُ أَلْتَطْمُشْ خَان ، زَوْجَةُ الْمَلِكِ (b) السَّمِيدِ بْنِ الْمَلِكِ (b) الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرْسَ ، ثُمَّ خَرِبَتْ وَصَارَ مَوْضِعُهَا رُقَاقًا . فَلَمَّا وَلِيَ كِمَالُ الدِّينِ عُثْمَانُ بْنُ الْعَدِيمِ قَضَاءَ الْقَضَاةِ الْحَقِيقَةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ قَرَجَ ، سَرَعَ فِي عِمَارَةِ هَذَا الرُّقَاقِ فَمَاتَ وَلَمْ يُكْمِلْهُ ، فَوَضَعَ الْأَمِيرُ جِمَالُ الدِّينِ يَدَهُ فِي الْعِمَارَةِ ، وَأَنْشَأَهَا فُنْدُقًا جَعَلَهُ وَقْفًا فِيمَا وَقَفَ عَلَى مَدْرَسَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ . فَلَمَّا قَتَلَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَجَ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى جَمِيعِ مَا تَرَكَهُ ، جَعَلَ هَذَا الْفُنْدُقَ مِنْ مَجْمَعَةٍ مَا أَرْضَدَهُ لِلثَّرْوَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِزُقُوقِ حَارِجِ بَابِ النَّصْرِ . (b) فَلَمَّا قُتِلَ النَّاصِرُ قَرَجَ نَارَعَ وَرَثَتُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَحَكَمَ لَهُمْ بِاسْتِزْجَاعِهَا قَاضِي الْقَضَاةِ صُدْرُ الدِّينِ بْنِ الْأَدَمِيِّ الْحَقْفِيِّ ؛ نَازَعَهُمْ فِي الْفُنْدُقِ الْمَذْكُورِ الْأَمِيرُ شَاهِينُ الْأَفْزَمِ وَكَانَ يَلِي نَظَرَ الثَّرْوَةِ الْمَذْكُورَةِ (a)^١.

حَمَامُ الْقَاضِي

هذه الحمامات من جملة حُطِّ دَرْبِ الْأَسْوَانِيِّ ، وَهِيَ مِنَ الْحَمَامَاتِ الْقَدِيمَةِ . كَانَتْ تُعْرَفُ بِإِنْشَاءِ شِهَابِ الدَّوْلَةِ بِدَرِ الْخَاصِّ أَخَذَ رِجَالَ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ . ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى مِلْكِ الْقَاضِي رَضِي الدِّينِ

(a) بولاق : كُتِبَ . (b-b) زيادة من مسودة الخطوط .

^٢ نفسه ٣٠ و .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٢٩ ظ .

^٢ نفسه ٣٠ و .

عبد الناصر بن تقي الدين فُغرِقت به ، ثم صارت إلى مِلْك القاضي السعيد أبي المعالي هبة الله ابن فارس ، وصارت بعده إلى مِلْك القاضي كمال الدين أبي حامد محمد ابن قاضي القضاة صَدْر الدين عبد الملك بن دِزْباس الماراني ، فُغرِقت بِحُكَّام القاضي إلى اليوم . ثم باع وَرَثَةُ أبي حامد منها حصَّةً للأمير عَزَّ الدِّين أَيْدُمَر الحَلْبِي نَائِب السُّلْطَنَة في أيام الملك الظاهر رُكْن الدِّين بَيْبُزَس ، وصارت منها حصَّةً إلى الأمير علاء الدِّين طَبِيزَس الحازِنْداري ، فجعلها وَقفاً على مَدْرَسَتِهِ المجاورة للجوامع الأزهر^١ .

حُكَّامُ الْحَرَّاطِين

هذه الحُكَّامُ أنشأها الأميرُ نُورُ الدِّين أبو الحسن علي بن نَجْمَا بن راجح بن طلائع ، فُغرِقت بِحُكَّام ابن طلائع ، وكان بجوارها ثَمَّ حُكَّامُ أخرى تُعرَف بِحُكَّام الشُّوباشي فُحْرِيت . ومُشتَوِّد حُكَّام ابن طلائع هذه إلى الآن من دَرْب ابن طلائع الشَّارع بشوق الفَرَّائِن الآن ، ولها منه أيضًا باب^{١٠} . وصارت أخيراً في وَقْف الأمير عَلَم الدِّين سِنْجَر المُشْروري^{١١} المعروف بالحِطَّاط ، والي القاهرة وتوفي في سنة ثمانٍ وتسعين وست مائة^٢ . فاغْتَصَبَهَا الأميرُ جَمَالُ الدِّين يُوسُف الأُسْتَاذَار في جملة ما اغْتَصَب من الأَوْقاف والأَمْلاك وغيرها ، وجعلها وَقفاً على مَدْرَسَتِهِ بِرَحْبَةِ باب العيد ، وهي الآن مَوْقُوفَةٌ عليها^٣ .

١٥

حُكَّامُ الْحَشِيَّةِ

هذه الحُكَّامُ بجوار دَرْب السُّلَيْسَة ، كانت تُعرَف بِحُكَّام قَوَام الدَّوْلَة جَبَر بن (b) ثم صارت حُكَّامًا لدار الوزير المأمون بن البطاحي . فلَمَّا قُتِلَ الخَلِيفَةُ الأَمِيرُ بأحكام الله ، وعُيِّنَت حُشْبِيَّة تَمْتَنع الرَّاكِب أن يَمُرَّ من نِجَاه المَشْهَد الذي بُنِيَ هناك ، عُرِقت هذه الحُكَّام بِحُشْبِيَّة (تصغير حَشْبَة) ، وقد تقدَّم ذلك مَبْشُوطًا عند ذِكر الأخطاط من هذا الكتاب^٤ .

(a) بولاق : السروري . (b) بولاق : خير . (c) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا .

^١ المقرئزي : مسودة الخطوط ٣٠ و-ظ ؛ وتُعرَف الآن بِحُكَّام الأَقْنَدِي .

^٢ راجع بعض أخبار الأمير عَلَم الدِّين سِنْجَر المُشْروري المعروف بالحِطَّاط ، والي القاهرة ، والي البَهْئَسَا ، المتوفى سنة ٧٣٦ ، ٧٤٥ ، ٨٨٢ .
^٣ نفسه ٣٠ ظ .
^٤ نفسه ٣٠ ظ ، وفيما تقدم ٨٥ .

قال ابن عبد الظاهر: مَدْرَسَةُ الشَّيُوفِيِّينَ وَقَفَّهَا الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ فَرَخْشَاهُ^(a) [قَرِيبُ صَلَاحِ الدِّينِ]^(b) عَلَى الْحَتَّيَّةِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ قَدِيمًا تُعْرَفُ بِدَارِ الْمَأْمُونِ بْنِ الْبَطَّائِحِيِّ وَحُكَّامِ الْحَتَّيَّةِ كَانَتْ لَهَا فَأُيِّمَتْ^(c) ١. ^(d) قَالَ كَاتِبُهُ: وَهَذِهِ الْحَتَّامُ هِيَ الْآنَ فِي أَوْقَافِ خَوْنَد طُغَايَ أُمِّ أُنُوكَ زَوْجِ^(e) الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ عَلَى تَرْبِيعِهَا الَّتِي فِي الصُّخْرَاءِ خَارِجَ بَابِ الْبَرْقِيَّةِ ٢.

حَتَّامُ الْكُؤَيْكُ

هَذِهِ الْحَتَّامُ فِيمَا بَيْنَ حَاذَةِ زَوِيلَةَ وَدَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ، أَنْشَأَهَا الْوَزِيرُ عَبَّاسٌ - أَخَذَ / وَزَّرَاءُ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ - لِدَارِهِ الَّتِي مَوْضِعُهَا الْآنَ بِدَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ ^(d) الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ تَقِيِّ الدِّينِ صَاحِبِ حَتَّاهُ^(d)، ثُمَّ جَدَّدَهَا شَخْصٌ مِنَ الشُّجَّارِ يُعْرَفُ بِثُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْكُؤَيْكُ الرَّبْعِيِّ التُّكْرِييِّ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَغَرِّقَتْ بِهِ إِلَى الْيَوْمِ. ^(d) وَهَذِهِ الْحَتَّامُ لَهَا بَابَانِ أَحَدُهُمَا دَاخِلُ دَرْبِ شَمْسِ الدَّوْلَةِ الْمَعْرُوفَةِ، وَالْآخَرُ مِنْ رَأْسِ حَاذَةِ زَوِيلَةَ^(d) ٣.

حَتَّامُ الْجُوَيْنِيِّ

هَذِهِ الْحَتَّامُ ^(d) بِحَاذَةِ زَوِيلَةَ^(d) بِجَوَارِ حَتَّامِ ابْنِ الْكُؤَيْكُ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبُنْدُقَانِيِّينَ، عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجُوَيْنِيِّ، وَالْيَ الْقَاهِرَةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَيُّوبَ، تَوَفَّى سَلَخَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّ مِائَةٍ، فَإِنَّهُ أَنْشَأَهَا بِجَوَارِ دَارِهِ. وَالْعَائِئَةُ نَقُولُ: حَتَّامُ الْجُوَيْنِيِّ بِهَاءٍ، وَهُوَ خَطَأٌ. ^(d) وَتَوَفَّى الْجُوَيْنِيُّ ٤.

وَتَنَقَّلَتْ إِلَى أَنْ اشْتَرَاهَا الْقَاضِي أَوْحَدُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ يَاسِينَ، كَاتِبُ الْمَرْ الشَّرِيفِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَرْفُوقَ^(e)، بِطَرِيقِ الزَّوْكَالَةِ عَنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى مَدْرَسَتِهِ الْعُظْمَى بِحُطَّ يَنْ الْقَصْرَيْنِ، وَهِيَ الْآنَ فِي جَمَلَةِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهَا.

(a) بولاق: فرج شاه. (b) زيادة من ابن عبد الظاهر. (c) بولاق: فبيعت. (d-d) زيادة من مسودة الخطوط. (e) بولاق والنسخ: ابن، والمثبت من مسودة الخطوط.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٨٨، وأيضاً ٥٧، ^٣ نفسه ٢٤ و؛ وتقع الآن بحارة اليهود.

^٤ نفسه ٢٤ و. ١٠٢

^٥ انظر عنه فيما تقدم ٢٥٤-٢٥٦. ^٢ القريري: مسودة الخطوط ٣٠ ظ.

حمام القفاصين

هذه الحمام بالقرب من رأس حارة الدليل^١، أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور^٢، وزير الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب^٣.

حمام الصغيرة^(b)

هذه الحمام على يمتنة من سلك من رأس حارة بهاء الدين، وهي تجاه دار قراسنقر، أنشأها الأمير فخر الدين^(c) بن رسول التركماني. ورسول هذا جد ملوك اليمن الآن^٥. وقد تقطعت هذه الحمام منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة.

حمام الأغسر

هذه الحمام موضعها من جملة دار الوزارة، وهي الآن بجوار باب الجوازنة. أنشأها الأمير شمس الدين سنقر الأغسر^(d) العزبي^(e) الظاهري المنصوري^٦.

(a) هنا على هامش آياصوفيا: بياض ثلاثة أسطر. (b) بولاق: الصغيرة. (c) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا. (d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق: المعزي.

١٢٣١-١٤٥٤م - هو محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم القشاني الجفني المتجكي التركماني، دخل العراق وأصل بالخليفة العباسي واختصه بحمل رسائله إلى الشام ومصر وغيرها فأطلق عليه لقب «رسول الخليفة»، ثم أصبح يُعرف فقط برسول. (محمد عبد المال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الإسكندرية ١٩٨٠، ٤٤٥، *Smith, G. R., El² art. ٤٤٥*، *Rasūlides VII*, pp. 470-73).

^٦ المقريري: مسودة الخطوط ٢٥ و.

^١ وتُعرف أيضًا بحمام الحلاوين مجاورتها للزاوية الحلاوية، انظر وصفًا لها في وثيقة الغوري عند، عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٧٣-٢٧٤.

^٢ انظر عن ابن المجاور فيما تقدم ١٢٤ هـ.

^٣ المقريري: مسودة الخطوط ٢٤ و.

^٤ شهاها في مسودة الخطوط ٢٥ و: «حمام الأمير فخر الدين بن رسول التركماني، ويقال لها الحمام الصغيرة».

^٥ رسول - الذي تنسب إليه الأسرة الرسولية التي حكمت اليمن في الفترة بين سنتي ٦٢٨ هـ-٨٥٨ هـ/

سُنْقَرُ الْأَعْمَر - كان أخذَ تماليك الأمير عَزَّ الدِّين أَيْدُمَر الظَّاهِرِي نَائِبَ الشَّامِ ، وجَعَلَهُ دَوَاذِرَهُ ، فبَاشَرَ الدَّوَاذِرِيَّةَ لِأَسْتَاذِهِ بِدِمَشْقَ ونَفْسَهُ تَكْبِيرُ عَنْهَا . فَلَمَّا غَزَى أَيْدُمَرُ مِنْ نِيَابَةِ الشَّامِ فِي أَيْامِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ وَحَضَرَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، اخْتَارَ السُّلْطَانُ عِدَّةً مِنْ تَمَالِيكِهِ مِنْهُمْ سُنْقَرُ الْأَعْمَرُ هَذَا ، فَاشْتَرَاهُ وَوَلَّاهُ نِيَابَةَ الْأُسْتَاذَارِيَّةِ ثُمَّ سَيَّرَهُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ إِلَى دِمَشْقَ وَأَعْطَاهُ إِمْرَةً ، وَوَلَّاهُ شَدَّ الدَّوَاوِينَ بِهَا وَأُسْتَاذَارًا . فَصَارَتْ لَهُ بِالشَّامِ سَعْفَةٌ زَائِدَةٌ إِلَى أَنْ مَاتَ قَلَاوُونَ ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ ، وَاسْتَوَزَّرَ الْوَزِيرَ شُعْسَ الدِّينِ الشُّلْفُوسَ ، طَلَبَ سُنْقَرُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَعَاقَبَهُ وَصَادَرَهُ . فَتَوَصَّلَ حَتَّى تَزَوَّجَ بَابَنَةَ الْوَزِيرِ عَلَى صَدَاقٍ مَبْلُغُهُ أَلْفٌ وَخَمْسٌ مِائَةً دِينَارٍ فَأَعَادَهُ إِلَى حَالِيهِ ^١ .

وَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ تَسَلَّطَنَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَتَبُغَا ، وَاسْتَوَزَّرَ الصَّاحِبَ فَخْرَ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيلِيِّ ^(أ) ، وَقَبَضَ عَلَى سُنْقَرٍ وَعَلَى سَيْفِ الدِّينِ أَسْنَدُمَرٍ وَصَادَرَهُمَا ، وَأَخَذَ مِنْ سُنْقَرٍ خَمْسَ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَعَزَّلَهُ عَنْ شَدَّ الدَّوَاوِينَ ، وَأَخْضَرَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ . فَلَمَّا وَتَبَ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ لِأَجِينٍ عَلَى كَتَبُغَا وَتَسَلَّطَنَ ، وَلَّى سُنْقَرُ الْوِزَارَةَ عِوَضًا عَنْ ابْنِ الْخَلِيلِيِّ ^(ب) فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ^(ب) ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا . وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَاظَمَ فِي وَزَارَتِهِ ، وَقَامَ بِحَقِّ الْمَنْصَبِ يُرِيدُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالشُّجَاعِيِّ ، وَصَارَ لَا يَقْبَلُ شَفَاعَةً أَحَدٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَيَخْرُقُ بِنُؤَابِهِمْ .

وَكَانَ فِي نَفْسِهِ مُتَعَاظِمًا ، وَعِنْدَهُ شَتَمٌ إِلَى الْعَايَةِ ، مَعَ سُكُونٍ فِي كَلَامِهِ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا فَاوَّضَ السُّلْطَانُ فِي مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ - كَمَا هِيَ عَادَةُ الْوُزَرَاءِ - لَا يُجِيبُ السُّلْطَانُ بِجَوَابٍ شَافٍ . وَصَارَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ لِلْسُّلْطَانِ قِلَّةُ الْإِكْتِرَاطِ بِهِ ، فَأَخَذَ فِي ذَمِّهِ ، وَعَيَّبَهُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْكِبَرِ ، وَصَادَقَهُ الْفَرَضُ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَشَرَعُوا فِي الْحِطِّ عَلَيْهِ حَتَّى ضَرِفَ وَقِيدٌ . فَأَرْسَلَ بِسْأَلِ السُّلْطَانِ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي أَوْجَبَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ ، فَقَالَ : مَا لَهْ عِنْدِي ذَنْبٌ غَيْرَ كِبَرِهِ ، فَإِنِّي كُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَحْسَبْتُ أَنَّهُ هُوَ

(أ) بولاق : خليل . (ب) في جميع النسخ : سبع مائة ، سبق قلم .

^١ الأمير شُعْسُ الدِّينِ سُنْقَرُ الْأَعْمَرِ الْمُتَّصِرِي ، التُّوْفِيُّ
سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م . (الصفدي : أعيان العصر ٢ : ٤٧٨ -
٤٨٢ ، الوافي بالوفيات ١٥ : ٤٩٧ - ٤٩٩ ؛ ابن حبيب :
تذكرة النبيه ٢ : ٢٤ ؛ المقرئ : السلوك ٢ : ٨٤ ؛ ابن حجر :
الدرر الكامنة ٢ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة
٨ : ٢٧٨ ، المنهل الصافي ٦ : ٩٦ - ٩٨) .

السلطان وأنا الأعسر، فصَدْرُهُ مُنْقَام، وحَدِيثِي معه كَأَنِّي أُحَدِّثُ أَشْتَاذِي. وَقُرَّرَ من بعده في الوزارة ابنُ الخليلي.

فلَمَّا قُتِلَ لاجين، وأُعِيدَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن فُلاوون إلى الملكِ ثانياً، أفرج عن سُنُقِ الأعسر وعن جماعة من الأمراء، وأعادَ الأعسرَ إلى الوزارة في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مائة^٨. وفي وَزارَتِهِ هذه كانت هَزِيمَةُ الملكِ النَّاصِرِ بِمُساكِرِهِ من غَازان^١. فتولَّى ناصِرُ الدين الشَّيْخِي، والي القاهرة، جَبَايَةَ الأموال من الشُّجَارِ وَأَزْهَابِ الأموال لأجلِ الثَّقَفَةِ على المُساكِرِ.

وَقُرَّرَ في وَزارَتِهِ على كُلِّ أَرْدَبٍ عَلَّةٌ خَزُونَةٌ^٢ إذا طَلَعَ إلى الطُّحَّانِ، وَقُرَّرَ أَيْضًا «نصف السُّنُقَةِ» - ومعناها أَنَّهُ كانَ للمُنَادِي على الثَّيَابِ أَجْرَةٌ دَلَالَتُهُ على كُلِّ ما مِبلغُهُ مائة درهم دِرْهَمَيْنِ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ دِرْهَمٌ مِنْهُمَا وَيَقْضَى لَهُ دِرْهَمٌ - واستخدم على هاتين الجهتين نحو مائتين من الأجناد البَطَّالين، وَتَحْصُلُ في يَدِ المال من أموالِ المصادرات مِبلغٌ عظيم.

ثم خَرَجَ الوَزِيرُ بمائة من مَماليك السلطان، وتوجَّه إلى بلاد الصُّعيد - وقد وَقَعَتْ له في الثُّغُوسِ مَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ - فَكَبَسَ البلادَ، وأتلفَ كَثِيرًا من المُفسدين، من أَجلِ أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَتْ وَقَعَةُ غَازانَ كَثُرَ طَمَعُ الغُزبانِ في المَغْلُ، وَمَنَعُوا كَثِيرًا من الحَرَّاجِ، وَعَصَوْا الوَلَاةَ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ. وما زالَ يَسِيرُ إلى الأَعْمَالِ القُوصِيَّةِ، فلم يَدَعْ فَرَسًا لِقَلَّاحٍ ولا قاضٍ ولا مُتَعَمِّمٍ حتى أَخَذَهُ، وتَبِعَ السَّلاحَ، ثم حَضَرَ بِأَلْفٍ وستين فَرَسًا وثمان مائة وسبعين جَمَلًا وألف وست مائة رُمَحَ وألف ومائتي سَيْفٍ وتسع مائة دَرَقَةٍ وستة آلاف رأس عَنَمٍ، وَقَتَلَ عِدَّةً من / النَّاسِ، فَصَهَّدَتِ البلادُ، وَقَبَضَ النَّاسُ مَغْلَهُمْ بِمَمايِهِ.

٨٥:

(a) في جميع النسخ: سبع مائة، سبق قلم.

^١ غَازان بن أَرْغُون بن أَتَمَّا بن مُولاكو ملك التُّتَارِ، المتوفى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، ووَقَعَةُ غَازانَ المذكورة في هذا الخبر، كانت في بلاد الشام سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م.

^٢ خَزُونَةٌ جَد. خَرَارِب. قطعة صغيرة من الثُّقُودِ الثَّحاسِيَةِ تُعادِلُ ١٠/١ درهم. (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar. I, p.).

(357).

العصر ٥: ١٨-٢٢٠: ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢٢٠-٢٢١

وَأُتِّقَتْ وإِقَعَةُ النَّصَارَى - التي ذُكِرَتْ عند ذِكْرِ كَنَائِسِ النَّصَارَى من هذا الْكِتَابِ^١ - في أَيْامِهِ . فَأَمَرَ بِالنَّجَاحِ ابْنَ سَعِيدِ الدَّوْلَةِ أَحَدَ مَشْتَوِي الدَّوْلَةِ - وَكَانَ فِيهِ زَهْوٌ وَحَقِيقٌ عَظِيمٌ ، وَلَهُ اخْتِصَاصٌ بِالْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُزَسِ الْجَاشَنْكِيرِ^٢ - فَغَرِي وَضُرِبَ بِالمَقَارِعِ ضَرْبًا مَبْرَحًا ، فَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ فِي الْعُقُوبَةِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَالزَّمَنَ بِحِفْظِ مَالٍ ، فَالْتَجَأَ إِلَى زَاوِيَةِ الشَّيْخِ نَصْرِ الْمُتَّبِجِي وَتَرَامَى عَلَى الشَّيْخِ ، فَقَامَ فِي أَفْرِهِ حَتَّى غَفِيَ عَنْهُ . فَكَرِهَ الْأُمَرَاءُ الْأَعْمَسُ لَكَثْرَةِ شَمَمِهِ وَتَعَاظَمِهِ ، فَكَلَّمُوا الْأَمِيرَ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبُزَسَ الْجَاشَنْكِيرِ^٣ - وَإِلَيْهِ أَمَرَ الدَّوْلَةَ - فِي وَلايَةِ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْبَغْدَادِي الْوَزَارَةَ ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَمِيرُ سَلَار . فَوَلَّى الْأَعْمَسُ كَشَفَ الْقِلَاعِ الشَّامِيَةِ وَإِضْلَاحَ أُمُورِهَا وَتَوَنُّيبَ رِجَالِهَا وَسَائِزَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَخَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ أَيْتُكَ خِلْعَ الْوَزَارَةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعِ مِائَةٍ .

فَلَمَّا عَادَ اسْتَقَرَّ أَحَدُ أُمَرَاءِ الْأُلُوفِ ، وَحَجَّ فِي صُحْبَةِ الْأَمِيرِ سَلَار . وَمَاتَ بِالقَاهِرَةِ بَعْدَ أَفْرَاضٍ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ عَارِفًا خَيْرًا مَهِيئًا لَهُ سَعَادَاتٌ طَائِلَةٌ وَمَكَارِمُ مَشْهُورَةٌ ، وَلِحَاشِيَتِهِ نَزْوَةٌ مُتَّسِعَةٌ ، وَغَالِبٌ تَمَالِيكِهِ تَأَمَّرُوا بَعْدَهُ ، وَثُمَّنَ مَذَخَهُ الْوُدَاعِي وَابْنَ الْوَكِيلِ .

حَمَامُ الْحَمَامِ

هذه الحَمَامُ بِدَانِجِلِ بَابِ الْجَوَائِزَةِ ، (ب) عُرِفَتْ .^(b) ٢ .

حَمَامُ الصُّوفِيَّةِ

هذه الحَمَامُ بِجَوَارِ الْخَائِقَاهِ الصُّلَاحِيَةِ سَعِيدِ السُّعْدَاءِ ، أَنْشَأَهَا السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ لَصُوفِيَّةِ الْخَائِقَاهِ^٣ ، وَهِيَ إِلَى الْآنَ جَارِيَةٌ فِي أَوْقَافِهِمْ ، وَلَا يَدْخُلُهَا يَهُودِي وَلَا نَصْرَانِي^٤ .

(a) بولاق : الجاشنكير . (b-b) إضافة من المسودة ، وهنا في هامش آياصوفيا ياض أربعة أسطر .

^١ فيما يلي ٥١٢:٢ - ٥١٧ .
^٢ القريري : مسودة الخطط ٢٥ و .
^٣ نفسه ٢٤ و .
^٤ أضاف ابن أبي السرور البكري : وهي باقية إلى الآن وتعرف في زَمَنَاتِنَا هذا بِحَمَامِ الصُّوفِيَّةِ (تُطْفِئُ الْأَزْهَارَ ١٧٢ ظ) .

حُكَّامُ بَهَاذَرِ

هذه الحُكَّامُ موضعها من جملة القَصْرِ ، وهي بجوار دار جُزْجِي تَجَاهَ الْبَاهِرِينَ^(a) ، أنشأها الأميرُ بَهَاذَرُ الْمُتَجَكِّي^(b) أَسْتَادُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ ،^(c) وتوفي في سنة تسعين وسبع مائة^(d) وقد تعطلت^(e) .

حُكَّامُ الدُّورِ

- هذه الحُكَّامُ خارج باب زَوَيْلَةَ ، في الشَّارِعِ تَجَاهَ رُقَاقِ حَارَةِ^(d) حَلَبَ ، بجوار حَوْضِ سَعْدِ الدِّينِ مَشْعُودِ بْنِ هَنْسَ . عُيِّنَ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ الدُّودِ الْجَاشَنَكِيِّ^(e) أَخِي أَمْرَاءِ الْمَلِكِ الْمُعِزِّ^(f) عِزِّ الدِّينِ^(g) أَيْتِكَ التُّرْكُمَانِي ، وَخَالَ وَلَدَهُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ^(h) ، فَلَمَّا وَثَبَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَطْرَ ، نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بِدْيَارِ مِصْرَ ، عَلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ عَلِيٍّ بْنِ الْمَلِكِ الْمُعِزِّ أَيْتِكَ وَاعْتَقَلَهُ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ ، قَبَضَ عَلَى الْأَمِيرِ الدُّودِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ وَاعْتَقَلَهُ . وَهَذِهِ الْحُكَّامُ إِلَى الْيَوْمِ بِيَدِ ذُرِّيَّةِ الدُّودِ مِنْ قِبَلِ بَنَاتِهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِمْ .

حُكَّامُ ابْنِ أَبِي الْحَوَافِرِ

هذه الحُكَّامُ خارج مَدِينَةِ مِصْرَ بجوار الجامع الجديد النَّاصِرِيِّ . كَانَ مَوْضِعُهَا وَمَا حَوْلَهَا عَامِرًا بِمَاءِ النَّيْلِ ، ثُمَّ انْحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ وَصَارَ جَزِيرَةً ، فَبَنَى النَّاسُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْخَمْسِ مِائَةِ مِنْ

(a) العبارة في المسودة : من جملة القصر ، أنشأها بجوار داره التي تعرف بدار جرجي تجاه الباهرين . (b) ساقطة من بولاق . (c-c) إضافة من مسودة الخطوط . (d) بولاق : خان . (e) بولاق : الجاشنكري . (f-f) ساقطة من بولاق .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٢٥ ط . وبهاذره هو الأمير سيف الدين بهادر الأستاد المتجكي ، نسبة إلى معتقه الأمير متجك البيوسفي ، المتوفى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م . (ابن الفرات : تاريخ ٩ : ٤٣ ، المقرئ : السلوك ٣ : ١٥٨٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٣٠ - ٣١ ، إنباء النسر ١ : ٣٥٨ ، أبو الحسن : المنهل الصافي ٣ : ٤٣٥ - ٤٣٦ ، النجوم الزاهرة ١١ : ٣١٦) .

وما تزال بقايا حُكَّامِ الدُّودِ قائمةً بشارع محمد علي عند تقاطع بشارع الشروحية . ودخل القسم الغربي من الحُكَّامِ بما فيه بابه الأصلي في طريق شارع محمد علي الذي بُنِيَ فِي سَنَةِ ١٨٧٣ م ، وَفُتِحَ لِلْحُكَّامِ بَابٌ جَدِيدٌ هُوَ بَابُهُ الْحَالِي الْمَطَّلُ عَلَى شَارِعِ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٣١ - تعليقات محمد رمزي) .

^٢ أضاف ابن أبي السرو البكري : وهي باقية إلى الآن ويقال لها حُكَّامُ الدُّودِ (قطف الأزهار ١٧٢ ط) . وعن خوض ابن هُتَسَ انظر فيما يلي ٤٤٢ - ٤٤٤ .

مبني الهجرة، كما ذكر عند ساجل مصر من هذا الكتاب^١.

وعُرِفَت هذه الحَمَامُ بالقاضي قَتح الدِّين أبي العباس أحمد بن الشَّيخ جمال الدِّين أبي عمرو عُثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل بن محمد بن أبي الحوافر، رئيس الأطباء بديار مصر، ومات ليلة الخميس الرابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وست مائة، ودُفِنَ بالقَرافَة^٢.

حَمَامٌ بَقِيَ الشَّيخ

هذه الحَمَامُ خارج باب القوس من ظاهِر القاهرة، في الشَّارع المسلوك فيه من باب زويلة إلى صليبة جامع ابن طولون، ومَوْضِعُهَا اليوم بجوار جامع قَوْصُون^٣. عَمَّرَهَا الأميرُ جمالُ الدِّين آقوش المنصوري المعروف بِقَتَالِ الشَّيخ المَوْصِلِي^٤، بجانب داره التي هي اليوم جامع قَوْصُون. فلَمَّا أَخَذَ قَوْصُون الدَّارَ المذكورة، وَهَدَمَهَا وَعَمَّرَ مَكَانَهَا هذا الجامع، أَرَادَ أَخَذَ الحَمَامَ - وكانت وَقَفًا - فَبَعَثَ إلى قاضي القضاة شَرَف الدِّين الحنبلي الحَرَّاني يُلْتَمِسُ مِنْهُ حَلَّ وَقْفِهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا جَانِبًا، وَأَخْضَرَ شُهُودَ الْقِيَمَةِ، فَكَتَبُوا مَخْضَرًا يَتَضَمَّنُ أَنَّ الحَمَامَ المذكورة خراب. وكان فيهم شاهد مُتَدَيِّنٌ^٥ فامْتَنَعَ مِنَ الْكِتَابَةِ فِي الْمَخْضَرِ، وقال: مَا يَسْتَعْنِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَدْخُلَ بُكَرَةَ النَّهَارِ فِي هَذِهِ الحَمَامِ وَأَتَطَلَّهَ فِيهَا، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا وَهِيَ عَامِرَةٌ وَأَشْهَدَ بِعَدِّ ضَخْوَةِ نَهَارِ

(٥) إضافة من مسودة الخطط.

^١ فيما تقدم ١٥٨:٢ - ١٦٣.

^٢ ينسب ابن أبي الحوافر إلى أسرة شهيرة من الأطباء، كانوا جميعًا رؤساء لأطباء مصر، جدهم الأعلى هو أحمد ابن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ٣: ٢١٤؛ المقرئ: المقتفى الكبير ٦: ١٩٧؛ العيني: عقد الجمان ٤: ٢٠٢؛ أحمد عيسى: معجم الأطباء ٢٨٨).

^٣ أضاف ابن حجر بخطه على هامش نسخة المقتفى الكبير المحفوظة في ليدن برقم 14533 (ورقة ٢٠٨) أمام ترجمة آقوش: «هو صاحب الحمام بالشارع الشهير الآن بحمام قَوْصُون والبهت المجاور له، كذا مكتوب على طرازه». والأمير جمال الدِّين آقوش المنصوري المَوْصِلِي المعروف بِقَتَالِ الشَّيخ أمير عَلم، توفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. (ابن أليك: كنز الدرر ٩: ٢١٠؛ الصفدي: أعيان العصر ١: ٥٧٣، الوافي بالوفيات ٩: ٣٣٥؛ المقرئ: المقتفى الكبير ٢: ٢٣٤ - ٢٣٥، السلوك ٢: ٩٦؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٢٧؛ أبو المحسن: النهل الصافي ٣: ٢٦، النجوم الزاهرة ٩: ٢١٦).

^٤ ذهبت آثار هذه الحمام بعد قَتح شارح محمد علي سنة ١٨٧٣م الذي أزال قسماً كبيراً من جامع قَوْصُون المجاور له.

من ذلك اليوم أنها خراب. فشَهِدَ غيره، وأُثِّبَتِ القاضِي الحَبْلِي المَحْضَرُ المذكور، وحَكَمَ بِبَيْعِهَا. فاشْتَرَاهَا الأميرُ قَوْضُونَ من وَرَثَةِ قَتَالِ الشَّيْخ، وهى اليوم عَامِرَةٌ بِعَمَارَةٍ ما حَوْلَهَا^١.

حُكْمُ لُؤْلُؤُ

هذه الحُكْمُ برأس رَحْنَةِ الأَهْدَمَرِي مُلَاصِقَةً لِدَارِ الشَّنَانِي من القَاهِرَةِ. أنشأها الأميرُ مُحْسَامُ الدِّينِ لُؤْلُؤُ الحَاجِبِ فِي أَيَّامِ (a) ٢.

لُؤْلُؤُ الحَاجِبِ - كان أَرَمَنِي الأصل ومن جملة أجناد مصر في أَيَّامِ الخُلَفَاءِ الفاطميين، فلَمَّا اسْتَوْلَى صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بنِ الأُيُوبِ على مملكة مصر، خَدَمَ تَقْدِيمَةَ الأَسْطُولِ، وكان حينما تَوَجَّهَ فَتَحَ وانتَصَرَ وَغَنِمَ. ثم تَرَكَ الجُنْدِيَّةَ وَزَوْجَ بَنَاتِهِ - وَكُنَّ أَرْبَعًا - بِجِهَازِ كَافٍ، وَأَعْطَى ابْنَيْهِ ما يَكْفِيهِمَا، وَ (b) شَرَعَ يَتَصَدَّقُ بما بقي معه على الْفُقَرَاءِ بِتَرْتِيبٍ لا خَلَلَ فِيهِ، وَدَوَامًا لا سَاقَمَةٍ مَعَهُ.

وكان يُفَرِّقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ رَغِيفٍ مَعَ قُدُورِ الطَّعَامِ، وَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أضعف ذلك، وَتَبَثَّلَ لِلتَّفَرُّقَةِ مِنَ الظُّهْرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى نَحْوِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَيَضَعُ ثَلَاثَةَ مَرَاكِبِ طُولِ كُلِّ مَرَكَبٍ أَحَدَ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا مَمْلُوءَةً طَعَامًا، وَيَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ أَفْوَاجًا وَهُوَ قَائِمٌ مَشْدُودُ الوَسْطِ كَأَنَّهُ رَاعِي غَنَمٍ، وَفِي يَدِهِ مَغْرَفَةٌ وَفِي الْآخَرَى جِرَّةٌ سَمْنٍ، وَهُوَ يُضْلِحُ صُفُوفَ الْفُقَرَاءِ، وَيَقْرُبُ إِلَيْهِمُ الطَّعَامَ وَالزُّدَّ، وَيَبْدَأُ بِالرِّجَالِ ثُمَّ بِالنِّسَاءِ / ثُمَّ بِالصِّبْيَانِ. وَكَانَ الْفُقَرَاءُ مَعَ كَثَرَتِهِمْ لَا يَزِدُّ حِمْلَهُمْ لَعَلَّهِمْ أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَقْتَضِيهِمْ، فَإِذَا انْتَهَتْ حَاجَةُ الْفُقَرَاءِ بَسَطَ سِجَامًا لِلْأَغْنِيَاءِ تَفْجِزُ الْمُلُوكَ عَنْ مِثْلِهِ.

(a) يابض في آياصوفيا. (b) بولاق: ثم.

إلى علمه بها يقيتا أو اختصارا لشهرتها تابعا غرضه بهذا الكتاب من الاختصار، والله أعلم.

أقول: مثل حُكْمٍ بِشَنَّاكِ النَّبِيِّ ما يَرَالُ مدخلها قائما في شارع سوق السلاح ومسجلة بالآثار برقم ٢٤٤.

^٢ نفسه ٢٥ ظ.

^١ المقريري: مسودة المخطوط ٢٥-ظ.

وهي المعروفة الآن بحمام الشرجية بين عَقْلَتِي الهِكْمَةِ والحِثَاءِ.

وجاء هنا على هامش نُسخة ص: قد أَغْفَلَ الشَّيْخُ - رحمه الله - عن ذكر حُكْمَاتٍ كَثِيرَةٍ أَدْرَكَهَا وَمِنَهَا عَامِرَةٌ وَغَايِرُهُ بِهَذَا الْخَطِّ وَغَيْرُهُ، وَزَعَا مِنْهُ وَمَحَامَاةٍ عَنْ مَنْ يَصِلُ

وكان له مع ذلك على الإسلام مئة توجب أن يترحم عليه المسلمون كلهم . وهي أن فرنج الشؤبك والكرك توجهوا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتبشروا قبره ﷺ ، وينقلوا جسده الشريف المقدس إلى بلادهم ، ويذيقوه عندهم ، ولا يمتكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل . فأنشأ البرنس أرناط - صاحب الكرك - سفنًا حملها على البر إلى بحر القلزم ، وأركب فيها الرجال ، وأوقف مركبين على جزيرة قلعة القلزم تمتع أهلها من اشتقاء الماء . فسارت الفرج نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا ، ومضوا يريدون المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ، وذلك في سنة ثمان وسبعين^(a) وخمس مائة .

وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على حران ، فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة^(b) بن منقذ - نائيه على مصر - بأمره بتجهيز الحاجب [حسام الدين]^(c) لؤلؤ خلف القدو . فاستعد لذلك ، وأخذ معه قيوذا ، وسار في طلبهم إلى القلزم ، وعمر هناك مراكب ، وسار إلى أثلة فوجد مراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها . وسار إلى عيذاب ، وتبع الفرج حتى أذكرهم ولم يتبق بينهم وبين المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ، إلا مسافة يوم - وكانوا ثلاث مائة وثيقا ، وقد انضم إليهم عدة من الغزيان المرتدة - فعندما لحقهم لؤلؤ ، قوت الغزيان فرقا من سطوته ، ورغبة في عطيته ، فإنه كان قد بذل الأموال ، حتى إنه غلق أكياس الفضة على رعوس الرماح . فلما قوت الغزيان التجأ الفرج إلى رأس جبل صعب المرتقى ، فصعد إليهم في عشرة أنفس وضايقهم فيه ، فخارت قواهم بعدما كانوا معبودين من الشجعان ، واستسلموا ، فقبض عليهم وقيدهم ، وحملهم إلى القاهرة . فكان لدخولهم يوم مشهود ، وتولى قتلهم الصوفي والفقهاء وأرباب الديانة ، بعدما ساق رجلين من أعيان الفرج إلى منى ، ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هذيانا إلى الكعبة^١ .

(a) بولاق : وتسعين . (b) بياض مقدار كلمة في آياصوفيا . (c) إضافة من السلوك .

الاشتلاء على غدن التي تحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وبذلك يمكن الفرج بفضل سيطرتهم على أثلة في الشمال وغدن في الجنوب ، من إغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم واختكار تجارة الهند ، بعد أن كان البحر الأحمر بحرا =

^١ استهدف مشروح البرنس أرناط Renauld de Chatillon ، صاحب الكرك ، من هذه المغامرة التي لم يكتب لها النجاح ، قطع طريق الحج على المسلمين وضرب العالم الإسلامي في قلبه بالاشتلاء على الحرمين الشريفين ، وكذلك

ولم يَزَلْ على فِعْلِ المعروف إلى أَنْ مَاتَ - رحمه الله - في صَمِيمِ الْفَلَاءِ^(a)، وقد قَرَّبَ مُنْتَهَاهُ، في اليوم التاسع من جُمَادَى الآخِرَةِ سنة سِتٍّ وتسعين وخمس مائة، وَدُفِنَ بِتُوبَتِهِ مِنَ الْقَرَاةِ، وهى التى حَفَرَ فِيهَا الْبُقْرَ، وَوُجِدَ فِي قَفْرِهَا عِنْدَ الْمَاءِ أَشْطَامُ مَرْكَبٍ.

وهذه الْحَتَامُ تُفْتَحُ تَارَةً وَتُغْلَقُ كَثِيرًا، وهى بَاقِيَةٌ إلى يَوْمِنَا هذا من جُمْلَةِ أَوْقَافِ الْمَلِكِ^(b).

(a) بولاق : الفلاء . (b) هنا في هامش آهاصوليا : بياض ورقة وثلاث .

= إسلاميًا . (راجع تفاصيل ذلك عند العصاد الأصفهاني : البرق الشامى ٦٩:٥-١٧٥ ابن الأثير : الكامل ٤٩٠:١١-٤٩١ ؛ البنداري : سنا البرق الشامى ٢١٣-٢١٢ ؛ أبو شامة الروضتين ١/٢: ١١٣-١١٩ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١٢٧:٢-١٣١ ؛ المقريزي : السلوك ٧٨:١-١٧٩ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ٦١٧:٢-٦٢٢ Leiser, G., «The Crusader Raid in the Red Sea in 578/» (1977), JARCE 14 (1977), pp. 87-100 . (1182-83).

ذِكْرُ الْقِيَاسِ^١

ذَكَرَ ابْنُ الْمُؤَجَّجِ قِيَاسَ مِصْرَ، وَهِيَ: قِيَاسِيَّةُ الْحَلِيِّ، وَقِيَاسِيَّةُ الصَّبَانَةِ^٢ وَقَفَ الْمَارِسَتَانِ الْمِصْصُورِي، وَقِيَاسِيَّةُ شَيْلِ الدَّوْلَةِ، وَقِيَاسِيَّةُ ابْنِ الْأَرْسُوفِيِّ، وَقِيَاسِيَّةُ وَرَثَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُزِ، وَقِيَاسِيَّةُ ابْنِ مُيَسَّرَ. وَقَدْ خَرِبَتْ كُلُّهَا^٣.

قِيَاسِيَّةُ ابْنِ قُرَيْشٍ

هَذِهِ الْقِيَاسِيَّةُ فِي صَدْرِ سُوقِ الْجَمَلُونِ الْكَبِيرِ بِجَوَارِ بَابِ سُوقِ الْوَزَاقِينَ، وَمِثْلُكَ إِلَيْهَا مِنَ الْجَمَلُونِ وَمِنْ سُوقِ الْأَخْفَافِينَ الْمَسْلُوكِ إِلَيْهِ مِنَ الْبُنْدُقَانِيِّينَ^٤ (وَمِنْ سُوقِ الرِّقَاتَيْنِ وَخَطِّ الصِّيَارِفِ^٥). وَبَعْضُهَا الْآنَ سَكَنَ الْأَدَمِيِّينَ^٦، وَبَعْضُهَا سَكَنَ الْبَرْزَازِينَ^٧.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: اسْتَجَدَّهَا الْقَاضِي الْمُزْتَضَى ابْنُ قُرَيْشٍ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَةِ الصَّلَاحِيَّةِ وَكَانَ مَكَانُهَا إِسْطَبْلًا^٨. انْتَهَى.

وَهُوَ الْقَاضِي الْمُزْتَضَى صَفِيِّ الدِّينِ أَبُو الْمُجْتَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ قُرَيْشٍ الْخَزْرُمِيِّ، أَحَدُ كُتَّابِ الْإِنشَاءِ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ، قُتِلَ شَهِيدًا عَلَى عَكَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَاشِرِ لِحِمَادَى الْأَوَّلَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَدُفِنَ بِالْقُدْسِ، وَمَوْلَدُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَسَمِعَ السُّلْفِيَّ وَغَيْرَهُ^٩.

(a) بولاق: الضيافة. (b-b) إضافة من مسودة الخطوط. (c) بولاق: الأرمنيون.

^١ نَقَلَ هَذَا الْقِسْمَ، مِنْ هُنَا وَحَتَّى صَفْحَةِ ٣٥٩ فِيمَا

يَلِي، إِلَى الْفَرَنْسِيَّةِ جَامِصُونَ ثَبِتَ وَأَنْدَرِيه رِيغُون مَعَ التَّعْلِيلِ

عَلَيْهِ، انْظُر Raymond, A. et Wiet, G., *Les Marchés*

du Caire - Traduction annotée du texte de Maqrîzî, Le Caire IFAO 1979, pp. 111-216.

^٢ قَارَنَ مَعَ ابْنِ دِقْمَاقٍ: الْإِنْتِصَارُ ٤: ٣٧-٣٩ فَقَدْ أَوْرَدَ

مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمُؤَجَّجِ نَفْصَلًا عَنْ قِيَاسِ مِصْرَ.

^٣ الْمُقْرِيزِيُّ: مَسْوَدَةُ الْخَطِّ ٣٥ ظ.

^٤ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ: الرُّوضَةُ الْبَهِيَّةُ ٥٥.

^٥ انْظُرْ أَيْضًا، الصَّفْدِيُّ: الرَّوَانِي بِالْوَفَايَاتِ ١٨: ١٩٩،

وَانْظُرْ تَرْجُمَةً وَلَدَهُ فِيمَا يَلِي ٣٠٩.

قَيْسَارِيَّةُ الشَّرْب

هذه القَيْسَارِيَّةُ بِشَارِعِ الْقَاهِرَةِ تَجَاهَ قَيْسَارِيَّةَ جِهَازَكْس . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَقَفَهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ عَلَى الْجَمَاعَةِ الصُّوفِيَّةِ - يَعْنِي بِخَانِقَاهُ سَعِيدَ الشَّعْدَاءِ - وَكَانَتْ إِسْطَبْلًا^١ . انْتَهَى .

- وما بَرِحَتْ هذه القَيْسَارِيَّةُ مَرْعِيَّةَ الْجَانِبِ إِكْرَامًا لِلصُّوفِيَّةِ^(أ) أَنْ يُؤْمَى عَلَى سُكَّانِ خَوَانِيَّتِهَا مِنْ تِجَّارِ الْبُرْشِيِّينَ مِنَ الْبَضَائِعِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ أَنْ تَتَعَرَّضَ الدَّوْلَةُ إِلَى ظُلْمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ^(ب) ، إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَزَجَ وَخَدَعَتْ الْفِتَنَ وَكَثُرَتْ مُصَادَرَاتُ التُّجَّارِ ، انْخَرَقَ ذَاكَ السِّيَاحُ ، وَغَوِيلَ سُكَّانُهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَشَفِ ، وَهِيَ الْيَوْمَ مِنْ أَغْمَرِ أَشْوَاقِ الْقَاهِرَةِ^٢ .

قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ أَبِي أَسَامَةَ

- هذه القَيْسَارِيَّةُ بِجَوَارِ الْجَمَلُونَ الْكَبِيرِ ، عَلَى يَمِينِهَا مِنْ سَبَلِكِ إِلَى بَيْتِ الْقَصْرِينِ ، يَسْكُنُهَا الْآنَ الْخَزْنَدُورِيُّينَ^(ب) ، وَقَفَهَا الشَّيْخُ الْأَجَلُّ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ ، صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ . وَكَانَتْ لَهُ زُتْبَةٌ خَطِيرَةٌ وَمَنْزَلَةٌ رَفِيعَةٌ ، وَيُتَعَتُّ بِـ «الشَّيْخِ الْأَجَلِّ كَاتِبِ الدُّسْتِ الشَّرِيفِ» ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُشَارِكُهُ فِي هَذَا التُّعَتِّ بِدِيَارِ مِصْرَ فِي زَمَانِهِ . وَكَانَ وَقَفَ هذه القَيْسَارِيَّةُ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَتَوَفَّى فِي شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ^٣ .

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط (b) بولاق وص : الخردنوشية .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٥ .
٣٥٠-ط : القلقشندي : صبح الأعشى ٩٦:١ ؛ وفيما يلي

^٢ المقرئزي : مسودة الخطوط ٣٤ ط .
٢٩١ : المقرئزي : مسودة الخطوط ٣٦ و-ط .

^٣ راجع أخباره عند ، ابن الأثير : الكامل ٥٨٩:١٠ ؛ وأضاف ابن أبي الشرور البكري : «وفي زمتنا الآن ابن الطوير : نزهة المقتنين ١٥ ، ١١٦ ابن ميسر : أخبار مصر ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ - خ الأزهار ١٧٣ ط) .

قَيْسَارِيَّةُ سُتْقَرِ الْأَشْقَرِ

هذه القَيْسَارِيَّةُ على يَمِينِ مَن يَدْخُلُ من باب زَوَيْلَةَ ، فيما بين خِزَانَةِ شَمَائِلٍ وَدَرْبِ الصُّغَيْرَةِ ، تَجَاهَ قَيْسَارِيَّةِ الْفَاضِلِ . أَنشَأَهَا الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ سُتْقَرُ الْأَشْقَرِ الصَّالِحِي النَّجْمِي ، أَخَذَ الْمَالِكُ الْبَحْرِيَّةَ ، وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَنْ هُدِمَتْ وَأُذِخِلَتْ / فِي الْجَمَاعِعِ الْمُؤَيَّدِي لِأَهْلِهَا مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةَ ^١ .

سُتْقَرُ الْأَشْقَرِ (a) ٢

قَيْسَارِيَّةُ أَمِيرِ عَلِيٍّ

هذه القَيْسَارِيَّةُ بِشَارِعِ الْقَاهِرَةِ تَجَاهَ الْجَمْعُونَ الْكَبِيرِ بِجَوَارِ قَيْسَارِيَّةِ جِهَازَكْسَ يُفْصَلُ بَيْنَهُمَا دَرْبٌ قَيْطُونٌ . عُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ^(b) الَّذِي عَاهَدَ لَهُ بِالْمُلْكِ وَلَقَّبَهُ بِالْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَمَاتَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي قُنْدُقِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ^٣ . ^(c) وَهَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ الْآنَ جَارِيَةٌ فِي أَوْقَافِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ^(d) ^٤ .

قَيْسَارِيَّةُ رِشْلَانِ

هذه القَيْسَارِيَّةُ فيما بين دَرْبِ الصُّغَيْرَةِ وَالْحِجَارِينَ . أَنشَأَهَا الْأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ رِشْلَانُ الدَّوَادَارِ ، وَجَعَلَهَا وَقْفًا عَلَى خَائِنَقَاهُ لَهُ بِمَنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ^(d) ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْقِيَاسِيرِ . فَلَمَّا غَزَمَ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ

(a) هذا المدخل من آياصوفيا ، وفي هامشها هنا : بياض خمس عشرة سطرا . (b) المسودة : والذي يطلب على ظني أن منشعها أمير علي بن الملك المتصور قلاوون . (c-c) إضافة من مسودة الخطط . (d) في المسودة : قيسارية بهاء الدين =

^١ المقريري : مسودة الخطط ٣٦ ط .
^٢ انظر ترجمة الأمير شمس الدين سُتْقَرُ الْأَشْقَرِ عليها قُبَّةٌ وَسَبِيلٌ وَكُتَّابُ السُّلْطَانِ الْغُورِيِّ (مسجلة بالآثار رقم ٦٥-٦٧) تجاه جامع الغوري عند تقاطع شارع المعز لدين الله مع شارع الأزهر . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٩:٨-٢١٠) وانظر كذلك ، عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار ٢٣٢-٢٣٤) .
^٣ فيما يلي ٣٠٦-٣٠٧ .
^٤ المقريري : مسودة الخطط ٣٦ ط .

شَيْخ على بناء مَذْرَسَتَيْهِ ، هَدمَهَا في جُمَادَى الأولى سنة ثَمَان عشرة وثمان مائة ، وَعَرَّضَ أَهْلَ الخَانَقَاه عنها خَمْس مائة دِينَار ^١.

قَيْسَارِيَّةُ جِهَارَكْس

قال ابن عبد الظاهر : بَنَاهَا الأميرُ فَخْرُ الدِّين جِهَارَكْس في سنة الثَّلاثين وتسعين وخميس مائة ، وكانت قبل ذلك يُعْرَف مَكَانُهَا بِقَنْدُق الفِرَاح ، ولم يَزَلْ في يدِ وَرَثَتِهِ ، ^(أ) وانتقل إلى الأمير عَلَم الدِّين أَتَمَش منها جُزءٌ بالميراث عن زَوْجَتِهِ وإلى بِنْتِ شُومان من أَهْلِ دِمَشق ^(ب) ، ثم اسْتُرِيَتْ لَوَالِدَةِ خَلِيل - المِسْمَاةِ بِشَجَرِ الدَّرِّ الصَّالِحِيَّةِ - في سنة خَمِيس وخمسين وست مائة . وهى مع حُسْنِهَا وإِثْقَانِ بِنَائِهَا كُلِّهَا ، غَرِزٌ من القَصَب ^(ب) بِجَمِيعِ ما فيها .

^(ج) قال المُولَفُ : وَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِهم قال ^(د) : ذَكَرَ بَعْضُ المؤرِّخين أَنَّ صَاحِبَهَا جِهَارَكْس نَادَى عَلَيْهَا حين فُرِغَتْ ، فَبَلَّغَتْ خَمْسَةَ وتسعين أَلْفَ دِينَارٍ عَلَى الشَّرِيفِ فَخْرِ الدِّينِ أَبِي منصور ^(د) إِسْمَاعِيل ^(هـ) بنِ حِصْنِ الدِّين ^(و) ثَغَلَب ^(ز) بنِ يَعْقُوبِ الجَعْفَرِيِّ ^(ح) ، وقال لِصَاحِبِهَا : أَنَا أَنْتَقُذُكَ لَمَنْهَا أَيُّ تَقْدِيرٍ شِغْتَ ، إِنْ شِغْتَ ذَهَبًا ، وَإِنْ شِغْتَ فِضَّةً ، ^(و) وَإِنْ شِغْتَ وَرَقًا ^(هـ) ، وَإِنْ شِغْتَ غُرُوضَ تِجَارَةٍ ^٢.

وقَيْسَارِيَّةُ جِهَارَكْس تَجْرِي الآنَ في وَقْفِ الأميرِ بِكَنْتَمَرِ الجُوكَنْدَارِ ^٣ ، نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بعد سَلار ، عَلَى وَرَثَتِهِ .

= زَسلان تجاه حمام الفاضل قريب من باب زويلة أنشأها الأمير يهيا الدين زسلان الدوادار ، وهي وقفت على خاتناه زسلان التي أنشأها ببشتان الخشاب بالقرب من قلعة المهراي وقد تقدم ذكرها . a-a ساقطة من المسودة . b بولاق : تجو من الفصب . c-c زيادة من المسودة .

جائدار ، الموفى سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م . (الصفدي : أعيان العصر ٧٠٦:١-٧٠٩ ، الوافي بالوفيات ١٠:١٩٨-١٩٩ ، المقرري : المقفى الكبير ٤٥٩:٢-٤٦١ ، السلوك ١٠٢:٢ ابن حجر : الدرر الكامنة ١٨:٢-١٩ : أبو الحسن : المنهل الصافي ٣٩٨:٣-٤٠١ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١:٤٤٠) .

^١ المقرري : مسودة الخطوط ٣٦ و .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٣-٢٤ .

وتدل على موضع قيسارية جهازكس الآن المنطقة الواقعة شمال ثمة الغوري والتي دخل جزء منها في شارع الأزهر بعد فتحه سنة ١٩٣٠ .

^٣ الأمير سيف الدين بكنتمر الجوكندار المنصوري ، أمير

وقال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان: جهازكس بن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصري الصلاحى^(a)، كان من أكبر^(b) أمراء الدولة الصلاحية، وكان كريماً نبيل القلب عالي الهمة. بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون: لم نر في شيء من البلاد مثلها في حشنيها وعظمها وإحكام بنائها. وبنى بأغلاها مشجداً كبيراً ورفيعاً معلقاً. وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وست مائة بدمشق، ودُفن في جبل الصالحية، وتزنته مشهورة هناك، رحمه الله.

وجهازكس، بفتح الجيم والهاء^(c) وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة، ومعناه بالعربي: أربعة أنفس، وهو لفظ عجمي^١.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود اليعقوبي: سمعت الأمير الكبير الفاضل شرف الدين أبا الفتح عيسى ابن الأمير يدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن أحمد الهكاري البخاري الطائي المقدسي بالقاهرة - ومولده سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة بالبيت المقدس، شرفه الله تعالى، وتوفي بدمشق في ليلة الأحد تاسع عشرين ربيع الآخر سنة تسع وست مائة، ودُفن بسفح جبل قاسيون، رحمه الله - قال: حدثني الأمير صايرم الدين خطباً التتيني، صاحب الأمير فخر الدين أبي المنصور جهازكس بن عبد الله الناصري الصلاحى رحمه الله، قال: بلغ الأمير فخر الدين أن بعض الأجناد عنده فرس قد دُفع له فيه ألف دينار ولم يسمع ببيعه، وهو في غاية الحسن. فقال لي الأمير: يا خطباً إذا ركبنا ورأيت في المؤكب هذا الفرس نبيهي عليه حتى أُنصره. فقلت: الشفع والطاعة.

فلما ركبنا في المؤكب مع الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر - رحمه الله - رأيت الجندي على فرسه، فتقدمت إلى الأمير فخر الدين وقلت له: هذا الجندي وهذا الفرس راكبه. فنظر إليه وقال: إذا خرجنا من سباط السلطان، فانظر أين الفرس وعرفني به. فلما دخلنا إلى سباط الملك العزيز، عجل الأمير فخر الدين وخرج قبل الناس، فلما بلغ إلى الباب قال لي: أين الفرس؟

(a) المسودة: أبو المنصور جهازكس بن عبد الله الناصري الصلاحى الملقب فخر الدين. (b) عند ابن خلكان:

كبراء. (c) النص عن ابن خلكان: بكسر الجيم وفتح الهاء.

^١ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٣٨١؛ القرطبي: مسودة المواضع ٣٤-٣٥ و ١٣٥؛ وانظر ابن واصل: مفرج الكروب ٤٠٤:٣ (الكشافات).

قلت : ها هو مع الركابدار ؛ فقال لي : اذعه ؛ فدعوته إليه ؛ فلما وقف بين يديه والفرس معه ، أمره الأمير بأخذ الغاشية ، ووضع الأمير رجله في ركابه وركبه ومضى به إلى داره وأخذ الفرس .

- فلما خرج صاحبه ، عرفه الركابدار بما فعله الأمير فخر الدين ، فسكت ومضى إلى بيته ، وبقي أياً ما ولم يطلب الفرس . فقال لي الأمير فخر الدين : يا خطبأ ما جاء صاحب الفرس ولا طلبه ، اطلب لي صاحبه . قال : فاجتمع به وأخبرته بأن الأمير يطلب الاجتماع به ، فسارع إلى الحضور . فلما دخل عليه ، أكرمه الأمير ورفع مكانه ، وحذته وأنته وبسطه ، وحضر سباطه فقربه وخصصه من طعامه . فلما فرغ من الأكل ، قال له الأمير : يا فلان ما بالك ما طلبت فرسك وله عندنا مدة ؟ فقال : يا خوند وما عسى أن يكون من هذا الفرس ، وما ركه الأمير إلا وهو قد صلح له ، وكل ما صلح للمولى فهو على التبتد حرام . ولقد شرفني مولانا بأن جعلني أهلاً أن يتصرف في عبده ، والمملوك بحسب أن هذا الفرس قد أصابه مرض فمات . وأما الآن فقد وقع في محله وعند أهله ، ومولانا أحق به ، وما أشعد المملوك إذا صلح لمولانا عنده شيء . فقال له الأمير : بلغني أنك أعطيت فيه ألف دينار ؛ قال : كذلك كان ؛ قال : فلم لم تبغه ؟ فقال : يا مولانا ، هذا الفرس / جعلته للجهاد ، وأحسن ما بجاهد الإنسان على فرس يعرفه ويثق به ، وما يقدر هذا الفرس له أمتة رأيتني .

- فاستحسن الأمير هيمته وشكره ، ثم أشار إلي ، فتقدمت إليه فقال لي في أذني : إذا خرج هذا الرجل ، فاخلع عليه الخيلة الفلانية من أفخر ملبوس الأمير ، وأعطه ألف دينار وفرسه .

- فلما نهض الرجل أخذته إلى الفرشخانة ، وخلعت عليه الخيلة ، ودفعت إليه الكيس وفيه ألف دينار . فخدم وشكر وخرج ، فقدم إليه فرسه وعليه سرج خاص من شروج الأمير وعدة في غاية الجودة ، فقيل اركب فرسك ، فقال : كيف أركبه وقد أخذت ثمنه وهذه الخيلة زيادة على ثمنه ؟

- ثم رجع إلى الأمير فقبل الأرض ، وقال : يا خوند تشريف مولانا لا يرد ، وهذا ثمن الفرس قد أخضرت المملوك . فقال له الأمير فخر الدين : يا هذا نحن بجربناك فوجدناك رجلاً جيداً ولك همة ، وأنت أحق بفرسك ، تحذ هذا ثمنه ولا تبغه لأحد . فخدمته وشكره ، ودعا له ، وأخذ الفرس الخيلة والألف دينار وانصرف .

وأخبرني أيضًا الأمير شرف الدين بن أبي القاسم ، قال : أخبرني صارم الدين التبريني أيضًا أن
الأمير فخر الدين خدمه بعض الأجناد ، فعرض عليه فأعجبته شكله ، وقال لديوانه :
استخدموا هذا الرجل . فتكلموا معه ، وقلدوا له في السنة اثني عشر ألف درهم ، فرضي الرجل ،
وانتقل إلى حلقة الأمير قوضون ، وضربت خيمته وأخضر بركه .

فلما كان بعض الأيام رجع الأمير من الخدمة ، فعبّر في جنب خيمة هذا الرجل ، فرأى خيمة
حسنة ، وخيلًا جيدًا وجمالًا وبغالًا وبركًا في غاية الجودة ، فقال : هذا البرك لمن ؟ فقيل : هذا
برك فلان الذي خدم عند الأمير في هذه الأيام ، فقال : قولوا له : ما لك عندنا شغل تمضي في
حالي سبيلك .

فلما قيل للرجل ذلك ، أمر بأن تحط خيمته ، وأتى إلي وقال : يا مولانا أنا رائج ، وها أنا قد
حملت بركي^١ ، ولكن أشتي منك أن تسأل الأمير : ما ذنبي ؟ قال : فدخلت إلى الأمير وأخبرته
بما قال الرجل . فقال : والله ما له عندي ذنب ، إلا أن هذا البرك وهذه الهمة يشتحق بها أضعاف
ما أعطيت ، فأنكرت عليه كيف رضي بهذا القدر اليسير ، وهو يستحق أن تكون أربعين ألف
درهم ، وتكون قليلة في حقه ، فإذا خدم ثلاثين ألف درهم يكون قد ترك لنا عشرة آلاف درهم ،
فهذا ذنبه عندي .

فرجعت إلى الرجل فأعلمته بما قال الأمير . فقال : إنما خدمت عند الأمير ، ورضيت بهذا
القدر لعلني أن الأمير إذا عرف حالي فيما بعد لا يفتح لي بهذا الجاري ، فكنت على ثقة من
إحسان الأمير أبقائه الله ، وأنا الآن فلا أوصي أن أخدع إلا بثلاثين ألف درهم كما قال الأمير .
فرجعت إلى الأمير وأخبرته بما قال الرجل ، فقال : يُجرى له ما طلب ، وخلع عليه ، وأحسن إليه .

وكان الأمير فخر الدين بجهازكس مقدم الناصرية ، والحاكم بديار مصر في أيام الملك العزيز
عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن مات العزيز . فمال الأمير فخر الدين بجهازكس
إلى ولاية ابن الملك العزيز ، وفاوض في ذلك الأمير سيف الدين يازكوج الأسدي ، وهو يومئذ
مقدم الطائفة الأسدية - وكان الملك العزيز قد أوصى بالملك لولده محمد ، وأن يكون الأمير
الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي مدبر أمره - فأشار يازكوج بإقامة الملك الأفضل علي ابن
صلاح الدين في تدبير أمر ابن العزيز . فكرة ذلك بجهازكس .

ثم إنهم أقاموا ابن العزيز، ولقبوه بالملك المنصور، وعمره نحو تسع سنين، ونصبوا قراقوش أتايكا وهم في الباطن مختلفون^(a) عليه، وما زالوا يشعرون في إبطال أمر قراقوش حتى اتفقوا على مكاتبة الأفضل - المتقدم ذكره - لي تقدم^(b) إلى مصر، ويعمل أتايكية المنصور مدة سبع سنين حتى يتأهل بالاستعداد بالملك، بشرط ألا يرفع فوق رأسه سنجق الملك، ولا يذكر اسمه في خطبة ولا سكة.

فلما سار القاصد إلى الأفضل بكتب الأمراء، بعث جهاز كس في الباطن قاصداً، على لسانه ولسان الطائفة الصلاحية، بكتبهم إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكتب إلى الأمير ميمون القصري صاحب نائس بأمره ألا يطيع الملك الأفضل، ولا يخلف له.

فاتفق خروج الملك الأفضل من صرخد، ولقاء قاصد فخر الدين جهاز كس، فأخذ منه الكتب وقال له: ارجع فقد قضيت الحاجة. وسار إلى القاهرة ومعه القاصد، فلما خرج الأمراء من القاهرة إلى لقائه بلبنيس، فعمل له فخر الدين سباطا احتفل فيه احتفالاً زائداً لينزل عنده، فنزل عند أخيه الملك المؤيد نجم الدين مشعود، فشق ذلك على جهاز كس، وجاء إلى يخدمته. فلما فرغ من طعام أخيه، صار إلى خيمة جهاز كس وقعد ليأكل، فرأى جهاز كس قاصده الذي سيره في خدمة الأفضل، فدهش وأيقن بالشئ، فللحال استأذن الأفضل أن يتوجه إلى العرب المختلفين بأرض مصر ليصلح بينهم، فأذن له. وقام من قوره، واجتمع بالأمير زين الدين قراجا والأمير أسد الدين قراستغر، وخمن لهما مفارقة الأفضل، فساروا معه إلى القدس وغلبوا عليه، ووافقهم الأمير عز الدين أسامة، والأمير ميمون القصري، فقدم عليهم في سبع مائة فارس. ولما صاوا كلمة واحدة، كتبوا إلى الملك العادل يستدعونه للقيام بأتايكية الملك / المنصور محمد بن العزيز بمصر.

وأما الأفضل فإنه لما دخل من بلبيس إلى القاهرة، قام بتدبير الدولة وأمر الملك، بحيث لم يتق للمنصور معه سوى مجرد الاسم فقط، وسرع في القبض على الطائفة الصلاحية أصحاب جهاز كس، ففرّوا منه إلى جهاز كس بالقدس، فقبض على من قدر عليه منهم ونهب أموالهم. فلما زالت دولة الأفضل من مصر بقدوم الملك العادل أبي بكر بن أيوب، استولى فخر الدين جهاز كس على بانياس بأمر العادل، ثم انحرف عنه، وكانت له أنباء إلى أن مات.

فانقضى أمر الطائفة الصلاحية بموته وموت الأمير قراجا وموت الأمير أسامة ، كما انقضى أمر غيرهم^١.

قَيْسَارِيَّةُ الْفَاضِلِ

هذه القيسارية على يمنية من يَدْخُل من باب زويلة ، عُرفت بالقاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي البيساني ، وهي الآن في أوقاف المارستان المنصوري .

أخبرني شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز الغدري البشبيشي - رحمه الله - قال : أخبرني القاضي بذر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن القاضي صدر الدين أبي البركات أحمد بن فخر الدين أبي الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المعروف بابن الخشاب ، أن قيسارية الفاضل وُقِّت بضع عشرة مرة ، منها مرتين أو أكثر رُفِّ كتاب وُقِّفها بالمعاني^٢ في شارع القاهرة . وهي الآن تشتمل على قيسارية ذات بخرية ماء للوضوء بوسطها ، وأخرى بجانبها يُباع فيها جهاز النساء وشوازمهن ، ويغسلونها رُبَّع فيه عدة مساكن .

قَيْسَارِيَّةُ بَيْبُوسَ

هذه القيسارية على رأس باب الجوزرية من القاهرة . كان موضعها دارا تُعرف بدار الأتماط اشتراها وما حولها الأمير زكن الدين بيبرس الجاشنكير قبل ولايته السلطنة وهدمها ، وعمر موضعها هذه القيسارية والربع فوقها ، وتولَّى عِمارة ذلك مجاهد الدين^٣ بن سالم الموقع . فلما كملت طَلَبَ سائرُ حُجَّار قيسارية جهاز كس وقيسارية الفاضل ، وألزمهم بإخلاء حوانيتهم من القيسارين وسكناهم بهذه القيسارية ، وأكرههم على ذلك ، وجعل أجره كل حانوت منها مائة وعشرين درهما نُقْرة . فلم يَسعِ التجارُ إلَّا استيفجار حوانيتها ، وصار كثيرٌ منهم يقوم بأجرة الحانوت الذي ألزم به في هذه القيسارية من غير أن يترك حانوته الذي هو معه بإحدى القيسارين

(١) بولاق : الأغاني . (ب) بياض في المسودة .

^١ قارن مع ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٢ : ١٤٠ - ١٤٢ ابن واصل : مفرج الكروب ٣ : ٨٨ - ٩٣ : للمقريزي : اغتصبها أيضًا الثوري وجعلها من جملة أوقافه ، وهي إلى السلوك ١ : ١٤٥ - ١٤٩ .
وأضاف ابن أبي السرور البكري : « وهذه القيسارية الآن من جملة أوقافه » . (قطف الأزهار ١٧٤ ط) .

المذكورتين. ونَقَلَ أيضًا صُنَاعَ الْأَخْفَافِ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي الْخَوَانِيتِ الَّتِي خَارِجَهَا، فَعُمِّرَتْ مِنْ دَاخِلِهَا وَخَارِجَهَا بِالنَّاسِ فِي يَوْمَيْنِ. وَجَاءَ إِلَى مَخْدُومِهِ الْأَمِيرِ بَيْبُزَسَ - وَكَانَ قَدْ وَلِيَ السُّلْطَنَةَ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمُطَفَّرِ - وَقَالَ: يَا خَوْنَدَقُ^١ بِسَعَادَةِ السُّلْطَانِ سَكَنْتَ الْقَيْسَارِيَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ طَوِيلًا، وَقَالَ: يَا قَاضِي إِنْ كُنْتَ أَسْكَنْتَهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَهِيَ تَخْلُو فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَجَاءَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ بَيْبُزَسَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ، لَمْ يَبْتَ فِي هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةِ لِأَحَدٍ مِنْ سُكَّانِهَا قِطْعَةً قِمَاشٍ، بَلْ نَقَلُوا كُلَّ مَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا، وَخَلَّتْ خَوَانِيتُهَا مَدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ سَكَنَهَا صُنَاعُ الْأَخْفَافِ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ كُلِّ حَائُوثٍ، وَفِي خَوَانِيتِهَا مَا أُجْرَتْهُ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمٍ. وَهِيَ الْآنَ جَارِيَةٌ فِي أَوْقَافِ الْخَانِقَاهِ الرَّكْنِيَّةِ بَيْبُزَسَ، وَتَسْكُنُهَا صُنَاعُ الْأَخْفَافِ، وَأَكْثَرُ خَوَانِيتِهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِحَرَابِهَا وَلِقِلَّةِ الْأَخْفَافِينَ، وَيُعْرَفُ الْخَطُّ الَّذِي هِيَ فِيهِ الْيَوْمَ بِالْأَخْفَافِينَ رَأْسَ الْجَوْدَرِيَّةِ^٢.

الْقَيْسَارِيَّةُ الطَّوِيلَةُ

هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ فِي شَارِعِ الْقَاهِرَةِ بِشُوقِ الْخَوْدَفُوشِيِّينَ، فِيمَا بَيْنَ شُوقِ الْمَهَامِزِيِّينَ وَشُوقِ الْجُوْنَحِيِّينَ، وَلَهَا بَابٌ آخَرٌ عِنْدَ بَابِ بَيْزَ حَمَامِ الْخَرَّاطِينَ. كَانَتْ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِقَيْسَارِيَّةِ الشُّرُجِ^٣. بَنَاهَا^(b).

قَيْسَارِيَّةُ جَانِي بَك^(c)

هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ تَجَاهَ قَيْسَارِيَةِ الشُّرُجِ، الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِالْقَيْسَارِيَّةِ الطَّوِيلَةِ. بَعْضُهَا وَقَفَهُ الْقَاضِي الْأَشْرَفُ^(d) بَنَ الْقَاضِي الْفَاضِلَ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ عَلِيِّ الْبَيْسَانِيِّ عَلَى مَلَأِ الصُّهْرِيحِ بِدَرْبِ مَلُوحِيَا، وَبَعْضُهَا وَقَفَ الصَّالِحُ طَلَامِيعُ بْنُ رُزَيْكٍ الْوَزِيرُ^٣.

(a) زيادة من المسودة. (b) يياض بالأصول. (c) يياض بالأصول، وفي المسودة: قيسارية تجاه القيسارية المذكورة، والمثبت من نسخة ص. (d) يياض بأباصوليا.

^١ المقريري: مسودة الخطوط ٤١ و-ظ. من وقفه لزوقف خزانين السلاح مبلغًا في كل شهر.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «أصلها وَقَفَ عَلَى خَزَائِنِ»^٣ المقريري: مسودة الخطوط ٣٦ و.

السلاح، ثم صارت من أوقاف المارستان المنصوري، ويوجد

وقد هُدمت هذه القيسارية وبنّاها الأمير جاني بك ذؤادار السلطان الملك الأشرف بزمبائي الدقمائي الظاهري^١، في سنة ثمان وعشرين وثمان مائة، تزيعة تتصل بالوزائقين^٢، ولها باب من الشارع، وجعل علوها طباقاً وعلى بابها حوانيت، فجاءت من أحسن المباني.

قيسارية العصف

هذه القيسارية بشارع القاهرة، لها باب من سوق المهامزين وباب من سوق الوزائقين، عُرفت بذلك من أجل أن العصف كان يُدقُّ بها. أنشأها الأمير عَلم الدين بينجر المشروري المعروف بالحياط^٣، والي القاهرة، ووقفها في سنة اثنين وسبعين^٤ وست مائة^٥. ولم تزل باقية بيد ورثته إلى أن ولي القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي الحفوي كتابة الشتر في الأيام المؤبدية شيخ^٥، فاستأجرها مدة أعوام من مستحقها، ونقل إليها العنبرين فصارت قيسارية عنبر، وذلك في سنة ست عشرة وثمان مائة، ثم انتقل منها أهل العنبر إلى شوقهم في سنة ثمان عشرة وثمان مائة.

قيسارية العنبر

قد تقدّم في ذكر الأشواق أنها كانت سجنًا (ب) يُعرف بحبس المعونة في الدولة الفاطمية ودولة بني أيوب (ب)، وأن الملك المنصور قلاوون عَمَرها في سنة ثمانين وست مائة، وجعلها سوق عنبر (ب) وبني أعلاها رتقا (ب)^٦.

(a) بولاق: تسعين. (b-b) إضافة من مسودة الحطط.

^٣ انظر عنه فيما تقدم ٢٧٥ هـ.

^٤ المقرئ: مسودة الحطط ٣٦ ر.

^٥ القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عثمان بن محمد البارزي الجهني الحفوي الشافعي، كاتب الشتر الشريف بمصر، المتوفى سنة ٨٢٣ هـ/١٤٢٠ م. (المقرئ: السلوك ٤: ٥٤٥؛ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٦١، الدليل الشافي ٢: ٦٧٧؛ الصيرفي: نزعة النفوس ٢: ٤٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٩: ١٣٧-١٣٩).

^٦ المقرئ: مسودة الحطط ٣٦ ر؛ وفيما يلي ٥٩٩.

^١ الأمير سيف الدين جاني بك (جانيك) الأشرفي الذؤادار الثاني، صاحب المدرسة المعروفة الآن بجامع الجنايكة خارج باب زويلة (مسجل بالآثار برقم ١١٩)، على ناصية شارع المقرئين وحارة الجنايكة، المتوفى سنة ٨٣١ هـ/١٤٢٧ م. (أبو الحسن: المنهل الصافي ٢٣٢-٢٣٥، النجوم الزاهرة ١٥: ١٤٨؛ الصيرفي: نزعة النفوس ٣: ١٣٨؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٥٤).

^٢ انظر علي مبارك: الحطط التوفيقية ٣: ٣٢، ٣٦؛ عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ٢٣١؛ وفيما يلي ٣٠٠.

قيسارية الفايزي

هذه القيسارية كانت بأول الخراطين مما يلي المهاميزين ، لها باب من المهاميزين وباب من الخراطين ^١.

أنشأها الوزير / الأسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفايزي ^a، كان من جحلة نصارى صعيد مصر ، وكتب على تصايد ^b ناجية شيوخ بدرهم ، وثلاث في كل يوم ، ثم قديم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وخدم عند الملك الفايزي إبراهيم بن الملك العادل فتسبب إليه ، وتولى نظار الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة . ثم ولي بعض أعمال ديار مصر ، فتقيل عنه ما أوجب الكشف عليه ، فتدب مؤفق الدين الأيدي لذلك ، فاستقر عوضه وسجنه مدة ثم أفرج عنه . وسافر إلى دمشق وخدم بها الأمير جمال الدين يغمور نائب السلطنة بدمشق ^٢.

فلما قديم الملك المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب من حوض كيفا إلى دمشق ، بعد موت أبيه ليأخذ مملكة مصر ، سار معه إلى مصر في شوال سنة سبع وأربعين وست مائة . فلما قامت شجر الدر بتدبير المملكة بعد قتل المعظم ، تعلق بخدمة الأمير عز الدين أيتك التوكماني مقدم الغساكر ، إلى أن تسلطن وتلقب بالملك المعز ، فولاه الوزارة في سنة ثمان وأربعين وست مائة ^٣ . فأحدث مظالم كثيرة ، وقرر على التجار وذوي اليسار أموالا تجتني منهم ، وأحدث ^٤ «التقويم والتصفيح» على سائر الأملاك ، وجبى منها مالا جزيلًا ، ورتب مكوسًا على الدواب من الخيل والجمال والحمير وغيرها ، وعلى الرقيق من العبيد والجواري ، وعلى سائر المبيعات ، وضمن

(a) بولاق : الفارسي . (b) بولاق : مباحض .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٣٦ ظ. وسمها فيه : قيسارية
الشباب ، وتعرف قديمًا بقيسارية الفايزي !

^٢ الوزير الأسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد
بن وهيب الفايزي ، المتوفى سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م .
(الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ١٦٢-١٦٤
ببرس الدوادار : زبدة الفكرة ٦ ، ٢٥ : النويري : نهاية الأرب

^٣ انظر فيما يلي ٧٦٧ .

^٤ انظر عن التقويم والتصفيح فيما تقدم ٢٨٤ .

المنكرات من الخمر والمزّر والحشيش ويبيوت الزواني بأموال، وتسمى هذه الجهات بـ «الحقوق السلطانية والمعاملات الدبوانية»^١.

وتمكن من الدولة تمكناً زائداً إلى الغاية، بحيث إنه سار إلى بلاد الصعيد بقساكر لمحاربة بعض الأمراء، وكان الملك المعز أتيك بكاتبه بالمملوك، وكثر ماله وعقاره، حتى إنه لم يبلغ صاحب قلّم في هذه الدول ما بلغه من ذلك، واقتنى عبدة مماليك منهم من بلغ ثمنه ألف دينار مصرية. وكان يركب في سبعين تملوكاً من مماليكه سوى أرباب الأقاليم والأتاباع، وخرّج بنفسه إلى أعمال مصر واستخرج أموالها. وكان يتوب عنه في الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير، وكان فاضلاً يعرف باللسان التركي، فصار يضبط له مجالس الأمراء ويعرفه ما يدور بينهم من الكلام.

فلم نزل على تمكّنه وتبسط يده وعظم شأنه إلى أن قتل الملك المعز، وقام من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين عليّ وهو صغير، فاستقرّ على عادته حتى شهد عليه الأمير سابق الدين بوزنه الصيرفي^٢ والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكُردي أمير جاندار أنه قال: المملكة لا تقوم بالصّبيان الصغار، والرأي أن يكون الملك الناصر صاحب الشام ملك مصر، وأنه قد عزم على أن يسير إليه يستدعيه إلى مصر ويساعده على أخذ المملكة. فخافت أم السلطان منه، وقبضت عليه وحبسته عندها بقلعة الجبل، ووكلت بعذابه الصّارم أحمر عينه العِمادي الصّالحي، فعاقبه عقوبة عظيمة، ووقفت الحوطة على سائر أمواله وأشباهه وخواشيه، وأخذت خطّه بمائة ألف دينار، ثم خيّن لليالٍ مضت من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وست مائة، ولُفّ في نَحّ ودُفِن بالقرافة. واستقرّ من بعده في الوزارة قاضي القضاة بدر الدين الشّنجاري مع ما بيده من قضاء القضاة.

ولم نزل هذه القيسارية باقية - وكانت تُعرف بـ قيسارية الثّواب - إلى أن أخذها الأمير جمال الدين يوسف الأشتاذار^(b)، هي والحوانيت على يَمّة من سلّك من الخوطين يُريد الجامع الأزهر - وفيما بينهما كان باب هذه القيسارية، وكانت هذه الحوانيث تُعرف بوقف خمرتاش^(c) - وهدم

(a) بولاق: بوزيا. (b) مسودة الخطط: الجاسي. (c) بولاق: خمرتاش.

^١ انظر فيما تقدم ١: ٢٨٣؛ فيما يلي ٤٠٩، ٥٩٨. عند، أي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٤٣، ١١٧.

^٢ انظر بعض أخبار الأمير سابق الدين بوزنا الصيرفي ١٢: ٩.

الجميع وَشَرَعَ فِي بَنَائِهِ ، فَقَتَلَ قَبْلَ أَنْ يَكْمُلَ ، وَأَخَذَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ . فَبُنِيَتْ الْخَوَانِيتُ الَّتِي هِيَ عَلَى الشَّارِعِ بِسُوقِ الْمَهَامِزِينَ ، وَصَارَ مَا بَقِيَ سَاحَةً^١ عَمَرَهَا الْقَاضِي رَزْنُ الدِّينِ عَبْدِ الْبَاسِطِ بْنِ خَلِيلِ الدَّمَشَقِيِّ ، نَازِلُ الْحَيْثِ قَيْسَارِيَّةَ يَعْلُوها رُبْعٌ ، وَبَنَى أَيْضًا عَلَى خَوَانِيتِ جَمَالِ الدِّينِ رَبْعًا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

وَقَالَ الْإِمَامُ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمْدَحِ الْأَسْقَدِ الْفَارِسِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - صَاعِدًا وَابْنَهُ الْمُؤْتَصَّى هِبَةً^(a) :

[مجزوء الخفيف]

مُذْ تَوَلَّى أُمُورَنَا لَمْ أَزَلْ مِنْهُ ذَا هَبِ
وَهُوَ إِنْ دَامَ أَفْرَهُ شِدَّةُ الْعَيْشِ ذَاهِبِ

١٠

قَيْسَارِيَّةُ بَنَكْتَرِ الشَّاقِي^(b)

هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ بِسُوقِ الْحَرِيرِينَ بِالْقُرْبِ مِنْ سُوقِ الزُّوَاقِينَ . كَانَتْ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِالصَّاعَةِ ، ثُمَّ صَارَتْ تُقَدِّقًا يُقَالُ لَهُ قُنْدُقُ جَكَو^(c) . وَأَصْلُهَا مِنْ جَمَلَةِ الدَّارِ الْعُظْمَى الَّتِي تُعْرَفُ بِدَارِ الْمَأْمُونِ بْنِ الْبَطَّاحِيِّ ، وَبَعْضُهَا الْمَدْرَسَةُ الشَّيْوَيْتَةُ . أُنْشِأَ هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ الْأَمِيرُ بَنَكْتَرُ الشَّاقِي فِي الْأَثَامِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، ^(d) وَهِيَ عَلَى يَمْنَةِ الشَّالِكِ مِنَ الْحَرِيرِينَ إِلَى الرَّجَّاجِينَ^(d) .^٢

١٥

قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ يَحْيَى

هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ كَانَتْ تَجَاهُ بَابَ قَيْسَارِيَّةِ جِهَازِ كَسْ حَيْثُ سُوقُ الطُّيُورِ وَقَاعَاتُ الْحَلْوَى . أُنْشِأَهَا الْقَاضِي الْمُفَضَّلُ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ الْمُعَدَّلُ ، كَانَ وَرَاقًا^(e) كَاتِبًا فِي الشُّرُوطِ الْحُكْمِيَّةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، ثُمَّ صَارَ مِنْ جَمَلَةِ الْعُدُولِ ، وَبَقِيَ إِلَى سَنَةِ ثَمَانِينَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) زيادة من مسودة الخطط . (c) بولاق : حكم . (d-d) زيادة من مسودة الخطط . (e) بولاق : مؤثقا .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٣٦ ظ .

^٢ نفسه ٣٦ ظ .

وكان سوق الحريرين يقع بشارع المعز لدين الله عند تجاه خان الخليلي والمعروف بجامع الشيخ مطهر .

وله ابن يُقال له كمالُ الدين عبد المجيد / بن القاضي المُفضَّل . ولكمال الدين ابن يُقال له جلالُ الدين محمد بن كمال الدين عبد المجيد بن القاضي المُفضَّل هبة الله بن يحيى . مات في آخر سنة تسعين وست مائة^(a).

وقد خربت هذه القيسارية^(b)، ولم يبق لها أثر^(c).

قيسارية طاشتمُر

هذه القيسارية بجوار الوراقين، لها باب كبير من سوق الحريرين على يشرة من سلك إلى الزجاجين وباب من الوراقين^(d).

أنشأها الأمير طاشتمُر^(e) في أعوام بضع وثلاثين وسبع مائة . وسكنها عقادو الأزرار حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة خوانيتها، وكان لهم منظر بهيج فإن أكثرهم من بياض النَّاس، وتحت يد كل مُعلَّم منهم عدَّة صبيان من أولاد الأتراك وغيرهم، فطلما مرزوث منها إلى سوق الوراقين، وداخلني حياء من كثرة من أمر به هناك.

ثم لما حدثت المحن في سنة ست وثمان مائة تلاشى أمرها، وخرب الزرع الذي كان علوها وبيعت أنقاضه، وبقيت فيها اليوم بقية يسيرة.

قيسارية الفقراء

هذه القيسارية خارج باب زويلة بخط تحت الزرع . أنشأها^(f) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري^(g).

(a) بولاق : ستين وسبع مائة . (b) بياض في آياصوفيا . (c-c) بياض بالنسخ والمثبت من المسودة .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٣١ ط-٣٢ و .
^٢ شهاها في مسودة الخطط : قيسارية الحرير، وأضاف :
سكنها الحريريون بعد سنة ثلاثين وسبع مائة
^٣ الأمير طاشتمُر (طاشتمُر) الشاقي الناصري المعروف
بخص أنصُر، أخذ ممالك السلطان الملك الناصر محمد بن
قلاوون وخوادمه، توفي مقتولاً بالكرك بشيف الملك الناصر أحمد
سنة ٥٧٤٣/١٣٤٢ م . (الصفدي : أعيان العصر ٥٨٦:٢ -
٥٩١، الوافي بالوفيات ٤٣٧:١٦ - ٤٤٢ ابن حبيب : تذكرة
النبه ٤٦:٣ المقرئ : السلوك ٢: ٦٣٧ ابن حجر : الدرر
الكامنة ٣٢٠:٢ - ٣٢٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة
١٠١:١٠ - ١٠٢، المنهل الصافي ٣٩٢:٦ - ٣٩٤).
^٤ المقرئ : مسودة الخطط ٣٣ =

قَيْسَارِيَّةُ بُشْتَاك

خارج باب زَوِيلَةَ بِحُطِّ تَحْتِ الرَّبْعِ. أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ ^(٥) سَيْفُ الدِّينِ ^(٤) بُشْتَاكُ النَّاصِرِي، وَهِيَ
الْآنَ (b) ١.

قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ ^(٥) الْمُحْسِنِي

- خارج باب زَوِيلَةَ بِحُطِّ ^(٥) تَحْتِ الرَّبْعِ ^(٢)، أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ بَنْدُرُ الدِّينِ يَبْلِيكُ الْمُحْسِنِي وَالِي
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ثُمَّ وَالِي الْقَاهِرَةِ. كَانَ شَجَاعًا مَقْدَامًا، فَأَخْرَجَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ إِلَى
الشَّامِ وَبِهَا مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. فَأَتَّخَذَ ابْنُهُ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَبْلِيكُ
الْمُحْسِنِي إِمْرَتَهُ.

فَلَمَّا مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَوَلَّاهُ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ وَلَايَةَ الْقَاهِرَةِ فِي سَابِعِ عَشْرِ
صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.

فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى قَوْصُونَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ آخِرِ شَهْرِ رَجَبِ مِثْلِهَا، أُتْسِكَ ابْنُ الْمُحْسِنِي، وَأُعِيدَ نَجْمُ
الدِّينِ إِلَى وَلَايَةِ الْقَاهِرَةِ، ثُمَّ عُزِّلَ مِنْ يَوْمِهِ وَوَلِيَ الْأَمِيرُ جَمَالَ الدِّينِ يُوشَفُ وَالِي الْجِيْزَةِ، فَأَقَامَ
أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ، وَعُزِّلَ بِطَلَبِ الْعَامَّةِ عَزْلُهُ وَرَجَمَهُ، فَأُعِيدَ نَجْمُ الدِّينِ ^(٣).

(a-a) زيادة من مسودة المخطوط. (b) يياض بالنسخ. (c) ابن: ساقطة من بولاق.

^١ المقرئ: مسودة المخطوط ٣٣٣.

^٢ نفسه ٣٣٣.

^٣ الأمير بَنْدُرُ الدِّينِ يَبْلِيكُ الْمُحْسِنِي الْجَزْرِي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م. (المقرئ: المقفى الكبير ٥٨٤:٢-٥٨٥، السلوك ٤٧١:٢)، وابنه هو الأمير ناصر الدين محمد بن يبلبك المحسني الجزري، المتوفى بعد سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٥م. (المقرئ: المقفى الكبير ٤٧٠:٥-٤٧١، السلوك ٥٦٥:٢؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٤١١:٣-٤١٢).

= وكانت قَيْسَارِيَّةُ الْفُقَرَاءِ تَقَعُ تَحْتِ زَنْجِ الظَّاهِرِ الْوَاقِعِ خارج باب زويلة، وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتًا (فيما يلي ٥٠٤:٢). وإلى هذا الزنجر ينسب شارع تحت الزنجر على يمين الخارج من باب زويلة (فيما يلي ٣٧٨:٢). وقد وقع حريقٌ بهذا الزنجر سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م أثناء واقعة الكنايس. ويُحدِّد مكانه الآن مجموعة المباني الواقعة بشارع تَحْتِ الزَنْجِ خارج باب زويلة تجاه تِجَاهِ زَوَايَةِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الْكُلْشَانِي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٤٦٦).

قَيْسَارِيَّةُ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ^(٥)

هذه القيسارية كان موضعها في القديم من جُمْلَةِ قَصْرِ الإمَارَةِ الذي بَنَاهُ الأَمِيرُ أَبُو القَبَّاسِ أحمد بن طولون ، وكان يُخْرَجُ منه إلى الجامع من باب في جِدَارِهِ القِبْلِيِّ . فَلَمَّا خَرِبَ صَارَ سَاحَةً أَرْضٍ ، فَعُمِّرَ فِيهَا القَاضِي تَاجُ الدِّينِ ^(٦) المَنَاوِي ، خَلِيفَةُ الحُكْمِ عَنْ قَاضِي القَضَاةِ عِزِّ الدِّينِ عبد العزيز ابن بجماعة ، قَيْسَارِيَّةً فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ مِنْ فَايُضَ مَالِ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ ، فَعُمِّلَ^(٧) فِيهَا ثَلَاثُونَ حَائُوثًا .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَأَى شَخْصٌ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ رَشُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى بَابِ هَذِهِ القَيْسَارِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ : «بَارَكَ اللَّهُ لِمَنْ يَسْكُنُ هَذِهِ القَيْسَارِيَّةَ» ، وَكَرَّرَ هَذَا الْقَوْلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^١ . فَلَمَّا قَصَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا رَغِبَ النَّاسُ فِي سُكْنَاهَا ، وَصَارَتْ إِلَى الْيَوْمِ هِيَ وَجَمِيعُ ذَلِكَ الشُّوقِ فِي غَايَةِ العِمَارَةِ .

وَفِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، أُنْشِأَتْ قَاضِي القَضَاةِ جَلَالُ الدِّينِ عبد الرَّحْمَنِ بن شَيْخِ الإِسْلَامِ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ بن نَصِيرِ بن رَشَلَانَ البَلْقِينِيِّ ^٢ ، مِنْ مَالِ الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ ، قَيْسَارِيَّةً أُخْرَى . فَزَغِبَ النَّاسُ فِي سُكْنَاهَا لِوُفُورِ العِمَارَةِ بِذَلِكَ الْخَطِّ .

قَيْسَارِيَّةُ ابْنِ مُيَسَّرِ الْكُبَيْرِيِّ

هذه القيسارية أَدْرَكْتُهَا بِمَدِينَةِ مِصْرَ فِي حُطٍّ سَوِيْقَةٍ وَزِدَانٍ وَهِيَ عَامِرَةٌ يُبَاعُ بِهَا القُمَاشُ الْجَدِيدُ مِنَ الكَثَّانِ الأَبْيَضِ والأَزْرَقِ والطَّرَحِ ، وَتَمْضِي تَجَارُ القَاهِرَةِ إِلَيْهَا فِي يَوْمِي الأَحَدِ والأَرْبَعَاءِ لِشِرَاءِ الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ .

وَذَكَرَ ابْنُ المُنَوِّجِ أَنَّ لَهَا خَمْسَةَ أَبْوَابٍ وَأَنَّهَا وَقِفٌ ، ثُمَّ وَقِفَتِ الحَوَاطَةُ عَلَيْهَا فَجُرَتْ فِي الدِّيَوَانِ الشَّلْطَانِيِّ ، وَقَصَّدُوا يَبْعَهَا مِرَازًا فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى شِرَائِهَا ، وَكَانَ بِهَا عُمْدُ رُحَامِ

(٥) في المسودة : القيسارية بجوار الجامع الطولوني . (٦) يياض في المسودة وآياصونيا . (٧) بولاقي : تكمل .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٣٢ . ابن رشلان البلقيني ، الخوفي سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م . (انظر

^٢ القاضي جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عمر فيما تقدم ١٧٢هـ .)

فَأَخَذَهَا الذَّيَّوَانُ وَعَمَّوَصَتْ بِعُمْدِ كَدَّانَ ، وَأَنَّهُ شَاهَدَهَا مَسْكُونَةً جَمِيعَهَا عَامِرَةً^١ . انتهى .
وقد خَرِبَ ما حَوَّلَهَا بعد سنة ستين وسبع مائة ، وتزايد الخرابُ حتى لم يَبْقَ حَوْلَهَا سِوَى
كَيْمَانٍ ، فَعَمِلَ لَهَا بَابٌ وَاحِدٌ ، وَتَرَدَّدَ النَّاسُ إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِينِ الْمَذْكُورَيْنِ لَا غَيْرَ . فَلَمَّا كَانَتْ
الْحَوَادِثُ مِنْذُ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَاسْتَوْلَى الْخَرَابُ عَلَى إِقْلِيمِ مِصْرَ ، تَعَطَّلَتْ هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ ،
ثُمَّ هُدِمَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

قَيْسَارِيَّةُ عَبْدِ الْبَاسِطِ

هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ بِرَأْسِ الْخُرَّاطِينَ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، كَانَ مَوْضِعُهَا يُعْرَفُ قَدِيمًا بِقَعْبَةِ الصُّبَاغِينَ ثُمَّ
عُرِفَ^(أ) بِالْقَشَّاشِينَ ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْخُرَّاطِينَ .

وَكَانَ هُنَاكَ مَارِسْتَانٌ وَوَكَّالَةٌ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، وَأَذَرَكْنَا بِهَا حَوَانِيتَ تُعْرَفُ بِوَقْفِ
خَمْرَتَاشٍ^(ب) الْمُعْظَمِيِّ ، فَأَخَذَهَا الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ الْأَشْتَدَّارُ فِيمَا أَخَذَ مِنَ الْأَوْقَافِ . فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَ
النَّاصِرُ فَرَجَ جَانِبًا مِنْهَا وَجَدَّدَ عِمَارَتَهَا ، وَوَقَّفَهَا عَلَى تَرْبِيَةِ أَبِيهِ الظَّاهِرِ بِزُقُوقٍ . ثُمَّ أَخَذَهَا زَيْنُ الدِّينِ
عَبْدُ الْبَاسِطِ بْنُ خَلِيلٍ فِي الْأَيَّامِ الْمُؤَيَّدَةِ شَيْخٌ ، وَعَمِلَ فِي بَعْضِهَا هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةُ^(ج) وَعَلَّوْهَا ،
وَوَقَّفَهَا عَلَى مَدْرَسَتِهِ وَجَامِعِهِ^٢ . ثُمَّ أَخَذَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بَرْزَسَايَ بَقِيَّةَ الْحَوَانِيتِ مِنْ وَقْفِ
جَمَالِ الدِّينِ ، وَجَدَّدَ عِمَارَتَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ^(د) .

(أ) بولاق : عرفت . (ب) بولاق : تمرتاش . (ج) بياض في أباصوفيا . (د) هنا على هامش أباصوفيا : بياض ورقة .

^١ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣٨ .

^٢ هنا على هامش نسخة ص : «وله أيضًا القيسارية المعروفة بإنشائه تجاه باب حازرة الزوم تشتمل على أربعة أبواب : أحدهم تجاه رُبْعِ الزُّبَاتَيْنِ يقابله باب سوق الأخفافيين وهو الآن من أجل أشواق القاهرة يسكنه أغنياء الشجار وبياض

ذِكْرُ الْمَكَانَاتِ وَالْفَنَارِقِ

١ / خَانُ مَشْرُور

خَانُ مَشْرُور مكانان : أحدهما كَبِيرٌ ، والآخر صَغِيرٌ . فالكَبِيرُ على يَشْرَةِ من سَلَك من شُوق باب الزُّهُومَةِ إلى الحَرِيرَيْن ، كان موضِعَهُ خِزَانَةُ الدَّرَقِ التي تَقْدُمُ ذِكْرَهَا في خَزَائِنِ القَصْرِ^١ . والصَّغِيرُ على يَمَنَةِ من سَلَك من شُوق باب الزُّهُومَةِ إلى الجامع الأَزْهَر ، كان سَاحَةً يُبَاع فيها الرُّوقُ بعدما كان موضِعَ المَدْرَسَةِ الكَامِلِيَّةِ هو شُوقُ الرُّوقِ .

قال ابنُ الطُّوَيْرِ : خِزَانَةُ الدَّرَقِ كانت في المكان الذي هو خان مشرور ، وهي يرسم اشتغالات الأساطيل من الكَبُورَةِ الخَزْجِيَّةِ والخُوْذِ الجُلُودِيَّةِ وغير ذلك^٢ .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ : فُنْدُقُ مَشْرُور : مَشْرُورٌ هذا من خُدَامِ القَصْرِ تَخْدَمُ الدَّوْلَةَ المِصْرِيَّةَ واختَصَّ بِالسُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ - رحمه الله - وقَدَّمَهُ على خَلْقَتِهِ . ولم يَزَلْ مُقَدِّمًا في كُلِّ وَقْتٍ ، وله يَدٌ وإِحْسَانٌ ومَعْرُوفٌ ، ويُقَصَّدُ في كُلِّ حَسَنَةٍ وأَجْرٍ وَبَرٍّ ، وَيُطَّلَ الخِدْمَةُ في الأَيَّامِ الكَامِلِيَّةِ ، وَانْقَطَعَ إلى الله تعالى ولزم دارَهُ . ثم بَنَى الفُنْدُقَ الصَّغِيرَ إلى جَانِبِهِ ، وكان قَبْلَ بَنَائِهِ سَاحَةً يُبَاع فيها الرُّوقُ ، اشْتَرَى ثُلُثُهَا من والِدِي - رحمه الله - والثَّلَاثِينَ من وَرَثَةِ ابنِ عَثَرٍ . وكان قد مَلَكَ الفُنْدُقَ الكَبِيرَ لثَلَاثَةِ رَهْمَانٍ وَحَبَسَهُ عَلَيْهِ ، ثم من بَعْدِهِ على الأُمَرَاءِ والفُقَرَاءِ بِالْحَرَمَتَيْنِ ، وهو مائة بَيْتٍ إِلَّا بَيْتًا ، وبِهِ مَسْجِدٌ تُقَامُ فِيهِ الجَمَاعَةُ والسَّبْعُ .

وَلَمَشْرُورِ المذكور يَدٌ كَثِيرٌ بِالشَّامِ وبِمِصْرَ ، وكان قد وَصَّى أَنْ تُعْمَلَ دارُهُ - وهي بِحُطِّ حَاذَةِ الأُمَرَاءِ - مَدْرَسَةً ، وَيُوقَفَ الفُنْدُقُ الصَّغِيرُ عَلَيْهَا . وكانت لَهُ ضَبْعَةٌ بِالشَّامِ يَبِيعُ لِأُمَرِئِ سَيِّفِ الدِّينِ أَبِي الحَسَنِ القَيْمَرِيِّ بِجَمَلِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، وَعُمِّرَتِ المَدْرَسَةُ المذكورة بَعْدَ وَفَاتِهِ^٣ .

(٨) بولاق : الجمع .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٤ - ٢٥ .

^٢ فيما تقدم ٢ : ٣٨١ .

^٣ ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣٤ .

انتهى . (هتولئى ذلك القاضي كمال الدين يحضر ودرّس بها وهى بيده . ودُفِنَ مَشْرُورَ بِالْقَرَأَةِ الصُّغْرَى إِلَى جَانِبِ مَسْجِدِهِ وَصَهْرِيْجِهِ ، وَلَهُ زَنْعٌ بِالشَّارِعِ الْأَعْظَمِ^١ مَوْقُوفٌ عَلَى ذَلِكَ وَغَيْرِهِ بِخُطِّ الشَّقْبَلِيِّينَ . وَمَنَاقِبِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَصِلَاتُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُسْتَقْصَى^٢ .

وَقَدْ أَذْرَكْتُ فُتْدُقَ مَشْرُورِ الْكَبِيرِ فِي غَايَةِ الْعِمَارَةِ ، تَنْزِلُهُ أَغْيَانُ التُّجَّارِ الشَّامِيِّينَ بِتِجَارَاتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِ أَيْضًا مَوْدِعُ الْحُكْمِ الَّذِي فِيهِ أَمْوَالُ الْيَتَامَى وَالْعُقَابِ ، وَكَانَ مِنْ أَجْلِ الْخَانَاتِ وَأَعْظَمِيَّهَا .

فَلَمَّا كَثُرَتْ الْحِجْرُ بِخَرَابِ بِلَادِ الشَّامِ مِنْذُ سَنَةِ تَيَمُورْلُوكَ ، وَتَلَاشَتْ أَمْوَالُ إِقْلِيمِ مِصْرَ ، قُلَّ التُّجَّارُ وَتَطَلَّ مَوْدِعُ الْحُكْمِ ، فَقُلَّتْ مَهَابَةُ هَذَا الْخَانَ ، وَزَالَتْ حُزْمَتُهُ ، وَتَهَدَّمتْ عِدَّةٌ أَمَاكِينُ مِنْهُ ؛ وَهُوَ الْآنَ بِيَدِ الْقَضَاءِ^٣ .

فُتْدُقُ بِلَالِ الْمُغِيثِي

- ١٠ هذا الفُتْدُقُ فيما بين خُطِّ حَمَامِ خُشَيْبِيَّةٍ وَحَارَةِ الْعَدْوِيَّةِ^٤ . أَنشَأَهُ الْأَمِيرُ الطُّوَاشِي أَبُو الْمُنَاقِبِ مُحْسَمُ الدِّينِ بِلَالُ الْمُغِيثِي^٥ ، أَخَذَ خُدَّامَ الْمَلِكِ الْمُغِيثِ صَاحِبِ الْكَرْكِ ، كَانَ حَبَشِي الْجِنْسِ حَالِكُ السُّودِ ، خَدَمَ عِدَّةً مِنَ الْمُلُوكِ ، وَاسْتَقَرَّ لَوْلَا^٦ الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلِيٌّ بْنُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، وَكَانَ مُعْظَمًا إِلَى الْغَايَةِ يَجْلِسُ فَوْقَ جَمِيعِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ إِذَا رَأَاهُ يَقُولُ : رَجِمَ اللَّهُ أَسْتَاذَنَا الْمَلِكَ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ . أَنَا كُنْتُ أَحْمَلُ سَاوْمُوزَةَ^٧ هَذَا

١-٢ (a) إضافة من مسودة المواظ . (b) بولاق : القضاء . (c) مسودة المواظ : بخط الحارة العدوية . (d) بولاق :

شارموزه .

طابوشي وخزقنها العائنه إلى طواشي، وهو الخصى. قال المقرئ: «وأذركهم ولهم حزمة وافرة وكلمة نافذة وجانب مزعي، ويعد شمعهم من أغيان الناس يجلس على مزقبة». (فيما يلي ٢: ٣٨٠). وانظر كذلك معنى الطواشي في العصر الأيوبي (فيما تقدم ١: ٢٣٢-٢٣٣).
٣ لالا. لفظ فارسي معناه الشخص المكلف بالناية بالأطفال.

٤ سارموزة (سرموزة). لفظ فارسي معناه رأس الخف، فإن سارموزة، وموزة: خف، وهي تطلق على =

١ المقرئ: مسودة المواظ ٤٠٤-٤٠٥.

٢ الأمير الطواشي محسام الدين أبو المنائب بلال المغيثي الجلالي الجمدار الصالح، عُرف بالمغِيثِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ الْمُغِيثِ قَلْبُحِ الدِّينِ عَمْرِ بْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ صَاحِبِ الْكَرْكِ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ هـ/ ١٢٩٩ م. (راجع، الصفدي: أعيان العصر ٢: ٤٢، الوافي بالوفيات ١٠: ٢٨٠، المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٤٨١-٤٨٣، السلوك ١: ١٩٠٥) العيني: عقد الجمان ٦: ١٢٦).
والتواشي ج. الطواشيه. لفظ تركية أضلها بلمتهم:

الطواشي حُسام الدين كُلَّمَا دَخَلَ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ فَأَقْدَمَهَا لَهُ .

وكان كثير البِرِّ والصدقات ، وله أموالٌ بجزيلة ، ومدَّحه عدَّة من الشعراء ، وأجازَ على المديح ، وتجاوزَ عمره ثمانين سنة . فلَمَّا خَرَجَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ لِقِتَالِ التُّتْر ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتْ مِائَةٍ ، سَافَرَ مَعَهُ فَمَاتَ بِالسَّوَادَةِ وَدُفِنَ بِهَا ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْهَا بَعْدَ وَقْعَةِ شَقْحَبَ إِلَى تَرْبَتِهِ بِالْقَرَّافَةِ فَدُفِنَ هُنَاكَ ^١ .

وما يَبْرَحُ هَذَا الْفُنْدُقُ يُودِعُ فِيهِ السُّجَّارَ وَأَزْوَاجَ الْأَمْوَالِ صِنَادِيقِ الْمَالِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَذْخُلُ فِيهِ فَإِذَا بِدَائِرِهِ صِنَادِيقَ مُصْطَفَاةٍ مَا بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، لَا يُفْضَلُ عَنْهَا مِنَ الْفُنْدُقِ غَيْرُ سَاحَةِ صَغِيرَةٍ بِوَسْطِهِ ، وَتَشْتَمِلُ هَذِهِ الصِّنَادِيقُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى مَا يَجِلُّ وَصَفُهُ .

فَلَمَّا أَنْشَأَ الْأَمِيرُ الطَّوَّاشِي زَيْنُ الدِّينِ مُقْبِلُ الزَّمَامِ الْفُنْدُقَ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ، وَأَنْشَأَ الْأَمِيرُ قَلَمْطَايَ الْفُنْدُقَ بِالرَّجَّاجِينَ ، وَأَخَذَ الْأَمِيرُ يَلْبَعًا السَّالِمِي أَمْوَالَ النَّاسِ فِي وَاقِعَةِ تَيْمُورَلَنْكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، تَلَاشَى أَمْرُ هَذَا الْفُنْدُقِ ، وَفِيهِ إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ .

فُنْدُقُ الصَّالِحِ^a

هَذَا الْفُنْدُقُ ^(b) وَالرُّبْعُ عُلوُّهُ^b بِجَوَارِ بَابِ الْقَوْسِ الَّذِي كَانَ أَحَدَ بَابِي زَوِيْلَةٍ ، فَمَنْ سَلَكَ الْيَوْمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ يُرِيدُ بَابَ زَوِيْلَةٍ ، صَارَ هَذَا الْفُنْدُقُ عَلَى يَسَارِهِ . وَأَنْشَأَهُ ، هُوَ وَمَا يَغْلُوهُ مِنَ الرُّبْعِ ، الْمَلِكُ الصَّالِحُ غَلَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ^٢ . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى مُحَازَمَةِ التُّتْرِ بِيْلَادِ الشَّامِ ، سَلَطَنَهُ وَأَرْكَبَهُ بِشِيعَارِ السُّلْطَنَةِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتْ مِائَةٍ ، وَشَقَّ بِهِ شَارِعَ الْقَاهِرَةِ مِنْ بَابِ التَّصْرِ إِلَى أَنْ عَادَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ ،

(a) مسودة المواظ : فندق الملك الصالح . (b-b) إضافة من مسودة المواظ .

^٢ يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِهِ الْآنَ الْمَبْنَى الْوَاقِعَ خَلْفَ مَسْجِدِ سَامِ = نِعَالِ النَّشَاءِ ، أَوْ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْدِيَةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي تُخْلَعُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ . (فِيمَا يَلِي ٣٤٦ : Mayer, L., *Mamluk* .
شمال جامع اللويد شيخ .
(Costume, pp. 72, 74) .

^١ المقريري : مسودة المواظ ٤٠٧ .

فَمَرَضَ عَقِيبَ ذَلِكَ وَمَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبَانَ [سنة سبع وثمانين وست مائة]^a. فأظهر السلطان لموته جَزَعًا مُقْرَطًا وَحُزْنًا زَائِدًا، وَصَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ «وَأَوْلَدَاهُ»، وَرَمَى كَلْوَتَهُ^١ عَنْ رَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَبَقِيَ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ إِلَى أَنْ دَخَلَ الْأَمْرَاءُ إِلَيْهِ وَهُوَ مَكْشُوفُ الرَّأْسِ يَصْرُخُ «وَأَوْلَدَاهُ»، فَعِنْدَمَا عَايَنُوهُ كَذَلِكَ أَلْقَوْا كَلْوَتَاتِهِمْ عَنْ رِءُوسِهِمْ وَبَكَوْا سَاعَةً. ثُمَّ أَخَذَ الْأَمِيرَ طُونُطَايَ النَّائِبَ^٢ شَاشَ^٣ السُّلْطَانِ مِنَ الْأَرْضِ، وَنَاوَلَهُ لِلْأَمِيرِ سُتْقَرَّ الْأَشْقَرِ^٤، فَأَخَذَهُ وَمَشَى وَهُوَ مَكْشُوفُ الرَّأْسِ، وَبَاسَ الْأَرْضَ وَنَاوَلَ الشَّاسَ لِلْسُّلْطَانِ، فَذَفَقَهُ وَغَالَ: إِيْشْ أَعْمَلْ بِالْمَلِكِ بَعْدَ وَلَدِي؟ وَاقْتَتَعَ مِنْ لِبْسِهِ. فَقَبَّلَ الْأَمْرَاءُ الْأَرْضَ يَسْأَلُونَ السُّلْطَانَ فِي رِئْسِ شَائِسِهِ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ فِي السُّؤَالِ سَاعَةً حَتَّى أَجَابَهُمْ وَعَطَى رَأْسَهُ^٥.

فَلَمَّا أَصْبَحَ تَخَرَّجَتْ جَنَازَتُهُ مِنَ الْقَلْعَةِ، وَمَعَها الْأَمْرَاءُ مِنْ غَيْرِ حُضُورِ السُّلْطَانِ، / وَسَارُوا بِهَا إِلَى تَرْبَةِ أُمِّهِ الْمَعْرُوفَةِ بِتَرْبَةِ خَاتُونِ^٦، قَرِيبًا مِنَ الْمَشْهَدِ التَّغْيِسِيِّ، فَوَارَزُوهُ وَأَنْصَرَفُوا^٧. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَانِيهِ، نَزَلَ السُّلْطَانُ مِنَ الْقَلْعَةِ وَعَلِيهِ الْبِيَاضُ تَحَرُّنًا عَلَى وَلَدِهِ، وَسَارَ وَمَعَهُ الْأَمْرَاءُ بِثِيَابِ الْحُزْنِ إِلَى قَبْرِ ابْنِهِ، وَأَقِيمَ الْعَزَاءُ لِمَوْتِهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ.

(a) بياض في الأصول والزيادة من المصادر.

^١ كَلْوَتُهُ ج. كَلْوَتَات. غطاء للرأس من الصوف المضرب بالقطن يُلبس وحده أو بعمامة. (ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٤هـ).
^٢ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ طُونُطَايَ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ عَظِيمِ دَوْلَةِ أَسَاطِدَةِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُون. قَبِضَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُون وَقَتْلَهُ تَحْتَ الْعُقُوبَةِ سَنَةَ ٦٨٩هـ / ١٢٩٠ م. (الصنفدي: الوافي بالوفيات ١٦: ٤٢٩ - ٤٣٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٤٩، ١٠٤؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٥١؛ المقرئ: السلوك ١: ٧٨١ - ٧٨٢؛ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٦: ٨٧ - ٩٥، النجوم الزاهرة ٨: ٣٧).

^٣ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ٤٩، ١١٣٦؛ المقرئ: السلوك ١: ٦٦٥؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢٦ - ٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٣؛ المنهل الصافي ٦: ٣٨٦ - ٣٨٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٣٦٥ - ٣٦٦ وفيما يلي ٢: ٣٨٦ - ٣٨٧).

^٤ ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١١٥؛ المقرئ: السلوك ٤٤: ١ (وفيه أن الوفا ناجمة عن دوسنطاريا كبدية)، مسودة المواعظ ٢٥ - ٤٢٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١: ٣٥٨.

^٥ عن التَّرْبَةِ الْخَاتُونِيَّةِ أَوْ تَرْبَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، انظر فيما يلي ٢: ٣٩٤.

^٧ المقرئ: مسودة المواعظ ٢٥ - ٤٢٧. قماش.

خَانُ السَّيْلِ

هذا الخان خارج باب الفُتُوح . قال ابنُ عبد الظَّاهر : خانُ السَّيْلِ بَنَاهُ الأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّين أَبُو سَعِيدٍ قَرَأُوشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَسَدِي ، خَادِمُ أَسَدِ الدِّينِ شَيْخِرْكَوهِ وَعَتِيقِهِ ، لِأَبْنَاءِ السَّيْلِ وَالْمُسَافِرِينَ بِغَيْرِ أَجْرَةٍ ، وَبِهِ بَقْرٌ سَاقِيَةٌ وَخَوْضٌ^١ .

وَقَرَأُوشُ هَذَا هُوَ الَّذِي بَنَى الشُّورَ الْمُحِيطَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَبَنَى قَلْعَةَ الْجَبَلِ وَبَنَى الْقَنَاظِرَ الَّتِي بِالْمِيزَةِ عَلَى طَرِيقِ الْأَهْرَامِ ، وَعَمَّرَ بِالْمَقْسِ رِبَاطًا ، وَأَسْرَهَ الْفَرَنْجُ فِي عَكَا وَهُوَ وَالْيَهَا ، فَاضْكَهُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَتُوفِيَ مُسْتَهْلَ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَذُفِنَ بِسَفْحِ الْجَبَلِ الْمُقَطَّمِ مِنَ الْقَرَاةِ^٢ .

خَانُ مَنكُورَش

هذا الخانُ بِحُطٍّ سُوْقِ الْخَيْمِيِّينَ بِالْقَرْبِ مِنَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : خَانُ مَنكُورَشَ بَنَاهُ الأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ مَنكُورَشُ زَوْجُ أُمِّهِ الْأَوْحَدِ بْنِ الْعَادِلِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى وَرَثَتِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الأَمِيرِ صَلَاحِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ شُعْبَانَ الْإِرْبِلِي فَوَقَّفَهُ ، ثُمَّ تَحَيَّلَ وَلَدُهُ فِي إِبْطَالِ وَقْفِهِ ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ ، وَجَعَلَهُ مُرْصَدًا لَوَالِدَةِ خَلِيلٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهَا^٣ . انْتَهَى .

قَالَ كَاتِبُهُ (b) : وَمَنكُورَشُ هَذَا كَانَ أَحَدَ تَمَالِيكِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، وَتَقَدَّمَ حَتَّى صَارَ أَحَدَ الْأَتْرَاءِ الصَّالِحِيَّةِ وَغُرِفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالتَّجَدَّةِ وَإِصَابَةِ الرَّأْيِ وَجَوْدَةِ الرُّمْيِ

(a) الروضة : ابنة . (b) بولاق : مولفه .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٣٣ المقرئ : ٥٠٨ المقرئ : مسودة المواظ ٣٦٤ وانظر كذلك ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٩١:٤-٩٢٢ الصفيدي : الوافي بالوفيات ٢٤:٢٢٣ المقرئ : السلوك ١:١٥٨ أبا الحسن : النجوم الزاهرة ١٧٦:٦-١٧٨ Sobernheim, (M., El² art. Karâkûsh IV, p. 633 .

^٢ بهاء الدين قراقوش الأسدي باني قلعة الجبل وسور القاهرة للناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورد ذكره في الكتاب في مناسبات عديدة ، وفي كل مرة يضيف المقرئ تفاصيل جديدة عنه . (انظر فيما تقدم ٣-٤ ، وفيما يلي

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٦ .

وُثِبَتْ^(a) الجِشَّاشُ . فَلَمَّامَاتٍ فِي سُؤَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، أَخَذَ إِقْطَاعَهُ الْأَمِيرُ يَازُكُوجَ الْأَسَدِي .
وَهَذَا الْخَاتَمُ الْيَوْمَ^(b) يُعْرَفُ بِخَاتَمِ النَّشَارِينَ عَلَى يَسْرَةِ مَنْ سَلَكَ مِنَ الْخَرَاطِينِ إِلَى الْخَيْمَتَيْنِ ، وَهُوَ
وَقُفَّ عَلَى جِهَاتٍ بَرَّةٍ .

فُنْدُقُ ابنِ قُرَيْشٍ

- هذا الْفُنْدُقُ^(c) قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : فُنْدُقُ ابْنِ قُرَيْشٍ اسْتَجْلَدَهُ الْقَاضِي شَرْفُ الدِّينِ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ قُرَيْشٍ كَاتِبَ الْإِنْشَاءِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى وَرَثَتِهِ^١ . انْتَهَى .
إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الْوَحْشَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْقَزِيزِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ قُرَيْشٍ ، أَبُو إِسْحَاقَ الْقُرَشِيُّ الْخَزْرُمِيُّ
الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ شَرْفُ الدِّينِ - أَخَذَ الْكِتَابَ الْمُجِيدِينَ خَطًّا وَإِنْشَاءً ، خَدَّمَ فِي دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، وَفِي دَوْلَةِ ابْنِهِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ ، بِدِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِمَكَّةَ
وَمِصْرَ ، وَخَدَّمَ^٢ .

وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ بِالْقَاهِرَةِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَقَرَأَ
الْقُرْآنَ ، وَحَفِظَ كَثِيرًا مِنْ كِتَابِ «الْمُهَذَّبِ» فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَتَرَعَّ فِي
الْأَدَبِ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ مُجَلَّدٍ ، وَمَاتَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى
الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٣ .

وَكَالَةُ قَوْصُون

[أثر رقم ١١]

هَذِهِ الْوَكَالَةُ فِي مَعْنَى الْقَنَادِقِ وَالْخَانَاتِ ، يَنْزِلُهَا الشُّجَارُ بِبِضَائِعِ بِلَادِ الشَّامِ مِنَ الزُّبَيْتِ وَالشُّعْرِجِ
وَالصَّابُونِ وَالذَّهَبِ وَالنُّشْتِقِ وَالْجَوْزِ وَاللُّوزِ وَالْخَوْنُوبِ وَالرَّبِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَمَوْضِعُهَا فِيمَا بَيْنَ
الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ وَدَارِ سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ^٣ .

(a) بولاق : ثبات . (b) بولاق : الآن . (c) بياض في آياصوفيا نصف سطر .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٦ .

^٢ ابن أخت القاضي الفاضل ، مَرَّ وَالِدُهُ فِيمَا تَقْدُمُ^٣ مَا زَالَتْ بِقَايَاهَا قَائِمَةً فِي شَارِعِ بَابِ النَّصْرِ عِنْدَ تَلَايِقِهِ
مَعَ شَارِعِ الضَّيْبَةِ وَتُعْرَفُ أَيْضًا بِوَكَالَةِ الصَّابُونِ .

٢ : ٨٦ ، وَرَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ عِنْدَ ، الْمُقْرِيزِيِّ : الْمُقْفَى الْكَبِيرِ

كانت أخيراً داراً تُعرف بدار تغريل التوغاني^٥، فأخربتها وما جاورها الأمير قوضون، وجعلها قُنْدُقاً كبيراً إلى الغاية وبدائره عدَّة مخازن، وشرط ألا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك، ولا يُخرج أحد من مخزنه، فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرةتها وكثرة فوائدها^١.

وقد أدرجنا هذه الوكالة، وإن رؤيتها من داخلها وخارجها لثديش، لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع، وازدحام الناس، وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يحتاجها. ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمان مائة على يد تيمورلنك، وفيها إلى الآن بقية.

ويقلو هذه الوكالة رباح تشتمل على ثلاث مائة وستين بيتاً أدرجناها عامرة كلها، ويحزر أنها تحوي نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير. فلما كانت هذه الحين في سنة ست وثمان مائة، خرب كثير من هذه البيوت، وكثير منها عامرٌ آجل.

دار التفاح^٦

هذه الدار هي قُنْدُقٌ تجاه باب زويلة^٧، ترد إليه القواكة على اختلاف أصنافها مما يثبت في بساتين ضواحي القاهرة، ومن التفاح والكمثرى، والشفرجل الواصل من البلاد الشامية إنما يُباع في وكالة قوضون إذا قديم، ومنها يُنقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما^٨. وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عُملت بُشْتَاناً في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب^٩.

وأنشأ هذه الدار الأمير طغرلدمر^{١٠} بعد سنة أربعين وسبع مائة، ووقفها على خائفاه بالقرافة. وبظاهر هذه الدار عدَّة خوانيت تُباع فيها الفاكهة، تُذكر رؤيتها وشم عوفها الجنة؛ لطبيعتها

(a) بولاق : تمثيل البوعاني . (b) بولاق : فندق دار التفاح . (c) مسودة الخطط : خارج باب زويلة .

^١ المقريري : مسودة الخطط ٣٢ و .
^٢ نفسه ٣٢ و .
^٣ فيما تقدم ٥٣ .
^٤ انظر عن الأمير سيف الدين طغرلدمر (طغرلدمر الحنوي
 الناصري الشافعي ، المتوفى سنة ١٣٤٥/٧٧٤٦م (فيما يلي
 ٣٨٨هـ)^٥ .

وحُسن منظرها، وتأتق الباعة في تنضيبها، واحتفافها بالرياحين والأزهار. وما بين الحوانيت مشقوق حتى لا يصل إلى الفواكه حرُّ الشمس.

ولا يزال ذلك الموضع غطاً طرياً، إلا أنه قد احتل منذ سنة ست وثمان مائة، وفيه بقية ليست بذلك، ولم تزل إلى أن هدم غلّو الفنّاق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة / إحدى وعشرين وثمان مائة. وذلك أن الجامع المؤيدي جاءت^(٥) شبايكه الغربية من جهة دار التفاح، فعمل فيها كما صار يعمل في الأوقاف، وحكم باستبدالها، ودفع في ثمن نقضها ألف دينار إفريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدي فضة، ويحصل من أجرتها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوّسا: عنها ألف مؤيدي. فاستشنع هذا الفعل. ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفنّاق.

٩٤:٢

وَكَالَةُ بَابِ الْجَوَانِيَةِ^(٦)

هذه الوكالة تجاه باب حارة الجوانية من القاهرة^(٧) وبجوار دُرب الرشيدى فيما بينه وبين وكالة قُوضون يفصل بينهما الشارع السلوك فيه إلى يحملون ابن صبرم ودُرب الفرحية^(٨). كان موضعا عبدة مساكن، فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن على الأستاذار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة، وبناها فنّاقاً ورثعاً بأغلاه. فلما كملت رسم الملك الظاهر يوقوق أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة، وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس، ويصير ما يرد في البر يُدخل به على عادته إلى وكالة قُوضون، وجعلها وفقاً على المدرسة الخانقاه التي أنشأها بخط بين القصرين، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم^١.

(٥) بولاق: جاء. (٦) مسودة الخطط: الوكالة المستجدة. (٧-٨) هذه العبارة من مسودة الخطط، وعرضها في النسخ: فيما بين درب الرشيدى ووكالة قوضون.

^١ المعريزي: مسودة الخطط ٣٢٢ ظ.

خَانُ الْخَلِيلِي

هذا الخان بخط الزرايشة العتيق . كان موضعه ثروة القصر التي فيها قبور الخلفاء الفاطميين ، المعروفة بثوبة الزعفران ، وقد تقدم ذكرها عند ذكر القصر من هذا الكتاب ^١ ، فأنشأه الأمير جهازكس الخليلي ، أمير آخور الملك الظاهر بقوق ^٢ خاناً ^٣ ، وأخرج منها عظام الأموات في المزابيل على الحمير ، وألقاها بكيمان البرقية هوائاً بها . فإنه كان يلوذ به شمس الدين محمد ابن أحمد القليجي - الذي تقدم ذكره في ذكر الدور من هذا الكتاب ^٤ - وقال له : إن هذه عظام الفاطميين ، وكانوا كُفَّاراً رَفَضَ . فاتفق للخليلي في مؤنه أمر فيه عيزة لأولي الألباب ، وهو أنه لما وَرَدَ الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ، ومجيء الأمير مطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق ، أخرج الملك الظاهر بقوق خمس مائة من الماليك ، وتقدم لعدة من الأتراء بالمسير بهم . فخرج الأمير الكبير أيتشمش الناصري والأمير جهازكس الخليلي هذا والأمير يونس الدواذار والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكي والأمير يذكار الحاجب ، وساروا إلى دمشق ، فلقبهم الناصري ظاهراً دمشق ، فانكسر عسكر السلطان لخاتمة ابن يلبغا ويذكار ، وفر أيتشمش إلى قلعة دمشق . وقُتِلَ الخليلي في يوم الاثنين حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبع مائة وترك على الأرض عاريًا وسوَّاه مكشوفة ، وقد انتفخ - وكان طويلاً عريضاً - إلى أن تمزق وتلي ، عُقوبته من الله تعالى بما هتك من ريم الأئمة وأبنائهم .

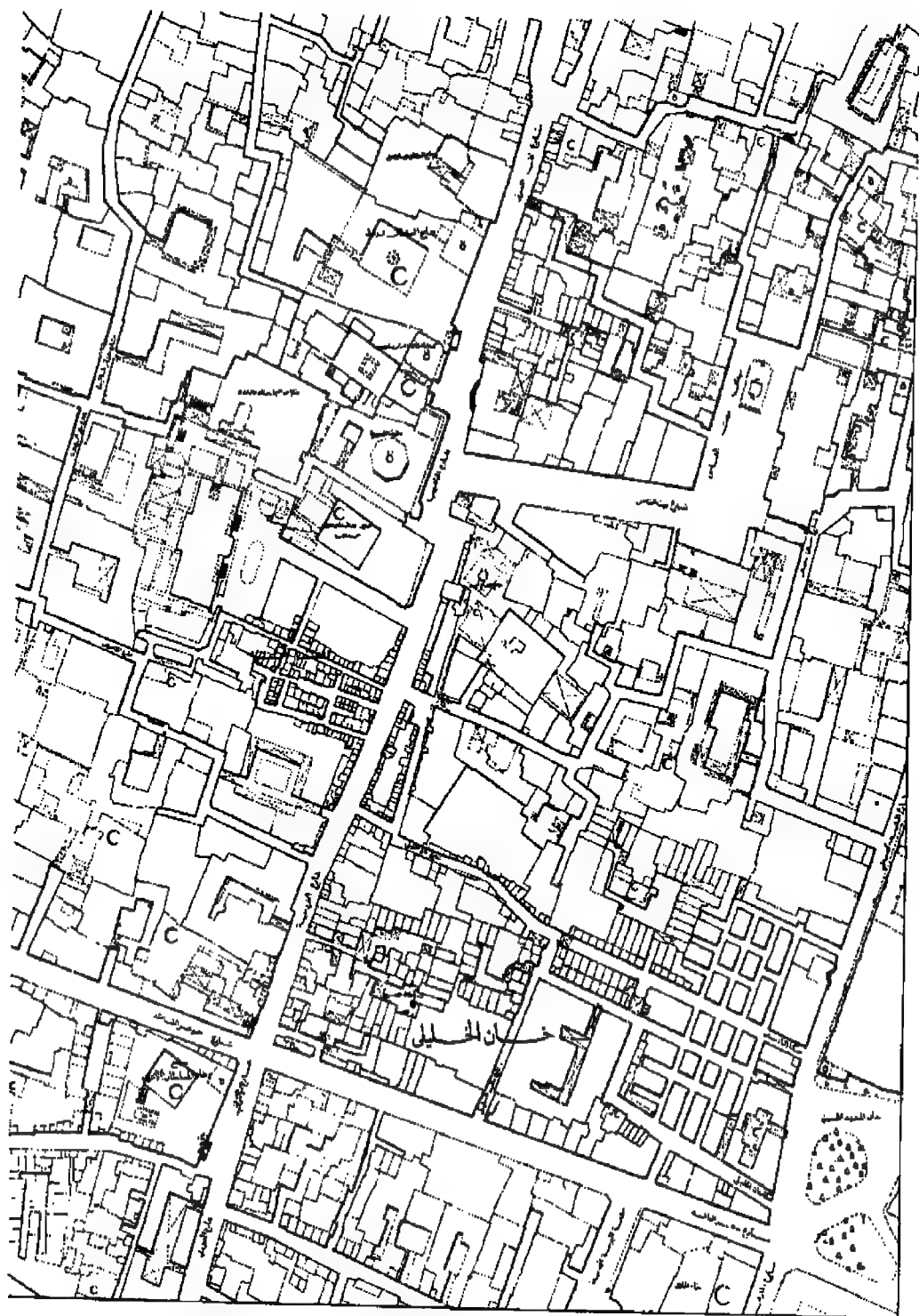
(a) إضافة من مسودة الخطط .

^١ فيما تقدم ٣٥١:٢ - ٣٥٣ .

عربي وهو «أمير» ، والآخر فارسي وهو «آخور» ومعناه : الملقف . فيكون معنى المصطلح : «أمير الملقف» ، لأنه المتولي لأمر الثواب ؛ وهو أيضاً المتحدث عن إسقاط السلطان أو الأمير والمتولي لأمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما يدخل في حكم الأسطبلات . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤٦١:٥ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ١٧٤-١٨١) .

^٢ فيما تقدم ٢٥٠ .

^٣ الأمير سيف الدين جهازكس (جاركس) الخليلي البيلغاري ، المتوفى سنة ١٣٨٩/٥٧٩١ م . (ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٦٣:٩ - ٦٤ ، ١٧٢ : المقرئ : السلوك ٣: ٦٨٥ ابن حجر : إنباء الغمر ١: ٢٣٣ ؛ أبو الحسن : النجوم الزاهرة ١١: ٣٨٣ ، المنهل الصافي ٢٠٥:٢ - ٢٠٧) ، وعن معنى جهازكس ، انظر فيما تقدم ٢٩٠ . والأمير آخور . مصطلح مركب من لفظين أحدهما



خريطة تُوضِّح مكان خان الخليلي من القاهرة الفاطمية

ولقد كان - عفا الله عنه - عارفاً خبيراً بأمر دُنياء كثير الصدقة ، ووقفَ هذا الخان وغيره على عمل خبز يفروق بمكة على كل فقير منه في اليوم رغيفان ، فعُملَ ذلك مدة سنين . ثم لما عظمت الأشعار بمصر ، وتغيرت نفوذها من سنة ست وثمان مائة ، صار يُحمل إلى مكة مالٌ ويفرق بها على الفقراء^١ .

فندق عمر نطاي

هذا الفندق كان بخارج باب البعير ظاهر المقدس ، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام ، وكان فيه ستة عشر عموداً من رخام ، طول كل عمود ستة أذرع بذراع القمل في دور ذراعين ، ويعلوه رنق كبير .

فلما كان في واقعة هدم الكنائس وخريق القاهرة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة ، قديم تاجر بعد العصر يزيت وزن في مكبيه عشرين ألف دزهم نفرة ، سوى أصنافٍ آخر قيمتها مبلغ تسعين ألف دزهم نفرة ، فلم يتهياً له القراع من ثقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلى بعد عشاء^(a) الآخرة . فعند^(b) نصف الليل ، وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة ثامن^(c) شهر ربيع الآخر منها ، كما كان يقع في غير موضع من فغل النصارى ، فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجازة التي كان مبيتاً بها ، وحتى الأعيمدة المذكورة ، وصارت كلها جيراً ، واحترق علوه ، وأصبح التاجر يستعطي الناس . وموضع هذا الفندق^(d) ٢ .

(a) بولاق : إلا بعد العشاء . (b) بولاق : فلما كان . (c) بولاق : من ، وباريس : ليلة . من . (d) في هامش آياصوفيا : يماض ورقة ونصف .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٣٢ ط .
وأضاف ابن أبي السرور البكري : « وهذا الخان اغتصبه الغوري وجعله من جملة أوقافه ، وهو الآن من جملة أوقافه » . (قطف الأزهار ١٧٩ ط) .
وتدل على موقع خان الخليلي الآن المنطقة التي تحد من الغرب بشارع المعز لدين الله (في مواجهة جامع الشيخ مطهر والصاغة) ، ومن الشمال ميكة الباشا وشارع خان الخليلي ، ومن الجنوب شارع جوهر القائد ، ومن الشرق

امتداد شارع خان الخليلي عند باب الغوري المعروف باب الباشا (مسجل بالآثار برقم ٥٤) . وانظر مجموعة الدراسات الصادرة عن المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة بعنوان Denoix, S., Charle Depaule, J. et Tuchscherer, M., *Le Khan al-Khalili et ses environs. Un centre commercial et artisanal au Caire du XIII^e au XX^e siècle*, I-II, Le Caire - IFAO 1999.

^٢ المقرئ : السلوك ٢ : ٢٢٦ ؛ أبو الحسن : النجوم =

ذِكْرُ الْأَشْوَاقِ^١

قال ابن سيده: وَالْأَشْوَاقُ التي يُتَعَامَلُ فِيهَا تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ ، وَالْجَمْعُ أَشْوَاقٌ . وفي التَّنْزِيلِ : ﴿لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ يُتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [آية ٢٠ سورة الفرقان] . وَالشَّوْقَةُ لَعْنَةٌ فِيهَا ، وَالشَّوْقَةُ مِنَ النَّاسِ : مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا سُلْطَانٍ ، الذَّكْرُ وَالْأُنْثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ^٢ .

- وقد كان بمدينة مصر والقاهرة وظواهرها من الأشواق شيء كثير جداً قد بَادَ أَكْثَرُهَا ، وَكَفَاكَ دَلِيلًا عَلَى كَثْرَةِ عَدِيدِهَا أَنَّ الذي خَرِبَ من الْأَشْوَاقِ ، فيما بين أَرْضِي اللُّوقِ إِلَى بَابِ الْبَحْرِ بِالْمَقْسِ^٣ ، اثْنَانِ وَخَمْسُونَ شَوْقًا أَذْرَكْنَاهَا عَامِرَةً فِيهَا مَا يَبْلُغُ خَوَانِيَتِهِ نَحْوَ السِّتِينَ حَائِثَاتٍ ، وَهَذِهِ الْخِطَّةُ مِنْ جَمَلَةِ ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ الْغَرْبِيِّ ، فَكَيْفَ بَيَقِيَّةُ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ مَعَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ .

- ١٠ وسأذكر من أختار الأشواق ما أجد سبيلًا إلى ذكره إن شاء الله تعالى .

الْقَصَبَةُ

قال ابن سيده: قَصَبَةُ الْبَلَدِ مَدِينَتُهُ ، وَقِيلَ مُعْظَمُهُ^٤ .

^٣ باب البحر بالمقس - سُقِيَ بذلك لأن بحر النيل كان بظاهرة حيث كان يَمُرُّ عَلَى جَامِعِ الْمَقْسِ (موقع جامع الفتح بميدان رمسيس الآن) خارج هذا الباب . وعرف هذا الباب في العصر العثماني بباب الحديد بسبب تركيب باب من الحديد مكانه (وهو الاسم الذي كان يطلق على المكان لفترة قريبة) . ويُتَخَذُ مكانه الآن تَدْخُلُ شَارِعُ فَمِ الْبَحْرِ الْمُتَفَرِّعِ مِنْ شَارِعِ كُلُوتِ بَكٍ مِنْ جِهَةِ مِيدَانِ رَمْسِيَسْ . (محمد رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ١١٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٠٩ هـ ١٩٧٠ ؛ ولحمد الجهيني : أحياء القاهرة القديمة وأثارها الإسلامية - حتى باب البحيرة ، القاهرة - دار نهضة الشرق ٢٠٠٠) .

= الزاهرة ٧٠ : ٩ . وعُدَّ محمد بك رمزي موضع فندق طُرُنْطَايَ فِي النِّهَايَةِ الْغَرْبِيَةِ لِشَارِعِ قَنْطَرَةِ الذِّكَّةِ عِنْدَ تَلَاقِهِ بِشَارِعِ عِرَاقِي ، حَيْثُ كَانَ النَّيْلُ يَجْرِي قَدِيمًا قَبْلَ ظَهْوَرِ الْأَرْضِ الَّتِي عَلَيْهَا بُولَاقُ الْآنَ .

^١ راجع كذلك عن أشواق القاهرة ، وعلى الأخص في عصر سلاطين المماليك ، قاسم عبده قاسم : أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨ ، Raymond, A. et Wiet, G., *Les Marchés du Caire* - Traduction annotée du texte de Maqrizî, Le Caire - IFAO 1979 (وهي ترجمة للفضول التي ذكر فيها المقرئ في الخطط أسواق القاهرة) .

^٤ ابن سيده : اَلْحَكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٦ : ١٣٣ .

^٢ ابن سيده : اَلْحَكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٦ : ٣٢٦ .

والقَصْبَةُ هي أَغْظَمُ أَشْوَاقِ مِصْرَ . وَسَمِعْتُ / غَيْرَ وَاحِدٍ مِّنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ يَقُولُ : إِنَّ الْقَصْبَةَ تَحْتَوِي عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ حَائِثٍ ، كَأَنَّهُمْ يَقْتُونُونَ مَا بَيْنَ أَوَّلِ الْحَسَنِيتَةِ مِمَّا يَلِي الرُّفْلَ إِلَى الْمَشْهَدِ الثَّقَسِيِّ . وَمِنْ اغْتَبَرِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ اعْتِبَارًا جَيِّدًا لَا يَكَادُ أَنْ يُنْكِرَ هَذَا الْحَبْرَ .

وقد أَدْرَكْتُ هَذِهِ الْمَسَافَةَ بِأَسْرَافِ عَامِرَةِ الْحَوَانِيتِ ، غَاصَّةً بِأَنْوَاعِ الْمَائِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْأُمْنِيَةِ ، تُبْهِجُ رُؤْيَاهَا وَيُعْجِبُ النَّظِيرُ هَيْئَتَهَا ، وَيَفْجِرُ الْعَادَّةَ عَنْ إِخْصَاءِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَاعِ ، فَضْلًا عَنْ الْأَشْخَاصِ . وَسَمِعْتُ الْكَافَّةَ مِمَّنْ أَدْرَكْتُ يُفَاخِرُونَ بِمِصْرَ سَائِرِ الْبِلَادِ وَيَقُولُونَ : يُزَمُّ بِمِصْرَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا عَلَى الْيَكِيمَانِ وَالْمَزَابِلِ . يَتَغَنَّوْنَ بِذَلِكَ مَا يَسْتَعْمَلُهُ اللَّبَّانُونَ وَالْجَبَّانُونَ وَالطَّبَّاحُونَ مِنَ الشَّقَافِ الْحُمْرِ الَّتِي يُوَضَّعُ فِيهَا اللَّذَنُ ، وَالَّتِي يُوَضَّعُ فِيهَا الْجُبْنُ ، وَالَّتِي تَأْكُلُ فِيهَا الْفُقَرَاءُ الطَّعَامَ بِخَوَانِيتِ الطَّبَّاحِينَ ، وَمَا يَسْتَعْمَلُهُ يَتَاعُو الْجُبْنَ مِنَ الْخَيْطِ وَالْحُضْرِ الَّتِي تُعْمَلُ تَحْتَ الْجُبْنِ فِي الشَّقَافِ وَقَوْفَهَا^١ ، وَمَا يَسْتَعْمَلُهُ الْعَطَّارُونَ مِنَ الْقَرَّاطِيسِ وَالْوَزَقِ الْقَوِيِّ وَالْخَيْوِطِ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا الْقَرَّاطِيسُ^٢ (الْحَمُولِ فِيهَا الْأَذْوِيَّةُ وَمَا يَسْتَعْمَلُهُ الْأَبَازِرَةُ وَالْفَانِيُونَ مِنَ قَرَّاطِيسِ الْمَوْزِ وَالْخَيْطِ الَّتِي يُشَدُّ بِهَا الْقَرَّاطِيسُ^٣) الْمَوْضُوعِ فِيهَا خَوَائِجِ الطَّعَامِ مِنَ الْحَبُوبِ وَالْأَفَاوِيهِ وَغَيْرِهَا . فَإِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْمَذْكُورَةَ إِذَا حُمِلَتْ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَأُخِذَ مَا فِيهَا ، أُلْقِيَتْ إِلَى الْمَزَابِلِ^٤ .

وَمِنْ أَدْرَكَ النَّاسَ قَبْلَ هَذِهِ الْحَيْنِ وَأَمَقَّنَ النَّظَرَ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ ، لَمْ يَسْتَكْثِرْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَقَدْ اخْتَلَّ حَالُ الْقَصْبَةِ وَخَرِبَ ، وَتَعَطَّلَ أَكْثَرُ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَوَانِيتِ بَعْدَ مَا كَانَتْ مَعَ سَعَتِهَا تَضِيْقُ بِالْبَاغَةِ ، فَيَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرْضِ فِي طُولِ الْقَصْبَةِ بِأَطْبَاقِ الْخَبْثِ وَأَصْنَافِ الْمَعَايِشِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ «أَصْحَابُ الْمَقَاعِدِ»^٥ ، وَكُلُّ قَلِيلٍ يَتَعَرَّضُ الْحُكَّامُ لِنَعْمِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، لَمَا يَخْصُلُ بِهِمْ مِنْ تَضْيِيقِ الشُّوَارِعِ وَقِلَّةِ بَيْعِ أَرْيَابِ الْحَوَانِيتِ . وَقَدْ ذَهَبَ وَاللَّهِ مَا هُنَاكَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ .

وَفِي الْقَصْبَةِ عِدَّةُ أَشْوَاقٍ مِنْهَا مَا خَرِبَ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بَاقٍ . وَسَأَذْكَرُ مِنْهَا مَا يَتَبَيَّرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) ساقطة من بولاق .

^١ قارن هذا الوصف بوصف ناصر خسرو لحالة الرخاء في

عشر الميلادي . (سفرنامه ١٠٥) .

فُتْطَاط مِصْرَ فِي مَتَصَفِّ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ / الْحَادِي

^٢ ذَكَرَهُمْ فِيمَا يَلِي ٣٢٢ بِاسْمِ «أَرْيَابِ الْمَقَاعِدِ» .

سوق باب الفتوح

هذا السوق في داخل باب الفتوح، من حد باب الفتوح الآن إلى رأس حارة بهاء الدين، معشور الجانبين بحوانيت اللحامين والخضرين والفايين والشراعية وغيرهم، وهو من أجل أسواق القاهرة وأعظمها؛ يقصده الناس من أقطار البلاد لشراء أنواع اللحمان الضأن والبقر والمعز، ولشراء أصناف الخضراوات. وليس هو من الأسواق القديمة، وإنما حدث بعد زوال الدولة الفاطمية عندما سكن قراقوش في موضعه المعروف بحارة بهاء الدين، وقد تناقص عما كان فيه منذ عهد الحوادث، وفيه إلى الآن بقية صالحة.

سوق المرحلين

هذا السوق أذكره من رأس حارة بهاء الدين إلى بحري المدرسة الصيرمية معشور الجانبين بالحوانيت المملوكة برحالات الجمال وأقتابها وسائر ما تحتاج إليه، يقصد من سائر إقليم مصر خصوصاً في مواسم الحج. فلو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل وأكثر في يوم واحد^(a) لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرة ذلك عند التجار في الحوانيت بهذا السوق وفي المحازن.

فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمان مائة وكثر سفر الملك الناصر فرج بن بوق إلى محاربة الأمير شفيخ والأمير نوروز بالبلاد الشامية، صار الوزراء يستدعون ما تحتاج إليه الجمال من الرحال والأقتاب وغيرها، فلما لا يذفع ثمنها أو يذفع فيها الشيء اليسير من الثمن. فاحتل من ذلك حال المرحلين وقلت أموالهم بعد ما كانوا مشتهرين بالعتى^(b) الوافر والسعادة الطائلة، وخرب معظم حوانيت هذا السوق وتعطل أكثر ما بقي منها ولم يتأخر فيه سيوى القليل.

سوق حان الزوايين

هذا السوق على رأس سوق أمير الجيوش، قيل له ذلك من أجل أن هناك خاناً تعمل فيه الرؤوس المغمومة. وكان من أحسن أسواق القاهرة فيه جدة من البياعين، ويشتمل على نحو العشرين حائزاً مملوءة بأصناف المأكيل. وقد احتل وتلاشى أمره.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق والنسخ: بالناء.

سوق حارة بَرْجوان

هذا السوق من الأسواق القديمة ، وكان يُعرف في القديم بأسم الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش . وذلك أنَّ أمير الجيوش بذر الجمالي لما قديم إلى مصر في زمن الخليفة المستنصر - وقد كانت الشدة العظمى - بنى بحارة بَرْجوان الدار التي عُرفت بدار المظفر^١ ، وأقام هذا السوق برأس حارة بَرْجوان .

قال ابن عبد الظاهر : والسوق المعروفة بأمير الجيوش معروفة بأمير الجيوش بذر الجمالي وزيد الخليفة المستنصر ، وهي من باب حارة بَرْجوان^٢ إلى قريب الجامع الحاكمي^٣ . وهكذا تشهد مكاتيب دور حارة بَرْجوان القديمة ، فإنَّ فيها : «والحد القبلي ينتهي إلى سوق أمير الجيوش» ، وسوق حارة بَرْجوان هو في الحد القبلي من حارة بَرْجوان .

وأذكر أنَّ سوق حارة بَرْجوان أعظم أسواق القاهرة ، ما ترخنا ونحن شباب نفاخر بحارة بَرْجوان سُكان جميع حارات القاهرة ، فنقول : بحارة بَرْجوان حَمَّامان (نعني حَمَّامِي الرومي وحَمَّام سُويدي ، فإنه كان يُدخَلُ إليها من داخل الحارة^٤) وبها فُؤنان ، ولها السوق الذي لا يحتاج ساكنها إلى غيره .

وكان هذا السوق من سوق خان الرؤاسين إلى سوق الشماعين معفور الجانبين بالعدة الوايزة من يتاعي لحم الضأن السليخ ، ويتاعي اللحم / السميط ، ويتاعي اللحم البقري . وبه عدة كثيرة من الرزاقات ، وكثير من الجبَّانين والخبَّازين واللَّبَّانين والطَّباخين والشَّوَّالين والبواردية^٥ والعطارين

(١) في النجوم الزاهرة : باب حارة بهاء الدين قراقوش .

^١ انظر فيما تقدم ١٧٣-١٧٤ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٦٦ ، أبو المحاسن :

النجوم الزاهرة ٤: ٤٩ وذكرها كلاهما باسم : قيسارية أمير الجيوش ، وأضاف أبو المحاسن : «المعروفة الآن بسوق مزيجوش» ، وهو نفس الاسم الذي يطلقه العامة الآن على شارع أمير الجيوش . وأضاف ابن عبد الظاهر ، وعنه أبو المحاسن ، نقلاً عن كتاب «أساس السياسة» لابن أبي منصور

علي بن طاهر الأزدي ، أنه كان في موضعها دار تعرف بدار القناني ، ودور قوم يعرفون ببني قريشة .

وأعاد المقرئ الحديث عن السوق تحت اسم «سوق أمير الجيوش» فيما يلي ٣٣٤-٣٣٥ ، وانظر أيضاً المقرئ : مسودة الخطط ٣٩٠ .

^٣ فيما تقدم ٢٧١ ، ٢٧٣ .

^٤ أي بائعو الطرشي أو المخللات .

والخَضْرَيْن، وكثير من يتاعى الأُمَيْقَة . حتى إنَّه كان به حائوث لا يُباع فيه إلاَّ خوائج المائِدَة ، وهي البَقْل والكُرْث والشُّمار والثَّقناع ، وحائوث لا يُباع فيه إلاَّ الشَّيرج والقُطن فقط برشم تَعْمِير القناديل التي تُشْرَج في اللَّيْل . وَسَمِعْتُ من أَدْرَكْتُ أَنَّهُ كان يَشْتَرِي من هذا الحائوث في كُلِّ لَيْلَة شَيرج مَّا يُوضَع في القناديل بثلاثين دِرْهَمًا فَضَّةً ، عنها يومئذ دينارٌ ونصف . وكان يُوجد بهذا الشُّوق لَحْم الضَّأْن التيء والمطبوخ إلى ثُلث اللَّيْل الأوَّل ومن قَبْلُ طُلُوع الفَجْرِ بِسَاعَة .

وقد خَرِبَ أَكْثَرُ حَوَانِيَتِ هذا الشُّوق ولم يَبْقَ لها أَثَرٌ ، وتَعَطَّلَ بِأُسْرِهِ بعد سنة سِتٍّ وثمان مائة ، وصارَ أَوْحَشَ من وَتَدٍ في قَاع ، بعد أن كان الإنسان لا يستطيع أن يَمُوتَ فيه من أَزْدِحَامِ النَّاسِ لَيْلًا ونَهَارًا إلاَّ بِمَشَقَّةٍ . وكان فيه قَبْجَانِي بِرِشْمِ وَزْنِ الأُمَيْقَة والمال والبضائع لا يَتَفَرَّغُ من الوِزْنِ ، ولا يَزَالُ مَشْغُولًا به ومعه من يَسْتَحْتَمُ لِيَرَى لَهُ .

- ١٠ فلَمَّا كان بعد سنة عشر وثمان مائة ، أَنشَأَ الأَمِيرُ طُوغَانُ الدُّوَادِرُ بهذا الشُّوق مَدْرَسَةً ، وَعَمَّرَ زَيْنًا وَحَوَانِيَتَ^١ ، فَنَحَايَ بعضَ الشَّيْءِ ، وَقَبِضَ على طُوغَانِ في سنة سِتٍّ عَشْرَةَ وثمان مائة ولم تَكْمُلْ عِمَارَةُ الشُّوق ، وفيه الآن بَقِيَّةٌ يَسِيرَة .

سوق الشَّمْعِ عَيْنِ

- هذا الشُّوق من الجامع الأَقْمَرِ إلى سوق الدُّجَاجِين ، كان يُعْرَفُ في الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّةِ بِسُوقِ القُضَّاحِين ، وعنده بَنَى المَأْمُونُ بنُ البَطَّايْحِي الجامع الأَقْمَرِ بِاسْمِ الخَلِيفَةِ الأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللهِ ، وَبَنَى تَحْتَ الجامعِ دُكَاكِينَ وَمَخَارِيزَ من جِهَةِ بابِ القُشُوحِ^٢ .

وَأَدْرَكْتُ سُوقَ الشُّعَاعِينِ من الجَانِبِينَ مَقْشُورَ الحَوَانِيَتِ بِالشُّمُوعِ الموكبِيَّةِ والفانوسِيَّةِ والطَّوْافَاتِ ، لا تَزَالُ حَوَانِيَتُهُ مَفْتُوحَةً إلى نِصْفِ اللَّيْلِ . وكان يجلسُ به في اللَّيْلِ بَغَايَا يُقالُ لَهُنَّ (زُعَيْرَاتُ الشُّعَاعِينِ)^٣ لَهُنَّ سَبَبًا يُعْرَفْنَ بِهَا وَزَيٌّ يَتَمَيَّزْنَ بِهِ ، وهو لَيْسَ المَلَأَاتُ الطُّرُوحُ وفي

^١ الأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ طُوغَانُ الحَسَنِي الدُّوَادِرُ الكَبِيرُ ، كان يُعْرَفُ بِالْمُجَنِّونِ ، المتوفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م . (ابن حجر : إنباء الفجر ٣ : ٨١ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ٣٥٩ : ٣٦٠ ، أبو المحاسن : المنهل الصافي ١٨٧ : ٢١٠ - ٢١٠ : ٢١٠ ، وهو صاحب المدرسة برأس حارة يَزْجَوَانِ بالشَّارِعِ ، (القاموس المحيط ٥١٢) .

^٢ فيما يلي ٢٩٠ : ٢٩٠ .
^٣ الزُّعَايَةُ : الشَّرَاشَةُ ، والزُّعُورُ : الجِمَاعُ . (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٥١٢) .

أرجلهم سرافيل^١ من أديم حفر. وكنّ يُعانين الرُعَاة، ويقفن مع الرجال المُشَالِقِينَ في وَقت لعبهم، وفيهن من تحمّل الحديد معها.

وكان يُباع بهذا السوق في كل ليلة من الشُّمع بمالٍ جزيل، وقد خرب ولم يَبْقَ به إلا نحو الخمس حوانيت، بعدما أدركتها تزيد على عشرين حائوثًا، وذلك لِقِلَّة تَرْف النَّاس وتَرْكهم استعمال الشُّمع. وكان يُخلَق بهذا السوق القَوَانِيسُ في مَوْسِم الفِطَاس^٢، فتصير رُؤْيَتُهُ في اللَّيْل من أنزّه الأشياء.

وكان به في شهر رَمَضان مَوْسِم عَظِيم، لكثرة ما يُشْتَرى ويُبْتَكَرَى من الشُّمُوع المَوْكِبَةِ التي تَزِن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دُونها، ومن المزهرات العجيبة الرُّيِّ المليحة الصَّنعة، ومن الشُّمع الذي يُحتمل على العَجَل ويبلغ وَزَن الواحدة منها القِطْطار وما فوقه، كل ذلك يَرْسَم رُكُوب الصُّبَّان لِصَلَاة التَّراوِج، فيمرُّ في ليالي شهر رَمَضان من ذلك ما يَعْجِزُ البَلِغُ عن حِكَايَةِ وَصْفِهِ، وقد تَلَاَشَى الخالُّ في جميع ما قُلْنَا لِفَقْر النَّاس وَعَجْزِهِم.

سُوق الدَّجَاجِينَ

هذا السوق كان ممَّا يلي سُوق الشُّمَاعِينَ إلى سُوق قَبو الخَزُنْشَف. كان يُباع فيه من الدَّجَاج والإوز شيء كثيرٌ جليلٌ إلى الغاية، وفيه حائوثٌ فيه القَصَافِر التي يَتَّبَعُهَا وَلَدَان النَّاس ليعتقوها، فَيُبَاع منها في كل يوم عَدَدٌ كثيرٌ جدًّا، ويُبَاع المُصْفُور منها يَفْلَس، ويخدع الصُّبِّيُّ بأنَّه يسبح فمن أعتقه دَخَلَ الجَنَّة، ولكلِّ وَاحِدٍ حينئذٍ رَغْبَةٌ في فِعْل الحَيْر. وكان يُوجد في كلِّ وَقتٍ بهذه الحوانيت من الأقفاص التي بها هذه القَصَافِر آلاف، ويُبَاع بهذا السوق عِدَّة أنواع من الطُّيْر، وفي كلِّ يوم جُمُوعَةٌ يُباع فيه بُكْرَةٌ أَصْنَاف القَمَارَى والهَزَّارَات والشُّحَارِير والبيضاء والسَّمَان^٣. وكُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ من السَّمَان ما يَتَلَعَّ^٤ ثَمَنُهُ المئات من الدُّرَاهِم، وكذلك بَقِيَّة طُيُور المسموع يَتَلَعَّ^٥ الواحِدُ منها نحو الألف، لتنافس النَّاس فيها وتوفُّر عَدَد المُقْتَنِينَ بها، وكان يُقالُ لهم عُوَاة

(٤) يولاق: مبلغ.

^٢ انظر فيما تقدم ٧١٧:١-٧١٨.

^٣ فيما تقدم ٢: ٢٤٩.

^١ جاء على هامش من: وَشَرُّوْل كلمة فارسية مركبة، تعني سر: رأس، وفول: رجل، ثم تلاعب النَّاس به فقالوا: زَزْبُول. وانظر فيما تقدم ٢٤٣.

طُيور المَشْمُوع سَيِّمَا الطُّوَائِثِيَّة ، فَإِنَّهُ كَانَ يَبْلُغُ بِهِمُ التَّزُفَ أَنْ يَقْتَنُوا السُّنَّانَ وَيَتَأَتَّقُوا فِي أَقْفَاصِهِ وَيَتَغَالَوْا فِي أَلْمَانِهِ ، حَتَّى بَلَّغْنَا أَنَّهُ يَبِيعُ طَائِرًا مِنَ السُّنَّانِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فِضَّةً ، عَنْهَا يَوْمَعِدُ نَحْنُ الْخَمْسِينَ دِينَارًا مِنَ الدَّهَبِ . كُلُّ ذَلِكَ لِإِعْجَابِهِمْ بِصَوْتِهِ ، وَكَانَ صَوْتُهُ عَلَى وَزْنِ قَوْلِ الْقَائِلِ : طُقُطَلَقْ وَغُزْع ، وَكُلَّمَا كَثُرَ صِيَاخُهُ كَانَتْ الْمَخَالَاةُ فِي ثَمَنِهِ . فَاعْتَبِرْ بِمَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ حَالَةَ التَّزُفِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَهْلُ مِصْرَ ، وَلَا تَتَّخِذْ حِكَايَةَ ذَلِكَ هُزُوءًا تَسْتَحَرُّ بِهِ ، فَتَكُونَ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْمَوَاعِظُ بَلْ يَمُرُّ بِالْآيَاتِ مُعْرِضًا غَافِلًا ، فَتُحْرَمَ الْخَيْرَ .

وكان بهذا السوق قيسارية عُمِلَتْ مَرَّةً سُوقًا لِلْكَثِيبِينَ وَلَهَا بَابٌ مِنْ وَسْطِ سُوقِ الدُّجَاجِينَ ، وَبَابٌ مِنَ الشَّارِعِ الَّذِي يُسَلِّكُ فِيهِ مِنْ بَيْنِ الْقَصْرِينِ إِلَى الرُّسْنِ الْخَلْقِي^١ . فَاتَّفَقَ أَنِّي وَلِيِّي نِيَابَةَ النِّظَرِ فِي الْمَارِشْتَانِ الْمُتَصُورِي ، عَنْ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ أَيْتَمُشِ الْبِجَاسِيِّ الظَّاهِرِيِّ ، أَمِيرٍ يُقْرَفُ بِالْأَمِيرِ يُحْضِرُ ابْنَ التَّنَكُزِيَّةِ ، فَهَدِيَهُ هَذَا السُّوقَ وَالْقَيْسَارِيَّةَ وَمَا يَعْلُوهَا ، وَأَنْشَأَ هَذِهِ الْحَوَانِيتَ وَالزُّبَاعَ الَّتِي فَوْقَهَا نِجَاهُ زَيْعِ الْكَامِلِ ، الَّذِي يَغْلُو مَا بَيْنَ ذَرْبِ الْخَضِيرِيِّ وَقَبْرِ الْخُوْنُشَفِ ، فَلَمَّا كَمُلَ أَشْكَنَ فِي الْحَوَانِيتِ عِدَّةً مِنَ الزُّيَّاتَيْنِ وَغَيْرِهِمْ . وَبَقِيَ مِنَ الدُّجَاجِينَ بِهَذَا السُّوقِ بَقِيَّةٌ قَلِيلَةٌ .

سوق بين القصرين

/هَذَا السُّوقُ أَكْثَرُ أَشْوَاقِ الدُّنْيَا فِيمَا بَلَّغْنَا ، وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ مَرَاخًا وَامِيعًا يَقِفُ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، ثُمَّ لَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ ابْتَدَلُ ، وَصَارَ سُوقًا يَفْجِزُ الْوَصْفُ عَنْ حِكَايَةِ مَا كَانَ فِيهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الْخِطَطِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٢ ، وَفِيهِ إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ تُحْزِنُنِي رُؤْيُهَا إِذَا صَارَتْ إِلَى هَذِهِ الْقِلَّةِ .

سوق السلاح

هَذَا السُّوقُ فِيمَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِبَيْتِ بْنِ بَابِ الْقَصْرِ بِشَتَاك ، انْشَجِدَ فِيمَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ فِي خَطِّ بَيْنِ الْقَصْرِينِ ، وَجُعِلَ لِبَيْعِ الْقَيْسِيِّ وَالنُّشَابِ وَالزُّرْدِيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آلَاتِ السَّلَاحِ^٣ . وَكَانَ نِجَاهَهُ خَائِنًا يُقَابِلُ الْخَانَ الَّذِي هُوَ الْآنَ يَوْسُطُ سُوقِ السَّلَاحِ ، وَعَلَى بَابِهِ مِنْ

^١ كان تحت الزئج المعروف بؤلف أمير سعيد يقع في مواجهة المدرسة الناصرية محمد بن فلالون . (فيما تقدم =

^١ فيما تقدم ٢: ٢٤٩ ، وفيما يلي ٣٣٨ .

^٢ فيما تقدم ٢: ٢٤٧ ، وهذا المجلد ٨١ .

الجانبين خوانيت تجلس فيها الصيارف طول النهار . فإذا كان غصريات كل يوم جلس «أرباب المقاعد»^١ تجاه خوانيت الصيارف لبيع أنواع من المأكّل ، ويقابلهم تجاه خوانيت شوق السلاح أرباب المقاعد أيضًا . فإذا أقبل الليل أشعلت الشرج من الجانبين ، وأخذ الناس في التمشي بينهما على سبيل الاستزواج والتنزه ، فيمر هنالك من الحلّاعات والمجون ما لا يُعبر عنه بوصف .

فلما أنشأ الملك الطاهر يرقوق المدرسة الظاهرية المستجدة ، صارت في موضع الخان وخوانيت الصرّف تجاه شوق السلاح ، وقُل ما كان هناك من المقاعد ، وبقي منها شيء يسير .

سوق الفقيصات

بصيغة الجمع والتّصغير هكذا يُعرف ، كأنه جمع فقيص . فإنه كلّ مُعدّد لجلوس أناس على تُخوت تجاه شبائك القبة المنصورية^(١) والمدرسة المنصورية^(٢) ، وفوق تلك التُّخوت أقفاص صغار من حديد مُشَبَّك ، فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور التّشوان وتخلّخلهنّ وغير ذلك . وهذه الأقفاص يأخذ أجرة الأرض التي هي عليها مُباشرة المارستان المنصوري .

وأصل هذه الأرض كانت من حقوق أرض مؤقوفة على جامع المقدس ، فدخل بعضها في القبة المنصورية ، وصار بعضها كما ذكرنا ، وإلى اليوم يُدفع من وقف المارستان جكر هذه الأرض لجامع المقدس .

ولما وليّ نظّر المارستان الأمير جمال الدين آقوش ، المعروف بنائب الكرك ، في سنة ست وعشرين وسبع مائة ، عَمِلَ فيه أشياء من ماله : منها خيمة ذرعها مائة ذراع ، نشرها من أول جدار القبة المنصورية بجذء المدرسة الناصرية إلى آخر حدّ المدرسة المنصورية بجوار الصّاعة ، فصارت فوق مقاعد الأقفاص تُظِلّهم من حرّ الشمس ، وعَمِلَ لها جبالاً تُمدّ بها عند الحرّ وتُجمّع بها إذا امتدّ الظلّ ، وجعلها مرتفعة في الجوّ حتى ينحرف الهواء . ثم لما كان شهر جمادى الأولى سنة

(١-٢) ساقطة من بولاق .

= ٢٤٨ : ٢ ، وحل محله الآن مجموعة الباني الواقعة بشارع مواجهة المدرسة الناصرية والمدرسة الظاهرية برفوق .
 ١ ذكرهم فيما تقدم ١٧ : ٣١٦ باسم «أصحاب المقاعد» .
 المعز لدين الله بن شارع بيت القاضي وقصر بشتاك في

ثلاث وثلاثين وثمان مائة، نُقِلَت الأقفاسُ منه إلى القيسارية التي استجِدَّت تجاه الصّاعَة^١.

سوق باب الزهومة

هذا السوقُ عُرفَ بذلك من أجل أنه كان هناك في الأيام الفاطمية باب من أبواب القصر يُقال له باب الزهومة، تقدّم ذكره في ذكر أبواب القصر من هذا الكتاب^٢.

- وكان موضع هذا السوق في الدوّلة الفاطمية سوق الصّيارف، ويُقابلُه سوق الشّيوّفين من حيث الحيثية إلى نحو رأس سوق الحريرين اليوم، وسوق العنبر الذي كان إذ ذاك سيّجنا يُعرف بالمعونة^٣، ويقابل الشّيوّفين إذ ذاك سوق الرّجّاجين، وينتهي إلى سوق القشّاشين الذي يُعرف اليوم بالحراطين. فلما زالت الدوّلة الفاطمية تغيّر ذلك كلّهُ، فصارَ سوق الشّيوّفين من جوار الصّاعَة إلى دزب السّلسلة، وبُنِيَ فيما بين المدرّسة الصّالحية وبين الصّاعَة سوق فيه خوانيث - ممّا يلي المدرّسة الصّالحية - يُباع فيها الأمشاط بسوق الأمشاطيين، وفيه خوانيث - فيما بين الخوانيث التي يُباع فيها الأمشاط وبين الصّاعَة - بعضها سكّن الصّيارف، وبعضها سكّن الثّقليين، وهم الذين يبيعون الفُسْتُق واللّوز والزّبيب ونحوه^٤.

وفي وسط هذا البناء سوق الكُتّيبين يُحيط به سوق الأمشاطيين وسوق الثّقليين،. وجميع ذلك جارٍ في أوقاف المارستان المنصوري.

- وكان سوق باب الزهومة من أجل أسواق القاهرة وأقربها، موضوعًا بحسن المأكل وطيبها. واتفق في هذا السوق أمرٌ يُستحسن ذكره لقربه في زماننا. وهو أنه عيّز متولّي الحيشة بالقاهرة، في يوم السبت سادس عشر شهر رمضان سنة ائتين وأربعين وسبع مائة، على رجل بواردي بهذا السوق، يُقال له محمد بن خلف، عنده مخزون فيه ختم وزراير متغيرة الرائحة لها نحو خمسين يومًا، فكشّف عنها فبَلَّغَتْ عدتها أربعة وثلاثين ألفًا ومائة وستة وتسعين طائرًا: من ذلك ختم ألف ومائة وستة وتسعون، وزراير ثلاثة وثلاثون ألفًا، كلّها متغيرة اللون والريح، فأذبه وشهّره. وفيه إلى الآن بقايا.

^١ هذا التاريخ يُدَلُّ على أنَّ المقرئ أضاف هذه المعلومة في فترة متأخرة، وبالتالي فإنّه لا يشير إلى هذه القيسارية في الفضل الذي عقده للقبابير.

^٢ فيما تقدم ٢: ٤٣١.

^٣ فيما تقدم ٢: ٥١٥-٥١٦، وفيما يلي ٣٤٠، ٥٩٧.

^٤ فيما يلي ٣٣٧.

سوق المهامير بين

هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية، وكان بأوله حبس المقونة الذي عمّله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر، ويقابله المارستان والوكالة ودار الضرب في الموضع الذي يُعرف اليوم بدار الشمس وما يجذبه من الحوانيت إلى حمام الحراطين وما تجاه ذلك^١.

وهذا السوق معدّ لبيع المهامير^٢؛ وأذكر كثر الناس وهم يتخذون المهماز كله، قالبه وسقطه، من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة، ولا يتوك ذلك إلا من يتوزع ويتدّين، فيتخذ القالب/ من الحديد ويطلّيه بالذهب أو الفضة، ويتخذ السقط من الفضة. وقد اضطرّ الناس إلى ترك هذا، فقلّ من بقي سقط مهمازه فضة، ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب.

وكان يُباع بهذا السوق البذلات الفضة التي كان يرسم لجم الخيل، وتعمل تارة من الفضة المجرة بالمتنا، وتارة بالفضة المطلية بالذهب، فيبلغ زنة ما في البذلة من خمس مائة درهم فضة إلى ما دونها. وقد بطل ذلك.

وكان يُباع به أيضًا السلاسل الفضة بالمخاطم الفضة^٣ المطلية، تُجمل من^٤ تحت لجم الحُجورة^٥ من الخيل خاصة، فيركب بها أغنياء الموقعين وأكابر الكتاب من القبط وزُُساء التجار وقد بطل ذلك أيضًا.

ويُباع فيه أيضًا الدوي، والطرف التي فيها الفضة والذهب، كسكاكين الأقلام ونحوها. وكانت تُجار هذا السوق تُعدّ من يياض العامة. ويتصل بسوق المهاميرين هذا:

(a) بولاق: سلاسل الفضة ومخاطم. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الحجور.

^١ فيما تقدم ١١٢.

^٢ الهمز. الدفق والضرب؛ والمهتز والمهراز ج. مهامير ونهامير، خديعة في مؤخر حُف الرائض. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٨١). وذكر الفلقلشندي في الفصل الذي عقده لذكر آلات الركوب أنَّ المهماز: «آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه، فوق الحُف وما في معناه؛ ومؤخره إصبع مُخدّد الرأس إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأشرعت في المشي أو جلّت في العدو، وهو تارة يكون من ذهب محض، وتارة يكون من فضة، وتارة يكون من حديد مطلي بالذهب أو الفضة؛ وقد اعتاد القضاء والعلماء في زماننا [وهو نفس زمان المقريري] تركه». (صبح الأعشى ١٣٦:٢).

سوق اللّججيين

ويُباع فيه دَوَلات^(٥) اللّجج ونحوها ممّا يُتخذ من الجِلْد . وفي هذا الشوق أيضًا عِدَّة وإِفِرّة من الطّلائين ، وصُنّاع الكَفّت يرسم اللّجج والركب والمهايمز ونحو ذلك ، وعِدَّة من صُنّاع مِيار^(٦) الشروج وقرايسها^١ .

وأذركت الشروج تُعمل مُلوّنة ما بين أصفر وأزرق ، ومنها ما يُعمل من الدّبل ، ومنها ما يُعمل سودا^(٧) من الجِلْد البلغاري الأسود ، وتزكّب بهذه الشروج السود القُصاة ومشايخ العِلْم ، اقتداءً بعادة بني العبّاس في استعمال السّود ، على ما جدّده بديار مصر السّلطان صلاح الدّين يُوسف ابن أيّوب بعد زوال الدّولة الفاطميّة .

وأذركت الشروج التي تزكّب بها الأجناد والكتّاب يُعمل للسرّج في قريوسه ستّة أطواق من فضّة ثقيلة^(٨) مطليّة بالذهب ومُعقرّبات من فضّة ، ولا يكادُ أحدٌ يركب فرسًا بسرّج ساذج إلا أن يكون من القُصاة ومشايخ العِلْم وأهل الوَرع .

فلمّا تسلّطن الملك الظاهر بزقوق ، اتّخذ سائر الأجناد الشروج المُعرق^(٩) ، وهي التي جميع قرايسها من ذهبٍ أو فضّة إمّا مطليّة أو ساذجة ، وكثّر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكّر فارس

(a) بولاق : آلات . (b) بولاق : مِيار . (c) بولاق : سِوزا . (d) بولاق : مقبلة . (e) بولاق : المقرّة .

بالفضّة البيضاء ، وكلّ منها قد يكون منقوشًا وقد يكون غير منقوش ، ومنها ما يكون بأطراف فضّة ، ومنها ما يكون ساذجًا . واللّجام هو الذي يكون في فكّ الفرس يمنعه من الجراح ، وقوابله أيضًا مختلفة ، منها ما يكون مطليًا باللّقب ، ومنها ما يكون مطليًا بالفضة ، ومنها ما يكون ساذجًا ، ومنها ما يكون رأسه وجنباه محلّين بالفضة ، ومنها ما يكون غير محلّي (صبح الأعشى ١٣٥:٢) ؛ وفيما يلي ١٨:٣٢٧ (الشروج الأشرفيّة) ؛ والقريوس جد . قرايس : الحنّبة الصغيرة القائمة في مقدّم الشروج . (Dozy, R., op.cit., II, p. 324 .

^١ لم يرد شرح في المصادر لجميع الآلات المذكورة في هذه الفقرة ، وما تعرف شرحه منها هي : الكَفّت (فيما يلي ٣٤٧) ، الزكّب أو الزكّاب : ما تُجعل فيه الرّجل عند الزكوب ، وكانت العرب تتعاده من الجِلْد أو الخشب ، ثم تحوّل عن ذلك إلى الحديد ، وأوّل من اتّخذَه من الحديد المُهلّب بن أبي صَفْوَ (صبح الأعشى ١٣٦:٢) ، والمِقْرَة جد . مِيار ، وهي ما يوضع فوق الشّرج بينه وبين الفارس (أفادني به أخي العارف حقّ المعرفة بفنون الفروسية الدكتور شهاب الصّواف) ؛ والشروج هو ما يُقعد فيه الزكّاب على ظهر الفرس ، وأشكال قوابله مختلفة ، ومنه ما يكون مُعقّش بالذهب (وهو ممّا يُضلع للملوك) ، ومنها ما يكون مُعقّش

إِلَّا وَسَرُّهُ كَمَا ذَكَرْنَا، وَتَبَلَّ الشَّرِجَ الْمُسْقُطَ . فَلَمَّا كَانَتِ الْحَوَادِثُ بَعْدَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ، غَلَبَ عَلَى النَّاسِ الْفَقْرُ وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ، فَقَلَّتْ شُرُوجُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَبَقِيَ مِنْهَا إِلَى الْيَوْمِ بَقَايَا يَزَكِبُ بِهَا أَغْيَانُ الْأَمْراءِ وَأُمَائِلُ الْمَمَالِكِ .

سُوقُ الْجُوحِيِّينَ

• هذا السوقُ يلي سُوقَ اللَّحْمِيِّينَ، وَهُوَ مُعَدَّدٌ لِبَيْعِ الْجُوحِ الْمَجْلُوبِ مِنْ بِلَادِ الْفِرْنَجِ لِعَمَلِ الْمَقَاعِدِ وَالسَّائِرِ وَثِيَابِ الشَّرِجِ وَغَوَاشِيهَا . وَأَذْرَكْتُ النَّاسَ وَقَلَمًا نَجِدَ فِيهِمْ مَنْ يَلْبَسُ الْجُوحَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَمَلَةِ ثِيَابِ الْأَكَابِرِ مَجُوحَةً^(أ) لَا تَلْبَسُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْمَطَرِ، وَإِنَّمَا يَلْبَسُ الْجُوحُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَالْفِرْنَجِ وَأَهْلِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَبَعْضُ عَوَالِمِ مِصْرَ، فَأَمَّا الرُّؤَسَاءُ وَالْأَكَابِرُ وَالْأَغْيَانُ فَلَا يَكَادُ يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ يَلْبَسُهُ إِلَّا فِي وَقْتِ الْمَطَرِ . فَإِذَا اِزْتَفَعَ الْمَطَرُ نَزَعَ الْجُوحَةَ^(ب) .

• وَأَخْبَرَنِي الْقَاضِي الرَّئِيسُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الْخَطَّابِ الْخَزْرُومِيَّ، خَالَ أُمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)، قَالَ : كُنْتُ أَتُوبُ فِي حِشْبَةِ الْقَاهِرَةِ عَنِ الْقَاضِي ضِيَاءِ الدِّينِ الْمُحْتَسِبِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَأَنَا لَا يَسُ جُوحَةً لَهَا وَجْهٌ صُوفٍ مُرْبِعٌ، فَقَالَ لِي : وَكَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَلْبَسَ الْجُوحَ ؟ وَهَلِ الْجُوحُ إِلَّا لِأَجْلِ الْبَغْلَةِ ؟ ثُمَّ أَقْسَمَ عَلَيَّ أَنْ أَخْلَعَهَا . وَمَا زَالَ بِي حَتَّى عَرَفْتُهُ أَنِّي اشْتَرَيْتُهَا مِنْ بَعْضِ تُجَّارِ قَيْسَارِيَّةِ الْفَاضِلِ، فَاسْتَدْعَاهُ فِي الْحَالِ وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِإِخْضَارِ ثَمَنِهَا، ثُمَّ قَالَ لِي : لَا تَعُدْ إِلَى لِبْسِ الْجُوحِ اسْتِهْجَانًا لَهُ .

فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْحَوَادِثُ، وَغَلَبَتِ الْمَلَابِيسُ، دَعَتِ الصُّرُورَةُ أَهْلَ مِصْرَ إِلَى تَرْكِ أَشْيَاءٍ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الرَّفْعِ^(ج)، وَصَارَ مُعْظَمُ النَّاسِ يَلْبَسُونَ الْجُوحَ، فَتَجَدَّ الْأَمِيرُ وَالْوَزِيرُ وَالْقَاضِي، وَمَنْ دُونَهُمْ مِمَّنْ ذَكَرْنَا، لِيَأْسَهُمُ الْجُوحُ .

• وَلَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ يَنْزِلُ أحيانًا إِلَى الْإِسْطَيْلِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مِنْ جُوحٍ، وَهُوَ ثَوْبٌ قَصِيرُ الْكُمَيْنِ وَالْبَدَنِ يُخَاطُ مِنَ الْجُوحِ بِغَيْرِ بَطَانَةٍ مِنْ تَحْتِهِ وَلَا غِشَاءٍ مِنْ قَوْفِهِ، فَتَدَاوَلَ النَّاسُ لِبْسَهُ، وَاجْتَلَبَ الْفِرْنَجُ مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا لَا تُوصَفُ كَثَرَتُهُ . وَمَحَلُّ بَيْعِهِ بِهَذَا السُّوقِ .

(أ) بولاق : جوح، الجوخ . (ب) بولاق : الترفه .

ويلي سوق الجوخين هذا:

سوق الشرايين

وهذا السوق مما أُحدث بعد الدولة الفاطمية . ويُباع فيها الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . وأما قيل له سوق الشرايين^١؛ لأنه كان من الرشم ، في الدولة التركية ، أن السلطان والأمراء وسائر العساكر إنما يلبسون على رؤوسهم كلؤنة صفراء مضرّبة ٥ تضربتا عريضاً ، ولها كلاليب بغير عمامة فوقها ، وتكون شعورهم مضفوفة مدلاة بدبوقة ، وهي في كيس حرير إما أحمر أو أصفر ، وأوساطهم مشدودة يثود من قطن بغلّكي مضبوغ عوضاً عن الحوايص ، وعليهم أقيّة إما بيض أو مشجرة أحمر وأزرق ، وهي ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرج اليوم ، وأخفافهم من جلد بلغاري أسود ، وفي أرجلهم من فوق الخفّ شقان وهو خفّ ١٠ ثاب ، ومن فوق القباء كمران بخلق وأثرم ، وضوايق بلغاري كبار يتسع الواحد منها أكثر من نصف وثية غلّة ، مغرور فيه منديل طوله ثلاثة أذرع .

فلم يزل هذا زيّهم منذ استولوا بديار مصر على الملك من سنة ثمان وأربعين وست مائة إلى أن قام في المملكة الملك المنصور قلاوون ، فعَيّر هذا الزيّ بأحسن منه ، ولبسوا الشاشات ، / وأبطلوا ٩٩:٢ ليس الكتم الضيق ، واقترح كلُّ أحدٍ من المنصوريّة ملايس حسنة^٢ . فلما ملك ابنه الملك^٣ الأشرف خليل جمع خاصّتيه وتماليكه ، وتخيّر لهم الملايس الحسنة ، وبَدَلَ الكلؤنات^٤ الجوخ ١٥ والصنفر . ورسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين تماليكهم بالكلؤنات^٥ الزركش والطرازات الزركش والكنائش الزركش والأقيّة الأطلس المغدني حتى يُميّر الأمير بلبسه عن غيره ، وكذلك في الملبوس الأبيض أن يكون زفيقا ، وأتخذ الشروج المرصعة والأكوار المرصعة فغرقت بالأشرفيّة . وكانت قبل ذلك سُرُوحهم بقرايس كبار شنيعة ، وزُكَب كبار بشيعة .

(a) ساقطة من بولاق . (b) أباصوها : الكلففات .

^١ ذَكَرَ ابنُ إياس أنَّ جامع السلطان الغوري أنشئ في الشرايين ، وخطب فيه يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م . (ابن إياس : بدائع الزهور ٥٨:٤) . فعلى ذلك يكون موضع سوق الشرايين في المكان الذي أقيم على جزء منه جامع الغوري في المسافة المحصورة بين شارع الأزهر شمالاً وعطفة البارودية جنوباً . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٩:٨ - ٢١٠هـ) .
^٢ انظر فيما يلي ٧٠٣ - ٧٠٥ .

فلما ملك ديار مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، استجد العنائم الناصرية^١، وهي صغار.

فلما قام الأمير يلغا الغتري الخاصكي، عمل الكلوتات^٢ اليلغاوية، وكانت كبارا. واستجد الأمير سلالر، في أيام الملك الناصر محمد، «القباء الذي يُعرف بالشلاري»، وكان قبل ذلك يُعرف ببغلوطاق^٣.

فلما تملك الملك الظاهر برقوق، عمل هذه الكلوتات^٤ الجزكسية، وهي أكبر من اليلغاوية وفيها عوج.

وأما الخيلع فإن السلطان كان إذا أمر أحدا من الأتراك ألبسه «الشربوش»^٥، وهو شيء يُشبه الناج كأنه شكل مُثَلَّث: يُجعل على الرأس بغير عمامة، ويلبس معه - على قدر رتبته - إما ثوب نخ أو طرد وخش أو غيره. فعرف هذا الشوق بالشرابيشين نسبة إلى الشرابيش المذكورة. وقد بطل الشربوش في الدولة الجزكسية.

وكان بهذا الشوق عدة تجار لشراء التشاريف والخيلع، ويتبعها على السلطان في ديوان الخاص وعلى الأمراء، وينال الناس من ذلك فوائد جليلة، ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة.

فلما كانت هذه الحوادث مبيع الناس من بيع هذا الصنف إلا للسلطان، وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج إليه، ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه، والأمر على هذا إلى يومنا الذي نحن فيه^٦.

(١) بولاق: المصرية. (٢) أبياصريا: الكلفعات.

^١ قارن مع ابن فضل الله العمري: مسالك الأبهار ١٥٢ المقيزي: السلوك ١: ١٥٨٤ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٣١ Mayer, L., op.cit., pp. 23-24.

^٢ حاشية بخط المؤلف: «الشربوش لفظ فارسي أصله شربوش، ومعناه غطاء الرأس، فإن «شرب» معناه الرأس ودوش» غطاء، وهم أبدا يقدمون المضاف إليه على الشرباشيين عوض عنه بسوقي الفاضل والقيو.

وأول من علمته خُلِعَ عليه من أهل الدَّوَلِ جَعْفَرُ بن يحيى البُرُمَكِي ، وذلك أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدَ قال في اليوم الذي انْتَقَدَ له فيه الْمَلِكُ : يا أخِي يا جَعْفَرُ ، قد أَمَرْتُكَ لَكَ بِمَقْصُورَةٍ في دَارِي وما يَصْلُحُ لها مِنَ الْفِرَاشِ ، وَعَشْرَ جَوَارٍ تَكُنُ فيها لَيْلَةُ مَيْيَتِكَ عِنْدَنَا . فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما مِنْ نِعْمَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ وَلَا فَضْلٍ مُتَظَاهِرٍ ، إِلَّا ورَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْمَلَ وَأَتَمَّ .

- ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ خُلِعَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ ، وَحَمَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِائَةَ يَدْرَةٍ دِرْهَمٍ وَدَنَانِيرَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَكِبُوا إِلَيْهِ حَتَّى سَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ خَاتَمَ الْمَلِكِ لِيَخْتَمَ بِهِ عَلَى مَا يُرِيدُ . فَبَلَغَ بِذَلِكَ صَيْئُهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ ، وَوَصَلَ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ كَاتِبٌ بَعْدَهُ . فَاتَّقَدَى بِالرَّشِيدِ مَنْ بَعْدَهُ ، وَخَلَعُوا عَلَى أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِهِمْ وَوَلَاةِ أَعْمَالِهِمْ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ .

- وَأَوَّلُ مَا عُرِفَ سَدُّ السُّيُوفِ فِي أَوْسَاطِ الْجُنْدِ ، أَنَّ سَيْفَ الدِّينِ غَازِي بن عِمَادِ الدِّينِ أَتَاكَ زَنْكِي بن أَقَى سُقْرٍ صَاحِبَ الْمُؤَصِّلِ ، أَمَرَ الْأَجْنَادَ أَلَّا يَزْكَبُوا إِلَّا بِالسُّيُوفِ فِي أَوْسَاطِهِمْ وَالدَّبَائِيسِ تَحْتَ رُكْبِهِمْ . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اتَّقَدَى بِهِ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ . وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ عَلَى رَأْسِهِ الصُّنْبُجَ فِي رُكُوبِهِ .

وَعَازِي^١ هَذَا هُوَ أَخُو الْمَلِكِ الْعَاقِلِ ثَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بن زَنْكِي ، وَمَاتَ فِي آخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَوَلَّى الْمُؤَصِّلَ بَعْدَهُ أَخُوهُ قُطْبُ الدِّينِ مُؤَدُّودَ .

١٥

شوق الحواريين

هَذَا الشُّوقُ يَصْلُ بِشُوقِ الشَّرَاشِيينَ ، وَتُبَاعُ فِيهِ «الْحَوَائِصُ» - وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِالْمُنْتَظَةِ فِي الْقَدِيمِ - فَكَانَتْ حَوَائِصُ الْأَجْنَادِ أَوَّلًا أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ فِقْصَةً وَنَحْوَهَا . ثُمَّ عَمِلَ الْمُتَصَوُّرُ قَلَاوُونَ حَوَائِصَ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَأُمَرَاءَ الطُّبُلُخَانَاتِ مِائَتِي دِينَارٍ ، وَتَقْدُمِي الْحَلَقَةِ مِنْ مِائَةِ وَسَبْعِينَ إِلَى مِائَةِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا .

^١ سَيْفُ الدِّينِ غَازِي بن عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي بن أَقَى سُقْرٍ صَاحِبِ الْمُؤَصِّلِ ، رَاجِعْ أَسْبَابَهُ عِنْدَ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ٨٦-٩٣ ابن واصل : مفرج الكروب ١: ١١٦٦ ابن خلكان : وفیات الأعيان ٣: ٤-١٤ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠: ١٩٢-١٩٣ .

وانظر كذلك أخبار أخيه مؤدود عند ، ابن خلكان : وفیات الأعيان ٥: ٣٠٢ ، ٣٠٣ ابن واصل : مفرج الكروب ١: ١٧٧ ، ١٨٨-١١٩٠ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٠: ٥٢١-٥٢٢ .

ثم صار الأمراء والخاصية ، في الأيام الناصرية وما بعدها ، يتخذون الحياصة من الذهب ، ومنها ما هو مُزَصَّع بالجواهر. ويُفَرَّق السلطان في كل سنة على الممالك من خوائص الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ما زال الأمر على ذلك إلى أن ولي الناصر قُوج . فلما كان في أيام الملك المؤيد شَيْخ الحمودي^٥ قُلَّ ذلك .

ووجد في تركة الوزير ، الصاحب عَلم الدين عبد الله بن زُبُور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة ، وستة آلاف كلوثة جهاز كس^١ .

وما يَرَح تَجَارُ هذا السوق من نياض العائنة ، وقد قُلَّ تَجَارُ هذا السوق في زَمَننا ، وصار أكثر حوانيته يُباع فيها الطواقي التي يلبسها الصُبيان ، وصارت الآن من ملابس الأجناد .

سوق الحلاويين

هذا السوق مُعَدَّ لبيع ما يُتخذ من الشكر خلوى ، وأما يُعرف اليوم بحلاوة متنوعة . وكان من أبهج الأسواق لما يُشاهد في الحوانيت التي به^٥ من الأواني وآلات الثحاس الثقيلة الوزن البديعة الصنعة ذات القيم الكبيرة ، ومن الحلاوات المصنعة عدّة ألوان وتُسمى المجمعة ، وشاهدت بهذا السوق الشكر يُنادى عليه كل قنطار بمائة وسبعين درهماً .

فلما حَدَثَت الحِرْنُ وغَلَا الشكر لخراب الدواليب التي كانت بالوجه القبلي ، وخراب مطابخ الشكر التي كانت بمدينة مصر ؛ قُلَّ عَمَلُ الخلوى ، ومات أكثر صنّاعها^٥ . ولقد رأيت مرة طَبَقاً فيه نُقْل ، وعدّة شُفَاف من خَزَفٍ أحمر في بعضها لَبَن / وفي بعضها أنواع الأجبان ، وفيما بين الشُفَاف الخيار والمُوز ، وكل ذلك من الشكر المعمول بالصناعة . وكانت أيضاً لهم عدّة أعمال من هذا النوع يُخَيَّر الناظر حُسْنَهَا .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : بها . (c) بولاق : صناعتها .

^١ الحياصة (خواصة) ج. خوائص. المِطْفَعة التي تُشَدُّ حول الوسط - وهي من المِجَح السلطانية - وتكون من الذهب أو الفضة بحسب رتبة الأمير. (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٠ ، ٣٥ ، ٧١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ١٣٤ : ٢ ، ٤٠ : ٤ ، ٥٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٥٠ ؛ وفيما يلي ٧٠٤) .

وكان هذا الشوق في مؤسّم شهر رجب من أحسن الأشياء منظرًا، فإنّه كان يُصنّع فيه من الشكر أمثال خيول وسباع وقطاط وغيرها تسمّى «القلاليق» - واجدها علاقة - تُزفّع بخيوط على الحوانيت، فمنها ما يزن عشرة أظال إلى رُبع رطل، تُشترى للأطفال. فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يتّباع منها لأهله وأولاده، وتمتلى أشواق البلدين مصر والقاهرة وأزيافهما من هذا الصنف، وكذلك يُعتمَل في مؤسّم نصف شعبان. وقد بقي من ذلك إلى اليوم بقية غير طائلة.

وكذلك كانت تزوق رؤية هذا الشوق في مؤسّم عيد الفطر، لكثرة ما يُوضّع فيه من حبّ الخشكناج وقطع البسندود والمشاش. ويُشرع في عَمَل ذلك من نصف شهر رَمَضان، فقلًا منه أشواق القاهرة ومصر والأزياف، ولم يُر في مؤسّم سنة سبع عشرة وثمان مائة من ذلك شيء بالأشواق ألبتة، فسبحان مُحيل الأحوال لا إله إلا هو.

سوقُ الشَّوْائِن

هذا الشوق أوّل سوقٍ وُضِعَ بالقاهرة، وكان يُعرَف بشوق الشَّراجين^(a)، وهو من باب حارة الروم إلى سوق الحلّابين^(b). وما زال يُعرَف بشوق الشَّراجين^(a) إلى أن سكَن فيه عدّة من يتّاعى الشَّواء في حدود السبع مائة من سني الهجرة، فزالت عنه التسمية إلى الشَّراجين^(a) وعُرِف بالشَّوْائِن، وهو الآن سكَن المتعشّين. وانتقل سوقُ الشَّراجين^(a) في زماننا إلى خارج باب زويلة^(c) بحضرة الدّرب الأحمر^(c)، وعُرِف بالبشيطيين كما سيأتي ذكره إن شاء الله^٢.

(a) بولاق: الشَّراجين. (b) نص المسودة: قال المؤلف: الذي يظن على ظني أن أوّل سوق حدث بالقاهرة سوق الشَّراجين هذا، وهو المعروف في عصرنا بسوق الشَّوْائِن، وهو على قُتْبَةِ القاهرة من باب حارة الروم وإلى سوق الحلّابين على رأس سوق الغزل من قيسارية الشُّرب. (c-c) إضافة من مسودة الخطط.

^١ في مسودة الخطط ٣٩ وذكره باسم: سوق الشَّراجين اليسار، وهو أحد أقسام شارع المعز لدين الله الذي كان المعروف اليوم بالشَّوْائِن. وانظر فيما يلي ٢: ٢٩٣.

كان هذا الشوق يقع في المنطقة التي تمتد الآن من سبيل

التقّادين عند مدخل حارة الروم جنوبًا إلى مدخل حارة

تُحْتَقَدَم شمالًا على اليمن، ومدخل حارة القُحّامين على

يعرف إلى سنة ١٩٣٧ بشارع القُفّادين. (أبو المحاسن:

النجوم الزاهرة ٦٣:٩-٦٤هـ).

^٢ فيما يلي ١٥: ٣٦٧، ٤٥٢.

قال ابن زولاق في كتاب «سيرة المعز»: وفي شهر صفر من سنة خمس وستين وثلاث مائة أنشئ سوق الشرايين^١ بالقاهرة. وذكر ذلك ابن عبد الظاهر في كتاب «حطط القاهرة». (تتبعين أنه أول سوق حدثت بالقاهرة، فإنه لم يذكر قبله سوقاً غيره)^٢.

وكان في القديم باب زويلة الذي وضعه القائد جوهر عند رأس حارة الروم، حيث التقط المجاور الآن للمسجد الذي عرف اليوم بسمام بن نوح، وكان بجواره باب آخر موضعه الآن سوق الماطين. فلما نقل أمير الجيوش باب زويلة إلى حيث هو الآن، اتسع ما بين سوق الشرايين^٣ المذكور وبين باب زويلة الكبير، وصار الآن فيه سوق الغرابلين، وفيه عدة حوانيت تعمل مناخل الدقيق والغرابيل، ويقابلهم عدة حوانيت يُصنع فيها الأغلاق المعروفة بالضبيب، وما بعد ذلك إلى باب زويلة فيه كثير من الحوانيت يجلس ببعضها عدة من الجبّانين لبيع أنواع الجبن المجلوب من البلاد الشامية وأدركنا هناك إلى أن حدثت الحزن من ذلك شيئاً كثيراً يتجاوز الحد في الكثرة. وفي بعض تلك الحوانيت قوم يجلسون لعلاج من عساه يتصدع له عظم أو يتكسر أو يصيبه جرح، يُعرفون بـ «المجبرين». وهناك منهم بقية إلى يومنا هذا. وبقية الحوانيت ما بين صيارفة وبياع طُرف ومتعشّين في المأكّل وغيرها. فهذه قصبة القاهرة، وما في ظاهر باب زويلة فإنه خارج القاهرة.

الشارع خارج باب زويلة

هذا الشارع هو تجاه من تخرج من باب زويلة، ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين إلى الخليج، وبين الطريق المسلولك فيه ذات اليسار إلى قلعة الجبل^٤. ولم يكن هذا الشارع موجوداً على ما هو عليه الآن عند وضع القاهرة، وإنما حدثت بعد وضعها بعدة أعوام على غير هذه الهيئة. فلما كثرت العمائر خارج باب زويلة، بعد سنة سبع مائة من بيني الهجرة، صار على ما هو عليه الآن.

(a) بولاق: الشرايين. (b-b) إضافة من مسودة الحطط.

^١ المقرئ: مسودة الحطط ٣٩٠.

^٢ يعرف الآن الطريق السالك ذات اليمين بشارع تحت الأحمر.

فأما أوّل أمره فإنّ الحليّة الحاكم بأمر الله أنشأ «الباب الجديد» على يَمْرُة الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل، وهذا الباب أدركت عقده عند رأس المتنجية^٨ بجوار سوق الطيور^١. ثم لما اختطت حارة اليانيسية وحارة الهلالية^٢، صار ساجل بركة الفيل قبالتها، واتّصلت العمائر من الباب الجديد إلى الفضاء الذي هو الآن خارج المشهد التقيسي.

- فلما كانت الشدة العظمى في خلافة المنتصر، وخربت القطائع والعسكر، صارت مواضعها خراباً إلى خلافة الأمير بأحكام الله. فتمرّ الناس حتى صارت مصر والقاهرة لا يتخللها خراب، وبنى الناس في الشارع من الباب الجديد إلى الجبل عَرْضاً حيث قلعة الجبل الآن، وبنى حائط يستر خراب القطائع والعسكر^٣. فغمر من الباب الجديد طولاً إلى باب الصفا بمدينة مصر، حتى صار المتّجهون بالقاهرة والمتّخدمون يصلّون العشاء الآخرة بالقاهرة، ويتّوجهون إلى سكّينهم في مصر، ولا يزالون في ضوئ وسرّج وسوق موقود من الباب الجديد خارج باب زويلة^{١٠} إلى باب الصفا حيث الآن كوم الجارح، والمعاش مستمرّ في الليل والنهار^٤.

- ووقف القاضي الرئيس المختار العدل زكي الدين أبو العباس أحمد بن مؤتضى بن سيّد الأهل ابن يوسف حصّة من البستان الكبير، المعروف يومئذٍ بالخاريق الكبرى^٥ الكائن فيما بين / القاهرة ومصر بقنوة الخليج، على القربات، وشرط أن الناظر يشتري في كلّ فصل من فصول الشتاء من قماش الكتان الخام أو القطن ما يراه، ويعمل ذلك جباً وبغالب طبقاً محشوة قطناً، وتفرّق على الأتّام الذكور والإناث الفقراء غير البالغين بالشارع الأعظم خارج باب زويلة، فيدفع لكلّ واحد

٨ في النسخ: المنجية.

١٤:٥ Salmon, G., *La Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fil*, pp. 50-53; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 352-56، وفيما يلي (٣٦٦).

^٢ فيما تقدم ٤٦:٢، ٥٨.

^٣ فيما تقدم ٥٨:٢.

^٤ فيما تقدم ٥٨:٢، وهذا المجلد ٥٧ وفيما يلي

٢: ٢٦٥ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤-١٣٥.

^٥ انظر عن الخاريق الكبرى فيما يلي ٣٨٢.

الباب الجديد. أنشأ الحليّة الحاكم بأمر الله على يسار الخارج من باب زويلة على شاطئ بركة الفيل ليحدّد لطوائف الجيش المختلفة الحدّ الأقصى من أراضي الأطراف المنوحة لهم، وكان يقع في عرض الطريق الممتد خارج باب زويلة والمعروفة بشارع الميزيلون تجاه زاوية الشيعة عائشة البونسية على رأس شارع الداودية من الجهة القبليّة. (المسبحي: أخبار مصر ٦٠، المقرئ: اتعاط الحنفا ٥٨:٢-٥٩، وفيما يلي ٣٦٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٥٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة

جِبة واحدة أو بُغْلَطًا، فإن تعدّر ذلك كان على الأيتام المُتَصِفِينَ بالصفّات المذكورة بالقاهرة ومصر وقرأتَيْهِمَا. وكان هذا الوقف في سنة ستين وست مائة.

فلما كَثُرَتِ العمائر خارج باب زويلة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة سبع مائة، صار هذا الشارع أوّلُه تجاه باب زويلة وآخره في الطول الصليبية التي تنتهي إلى جامع ابن طولون وغيره. لكنّهم لا يُريدون بالشارع سوى إلى باب القوس الذي بشوق الطيورين، وهو الباب الجديد.

وبعد باب القوس شوق الطيورين، ثم شوق جامع قوصون، وشوق خوض ابن هتس، وشوق رنح طنجي^(a). وهذه أسواق بها عدّة خوانيت، لكنّها لا تنتهي إلى عظم أسواق القاهرة، بل تكون أبداً دونها بكثير؛ فهذا حال القصبة والشارع خارج باب زويلة.

..

وقد بقيت عدّة أسواق في جانبي القصبة ولها أبواب شارعّة، وفيها أسواق أخر في نواحي القاهرة ومسالكها سيأتي ذكرها بحسب القدرة إن شاء الله تعالى.

سُوَيْقَةُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ

^(b) منسوبة إلى أمير الجيوش بذر الجمالي وزير المُستَنصِر بالله أبي تميم مقدّ بن الظاهر. قال ابن عبد الظاهر: وتوفي بذر الجمالي هذا المعروف بأبي النجم في سنة ثمان وثمانين وأربع مائة؛ ثم قال: والسُوَيْقَةُ المعروفة بأمر الجيوش معروفة به، وهي من باب حارة بَرْجوان إلى قريب الجامع الحاكيمي. قال المؤلف: سُوَيْقَةُ أمير الجيوش كانت في زمانه من باب حارة بَرْجوان إلى قريب باب الجامع الحاكيمي؛ ورأيت في كُتُب الأُملاك القديمة التي بحارة بَرْجوان ما يدلّ على ذلك، فإنّي رأيت في حدود الأَدَرِ المذكورة الحدّ القبلي ينتهي إلى سُوَيْقَةِ أمير الجيوش وهذا موافق لقول ابن عبد الظاهر، فإنه يدلّ على أنّ سُوَيْقَةَ أمير الجيوش كانت قبلي حارة بَرْجوان، فإنّ باب حارة بَرْجوان في حدّها القبلي في الشارع المسلوك إلى باب الفتوح. فأما سُوَيْقَةُ أمير الجيوش في زماننا فإنّها شرقي حارة بَرْجوان في الشارع المسلوك إلى باب القنطرة وأولّها من حدّرة عند خان^(b)

(a) بولاق: طنجي. (b-b) هذا النص إضافة من مسودة الخطط.

(الرواسين ، ولعل هذه السُوَيْقَةُ المسماة الآن سُوَيْقَةُ أمير الجيوش بعض تلك السُوَيْقَةُ القَدِيمَةِ . وأما الدكاكين التي من باب حازة بَزْجَوَان الآن إلى قَرِيب الجامع الحاكمي فهي سَكَنُ الْمُتَعَشِّين ولا تُعرف في زَمَانِنَا سُوَيْقَةُ أمير الجيوش أصلاً ، بل بعضها سَكَنُ الْمُتَعَشِّين إلى خان الرواسين والجمَلون الصغير ، ومن الجمَلون المذكور إلى باب الجامع الحاكمي سوق المُرَحِّلِينَ . قال كاتبه : رأيتُ في «سيرة» الإمام مُؤَفَّق الدِّين عبد اللطيف بن يُوسُف البغدادي - وقد وَقَفْتُ عليها بخطه - وعَلَّقْتُ منها فَوَائِد - لما ذَكَرَ مَدْرَسَةَ الأمير يازكوج قال : هي في سوق الخروقيين ؛ فلم يُسمِّ الشوق المعروف في زَمَانِنَا سُوَيْقَةَ أمير الجيوش إلا سوق الخروقيين ، فذلَّ على أَنَّ تسميتها سُوَيْقَةُ أمير الجيوش ممَّا أَخَذَهُ العائِثَةُ كما أَخَذُوا أَسْمَاءَ الْخِطَاطِ وَمَوَاضِعَ وَتَسَبَّهَها لغير ما كانت تُنسَبُ إليه أَوَّلًا كما يَمُرُّ بك كثيرٌ منه في هذا الكتاب^١ . وفي هذه الشوق عَمَّرَ الأمير يازكوج الأُسْدِي مَدْرَسَتَهُ المعروفة الآن بالأزركجية^٢ .

١٠

وأذَرَكْتُ النَّاسَ إلى هذا الزَّمن الذي نحن فيه لا يَعرِفون هذا الشوق إلا بِسوق أمير الجيوش ، ويُعَبِّرون عنه بصيغة التَّصْغِير ، ولا أعرف لهم مُسْتَنَدًا في ذلك . والذي تَشْهَدُ به الأخبارُ أَنَّ سوقَ أمير الجيوش هو الشوق الذي برأس حازة بَزْجَوَان ، ويمتدُّ إلى رأس سُوَيْقَةِ أمير الجيوش الآن . وهذه السُوَيْقَةُ من أكبر أسواق القاهرة ، بها عِدَّةُ خَوَانِيت فيها الرِّفَافُونَ والحَبَّاکُون ، وعِدَّةُ خَوَانِيت للرُّسَامِينَ ، وعِدَّةُ خَوَانِيت للقرَّائين وعِدَّةُ خَوَانِيت للخِطَّاطِينَ ، ومعظمها لِسَكَنِ البَرَّازِينَ والخَلَّعِينَ ، وفيها عِدَّةٌ من بِيَاعِي الأَتْبَاع . ويَبَاعُ في هذا الشوق سائر الثَّياب المخيطة والأمتعة من القُرْش ونحوها . وهو شارعٌ من شوارع القاهرة يُشَلِّك فيه من باب المُتَوَحِّ وَبَيْنَ القَصْرَيْنِ وباب التَّصَرُّ إلى باب القَنْطَرَةِ وشاطئ النِّيل وغيره .

١٥

وكان ما بعد هذا الشوق إلى باب القَنْطَرَةِ مَعْمُورَ الجَانِبِينَ بالخَوَانِيت المَعْدَّة لبيع الطَّرَائِفِ والمَغَارِلِ والكَثَّانِ والأنواع من المأكِلِ والبَطَرِ وغيره ، وقد خَرِبَ أَكْثَرُ هذه الخَوَانِيت في سِنِي الحِجَّة وما بعدها وبِسُوَيْقَةِ أمير الجيوش عِدَّةُ قِيَاسِيرٍ وقُنَادِقٍ^٣ .

٢٠

(a-a) هذا النص إضافة من مسودة المخطوط .

^٢ انظر فيما تقدم ٣١٨ سوق حازة بَزْجَوَان .

^١ انظر فيما يلي ٣٦٧ .

سوق الجملون الصغير

هذا السوق يُسَمَّى فيه من رأس شويقة أمير الجيوش إلى باب الجوانية وباب النضر ورخبة باب العيد . وهو مُجاوِزٌ لَدَرْبِ القَرْشِيَّةِ ، وفيه المَدْرَسَةُ الصُّبَيْرِيَّةُ ، وبابُ زِيَادَةِ الجامع الحَاكِمِي . وكان أَوَّلًا يُعْرَفُ بِالْأَمْزَاءِ الْقَرْشِيِّينَ بَنِي الْبُورِي ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْجَمَلُونَ الصَّغِيرِ ، وَبِجَمَلُونَ ابْنِ صَبْرَم . وهو الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ شُوَيْخِ ابْنِ صَبْرَمَ أَخَذَ الْأَمْزَاءَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَدْرَسَةُ الصُّبَيْرِيَّةُ ، وَالْحَطُّ الْمَعْرُوفُ خَارِجَ بَابِ الْفُتُوحِ بِسُتْنَانِ ابْنِ صَبْرَمَ .

وَأُذِرْكُ هَذَا الْجَمَلُونَ مَقْشُورَ الْجَانِبِينَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ بِالْحَوَانِيتِ : فِيهِ أَوَّلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَزَازِينَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ ثِيَابَ الْكَثَّانِ مِنَ الْخَمِّ وَالْأَزْرَقِ وَأَنْوَاعِ الطَّرْحِ وَأَصْنَافِ ثِيَابِ الْقَطَنِ ، وَيُنَادِي فِيهِ عَلَى الثِّيَابِ بِخَرَجٍ خَرَجٍ ، وَفِيهِ عِدَّةٌ مِنَ الْخِطَّاطِينَ ، وَعِدَّةٌ مِنَ الْبَائِيَةِ الْمَعْدِينَ لَعُشْلِ الثِّيَابِ وَصَقَالِهَا . وَبِآخِرِهِ كَثِيرٌ مِنَ الصُّبِيِّينَ ، بِحَيْثُ لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ أَلْفَ صَبَّةٍ فِي يَوْمٍ لَمَّا عَشَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ .

فَلَمَّا حَدَّثَتِ الْحِجْرُ خَرِبَ هَذَا السُّوقُ بِخُلُوعِ حَوَانِيَتِهِ ، وَصَارَ مُقْفَرًا مِنْ سَاكِينِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ عُمِّرَ بَعْدَ سَنَةِ عَشْرِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَفِيهِ الْآنَ نَفَرٌ مِنَ الْبَزَازِينَ وَقَلِيلٌ مِمَّنْ سِوَاهُمْ ^١ .

سوق المحاييريين

هذا السوقُ فِيمَا بَيْنَ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ وَبَيْنَ جَمَلُونَ ابْنِ صَبْرَمَ . يُسَمَّى فِيهِ مِنْ سُوقِ حَاذَةِ بَرْجَوَانَ وَمِنْ سُوقِ الشَّمَاعِينَ إِلَى الرُّكْنِ الْمُحَلَّقِ وَرَخْبَةِ بَابِ الْعِيدِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَارِعِ الْقَاهِرَةِ الْمَسْلُوكَةِ ، وَفِيهِ عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ لِعَمَلِ الْحَايِرِ الَّتِي يُسَافِرُ فِيهَا إِلَى الْحِجَازِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ فِيهِ تَاجِرَانِ قَدْ تَوَاصَّيَا^(٢) عَلَى مَا يَشْتَرِيَانِهِ مِنَ الْحَايِرِ الْمَعْرُوضَةِ لِلْبَيْعِ . وَلِهَذَا السُّوقُ مُؤَيَّمٌ عَظِيمٌ عِنْدَ سَفَرِ الْحَاجِّ ، وَعِنْدَ سَفَرِ النَّاسِ إِلَى الْقُدْسِ .

(٢) بولاق : تراضيا .

^١ أضاف ابن أبي السرور البكري : « وهذا السوق الآن جارٍ في وَفْدِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ الْغُورِيِّ وَمِنْ جَمَلَةِ أَوْقَاتِهِ » (تُطْلَفُ الْأَزْهَارُ ١٩٠ ظ) .

- وَبَلَغَنِي عَنْ شَيْخٍ كَانَ بِهَذَا الشُّوقِ أَنَّهُ أَوْصَى بَعْضَ صِبْيَانِهِ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنِي لَا تُرَاعِ أَحَدًا فِي نَيْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْكَ إِلَّا مَرَّةً فِي عَمَرِهِ ، فَخُذْ عَدْلَكَ فِي تَمَنِّي الْحَاذِرَةِ فَإِنَّكَ لَا تَخْشَى مِنْ عَوْدِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَيْكَ ، وَسَوْفَ إِذَا عَادَ مِنْ سَفَرِهِ - إِمَّا إِلَى الْحِجَازِ أَوْ الْقُدْسِ - فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى يَتِيمِهَا ، فَتَرَاقِدُ عَلَيْهِ فِي تَمَنِّيهِهَا ، وَاشْتَرَاهَا بِالرُّخِيصِ . وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ أَهْلُ هَذَا الشُّوقِ إِلَى الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُرَاعُونَ بَائِقًا وَلَا مُشْتَرِيًا . إِلَّا أَنَّ شَوْقَهُمْ لَمْ يَتَّقِ كَمَا أَذْرَكْنَاهُ ، فَإِنَّهُ حَدَثَ شَوْقٌ آخَرُ يُبَاغٍ فِيهِ الْحَايِرُ بِشَوْقِ الْجَامِعِ الْعُلُولُونِي ، وَصَارَ بِشَوْقِ الْخَيَمِيِّينَ أَيْضًا صُنَائِحَ / لِلْمَحَايِرِ .
- وَبَلَغَنِي أَنَّ بِالْمَحَايِرِينَ هَذِهِ أَوْقَفَ أَهْلُ مِصْرٍ امْرَأَةً مِنْ جَرِيدٍ مُؤَثَّرَةً ، بِيَدِهَا وَرَقَةٌ فِيهَا سَبُّ الْخَلِيفَةِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَقَنَهُ ، عِنْدَمَا مَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ فِي الطَّرِيقَاتِ . فَعِنْدَمَا مَرَّ مِنْ هُنَاكَ حَسَبَتْهَا امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ حَاجَةً ، فَأَمَرَ بِأَخْذِ الْوَرَقَةِ مِنْهَا ، فَإِذَا فِيهَا مِنَ السَّبِّ مَا أَعْظَمَتْهُ ، فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤْخَذَ فَإِذَا هِيَ مِنْ جَرِيدٍ قَدْ أُلبِسَ ثِيَابًا وَغُمْلٌ كَهَيْئَةِ امْرَأَةٍ . فَاشْتَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ غَضَبُهُ ، وَأَمَرَ الْعَبِيدَ بِإِحْرَاقِ مَدِينَةِ مِصْرٍ ، فَأَضْرَمُوا فِيهَا النَّارَ .
- وَلَمْ أَقِفْ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ مَسْطُورًا . وَقَدْ ذَكَرَ الْمُسْتَحْيِي حَرِيقَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ لِمِصْرٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ الْمَرْأَةِ^١ .

الصَّاعَةُ

- هَذَا الْمَكَانُ نِجَاهُ الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ بِحُطٍّ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ .
- قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ^(١) فِي كِتَابِ «حِطَّطُ الْقَاهِرَةِ»^(٢) : الصَّاعَةُ بِالْقَاهِرَةِ كَانَتْ مَطْبَعًا لِلْقَصْرِ يُخْرَجُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الزُّهْمَةِ - وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي هُدِمَ وَبَنِيَ مَكَانَهُ قَاعَةُ شَيْخِ الْخَنَابِلَةِ مِنَ الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ - وَكَانَ يُخْرَجُ مِنَ الْمَطْبَخِ الْمَذْكُورِ مُدَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ أَلْفَ وَمِائَتًا قَدِيرٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَفَرُّقًا عَلَى أَرْبَابِ الرُّشُومِ وَالضُّعْفَاءِ ، وَسُمِّيَ بَابُ الزُّهْمَةِ - أَيْ بَابُ الزُّقْرِ - لِأَنَّهُ^(ب) لَا يُدْخَلُ بِاللَّحْمِ وَغَيْرِهِ إِلَّا مِنْهُ فَاخْتَصَّ بِذَلِكَ^٢ . انْتَهَى .

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) لأنه : ساقطة من المسودة وأباصوفيا وباريس .

^١ راجع حول حريق القسطنطين في زمن الحاكم بأمر

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨؛ القلشندي: Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, الله صبح الأعشى ٣: ٣٤٦؛ المقرئ: مسودة المواعظ ١٢٠، =

والصَّاعَةُ الآن وَقَفْتُ عَلَى الْمَدَارِسِ الصَّالِحَةِ وَقَفَّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ بَرَكَةُ خَانَ، الْمُسَمَّى بِنَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ، وَلَدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ يَتِيمُوسَ الْبُنْدُقَانِيَّ، عَلَى الْفَقَهَاءِ وَالطَّلَبَةِ^(a) الْمُقَرَّرِينَ بِالْمَدَارِسِ الصَّالِحَةِ النَّجْمِيَّةِ^(b).

^(b) وكانت الصَّاعَةُ قَدِيمًا فِيمَا تَقَدَّمَ مَكَانَ الْأَسَاكِفَةِ الْآنَ وَهُوَ إِلَى الْآنَ مَعْرُوفٌ بِالصَّاعَةِ الْقَدِيمَةِ وَكَانَ يُعْرَفُ بِسَقِيفَةِ الْغَدَّاسِ .

قال المَوْكَلَفُ : الصَّاعَةُ الْقَدِيمَةُ هُوَ الشُّوقُ الَّذِي يُعْرَفُ الْآنَ بِشُوقِ الْحَرِيرِيِّينَ الشَّرَارِيِّينَ مِنْ بَابِ قَيْسَارِيَّةِ الْعَتِيرِ وَإِلَى حُطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ وَمِنْ جَمَلَتِهِ شُوقُ الرُّجَاجِيِّينَ الْآنَ، وَكَانَ سَكَنَ الْأَسَاكِفَةِ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ شُوقِ الرُّجَاجِيِّينَ مَسْكَنًا لِلْأَسَاكِفَةِ إِلَى عَصْرِنَا نَحْنُ انْتَقَلَتِ الْأَسَاكِفَةُ مِنْ هَذَا الْحُطِّ، وَكَانَ بَعْضُ شُوقِ الْحَرِيرِيِّينَ الْمَذْكُورِ شُوقًا لِلْأَخْفَافِيِّينَ - بِاعَةِ أَخْفَافٍ - النَّسَاءِ فَلَمَّا عَصَرَ الْأَمِيرُ يُونُسُ الدَّوَادَارِ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بَرَفُوقَ قَيْسَارِيَّةِ الَّتِي عَلَى يَمَنِ زَوِيلَةَ بَعْضُهَا بِحُطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ نَقَلَ الْأَخْفَافِيِّينَ إِلَى الْحَوَانِيتِ الَّتِي بظَاهِرِهَا^(b) ١ .

سُوقُ الْكُتُبِيِّينَ

هَذَا الشُّوقُ فِيمَا بَيْنَ الصَّاعَةِ وَالْمَدْرَسَةِ الصَّالِحَةِ . أُخْبِرْتُ فِيمَا أَطُنُّ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِ مِائَةٍ، وَهُوَ جَارٍ فِي أَوْقَافِ الْمَارِشْتَانِ لِلْمُصَوِّرِيِّ^٢ . وَكَانَ شُوقُ الْكُتُبِ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ نِجَاهِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ جَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْقَاصِ، فِي أَوَّلِ رُقَاقِ الْقَنَادِيلِ بِجَوَارِ دَارِ عَمْرُو، وَأَذْرَكْتُهُ فِيهِ بَقِيَّةَ ١٥ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَقَدْ دَوَّرَ الْآنَ فَلَا يُعْرَفُ مَوْضِعُهُ .

وَكَانَ قَدْ نُقِلَ شُوقُ الْكُتُبِ^(c) مِنْ مَوْضِعِهِ الْآنَ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى قَيْسَارِيَّةِ كَانَتْ فِيمَا بَيْنَ شُوقِ الدُّجَاجِينَ الْمُجَارِرِ لِلْجَامِعِ الْأَقْمَرِ وَبَيْنَ شُوقِ الْحَضْرِيِّينَ الْمُجَارِرِ لِلرُّكْنِ الْخُلُقِيِّ^٣ . وَكَانَ يَنْقُلُوهُ هَذِهِ الْقَيْسَارِيَّةَ رُبْعَ فِيهِ عِدَّةُ مَسَاكِينِ، فَتَضَرَّرَتْ الْكُتُبُ مِنْ نَدَاوَةِ أَقْبِيَةِ الْبُيُوتِ وَفَسَدَ بَعْضُهَا، فَعَادُوا

(a) إضافة من مسودة الخطوط . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط . (c) يولاق : الكتبيين .

- ٢٤١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٥٣؛ وفيما تقدم ٢ فيما تقدم ٣٢٣ .

٢٤٣١ : ٢ ٣ فيما تقدم ٣٢١ .

١ المقريري : مسودة الخطوط ٣٤ و٣٥ .

إلى سوق الكُتُب الأوَّل حيث هو الآن .

وما يرخ هذا السوق مَجْتَمَعًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ يتردّدون إليه . وقد أَتَشَدُّتْ قَدِيمًا لِبَعْضِهِمْ :

[المشارب]

مُجَالَسَةُ السُّوقِ مَذْمُومَةٌ ومنها مَجَالِسٌ قَدْ تُحْتَسَبُ
فَلَا تَقْرَبَنَّ غَيْرَ سُوقِ الْحِيَادِ وسُوقِ السِّلَاحِ وسُوقِ الْكُتُبِ
فَهَاتِيكَ آلَةُ أَهْلِ الْوَعْيِ وهَاتِيكَ آلَةُ أَهْلِ الْأَدَبِ

سُوقُ الصَّنَادِقِيِّينَ

هذا السُّوقُ تَجَاهَ الْمَدْرَسَةِ الشُّيُوفِيَّةِ ، كان موضعه في القَدِيمِ من جملة المَارِشْتَانِ ، ثم عُرِفَ بِفُنْدُقِ الدُّبَابِلِينَ ، وقيل له الآن سُوقُ الصَّنَادِقِيِّينَ . وفيه تَبَايَعُ الصَّنَادِيقُ وَالْخَرَائِصُ وَالْأَسِيرَةُ مِمَّا يُعْمَلُ من الخَشَبِ .

وكان ما بظَاهِرِهَا قَدِيمًا يُعْرَفُ بِسَكَنِ الدُّعْجَاجِيِّينَ ، وأذْرَكَناه يُعْرَفُ بِسُوقِ الشُّيُوفِيِّينَ ، وكان فيه عِدَّةُ طَبَاخِينَ لَا يَرَالُ دُخَانٌ كَرَانِيهِمْ مُتَعَقِدًا لِكَثْرَتِهِ حَتَّى قَالَ لِي شَيْخُنَا قَاضِي الْقَضَاةِ مَجْدُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْفِي : إِنَّ قَاضِي الْقَضَاةِ جَلَالَ الدِّينِ جَارَ اللَّهِ^(أ) قَالَ لَهُ : هذا السوق قُطِبَ دَائِرَةُ الدُّخَانِ .

وفي سُوقِ الصَّنَادِقِيِّينَ إِلَى الآنَ بَقِيَّةٌ .

سُوقُ الْحَرِيرِيِّينَ

هذا السُّوقُ من باب قَيْسَارِيَةِ الْعَنْتَرِ إِلَى خُطِّ الْبُنْدُقَانِيِّينَ ، كان يُعْرَفُ قَدِيمًا بِسَقِيَّةِ الْعَدَّاسِ ، ثم عَمِلَ صَاعَةً الْقَاهِرَةِ ، ثم سَكَنَ هُنَاكَ الْأَسَاكِفَةُ .

قال ابنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : وَكَانَتِ الصَّاعَةُ قَدِيمًا فِيمَا تَقَدَّمَ مَكَانَ الْأَسَاكِفَةِ الْآنَ . وهو إِلَى الْآنَ مَعْرُوفٌ بِالصَّاعَةِ الْقَدِيمَةِ ، وكان يُعْرَفُ بِسَقِيَّةِ الْعَدَّاسِينَ^(ب) ، كَذَا رَأَيْتُهُ^(ج) فِي كُتُبِ الْأَمْلَاقِ [الْقَدِيمَةِ]^(د)^١ .

(أ) بولاق : جاد الله . (ب) بولاق : العداس . (ج) بولاق : رأيت . (د) إضافة من ابن عبد الظاهر .

وعُرفَ هذا السوقُ في زَمَننا بالحريريين الشراريين، وعُرفَ بعضه بشوق الزُجاجيين، وكان يَسْكُن فيه أيضًا الأساكفةُ. فلَمَّا أنشأ الأميرُ يُونُسُ الدُّوَادارَ القَيْساريَّةَ على بَرِّ زَوَيْلَةَ بِحُطِّ البُنْدُاقِيِّينَ، في أَعْوامِ بضعِ وثمانينِ وسبعِ مائةَ، نَقَلَ الأساكفةَ من هذا الحُطِّ، ونَقَلَ منه أيضًا يَتَاعِي أَشْخَافَ النِّسَاءِ إلى قَيْساريَّتهِ وحوانيتهِ المذكورةِ^١.

سوقُ العنبريين

هذا السوقُ فيما بين سوقِ الحريريين الشراريين وبين قَيْساريةِ المُصَفَّرِ، وهو نِجَاهُ الخِرَاطِينِ. كان في الدُّوَلَةِ الفاطميةِ مكانه سِجْنًا لأَبْوابِ الجَرَائِمِ يُعْرَفُ بِحَبْسِ المَعُونَةِ، وكان شَنِيعَ المنظرِ ضَيِّقًا، لا يَزَالُ من يَجْتَازُ عليه يجد منه رائحةً منكراً.

فلَمَّا كان في الدُّوَلَةِ التُّرْكِيَّةِ، وصارَ قَلاوونَ من جملةِ الأَمْرَاءِ الظَّاهِرِيَّةِ يَبْيِزُ، صارَ يَمُرُّ من دارِهِ إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ على حَبْسِ المَعُونَةِ هذا، فيَشَمُّ منه رائحةً رَدِيئةً، وَيَسْمَعُ منه ضِرَاحَ المسجونين وشُكْوَاهِمُ الجُوعِ والعُزْيِ والقُفْلِ، فَيَجْعَلُ على نَفْسِهِ إنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا أَنْ يَبْنِي هذا الحَبْسَ مَكَانًا حَسَنًا. فلَمَّا صارَ إليه مُلْكُ ديارِ مصرِ والشَّامِ، هَدَمَ حَبْسَ المَعُونَةِ، وبَنَاهُ سَوْقًا أَسْكَنَهُ يَتَاعِي العَنْبَرِ.

وكان للعَنْبَرِ إذ ذاك بَدْيَارُ مِصرَ نَقَاقٌ، ولِلنَّاسِ فِيهِ رَغْبَةٌ زَائِدَةٌ، لا يَكادُ يُوجَدُ بِأَرْضِ مِصرَ امْرَأَةٌ إِنْ سَفَلَتْ / إِلَّا وَلَهَا قِلَادَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ، وكان يُتَّخَذُ مِنْهُ الحِثَّاءُ والكَلَلُ والسُّتُورُ وغيرُها. وَتُجَازَى العَنْبَرُ يُعْدُونَ مِنْ يَتَايُزِ النَّاسِ، وَلَهُمْ أَمْوَالٌ جَزِيلَةٌ، وَفِيهِمْ رُؤَسَاءٌ وَأَجَلَاءُ.

فلَمَّا صارَ المُلْكُ إلى المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلاوونَ، جَعَلَ هذا السوقَ وما قُورَفَهُ مِنَ المَسَاكِينِ وَاقِفًا عَلَى الجَمَاعِ الَّذِي أَنشَأَهُ بِظَاهِرِ مِصرَ جِوَارَ مَوْزِدَةِ الحَلَفَاءِ، المعروفِ بِالجَمَاعِ الجَدِيدِ النَّاصِرِيِّ، وهو جَارٍ فِي أَوَاقِفِهِ إلى يَوْمِنَا هَذَا^٢ إِلَّا أَنَّ العَنْبَرِ مِنْ بَعْدِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ كَثُرَ فِيهِ الْغِيْشُ حَتَّى صارَ اسْمًا لَا مَعْنَى لَهُ، وَقَلَّتْ رَغْبَةُ النَّاسِ فِي اسْتِعْمَالِهِ، فَتَلَاشَى أَقْرَبُ هذا السوقِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا كَانَ.

ثُمَّ لَمَّا حَدَثَتِ الْحَيْزُ بَعْدَ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ، قَلَّ تَرَفُّهُ أَهْلُ مِصرَ عَنْ اسْتِيعْمَالِ الكَثِيرِ مِنَ العَنْبَرِ، فَطَرَّقَ هذا السوقَ مَا طَرَّقَ غَيْرُهُ مِنْ أَشْوَاقِ البَلَدِ، وَبَقِيَ فِيهِ بَقِيَّةٌ بِسِيرَةٍ إِلَى أَنْ حُلِيَغَ

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٣٤٠. ^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ٤٢٨، وفيما يلي ٥٩٩.

الْخَلِيفَةُ الْمُشْتَعِينَ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ - وَكَانَ نَظَرُو الْجَامِعِ الْجَدِيدَ بِيَدِهِ وَيَدُ أَبِيهِ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّدٍ - فَقَصَدَ بَعْضُ شَفْهَاءِ الْعَامَّةِ نِكَابَتَهُ^(a) بِتَغْطِيلِ هَذَا الشُّوقِ ، فَاسْتَأْجَرَ قَيْسَارِيَّةَ الْغَضْفَرُ ، وَتَقَلَّ سَوَقُ الْعَثَرِ إِلَيْهَا ، وَصَارَ مُعْطَلًا نَحْوَ سِتِّينَ ، ثُمَّ عَادَ أَهْلُ الْعَثَرِ إِلَى هَذَا الشُّوقِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ .

سُوقُ الْحَرَّاطِينَ

هَذَا الشُّوقُ يُشَلِّكُ فِيهِ مِنْ سَوَاقِ الْمَهَابِيزِيِّينَ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ قَدِيمًا يُعْرَفُ بِقَبْجَةِ الصَّبَاغِينَ ، ثُمَّ عُرِفَ بِسَوَاقِ الْقَشَّاشِينَ ، وَكَانَ فِيهَا بَيْنَ دَارِ الضُّرْبِ وَالْوَكَالَةِ الْأَمِيرِيَّةِ وَبَيْنَ الْمَارِشْتَانِ ، ثُمَّ عُرِفَ الْآنَ بِسَوَاقِ الْحَرَّاطِينَ . وَكَانَ سَوَاقًا كَبِيرًا مَعْمُورَ الْجَانِيَيْنِ بِالْحَوَانِيتِ الْمَعْدَّةِ لِبَيْعِ الْمَهْدِ الَّذِي يُرْتَى فِيهِ الْأَطْفَالُ ، وَخَوَانِيتِ الْحَرَّاطِينَ ، وَخَوَانِيتِ صُنَّاعِ السَّكَاكِينِ وَصُنَّاعِ الدُّوَى ، يَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ الْخَمْسِينَ حَائِثًا .

فَلَمَّا حَدَّثَتِ الْحِجْرُ تَلَاشَى هَذَا الشُّوقُ ، وَاعْتَصَبَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْشَفُ الْأُسْتَاذَارِ مِنْهُ عِدَّةَ خَوَانِيتٍ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى الْحَمَّامِ الَّتِي تُعْرَفُ بِحَمَّامِ الْحَرَّاطِينَ ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا . فَتَوَجَّلَ بِالْقَتْلِ قَبْلَ إِنْتِمَائِهَا ، وَقَبَضَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ فَرَجَ فِيهَا أَحَاطَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِهِ ، وَأَدْخَلَهَا فِي الدِّيْوَانِ . فَقَامَ بِعِمَارَةِ الْحَوَانِيتِ الَّتِي تَجَاهُ قَيْسَارِيَّةَ الْغَضْفَرِ مِنْ دَرْبِ الشُّغْسِيِّ إِلَى أَوَّلِ الْحَرَّاطِينَ ، الْقَاضِي الرَّئِيسُ تَقِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ بُوْشَاكِرٍ^(b) . فَلَمَّا كَمُلَتْ بِنَاجِلِهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِيهَا هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى تَرْبَتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا عَلَى قَبْرِ أَبِيهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ ، وَأَفْرَدَ الْحَمَّامَ وَبَعْضَ الْحَوَانِيتِ الْقَدِيمَةِ لِلْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْشَفُ الْأُسْتَاذَارِ بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ ، وَمَا يُقَابِلُ هَذِهِ الْحَوَانِيتِ هُوَ وَمَا فَوْقَهُ وَقِفٌ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْقَرَّاسُ تُقَرِّئُ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ مُتَخَرِّبٌ مُتَهَدِّمٌ .

سُوقُ الْجَمَلُونِ الْكَبِيرِ

هَذَا الشُّوقُ بَوَسْطِ سَوَاقِ الشَّرَاطِيشِيِّينَ ، يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْبُنْدُاقَانِيِّينَ وَإِلَى حَازَةِ الْجَوْدَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، أَنْشِئَ فِيهِ خَوَانِيتُ سَكَنَتِهَا الْبَرَّازُونَ^١ . وَقَفَّهَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ

(a) بولاق : يَكَابِتُهُ . (b) بولاق : أَبِي شَاكِرٍ .

^١ سُوقُ الْجَمَلُونِ الْكَبِيرِ : يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِهِ الْآنَ حَازَةُ الْجَمَلُونِ الْوَاقِعَةُ فِي الْخُدِّ الْبَحْرِيِّ لِجَامِعِ السُّلْطَانِ الْغُورِيِّ نِجْمَةِ قَبَةِ =

على نربة تملوكة يلبغا التركماني عندما مات في سنة سبع وسبع مائة ، ثم عُيِّل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبع مائة ، فصارت تُغلق في الليل .

وكان فيما أذكر كُتاه شارِعًا مشلولًا طول الليل يجلس نجاهه صاحبُ القَسَس - الذي عرِفته العائنة في زماننا بالوالي الطُوف - من بعد صلاة العشاء في كل ليلة ، ويُصب قُدَّامه مَشْعَلٌ يُشعل بالثار طول الليل ، وحوله عدَّة من الأخوان وكثير من السقَّاتين والتجارين والقصارين والهدَّادين ، بنوب^(٨) مقررة لهم ، خوفاً من أن يحدث بالقاهرة في الليل حريق فيتداركون إطفاءه . ومنْ حَدَث منه في الليل^(٩) خُصومة ، أو وُجِد سكراناً ، أو قُبِض عليه من السراق ، تَوَلَّى أمره والي الطُوف ، وحكَّم فيه بما يفتضيه الحال . فلما كانت هذه الحوادث بطلَ هذا الرسم في جملة ما بطل . وهذا السوق الآن جارٍ في وَقَف^(١٠) .

سوقُ القسَّارين

هذا السوقُ يُشلك فيه من سوق الشرايين إلى الأكفانيين والجامع الأزهر وغير ذلك . كان قديماً يُعرَف بسوق الخيرويين ، ثم سَكَن فيه صُنَّاعُ الفراء وتجاره فعُرِفَ بهم . وصار بهذا السوق ، في أيام الملك الظاهر بَرْقوق ، من أنواع الفُرود^(١١) ما تجل أثمانها وتتضاعف قيمتها ، لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والمالِك ليس السُّمور والوشق والقائم^(١٢) والشنَّجاب ، بعدما كان ذلك في الدولة التركية من أعزِّ الأشياء التي لا يشتطيع أحد أن يلبسها . ولقد أَخْبَرَنِي الطواشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مُقْبِل الرُّومي الجنس المعروف بالشامي ، عتيق السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون : أَنَّهُ وُجِد في تَرْكة بغض أمراء السلطان حسن قباء بَقَرُو قائم ، فاستكثر ذلك عليه وتَعَجَّب منه ، وصار ذلك يُحكى مُدَّة لِعُرَّة هذا الصُّنْف واختراجه ، لكَونه من ملايس السلطان وملايس نساياه .

(٨) بولاق : بنوت . (ب) بولاق : بالليل . (ج) في هامش أبيصوفيا . يياض سطر . (د) بولاق : الفراء . (هـ) بولاق : القمام .

= الغوري القائمة في مكان قيسارية أمير علي بشارع المعز لدين الله (فيما تقدم ٢٨٨) . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٨٧: ١١هـ^(١)).

ثم ابْذَلَتْ^٥ الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السَّمُور آحاداً الأجنّاد وآحاداً الكُتّاب وكثير من القوام ، ولا تكاد امرأة من نساء يَياض النَّاس تَخْلُو من لبس السَّمُور ونحوه ، وإلى الآن عند النَّاس من هذا الصَّنَف وغيره من القَرُوش شيء كثير .

سوق البخانقين^٦

هذا السوق فيما بين سوق الجمّلون الكبير وبين قيسارية الشُّرب الآتي ذكرها إن شاء الله/ عند ذكر القياسير . وباب هذا السوق شارع من القَصَبَة ، ويُعرَف بسوق الخَشَبَة (تصغير خَشَبَة) فإنّه عُجِّلَ على بابِه المذكور خَشَبَة تَمْتَع الرّاكِب من التَّوَسُّل إليه .

ويُشَلِّك من هذا السوق إلى قيسارية الشُّرب وغيرها ، وهو مَعْمُور الجانبين بالحوانيت المُعَدَّة لبيع الكُوافي والطُّواقِي التي تلبسها الصُّبيان والبَنَات . وبظاهر هذا السوق أيضاً في القَصَبَة عِدَّة حوانيت لبيع الطُّواقِي وعملها .

وقد كَثُرَ ليس رجال الدَّوْلَة ، من الأمراء والممالك والأجنّاد ومن يَتَشَبَّه بهم ، للطُّواقِي في الدَّوْلَة الجُرْكَسِيَّة ، وصاروا يَلْبَسُون الطَّاقِيَّة على رُءُوسِهِم بغير عِمَامَة ، ويمرُّون كذلك في الشُّوارع والأشواق والجواميع والمواكِب لا يَرَوْنَ بذلك بأساً بعدما كان نَزَع العِمَامَة عن الرُّؤس عازاً وقُصِيحَةً^٢ ، وتَوَعَّوْا هذه الطُّواقِي ما بين أخْضَر وأَحْمَر وأَزْرَق وغيره من الألوان . وكانت أَوَّلاً ترتفع نحو شُدُس ذراع ، ويعمل أغلاها مَدُورًا مُسَطَّحًا . فحَدَّثَ في أيام الملك النَّاصِر فَرَجَ منها شيء عُرِفَ بالطُّواقِي الجُرْكَسِيَّة ، يكون ارتفاعُ عَصَابَةِ الطَّاقِيَّة منها نحو ثُلُثَي ذراع ، وأغلاها مَدُورٌ مُغْتَب . وبالعوا في تَبْطِن الطَّاقِيَّة بِالوَرَق والكَبِيرَة فيما بين البَطَانَة المباشِرَة للرُّؤس والتَّوَجَّه الظَّاهِر للنَّاس ، ويجعلُوا من أَشَقْل العَصَابَة المذكورة زِيْقًا من قَرُوش القَرُوش الأَسْوَد يُقالُ له القُنْدُس^٣ ، في غَرُوض نحو ثَمَن ذراع ، يصير دَائِرًا بِجَهَّة الرُّجُل وأعلى عُتْقَه . وهم على استعمال هذا الزِّي في اليوم ، وهو من أَشَحَج ما عاثوه .

(٥) بولاق : تبدلت .

^٢ قارن ذلك بعادة لبس الطُّرُوش في مصر ، قبل إلغائه .
^٣ القُنْدُس ويقال كذلك المَقْنَدَس . العِمَامُ المنسوج =

^١ حاشية بخط المؤلف : «البخنق شيء تشخذه النساء يشبه البراقع له أُرَارٌ من خلف» .

وَتَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ فِي لَيْسَ ذَلِكَ النِّسَاءُ^(a) لِمَعْنِيْن : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ فَشَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ مُحِبَّةُ الدُّكْرَانِ ، فَقَصَدَ نِسَاؤُهُمُ التَّشَبُّهَ بِالذُّكْرَانِ لِيَسْتَمِيلَ قُلُوبَ رِجَالِهِنَّ ، فَاقْتَنَدَى بِفَعْلِهِنَّ فِي ذَلِكَ عَائِمَةُ نِسَاءِ الْبَلَدِ . وَثَانِيَهُمَا : مَا حَدَّثَ بِالنَّاسِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَنَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَاضْطَرَّ حَالُ نِسَاءِ أَهْلِ مِصْرَ إِلَى تَوَكُّ مَا أَذْرَكْنَا فِيهِ النِّسَاءَ مِنْ لَيْسَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَلَيْسَ الْحَرِيرِ ، حَتَّى لَيْسَنَ هَذِهِ الطُّوَاقِي ، وَبِالْغِنَى فِي عَمَلِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ ، وَتَوَاصَيْنَ عَلَى لَيْسِهَا .
وَمِنْ تَأَمُّلِ أَحْوَالِ الْوُجُودِ ، عَرَفَ كَيْفَ تَنْشَأُ أُمُورُ النَّاسِ فِي عَادَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ .

سُوقُ الْخُلَعِيِّينَ

هَذَا السُّوقُ فِيمَا بَيْنَ قَيْسَارِيَّةِ الْفَاضِلِ ، الْآتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبَيْنَ بَابِ زَوَيْلَةَ الْكَبِيرِ . وَكَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِالْخَشَّائِينَ ، وَغُرِفَ إِلَى^(b) الْيَوْمِ بِالرُّقَّتَيْنِ - تَصْغِيرُ رُقَاقٍ - وَغُرِفَ أَيْضًا بِسُوقِ الْخُلَعِيِّينَ ، كَأَنَّهُ جَمْعُ خُلْعِي . وَالْخُلْعِيُّ فِي زَمَانِنَا هُوَ الَّذِي يَتَعَاطَى بَيْعَ الثِّيَابِ الْخُلْعِ ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ لُبِسَتْ .

وَهَذَا السُّوقُ الْيَوْمَ مِنْ أَغْمَرِ أَسْوَاقِ الْقَاهِرَةِ لِكَثْرَةِ مَا يُبَاعُ فِيهِ مِنْ مَلَابِسِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَكْثَرُ مَا يُبَاعُ فِيهِ الثِّيَابُ الْخُطِيطَةُ ، وَهُوَ مَقْمُورُ الْجَوَانِبِ بِالْخَوَانِيسِ ، وَيُشْلِكُ فِيهِ مِنَ الْقَصَبَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى حَاوِزَةِ الْبَاطِلِيَّةِ وَخُوخَةِ أَيْدِغُمُشَ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(c) . وَفِي دَاخِلِ الْقَاهِرَةِ أَيْضًا عِدَّةُ أَسْوَاقٍ ، وَقَدْ خَرِبَ الْآنَ أَكْثَرُهَا .

سُوقُ الصَّاحِبِ

هَذِهِ السُّوقُ يُشْلِكُ إِلَيْهَا مِنْ حُطَّ الْبَيْتْدَقَانِيِّينَ وَمِنْ بَابِ الْخُوخَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهِيَ مِنَ الْأَسْوَاقِ الْقَدِيمَةِ . كَانَتْ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ تُعْرَفُ بِسُوقِ الْوَزِيرِ - يَعْنِي أَبَا الْفَرَجِ يَحْيَى بْنِ كَلَّسَ ، وَزِيرَ الْخَلِيفَةِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ يُزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ ، الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ حَاوِزَةُ الْوَزِيرِيَّةِ - فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ الَّتِي

(a) بولاق : وَتَشَبَّهَ الرِّجَالُ فِي لَيْسَ ذَلِكَ بِالنِّسَاءِ . (b) ساقطة من بولاق . (c) هنا في هامش آياصوفيا : يابض نصف سطر .

عُرِفَتْ بعده في الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة بِدار الدِّياج . وصارَ موضعها الآن المَدْرَسَةُ الصَّاحِبِيَّة^١ ، ثم صارت تُعرَف بِسُوَيْقَةِ دار الدِّياج - يعني دار طراز^(a) يُنسَج فيها الدِّياج الذي هو الحرير ، وقيل لذلك الموضع كُلُّهُ حُطَّ دار الدِّياج ، ثم عُرِفَ هذا السُّوق بالسُّوق الكبير في أُخْرِيَّات الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّة .

- ٥) ولم تَزَلْ هذا الحُطَّ يُعرَف بِحُطَّ دار الدِّياج إلى أن انقَضَتِ الدَّوْلَةُ الفاطِمِيَّة وجاءت الدَّوْلَةُ الأيوبيَّة ، فسَكَنَ هذا الحُطَّ الصَّاحِبُ الوَزِير^(b) صَفِيَّ الدِّين عبدُ الله بن شُكْر الدُّمَيْرِي لِمَا وَلِيَ وَزَارَةَ الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وأنشأ به مَدْرَسَتَهُ التي تُعرَف إلى اليوم بِالمَدْرَسَةِ الصَّاحِبِيَّة ، وأنشأ به أيضًا رِباطَهُ وحمَّامَتَهُ المجاورين للمَدْرَسَةِ المذكورة ، عُرِفَتْ من حينئذِ هذه السُوَيْقَةُ بِسُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ المذكور ، واستمرَّت تُعرَف بِذلك إلى يَوْمِنَا هذا^٢ .
- ١٠) ولم تَزَلْ من الأَسْوَاقِ المعْتَبِرة ، يُوجد فيها أَكْثَرُ ما يُحْتَاج إليه من المأكِل ، لَوْفُورِ نَعَمٍ من يَسْكُنُ هنالك من الوُزَرَاءِ وأعيان الكُتَّاب . فلَمَّا حَدَّثَتِ الحِجْنَ طَرَفَهَا ما طَرَقَ غيرها من أَسْوَاقِ القَاهِرَةِ ، فاختَلَّتْ عَمَّا كانت ، وفيها بَقِيَّةٌ .

سُوقُ البُنْدُقَانِين

هذا السُّوقُ يُسَمَّى إِلَيْهِ من سُوقِ الرُّجَّاجِين ومن سُوَيْقَةِ الصَّاحِبِ ومن سُوقِ الأَبْرَارِين وغيره . وكان يُعرَف قَدِيمًا بِسُوقِ بَيْتِ زَوِيلَةَ .

١٥) وكان هناك بَيْتٌ كَبِيرٌ^(c) يُعرَف بِبَيْتِ زَوِيلَةَ ، بِرِسمِ إسْطِغْلِ الجِيَمِيزَةِ الذي كان فيه حُيُولُ الخُلَفَاءِ الفاطميين ، وصارَ موضِعُهُ حُطَّ البُنْدُقَانِين بعد ذلك ، كما دُكِرَ عند إسْطِغْلَاتِ الخُلَفَاءِ الفاطميين من هذا الكتاب^٣ . ومَوْضِعُ هذه البَيْتِ اليوم قَيْسَارِيَّةُ يُونُسَ والرَّبْعُ الذي يَغْلُوها ، وبقي منها مَوْضِعُ رُكْبٍ عليه حَجَرٌ ، وأُعِدَّتْ لِمَاءِ السَّعْائِينِ منها^٤ .

(a) بولاق : دار الطراز . (b-b) إضافة من مسودة المخطوط عوضًا عن النص الوارد في النسخ . (c) بولاق : قديمة .

^١ فيما يلي ٢ : ٣٧١ .
^٢ المقرئ : مسودة المخطوط ٣٩ - ط .
^٣ فيما تقدم ٢ : ٥١٩ .
^٤ فيما تقدم ٢ : ٢١٩ ، ٥١٩ . ولم يُفرد المقرئ
 قيسارية يونس التي بناها الأمير شيف الدين يونس النوروزي
 اليلغاوي ذوادار السلطان الظاهر يرقوق ، الثوفى سنة =

فلما زالت الدولة ، واخُطَّ موضع إسطبل الجيمزة الدور وغيرها ، وعُرف موضع الإسطبل بالبندقانيين - قبل لهذا السوق سوق البندقانيين . وأدركته شوقاً كبيراً ، معثور الجانين بالخوانيت التي قد تَهْدَمُ أغلبها منذ كان الحريقُ بالبندقانيين في سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ، كما دُكر في خط البندقانيين عند ذكر الأخطاط من هذا الكتاب ^١.

وفي هذا/ السوق كثير من أرباب المعاش ^٢ المعدين لبيع المأكولات من الشواء والطعام المطبوخ وأنواع الأجبان والألبان والبوارد والخبز والفواكه ، وعدة كثيرة من صناعات قيسي البندق ، وكثير من الرشامين ، وكثير من يتاعى القفّاع . فلما حدثت الحريقُ بعد سنة ست وثمان مائة ، اختل هذا السوق خلاً كبيراً وتلاشى أمره .

سوق الأخفافيين

هذا السوق بجوار سوق البندقانيين ، يُباع فيه الآن خفاف النشوان وبعالهن . وهو سوق مُنتَجِدٌ أنشأه الأميرُ يونس التوروزي ، دَوَّارُ الملك الظاهر بَزْغوق ، في سنة وثمانين وسبع مائة ، ونَقَلَ إليه الأخفافيين يتاعى أخفاف النساء من حُطَّ الحريريين والرجاجيين . وكان مكانه ممَّا خَرِبَ في حريق البندقانيين فزُكِبَ بعض القيسارية على بَرِّ زويلة ، وجَعَلَ بابها تجاه دَرَبِ الأَنْجَب ، وبنَى بأعلاها رُبْعاً كبيراً فيه عدة مساكن ، وجَعَلَ الخوانيت بظاهرها وبظاهِر دَرَبِ الأَنْجَب ، وبنَى فَوْقَهَا أيضاً عدة مساكن . فعُثِرَ ذلك الخطُ بجماعة هذه الأماكن ، وبه إلى الآن سَكَنُ يتاعى أخفاف النساء وبعالهن التي يُقال للنقل منها «سَوموزة» ، وهو لَفْظٌ فارسيٌّ معناه «رأس الخف» ، فإن «سَوموزة» رأس ، و«موزة» خف ^٢.

(a) بولاق : أرباب المعاش . (b) يباض في النسخ ، وفي بولاق : بضع .

^١ فيما تقدم ٨٩-٩٢ .
^٢ فيما تقدم ٣٠٥-٣٠٦ .

= ١٣٨٩/هـ ١٧٩١ م . (المقريزي : السلوك ٣ : ٦٨٨ ابن حجر : الدرر الكامنة ٥ : ٢٦٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٣٨٤ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ١ : ٢٧٩) .

سوق الكفتيين

هذا السوق يُنسَلَك إليه من البُنْدُقَانِيَيْن ومن حازة الجُودِرِيَّة ومن الجَمَلُون الكبير وغيره، ويشتمل على عِدَّة خَوَانِيَتٍ لِعَمَلِ الكَفْت، وهو ما تُطَعَّم به الأَوَانِي^(a) النُّحَاس من الذَّهَب والْفِضَّة. وكان لهذا الصَّنَف من الأعمال بديار مصر زَوَاج عَظِيم، وللنَّاس في النُّحَاس المَكْفَت زُغْبَةٌ عَظِيمَةٌ أَدْرَكْنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا لَا يَلِغ وَضَعُهُ وَاصِفٌ لِكَثْرَتِهِ، فَلَا تَكَادُ دَارٌ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ تَخْلُو مِنْ عِدَّةٍ قُطِعَ نَحَاسٌ مُكْفَتٌ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي شَوْرَةِ الْعُرُوسِ دِكَّةٌ نَحَاسٍ مُكْفَتٌ. و«الدِّكَّة» عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَشْبُهُ السَّرِيرَ يُعْمَلُ مِنْ خَشَبٍ مُطَعَّمٍ بِالْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ، أَوْ مِنْ خَشَبٍ مَذْهُونٍ. وَفَوْقَ الدِّكَّةِ دَسْتُ طَاسَاتٍ مِنْ نَحَاسٍ أَصْفَرٌ مُكْفَتٌ بِالْفِضَّةِ، وَعِدَّةُ الدَّسْتِ سَبْعٌ يَقْطَعُ بَعْضُهَا أَصْفَرَ مِنْ بَقْضٍ، تَبْلُغُ كِبَرَاهَا مَا يَسَعُ نَحْوَ الْأَرْدَبِ مِنَ الْقَمَحِ، وَطُولُ الْأَكْتَفَاتِ الَّتِي تُقِشَّتْ بِظَاهِرِهَا مِنَ الْفِضَّةِ نَحْوَ الثَّلَثِ ذِرَاعٍ فِي عَرَضٍ أَصْبَعَيْنِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ دَسْتُ أَطْبَاقٍ عِدَّتُهَا سَبْعَةٌ، بَعْضُهَا فِي بَجَوفٍ بَعْضٌ، وَيَفْتَحُ أَكْبَرُهَا نَحْوَ الذَّرَاعَيْنِ وَأَكْثَرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَائِرِ وَالسُّرُجِ وَأَخْفَاقِ الْأَشْتَانِ وَالطُّشْتِ وَالْأَبْرِيقِ وَالْمُبْتَخَرَةِ. فَتَبْلُغُ قِيَمَةُ الدِّكَّةِ مِنَ النُّحَاسِ الْمَكْفَتِ زِيَادَةً عَلَى مِائَتِي دِينَارٍ ذَهَبًا.

وكانت العُرُوسُ مِنْ بَنَاتِ الْأَمْراءِ أَوْ الْوُزراءِ أَوْ أَغْيَانِ الْكُتَّابِ أَوْ أُمَائِلِ الشُّجَّارِ، تُجَهَّزُ فِي شَوْرَتِهَا، عِنْدَ بِنَاءِ الزَّوْجِ عَلَيْهَا، سَبْعٌ دِكَّةٌ: دِكَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَدِكَّةٌ مِنْ كَفْتٍ، وَدِكَّةٌ مِنْ نَحَاسٍ أَيْضَ، وَدِكَّةٌ مِنْ خَشَبٍ مَذْهُونٍ، وَدِكَّةٌ مِنْ صِينِيٍّ، وَدِكَّةٌ مِنْ بَلُّورٍ، وَدِكَّةٌ كَلَاهِي^(b) - وَهِيَ آلَاتٌ مِنْ وَرَقٍ مَذْهُونٍ تُحْمَلُ مِنَ الصِّينِ أَدْرَكْنَا مِنْهَا فِي الدَّوْرِ شَيْئًا كَثِيرًا. وَقَدْ عَدِمَ هَذَا الصَّنَفُ مِنْ مِصْرَ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا.

وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي الْفَاضِلُ الرَّئِيسُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ^(c) أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ الْخَطَّابِ الْخَزْرَمِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: تَزَوَّجَ الْقَاضِي عَلَاءُ الدِّينِ^(d) بْنُ عَرَبٍ مُخْتَبِيبَ الْقَاهِرَةِ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ الشُّجَّارِ تُعْرَفُ بِسَيْتِ الْعِمَائِمِ⁽¹⁾، فَلَمَّا قَارَبَ الْبِنَاءَ عَلَيْهَا وَالدُّخُولَ بِهَا،

(a) بولاق: أواني. (b) بولاق: كداهي. (c) ساقطة من بولاق. (d) يياض في نسخة أباصوفيا.

¹ حاشية بخط المؤلف: «سَيْتُ الْعِمَائِمِ ابْنَةُ شَيْخِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْخَزَنَوِيِّ التَّاجِرِ وَمَاتَ عَنْهَا فُورَتُهُ، وَلِلَّذَلِكَ عَظُمَتْ مُحَمَّدُ بْنُ الْيَسِيرِ التَّاجِرِ، تَزَوَّجَ بِهَا بِكَرًا بَنُو الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ سَعَادَتِهَا».

حَضَرَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَكَيْلُهَا وَأَنَا عِنْدَهُ ، فَبَلَغَهُ سَلَامُهَا عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا بَقَعَتْ إِلَيْهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
فِيضَةً حَجَرًا^(a) خَالِصَةً لِيُصْلَحَ بِهَا لَهَا مَا عَسَاهُ اخْتَلَّ مِنَ الذِّكَّةِ الْفِيضَةِ . فَأَجَابَهُ إِلَى مَا سَأَلَ وَأَمَرَهُ
بِاخْضَارِ الْفِيضَةِ . فَاسْتَدْعَى الْحَدَمَ مِنَ الْبَابِ فَدَخَلُوا بِالْفِيضَةِ فِي الْحَالِ ، وَبِالْوَقْتِ أَمَرَ الْمُحْتَسِبَ
بِصُنَاعِ الْفِيضَةِ وَطَلَايِهَا ، فَأَخْضَرُوا وَشَرَعُوا فِي إِصْلَاحِ مَا أُرْسِلَتْهُ سِتُّ الْعَمَائِمِ مِنْ أَوَانِي الْفِيضَةِ
وَإِعَادَةِ طَلَايِهَا بِالذَّهَبِ ، فَشَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ مَنْظَرًا بَدِيعًا .

وَأَخْبَرَنِي مِنْ شَاهَدَ جِهَازَ بَعْضَ بَنَاتِ السُّلْطَانِ حَسَنَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ - وَقَدْ حُمِلَ فِي
الْقَاهِرَةِ - عِنْدَمَا زُفَّتْ عَلَى بَعْضِ الْأَمْوَاءِ فِي دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنَ بْنِ مُحَمَّدَ ابْنِ
قَلَاوُونَ ، فَكَانَ شَيْقًا عَظِيمًا : مِنْ جَمَلَتِهِ ذِكَّةٌ مِنْ بِلُورٍ تَشْتَمِلُ عَلَى عَجَائِبَ ، مِنْهَا زَيْرٌ مِنْ بِلُورٍ قَدْ
نُقِشَ بِظَاهِرِهِ صُورُ نَائِمَةٍ^(b) عَلَى شَبِّهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ ، وَقَدَّرَ هَذَا الزَّيْرُ مَا يَتَسَعُ قُرْبَةَ مَاءٍ .

وَقَدْ قُلْتُ اسْتِعْمَالَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا هَذَا لِلتَّخَاسِ الْمَكْفُتِ وَعَزَّ وَجُودُهُ ، فَإِنَّ قَوْمًا لَهُمْ عِدَّةُ سَنِينَ
قَدْ تَصَدَّقُوا لِشِرَاءِ مَا يُتَاعَ مِنْهُ ، وَنَتِجَتِ الْكَفْتُ عَنْهُ طَلَبًا لِلْفَائِدَةِ .
وَبَقِيَ بِهَذَا الشُّوقِ إِلَى يَوْمِنَا بَقِيَّةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ صُنَاعِ الْكَفْتُ .

سُوقُ الْأَقْبَاعِيِّينَ

بُحِطَ تَحْتَ الزُّنْبَعِ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ مِمَّا يَلِي الشَّارِعَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى قَنْطَرَةِ الْحَرَقِ^١ .

مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى يَمِينَةِ الْمَالِكِ إِلَى قَنْطَرَةِ الْحَرَقِ ، فَإِنَّهُ جَارٍ فِي وَقْفِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ هُوَ وَمَا
فَوْقَهُ عَلَى الْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِحُطِّ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ
خَامِيسَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ (سِتٍّ وَ) عَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَوَقَّعَ الْهَدْمُ فِيهِ لِيُضَافَ إِلَى عِمَارَةِ
الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخِ الْمَجَاوِرَةِ لِبَابِ زَوِيلَةَ^٢ . وَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الشُّوقِ عَلَى يَسْرَةِ مَنْ سَلَكَ إِلَى
القَنْطَرَةِ ، فَإِنَّهُ جَارٍ فِي وَقْفِ أَتْبَعَا عَبْدِ الْوَاحِدِ عَلَى مَنْرَسَتِهِ الْمَجَاوِرَةِ لِلْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَبَعْضُهُ
وَقَفُ اثْرَاقٍ تُعْرَفُ بِدُنْيَا .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : نائبة . (c-c) ساقطة من بولاق .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٣٣٠ . ^٢ أي جامع المؤيد شيخ المحمدي ، فيما يلي ٣٢٨ : ٢ .

سُوقُ الشَّقَطَيْنِ

هذا السُّوقُ خارج باب زويلة بجوار دار التُّفَّاح ، أنشأه الأمير أقبغا عبد الواحد ، وهو جارٍ في وَفَّهِه ^١.

سُوقَةُ خِرَازَةِ البُثُودِ

هذه السُّوقَةُ على باب دَرْبِ رَاشِدٍ وتمتدُّ إلى خِرَازَةِ البُثُودِ ، وكانت تُعرَفُ أوْلاً بِسُوقَةِ زَيْدَانِ الصُّغْلَبِيِّ المنسوب إليه الزيدانية خارج باب النُّصْر ^٢.

سُوقَةُ المَشْعُودِيِّ

هذه السُّوقَةُ من حُقُوق حازة زويلة بالقاهرة ، تُنسَبُ إلى الأمير صارم الدِّين قَاسِمَ المَشْعُودِيِّ الكَامِلِيِّ ^(a)، تَمْلُوكُ المَلِكِ المَشْعُودِ أَقْسِيسِ ابنِ المَلِكِ الكَامِلِ مُحَمَّدٍ ^(a). ووَلِيَّ المَشْعُودِيِّ هذا ولاية القاهرة - وكان ظليماً غاشماً جباراً - من أجل أنه كان في دار ابن قِرَقة التي من جملتها جامع بني المَعْرِبِيِّ ^(b) وبيت الوزير ابن أبي شاكر . ثم إن قَتَحَ الدِّينَ بنَ مُغْتَصِمِ الدَّوْدِيِّ التُّبْرِيذِيِّ كَاتِبَ السِّرِّ جَدَّدَهَا في سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، لأنَّهُ كان يَسْكُنُ هناك ^٣.

ومَاتَ المَشْعُودِيُّ في يوم الاثنين النُّصْفِ من ذي الحِجَّةِ سنة أربع وستين وست مائة ، ضَرَبَتْهُ شَخْصٌ في دار العَدْلِ بِسِكِّينٍ كان يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ بِهَا الأمير عَزَّ الدِّينَ الحُلِيِّ نَائِبَ السُّلْطَنَةِ ، فَوَقَّعَتْ في فُؤَادِ المَشْعُودِيِّ فَمَاتَ لَوَقْتِهِ .

سُوقَةُ طُفْلُقْ

هذه السُّوقَةُ على رأس الحازة الصَّالِحِيَّةِ بِمَأْبِلِي الجامع الأزهر . عُرِفَتْ بِالأمير سَيْفِ الدِّينِ

(a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) بولاق : جامع ابن المغربي .

^١ ذكره المقرئ في مسودة الخطوط ٣٣ و باسم قيسارية زيدان .

الشَّقَطَيْنِ . ^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ٣٩ ط ، وسمّاها : سُوقَةُ

^٣ المقرئ : مسودة الخطوط ٤٠ و .

^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ٣٩ ط ، وسمّاها : سُوقَةُ

طَفَلَق السِّلَاح دار التَّاصِرِي^١، صَاحِب حَمَام طَفَلَق التي بالقرب من الجامع الأزهر على باب
دَرْب المَنْصُورِي، وصَاحِب دار طَفَلَق التي عُرِفَت اليوم بدار المَنْصُورِي في الدَرْب المذكور^١.
وأوَّل ما عُمِّرَت هذه السُّوَيْقَةُ لم يكن فيها غير أَرْبَع خَوَانِيت^(ب) على رَأْس دَرْب أمير حُسَيْن
بالخَطِّ المذكور^(ب)، ثم عُمِّرَت عِمَارَةً كَبِيرَةً لَمَّا خَرِبَت سُوَيْقَةُ الصَّالِحِيَّة التي كانت مِمَّا يَلِي باب
البَرْقِيَّة في حُدُود سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِع مِائَةٌ، ثم تَلَاشَت من سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَان مِائَةٍ كَمَا تَلَاشَى غَيْرُهَا
من الأَسْوَاق، وبقي منها يَسِيرٌ جَدًّا^٢.

سُوَيْقَةُ الصَّوَّائِي

هذه السُّوَيْقَةُ خَارِج باب النُّصْر وباب القُتُوح بِحُطِّ بُسْتَان ابن صَيْرَم، عُرِفَت بِالْأَمِير علاء
الدِّين أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعُود الصَّوَّائِي، مُشِيد الدَّوَاوِين في أَيَّام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين
بَيَّزَس البَنْدُكْدَارِي، وَقِيلَ بَل قَرَّاجَا الصَّوَّائِي أَخَذَ مُقَدِّمِي الحَلَقَةِ في أَيَّام الملك المَنْصُور قَلَاوُون،
وكان في حُدُود سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ مَوْجُودًا، وَكَانَت دَارُهُ هُنَاكَ.
وكان أَيْضًا في أَيَّام الملك المَنْصُور قَلَاوُون الْأَمِير زَيْنُ الدِّين أَبُو المَعَالِي أَحْمَد بْنُ شَرْف الدِّين
أَبِي المَفَاحِرِ مُحَمَّد الصَّوَّائِي، شَادَّ الدَّوَاوِين، وَكَانَ يَسْكُنُ بِمَدِينَةِ مِصْر. وَالْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجَر
الصَّوَّائِي أَخَذَ الْأَمْرَاءَ الْمُقَدِّمِينَ الْأَلُوفَ في أَيَّام الملك التَّائِصِرِ مُحَمَّد بْنِ قَلَاوُون وَالْمَلِكِ الْمُظْفَرِ بَيَّزَس
الْجَاشَنكِيَرِ^(أ)، وَهُوَ صَاحِب البُقَر التي بِالْبَاطِلِيَّةِ المَعْرُوفَةِ بِبُقَر الدَّرَائِزِينَ، وَعِزُّ الدِّين أَيْتِك
الصَّوَّائِي^٣.

سُوَيْقَةُ الْبَلْشُون

هذه السُّوَيْقَةُ خَارِج باب القُتُوح. عُرِفَت بِسَاقِ الدِّين سُنْقَرُ الْبَلْشُون أَخَذَ مَمَالِك
السُّلْطَان صَلَاح الدِّين يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ وَسِلَاح ذَرَابَتِهِ، وَكَانَ لَهُ أَيْضًا بُسْتَانٌ بِالْمَقَسِّ

(أ) إضافة من مسودة الخطط. (ب-ب) إضافة من مسودة الخطط.

^١ فيما تقدم ٢٧٣. ص: ولم يبق منها الآن يسير ولا كثير.

^٢ المقرئ: مسودة الخطط ٤٠، وظ: وعلى هامش نسخة ^٣ نفسه ٤٠، ظ - ٤١.

خارج القاهرة من جوار الدُّكَّة يُعرَف بِبُيُوتَانِ الْبَلُشُون^١.

سُوَيْقَةُ اللَّفْت

- هذه السُوَيْقَةُ كانت خارج باب النَّصْر من ظاهِر القاهرة حيث البُئر التي في شمالي مُصَلَّى
الأموات ، المعروف بِبُيْرِ اللَّفْت ، نِجَاه دار ابن الحاجب . كانت تشتمل على عِدَّة حوانيت يُباع
فيها اللَّفْت والكُؤُوب ، ويُحتمَل منها إلى سائر أسواق القاهرة ، ويُباع اليوم في بعض هذه الحوانيت
• اللّريس لعلف الدُّواب .

سُوَيْقَةُ زَاوِيَةِ الْخُدَّام

هذه السُوَيْقَةُ خارج باب النَّصْر بحري سُوَيْقَةُ اللَّفْت . كان فيها عِدَّة حوانيت يُباع فيها أنواع
المأكِل ، فلمَّا كانت سنة ست وثمان مائة خَرِبَتْ ، ولم يَتبق فيها سوى حوانيت لا طائِل بها^٢.

١٠

سُوَيْقَةُ الرَّمْلَةِ

هذه السُوَيْقَةُ كانت فيما بين سُوَيْقَةِ زَاوِيَةِ الْخُدَّام وَجَامِع آل مَلِك^٢ ، حيث مُصَلَّى
الأموات التي هناك . كان فيها عِدَّة حوانيت تملؤة بأصناف المأكِل قد خَرِبَتْ سائِرُها ، ولم
يَتبق لها أَثَرٌ أَبَته .

سُوَيْقَةُ جَامِع آل مَلِك

- أدرُكُها إلى سنة ست وثمان مائة ، وهي من الأسواق الكِبَار ، فيها غَالِب ما يُحْتَاج إليه من
١٥ الإدام . وقد خَرِبَتْ لِحَرَاب ما يُجاوِزُها .

(a) بولاق : لها .

^١ المقرئزي : مسودة الخطوط ١٤٦ و . ^٢ عن جامع آل مَلِك في الحسينية ، انظر فيما يلي ٣١٠ : ٢ .

سُوَيْقَةُ أَبِي طَرِيس

كانت تلي سُوَيْقَةَ جامع آل مَلِك، أَذْرَكْتُهَا عَامِرَةَ.

سُوَيْقَةُ السَّبَابِطَةِ

كانت هناك، عُرِفَتْ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ شَبَاطٍ سَكَنُوا بِهَا وَأَذْرَكْتُهَا أَيْضًا عَامِرَةَ.

سُوَيْقَةُ الْعَرَبِ

هذه السُوَيْقَةُ كانت تتصل بالزبدانية، خَرِبَتْ فِي الْفَلَاءِ الْكَائِنِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَأَذْرَكْتُ حَوَانِيَتَ هَذِهِ السُّوَيْقَةِ وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنَ السَّكَّانِ إِلَّا يَسِيرًا، وَعَقُودُهَا مِنَ اللَّيْلِ. وَيُقَالُ لَهُ وَمَا وَرَاءَهُ خَرَابُ الْحُسَيْنِيَّةِ^١. وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْعِمَارَةِ، وَكَانَ بِأَوَّلِهَا مِمَّا يَلِي الْحُسَيْنِيَّةَ فُورٌ، أَدْرَكَتْهُ عَامِرًا إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. بَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي أَغْوَامِ سِتِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ يُخْتَبَرُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ نَحْوَ سَبْعَةِ آلَافٍ رَغِيفٍ لِكثْرَةِ مَنْ حَوَّلَهُ

غيرها ... وعمل مُزْدَرَعَاتٍ هُنَاكَ وَخَفَرُوا بِقُرَا عَظِيمًا يَغْلُوهُ أَرْبَعُ سَوَاقٍ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ تَخْرُجَةٍ هَائِلَةٍ لِلتَّفَرُّجِ وَحَوْضٍ كَبِيرٍ ... وَتَجِبُ عَظِيمَةٌ ... وَأَنْشَأَ قِبَلِي هَذِهِ الْقُبَّةَ تَرْبَةً عَظِيمَةً جَدًّا فِيهَا شَيْخٌ وَصُوفِيٌّ، وَتَجَاهَ الثُّرُوبَةَ مَذْرُوعَةً وَبِجَانِبِهَا سَبِيلًا لِلشُّرُوبِ، وَحَوْضًا لِلْبَهَائِمِ وَتَخْرُجَةُ عَظِيمَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ مِنْهَا إِلَى مُزْدَرَعَاتٍ، وَبِالْقُرْبِ مِنَ الْمَطْرُوبَةِ قُبَّةٌ هَائِلَةٌ وَبِجَانِبِهَا مَذْرُوعَةٌ فِيهَا تَحْطِيبَةٌ وَأَمَّا كَيْنَ تَفُوقَ الْوَضْفِ، إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا لَا يَتَخَصَّرُ، وَصَارَ ذَلِكَ مِنْ أَهْجِ الْمُنْتَزَعَاتِ. (الضوء اللامع ١٠: ٢٧٣-٢٧٤)، وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ مَعَ التَّعْلِيقِ الْوَارِدِ فِي هَامِشٍ (ص). وَتَوَفَّى يَشْتَبِكُ مِنْ مَهْدِيٍّ مَقْتُولًا فِي الرُّهَا سَنَةَ ١١٨٥هـ/١٤٨٠م. (رَاجِعْ أَيْضًا، ابْنُ إِبْرَاهِيمَ: بِدَائِعُ الزُّهُورِ ٣: ١٦٥-١٦٨، ١٧٠-١٧٥) وَلِسَامِي أَحْمَدُ عَبْدُ الْحَلِيمِ إِمَامٌ: الْأَمِيرُ يَشْتَبِكُ مِنْ مَهْدِيٍّ وَأَعْمَالُهُ لِلْمَعَارِيَةِ بِالْقَاهِرَةِ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرِ بَكْلِيَّةِ الْأَدَابِ - جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ (١٩٧٠).

^١ هُنَا عَلَى هَامِشِ نَسْخَةٍ ص: وَأَتَّخَذَ غَالِبُ هَذَا الْخَطِّ وَمَا مَعَهُ الْأَمِيرُ الْوَزِيرَ الصَّاحِبَ سَيْفَ الدِّينِ يَشْتَبِكُ مِنْ مَهْدِيٍّ الدُّوَادَارِ الْكَبِيرِ وَالْأَشْتَادَارِ وَعَقْرُهُ عِمَارَةٌ يَجْزُ الْوَاصِفُ عَنْ وَضْعِهَا مِنْ أَبَارِذَاتٍ وَنُجُومٍ يَجْرِي الْمَاءُ مِنْهَا إِلَى تَجْرِبَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ مَجَارِيٍّ مُتَحَكِّمَةٍ، وَرُؤُوسُهُ تُغْنِي عَنْ وَضْعِهَا فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ قَائِمِيَّ السُّلْطَانِ زَمَانَنَا هَذَا.

أَقُولُ: يَشْتَبِكُ الْمَذْكُورُ هُوَ يَشْتَبِكُ مِنْ مَهْدِيٍّ الظَّاهِرِيِّ بِجَمْعَتِهِ الْمَعْرُوفِ بِالصُّغَيْرِ، كَانَ دَوَادِرًا ثُمَّ أَصْبَحَ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ تُحْشَقَدَمُ سَنَةَ ١١٨٧هـ/١٤٦٦م كَاشِفٌ الصَّعِيدَ بِأَمْرِهِ، وَعَلَا ذِكْرُهُ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ قَائِمِيَّ حَتَّى وَصَارَتْ الْأُمُورُ كُلُّهَا لَا تَخْرُجُ عَنْهُ، وَارْتَقَى لَمَّا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ فِي وَقْتِنَا غَيْرُهُ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ، كَمَا يَقُولُ الشَّخَاوِيُّ، الَّذِي أَضَافَ: «وَجُرِفَ مِنْ جَامِعِ آلِ مَلِكٍ إِلَى الزُّبْدَانِيَّةِ طَوْلًا وَعَرْضًا، وَأَزَالَ مَا هُنَاكَ مِنَ الْقُبُورِ فَضْلًا عَنْ

من الشُّكَّانِ . وتلك الأماكن اليوم لا ساكنَ فيها إِلَّا الثُّومُ ، ولا يُشْمَعُ بها إِلَّا الصُّدَى ^١ .

سُوَيْقَةُ الْعِزِّي

هذه السُّوَيْقَةُ خارج باب زَوَيْلَةَ قَرِيْبًا من قَلْعَةِ الْجَبَلِ . كانت من جملة المقايِر التي خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبُزْكَ الغيل وبين الجَبَل الذي عليه الآن قَلْعَةُ الْجَبَلِ . / فلَمَّا انْخَطَّتْ هذه الجِهَةُ ، كما تقدَّم ذكره عند ذِكر ظَوَاهِر القَاهِرَةِ ، عُرِفَتْ هذه السُّوَيْقَةُ بِالأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ أَيْتِكَ الْعِزِّي نَعِيب الْجِيُوشِ ، واسْتَشْهِدَ على عَكَا عندما فَتَحَهَا الْأَشْرَفُ خَلِيل بن قَلَاوُون في يوم الجمعة سابع عشر جُمَادَى الآخِرَةِ سنة تسعين وست مائة ^٢ . وهذه السُّوَيْقَةُ عَامِرَةٌ بِعِمَارَةِ ما حَوَّلَهَا .

سُوَيْقَةُ الْعِيَّاطِينَ

هذه السُّوَيْقَةُ بِحُطِّ الْمَقَسِّ بِالْقُرْبِ من باب البَحْرِ ، عُرِفَتْ بِالْفَقِيرِ الْمُعْتَقِدِ مَشْغُود بن محمد بن سَالِمِ الْعِيَّاطِ لِسَكَنِهِ بِالْقُرْبِ منها ، وله هناك مَسْجِدٌ بَنَاهُ في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائة ^٣ .

وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الْمُعْتَمِرُ مُحْسَامُ الدِّينِ حَسَنُ بن عُمَرَ الشَّهْرَزُورِي ، وَكَيْل أَبِي رَحِمَهُ اللهُ ، أَنَّ النَّشْوَ نَاطِرَ الْخَاصِّ في أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّد بن قَلَاوُون ، طَرَحَ على أَهْلِ هذه السُّوَيْقَةِ عِدَّةَ أَمْطَارٍ عَسَلَ قَصَبٌ ، وَأَلْزَمَهُمْ في تَمَنِّ كُلِّ قَنْطَارٍ بِعَشْرِينَ دِرْهَمًا . فَوَقَفُوا إلى السُّلْطَانِ وَعِيَّطُوا حتى أَغْفَاهُمْ من ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهَا من حَيْثُ لِدِ سُوَيْقَةُ الْعِيَّاطِينَ ^٤ .

^١ المقرئزي : مسودة المخطوط ٤١ ط . سابقا ، وطُولًا بين حارة حَلَوَات وشارع محمد علي تجاه

^٢ نفسه ٤١ ط ، وانظر عن عز الدِّين أَيْتِكَ الْعِزِّي ، المقرئزي : المَقْفَى الْكَبِير ٥٢٦ : ٢ ، السُّلُوك ١ : ١٧٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٠٤ : ٨ وذكره باسم أَيْدَمَر الْعِزِّي وَأَنَّ وفاته سنة ٨٧٠٢ / ١٣٠٢ م .

^٣ كان مسجدُ الشَّيْخِ مَسْعُود قائمًا ويُعْرَفُ بِجامع الشَّيْخِ مَسْعُود في عَقْطَةِ الشَّيْخِ مَسْعُود بِدَرْبِ الإِقْصَاعِيَةِ بِقَسَمِ باب الشعريَّة . (محمد رمزي : استدراكات النجوم الزاهرة ٣٣٤ : ٩) . وزال أثره مع توسعة الميدان .

^٤ المقرئزي : مسودة المخطوط ٣٧ ر في طَيَّارَةِ . وكانت سُوَيْقَةُ الْعِزِّي تُشْغَلُ قَدِيمًا الْجَزءَ الْجَنُوبِي من شارع سوق السِّلَاح بِالدَّرْبِ الْأَحْمَرِ في الْمَسَافَةِ الْوَاقِعَةِ عَرْضًا بين شارع الْفُلْدُور بِالْكِبْجَةِ الْجَدِيدَةِ وشارع الْقَلْعَةِ (محمد علي

ولَقَطَةُ عَيَّاطٍ عند أهل مصر بمعنى صَيَّاحٍ، والعَيَّاطُ الصَّيَّاحُ. وأصل ذلك في اللغة أَنَّ العَطَمَةَ تَتَابِعُ الأصوات واختلافُها في الحَرْبِ، وهي أَيْضًا حِكَايَةُ أصواتِ الجَّانِ إذا قالوا: عَطِطَ عَطِطَ وذلك إذا غَلَبُوا قَوْمًا. وقد عَطَطُوا وعَطَطَ بالذَّئْبِ إذا قال له عَاطَ عَاطَ. فحَرْفُ عَائَةِ مصر ذلك، وجعلوا العَيَّاطَ الصَّيَّاحَ، واشتَقُّوا منه الفِعلُ؛ فاغْرِفْ ذلك (a) ١.

سُوَيْقَةُ العراقيين

هذه السُوَيْقَةُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ القُسْطَاطِ، وَأَمَّا عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قُرَيْبًا الْأَزْدِيَّ وَزَحَّافًا الطَّلَاطِيَّ - وَكَانَا مِنَ الحَوَارِجِ - خَرَجَا عَلَى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ^(b) بِالْبَصْرَةِ، فَأَتَاهُمُ زِيَادٌ بِهِمَا جَمَاعَةً مِنَ الْأَزْدِ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِهِمْ، فَأَمَرَ بِتَغْرِيهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ^٢. فَسَيَّرَهُمْ إِلَى مِصْرَ، وَأَمِيرُهَا مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، فَأَنْزَلُوا بِالظَّاهِرِ أَحَدَ خِطَطِ مِصْرَ - وَكَانَ إِذْ ذَاكَ طُرُقًا - أَرَادَ أَنْ يَسُدَّ بِهِمْ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ. فَتَزَلُّوا فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِكُومِ سِرَاجٍ، وَكَانَ قَضَاءً، فَتَبَتُوا لَهُمْ مَسْجِدًا، وَاتَّخَذُوا سُوقًا لِنَفْسِهِمْ، فَسَمَّيَ سُوَيْقَةَ الْعِرَاقِيِّينَ.

(a) في هامش أباصونيا: بياض ورقة وشيء يسير. (b) بولاق: أمية.

١ وهو مستخدم إلى الآن عند أهل الشام بمعنى المنادة،^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٤. وعَطِطَ عليه أي نادى عليه.

١٥) ذِكْرُ مَدَارَاتِ الطَّوَّاجِينِ

اعْلَمْ أَنَّهُ^{١٥} كان بالقاهرة ومصر عدة مدارات يُطبخُ فيها القمح دَقِيقًا ، وأخير ما أُخْصِيَتْهُ بعد سنة ستين وسبع مائة في أيام الأمير يُلْبَغًا الخاضكي المتحكم في أحوال الدولة ، فبَلَّغَتْ أربع مائة وخمسين مدارًا . ولَمَّا تَقَلَّدْتُ حِسْبَةَ القاهرة سنة إحدى وثمان مائة من الملك الظاهر بَزَفوق كانت مائتين وخمسين مدارًا ؛ ثم لَمَّا حَدَّثَتِ الْحِجْزُ سنة ست وثمان مائة تَلَاَسَتْ حتى إنها اليوم لا تَتَجَاوَزُ المائة مدار . وأَمْرُ النَّاسِ في القاهرة ومصر في الدَّقِيقِ على ثلاثة أقسام

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : «الْعَامَّةُ» وأكثر أكلهم الحُبْزُ يُشْرَى^{١٦} من الشوق عند العَدَاء والعِشَاء ؛ وأنا اعتَبَرْتُ ما نَحْتَاجُ إليه الْأَحْبَارُ التي بأشواق القاهرة وما يَتَمَلَّقُ بها من الدَّقِيقِ في كُلِّ يوم فَبَلَّغَ في اليوم ما بين ألف إزْدَبَ قَمَحًا وثمان مائة إزْدَبَ ، هذا غير ما يُحْتَمَلُ من الأَرْيَافِ إلى الأَقْرَانِ من الدَّقِيقِ المَجْلُوبِ وقد تَبَلَّغَ ثَلَاثُ ما ذَكَرْنَا وَأَزِيدَ .

وكانت^{١٧} «الجِرَايَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ» تُقَامُ لها مداراتٌ بجوار الصَّنَاعَةِ من مَدِينَةِ مِصْرَ ، أَذْرَكْتُهَا عَامِرَةً يُحْتَمَلُ إليها القَمَحُ من الأَمْرَاءِ بِمِصْرَ ، ولهذه المَدَارَاتُ نَاطِرٌ وديوانٌ وشُهُودٌ وشَادَ . فَلَمَّا كانت المِخْنُ المذكورة وَبَطَلَ ذلك وصَارَ يُوجَدُ الدَّقِيقُ لِلدَّارِ السُّلْطَانِيَةِ من الطَّحَّانِينَ بِشَمَنِ بَخْسٍ وتَارَاتٍ بِغَيْرِ ثَمَنِ ، ثم تَلَاَسَتْ الجِرَايَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ وَبَقِيَتْ نَذْرًا يَسِيرًا ؛ فهذان قِسْمَانِ .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : «بِصَاضُ النَّاسِ» من الأَمْرَاءِ والأَجْنَادِ وَالْكَتَّابِ والأَعْيَانِ من الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالتَّجَّارِ ، فَأَكْثَرُهُمْ يَصْنَعُ الحُبْزَ على يَدِهِ في دارِهِ ، وكثيرٌ منهم يأْكُلُ من الشوق ، إمَّا يَشْتَرِي الدَّقِيقَ وَيَفْجِئُهُ خَدَمُهُ ، وإمَّا يَشْتَرِي الحُبْزَ مَعْمُولًا^{١٨} .

(a-a) فقرة مضافة توجد فقط في نسخة تيمور رقم ١١٠ بلدان . (b) نسخة التيمورية : بشرا . (c) الأصل : كان .

الخطوط ، فالشكر الجزيل له على صادق تعاونه ، وتقنياتي له أن يمتعه الله بمغفور الصُّلَّةِ والعافية . وهي تُوجَدُ في النُّشْخَةِ في ورقة ٤٧٣ ط-٤٧٤ و بين نهاية «ذِكْرُ الشجون» وبداية «ذِكْرُ المواضع المعروفة بالصَّنَاعَةِ» . وواضح أنها كانت في طَيَّازَةٍ بين أوراق النُّشْخَةِ المنقول عنها ، وَضَعَهَا نَاسِخُ النُّشْخَةِ في هذا المكان . وقد رأيتُ نقلها إلى نهاية ذِكْرِ الْأَشْوَاقِ لأنها به أَلَيَتْ .

^١ هذه الفقرة التي تُقَدِّمُ لنا معلوماتَ هائلةً عن تموين القاهرة بالحُبْزِ في العصر المملوكي ، لا توجد إلَّا في نسخة الخطِّ المَحْفُوظَةِ في المكتبة التيمورية الملحقَة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠ بلدان تيمورا ، وذُلِّيَ عليها العالمُ الجليل والأقاري الكبير الأستاذ عبد الرحمن عبد الثراب الذي أتيحت له فُرْصَةُ الاطِّلاعِ على العديد من مخطوطات

ذكر العوائد التي كانت بقصبة القاهرة

اعلم أن قصبة القاهرة ما برحت مُحترمة، بحيث إنه كان في الدولة الفاطمية إذا قديم رسولُ
مُتَمَلِّك الروم ينزل من باب الفتوح، ويُقبل الأرض وهو ماش، إلى أن يصل إلى القصر. وكذلك
كان يفعل كل من غُصِب عليه الخليفة، فإنه يخرج إلى باب الفتوح، ويكشف رأسه ويستغيث
بعمو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير إلى القصر.

وكانت^٥ لها عوائد: منها أن السلطان من ملوك بني أيوب، ومن قام بعدهم من ملوك الترك،
لا بد إذا استقر في سلطنة ديار مصر أن تلبس خِلعة السلطنة^٦ بظاهر القاهرة، ويدخل إليها راكباً
والوزير بين يديه على فرس، وهو حامل عهد السلطان الذي كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على
رأيه وقد أمسكه بيديه، وجميع الأمراء ورجال العساكر مشاة بين يديه، منذ يدخل إلى القاهرة
من باب الفتوح أو من باب النصر، إلى أن يخرج من باب زويلة. فإذا خرج السلطان من باب
زويلة ركب حيثما الأمراء وبقية العسكر.

ومنها أنه لا يمر بقصبة القاهرة جعل تين ولا جعل خطب، ولا يسوق أحد فرساً بها، ولا يمر
بها سقاء إلا راوئته مغطاة.

ومن رسم أرباب الحوانيت أن يُعدوا عند كل حائوت زيرا تملؤا بالماء، مخافة أن يخذل
الحريق في مكان فيطفا بسرعة، ويلزم صاحب كل حائوت أن يعلق على حائوته قنديلاً طول
الليل يشرح إلى الصباح.

ويقام في القصبة قَوْمُ يَكْنَسُونَ الأزيال والأثرية ونحوها، ويرشون كل يوم، ويجعل في القصبة
طول الليل عِدَّة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها، ويتعاهد كل قليل بقطع ما
عساه ترمى من الأوساخ في الطرقات حتى لا تغلوا الشوارع^٧.

وأول من ركب بخلع الخليفة في القاهرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن
أيوب. قال القاضي الفاضل في «متجددات» سنة سبع وستين وخمس مائة: تاسع شهر رجب
وصلَّت الخيل التي كانت نُفِدت إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زلكي من

(b) بولاق: السلطان. (c) في هامش أباصوفيا: يباح ثمانية أسطر.

الخليفة ببغداد، وهي قوجية^٥ سوداء وطوق ذهب، فلبسها نور الدين بدمشق إظهاراً لشعارها، وسبّرها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها. وكانت أنفذت له خلعاً ذكر أنه اشتغرها واشترها واشتغرها دون قدره. واستقر السلطان صلاح الدين بداره، وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك برأس الطائفة. فلما كان العاشر منه، خرج قاضي القضاة والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيمته، واستقر المسير بالخلعة - وهو من الأصحاب النجيفة - ورُئيت البلد أيتهاجا بها.

وفيه ضربت التوت الثلاث بالباب الناصري على الرسم الثوري في كل يوم. فأما دمشق فالنوت المضروبة بها خمس على رسم قديم، لأن الأتابكية لها قواعد ورُسوم/ مستقرة بينهم في بلادهم.

- ١٠ وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع، وشق بين القصرين والقاهرة؛ ولما بلغ باب زويلة نزع الخلع، وأعادها إلى داره، ثم شمر للعب الكرة^٦. ولم يزل الرسم كذلك في ملوك بني أيوب حتى انقضت أيامهم، وقام من بعدهم بمالكهم الأتراك، فجزوا في ذلك على عادة ملوك بني أيوب؛ إلى أن قام في مملكة مصر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وقتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله - وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد - قديم على الملك الظاهر، أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله ابن الخليفة الناصر، في شهر رجب سنة تسع وخمسين وست مائة، فلقاه وأكرمه وبايعه، ولقبه بـ«الخليفة المستنصر بالله»، وخطب باسمه على المنابر ونقش الشكة باسمه^١.

- فلما كان في يوم الاثنين الرابع من شعبان، ركب السلطان إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير من ظاهر القاهرة، وليس خلعاً الخليفة وهي جبة سوداء وعمامة بنفسجية وطوق من ذهب وسيف بداوي. وجلس مجلساً عاماً، حضر فيه الخليفة والوزير والقضاة والأمراء والشهود، وصعد القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر^٢ ميثراً نصب له، وقرأ تقليد السلطان

(a) بولاق: جبة. (b) أباصوفيا: وتم يلعب الكرة.

^١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١١٠٠-١١٠١، نفسه ١٠١-١١٠، وعن القاضي فخر الدين أبو المقرئ: السلوك ١: ٤٥٠؛ وفيما يلي ٢: ٢٤٢. ^٢ العباس إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني =

الذي عَهَدَ به إليه الخليفة، وكان بخط ابن لقمان ومن إنشائه. ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق، ودخل من باب النصر، وشق القاهرة وقد زينت له، وحمل^٥ الوزير الصاحب بهاء الدين محمد بن علي بن حنا التقليد على رأيه قدام السلطان والأمراء، ومن دونهم مشاة بين يديه، حتى خرج من باب زويلة إلى قلعة الجبل. فكان يوماً مشهوداً.

وفي ثالث^٦ سؤال سنة اثنتين وستين وست مائة، سلطن الملك الظاهر بيبرس ابنه الملك الشعيد ناصر الدين محمد بركة خان، وأركبه بشعار السلطنة، ومشى قدامه وشق القاهرة كما تقدم، وسائر الأمراء مشاة من باب النصر إلى قلعة الجبل، وقد زينت القاهرة^١.

وأخر من ركب بشعار السلطنة وخلعة الخلافة والتقليد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عند دخوله إلى القاهرة من البلاد الشامية، بعد قتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين، واشتيلائه على المملكة في ثامن جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مائة.

وقال المسبحي في حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة: نودي في الشقائق أن يعطوا روايا الجمال واليغال لئلا تُصيب ثياب الناس.

وقال في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة: أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بتصب أزيار الماء تملوء ماء على الحوانيت، ووقود المصاييح على الدور وفي الأسواق^٢.

وفي ثالث ذي الحجة سنة تسعين^٣ وثلاث مائة، أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بأن يتقوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت وأبواب الدور والمحال والسكك الشارعة وغير الشارعة، ففعل ذلك^٣.

ولازم الحاكم بأمر الله الزكوب في الليل، وكان ينزل كل ليلة إلى موضع موضع وإلى شارع شارع وإلى زقاق زقاق. وألزم^٤ الناس بالوقيد فتناظروا فيه، واستكثروا منه في الشوارع والأزقة،

٥ بلاق: وعمل. ٦ في الروض الزاهر: ثالث عشر. ٧ النسخ: سنة إحدى وتسعين والتصويب من اتعاط الحنفا. ٨ بلاق: وكان قد أئرم.

= الإسماعدي، المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، راجع، ٨: ٥٠، المنهل الصافي ١٣٦١-١٣٨.

الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٩٧-٩٨؛ ابن حبيب: ١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٢٠٤.

تذكرة النبيه ١: ١٧٢؛ المقرئ: للمقفي الكبير ١: ٢٦٠- ٢٧٧. ٢ اتعاط الحنفا ١: ٢٧٧.

٢٦٢، السلوك ١: ٨٠٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣ نفسه ٢: ٣٧، وفيما يلي ٢: ٢٨٥.

ورُئيت القياسير والأسواق بأنواع الرثينة، وصارَ الناس في القاهرة ومصر طولَ الليل في بيع وشراء، وأكثرُوا أيضًا من وقود الشموع العظيمة، وأنفقوا في ذلك أموالًا عظيمة جليلة لأجل التلاهي، وتبسطوا في المأكَل والمشارب وسماع الأغاني. ومنَعَ الحاكم الرجال المشاة بين يديه من المشي بقربه، وزجرهم وانتهرهم، وقال: لا تمنعوا أحدًا مني. فأخذَ الناس به، وأكثرُوا من الدعاء له.

ورُئيت الصاعقة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج، وغلب النساء الرجال على الخروج بالليل، وعظّم الازدحام في الشوارع والطُرقات، وأظهرَ الناس اللهو والغناء وشرب المشكرات في الحوانيت والشوارع من أول المحرم سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة. وكان مُعظّم ذلك من ليلة الأربعاء تاسع عشرة إلى ليلة الاثنين رابع عشرينه.

فلما تزايد الأمرُ وشنع، أمرَ الحاكم بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء، ومنى ظهرت امرأة بعد العشاء نُكِّلَ بها، ثم منَعَ الناس من الجلوس في الحوانيت، فامتنعوا^١.

١٠

ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل إلى آخر شهر رجب. ثم نُودي في شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلاث مائة: ألا يخرج أحد بعد عشاء الآخرة، ولا يظهر لبيع ولا شراء، فامتنع الناس^٢.

وفي سنة خمس وأربع مائة تزايد في المحرم منها ووقوع النار في البلد، وكثرَ الحريق في عدة أماكن. فأمرَ الحاكم بأمر الله الناس بأخذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوغة ماء، وبطرح السفائف التي على أبواب الحوانيت والرواشين التي تُظِلُّ الباعة؛ فأزيلَ جميع ذلك من مصر والقاهرة^٣.

١٥

(a) هنا في هامش آياصوفيا: بياض ورقة وعشرة أسطر.

^٣ نفسه ٢: ١٠٥.

^١ المقرئ: أنماط الحنفا ٢: ٣٨.

^٢ نفسه ٢: ٥٤.

«ذكر ما كانت تطواه القاهرة عليه»
وما صارت الأحوال إليه

اعلم أنه لما نزل القائد جوهري في ثنائه الذي أدار عليه الشور وصار مدينة تُسمى «القاهرة» في
بحري مدينة الفسطاط ، كان حينئذ في غربي القاهرة «الخليج الكبير» الذي كان يُعرف في صدر
الإسلام بـ«خليج أمير المؤمنين» ويُعرف الآن بالخليج الحاكمي ، وعليه بنى القائد جوهري القنطرة التي
عليها «باب القنطرة» من أبواب القاهرة ، وكان يتوصل من فوق هذه القنطرة إلى القرية التي
كانت تُعرف عند الفتح بألم دُنين وعُرفت بعد ذلك بـ«المقس» . وكان المقس حينئذ على النيل .
ونهر النيل إلى حيث الجامع المعروف اليوم بجامع المقس الذي تُسميه العامة جامع المقسي بشاطئ
الخليج الناصري . وكان في قبلي المقس جناح الزهري على حافة النيل ممتدة من قريب المقس إلى
حيث الموضع الذي كان يُعرف بالخمراء القصوى ويُعرف اليوم بخط قناطر السباع حيث قناطر
السباع الآن إلى جبل الكبش وجبل يشكر وما يُقابل ذلك إلى بركة الفيل وما دار به من بركة
قازون إلى الموضع الذي كان يُعرف بالكوم الأحمر وبستان منظر الشجرة المعروف الآن بالمريس
ومُنشأة المهراي ، فإن ذلك كان بعضه قضاء في بحري الفسطاط مُطلًا على النيل وبعضه عامرًا
على النيل . ففي القضاء عِدَّة كنائس من بناء الروم قبل الملة الإسلامية ، فلما كان الفتح على يد
عمرو بن العاص في سنة عشرين من الهجرة صار هذا القضاء يعرف بـ«الخمراء القصوى» وفيه
خِطَّة بني الأزرق وخِطَّة بني رويل وخِطَّة بني يشكر بن جزيلة ولخم وبهم عُرف جبل يشكر
الذي عليه الجامع الطولوني فإنهم كانوا ينزلون هناك في الجبل . ثم دُثرت هذه الخِطَّة وصارت
قضاء ، فلما زالت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة ودخل صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عؤن عبد الملك
ابن يزيد إلى مصر في طلب مروان بن محمد الجفدي المُلقب بالحمار في سنة اثنتين وثلاثين ومائة
نزل صالح وأبو عؤن بهذا القضاء حيث جبل يشكر بعسكرهما وأمر أبو عؤن أصحابه بالبناء هناك
فسمي بـ«العشكر» وصار الأمراء من يومئذ ينزلون به ويُقال له «العشكر» ، ورُبما أُقيمت الجمعة
بالعشكر ، فكان يُقال : «مدينة الفسطاط والعشكر» ، إلى أن كانت دَوْلَةُ بني طولون وعمر الأمير

أبو العباس أحمد بن طولون مدينته التي عُرِفَتْ بـ«القَطَائِعِ» وأنشأ في غَرْبِهَا الجامع عند الشَّرْطَةِ الغُلْيَا على جَبَلٍ تَشْكُرُ من العَشْكَرِ المعروف اليوم بجامع ابن طولون فَعُمِّرَتْ هذه الحِطَّةُ - أعني الحَمْرَاءُ - عِمَارَةً عَظِيمَةً حتى صَارَ فيها مَكَانٌ قَدَّرَ ذِرَاعٌ يُوجِرُ في كُلِّ يَوْمٍ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ - وهي يومئذٍ تَقْرُبُ من مِثْقَالِ ذَهَبٍ - وَعَمَّرَ باقِيَ القِبْلِيِّ العَشْكَرِ فيما بينه وبين مَدِينَةِ القُسْطَاطِ الدَّوْرَ الجَلِيلَةَ منها دَاوِرَ الإِمَارَةِ وَغَيْرَهَا ، وهي حَيْثُ القَضَاءُ الَّذِي فيما وراءَ بُوْكَةِ قَارُونِ . ثم خَرِبَتْ بعد ذلك هذه المَوَاضِعُ شَيْئًا بعد شَيْءٍ إِلَى أَنْ كَانَتْ غَلَوَةُ المُنْتَصِرِ فِي أَغْوَامٍ بَضْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ فَخَرِبَتْ كُلُّهَا وَصَارَتْ قَضَاءً مِنَ الشَّاحِلِ الْقَدِيمِ بِمِصْرَ حَيْثُ الْمَكَانُ الَّذِي عُرِفَ بِيَسْتَانَ ابْنِ كَيْسَانَ وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بِيَسْتَانَ الطَّوْاشِي مِنْ بَحْرِي الْمِرَاعَةِ بِطَرِيقِ مِصْرَ تَجَاهَ غَيْطِ الْجَزْفِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ الطَّرِيقِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بَيْنَ الرُّقَاقَيْنِ ، فَكَانَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ إِلَى حَيْثُ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ قَضَاءٌ لَيْسَ فِيهِ سِوَى الْكِنَائِسِ الَّتِي هُدِمَتْ فِي أَغْوَامٍ بَضْعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةِ .

وَكَانَ مَنْ يَقِفُ عِنْدَ بُوْكَةِ قَارُونِ فَإِنَّهُ يَرَى الثِّلِيلَ ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَقِفُ بِالْكَيْشِ فَإِنَّهُ يَرَى الثِّلِيلَ قَرِيبًا مِنْهُ ؛ فِيمَا الثِّلِيلُ بِشَاطِئِ جَنَانِ الزُّهْرِيِّ إِلَى الْمَقْسِ ، وَيَمُرُّ مِنَ الْمَقْسِ فِي بَحْرِيهِ عَلَى شَاطِئِ الْأَرْضِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَرْضِ الطَّبَّائَةِ ، فَإِذَا كَانَ فِي أَيَّامِ زِيَادَةِ الثِّلِيلِ غَمَرَ الْمَاءُ أَرْضَ الطَّبَّائَةِ وَمَرَّ عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْبَغْلِ تَجَاهَ قَنَاطِرِ الْوَرِّ إِلَى النَّجَاحِ عَلَى مُنْتَهَى السَّيْرِجِ . وَكَانَ مَا بَيْنَ الْمَقْسِ وَبَيْنَ الْحَمْرَاءِ حَيْثُ الْكَيْشِ عَلَى حَافَةِ الْخَلِيجِ وَغَيْرِهِ جَمِيعُ ذَلِكَ بِمَسَاتِينِ يُشْرِفُ عَلَى بَعْضِهَا مَنَظَرَةُ اللَّوْلُؤَةِ وَدَاوِرُ الذَّهَبِ وَدَاوِرُ الشَّابُورَةِ وَغَيْرَهَا .

وَكَانَتْ مَوْزِدَةُ السَّقَائِنِ تَجَاهَ بَابِ الْفَرَجِ ، وَمَا بَيْنَ سُورِ الْقَاهِرَةِ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى بَابِ الْفَرَجِ قَضَاءٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ تَخْرُجُ الْعَامَّةُ فَيَتَفَرَّجُونَ هُنَاكَ أَخْرِيَاتِ كُلِّ يَوْمٍ وَيَكُونُ لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ لِلْأُنْسِ وَاللَّذَاتِ مَا لَا يُمكنُ حِكَايَتُهُ .

وَكَانَ تَجَاهَ بَابِ الْفُتُوحِ مَنَظَرَةٌ مِنْ مَنَاطِرِ الْخُلَفَاءِ يَجْلِسُ فِيهَا الْخَلِيفَةُ لِقَرُوضِ الْعَسَاكِرِ عِنْدَ مَسِيرِهَا إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَتَجَاهَ هَذِهِ الْمَنَظَرَةِ فِي بَحْرِيهَا وَغَرْبِهَا الْبَسَاتِينُ وَالْيَدَانُ مَمْتَدَّةٌ عَلَى الْخَلِيجِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى مُنْتَهَى مَطَرِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بـ«الْمَطَرِيَّةِ» بِالْقُرْبِ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ .

وَكَانَ مِنْ مَوْزِدَةِ السَّقَائِنِ تَجَاهَ بَابِ الْفَرَجِ إِلَى تَجَاهِ بَابِ زَوِيلَةَ الْآنَ : حَاذِرَةُ السُّودَانِ الَّتِي تُعْرَفُ بِـ«الْمَنْصُورَةِ» ، فَلَمَّا قَتَلَهُمُ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، أَمَرَ بِهَذْمِهَا وَعَمَلِهَا بُسْتَانًا ، وَفِيمَا خَرَجَ عَنِ الْبَابِ الْجَدِيدِ - الَّذِي يُعْرَفُ بِبَابِ الْقَوْسِ - فَصَارَ فِي شَرْقِيهِ الْخَلِيجِ مِنْ حَذِّ شَقِّ الثُّغْبَانِ إِلَى الشَّارِعِ حَاذِرَةُ الْيَانِسِيَّةِ وَحَاذِرَةُ الْهَلَالِيَّةِ ، وَكَانَ الشَّارِعُ فَاصِلًا بَيْنَ

البساتين المذكورة وبين بركة الفيل ، فكان ما جازّه يمينك إذا خرجت من باب زويلة هو البساتين المذكورة وما وراءها إلى جامع ابن طولون والمشهد النفيسي ، وما جازّه يسارك مقبرة من حيث الموضع الذي يُعرف اليوم بالذرب الأحمر إلى مسجد الذخيرة^١ تحت القلعة تجاه شبايك مدرسة السلطان حسن وعزبي سوق الخيل .

وكانت الرميّة فضاءً إلى مقابر القرافة ، ومن المقابر على سفح الجبل إلى تحت الجبل الأحمر تجاه مسجد يتر ، جميع ذلك فضاء ، والشرف الذي عليه قلعة الجبل هو موضع قبّة الهواء التي بنى تحتها أحمد بن طولون قصره وميدانه وقطايقه ، وهي من حدّ الصوّة إلى نحو باب الصرافة ومن الميدان تحت القلعة وإلى حدّ ابن قميحة بجوار الجامع الطولوني ، ثم تحرب ذلك على يد محمد ابن سليمان الكاتب وبقيت فيه عدّة مساكن حدّثت في غلاء/ المشتتصير إلى أن عمّر السلطان صلاح الدين قلعة الجبل هذه على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فلما سكنتها الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، نظر الأشواق تحت القلعة بالرميّة طلباً للإيسر وأخذها الملوك من بعده دار ملوك يشكونها بأولادهم وحرمهم وعساكرهم إلى أن كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة واعتنى بقلعة الجبل وأكثر من العمائر بها ، اختطّ الناس باتجاه القلعة من الأملاك حيث المكان المعروف بالصليبة إلى قناطر السباع ومن قناطر السباع إلى المقدس ومن قناطر السباع إلى مصر .

وانحسر ماء النيل أيضاً عن الموضع المعروف بـ«بُولاق» ، فاخُتطّ الناس من خُطّ ساحل مصر حيث الموضع الذي يُعرف بمُنشأة المهراي والمريس ومُنشأة الكتاب والرّزية^٢ وجكر ابن الأثير وبُولاق وخزينة الفيل إلى مئنة السّيرج وما في شرقي هذه المواضع من الأخكار إلى باب القنطرة وأرض الطّبالة إلى كوم الرّيش ومئنة السّيرج ، وعمّر الناس الثّرب فيما بين قلعة الجبل إلى قبّة النّصر تحت الجبل الأحمر ، وما بين سفح الجبل إلى باب النّصر ومن باب النّصر إلى الرّوايدانية .

وستقف على ذلك مُفصّلاً مُبيّناً فيه ابتداء حدوث هذه الأماكن والثّغريف بمن اختطّها إن شاء الله تعالى^{(أ) ٣} .

(أ) نهاية النص المنقول من مسودة الحفظ والذي بدأ صفحة ٣٦٠ .

^١ حلّ محله الآن جامع الرّفاعي المواجه للجامع ومدرسة السلطان حسن ؟ وانظر فيما يلي ٤١١:٢ .
^٢ انظر عن الرّزية وكيفية عملها فيما يلي ٤٣٥ هـ .
^٣ المقريري : مسودة الخطوط ٤٧ ظ - ٤٩ ظ .

ذَكَرُوا هِرَاقَاةَ الْمَعْرِزَةِ

اعلم أن القاهرة المعزية يَحْصُرُهَا أَرْبَعُ جِهَاتٍ وهي : الجهة الشرقية ، والجهة الغربية ، والجهة الشمالية التي تَسْمِيهَا أَهْلُ مِصْرَ الْبَحْرِيَّةِ ، والجهة الجنوبية التي تُعْرَفُ فِي أَرْضِ مِصْرَ بِالْقِبْلِيَّةِ^١.

فأما «الجهة الشرقية» فإنها من سور القاهرة/ الذي فيه الآن بابُ البَرْقِيَّةِ والبابُ الجديد والبابُ الحُرُوقِ ، وتنتهي هذه الجهة إلى الجبل المقطم .

وأما «الجهة الغربية» فإنها من سور القاهرة الذي فيه بابُ القَنْطَرَةِ وبابُ الخُوخَةِ وبابُ سَعَادَةِ ، وتنتهي هذه الجهة إلى شاطئ النيل .

وأما «الجهة القبلية» فإنها من سور القاهرة الذي فيه بابُ زَوَيْلَةَ ، وتنتهي هذه الجهة إلى حدِّ مَدِينَةِ مِصْرَ .

١٠ وأما «الجهة البحرية» فإنها من سور القاهرة الذي فيه بابُ النُّصْرِ وبابُ الفُتُوحِ ، وتنتهي هذه الجهة إلى بَرْكَةِ الحُبِّ التي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَرْكَةِ الْحُجَّاجِ^(a).

وقد كانت الجهة الشرقية ، عندما وُضِعَتِ الْقَاهِرَةُ ، فَضَاءً فيما بين السور وبين الجبل لا بُنْيَانٍ فِيهِ أَلْبَتَّةَ ، وما زالَ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ التَّرْكِيَّةُ ، فَقِيلَ لِهَذَا الْفَضَاءِ «الْمِيدَانُ الْأَسْوَدُ» وَ«مِيدَانُ الْقَبْقِيقِ» - وسيرد ذِكْرُ هَذَا الْمِيدَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^٢ - فَلَمَّا كَانَتِ سُلْطَنَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، عَمِلَ هَذَا الْمِيدَانُ مَقْبَرَةً لِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبُنِيَتْ فِيهِ التَّرْتِبُ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَقَابِرِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣.

وكانت الجهة الغربية تنقسم قسمين : أحدهما بَرْ الْخَلِيجِ الشَّرْقِيِّ ، وَالْآخَرُ بَرْ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ . فَأَمَّا «بَرْ الْخَلِيجِ الشَّرْقِيِّ» فَكَانَ عَلَيْهِ بُسْتَانُ الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجِ الْإِخْشِيدِ وَيَمِيدَانُهُ ، وَحُرِفَ هَذَا الْبُسْتَانُ بِالْكَافُورِيِّ . فَلَمَّا اخْتُطَّ الْقَائِدُ جَوْهَرُ الْقَاهِرَةِ ، ادْخَلَ هَذَا الْبُسْتَانَ فِي سُورِ الْقَاهِرَةِ ، وَعَمِلَ بِجَانِبِهِ الْمِيدَانُ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْخُرُونُشُفِ ، فَصَارَتْ الْقَاهِرَةُ تُشْرِفُ مِنْ

(a) يولاقي : الحاج .

^٣ فيما يلي ٢ : ٤٤٤ .

^١ فيما تقدم ١ : ٣٧ ، ٢ : ١٥٦ .

^٢ فيما يلي ٣٦٩ .

غريبها على الخليج . وثبتت على هذا الخليج مناظر ، وهي : منظرَةُ اللؤلؤة ومنظرَةُ دار الذهب ومنظرَةُ الغزالة^١ ، كما دُكر عند ذكر المناظر من هذا الكتاب^٢ .

وكان فيما بين البستان الكافوري والمناظر المذكورة وبين الخليج شارع تجلس فيه عاتمة الناس للتفرج على الخليج وما وزّاه من البساتين والبرك ، ويقال لهذا الشارع اليوم «بين الشورين»^٣ ؛ ويتصل بالبستان الكافوري وميدان الإخشيد بركة الفيل وبركة قارون ؛ ويشرف على بركة قارون الدور التي كانت متصلة بالعشكر ظاهر مدينة فسطاط مصر ، كما دُكر في موضعه من هذا الكتاب ، عند ذكر البرك وعند ذكر العشكر^٤ .

وأما «بر الخليج الغربي» فإن أوله الآن من موزدة الحلفاء ، فيما بين خط الجامع الجديد خارج مصر وبين منشأة المهراي ، وآخره أرض التاج والخمس الوجه وما بعدها من بحري القاهرة . وكان أول هذا الخليج عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات ، وكان ما بين خط السبع سقايات وبين المعاريج بمدينة مصر غامرا بماء النيل ، كما دُكر في ساحل مصر من هذا الكتاب^٥ . وكانت القنطرة التي يفتح سدها عند وفاء النيل بست عشرة ذراعا خلف السبع سقايات ، كما دُكر عند ذكر القناطر من هذا الكتاب^٦ . وكان هناك منظرَةُ الشكرة التي يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج ، ولها بستان عظيم ، ويعرف موضعه اليوم بالمريس .

ويتصل ببستان منظرَةُ الشكرة جناح الزهري ، وهي من خط قناطر السباع الموجودة الآن بجذاء خط السبع سقايات إلى أراضي اللوق ، ويتصل بالزهري عدة بساتين إلى المقس . وقد صار موضع الزهري ، وما كان بجواره على بر الخليج من البساتين ، يعرف بالحكورة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى وقتنا هذا ، كما دُكر عند ذكر الأحكار من هذا الكتاب^٧ .

وكان الزهري وما بجواره من البساتين التي على بر الخليج الغربي والمقس ، كل ذلك مطل على النيل ، وليس لبر الخليج الغربي كبير غرض ، وإنما يمر النيل في غربي البساتين على الموضع الذي يعرف اليوم باللوق إلى المقس ، فيصير المقس هو ساحل القاهرة ، وتنتهي المراكب إلى

(a) بولاق والنسخ : منظرَة غزالة .

^١ فيما تقدم ٢ : ١٥٨ .

^٢ فيما تقدم ٢ : ٥٢٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦ .

^٣ فيما يلي ٤٨٨ .

^٤ فيما تقدم ٧١ .

^٥ فيما يلي ٣٨٠ .

^٦ فيما تقدم ٥٨ ، ٥٣٤ - ٥٣٨ .

مَوْضِعُ جَامِعِ المَقْصِ الذي يُعْرَفُ اليومَ بِجَامِعِ المَقْصِي ، فكان ما بين الجامع المذكور ومُنْتَهَى عُقْبَةِ
التي يَبْرُ الحِجْرَةِ ، بَحْرُ التِّل .

ولم يَزَلْ الأَمْرُ على ذلك إلى ما بعد سنة سبع مائة ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قد انْحَسَرَ ماءُ التِّل ، بعد
الخمس مائة من سِنِي الهَجْرَةِ ، عن أَرْضٍ بالقُرْبِ من الزُّهْرِي عُرِفَتْ بِمُنْشَأَةِ الفاضِل وبُيُوتَانِ
الخُشَّابِ ، وهذه المُنْشَأَةُ اليومَ يُعْرَفُ بعضها بالمَرِيسِ بِمَا يلي مُنْشَأَةَ المَهْرَانِي ، وانْحَسَرَ أَيْضًا عن
أَرْضٍ تَجَاهَ البَغْلِ الذي في بَحْرِي القَاهِرَةِ ، عُرِفَتْ هذه الأَرْضُ بِجَزِيرَةِ الفِيلِ ^١ .

وما بَرِحَ ماءُ التِّلُ يُنْخَسِرُ عن شيءٍ بعد شيءٍ إلى ما بعد سنة سبع مائة ؛ فَبَقِيَتْ عِدَّةُ رِمَالٍ فيما
بين مُنْشَأَةِ المَهْرَانِي وبين جَزِيرَةِ الفِيلِ ، وفيما بين المَقْصِ وساحِلِ التِّلِ ، عَثَرَ النَّاسُ فيها الأَمْلاكَ
والمناظِرَ والبساتينَ من بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة ، وَحَفَرَ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بنَ قَلاوُونَ فيها
الْخَلِيجَ المعروفَ اليومَ بِالْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، فَصَارَ بَرُّ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ بعد ذلك أَضْعَافَ ما كَانَ أَوَّلًا من
أَجْلِ انْطِرَادِ ماءِ التِّلِ عن بَرِّ مِصرَ الشَّرْقِيِّ ^٢ .

وَعُرِفَ هذا الْبَرُّ اليومَ بِعِدَّةِ مَوَاضِعَ ، وهي في الجملة : حُطُّ مُنْشَأَةِ المَهْرَانِي ، وَحُطُّ المَرِيسِ ،
وَحُطُّ مُنْشَأَةِ الْكَتَبَةِ ، وَحُطُّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ ، وَحُطُّ مَيْدَانِ السُّلْطَانِ ، وَحُطُّ الْبَرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ ، وَحُطُّ
الحُكُورَةِ ، وَحُطُّ الجَامِعِ الطَّيْبِزِيِّ ، وَزَبْنُ بَكْتَمُرَ ، وَزَرْيَةُ^(أ) السُّلْطَانِ ، وَحُطُّ بَابِ اللُّوقِ ، وَقَنْطَرَةُ
الْحَوْقِ ، وَحُطُّ بُيُوتَانِ الْعِدَّةِ ، وَحُطُّ زَرْيَةِ^(ب) قَوْصُونَ ، وَحُطُّ حِكْرِ ابْنِ الْأَثِيرِ ، وَقُمْ الْحَوْرِ ، وَحُطُّ
الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، وَحُطُّ/بُولاقي ، وَحُطُّ جَزِيرَةِ الفِيلِ ، وَحُطُّ الدُّكَّةِ ، وَحُطُّ المَقْصِ ، وَحُطُّ بَرْكَةِ
قَوْمُوطِ ، وَحُطُّ أَرْضِ الطَّبَّائِلَةِ ، وَحُطُّ الْجُوفِ ، وَأَرْضُ البَغْلِ وَكُومُ الرُّيشِ ، وَمَيْدَانُ الْقَمْحِ ، وَحُطُّ
بَابِ الْقَنْطَرَةِ ، وَحُطُّ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَحُطُّ بَابِ الْبَحْرِ وَغير ذلك . وسَيَأْتِي من ذِكْرِ هذه المَوَاضِعِ
ما يَكْفِي وَيَشْفِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

وَكَانَتْ جِهَةُ القَاهِرَةِ الْقِبْلِيَّةِ من ظَاهِرِهَا ليس فيها سِوَى بَرْكَةِ الفِيلِ وَبَرْكَةِ قَاوُونَ ،
وهي قَصَاءٌ ، يَرَى مَنْ خَرَجَ من بَابِ زَوَيْلَةَ عن يَمِينِهِ الْخَلِيجَ وَمُوزِدَةَ السَّقَائِينَ ، وَكَانَتْ
تَجَاهَ بَابِ الْفَرَجِ^(ب) ، وَيَرَى عن يَسَارِهِ الْجَبَلَ ، وَيَرَى تَجَاهَهُ قَطَائِعَ ابْنِ طُولُونَ الَّتِي تَتَّصِلُ

(أ) بولاقي : زرية (وانظر فيما يلي ٤٣٥) . (ب) بولاقي : الفتح .

^٢ انظر فيما تقدم ١٥٨: ٢-١٦٣ ، وفيما يلي ٤٨١ .

^١ فيما يلي ٥٩٠-٥٩٣ .

بالعشكر ويَرى جامع ابن طولون وساحل الحفراء الذي يُشرف عليه جنان الزُّهرى ، ويَرى
بركة الغيل التي كان يُشرف عليها الشُّرف الذي فوقه قبَّة الهواء ، ويُعرف اليوم هذا
الشُّرف بقلعة الجبل .

وكان من خَرَج من مُصلَّى العيد بظاهر مصر يَرى بِرَكَّتِي الفيل وقارون والثيل ؛ فلما كانت
أَيَّامُ الحَلِيفَةِ الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَلِيٍّ مَنصُورِ بْنِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ أَبِي مَنصُورِ زَارِ ابْنَ الْإِمَامِ الْمُعِزِّ لَدِينِ
اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدٍّ ، عَمِلَ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ بَاتِمًا عُرْفَ الْبَابِ الْجَدِيدِ ، وَاخْتَطَّ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ
عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ : فَاخْتَطَّتِ الْمَصَائِدُ حَاذَةَ الْمَصَائِدِ ، وَاخْتَطَّتِ الْيَانِيبَةُ وَالْمُنْتَجِبَةُ
وغيرهما ؛ كما ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ^١ .

فلما كانت الشَّدَّةُ الْعَظِيمُ فِي خِلَافَةِ الْمُشْتَمِرِ بِاللَّهِ ، اخْتَلَّتْ أَحْوَالُ مِصْرَ ، وَخَرِبَتْ خِرَابًا
شَنِيعًا . ثُمَّ عُمِّرَ خَارِجُ بَابِ زَوِيلَةَ فِي أَيَّامِ الْحَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَوَزَارَةِ الْمَأْمُونِ مُحَمَّدِ بْنِ فَاتِكِ
ابْنِ الْبَطْلَانِي حِي بعد سنة خمس مائة ^٢ .

فلما زَالَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ، هَدَمَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ حَاذَةَ الْمَنصُورَةِ الَّتِي
كَانَتْ سَكَنَ الْعَبِيدِ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ ، وَعَمِلَهَا بُشْتَانًا . فَصَارَ مَا خَرَجَ عَنْ بَابِ زَوِيلَةَ بِسَاتِينَ إِلَى
الْمَشْهَدِ النَّفِيسِ ، وَبِجَانِبِ الْبَسَاتِينَ طَرِيقٌ يُسَمَّى بِشَلَكٍ مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ الَّتِي أَنْشَأَهَا السُّلْطَانُ صَلَاحُ
الدِّينِ الْمَذْكُورُ عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ قَرَاوُشِ الْأَسَدِيِّ ، وَصَارَ مِنْ يَقِفٍ عَلَى بَابِ جَامِعِ ابْنِ
طُولُونِ يَرَى بَابَ زَوِيلَةَ ^٣ .

ثُمَّ حَدَّثَتِ الْعَمَائِرُ الَّتِي هِيَ الْآنَ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ بعد سنة سبع مائة ، وَصَارَ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ
الْآنَ ثَلَاثَةَ شَوَارِعَ : أَحَدُهَا ذَاتُ الْيَمِينِ وَالْآخَرُ ذَاتُ الشُّمَالِ ، وَالشَّارِيعُ الثَّلَاثُ تَجَاهَ مَنْ خَرَجَ مِنْ
بَابِ زَوِيلَةَ . وَهَذِهِ الشُّوَارِعُ الثَّلَاثَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ أَخْطَاطٍ .

فَأَمَّا ذَاتُ الْيَمِينِ فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ الْآنَ يَجِدُ عَنْ يَمِينِهِ شَارِعًا سَالِكًا يَنْتَهِي بِهِ فِي
الْعَرُوضِ إِلَى الْخَالِيجِ حَيْثُ الْقَنْطَرَةُ الَّتِي تُعْرَفُ بِقَنْطَرَةِ الْحَرَقِ ، وَيَنْتَهِي بِهِ فِي الطُّولِ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ
إِلَى حُطِّ الْجَامِعِ الطُّولُونِيِّ ^٤ . وَجَمِيعُ مَا فِي هَذَا الطُّولِ وَالْعَرُوضِ مِنَ الْأَمَاكِينِ كَانَ بِسَاتِينَ إِلَى مَا
بعد السبع مائة .

^٣ المقرئري : مسودة الخطوط ٤٢ و-ظ .

^١ انظر فيما تقدم ٣٣٤ .

^٤ هما شارعا تحت الرميح ، والحيبيبة امتدادها جنوبا الآن .

^٢ انظر فيما تقدم ٥٧ .

وفي هذه الجهة اليمنى حُطَّ دار التُّفَّاح، وسوق السَّقَطِين، وحُطَّ نَحْت الزَّيْتِج، وحُطَّ القَشَّاشِين، وحُطَّ قَنْطَرَةُ الحَرْق، وحُطَّ سَقُّ الثُّغْبَان، وحُطَّ قَنْطَرَةُ أَقْمَشَقَر، وحُطَّ الحَبَّابِيَّة وبِرْكَةُ الفِيل، وحُطَّ قَبْرُ الْكَوْمَانِي، وحُطَّ قَنْطَرَةُ طُقْرَدَمُر والمسجد المعلق، وحُطَّ قَنْطَرَةُ عَمَر شاه، وحُطَّ قَنَاطِر السَّبَاع، وحُطَّ الجِسرُ الأعْظَم، وحُطَّ الكَبْش والجامع الطُّولُونِي، وحُطَّ الصُّلَيْبِيَّة، وحُطَّ الشَّارِع، وما هناك من الحازات التي ذُكِرَتْ عند ذِكْرِ الحارات من هذا الكتاب .

وأما ذات اليسار فإنَّ من خَرَجَ من باب زَوَيْلَةَ الآن يجد عن يساره شارعًا ينتهي به في العرض إلى الجَبَل، وينتهي به في الطُّول إلى القَرَّافَةِ . وجميع ما في هذه الجهة اليسرى كان قُضَاءً لا عِمَارَةً فيه أُلْبِثَ إلى ما بعد سنة خمس مائة من الهجرة . فلما عَمَّرَ الوَزِيرُ الصَّالِحُ طَلَّاعُ بْنُ زُرَّيْكَ جامع الصَّالِحِ الموجود الآن خارج باب زَوَيْلَةَ، صارَ ما وراءه إلى نَحْوِ قَطَائِعِ ابْنِ طُولُونِ مَقْبَرَةً لأَهْلِ القَاهِرَةِ إلى أن زَالَتْ دَوْلَةُ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ^١، وأنشَأَ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ يُوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ قَلْعَةَ الجَبَلِ على رَأْسِ الشَّرَفِ المَطْلُ على القَطَائِعِ، وصارَ يُسَلِّكُ إلى القَلْعَةِ من هذه الجهة اليسرى فيما بين المَقَابِرِ والجَبَلِ .

ثم حَدَّثَتْ بعدَ الحِجْنَ هذه العَمَائِرُ الموجودة هناك شيئًا بعد شيءٍ من سنة سبع مائة، وصارَ في هذه الشُّقَّةِ حُطُّ سُوقِ البُشْطِيِّينَ، وحُطُّ الدَّرْبِ الْأَخْمَرِ، وحُطَّ جَامِعُ المَازِدِينِي، وحُطَّ سُوقُ الغَنَمِ، وحُطَّ النَّجَّاتِ، وحُطَّ بابُ الوَزِيرِ، وقَلْعَةُ الجَبَلِ، والرُّمَيْلَةُ، وحُطَّ القُبُيَّاتِ، وحُطَّ بابُ القَرَّافَةِ .

وأما ما هو نِجَاهُ من خَرَجَ من باب زَوَيْلَةَ فيُعْرِفُ بالشَّارِعِ - وقد تقدَّم ذكره عند ذِكْرِ الأسواق من هذا الكتاب^٢ - وهو ينتهي بالسَّائِلِكِ إلى حُطِّ الصُّلَيْبِيَّةِ المذكورِ آفَقًا، وإلى حُطِّ الجامعِ الطُّولُونِي وحُطِّ المَشْهَدِ النَّفِيسِي، وإلى العَشْكَرِ وكُومِ الجَاوِيحِ وغير ذلك من بَقِيَّةِ حِطْطِ ظَوَاهِرِ القَاهِرَةِ ومِصرَ .

وكانت جِهَةُ القَاهِرَةِ البَحْرِيَّةِ من ظَاهِرِهَا قُضَاءً ينتهي إلى بِرْكَةِ الجُبِّ، وإلى مُنْبِيَةِ الْأَصْبَغِ التي عُرِفَتْ بِالْحُلْدَقِ، وإلى مُنْبِيَةِ مَطَرِ التي تُعْرَفُ بِالْمَطْرِيَّةِ، وإلى عَيْنِ شَمْسٍ وما وَرَاءَ

^٢ فيما تقدم ٣٣٣ .

^١ فيما تقدم ٢: ٢٢١؛ وفيما يلي ٤٥١-٤٥٢: ٢: ٤٤٣ .

ذلك، إلا أنه كان تجاه القاهرة بُعْتَانُ زَيْدَان، ويُعرف اليوم بالزَيْدَانِيَّة^١، وعند مُصَلَّى العيد خارج باب النُصْر - حيث يُصَلَّى الآن على الأُمُوت - كان يُنَزَّل هناك من يُسَافِرُ إلى الشَّام.

فلما كان قبل سنة خمس مائة، وماتَ أميرُ الجيوش بُدْرُ الجمالي/ في سنة سبع وثمانين وأربع مائة، بُنِيَ خارج باب النُصْر له تَرْبَةٌ دُفِنَ فيها^٢، وبُنِيَ أيضًا خارج باب الفُتُوح مُنْظَرَةٌ - وقد ذُكِرَ خَبَرُهَا عند ذِكرِ المناظر من هذا الْكِتَاب^٣ - وصَارَ أيضًا فيما بين باب الفُتُوح والمَطْرِيَّةِ بَسَاتِينٌ قد تَقَدَّمَ خَبَرُهَا^٤.

ثم عُمِّرَتِ الطَّائِفَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ بعد سنة خمس مائة، خارج باب الفُتُوح، عِدَّةُ مَنَازِلٍ اتَّصَلَتْ بِالْحَنْدَقِ، وصَارَ خارج باب النُصْر مَقْبَرَةٌ إلى ما بعد سنة سبع مائة. فَعَمَّرَ النَّاسُ به حتى اتَّصَلَتِ الْعِمَارَةُ من باب النُصْر إلى الزَيْدَانِيَّةِ، وَبَلَغَتِ الْغَايَةَ من الْعِمَارَةِ، ثم تَنَاقَصَتْ من بعد سنة تسع وأربعين وسبع مائة إلى أن فَحُشَّ خَرَابُهَا من حين حَدَثَتِ الْمِحَنُ في سنة سِتِّ وثمان مائة.

فهذا حَالُ ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ منذ اخْتُطَّتْ وإلى يَوْمِنَا هذا، وَيَحْتَاجُ ما ذُكِرَ هنا إلى مَزِيدٍ بَيَانٍ.

^١ فيما تقدم ٦٢، وفيما يلي ٤٦٤.

^٢ فيما تقدم ٦٣ حيث يذكر التَّصْنُفُ أنَّ بُدْرًا الجمالي بعد

أن قام بتدبير أفر الدولة المستعمرة أنشأ بُخْرِي مُصَلَّى العيد

^٣ فيما تقدم ٢: ٥٦٨.

^٤ فيما تقدم ٢: ٥٨٢.

خارج باب النُصْر تربة عظيمة وفيها قبره هو وولده الأَفْضَل وأبو علي كتيبات ابن الأَفْضَل وأنها باقية إلى وقتنا؛ أمَّا بقية

المواضع التي ورد فيها ذكر تربة بُدْر الجمالي فزيد أنها أنشئت

بعد وفاته. (فيما يلي ٤٦٢، ٢: ٤٤٤، ٤٦٣).

وَكُرْمَيْدَانِ الْقَبْقِ ٥

- هذا الموضع خارج القاهرة من شرقها، فيما بين القنطرة^١ (b) التي يُنزل من قلعة الجبل إليها وبين بقية القصر التي تحت الجبل الأحمر، ويقال له أيضًا «الميدان الأسود»، و«ميدان العيد»، و«الميدان الأخضر»، و«ميدان الشباك»^٢. وهو ميدان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح النجفي، بنى به مسطبة في المحرم من سنة ست وستين وست مائة، عندما احتفل بزمني الشهاب وأمور الحرب، وحث الناس على لعب الرُمح وزمني الشهاب ونحو ذلك، وصار ينزل كل يوم إلى هذه المسطبة من الظهر، فلا يزكب منها إلى العشاء الآخرة، وهو يزومي ويُحرض الناس على الرمي والزمان. فما بقي أمير ولا تملوك إلا وهذا شغله، وتوفر الناس على لعب الرُمح وزمني الشهاب. وما برح من بعده من أولاده، والملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالح النجفي، والملك الأشرف خليل بن قلاوون، يزكبون في المؤكب لهذا الميدان، وتقف الأمراء والمماليك السلطانية تسابق بالخيال فيه قدامهم، وتنزل العساكر فيه لزمني القتيق.

والقبتق عبارة عن خشبة عالية جدًا تُنصب في براج من الأرض، ويُعمل بأغلاها دائرة من خشب، وتقف الزمأة يقسيها وزمني بالسهم بجوف الدائرة لكي تمر من داخلها إلى غرض هناك، تمرينًا لهم على إحكام الرمي. ويُعتبر عن هذا بالقبتق في لغة التوك^٣.

(a) المسودة : الميدان الأسود . (b) بولاقي : القنطرة .

^١ القنطرة . انظر عنها فيما يلي ٣٢٠:٢ (جامع فتاحك) .
^٢ يَدُلُّ على مكان ميدان القتيق (الميدان الأسود) الأرض المشغولة الآن بتراب بجاية باب الوزير وقرافة الجوارين وجاية الممالك وتنتهي عند حجة الأمير يونس الدوادار (مسجلة بالآثار برقم ١٣٩) الموجودة بالجهة البحرية من حجة السلطان يزوق، المعروفة الآن بقبة أنص والد السلطان يزوق (مسجلة بالآثار برقم ١٥٧) . (أبو الحامس : النجوم الزاهرة ١٦٥:٧ هـ^٣) . وهي المنطقة التي

^٣ يُضاف إلى هذا الوصف : أنَّ القتيق لَفَطَةٌ تركية تعني القنطرة العسليّة ، كانت تُتخذ هَذَا تَعْلَقُ فوق عمود يرميه =

قال جامع «السيرة الظاهرية»^a: وفي سابع عشر المحرم من سنة سبع وستين وست مائة، حث السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري جميع الناس على رمي الثياب ولعب الرميح، خصوصاً خواصه ومماليكه. ونزل إلى الفضاء بباب النصر ظاهر القاهرة - ويُعرف بميدان العيد - وبني مشطبة هناك، وأقام ينزل في كل يوم من الظهر، ويركب منها عشاء الآخرة، وهو واقف في الشمس يرمي ويحرض الناس على الرمي والرهان. فما بقي أمير ولا مملوك إلا وهذا شغل، واستمر الحال في كل يوم على ذلك حتى صارت تلك الأمكنة لا تسع الناس، وما بقي لأحد شغل إلا لعب الرميح ورمي الثياب^١.

قال^b: وفي شهر رمضان سنة اثنين وسبعين وست مائة، تقدم السلطان الملك الظاهر إلى عساكره بالتأهب للركوب واللعب بالقنق ورمي الثياب^٢. واتفقت نادرة غريبة، وهو أنه أمر برش الميدان الأسود تحت القلعة لأجل اللعب، فشرع الناس في ذلك، وكان يوماً شديداً الحر، فأمر السلطان بتبديل الرمش رحمة للناس، وقال: الناس صيام، وهذا يوم شديداً الحر؛ فبطل الرمش. وأرسل الله تعالى مطراً جوداً استمر ليلتين ويوماً حتى كثر الوحل، وتلبدت الأرض، وسكن العجاج، وبرد الجو، ولطف الهواء. فوكل السلطان من يحفظه من الشوق فيه يوم اللعب - وهو يوم الخميس السادس والعشرون من شهر رمضان - وأمر بركوب جماعة لطيفة من كل عشرة اثنان، وكذلك من كل أمير ومن كل مقدم لثلاث تضييق الدنيا بهم. فركبوا في أحسن زي وأجمل لباس وأكمل شكل وأتقى منظر، وركب السلطان معه من خواصه ومماليكه ألوف، ودخلوا في الطمان بالرماح. فكل من أصاب خلع عليه السلطان. ثم ساق في مماليكه الخواص خاصة، ورتبهم أجمل ترتيب، واندفق بهم اندفاق البحر، فشاهد الناس أبهة عظيمة.

(a) في المسودة: قال في «سيرة الملك الظاهر بيبرس» ومنها نقلت. (b) إضافة من المسودة.

«Deux jeux sportifs au temps des Mamlûks», *An.* *Isl.* XII (1974), pp. 96-107؛ شهاب الشواف: «أدب الفروسية في العصرين العباسي والمملوكي»، الفروسية ١، فنون الفروسية في تاريخ المشرق والمغرب، ١١٤.

^١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٣٣٨؛ للمقريزي: السلوك ١: ٥٧٣، مسودة الخطوط ١٤٣.

^٢ نفسه ١٤٢٤؛ نفسه ١: ٦١١، نفسه ١٤٣.

= الفارس الثائب ومحصائه يجري. ثم صارت اللفظة تعني التمرين كله الذي استخدمت فيه أنواع أخرى من الأهداف. ورمي القنق تقليد فُكّرَ ربما من شعوب آسيا الوسطى الرعوية، واشتق في الأصل من ممارسة صيد الطير بالثياب من على ظهور الخيل، إلا أن تاريخه الرسمي والمؤنق كأحد التمارين الأساسية لإعداد الفارس الثائب، لم يبدأ حقاً إلا مع دولة المماليك. (أبو المحاسن: الهجوم الزاهرة ٨: ١١٦، *Abd ar-Râziq. A.*)

باب الرمي بالقبوق كيفيته والدخول فيه
وصفة ادمانه ان تحدد رجلي في قزبوس السرج المرافي وتخط



في راسه علامه ويسوق ويلتفت ويرى الى علامه وذلك الادمان
يبلغني ان يحرس نفسه وركبته ان لا يتحى في القيق

ثم أُقيِمَ القَبْتُ، ودَخَلَ النَّاسُ لِرَمِي الثُّنَابِ، وجَعَلَ لِمَن أَصَابَ مِنَ المَفَارِدَةِ رِجَالِ الحَلَقَةِ
والبَحْرِيَةِ الصَّالِحِيَةِ وغيرهم بُعْطَاقًا بِيَسْتَجَابِ، ولِلأُمَرَاءِ قَرَسًا مِنْ خَيْلِهِ الخَاصِّ بِتَشَاهِيرِهِ وَمَرَاوِنِهِ
الْفِضْطِيَةِ وَالذَّهَبِيَةِ وَبِرَاجِمِهِ^(a).

وما زَالَ هذه الأَيَّامَ عَلَى هذه الصُّورَةِ يَتَنَوَّعُ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ: تَارَةً بِالرَّمَاكِ، وَتَارَةً
بِالثُّنَابِ، وَتَارَةً بِالذَّبَائِيسِ، وَتَارَةً بِالسُّيُوفِ مَسْئُولَةً. وَذَلِكَ أَنَّهُ سَاقٌ عَلَى عَادَتِهِ فِي اللَّعْبِ،
وَسَلٌّ سَيْفِهِ، وَسَلٌّ مِمَّا لِيَكُهُ سَيُوقِفُهُمْ، وَحَتَمٌ هُوَ وَمِمَّا لِيَكُهُ حَفَلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَرَأَى النَّاسُ مَنَظَرًا
عَجِيبًا. وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ بُكْرَةِ النَّهَارِ إِلَى قَرِيبِ الْمَغْرَبِ، وَقَدْ ضُرِبَتِ الحِيَامُ لِلتَّرْوَلِ
لِللُّؤْضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَتَنَوَّعَ النَّاسُ فِي تَبْدِيلِ الْعُدَدِ وَالْآلَاتِ وَتَفَاعُخَرُوا وَتَكَاثَرُوا. فَكَانَتْ هَذِهِ الأَيَّامُ
مِنَ الأَيَّامِ الْمَشْهُودَةِ.

وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ، وَلَا وَزِيرٍ، وَلَا أَمِيرٍ كَبِيرٍ وَلَا صَغِيرٍ، وَلَا مُقَدَّمٍ مِنْ
مُقَدَّمِي الحَلَقَةِ، وَمُقَدَّمِي البَحْرِيَةِ الصَّالِحِيَةِ، وَمُقَدَّمِي/ المَمَالِيكِ الظَّاهِرِيَةِ البَحْرِيَةِ، وَلَا صَاحِبِ
شُغْلٍ، وَلَا حَامِلٍ عَصَا فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانِ عَلَى بَابِهِ، وَلَا حَامِلٍ طَيْرٍ فِي رِكَابِ السُّلْطَانِ، وَلَا
أَحَدٌ مِنْ خَوَاصِّ كُتَّابِ السُّلْطَانِ، إِلَّا وَشَرَفَهُ^(b) بِمَا يَلِيقُ بِهِ عَلَى قَدْرِ مَنْصِبِهِ. ثُمَّ تَعَدَّى إِحْسَانُ
السُّلْطَانِ لِقَضَاةِ الْإِسْلَامِ وَالْأَيْمَةِ وَشُهُودِ خِزَانَةِ السُّلْطَانِ، فَشَرَفَهُمْ جَمِيعَهُمْ، ثُمَّ الْوَلَاةُ كُلُّهُمْ^(c).
وَأَصْبَحُوا بُكْرَةَ يَوْمِ الْأَحَدِ، ثَامِنَ عَشَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ، لَا بِسِينَ الْخِلْعِ، جَمِيعَهُمْ فِي أَحْسَنِ
صُورَةٍ وَأَبْهَجِ زِيٍّ وَأَنْهَى شَكْلٍ وَأَجْمَلَ زِينَةٍ، بِالْكُلُوتَاتِ الزُّرْكَشِ بِالذَّهَبِ وَالْمَلَابِيسِ الَّتِي مَا
سَمِعَ بِأَنَّ أَحَدًا جَادَ بِمِثْلِهَا، وَهِيَ أَلُوفٌ. وَخَدَّمَ النَّاسُ جَمِيعَهُمْ، وَقَتَّلُوا الْأَرْضَ وَعَلَيْهِمْ
الْخِلْعَ، وَرَكَبُوا وَلَعِبُوا نَهَازَهُمْ عَلَى الْعَادَةِ، وَالْأَمْوَالُ تُفَرَّقُ وَالْأَشْيَاطُ تُتَبَّأُ وَالصَّدَقَاتُ تُنْفَقُ
وَالرُّقَابُ تُعْتَقُ.

وَمَا زَالَ إِلَى أَنْ أَهْلُ هِلَالِ شَوَّالٍ، فَقَامَ النَّاسُ وَطَلَعُوا لِلنَّهَاءِ، فَجَلَسَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ خِلْعُهُ. ثُمَّ
رَكِبَ يَوْمَ الْعِيدِ إِلَى مُصَلَّاهُ فِي خَيْمَةِ بِشَعَارِ السُّلْطَانَةِ وَأُجْبِهَ الْمُلْكُ، فَصَلَّى. ثُمَّ طَلَعَ قَلْعَةَ الْحَبَلِ،
وَجَلَسَ عَلَى الْأَشْيَاطِ - وَكَانَ الْإِحْتِفَالُ بِهَا كَبِيرًا - وَأَكَلَ النَّاسُ، ثُمَّ انْتَهَبَهُ الْفُقَرَاءُ. وَقَامَ إِلَى مَقَرِّ

(a) بولاق : ومزاحمة . (b) بولاق : شرف . (c) بولاق : نصف .

سُلْطَانَهُ بِالْقُبَّةِ السَّعِيدَةِ ، وَقَدْ عُلِّقَتْ وَفُرِشَتْ بِأَنْوَاعِ الشُّتُورِ وَالْكَلَلِ وَالْفَرْشِ . وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى الْأَمْزَاءِ بِأَخْضَارٍ أَوْلَادِهِمْ ، فَأَخْضِرُوا وَخَلَعَ عَلَيْهِمُ الْخَلِيعَ الْمُفْصَلَةَ عَلَى قَلْبِهِمْ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ أَخْضِرُوا ، وَخَيَّنُوا بِأَجْمَعِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ ، وَأَخْرَجُوا فُحْمِلُوا فِي الْمَحْفَافَاتِ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، وَعَمَّ الْهَتَاءُ كُلُّ دَارٍ . ثُمَّ أَخْضِرَ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ يَحْضُرَ وَلَدَ السُّلْطَانِ فَخَيَّنَ ، وَرَمَى النَّاسَ^(a) جَمْلَةً مِنَ الْأَمْوَالِ ، اجْتَمَعَ مِنْهَا خِزَانَةٌ مُلْكٍ كَبِيرٍ ، فُرِّقَتْ عَلَى مَنْ بَاشَرَ الْخِيَانَةَ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْمُرْتَبِينَ وَغَيْرِهِمْ .

وَاتَّقَصَّتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ ، وَجَرَى السُّلْطَانُ فِيهَا عَلَى عَادَتِهِ فِي كَوْنِهِ^(b) لَمْ يُكَلِّفْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَدِيَّةٍ يُهْدِيهَا وَلَا تُحْتَفَ يُتَحَفُّ بِهَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْرُوعَةِ ، كَمَا جَرَتْ عَادَةٌ مِنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْمُلُوكِ . وَلَمْ يَتَّقِ مِنْ لَا شَيْلَهُ إِحْسَانَهُ غَيْرَ أَزْبَابِ الْمَلَاهِي وَالْمَغَانِي^(c) ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِهِ لَمْ تَنْفُقْ لَهُمْ سِلْعُ الْبَيْتَةِ^(d) .^١

وَمَنْ لَعِبَ بِهَذَا الْمَيْدَانِ الْقَبْقِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَمِّ الْمَشْهُورُ^(e) الَّذِي لَمْ يُعْمَلْ فِي دَوْلَةِ مُلُوكِ التُّرُكِ^(f) بِمِصْرَ مِثْلِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ خَوْنَدُ أَرْدُونَكِينَ ابْنَةَ نُوكِيَّةَ - وَيُقَالُ نُوكِيَّةَ - السَّيْلِيخْدَارِيَّةَ^(g) اسْتَمَلَّتْ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ عَلَى خَفْلِ ، فَظَنُّ أَنَّهَا تِلْدُ ابْنَتَا ذِكْرًا يَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِهِ . فَأَخَذَ عِنْدَمَا قَارَبَتْ الْوَضْعَ فِي الْإِحْتِفَالِ^(h) ، وَرَسَمَ لَوْزِيرِهِ الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّلْعُوسِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى دِمَشْقَ بِعَمَلِ مِائَةِ شَعْدَانِ تُحَاسِ مُكَفَّتْ بِالْقَابِ⁽ⁱ⁾ السُّلْطَانِ ، وَمِائَةِ شَعْدَانِ أُخَرَ - مِنْهَا خَمْسُونَ مِنْ ذَهَبٍ وَخَمْسُونَ مِنْ فِضَّةٍ - وَخَمْسِينَ سَرَجًا مِنْ سُورِجِ الزُّرْكَشِ ، وَمِائَةِ وَخَمْسِينَ سَرَجًا مِنَ الْمُخَيِّشِ ، وَأَلْفَ شَمْعَةٍ ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ غَيْرَ ذَلِكَ^(j) . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهَا وَلَدَتْ بِنْتًا أَنْثَى^(k) ، فَأَنْقَبَضَ لَذَلِكَ ، وَكَرِهَ إِنْطَالُ مَا قَدْ اسْتَشْهَرَ عَنْهُ عَمَلُهُ^(l) (فَيُعِيبُ النَّاسُ عَلَيْهِ ذَلِكَ^(m) . فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ خِيَانَةَ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ وَابْنِ أَخِيهِ مُظَفَّرِ الدِّينِ مُوسَى ابْنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلِيِّ بْنِ قَلَاوُونَ ، فَزَسَمَ لِنَقِيبِ الْحَيْشِ⁽ⁿ⁾ وَالْحُجَابِ بِإِعْلَامِ الْأَمْزَاءِ^(o) .

(a) بولاق : للناس . (b) بولاق : كما كان من كونه . (c) بولاق : الأعاني . (d) بولاق : لم يتفق لهم مبلغ البيت ، وعلى الهامش هنا : بياض سطر . (e) إضافة من مسودة الخطوط . (f) مسودة الخطوط : الدولة التركية . (g) مسودة الخطوط : فلما قاربت الوضع أخذ في الاحتفال لذلك . (h) مسودة الخطوط : من هذه النسبة . (i) إضافة من مسودة الخطوط . (j) بياض في المسودة .

والعشكر أن يلبسوا جميعهم^(a) آلة الحزب من السلاح الكامل هم وحيولهم، ويصيروا بأجمعهم في الميدان الأسود خارج باب النصر. فاهتم الأمراء والعشكر اهتمامًا كبيرًا لذلك، وأخذوا في تحسين العدد، وبالقوا في التائق، وتنافسوا في إظهار التجمل الزائد. ^(b) فلما كان في اليوم الرابع خرجت الشوكة وكثير من الباعة فتصبوا صواوين وأخصاصًا تحتوي على سائر البقول والمأكّل حتى صار شوقًا عظيمًا^(c).

ونزل السلطان من قلعة الجبل في يوم ^(e) بقسايكه وعليهم لأمّة الحزب، وقد خرج سائر من في القاهرة ومصر من الرجال والنساء، إلّا من خلفه العذر، لرؤية السلطان. فأقام السلطان يومه، وحصل في ذلك اليوم للناس بهذا الاجتماع من الشؤر ما يعجز وجود مثله.

وأصبح السلطان وقد استعدّ العشكر بأجمعه لزمني القبق، ورسم للحجاب بالأا يمتنعوا أخذًا من الجند ولا من الممالك ولا من غيرهم من الرمي، ورسم للأمير يتسري والأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح أن يتقدّم الناس في الرمي. فاستقبل الأمير يتسري القبق وتحت سروج قد صنع قزوبه الذي من خلفه وطيقا، فصار مُستلقيا على قفاه وهو يزمي ويصيب بمنّة ويشرة، والناس بأسرهم قد اجتمعوا للنظر حتى ضاق بهم الفضاء^(d).

فلما فرغ دخل أمير سلاح من بعده، وتلاه الأمراء على قدر منازلهم واحدًا واحدًا فرموا، ثم دخل بعد الأمراء مُقدّمو الحلقة، ثم الأجناد - والسلطان يُعجب برميهم، وتزايد شرويه - حتى فرغ الرمي فعاد إلى مخيمه، ودار الشقاء على الأمراء بأواني الذهب والفضة والبلور يسقون السكر المذاب، وشرب الأجناد من أخواض قد ملئت من ذلك - وكانت عدتها مائة خوض - فشرّبوا ولهوا، واستمروا على ذلك يومين.

وفي اليوم الثالث ركب السلطان، واستدعى الأمير يتسري وأمره بالرمي. فسأل السلطان أن يعفيه من الرمي، ويمنّ عليه بالتفرّج في رمي الشباب من شباب^(e) الأمراء وغيرهم، فأغفاه.

(a) بولاق: كلهم والثبت من المسودة. (b-b) المثبت من مسودة الخطط، والنص في سائر النسخ جاء محوفاً وهو: وخرج في اليوم الرابع من أعلام الأمراء، السوقة ونصبوا عدّة صواوين فيها سائر البقول والمأكّل، فصار بالميدان سوق عظيمًا (c) في يوم ساقطة من بولاق، والبياض في أبياسوفيا وباريس. (d) نص مسودة الخطط: وكان الأمير يتسري قد اشتدّ لذلك وعمل سرجًا قزوبه الوزاني وطبيء بحيث إذا نام لا يؤله فاشتغل القبق وهو نائم على قفاه قمر وأصاب، ثم عاود الرمي على يساره فأصابه. (e) إضافة من مسودة الخطط.

وَوَقَّفَ مع السُّلْطَانِ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَتَقَدَّمَ طَنْجَ وَعَيْنَ الْغَزَالِ وَأَمِيرَ عُمَرَ وَكَيْكَلْدِي وَقَشْشُمَرِ الْعَجَمِيِّ وَبَزْلَغِي وَأَغْنَاقِ الْحُسَامِيِّ وَبَكْتُوتَ ، وَنَعُوَ الْخَمْسِينَ / مِنْ أَمْرَاءِ السُّلْطَانِ الشُّبَّانِ الَّذِينَ أَنْشَأَهُمْ مِنْ خَاصِيكَيْهِ ، وَعَلَيْهِمْ تَقْرِئَاتُ خَرِيرِ أَطْلَسَ بَطْرَازَاتِ رَزْكَشَ ، وَكَلْؤَاتَاتِ رَزْكَشَ وَخَوَائِصَ ذَهَبَ - وَكَانُوا مِنَ الْجَمَالِ الْبَارِعِ بِحَيْثُ يُذْهِلُ لِحَشَّتَهُمُ النَّاطِرَ ، وَيُذْهِشُ بِجَمَالِهِمُ الْخَاطِرَ - فَتَعَاظَلَّتْ مَسْرُةُ السُّلْطَانِ بِرُؤْيَتِهِمْ ، وَكَثُرَ إِعْجَابُهُ ، وَدَاخَلَهُ الْعُجْبُ ، وَاسْتَخَفَّهُ الطَّرِبُ .
وَارْتَجَّتْ الدُّنْيَا بِكَثْرَةِ مَنْ خَصَرَ هُنَاكَ مِنْ أَرْيَابِ الْمَلَاهِي وَالْمَغَانِي^١ وَأَصْحَابِ الْمَلْعُوبِ .

فَلَمَّا انْقَضَى اللَّعِبُ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى دِهْلِيزِهِ فِي زِينَتِهِ ، وَمَرَجَ فِي مَشْيَتِهِ نَيْهَاً وَصَلَفًا . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ عَبَرَ الدَّهْلِيزَ ، وَالنَّاسُ مِنَ الطَّرِبِ وَالشُّرُورِ فِي أَحْسَنِ شَيْءٍ يَقَعُ فِي الْعَالَمِ ، وَإِذَا بِالْجَوْ قَدْ أَظْلَمَ ، وَثَارَ رِيحٌ عَاصِيفٌ أَسْوَدُ إِلَى أَنْ طَبَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ ، وَقَلَعَ سَائِرَ تِلْكَ الْحَيَمِ ، وَأَلْقَى الدَّهْلِيزَ السُّلْطَانِيَّ ، وَتَزَايَدَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَرَى مِنْ بَجَانِهِ . فَاخْتَلَطَ النَّاسُ وَمَاجُوا ، وَلَمْ يُعْرِفِ الْأَمِيرُ مِنَ الْحَقِيرِ ، وَأَقْبَلَتِ الشُّوْقَةُ وَالْعَامَّةُ تَنْهَبُ ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ يُرِيدُ التُّجَاعَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَتَلَاخَقَ الْعَشِكُورُ بِهِ ، وَاخْتَلَفُوا فِي الطَّرِيقِ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ ، فَلَمْ يَبْعَثْ إِلَى الْقَلْعَةِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الثَّلَفِ . وَخَصَلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ نَهَبِ الْأَمْوَالِ وَإِنْتِهَاكِ الْحُرْمِ وَالنِّسَاءِ مَا لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ ، وَمَا ظَنَّ كُلُّ أَحَدٍ إِلَّا أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ قَامَتْ . فَتَنَعَّصَ سُرُورُ النَّاسِ ، وَذَهَبَ مَا كَانَ هُنَاكَ . وَمَا اسْتَقَرَّ السُّلْطَانُ بِالْقَلْعَةِ حَتَّى سَكَنَ الرِّيحُ ، وَظَهَرَتِ الشَّمْسُ ، وَكَأَنَّ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ .
فَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ وَطَلَبَ أَرْيَابَ الْمَلَاهِي بِأَجْمَعِهِمْ ، وَخَصَرَ الْأَمْرَاءَ الْحَيَاتَانِ أَخِيهِ وَابْنَ أَخِيهِ ، وَعَمِلَ لَهُمْ عَظِيمَ فِي الْقَاعَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِالْقَلْعَةِ وَغَرِقَتْ بِالْأَشْرَفِيَّةِ . وَقَدْ دُكِرَ نَحْبُ هَذَا الْمَهْمِ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَلْعَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^١ .

وَمَا يَرِجُ هَذَا الْمَيْدَانُ فَضَاءً مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى قُبَّةِ النُّصْرِ لَيْسَ فِيهِ بُيُوتَانِ ، وَلِلْمُلُوكِ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ إِلَى أَنْ كَانَتْ سُلْطَانَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ؛ فَتَرَكَ التَّزُولَ إِلَيْهِ ، وَبَنَى مَسْطَبَةً بِرُشْمِ طُيُورِ الصَّيْدِ بِالْقُرْبِ مِنْ يَوْكَةِ الْحَبَشِ ، وَصَارَ يَنْزِلُ هُنَاكَ . ثُمَّ تَرَكَ تِلْكَ الْمَسْطَبَةَ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَعَادَ إِلَى مَيْدَانِ الْقَبَيْنِ هَذَا وَرَكِبَ إِلَيْهِ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ

(١) بولاق : الأغاني .

من الملوك ، إلى أن بُنيت فيه التُّرْبُ شيئاً بعد شيء حتى انسدَّت طَرِيقُهُ ، واتَّصَلَتِ المباني من مَتَدَانِ القَبْرِ إلى تُوْبَةِ الرُّوضَةِ خارج باب التَّوْقِيَةِ . وبَطَلَ السَّبَاقُ منه وزَمِيَ القَبْرُ فيه من آخِرِ أَيَّامِ الملكِ النَّاصِرِ محمد بن قَلاوون ، كما ذُكِرَ عند ذِكرِ المَقَائِرِ من هذا الكِتَابِ ^١ .

وأنا أَذْرِكُ عَوَامِيَّةَ من رُحَامَ قَائِمَةً بهذا القَصَاءِ تُعْرِفُ بين النَّاسِ بقواميد السَّبَاقِ ، بين كُلِّ عَمُوْدَيْنِ مَسَافَةً بَعِيدَةً ، وما يَرِحَتْ قَائِمَةً هنالك إلى ما بعد سنة ثمانين وسبع مائة ، فَهَدِمَتْ عندما عَمَّرَ الأَمِيرُ يُوسُفُ الدَّوَادَارِ الظَّاهِرِي تُوْبَتَهُ تَجَاهَ قُبَّةِ النُّصْرِ ، ثم عَمَّرَ أَيْضاً الأَمِيرُ قِبْجَاسُ - ابن عَمِّ الملكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوق - تُوْبَةً هناك ، وتَنَافَعِ النَّاسُ فِي التَّيْيَانِ إلى أن صَارَ كما هُوَ الآن . والله أَعْلَمُ .

ذِكْرُ رِجَالِ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ

قد تَقَدَّمَ أَنَّ هذا الخَلِيجَ خَفِرَ قَبْلَ الإِسْلَامِ بَدَهْرٍ ، وَأَنَّ عَمْرُو بن العَاصِ - رضي الله عنه - جَلَّدَ حَفْرَهُ فِي عامِ الرَّمَادَةِ بِإِشَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بن الحَطَّابِ - رضي الله عنه - حَتَّى صَبَّ مَاءُ الثَّلِيلِ فِي بَخْرِ القَلْزَمِ ، وَجَزَتْ فِيهِ الشُّقُنُ بِالْعِلَالِ وَغَيْرِهَا حَتَّى غَبَرَتْ مِنْهُ إِلَى الْبَحْرِ الْمَلْحِ ، وَأَنَّهُ مَا يَرِخُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ فَطُمَّ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مَوْجُودُ الْآنَ . إِلَّا أَنَّ فَمَ هَذَا الخَلِيجِ ، الَّذِي يَصُبُّ فِيهِ الْمَاءُ مِنْ بَحْرِ الثَّلِيلِ ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَ حَفْرِهِ هَذَا الْقَمُ الْمَوْجُودُ الْآنَ . وَلَسْتُ أَذْرِي أَيْنَ كَانَ فَمُهُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ حَفْرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ مِصْرَ فُتِحَتْ وَمَاءُ الثَّلِيلِ عِنْدَ الْمَوْضِعِ الَّذِي فِيهِ الْآنَ جَامِعُ عَمْرُو بن العَاصِ بِمِصْرَ ، وَجَمِيعُ مَا بَيْنَ الْجَامِعِ وَسَاحِلِ الثَّلِيلِ الْآنَ انْخَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ بَعْدَ الْفَتْحِ .

وَأَخِيرَ مَا كَانَ سَاحِلُ مِصْرَ مِنْ عِنْدِ شُوقِ المَعَارِيجِ الَّذِي هُوَ الْآنَ بِمِصْرَ إِلَى تَجَاهِ الكَبْشِ مِنْ غَرْبِهِ . وَجَمِيعُ مَا هُوَ الْآنَ مَوْجُودٌ مِنَ الْأَرْضِ ، الَّتِي فِيهَا بَيْنَ حُطِّ السَّبْعِ سِقَابَاتٍ إِلَى شُوقِ

^١ فيما يلي ٤٦٣:٢ - ٤٦٤ .

الملك العادل ، وتلبس الرُماة قُدَامَهُ وَيُظْهِرُونَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْفُرُوشَةِ وَيَضْرِبُونَ الطَّائِنَةَ الَّتِي فَوْقَ الصُّوَارِي . وَكُلُّ مَنْ أَصَابَهُ أَخْلَعُ عَلَيْهِ قُفْطَانًا ، وَيَسْتَمِرُّ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى ثُمَّ يَعُودُ مِنْ قَصْبَةِ مِصْرَ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَقُدَامَهُ الَّذِينَ أَصَابُوا القَبْرَ بِخِلْمِهِمْ ، إِلَى أَنْ أَتَمَّكَهُ الْوَزِيرُ مُحَمَّدُ بَاشَا فِي سَنَةِ عَشَرَ وَأَلْفَ . (قَطَطُ الْأَرْهَارِ ١٩٥٠) .

وقد انتقل مكان لعب القَبْرِ فِي الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ شِمَالًا عِنْدَ جَامِعِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَأَضَافَ ابْنُ أَبِي السَّرُورِ الْبَكْرِي : «لَمْ يَزَلْ يُقْتَلُ القَبْرُ فِي ثَانِي يَوْمِ كُلِّ عَهْدٍ فِي زَمَنِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ ، فَبَرَكَبَ وَزِيرُ مِصْرَ إِلَيْهِ فِي ثَانِي يَوْمِ الْعِيدِ وَتَرَكَبَ مَعَهُ جَمِيعُ الْأَمْثَاءِ وَيَجْلِسُ عَلَى الْمُسْتَطَبَةِ الَّتِي بِجَانِبِ جَامِعِ

المعاريج ، انْخَسَرَ عنه الماءُ شيئاً بعد شيءٍ وعُرسَ بساتين ؛ فَعَمِلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرُ مِصْرَ قَنْطَرَةً عَلَى فَمِ هَذَا الْخَلِيجِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، بِأَوَّلِهِ عِنْدَ سَاحِلِ الْحَمْرَاءِ ، لِيَتَوَسَّلَ مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى جَنَانِ الزُّهْرِيِّ الْآتِي ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَمَوْضِعُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ بِدَاخِلِ حِجْرٍ أَقْبَعًا لِلْجَاوِرِ لِحُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتٍ ^١ .

- وما بَرِحَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عِنْدَهَا الشَّدُّ الَّذِي يُفْتَحُ عِنْدَ الْوَقَاءِ إِلَى مَا بَعْدَ الْخَمْسِ مِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، فَانْخَسَرَ مَاءُ النَّيْلِ عَنْ أَرْضِ ^(أ) ، وَعُرسَتْ بساتين . فَعَمِلَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ ابْنُ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ - الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِقَنْطَرَةِ الشَّدِّ - خَارِجَ مِصْرَ ، لِيَتَوَسَّلَ مِنْ فَوْقِهَا إِلَى بُسْتَانِ الْحَشَّابِ ، وَزَيْدٌ فِي طُولِ الْخَلِيجِ مَا بَيْنَ قَنْطَرَةِ السَّبْعِ الْآنَ وَبَيْنَ قَنْطَرَةِ الشَّدِّ الْمَذْكُورَةِ ، وَصَارَ مَا فِي شَرْقِيهِ - يَمًّا انْخَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ - بُسْتَانًا يُعْرَفُ بِجَنَانِ الْحَارَةِ ^(ب) ، وَمَا فِي غَرْبِيهِ يُعْرَفُ بِبُسْتَانِ الْمَحَلِّي ^٢ .

- وكان بطرف حُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتُ كُنَيْسَةِ الْحَمْرَاءِ ، وَعِدَّةُ كُنَائِسٍ أُخَرَ ، بَعْضُهَا الْآنَ بِحِجْرٍ أَقْبَعًا تُعْرَفُ بِرَاوِيَةِ الشُّيْخِ يُوسُفَ الْعَجَمِيِّ ، لَشُكْنَاهَا بِهَا/ عِنْدَمَا هُدِمَتْ بَعْدَ سَنَةِ عَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

- وما بَرِحَتْ هَذِهِ الْبساتينُ مَوْجُودَةً إِلَى أَنْ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْأَمِيرُ أَقْبَعًا عَبْدُ الْوَاحِدِ ، أَشْتَدَّارُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَقَلَعَ أَنْشَابَهَا ^(ج) ، وَأَوْدَنَ لِلنَّاسِ فِي عِمَارَتِهَا . فَحَكَرَهَا النَّاسُ ، وَبَنَوْا فِيهَا الْمَأْدَرَ وَغَيْرَهَا ، فَعُرِفَتْ بِحِجْرٍ أَقْبَعًا .

- وبأول هذا الْخَلِيجِ الْآنَ مِنْ غَرْبِيهِ مُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي - وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ مَدِينَةِ مِصْرَ ^٣ - وَبِجَاوِرِ مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي بُسْتَانُ الْحَشَّابِ ، وَبَعْضُهُ الْآنَ يُعْرَفُ بِالْمَرْيَسِ ، وَبَعْضُهُ عَمِلَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مِيدَانًا يُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ مِنْ غَرْبِيهِ . وَيُعْرَفُ سَاحِلُ النَّيْلِ هُنَاكَ بِمَوْزِدَةِ الْجَيْسِ ، كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْمِيَادِينِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ^٤ ، وَبِجَاوِرِ بُسْتَانِ الْحَشَّابِ جَنَانُ الزُّهْرِيِّ .
- وهذه المواضعُ الَّتِي ذُكِرَتْ كُلُّهَا يَمًّا انْخَسَرَ عَنْهُ النَّيْلُ مَا خَلَا جَنَانَ الزُّهْرِيِّ فَإِنَّهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ . وَسَتَقِفُ عَلَى خَبَرِهَا وَخَبَرِ مَا بِجَاوِرِهَا مِنَ الْأَحْكَارِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(أ) بولاق : الأرض . (ب) بولاق : بستان الحارة . (ج) بولاق : أخشابها .

^١ فيما يلي ٣٨٤-٣٨٥ . ^٢ فيما يلي ٣٨٥ . ^٣ فيما تقدم ٢: ١٥٦ . ^٤ فيما يلي ٦٣٥ .

ذكر الأختكار التي في عسري الخراج

قال ابن سيده: الاختكار جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واختبائه انتظار وقت الغلاء به. والحركة والحرز جميعا: ما احتكر. وحرزه يحكره حكوا: ظلمه وتقصصه وأساء معاشرته^١. انتهى.
فالتحكير على هذا: المنع، فقول أهل مصر: حكر فلان أرض فلان، يغنون: منع غيره من البتاء عليها.

حكر الزهري

هذا الحكر يدخل فيه جميع برّ ابن الثبان الآتي ذكره إن شاء الله^٢، وشق الثعبان، وبطن البقرة، وشوقة القيسري، وشوقة صفيّة، وبركة الشفاف، وبركة السباعين، وقطره الخرق، وخدره المرادين، وحكر الحلي، وحكر التواشقي، وحكر كرجي، وما بجانبه إلى قناطر السباع، وميدان المهاري إلى الميدان الكبير السلطاني بمؤدة الجيس. وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهري، ثم عرف بيشتان الزهري^٣.

^(١) والزهري المنسوب إليه هذا الحكر هو عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يكنى أبا العباس يروي عن مالك بن أنس وروى عنه سعيد بن عفير، توفي في شهر رمضان سنة عشر ومائتين^(٢).

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في «تاريخ الغرابة»: عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يكنى أبا العباس، وأمه أم عثمان بنت

(٢-٣) إضافة من مسودة الخطط.

ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٢٧.
وقد عرف ابن ثمانى الأختكار بأنها «أجرة مفقودة عن

١
ساحات كانت في أحكارها دائرة، وفيها ما حفر مساكن
وما يجري مجراها، ومنها ما أنشئ بساتين وما هو في
معناها، واحتضت الحال استمرارها بأيدي أربابها بعد
انقضاء مدّة إجازتها وأخذهم بالقيام بالأجرة المقررة عنها

٢ فيما يلي ٣٨٠.

٣ للمقريزي: مسودة الخطط ٥٣ ومصدره فيها ابن عبد الظاهر.

٤ نفسه ٥٣ و.

قوانين الدواوين ٣٤٢) وانظر أيضا Baer, G., *Et* art. ٣٦٨-70.
Hikr Suppl.

عُثْمَانُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . مَدَنِي قَدِيمَ مِصْرَ وَوَلِي الشَّرْطَ بِمِصْرَاطَ مِصْرَ ، وَخَدَّثَ ؛ يَزِيدُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَشُقَيْانَ بْنِ عُيَيْنَةَ . رَوَى عَنْهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، وَعُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ وَغَيْرُهُمْ .

وَهُوَ صَاحِبُ الْجِنَانِ الَّتِي بِالْقَنْطَرَةِ - قَنْطَرَةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ - تُعْرَفُ بِجِنَانِ الزُّهْرِيِّ ، وَهُوَ حَبْسٌ عَلَى وَلَدِهِ إِلَى الْيَوْمِ . وَكَانَ كِتَابُ حَبْسِ الْجِنَانِ عِنْدَ جَدِّي يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَدِيعةً عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ «وَدِيعةً لَوْلَدِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الزُّهْرِيِّ ، لَا يُدْفَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا أَنْ يُعْزِيَ بِهِ سُلْطَانٌ» . الْكِتَابُ عِنْدِي إِلَى الْآنَ . تَوَفَّى عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُوسَى بِمِصْرَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ^١ .

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ بْنُ جَعْفَرٍ الْقَضَائِي فِي كِتَابِ «الْمُخْتَارِ فِي ذِكْرِ» الْخِطَطِ وَالْآثَارِ : حَبْسُ الزُّهْرِيِّ هُوَ الْجِنَانُ الَّتِي عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ بِالْحَمْرَاءِ ، وَهُوَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُوسَى ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الزُّهْرِيِّ ، قَدِيمَ مِصْرَ وَوَلِي الشَّرْطَ بِهَا . وَالْجِنَانُ حَبْسٌ عَلَى وَلَدِهِ .

وَقَالَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الْمُتَوَّجِ فِي كِتَابِ «إِقَاطِ الْمُنْتَقَلِ وَأَتَاعِ الْمَتَأَمِّلِ» : حَبْسُ الزُّهْرِيِّ ... فَذَكَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا الْحَبْسُ أَكْثَرُهُ الْآنَ أَحْكَامًا مَا بَيْنَ بَرْكَةِ الشَّقَافِ وَخَلِيجِ شَقِّ الثُّغْبَانِ ، وَقَدْ اسْتَوَلَّى وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ عَلَى بَعْضِهِ ، وَبَاعَ مِنْ أَرْضِهِ وَأَجَرَ مِنْهَا ، وَاجْتَمَعَ هُوَ وَمُحْبِسُهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . انْتَهَى .

(قَالَ كَاتِبُهُ : الْقَنْطَرَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ هُنَا كَانَتْ قَدِيمًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْآنَ بِجُكْرِ الْخَلِيلِيِّ عِنْدَ السَّبْعِ سِقَايَاتِ)^٢ .

وَلَمَّا طَالَ الْأَمَدُ صَارَ لِلزُّهْرِيِّ عِدَّةُ بَسَاتِينَ : مِنْهَا بُسْتَانُ أَبِي الْيَمَانِ ، وَبُسْتَانُ الشَّرَاحِ ، وَبُسْتَانُ الْحِجَانِيَّةِ ، وَبُسْتَانُ عَزَّازَ ، وَبُسْتَانُ تَاجِ الدَّوْلَةِ قَائِمَازَ ، وَبُسْتَانُ الْفَرُغَانِي ، وَبُسْتَانُ (طِيلَسَانَ) وَبُسْتَانُ الْطِيلَسَانَ (بَارِضَ) قَبْلَ ذَلِكَ^٣ . بَارِضَ الطَّلَسَانَ ، وَبُسْتَانُ الْبَطْرُكِ ، وَغَيْطُ الْكُرْدِيِّ ، وَغَيْطُ الصَّقَّارِ . ثُمَّ عُرِفَ بِبَرِّ ابْنِ النُّجَّانِ بَعْدَ ذَلِكَ^٤ .

(a) بولاق والنسخ : معرفة . (b) بولاق : قيمار . (c-c) إضافة من مسودة الخطط .

^١ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ الفراء) ١٣٨-١٣٩ هـ : المقرئ : مسودة الخطط ٥٣ هـ ، وفيما يلي ٣٨١ هـ .
^٢ المقرئ : مسودة الخطط ٥٣ هـ ، وفيما يلي ٣٨١ هـ .
^٣ نفسه ٥٢ هـ .

قال القاضي محني الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب «الروضة البهية الزاهرة في خطط المبرزة القاهرة»: شاطئ الخليج المعروف ببر ابن^(a) البستان: ابن البستان المذكور هو رئيس المراكب في الدولة المصرية، وكان له قذر وأبنة في الأيام الأميرية وغيرها. ولما كان في الأيام الأميرية، تقدم إلى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربي الخليج. فأول من ابتدا وعمر الرئيس ابن البستان، فإنه أنشأ متسجداً وبُستاناً وداراً، فغرقت تلك الحطة^(b) به إلى الآن. ثم بنى سعد الدولة والي القاهرة، وناهض الدولة علي، وعبد الدولة أبو البركات محمد بن عثمان، وجماعة من فزاشي الخاص. واتصلت العمارة بالأجر والشقوق القيمة والأبواب المنظومة، من باب البستان المعروف بالعدة على شاطئ الخليج الغربي، إلى البستان المعروف بأبي اليمن.

ثم ابنتى جماعة غيرهم ممن يرغب في الأجرة والفرجة، على الشارع التي تنصرف من الخليج إلى الزهري والبساتين، من المنازل والدكاكين شيئاً كثيراً، وهي الناحية المعروفة الآن بشق البستان وشوكة القيتري، إلى أن وصل البناء إلى قبالة البستان المعروف بشور الدولة الزيفي^(c). وهذا البستان/ معروف في هذا الوقت بالحيطة المذكورة، وهو متلاشي الحال بسبب ملوحة بصره.

وبستان شور الدولة هو الآن الميدان الظاهري والمناظر به⁽¹⁾، وتفوت الشوارع والطرق، وشيكت الدكاكين والدور، وكثر المتردون إليه والمعاش فيه إلى أن اشتاب والي القاهرة بها نايتها عنه. ثم تلاشت تلك الأحوال، وتغيرت إلى أن صارت أطلالاً، وعفت تلك الآثار. ثم بعد ذلك حكر أدوا وبساتين، وبني على غير تلك الصفة المقدم ذكرها، وبني على ما هو عليه. ثم حكر بستان الزهري أدوا، ولم يبق منه إلا قطعة كبيرة بستاناً، وهو الآن أحوال تعرف بالزهري، وتعرف البر جميعه ببر ابن البستان إلى هذا الوقت، وولايته تعرف بولاية الحكر. وبني به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة، وحمام تعرف بالقيتري، وحمام تعرف بحمام الداية على شاطئ الخليج⁽²⁾. انتهى.

(a) ساقطة من بولاق. (b) الروضة: عرف ذلك الخط. (c) بولاق: الربيع.

¹ فيما يلي ٦٢٨. المقرري: مسودة الخطوط ٥٢-٥٣. ولم يُعرف المقرري هذه

² ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٦-١٢٧ الحمامات بمداخل مستقلة.

(^١قال المؤلف: وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ إِقْرَارِ زَكِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيِّدِ الْأَهْلِ بْنِ حَبْدَرَةَ الْمَعْرُوفِ بِحَدِّهِ بِالزُّهْرِيِّ، يُوْقِفُ الْحِصَّةَ الَّتِي مِبلغُهَا كَذَا مِنْ جَمِيعِ الْبُشْتَانِيِّينَ الَّذِينَ خُطِبُوا وَجُعِلُوا بُشْتَانًا وَاحِدًا وَزَالَتْ أَنْشَابُهُمَا، وَخُكِرَ أَدْرُ تُعْرَفُ بِالزُّهْرِيِّ وَبِرُوكَةِ مِضَافَةٍ لِدَلِّكَ تُعْرَفُ بِرُوكَةِ الشَّقَافِ، وَذَكَرَ حُدُودَهُ وَهُوَ مُؤَرِّخٌ بِسَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

- قال [ابن عبد الظاهر]^(ب): وهذه الحدود التي ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْكِتَابِ هِيَ الْحُدُودُ الْقَدِيمَةُ، وَهِيَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ لِأَنَّ الْمَعَالِمَ الْقَدِيمَةَ قَدْ تَغَيَّرَتْ وَالْأَسْمَاءُ أَيْضًا قَدْ جُهِلَتْ وَاسْتَجَدَّ النَّاسُ أَسْمَاءَ غَيْرِهَا، وَهِيَ أَنَا أَثْبَتُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.^(٢)

- وَبُشْتَانُ أَبِي الْيَمْنِ^(ج) يُعْرَفُ الْيَوْمَ مَكَانُهُ بِجُكْرٍ أَقْبَعًا، وَفِيهِ جَامِعُ الْمَسْتِ مِشْكَةٍ وَسُوَيْقَةُ السَّبَاعِينَ^١. (^٢وَأَمَّا «الْكُوم» فَهِيَ هَذِهِ الْكُومُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْجَبْرِ الْمَسْلُوكِ مِنْ قَنْطَرَةِ الْخَزَقِ إِلَى اللَّوْقِ. وَ«مُوزِدَةُ الشَّقَاتَيْنِ» هِيَ مَكَانٌ قَنْطَرَةُ الْخَزَقِ الْآنَ وَاسْتَجَدَّهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْكَامِلِ؛ وَأَمَّا الطَّرِيقُ الْفَاصِلَةُ فَهِيَ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكَةُ مِنْ بَابِ اللَّوْقِ وَجَامِعِ الطَّبَاخِ إِلَى سُوَيْقَةِ صِلَاحِ الدِّينِ وَالْمِيدَانِ الْكَبِيرِ السُّلْطَانِيِّ وَمِيدَانِ الْمَهَارِي وَقَنْطَرَةِ السَّبَاعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٣). وَبُشْتَانُ السَّرَاجِ فِي أَرْضِ بَابِ اللَّوْقِ يُعْرَفُ مَوْضِعُهُ الْآنَ بِجُكْرِ الْخَلِيلِيِّ. وَيَأْتِي ذِكْرُهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^٢.

- (^٣قال [ابن عبد الظاهر]^(ب): وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْأُمَلَاكِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ جُكْرَ الزُّهْرِيِّ هَذَا يُعْرَفُ قَدِيمًا بِبُشْتَانِ عَرَازٍ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ تَاجِ الدَّوْلَةِ، وَيُعْرَفُ بِبُشْتَانِ قَائِمَازٍ أَيْضًا^(٤). وَقَائِمَازُ هُوَ تَاجُ الدَّوْلَةِ، صَهْرُ الْأَمِيرِ بَهْرَامِ الْأَرْمَنِيِّ وَزَيْرُ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ، وَقُتِلَ عِنْدَ دُخُولِ الصَّالِحِ طَلَايِعِ بْنِ زُرَيْكٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ. وَعَرَازُ هُوَ غُلَامُ الْوَزِيرِ شَاوَرِ بْنِ مُجِيرِ السَّعْدِيِّ وَزَيْرُ الْخَلِيفَةِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ^٣.

٢٠ جُكْرُ الْخَلِيلِي

هَذَا الْجُكْرُ هُوَ الْخُطُّ الَّذِي يَقْرُبُ سُوَيْقَةَ السَّبَاعِينَ وَجَامِعَ الْمَسْتِ مِشْكَةٍ، وَهُوَ بِهَجْوَارِ جُكْرٍ

٢-٤ (أ) إضافة من مسودة الخطوط. (ب) إضافة للتوضيح. (ج) بولاق والنسخ: البمان، والمثبت من ابن عبد الظاهر.

^١ فيما يلي ٣٢٦:٢. ^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٣ و٥٠.

^٣ فيما يلي ٣٨١-٣٨٢، ٣٨٤-٣٨٥.

الزُّهري^١. وكان بُشْتَانًا يعرف بُشْتَانُ أَبِي الْيَمَانِ - ومنهم من يكتب بُشْتَانُ أَبِي الْيَمَانِ بِغَيْرِ أَلِفٍ بعد الميم - ثم عُرِفَ بُشْتَانُ ابْنِ جَنْ حُلْوَانَ ، وهو الحَمَالُ مُحَمَّدُ بْنُ الزُّكَيْيِّ بِحْيَى بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ ابْنِ مَنصُورٍ ، الثَّاجِرُ فِي ثَمَرَةِ الْبَسَاتِينِ ، عُرِفَ بِابْنِ جَنْ حُلْوَانَ ، مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

وَحَدَّثَ هَذَا الْبُشْتَانُ الْقِبْلِيَّ إِلَى الْخَلِيجِ ، وَكَانَ فِيهِ بَابُهُ وَالْهَمَالِيَا^(a) ، وَالْحَدُّ الْبَحْرِيُّ يَنْتَهِي إِلَى غَيْطِ قَائِمَاز ، وَالشَّرْقِيُّ إِلَى الْأَدْرَ الْمُحْتَكِرَةِ ، وَالْغَرْبِيُّ يَنْتَهِي إِلَى قِطْعَةٍ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِابْنِ أَبِي الشَّجَاحِ .
ثُمَّ عُرِفَ بُشْتَانُ ابْنِ الشَّوَّاحِ ، وَاسْتَأْجَرَهُ ابْنُ جَنْ حُلْوَانَ مِنَ الشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ الرُّفْعَةِ الْفَقِيهِ الْمَشْهُورِ ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَعُرِفَ بِهِ . ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْبُشْتَانَ حَكِيْرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَعُرِفَ بِحَكْرِ الْخَلِيلِيِّ^٢ . وَهُوَ^(b) .

حَكْرُ قَوْصُونَ^٣

هَذَا الْحَكْرُ مُجَارٍ لِقَنَاطِرِ الْمُبَاعِ . كَانَ بُشْتَانَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ بِمَخَارِقِ الْكَبِيرِيِّ^(c) ، وَالْآخَرُ يُعْرَفُ بِمَخَارِقِ الصُّغَرِيِّ^(d) .

فَأَمَّا «مَخَارِقُ الْكَبِيرِيِّ»^(e) (دَقَائِي وَفَقْتُ عَلَى كِتَابِ مَضْمُونِهِ وَقَفَ الْقَاضِي الْأَجَلُ^(d)) الرَّئِيسُ الْمُخْتَارُ الْعَدْلُ الْأَمِينُ ، زَكِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُرْتَضَى بْنِ سَيِّدِ الْأَهْلِ بْنِ يَوْشَفَ ، جِصَّةٌ مِنْ جَمِيعِ الْبُشْتَانِ الْمَذْكُورِ الْكَبِيرِ - الْمَعْرُوفُ بِالْمَخَارِقِ الْكَبِيرِيِّ - الَّذِي بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، بِعَدْوَةِ الْخَلِيجِ ، فِيمَا بَيْنَ الْبُشْتَانَيْنِ الْمَعْرُوفِ أَحَدَهُمَا بِالْمَخَارِقِ الصُّغَرِيِّ - وَيُعْرَفُ قَدِيمًا بِالشَّيْخِ الْأَجَلِ ابْنِ أَبِي أَسَامَةَ ، ثُمَّ عُرِفَ بِغَيْرِهِ - وَالْبُشْتَانُ الَّذِي يُعْرَفُ بِدَوَّيْرَةِ دِينَارٍ يُفَصِّلُ بَيْنَهُمَا الطَّرِيقَ بِحُطِّ بُشْتَانِ الزُّهْرِيِّ ، وَبُشْتَانِ أَبِي الْيَمَانِ ، وَكَتَائِسُ التُّصَارِيِّ قُبَالَةَ جَمَائِمِيزِ السَّعْدِيَّةِ وَالشَّيْبَعِ سِقَايَاتِ .

(a) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . (b) بِيَاضٍ فِي النُّسخِ . (c) بُولَاقُ : الْمَخَارِقُ . (d-d) إِضَافَةٌ مِنْ مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ .

^١ فِيمَا يَلِي ٣٢٦:٢ .
^٢ الْمَقْرِيزِيُّ : مَسْوَدَةُ الْخَطِّطِ ٥٣ ط .
^٣ يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ حَكْرِ قَوْصُونَ الْآنَ الْمَنْطَقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّمَالِ بِعِطْفَةِ مَرْزُوقٍ وَحَارَةِ قَوَاوِيرَ (وَهُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ قَدِيمًا بَيْنَ هَذَا الْحَكْرِ وَحَكْرِ طُقُوزْ ثَمَرٍ (فِيمَا يَلِي ٣٨٨) ، وَمِنْ الْغَرْبِ شَارِعُ النَّاصِرِيَّةِ وَشَارِعُ الْكُومِي (اعْتِدَادُ شَارِعِ خَيْرَتِ) ، وَمِنْ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِيدَانُ السَّيْدَةِ زَيْنَبَ وَشَارِعُ بُوْرَسَعِيدِ (الْخَلِيجُ الْمِصْرِي) .

ولهذا البُشتان حدودٌ أربعة: القَيْلِي ينتهي إلى الخَلِيج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بِجَمَامِيرِ السَّعْدِيَّةِ والسَّنَعِ سِقَايَاتٍ، والحدُّ الشَّرْقِي ينتهي إلى البُشتان المعروف بِالمَخَارِقِ الصُّغْرَى المَقَابِلِ لِلْمَجْنُونَةِ، والبَحْرِي ينتهي إلى البُشتان المعروف قَدِيمًا بِابْنِ أَبِي أُسَامَةَ، الفاصل بينه وبين بُشتانِ أَبِي اليَمْنِ المَجَاوِرِ لِلزُّهْرِي، والحدُّ الْغَرْبِي ينتهي إلى الطَّرِيقِ.

- وَجَعَلَ هَذَا الْبُشْتَانِ عَلَى الْقُرْبَاتِ بَعْدَ عِمَارَتِهِ، وَشَرَطَ أَنَّ النَّاطِرَ يَشْتَرِي فِي كُلِّ فَضْلٍ مِنْ فُضُولِ الشُّتَاءِ مَا يَرَاهُ مِنْ قُمَاشِ الْكَثَّانِ الْخَامِ أَوْ الْقَطْنِ، وَيَتَضَعُ ذَلِكَ جِيبَاتًا وَيُعَالِطِقُ مُحْشَوَةً قَطْنًا، وَيَفْرِقُهَا عَلَى الْأَيْتَامِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ الْفُقَرَاءِ غَيْرِ الْبَالِغِينَ بِالشَّارِعِ الْأَعْظَمِ خَارِجِ بَابِي زَوِيلَةٍ، فَيَذْفَعُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جُبَّةً أَوْ بُعْلَاطًا. فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ كَانَ عَلَى الْأَيْتَامِ الْمُتَصَفِّينَ بِالصُّفَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِالْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ وَقَرَأَتِهَا، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ كَانَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ أَيْنَمَا وَجَدُوا.

وتاريخُ هذا الكتاب ذو الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ.

- ١٠. ^(a) وَذَكَرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ الْوَاقِفَ قَالَ إِنَّ مُرَادَهُ بِالشَّارِعِ الْمَذْكُورِ طُولًا مِنْ بَابِي زَوِيلَةٍ وَإِلَى الْبَابِ الْجَدِيدِ، وَعَرَضًا مِنَ الشُّورِ اللَّيْلِ الْمَحِيطِ بِحَازَةِ الْبَانِيْسِيَّةِ وَالْمُنْتَجِبِيَّةِ، وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ مِنْهَا إِلَى مَصْرِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ أَذْرَ الشَّارِعِ وَبَيْنَ الْفَوَاحِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. قَالَ الْمَوْلَفُ: أَظُنُّ أَنَّ الْبَابَ الْجَدِيدَ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِبَابِ الْقَوْسِ الْمَجَاوِرِ لِحَازَةِ الْمُنْتَجِبِيَّةِ ^(a).

- ١٥. وَأَمَّا «مَخَارِقُ الصُّغْرَى» ^(b) ^(a) فَإِنِّي وَقَفْتُ عَلَى كِتَابٍ مَضْمُونُهُ: شَرَى مُبَارِزُ الدِّينِ أَحْمَدُ ابْنُ الْحَاجِبِ الطَّهِيرِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَكَارِيِّ الْمَلِكِيِّ الْعَزِيزِيِّ، مِنْ عَبْدِ الْخَالِقِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ وَلَدَيْهِ صَالِحُ بْنُ سُلْطَانٍ: الْحِصَّةُ مِنَ الْبُشْتَانِ الْمَعْرُوفِ بِالمَخَارِقِ الصُّغْرَى وَهُوَ ^(a) بِعَدْوَةِ الْخَلِيجِ قِبَالَةَ الْمَجْنُونَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ بُشْتَانِ أَبِي الْيَمْنِ ^١، ثُمَّ ^(a) صَارَ أَخِيرًا بُشْتَانًا مَسَاحَتُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ فِدَاً يُعْرَفُ ^(a) بِبُشْتَانِ بَهَادُرِ رَأْسِ تَوْبَةِ، وَمَسَاحَتُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ فِدَاً. فَاشْتَرَاهُ الْأَمِيرُ قَوْصُونٌ، وَقَلَعَ غُرُوسَهُ، وَأَذَنَ لِلنَّاسِ فِي الْبِنَاءِ عَلَيْهِ، فَحَكَّرُوهُ وَبَثُّوا فِيهِ الْأَذْرَ وَغَيْرَهَا، وَغَرِفَ بِحُكْرِ قَوْصُونٍ ^٢.

a-a (إضافة من مسودة الخطوط. b) بولاق: المخاريق الصغرى.

^١ فيما يلي ٥٣٨.

^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٣-٥٤٤.

حِكْرُ الْحَسْبِي

هذا الحِكْرُ الآن يُعرَف بِحِكْرٍ يَبْتِزِسُ الْحَاجِبَ ، وهو مُجاوِرٌ لِلزُّهْرِي وَلِبَرْكَةِ الشَّقَافِ من غريبها . وأصله من جملة أراضِي الزُّهْرِي ائْتِطَعَ منه ، وباعه القاضي مَجْدُ الدِّينِ بنِ الحَشَّابِ ، وكيل بيت المال - لابنتي السُّلْطَانِ المَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بنِ قَلاوونَ ، في سنة أربع وتسعين وست مائة ، وكان يُعرَف حينَ هذا البَيْعِ بِبُشْتَانِ الْجَمَالِ بنِ جَعْنٍ حُلُوانَ وبَغِيضِ الكُرْدِي وبُشْتَانِ الطَّلِيسَانِ وبُشْتَانِ الفَرُوعَانِي .

وخذُ هذه القِطْعَةَ القِبْلِيَّ إلى بَرْكَةِ الطَّوَّائِنِ ، وإلى الهَدِيرِ الصَّغِيرِ ؛ والحَدُّ البَحْرِيَّ ينتهي إلى بُشْتَانِ الفَرُوعَانِي ، وإلى بُشْتَانِ البَوَاشِقِي ؛ والحَدُّ الشَّرْقِيَّ إلى بَرْكَةِ الشَّقَافِ ، وإلى الطَّرِيقِ المَوْصَلَةِ إلى الهَدِيرِ الصَّغِيرِ ؛ والحَدُّ الْغَرْبِيَّ / إلى بُشْتَانِ الفَرُوعَانِي . ثم انتقل هذا البُشْتَانُ إلى الأميرِ رُكْنِ الدِّينِ يَبْتِزِسُ الْحَاجِبِ ، في أَيَّامِ المَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بنِ قَلاوونَ ، وحَكَرَهُ فَعَرَفَ بِهِ ، ^(٨) وهو يبد وَرَثَتُهُ الْآنَ ^(٩) .

حِكْرُ الْبَوَاشِقِي

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ أَرْدَمَرِ الْبَوَاشِقِي تَمْلُوكِ الرُّشَيْدِي الْكَبِيرِ ، أَحَدِ المَمَالِيكِ الْبَحْرِيَّةِ الصَّالِحِيَّةِ ، ومُنْ قَامَ عَلَى المَلِكِ الْمُعِزِّ أَيْتُكَ عِنْدَمَا قَتَلَ الْأَمِيرُ فَارِسَ الدِّينِ أَقْطَايَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتْ مِائَةٍ ، وَخَرَجَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ . ثم عُرِفَ الْآنَ بِحِكْرٍ كُرْجِي ، وهو بجوار حِكْرِ الْحَسْبِي المعروف بِحِكْرٍ يَبْتِزِسُ ^٢ .

حِكْرُ أَقْبَغَا

هذا الحِكْرُ بجوار الشُّبُعِ سِيقَايَاتِ ، بَعْضُهُ بِجَانِبِ الْخَلِيجِ الْغَرْبِي ، وَبَعْضُهُ بِجَانِبِ الْخَلِيجِ الشَّرْقِي ^٣ ؛ كَانَ بُشْتَانًا يُعرَف قَدِيمًا بِجَنْانِ الْحَاذَةِ ، وَيُشَلِّكُ إِلَيْهِ مِنْ حُطَّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ عَلَى يَمْنَةِ

a-a) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٥٤ هـ .

^٢ نفسه ٥٤ هـ .

^٣ حِكْرُ أَقْبَغَا هو الذي كان يعرف سابقًا بخط الشُّبُعِ حارة السيلة زنبق وفروعها وجنية لاط وشوارعها . =

السالك طالبا السبع سقايات بالقرب من كنيسة الحفراء. وكان بعضه بُشْتَانًا يُعرف بِبُشْتَانِ المحلي، وهو الذي في غربي الخليج^١.

وكان بُشْتَانُ جِنَان الحارة بجوار بُوْكَة قارون، وينتهي إلى حوض الدُمياطي الموجود الآن على بُعْدٍ من سَلَك من حُطَّ السبع سقايات إلى قَنْطَرَة السد. فاستَوَلَى عليه الأميرُ أَقْبَا عبد الواحد - أَسْتَاذُار الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون - وأَوْدَنَ للنَّاس في تحْكِيمِهِ. فحَكِرَ وَثْنِي فِيهِ عِدَّةُ مَسَاكِين، وإلى يومنا هذا يُجَنَّب جُكْرُهُ وَيُضْرَف في مَصَارِف المَدْرَسَة الأَقْبَاوِيَة المجاورة للجَامِع الأزهر بالقاهرة^٢.

وأَوَّل من عَمَّر في جُكْر أَقْبَا هذا أَسْتَاذُار الأمير جُنْكَلِي^٣ بن البابا^٤، فبَعَثهُ النَّاس. وفي مَوْضِع هذا الحِكْر كانت كَنِيْسَة الحفراء التي هَدَمَهَا الْعَامَّة في أيام الملك النَّاصِر محمد بن قلاوون، كما دُبِرَ عِنْد ذِكْرِ الكَنَائِس من هذا الكتاب^٥، وهي اليوم زَاوِيَة الشَّيْخ يُوسُف العَجْمِي، وقد دُبِرَتْ فِي الزَّوَايَا أَيْضًا. وهذا الحِكْر لَمَّا بَنَى النَّاسُ فِيهِ عَرِيفَ بِالْأَرْد^٦ وَلَكَثْرَة من سَكَن فِيهِ مِنَ الشَّرِّ وَالْوَاغِدِيَّة من أَصْحَاب الأمير جُنْكَلِي^٧ بن البابا.

وعَمَّر نِجَاه هذا الحِكْر الأميرُ جُنْكَلِي^٨ حَمَامَتَيْنِ هُمَا هُنَالِكَ إِلَى الْيَوْم، وَانْتَشَأَ بِعِمَارَة هذا الحِكْر بِظَاهِرِهِ سُوقٌ وَجَامِعٌ، وَعَمَّرَ مَا عَلَى الْبُوْكَة أَيْضًا، وَاتَّصَلَتِ الْعِمَارَة مِنْهُ فِي الْجَانِبَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ مِصْر. وَاتَّصَلَتْ بِهِ عِمَارَتَانِ أَيْضًا ظَاهِرِ الْقَاهِرَة، بَعْدَمَا كَانَ مَوْضِعُ هَذَا الْحِكْرِ مَخُوفًا يَقْطَعُ فِيهِ الزُّعْمَارُ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَّة مِنَ الْقَاهِرَة إِلَى مِصْر، وَكَانَ وَالِي مِصْر يَخْتِاجُ إِلَى أَنْ يَرْكُزَ جَمَاعَةً مِنْ أَغْوَانِهِ بِهَذَا الْمَكَانِ لِحِفْظِ مَنْ يَمُرُّ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَصَارَ لَمَّا حَكِرَ كَأَنَّهُ مَدِينَة كَبِيرَة، وَهُوَ إِلَى الْآنَ عَامِرٌ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَسْكُنُهُ الْأَمْرَاءُ وَالْأَجْنَادُ.

وهذا الحِكْرُ كَانَ يُعْرَف قَدِيمًا بِالْحَفْرَاءِ الدُّنْيَا - وَقَدْ دُبِرَ خَيْرُ الْحَفْرَاوَاتِ الثَّلَاثِ عِنْدَ ذِكْرِ خُطَطِ مَدِينَةِ قُسْطُلَاطِ مِصْرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٩ - وَفِي هَذَا الْحِكْرِ أَيْضًا كَانَتْ قَنْطَرَة عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ

(a) بولاق : جنكل . (b) بولاق : الأدر .

= (استدراكات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٧: ٣٨٧، المقريزي: مسودة المخطوط ١٦١ و١٦٢ وعن المدرسة الأقباضية انظر فيما يلي ٢٣٨٣:٢ - ٣٨٤.

^١ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١، أبو المحاسن: النجوم

^٢ انظر عن الأمير جُنْكَلِي بن البابا، فيما يلي ٤٤٧.

^٣ انظر عن الأمير جُنْكَلِي بن البابا، فيما يلي ٥١٧-٥١٢:٢. ^٤ فيما تقدم ٣٨:٢ - ٣٩.

مَزَوَان التي بناها على الخليج ليَتَوَصَّلَ منها إلى جَنَان الزُّهْرِي ، وبعضُ هذا الحِجْر مِمَّا انْحَسَرَ عنه الثَّلُيْلُ ، وهي القطعة التي تلي قَنْطَرَةَ السَّد .

حِكْرُ السَّتِّ حَذَقْ

هذا الحِجْرُ يُعْرَفُ اليوم بالمَريس ، وكان بساتين من بعضها بُسْتَانُ الحَشَّاب^١ ،^(٢) فحِجْرٌ ونُسِبَ لِلدَّادَةِ السَّتِّ^(٣) حَذَقْ ، من أَجْلِ أَنَّهَا أَتَتْهَا هُنَاكَ جَامِعًا كَانَ مَوْضِعُهُ مَنظَرَةُ الشُّكْرَةِ^٤ ، فَبَنَى النَّاسُ حوله .

وأكثر من كان يَسْكُنُ هناك السُّودَان ، وبه يُتَّخَذُ المِزْرُ ومَأْوَى أَهْلِ القَوَاجِش والقَادُورَات وصَارَ بِهِ عِدَّةُ مَسَاكِينٍ وَسُوقٌ كَبِيرٌ يَحْتَاجُ مُخْتَصِبَ القَاهِرَةِ أَنْ يُقِيمَ بِهِ نَائِيًا عنه لِلتَّكْشِفِ عما يُبَاعُ فِيهِ مِنَ المَعَايِش .^٥

وقد أَذْرَكْنَا المَريسَ عَلَى غَايَةِ مِنَ العِمَارَةِ ، لِأَنََّّهُ قَدْ اخْتَلَّ مِنْذُ حَدَثَتِ الحَوَادِثُ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَبِهِ إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ مِنْ فَسَادٍ كَبِيرٍ .

حِكْرُ السَّتِّ مِشْكَةٌ

هذا الحِجْرُ بِسُوءِ تَقَرُّقِ السَّبَّاعِينَ يُقْرَبُ حِكْرُ السَّتِّ حَذَقْ . عُرِفَ^(٦) بِاللَّادَةِ السَّتِّ^(٧) مِشْكَةً^٨

a-a) من المسودة ، وفي سائر النسخ : فَعْرِفَ بِالسَّتِّ . b-b) من المسودة ، وفي سائر النسخ : بِالسَّتِّ .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٦١ و .

^٢ اعتبر المقرئ في هذا الفصل السَّتِّ حَذَقْ والسَّتِّ مِشْكَةً امرأتين ، ولكنَّ نَصًّا آخرَ للمقرئ يثبت أَنَّ السَّتِّ حَذَقْ هي بذاتها السَّتِّ مِشْكَةٌ ، حيث يذكر في موضعين من الشلوك (٢ : ٢٣٥ ، ٥٤٣) : «الدَّادَةُ حَذَقْ المعروفة باسم بيت مِشْكَةَ القَهْرَمَانَةِ» ، وكما جاء في نَصِّ الكتابة التاريخية المنقوشة على لَوْحٍ مِنَ الرِّخَامِ مِثْبَتٍ بِأَعْلَى باب جامع السَّتِّ مِشْكَةَ القَاهِمِ الْآنَ بِمِشْكَةِ سُوقِ مِشْكَةَ ، بَأَنَّ التي أَمَرَتْ بِإِنشَائِهِ «الشَّيْخُ الرَّفِيعُ حَذَقْ المعروفة بِبَيْتِ مِشْكَةَ النَّاصِرِيَةِ فِي =

^١ كان القسم الشرقي من بُسْتَانِ الحَشَّابِ (فيما يلي الذي يعادل الْآنَ المنطقة الواقعة بين شارع الشيخ علي يوسف بالمنيرة وشارع بورسعيد - يُعْرَفُ بِالْمَريس .
^٢ حاشية بخط المؤلف : «السَّتِّ ليس من كلام القَرَب ولا يُصَوِّبُونَهُ ، إِلَّا أَنَّ ابْنَ خَالَوَيْهِ قَالَ : أَنَاوَلَهُ وَأَخْلَدَهُ مِنَ السَّتِّ فِي القَدَدِ ، وَذَلِكَ أَنَّ المَعْنَى أَنَّهَا تَعْتَمِدُ وَتُحْتَمِزُ مِنْ جِهَاتِهَا السَّتِّ» .

^٣ فيما تقدم ٢ : ٥٣٧ - ٥٣٨ ؛ وفيما يلي ٢ : ٣١٣ .

^٤ المِزْرُ نوعٌ مِنَ البُيُوتَةِ يُسَمَّى بِأَهْلِ السُّودَانِ المَريسِيَةِ .

لأنَّها أنشأت به جامعاً^١. وهذا الحِكْرُ كان من جملة الزُّهري، ثم أُفرد وصارَ بُشْتَانًا تَنَقَّلُ إلى جماعةٍ كثيرة.

فلَمَّا عُبُثَتِ الشَّيْءُ مِسْكَةٌ في هذا الحِكْرُ الجامع، بَنَى النَّاسُ حَوْلَهُ حَتَّى صَارَ مُتَّصِلًا بِالْعِمَارَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِ، وَسَكَنَهُ الْأُمَرَاءُ وَالْأَغْيَانُ، وَأَنْشَأُوا بِهِ الْأَسْوَاقَ وَالْحَقَامَاتِ^٢ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وكانت حَذَقَ وَمِسْكَةٌ مِنْ جَوَارِي السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، نَشَأَتْ فِي دَارِهِ، وَصَارَتْ قَهْرْمَانَتَيْنِ لَبِيتَ السُّلْطَانُ يُقْتَدَى بِرَأْيِهِمَا فِي عَمَلِ الْأَعْرَاسِ السُّلْطَانِيَةِ وَالْمُهِمَّاتِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي تُعْمَلُ فِي الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ وَتَرْتِيبِ شُقُونِ الْحَرِيمِ السُّلْطَانِيِّ وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِ السُّلْطَانِ. وَطَالَ عُمْرُهُمَا، وَصَارَ لِهَمَا مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ وَالشَّعَادَاتِ الْعَظِيمَةِ مَا يَجِلُّ وَضَفُّهُ، وَصَنَعَ بَرًّا وَمَعْرُوفًا كَثِيرًا، وَاشْتَهَرَا وَيُعَدُّ صَيِّهُمَا وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُمَا^٣.

(a) بولاق : الأسواق والحمامات .

الجنوب بسكة شوق مِسْكَةٌ، ومن الشرق بحارة النصارى، ومن الشمال بشارع دَرْبِ الْحَجَرِ، ومن الغرب بشارع سوقة السَّيَّاحِينَ شمال شارع مجلس الشعب. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٩٦-١٩٧ هـ^٣ تعليقات رمزي بك).

^١ فيما يلي ٢: ٣٢٦.

^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ٦١.

واستخدم المقرئ هنا صيغة المثني في الحديث عن الشَّيْءِ حَذَقَ باعتبارها شخصية مخالفة للشَّيْءِ مِسْكَةٌ، وقد أثبت في الهامش السابق أنهما شخصية واحدة اسمها حَذَقَ واشتهرت باسم مِسْكَةٌ.

= شهر سنة أربعين وسبع مائة (Wiet, G., *RCEA* XV, p. 126 n° 5798)، كما ترجم لها ابن حجر باسم حَذَقَ الْقَهْرْمَانَةُ النَّاصِرِيَّةُ... ويقال لها مِسْكَةٌ (الدرر الكامنة ٢: ٨٧-٨٨).

ويُحَدِّدُ موضع الحِكْرِ الْأَوَّلِ المنطقة التي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الشَّامِلِ بِشَارِعِ الْمَدْرَسَةِ وَمَا فِي امْتِدَادِهِ إِلَى الشَّرْقِ حَتَّى يَتَقَابَلَ مَعَ شَارِعِ الْخَلِيجِ الْمَصْرِيِّ، وَمِنَ الْغَرْبِ شَارِعُ الْمَنِيرَةِ، وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعُ بَسْتَانَ الْفَاضِلِ وَمَا فِي امْتِدَادِهِ إِلَى الشَّرْقِ حَتَّى يَتَقَابَلَ مَعَ شَارِعِ الْخَلِيجِ الْمَصْرِيِّ، وَمِنَ الشَّرْقِ شَارِعُ بَوْرَسَعِيدَ.

أَمَّا الْحِكْرُ الثَّانِي فَيُحَدِّدُ مَوْضِعَهُ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنْ

حِكْرُ طُقْرُذُمُرْ

(٥) بحوار الخليج الكبير (٥)

هذا الحِكْرُ كان بُعْتَانًا يَسَاحَتُهُ نحو الثلاثين قُدَانًا^١، فاشتراه الأمير طُقْرُذُمُرُ الحَمَوِي نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بديار مصر ودمشق، وقُلِّعَ أَشْخَاشَتُهُ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْبِنَاءِ عَلَيْهِ. فَحَكَّرُوهُ، وَأَنْشَأُوا بِهِ الدَّوْرَ الْجَلِيلَةَ، وَاتَّصَلَتْ عِمَارَةُ النَّاسِ فِيهِ بِسَائِرِ الْعَمَائِرِ مِنْ جِهَاتِهِ. وَأَنْشَأَ أَيْضًا الْأَمِيرُ طُقْرُذُمُرُ^٥ عَلَى الْخَلِيجِ قَنْطَرَةً لِيَمُرَّ عَلَيْهَا مِنْ حُطِّ الْمَسْجِدِ الْمُتَعَلِّقِ إِلَى هَذَا الْحِكْرِ^٢.

وصارَ هذا الحِكْرُ مَسْكَنَ الْأَمْزَاءِ وَالْأَجْنَادِ، وَبِهِ الشُّوقُ وَالْحَقَامَاتُ وَالْمَسَاجِدُ وَغَيْرُهَا، وَهُوَ مِمَّا عُمِّرَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ. وَمَاتَ طُقْرُذُمُرُ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ مَسْتَهْلًا جُمَادَى الْآخِرَةَ/ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ^٣.

١١٧:٢

أَرْضِي^٥ اللُّوق

١٠

يُقَالُ لَأَقِ الشَّيْءِ لَوْقًا، وَلَوْقُهُ: لَيْتُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا أَكُلُ إِلَّا مَا لَوْقَ لِي». وَلَوْاقُ أَرْضٍ مَعْرُوفَةٌ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ^٤.

(B-a) إضافة من مسودة الخطط. (b) بولاق: وأنشأ الأمير طقردمر فيه أيضًا. (c) إضافة من مسودة الخطط.

^١ حِكْرُ طُقْرُذُمُرْ كان يقع على الجانب الغربي للخليج المصري، ويخُدُّ مُحَمَّدُ بَكْ رَمَزِي مَوْقِعَهُ - تَبَقًا لِتَقْدِيرِ الْمُقْرِيزِيِّ لِمَسَاحَتِهِ - فِي الْمَنْطَقَةِ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الشَّمَالِ بِسِكَّةِ شُوقٍ بِسِكَّةٍ وَحَازَةِ الْقُقُوسَةِ، وَمِنَ الْغَرْبِ شَارِعُ النَّاصِرِيَّةِ، وَمِنَ الْجَنُوبِ حَارَةُ قَوَاوِيرٍ وَعُطْفَةُ مَرْزُوقٍ (وَهُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ قَدِيمًا بَيْنَ هَذَا الْحِكْرِ وَحِكْرِ قَوْضُونٍ) (فِي مَا تَقْدُمُ ٣٨٢-٣٨٣)، وَمِنَ الشَّرْقِ شَارِعُ بُورْسَعِيدٍ (الْخَلِيجُ الْمِصْرِي).

^٢ فِيمَا يَلِي ٤٩٢.

^٣ مَسُودَةُ الْخَطِّ ٦٠-٦١ وَ الْأَمِيرُ سَيِّفُ الدِّينِ

الصَّافِي يَلِي ٤٢٠-٤٢٢)، وَفِي مَا يَلِي ٤٩٢.

^٤ ابْنُ سَيِّدِهِ: الْحَكْمُ ٦: ٣٤٩.

طُقْرُذُمُرُ (طُقْرُذُمُرُ الْحَمَوِي النَّاصِرِي الشَّافِي، نَائِبُ السُّلْطَنَةِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٤٦/١٣٤٥م)، يُنْسَبُ إِلَيْهِ حِكْرُ طُقْرُذُمُرِ وَالْقَنْطَرَةُ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ، وَالزُّبَيْعُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ وَدَارُ الثَّقَافِ وَالْحَقَامُ الَّتِي عِنْدَ قُبْرِ الْكُرْثَانِيِّ. (الصَّفْدِي: أَعْيَانُ الْعَصْرِ ٦١٠:٣-٦١٣، الْوَفَائِي بِالْوَفَائَاتِ ١٦: ٤٦٥-٤٦٨ ابْنُ حَبِيبٍ: تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٣: ٨٠؛ الْمُقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٢: ٦٩٨ ابْنُ حَجَرٍ: الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ ٢: ١٣٢٦ أَبُو الْإِحْسَانِ: الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٦: ٤٢٠-٤٢٢)، وَفِي مَا يَلِي ٤٩٢.

فَكَأَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ لَمَّا انْخَسَرَ عَنْهَا مَاءُ النَّيْلِ كَانَتْ أَرْضًا لَيِّنَةً . وَإِلَى الْآنَ فِي أَرْضِي مِصْرَ مَا إِذَا نَزَلَ عَنْهَا مَاءُ النَّيْلِ ، لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَرْثِ لَلِيْنِهَا ، بَلْ ثَلَاثُ لَوْثًا .

فَصَوَّبُ هَذَا الْمَكَانِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : «أَرْضِي اللُّوقِ» بفتح اللام ، لِأَنَّ النَّاسَ إِثْمًا عَهِدَنَاهُمْ يَقُولُونَ قَدِيمًا : بَابُ اللُّوقِ ، وَأَرْضِي بَابِ اللُّوقِ بضم اللام . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّوقِ بضم اللام وَتَشْدِيدِ الْقَافِ .

قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : وَاللُّوقُ كُلُّ أَرْضٍ شَيْخَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ ، وَاللُّوقُ الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ ، وَمِنْهُ كِتَابُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحَبَّاجِ «لَا تَدَعِ خُفًا وَلَا لُقًا إِلَّا زَرَعْتَهُ» ، حَكَاهُ الْهَرَوِيُّ فِي «الغَرِيِّينَ»^١ .

وَالْحَقُّ - بضم الحاء المعجمة وَتَشْدِيدِ الْقَافِ - الْقَدِيرُ إِذَا بَجَفَ . وَقِيلَ الْحَقُّ مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَاللُّوقُ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا .

وَأَرْضِي اللُّوقِ هَذِهِ كَانَتْ بَسَاتِينَ وَمُزْدَرَعَاتٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا فِي الْقَدِيمِ بِنَاءُ أَلْبَنَةِ ، لَمْ لَمَّا انْخَسَرَ الْمَاءُ عَنْ مُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ عُمُرَ فِيهَا كَمَا ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٢ .

وَيُطْلَقُ اللُّوقُ فِي زَمَانِنَا عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَابِ اللُّوقِ ، الْمَجَاوِرِ لِجَامِعِ الطَّبَّاخِ الْمُطَّلِّ عَلَى بَوَاكِي الشَّقَافِ ، وَمَا يُسَامَتُهُ إِلَى الْخَلِيجِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِخَلِيجِ فَمِ الْخَنُورِ . وَيَنْتَهِي اللُّوقُ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِلَى مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ ، وَمِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى الدُّكَّةِ بِجَوَارِ الْمَقْصَرِ^٣ .

وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ قَدْ اشْتَرَى قِطْعَةً كَبِيرَةً مِنْ أَرْضِي اللُّوقِ هَذِهِ مِنْ بَنَاتِ الْمَالِ وَغَيْرِهِ بِجُمْلٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَوَقَّفَهَا عَلَى عَيْنِ الْأَزْرَقِ^٤ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَى سَائِكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ

(a) مسودة الخطوط : الموضع المعروف بالدكة من حقوق المقس . (b) بولاق : العين الزرقاء .

لَهَا شَارِعٌ بُشْتَانِ الْفَاضِلِ ، (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الْوَاهِرَةُ ٣٠٨:٦ هـ ، ١٩٣:٩ هـ) .

^١ ابْنُ سَيِّدِهِ : الْحَكَمُ ٣٤٩:٦ .

^٢ فِيمَا تَقْدِمُ ١٦٤:٢ - ١٦٥ .

^٣ عَيْنُ الْأَزْرَقِ ، نَسَبَةٌ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عَرَفَ بِذَلِكَ لُزْرَافَ عَيْنِهِ ، أَجْرَى هَذِهِ الْعَيْنَ بِأَمْرِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، كَانَتْ تَقَعُ فِي ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ قِبَالَ مَصْطَلَى الْعِيدِ . (السَّهَوْدِيُّ : وَفَاءُ الْوَفَا بِأَخْبَارِ دَارِ الْمِصْطَفَى ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، بَيْرُوتَ ١٩٨١ ، ٣ : ٩٨٥ ، ١٩٨٧) .

^٤ الْمَقْرِيْزِيُّ : مَسْوَدَةُ الْخَطِّ ٥٦ ط .

كَانَتْ أَرْضُ اللُّوقِ مَعْدَّةً عَلَى النَّيْلِ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَتَشْمَلُ الْمُنَاطِقَةَ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الشَّمَالِ بِشَارِعِ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ ، وَمِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ رَمْسِيْسِ فِشَارِعِ مَرِيْتِ بَاشَا فَمِيدَانَ التَّحْرِيرِ فِشَارِعِ الْقَصْرِ الْعَيْنِيِّ ، وَالْحَدُّ الْقِبْلِيُّ

والتَّسْلِيم - وعُرِفَتْ هذه الأرضُ بِبُشْتَانِ ابْنِ قُرَيْشٍ ، وبعضُها دَخَلَ فِي المَيْدَانِ الطَّاهِرِي ، وعُوضَ عنها أَرْضٌ بِأَكْثَرِ مِنْ قِيَمَتِهَا . وَكَانَ مُتَحَصِّلُ هَذَا الوَقْفِ يُحْتَمَلُ فِي كُلِّ سَنَةٍ إِلَى المَدِينَةِ لِنَتْفِيطِ العَيْنِ وَنَتْفِيطِ مَجَارِيهَا .

وَأَمَّا الجَانِبُ الغَرْبِيُّ مِنْ خَلِيجِ قَمِ الخَوَرِ - المعروف اليوم بِجُحْرِ ابْنِ الأَثِيرِ ، وبِشَوَيْقَةِ المَوْفَقِ وَمُوزَدَةِ المِلْحِ - وَسَاحِلُ بُولَاقِ كُلِّهِ ، فَإِنَّهُ مُخَدَّتٌ عُمُرٌ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعٍ مِائَةٍ كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى قَرِيبًا ^١ . فَإِنَّ التِّلْ كَانَ يَمُرُّ مِنْ سَاحِلِ الحَمْرَاءِ بِغَرْبِي الزُّهْرِيِّ عَلَى الأَرْضِ التي لَمَّا انْحَسَرَ عنها عُرِفَتْ بِأَرْضِي اللُّوقِ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى سَاحِلِ المَقْسِ ^٢ .

وَكَانَتْ طَاقَاتُ المَنَاظِرِ التي بِالدُّكَّةِ تُشْرِفُ عَلَى التِّلِّ الأعْظَمِ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُؤْيَا بَرِّ الجِيْزَةِ شَيْءٌ ، وَيَمُرُّ التِّلُّ مِنَ الدُّكَّةِ إِلَى المَقْسِ ، وَيَمْتَدُّ إِلَى زَرْيَةِ ^٣ جَامِعِ المَقْسِ الذي هُوَ الْآنَ عَلَى الخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ . ١٠

فَلَمَّا انْحَسَرَ مَاءُ التِّلِّ عَنْ أَرْضِي اللُّوقِ ، اتَّصَلَتْ بِالمَقْسِ ، وَصَارَتْ عِدَّةُ أَمَاكِنَ تُعْرَفُ بِظَاهِرِ اللُّوقِ ، وَهِيَ : بُشْتَانُ ابْنِ ثَعْلَبٍ ، وَمُنْشَأَةُ ابْنِ ثَعْلَبٍ ، وَبَابُ اللُّوقِ ، وَجُحْرُ قُودُمِيَّةٍ ، وَجُحْرُ كَرِيمِ الدِّينِ ، وَرَحْبَةُ الثَّنِ ، وَبُشْتَانُ السَّعِيدِيِّ ، وَبُوكَةُ قَزْمُوطِ ، وَخَوَرُ الصَّغْبِيِّ .

وَصَارَ بَيْنَ اللُّوقِ وَبَيْنَ مُنْشَأَةِ المَهْرَانِيِّ ، التي هِيَ بِأَوَّلِ بَرِّ الخَلِيجِ الغَرْبِيِّ ، مُنْشَأَةُ الفَاضِلِ ، وَالمُنْشَأَةُ المُسْتَعْدَّةُ ، وَجُحْرُ الخَلِيلِيِّ ، وَجُحْرُ السُّنْبَاطِ ^٤ - وَيُعْرَفُ بِجُحْرِ بُشْتَانِ القَاصِدِ - وَجُحْرُ كَرِيمِ الدِّينِ الصَّغِيرِ ، وَجُحْرُ المَطْوُوعِ ، وَجُحْرُ العَيْنِ الزَّرْقَاءِ . ١٥

وَفِي غَرْبِي هَذِهِ المَوَاضِعِ عَلَى شَاطِئِ التِّلِّ زَرْيَةُ ^٥ قَوْصُونِ ^٦ ، وَمُوزَدَةُ البَلَاطِ ، وَمُوزَدَةُ الحَيْسِ ، وَخُطُّ الجَامِعِ الطَّيْبِزِيِّ ، وَزَرْيَةُ ^٧ السُّلْطَانِ ، وَرَفِيعُ بَكْتُمْرِ .

وَأَوَّلُ مَا بُنِيَ الدَّوْرُ لِلشُّكْنَى ^٨ فِي اللُّوقِ أَثَامُ المَلِكِ الطَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَاسَ البَنْدُوقْدَارِيِّ . وَذَلِكَ أَنَّهُ جَهَّزَ كَشَافَةً مِنْ خَوَاصِّهِ ، مَعَ الأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الرُّومِيِّ السُّلَاحِدَارِ وَالأَمِيرِ غَلَاءِ الدِّينِ أَقْ سُنْقَرِ النَّاصِرِيِّ ، لَتَعْرِفَ أَخْبَارَ هُولَاكُو ، وَمَعَهُمْ عِدَّةُ ٢٠

(a) بُولَاقُ : زَرْيَةٍ . (b) بُولَاقُ : السَّابَاطِ . (c) بُولَاقُ : لِلسَّكَنِ .

^١ فِيمَا بَلَى ٤٣٠ - ٤٣٤ . ^٢ انْظُرْ عَنْ زَرْيَةِ قَوْصُونِ فِيمَا بَلَى ٤٣٥ - ٤٣٦ هـ .

^٣ المَغْرِيْزِي : مَسْرُودَةُ الخَطِّ ٥٦ ط - ٥٧ ر .

من الغزبان . فوجدوا طائفة من النثر مُستأمنين وقد عزموا على قُصْد السُلطان بمصر .
وذلك أن الملك بركة خان ملك النثر كان قد بعثهم نجدة لهولاكو ، فلما وَفَّعَ بينهما كَتَبَ
إليهم بركة يأمرهم بمُغَارَفة هولاكو والمصير إليه ، فإن تعذَّر عليهم ذلك صاروا إلى عسكر مصر ،
فإنه كان قد رَكَنَ إلى الملك الظاهر ، وتردَّدت القُصَاذُ بينهم بعد واقعة بَغْدَاد وَرَحِيل هولاكو عن
حلب ، فاخْتَلَفَ هولاكو مع ابن عمه بركة خان وَتَوَاقَعَا ، فقتِلَ وَلَدُ هولاكو في المصاف ، وانهمز
عسكره ، وفرَّ إلى قلعة في بُحَيْرَة أذربيجان .

فلما وَرَدَت الأخبارُ بذلك إلى مصر ، كَتَبَ السُلطانُ إلى نواب الشام يأمرهم وتجهيز
الإقامات لهم ، وبعث إليهم بالخيل والإنعامات فوصلوا إلى ظاهر القاهرة - وهم نيف على مائتي
فارس بنسائهم وأولادهم - في يوم الخميس رابع عشرين ذي الحجة سنة ستين وست مائة . فخرج
السُلطان يوم السبت سادس عشرينه إلى لقاءهم بنفسه ومعه القساكِر ، فلم يبقَ أحدٌ حتى خرج
لمشاهدتهم ، فاجتمع عالمٌ عظيمٌ يُبهرُ رؤيتهم العقول ، وكان يوماً مشهوراً . فأنزلهم السُلطان في
دورٍ كان قد أُمِّرَ بعمارَتها من أجلهم في أراضي اللوق ، وعَمِلَ لهم دَعْوَة عَظِيمَة هناك ، وحَمَلَ
إليهم الخيل والخيل والأموال .

وزكَب السُلطانُ إلى الميْدان ، وأزكَبهم معه للعب الأكرَّة ، وأعطى كُبراءهم أمريات : فمنهم
من عَمِلَه أمير مائة ، ومنهم دون ذلك ، ونَزَلَ بقيتهم من جُمْلَة البُحَيْرَة ، وصارَ كُلُّ منهم من سَعَة
الجال كالأمير في خِدمته الأجناد والغلَّمان وأَفَرَدَ لهم عَدَّة جِهاث يرشُم مُرَتَبهم ، وكثُرَت
يَعْمُهم ، وتظاهروا بدين الإسلام .

فلما / بَلَغَ الشَّارُ ما فَعَلَه السُلطانُ مع هؤلاء ، وَقَدَ عليه منهم جَماعَة بعد جَماعَة ، وهو يُقَالُ لهم بِمَزِيد
الإحْسان . فتكاثروا بديار مصر ، وترايَدَت العمايِرُ في اللوق وما حَوَّلَه ، وصارَ هناك عِدَّة أَحْكَار عابِرة
أَهْلَة ، إلى أن خَرِبَت شيقاً بعد شيء وصارت كيمائاً ، وفيها ما هو عابِرٌ إلى يومنا هذا .
ولما قَدِمَت رُسُلُ القان بركة في سنة إحدى وستين وست مائة ^(٥) ، أنزلهم السُلطان الملك الظاهر
باللوق ، وعَمِلَ لهم فيه مِهْماً ، وصارَ يَزْكَب في كُلِّ سَنَةٍ وثلاثاء للعب الأكرَّة باللوق في الميْدان ^(١) .

(٥) بولاق : وسبع مائة .

ولُفِيَة الكُرَّة (الأكرَّة) التي تُكْرَزُ ذِكْرُها في مواضع =

^١ انظر فيما يلي ٦٢٨ .

وفي سادس ذي الحجة من سنة إحدى وستين ، قَدِمَ من المُغَلِّ والبهاذرية زيادةً على ألف وثلاث مائة فارس ، فَأَتَزَلُّوا في مَسَاكِنِ عُمُرَتِ لَهُم بِاللُّوقِ بأهاليهم وأولادهم . وفي شهر رَجَبِ سنة إحدى وستين وست مائة^٥ قَدِمَتِ رُشْلُ الْمَلِكِ بَرَكَةِ وَرُشْلُ الْأَشْكَرِي ، ففَعِلَتِ لَهُم دَعْوَةً عَظِيمَةً بِاللُّوقِ .

فَأَمَّا بُشْتَانُ ابْنِ تَغَلَبَ

فإنَّهُ كَانَ بُشْتَانًا عَظِيمًا مِسَاحَتُهُ خَمْسَةُ وَسَبْعُونَ فِدَانًا ، فِيهِ سَائِرُ الْقَوَاكِيمِ بِأَسْرِهَا ، وَجَمِيعُ مَا يُؤَدَّرَعُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالشُّجْلِ وَالْكُرُومِ وَالزُّجْجِ وَالْهَلْيُونِ وَالْوَزْدِ وَالشُّشْرِينَ وَالْيَاسَمِينَ وَالْحُرُوحِ وَالْكُمُثْرَى وَالنَّارِجِ وَاللَّيْمُونِ الثَّقَافِي وَاللَّيْمُونِ الْمَرَائِجِي^٦ وَالْمُحَنَّاتِ وَالْجَمِيمِ وَالْقَرَاصِمِ وَالرَّيْثَانِ وَالزَّيْتُونِ وَالثُّوتِ الشَّامِي وَالْمَصْرِي وَالْمَرْسِينَ وَالنَّامِرِجَاتِ وَالْبَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَبِهِ الْآبَارُ الْمَعِينَةُ ، وَلَهُ الْهَمَالِيَّاتُ ، وَفِيهِ مَنَظَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَعِدَّةٌ دُور .

وَمِنْ حُقُوقِ هَذَا الْبُشْتَانِ الْأَرْضُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبِرَكَةِ قَزُومُوطَ ، وَالْأَرْضُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْحَوْرِ قُبَالَةَ الْأَرْضِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْبَيْضَاءِ بِجَوَارِ بُشْتَانِ السَّرَّاجِ ، وَبُشْتَانِ الزُّهْرِي ، وَبُشْتَانِ الْبُورْجِي فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْبُشْتَانَيْنِ وَبَيْنَ خَلِيجِ الدَّكْرِ^٧ وَالْمَقْسِ .

(a) بولاق : وسبع مائة . (b) بولاق : الراكب . (c) بولاق : خليج الدكة .

= كثيرة من كتاب الخطط ، أخذت اللغات إلى بَلاط الملوك والسلاطين ، ومن أوَّل من لعبها في مصر الأمير أحمد ابن طولون والوزير الفاطمي أبي علي الأَفْعَلُ كُنُفَات . ويُعْرَفُ أَيْضًا بِالصُّوَالِجَةِ أَوْ الْجُوكَانَ ، وَهِيَ دُونَ شَكِّ اللَّعْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِالْبُولُو Polo . وَيُلَقَّبُ الَّذِي يَحْمِلُ الْجُوكَانَ مَعَ السُّلْطَانِ فِي لَعْبِ الْكُرَةِ : «الْجُوكَانْدَار» وَيُجْمَعُ عَلَى «الْجُوكَانْدَارِيَّة» ، وَهُوَ مَرْكَبٌ مِنْ لَفْظَيْنِ فَارِسِيَيْنِ : إحداهما جُوكَانَ ، وَهُوَ الْخَيْلُ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الْكُرَةُ وَيُغَيَّرُ عَنْهُ بِالصُّوَالِجَانِ أَيْضًا ، وَالثَّانِي دَارُ ، وَمَعْنَاهَا تُمْلِكُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : تُمْلِكُ الْجُوكَانَ ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ «الْجُوكَنْدَار» بِخَذْفِ الرَّوَاكِعِ الْهَيْمِ وَالْأَلْفِ بَعْدَ الْكَافِ . (الفلقشندي : صبح الأعشى ٥ : ٤٥٨ ؛ السبكي : معبد النعم ومبيد النقم ٣٥ ؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ١ : ٣٧٣-٣٧٧) . وَالْجُوكَانَ غَضًا مَدَهُونَةً طَوَّلَهَا نَحْوَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَذْرُعَ ، وَرَأْسُهَا خَشَبِيَّةٌ مَخْرُوطَةٌ مَعْقُوفَةٌ تَزِيدُ عَنْ نِصْفِ ذِرَاعٍ . (المقريزي : السلوك ١ : ٤٣٥ هـ) . وَكَانَ إِنْشَاءُ أَغْلَبِ هَذِهِ الْمَادِينِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُقْرِيزِيُّ (فِيمَا بَلِي ٦٢٥-٦٣٦) يَفْرُضُ لَعِبَ لَعْبَةِ الْكُرَةِ أَوْ الْبُولُو Polo . (لتفاصيل أكثر حول تاريخ هذه اللَّعْبَةِ وَعَلَى الْأَخَصِّ فِي عَصْرِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ ، رَاجِعْ «Deux jeux sportifs au temps des Mamlûks», *Ann. Isl.* XII (1974), pp. 107-30 .

وكان على بُيُوتَانِ ابْنِ ثَعْلَبٍ سُورٌ مَبْنِيٌّ وَلَهُ بَابٌ جَلِيلٌ ، وَخُدَّةُ الْقِبْلِيِّ إِلَى مُنْشَأَةِ ابْنِ ثَعْلَبٍ ، وَخُدَّةُ الْبَحْرِيِّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُجَاوِرَةِ لِلْمِيدَانِ الصَّالِحِيِّ^١ ، وَإِلَى أَرْضِ الْجَزَائِرِ ، وَفِي هَذَا الْحَدِّ أَرْضُ الْخَوَرِ وَهِيَ مِنْ مَحْقُوقَةٍ . وَخُدَّةُ الشَّرْقِيِّ إِلَى بُيُوتَانِ الدُّكَّةِ وَبُيُوتَانِ الْأَمِيرِ قَرَأُوشَ . وَخُدَّةُ الْغَرْبِيِّ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ فِيهَا إِلَى مَوْزِدَةِ الشُّقَاتَيْنِ قُبَالَةَ بُيُوتَانِ السَّرَاجِ ، وَمَوْزِدَةِ الشُّقَاتَيْنِ هَذِهِ مَوْضِعُ قَنْطَرَةِ الْخَوَرِ الْآنَ^٢ .

وَإِبْنُ ثَعْلَبٍ هَذَا هُوَ الشَّرِيفُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ فَخْرُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ ثَعْلَبِ الْجَعْفَرِيِّ الرَّيْثِيِّ ، أَخَذَ أَمْرَاءَ مِصْرَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيِّفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ وَغَيْرِهِ ، وَصَاحِبُ الْمَدْرَسَةِ الشَّرِيفِيَّةِ بِجَوَارِ دَرْبِ كَزَكَامَةِ عَلَى رَأْسِ حَازَةِ الْجَوْدَرِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ^٣ .

وَانْتَقَلَ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى ابْنِهِ الْأَمِيرِ حِصْنِ الدِّينِ ثَعْلَبٍ ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي ، بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ ، فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَكَانَ بَابُ هَذَا الْبُيُوتَانِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ بَابُ اللُّوقِ . وَكَانَ هَذَا الْبُيُوتَانُ يَنْتَهِي إِلَى خَلِيجِ الْخَوَرِ ، وَآخِرُهُ مِنَ الْمَشْرِقِ يَنْتَهِي إِلَى الدُّكَّةِ بِجَوَارِ الْمَقْسِ . ثُمَّ انْقَسَمَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعًا ، وَحُكِرَتْ أَكْثَرُ أَرْضِهِ وَبَنَى النَّاسُ عَلَيْهَا الدُّوَرِ وَغَيْرَهَا . وَبَقِيَ مِنْهُ إِلَى الْآنَ قِطْعَةٌ عُرِفَتْ بِبُيُوتَانِ الْأَمِيرِ أَرْغَوْنَ الثَّائِبِ بِدِيَارِ مِصْرَ أَيَّامَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ بِبُيُوتَانِ ابْنِ غُرَابِ .

وَهُوَ الْآنَ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، عَلَى يَمْنَةٍ مِنْ سَلَكٍ مِنْ قَنْطَرَةِ قَدَادَارٍ بِشَاطِئِ الْخَلِيَةِ مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ إِلَى بَرْكَةِ قَرُومُوطَ ، وَبَقِيَ مِنْ بُيُوتَانِ ابْنِ ثَعْلَبٍ قِطْعَةٌ تُعْرَفُ بِبُيُوتَانِ بِنْتِ الْأَمِيرِ يَتِيمَزِ إِلَى الْآنَ ، وَهُوَ وَقُفٌّ . وَمِنْ جَمَلَةِ بُيُوتَانِ ابْنِ ثَعْلَبٍ أَيْضًا الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعْرَفُ بِبَرْكَةِ قَرُومُوطَ ، وَالْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ بِقَمِّ الْخَوَرِ .

وَأَمَّا مُنْشَأَةُ ابْنِ ثَعْلَبٍ

فَإِنَّهَا بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ اللُّوقِ ، وَحُكِرَتْ فِي أَيَّامِ الشَّرِيفِ فَخْرِ الدِّينِ بْنِ ثَعْلَبِ الْمَذْكُورِ فَفُرِقَتْ بِهِ ، وَهِيَ تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمُنْشَأَةِ الْجَوَانِيَّةِ لِأَنَّ الْجَوَانِيَّةَ الْعَنَمَ كَانُوا يَسْكُنُونَ فِيهَا فَفُرِقَتْ بِهِمْ . وَأَذْرَكْنَاهَا

^٢ انظر فيما يلي ٤٩٢ - ٤٩٣ .

^٣ انظر فيما يلي ٣٧٢ : ٢ .

^١ حاشية بخط المؤلف : الْمِيدَانُ الصَّالِحِيُّ مَوْضِعُهُ الْآنَ مِنْ جَامِعِ الطَّبَاحِ بِبَابِ اللُّوقِ إِلَى قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ . وَانْظُرْ فِيهَا يَلِي ٦٢٦ - ٦٢٧ .

في غاية العِمارة بالنَّاس والمساكن والحَوَانيت وغيرها ، وقد اخْتَلَّتْ بعد سنة ست وثمان مائة ،
وأكثرها الآن زَرَائِبٌ لِلْبَقَرِ^١ .

وَأَمَّا بَابُ اللُّوقِ

فإنَّه كان هناك ، إلى ما بعد سنة أربعين وسبع مائة بمُدَّة ، بابٌ كبيرٌ عليه طَوَارِقُ حَرِيَّة مَذْهُونَةٍ ،
على ما كانت العَادَةُ في أَبْوَابِ القَاهِرَةِ وَأَبْوَابِ القَلْعَةِ وَأَبْوَابِ بُيُوتِ الأَمْراء ، (٢) وَأَذْرَكْنَا عَمَلَ ذَلِكَ
ولكنَّه بَطَلَ مِنَ الأَهْثَامِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزُفُوقِ^(٣) ، وكان يُقَالُ له «باب اللُّوقِ» . فلَمَّا أنشأ القاضي صَلَاحُ
الدِّين ^(٤) ابنُ المَغْرِبِي قَيْسَارِيَّتَهُ التي بِيَابِ اللُّوقِ ، وجَعَلَهَا لِبَيْعِ غَزْلِ الكَثَّانِ ، هَدَمَ هذا
البابَ وجَعَلَهُ فِي الرُّكْنِ مِنْ جِدَارِ القَيْسَارِيَّةِ القِبْلِيِّ مِمَّا يَلِي الْغَرْبِي^٢ . وهذا هو بابُ المَيْدَانِ الَّذِي
أَنشأهُ المَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الكَامِلِ لَمَّا اشْتَرَى بُشْتَانَ ابنِ ثَغْلَبِ . وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذا
المَيْدَانِ عِنْدَ ذِكْرِ المِيَادِينَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ .

وَأَمَّا حِكْرُ قَرْيَمِيَّةَ

فإنَّه على يَمِينَةٍ مِنْ سَلَكِ مِنْ بَابِ اللُّوقِ الْمَذْكُورِ إِلَى قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ ، وكان مِنْ مَجْمَعَةِ بُشْتَانَ ابنِ
ثَغْلَبِ فَحَكِرَ ، وصَارَ أَخِيرًا بِيَدِ وَرَثَةِ الأَمِيرِ قَوْضُونَ .
وكان حِكْرًا عَامِرًا إِلَى ما بعد سنة تسع وأربعين وسبع مائة ، فَحَرِبَ عِنْدَ وَقُوعِ الزَّوْبَاءِ الْكَبِيرِ
بِمَصْرَ ، وَخَفِرَتْ أَرْضِيهِ وَأُجِدَ طَيْثُهَا ، فَصَارَتْ بِرُكَّةِ مَاءٍ عَلَيْهَا كَيْمَانٌ خَلْفَ الدُّورِ الَّتِي عَلَى
الشَّارِعِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ^٤ .

وَأَمَّا حِكْرُ كَرِيمِ الدِّينِ

فإنَّه على يَسْرَةِ مِنْ سَلَكِ مِنْ بَابِ اللُّوقِ إِلَى رَحْبَةِ الثُّبْنِ وَالِي الدُّكَّةِ ، / وكان يُعْرَفُ

(٢-٣) إضافة من مسودة الخطط . (٤) بياض في أبياصونيا .

^١ المغربي : مسودة الخطط ٥٨ ط . المذكور .

^٢ نفسه ٥٨ ، وفيه : «ولعل هذا الباب هو باب بُشْتَانَ

^٣ فيما يلي ٦٢٦ - ٦٢٧ .

الشريف بن ثغلب المذكور فإن هذا الموضع من حقوق البشتان

^٤ المغربي : مسودة الخطط ٥٨ ط .

قبل كَرِيم الدِّين بِحُكْمِ الصُّهْبُونِي . وهذا الحِكْمُ الآنَ آيِلٌ إِلَى الدُّثُورِ^١ .

وَأَمَّا رَحْبَةُ الثَّيْنِ

فإنَّهَا فِي بَحْرِي مُنْشَأَةُ الْجَوَانِيَةِ ، شَارِعَةٌ فِي الطَّرِيقِ الْعُظْمَى الَّتِي يُسَلِّكُ فِيهَا إِلَى قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ مِنْ رَحْبَةِ بَابِ اللُّوقِ . عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَتْ الْأَحْمَالُ^(a) الثَّيْنِ تَقِفُ بِهَا لِثَبَاعِ هُنَاكَ ، فَإِنَّ الْقَاهِرَةَ كَانَتْ تُوقِّرُ مِنْ مُزُورِ أَحْمَالِ الثَّيْنِ وَالْحَطَبِ وَنَحْوَهُمَا بِهَا . ثُمَّ اخْتِطَّتْ مِنْ جَمَلَةٍ مَا اخْتِطَّتْ^٥ فِي غَرْبِي الْخَلِيجِ ، وَصَارَ بِهَا عِدَّةُ مَسَاكِينِ وَسُوقٌ كَبِيرٌ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُهُ غَاصًّا بِالْعِمَارَةِ ، وَأَمَّا اخْتَلُّ حَالُ هَذَا الْخَطِّ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانٍ مِائَةٍ^٢ .

وَأَمَّا بُسْتَانُ السَّعِيدِي

فإنَّهُ يُشْرِفُ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَأَدْرَكْنَا مَا حَوْلَهُ عَامِرًا . وَقَدْ خَرِبَتْ الدُّوَرُ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ مِنْ جِهَةِ الطَّرِيقِ الشَّارِعِ مِنْ بَابِ اللُّوقِ إِلَى الدُّكَّةِ ، وَبِهَا بَقِيَّةُ آيَلَةٍ إِلَى الدُّثُورِ^٣ .

وَأَمَّا بَرْكَةُ قَزَمُوط

فإنَّهَا مِنْ حُقُوقِ بُسْتَانِ الشَّرِيفِ^(b) ابْنِ ثَعْلَبٍ . وَلَمَّا حَقَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَاوُونَ الْخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ رَمَى فِيهَا مَا خَرَجَ عِنْدَ حَقَرِهِ مِنَ الطُّيْنِ ، وَأَدْرَكْنَاهَا مِنْ أَعْمَرِ بَقْعَةٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ ، وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْبَرْكِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٤ .

وَأَمَّا الْحُورُ

فإنَّ الْحُورَ فِي اللَّغَةِ مَصْبُ الْمَاءِ ، وَهُوَ هُنَا اسْمٌ لِلْأَرْضِ الَّتِي مَا بَيْنَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ وَالْخَلِيجِ الَّذِي يُعْرَفُ بِقَمِ الْحُورِ ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ جَمَلَةِ بُسْتَانِ ابْنِ ثَعْلَبٍ . وَكَانَ يُعْرَفُ بِالْحُورِ

(a) بولاق : أحمال . (b) إضافة من مسودة المخطوط .

^٣ نفسه ٥٥٩ .

^١ المقرئ : مسودة المخطوط ٥٥٨ .

^٤ نفسه ٥٥٩ و١٥٤٨ وفيما يلي ٥٤٨ .

^٢ نفسه ٥٥٨ - ٥٥٩ (باختصار) .

الصَّغْبِي؛ لَأَنَّهُ كَانَتْ بِهِ مَنَاظِرُ تُعْرَفُ بِـ «مَنَاظِرِ الصَّغْبِي»^(a)، تُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ خَرِبَتْ الْآنَ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهَا أَثَرٌ. وَكَانَ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ - فِي هَذَا الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي نَحْنُ فِي ذِكْرِهِ، بِجَوَارِ بُسْتَانِ الْحَشَّابِ الَّذِي كَانَ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ قَنْطَرَةِ الشَّدِّ، وَبَعْضُهُ الْآنَ الْمَيْدَانُ السُّلْطَانِي - بُسْتَانٌ يُعْرَفُ بِالْجَزِيرَةِ - أَغْنَى بُسْتَانِ الْجَزِيرَةِ الْمَعْرُوفِ بِالصَّغْبِي - وَكَانَ مِنَ الْبُسَاتِينِ الْجَلِيلَةِ.

وَهَذَا الصَّغْبِي هُوَ الشَّيْخُ كَرِيمُ الدَّوْلَةِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي الصَّغْبِي، مَاتَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّ مِائَةٍ بِمِصْرَ. وَ^(b) لَا أَذْرِي هَلْ هُوَ الَّذِي تُسَمِّيَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْمَنَاظِرُ أَوْ^(c) كَانَ لَهُ أَخٌ يُعْرَفُ بِعَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّغْبِي. وَلَمَّا انْحَسَرَ مَاءُ النَّيْلِ عَنِ الرُّمْلَةِ الَّتِي قِيلَ لَهَا مُنْبِئَةٌ بِوِلَاقِ تَجَاهِ الْمَقْسِ، وَعُمِّرَتْ هُنَاكَ الدُّورُ^١، انْتَصَلَتْ مِنْ قِبَلِهَا بِالْخَوَرِ، وَأَنْشَأَ بِشَاطِئِ النَّيْلِ الَّذِي بِالْخَوَرِ دُورٌ تَجِيلٌ عَنِ الْوَصْفِ، وَانْتَضَمَتْ صَفًّا وَاحِدًا مِنْ بُولَاقٍ إِلَى مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي وَمَوْزِدَةِ الْحَلْفَاءِ، وَمِنْ مَوْزِدَةِ الْحَلْفَاءِ عَلَى سَاحِلِ مِصْرِ الْجَدِيدِ إِلَى ذَنْبِ الطُّيْنِ غَرْبِي بِرُكَّةِ الْحَيْشِ، لَوْ أُحْصِيَ مَا أُتِفِقَ عَلَى بِنَاءِ هَذِهِ الدُّورِ لَقَامَ بِخَرَاكِ مِصْرَ أَيْامَ كَانَتْ عَامِرَةً، وَقَدْ خَرِبَتْ مُعْظَمُهَا مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ^٢. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ مُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ^٣.

وَأَمَّا «جِكْرُ الشُّبَّاطِ»^(d) وَ«جِكْرُ كَرِيمِ الدِّينِ الصَّغِيرِ» وَ«جِكْرُ الْمُطَوَّعِ» وَ«جِكْرُ الْعَيْنِ الزَّرْقَاءِ»، فَإِنَّهَا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَيْدَانِ الْكَبِيرِ السُّلْطَانِي، وَقَدْ خَرِبَتْ بَعْدَمَا كَانَتْ عَامِرَةً بِالْأُورِ وَالْمُنْتَزَهَاتِ.

(a) مسودة الخطط : ويقال الخور ومناظر الصغي . (b-b) إضافة من مسودة الخطط . (c) بولاق : الساباط .

^١ فيما يلي ٤٣٠-٤٣٤.

^٢ المقرئ : مسودة الخطط ٥٩ ط .

الجليلة والحمامات والبساتين. فلما كان بعد سنة ست وثمان مائة انطرد النيل عن هذا الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي وكثرت الجوانح وتجاوز أمدا القلاء، فأخذ الناس في عدم تلك الدور ويتبع ألقاضها حتى خربت كلها ولم يبق منها إلا معالم أطلالي خاوية. وهذا الخليج - أعني خليج فم الخور - هو الذي كان يدشّل منه الماء إلى خليج الذكر كما يأتي ذكره. (فيما يلي ٤٧٩).

^٣ فيما تقدم ١٦٤:٢-١٦٥.

والنص فيه أكثر تفصيلاً يقول: «وَأَذْرَكْنَا بِهَذَا الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْخَوَرِ مِنَ الدُّورِ الْمُطْلَعَةِ عَلَى النَّيْلِ مَا يَتَجَاوَزُ عِدَدَ الْمِائِينَ صَفًّا مُنْتَظِمًا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ مِنْ زُرِّيَّةٍ قَوْضُونَ إِلَى بُولَاقٍ بَلَّتْ الثَّمَنَةُ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا الْأَلْفُ مِنْ مِثْقَالِ الذَّهَبِ يَمْشِكُهَا وَجْهُ النَّاسِ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْقَضَاةِ وَالْأَغْنِيَاءِ، فِيهَا عِدَّةُ أَرْقَةِ وَفُزُوبٍ وَمِنْ وَرَائِهَا الْأَشْوَاقُ

جُكْرُ^١ بُسْتَانِ الْعِدَّة

هذا المكان من جُمْلَةِ الْأَحْكَارِ الَّتِي فِي غَرْبِي الْخَلِيجِ ، وَهُوَ بِجَوَارِ قَنْطَرَةِ الْخَرْقِ وَبِجَوَارِ جُكْرِ الثُّوبِي ، قَرِيبٌ مِنْ بَابِ الْلُوقِ^(أ) نِجَاهِ الدُّورِ الْمُطَّلَةِ عَلَى الْخَلِيجِ مِنْ شَرْقِيهِ ، الْمَقَابِلَةِ لِبَابِ سَعَادَةِ وَحَارَةِ الْوَزِيرِيَّةِ . كَانَ بُسْتَانًا جَلِيلًا ، وَقَفَّهَ الْأَمِيرُ فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ بِدُرِّ بْنِ زُرَّيْكَ أَخُو الصَّالِحِ طَلَّاحِ بْنِ زُرَّيْكَ ، صَاحِبِ جَامِعِ الصَّالِحِ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَخَرَّبَ فَحُكِرَ ، وَبُنِيَ عَلَيْهِ عِدَّةُ مَسَاكِينِ . وَجُكْرُهُ يَتَعَاطَاهُ وَرَثَةُ فَارِسِ الْمُسْلِمِينَ^١ .

جُكْرُ جَوْهَرِ الثُّوبِي

هذا الجُكْرُ نِجَاهَ الْحَارَةِ الْوَزِيرِيَّةِ مِنْ بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ فِي شَرْقِي بُسْتَانِ الْعِدَّةِ ، وَيُسَلِّكُ مِنْهُ إِلَى قَنْطَرَةِ أَمِيرِ حُسَيْنٍ مِنْ طَرِيقِ نِجَاهِ بَابِ جَامِعِ أَمِيرِ حُسَيْنٍ الَّذِي تَقْلُوهُ الْبُقْدَنَةُ . وَمَا زَالَ بُسْتَانًا إِلَى نَحْوِ سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَحُكِرَ وَبُنِيَ فِيهِ الدُّورُ فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ يَبِينُ^٢ .

وَعُرِفَ بِجَوْهَرِ الثُّوبِي أَخِي الْأُمَرَاءِ فِي الْأَيَّامِ الْكَامِلِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِدِيَارِ مِصْرَ تَقْدِيمًا زَائِدًا ، وَكَانَ خَصِيصًا ، وَهُوَ مِمَّنْ نَازَ عَلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْكَامِلِ وَخَلَفَهُ . فَلَمَّا مَلَكَ الصَّالِحُ تَجَمُّعَ الدُّنْيَا يُوبَ بْنَ الْكَامِلِ بَعْدَ أَخِيهِ الْعَادِلِ ، قَبِضَ عَلَى جَوْهَرٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ^٣ .

(أ) إضافة من مسودة الخطط . (ب) النص في مسودة الخطط : وهو بجوار قنطرة الخرق على يمينه من سلك إلى اللوق ، ويجاور حكر الثوبي من الحد الشرقي ، وينتهي من جهة هذا الحد إلى الطريق المسلك من منظر أمير حسين الشارعة من على باب الجامع المذكور الذي يعلوه المأذنة .

^٣ المقرئ : السلوك ١ : ٣٠٠ .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٤٥٤ ط-٥٥٥ .

وَيُذَلُّ عَلَى مَوْضِعِ بُسْتَانِ (خِط) الْعِدَّةِ الْآنَ الْمَنْطَقَةُ الْوَاقِعَةُ شِمَالَ حَارَةِ الْأَمِيرِ حُسَيْنِ الَّتِي بِنِهَا حَارَةُ أَبُو يَظْفَرَةَ وَتَرْبُ الْعَوَالِمِ وَمَحَلُّ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَتَحِفِ الْفَنِّ الْإِسْلَامِيِّ . (أَبُو الْحَسَنِ : النجوم الزاهرة ١١ : ١٨٥-١٨٦ هـ) .

^٢ نفسه ٥٥٥ .

وَيُذَلُّ عَلَى مَوْضِعِ جُكْرِ جَوْهَرِ الثُّوبِي الْمَنْطَقَةُ الْوَاقِعَةُ شِمَالَ بَسْتَانِ الْعِدَّةِ حَيْثُ يَوْجَدُ جَامِعُ الْأَمِيرِ حُسَيْنِ وَمَدْرَسَةُ ابْنِ عَرُومَ ، وَالَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ بَوْرَسَمِيدَ ، وَمِنَ الشَّمَالِ بِشَارِعِ الشَّيْخِ عَلِيِّ يَوْسُفَ (السوقية سابقاً) ، وَمِنَ الْغَرْبِ بِدَرْبِ أَبِي طَبِيقٍ وَمَا فِيهِ امْتِدَادُهُ جَنُوبًا إِلَى أَنَّ يَتَقَابَلُ بِحَارَةِ الْأَمِيرِ حُسَيْنِ ، وَمِنَ الْجَنُوبِ حَارَةُ الْأَمِيرِ =

حِزْر خَزَائِن السِّلَاحِ

هذا الحِزْرُ كان يُعرَف قَدِيمًا بِحِزْرِ الْأَوْسِيَّةِ ^(٨) ويُقال أوسية جازولي ^(٩)، وهو فيما بين الدُّكَّةِ وقَنْطَرَةِ الْمُوشَكِيِّ. وَقَفَّه السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ عَلَى مَصَالِحِ خَزَائِنِ السِّلَاحِ، هُوَ وَبَعْدُهُ أَمَاكِينُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ مَعَ مَدِينَةِ قَلْبُوبَ وَأَرَاضِيهَا، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِائَةٍ. وَظَهَرَ كِتَابُ الْوَقْفِ الْمَذْكُورِ مِنَ الْخَزَائِنِ السُّلْطَانِيَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ. وَقَدْ خَرِبَ أَكْثَرُ هَذَا الْحِزْرِ وَصَارَ كَيْمَانًا ^(٨) بِسَبَبِ الطُّوَاعِينَ الَّتِي تَوَالَتْ بِالذِّيارِ الْمِصْرِيَةِ كَالطُّعَاوُونَ الْكَبِيرِ وَغَيْرِهِ ^(٩).

حِزْرُ تَكْمَانِ

وهذا الحِزْرُ بِجَوَارِ سُوَيْفَةِ الْعَجْمِيِّ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِزْرِ خَزَائِنِ السِّلَاحِ، وَكَانَ يُعرَفُ قَدِيمًا بِحِزْرِ كُورْجٍ. وَحُدُّهُ الْقِبْلِيُّ يَنْتَهِي إِلَى حِزْرِ ابْنِ الْأَسَدِ جَفْرِيلَ، وَالْحُدُّ الْبَحْرِيُّ يَنْتَهِي إِلَى حِزْرِ الْقَلَائِي، وَالْحُدُّ الشَّرْقِيُّ يَنْتَهِي إِلَى حِزْرِ الْبَغْدَادِيَّةِ، وَالْحُدُّ الْغَرْبِيُّ يَنْتَهِي إِلَى حِزْرِ خَزَائِنِ السِّلَاحِ وَسُوَيْفَةِ الْعَجْمِيِّ.

وَتَكْمَانُ هُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَكْمَانُ، وَيُقَالُ: «تَكْمَانُ» بِالْمِيمِ عَوْضًا عَنِ النَّونِ ^(١٠).
وهذا الحِزْرُ اسْتَقَرَّ أَخِيرًا فِي أَوْقَافِ خَوْنَدِ أَرْدَوْتَكِينَ ابْنَةِ نَوَكِيَّةِ السَّلَاحْدَارِ زَوْجَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلِ بْنِ قَلَاوُونَ، عَلَى ثَوْبَتِهَا الَّتِي أَنْشَأَتْهَا خَارِجَ بَابِ الْقَرَّاقَةِ الَّتِي تُعرَفُ الْيَوْمَ بِثَوْبَةِ السَّيْفِ ^(١١). وَقَدْ خَرِبَ هَذَا الْحِزْرُ، وَبِيعَتْ أَنْقَاضُهُ فِي أَغْوَامٍ بَضْعٍ / وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، وَبِجَعَلَ بَعْضُهُ يُسْتَأَنَّ فِي سَنَةِ سِتِّ وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ^(١٢).

(٨-٩) إضافة من مسودة الخطط. (ب) في هامش أباصرفها. ياض سطر.

= حسين وقنطرة الأمير حسين. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٠٢: ٩، ١٨٥: ١١-١٨٦ هـ).
^(١٠) (نوخية) وثرتها انظر فيما تقدم ١٦٤، ٢٠٥.
^(١١) المقرئ: مسودة الخطط ٣٥٥.
^(١٢) المقرئ: مسودة الخطط ٣٥٥.

جنگر ابن الأسد جفريل

هذا الحِكرُ في قبلي جِكرُ تكان . كان بُشتاناً ^(a) يُعرف بخواجا تاوان القجمي ^(b) فحِكرُ ،
وعُرفَ بالأمير شمس الدين موسى ابن الأمير أسد الدين جفريل ، أخذُ أمراء الملك الكامل محمد
ابن العادل أبي بكر بن أيوب بمصر ^١ .

جنگر البغداديّة

هذا الحِكرُ بجوار خليج الذِكر ^٢ ، كان من أعظم البساتين في الدّولة الفاطميّة ، فأزالَ الملكُ
العزیزُ عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب أشجاره ونخله وجعله مَيداناً ، ثم حِكرُ وصارت
فيه عدّةُ مساكن . وهو الآن خرابٌ يَبُتُّ لا يَأويه إلا البُوم والوَخَم .

^(a) قال القاضي الفاضل في «مُتجدات» سنة أربع وتسعين وخمس مائة : ثالث عشرينه - يعني
رمضان - خَرَجَ أمرُ العزيز عثمان بقطع الثَّخل المَثمر المُستغلّ تحت اللُّؤلؤة بالبستان المعروف
بالبغداديّة ، وهذا البستان كان من بساتين القاهرة الموصوفة وكان منظره من المناظر المُستَحسنة ،
وكان له مستغلٌّ له مقدار وكان قد غني الأولون به لمجاورته اللُّؤلؤة وإطلال جميع مناظرها عليه ،
وجعل هذا البستان مَيداناً وحرَّثَ وقُطِعَ ما فيه من الأصول ^(a) ^٣ .

جنگر الفارس ^(b) خطبنا

١٥ هذا الحِكرُ حدّه القبلي إلى الخليج ، وحدّه البَغري إلى الكُوم الفاصل بينه وبين جِكرِ الأوسيّة المعروف
بالحاؤلي ، وحدّه الشرقي إلى بُستان المجلس الذي عُرفَ بابن مُتَقِد ، والحدُّ الغربي إلى رُقاقٍ هناك .

a-a) إضافة من مسودة الخطط . b) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٥٥ ظ . الشرفية لشارع كلوت بك عند شارع الجامع الأحمر

^٢ نفسه ٥٦ و ؛ المقرئ : السلوك ١ : ١٤٢ . والفُويطة .

ويُدلُّ على موقع جِكرِ البغداديّة الآن الجهة ^٣ المقرئ : السلوك ١ : ١٤٢ .

وكان هذا الحِكْرُ بُسْتَانًا اشْتَرَاهُ الطَّوَّاشِي بِجَمَالُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ نَاصِحِ الدِّينِ دَاوُدَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمَلِكِيِّ الْكَامِلِيِّ ، فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَسِتِّ مِائَةٍ . ثُمَّ اجْتَنَاهُ مِنْهُ الطَّوَّاشِي مُخَيِّي الدِّينِ صَنْدَلُ الْكَامِلِيِّ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَبَاعَهُ لِلْأَمِيرِ الْفَارِسِ صَارِمِ الدِّينِ خَطْلُبَا الْكَامِلِيِّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَغَرِفَ بِهِ ^١ .

• وَهُوَ خَطْلُبَا بْنُ مُوسَى الْأَمِيرِ صَارِمِ الدِّينِ الْفَارِسِيِّ التُّبْتَيْنِيِّ ^(٥) الْمَوْصِلِيِّ الْكَامِلِيِّ ، اسْتَقَرَّ فِي وَلَايَةِ الْقَاهِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، ثُمَّ أُضِيفَتْ لَهُ وَلَايَةُ الْفَيْيُومِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا ، وَسَارَ مُتَسَلِّمُهُ إِلَى الْيَمَنِ لِيَسْتَلِمَهَا ، فَتَسَلَّمَهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى . وَسَارَ هُوَ فِي سَادِسِ شَوَّالٍ مِنْهَا وَالْيَا عَلَى مَدِينَةِ زَيْدٍ بِالْيَمَنِ ، وَمَعَهُ خَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ وَرَفِيقَهُ الْأَمِيرُ بَاخِلُ ، فَبَلَغَتِ الثَّقَفَةُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَتَبَ لِلطَّوَّاشِيَّةِ بِثَقَفَةِ عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ لِكُلِّ مَنْهُمْ عَلَى الْيَمَنِ . فَأَقَامَ بِالْيَمَنِ مُدَّةً ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمِيرِ فَخَّرِ الدِّينِ جَهَّازِ كَسَ ، وَتَأَخَّرَ إِلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ ، وَصَارَ مِنْ أَمْرَائِهِ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي ثَالِثِ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ^٢ .

حِكْرُ ابْنِ مُنْقِذٍ ^٣

١٥ هذا الحِكْرُ خَارِجُ بَابِ الْقَنْطَرَةِ بَعْدَ دَوْرَةِ خَلِيجِ الذِّكْرِ ، وَكَانَ بُسْتَانًا يُعْرَفُ بِبُسْتَانِ الشَّرِيفِ الْجَلِيسِ ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِالْبَطَائِحِي ، ثُمَّ عُرِفَ بِالْأَمِيرِ سَيِّفِ الدَّوْلَةِ مُبَارَكِ بْنِ كَامِلِ بْنِ مُنْقِذِ نَائِبِ الْمَلِكِ الْمُعِزِّ سَيِّفِ الْإِسْلَامِ ظَهِيرِ الدِّينِ طُغْتَكِينَ بْنِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي عَلَى مَمْلَكَةِ الْيَمَنِ . وَانْتَقَلَ بَعْدَ ابْنِ مُنْقِذٍ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ عَبْدِ الْغَزِيرِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَزَوِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الصَّبْرِ فِي ، فَوَفَّقَهُ عَلَى جِهَاتٍ تَوَوَّلَ أَحْيَا إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الْمَقِيمِينَ بِمَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الْمُتَقَنِّلِينَ فِي حُبُوسِ الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . ثُمَّ أُرْزِلَتْ

(٥) بولاق : التنبئ وفي الوافي للوفيات التنبئ .

^١ المقريري : مسودة الخطط ٥٥ هـ . ^٣ يُدَلُّ عَلَى مَوْقِعِ حِكْرِ ابْنِ مُنْقِذٍ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي يَحْدُهَا

^٢ انظر ترجمة خَطْلُبَا بْنِ مُوسَى ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٣٥ هـ / شارح الحَوَاطِينِ ، وَمِنْ الْفَرْبِ دِيَوَانِ قَسَمِ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَمِنْ الْجَنْزُوبِ شَارِعِ بَيْرِ حُصْنِ . ١٢٣٧ م عِنْدَ ، الصَّفْدِيِّ : الرَّوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٣ : ٣٤٧ ، الْمَقْرِيَزِيِّ : السُّلُوكُ ١ : ٦٤ .

أَنْشَابُ هَذَا الْبَيْتَانِ وَحِكْمَتِ أَرْضِهِ، وَبُنَيْتِ الدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ عَلَيْهَا. وَهُوَ الْآنَ خَرَابٌ^١.

جُكْرُ فَارِسِ الْمُتَمِلِّينَ بِذَرِّينِ رُزَيْكٍ

هَذَا الْحِكْرُ نِجَاهُ مَنْظَرَةِ اللَّؤْلُؤَةِ^٢. كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْبُؤْكَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَيْطَنِ الْبَقْرَةِ، ثُمَّ حُكِرَ وَبُنِيَ فِيهِ، وَأَكْمَرَهُ الْآنَ خَرَابٌ.

جُكْرُ شَمْسِ الْخَوَاصِّ مَشْرُورٍ

هَذَا الْحِكْرُ فِيمَا بَيْنَ خَلِيجِ الدُّكْرِ وَجُكْرِ ابْنِ مُنْقِذٍ. كَانَ بُنِيتَانَا لَشَمْسِ الْخَوَاصِّ مَشْرُورِ الطَّوَالِييِ، أَخَذَ الْحُدَامُ الصَّالِحِيَّةَ، مَاتَ فِي نِصْفِ شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ. ثُمَّ حُكِرَ وَبُنِيَ فِيهِ الدُّورُ، وَمَوْضِعُهُ الْآنَ كَيْمَانٌ^٣.

جُكْرُ الْعِلَاقِيِّ

١٠ هَذَا الْحِكْرُ يُجَاوِرُ جُكْرَ تَكَانٍ مِنْ بَغْرِيَّةٍ، وَكَانَ بُنِيتَانَا جَلِيلَ الْقَدْرِ ثُمَّ حُكِرَ، وَصَارَ بَعْضُهُ وَقَفَ تَذْكَارِ بِي^٤ خَاتُونِ ابْنَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُوسَ، وَقَفَّتْهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ عَلَى نَفْسِهَا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهَا عَلَى الرِّبَاطِ الَّذِي أَنْشَأْتُهُ دَاخِلَ الدَّرْبِ الْأَصْفَرِ نِجَاهَ خَائِقَاهِ بَيْبُوسَ - وَهُوَ لِلرِّبَاطِ الْمَعْرُوفِ بِرَوَاقِ الْبُعْدَادِيَّةِ^٥ - وَعَلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي بِجُكْرِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ، وَعَلَى تَوْبَتِهَا الَّتِي بِجَوَارِ جَمَاعِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ بِالْقَرَّاقَةِ.

١٥ وَصَارَ بَعْضُ هَذَا الْحِكْرِ فِي وَقَفِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بَهَادُرِ الْعِلَاقِيِّ مُتَوَلَّى الْبَيْهَتَسَا، وَكَانَ وَقَفُهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، فَكُرِفَ بِالْحِكْرِ الْعِلَاقِيِّ الْمَذْكُورِ.

وَأَذْرُكْتُ هَذَا الْحِكْرَ وَهُوَ مِنْ أَعْمَرَ الْأَخْكَارِ وَفِيهِ دَرْبُ الْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ أَيْدُمَرُ الزُّرَّاقِ^٦، أَمِيرِ جَانْدَارِ وَوَالِيِ الْقَاهِرَةِ، وَدَاوَهُ الْعَظِيمَةُ وَمَسَاكِينُهُ الْكَثِيرَةُ. فَلَمَّا حَدَّثْتُ الْحِثْنَ مِنْذُ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ

^٥ انظر فيما يلي ٤٢٧:٢ - ٤٢٨.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٥ - ٥٦ و.

^٦ الأمير عز الدين أيدمر الزرّاق والي القاهرة، المتوفى في

^٢ نفسه ٥٥ و.

حدود سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨ المسسوب إليه قُربُ الزُّرَّاقِ

^٣ نفسه ٥٦ و (باختصار).

بالحِكر، راجع عنه المقرئ: المقفى الكبير ٢: ٣٦٥؛ وفيما

^٤ وردت أيضًا: تذكّار باي.

تقدم ١٣٦ - ١٣٧.

مائة خرب هذا الحِكْر، وأُخِذَتْ أَنْقَاضُهُ، وبقيت دَارُ الرُّزَاقِ إلى سنة سبع عشرة وثمان مائة،
فشُرِعَ في الهَدمِ فيها لأجل أَنْقَاضِهَا الجَلِيلَةِ^١.

حِكْرُ الحَرِيرِيِّ

هذا الحِكْرُ بجوار الحِكْرِ القَلَائِي المذکور من حَدِّهِ البَحْرِيِّ، وهو من جَمَلَةِ الْأَرْضِ المَعْرُوفَةِ
بِالْأَرْضِ الْبَيْضَاءِ، وكان بُسْتَانًا ثم حُكِرَ وَصَارَ في وَقْفِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ. وَأُذِرْتَنَاهُ عَاطِرًا، وفيه
سُوقٌ يُعْرَفُ بِالسُّوْقَةِ الْبَيْضَاءِ كانتَ بِهَا عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ وقد خَرِبَ هذا الحِكْرُ.
وهذا الحَرِيرِيُّ هو الصَّاحِبُ مُخَيِّ الدِّينِ (٨) ٢.

الحِكْرُ المَعْرُوفُ بِالْأَرْضِ الْبَيْضَاءِ (ب)

إِسْطَنْبُلُ الْمَسَاحِ (٥)

عُرِفَ بِالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ سُنْقَرِ الْمَسَاحِ، أَتخذُ الْأَمْرَاءُ الظَّاهِرِيَّةُ بَيْتَرَسَ، قَبِضَ عَلَيْهِ في عِدَّةٍ من
الْأَمْرَاءِ في ذِي الْحِجَّةِ سنة تسع وستين وست مائة.

الدَّكَّةُ

هذا المَكَانُ كانَ بُسْتَانًا من أَعْظَمِ بَسَاتِينِ الْقَاهِرَةِ، فيما بين أَرْضِي اللَّوْقِ وَالْمَقَسِ، / وبه مَنْظَرَةٌ
لِلخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ تُشْرِفُ طَاقَاتُهَا عَلَى بَحْرِ الثَّلِيلِ الْأَعْظَمِ، ولا يَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرِّ الْحَيِزَةِ شَيْءٌ.
فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ تَلَاشَى أَثَرُ هَذَا الْبُسْتَانِ وَخَرِبَ، فَحُكِرَ مَوْضِعُهُ وَبَنِيَ النَّاسُ فِيهِ، فَصَارَ (١٥)

(٨) بعد ذلك بياض في المسودة، وعلى هامش أباصونيا: بياض سطرين. (ب) إضافة من مسودة الخطوط، وفي أباصونيا: الأرض
البضاء، وعلى الهامش: هكذا بخط مؤلفه من غير تخريج لعله، وعلى الحاشية بياض أربعة أسطر. (ج) بولاق: حكر المساح.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٦٦، مع تقديم وتأخير ^٢ نفسه ٥٦٦.

وخلاف في العبارة.

خِطَّةٌ كَبِيرَةٌ كَأَنَّهُ بَلَدٌ جَلِيلٌ ، وَصَارَ بِهِ شَوْقٌ عَظِيمٌ ، وَسَكَنَهُ الْكُتَابُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ ، وَأَذْرَكْنَهُ عَامِرًا . ثُمَّ إِنَّهُ خَرِبَ مِنْذُ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَبِهِ الْآنَ بَقِيَّةٌ عَمَّا قَلِيلٌ تَذْثُرُ كَمَا ذَثُرَ مَا هُنَاكَ وَصَارَ كَيْمَانًا .

زَكَرَ الْمَقْسُ وَفِيهِ الْكَلَامُ عَلَى الْمَقْسِ

وَكَيْفَ كَانَ أَصْلُهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ

اَعْلَمُ أَنَّ الْمَقْسَ قَدِيمٌ ^١ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَرْيَةً تُعْرَفُ بِأَمِّ دُنَيْنَ ، وَهِيَ الْآنَ مَحَلَّةٌ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ . وَكَانَ عِنْدَ وَضْعِ الْقَاهِرَةِ هُوَ سَاحِلُ النَّيْلِ ، وَبِهِ أُنْشِأَ الْإِمَامُ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَقْدُ الصَّنَاعَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ عِنْدَ ذِكْرِ الصَّنَاعَاتِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، وَبِهِ أَيْضًا أُنْشِأَ الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورٌ جَامِعُ الْمَقْسِ الَّذِي تُسَمِّيهِ عَامَّةُ أَهْلِ مِصْرَ فِي زَمَنِنَا بِجَامِعِ الْمَقْسِيِّ ^٢ ، وَهُوَ الْآنَ يُطْلَقُ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ^٣ .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي كِتَابِ «فَتْوحِ مِصْرَ» وَقَدْ ذَكَرَ مَسِيرَ عَقْرُو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى فَتْحِ مِصْرَ : فَتَقَدَّمَ عَقْرُو بْنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى بَلْبَيسَ ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ شُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ . ثُمَّ مَضَى لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى أُمَّ دُنَيْنَ ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ الْفَتْحُ فَكَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَسْتَعِذُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ تَمَامَ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، فَقَاتَلَهُمْ ... ، وَذَكَرَ تَمَامَ الْخَبَرِ ^٤ .

^١ كَانَ الْمَقْسُ فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ مَقْصُورًا عَلَى قَرْيَةِ الْمَقْسِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ فِي الْمَنْطِقَةِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا الْيَوْمَ جَامِعُ الْفَتْحِ (جَامِعُ أَوْلَادِ عَنَّانٍ سَابِقًا) ، وَتَمْتَدُّ إِلَى شَارِعِ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ ، وَيَدْخُلُ فِيهَا مَدْخَلُ شَارِعِ الْجُمْهُورِيَّةِ وَالْمَبَانِي الَّتِي عَلَى جَانِبِهِ إِلَى الدُّزْبِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ . وَفِي عَهْدِ دَوْلَةِ الْمَمْلُوكِ أَصْبَحَ «الْمَقْسُ» يُطْلَقُ عَلَى الْمَنْطِقَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الْغَرْبِ بِمِيدَانِ بَابِ الْحَدِيدِ فَشَارِعِ رَمِيسٍ فَشَارِعِ مُحَمَّدٍ فَرِيدَ ، وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعُ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ وَشَارِعُ الْقُوطِيَّةِ وَشَارِعُ سَوِّقِ الزُّلْطِ وَشَارِعُ الْخَوَاطِينِ ، وَمِنَ الشَّرْقِ شَارِعُ

الْكَنِيسَةُ الْمَرْقِسِيَّةُ وَبَيْكَةُ شَقِّ الثَّعْبَانِ وَحَارَةُ الْخَنْزَرَةِ ، وَمِنَ الشَّمَالِ شَارِعُ بَيْنِ الْحَارَاتِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْحَدُّ بِمِيدَانِ بَابِ الْحَدِيدِ . (أَبُو الْهَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٤ : ٥٣ - ٥٤ هـ . تَعْلِيقُ مُحَمَّدٍ رَمِزِيٍّ ، مُحَمَّدٍ رَمِزِيٍّ : «الْجُغْرَافِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ لِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ - شَبْرًا وَوُضُوْشَ الْفَرْجِ» ، ٣٢٩) .

^٢ فِيمَا يَلِي ٢ : ٢٨٣ .

^٣ فِيمَا يَلِي ٤٨١ .

^٤ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : فَتُوحُ مِصْرَ ٢٥٩ ، وَفِيمَا تَقْدَمُ ٢ : ١٣ .

وقال القاضي أبو عبد الله القضاعي: المَقْسُ كانت صَبِيْعَةٌ تُعْرَفُ بِأُمِّ دُثَيْنَ، وَأَمَّا سُمِّيَتْ المَقْسُ لِأَنَّ الْعَاشِرَ كَانَ يَفْقَدُ^(a) بِهَا وَصَاحِبَ المَكْسِ؛ فَقِيلَ المَكْسُ فَقِيلَ المَقْسُ^١.

قال كَاتِبُهُ^(b): الْمَاكْسُ هُوَ الْعَشَّارُ، وَأَصْلُ المَكْسِ فِي اللُّغَةِ الْحَيَاةُ.

قال ابن سيده في كتاب «المحكم»: المَكْسُ الْحَيَاةُ، مَكْسَهُ يَمُوتُ مَكْسًا. وَالمَكْسُ دَرَاهِمُ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْ بَائِعِ السَّلْعِ فِي الْأَشْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُقَالُ لِلْعَشَّارِ صَاحِبُ مَكْسٍ، وَالمَكْسُ انْتِقَاضُ الثَّمَنِ فِي الْبَيْعَةِ.

قال الشَّاعِرُ:

[الطويل]

أَفِي كُلِّ أَشْوَاقِ الْعِرَاقِ إِنَاوَةٌ وَفِي كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسٌ يَزْهَمُ
أَلَا يَنْتَهِي عُنَّا رَجَالٌ وَتَنْتَقِي مُحَارِمَنَا لَا يُدْرَأُ الدُّمُّ بِالدَّمِ

١٠

إِلَّا تَاوَةُ الْخَرَاجِ، وَمَكْسٌ يَزْهَمُ أَيُّ نَقْصٍ يَزْهَمُ فِي يَبِيعٍ وَنَحْوِهِ.

قال: وَعَشَرَ الْقَوْمِ يَعْشُرُهُمْ عَشْرًا وَعَشُورًا، وَعَشَرَهُمْ أَخَذَ عَشَرَ أَمْوَالِهِمْ، وَعَشَرَ الْمَالِ نَفْسَهُ وَعَشَرَهُ كَذَلِكَ، وَالْعَشَّارُ قَاطِضُ الْعَشْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو لِابْنِ هُبَيْرَةَ وَهُوَ يُضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّيَاطِ: تَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ إِلَّا ثِيَابًا فِي أَشْفَاطِ قَبْضِهَا عَشَارُوكَ^٢.

وقال الجاحظ: تَرَكَ النَّاسُ مِمَّا كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُمُورًا كَثِيرَةً؛ فَمِنْ ذَلِكَ تَسْمِيَتُهُمْ لِلْإِنَاوَةِ بِالْخَرَاجِ، وَتَسْمِيَتُهُمْ لِمَا يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ مِنَ الْحُلُوفِ وَالمَكْسِ بِالرَّشْوَةِ.

١٥

وقال الخارجي: أَفِي كُلِّ أَشْوَاقِ الْعِرَاقِ إِنَاوَةٌ ... الْبَيْتُ.

وَكَمَا قَالَ الْقَبْدِيُّ فِي الْجَاوُودِ:

[الطويل]

أَكَابِنِ الْمَعْلَى خِلْتَنَا أَمْ حَسِبْتَنَا صَوَارِيَّ نُقْطِي الْمَاكْسِينَ مُكُوسًا
الصَّوَارِيَّ الْمَلَّاحُونَ، وَالمَكْسُ مَا يَأْخُذُهُ الْعَشَّارُ. انْتَهَى.

٢٠

(a) ابن عبد الظاهر: يتقدم. (b) بولاق: مؤلفه.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٥؛ أبو المحاسن: ^٢ ابن سيده: الحكم والمحيط الأعظم ٦: ٤٥٦. النجوم الزاهرة ٤: ٥٣.

وَيُقَالُ إِنَّ قَوْمَ شُعَيْبٍ - عليه السلام - كانوا مَكَّاسِينَ لَا يَدْعُونَ شَيْئًا إِلَّا مَكَّسَوْهُ، ومنه قيل للمَكَّسِ الْبَخْسُ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الآية ٨٥ من سورة الأعراف].

وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْبِلَادَرِيُّ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ زِيَادَ بْنَ حَذِيرٍ^٨ يَقُولُ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ عَشَرَ فِي الْإِسْلَامِ».

- وعن شُعَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَغْفِلٍ، قَالَ: سَأَلْتُ زِيَادَ بْنَ حَذِيرٍ^٩ مَنْ كُنْتُمْ تَعَشِّرُونَ؟ فَقَالَ: مَا كُنَّا نَعَشِّرُ مُسْلِمًا وَلَا مُعَاهِدًا، بَلْ كُنَّا نَعَشِّرُ تُجَّارَ أَهْلِ الْحَرْبِ كَمَا كَانُوا يَعْشِّرُونَا إِذَا أَتَيْنَاهُمْ^١.

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ السَّلْمِيُّ^٢ فِي كِتَابِ «سِيرَةِ الْإِمَامِ الْعَدْلِ فِي مَالِ اللَّهِ»، عَنْ السَّائِبِ ابْنِ يَزِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ عَلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكُنَّا نَأْخُذُ مِنَ الْقَبِيطِ الْعَشْرَ. وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ: كَانَ ذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأُلْزِمَهُمْ ذَلِكَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ.

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَأْخُذُ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْقَبِيطِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالزُّبَيْبِ نِصْفَ الْعَشْرِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكْثُرَ الْحَقْلُ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالزُّبَيْبِ، وَكَانَ يَأْخُذُ مِنَ الْقَطِيبَةِ الْعَشْرَ.

- ١٥ وقال مَالِكُ - رحمه الله - وَالسُّنَّةُ أَنَّ مَا أَقَامَ الذَّمُّ فِي بِلَادِهِمُ الَّتِي صَالَحُوا عَلَيْهَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ فِيهَا إِلَّا الْجِزْيَةُ؛ إِلَّا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَيَخْتَلِفُوا فِيهَا، فَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ الْعَشْرُ فِيمَا يُدِيرُونَ مِنَ التَّجَارَةِ. وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِرَارًا إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَعَلَيْهِمْ كُلَّمَا اخْتَلَفُوا الْعَشْرَ. وَإِذَا اتَّجَرَ الذَّمُّ فِي بِلَادِهِ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ،

(٨) بولاق: جرير.

١ قارن، البلاذري: فتوح البلدان ٢١٨، أنساب الأشراف، القسم الخامس، سائر فروع قريش، ٤٢٥.
٢ أبو نضوان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي المؤداسي الأندلسي القرطبي المالكي، فقيه الأندلس وعلمه، المتوفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م. (ابن القضي: تاريخ العلماء والرواة ١: ٣١٢؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك والملحدين، وانظر أيضًا 362 (Sezgin, F., GSI, p. 362).
٣ ٣٠: ٤٨؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢: ٥٣٧-٥٣٨، سير أعلام النبلاء ١٠٢: ١٠٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ١٥٨-١٥٩ ابن فرحون: الدياج المذهب ٢: ٨-١٥. ولم تذكر المصادر عنوان كتابه الذي ذكره المقرئ، وذكرت له كتابًا آخر بعنوان: «سيرة الإمام في الملحدين»، وانظر أيضًا 362 (Sezgin, F., GSI, p. 362).

١ قارن، البلاذري: فتوح البلدان ٢١٨، أنساب الأشراف، القسم الخامس، سائر فروع قريش، ٤٢٥.
٢ أبو نضوان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي المؤداسي الأندلسي القرطبي المالكي، فقيه الأندلس وعلمه، المتوفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م. (ابن القضي: تاريخ العلماء والرواة ١: ٣١٢؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك والملحدين، وانظر أيضًا 362 (Sezgin, F., GSI, p. 362).

مثل أن يتجر الذمّي الشامي في جميع الشام ، / أو الذمّي المصري في جميع مصر ، أو الذمّي العراقي في جميع العراق .

وليس العَمَلُ عندنا على قول عُمر بن عبد العزيز لِرَزِيقِ بْنِ خِيَّانٍ : « وَاتَّكَبْ لَهُمْ بِمَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ كِتَابًا إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْحَوْلِ ، وَمَنْ مَرَّ بِكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَخُذْ يَمًّا يُدِيرُونَ مِنَ التَّجَارَاتِ مِنْ كُلِّ عَشْرِينَ دِينَارًا دِينَارًا ، فَمَا نَقَصَ فَبِحَسَابِ ذَلِكَ حَتَّى تَبْلُغَ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، فَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا ثُلُثٌ دِينَارٍ فَذَعْهَا وَلَا تَأْخُذْ مِنْهَا شَيْئًا » . وَالْعَمَلُ عَلَى أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ الْعُشْرُ ، وَإِنْ خَرَجُوا فِي السَّنَةِ مِرَارًا مِنْ كُلِّ مَا اتَّجَرُوا بِهِ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ . وَهَذَا قَوْلُ رَبِيعَةَ وَابْنِ هُرْمُزَ .

وقال القاضي أَبُو يُوسُفَ يَقْفُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَضْرَمِيِّ^١ ، أَخَذَ أَصْحَابُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي كِتَابِ «الرِّسَالَةِ» إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ كِتَابُ جَلِيلِ الْقَدْرِ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهَاجِرِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ ، قَالَ : سَمِعْتُ زِيَادَ بْنَ حُدَيْرٍ^٢ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَعَثَ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَنَّا عَلَى الْعُشُورِ أَنَا ، فَأَمَرَنِي أَلَّا أَقْتَسَ أَحَدًا ، وَمَا مَرَّ عَلَيَّ مِنْ شَيْءٍ أَخَذْتُ مِنْ حِسَابِ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا ، دِرْهَمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخَذْتُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ عَشْرِينَ وَاحِدًا ، وَمَنْ لَا ذِمَّةَ لَهُ الْعُشْرُ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَغْلُظَ عَلَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ ، قَالَ : إِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلَعَلَّهُمْ يُشْلَمُونَ . قَالَ : وَكَانَ عُمرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ اشْتَرَطَ عَلَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ أَلَّا يُنْصَرُوا أَوْلَادَهُمْ^٣ . وَحَدَّثَنَا أَبُو حَنِيفَةَ عَنِ الْهَيْثَمِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ سَبْرِينَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَعَثَنِي عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْعُشُورِ ، وَكَتَبَ لِي عَهْدًا أَنْ أَخُذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمًّا اخْتَلَفُوا بِهِ لِتَجَارَاتِهِمْ رُبْعَ الْعُشْرِ ، وَمِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ نِصْفَ الْعُشْرِ ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ الْعُشْرُ .

(B) بولاق : ج ١٠٠ .

^١ أخبار القضاة ٢٥٤:٣ - ٢٦٦٤ ابن النديم : الفهرست ٢٥٦ - ٢٥٧ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٤٢:١٤ - ٢٦٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٧٨:٦ - ٣٩٠ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٧٠:٨ - ٤٧٣ القرشي : الجواهر المضية ٦١١:٣ - ٦١٣ Sczgin, F., GAS I, pp. 419-21 .

^٢ قارن مع البلاذري : فوح البلدان ٢١٧ .

^٣ أبو يوسف يَقْفُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ خُنْتَسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَبِطَةَ الْكُوفِيِّ ، الْمُتَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٢ هـ/٧٩٨ م ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الثَّقَفَانِ ، وَلَيْتَ الْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ لثَلَاثَةِ خُلَفَاءَ : الْمُتَّهَدِي وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ حَتَّى وَفَاتِهِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خُوطِبَ بِهَذَا قَاضِي الْقَضَاءِ - «الرِّسَالَةِ» إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ - الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا لِلْمَقْرِي - تَوْجَدُ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِهِ «الْحَسْرَجِ» (الْقَاهِرَةُ ١٣٥٢ هـ) . (رَاجِعْ ، وَكَيْع :

وَحَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْوَلُ عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: كَتَبَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «إِنَّ تَجَارًا مِنْ قِبَلِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَأْتُونَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ الْعُشْرَ». فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «فَخُذْ أَنْتَ مِنْهُمْ كَمَا يَأْخُذُونَ مِنْ تِجَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ نِصْفَ الْعُشْرِ، وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ الْمِائَتِينَ شَيْءٌ، فَإِذَا كَانَتْ مِائَتِينَ ففِيهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، فَمَا زَادَ فَبِحَسَابٍ».

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عُمَرُو بْنِ شُعَيْبٍ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ مَنْبِجٍ - قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الشُّرُوكِ وَرَاءَ الْبَحْرِ - كَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «دَعْنَا نَدْخُلَ أَرْضَكَ تِجَارًا وَنَعُشِّرَنا». قَالَ: فَشَاوَرْتُ عُمَرَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِهِ. فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ عَشَّرَهُ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ.

١٠

وَحَدَّثَنَا الشَّدْيِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ^(أ) الْأَسَدِيِّ، قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَعَثَهُ عَلَى عُشُورِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ زَنْعَ الْعُشْرِ، وَمِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ نِصْفَ الْعُشْرِ، وَمِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ الْعُشْرَ. فَمَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ، وَمَعَهُ فَرَسٌ، فَقَوْمَهَا بِعَشْرِينَ أَلْفًا، فَقَالَ: أَمْسِكِ الْفَرَسَ وَأَعْطِنِي أَلْفًا، أَوْ خُذْ مِنِّْي تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَأَعْطِنِي الْفَرَسَ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ أَلْفًا وَأَمْسَكَ الْفَرَسَ. قَالَ: ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ رَاجِعًا فِي سَنَتِهِ، فَقَالَ: أَعْطِنِي أَلْفًا أُخْرَى. فَقَالَ لَهُ التَّغْلِبِيُّ: كُلَّمَا مَرَرْتُ بِكَ تَأْخُذُ مِنِّْي أَلْفًا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَزَجَعَ التَّغْلِبِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَوَافَاهُ بِمَكَّةَ وَهُوَ فِي بَيْتٍ لَهُ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ. وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : كُفَيْتَ. وَلَمْ يُزِدْهُ عَلَى ذَلِكَ.

٢٠

قَالَ: فَزَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ^(أ)، وَقَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ أَلْفًا، فَوَجَدَ كِتَابَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ: «مَنْ مَرَّ عَلَيْكَ فَأَخَذْتَ مِنْهُ صَدَقَةً، فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ قَابِلٍ، إِلَّا أَنْ تَجِدَ قَضِيلًا»^١.

(أ) بولاق: جرير.

^١ قارن مع البلاذري: أنساب الأشراف، القسم الخامس - سائر فروع قريش، ٤٢٥.

قال : فقال الرجل : قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفاً ، وإني أشهد الله تعالى أنني بريء من النضرانية ، وأني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب .
وحدثني يحيى بن سعيد ، عن زريق بن حيان - وكان على مكس مصر - فذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه :

« أن أنظر من مر عليك من المسلمين فخذ مما ظهر من أموالهم وما ظهر لك من التجارات ، من كل أربعين ديناراً ديناراً ، فما نقص فبحسابه حتى تبلغ عشرين ديناراً ، فإن نقصت فدعها ولا تأخذ منها . وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعها لا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مطلعها من الخول » .

وحدثني أبو حنيفة ، عن حماد عن إبراهيم ، أنه قال : إذا مر أهل الذمة بالخمر للجارة أجد من قيمتها نصف العشر ، ولا يقبل قول الذمي في قيمتها حتى يؤتى برجلين من أهل الذمة يقرمانها عليه ، فيؤخذ نصف العشر من الذمي .

وحدثنا قيس بن الربيع ، عن أبي فراسة ، عن يزيد بن الأصم ، عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - أنه قال : إن هذه المعاصر والقناطر شحت لا يحل أخذها . فبعث عملاً إلى اليمن ، ونهاهم أن يأخذوا من عاصير أو قطرة أو طريق شيئاً . فقتلوا المال ، فقالوا : نهيتنا . فقال : أخذوا كما كنتم تأخذون .

وحدثنا محمد بن عبيد الله ، عن أنس بن سيرين ، قال : أرادوا أن يستعملوني / على عَشُور الأئمة فأبيت ، فلقيني أنس بن مالك - رضي الله عنه - فقال : ما يمتنك ؟ قلت : العَشُور أحبُّ ما عمل عليه الناس . قال : فقال لي : لم لا تفعل ما عمر بن الخطاب صنع : فجعل على أهل الإسلام ربع العشر ، وعلى أهل الذمة نصف العشر ، وعلى أهل المنزل ممن ليس له ذمة العشر ؟

وقال أبو الحسن المشعوي : إن كَيْفَبَاذ ، أخذ ملوك الفرس ، أول من أخذ العشر من الأرض ، وعمر بابل وتملكة الفرس ، ورأيت في التوراة التي في يد اليهود أن أول من أخرج العشر من مواشيه ورؤوسه وجميع ماله خليل الله إبراهيم - عليه السلام - وكان يدفع ذلك إلى ملك أورشليم التي هي أرض القدس واسمه ملكي صادق .

فلما مات الخليل إبراهيم - صلوات الله عليه وسلامه - اقتدى به بنوه في ذلك من بعده ، وصاروا يذفعون العشر من أموالهم ؛ إلى أن بعث الله تعالى موسى - عليه السلام - فأوجب على بني إسرائيل إخراج العشر في كل ما ملكت أيماهم من جميع أموالهم بأنواعها ، وجعل ذلك حقا لسبط لاوى الذين هم قرابة موسى عليه السلام ^١ .

وقال ابن يونس في «تاريخ مصر» : كان ربيعة بن شريحيل بن حسنة - رضي الله عنه - أحد من شهد فتح مصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واليا لقنرو بن العاص - رضي الله عنه - على المكس . وكان زريق بن حيان على مكس أيلة في خلافة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه ^٢ .

قال كاتبه ^٣ : ومع ذلك فقد كان أهل الورد من السلف يكرهون هذا القتل . روى ابن قتيبة في كتاب «الغريب» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لعن الله شهيداً ، كان عشاراً باليمن ، فمسحه الله شهاباً» . وروى ابن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن ميمون ، عن أبي إبراهيم الماعري ، عن خالد بن ثابت ، أن كعباً أوصاه ، وتقدم إليه حين مخرجه مع عمرو بن العاص ألا يقرب المكس .

فهذا - أعزك الله - معنى المكس عند أهل الإسلام . لا ما أحدثه الظالم هبة الله بن صاعد الفائزي ، وزير الملك المعز أيتك التوكماني - أول من أقام من ملوك التوك بقلعة الجبل - من المظالم التي سماها «الحقوق السلطانية والمعاملات الدنيوية» ، وتعرف اليوم بـ «المكوس» ^٤ .

فذلك الرجس النجس الذي هو أفتخ المعاصي والذنوب الموبقات ، لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده ، وتكرر ذلك منه ، وانتهاكه للناس ، وأخذ أموالهم بغير حقها ، وصرفها في غير وجهها . وذلك الذي لا يقر به متق ، وعلى آخيه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(a) بولاق : مؤلفه .

^١ قارن مع المسعودي : مروج الذهب ٢ : ١٦٥ .

^٢ انظر فيما تقدم ١ : ٢٨٣ ؛ ٢ : ٩٠ ، وفيما يلي ٥٩٨ ،

^٣ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ ٧٦٨ .

(المصريين) ١٧٢ .

ولتَرْجِع إلى الكلام في المَقْس فنقول : من النَّاس من يُسَمِّيه المَقْسَم - بالميم بعد السين - قال ابن عبد الظَّاهر في كتاب «خَطَط القاهرة» : وَسَمِعْتُ من يقول إِنَّهُ المَقْسَم ، قِيلَ لَأَنَّ قِسْمَةَ الغَنَائِم عند القُتُوح كانت به ^١ ، ولم أَرَهُ مَشْطُورًا .

وقال العِمَادُ محمد أبي الفَرَج محمد بن حامِد الكَاتِب الأصفهاني في كتاب «سُنا البُرُق الشَّامي» ^٢ : وَجَلَسَ المَلِكُ الكَامِلُ محمد بن السُّلْطَان المَلِك العَادِل أبي بكر بن أُتُوب ، في البُرُج الذي بجوار جَامِع المَقْسَم [كذا] ، في السَّابِع والعشرين من شَوَّال سنة سِتٍّ وتسعين وخمس مائة .

وهذا المَقْسَم على شاطئ النِّيل يُزار ، وهناك مَسْجِدٌ يَتَبَرَّكُ به الأَبْرَارُ ، وهو المكان الذي قُسِّمَتْ فِيهِ الغَنَائِم عند اِسْتِيلَاء الصُّحَابَةِ - رضي الله عنهم - على مصر . فَلَمَّا أَمَرَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّين يَوْسُف بن أُتُوب بِإِدَارَةِ الشُّور على مصر والقاهرة ، تَوَلَّى ذَلِكَ الأَمِيرُ بَهَاءُ الدِّين قَرَأُوش ، وَجَعَلَ نَهَايَتَهُ التي تلي القاهرة عند المَقْسَم ، وَبَنَى فِيهِ بُرْجًا مُشْرِفًا على النِّيل ، وَبَنَى مَسْجِدًا جَامِعًا ، وَاتَّصَلَتِ العِمَارَةُ مِنْهُ إِلَى البَلَد ، وَجَامِعُهُ تُقَامُ فِيهِ الجُمُعَةُ والجماعات .

وهذا البُرُج عُرف بِقَلْعَةِ قَرَأُوش ، وما يَرِخُ هناك إِلَى أَن هَدَمَهُ الصَّاحِبُ الوَزِيرُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسِي ، وَزِيرُ المَلِك الأَشْرَف شُعْيَان بن مُحْسِن بن محمد بن قَلَاوُون ، فِي سنة بَضْعِ

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٦ .

الثالث مصطفى الحيارى ، والجزء الخامس قالح صالح حسين ، وصَدَرَ في عَمَّان بالأردن عن مؤسسة عبد الحميد شومان سنة ١٩٨٦ .

واختصر هذا الكتاب مع ذبوله القَتُّخ بن علي البُشاري ، المتوفى بعد سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٧م بنونان : هَسَاتُ البُرُق الشَّامي الذي وَصَلَ إلينا منه فقط الجزء الأول يشتمل على حوادث السنوات من ٥٦٢-٥٨٣هـ/١١٦٦-١١٨٧م ، محفوظ في مكتبة أشغد أفندي الملحقة بالمكتبة السلطانية بإستانبول برقم ٢٢٤٩ ، وثَبُرَ تَوَتِينُ الأولى بتحقيق رمضان ششن وصدر عن دار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٩٧٧ ، والثانية بتحقيق فتحة الثبراوي وصدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة سنة ١٩٧٩ .

والثُمَّ الذي أورده المقرئ هُنا يُوجَدُ في القسم المفقود من الكتاب .

^٢ كتاب «البُرُق الشَّامي» للقاضي عماد الدِّين أبي عبد الله محمد بن صفى الدِّين أبي الفَرَج محمد بن نفيس الدِّين أبي الرَّجَاء حامِد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م . كَتَبَ فِي سَبْعَةِ أَجْزَاء تَنَازَلَ فِيهِ تَارِيخُ صَلَاحُ الدِّين يَوْسُف بن أُتُوب ، بِدَآءُهُ مِنْ وَصَلِ هُوَالَى الشَّام سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م ، وَدُخُولِهِ فِي خِدْمَةِ المَلِك الشَّهِيد نور الدِّين محمود وَأَنْهَاءُ بِحَوَادِثِ سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ، وَأَتَمَّ تَأْلِيْفَهُ سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م . وَقَدْ قَيَّدَ هَذَا الكِتَابَ وَلَمْ يُخَفِّظْ مِنْهُ سِوَى الْجُزْأَيْنِ الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ ، يَهَالِجُ فِيهِمَا حَوَادِثُ السَّنِينَ مِنْ بَدَايَةِ سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م وَإِلَى أَوَاخِرِ سنة ٥٧٥هـ/١١٨٥م ، ثُمَّ حَوَادِثُ سَنَتَيْ ٥٧٨-٥٧٩هـ/١١٨٢-١١٨٣م . وَهُمَا مُحْفُوظَانِ فِي مَكْتَبَةِ البَوْدِلْيَانَا بِأَكْسَفُورْد (Bruce II, Marsh 425) ، وَنَشَرُ الْجُزْءَ

وسبعين وسبع مائة عندما جدد جامع المَقْس الذي أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله ، فصار يُعرف بجامع المَقْسِي هذا إلى اليوم . وما يَرِخ بجامع المَقْس هذا يُشرف على الثيل الأعظم إلى ما بعد سنة سبع مائة بعدة أعوام ^١ .

قال جامع : « السيرة الطولونية » : وَرَكِبَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ إِلَى الْمَقْسِ ، فَأَصَابَ بِشَاطِئِ الثَّيْلِ ضَيْئًا عَلَيْهِ خَلَقَ لَا يُوَارِيهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَمَعَهُ صَبِيٌّ لَهُ فِي مِثْلِ حَالِهِ ، وَقَدْ أَلْقَى شَبْكَةً فِي الْبَحْرِ . فَلَمَّا رَأَى رَقَّ لَهُ وَقَالَ : يَا نَسِيمُ اذْفَعْ إِلَى هَذَا عَشْرِينَ ^{١٠} دِينَارًا . فَذَفَعَهَا إِلَيْهِ وَلَحِقَ ابْنُ طُولُونٍ . فَسَارَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ وَلَمْ يَتَّعِدْ ، وَرَجَعَ فَوَجَدَ الصَّيَادَ مَيِّتًا وَالصَّبِيَّ يَبْكِي وَيَصِيحُ ، فَظَنَّ ابْنُ طُولُونٍ أَنَّ بَعْضَ سُودَانِهِ قَتَلَهُ وَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ مِنْهُ ، فَوَقَّفَ بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ الصَّبِيَّ عَنْ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا الْعَلَامُ - وَأشار إلى نَسِيمِ الْخَادِمِ - ذَفَعَ إِلَى أَبِي شَيْقًا ، فَلَمْ يَزَلْ يُقْلِبُهُ حَتَّى وَقَعَ مَيِّتًا . فَقَالَ : فَتَشَّهُ يَا نَسِيمُ . فَتَزَلَّ وَقَتَّشَهُ ، فَوَجَدَ الدَّنَانِيرَ مَعَهُ بِحَالِهَا ، فَحَرَّضَ الصَّبِيَّ أَنْ يَأْخُذَهَا . فَأَتَى ^{١٠} وَقَالَ : هَذِهِ قَتَلْتُ أَبِي ، وَإِنْ أَخَذْتُهَا قَتَلْتَنِي .

فَأَخْضَرَ ابْنُ طُولُونٍ قَاضِيَ الْمَقْسِ وَشَبُوحَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشْتَرُوا لِلصَّبِيِّ دَارًا بِخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ تَكُونُ لَهَا غَلَّةٌ ، وَأَنْ تُحْبَسَ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ اسْمَهُ فِي أَصْحَابِ الْجِرَايَاتِ وَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُ أَبَاهُ لِأَنَّ الْغِنَى يَخْتَالُ إِلَى تَذْرِيجِ الْأَقْتَلِ صَاحِبِهِ . / هَذَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يُذْفَعَ إِلَيْهِ دِينَارٌ بَعْدَ دِينَارٍ حَتَّى تَأْتِيَهُ ^{١٢} هَذِهِ الْجُمْلَةُ عَلَى تَفَرُّقَةٍ فَلَا تَكْثُرُ فِي غَيْبِهِ ^٢ .

١٥ . وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البتسائي - رحمه الله - في «تعليق المتجددات» لسنة سبع وسبعين وخمسمائة : وفيه - يعني يوم الثلاثاء لست بقين من المحرم - رَكِبَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ ، أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، لِمَشَاهِدَةِ سَاحِلِ الثَّيْلِ - وَكَانَ قَدْ انْحَسَرَ وَتَشَمَّرَ عَنِ الْمَقْسِ وَمَا يَلِيهِ ، وَتَعَدَّ عَنِ الشُّورِ وَالْقَلْعَةِ الْمُسْتَجِدِّينَ بِالْمَقْسِ - وَأَخْضَرَ أَرْيَابَ الْخَيْرَةِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ ، فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِإِقَامَةِ الْجَرَارِيفِ لِرَفْعِ الرِّمَالِ الَّتِي قَدْ عَارَضَتْ جَزَائِرَهَا طَرِيقَ الْمَاءِ ، وَسَدَّتْهُ وَوَقَّتْ فِيهِ . ^{٢٠}

(a) عند البلوي : ثلاثين .

^١ فيما تقدم ٢٦٤:٢-٢٦٦ وفيما يلي ٢٨٣:٢ . سعيد : المغرب في حلى المغرب ٩٩ (عن ابن الداية) .

^٢ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ١٩٣-١٩٤ ابن

وكان الأفضل بن أمير الجيوش لما ترى قدام دار الملك جزيرة رمل، كما هي اليوم، أراد أن يقرب البحر وينقل الجزيرة، فأشير عليه بأن ينسحب مما يلي الجزيرة أنفاً خارجاً في البحر ليتلقى التيار وينقل الرمل. فتمسّر هذا، وعظمت غرامته.

فأشار عليه ابن سنيد^(a) بأن يأخذ قصارى قمار، ثقب ويعمل تحتها رموس برباخ وتلطخ بالزفت، وتكتب القصارى عليها وتدفن في الرمل، فإذا زاد الثيل وزكبتها، نزل من شروق القصارى إلى الرعوس فأدازها الماء، ومنعتها القصارى أن تتجدر، ودامت حركة الرمل بتعريك الماء للرعوس، فانتقل الرمل. وذكر أن للزفت خاصية في تحويل الرمل.

قال: وفي هذا الوقت اخترق الثيل، وصار البحر مخاض يقطعها الواجل، وتوخل فيه المراكب، وتشمّر الماء عن ساجل المقدس ومصر، ورئي جزائر رملية أشفق منها على المقياس لكلا يتقلص الثيل عنه ويحتاج إلى عمل غيره، وتحشي منها أيضاً على ساجل المقدس لكون بنيان الشور كان اتصل بالماء، وقد تباعد الآن عن الشور، وصار المد قوته من بر الغرب. ووقع النظر في إقامة جرابيف لقطع الجزائر التي رتباها البحر، وعمل أنوفاً خارجة في بر الجزيرة ليميل بها الماء إلى هذا الجانب، ولم يتم شيء من ذلك.

وقال ابن المتوج: في سنة خمسين وست مائة انتهى الثيل في إحراقه^(b) إلى أربعة أذرع وسبعة عشر أصبغاً، وانتهى في زيادته إلى ثمانية عشر ذراعاً^(c) (وسبعة عشر أصبغاً^(d))، وكان مثل ذلك في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وكان نبلاً عظيماً سدّ فيه باب المقدس، يعني الباب الذي يُعرف اليوم بباب البحر عند المقدس. وفي سنة اثنين وستين وست مائة، أُحضِرَ إلى الملك الظاهر بيزنس طفلٌ وُجدَ ميتاً بساجل المقدس، له رأسان وأربعة أعين وأربعة أرجل وأربعة أيدي.

أخبرني وكيل أبي الشيخ المقر محسام الدين حسن بن عمر الشهرزوري^(d) - رحمه الله - ومؤلفه سنة اثنين وسبع مائة بالمقدس، أنه يعرف باب البحر هذا: إذا خرج منه الإنسان فإنه يرى بر الجزيرة لا يحول بينه وبينها حائل، فإذا زاد ماء الثيل صار الماء عند الوكالة التي هي الآن خارج باب البحر، المعروفة بوكالة الجبن، وإذا كان أيام اختراق الثيل بقيت الرمال تجاه باب البحر، وذلك قبل أن يخفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري. فلما خفر الخليج المذكور، أنشأ الناس البساتين والدور، كما يجيء إن شاء الله تعالى ذكره.

(a) بولاق: سيد. (b) بولاق: احترقه. (c-c) ساقط من بولاق. (d) بولاق: السهروردي.

وَأَذَرْنَا الْمَقْسَ خِطَّةً فِي غَايَةِ الْعِمَارَةِ بِهَا عِدَّةُ أَشْوَاقٍ ، وَيَشْكُنُهَا أَثَمٌ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَتَّابِ وَغَيْرِهِمْ . وَقَدْ تَلَّشَتْ مِنْ بَعْدِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ عِنْدَ مُحْدُوثِ الْغَلَاءِ بِمِصْرَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ . فَلَمَّا كَانَتْ الْحِجْرُ مِنْذُ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، خَرِبَتْ الْأَحْكَارُ وَالْمَقْسُ وَغَيْرُهُ . وَفِيهِ إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ صَالِحَةٌ ، وَهِيَ خَمْسَةُ جَوَامِعَ تُعَاقَمُ بِهَا الْجُمُعَةُ وَعِدَّةُ أَشْوَاقٍ ، وَمَعْظَمُهُ خَرَابٌ .

ذِكْرُ مَيْدَانِ الْعَلَّةِ

هَذَا الْمَكَانُ خَارِجُ بَابِ الْقَنْطَرَةِ ، يُتَّصِلُ مِنْ شَرْقِيهِ بِعَذْوَةِ الْخَلِيجِ ، وَمِنْ غَرْبِيهِ بِالْمَقْسِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ «مَيْدَانُ الْعَلَّةِ» . وَكَانَ مَوْضِعًا لِلْغِلَالِ أَيَّامَ كَانَ الْمَقْسُ سَاحِلَ الْقَاهِرَةِ . وَكَانَتْ صُبْرُ الْقَمْحِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْغِلَالِ تُوَضَّعُ مِنْ جَانِبِ الْمَقْسِ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ عَرْضًا ، وَتَقِفُ الْمَرَائِبُ مِنْ جَانِبِ الْمَقْسِ إِلَى مِثْنَةِ الشَّيْرَجِ طَوَّلًا ، وَيَصِيرُ عِنْدَ بَابِ الْقَنْطَرَةِ فِي أَيَّامِ الثَّيْلِ مِنْ مَرَائِبِ الْعَلَّةِ ١٠ وَغَيْرِهَا مَا يَشْتَرُ السَّاحِلُ كُلُّهُ ١ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ بِمَيْدَانِ الْعَلَّةِ وَمَا جَاوَزَهُ إِلَى مَا وَرَاءَ الْخَلِيجِ ، لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَهَجَرَتِ الرُّسُومُ الْقَدِيمَةُ ٢) مِنَ التَّفَرُّجِ فِي اللَّوْلُؤَةِ وَغَيْرِهَا ، بَنَتْ الطَّائِفَةُ الْقَرْجِيَّةُ السَّاكِنُونَ بِالْمَقْسِ - لِأَنَّهُمْ ضَاقَ بِهِمُ الْمَقْسُ - قِبَالَةَ اللَّوْلُؤَةِ حَازَةً شَمِيتَ بِحَارَةِ اللَّصُوصِ ، بِسَبَبِ تَعَدِّيهِمْ فِيهَا مَعَ غَيْرِهِمْ ، إِلَى أَنْ غَيَّرُوا تِلْكَ الْمَعَالِمَ ٣ . وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ قَدِيمًا بُشْتَانًا سُلْطَانِيًّا يُسَمَّى بِالْمَقْسِيِّ ، أَمَرَ الظَّاهِرُ بْنُ الْحَاكِمِ بِنَقْلِ أَنْشَابِهِ ، وَحَفَرَهُ وَجَعَلَهُ بِرُكَّةٍ قُدَّامَ اللَّوْلُؤَةِ مَخْتَلِطَةً بِالْخَلِيجِ . وَكَانَ لِلْبُشْتَانِ الْمَقْدَمُ ذِكْرُهُ تَرْوَعَةً مِنَ الْبَحْرِ يَدْخُلُ مِنْهَا الْمَاءُ إِلَيْهِ - وَهُوَ خَلِيجُ الذِّكْرِ الْآنَ ٤ - فَأَمِيرُ يَابِقَائِيهَا عَلَى حَالِهَا مُسَلَّطَةٌ عَلَى الْبِرُكَّةِ وَالْخَلِيجِ يَسْتَنْقِعُ الْمَاءَ فِيهَا . فَلَمَّا نُسِيَ ذَلِكَ عَلَى مَا

(a) مسودة الخطوط : الرسم القديم .

١ ميدان القمح . يُدَلُّ عَلَى مَوْقِعِ هَذَا الْمَيْدَانِ الَّذِي كَانَ

قَائِمًا زَمَنَ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، عِنْدَمَا كَانَ سَاحِلُ الْمَقْسِ هُوَ مِينَاءُ الْقَاهِرَةِ ، النِّصْفُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَنَاطِقِ بَابِ الْبَحْرِ الَّتِي يَشْغُلُهَا الْآنَ سَكَّةُ الْفَجَالَةِ وَشَارِعُ الطَّوَّاشِيِّ حَتَّى مَيْدَانِ بَرَكَةِ الرَّطَلِيِّ

٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١١٢ القلشندي :

صبح الأعشى ٣٥٧:٣ - ٣٥٨ وفيما يلي ٥٤٢ .

٣ فيما يلي ٤٧٩ - ٤٨٠ .

ذَكَرْنَاهُ، غَمَدَ المذكورون وغيرهم إلى اقْطِاعِ البرُكَّةِ من الخَلِيجِ، وجَعَلُوا بينها وبين الخَلِيجِ جَسْرًا، وصَارَ الماءُ يصلُ إليها من التُّرْبَةِ دون الخَلِيجِ، وصَارَتْ مُسْتَنْزَهًا^(a) للشُّودانِ المذكورين في أَيَّامِ الثَّيْلِ / والرَّيْعِ.

ولَمَّا كَانَتِ الأَيَّامُ الأَمِيرِيَّةُ أَحَبَّ إِعَادَةَ التُّرْبَةِ، فَتَقَدَّمَ وَزِيرُهُ المَأْمُونُ بنُ البَطَّايْحِيِّ بِإِخْضَارِ عُرْفَاءِ الشُّودانِ المذكورين، وَأَثَرَهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَاعْتَذَرُوا بِكَرَّةِ الرُّجَالِ^(b)، فَأَمَرَ بِتَقْلٍ ذَلِكَ وَأَعْطَاهُمْ إِنْعَامًا، فَتَبَّحُوا حَارَةً بِالقُرْبِ من دَارِ كَافُورٍ^١ الَّتِي أُشْكِنَتْ بِهَا الطَّائِفَةُ المَأْمُونِيَّةُ، قُبَالَةَ بُسْتَانِ الوَازِرِ، وَمِنَ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ المَعْلُوقَةِ فِي شَرْقِيهَا. ثُمَّ أَخْضَرَ الأَبْقَارَ مِنَ البَسَاتِينِ والعُدَدِ والآلَاتِ، وَتَقَضَّ الجِسْرَ الَّذِي بَيْنَ البرُكَّةِ والخَلِيجِ، وَعَثَقَ البرُكَّةَ إِلَى أَنْ صَارَ الخَلِيجُ مُسَلِّطًا عَلَيْهَا.

^(c) قَالَ كَاتِبُهُ: هَذِهِ البرُكَّةُ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا يَطْنُ البَقْرَةِ، وَمَكَانُهَا الآنَ مَوْضِعُهُ يُقَالُ لِبَعْضِهِ كَوْمِ الجَاكِيِّ وَسُوقِ الحِمَامِ بِظَاهِرِ مَيْدَانِ القَمَحِ^(c)، وَقَدْ ذُكِرَ خَبَرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ البرُكَّةِ فِي هَذَا الكِتَابِ^٢.

^(d) وَأَخْبَرَنِي وَكِيلُ أَبِي حَسَامِ الدِّينِ حَسَنُ بنِ عُمَرَ الشُّهْرَزُورِيِّ أَنَّهُ يَعْرِفُ بِهَذِهِ البرُكَّةِ الماءَ قَبْلَ حَفْرِ الخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، وَيَعْرِفُ خَلِيجَ الذِّكْرِ أَيْضًا وَالْمَاءُ يَمُرُّ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ البرُكَّةِ.

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُعَمَّرٌ يَعْرِفُ بِشَعْسِ الدِّينِ الشُّعُودِيِّ^٣، كَانَ يَخْرُجُ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ إِلَى هَذِهِ البرُكَّةِ وَيُخْبِرُهُ أَبُوهُ عَنْ عِمَارَتِهَا وَيُريهِ أَثَارَ زُرَابِي البُيُوتِ الَّتِي كَانَتْ تَطُلُّ عَلَيْهَا. قَالَ كَاتِبُهُ: وَأَنَا أَذْكُرُ قِطْعَةً مِنْ خَلِيجِ الذِّكْرِ وَفِيهَا القَصَبُ الفَارِسِيُّ نَابِتٌ وَلَيْسَ فِيهَا مَاءٌ. وَقَدْ صَارَ الآنَ الخَلِيجُ وَالبرُكَّةُ كَيْمَانًا تُرَابٍ مُوحِشَةٍ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ البِقَاعَ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا يَشْقَى الرُّجَالُ وَتَشْعُدُ^(d).

وَقَدْ صَارَ هَذَا المَيْدَانُ الْيَوْمَ شَوْقًا تُبَاغُ فِيهِ القَشَّةُ مِنَ التُّحَاسِ العَتِيقِ وَالْخَضِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي بَعْضِهِ شَوْقُ الغَزَلِ، وَهوَ جَامِعٌ يُشْرِفُ عَلَى الخَلِيجِ، وَسَكَنَ هُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنَ المَشَارِقَةِ الحَيَّالِ، وَفِيهِ شَوْقٌ عَامِرٌ بِالمَعَايِشِ^٤.

(a) بولاق : متزها . (b) بولاق : الرمال . (c-c) إضافة من مسودة الخطط استمضى بعضها عن جزء من نص المبيعة .

^٢ فيما يلي ٤٧٧.

^١ حاشية بخط المؤلف : دار كافور كانت على بركة قارون التي هي اليوم بجوار الكيش عند الجسر الأعظم .

^٤ المقريري : مسودة الخطط ١٥٠ و-ظ .

^٣ فيما يلي ٥٤١-٥٤٢.

وَكُرَّ أَرْضُ الطَّبَالَةِ^١

هذه الأَرْضُ، على جانب الخليج العربي بجوار المَقْص، كانت من أَحْسَنِ مَنَازِلِهَا
الْقَاهِرَةِ؛ يَمُرُّ النَّيْلُ الْأَعْظَمُ مِنْ غَرْبِهَا عِنْدَمَا يَنْدَفِعُ مِنْ سَاحِلِ الْمَقْص - حَيْثُ جَامِعِ الْمَقْصِ
الْآنَ - إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْجُرْفِ، عَلَى جَانِبِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ بِالْقُرْبِ
مِنْ بَرْكَةِ الرُّطَلِيِّ.

وَيَمُرُّ مِنَ الْجُرْفِ إِلَى غَرْبِ النَّيْلِ، فَتَصِيرُ أَرْضُ الطَّبَالَةِ نَقْطَةً وَسَطًا: مِنْ غَرْبِهَا النَّيْلُ الْأَعْظَمُ،
وَمِنْ شَرْقِهَا الْخَلِيجُ، وَمِنْ قِبَلِهَا الْبَرْكَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِبَطْنِ الْبَقَرَةِ، وَالْبَسَاتِينَ الَّتِي آخِرُهَا حَيْثُ الْآنَ
بَابُ مِصْرَ بِجَوَارِ الْكِبَارَةِ، وَحَيْثُ الْمَشْهَدُ التَّنْفِيسِي، وَمِنْ بَحْرِهَا أَرْضُ النَّيْلِ وَمَنْظَرَةُ النَّيْلِ
وَمَنْظَرَةُ النَّجَّاحِ وَالْخَمْسِ الْوُجُوهِ وَقُبَّةُ الْهَوَاءِ^٢.

١٠ فَكَانَتْ رُؤْيَا هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْئًا عَجَبِيًّا فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ، وَفِيهَا يَقُولُ سَيِّفُ الدِّينِ عَلِيٌّ بْنُ قَزَلٍ
الْمَشْدُ:

[الوافر]

إِلَى طَبَالَةِ يَمْرُونَ أَرْضًا لَهَا مِنْ سُنْدُسِ الرِّيحَانِ بُشْطُ
وَقَدْ كَتَبَ الشَّقِيقُ بِهَا سَطُورًا وَأَحْسَنَ شَكْلَهَا لِلطَّلِّ نَقْطُ
رِيَاضُ كَالْعَرَائِسِ حِينَ تُجْمَلَى يُزَيِّنُ وَجْهَهَا تَابِجٌ وَقُرْطُ

١٥

مبنى الهيئة القومية لخرو الأنفاق (محطة كوبري الليمون)
والقنطرة وبركة الرطلي. وفي نهاية القرن التاسع عشر كان
النصف الغربي من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضًا
زراعية تُزْرَعُ فِيهَا الْخَضِرَوَاتُ وَعَلَى الْأَخْصِ الْقَيْجَلُ،
فَاشْتَهَرَتِ الْأَرْضُ بِاسْمِ غَيْطِ الْقَنْطَارَةِ نَسْبَةً إِلَى الَّذِينَ
يَزْرَعُونَهُ، وَلَمَّا عُمِّرَتِ تِلْكَ الْجِهَةُ بِالْمَسَاكِينِ شُقِّيتِ الطَّرِيقُ
الَّتِي كَانَتْ تَجَاوِرُ هَذَا الْغَيْطَ مِنَ الْجِهَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِاسْمِ شَارِعِ
الْقَنْطَارَةِ. (تعليقات محمد رمزي واستدراكاته على النجوم
الزاهرة ١٣٢٥هـ، ٧: ٣٨٩؛ محمد رمزي: الجغرافية
التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج ٥، ٣٣٢).

^١ هذا الفصل نشره سلفستر دي ماسي De Sacy, S.,
«Chrestomathie Arabe, Paris 1806, I, pp. 105-31»
بعنوان: «ذكر أرض الطبالاة وخشيعة الفقراء».

^٢ يدل على موقع أرض الطبالاة الآن المنطقة السكنية التي
تُحَدُّ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ بَوْرَسَعِيدِ (الخليج المصري) وَمِنْ
الشَّمَالِ بِشَارِعِ الظَّاهِرِ فِشَارِعِ وَقْفِ الْخَزِينِ وَفِي
امْتِدَادِهِ حَتَّى يَتَقَابَلَ بِشَارِعَ مَهْمَسَةَ، وَمِنْ الْغَرْبِ بِشَارِعِ
عَفْرَةَ (أسفل كوبري أكتوبر) إِلَى مَبْنَى الْهَيْئَةِ الْقَوْمِيَّةِ لَخُرُ
الْأَنْفَاقِ (محطة كوبري الليمون) فَمِيدَانِ رَمِيسِ فَمِيدَانِ
بَابِ الْحَدِيدِ حَيْثُ كَانَ النَّيْلُ يَجْرِي قَدِيمًا. وَمِنْ الْجَنُوبِ
بِشَارِعِ الْقَنْطَارَةِ وَسُكَّةِ الْقَنْطَارَةِ وَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْمَنْطَقَةِ كَذَلِكَ

وأما قيل لها «أَرْضُ الطَّبَّالَةِ» ، لأنَّ الأميرَ أبا الحارث أوسلان البساسيري ، لما غاضبَ الخليفةَ القائمَ بأمر الله العبَّاسي ، وخرَّجَ من بغداد يُريدُ الانتماءَ إلى الدَّولةِ الفاطميَّةِ بالقاهرة ، أمدهُ الخليفةُ المُستنصر بالله ووزيره النَّاصر لدين الله عبد الرحمن التَّازوري ، حتى استولَى على بغداد ، وأخذَ قَصْرَ الخِلافةِ ، وأزالَ دَوْلَةَ بني العبَّاس منها ، وأقامَ الدَّولةَ الفاطميَّةَ هناك ، وسَمَّى عِمَامَةَ القائمِ وثيابه وشُبابَكَه الذي كان إذا جَلَسَ يستندُ إليه ، وغير ذلك من الأموال والتَّحف إلى القاهرة في سنة خمسَين وأربع مائة^١ .

فلما وَصَلَ ذلك إلى القاهرة ، سُرَّ الخليفةُ المُستنصرُ سُرورًا عظيمًا ، ورُيِّنَتِ القاهرةُ والقُصورُ ومَدِينَةُ مصر والجزيرة . فَوَقَّعَتْ «نَشَب»^(a) طَبَّالَةَ المُستنصر - وكانت امرأةً مرجلة تقف تحت القصر في المواسم والأعياد ، وتسير أمامَ^(b) المؤكَبِ وحولها طائفتها وهي تَضْرِبُ بالطَّبْلِ وتُشِيدُ - فَأَنْشَدَتْ وهي واقفة تحت القصر :

[مجزوء الرمل]

يا بني العبَّاس رُدُّوا مَلَكَ الْأَمْرِ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ مِلْكُ مُعَاوِ والعَواري تُشْتَرَدُّ

فَأَعَجَبَ المُستنصر ذلك منها ، وقال لها : تَمَّتِي . فسألت أن تُقَطِّعَ الْأَرْضَ المجاورة للمَقَس . فَأَقْطَعَهَا هذه الْأَرْضُ ، وقيل لها من حيثيذِ «أَرْضُ الطَّبَّالَةِ»^٢ . ولتَشَبَّ هذه تَرْبَةً^(c) بالقرافة الكبرى تُعْرَفُ بِتَرْبَةِ نَشَب^(a) .

قال ابنُ عبد الظَّاهر : أَرْضُ الطَّبَّالَةِ منسوبةٌ إلى امرأةٍ مُغَنِّيَةٍ تُعْرَفُ بِنَشَب^(a) - وقيل بطَرْب - مُغَنِّيَةِ المُستنصر ، قال : فَوَهَبَهَا هذه الْأَرْضُ المعروفة بأَرْضِ الطَّبَّالَةِ ، وَحُكِرَتْ وَبُنِيَتْ أَذْرًا وَيُونَا ، وكانت من مُلَحِّحِ القاهرة وَبَهْجَتِهَا^٣ . انتهى .

(a) بولاق : نسب . (b) بولاق : أيام . (c) بولاق : وأنشأت هذه الطباله تربة .

^١ راجع تفصيل ذلك عند ، المؤيد في الدين : سيرة داعي

الدعاة ١٧٨-١٨٠ ؛ ابن القلانسي : تاريخ مدينة دمشق

٨٧-٨٩ ؛ ابن طاهر : أخبار الدول المنقطعة ٦٧-٦٨ ؛ ابن

الأثير : الكامل ٩: ٤٤٥-٤٤٩ ؛ ابن ميسر : أخبار مصر

١٨-١٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ١٩١ ، وفيما

تقدم ٢: ١٩٦ .

^٢ ابن ميسر : أخبار مصر ١٩٩ ؛ المقرئ : انعاظ الحنفا

٢: ٢٥٤ ، مسودة الخطوط ١٤٨-١٤٨ ظ .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٩-١٢٠ .

ثم إنَّ أَرْضَ الطَّبَالَةِ خَرِبَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، عِنْدَ مُجْدُوثِ الْغَلَاءِ وَالزُّبَاءِ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَثِيفًا^١، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِنْسَانٌ يَلُوحُ، وَبَقِيَ خَرَابًا إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، فَشَرَعَ النَّاسُ فِي سُكْنَاهَا قَلِيلًا قَلِيلًا.

فَلَمَّا خَفَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ، فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ بِيَدِ الْأَمِيرِ بَكْتُمُرِ الْحَاجِبِ، فَمَا زَالَ بِالْمُهَنْدِسِينَ حَتَّى مَرُّوا بِالْخَلِيجِ مِنْ عِنْدِ الْجُرُفِ عَلَى بَرْكَةِ الطُّوَّائِينَ - الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَرْكَةِ الْحَاجِبِ وَبَرْكَةِ الرُّطْلِيِّ - فَمَرُّوا بِهِ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى صَبَّ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ مِنْ آخِرِ أَرْضِ الطَّبَالَةِ^٢. فَعَمَّرَ الْأَمِيرُ بَكْتُمُرُ الْمَذْكُورُ هُنَاكَ الْقَنْطَرَةَ، الَّتِي تُعْرَفُ بِقَنْطَرَةِ الْحَاجِبِ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، وَأَقَامَ جِسْرًا مِنَ الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْجُرُفِ. فَصَارَ هَذَا الْجِسْرُ فَاصِلًا بَيْنَ بَرْكَةِ الْحَاجِبِ وَالْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي تَحْكِيمِهِ، / فَتَبَّأَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْبَرْكَةِ الدُّورِ.

وَعَمَّرَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَرْضُ الطَّبَالَةِ، وَصَارَ بِهَا عِدَّةُ حَارَاتٍ: مِنْهَا حَارَةُ الْقَرْبِ، وَحَارَةُ الْأَكْرَادِ، وَحَارَةُ الْبِرَادِرَةِ^(أ)، وَحَارَةُ الْعِثَّاطِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَبَقِيَ فِيهَا عِدَّةُ أَسْوَاقٍ وَخُتَامٍ وَجَوَامِعَ تُقَامُ بِهَا الْجُمُعَةُ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى التَّنَزُّهِ بِهَا أَيَّامَ الثَّيْلِ وَالرَّبِيعِ، وَكَثُرَتْ الرِّغَابَاتُ فِيهَا لِقُرْبِهَا مِنَ الْقَاهِرَةِ.

وَمَا بَرِحَتْ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْعِمَارَةِ، إِلَى أَنْ حَدَّثَ الْغَلَاءُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، أَيَّامَ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، فَخَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ حَارَاتِ أَرْضِ الطَّبَالَةِ، وَبَقِيَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ إِلَى أَنْ دَثُرَتْ مِنْذُ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ، وَصَارَتْ كَيْمَانًا.

وَبَقِيَ فِيهَا مِنَ الْعَامِرِ الْآنَ الْأَمْثَلُ الْمَطْلَةُ عَلَى الْبَرْكَةِ، الَّتِي ذُكِرَتْ عِنْدَ ذِكْرِ الْبَرْكِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣، وَفِيهَا بَقْعَةٌ تُعْرَفُ بِالْجُنَيْتَةِ - تَصْغِيرُ جَنَّةٍ - مِنْ أُنْحَثِ بِقَاعِ الْأَرْضِ. يُعْمَلُ فِيهَا بِمَعَاصِي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَتُعْرَفُ بِبَيْعِ الْحَشِيشَةِ الَّتِي يَتَلَعَّهَا أَرَاذِلُ النَّاسِ.

وَقَدْ قَسَّتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الْحَيَّةُ فِي وَقْتِنَا هَذَا فَشَوْأَ زَائِدًا، وَوَلَّعَ بِهَا أَهْلُ الْخَلَاَعَةِ وَالشُّخْفِ وَلَوْعًا كَثِيرًا، وَتَظَاهَرُوا بِهَا مِنْ غَيْرِ اخْتِشَامٍ بَعْدَمَا أَدْرَكْنَاهَا تُعَدُّ مِنْ أَرْدَلِ الْحَبَايِثِ، وَأَقْبَحِ

(أ) بولاق: البرازره.

^١ فيما يلي ٧٧٤. مسودة المخطوط ١٤٩ و.

^٢ ابن أبيك: كنز الدرر ٣٢٠: ٩-٣٢١، المقرئ: ٣ فيما يلي ٥٤٢.

القاذورات ، وما شيء في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها . ولاشيتهاها في وقتنا هذا عند الخاص والعام ، بمصر والشام والعراق والروم ، تعيّن ذكرها ، والله تعالى أعلم .

٥
١٠
١٥
يذكر حشيفة الفقراء^١ - قال الحسن بن محمد في كتاب : «الشوانح الأدبية في مدائح القبيّة»^٢ : سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازي الحيدري ببغدة تُشتر ، في سنة ثمان وخمسين وست مائة ، عن السبب في الوقوف على هذا العقار ، ووصوله إلى الفقراء خاصة ، وتعدّيه إلى الغوام عامة . فذكر لي أنّ شيخه ، الشيخ حيدر^٣ - رحمه الله - كان كثير الرياضة والمجاهدة ، قليل الاستعمال للغذاء ، قد فاق في الزهادة ، وبرز في العبادة . وكان مولده بنشاور^٤ من بلاد خراسان ، ومقامه بجبل بين نشاور وراماه^٥ ، وكان قد اتّخذ بهذا الجبل زاوية وفي صُعبته جماعة من الفقراء ، وانقطع في موضع منها ، ومكث بها أكثر من عشر سنين لا يخرج منها ، ولا يَدْخُل عليه أحدٌ غيري للقيام بخدمته .

قال : ثم إنَّ الشيخ طلع ذات يوم ، وقد اشتدَّ الحرُّ وقت القائلة ، منفردًا بنفسه إلى الصُخراء ، ثم عاد وقد علا وجهه نشاطٌ وشروءٌ بخلاف ما كنّا نعهده من حاله قبل ، وأذن لأصحابه في الدُخول عليه ، وأخذ يُحادثهم . فلما رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة ، بعد إقامته تلك المدة الطويلة في الخلوة والعزلة ، سألناه عن ذلك فقال : بينما أنا في خلوتي إذ خطرَ بيالي الخروج إلى الصُخراء منفردًا ، فخرَجْتُ فوجدتُ كلَّ شيء من الثبات ساكنًا لا يتحرّك لعدم الرّيح وشدة القيظ ، ومزرتُ بنباتٍ له ورقٌ ، فرأيت في تلك الحال يَميس بلُطفٍ ، ويتحرّك من غير غُنب كاللّيل الشّوان ، فجعلتُ أقطف منه أوراقًا وأكلها ، فحدثت عندي من الارتياح ما شاهدتموه ، وقوموا بنا حتى أوقفكم عليه لتعرفوا شكّله .

(a) بولاق : شيخ الشيوخ حيدرا . (b) بولاق : راماه .

١ من التّحريم ، يذكر فيها ما ذكره ربّزده . (كشف الظنون (طبعة لينسج) ٣ : ٦٣٠) .

٢ هي مدينة نيسابور ، قال ياقوت : والعائلة يُشتمونه (ياقوت : معجم البلدان ٥ : ٣٣١) .

٣ راماه . ربما المقصود : راماشاه من قرى مرو الشاهجان . (نفسه ٣ : ١٦) .

١ نشرها سلفستر دي ساسي في كتاب *Chrestomathie arabe*, Paris 1806, I, pp. 105-31 .

٢ «الشوانح الأدبية في مدائح القبيّة» للحسن بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي البقاء الكُنجري ، قال حاجي خليفة : رسالة كاتّه عارض بها صاحبها «تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة للقطب القسطلاني . ولما وقّف القسطلاني على هذا وضع رسالة أخرى سماها «تكميم التّكريم» في الحشيش

قال: فَخَرَجْنَا إِلَى الصَّخْرَاءِ ، فَأَوْقَفْنَا عَلَى النَّبَاتِ ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ قُلْنَا : هَذَا نَبَاتٌ يُعْرَفُ بِالْقَنْبِ . فَأَمَرْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ وَرَقِهِ وَنَأْكُلَهُ ، فَقَعَلْنَا . ثُمَّ عُذْنَا إِلَى الزَّاوِيَةِ فَوَجَدْنَا فِي قُلُوبِنَا مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ مَا عَجَزْنَا عَنْ كِتْمَانِهِ . فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي وَصَفْنَا أَمَرَنَا بِصِيَانَةِ هَذَا الْعَقَّارِ ، وَأَخَذَ عَلَيْنَا الْأَيْمَانَ أَلَّا نَعْلَمَ بِهِ أَحَدًا مِنْ عَوَامِّ النَّاسِ ، وَأَوْصَانَا أَلَّا نُخْفِيهِ عَنِ الْفُقَرَاءِ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّكُمْ بِسِرِّ هَذَا الْوَرَقِ ، لِئَذْهَبَ بِأَكْلِهِ هُمُومُكُمْ الْكَثِيفَةُ ، وَيَجْلُوَ بِفَعْلِهِ أَفْكَارُكُمْ الشَّرِيفَةُ . قَرَابِيهِه فِيمَا أَوْذَعَكُمْ ، وَرَاعُوهُ فِيمَا اسْتَرْعَاكُمْ .

قال الشَّيْخُ جَعْفَرُ : فَزَرَعْتُهَا بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ حَيْدَرٍ بَعْدَ أَنْ وَقَفْنَا عَلَى هَذَا السِّرِّ فِي حَيَاتِهِ ، وَأَمَرْنَا بِزَرْعِهَا حَوْلَ ضَرْيَحِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَعَاشَ الشَّيْخُ حَيْدَرٍ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنَا فِي خِدْمَتِهِ ، لَمْ أَرَهُ يَقْطَعُ أَكْلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَكَانَ يَأْمُرُنَا بِتَقْلِيلِ الْغَدَاءِ وَأَكْلِ هَذِهِ الْحَشِيشَةِ .

وَتُوفِيَ الشَّيْخُ حَيْدَرُ سَنَةَ ثَمَانٍ عَشْرَةَ بِزَاوِيَتِهِ فِي الْجَبَلِ ، وَغُمِلَ عَلَى ضَرْيَحِهِ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَتَتْهُ الثُّدُورُ الْوَافِرَةُ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، وَعَظَّمُوا قَدْرَهُ وَزَارُوا قَبْرَهُ ، وَاحْتَرَمُوا أَصْحَابَهُ . وَكَانَ قَدْ أَوْصَى أَصْحَابَهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ أَنْ يُوَقِفُوا ظُرَفَاءَ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَكُتُبَاءَهُمْ عَلَى هَذَا الْعَقَّارِ وَسِرِّهِ ، فَاسْتَعْمَلُوهُ . قال : وَلَمْ تَزَلِ الْحَشِيشَةُ شَائِعَةً ذَائِعَةً فِي بِلَادِ خُرَاسَانَ وَمُعَامَلَاتِ فَارِسَ ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ أَكْلُهَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، حَتَّى وَرَدَ إِلَيْهَا صَاحِبُ هُرْمُزٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبُ الْبَيْخَرَيْنِ - وَهُمَا مِنْ مُلُوكِ سَيْفِ الْبَحْرِ الْجَاوِرِ لِبِلَادِ فَارِسَ - فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ^١ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْ مِائَةٍ ، فَخَتَلَهَا أَصْحَابُهُمَا مَعَهُمْ ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ أَكْلَهَا . فَاشْتَهَرَتْ بِالْعِرَاقِ ، وَوَصَلَ خَبَرُهَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالرُّومِ . فَاسْتَعْمَلُوهَا .

قال : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ ظَهَرَتْ الدَّرَاهِمُ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ النَّاسُ يُتَفَقَّهُونَ الْقُرْأَةَ . وَقَدْ نُسِبَ إِظْهَارَ الْحَشِيشَةِ إِلَى الشَّيْخِ حَيْدَرِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْأَعْبَى الدُّمَشْقِيِّ فِي أَيْيَاتٍ ، وَهِيَ :

[الطويل]

دَعِ الْخَمْرَ وَاشْرَبْ مِنْ مُدَامَةِ حَيْدَرٍ	مُتَعَتِّرَةٌ خَضِرَاءَ مِثْلَ الزَّبَرْجَدِ
يُعَاطِيكَهَا ظَلْبِي مِنَ الثُّوْكَ أَغْيَدُ	يَمِيسُ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْبَانِ أَثْلَدُ
فَتَحْسَبُهَا فِي كَفِّهِ إِذْ يُدِيرُهَا	كَرْقَمٍ عِذَابٍ فَوْقَ خَدِّ مُوَرِّدِ

^١ أي الخليفة العباسي المستنصر بالله ، أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد ، صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد .

يُرْزَحُهَا أَذْنِي نَسِيم تَنَسَّتْ فَتَهْفُو إِلَى بَرْدِ النَّسِيمِ الْمُرْدِدِ
وَتَشْدُو عَلَى أَغْصَانِهَا الْوُزْقُ فِي الضَّنْحَى فَيَطْرُبُهَا سَجْعُ الْحَمَامِ الْمُغْرَدِ
وَفِيهَا مَعَانٍ لَيْسَ فِي الْخَمْرِ يَفْلُهَا فَلَا تَشْتَجِعُ فِيهَا مَقَالَ مُفَقِّدِ
هِيَ الْبُكْرُ لَمْ تُنَكَّجْ بِنَاءِ سَحَابَةٍ وَلَا غَصِرَتْ يَوْمًا بِرِجْلِ وَلَا يَدِ
وَلَا عَبَتْ الْقَيْسُ يَوْمًا بِكَأْسِهَا وَلَا قَرَّبُوا مِنْ ذَنْهَا كُلَّ مُلْحَدٍ^٥
وَلَا نَصَ فِي تَحْرِيمِهَا عِنْدَ مَالِكٍ وَلَا خَذَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدِ
وَلَا أَثَبَّتِ الثَّقَمَانُ تَجْبِيسَ عَيْيَهَا فَخَذَهَا بَعْدَ الْمَشْرِفِيِّ^٦ الْمُتَهَدِّ
وَكُفَّ أَكْفَ الْهَمِّ بِالْكَفِّ وَاشْتَرَحَ وَلَا تَطْرَحُ يَوْمَ الشَّرُورِ إِلَى غَدِ

وكذلك نسب إظهارها إلى الشيخ خيدر الأديب أحمد بن محمد بن الرثم الحلي

١٠ فقال :

[الكامل]

وَمُهَفَّفَ بَادِي الثَّغَارِ عَهْدُهُ لَا أَلْتَقِيهِ قَطَّ غَيْرَ مُعَيَّسٍ
فَرَأَيْتُهُ بَعْضَ اللَّيَالِي ضَاحِكًا سَهْلَ الْغَرِيكَةِ رَيْضًا فِي الْمَجْلِسِ
فَقَضَيْتُ مِنْهُ مَا رَبِي وَشَكَرْتُهُ إِذْ صَارَ مِنْ بَعْدِ الشَّافِرِ مُؤْنِسِي
فَأَجَابَنِي لَا تَشْكُرُنَّ خَلَائِقِي وَاشْكُرْ شَفِيقَكَ نَهْوَ خَمْرِ الْمَقْلِسِ
فَحَشِيشَةُ الْأَفْرَاجِ تَشْفَعُ عِنْدَنَا لِلْعَاشِقِينَ بِبَسْطِهَا لِلْأَنْفُسِ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِصَيْدِ ظَبْيِي نَافِرٍ فَاجْهَدْ بَأَنْ يَوْعَى حَشِيشَ الْقَنْبِسِ
وَاشْكُرْ عِصَابَةَ خَيْدَرٍ إِذْ أَظْهَرُوا لِذَوِي الْخَلَاعَةِ مَذْهَبَ الْمُتَحَمِّسِ
وَدَعَ الْمُعْطَلُ لِلشَّرُورِ وَخَلَنِي مِنْ حَسَنِ ظَنِّ النَّاسِ بِالْمُقْتَنَسِ

٢٠ وقد حدثني الشيخ محمد الشيرازي القلندري^١ : أن الشيخ خيدر لم يأكل الحشيشة في عمره أبته ، وإنما عامة أهل خراسان نسبوها إليه لاشتهار أصحابه بها ، وأن إظهارها كان قبل وجوده بزمان طويل . وذلك أنه كان بالهند شيخ يسمى بيرزطن هو أول من أظهر لأهل الهند أكلها ، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ، ثم شاع أمرها في بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ، ثم فشا إلى

(a) بولاق : مقعد . (b) بولاق : المشرق .

^١ انظر عن القلندرية (الملائكية) ، فيما يلي ٤٣٢:٢-٤٣٣ .

أهل فارس ، ثم وَرَدَ خبرُها إلى أهل العراق والروم والشَّام ومِصر في السنة التي قَدِّمْتُ ذكرها .
قال : وكان يبرزُطن في زمن الأكاسيرة ، وأدرك الإسلام ، وأسلم ، وإنَّ الناس من ذلك الوقت
يستعملونها . وقد نَسَبَ إظهارها إلى أهل الهند علي بن مَكِّي في أبيات أنشدنيها من لَفْظِهِ ،
وهي :

[الطويل]

ألا فاكْضِفِ الأَخْزَانَ عَنِّي مع الصُّرِّ
تَجَلَّتْ لَنَا لَمَّا تَحَلَّتْ بِسُنْدُسٍ
بَدَتْ تَمَلُّ الأَبْصَارَ نُورًا بِحُسْنِهَا
عُزُوسٌ بِشَرِّ الثَّقَفِ مَكُونُ سِرِّهَا
فَلِلذُّوقِ مِنْهَا مَطْعَمُ الشَّهْدِ رَائِقًا
وَفِي لَوْنِهَا لِلطَّرْفِ أَحْسَنُ نُزْهَةً
تَرَكَّبَ مِنْ قَانٍ وَأَبْيَضَ فَانْتَنَتْ
فَتَكْسِيفُ نُورِ الشَّمْسِ حُمْرُهُ لَوْنُهَا
عَلَتْ رُتْبَةً فِي حُسْنِهَا وَكَأَنَّهَا
تَبَدَّتْ فَأَبْدَتْ مَا أَجْرُ مِنَ الْهَوَى
جَمِيلَةً أَوصَافٍ جَلِيلَةً رُتْبَةً
فَقَمَّ فَانْفِجِشِ الْهَمَّ وَاكْضِفِ يَدَ الْغَنَا
بِهِنْدِيَّةٍ فِي أَضَلِّ إظهارِ أَكْثَلِهَا
/ تُزِيلُ لَهْمِبَ الْهَمِّ غَنَّا بِأَكْثَلِهَا

قال : وأنا أقول : إِنَّهُ قَدِيمٌ مَعْرُوفٌ منذ أَوْجَدَ الله تعالى الدُّنْيَا ، وقد كان على عَهْدِ اليونانيين ،
والدَّلِيلُ على ذلك ما نَقَلَهُ الأَطْبَاءُ في كُتُبِهِمْ ، عن بُقْرَاطٍ وجالِينوس ، من مِزَاجِ هذا الْفَقَارِ
وَحَوَاصِهُ وَمَنَافِعِهِ وَمَضَارِهِ .

قال ابنُ جَزْوَلةٍ في كتاب «مِنْهَاجِ الْبَيَانِ»^١ : الْقَيْبُ الَّذِي هُوَ وَرَقٌ

^١ «مِنْهَاجِ الْبَيَانِ» فيما يستعمله الإنسان، لشرف الدين أبي علي يحيى بن عيسى بن علي المعروف بابن جَزْوَلةٍ ، المتوفى سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م . ذكر فيه جميع الأدوية والأشربة وكل مُركَّب من ذلك ، ورتَّبَهُ على حروف المعجم ، واعتمد في ذلك على أنطراط وديسقوريدس ورومنس وجالينوس وحنين وإسحاق والرازي ، وألفه للخليفة المقتدي بأمر الله العباسي . (راجع : Vernet, J., *El² art. Ibn Djazla III*, (راجع : Brockelmann, C., *GAL I*, 485, SI, pp. 776-77)

الشَّهْدَانَجُ^١: منه بُسْتَانِي ومنه بَرِّي . والبُسْتَانِي أجوده ، وهو حارٌّ يابسٌ في الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ ، وقيل خَرَارَتُهُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى ، ويُقَالُ إِنَّهُ بَارِدٌ يَابِسٌ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى . وَالتَّرِيُّ مِنْهُ حَارٌّ يَابِسٌ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ .

قَالَ : وَيُسَمَّى بِالْكَفِّ ، أَتَشَدَّنِي تَقِي الدِّينَ الْمُوصِلِي :

[الخفيف]

كُفِّ كَفَّ الْهُمُومَ بِالْكَفِّ فَالْكَفُّ شِفَاءٌ لِلْعَاشِقِ الْمَهْمُومِ
بَابُنَّةِ الْقَيْبِ الْكَرِيمَةِ لَا بَابَ - سَنَةَ كَرَمٍ يُغْدَا لِبَنَاتِ الْكُرُومِ

قَالَ : وَالْفُقَرَاءُ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ اسْتِعْمَالَهُ - مَعَ مَا يَجِدُونَ مِنَ اللَّذَّةِ - تَجْفِيفًا لِلْمَنِيِّ ، وَفِي إِطْطَالِهِ قَطْعٌ لَشَهْوَةِ الْجَمَاعِ كَيْ لَا تَمِيلَ نَفْسُهُمْ إِلَى مَا يُوقِعُ فِي الرُّنَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَطْبَاءِ : يَنْبَغِي لِمَنْ يَأْكُلُ الشَّهْدَانَجَ أَوْ وَرَقَهُ أَنْ يَأْكُلَهُ مَعَ اللُّوزِ أَوْ الْقُشْقُشِ أَوْ الشُّكْرِ أَوْ الْعَسَلِ أَوْ الْحُشْحَاشِ ، وَيَشْرَبُ بَعْدَهُ الشُّكَنْجَبِينَ لِيَنْدَفِعَ صَرَرُهُ ، وَإِذَا قَلِيَ كَانَ أَقْلٌ لَصَرَرِهِ ، وَذَلِكَ جَرَتْ الْعَادَةُ قَبْلَ أَكْلِهِ أَنْ يُقَلِّي ، وَإِذَا أُكِلَ غَيْرَ مَقْلِي كَانَ كَثِيرَ الصَّرَرِ .

وَأَمْرِجَةُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فِي أَكْلِهِ : فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْكُلَهُ مُضَافًا إِلَى غَيْرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضِيفُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ أَوْ الْعَسَلِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْحَلَالَاتِ .

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ جَالِينُوسَ قَالَ : إِنَّهَا تُبْرِئُ مِنَ الثَّخَمَةِ ، وَهِيَ جَيِّدَةٌ لِلْهَضْمِ . وَذَكَرَ ابْنُ جَزَلَةَ فِي كِتَابِ «الْمِنْهَاجِ» أَنَّ بُزْرَ شَجَرِ الْقَيْبِ الْبُسْتَانِي هُوَ الشَّهْدَانَجُ ، وَثَمَرُهُ يُشَبِّهِ حَبَّ الشَّمْنَةِ ، وَهُوَ حَبٌّ يُغْصَرُ مِنْهُ الدَّهْنُ . وَحَكَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ شَجَرَةَ الْبَرِّي تَخْرُجُ فِي الْفِغَارِ الْمَنْقُوعَةِ عَلَى قَنْدَرِ ذِرَاعٍ ، وَوَرَقُهُ يَغْلُبُ عَلَيْهِ النَّبَاتُ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَسَوَيْهِ^٢ فِي كِتَابِ «تَذْوِيرِ أَهْدَانِ الْأَصْحَاءِ» : إِنَّ مِنْ غَلَبِ عَلَى بَدَنِهِ الْبَلْغَمِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَغْذِيَّتُهُ مُسَخَّنَةٌ مُجَفَّفَةٌ ، كَالزَّيْبِ وَالشَّهْدَانَجِ .

= ١٨٨٨ فهرس المخطوطات المصورة بمحمد المخطوطات

العربية برقم ٢٥١-٢٥٤ ، ٢٩٠-٢٩٤ (طب) .

^١ الشَّهْدَانَجُ . فارسي معرب ، واسمه بالعربية : الشُّوم . (الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ٢٠٦) ؛ وفي القاموس المحيط ٢٥٠ : «الشَّهْدَانَجُ ، ويقال : شَاهْدَانَجُ ، حَبُّ الْقَيْبِ ، يَنْفَعُ مِنْ مَحْمِي الرُّوْبَعِ وَالتَّبَقِّ وَالزَّرْعِ ، وَيَقْتُلُ حَبُّ

الْفَرْعُ أَكْثَرًا وَوَضَقًا عَلَى الْبَطْنِ مِنْ خَارِجٍ أَيْضًا .

^٢ يحيى بن ماسويه السرياني ، أحد الذين قُلِّدَهُمُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِي هَارُونُ الرَّشِيدُ تَرْجُمَةَ الْكُتُبِ الطِّبِّ الْقَدِيمَةِ . وَهُوَ يَنْسَبُ إِلَى مَدْرَسَةِ جَنْدِيسَابُور ، الْمَتْوَفَى سَنَةَ ٢٤٣هـ / ٨٥٧م . (ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء ٦٥-٦٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ١: ١٧٥-١٨٣) .

وقال صاحبُ كتاب «إصلاح الأدوية»: إِنَّ الشَّهْدَانِجَ يُدْرِ التَّوَلُّ، وهو عَبر الانهضام رديء الخلط للمعدة. قال: ولم أجد لإزالة الزُّقَر من اليد أَتْلُغَ من غَسَلها بالحَشِيشَةِ، ورأيتُ من خواصِّها أَنَّ كثيرًا من ذوات السُّموم - كالحَيَّة ونحوها - إذا شَمَّت رِيحها هَزَبَتْ، ورأيتُ أَنَّ الإنسانَ إذا أَكَلها وَرَجَدَ فَعَلَّها في نفسه، وأَحَبُّ أَنْ يُفَارَقَ فَعَلَّها قَطَرٌ في مَنْخَرَيْهِ شَيْئًا من الزَّيْتِ، وأَكَلَ من اللَّبَنِ الحَامِض. ومِمَّا يُكْسِر قُوَّةَ فعلها وَيُضْعِفُه السَّباحة في الماء الجاري، والتَّوْمُ يُعْطِلُه.

قال كاتبُه^(a): دَخَّ ثَوَاهِبُ^(b) الْقَوْمِ، فما تَلَّى النَّاسُ بأفْسَد من هذه الشَّجَرَةِ لأَخْلَاقِهِمْ. ولقد حَدَّثَنِي الْقَاضِي الرَّئِيسُ تاجُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ [بن أحمد]^(c) بن عبد الوَّهاب بن الخطَّابِ الخَزْزُومِي^(١)، قَبْلَ اخْتِلَاطِهِ، عَنِ الرَّئِيسِ غَلَاءِ الدِّينِ...^(d) بن نَفِيسٍ، أَنَّهُ شَمِلَ عَنِ هَذِهِ الْحَشِيشَةِ فَقَالَ: اعْتَبَرْتُهَا فَوَجَدْتُهَا تُورِثُ الشَّفَالَةَ وَالرَّذَالَةَ. وكذلك جَرَّبْنَا فِي طُولِ عُمرنا مَن عاناها، فَإِنَّهُ يَنْحَطُّ فِي سَائِرِ أَخْلَاقِهِ إِلَى ما لا يَكَاذُ أَنْ يُتَّقَى لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِيَةِ شَيْءٌ أَلْبَنَةٌ.

وقد قال ابنُ البيطار في كتاب «المُفْرَدَاتِ»: ومن القَيْبِ نَوْعٌ ثَالِثٌ يُقَالُ لَهُ القَيْبُ الْهِنْدِيُّ، ولم أرْهُ بغيرِ مصرَ، وَيُزْرَعُ فِي الْبَسَاتِينِ، ويسمَّى^(e) بِالْحَشِيشَةِ عِنْدَهُمْ أَيْضًا، وهو يُشَكِّرُ جَدًّا إِذَا تَنَاوَلَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ قَدَرٌ يَرْوِّحُ، أو يَرْوِّحُ مِنْهُ، حَتَّى إِنَّ مَن أَكْثَرَ مِنْهُ يُخْرِجُهُ إِلَى حَدِّ الرُّعُونَةِ، وقد اسْتَعْمَلَهُ قَوْمٌ فَاخْتَلَّتْ عُقُولُهُمْ، وأَدَّى بِهِمُ الْحَالُ إِلَى الْجُنُونِ، وَرُبَّمَا قَتَلَتْ.

ورأيتُ الْفُقَرَاءَ يَسْتَعْمِلُونَهَا عَلَى أَنْحَاءِ شَتَّى. فَمِنْهُمْ مَنْ يَطْبِخُ الْوَزَقَ طَبِخًا بَلِغًا، وَيَذْعَكُهُ بِالْيَدِ دَعْكًا جَيِّدًا حَتَّى يَتَعَجَّنَ، وَيَقْتَلُهُ^(f) أَقْرَاصًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَفِّفُهُ قَلِيلًا ثُمَّ يُحَصِّصُهُ وَيَفْرَكُهُ بِالْيَدِ، وَيَخْلُطُ بِهِ قَلِيلَ سَعِسِيمٍ مَقْشُورٍ وَشُكْرٍ وَيَشْتَقُّهُ وَيُطِيلُ مَضْغَهُ. فَإِنَّهُمْ يَطْرَبُونَ عَلَيْهِ وَيَفْرَحُونَ كَثِيرًا، وَرُبَّمَا أَشْكَرَهُمْ فَيُخْرِجُونَ بِهِ إِلَى الْجُنُونِ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ. وَهَذَا مَا شَاهَدْتُهُ مِنْ فَعْلِهَا.

وَإِذَا خِيفَ مِنَ الْإِكْتَارِ مِنْهُ، فَلْيُبادِرْ بِالْقَنِيِّ^(g) بِسَنِيٍّ وَمَاءٍ سَخِنَ حَتَّى تُنْقَى مِنْهُ الْمَعِدَةُ، وَشَرَابُ الْحُمَاضِ لَهُمْ فِي غَايَةِ النُّفَعِ^(٢).

(a) بولاق: مؤلفه. (b) بولاق: نزاهة. (c) إضافة اقتضاها السياق. (d) يياض في آياصونيا. (e) بولاق: ويقال

له. (f) بولاق: ويعمل منه. (g) بولاق: إلى القنيء.

فَانْظُرْ كَلَامَ الْعَارِفِ فِيهَا وَاحْذَرْ مِنْ إِفْسَادِ بَشَرِيَّتِكَ وَتَلَاَفِ أَخْلَاقِكَ بِاسْتِعْمَالِهَا . وَلَقَدْ عَهِدْنَاهَا وَمَا يُؤْمَى بِتَعَاطِيهَا إِلَّا أُرَاذِلُ النَّاسِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَأْتِفُونَ مِنْ اتِّسَابِهِمْ لَهَا لَمَّا فِيهَا مِنَ الشُّعْثَةِ .

وكان قد تَبَيَّنَ الأَمِيرُ سُودُونُ الشَّيْخُونِي - رَحِمَهُ اللهُ - الْمَوْضِعَ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْجُنَيْتَةِ ، مِنْ أَرْضِ الطُّبَّالَةِ وَبَابِ اللُّوقِ ، وَحِكْرٍ وَاصِلٍ بِبُولاقَ ، وَأَتْلَفَ مَا هُنَاكَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ ، وَقَبِضَ عَلَى مَنْ كَانَ يَتْلَاهُمَا مِنْ أَطْرَافِ النَّاسِ وَرُذَلَانِهِمْ ، وَعَاقَبَ عَلَى فِعْلِهَا بِقَلْعِ الْأَصْرَاسِ ، فَقَلَعَ أَصْرَاسَ كَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ فِي نَحْوِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

وَمَا يَرِحَتْ هَذِهِ الْحَيِثَةُ تُعَذِّدُ مِنَ الْقَاذوراتِ حَتَّى قَدِيمِ سُلْطَانِ بَغْدَادِ أَحْمَدَ بْنِ أُوَيْسَ فَأَزَا مِنْ تَيَمُورلَنْكٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ؛ فَنَظَاهَرُ أَصْحَابَهُ بِأَكْلِهَا ، وَشَنَعَ النَّاسَ عَلَيْهِمْ . وَاسْتَقْبَحُوا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَعَابَوْهُ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا سَافَرَ / مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى بَغْدَادِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا ثَانِيًا وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً ، تَعَلَّمَ أَهْلُ دِمَشْقَ مِنْ أَصْحَابِهِ التَّظَاهُرَ بِهَا .

وَقَدِيمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ شَخْصٌ مِنْ مَلَايِذَةِ الْعَجَمِ صَنَعَ الْحَشِيشَةَ بِعَسَلٍ خَلَطَ فِيهَا عِدَّةَ أَجْزَاءِ مَجْجُفَّةٍ كَبِيرَةٍ اللَّفَّاحِ وَنَحْوِهِ ، وَسَمَّاها الْعُقْدَةَ ، وَبَاعَهَا خُفْيَةً^{١٨} . فَشَاعَ أَكْلُهَا ، وَفَسَّأَ فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مُدَّةَ أَعْوَامٍ .

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، شَنَعَ التَّجَاهُرُ بِالشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ ، فَظَهَرَ أَمْرُهَا وَاسْتَهْرَ أَكْلُهَا ، وَارْتَفَعَ الْاِخْتِشَامُ مِنَ الْكَلَامِ بِهَا ، حَتَّى لَقَدْ كَاذَتِ أَنْ تَكُونَ مِنْ تُخَفِ الْمُتَرَفِّينَ . وَبِهَذَا السَّبَبِ غَلَبَتِ الشُّغَالَةُ عَلَى الْأَخْلَاقِ ، وَارْتَفَعَ سَرُّ الْحَيَاءِ وَالْحَيِشَةِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، وَجَهَرُوا بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ، وَتَفَاخَرُوا بِالْمَعَايِبِ ، وَانْحَطُّوا عَنْ كُلِّ شَرَفٍ وَقَضِيلَةٍ ، وَتَحَلَّوْا بِكُلِّ دَمِيقَةٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَذِيلَةٍ ... فَلَوْلَا الشُّكْلُ لَمْ تَقْضَ لَهُمْ بِالْإِنْسَانِيَةِ ، وَلَوْلَا الْحِسُّ لَمَا حَكَمَتِ عَلَيْهِمْ بِالْحَيَوَانِيَةِ . وَقَدْ بَدَأَ الْمَشْخُ فِي السَّمَائِلِ وَالْأَخْلَاقِ ، الْمُثِيرُ بِظُهُورِهِ عَلَى الصُّورِ وَالذُّوَاتِ ، عَافَانَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ بَلَائِهِ .

وَأَرْضُ الطُّبَّالَةِ الْآنَ يَدُ وَرَثَةِ الْحَاجِبِ .

ذِكْرُ أَرْضِ الْبَغْلِ وَالنَّجَاحِ

قال ابنُ سَيِّدِهِ: الْبَغْلُ: الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ الَّتِي لَا يُصِيبُهَا الْمَطَرُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ، وَقِيلَ: الْبَغْلُ كُلُّ شَجَرٍ أَوْ زَرْعٍ لَا يُسْقَى، وَقِيلَ: الْبَغْلُ مَا سَقَتْهُ السَّمَاءُ، وَقَدْ اسْتَبْعَلَ الْمَوْضِعُ. وَالْبَغْلُ مِنَ النَّخْلِ مَا شَرِبَ بِغُرُوفِهِ مِنْ غَيْرِ سَقْيٍ وَلَا مَاءِ سَمَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَا اكْتَنَفَى بِمَاءِ السَّمَاءِ، وَالْبَغْلُ: مَا أُعْطِيَ مِنَ الْإِنَاءَةِ عَلَى سَقْيِ النَّخْلِ، وَاسْتَبْعَلَ الْمَوْضِعُ وَالنَّخْلُ: صَارَ بَقْلًا^١.

وَأَرْضُ الْبَغْلِ هَذِهِ بِجَانِبِ الْخَلِيجِ تَتَّصِلُ بِأَرْضِ الطَّبَّالَةِ، كَانَتْ بُشْتَانًا يُعْرَفُ بِالْبَغْلِ وَفِيهِ مَنَظَرَةٌ، أُنْشِأَ الْأَفْضَلُ شَاهِنْشَاهُ بْنُ أَمِيرِ الْجَبُوشِ بَذَرَ الْجَمَالِي، وَجَعَلَ عَلَى هَذَا الْبُشْتَانِ سُورًا. وَإِلَى جَانِبِ بُشْتَانِ الْبَغْلِ هَذَا بُشْتَانُ النَّجَاحِ، وَبُشْتَانُ الْخُمْسِ الْوُجُوهِ^٢. وَقَدْ ذُكِرَتْ مَنَاطِظُ هَذِهِ الْبَسَاتِينِ، وَمَا كَانَ فِيهَا لِلْمُخْلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ مِنَ الرُّسُومِ، عِنْدَ ذِكْرِ الْمَنَاطِظِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣.

وَأَرْضُ الْبَغْلِ فِي هَذَا الْوَقْتُ مَرْزُوعَةٌ تَجَاهُ قَنْطَرَةِ الْإِوَرِ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ^٤، يَخْرُجُ النَّاسُ لِلنَّتْرِ هُنَاكَ أَيَّامَ النَّيْلِ وَأَيَّامَ الرَّبِيعِ. وَكَذَلِكَ أَرْضُ النَّجَاحِ فَإِنَّهَا الْيَوْمَ قَدْ زَالَتْ مِنْهَا الْأَشْجَارُ، وَاسْتَقَرَّتْ مِنْ أَرْضِيهِ الْمُنْتَهَى الْخَرَّاجِيَّةُ. وَفِي أَيَّامِ النَّيْلِ يَنْبُتُ فِيهَا نَبَاتٌ يُعْرَفُ بِالْبُشْنِينَ، لَهُ

(٢) بولاق: الخمس وجوه.

^١ ابن سيدة: الحكم والمحيط الأعظم ١٢٢: ١٢٣. ^٢ فيما تقدم ٥٦٥-٥٦٧. أسفل كوبري أكتوبر؛ ويدخل في هذا التحديد ناحية الشراية والمستشفى الإسرائيلي (مستشفى القوات المسلحة للعائلات) وما في اتجاهه إلى الشرق حتى شارع الخليج المصري (امتداد كوبري غمرة الآن). (محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٣٣).

^٣ أمّا «النَّجَاح» فكان يقع غربي الخليج المصري، ومحلّه الآن يقع في منطقة غمرة في المسافة بين شارع الخليج المصري (بورسعيد) والشراية.

^٤ فيما يلي ٤٩٥.

وَأَرْضُ الْبَغْلِ كَانَتْ واقِعَةً فِي الْمُنَاطِقَةِ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنْ الشَّرْقِ بِشَارِعِ بُورْسَعِيدِ (الْخَلِيجِ الْمِصْرِيِّ) إِلَى النِّقْطَةِ الَّتِي يَتَلَقَّى فِيهَا مَعَ خَطِّ مَتْرُو مِصْرِ الْجَدِيدَةِ أَسْفَلَ كُوبَرِي غَمْرَةَ، وَمِنْ الشَّمَالِ خَطُّ يَخْرُجُ مِنْ نَقْطَةِ التَّلَاقِ الْمَذْكُورَةِ مَاوًا فِي شَمَالِ الْمُسْتَشْفَى الْإِسْرَائِيلِيِّ (مُسْتَشْفَى الْقُوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ لِلْعَائِلَاتِ الْآنَ) فِشَارِعِ الْأَلَامِيِّ، وَمِنْ الْغَرْبِ شَارِعُ مَهْمَشَةَ، وَمِنْ الْجَنُوبِ شَارِعُ الظَّاهِرِ فِشَارِعِ وَقْفِ الْخُرُوبَلِيِّ وَمَا فِي امْتِدَادِهِ، حَتَّى يَتَقَابَلَ مَعَ شَارِعِ مَهْمَشَةَ

ساق طَوِيلٌ وزهره يُشَبَّه^(a) اللَّيْنُوقَرُ ، وإذا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ تَفْتَحُ^(b) فصارَ منظرًا أُنِيقًا ، وإذا غَرَبَتِ الشَّمْسُ انْضَمَّتْ .

وَيُذَكَّرُ أَنَّ مِنَ الْعَصَافِيرِ نَوْعًا صَغِيرًا يَجْلِسُ الْعُصْفُورُ مِنْهُ فِي دَاخِلِ الْبُشْنِيَّةِ . فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ انْضَمَّتْ عَلَيْهِ وَغَطَّتْ فِي الْمَاءِ ، قَبَاتٌ فِي جَوِّهَا أَمِنَّا إِلَى أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ ، فَتَضَعِدُ الْبُشْنِيَّةُ وَتَنْفَتِحُ فَيَطِيرُ الْعُصْفُورُ ، وَهُوَ شَيْءٌ مَا تَرِخُنَا نَسْمَعُهُ .

وَهَذَا الْبُشْنِيْن يُصْنَعُ مِنْ زَهْرِهِ دُهْنٌ يُعَالَجُ بِهِ فِي الْبِرْسَامِ وَتَرْطِيبِ الدِّمَاغِ فَيَنْتَجِعُ ، وَأَصْلُهُ يَعْرِفُ بِالْبَيْتَارُونَ ، يَجْمَعُهُ الْأَغْرَابُ وَيَأْكُلُونَهُ نَيْقًا وَمَطْبُوحًا ، وَهُوَ يَمِيلُ إِلَى الْحَرَارَةِ تَسِيرًا ، وَيُزِيدُ فِي الْبَاهِ ، وَيُسَخِّنُ الْمَعِدَةَ ، وَيَقْوِيهَا وَيَقْطَعُ الزُّجْجِرَ ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي كِتَابِ «الْمَفْرَدَاتِ»^١ .

وَفِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ تُزْرَعُ هَذِهِ الْأَرْضُ ، فَذَكَرَ بِحُسْنِهَا وَنَضَارَتِهَا جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ . وَأَذْرَكَتْ بِهَذِهِ الْأَرْضِ بَقَايَا نَخْلٍ وَأَشْجَارٍ ، وَقَدْ تَلَقَّتْ .

(a) بولاق : شبه . (b) بولاق : انفتح .

^١ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .

ذِكْرُ ضَوَاحِي الْقَاهِرَةِ

قال ابن سيده: ضواحي كل شيء نواحيه البائرة للشمس، والضواحي من الثخل ما كان خارج الثور على صفة عالية، لأنها تضحى للشمس^١.

وفي كتاب الثبي صلي الله عليه وسلم لأهل بئر «لكم الضامنة» من الثخل، ولنا الضاحية من البغل، يعني بالضامنة^٢ ما أطاف به سور المدينة.

وضواحي الروم ما ظهر من بلادهم وبرز، ويقال في زماننا لما خرج عن القاهرة، مما هو في جنبتي الخليج من القرى، «ضواحي القاهرة». وقد عرفت أصل ذلك من اللغة.

وتعرف البلاد التي من الضواحي في غربي الخليج بـ «الحبس الجيوشي»، وهي: بهتيت^٣ والأميرية والمثنية. وكان أيضًا بناحية الجزيرة، من جملة الحبس الجيوشي، ناحية سقط ونهيا^٤ ووسيم، حبس هذه البلاد أمير الجيوش بئر الجمالي على عقبه^٥. فلما زالت الدولة الفاطمية، جعل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الأسطول لأخيه العادل أبي بكر بن أيوب، وسلمه له في سنة سبع وثمانين وخمس مائة. وأقره لديوان الأسطول من الأبواب الديوانية الزكاة التي كانت تجبى من الناس بمصر، والحبس الجيوشي بالبزئين، والنطرون والخراج وما معه من ثمن القوط، وساحل السنط والمراكب الديوانية، وإشنا وطنبدي^٦. وأحيل ورثة أمير الجيوش على غير الحبس الذي لهم. ثم أفتى الفقهاء بطلان الحبس، وقبضت النواحي، وصارت من جملة أموال الخراج، فعرفت ببلاد الملك.

وهذه الضواحي الآن منها ما هو وقف، ومنها ما هو في الديوان السلطاني، وخراجها يتميز على غيرها من النواحي، ويوزع أكثرها من الكثان والمقائي وغيرها.

(a) بولاق: الصامنة. (b) بولاق: بهتيت. (c) بولاق: طنبدي.

^١ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ٣: ٣٦٣، ونصه: ضاحية كل شيء ما برز منه، وضواحي الإنسان ما برز منه للشمس كالتكبين والكفين، وضواحي الروم ما ظهر من بلادهم.
^٢ فيما تقدم ٥٨٣: ٢-٥٨٤ ابن ماتي: قوانين الدواوين ٣٣٦-٣٣٩ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق ١: ٤٤.
^٣ الدواوين ٣٣٦-٣٣٩ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق ١: ٤٤.

/ زَوْزُ مَنِيَةِ الْأُمَرَاءِ

قال ياقوت في كتاب «المشترك»: المنيّة ثلاثة وأربعون موضعًا، وجميعها بمصر غير واجدة، وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين^١.

قال: ومنيّة السّيرج - ويقال لها منيّة الأمير، ومنيّة الأمراء - بلهجة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة في طريق الإسكندرية^٢.

وذكر الشريف محمد بن أشعد الجواني التّسابية، أن قتل أهل الشام الذين قُتلوا في وقعة الخندق بين مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن بجندم أمير مصر، في سنة خمس وستين من الهجرة، دُفِنوا حيث موضع منيّة السّيرج هذه، وكانوا نحوًا من الثمان مائة.

وقال ابن عبد الظاهر: منيّة الأمراء من الحبس الجيوشي الشرقي الذي كان يحبس فيه أمير الجيوش ثم اُرتُجِع. وفي كل سنة يأكل التّخمر منها جانتا، ويجدد جامعها ودورها حتى صار جامعها القديم ودورها في بَرّ الجيزة، وغلبَ البُخُرُ عليها^٣.

وهذه المنيّة من محامين متزهات القاهرة، وكانت قد كثرت العمائر بها، واتخذها الناس منزل قصيف ودار لعب ولهو ومغنى صبايات، وبها كان يُعمل عيد الشهيد - الذي تقدّم ذكره عند ذكر النيل من هذا الكتاب^٤ - لقربها من ناحية شبرا، وبها سوق في كل يوم أحد يُباع فيه البقر والغنم والغلّال، وهو من أسواق مصر المشهورة، وأكثر من كان يسكن بها النصارى^٥.

لشراء البقر والغنم والحُمير والدجاج والكتّان، وغير ذلك. ثم اختلّت أحوالها وخرب أكثر ما كان فيها من المساكن وكان كثيرًا من سكّانها وشكّان ناحية شبرا المجاورة لها التّضارّي. وكان أهل اللذات تُقصد هاتين القريتين لشراء الحفر، فقد كان يُفَضّر بهما منه في كل سنة عشرات آلاف من الجرار.

^٤ فيما تقدم ١: ١٨٣-١٨٥.

^٥ منيّة الأمراء، هي الموضع المعروف الآن بمنيّة السّيرج من الضواحي التابعة لقسم شبرا شمال القاهرة. (محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٣٤، قاموس الجغرافي للبلاد المصرية ج ٢ ص ١: ١٤-١٥).

^١ ياقوت: المشترك وضعا والافتراق صفتًا ٤٠٧ وفيه: المنيّة بضم الميم وسكون النون وباء مفتوحة وهاء، وتجمع على مئى. وأضاف أن كل واحدة منها يقال لها منيّة كذا.

^٢ نفسه ٤٠٨، والنص عند ياقوت: «ومنيّة السّيرج بلدة كبيرة ذات سوق على ميلين من القاهرة على شطّ النيل بين القاهرة وقلوبه»، وكذلك معجم البلدان ٥: ٢١٨.

^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٨، وبعد ذلك في المسودة ٤٤٤ ط: قال (أي ابن عبد الظاهر): هي الآن في البرّ الشرقي، وكانت قد بُلّغت الغاية في العمارّة وصار الناس يخرجون إليها أيام الزّيع في كل يوم أحد، وهو يوم يُقام فيه بها سوق عظيم تُرَد إليه جماهير الناس من القرى ومن القاهرة

وكانت تُعْرَفُ بِعَضْرِ الْخَمْرِ وَيَتَبَعُهُ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا عَظُمَتْ زِيَادَةُ مَاءِ الثَّلِيلِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَقَةُ الْمَشْهُورَةُ وَغَرِقَتْ شَبْرًا وَالثَّمْنِيَّةُ ، تَلَفَ فِيهَا مِنْ جِرَارِ الْخَمْرِ مَا يَنِيْفُ عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ جِرَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْخَمْرِ ، وَبَاعَ نَصْرَانِيٌّ وَاحِدٌ مِوَةَ فِي يَوْمِ عِيدِ الشَّهِيدِ بِهَا خَمْرًا بِائِثِي عَشْرِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فِقْصَةً : عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ نَحْوُ السِّتِّ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَكَسَّرَ مِنْهَا الْأَمِيرُ يَلْبُغَا السَّالِمِي فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ مَا يَنِيْفُ عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ جِرَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْخَمْرِ .

وَمَا بَرَحَتْ تَفْرُقُ فِي الْأَثْيَالِ الْعَالِيَةِ إِلَى أَنْ عَمِلَ الْمَلِكُ الثَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، الْجَيْشَ مِنْ بُولَاقٍ إِلَى الْمُثْنِيَّةِ - كَمَا ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْجُسُورِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ١ - فَأَمِنْ أَهْلِهَا مِنَ الْفَرَقِ . وَأَذَرْنَاهَا عَامِرَةً بِكَثْرَةِ الْمَسَاكِينِ وَالنَّاسِ وَالْأَشْوَاقِ وَالْمَنَاظِرِ ، وَتَقْصِدُ لِلتَّرَهَّةِ بِهَا أَيَّامَ الثَّلِيلِ وَالرَّيْبِ ، لَا سِوَمَا فِي يَوْمِي الْجُمُعَةِ وَالْأَحَدِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لِلنَّاسِ بِهَا فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ مُجْتَمَعٌ يُنْفَقُ فِيهِ مَالٌ كَثِيرٌ .

ثُمَّ لَمَّا حَدَثَتْ الْحَيْزُ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ أَلْحَ الْمَنَايِزُ بِالْمُهْجُومِ عَلَيْهَا فِي اللَّيْلِ ، وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا عِدَّةً . فَارْتَحَلَ النَّاسُ مِنْهَا ، وَخَلَّتْ أَكْثَرُ دُورِهَا ، وَتَعَطَّلَتْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهَا سِوَى طَاخُونٍ وَاحِدَةٍ لَطَحْنَ الْقَمَحَ بَعْدَمَا كَانَ بِهَا مَا يَنِيْفُ عَلَى ثَلَاثِينَ^(a) طَاخُونَةٍ ، وَبِهَا الْآنَ بَقِيَّةٌ . وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي الدِّيَوَانِ السُّلْطَانِي^(b) الَّذِي أَخَذَتْهُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقُ وَسَمَاهُ الدِّيَوَانُ الْمُفْرَدُ^(c) .

ذِكْرُ كُومِ الرِّيشِ

هَذَا الْمَكَانُ^(a) اسْمُهُ لَبْلَدٍ فِيمَا بَيْنَ أَرْضِ الْبَغْلِ وَثَمْنِيَّةِ السَّيْرِجِ ، كَانَ الثَّلِيلُ يَمُرُّ بِغَرِيبِهَا بَعْدَ مُرُورِهِ بِغَرِيبِ أَرْضِ الْبَغْلِ ، وَأَذَرْنَاكَ آثَارَ الْمُرُوفِ بَاقِيَةً مِنْ غَرِيبِ الْبَغْلِ وَغَرِيبِ كُومِ الرِّيشِ إِلَى أَطْرَافِ الْمُثْنِيَّةِ ، حَتَّى تَغْيُرَتْ الْأَحْوَالُ مِنْ بَعْدِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَفَاضَ مَاءُ الثَّلِيلِ فِي أَيَّامِ الزَّيَادَةِ ، وَنَزَلَ فِي الدَّرْبِ الَّذِي كَانَ يُسَلِّكُ فِيهِ مِنْ أَرْضِ الطُّبَّائَةِ إِلَى الْمُثْنِيَّةِ ، فَانْقَطَعَ هَذَا الدَّرْبُ وَتَرَكَ النَّاسُ سُلُوكَهُ . وَكَانَ كُومُ الرِّيشِ مِنْ أَجْلِ مَتَرَهَاتِ الْقَاهِرَةِ ، وَرَغِبَ أَغْيَانُ النَّاسِ فِي سُكْنَاهَا لَتَنْتَرَهُ بِهَا^(b) .

(a) بُولَاق : ثَمَانِينَ . (b-b) إِضَافَةٌ مِنْ مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ . (c) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقِ .

^١ فِيمَا بَلِي ٥٥٣ .

^٢ الْقَرِيزِي : مَسْوَدَةُ الْخَطِّطِ ١٧٤-١٧٥ و . وَبِالنَّصْرِ ^٣ كَانَتْ كُومُ الرِّيشِ تَجَاهُ الْخَلْدَقِ مِنْ غَرِيبِهِ عَلَى =

وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا قَاضِي الْقَضَاةِ مَجْدُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْفِي، وَخَالَ أُمِّي^(أ) تَاجُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُمَا أَذْرَكَا بِكُومِ الرِّيشِ عِدَّةَ أَمْزَاءٍ يَسْكُنُونَ فِيهَا دَائِمًا، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ يَسْكُنُ فِيهَا دَائِمًا نَحْوَ الثَّمَانِ مِائَةٍ مِنَ الْجُنْدِ السُّلْطَانِيِّ^١.

وَأَنَا أَذْرَكْتُ بِهَا شَوْقًا عَامِرًا بِالْمَعَايِشِ بِأَنْوَاعِهَا مِنَ الْمَأْكَلِ، لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِالْقَاهِرَةِ مِثْلَهُ فِي كَثَرَةِ الْمَأْكَلِ. وَأَذْرَكْتُ بِهَا حُثَامًا وَجَامِعِينَ ثِقَامَ بِهِمَا الْجُمُعَةُ، وَمَوْقِفَ مَكَارِيَةٍ، وَمَنَازِرَ لَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُ أَنْ يُعْبِّرَ عَنْ حُسْنِهَا لَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَعْنَى رَاقِي بَهْجٍ.

وَمَا بَرِحْتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَدَّثَتُ الْحِجْنَ مِنْ سِتَّةِ سَنَ وَثَمَانِ مِائَةٍ، فَطَرَقَهَا أَنْوَاعُ الرِّزَايَا حَتَّى صَارَتْ بِلَاقِعَ، وَجُهِلَتْ طُرُقُهَا، وَتَغَيَّرَتْ مَعَاهِدُهَا، وَنَزَلَ بِهَا مِنَ الْوَحْشَةِ مَا أَتُكَانِي، وَأَنْشَدْتُ فِي رُؤْيَيْهَا عِنْدَمَا شَاهَدْتُهَا خَرَابًا يَمَاطًا^(ب):

[الكامل]

قَفَرَا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نِعْمَةٍ وَأَوَانِسِ أَثْرَابِ

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمَةٌ لِّأَنَّهُ أَخَذَهُ لَئِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية ١٠٢ سور هود].

ذِكْرُ بُولَاقَ

قَدْ تَقَدَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ سَاحِلَ الثَّلِيلِ كَانَ بِالْمَقْصِ، وَأَنَّ الْمَاءَ انْتَحَسَرَ بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ / وَخَمْسِ مِائَةٍ عَنْ جَزِيرَةٍ عُرِفَتْ بِجَزِيرَةِ الْفِيلِ، وَتَقَلَّصَ مَاءُ الثَّلِيلِ عَنْ شُورِ الْقَاهِرَةِ

(أ) بولاق: أمي. (ب) ساقطة من بولاق.

«الزَّوَايَةُ الْحَمْرَاءُ» وَاخْتَفَى اسْمُهَا الْقَدِيمِ. (ابن إياس: بدائع الزهور ٣: ٢٨٠-٢٨١).

وعلى ذلك فإنَّ كُومَ الرِّيشِ هِيَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِاسْمِ «الزَّوَايَةِ الْحَمْرَاءِ» الْوَاقِعَةُ غَرْبَ مَحْطَةِ الدِّيُودَاشِ، (أبو الحسن:

النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٣هـ^٤؛ محمد رمزي: «الجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة - شبرا وروض الفرج»، ٣٣٤-٣٣٥، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق ٢ ج ١: ١١).

^١ انظر فيما تقدم ١٦٠، ٢٧١، ٣٢٦، ٤٢٣.

= الخليج الكبير (فيما يلي ٤٥٤). وما تزال توجد من آثار الخندق الواقع تجاه كُومِ الرِّيشِ الدُّورُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِدُورِ الْمَلَاكِ الْبَحْرِيِّ تَجَاهَ الزَّوَايَةِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ فِي الْمَنْطِقَةِ الَّتِي يَخْتَرِقُهَا الْآنَ شَارِعُ مِصْرَ وَالسُّودَانِ وَالْمَعْرُوفَةُ بِالْوَالِي.

وكان السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ قَائِمًا بِهَا قَدْ جَبَذَتْ قَرْيَةُ كُومِ الرِّيشِ فِي سَنَةِ ٨٩٠هـ/١٤٨٥م وَأَنْشَأَ بِهَا زَاوِيَةً دُهِنَتْ حِيطَاتُهَا مِنَ الْخَارِجِ بِاللُّونِ الْأَحْمَرِ فَفُرِثَتْ بِهَذِهِ الزَّوَايَةِ الْحَمْرَاءِ، وَلِهَذَا عُرِفَتْ كُومُ الرِّيشِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِاسْمِ



خريطة بولاق عن كتاب وُصف مصر

الذي ينتهي إلى المقس، وصارت هناك رمالًا وجزائر ما من سنة إلا أيام الزيادة فقط، وفي طول السنة يثبت هناك البوص والحلفاء، وتترل الممالك السلطانية لزمني الثشاب في تلك القلال الرمل.

فلما كان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، رغب الناس في العماره بدهار مصر، لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها، فكأنما نودي في القاهرة ومصر ألا يتأخر أحد من الناس عن إنشاء عماره، وجد الأمراء والجند والكثاب والشجار والعامة في البناء، وصارت بولاق جيند جزيرة^(٥) تجاه بولاق التكرور^١، يزرع فيها القصب والقلفاس على ساقية تنقل الماء من النيل حيث جامع الخطيري الآن^٢. فعمر هناك رجل من الشجار منظره، وأحاط جدارًا على قطعة أرض غرس فيها عدة أشجار وتردد إليها للترهه. فلما مات انتقلت إلى ناصر الدين محمد بن الجوكدار، فعمر الناس بجانبها دورًا على النيل، وسكنوا وزغبوا في السكنى هناك، فامتدت المناظر على النيل من الدار المذكورة إلى جزيرة الفييل، وتفاخروا في إنشاء القصور العظيمة هناك، وغرّشوا من ورائها البساتين العظيمة. وأنشأ القاضي^(ب) ابن المعزبي رئيس الأطباء بُشتانًا، اشترأه منه القاضي كريم الدين ناظر الخاص للأمير سيف الدين طشتمر الشافعي بنحو مائة ألف درهم فضة. وكثر التناش بين الناس في هذه الناحية، وعمرها حتى انتظمت العماره في الطول على حافة النيل من منية السراج إلى مؤودة الحلفاء بجوار الجامع الجديد خارج مصر^٣، وعمر في الغرض على حافة الخليج^(ج) الغربية من تجاه الحندق بعري القاهرة إلى منشأة المهراي^٤، وبقيت هذه المسافة العظيمة كلها بساتين وأحكارًا عابرة بالدور والأسواق والحمامات والمساجد والجوامع وغيرها، وبلغت بساتين جزيرة الفييل خاصة ما ينيف على مائة وخمسين بُشتانًا بعد ما كانت في سنة إحدى عشرة وسبع مائة نحو العشرين بُشتانًا^٥.

(ب) ساقطة من بولاق. (ب) يابض في أباصوليا. (ج) بولاق: النيل.

^١ حاشية بخط المؤلف: «محمد بن يوسف التكروري يلي (٤٥٤)، ومثلثة المهراي توجد جنوب القاهرة على شاطئ النيل غربي شارع القصر العيني خلف مستشفى له كرامات مزوية».

^٢ فيما يلي ٣١٢:٢.

^٣ فيما يلي ٣٠٤:٢. ^٥ كانت بولاق ابتداءً من عام ٧١٣هـ/١٣١٣م هي

^٤ الحندق. هو المنطقة المعروفة الآن بدير الملاك خلف محطة الديوداش والتي يخترقها شارع مصر والسودان. (فيما مزا، وكانت ترسو بها المراكب التي تحمل منتجات =

وأنشأ القاضي الفاضل جلال الدين القزويني وولده عبد الله داراً عظيمة على شاطئ النيل بجزيرة النيل عند بُشتان الأمير رُكن الدين بيبوس الحاجب^(a) وكانت هذه الدار أولاً قد عُمِّرَها القاضي شمس الدين بن الأطروش المحتسب ، فاشتراها منه القزويني وتناهى في عمارتها وطار خبَرُها في البلاد حتى قيل إنَّه لم يُعمر في مصر عمارة أجَلَّ منها ، ولا صُرِفَ على دار أكثر ممَّا صُرِفَ عليها ؛ فلما غُرِلَ عن القضاء أبيعَت للأمير بُشتاك فأخرَبَها وباعَ من أنقاضها بنحو المائة ألف درهم فبُذِرَ بعد ما أخذَ منها رُخاماً وأبوّاً وشبابيك كبيرة ، وثُودي على زُرْبَتِها فحُكِرَت وبنى النَّاسُ عليها عدَّةَ دور وأنصَلَتِ العمارة فيها إلى آخر مُئبِة السَّيرج ومنها إلى حُصْنِ الكِثَّالَةِ^(a) ، وأنشأ الأميرُ عزَّ الدين الخطيري جامعَه ببولاق على النيل^١ ، وأنشأ بجواره رُبْعَيْن ، وأنشأ القاضي شرفُ الدين بن زُبَيْرٍ بُشتاناً . وأنشأ القاضي فخرُ الدين المعروف بالفخر ناظر الجيش بُشتاناً ، وحكَّرَ النَّاسُ حَوْلَ هذه البُشتانين وسَكَنُوا هناك . ثم حَقَرَ الملكُ الناصرُ محمد بن قلاوون «الخلَّيج الناصري» سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة^٢ ، فَعَمَّرَ النَّاسُ على جانبي هذا الخَلَّيج . وكان أوَّلُ من عَمَّرَ ، بعد حَقْرِ الخَلَّيج^(b) المَهايمِيزي أنشأ

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) بولاق : الناصري ، وياض في آياصوفيا وباريس عَوْضًا عن الاسم الأوَّل

للمهايمِيزي .

قِسْمًا إداريًا من أقسام القاهرة . (المقريزي : السلوك ٢ : ١١٤ ؛ الحسن الوزان : وصف أفريقيا ٥٨٥ ؛ جومار : وصف مدينة القاهرة ٣٤٠-٣٤٢ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٠٧:٧-٣٠٨ هـ ١ : «Bûlaq. An Endangered Historic Area of Cairo», in *Islamic Cairo*, M. Meinecke (ed.), London 1980, pp. 19-20; id., *An Urban History of Bulaq in the Mamluk and Ottoman Periods*, Supplement aux *An.Isl.* / III, Le Caire - IFAO 1983; Maspero & Wiet, *Matériaux* I, pp. 56-57) موضوعها : «حي بولاق - قُهر القاهرة منذ نشأتها وحتى نهاية العصر العثماني - دراسة أثرية حضارية» .

^١ فيما يلي ٣١٢ .

^٢ فيما يلي ٤٨١ .

= الدُّخَانُ والشُّعْنُ المحمَّلة بيضائع أوروبا ، وكانت تُحْمَلُ بالنسبة لمصر الشُّعْلَى ما يَمْلِكُه ميناء القُنْطَاط لمصر العُلْيَا . وفي الوقت الذي احتلَّ فيه الفرنسيون مصر في نهاية القرن الثامن عشر شَيَّدَ Le Père - أحد أفراد الحملة - طريقاً مُعَبَّداً يصل القاهرة ببولاق يبدأ قرب قُطْرَةِ المَخَارِبَةِ (قُطْرَةُ الكُتْبَةِ فيما يلي ٥٠٢) يبلغ طوله ألف ومائتي متر ، وهو الذي خُلِّ محله الآن شارع ٢٦ بوليه (قُود الأوَّل سابقاً) . وحتى عام ١٨٥٨ كانت بولاق بَلَدَةً صغيرة واقعة على النيل لا تتجاوز مبانها المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشارع الشَّيْبَةِ ، ومن الجنوب بشارع إشبِلَات الطرُق ، ومن الشرق بشارع سيدي العليسي وعلو الخَلَّيج وقُلَّ قُصر وواوير النور . وكانت الأرض الواقعة بين بولاق القديمة وبين شارع رمسيس الآن عند الخَلَّيج الناصري كُلُّها أرضاً زراعية وبساتين ، ولم تحدث فيها المباني إلَّا في زمن الخديو إسماعيل حيث أخذت تُسَّع في العمارة حتى أنصَلَت مبانها بمباني القاهرة وأصبحت تُحْمَلُ

بُستَانًا وَمَسْجِدًا هُمَا مَوْجُودَانِ إِلَى الْيَوْمِ ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مَكَانٌ بَغِيرَ عِمَارَةٍ ، وَبَقِيَ مِنْ يَمُزُّ بِهَا يَتَعَجَّبُ ، إِذْ مَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ بَيْنَا هِيَ تِلَالُ رَمْلٍ وَخِلَافِي ، إِذْ صَارَتْ بِسَاتِينَ وَمَنَاطِيزَ وَقُصُورًا وَمَسَاجِدَ وَأَشْوَاقًا وَحُثَامَاتٍ وَأَزِقَّةً وَشَوَارِعَ ، (a) لَا يُوجَدُ مِمَّا هُنَاكَ قَنْدَرٌ ذِرَاعٍ لَيْسَ فِيهِ بِنَاءٌ مَعَ سَعَةِ تِلْكَ الْخِطَّةِ طُولًا وَعَرْضًا (a) .^١

وَفِي نَاحِيَةِ بُوْلَاقِ هَذِهِ كَانَ خُصُّ الْكَيْلَانَةِ^٢ الَّذِي يُؤْخَذُ فِيهِ مَكْسُ الْعَلَّةِ ، إِلَى أَنْ أَتَبَّلَّهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ كَمَا ذُكِرَ فِي الرَّوْكَ النَّاصِرِيِّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٣ . وَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانٍ مِائَةٍ انْحَسَرَ مَاءُ النَّيْلِ عَنْ سَاحِلِ بُوْلَاقٍ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَعَدَّدُ حَتَّى صَارَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ . وَنَاجِيَةُ بُوْلَاقِ الْآنَ عَامِرَةٌ ، وَتَزَايَدَتِ الْعِمَارَةُ بِهَا ، وَتَجَدَّدَتْ فِيهَا عِدَّةُ جَوَامِعَ وَحُثَامَاتٍ وَرِبَاعٌ وَغَيْرَهَا . وَأَنْشَأَ (b) .

زَكَرْمَا بَيْنَ بُوْلَاقٍ وَمُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي

وَكَانَ فِيهَا بَيْنَ بُوْلَاقٍ وَمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي خُطٌّ قَمَّ الْخَوَرُ ، وَخُطٌّ جِئَرُ ابْنِ الْأَنْبَرِ ، وَخُطٌّ زَرْيَقَةِ (c) قَوْصُونَ ، وَخُطٌّ الْمَيْدَانِ الشُّلْطَانِي بِمُورَدَةِ الْمَلْحِ ، وَخُطٌّ مُنْشَأَةُ الْكَتَبَةِ . فَأَمَّا قَمَّ الْخَوَرُ فَكَانَ فِيهِ مِنَ الْمَنَاطِيزِ الْجَمِيلَةِ الْوُضْفِ عِدَّةٌ تُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ ، وَمِنْ وَرَائِهَا الْبَسَاتِينَ ، وَيَفْصِلُ بَيْنَ الْبَسَاتِينَ وَالْأُتُورِ الْمُطْلَةِ عَلَى النَّيْلِ شَارِخٌ مَسْلُوكٌ ، وَأَنْشِئَ هُنَاكَ حُثَامٌ وَجَامِعٌ وَشَوْقٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْخَوَرِ^٤ .

a-a) إضافة من مسودة الخطط (b) إضافة من آياصوفيا وباريس ، وأماها على الهامش : يياض أربعة أسطر . (c) بولاق : زرية .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ١٧٣ و-ظ .
^٢ خُصُّ الْكَيْلَانَةِ . كَانَ يَمُزُّ خَلْفَ أَحَدِ الْجَوَامِعِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا نَازِرُ الْجَيْشِ قَمَرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِالْفَخْرِ ، وَهُوَ الْجَامِعُ الَّذِي خَلَّ مَحَلَّهُ الْآنَ جَامِعُ أَبِي الْقَلَاءِ بِشَارِعِ ٢٦ يُولِيَةِ بُولَاقِ (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٤٥: ٩ هـ) .
^٣ فِيهَا تَقْدَمُ ١ : ٢٣٩ .
^٤ فِيهَا تَقْدَمُ ٣٩٥ - ٣٩٦ ، وَانْظُرْ كَذَلِكَ فِيهَا بِلِي ٤٧٩ .
 وَكَانَ خُطٌّ قَمَّ الْخَوَرُ يَشْغُلُ الْمَنْطِقَةَ الَّتِي يَحْدُهَا الْآنَ مِنْ =

وأنشأ هناك القاضي علاء الدين^(a) بن الأثير كاتب السر^(b) داراً على النيل، وبني الناس بجواره، فعرف ذلك الخط بـ «حجر ابن الأثير»، واتصلت العمارة من بولاق إلى قبة الخور، ومن قبة الخور إلى حجر ابن الأثير^١. وما يرخ فيه من مساكن الأكابر من الوزراء والأعيان ومن الدور العظيمة ما يتجاوز الوصف.

وأما الزريبة^(c) فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون، لما وهب البستان الذي كان بالميدان الظاهري للأمير قزوين، أنشأ قدامه على النيل زريبة^(c) ووقفها^٣. فعمر الناس هناك حتى انتظمت العمارة من حجر ابن الأثير إلى الزريبة^(c)، وعمر هناك حمام وشوق كبير وطواحين وعدة مساكن اتصلت باللوق.

(a) رياض بأباصوفيا. (b) بولاق: داراً على النيل وكان إذ ذاك كاتب السر. (c) بولاق: الزريبة.

تعمد ويكون عرضه نحو ثلثي ذراع وقطر خلقته نحو ذراعين، مثل الذي يُجعل في قعر الآبار، ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قمتين فيصير بمنزلة الثور، فيأتي القواصون ويتزلون هذه البئر ويحفرونها وكلما تنبع الماء نزحوه مع الطين والزمل ويحفرون أيضاً تحت الملبّن، فكلما تخلخل ما تحته وتقل بما عليه من البناء نزل، وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته، والبناء في أثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه؛ ولا يزال البناء يُرفع والقواص تحت يحفر وهو يتقله بغوص حتى يستقر على أرض جليدة ويصل إلى الحد الذي يعرفونه، فحينئذ ينتقلون إلى عمل آخر مثله على سفته وعلى بُعد أربعة أذرع منه أو نحوها، ولا يزالون يفعلون ذلك في جميع طول الأساس المفروض، ثم يبنون الأساس كالعادة بعد زرع هذه الآبار فتزجج أوتاداً قاسية للبناء وعمدًا تدعمه وتوثقه. (الإفادة والاعتبار

Garcin, J.-Cl., «Toponymie et topographie ٦٩ urbaines médiévales à Fostat et au Caire», (JESHO XXVII (1984), p. 133 n. 81.

= الجنوب ميدان عبد المنعم رياض، وتمتد شمالاً حتى شارع ٢٦ يولية (قواد الأول سابقاً) بحي بولاق، ومن الغرب نهر النيل، ومن الشرق شارع رمسيس.

^١ يدل على موضع حجر ابن الأثير الآن المنطقة المعروفة بعشش الترجمان في الجهة الجنوبية من بولاق، ويحدّها من الغرب شارع ساحل الغلال الموصل الآن بين فندق هيلتون رمسيس ومبنى الإذاعة والتليفزيون بماسيرو، ومن الجنوب والشرق شارع الجلاء (شارع قبة الترعة البولامية سابقاً). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٤هـ).

^٢ الزريبة لا الزريبة. تؤخذ من الأرصعة المبنية على أوتاد أو دعائم على شواطئ النيل أو البرك. وصفت عبد اللطيف البغدادي في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كيفية بناء المصريين لها، يقول: «وأما المستاه فيسبونها والزريبة»، ولهم في بنائها إثنان وخمسة، صفته أن يخفر الأساس حتى تظهر التداوة وتزهر الماء، فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجوز أو نحوه على تلك الأرض التربة بعدما

^٣ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٩٣-١٩٤.

وأما زَرْيَّةٌ^(أ) السلطان

- فإنَّ الملكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلاوونَ ، لما عَمَّرَ مَيدانَ المَهاريَ المجاورَ لقناطرِ الشُّباعِ الآنَ ، أنشأ زَرْيَّةً^(أ) في قِبلي الجامعِ الطَّبِيزِيِّ^(١) ، / وَخَفَرَ لأَجْلِ بَناءِ هَذِهِ الزَّرِّيَّةِ^(أ) البِرْكَةَ المَعروفةَ الآنَ بالبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ^(٢) حَتَّى اسْتَقَمَّتْ طِينُهَا فِي البَناءِ ، وَأَنشَأَ فَوْقَ هَذِهِ الزَّرِّيَّةِ^(أ) دَارَ وَكَالَةٍ وَرَبْعَيْنِ عَظِيمَيْنِ : جَعَلَ أَحَدَهُمَا وَقْفًا عَلَى الخائِنَاقِ التي أَنشأَهَا بِناحِيَةِ سِرْيَاقُوسَ ، وَأَتَقَمَّ بِالْأَخَرِ عَلَى الأميرِ بَكْتَشَرِ الشاقِي ، فَأَنشَأَ الأميرُ بَكْتَشَرُ بِجوارِهِ حَمَّامَيْنِ : إِخْدَاهُمَا بِرَسْمِ الرِّجالِ ، وَالْأُخَرَى لِلنِّساءِ^(ب) .
- فكَثُرَ بَناؤُ النَّاسِ فِيما هُنالِكَ^(ج) حَتَّى اتَّصَلَتِ العِمَارَةُ مِنَ بَحْرِيَّ الجامعِ الطَّبِيزِيِّ بِزَرْيَّةِ^(أ) قَوْصُونِ ، وَصَارَ هُنالِكَ^(د) أَرِيقَةٌ وَشَوَارِعُ وَدُرُوبُ وَمَساكِنُ مِنْ وَرَاءِ المَنَاطِرِ المَطْلُوعَةِ عَلَى الثَّيْلِ تَتَّصِلُ بِالخَلِيجِ ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ مِنَ البَناءِ فِي طَرِيقِ المَيدانِ السُّلْطاني ، فَصَارَتِ العِمَارَةُ مُنْتَظِمَةً مِنَ قَنَاطِرِ الشُّباعِ إِلَى المَيدانِ مِنْ جِهَتِهِ كُلِّهَا ، وَتَنافَسَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الأَمَكانِ ، وَتَعَالَوْا فِي أَجْرِهَا^(هـ) .

مُنْشَأَةُ الكُتَّابِ^(د)

وَعَمَّرَ المَكِينُ إِبْراهِيمُ بْنُ قَرْوِيَّةَ^(٥) نَاطِرَ الجَيْشِ^(٦) فِي قِبلي زَرْيَّةِ^(أ) السلطان - حَيْثُ كانَ بُشْتانَ الخُشَّابِ - دَارًا جَلِيلَةً ، وَعَمَّرَ أَيْضًا صَلاخَ الدِّينِ الكُحَّالِ ، وَالصَّاحِبِ أَمِينِ الدِّينِ عَبدِ اللَّهِ بْنِ القَنامِ ، وَعِدَّةٌ مِنَ الكُتَّابِ ، فَقِيلَ لِهَذِهِ الخِطَّةِ «مُنْشَأَةُ الكُتَّابِ»^(٧) ، وَأَنشَأَ فِيهَا

(أ) بولاق : زربية ، الزربية . (ب) بولاق : برسم النساء . (ج) بولاق : هناك . (د) إضافة من مسودة المخطوط . (هـ) بولاق : قروية .

= وَيُذَلُّ عَلَى مَوْقِعِ زَرْيَّةِ قَوْصُونِ الآنَ الأَرْضَ التي عَلَيْهَا المَتَحَفُ المِصرِي ، والتي يَحْدُها مِنَ الشَّمالِ مِيناءُ عَبدِ المَنعمِ رِياضَ وَمِنَ الشَّرْقِ شارِعُ مَريتِ .
١ المَقْرِيزِي : السُّلُوكُ ٢ : ٢١٠ .

٢ فِيما يَلِي ٥٤٩ - ٥٥٠ .
٣ المَقْرِيزِي : مَسودَةُ الخِطَطِ ٦٠ و-٥٠ .

٤ القَاضِي الكَبيرُ جَمالُ الدِّينِ إِبْراهِيمُ بْنُ قَرْوِيَّةِ المَلقبُ
٥ كانتَ مُنْشَأَةُ الكُتَّابِ (الكُتْبَةُ) تَمَعُ خَلْفَ زَرْيَّةِ =
جَمالُ الكُفَّاءِ ، المُتَوَلَّى سَنَةَ ٧٤٥هـ/١٣٤٤م . (الصَفْدي :
أَعْيانُ المَصرِ ١ : ١١٣-١١٤ ، الوافِي بِالوُفَياتِ ٦ : ١٨٠-
١٨٢ المَقْرِيزِي : السُّلُوكُ ٢ : ٦٧٥ ، المُقَفَّى الكَبيرُ
١ : ٣٢٨-٣٣١ ، ابنُ حِجرٍ : الذِّرُورُ الكامِنَةُ ١ : ٨٢-٨٣ ؛
أَبو المَحاسِنِ : النُجُومُ الزاهِرَةُ ١٠ : ١١١ ، المَهِلُ الصافي
١ : ١٩٣-١٩٦ .

الصَّاحِبُ أَمِينُ الدِّينِ الحَانَقَاهُ بجوار داره، وَعَمَّرَ أَيْضًا كَرِيْمُ الدِّينِ الصَّغِيرِ حَتَّى اتَّصَلَتْ العِمَارَةُ بِمُنشَأَةِ المَهْرَانِي.

فَصَارَ سَابِجُلُ الثَّلِيلِ مِنْ خُطِّ دَهْرِ الطُّنِ قِبْلَتِي مَدِينَةً مَصْرَ إِلَى مَنِيَةِ السَّيْرِجِ بِخَرِي الْقَاهِرَةِ مَسَافَةً لَا تَقْصُرُ عَنْ أَرْبَعَةِ مِنْ نِصْفِ بَرِيدٍ بكَثِيرٍ، كُلُّهَا مَنَظَّمَةٌ بِالمَنَاطِرِ العَظِيمَةِ، وَالمَسَاكِنِ الجَلِيلَةِ، وَالجَوَامِعِ وَالمَسَاجِدِ، وَالحَوَائِكِ وَالحَمَامَاتِ، وَغَيْرِهَا مِنَ البَسَاتِينِ. لَا تَجِدُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ خَرَابًا أَلْبَنَةً.

وَاتَنَظَّمَتِ العِمَارَةُ مِنْ وَرَاءِ الدُّورِ الْمُطَلَّةِ عَلَى الثَّلِيلِ حَتَّى أَشْرَقَتْ عَلَى الحَلِيجِ. فَبَلَغَ هَذَا الْبَرُّ الْغُرْبَى مِنْ وَفُورِ العِمَارَةِ، وَكَثْرَةِ النَّاسِ، وَتَنَافُسِهِمْ فِي الإِقْبَالِ عَلَى اللَّذَاتِ، وَتَأْتِقِهِمْ فِي الْإِتِهَامِ فِي الْمَسَرَّاتِ، مَا لَا يُمْكِنُ وَضْفُهُ وَلَا يَتَأَنَّى شَرْحُهُ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَحَدَّثَتِ الْحِجْنُ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانٍ مِائَةٍ، وَتَقَلَّصَ مَاءُ الثَّلِيلِ عَنِ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ، وَكَثُرَتْ حَاجَاتُ النَّاسِ وَضُرُورَاتُهُمْ، وَتَسَاهَلَتْ قُضَاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الِاسْتِئْذَالِ فِي الْأَوْقَافِ وَيَتَعَ نَقْضُهَا، اشْتَرَى شَخْصٌ الرَّبْعِينَ وَالحَمَامِينَ وَدَارَ الْوَكَالَةِ الَّتِي دُكِرَتْ عَلَى زَرْيَةِ^(a) السُّلْطَانِ بِجَوَارِ الجَامِعِ الطَّيْبِزِيِّ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانٍ مِائَةٍ، وَهَدَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَبَاعَ أَنْقَاضَهُ، وَخَفَّرَ الْأَسَاسَاتِ، وَاسْتَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَجَرِ وَعَمِلَهُ جِيزًا، فَنَالَ مِنْ ذَلِكَ رِبْحًا كَثِيرًا.

وَتَتَابَعَ الْهَدْمُ فِي شَاطِئِ الثَّلِيلِ، وَبَاعَ النَّاسُ أَنْقَاضَ الدُّورِ، فَزَغِبَ فِي بَشَائِهَا الْأُمَرَاءُ وَالأَغْيَانُ وَطُلَّابُ الْقَوَائِدِ مِنَ الْعَامَّةِ. حَتَّى زَالَ جَمِيعُ مَا هُنَاكَ مِنَ الدُّورِ العَظِيمَةِ وَالمَنَاطِرِ الجَلِيلَةِ، وَصَارَ السَّابِجُلُ - مِنْ مُنْشَأَةِ المَهْرَانِي إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ بُولَاقٍ - كَيْمَانًا مُوَجَّشَةً وَخَرَابٍ

(a) بُولَاقٍ : زَرْيَةِ .

وَجُزءٌ مِنْ حَيِّ الْمَنِيرَةِ فِي الْمُنَاطِقَةِ الْمَحْصُورَةِ بَيْنَ شَارِعِ الدِّكْتُورِ خَنْدَوْشَةِ وَشَارِعِ بَسْتَانَ الْفَاضِلِ فِي امْتِنَادِهِ جَنُوبًا، وَشَارِعِ عَالِشَةِ التَّيْمُورِيَّةِ وَمَا فِي امْتِنَادِهِ شَمَالًا. (مُحَمَّدُ الشَّشْتَاوِي : مَتَرَزَهَاتُ الْقَاهِرَةِ ٣٩-٤١).

- السُّلْطَانُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْوَاقِعَةُ فِي قِبْلَتِي الْجَامِعِ الطَّيْبِزِيِّ (الَّذِي عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ بِاسْمِ جَامِعِ الْأَرْمِينِ وَخُلِّ مَحَلُّهُ الْآنَ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ عَمْرِ مَكْرَمٍ لِلطَّلِيلِ عَلَى مِيدَانِ سَيْمُونِ بُولِفَارٍ وَمِنْهُ مَجْتَمَعُ الشَّحْرِ)، فَيَكُونُ مَوْقِعُ الْمُنْشَأَةِ الْآنَ مَكَانَ الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ لِحَيِّ جَارْدَنِ سِينِي

مُفْقِرَةٌ ، كَأَن لَّمْ تَكُنْ مَعْنَى صَبَابَاتٍ ، وَمَوْطِنٌ أَفْرَاحٍ ، وَمَلْعَبٌ أَتْرَابٍ ، وَمَوْتَعٌ غَزَلَانِ تَقْتَنِ
التَّشَاكُ هُنَاكَ ، وَتُعِيدُ الْحَلِيمَ سَفِيهَا ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ﴾ [الآية ٣٨ سورة
الأحزاب] .

وَأِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ ، أَتُنِيدُ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ :

[الطويل]

سَلَامٌ عَلَى اللَّذَاتِ وَاللَّهْوِ وَالصَّبَا^(a) سَلَامٌ وَدَاعٍ لَا سَلَامَ قُدُومِ

وصار لهذا^(b) العهد ما بين أول بولاق من قبله إلى أطراف جزيرة الفيل عامراً : من غزبه
المقضي إلى النيل ، ومن شرقه الذي ينتهي إلى الخليج ، إلا أن النيل قد نشأت فيه جزائر ورمال
تعد بها الماء عن البرّ الشرقي ، وكثر القناء لبغده ، وفي كل عام تكثر الرمال ويتعد الماء عن البرّ ،
ولله عاقبة الأمور . ١٠

فهذا حال الجهة الغربية من طواهر القاهرة في ابتداء وضع القاهرة^(c) وإلى وقتنا هذا ،
وبقي من طواهر القاهرة : الجهة القبليّة والجهة البحريّة ، وفيهما أيضاً عدّة أخطاط تحتاج إلى
شرح وتبيان .

(a) بولاق : تلك المعاهد والوُبا . (b) بولاق : بهذا . (c) بولاق : وضعها .

فُكْرُ خَارِجِ بَابِ زَوَيْلَةٍ

اَعْلَمَ أَنَّ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةٍ جِهَتَانِ : جِهَةٌ تَلِي الْخَلِيجَ ، وَجِهَةٌ تَلِي الْجَبَلِ . فَأَمَّا الْجِهَةُ الَّتِي تَلِي الْخَلِيجَ فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَ وَضْعِ الْقَاهِرَةِ بَسَاتِينَ كُلُّهَا فِيمَا بَيْنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى مِصْرَ . وَعِنْدِي فِيمَا ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ الْجِهَةَ كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ غَامِرَةً بِمَاءِ النَّيْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ قَاطِبَةً أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ مِنْ طَبْعِ إِنْجِلِيزَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَرْضِ مَاءِ النَّيْلِ . فَإِنَّ أَرْضَ مِصْرَ تُزْبَةُ زَوَيْلَةٍ سَبِيحَةً ، وَمَا فِيهَا مِنَ الطَّيْنِ طَرَحٌ يَغْلُوهَا عِنْدَ زِيَادَةِ مَاءِ النَّيْلِ ، ثُمَّ يَحْمِلُهُ مِنَ الْبِلَادِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ مَسِيلِ الْأَوْدِيَةِ ، فَلِذَلِكَ يَكُونُ لَوْنُ الْمَاءِ عِنْدَ الزِّيَادَةِ مُتَغَيِّرًا ، فَإِذَا مَكَثَ عَلَى الْأَرْضِ قَعْدًا مَا كَانَ فِي الْمَاءِ مِنَ الطَّيْنِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَسَمَّاهُ أَهْلُ مِصْرَ إِنْجِلِيزَ ، وَعَلَيْهِ تُزْرَعُ الْغُلَالُ وَغَيْرُهَا ، وَمَا لَا يَشْمَلُهُ مَاءُ النَّيْلِ مِنَ الْأَرْضِ لَا يُوجَدُ فِيهِ هَذَا الطَّيْنُ أَلْبَنَةً .

- وَأَنْتَ إِنْ عَرَفْتَ أَحْبَابَ مِصْرَ بِأَمْلِكَ مَا تَضَمَّنَتْ هَذَا الْكِتَابَ ، ظَهَرَ لَكَ أَنَّ مَوْضِعَ جَامِعِ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ كُرُومًا مُشْرِقَةً عَلَى النَّيْلِ ، وَأَنَّ النَّيْلَ انْحَسَرَ بَعْدَ الْفَتْحِ عَمَّا كَانَ يَجَاهَ الْحِصْنِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ قَضْرُ الشُّعْبِ وَعَمَّا هُوَ الْآنَ نَجَاهُ الْجَامِعِ . وَمَا زَالَ يُنْحَسِرُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى صَارَ الشَّاحِلُ بِمِصْرَ مِنْ عِنْدِ سُوقِ / الْمَعَارِيحِ الْآنَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الشُّعْبِ سِيقَايَاتٍ . وَجَمِيعُ الْأَرْضِ^٥ الَّتِي فِيهَا الْآنَ الْمَرَاغَةُ خَارِجَ مِصْرَ إِلَى نَحْوِ الشُّعْبِ سِيقَايَاتٍ ، وَمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنْ بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ ، كَانَ غَامِرًا بِالْمَاءِ كَمَا تَقْدُمُ^١ .

- وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجَاهُ الْمَشْهَدُ الْمَعْرُوفُ بِزَيْدٍ - وَتَسْمِيَةِ الْعَامَّةِ الْآنَ مَشْهَدَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ^٢ - بَسَاتِينَ شَرْقِيَّهَا عِنْدَ الْمَشْهَدِ التُّفَيْسِيِّ ، وَغَرْبِيَّهَا عِنْدَ الشُّعْبِ سِيقَايَاتٍ : مِنْهَا بَسَاتِينُ عُرِفَتْ بِجَنَانِ بَنِي مَشْكِينَ ، وَعِنْدَهَا بَنَى كَافُورُ الْإِخْشِيدِيِّ دَارَهُ عَلَى الْبِرْكََةِ الَّتِي يَجَاهُ الْكَهْشِ وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبِرْكََةِ قَارُونَ . وَمِنْهَا بُشْتَانٌ يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ ابْنِ كَيْسَانَ ، ثُمَّ صَارَ صِنَاعَةً^٣ ، وَهُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ الطَّوَّاشِيِّ . وَمِنْهَا بُشْتَانٌ عُرِفَ آخِرًا بِجَنَانِ الْحَازَةِ ، وَهُوَ مِنْ حَوْضِ

(a) بولاق : الأراضي . (b) بولاق : صاعَة .

الذمياطي الذي بقرّب قنطرة السدّ الآن إلى الشّبع سقايات ، وبقرّب الشّبع سقايات بركة الغيل .

ويُشرف على بركة الغيل بساتين من دائرها ، وإلى وقتنا هذا عليها بُستان يُعرف بالحِجَازِيَّة ، وهم بطرّ من دزما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن العوث بن طحّ ، فدزما فخذ من طحّ^١ ، والحِجَازِيُّون بطرّ من دزما . وبُستان الحِجَازِيَّة فَصَلَ النَّاسُ بينه وبين البركة بطريق تَمْلُك فيها المارة .

وكان من شرقي بركة الغيل أيضًا بساتين ، منها : بُستان سَيْف الإسلام فيما بين البركة والجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل ، وموضعه الآن المساكن التي من جعلتها دزب ابن البابا إلى رُفاق حَلَب وحوّض ابن هُتس ، وعدة بساتين أُخر إلى باب زويلة^٢ .

وكذلك شقّة القاهرة العروية كانت أيضًا بساتين ، فموضّع حارة الوزيرة إلى الكافوري كان مبدآن الإخشيد ، وبجانب الميدان بُستانه الذي يُقال له اليوم الكافوري . وما خَرَجَ عن باب الفتوح إلى مئنة الأصبغ - الذي يُعرف اليوم بالخندق - كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقيّة . وقد ذُكِرَتْ هذه المواضع في هذا الكتاب مُبيّنة .

وعند التأمل يظهر أنّ الخليج الكبير ، عند ابتداء حفره ، كان أوّلُه إمّا من^٣ عند مدينة عين شمس أو من بحريها ، لأجل أنّ القطعة التي بجانب هذا الخليج من غربيه ، والقطعة التي هي بشرقه - فيما بين عين شمس وموزة الحلفاء خارج مدينة قسطنطين مصر - جميعها طين إبلز . والطّين المذكور لا يكون إلّا من حيث يؤمّ ماء الثّل ، فتقنّ أنّ ماء الثّل كان في القديم على هذه الأرض التي بجانب الخليج ، فينتج أنّ أوّل الخليج كان عند آخر الثّل من الجهة البحريّة . وينتهي الطّين إلى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقي ، ويصير ما بعد الخندق في الجهة البحريّة رملاً لا طين فيه ، وهذا يبيّن لمن تأمّله وتدبّره .

(٣) ساقطة من بولاق .

^١ راجع ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٤٠٠ - الشّوقية حتى تقاطعه مع شارع محمد علي (القاهرة) ثم

شارع الشروحة فشارع المبرلين والحبيجة حتى باب

^٢ هي المنطقة الممتدة من شارع الصليبية مروراً بشارع زويلة .

(a) أَخْبَرَنِي الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَبُو هَاشِمٍ أَحْمَدُ بْنُ الْبَرْهَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ أَدْرَكْتُهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ بِيَابِ زَوِيلَةَ فَمَرَى الْجَمِيعَ الطُّوْلُونِي .

قال كاتبه : وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا الْخَبَرِ أَحْوَالُ الْبِلَادِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ وَالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَابَ زَوِيلَةَ لَمْ يُضَيَّعْ صَيَانَةً لِلْقَاهِرَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ جِصًّا يَنْزِلُ بِهِ الْخُلَفَاءُ وَمَنْ شَرَّفُوهُ بِالسُّكْنَى مَعَهُمْ لَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَكَانَ تَجَاهُ بَابِ زَوِيلَةَ بَرَاخًا .

فَأَمَّا مَا حَازَهُ يَمِينٌ مِنْ خَرَجٍ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ - وَهِيَ الْأَمَاكِينُ الَّتِي تُعْرَفُ فِي زَمَنَّا بِدَارِ الثُّفَاحِ إِلَى تَحْتِ الزَّوْبِ إِلَى بَابِ الْحَرَقِ إِلَى الْحَيَّاتِيَّةِ إِلَى قَنَاطِرِ السَّبَاعِ ، وَمِنْ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ إِلَى الْكَبْشِ وَمَا هُوَ مُطِِّلُ الْآنَ مِنَ الدُّورِ عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ وَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ مِنْ جِكْرِ الْحَارِثِ إِلَى دَرْبِ ابْنِ الْبَابَا إِلَى حَذْرَةِ الْبَحْرِ ، سَالِكًا مِنْهَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ الطُّغْجِيَّةِ إِلَى الْيَانِيسِيَّةِ وَالْمَحْمُودِيَّةِ حَتَّى يَأْتِيَ بَابَ زَوِيلَةَ - فَإِنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِينَ كُلَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا بَسَاتِينَ ثُمَّ حَدَّثَ بِهَا حَارَاتٌ وَمَسَاكِينٌ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا مَا حَازَهُ تَسَارٌ مِنْ خَرَجٍ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ - وَهِيَ الْأَمَاكِينُ الْمَعْرُوفَةُ الْآنَ بِسُوقِ الْبُشَاطِينِ إِلَى الْبَابِ الْأَخْمَرِ (b) وَمِنْهُ إِلَى النَّجَّاتِيَّةِ إِلَى الرُّمَيْلَةِ - فَإِنَّهُ كَانَ مَقَابِرَ . ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِ الدُّورَ وَالْمَسَاكِينَ فِي الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ لَمْ تُكُنْ الْقَلْعَةُ . وَسَيَأْتِي مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ مَا عَلِمْتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَمَّا مَا يُقَابِلُ قَلْعَةَ الْجَبَلِ فَإِنَّ الرُّمَيْلَةَ - الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ الْخَيْلِ وَالْجِمَالِ وَالْحَمِيرِ - كَانَتْ بُشَّتَانًا لِابْنِ طُولُونٍ . وَمَا يَحْوِزُهُ يَمِينٌ مِنْ نَزَلٍ مِنْ بَابِ الْقَلْعَةِ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْمُنْرَجِ - فِيمَا بَيْنَ الشُّورِ وَالْجَبَلِ - فَإِنَّهُ كَانَ بَرَاخًا وَاسِعًا وَفِيهِ الْمَيْدَانُ الْأَسْوَدُ الْمَعْرُوفُ بِ«مَيْدَانِ الْقَبْقَبِ» ، وَلَمْ يَزَلْ بَرَاخًا وَاسِعًا لَا عِمَارَةَ فِيهِ إِلَى بَعْدِ سَنَةِ عَشْرِ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَمِنْ حَيْثُ ذَلِكَ حَدَّثَتِ الْعَمَائِرُ .

وَمَا يُقَابِلُ الْقَلْعَةَ يَمَّا يُحَادِثُ بَابَ مَدْرَسَةِ السُّلْطَانِ حَسَنَ سَالِكًا مِنْهُ إِلَى سُورَةِ الْعِزِّيِّ وَجَامِعِ الْمَارْدِينِيِّ إِلَى الْبَابِ الْأَخْمَرِ (b) ، فَإِنَّهُ كَانَ مَقَابِرَ وَحَدَّثَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْنِيَّةُ وَأَكْثَرُهَا كَانَ حَدُوثُهُ بَعْدَ السَّبْعِ مِائَةِ (a) .

(a-a) إضافة من مسودة المخطوط . (a) ربما المقصود : الدُّرْبُ الْأَخْمَرُ! وهو يرد كذلك في جميع النُسخ .

^(٨) وما حاذى ظهر مدرسة السلطان حسن إلى المكان المعروف الآن بشوَيْقة مُنْعِم ، ماژا في طول تلك القَصَبَة إلى الصَّلِيبة وإلى الكَبْش وقناطر السَّباع وما وراء ذلك إلى الجامع الطُولوني ، فإنَّها من المكان الذي كان يُعرَف قديمًا بالقَطَائِع . وَتَجَدَّدَتْ هذه الأَبْنِيَّة كُلُّها بعد عِمارة قَلْعَة الجَبَل .

وَسَتَقِفُ على تفاصيل ذلك إن شاء الله ^(٩) . وفي هذه الجِهة التي تلي الخَلِيج ، خارج باب زَوَيْلَة ، حَارَاتٌ قد ذُكِرَتْ عند ذِكر الحارات من هذا الكتاب ^٢ ، وَبَقِيَتْ هناك أَشْيَاءُ نَحْتَاجُ أَنْ نَعْرِفَ بها وهي :

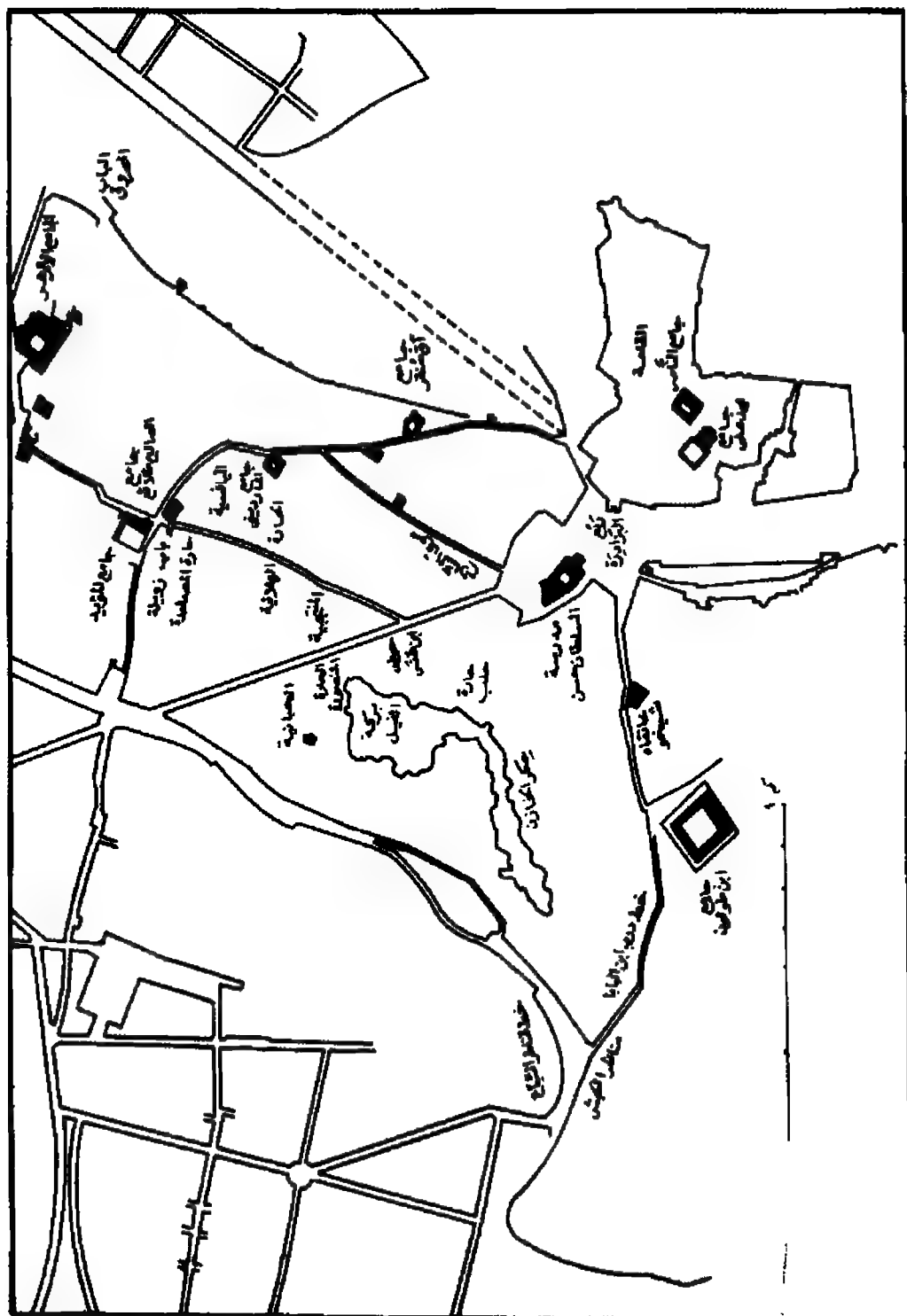
خَوْضُ ابن هَنْس

وهو خَوْضٌ تَرِدُهُ الدُّوَابُ ، وَيُنْقَلُ إليه الماءُ من بَيْرٍ ، وبه صَارَتْ تلك الخِيطَة تُعرَف . وهي تلي حَارَة حَلَب ، وَيُسَلِّكُ إليها من جانبه ^٣ . وَفَقَهُ ^(١٠) الأَمِيرُ سَعْدُ الدِّين مَشْعُود بن الأَمِير بَدْر الدِّين هَنْس بن عبد الله ، أَحَدَ الحُجَّابِ الخَاصِّ في أَيَّامِ المَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّين أَيُّوبَ ، في سَلْخِ سَقْبَان سنة سَبْعٍ وأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَعَمِلَ بأَعْلَاهُ مَشْجِدًا مُرْتَفَعًا وَسَائِقَةً مِاءٍ على بَيْرٍ مَعِين . ^(١١) وَمَاتَ هَنْسُ أَمِيرُ جَانْدَارِ السُّلْطَانِ المَلِكِ العَزِيزِ عُثْمَانَ في سنة إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ^(١٢) ، وَذُقِنَ بجِوَارِ الخَوْضِ .

(a-a) إضافة من مسودة الخطط . (b) بولاق : وهو وقف . (c-c) في الأصل ، وبولاق : ومات يوم السبت عاشر شوال سنة سبع وأربعين وست مائة ، وكسب على هامش أباصوليا أمامه : بحرر محله العبارة المثبتة وهي موجودة في بولاق في نهاية الفقرة .

^١ المقرئري : مسودة الخطط ٤٤٢ و .
^٢ أُوْرَدَ المقرئري هنا في المسودة ذكر الحارات الواقعة خارج باب زويلة وهي : البانيسية ، والمتصورة ، والمصايدة والهيلالية (٤٢٢-٤٤٥ ط) ؛ وانظر كذلك Salmon, G., *Etudes sur la topographie du Caire*, pp. 53-69; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 499-507.
^٣ ذَكَرَ المقرئري (فيما تقدم ٢٨١) أَنَّ حُتَّامَ الأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَلْدُودَ الجاشنكير كانت في الشارع المسلوك خارج باب زويلة تجاه رُفَاعِ حَارَة حَلَبَ بجِوَارِ خَوْضِ سَعْدِ الدِّينِ مَشْعُودِ ابنِ هَنْسَ . وبما أَنَّ حُتَّامَ أَلْدُودِ لا يزال قائمًا بشارع القلعة

(محمد علي) عند تقابله بشارع الشروجة ، وإن كان قد فُتِحَ شارع محمد علي في سنة ١٨٧٣ أَذْخَلَ في طريقه القسم الغربي من الحُتَّامِ بما فيه الباب الأصلي ، وَذَخَلَتْ فيه أَيْضًا الأرض التي كان عليها الخَوْضُ وبذلك زال أثره ، ثم فُتِحَ للحُتَّامِ بابٌ جديد هو بابُه الحالي المطلُّ على شارع محمد علي . فعلى ذلك فإنَّ خَوْضَ ابنِ هَنْسَ كان واقعًا في محور شارع محمد علي غربي المنزل المجاور لحُتَّامِ أَلْدُودِ من الجهة البحرية وفي تجاه شارع علي باشا إبراهيم . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٣٣٠-٣٣١ تعليقات محمد رمزي) .



الخارطة خارج باب زويلة

وكان هذا الحوض قد تَعَطَّل في عَصْرِنَا، فجدَّده الأمير تتر، أخذ الأمراء الكبار في الدَّوْلَة المؤيَّديَّة، في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة.

مَنَاطِرُ الْكَبْشِ

هذه المَنَاطِرُ آثارُها الآن على جَبَلِ يَشْكُر، بجوار الجامع الطولوني، مُشْرِفَةً على البركة التي تُعرف اليوم بركة قارون، عند الجسر الأعظم الفاصل بين بركة الفيل وبركة قارون^١. أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أي بكر بن أيوب في أغوام بضع وأربعين وست مائة.

وكان حينئذ ليس على بركة الفيل بناء، ولا في المواضع التي في بَرِّ الخَلِيج الغربي من قَنْطَرَة السباع إلى المقس سوى البساتين. وكانت الأرض التي من صليبة جامع ابن طولون إلى باب زويلة بساتين، وكذلك الأرض التي من قناطر السباع إلى باب مصر بجوار الكبارة ليس فيها إلا بساتين^(a).

وهذه المَنَاطِرُ تُشرف على ذلك كله من أعلى جبل يشكر، وتَرى باب زويلة والقاهرة، وتَرى باب مصر ومدينة مصر، وتَرى قلعة الروضة وجزيرة الروضة، وتَرى بحر النيل الأعظم وبرز الجزيرة. فكانت من أجل مُتَنَزِّهات مصر، وتأتق في بنائها وسماها «الكبش» فغرقت بذلك إلى اليوم^٢.

وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملوكية، وبها أنزل الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد التتاسي لما وصل من بغداد إلى قلعة الجبل، وباتمه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بالخلقة، فأقام بها ليلة، ثم تحوّل منها إلى قلعة الجبل^٣. وسكن بمناظر الكبش أيضًا الخليفة المستنكفي بالله أبو الربيع سليمان في أول خلافته.

وفيهما أيضًا كانت ملوك حماه من بني أيوب تنزل عند قدومهم إلى الديار المصرية. وأوّل من نزل منهم فيها الملك المنصور^(b) لما قدّم على الملك الظاهر بيبرس في المحرم سنة ثلاث

(a) بولاق: البساتين. (b) في آفاصونيا: يياض سطر ونصف.

^١ انظر عن الجسر الأعظم فيما يلي ٥٥٢. ^٢ التيجي: مستفاد الرحلة والاعترا ٤٣: ابن حبيب:

^٣ المقريري: السلوك ٣٤١: ٣٤٢. تذكرة النيه ١: ١٩٥٠: ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٧٢.

وسبعين وست مائة^١، ومعه ابنته الملك الأفضل نور الدين علي، وابنه الملك المظفر تقي الدين محمود. فعندما حل بالكيش أثناء الأمير شمس الدين آق سُنْغَر الغازقاني^٢ الأشتادار^٣ بالسماط، فنفذه بين يديه، ووقف كما يفعل بين يدي الملك الظاهر. فاشتتق الملك المتصور من الرضا بقيامه على السماط وما زال به حتى جلس. ثم وصلت الخيل والمواهب إليه وإلى ولده وخواصه.

- وفي سنة ثلاث وتسعين وست مائة، أنزل بهذه المناظر نحو ثلاث مائة من تماليك الملك^٤ الأشرف خليل بن قلاوون، عندما قُض عليهم بعد قتل الأشرف المذكور^٥ (وَقُورُوا بِمَنَاطِر الكيش ودار الوزارة من القاهرة^٦).

- ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون هَدَم هذه المناظر المذكورة في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة، وبناها ببناء آخر، وأجرى الماء إليها، وجدد بها عدة مواضع، وزاد في سعتها، وأنشأ بها إسطبلاً ترتبط فيه الخيول. وعمل زفاف ابنته على ولد الأمير أرغون، نائب السلطنة بديار مصر، بعدما جهزها جهازاً عظيماً^٧: منه تشحانات^٨، وداير بيت، وستاره، طرز ذلك بثمانين ألف مثقال ذهب مصري، سوى ما فيه من الحرير وأجيرة الصنّاع. وعمل سائر الأواني من ذهب وفضة، فبلغت زينة الأواني المذكورة ما يتيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب. وتناهى في هذا الجهاز، وبالغ في الإنفاق عليه حتى خرج عن الحد في الكثرة، فإنها كانت أول بناءه.
- ولما نصب جهازها بالكيش نزل من قلعة الجبل، وصعد إلى الكيش وعائته ورتبه بنفسه، واهتم في عمل العرس اغتيماً ثلوكياً، وألزم الأمراء بحضوره. فلم يتأخر أحد منهم عن الحضور، ونقط الأمراء المغاني^٩ على مراتبهم من أربع مائة دينار كل أمير إلى مائتي دينار، سوى الشقق الحرير.

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) إضافة من مسودة الخطوط. (c) بولاق: الأغاني.

^١ المقرئ: السلوك ١: ٦١٤، ٦٦٨، ٧١٢. على أربعة آلاف دينار.

^٢ المقرئ: السلوك ١: ٨٠٢، وفيما تقدم ٢: ٤٣٩-
^٣ البشخان. من الفارسية بفتح خائه وجمعها بشخاين.

٤٤٠. هي: الناموسية. (Dozy, R. Suppl. Dict. Ar. I, p.)

^٥ أبو الحسن: النجوم الزاهرة ٩: ٧٤، وفيه: «وتولى» (88).

التقد قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الحريري الحنفى

واستمرَّ الفَرْخ ثلاثة أيام لبلياليها ، فَذَكَرَ النَّاسُ حينئذٍ أَنَّهُ لم يُعْمَلْ فيما سَلَفَ عُرْسٌ أَعْظَمَ منه ، حتى حَصَلَ لِكُلِّ جَوْقَةٍ من مجُوقِ المغاني^(a) اللاتي كُنَّ فيه خمس مائة دينار مصرية ، ومائة وخمسون شَقَّةَ حرير . وكان عِدَّةُ مجُوقِ المغاني^(a) التي قُسِّمَ عليهن ثمانِ مجُوقِ من مغاني^(a) القاهرة ، سوى لمجُوقِ مغاني^(a) السُلْطانية ومغاني^(a) الأُمراء ، وعِدَّتُهُن عشرون لِمَجُوقَةٍ ، لم يُعْرَفَ ما حَصَلَ لهذه العشرين مجُوقَةٍ من كثرة ما حَصَلَ .

ولَمَّا انقَضَت أَيَّامُ العُرْس ، أُنْعِمَ السُلْطَانُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ من نِساء الأُمراء بِتَقِيَّةٍ^(b) قماشٍ على مِقْدَارِها ، وَخَلَعَ على سَائِرِ أَزْبابِ الوُظَايِفِ من الأُمراء والكُتَّاب وغيرهم . فكان مُهِمًّا عَظِيمًا تَجَاوَزَ المصروف فيه حَدَّ الكثرة .

وَسَكَنَ هذه المناظر أَيْضًا الأَمِيرُ صَرْوَعَتْمُش النَّاصِرِي^(c) فِي أَيَّامِ السُلْطَانِ المَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ قَلاوون ، وَعَمَّرَ البابَ الَّذِي هو موجودٌ الآنَ وَبَدَنَتِي الحَجَرِ اللَّتَيْنِ بِجَانِبِي بابِ الكَيْشِ بِالْحُدْرَةِ . ثم إنَّ الأَمِيرَ يَلْبِغَا العُمَرِيَّ ، المعروف بِالْخَاصَكِيَّ ، سَكَّنَهَا إلى أن قُتِلَ في سنة ثمانٍ وستين وسبع مائة ؛ فَسَكَنَهُ من بعده تَمْلُوكُهُ^(c) الأَمِيرُ أَسَدُودُ ، إلى أن قَبِضَ عليه المَلِكُ الأَشْرَفُ شُعْبَانِ ابنِ حُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قَلاوون ، وَأَمَرَ بِهَدمِ الكَيْشِ ، فَهَدمَ وَأَقَامَ خَرَابًا لا سَاكِنَ فيه إلى سنة خمس وسبعين وسبع مائة ، فَحَكَرَهُ النَّاسُ ، وَبَنَوْا فيه مَسَاكِنَ ، وهو على ذَلِكَ إلى اليوم^١ .

حُطُّو دَرْبِ ابنِ البَابِ

هذا الحُطُّ يُتَوَصَّلُ إليه من تَجاهِ المَدْرَسَةِ البُنْدُوقْدَارِيَّةِ^(d) من رُقَاقِي قد رُكِبَ عليه دَرْبٌ^(e) بِجِوَارِ حُتَّامِ الفَارَاقَانِي^٢ ، وَيُسَمَّى فِيهِ إلى حُطِّ وَاوِسعِ يَشْتَمِلُ على عِدَّةِ مَسَاكِنَ بَجَلِيلَةٍ ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهُ إلى الجَامِعِ الطُّولُونِيِّ وَقَنَاطِيرِ السَّبَّاحِ وغير ذلك .

(a) بولاق : الأغاني . (b) باريس : بقجة . (c) إضافة من مسودة الخطط . (d) في هامش آياصوفيا : بياض سطر . (e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٤٥ و-ظ .
غريبها على حُطِّ البَيْتَالَةِ بِحَيِّ السَّيْدَةِ زَهَب . (أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ٧ : ١١٩ هـ ، ١٢ : ٨٢٢ هـ ، Salmon, G.,
(op.cit., pp. 77-95 .
^٢ لم يقردها المقرئ بمدخل مستقل .
ويَدُلُّ على موقعِ مناظرِ الكَيْشِ الآنَ المنطقةَ المروقةَ بِقَلْعَةٍ
الكَيْشِ فِي الجِهَةِ الغَرِبِيَّةِ من جامعِ ابنِ طولونَ والتي تُشْرِفُ
من بَحرِها على شارعِ عبدِ المَجدِ البُلَّانِ (مراسينا) ومن

وكان هذا الخُطُّ بُشْتَانًا يُعرَف بِبُشْتَانِ أَبِي الحُسَيْنِ بن مُرْشِد الطَّائِي ، ثم عُرف بِبُشْتَانِ نَامِش ، ثم عُرفَ أُخِيرًا بِبُشْتَانِ سَيْفِ الإسلام طُغْتَكِين بن أَيْوُب . وكان يُشْرِف على يُوَكَّة الفيل ، وله دَهالِيزُ واسعةٌ عليها جِوَاسِقُ^(a) تُنْظَرُ إلى الجِبهات الأَرْبَع . ويُقَابِلُه - حيث الآن المَدْرَسَةُ البُنْدُقْدَارِيَّةُ^(b) وما في صَفْهَها إلى الصَّلَيبِ - بُشْتَانٌ يُعرَف بِبُشْتَانِ الوَزِيرِ ابنِ المَغْرَبِي ، وفيه حِثَامٌ مَلِيحَةٌ . ويُتَّصِل بِبُشْتَانِ ابنِ المَغْرَبِي بُشْتَانٌ عُرفَ أُخِيرًا بِبُشْتَانِ شَجَرِ الدَّر ، وهو حيث الآن سَكَنَ الخُلَفَاءُ بِالقُرْبِ من المَشْهَدِ النُّفَيْسِي . ويُتَّصِل بِبُشْتَانِ شَجَرِ الدَّرِ بَسَاتِينٌ إلى حيث المَوْضِعُ المَعْرُوفُ اليَوْمَ بِالكَبَارَةِ من مصر .

ثم إنَّ بُشْتَانَ سَيْفِ الإسلام حَكَرَهُ أَمِيرٌ يعرف بِعَلَمِ الدِّينِ^(c) العُتْمِي . فَبَنَى النَّاسُ فيه الدُّورَ في الدُّوَلَةِ التُّرْكِيَّةِ ، وصَارَ يُعرَفُ بِحِجَرِ العُتْمِي^١ ، وهو الآن يُعرَفُ بِبَرْزِ ابنِ البَابَا .

- ١٠ وهو الأَمِيرُ^(d) الكَبِيرُ المَعْظُمُ^(d) الجَلِيلُ جُنْكَلِي بن محمد بن البَابَا بن جُنْكَلِي بن خَلِيل بن عبد الله بَنَرِ الدِّينِ العِجْلِي^٢ ، رَأْسُ المِئْمَنَةِ ، وكَبِيرُ الأَمْرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ محمد بن قَلاوون بعد الأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ نَائِبِ الكَرْك . قَدِمَ إلى مصر في أوائل سنة أربع وسبع مائة ، بعدما طَلَبَهُ المَلِكُ الأَشْرَفُ خَلِيل بن قَلاوون ، وَرَعْبَتِهِ في الحُصُورِ إلى الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَكَتَبَ لَهُ مَنشُورًا بِإِقْطَاعِ جَبَدٍ ، وَجَهَّزَهُ إِلَيْهِ . فلم يَتَّفِقْ حُضُورُهُ إِلَّا في أَيَّامِ المَلِكِ النَّاصِرِ محمد بن قَلاوون ، وكان مُقَامُهُ بالقَرَبِ من آمِد ، فَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَأَعْطَاهُ إِمْرَةً . ولم يَزَلْ مُكْرَمًا مُعَظَّمًا ، وفي آخِرِ وَقْتِهِ - بعد خُرُوجِ الأَمِيرِ أَرْغُونِ النَّائِبِ من مصر - كان السُّلْطَانُ يَبْعَثُ إِلَيْهِ الذَّهَبَ مع الأَمِيرِ بَكْتُمُرِ السَّاقِي وغيره ، ويقول له : لا تَبُوسِ الأَرْضَ على هذا ، ولا تُثْرِلْهُ في دِيوَانِكَ . وكان أَوَّلًا يَجْلِسُ رَأْسُ المِئْمَنَةِ ثَانِي نَائِبِ الكَرْك ، فَلَمَّا سَارَ نَائِبُ الكَرْكَ لِنِيَابَةِ طَرَائِئِلُسَ ، جَلَسَ الأَمِيرُ جُنْكَلِي رَأْسُ / المِئْمَنَةِ ، وَزَوَّجَ السُّلْطَانُ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ بن محمد ابن قَلاوون بِابْنَةِ الأَمِيرِ بَنَرِ الدِّينِ .

(a) مسودة الخطط : وله دَهالِيزُ كِبَارٌ وعليها جِوَاسِقُ . (b) مسودة الخطط : وكان تَجَاهُ بَشْتَانِ سَيْفِ الإسلام حيث اليَوْمَ البُنْدُقْدَارِيَّةِ . (c) بياض في المسودة وأَبَاصُوفِها . (d-d) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرئ : مسودة الخطط ٤٥ ط ٤ ، وفيما تقدم ٥٥ .
^٢ راجع أخبار الأَمِيرِ جُنْكَلِي بن البَابَا ، المتوفى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م عند ، الصندي : أعيان العصر ١ : ١٦٣ - ١٦٦ ، الوافي بالوفيات ١١ : ١٩٩ - ٢٠١ ، المقرئ : المقفى الكبير ٣ : ٧٥ - ٧٧ ، السلوك ٣ : ٦٩٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ : ٧٦ - ٧٧ ، أبي الحسن : المنهل الصافي ٥ : ٢٢ - ٢٥ ، النجوم الزاهرة ١٠ : ١٤٣ ، وفيما تقدم ٢ : ٤٠٠ .

وما زال مُعْظَمًا في كُلِّ دَوْلَةٍ ، بحيث أَنَّ الْمَلِكَ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ قَلَاوُونَ كَتَبَ له عنه «الْأَتَابَكِي الْوَالِدِي الْبُذْرِي» ، وَزَادَتْ وَجَاهَتُهُ فِي أَيَّامِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وَكَانَ شَكْلًا قَلِيلًا حَلِيمًا ، كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ ، عَقِيقًا لَا يَسْتَعِدُّ مَمْلُوكًا أَوْ فَرْدَ أَلِيَّةٍ ، وَاقْتَصَرَ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى اقْرَابَتِهِ الَّتِي قَدِمَتْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ وَمِنْهَا أَوْلَادُهُ . وَكَانَ يُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ ، وَيُطَارِحُ بِمَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ ، وَيَعْرِفُ رَنْجَ^(١) الْعِبَادَاتِ وَيُجِيدُهُ ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى الْخِلَافِ فِيهِ ، وَيَمِيلُ إِلَى الشَّيْخِ تَقِيٍّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ تَيْمِيَّةٍ ، وَيُعَادِي مِنْ يُعَادِيهِ ، وَيُكْرِمُ أَصْحَابَهُ وَيَكْتُبُ كَلَامَهُ ، مَعَ كَثْرَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ بِمَا لَهُ وَجَاهِهِ . وَكَانَ يُنْقِيبُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمٍ^١ ، وَهُوَ مِنْ مُحَايِنِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ .

حِكْمَةُ الْخَازِنِ

هَذَا الْمَكَانُ ، فِيمَا بَيْنَ بَرْكَةِ الْفِيلِ وَخُطِّ الْجَامِعِ الطُّوْلُونِيِّ ، كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْبَسَاتِينِ ، ثُمَّ صَارَ إِسْطَبْلًا لِلْجُوقِ الَّذِي فِيهِ تُحْبَلُ الْمَالِيكَ السُّلْطَانِيَّةُ . فَلَمَّا تَسَلَّطَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَتَبْنَا أَوْخَرَ مِنْهُ الْخَيُْولَ ، وَعَمَّرَهُ^(ب) مَتَدَانًا يُشْرِفُ عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ وَلَعِبَ فِيهِ بِالْكُرَةِ^(ج) أَيَّامَ سُلْطَانِيَّتِهِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ خَلَعَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لِأَجِينٍ ، وَقَامَ فِي الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَهْمِلَ أَفْرَهُ .

وَعَمَّرَ فِيهِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنَجَرُ الْخَازِنِ وَالْيَاقَاهِرَةِ بَيْتًا^(د) ، فَعُرِفَ مِنْ حِينَئِذٍ بِحِكْمِ الْخَازِنِ ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ هُنَاكَ ، وَأَنْشَأُوا فِيهِ الدُّورَ الْجَلِيلَةَ . فَصَارَ مِنْ أَجْلِ الْأَخْطَاطِ وَأَعْمَرِهَا ، وَأَكْثَرَ مِنْ يَسْكُنُ بِهِ الْأَمْرَاءُ وَالْمَالِيكَ .

(١) وَمِنْ مَجْمَلَةِ الْمَقْدَانِ الْمَذْكُورِ إِسْطَبْلٌ يَكْتُمِرُ السَّاقِي تَجَاهَ الْكَبْشِ عَلَى بَرْكَةِ الْفِيلِ^(هـ) ٢ .

(a) آياصوفيا : خطبه . (b) بولاقي : عمله . (c) بولاقي : بالأكره . (d) العبارة في المسودة : وأول من أنشأ في هذا المكان بيتا الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة . (e-e) إضافة من مسودة الخطط .

^١ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ بْنِ مَنْصُورَ بْنِ يَزِيدَ الزَّاهِدِ ، الْمَتْرُفِيِّ سَنَةِ ١٦٦١ هـ/ ٧٧٨ م . (أَبُو نَعِيمٍ : حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٧: ٣٦٥ . حَتَّى ٨: ٥٨ : السُّلَمِيُّ : طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ١٣ : الذَّهَبِيُّ : سِيرُ أَعْلَامُ الْبُلَاءِ ٧: ٣٨٧-٣٩٦ : الصَّفْدِيُّ : الْوَفَائِيُّ بِالْوَفَائِيَّاتِ ١: ٣١٨-٣١٩ : الْقُرَيْزِيُّ : الْمَقْفِيُّ الْكَبِيرُ ١: ٤٥٠-٢٩٠ .

^٢ الْقُرَيْزِيُّ : مَسْوَدَةُ الْخَطِّ ٤٦ و ؛ وَانْظُرْ فِيمَا يَلِي =

- بينجو الحازن - الأمير عَلَمُ الدِّين الأَشْرَفِي^١، أَحَدُ مَمَالِكِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُون، وَتَنَقَّلَ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيل، وَصَارَ أَحَدَ الْخَزَانِ فَعُرِفَ بِالْحَازِنِ. ثُمَّ وَلِيَ سُدَّ الدَّوَابِينَ مَعَ الصَّاحِبِ أَمِينِ الدِّين، وَنُقِلَ^(٢) مِنْهَا إِلَى وَلايَةِ الْبَهْتَسَا، ثُمَّ إِلَى وَلايَةِ الْقَاهِرَةِ وَسُدَّ الْجِيَهَاتِ. فَبَاشَرَ ذَلِكَ بِغَفْلٍ وَسِيَّاسَةٍ وَحُكْمٍ خُلُقٍ، وَقِلَّةِ ظُلْمٍ وَمَحَبَّةٍ لِلْمَشْرُوعِ وَتَغَافُلٍ عَنِ مَسَاوِي النَّاسِ، وَإِقَالَةٍ غَضَرَاتِ دَوِي الْهَيْبَاتِ، مَعَ الْعَصِيَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ وَسَعَةِ الْحَالِ وَأَقْتِنَاءِ الْأَمْثَلِكِ الْكَثِيرَةِ.
- ثمَّ إِنَّهُ صُرِفَ عَنِ وَلايَةِ الْقَاهِرَةِ بِالْأَمِيرِ قَدَّادَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، فَوُجِدَ النَّاسُ مِنْ عَزْلِهِ بِقَدَّادَارِ شِدَّةً. وَمَا زَالَ بِالْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ لَيْلَةَ السَّبْتِ ثَامِنَ حُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، فَوُجِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفَ أَرْدَبَ غَلَّةٍ عَتِيقَةٍ وَأَشْوَالٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْأَثَارِ مَسْجِدٌ بَنَاهُ فَوْقَ دَرْبِ اسْتَبْجَدِهِ بِحُكْرِ الْحَازِنِ، وَخَائِنَاهُ بِالْقَرَفَةِ دُفِنَ فِيهَا، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ. ^(٣) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أُنْشَأَ الْمِيدَانُ عَلَى يَرْكَةِ الْفِيلِ وَعُثِّرَ فِيهِ، وَفُتِّحَ بَابُ الدَّرْبِ وَبُنِيَ فَوْقَهُ مَسْجِدًا فَسُمِّيَ حُكْرُ الْحَازِنِ لِذَلِكَ^(٤).

رَبِيعُ الْبَزَارِيَّةِ

- هَذَا الرَّبِيعُ تَحْتَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ بِشُوقِ الْخَيْلِ، عُمِّرَ بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَكَانَ مَكَانُهُ لَا عِمَارَةَ فِيهِ، فَبَنَى الْأَجْنَادُ بِجَوَارِهِ عِدَّةَ مَسَاكِينٍ، وَاسْتَبْجَدُوا حُكْرَتَيْنِ مِنْ جَوَارِهِ ^(٥) دَاخِلَ دَرْبِ قَطْلُونَا الْأَعْرَاجِ الَّذِي فِيهِ هَذَا الرَّبِيعُ^(٦). فَامْتَدَّتِ الْعِمَارَةُ إِلَى ثَرْوَةِ شَجَرِ الدَّرْ - حَيْثُ كَانَ الْبَيْسَتَانُ الْمَعْرُوفُ بِشَجَرِ الدَّرْ - وَهَنَّاكَ الْآنَ سَكَنُ الْخُلَفَاءِ^(٧). وَامْتَدَّتِ الْعِمَارَةُ مِنْ ثَرْوَةِ شَجَرِ الدَّرْ إِلَى

(a) بولاق : انتقل . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط .

= ٦٢٩، وتقع الأرض التي كان قائما عليها حُكْرُ الْحَازِنِ فِي الْمُنَاطِقَةِ الَّتِي تَحْدُ الْآنَ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ جَامِعِ أَرْبُكْ وَحَارَةِ تَجْمِ الدِّينِ، وَمِنَ الشَّمَالِ بِحَارَةِ تَجْمِ الدِّينِ أَيْضًا وَبِعُطْفَةِ عَشَامِ الْبَابَا، وَمِنَ الْغَرْبِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ قُدْرِي وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعِ الْخَضِيرِي (أَبُو الْخَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٣٠٥:٩-٣٠٦).
 (١) عَلَمُ الدِّينِ بِيْنَجُو الْحَازِنِ وَالِي الْقَاهِرَةِ لِمُدَّةِ
 (٢) تعليقات رمزي (بك)).
 (٣) ابن دقماق: الانتصار ١٢٥:٤ حيث يذكر عند حديثه على ثَرْوَةِ شَجَرِ الدَّرْ وَدَارَهَا، أَنَّ الثَّرْوَةَ بِالْقَرَبِ مِنْ -
 (٤) المقرئ: مسودة الخطوط ٤٦ و.
 (٥) أبو الخاسن: النجوم الزاهرة ٣٠٥:٩-٣٠٦.
 (٦) المقرئ: مسودة الخطوط ٤٦ و.
 (٧) ابن دقماق: الانتصار ١٢٥:٤ حيث يذكر عند حديثه على ثَرْوَةِ شَجَرِ الدَّرْ وَدَارَهَا، أَنَّ الثَّرْوَةَ بِالْقَرَبِ مِنْ -

المشهد التقيسي^(a) إلى كيمان مصر ومن الكيمان إلى الشور بجوار باب القرافة^(a)، ومروا من تجاه المشهد بالعمائر إلى أن اتصلت بعمائر مصر وباب القرافة^(a)، وعمر أيضا بجكر الخليفة أبي الزبيع سليمان من جوار الميمنة نفيسة، فصارت بيوتًا كثيرة ومساكن عديدة، كل ذلك في أيام الناصر بعد سنة إحدى عشرة وسبع مائة^(a) ١.

خُطُّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ

كان هذا الخط في أول الإسلام يُعرف بالخمراء القصرى^(b)، نزل فيه طائفة تُعرف ببني الأزرق وبني رُوَيْل. ثم دثرت هذه الخطة، وبقيت صخراء فيها ديارات وكنائس للخصاري تُعرف بكنائس الخمراء. فلما زالت دولة بني أمية، ودخل أصحاب بني العبّاس إلى مصر في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، نزلوا في هذه الخطة، وعمروها فصارت تتصل بالعشكر. وقد تقدّم خبر العشكر في هذا الكتاب^٢. فلما حرب العشكر، وصار هذا المكان بساتين وغيرها، إلى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية، وأنشأ ميدان المهارى والزربية^(c) والروبعين بجوار الجامع الطيبرسي على شاطئ النيل، بنى الناس في جكر أقبعا، واتصلت العمائر من خط السبع سقايات وخط قناطر السباع حتى اتصلت بالقاهرة ومصر والقرافة، وذلك كله من بعد سنة عشرين وسبع مائة.

بَشْرُ الوَطَاوِطِ

هذه البشور أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن القرات - المعروف بابن حترابة - لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التي أنشأها وحبسها لجميع المسلمين التي كانت بخط الخمراء، وكتب عليها:

(a-a) إضافة من مسودة الخطط. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الزربية.

= الثروة الخاتونية، وأن دارها الآن سكن أمير المؤمنين المتوكل
على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المتضد بالله أبي الفتح
أبي بكر بن الإمام المستكفي بالله أبي الزبيع سليمان خليفة
الزمان؛ وفيما يلي ٧٨٥.
١ المقرري: مسودة الخطط ٤٦ و-ظ.
٢ فيما تقدم ٥٦:٢-٨٠، وقارن المقرري: مسودة
الخطط ٤٦ ظ-٤٧ و.
٣ عن الزربية لا الزربية، انظر فيما تقدم ٤٣٥.

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَمِنَهُ الْمَرْءُ عَلَى عَبْدِهِ جَعَفَرُ بْنُ الْقَضَلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، وَمَا وَفَّقَهُ لَهُ مِنَ الْبِقَاءِ لِهَذِهِ الْبُقْرَةِ وَجَرَّيَانِهَا إِلَى السَّبْعِ سِقَايَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا ، وَحَبَسَهَا لَجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَبَسَهُ وَسَبَّلَهُ وَفَقًا مُؤَبَّدًا لَا يَحُلُّ تَغْيِيرُهُ وَلَا الْعُدُولُ بِشَيْءٍ مِنْ مَائِهِ ، وَلَا يُتَقَلُّ وَلَا يُتَطَّلُّ ، وَلَا يُسَاقُ إِلَّا إِلَى حَيْثُ مَجْرَاهُ إِلَى السَّقَايَاتِ الْمُسَبَّلَةِ ، ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأِنَّمَا إِنَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آيَةُ ١٨١ سُورَةِ الْبَقَرَةِ] . وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ^١ .

فلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ خَرِبَتِ السَّقَايَاتُ ، وَإِلَى الْيَوْمِ يُعْرَفُ مَوْضِعُهَا بِحُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَبُنِيَ فَوْقَ الْبُقْرَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَتَوَلَّدَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الطَّوَايِطِ ^٢ ، فَعُرِفَتْ بِبُيُوتِ الطَّوَايِطِ . / وَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ بِنَاءِ الْأَمَاكِينِ ، فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، غُمرَ هَذَا الْمَكَانُ ، وَغُرِفَ إِلَى الْيَوْمِ بِحُطِّ الْبُقْرَةِ الطَّوَايِطِ . وَهُوَ حُطٌّ عَامِرٌ .

فهَذَا مَا فِي جِهَةِ الْخَلِيجِ مِمَّا خَرَجَ عَنْ بَابِ زَوَيْلَةَ .
وَأَمَّا جِهَةُ الْجَبَلِ فَإِنَّمَا كَانَتْ عِنْدَ وَضْعِ الْقَاهِرَةِ ضَمْعَاءً . وَأَوَّلُ مَنْ أَعْلَمَ أَنَّهُ غُمِرَ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ الصَّالِحُ طَلَانِجُ بْنُ زُرَيْكٍ ، فَإِنَّهُ أَنْشَأَ الْجَامِعَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَامِعُ الصَّالِحِ ، وَلَمْ

(٢) بولاق : الطوايط .

المقريزي في الخطط . (راجع أيضًا Van Berchem, M., *CIA Égypte I*, p. 78 n° 48; Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire* pp. 44-46; Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. 91-93 n° 570, id., «Une inscription d'un vizir des Ikshidides», *Der Islam V* (1914), pp. 171-73; id., *RCEA V*, n° 1620; سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ٣٠٦-٣٠٧؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٣٧-٣٨، Fu'ad Sayyid, (A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 71-73 .

^١ تُعَدُّ هَذِهِ الْكِتَابَةُ التَّارِيخِيَّةُ أَقْدَمَ حُجَّةٍ وَقَفَ فِي مِصْرَ وَصَلَتْ إِلَيْنَا ، وَأَهَمُّ نَقْشٍ مِنْ نَاحِيَةِ التَّارِيخِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ ، بَعْدَ النَّقْشِ الْمَوْجُودِ عَلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ . وَقَدْ كُتِبَ عَنْ قِطْعَةٍ مِنَ الْحَجَرِ الرَّقْمِيِّ الْوَزْدِيِّ اللَّوْنُ تَحْمِلُ خَمْسَةَ أَسْطُرٍ مِنَ الْكِتَابَةِ الْكُوفِيَّةِ الْمُرَهْرَةِ مُدَمَّجَةً فِي حَائِطِ بَيْتٍ خَرِبَ عَلَى ارْتِفَاعٍ مِثْرٍ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ فِي حَيِّ الصَّلْبِيَّةِ عِنْدَ مَدْخَلِ الْحَارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقُودُ مِنْ شَارِعِ الصَّلْبِيَّةِ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونٍ ، قَبْلَ قَطْعِ الْمِيْمَانِ الْوَاقِعِ الْآنَ أَمَامَ الْجَامِعِ . وَتَحْمِلُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْحَجَرِيَّةُ - الْمُسَجَّلَةُ بِالْأَثَارِ تَحْتَ رَقْمِ ٤٣٢ - بِدَايَةَ نَصِّ النَّقْشِ الَّذِي ذَكَرَهُ كَامِلًا

يَكُن بين هذا الجامع وبين هذا الشُّرف الذي عليه الآن قَلْعَةُ الْجَبَلِ بِنَاءً أَلْبَنَةً^١. إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ الْآنَ عَمِلَ النَّاسُ فِيهِ مَقْبَرَةً، فِيمَا بَيْنَ جَامِعِ الصَّالِحِ وَبَيْنَ هَذَا الشُّرْفِ، مِنْ حَيْثُ يُنْبِتُ الْحَارَاتُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ. فَلَمَّا عُمِّرَتْ قَلْعَةُ الْجَبَلِ، عَمَّرَ النَّاسُ بِهَذِهِ الْجِهَةِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَمَا يَرِخُ مِنْ بَنَى هُنَاكَ يَجِدُ عِنْدَ الْحَفْرِ رِجْمَ الْأَمْوَاتِ^٢.

وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الْجِهَةُ فِي الدَّوْلَةِ التُّوْكِيَّةِ - لَاسِيَّمَا بَعْدَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِائَةٍ - مِنْ أَعْمَرِ الْأَخْطَاطِ، وَأُنْشِأَ فِيهَا الْأُمَرَاءُ الْجَوَامِعُ وَالذُّوَرُ الْمُلُوكِيَّةُ، وَتَجَدَّدَتْ هُنَاكَ عِدَّةُ أَشْوَاقٍ، وَصَارَ الشَّارِخُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ يَفْصِلُ بَيْنَ هَذِهِ الْجِهَةِ وَبَيْنَ الْجِهَةِ الَّتِي مِنْ حَدِّ الْخَلِيجِ. وَكِلْتَا هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ الْآنَ عَامِرٌ^٣.

وَفِي جِهَةِ الْجَبَلِ خُطُّ الْبَيْسُطَيْنِ، وَخُطُّ الدَّرْبِ الْأَحْمَرِ، وَخُطُّ سُوقِ الْقَنْمِ، وَخُطُّ جَامِعِ الْمَازِدِينِ، وَخُطُّ الثَّبَّانَةِ، وَخُطُّ بَابِ الْوَزِيرِ، وَخُطُّ الْمَصْنَعِ، وَخُطُّ سَوَاقَةِ الْعِزِّيِّ، وَخُطُّ مَدْرَسَةِ أُلْجَائِي، وَخُطُّ الرُّمَيْلَةِ، وَخُطُّ الْقُبَيْبَاتِ، وَخُطُّ بَابِ الْقَرَّافَةِ^٤.

(a) بولاق : هامة . (b) هنا في هامش أبياصوفيا : يياض عشرة أسطر وزيادة .

^٢ فيما تقدم ٣٦٧-٣٦٦، وفيما يلي ٤٤٣:٢.

^١ فيما تقدم ٣٦٧، وفيما يلي ٢٩٣:٢.

ذكر خارج باب الفتوح^١

اعلم أنَّ خارج باب الفتوح إلى الخندق كان كله بساتين، وتمتدُّ البساتينُ من الخندق بحافتي الخليج إلى عَيْنِ شمس. فيقابل باب الفتوح من خارجه المنظرة، المقدم ذكرها عند ذكر المناظر التي كانت للحلفاء من هذا الكتاب^٢، ويلي هذه المنظرة بُستانٌ كبيرٌ عُرف بالبستان الجيوشي، وأوله من عند رُقاي الكحل إلى المطربة. ويقابله في بَرِّ الخليج الغربي بُستانٌ آخر يتوصَّل إليه من باب القنطرة، وينتهي إلى الخندق. وقد ذُكرَ خبرُ هذين البستانين عند ذكر مناظر الحلفاء^٣.

وكان بين هذين البستانين بُستانٌ الخندق وكان على حافة الخليج من شرفيه، فيما بين رُقاي الكحل وباب القنطرة - حيث المواضع التي تُعرف اليوم بِرُوكَة جناح وبالكنداسين - إلى قريب من حارة بهاء الدين حارة تُعرف بحارة البيازة، اختطَّت في نحو من سنة عشرين وخمس مائة، وكانت مناظرها تُشرف على الخليج، وبجوارها بُستانٌ مُختار الصقلي، وعُرف بعد ذلك ببستان ابن صيرم الذي حُكِر، وبنيت فيه المساكن الكثيرة بعد ذلك.

وكان أيضًا خارج باب الفتوح حارة الحسينية - وهم الرعيحانية إحدى طوائف عسكر الحلفاء الفاطميين - وهذه الحارة اختطَّت بعد الشدة العظمى التي كانت بمصر في خلافة المستنصر، فصارت على يمين من خرَج من باب الفتوح إلى صحراء الهليلج. وإقبالها حارة أخرى تنتهي إلى رُوكَة الأزمن التي عند الخندق، وتُعرف اليوم بِرُوكَة قراجا، وقد ذُكرت هذه الحارات عند ذكر حارات القاهرة وظوايرها من هذا الكتاب^٤.

^٢ انظر فيما تقدم ٥٦٨:٢ - ٥٧٠.

^٣ فيما تقدم ٥٨٢:٢ - ٥٨٤.

^٤ فيما تقدم ٤، ٥٩ - ٦٣.

^١ عن المنطقة الواقعة خارج باب الفتوح والائتداد الشمالي الشرقي للقاهرة زمن المماليك، راجع - Behrens Abouseif, D., «The North-Eastern Extension of Cairo under the Mamluks», *An.Isl. XVII* (1981), pp. 157-89.

زُكْرُ الْحَنْدَقِ

هذا المَوْضِعُ قَرْيَةٌ خارج باب الفُتُوح كانت تُعرَفُ أَوَّلًا بِمُنْيَةِ الْأَصْبَغِ . ثم لما اخْتُطَّتْ القَائِدَةُ بِجَوْهَرِ
القَاهِرَةِ أَمَرَ الْمَغَارِبَةُ أَنْ يَخْفَرُوا حَنْدَقًا ، مِمَّا يَلِي (a) الشَّامَ مِنَ الْجَبَلِ إِلَى الْإِلْبِيزِ ، عَرْضُهُ عَشْرَةُ أَذْرُعٍ فِي
عُمُقٍ مِثْلِهَا . فَبَدِئَ بِهِ يَوْمَ السَّبْتِ حَادِي عَشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَفُرِغَ فِي أَيَّامِ
يَسِيرَةٍ .

وَحَفَرَ حَنْدَقًا آخَرَ قُدَّامَهُ وَعُمُقَهُ ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ بَابًا يُدْخَلُ مِنْهُ - وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي كَانَ عَلَى
مَعْدَانِ الْبُسْتَانِ الَّذِي لِلْإِخْشِيدِ - وَقَصَدَ أَنْ يُقَاتِلَ الْقَرَامِطَةَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَنْدَقِ ، فَقِيلَ لَهُ مِنْ
حَيْثُ «الْحَنْدَقُ» ، وَ«حَنْدَقُ الْعَبِيدِ» ، وَ«الْحُفْرَةُ» . ثُمَّ صَارَ بُسْتَانًا جَلِيلًا مِنْ جَمَلَةِ الْبُسَاتِينِ
السُّلْطَانِيَةِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَأَذْرَكْنَاهَا مِنْ مُنْتَزَهَاتِ الْقَاهِرَةِ الْبَهِيْجَةِ إِلَى أَنْ خَرِبَتْ .
قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ أَقْطَعَ ابْنَ سَنْدَرٍ مُنْيَةَ
الْأَصْبَغِ ، فَحَارَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا أَلْفَ فَدَّانٍ كَمَا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - وَلَمْ يَتْلُغْنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَقْطَعَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ شَيْئًا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ،
إِلَّا ابْنَ سَنْدَرٍ فَإِنَّهُ أَقْطَعَهُ مُنْيَةَ الْأَصْبَغِ ، فَلَمْ تَزَلْ لَهُ حَتَّى مَاتَ ، فَاشْتَرَاهَا الْأَصْبَغُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ
وَرَثَتِهِ ، فَلَيْسَ بِمِصْرَ قَطِيعَةً أَقْدَمَ مِنْهَا وَلَا أَفْضَلَ^١ .

وَكَانَ سَبَبُ إِقْطَاعِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا أَقْطَعَهُ مِنْ ذَلِكَ - كَمَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
مَسْلَمَةَ ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ - أَنَّهُ كَانَ لِرِزْبَاعِ الْجُدَامِيِّ^٢ غُلَامٌ
يُقَالُ لَهُ سَنْدَرٌ ، فَوَجَدَهُ يُقْبَلُ جَارِيَةً لَهُ ، فَجَبَّهُ وَجَدَّعَ أُذُنَيْهِ وَأَنَفَهُ (b) . فَأَتَى سَنْدَرٌ إِلَى (c) رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، فَأَرْسَلَ إِلَى رِزْبَاعٍ فَقَالَ : «لَا تُحْمَلُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ ، وَأَطِيعُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَاكْشَوْهُمْ (d)
مِمَّا تَلْبَسُونَ ، فَإِنْ رَضِيتُمْ / فَأَمْسِكُوا ، وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَبِعُوا ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ . وَمَنْ مِثْلُ بِهِ أَوْ

(a) بولاق : من جهة . (b) بولاق : أنفه وأذنه . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : وألبسهم .

^١ ابن عبد الحكم : فتح مصر ١٣٧ ؛ وفيما تقدم الجُدَامِيُّ ، قَدِيمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ حَصَى غُلَامًا لَهُ ، فَأَعْتَقَهُ
النَّبِيُّ ﷺ وَابْنُهُ رُوحُ بْنُ رِزْبَاعٍ ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ . ٢٥٩ : ١ .

^٢ حاشية بخط المؤلف : «رِزْبَاعُ بْنُ رُوحٍ أَبُو رُوحٍ

أُخْرِقَ بِالنَّارِ فَهُوَ حُرٌّ، وَهُوَ مَوْلَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ». فَأُعْتِقَ سَنَدَرٌ، فَقَالَ: أَوْصِي بِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْصِي بِكَ كُلِّ مُسْلِمٍ». فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَتَى سَنَدَرٌ أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: اخْفَظْ فِيَّ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَعَالَه أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَتَّى تَوَفَّى.

ثُمَّ أَتَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ: اخْفَظْ فِيَّ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: نَعَمْ إِنْ رَضِيتَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي أَجْرَيتَ عَلَيْكَ مَا كَانَ يُجْعَرِي عَلَيْكَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَالْأَفَانُظَرُ أَيِ الْمَوَاضِعِ^٥ أَكْتُبُ لَكَ. فَقَالَ سَنَدَرٌ: مَصْرٌ لِأَنَّهَا أَرْضُ رِيفٍ. فَكَتَبَ لَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْقَاصِ: «اخْفَظْ فِيهِ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى^٦ عَمْرِو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَطَعَ لَهُ أَرْضًا وَاسِعَةً وَدَارًا. فَجَعَلَ سَنَدَرٌ يَعِيشُ فِيهَا، فَلَمَّا مَاتَ قُبِضَتْ فِي مَالِ اللَّهِ،^٧ وَهِيَ مُنِيَّةُ الْأَصْبَغِ^٨.

قَالَ عَمْرِو بْنُ شُعَيْبٍ: ثُمَّ أَقْطَعَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ الْأَصْبَغَ بَعْدُ، فَهِيَ مِنْ خَيْرِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: وَيُقَالُ سَنَدَرٌ وَابْنُ سَنَدَرٍ^٩.

وَقَالَ ابْنُ يُوْنُسَ: مَسْرُوحُ بْنُ سَنَدَرِ الْخَصِيِّ مَوْلَى زُبَاعِ بْنِ رَوْحِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيِّ، يُكْنَى أَبَا الْأَسْوَدِ، لَهُ صُحْبَةٌ. قَدِمَ مَصْرَ بَعْدَ الْفَتْحِ بِكِتَابِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْوَصَاةِ، فَأَقْطَعَ مُنِيَّةَ الْأَصْبَغِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. رَوَى عَنْهُ أَهْلُ مَصْرَ حَدِيثَيْنِ، رَوَى عَنْهُ مَرْزُوقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْزِيِّ^{١٠}، وَرَبِيعَةُ بْنُ لَقِيطِ الثَّجِيبِيِّ. وَيُقَالُ سَنَدَرُ الْخَصِيِّ، وَابْنُ سَنَدَرٍ أَثْبَتُ، تَوَفَّى بِمَصْرَ فِي أَيَّامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ،^{١١} (وَكَانَ دَاهِيًا مُتَكَبِّرًا جَسِيمًا^{١٢}).

وَيُقَالُ: كَانَ مَوْلَاهُ وَجَدَهُ يَقْبَلُ جَارِيَةً لَهُ، فَجَبَّهَ وَجَدَعَهُ أَنْفَهُ وَأُذُنِيهِ، فَأَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى زُبَاعٍ فَقَالَ: «لَا تَحْمِلُوهُمْ - يَعْنِي الْعَبِيدَ - مَا لَا يُطِيقُونَ، وَأَطِيعُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ...» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ.

وَذَكَرَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ شُوَيْدٍ بْنِ سَنَدَرٍ، أَنَّهُ أَذْرَكَ مَسْرُوحَ بْنَ سَنَدَرٍ الَّذِي جَدَعَهُ زُبَاعُ بْنُ رَوْحٍ - وَكَانَ جَدُّهُ لِأُمِّهِ - فَقَالَ: كَانَ رُبَّمَا تَغْدَى مَعِيَ بِمَوْضِعٍ مِنْ قَرْيَةِ عُثْمَانَ، وَاسْمُهَا

(a) بولاق: موضع. (b) بولاق: إلى. (c-c) إضافة من مسودة الخطوط. (d) بولاق: البرني.

^١ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥٠٥:٧-٥٠٦:٥ ابن الإصابة ٥٦٩:٢، ١٩٢:٣ المقرئ: مسودة الخطوط عبد الحكم: فتوح مصر ١٣٧-١٣٨ ابن حجر: ١٥١-وط.

سَمَيْسِم^(أ). وكان لابن سَنَدَرٍ إلى جانبها قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا «قُلُون» قَطِيعَةٌ، وكان له مَالٌ كَثِيرٌ من رَقِيقٍ وغير ذلك، وكان دَاهِيَةً^(ب) مُتَكَبِّرًا جَسِيمًا، وَغَمَّرَ حَتَّى أَذْرَكَ زَمَانَ عبدَ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ، وكان لِرُوحِ بنِ سَلَامَةَ أَبِي زَنْبَاعٍ، ^(ج) مَاتَ فَوَرِثَهُ أَهْلُ التَّعَدُّدِ بِرُوحٍ ^(د) بَنِ سَلَامَةَ أَبِي زَنْبَاعٍ وَكَانُوا خَمْسَةً^(هـ) ^١. وقال القَصَّاعِي: مَشْرُوحُ بنِ سَنَدَرٍ الحَصِيي - وَتَكْنَى أَبُو الْأَسْوَدِ - لَهُ صُحْبَةٌ، وَيُقَالُ لَهُ سَنَدَرٌ، دَخَلَ مِصْرَ بَعْدَ الْفَتْحِ سَنَةَ الثَّانِيَيْنِ وَعِشْرِينَ^٢.

وقال الْكِتْدِيُّ فِي كِتَابِ «الْمَوَالِي»، قَالَ: أَقْبَلَ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمًا يَمِيرُ وَابْنَ سَنَدَرٍ مَعَهُ، فَكَانَ ابْنُ سَنَدَرٍ وَتَقَرَّوْا مَعَهُ يَسِيرُونَ بَيْنَ عَمْرُو بنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَثَارِوَا الْغُبَارَ. فَجَعَلَ عَمْرُو عِمَامَتَهُ عَلَى طَرَفِ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا الْغُبَارَ فَإِنَّهُ أَوْشَكُ شَيْءٍ دُخُولًا وَأَبْعَدُهُ خُرُوجًا، وَإِذَا وَقَعَ عَلَى الرُّقَّةِ صَارَ نَسْمَةً. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِأَوَّلِكَ الثَّقَرِ، تَنَحَّوْا، فَفَعَلُوا إِلَّا ابْنَ سَنَدَرٍ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَتَفَتَّحِي يَا ابْنَ سَنَدَرٍ؟ فَقَالَ عَمْرُو: دَعُوهُ، فَإِنَّ غُبَارَ الْحَصِيي لَا يَصُتِرُ. فَسَمِعَهَا ابْنُ سَنَدَرٍ فَغَضِبَ، وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَذَيْتَنِي؛ فَقَالَ عَمْرُو: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ ابْنُ سَنَدَرٍ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوصِيَنِي، فَقَالَ: «أَوْصِي بِكَ كُلَّ مُؤْمِنٍ»^٣.

وقال ^(د) أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ ^(هـ) بَنُ يُونُسَ ^(و) فِي كِتَابِ «تَارِيخِ مِصْرَ» وَمِنْهُ نَقَلْتُ^(ز): أَصْبَحَ بَنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ مَرْوَانَ بنِ الْحَكَمِ يُكْنَى أَبُو زَيْنَانَ^(د). حَكَى عَنْهُ أَبُو خَيْرَةَ^(هـ) عِتَادَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ^(ف) ^{١٥} الْمَعَاوِرِي، وَعَوْنُ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِ. تَوَفَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِيْنَ قَبْلَ أَبِيهِ^٤.

(أ) بولاق: مسمم. (ب) بولاق: ذا دهاء. (ج) إضافة من مسودة الخطوط. (د) بولاق: أبو ريان. (هـ) بولاق: أبو صبرة. (ز) بولاق: عبد الله بن عباد.

^١ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤٧٠-٤٧٢؛ ابن حجر: الإصابة ٦: ٩١.

^٢ وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ ١٥١ ر، مَسْبُوقًا بِقَوْلِهِ: قَالَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنِ سَلَامَةَ الْقَصَّاعِي فِي كِتَابِ «خَطِّطُ مِصْرَ» وَمِنْهُ نَقَلْتُ، وَاسْتَكْمَلَ عَنْهُ بَقِيَّةَ خَبَرِ ابْنِ سَنَدَرٍ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَى هَامِشِ النُّسخَةِ بَعْدَ فِتْرَةٍ: «وَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «فَتْوحِ مِصْرَ» لِابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ»، وَأَثْبَتَ

^٤ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ الغرياء) ٤٤٠؛ المقرئ: مسودة الخطوط ١٥١ ظ.

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب «الأغاني الكبير»: «عن الروثاشي أنه^٥ قال عن سُكَيْنَةَ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - : إنَّ أبا عُذْرَتَهَا عبد الله ابن الحسن بن علي ، ثم خَلَفَهُ عليها^٦ العثماني ، ثم مُصْعَب بن الزُبَيْر ، ثم الأَصْبَغ بن عبد العزيز ابن مزوان . قال : وكان يَتَوَلَّى مصر ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ سُكَيْنَةُ : «إِنَّ مصرَ أَرْضٌ وَبِجَنَّةٍ» ، فَبَنَى لَهَا مَدِينَةً تُسَمَّى مَدِينَةَ^٧ الأَصْبَغ . وَبَلَغَ عبد الملك تَزْوَجه إِيَّاهَا ، فَتَفَيَّسَ بِهَا عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : «اخْتَرِ مصرَ أَوْ سُكَيْنَةَ» ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا^٨ بِطَلَاقِهَا ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ، وَمَتَّعَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ^٩ .

قُلْتُ في هذا الخبر أوهامٌ : منها أَنَّ الأَصْبَغَ لم يَلِ مصرَ ، وإِنَّمَا كَانَ مع أبيه عبد العزيز ابن مزوان . ومنها أَنَّ الذي بَنَاهُ الأَصْبَغَ لِسُكَيْنَةَ مَدِينَةً الأَصْبَغَ هذه وليست مَدِينَةً . ومنها أَنَّ الأَصْبَغَ لم يُطَلِّقْ سُكَيْنَةَ ، وإِنَّمَا مَاتَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهَا .

وقال ابنُ رُؤَاق في كتاب «إتمام كتاب الكندي في أخبار أمراء مصر» : وفي سَوَالٍ - يعني من سنة ستين وثلاث مائة - كَثُرَ الإِرْجَافُ بِوُضُوءِ القَرَامِطَةِ إِلَى الشَّامِ وَرَأْسِهِمُ الحسن بن محمد الأعسم . وفي هذا الوقت وَرَدَ الخَبَرُ بِقَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ ، قَتَلَهُ القَرَامِطَةُ بِدِمَشْقَ . وَلَمَّا قُتِلَ مَلَكَتِ القَرَامِطَةُ دِمَشْقَ ، وَصَارُوا إِلَى الرُّمْلَةِ ، فَانْحَازَ سَعَادَةُ^{١٠} بن حَيَّانَ إِلَى يَافَا مُتَحَصِّنًا بِهَا .

وفي هذا الوقت تَأَهَّبَ جَوْهَرُ القَائِدِ لِقِتَالِ القَرَامِطَةِ ، وَخَفَرَ خَنْدَقًا وَعَمِلَ عَلَيْهِ بَابًا ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ البَابَيْنِ^{١١} الحَدِيدَ اللَّذِينَ كَانَا عَلَى مِيدَانِ الإِخْشِيدِ ، وَبَنَى القَنْطَرَةَ عَلَى الْخَلِيجِ ، وَخَفَرَ خَنْدَقَ السَّرِيِّ بن/ الحَكَمِ ، وَفَرَّقَ السَّلَاحَ عَلَى رِجَالِ المَغَارِبَةِ وَالمَصْرِيِّينَ وَوَكَّلَ بِأُمِّي الفَضْلِ جَعْفَرَ ابنِ الفَضْلِ بنِ الفُرَاتِ خَادِمًا يَبِيتُ مَعَهُ فِي دَارِهِ وَيَرْكَبُ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ ، وَأَنْقَذَ إِلَى نَاجِيَةِ الْحِجَازِ بِتَعَرُّفِ خَبَرِ القَرَامِطَةِ^{١٢} .

وفي ذِي الحِجَّةِ كَتَبَ القَرَامِطَةُ القُلُومَ ، وَأَخَذُوا وَالِيَهَا^{١٣} .

(a) ساقطة من بولاق . (b) الأغاني : ثم خلف عليها . (c) بولاق : بمدينة . (d) بولاق : إليه . (e) بولاق : معاذ . (f) بولاق :

بالي .

^٢ المقرئ : انما الحنفا ١ : ١٢٩ .

^١ أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ١٦ : ١٥١ ، وقارن مع

^٣ نفسه ١ : ١٢٩ .

١٦ : ١٤٩ .

ثم دَخَلَتْ سنة إحدى وستين وثلاث مائة، وفي الحَرَمِ بَلَعَتِ الْقَرَامِطَةُ عَيْنَ شَمْسٍ، فَاشْتَعَدَّ جَوْهَرُ لِلْقِتَالِ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ، وَغَلَقَ أَبْوَابَ الطَّايِبَةِ، وَضَبَطَ الدَّاخلِ والخَارِجِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَخْرُجَ الْأَشْرَافُ كُلُّهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِالْمَضَارِبِ.

وفي مُسْتَهَلِّ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ التَّحَمَّ الْقِتَالُ مَعَ الْقَرَامِطَةِ عَلَى بَابِ الْقَاهِرَةِ وَكَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمَاعَةٌ وَأَسِيرَ جَمَاعَةٌ، وَأَضْبَحُوا يَوْمَ السَّبْتِ مُتَكَافِئِينَ. ثُمَّ غَدَا يَوْمَ الْأَحَدِ لِلْقِتَالِ، وَسَارَ الْحَسَنُ الْأَعْسَمُ بِجَمِيعِ عَسَاكِرِهِ، وَمَشَى لِلْقِتَالِ عَلَى الْحَنْدَقِ وَالبَابِ مُغْلَقٍ. فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ فَتَحَ جَوْهَرُ البَابَ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ وَلَّى الْأَعْسَمُ مُنْهَرِمًا، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ الْقَائِدُ جَوْهَرُ. وَنَهَبَ سَوَادُ الْأَعْسَمِ بِالْجُبِّ، وَوُجِدَتْ صَنَادِيقُهُ وَكُتُبُهُ، وَأَنْصَرَفَ فِي اللَّيْلِ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْزُومِ، وَنَهَبَتْ^(٥) بَنُو عَقِيلٍ وَبَنُو طَيْئٍ كَثِيرًا مِنْ سَوَادِهِ وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالْقِتَالِ.

وَكَانَ جَمِيعُ مَا جَرَى عَلَى الْقَوْمِطِيِّ بِتَذِيرِ جَوْهَرٍ وَجَوَائِزِ أَنْفَعَهَا، وَلَوْ أَرَادَ أَخَذَ الْأَعْسَمُ فِي انْهِزَامِهِ لِأَخَذِهِ، وَلَكِنْ اللَّيْلُ حَبَزَ فِكْرَهُ جَوْهَرُ أَتْبَاعَهُ خَوْفًا مِنَ الْحِيلَةِ وَالْمَكِيدَةِ، وَحَضَرَ الْقِتَالُ خَلْقٌ مِنْ رَعِيَّةِ مِصْرَ، وَأَمَرَ جَوْهَرُ بِالنَّدَاءِ فِي الْمَدِينَةِ: مِنْ جَاءَ بِالْقَوْمِطِيِّ أَوْ بِرَأْسِهِ فَلَهُ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَخَمْسُونَ خِلْعَةً، وَخَمْسُونَ سَرَجًا بِحُلِيِّ^(٦) عَلَى ذَوَائِبِهَا، وَثَلَاثُ جَوَائِزٍ^١.

وَمَدَحَ بَعْضُهُمُ الْقَائِدَ جَوْهَرَ بِأَثْبَاتِ مِنْهَا:

[الطويل]

كَأَنَّ طِرَازَ النَّصْرِ فَوْقَ جَبِينِهِ يُلَوِّحُ، وَأَزْوَاجَ الزَّوْجِ يَبِينُهُ

وَلَمْ يَتَّفِقْ عَلَى الْقَرَامِطَةِ مِنْذُ ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ كَشْرَةً أَقْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْكَشْرَةِ. وَمِنْهَا فَارَقَهُمْ مَنْ كَانَ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَافُورِيَةِ وَالْإِخْشِيدِيَةِ، فَقَبِضَ جَوْهَرُ عَلَى نَحْوِ الْأَلْفِ مِنْهُمْ وَسَجَنَهُمْ مُقَيَّدِينَ.

^(٥) قَالَ كَاتِبُهُ: خَنَدَقُ الْمَرْيِ بِالْقَرَفَةِ وَجَدَّذَهُ جَوْهَرُ حَتَّى بَلَغَ فِي الْحَفْرِ قَبْرَ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ سَقَى بِهِ مُشْرَقًا عَلَى الْمَقَابِرِ بِالْقَرَفَةِ إِلَى الْحَبْلِ الْمُقَطَّمِ، أَرَادَ بِذَلِكَ حِفْظَ طَرِيقِ الْفَتْحِ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَلْزُومِ. وَيُعْرَفُ هَذَا الْمَكَانُ إِلَى الْيَوْمِ فِي الْقَرَفَةِ بِـ«الْحَنْدَقِ»^(٦).

(٥) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: نهب. (c) بولاق: محلى. (d-d) إضافة من مسودة الخطوط.

^٢ المقرئ: مسودة الخطوط ١٥٢ و(طليانة بين الصفحات).

^١ المقرئ: اتعاط الحنفا ١: ١٣٠.

وقال ابن زُولاقي في كتاب «سيرة الإمام المعز لدين الله» ومن خطه نقلت^(a): وفي هذا الشهر - يعني المحرم سنة ثلاث وستين وثلاث مائة - تَبَسَّطَتِ المغاربةُ في نواحي القرافة والمغافير وما قاربها^(b)، فَنَزَلُوا في الدُّورِ، وأَخْرَجُوا النَّاسَ من دُورهم، وَنَقَلُوا الشُّكَّانَ، وَشَرَعُوا في الشُّكْنَى في المَدِينَةِ، وَكَانَ الْمُعِزُّ قد أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْكُنُوا أَطْرَافَ المَدِينَةِ. فَخَرَجَ النَّاسُ وَاسْتَعَاثُوا إِلَى الْمُعِزِّ^(c)، فَأَمَرَ^(d) أَنْ يَسْكُنُوا نَوَاحِي عَيْنِ شَمْسٍ. وَرَكِبَ الْمُعِزُّ بِنَفْسِهِ حَتَّى شَاهَدَ المَوَاضِعَ الَّتِي يَنْزِلُونَ فِيهَا، وَأَمَرَ لَهُمْ بِمَا يَنْتَوُونَ بِهِ - وَهُوَ المَوْضِعُ - المَعْرُوفُ^(e) الْيَوْمَ بِالْخَنْدَقِ وَالْحَفْزَةِ وَخَنْدَقِ الْعَبِيدِ - وَجَعَلَ لَهُمُ الْيَا وَقَاضِيَا. قَالَ^(f): ثُمَّ سَكَنَ أَكْثَرُهُمْ فِي المَدِينَةِ مُخَالِطِينَ لِأَهْلِ مِصْرَ. وَلَمْ يَكُنِ الْغَائِلَةُ جَوْهَرُ يُبِيحُهُمْ شُكْنَى المَدِينَةِ وَلَا المَبِيتِ فِيهَا^(g)، وَحَظَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مُنَادِيهِ يُنَادِي كُلَّ عَشِيَّةٍ: «لَا يَبِيتَنَّ فِي المَدِينَةِ أَحَدٌ مِنَ المَغَارِبَةِ»^١.

وقال ياقوت: مُنِيَّةُ الْأَصْبَغِ تُنْسَبُ إِلَى الْأَصْبَغِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ^٢، وَلَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمِصْرَ مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِهَذَا الْاسْمِ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا الْقَرْيَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْخَنْدَقِ قَرِيبًا مِنْ شَرْقِ الْقَاهِرَةِ. وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ،^(h) وَقَدْ ذَكَرَ مَا قُلْنَا^(h): الْخَنْدَقُ هُوَ مُنِيَّةُ الْأَصْبَغِ، وَهُوَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ^٣.^(h) وَاخْتَفَرَ الْخَنْدَقَ عِنْدَهُ الْإِمَامُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ فِي نَوْبَةِ الْقَرْمَطِي^(h).

قال كاتبه⁽ⁱ⁾: وَقَدْ وَهَمَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ فَجَعَلَ أَنَّ الْخَنْدَقَ اخْتَفَرَهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وَإِنَّمَا اخْتَفَرَهُ جَوْهَرٌ كَمَا تَقَدَّمَ. وَأَذْرَكَ الْخَنْدَقُ قَرْيَةً لَطِيفَةً يُورِثُ النَّاسُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَيْهَا لِبَتْنَزْهِوَا بِهَا فِي أَيَّامِ النَّيْلِ وَالرَّيْبِ، وَيَسْكُنُهَا طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ، وَفِيهَا بَسَاتِينٌ عَامِرَةٌ بِالنَّخِيلِ الْفَخْرِ وَالشُّمَارِ الطَّيِّبَةِ، وَبِهَا سُوقٌ وَجَامِعٌ تُقَامُ فِيهِ^(j) الْجُمُعَةُ وَعَلَيْهِ قِطْعَةٌ أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ الْخَنْدَقِ يَتَوَلَّاهَا خَطِيئِهِ.

(a) النص في المسودة: قال الفقيه أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن زولاقي اللبني المصري في كتاب «سيرة أمير المؤمنين المعز لدين الله بمصر»، ومن خطه كتبت. (b) آياصوقيا: أقاربها. (c) بولاقي: استغاثوا بالمعز. (d) بولاقي: فأمرهم. (e) بولاقي: الذي يعرف. (f) إضافة من مسودة الخطوط. (g) بولاقي: بها. (h-h) إضافة من مسودة الخطوط. (i) بولاقي: مؤلفه. (j) بولاقي: به.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٥١، انعاظ الخنفا ^٢ لم يرد هذا النص فيما وصل إلينا من كتاب «الروضة البهية» لابن عبد الظاهر، وانظر عن الأصْبَغِ، المقرئ: ١٤٥:١. ^٣ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٦٧٤-٦٧٥. المقرئ الكبير ٢: ٢١٣-٢١٤.

فلما كانت الحوادث والحج من سنة ست وثمان مائة^(١) وفحش الغلاء وسُنِع ظُلُم الدَّوْلَةِ وعَمَّ الخراب^(٢)، خَرِبَتْ قَرْيَةُ الحَنْدَقِ، وَرَحَلَ أَهْلُهَا مِنْهَا، وَنُقِلَتْ الحُطْبَةُ مِنْ جَامِعِهِ إِلَى جَامِعِ بالحُسَيْنِيَّةِ، وَبَقِيَ مُعْتَطِلًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ مُدَّةً. ثُمَّ فِي سَعْبَانِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ هَذَمَهُ الْأَمِيرُ طُوغان الدَّوَادَارِ^(٣)، وَأَخَذَ عُمْدَهُ وَخَشَبَتَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَقِيَّةُ أَطْلَالِهِ^(٤). وَكَانَتْ قَرْيَةُ الحَنْدَقِ كَأَنَّهَا مِنْ مُحْشِنِهَا ضَرْبَةً لِكُومِ الرِّيشِ، وَكَانَتْ تَجَاهُهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا^(٥) يُفْصَلُ بَيْنَهُمَا الْخَلِيجُ الْكَبِيرُ^(٦)، فَخَرِبَتْمَا جَمِيعًا^(٧).

صخرة الهليلج^(ب)

هذه البقعة شَرْقِي الحَنْدَقِ فِي الرَّمْلِ، وَإِلَيْهَا كَانَتْ تَنْتَهِي عِمَارَةُ الحُسَيْنِيَّةِ مِنْ جِهَةِ بَابِ الثَّمُوحِ، وَكَانَ بِهَا شَجَرُ الْأَهْلِيلِجِ الْهِنْدِيِّ فَغُرِّتَ بِذَلِكَ. وَأُظُنُّ هَذَا الْأَهْلِيلِجَ كَانَ مِنْ جَمَلَةِ بُسْتَانِ رِيْدَانِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ مَوْضِعُهُ^(٨) بِالرَّيْدَانِيَّةِ^(٩).

(a-b) (إضافة من مسودة الخطوط. (b) بولاق: الأهليلج. (c) إضافة من مسودة الخطوط.

^١ انظر من طوغان الدَّوَادَارِ، فيما تقدم ٣١٩ هـ. ^٢ المقريزي: مسودة الخطوط ١٥٢ و. ^٣ انظر في المسودة: «قُبِّلَ بِعَظْمِ أَمْرَاءِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ شَيْخٍ أَنْ بِالْجَامِعِ الْمَذْكُورِ عَوَامِدُ مَحْرَابِهِ مِنْ رِخَامٍ، فَسَبَّحَ عِدَّةً مِنْ عَالِيكِهِ فَهَدَمَ سَقْفَ الْجَامِعِ وَحَمَلَتْ أَنْخُسَابَهُ وَعُمْدَتَهُ وَشَاهَدَتْ ذَلِكَ وَعِدَّةً مِنَ الْمَالِكِ وَتُوقِفُ لِتَحْمِيلِ ذَلِكَ. وَبَقِيَ جُلُزُهُ قَائِمَةً وَلَا أُنْسَى بِالْبَلَدِ». ^٤ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٦؛ وفيما يلي ٤٦٤.

ذِكْرُ خَارِجِ بَابِ النَّصْرِ

أما خارجُ القاهرة من جهة باب النصر فإنه ، عندما وَصَّحَ القَائِدُ جَوْهَرُ القاهرة ، كان فَضَاءٌ ليس فيه سِوَى مُصَلَّى العيد الذي بَنَاهُ جَوْهَر . وهذا المُصَلَّى اليوم يُصَلَّى على مَنْ مَاتَ فيه . وما يَرِخُ ما بين هذا المُصَلَّى وبُشْتَانِ رِئْدَان ، الذي يُعْرَفُ اليوم بالرَّيْدَانِيَّة ، لا عِمَارَةً فيه إلى أن مَاتَ أَمِيرُ الجَيْشِ بَنُورُ الجَمَالِي فِي سنة سبع وثمانين / وأربع مائة ، فَدُفِنَ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ بِخَرِي المُصَلَّى ، وَبُنِيَ عَلَى قَبْرِهِ تَزْجَةُ جَلِيلَةٌ وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى اليوم هناك . فَتَتَابَعُ بِنَاءُ التَّرْبِ من حيثُ خَارِجِ بَابِ النَّصْرِ فِيمَا بَيْنَ التَّرْبَةِ الجَيْشِيَّةِ والرَّيْدَانِيَّة ، وَقَبْرِ النَّاسِ مَوْتَاهُمْ هُنَاكَ ، لَا سِوَمَا أَهْلُ الْحَارَاتِ الَّتِي عُرِفَتْ خَارِجَ بَابِ الْفُتُوحِ بِالْحُسَيْنِيَّةِ ، وَهِيَ الرَّيْدَانِيَّةُ وَحَارَةُ الْبَيَازَةِ^(a) وَغَيْرَهَا^١ .

(a) بولاق : الزائدة .

كُتَابَةٌ تُؤَكِّدُهُ . وَلَكِنْ يَوْسُفُ رَاغِبٌ اعْتِمَادًا عَلَى كِتَابِ «وَصَفِ مِصْرَ» وَخَرِطَةُ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمَلَةِ الْفَرَنَسِيَّةِ سَنَةِ ١٧٩٨ م أَثَبَتْ أَنَّ «قُبَّةَ يُونُسَ الشَّغْدِي» تَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْخَرِطَةِ بِاسْمِ «زَاوِيَةِ الشَّهْدِ بَنُورَ» ، وَبِالْتَّالِي فَإِنَّ هَذَا الْمَضْمَنَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ دَحْضُهُ يَسْتَحِقُّ لَنَا بِالْقَوْلِ بِأَنَّ قُبَّةَ يُونُسَ الشَّغْدِي (السَّجَلَةُ فِي الْآثَارِ بِرَقْمِ ٥١١) هِيَ قُبَّةُ بَنُورِ الْجَمَالِي ، وَأَنَّهُ تَغَيَّرَ اسْمُهَا بَعْدَ نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ زُبْدًا فِي أَعْقَابِ تَقَدُّ عَلَى الْمَكَانِ أَوْ اغْتِيصَابِهِ لَهُ . (انْظُرْ فِيمَا تَقَدَّمَ ٦٣ وَمَا ذَكَرَ مِنْ مَرَاجِعَ ، ٣٦٨ ، Fu'ád Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 451-53 .

وَيَفْرُضُ تَوْسِيعَةُ الطَّرِيقِ الَّذِي يَرْبُطُ شَارِعَ الْمَنْصُورِيَّةِ شَرْفًا بِشَارِعِ الْجَيْشِ غَرْبًا الْمَعْرُوفَ بِشَارِعِ جَلَال ، أَمَامَ الشُّورِ الشَّمَالِيِّ لِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ الْفَاطِمِيَّةِ أَرْبُلَ قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ مَقَابِرِ بَابِ النَّصْرِ فِي مَتْنِ صَفْحَةٍ عَامِ ٢٠٠١ م .

^١ نُوْجِدُ الْيَوْمَ بَيْنَ مَقَابِرِ بَابِ النَّصْرِ فِي مَتْنِ تَلِّ الشَّيْخِ شُعْبَانَ فِي مَتْنِ تَزْجَةِ الدَّيْرِ مَشْهُدٌ يُعْرَفُ بِقُبَّةِ يُونُسَ الشَّغْدِي . وَيُعْطِي هَذَا الْمَشْهُدُ قُبَّةً تَحْمِلُ عَنَاصِرَ مَعْمَارِيَّةٍ وَفَنِيَّةٍ تَصْعَقُهَا دُونَ أَيِّ التَّبَاسُ بَيْنَ عُثْمَانِيَّاتِ الْمَعْمَرِ الْفَاطِمِي (بِالرَّغْمِ مِنْ بَعْضِ التَّخْيِيرَاتِ الْآخِثَةِ) . وَتَسْأَلُ إِدْمُونْدُ بُوْتِي Edmond Pauty - أَوَّلُ مَنْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْكَشْفِ - إِذَا كُنَّا أَمَامَ قَبْرِ بَنُورِ الْجَمَالِي ، رَغْمَ عَدَمِ وَجُودِ أَيِّ كِتَابَةٍ أَثَرِيَّةٍ أَوْ تَارِيخِيَّةٍ تُؤَكِّدُ ذَلِكَ ؟ وَرَجَّحَ الْآثَارِيُّ الْوِاجِلُ حَسَنُ عِبْدِ الْوَهَّابِ - فِي مَقَالِهِ لَهُ عَنِ الْآثَارِ الْمَقُولَةِ وَفِي كِتَابِهِ عَنِ الْمَسَاجِدِ الْأَثَرِيَّةِ - أَنَّ هَذِهِ الْقُبَّةَ هِيَ قُبَّةُ بَنُورِ الْجَمَالِي اعْتِمَادًا عَلَى مَا تَذَكَّرَهُ الْمَصَادِرُ مِنْ أَنَّهُ دُفِنَ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ . وَتَبْنَى مُحَمَّدٌ رَمْزِي فِي أَحَدِ تَعْلِيْقَاتِهِ عَلَى النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ نَفْسَ الرَّأْيِ اعْتِمَادًا عَلَى نَصِّ لِّلْمَسْخَاوِي صَاحِبِ «تَحْقِيقِ الْأَحْبَابِ» وَلَكِنْ دُونَ عَرْضِ لِأَسْبَابِ ذَلِكَ . وَاسْتَبْعَدَ كُلٌّ مِنْ كَرِيزْوِيلِ Creswell وَأَحْمَدُ فِكْرِي هَذَا التَّحْدِيدَ ، الَّذِي اعْتَبَرَاهُ قَوْصًا بِمَا أَنَّهُ لَا تَوْجِدُ أَيُّهُ

ولم تزل هذه الجهة مقبرة إلى ما بعد السبع مائة بمدة ، فرغب الأمير سيف الدين الحاج آل ملك في البناء هناك ، وأنشأ الجامع المعروف به في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة ، وعمر داراً وحماماً ، فافتدى الناس به وعمرروا هنالك ^(٨) . وكان قد بنى تجاه المصلّى قبل ذلك الأمير سيف الدين كهُرداش المنصوري داراً تُعرف اليوم ببيت الحاجب ^(٩) ، فسكن في هذه الجهة أمراء الدولة ^(١) ، وعملوا فيما بينهم الرئدانية والحدائق مناحات الجمال ، وهي باقية هناك .

فصارَت هذه الجهة في غابة العمارَة ، وفيها من باب النضر إلى الرئدانية سبعة أشواق جليلة يشتمل كلُّ سوقٍ منها على عدّة خوانيت كثيرة : فمنها سوق اللّفت ، وهو تجاه باب بيت الحاجب الآن عند البئر ، كان فيه من جانبيه خوانيت يُباع فيها اللّفت ، ومن هذه السوق يشتري أهل القاهرة هذا الصنف والكُرنب ، وتُعرف هذه البقعة إلى اليوم ببئر اللّفت .

وبليها سُويقة زاوية الخدام ، وأدركت بهذه السُويقة بقية صالحة ، وبلي ذلك سوق جامع آل ملك ، وكان سوقاً عامراً ، وفيه غالب ما يُحتاج إليه من المأكِل والأدوية والفواكه والخضر وغيرها ، وأدركته عامراً . وبليها سُويقة السنايطة ، عُرِفَتْ بقومٍ من أهل ناحية سُنباط سكّنوا بها ، وكان سوقاً كبيراً ، وأدركته عامراً . وبليها سُويقة أبي ظهير ، وأدركتها عامرة . وبليها سُويقة العرب ، وكانت تتصل بالرئدانية ، وتشتمل على خوانيت كثيرة جداً أدركتها عامرة وليس فيها سُكّان ، وكانت كلّها من لبن معقود عُقوداً .

وكان بأول سُويقة العرب هذه قوّة أدركته عامراً أهلاً ، بلغني أنّه كان يُخبّر فيه ، أيام عمارَة هذا السوق وما حوله ، كلُّ يوم نحو السبعة آلاف رَغيف . وكان من وراء هذا السوق أخواش فيها قباب معقودة من لبن ، أدركتها قائمة وليس فيها سُكّان ، وكان من جملة هذه الأخواش خوُش فيه أربع مائة قُبّة يسكن فيها البرادرة والمكارمة ، أجرة كل قُبّة درهمان في كل شهر ، فيُخصّل من هذا الخوُش في كل شهر مبلغ ثمان مائة درهم فضّة ، وكان يُعرف بخوُش الأحمدي .

(٨) بولاق : هناك . (٩) بولاق : دار الحاجب .

فلما كان القلاء في زمن الملك الأشرف شعبان بن محسن، سنة سبع وسبعين وسبع مائة، حرب كثير مما كان بالقرب من الرندانية، واختلت أحوال هذه الجهة إلى أن كانت الحين من سنة ست وثمان مائة، فتلاشت وهدمت دوزها وبيعت أنقاضها، وفيها بقية آيلة إلى الدثور.

السريرانية

كانت بنتاً لرندان الصقلي أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز، كان يحمل المظلة على رأس الخليفة، واختص بالحاكم، ثم قتل في يوم الثلاثاء لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة.

ورندان إن كان اسماً عربياً، فإنه من قولهم: ريح ريذة وزادة ورندانة، أي ليئة الهبوب، وقيل ريح ريذة كثيرة الهبوب^(a).

١٠

(a) هنا في هامش آياصوفيا: بياض خمسة أسطر.

^١ Behrens-Abouseif, D., *op.cit.*, pp. 165-71؛ وفيما تقدم ٦٢. وهي تُعادل الآن المنطقة المعروفة بالتباسة

زَكَرُ الْخُلُجَانِ الَّتِي بظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ

اغْلَمَ أَنَّ الْخَلِيجَ جَفَفَهُ خُلُجَانٌ ، وَهُوَ نَهْرٌ صَغِيرٌ يَخْتَلِجُ مِنْ نَهْرٍ كَبِيرٍ أَوْ مِنْ بَحْرِ ، وَأَضْلُ الْخَلِجِ الْإِنْتِزَاعُ ، خَلَجْتُ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا انْتَرَعْتَهُ .

وبأرض مصر عِدَّةُ خُلُجَانٍ ، مِنْهَا بَظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ : خَلِيجُ مِصْرَ ، وَخَلِيجُ قَمِ الْخَوَرِ ، وَخَلِيجُ الدُّكْرِ ، وَالْخَلِيجُ النَّاصِرِيُّ ، وَخَلِيجُ قَطْرَةِ الْفَخْرِ . وَسَتَرَى مِنْ أَخْبَارِهَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ .

زَكَرُ خَلِيجِ مِصْرَ^(١٨)

هَذَا الْخَلِيجُ بَظَاهِرِ مَدِينَةِ قُسْطَاطِ مِصْرَ ، وَيَمُوتُ مِنْ غَرْبِي الْقَاهِرَةِ . وَهُوَ خَلِيجٌ قَدِيمٌ اخْتَفَرَهُ بَعْضُ قَدَمَاءِ مُلُوكِ مِصْرَ بِسَبَبِ هَاجِرِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - صَلَّوَاتُ اللَّهِ

(١٨) مسودة الخطط : خليج القاهرة .

الداخلية والخارجية للمدينة في أعقاب الاحتفال يحضره الخليفة الفاطمي ثم السلطان المملوكي بفتح هذا الخليج . وكان غرضُ الخليج يتراوح بين خمسة وعشرة أمثار (١٥ إلى ٣٠ قَدَمًا) ، وغير مُزَوَّد بِرَصِيفٍ ، بحيث كانت المنازلُ الْمُطِيلَةُ عليه غاطسةً في الماء ، ولا يمكن مشاهدته إلا من نوافذ المنازل التي يرتطم بأسفلها الخليج ، كما لا نلاحظه كذلك من فوق القناطر العديدة المنتشرة عليه والتي يبلغ ارتفاع حواجزها أكثر من مترين . (جومار : وصف مدينة القاهرة ١٥٦-١٥٧) .

وَعَلَّ الْخَلِيجُ الْمِصْرِي بَاقِيًا إِلَى أَنْ رُيِّدَتِ الْمَسَافَةُ الْوَاقِعَةُ بَيْنَ مِيدَانِ السَّجَّةِ رَقَبَ جَنُوبًا وَالتَّرْعَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ شِمَالًا بَيْنَ سَنَتَيْ ١٨٩٧-١٨٩٩ ، وَحُلَّ مَحَلَّهُ شَارِعُ الْخَلِيجِ الْمِصْرِي (شارع بورسعيد الآن) ليسير فيه أَوَّلُ خَطٍّ لِلتَّرَامِ بِالْقَاهِرَةِ .

١٠ خَلِيجُ مِصْرَ (القاهرة) . كَانَ قَدَمٌ هَذَا الْخَلِيجِ يَأْخُذُ مِنْ نَقْطَةٍ عَلَى النِّيلِ شِمَالِ الْقُسْطَاطِ حَيْثُ تَوْجَدُ الْآنَ قَنَاطِرُ مَجْرَى الْغَيُونِ ، مُتَّجِهًا إِلَى الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مُرُورًا بِزَاوِيَةِ الْمَاوَرِدِيِّ إِلَى مِيدَانِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ ، وَمِنْهُ شِمَالًا إِلَى مِيدَانِ بَابِ الْخَلْقِ ثُمَّ إِلَى مِيدَانِ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ ، ثُمَّ شِمَالًا إِلَى الْأَرَاضِي الزَّرَاعِيَّةِ حَيْثُ مَجْرَى التَّرْعَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، وَمِنْهَا إِلَى قَرْيَةِ الْقُبَاةِ بِمَحَافِظَةِ الشَّرْقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْحَالِيَةِ لَمْ يَتَّجِهْ جَنُوبًا إِلَى مَدِينَةِ الْقُلُومِ عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

وَلَمَّا بَنِيَتْ مَدِينَةُ الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٣٥٨هـ/٩٦٩م كَانَ الْخَلِيجُ يُحَادِثِي شَوْرَهَا الْغَرْبِي فِي الْمُنَاطِقَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ مِيدَانِ بَابِ الْخَلْقِ جَنُوبًا وَإِلَى الشَّمَالِ قَلِيلًا مِنْ مِيدَانِ بَابِ الشَّعْرِيَّةِ شِمَالًا . وَمَعَ اتَّسَاعِ الْمَدِينَةِ وَامْتِدَادِهَا جِهَةَ الشَّمَالِ وَالْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ ، صَارَ الْخَلِيجُ يَخْتَرِقُ الْمَدِينَةَ . وَكَانَ الْمَاءُ يَدْخُلُ كُلَّ عَامٍ مِنْ طَرِيقِ هَذَا الْخَلِيجِ فِي زَمَنِ الْقَيْضَانِ إِلَى الْبَرْكِ

وسلامه عليهما - حين أشكَّنها وابنها إسماعيل خليل الله إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - بمكة . ثم تَمَدَّت الدُّهُورُ والأَعْوامُ ، فجدَّدَ حَفْرَهُ ثانياً بعضُ من مَلَكَ مصر من مُلُوكِ الرُّومِ بعد الإسكَنْدَرِ .

فلما جاء الله سبحانه بالإسلام وفتحت أرض مصر على يد عمرو بن العاص جدَّدَ حَفْرَهُ ، بإشارة أمير المؤمنين عُمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - فحَفَرَ^(أ) عام الرَّمَادَةِ . وكان يُصَبُّ في بَحرِ القُلْزُمِ ، فتسیرُ فيه الشُّفُرُ إلى البحرِ المِلْحِ ، وتَمُرُّ في البحرِ إلى الحِجَازِ واليَمَنِ والهِندِ . ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن قَدِمَ محمد بن عبد الله بن حَسَن بن حَسَن بن علي بن أبي طالب بالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، والخَلِيفَةُ حِينَئِذٍ بِالْعِراقِ أَبُو جَعْفَرِ عبد الله بن محمد المَنْصُورِ ، فكَتَبَ إلى عَامِلِهِ على مصر بِأَمْرِهِ بِطَمِّ خَلِيجِ القُلْزُمِ حتى لا تُحْمَلَ المِيزَةُ من مصر إلى المَدِينَةِ . فَطَمَّهُ ، وَانْقَطَعَ/ من حِينَئِذٍ اتِّصَالُهُ بِبَحرِ القُلْزُمِ ، وصارَ على ما هو عليه الآن .

وكان هذا الخَلِيجُ أَوَّلًا يُعْرَفُ بِخَلِيجِ مصر ، فلما أنشأ جَوْهَرُ القَائِدِ القَاهِرَةِ بِجَانِبِ هذا الخَلِيجِ من شَرْقِهِ ، صارَ يُعْرَفُ بـ«خَلِيجِ القَاهِرَةِ» ، وكان يُقَالُ لَهُ أَيْضًا «خَلِيجُ أمير المؤمنين» - يعني عُمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - لِأَنَّهُ الَّذِي أَشَارَ بِتَجْدِيدِ حَفْرِهِ . وَالْآنَ تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ بـ«الخَلِيجِ الْحَاكِمِي» ، وَتَزَعُمُ أَنَّ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبَا عَلِيٍّ مَنصُورًا اخْتَفَرَهُ . وليس هذا بِصَحِيحٍ ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الْخَلِيجُ قَبْلَ الْحَاكِمِ بِمُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ ، وَمِنَ الْعَامَّةِ مَنْ يَسَمِّيهِ «خَلِيجَ اللُّؤْلُؤَةِ» أَيْضًا .

وسَأَقْصُصُ من أَخْبَارِ هذا الخَلِيجِ ما وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ .

قال الأَشْتَاذُ إِبراهيم بن وَصِيفِ شاه ، في أَخْبَارِ طُوطِيس^(ب) بن مَالِيَا بن كَلْكَن بن خَرِثْمَا ابنِ مَالِيقِ بن تَدَارِسِ بن صَا بن مَرْقُونَسِ من وَلَدِ^(ج) صَا بن قُبْطِيمِ بن مِصرِ بن بَيْصَرِ بن حَامِ بن نُوحٍ : وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ بَعْدَ أَبِيهِ مَالِيَا ، وَكَانَ جَبَّارًا جَرِيئًا شَدِيدَ الْبَاسِ مَهِيئًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْأَشْرَافُ وَهَنَوهُ وَدَعَا لَهُ ، فَأَمَرَهُم بِالْإِقْبَالِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَا يَعْنيهِمْ ، وَوَعَدَهُم بِالْإِحْسَانِ .

(أ) بولاق : في . (ب) بولاق : طيطوس . (ج) سائطة من بولاق .

= وَتَبَدُّدُ الْبَاحِثَةِ أَتَمَلُ حَسِينَ عَلِيٍّ نَافِعَ رِسَالَةِ مَاجِسْتِيرِ مِنَ الْعَصْرِ الْفَاطِمِيِّ وَحَتَّى نَهَايَةِ الْعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّ .
بِكَلِيَةِ الْآثَارِ - جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ مَوْضُوعُهَا : «الْخَلِيجُ الْمِصْرِيُّ»

وَالْقَيْطُ تَزْعُمُ أَنَّهُ أَوَّلُ الْفَرَايَةِ بِمِصْرَ ، وَهُوَ فِرْعَوْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنَّ الْفَرَايَةَ سَبْعَةُ هُوَ
أُولَهُمْ ، وَأَنَّهُ اسْتَحَفَّ بِأَمْرِ الْهَيَاكِلِ وَالْكَهَنَةِ .

- وكان من خَيْرِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - معه : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لما فَازَ قَوْمَهُ ، أَشْفَقَ مِنَ الْمَقَامِ بِالشَّامِ ،
لَعَلَّ يَتْبَعُهُ قَوْمُهُ وَيُرْودُهُ إِلَى الثُّغُرِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ كُوثِي مِنْ سَوَادِ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ
ومعه سَارَةُ امْرَأَتُهُ ، وَتَرَكَ لُوطًا بِالشَّامِ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ . وَكَانَتْ سَارَةُ أَحْسَنَ نِسَاءَ وَقْتِهَا ، وَيُقَالُ إِنَّ
يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَرَثَ جُزْءًا مِنْ جَمَالِهَا^(a) . فَلَمَّا سَارَ إِلَى مِصْرَ رَأَى الْحَرْسَ الْمُقِيمُونَ عَلَى
أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ سَارَةَ ، فَعَجِبُوا مِنْ حُسْنِهَا وَزَفَعُوا خَيْرَهَا إِلَى طُوطِيسَ^(b) الْمَلِكِ ، وَقَالُوا : دَخَلَ إِلَى
الْبَلَدِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرْقِ مَعَ امْرَأَةٍ لَمْ يُرَ أَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا أَجْمَلَ . فَوَجَّهَ الْمَلِكُ إِلَى وَزِيرِهِ ، فَأَحْضَرَ
إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - وَسَأَلَهُ عَنْ بَلَدِهِ فَأَخْبَرَهُ ، وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : أُخْتِي -
فَعَرَفَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : مَرَّةً أَنْ يَجِئَنِي بِالْمَرْأَةِ حَتَّى أَرَاهَا . فَعَرَفَهُ ذَلِكَ ، فَامْتَنَعَ مِنْهُ وَلَمْ يُحْكِمَهُ
مُخَالَفَتُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسُوهُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَالَ لِسَارَةَ : قُومِي إِلَى الْمَلِكِ فَإِنَّهُ قَدْ طَلَبَكَ
مَنِّي ؛ قَالَتْ : وَمَا يَصْنَعُ بِي الْمَلِكُ وَمَا رَأَيْ قَبْلَ ؟ قَالَ : أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرٌ . فَقَامَتْ مَعَهُ حَتَّى أَتَوْا
قَصْرَ الْمَلِكِ ، فَأَدْخِلَتْ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ مِنْهَا مَنْظَرًا رَاغَةً وَفَتَنَتْهُ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
فَأَخْرَجَ وَنَدِمَ عَلَى قَوْلِهِ إِنَّهَا أُخْتُهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهَا أُخْتُهُ فِي الدِّينِ . وَوَقَعَ فِي قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ - مَا يَقَعُ فِي قَلْبِ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مِصْرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَفْضَحْ
بَيْتِكَ فِي أَهْلِهِ .

- فَرَاوَدَهَا الْمَلِكُ عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَذَهَبَ لِيَمْدَ يَدِهِ إِلَيْهَا فَقَالَتْ : إِنَّكَ إِنْ
وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَيَّ أَهْلَكَ نَفْسَكَ لِأَنَّ لِي رَبًّا يَمْتَنِعُنِي مِنْكَ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهَا ، وَمَدَّ يَدَهُ
إِلَيْهَا فَجَعَلَتْ يَدَهُ ، وَبَقِيَ حَائِرًا فَقَالَ لَهَا : أَزِيلِي عَنِّي مَا قَدْ أَصَابَنِي . فَقَالَتْ : عَلَى أَلَا
تُعَاوِدُ مِثْلَ مَا أَتَيْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَذَعَتْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَرَأَى عَنْهُ وَرَجَعَتْ يَدَهُ
إِلَى حَالِهَا .

فَلَمَّا وَثِقَ بِالصُّحَّةِ رَاوَدَهَا وَمَنَّاها وَوَعَدَهَا بِالْإِحْسَانِ ، فَامْتَنَعَتْ وَقَالَتْ : قَدْ عَرَفْتُ مَا
بِجَزَى .

(a) النص عند الثوري : ورث جزءًا من حسناتها لأنها جدّة أبيه . (b) بولاق : طيطوس .

ثم مَدَّ يَدَهُ عَلَيْهَا فَجَعَلَتْ ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِ أَعْضَاؤُهُ وَعَصَبُهُ ، فَاسْتَغَاثَ بِهَا وَأَقْسَمَ بِالْآلِهَةِ أَنَّهَا إِنْ أَرَاكَتْ عَنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَعَاوِدُهَا ، فَسَأَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى فَرَأَلَ عَنْهُ ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى حَالِهِ ^١ . فَقَالَ : إِنْ لَكَ لِرَبِّكَ عَظِيمًا لَا يُضَيِّعُكَ ؛ فَأَعْظَمَ قَلْبُهَا وَسَأَلَهَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : هُوَ قَرِيبِي وَرَوْحِي ؛ قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّكَ أَخْتُهُ ؛ قَالَتْ : صَدَقَ أَنَا أَخْتُهُ فِي الدِّينِ ، وَكُلٌّ مِنْ كَانَ عَلَى دِينِنَا فَهُوَ أَخٌ لَنَا ؛ قَالَ : نِعْمَ الدِّينَ دِينُكُمْ .

وَوَجَّهَ بِهَا إِلَى ابْنَتِهِ حُورِيَا - وَكَانَتْ مِنَ الْكَمَالِ وَالْعُقُلِ بِمَكَانٍ كَبِيرٍ - فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى مُحِبَّةً سَاوَةً فِي قَلْبِهَا ، فَكَانَتْ تُعْظِمُهَا وَأَضَاقَتْهَا أَحْسَنَ ضِيَاقَةٍ ، وَوَهَبَتْ لَهَا جَوْهَرًا وَمَالًا . فَأَتَتْ بِهِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ لَهَا : رُدِّبِيهِ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ ، فَرُدِّدْتِهِ . وَذَكَرَتْ ذَلِكَ حُورِيَا لِأَيُّهَا ، فَعَجِبَتْ مِنْهُمَا وَقَالَ : هَذَا كَرِيمٌ ^٢ مِنْ أَهْلِ نَيْتِ الطُّهَارَةِ ، فَتَحَيَّلِي فِي بَرِّهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ ؛ فَوَهَبَتْ لَهَا جَارِيَةً قَيْطِيَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْجَوَارِي يُقَالُ لَهَا آجَرُ ، وَهِيَ هَاجِرَةُ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجَعَلَتْ لَهَا سِلَاحًا مِنَ الْجُلُودِ ، وَجَعَلَتْ فِيهَا زَادًا وَخُلُوصًا ، وَقَالَتْ : يَكُونُ هَذَا الزَّادُ مَعَكَ ، وَجَعَلَتْ تَحْتَ الْحُلُوصِ جَوْهَرًا نَفِيسًا وَخَلِيقًا مَكْلَلًا . فَقَالَتْ سَاوَةً : أَشَاوَرُ صَاحِبِي ؛ فَأَتَتْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَاسْتَأْذَنَتْهُ ، فَقَالَ : إِذَا كَانَ مَا كُفُولًا فَخُذِيهِ ، فَقَبِلَتْهُ مِنْهَا .

وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمَ ، فَلَمَّا مَضَى وَأَمْتَعَنُوا فِي السَّيْرِ ، أَخْرَجَتْ سَاوَةً بَعْضَ تِلْكَ السَّلَالِ ، فَأَصَابَتْ الْجَوْهَرَ وَالْحَلِيَّ ، فَفَرَّقَتْ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ذَلِكَ ، فَبَاعَ بَعْضَهُ وَخَفَرَ مِنْ ثَمَنِهِ الْبَقِيَّةَ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْسَّبِيلِ ^٣ ، وَفَرَّقَ بَعْضَهُ فِي وَجْهِهِ الْبَرِّ ، وَكَانَ يُضَيِّفُ كُلَّ مَنْ مَرَّ بِهِ .

وَعَاشَ طَوِيلًا ^٤ إِلَى أَنْ وَجَّهَتْ ^٥ هَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ تُعْرَفُ أَنَّهَا بِمَكَانٍ جَذِبَ وَتَمْتَنِعِيهِ ، فَأَمَرَ بِخَفَرِ نَهْرٍ فِي شَرْقِيٍّ مِصْرَ بِسَفْحِ الْجَبَلِ ^٦ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَرْقَى الشَّقَنِ فِي الْبَحْرِ الْمِلْحِ ، فَكَانَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا الْخِطَّةُ وَأَصْنَافُ الْغَلَّاتِ فَتَصِلُ إِلَى جُذَّةٍ ، وَتَحْمَلُ مِنْ هُنَاكَ عَلَى الْمَطَايَا . فَأَخْبَا بَلَدَ الْحِجَازِ مَدَّةً .

(a) عند النويري : هؤلاء من قوم كرام . (b) بولاق : طيطوس . (c) بولاق : توجهت ، النويري : وجهت إليه . (d) النويري : يمر بسفح الجبل .

^١ استعاض النويري عن رواية إبراهيم بن وصيف شاه هنا بحدِيثٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْزَدَهُ الْبَخْرِيُّ فِي صَحِيحِهِ . (نهاية الأرب ١٠٤: ١٠٥-١٠٥) .

^٢ حاشية بخط المؤلف : « هذه البر بأرض فلسطين تعرف اليوم بقر سبيح ، وهي قرية من مدينة غزة » .

وَيُقَالُ إِنَّمَا حُلِّيَتِ الْكَفْبَةُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ مِمَّا أَهْدَاهُ مَلِكُ مِصْرَ . / وَقِيلَ إِنَّهُ لَكَثْرَةُ مَا كَانَ يَحْمِلُهُ طَوطِيسٌ^(أ) إِلَى الْحِجَازِ سَمَّيْتُهُ الْقَرْبَ وَجَزَّوْهُمْ «الضَّادُوق» ، وَيُقَالُ إِنَّهُ سَأَلَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي بَلَدِهِ ، فَدَعَا بِالْبَرَكَاتِ لِمِصْرَ ، وَغَرَّفَهُ أَنَّ وَلَدَهُ سَيَمْلِكُهَا ، وَيَصِيرُ أَمْرُهَا إِلَيْهِمْ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ .

- وطوطيس^(ب) أَوَّلُ فِرْعَوْنَ كَانَ بِمِصْرَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى قَتَلَ قَرَابَاتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَبَنِي عَمِّهِ وَخَدَمَهُ وَنِسَاءَهُ وَكَثِيرًا مِنَ الْكَهَنَةِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى الْوَلَدِ فَلَمْ يُزَرَ قَ وَلَدًا غَيْرَ ابْنَتِهِ حُورِيَا . وَكَانَتْ حَكِيمَةً عَاقِلَةً تَأْخُذُ عَلَى يَدِهِ كَثِيرًا ، وَتَمْنَعُهُ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ ، فَأَبْغَضْتَهُ ابْنَتُهُ ، وَأَبْغَضَهُ جَمِيعُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، فَلَمَّا رَأَتْ أَمْرَهُ يَزِيدُ خَافَتْ عَلَى ذَهَابِ مُلْكِهِمْ فَسَمَّمَتْهُ ، وَهَلَكَ .
- وَكَانَ مُلْكُهُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَاسْتَخْلَفُوا فِيمَنْ يَتْلُكُ بَعْدَهُ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَقِيمُوا وَاحِدًا مِنْ وَلَدِ أَثَرِيْبٍ ، فَقَامَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ وَدَعَا لِحُورِيَا ، فَتَمَّ لَهَا الْأَمْرُ ، وَمَلَكَتْ^(١) .

١٠

فَهَذَا كَانَ أَوَّلَ أَمْرِ هَذَا الْخَلِيجِ . ثُمَّ خَفَرَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً أَذْرِيَانُ قَيْصَرُ ، أَحَدُ مُلُوكِ الرُّومِ ، وَمِنْ الثَّانِيَةِ مِنْ يُسَمِّيهِ أَنْدَرُويَانُوسَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوزِيَانُوسَ . قَالَ فِي «تَارِيخِ مَدِينَةِ رُومَةٍ» : وَوَلِيَّ الْمَلِكُ أَذْرِيَانُ قَيْصَرُ أَحَدُ مُلُوكِ الرُّومِ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ إِخْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَهُوَ الَّذِي دَرَسَ الْيَهُودَ مَرَّةً ثَانِيَةً إِذْ كَانُوا رَامُوا التَّفَاقُقَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ مَدِينَةَ يَرْوَشَالِيمَ - يَعْنِي مَدِينَةَ الْقُدْسِ - ، وَأَمَرَ بِتَبْدِيلِ اسْمِهَا وَأَنْ تُسَمَّى إِبِلْيَا^(٢) .

١٥

وَقَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ^(ب) عَلَى مَا نَقَلْتُهُ مِنْ كُتُبَائِي قَدِيمٍ فِي ذِكْرِ حَوَادِثِ الْخَلِيقَةِ إِلَى الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ﷺ ، وَاسْتَخْرْتُ مِنْهُ فَوَائِدَ مِنْهَا^(ب) عَنْ أَذْرِيَانِ هَذَا : وَغَزَا الْقُدْسَ وَأَخْرَجَهُ فِي الثَّانِيَةِ مِنْ مُلْكِهِ ، وَكَانَ مُلْكُهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ مِنْ سَنَةِ الْإِسْكَانَدَرِ ، وَقَتَلَ عَائِمَةَ أَهْلِ الْقُدْسِ ، وَبَنَى عَلَى بَابِ مَدِينَةِ الْقُدْسِ مَنَازًا ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ «هَذِهِ مَدِينَةُ إِبِلْيَا» - وَيُسَمَّى مُؤْضِعُ هَذَا الْعَمُودِ الْآنَ بِمِخْرَابِ دَاوُدَ - ثُمَّ سَارَ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى بَابِلَ فَحَارَبَ مَلِكُهَا وَهَزَمَهُ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فَخَفَرَ خَلِيجًا

٢٠

(a) بولاق : طيطرس . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط .

^١ النويري : نهاية الأرب ١٠٤ : ١٠٧ ومصدره لبابولوس أوروسيوس (هروشيوس) من القسم المخصص لتاريخ روما . (أوروسيوس : تاريخ العالم ٤٣٨) .

^٢ ينقل المقرئ هنا مَرَّةً أُخْرَى مِنْ كِتَابِ «تَارِيخِ الْعَالَمِ»

من النيل إلى بئر العَلَزَم، وسارت فيه السفن، وبقي رَسْمُهُ عند الفَتْح الإسلامي فحَفَرَهُ عَمْرُو بن العاص، قَالَ^(a): وَأَصَابَ أَهْلَ مِصْرَ مِنْهُ شَدَائِدٌ، وَأَلْزَمَهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى بِلَادِهِ بِمَالِكِ الرُّومِ، فَأَثْلَى بِمَرْصِ أَخْتَى الْأَطْبَاءِ، فَخَرَجَ يَسِيرُ فِي الْبِلَادِ يَتَنَفَّى مَنْ يُدَاوِيهِ، فَمَرَّ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ - وَكَانَ خَرَابًا لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ كَنِيسَةٍ لِلنَّصَارَى - فَأَمَرَ بِنَاءَ الْمَدِينَةِ وَخَصَّنَهَا، وَأَعَادَ إِلَيْهَا الْيَهُودَ، فَأَقَامُوا بِهَا وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ. فَتَلَعَ ذَلِكَ أَذْرِيَانِ قَيْصَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا لَمْ يَزَلْ يُحَاصِرُهُمْ حَتَّى مَاتَ أَكْثَرُهُمْ جُوعًا وَعَطَشًا وَأَخَذَهَا عَنُوةً، فَفَقَتَلَ مِنَ الْيَهُودِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً، وَأَخْرَبَ الْمَدِينَةَ حَتَّى صَارَتْ قَلَاةً^(b) لَا عَامِرَ فِيهَا أَلْبَنَةً.

وَتَتَّبَعَ الْيَهُودُ يُرِيدُ أَلَّا يَدْعَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدًا، ثُمَّ أَمَرَ طَائِفَةً مِنَ الْيُونَانِيِّينَ، فَتَحَوَّلُوا إِلَى مَدِينَةِ الْقُدْسِ وَسَكَنُوا فِيهَا. فَكَانَ بَيْنَ خَرَابِ الْقُدْسِ الْخَرَابِ الثَّانِي عَلَى يَدِ طَيْطُسَ وَبَيْنَ هَذَا الْخَرَابِ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، فَعُمِّرَتِ الْقُدْسُ بِالْيُونَانِ؛ وَلَمْ يَزَلْ قَيْصَرُ هَذَا مَلِكًا حَتَّى مَاتَ. فَهَذَا حَتْبَرُ حَفَرِ هَذَا الْخَلِيجِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ جَدَّدَ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ حَفْرَهُ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ^(c) فِي كِتَابِ «فَتْوحِ مِصْرَ»^(d): «ذِكْرُ حَفَرِ خَلِيجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ - (c) أَوْ غَيْرُهُ -، عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: إِنَّ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي سَنَةِ الرَّمَادَةِ، فَكَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ بِمِصْرَ:

«مَنْ عُبِدَ اللَّهُ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْعَاصِيِّ بْنِ الْعَاصِيِّ ... سَلَامٌ. أَمَّا بَعْدُ، فَلَعَنَرِي يَا عَمْرُو مَا تُبَالِي إِذَا شِغِفْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ أَهْلِكَ أَنَا وَمَنْ مَعِي، فَيَاغُوثَاهُ، ثُمَّ يَاغُوثَاهُ ...» يُرَدِّدُ ذَلِكَ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ^(d): «لَعَبْدَ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ»^(e). أَمَّا بَعْدُ، فَيَا لَيْتَكَ ثُمَّ يَا لَيْتَكَ، قَدْ تَعَشَّتْ إِلَيْكَ بَعِيرٌ أَوَّلُهَا عِنْدَكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَهَبَّتْ إِلَيْهِ بَعِيرٌ عَظِيمَةٌ. فَكَانَ أَوَّلُهَا بِالْمَدِينَةِ وَآخِرُهَا بِمِصْرَ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا^١.

(a) إضافة من مسودة الخطط. (b) بولاق: تلالا. (c-c) إضافة من مسودة الخطط. (d) ساقطة من بولاق. (e-e) كلما في الأصول وفروح مصر، وفي بولاق: من عبد الله عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين.

^١ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١٦٢-١٦٣؛ ابن المغرب ٤١؛ ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ١١٢-١١٣؛ زولاق: فضائل مصر ٥٥-٥٦؛ ابن سعيد: المغرب في حلى مسودة الخطط ٥٤ و-ظ.

فلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى عُمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَشَعَ بِهَا عَلَى النَّاسِ ، وَدَفَعَ إِلَى أَهْلِ كُلِّ بَيْتٍ بِالْمَدِينَةِ
وَمَا حَوْلَهَا بَعِيرًا بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، وَبَثَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي
وَقَّاصٍ يَتَسِمُونَهَا عَلَى النَّاسِ ، فَدَفَعُوا إِلَى أَهْلِ كُلِّ بَيْتٍ بَعِيرًا بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ ،
وَيَأْتِدُمُوا بِشَخْمِهِ ^(a) ، وَيَخْتَدُوا جِلْدَهُ ^(b) ، وَيَتَفَعَّوْا بِالْوِعَاءِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الطَّعَامُ فِيمَا أَرَادُوا مِنْ
لِجَافٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَوَسَّعَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى النَّاسِ .

فلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حَمِدَ اللَّهَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ أَنْ يَقْدِمَ
عَلَيْهِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مَعَهُ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ . فَقَالَ عُمرُ : يَا عُمَرُو إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ مِصْرَ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الْخَيْرِ وَالطَّعَامِ ، وَقَدْ أُلْقِيَ فِي رُوعِي - لَمَّا أَحْبَبْتُ مِنَ الرَّفْقِ بِأَهْلِ
الْحَرَمَيْنِ وَالتَّوَسُّعَةِ عَلَيْهِمْ ، حِينَ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِصْرَ ، وَجَعَلَهَا قُوَّةً لَهُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ - أَنْ
أَخْفِزَ خَلِيجًا مِنْ نِيْلِهَا حَتَّى يَسِيلَ فِي الْبَحْرِ ، فَهُوَ أَشْهَلُ لِمَا تُرِيدُ مِنْ خُفْلِ الطَّعَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ
وَمَكَّةَ ، فَإِنَّ حَقْلَهُ عَلَى الظَّهْرِ يَتَعَدُّ وَلَا تَبْلُغُ مَا تُرِيدُ ، فَاذْطَلِقِي أَنْتِ وَأَصْحَابُكِ فَتَشَاوِرُوا فِي
ذَلِكَ حَتَّى يَعْتَدِلَ فِيهِ رَأْيُكُمْ . فَاذْطَلِقِي عُمَرُو فَأَخْبِرِي مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَتَقُلْ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ وَقَالُوا : نَتَخَوَّفُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هَذَا ضَرَرٌ عَلَى مِصْرَ ، فَتَرَى أَنْ تُعْظِمَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَقُولَ لَهُ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَغْتَدِلُ وَلَا يَكُونُ ، وَلَا نَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا . فَرَجَعَ عُمَرُو بِذَلِكَ
إِلَى عُمرَ .

فَضَحِكَ عُمرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حِينَ رَأَاهُ ، وَقَالَ : /وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا
عُمَرُو وَإِلَى أَصْحَابِكَ ، حِينَ أَخْبَرْتَهُمْ بِمَا أَمَرْنَا بِهِ مِنْ خَفْرِ الْخَلِيجِ ، فَتَقُلْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا
يَدْخُلُ مِنْ هَذَا ضَرَرٌ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ ، فَتَرَى أَنْ تُعْظِمَ ذَلِكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَقُولَ لَهُ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ
لَا يَغْتَدِلُ وَلَا يَكُونُ ، وَلَا نَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا . فَعَجِبَ عُمَرُو مِنْ قَوْلِ عُمرَ ، وَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ . فَقَالَ لَهُ عُمرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : « أَنْطَلِقِي بِعَزِيمَةٍ مِنِّي
حَتَّى نَجِدَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْكَ الْحَوْلُ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَانْصَرَفَ عُمَرُو ، وَجَمَعَ لَذَلِكَ مِنَ الْقَعْلَةِ مَا بَلَغَ مِنْهُ مَا أَرَادَ ، ثُمَّ اخْتَفَرَ الْخَلِيجَ فِي حَاشِيَةِ
الْقُسْطَاطِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «خَلِيجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» ، فَسَاقَهُ مِنَ الثِّلِ إِلَى الْقَلْزَمِ ، فَلَمْ يَأْتَ الْحَوْلُ حَتَّى

جَرَتْ فِيهِ الشُّقْنُ ، فَحَمَلَ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، فَتَفَعَ اللَّهُ بِذَلِكَ أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ ، وَشَمَّى «خَلِيجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُحْتَمَلُ فِيهِ الطَّعَامُ حَتَّى حُمِلَ فِيهِ بَعْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثُمَّ ضَمَّعَهُ الْوَلَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتَرَكَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الرَّقْلُ فَانْقَطَعَ ، فَصَارَ مُتْنَهَاءً إِلَى ذَنْبِ التَّمَسَّحِ مِنْ نَاحِيَةِ بَطْنِهَا^(أ) الْقَلْزُومُ^١ .

قَالَ : وَيُقَالُ إِنَّ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لِعُمُرٍ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ : يَا عُمُرُ ، إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَشَاءَمَتْ بِي ، وَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ عَلَى رَحْلِي^(ب) ، وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي أَصَابَهَا ، وَلَيْسَ جُنْدٌ مِنَ الْأَجْنَادِ أَرْجَى عِنْدِي أَنْ يُغِيثَ اللَّهُ بِهِمْ أَهْلَ الْحِجَازِ مِنْ جُنْدِكَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ تَحْتَالَ لَهُمْ حِيلَةٌ حَتَّى يُغِيثَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . فَقَالَ عُمَرُ : مَا سِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِينَا شُقْنٌ فِيهَا تُجَارُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا فَتَحْنَا مِصْرَ انْقَطَعَ ذَلِكَ الْخَلِيجُ وَأَنْسَدَ وَتَرَكَهُ التُّجَارُ ، فَإِنْ سِئْتُ أَنْ نَحْفَرَهُ فَنَشْئِي فِيهِ سُقْنًا يُحْتَمَلُ فِيهَا الطَّعَامُ إِلَى الْحِجَازِ ، فَعَلْتُهُ . فَقَالَ لَهُ^(ج) عُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : نَعَمْ ، فَأَفْعَلْ .

فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ مِنْ عِنْدِ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذَكَرَ ذَلِكَ لِلرُّؤَسَاءِ أَهْلَ أَرْضِهِ مِنْ قِبْطِ مِصْرَ ، فَقَالُوا لَهُ : مَاذَا جِئْتَ بِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ^(د) الْأَمِيرُ ؟ تَتَطَلَّقُ فَتُخْرِجُ^(د) طَعَامَ أَرْضِكَ وَخِصْبَتِهَا إِلَى الْحِجَازِ وَتُخْرِبُ هَذِهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ فَاسْتَثْقِلْ ذَلِكَ^(هـ) .

فَلَمَّا وَدَّعَ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ انْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْخَلِيجِ ، وَلَا تَنْسِيَنَّ حَفْرَهُ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ أَنْسَدَ ، وَتَدَخَّلُ فِيهِ نَفَقَاتُ عِظَامٍ^(ف) . فَقَالَ لَهُ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأُطْلِقُكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي حَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَهْلَ أَرْضِكَ ، فَعَظَّمُوهُ عَلَيْكَ وَكَرِهُوا ذَلِكَ . أَغْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا حَفَرْتَهُ وَجَعَلْتَهُ فِيهِ سُقْنًا . فَقَالَ عُمَرُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ مَتَى مَا يَجِدُ أَهْلَ الْحِجَازِ طَعَامَ مِصْرَ وَخِصْبَتِهَا مَعَ صِبْغَةِ الْحِجَازِ لَا يَخْجِفُوا إِلَى الْجِهَادِ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأَجْعَلُ مِنْ

(أ) أَبَاصُوفِيَا : طَحَا ، وَفِيهَا بَلِي ٤٧٤ . (ب) بُولَاق : أَنْ تَغْلِبَ عَلَى رَحْلِي . (ج) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاق . (د) بُولَاق : تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ . (هـ) بُولَاق : فَاسْتَثْقَلَ مِنْ ذَلِكَ . (ف) بُولَاق : عَظِيمَةٌ .

ذلك أمراً ، لا يُحْمَلُ في هذا البحر إلا يَرْزُقُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ مَكَّةَ . فَحَفَرَهُ عَمْرُو وَعَالَجَهُ ، وَجَعَلَ فِيهِ الشُّفْنَ ^١ .

قال : وَيُقَالُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - كَتَبَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : «إِلَى الْعَاصِيِ ابْنِ الْعَاصِيِ ، فَإِنَّكَ لَعَمْرِي لَا تُبَالِي إِذَا سَيِّئْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ أَعْجِفَ أَنَا وَمَنْ قِبَلِي ^(أ) ، فَيَا عَزَّوَاهُ ثُمَّ ^(ب) يَا عَزَّوَاهُ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو : «أَمَا بَعْدَ ، فَيَا لَيْبِكَ ثُمَّ يَا لَيْبِكَ ، أَتَنْتَ عِيْرَ أَوْلَاهَا عِنْدَكَ وَأَخِيْرَهَا عِنْدِي ، مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ أَجِدَ السَّبِيلَ إِلَى أَنْ أُحْمِلَ إِلَيْكَ فِي الْبَحْرِ» .

ثم إنَّ عَمْرُو نَدِمَ عَلَى كِتَابِهِ فِي الْحَمَلِ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : إِنْ أَمْكَنْتُ عُمَرَ مِنْ هَذَا خَرَبَ مِصْرَ وَنَقَلَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : «إِنِّي نَفَرْتُ فِي أَمْرِ الْبَحْرِ ، فَإِذَا هُوَ عَيْسِرٌ وَلَا يُلْتَمَ وَلَا يُسْتَطَاعُ » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ - رضي الله عنه - : «إِلَى الْعَاصِيِ بْنِ الْعَاصِيِ ، قَدْ بَلَغَنِي بِكَائِكَ تَغْتَلُّ فِي الَّذِي كُنْتَ كَتَبْتَ إِلَيَّ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَحْرِ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَأَقْلَعَنَّ بِأُذُنِكَ ، وَلَأُبْعَثَنَّ مَنْ يَقْعَلَنَّ ذَلِكَ » . فَعَرَفَ عَمْرُو أَنَّ الْجِدُّ مِنْ عُمَرَ - رضي الله عنه - فَعَقَلَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرَ - رضي الله عنه - «أَلَا تَدْعُ بِمِصْرَ شَيْئًا مِنْ طَعَامِهَا وَكُسُوتِهَا وَبَصَلِهَا وَعَدَسِهَا وَخَلْهَا إِلَّا بَعَثْتُ إِلَيْنَا مِنْهُ» ^٢ .

قال : وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي دَلَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَلَى الْخَلِيجِ رَجُلٌ مِنَ الْقَيْطِ ، فَقَالَ لِعَمْرُو : أَرَأَيْتَ إِنْ دَلَّلْتُكَ عَلَى مَكَانٍ تَجْرِي فِيهِ الشُّفْنَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، أَتَضَعُ عَنِّي الْجِزْيَةَ وَعَنْ أَهْلِ يَمِينِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَفْعَلَ . فَلَمَّا قَدِمَتِ الشُّفْنَ خَرَجَ عُمَرُ - رضي الله عنه - حَاجًّا أَوْ مُغْتَمِرًا ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : سِيرُوا بِنَا نَنْظُرَ إِلَى الشُّفْنَ الَّتِي سَيَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ فِرْعَوْنَ حَتَّى أَتَيْنَا . فَأَتَى الْجَارَ ، وَقَالَ : اغْتَسِلُوا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ . فَلَمَّا قَدِمَتِ الشُّفْنَ الْجَارَ وَفِيهَا الطَّعَامُ ، صَكَ عُمَرُ - رضي الله عنه - لِلنَّاسِ بِذَلِكَ الطَّعَامِ صُكُوكًا ، فَتَبَاعَ التُّجَّارُ الصُّكُوكَ بَيْنَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضُوهَا ، فَلَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - الْعَلَاءُ بْنُ الْأَسْوَدِ - رضي الله عنه - فَقَالَ : كَمْ رِبْحَ حَكِيمِ بْنِ جِرَامٍ ؟ فَقَالَ : انْتَبَاعٌ مِنْ صُكُوكِ الْجَارِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَرِبْحٌ عَلَيْهَا مِائَةُ أَلْفٍ .

(a) بولاق : معي . (b) بولاق : ر .

^١ ابن عبد الحكم : فروع مصر ١٦٤-١٦٥ ، ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٤٢-٤٣ .
^٢ نفسه ١٦٤-١٦٥ .

فلقبه عُمر - رضي الله عنه - فقال له : يا حَكِيم كم رُبِحتَ ؟ فأخبره بِمَثَلِ خَبَرِ الغَلاء . قال عُمر - رضي الله عنه - : فبعته قبل أن تُقْبِضه ؟ قال : نَعَمْ . قال عُمر - رضي الله عنه - : فَإِنَّ هذا يَتَّبِعُ لا يَبْصُحُ ، فاردِّدْهُ . فقال حَكِيمٌ : ما عَلِمْتُ أَنَّ هذا يَتَّبِعُ لا يَبْصُحُ ، وما أَقْدِرُ على رَدِّهِ . فقال عُمر - رضي الله عنه - : لا بُدَّ . فقال حَكِيمٌ : والله ما أَقْدِرُ على ذلك وقد تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ولكن رَأْسَ مالي وِرْنَحِي صَدَقَةٌ^١ .

وقال القُضَاعِي في ^(a) كِتَاب «خِطَطِ مِصْرَ» ومنه نَقَلْتُ^(a) : ذُكِرَ الخَلِيجُ ، أَمَرَ عُمرُ بنَ الحُطَّابِ - رضي الله عنه - عُمرُ بنَ العَاصِ عامَ الرِّمَادَةِ بِحُفْرِ الخَلِيجِ الذي بِحَاشِيَةِ المُسْطَاطِ ، الذي يُقَالُ لَهُ خَلِيجُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، / فَسَاقَهُ مِنَ التُّبُلِ إِلَى القُلْزُمِ . فلم يَأْتِ عليه الحَوْلُ حَتَّى جَرَتْ فِيهِ الشُّقُنُ ، وَحَمَلَ فِيهِ ما أَرَادَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَى المَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، فَتَفَقَّعَ اللهُ تَعَالَى بِذلك أَهْلَ الحَرَمَيْنِ ، فَسُمِّيَ «خَلِيجُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ» .

وَذَكَرَ الكِنْدِيُّ في كِتَاب «الجُنْدِ القَرْيَبِي» أَنَّ عُمرًا حَفَرَهُ في سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، وَفَرَّغَ مِنْهُ فِي سَنَةِ أَشْهُرَ ، وَجَرَتْ فِيهِ الشُّقُنُ وَوَصَلَتْ إِلَى الحِجَازِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ ، ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ عَبْدُ العَزِيزِ ابْنُ مَرْوَانَ قَنْطَرَةً^(a) بِالْحَمْرَاءِ القُصْوَى^(a) فِي وِلَايَتِهِ عَلَى مِصْرَ^(a) فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ^٢ . ثُمَّ زَادَ فِيهَا تَكِينُ أَمِيرِ مِصْرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَرَفَعَ سَمَكُهَا ، ثُمَّ زَادَ عَلَيْهَا الإِخْشِيدُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ثُمَّ عُمرَتْ فِي أَيَّامِ العَزِيزِ بِاللَّهِ^(a) .

قَالَ : وَلَمْ يَزَلْ يُحْمَلُ فِيهِ الطَّعَامُ حَتَّى حَمَلَ فِيهِ عُمرُ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ ، ثُمَّ أَضَاعَتْهُ الْوَلَاةُ بَعْدَ ذلك فَتَرَكَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الرُّمْلُ ، فَانْقَطَعَ وَصَارَ مُتَتَهَاءً إِلَى ذَنْبِ الشَّمْسِاحِ مِنْ نَاجِيَةِ بَطْحَاءِ^(b) القُلْزُمِ . وَقَالَ ابْنُ قُذَافَةَ : أَمَرَ أَبُو جَعْفَرٍ المُتَّصِرُ بِسَدِّ الخَلِيجِ ، حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ حَسَنِ بِالمَدِينَةِ ، لِيَقْطَعَ عَنْهُ الطَّعَامَ ، فَسَدَّ إِلَى الآنَ^٣ .

(a-b) إضافة من مسودة الخطط . (b) كتب المقرئ بخطه فوق كلمة بطحاء : كذا .

^١ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٦٥-١٦٦ . ١٥٥ ظ .

^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٠ : المقرئ : مسودة وأورد المقرئ هنا في نهاية حديثه على خليج مصر الخطط ١٥٥ ظ . (القاهرة) في مسودة الخطط ١٥٦-١٦١ ظ حديثاً

^٣ نفسه ٤ : ١٢٠ : المقرئ : مسودة الخطط مختصراً عن القناطر القائمة على الخليج ، ثم أورد كل -

وَذَكَرَ الْبِلَادَرِيُّ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ ، لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قِيَامُ مُحَمَّدٍ^(أ) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : يُكْتَسَبُ الشَّاعَةُ إِلَى مِصرَ أَنْ تُقَطَّعَ الْمِيْرَةُ عَنْ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ ، فَإِنَّهُمْ فِي مِثْلِ الْحَرْجَةِ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمُ الْمِيْرَةُ مِنْ مِصرَ^١ .

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ ، وَقَدْ ذَكَرَ رُكُوبَ الْخَلِيفَةِ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ : وَهَذَا الْخَلِيجُ هُوَ الَّذِي حَفَرَهُ عَمْرُو ابْنُ الْقَاصِ لَمَّا وُلِّيَ عَلَى مِصرَ فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ بَحْرِ قُسْطَاطِ مِصرَ الْحُلُو ، وَأَخْلَقَهُ بِالْقَلْزُومِ بِشَاطِئِ الْبَحْرِ الْمِلْحِ ، فَكَانَتْ مَسَافَتُهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، لِيَقْرَبَ مَعُونَةَ الْحِجَازِ مِنْ دِيَارِ مِصرَ فِي أَيَّامِ النَّيْلِ . فَالْمَرَاكِبُ النَّيْلِيَّةُ تُقَرِّغُ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ دِيَارِ مِصرَ بِالْقَلْزُومِ ، فَإِذَا فُرِّغَتْ حَمَلَتْ مَا فِي الْقَلْزُومِ مِمَّا وَصَلَ مِنَ الْحِجَازِ وَغَيْرِهِ إِلَى مِصرَ . وَكَانَ مَسْلَكًا لِلتَّجَارِ وَغَيْرِهِمْ فِي وَقْتِهِ الْمَعْلُومِ .

وَكَانَ أَوَّلُ هَذَا الْخَلِيجِ مِنْ مِصرَ يَتَشَقُّ الطَّرِيقُ الشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ مِنْهُ الْيَوْمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، حَافَاً بِالْقَرْيُوسِ الَّذِي عَلَى الْبُيُوتَانِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ كَيْسَانَ مَادًّا . وَأَتَاوَهُ الْيَوْمَ مَادَّةٌ بَاقِيَةٌ إِلَى الْحَوْضِ الْمَعْرُوفِ بِسَيْفِ الدِّينِ حُسَيْنِ صِهْرِ بَنِي^(ب) رَزِيكٍ ، وَالْبُيُوتَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُسْتَهْتَى . وَفِيهِ آثَارُ الْمُنْظَرَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعْدَةً لِمَجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ^٢ ، وَلَمْ تَكُنِ الْآدُرُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْخَلِيجِ هُنَاكَ وَلَا شَيْءٌ مِنْهَا^٣ .

وَمَا يَرِخُ هَذَا الْخَلِيجُ مُتَنَزِّهًا لِأَهْلِ الْقَاهِرَةِ يَغْبُرُونَ فِيهِ بِالْمَرَاكِبِ لِلتَّزَهَّةِ ، إِلَى أَنْ حَفَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْخَلِيجَ الْمَعْرُوفَ الْآنَ بِالْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ .

قَالَ الْمُسَبِّحِيُّ : وَفِي هَذَا الشُّهُرِ - يَعْنِي الْحَرَمُ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - مَنَعَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الزُّكُوبِ فِي الْقَوَارِبِ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي الْخَلِيجِ ، وَشَدَّدَ فِي الْمَنَعِ . وَسُدَّتْ أَبْوَابُ الْقَاهِرَةِ الَّتِي يَنْطَرُقُ

(أ) ساقطة من بولاق . (ب) بولاق : ابن .

= ما ذكره فيما تقدم ٥٣٨ : ٢ ، ٥٥١ - ٥٦٠ عن الاحتفال

بِكُثْرِ الْخَلِيجِ نَقْلًا عَنْ «سيرة المزمز لدين الله» لابن زولاق
وهو نزهة المقلتين» لابن الطويز .

^١ البلاذري : أنساب الأشراف ٣ : ٢٦٩ .

^٢ ابن الطويز : نزهة المقلتين ٢٠٣ .

^٣ المسيحي : نصوص ضائعة ٢٩٠ ، المقريري : اتعاط

٨٥ : ٢ وفيما تقدم ٧١ .

أورد المقريري هنا في المسودة (١٦٢) نقلًا عن ابن
الطويز ما ذكره عن مدينة القلزم ، وهو النص الذي أورده
المقريري في الميضية (فيما تقدم ٥٧٩ : ١) عند ذكره مدينة
القلزم .

منها إلى الخليج، وأبواب الطاقات من الدور التي تُشرف على الخليج، وكذلك أبواب الدور والحوُخ التي على الخليج^١.

قال القاضي الفاضل في «متجددات» حوادث سنة أربع وتسعين وخمس مائة: ونُهي عن رُكوب المتفرجين في المراكب في الخليج، وعن إظهار المُتكر، وعن رُكوب النساء مع الرجال، وغُلّق جماعة من رؤساء المراكب بأيديهم^٢.

وقال^٣ (في متجددات سنة تسعين وخمس مائة^٤): ويوم الأربعاء تاسع عشر رَمَضان، ظهر في هذه المدة من المتكرات ما لم يُعْهَد في مصر في وقت من الأوقات، ومن القواجش ما خَرَج من الدور إلى الطرقات، وجرى الماء في الخليج بنعمة الله سبحانه بعد القنوط وقُوف الزيادة في الذراع السادس عشر.

فركب أهل الخلاعة ودور البطالة في مراكب في نهار شهر رَمَضان، ومعهم النساء القواجر، وبأيديهن المراهز يضررن بها وتُسَمع أصواتهن ووجوههن مكشوفة، وخرفاؤهن من الرجال معهن في المراكب لا يمتنعون عنهن الأيدي ولا الأبصار، ولا يخافون من أمير ولا مأمور سبباً^٥ من أسباب الإنكار، وتوقع أهل المراقبة ما يثلو هذا الخطب من المعاقبة.

(قال كاتبه: ما يرخ هذا الخليج مُتتَرِّها لأهل القاهرة يركبون فيه المراكب للترفة إلى أن حفز الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري^٦)، قال جامع «السيرة الناصرية» محمد ابن قلاوون^٧: وفي سنة ست وسبع مائة، رسم الأميران بيترس وسنار بمتع الشخاير^٨ والمراكب من دخول الخليج الحاكمي والتفرج فيه، بسبب ما يَحْضُل من الفساد، والتظاهر بالمتكرات التي تجمع الخمر وآلات الملاهي، والنساء المكشوفات الوجوه، المترينات بأفخر زينة من كوافي الرزكش والقنايز والحلي العظيم، ويصرف على ذلك الأموال الكثيرة، ويُقتل فيه جماعة عديدة^٩. فرسم^{١٠} الأميران المذكوران لتولي الصناعة بمصر: أن يمتنع المراكب من دخول الخليج

a-a) إضافة من مسودة الخطط. (b) بولاق: شيا. (c) بولاق: ورسم.

^١ المقرئ: السلوك ١: ١٤٢، وفيما تقدم ٧١. ^٢ شُخُور، شُخُورَة ج. شخاير. نَزَح من المراكب

النهاية التي كانت تستخدم كمعادٍ لعدية الناس في الثيل إبان نفسه ١: ١٤٢.

^٣ أي اليوسفي صاحب كتاب «ترفة الناظر في سيرة الملك الناصر». زيادته، كما كانت تستخدم كذلك بغرض الترفعة والترفة في خلجان الثيل ويزكه. (درويش النخيلي: السفن =

المذكور، إلا ما كان فيه غلة أو متجّر أو ما ناسب ذلك؛ فكان هذا معدودًا من حسناتهما ومتسلطورًا في صحائفهما.

قال كاتبه^(١): أخبرني شيخ^(ب) قديم المولد أذكرته يُعرف بالشيخ علي السعودي^(٢)، أنه أذكرَ هذا الخليج والمراكب تَمُرُّ فيه بالناس للزّهة، وأنها كانت تُغبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة. والآن لا يَمُرُّ بهذا الخليج من المراكب إلا^(٣) أن تَمُرَّ لحمل شيء من متاع لشكّان بالدور المطيلة عليه فقط^(٤)، وصارت مراكب الزّهة والتّفرج إنما تَمُرُّ في الخليج الناصري فقط.

وعلى هذا الخليج الكبير في زماننا هذا أربع عشرة قنطرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في القناطر^(١)، وحاقًا هذا الخليج الآن معثورتان بالدور. وسيأتي إن شاء الله ذكر ذلك في مواضعه من هذا الكتاب.

وقال ابن سعيد^(٥): وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرّصافي: [الكامل]

/ما زالت الأفحال^(٦) تأخذ حصى عدا كذوابة النّجم

وقلت في نوار الكّثان الذي على جانبي هذا الخليج:

[البسيط]

انظر إلى النّهر والكّثان يزعمه من جانبه بأجفان لها حدق
رائته^(٧) سيفًا عليه للضبّ شطّب فقابلته بأخدق لها أرق
وأصبحت في يد الأزواج تنسجها حتى غدت حلقًا من فوقها حلق
فقم وزرها^(٨) ووجه الأرض^(٩) متضج أو عند صفرته إن كنت تنعيق^(١٠)

قال وقد ذكر مضر: ولا يُنكر فيها إظهار أواني الخمر ولا آلات الطرب ذوات الأوتار، ولا

(a) بولاق: مؤلفه. (b-b) بولاق والنسخ: معمر ولد بعد سنة سبع مائة يعرف بمحمد السعودي، والمثبت من مسودة الخطط. (c-c) بولاق والنسخ: ما يحمل متاعًا من متجر ونحوه، والمثبت من مسودة الخطط. (d) بولاق: ابن سعد. (e) بولاق: الأنحاء. (f) بولاق: قد سل. (g) بولاق: نزرها. (h) ابن سعيد: الأفق.

= الإسلامية على حروف المعجم ٧٤، وفيما يلي (٤:٥٢٩). المدينة. (وصف مدينة القاهرة ١٦٧).

^١ فيما يلي ٤٨٥-٥٠٩، وقد غدّ جومار في نهاية القرن الثامن عشر إحدى وعشرين قنطرة، بينها تسع قناطر خارج

تَبْرُجُ النِّسَاءُ الْعَوَاهِرَ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُنْكَرُ فِي غَيْرِهَا^(أ). وقد دَخَلْتُ فِي الْخَلِيجِ الَّذِي بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَمُعْظَمُ عِمَارَتِهِ فِيمَا يَلِي الْقَاهِرَةَ ، فَرَأَيْتُ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْقَجَائِبِ . وَرَبَّمَا وَقَعَ فِيهِ قَتْلٌ بِسَبَبِ الشُّكْرِ فَيُعْتَمَدُ فِيهِ الشُّرْبُ ، وَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَخْيَانِ .

وَهُوَ صَيِّقٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ الْجَهْتَيْنِ مَنَاطِرُ كَثِيرَةٌ الْعِمَارَةُ بِعَالَمِ الطُّرْبِ وَالتَّهْكُمِ وَالْمَجَانَةِ^(ب) . حَتَّى إِنْ الْمُحْتَشِمِينَ وَالرُّؤَسَاءَ لَا يُجِيرُونَ الْغُبُورَ بِهِ فِي مَرْكَبٍ ، وَلِلشُّرَجِ فِي جَانِبِهِ بِاللَّيْلِ مُنْظَرٌ قَتَانٌ ، وَكَثِيرًا مَا يَتَفَرَّجُ فِيهِ أَهْلُ الشُّتْرِ . وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ^(ج) :

[مُتَعَلِّعُ الْبِط]

لَا تَزَكَبَنَّ فِي خَلِيجٍ مُضِرٍ إِلَّا إِذَا يُشْدَلُ الظُّلَامُ
فَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ عَالَمِ كُلِّهِمْ طَعَامُ
صَفَانٍ لِلْحَرْبِ قَدْ أَطْلَأَتْ^(د) يَسْلُخُ مَا بَيْنَهُمْ كَلَامُ
يَا سَيِّدِي لَا تَسِرْ إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا هَوَّمَ النُّيَامُ
وَاللَّيْلُ سَثَرٌ عَلَى النَّصَابِي عَلَيْهِ مِنْ قَضِيلِهِ لِسَامُ
وَالشُّرُجُ قَدْ بَدَّدَتْ عَلَيْهِ مِنْهَا دَنَانِيرُ لَا تُرَامُ
وَهُوَ قَدْ امْتَدَّ ، وَالْمَبَانِي عَلَيْهِ فِي خِجْمَةٍ قِيَامُ
لِلَّهِ كَمِ دَوْخَةٍ بِجَنَابِي هُنَاكَ أَمَارُهَا الْأَنَامُ^(هـ)

١٠

١٥

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ عَنْ «مُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ الْمَأْمُونِ» : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَتَّبَ حَقْرَ خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ عَلَى النَّاسِ الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطَّايْحِيِّ ، وَكَذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ الْبِيسَاتِينَ فِي دَوْلَةِ الْأَفْضَلِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ وَالْيَا بِمُفْرَدِهِ^(٢) . وَلِلَّهِ دَرُّ الْأَشْعَدِ بْنِ خَطِيرِ الْمَمَاتِي حَيْثُ يَقُولُ :

[الْوَاغِي]

خَلِيجٌ كَالْحُصَامِ لَهُ صَقَالٌ وَلَكِنْ فِيهِ لِلرُّوَاهِي مَسَرَّةٌ

٢٠

(أ) بعد ذلك عند ابن سعيد : من بلاد المغرب . (ب) عن ابن سعيد : والمخالفة . (ج) بعد ذلك عند ابن سعيد : مخاطبة أحد الرؤساء ، وقد استدعاني للركوب فيه نهائاً . (د) بولاق : أطلأ .

^١ ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة
٣٦-٣٧
إلينا ؛ وقارن أيضاً مع الفلقشندي : صحيح الأعشى ٣: ٢٩٩

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٦ ، ولم يذكر أنه
نقله عن مختصر تاريخ ابن المأمون ، وهذا دليل آخر على
اعتناء الحنفا ٣: ١٠٠ .

رَأَيْتُ بِهِ الْمِلَاحَ تُجِيدُ عَوْمًا كَأَنَّهُمْ نُجُومٌ فِي مَجْرَاهُ
وَقَالَ بِهِاءُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الشَّاعَتِيِّ فِي يَوْمِ كَشْرِ الْخَلِيجِ :

[الخفيف]

إِنَّ يَوْمَ الْخَلِيجِ يَوْمٌ مِنَ الْحُسْنِ مِنْ بَدِيعِ الْمَرْئِيِّ وَالْمَسْمُوعِ
كَمْ لَذِيهِ مِنْ لَيْثٍ غَابَ صَوُولُ وَمِهَابَةٍ مِثْلَ الْعَوَالِ الْمَرْوَعِ
وَعَلَى الشَّدِّ عِزَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ لَكِهِ ذِلَّةٌ الْهَيْبَةِ الْخَصُوعِ
كَسَرُوا جِسْرَهُ هُنَاكَ فَحَاكَى كَسَرَ قَلْبِي يَطْلُوهُ فَيْضُ دُمُوعِ

ذِكْرُ خَلِيجِ قَمِ الْخَوْرِ

قال ابنُ سِيَدَه في كتاب «المَحْكَمِ فِي اللُّغَةِ»: الْخَوْرُ مَصَّبُ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ، وَقِيلَ هُوَ خَلِيجٌ مِنَ الْبَحْرِ، وَالْخَوْرُ الْمَطْمَعَنُ مِنَ الْأَرْضِ^١.

وَخَلِيجُ قَمِ الْخَوْرِ يُخْرَجُ الْآنَ مِنْ بَحْرِ الثَّيْلِ وَيَصُبُّ فِي الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ لِيقْوِي جَرِي الْمَاءِ فِيهِ وَيَغْزِرُهُ. وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يُخْفَرَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ يُدْعَى خَلِيجُ الذَّكْرِ، وَكَانَ أَضْلُهُ تُرْوَعَةٌ يَدْخُلُ مِنْهَا مَاءُ الثَّيْلِ لِلْبُشْتَانِ الَّذِي عُرفَ بِالْمَقْسِيِّ، ثُمَّ وَضِعَ^٢.

خَلِيجُ الذَّكْرِ

قال ابنُ عبدِ الظَّاهِرِ: وَكَانَ يُخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ لِلْمَقْسِ^(b) الْمَاءُ فِي الْبَرَاخِ، فَوَسَّعَهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ وَهُوَ خَلِيجُ الذَّكْرِ^٣.

(a) العنوان مثبت في مسودة الخطوط. (b) بولاق: للمقسي.

^١ ابن سِيَدَه: المحكم والمحيط الأعظم ٥: ١٧٨.
^٢ كان خَلِيجُ قَمِ الْخَوْرِ يأخذ مياهه من النيل من نقطة تقع الآن في أوَّل شارعٍ رمسيس عند مبنى هيئة المجاري من ناحية ميدان عبد المنعم رياض، قبل تحوُّل النيل إلى مجراه الحالي، ثم يسير مُحاذاة للشارع من الجهة الشرقية إلى أن يتقابل مع الخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ وخليج الذَّكْرِ في النقطة التي يتلاقى فيها الآن

شارع رمسيس بشارع عرابي وشارع قَنْطَرَةِ الدُّمَّة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٤-١٢٥ هـ^٣، ١١: ١٧٠ هـ^١).
^٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٦؛ المقريزي: مسودة الخطوط، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٤٤-٤٥.

وَيُقَالُ إِنَّ خَلِيجَ الذَّكَرِ حَفَرَهُ كَأَفْوَرِ الإِخْشِيدِي؛ (هَقَالَ كَاتِبُهُ: غَمِلَ هَذَا الْخَلِيجُ فِي الْأَصْلِ ثُرُوعَةً يَدْخُلُ مِنْهَا مَاءُ الثَّلِثَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَقْسِي، ثُمَّ وُسِّعَ^٨)، فَلَمَّا زَالَ الْبُشْتَانُ الْمَقْسِي فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ بْنِ الْحَاكِمِ، وَجَعَلَهُ بِرُكَّةٍ قُدَّامَ الْمَنْظَرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِاللُّؤْلُؤَةِ، صَارَ يَدْخُلُ الْمَاءُ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْخَلِيجِ. وَكَانَ يُفْتَحُ هَذَا الْخَلِيجُ قَبْلَ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ.

وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَمَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، بِحَفَرِهِ فَخَفِرَ وَأُوصِلَ بِالْخَلِيجِ الْكَبِيرِ. وَسَرَعَ الْأَمْزَاءُ وَالْجُنُودُ فِي حَفَرِهِ مِنْ أَخْرَاجَاتِ جُمَادَى الْآخِرَةِ، فَلَمَّا قُبِحَ كَادِبُ الْقَاهِرَةِ/ أَنْ تَغْرُقَ، فَسَدَّتْ الْقَنْطَرَةُ الَّتِي عَلَيْهِ فَهَدَمَهَا الْمَاءُ. وَمِنْ حَيْثُ عَزَمَ السُّلْطَانُ^{١٠:٢} عَلَى حَفْرِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ. وَأَنَا أَذَرَكْتُ آثَارَهُ، وَفِيهِ يُبَيَّنُ الْقَصَبُ الْمُسَمَّى بِالْفَارِسِيِّ^١.

وَأَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهُ فِيهِ الْمَاءُ الْجَارِي مِنْ تَحْتِ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِقَنْطَرَةِ الثُّرُكْمَانِي بِحُطِّ الدُّكَّةِ، وَقَدْ ارْتَدَّتْ وَمَوْضِعُهَا الْآنَ مَعْرُوفٌ. وَكَانَ الْمَاءُ يَدْخُلُ إِلَى خَلِيجِ الذَّكَرِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِقَمِ الْخَوَرِ^٨ ^{١٠}.

وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ الْمُعْتَمَرُ حُصَامُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ عُمَرَ الشُّهُزُورِيِّ أَنَّهُ يَعْرِفُ خَلِيجَ الذَّكَرِ هَذَا وَفِيهِ الْمَاءُ، وَسَبَّخَ فِيهِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَرَانِي آثَارَهُ. وَكَانَ الْمَاءُ يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ تَحْتِ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ - الْآتِي ذِكْرُهَا فِي الْقَنَاظِرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَعَلَى خَلِيجِ قَمِ الْخَوَرِ الْآنَ قَنْطَرَةٌ، وَعَلَى خَلِيجِ الذَّكَرِ قَنْطَرَةٌ، يَأْتِي ذِكْرُهُمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَنَاظِرِ^٣. ^{١٥}

وَلَمَّا قِيلَ لَهُ خَلِيجِ الذَّكَرِ لِأَنَّ بَعْضَ أَمْزَاءِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكِّنَ الدِّينَ يَبْرَسَ - كَانَ يُعْرَفُ بِشَمْسِ الدِّينِ الذَّكَرِ الْكَرْكِي - كَانَ لَهُ فِيهِ أَثَرٌ مِنْ حَفَرِهِ فَفَرَفَ بِهِ. وَكَانَ لِلنَّاسِ عِنْدَ هَذَا الْخَلِيجِ مُجْتَمَعٌ يَكْثُرُ فِيهِ لَهْوُهُمْ وَلَعِبُهُمْ.

(a-a) إضافة من مسودة الخطط.

^١ كَانَ قَمِ خَلِيجِ الذَّكَرِ، وَقَدْ كَانَ الثَّلِثَانُ يَجْرِي تَحْتِ شَارِعِ عِمَادِ الدِّينِ، فِي النِّقْطَةِ الَّتِي يَتَلَقَّى فِيهَا الْآنَ شَارِعَ عِمَادِ الدِّينِ بِشَارِعِ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى الشَّرْقِ فِي شَارِعِ قَنْطَرَةِ الدُّكَّةِ فَمَشَارِعِ الْقَبِيلَةِ فَمَشَارِعِ الْجَامِعِ الْأَحْمَرِ إِلَى نَهَابَتِهِ فَمَشَارِعِ الشَّيْخِ حَمَّادِ فَحَارَةِ قَرْبِ مِصْطَفَى إِلَى أَنْ

يَصْبُ فِي الْخَلِيجِ الْمِصْرِيِّ (شَارِعِ بَوْرَسَمِيدِ الْآنَ) نِجَاهَ مَدْرَسَةِ الْغُرَيْرِ (الْقُدْسِ يَوْشَفَ) عَلَى رَأْسِ شَارِعِ الْخَرْفَشِ. (أَبُو الْخَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٢٤-١٢٥ هـ ٣).

^٢ الْمَغْرِبِيُّ: مَسُودَةُ الْخَطِّ ١٦٢ و.

^٣ فِيمَا بَلَى ٥٠٦.

قال المَسْبُوحِي: وفي يوم الثلاثاء لحسين بقين منه - يعني المحرم سنة خمس عشرة وأربع مائة - كان ثالثُ الفِطْح^(٩)، فاجتمع بقنطرة المَقْس عند كنيسة المَقْس من النَّصَارَى والمسلمين، في الخيام المنصوبة وغيرها، خُلِقَ كثيرٌ للأكل والشرب واللَّهو، ولم يزالوا هناك إلى أن انقضى ذلك اليوم. وركب أمير المؤمنين - يعني الظاهر لإعزاز دين الله أبا الحسن علي بن الحاكيم بأمر الله - في موكبه^(١٠) إلى المَقْس، وعليه عمامة شرب مَقْوطة بسواد وثوب ذيقى من شكل العمامة، ودار هنالك^(١١) طويلاً، وعادَ إلى قصره سالماً^(١٢). وشوهدَ من شكر النساء ونهشكهن، وحملهن في قفاب الحمالين شكارى، واجتماعهن مع الرجال أقرَّ يقبح ذكره^(١٣).

ذِكْرُ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ

هذا الْخَلِيجُ يُخْرَجُ من بَحرِ الثَّلِ، وَيَصُبُّ في الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ. وكان سَبَبُ حَقْرِهِ أَنَّ الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ لما أَنشَأَ الْقُصُورَ وَالْحَانِئَةَ بِنَاحِيَةِ سِيْرِيَاقُوسَ، وَجَعَلَ هُنَاكَ مَيْدَانًا يَسْرَحُ إِلَيْهِ، وَأَبْطَلَ مَيْدَانَ الْقَبْقِ الْمَعْرُوفَ بِالْمَيْدَانِ الْأَسْوَدِ ظَاهِرَ بَابِ النَّصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ، وَتَرَكَ الْمُسْتَنْبَةَ الَّتِي بَنَاهَا بِالْقُرْبِ مِنْ بَرْكَةِ الْحَبَشِ لِمَطْعَمِ الطُّيُورِ وَالْجَوَارِحِ، اخْتَارَ أَنْ يَحْفَرُ خَلِيجًا مِنْ بَحرِ الثَّلِ لَتَمُرَّ فِيهِ الْمَرَاكِبُ إِلَى نَاحِيَةِ سِيْرِيَاقُوسَ، لِحَلِّ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْغِلَالِ وَغَيْرِهَا^(١٤). فَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونَ، نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ، بِالْكَشْفِ عَنْ عَمَلِ ذَلِكَ.

(٩) بولاق: الفتح، والنسخ، الفسح، والتصويب من المسيحي وفيه بعد ذلك: ويسميه النصارى «يوم عيد القليلة». (h) بولاق: مركبه. (c) بولاق: هناك.

^١ المسيحي: أخبار مصر ١٩-٢٠، المقريري: تعاط الحنفا ٢: ١٣٧.

^٢ نفسه ٢١.

^٣ الخليج الناصري. كان يخرج من الثل عند النقطة التي تقابل فيها شارع كورنيس النيل بشارع السلامك بجاردن سيتي، ثم يسير إلى الشرق بدوران نحو الشمال إلى أن تقابل بشارع القصر العيني، ثم يسير مجاوزاً له، وعند وصوله إلى شارع الشيخ ريحان ينعطف نحو الشرق ويسير مقاطعاً شارع التحرير، ثم يسير شمالاً إلى شارع طلعت حرب فميدان

فَنَزَلَ مِنْ قَلْعَةِ الْحَبَلِ بِالْمُهَنْدِسِينَ وَأَرْبَابِ الْخَيْزَةِ إِلَى شَاطِئِ النَّيْلِ ، وَرَكِبَ النَّيْلَ . فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ فِي فَحْصٍ وَتَفْتِيهِشٍ إِلَى أَنْ وَصَلُوا بِالْمَرَائِبِ إِلَى مَوْزِدَةِ الْبِلَاطِ^١ مِنْ أَرْضِي بُشْتَانِ الْحَشَابِ ، فَوَجَدُوا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ أَوْطَأَ مَكَانٍ يُمكن أَنْ يُحْفَرَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ عِدَّةٌ دُورَ . فَاغْتَبَرُوا فَمَ الْخَلِيجِ مِنْ مَوْزِدَةِ الْبِلَاطِ ، وَقَدَّرُوا أَنَّهُ إِذَا حُفِرَ مَرَّ الْمَاءُ فِيهِ مِنْ مَوْزِدَةِ الْبِلَاطِ إِلَى الْمَيْدَانِ الظَّاهِرِيِّ الَّذِي أَنْشَأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بُشْتَانًا ، وَيَمُرُّ مِنَ الْبُشْتَانِ إِلَى بَرْكَةِ قَوْمُوطٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى ظَاهِرِ بَابِ الْبَحْرِ^٢ ، وَيَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى أَرْضِ الطُّبَّائَةِ فَيَصُبُّ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ .

فَلَمَّا تَعَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَ النَّائِبُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَطَالَعَهُ بِمَا تَقَرَّرَ . فَبَرَزَ أَمْرُهُ لِسَائِرِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ بِإِخْطَارِ الْفَلَاحِينَ مِنَ الْبِلَادِ الْجَارِيَةِ فِي إِقْطَاعَاتِهِمْ ، وَكَسَبَ إِلَى وِلَاةِ الْأَعْمَالِ بِجَمْعِ الرُّجَالِ لِحَفْرِ الْخَلِيجِ . فَلَمْ يَمُضْ سِوَى أَيَّامٍ قَلِيلٍ حَتَّى حَضَرَ الرُّجَالُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّائِبِ بِالنُّزُولِ لِلْحَفْرِ وَمَعَهُ الْحُجَابُ . فَتَرَلَّ لَعْمَلِ ذَلِكَ ، وَقَاسَ الْمُهَنْدِسُونَ طُولَ الْحَفْرِ مِنْ مَوْزِدَةِ الْبِلَاطِ - حَيْثُ تَعَيَّنَ فَمَ الْخَلِيجِ - إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ ، وَأَلْزَمَ كُلَّ أَمِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ بِعَمَلِ أَقْصَابٍ فُرِضَتْ لَهُ .

فَلَمَّا أَهْلَ شَهْرُ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَقَعَ الشَّرُوعُ فِي الْعَمَلِ . فَبَدَأُوا بِهِذِمَ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْأَمْثَلِكِ الَّتِي مِنْ جِهَةِ بَابِ اللَّوْقِ إِلَى بَرْكَةِ قَوْمُوطٍ ، وَحَصَلَ الْحَفْرُ فِي الْبُشْتَانِ الَّذِي كَانَ لِلنَّائِبِ^٣ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ قِطْعَةً ، وَرُسِمَ أَنْ يُعْطَى أَرْبَابُ الْأَمْثَلِكِ أَثْمَانُهَا : فَمِنْهُمْ مَنْ بَاعَ مِلْكَهُ وَأَخَذَ ثَمَنَهُ مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَدَمَ دَارَهُ وَنَقَلَ أَثْنَاضَهَا . فَهَدِمَتْ عِدَّةٌ دُورٍ وَمَسَاكِينَ جَلِيلَةً ، وَحُفِرَ فِي عِدَّةٍ بَسَاتِينَ ، فَانْتَهَى الْعَمَلُ فِي سَلْخِ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ شَهْرَيْنِ ، وَجَزَى الْمَاءُ فِيهِ عِنْدَ زِيَادَةِ النَّيْلِ^٤ .

^٣ حاشية بخط المؤلف : «بُشْتَانُ النَّائِبِ هَذَا مِنْ جَمَلَةِ بَشْتَانِ الشَّرِيفِ ابْنِ ثَقَلَبٍ ، عُرِفَ بَعْدَ ذَلِكَ بِبَشْتَانِ ابْنِ غُرَابٍ ، وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ وَهُوَ جَوْسُقٌ ، وَهُوَ عَلَى يَمْنَةِ مَنْ سَلَّكَ مِنْ قَنْطَرَةِ قَدَادَارٍ بِشَاطِئِ الْخَلِيجِ مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ إِلَى بَرْكَةِ قَوْمُوطٍ .

يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ هَذَا الْبَشْتَانِ - الَّذِي كَانَ عَلَى الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ لِلْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ - الْآنَ كَتْلَةُ الْمَبَانِي الْوَاقِعَةِ بَيْنَ شَارِعِ الشَّرِيفِينَ وَشَارِعِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ بَحْرِي جَامِعِ جَزْكَسَ وَجَنُوبِي شَارِعِ قَصْرِ النَّيْلِ ، (مُحَمَّدُ رَمْزِي : مَذْكُورَةٌ فِي تَسْمِيَةِ الشُّوَارِعِ ١٨) .

^٤ ابْنُ أَبِيكَ : كُنْزُ الدُّرَرِ ٩ : ٣١٩ ، الْمُقْرِيزِيُّ : السُّلُوكُ ٢٦١ : ٢٦٢ ؛ ابْنُ إِسَاسٍ : بَدَائِعُ الزُّهُورِ ١/١ : ٤٥٥ - ٤٦٠ .

- ٨٠٠ : ٩ هـ ، ١٨٢ - ١٨٣ ؛ جُومَارُ : وَصْفُ مَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ ١٦٠ - ١٦١) .

^١ مَوْزِدَةُ الْبِلَاطِ . كَانَتْ تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ فِي نَهَابَةِ بُشْتَانِ الْحَشَابِ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَمَحَلُّهَا الْآنَ يَقَعُ بِطَرِيقِ كُورْنِيشِ النَّيْلِ فِي الْمَسَافَةِ الْمَمْتَدَّةِ عَلَى النَّيْلِ غَرْبِي شَارِعِي حَوْضِ اللَّبَنِ وَدَارِ الشِّفَاءِ بِحَيِّ جَارْدَنِ سِيْتِي .

وَعُرِفَتْ أَيْضًا بِمَوْزِدَةِ الْحَبْلِ لِأَنَّ الْمَرَائِبَ الَّتِي كَانَتْ تَنْقُلُ صَنْفِي الْبِلَاطِ وَالْحَبْلِ مِنْ مَحَاجِرِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ تُقَرَّعُ مَشْعُونَهَا عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ . (مُحَمَّدُ رَمْزِي : مَذْكُورَةٌ فِي تَسْمِيَةِ الشُّوَارِعِ ١٨ ؛ أَبُو الْحَاسَنِ : الْمَجْمُوعُ الزَّاهِرَةُ ٩ : ٨١ هـ) .

^٢ انْظُرْ عَنْ بَابِ الْبَحْرِ ، فِيمَا تَقْدَمُ ٣١٥ هـ .



الخليج المصري والخليج الناصري وفروء
في نهاية القرن الثامن عشر (عن وصف مصر)

فَأَنْشَأَ النَّاسُ عِدَّةَ سَوَاقٍ ، وَجَزَتْ فِيهِ الشُّقُنُ بِالْغِلَالِ وَغَيْرِهَا . فَسَرَّ الشُّلْطَانُ بِذَلِكَ ، وَحَصَلَ
لِلنَّاسِ رِفْقٌ ، وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيهِ ، فَاشْتَرَوْا عِدَّةَ أَرْضٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ غُرِسَتْ فِيهَا الْأَشْجَارُ ،
وَصَارَتْ بَسَاتِينَ جَلِيلَةً . وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ عَلَى حَافَتِي الْخَلِيجِ ، فَعُمِّرَ مَا بَيْنَ الْمَقَسِّ وَسَاحِلِ
النَّيْلِ بِبُولَاقٍ ، وَكَثُرَتْ الْعِمَارَةُ عَلَى الْخَلِيجِ حَتَّى انْقَضَتْ مِنْ أَوَّلِهِ بِمَوَزْدَةِ الْبِلَاطِ إِلَى حَيْثُ يَصُوبُ
فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ بَارِضُ الطُّبَّالَةِ ، وَصَارَتْ الْبَسَاتِينَ مِنْ وَرَاءِ الْأُمْلَاكِ الْمُطَلَّةِ عَلَى الْخَلِيجِ .

وَتَنَافَسَ النَّاسُ فِي السُّكْنَى هُنَاكَ ، وَأَنْشَأُوا الْحَمَامَاتِ وَالْمَسَاجِدَ وَالْأَسْوَاقَ .^(١) وَاسْتُخْرِجَ مِنْ
هَذَا الْخَلِيجِ عِدَّةُ خُلُجٍ - وَهِيَ : خَلِيجُ قَنْطَرَةِ الْفَخْرِ وَخَلِيجُ الْغُزْلَانِ - أَنْشَأَ عَلَيْهَا الدُّورَ فَكَانَتْ مِنْ
كَثَرَتِهَا تُعَدُّ مَدِينَةً بِمَفْرَدِهَا^(٢) . وَصَارَ هَذَا الْخَلِيجُ مَوَاطِنَ أَفْرَاجٍ ، وَمَنَازِلَ لَهْوٍ ، وَمَعْنَى صَبَابَاتٍ ،
وَمَلْعَبِ أَثْرَاقٍ ، وَمَحَلِّ تَبَهِ وَقَصْفٍ فِيمَا يَمُرُّ فِيهِ مِنَ الْمَرَائِبِ ، وَفِيمَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّورِ . وَمَا يَرِخَتْ
مَرَائِبُ الثَّرَاقِ فِيهِ بِأَنْوَاعِ النَّاسِ عَلَى سَبِيلِ الْلَهْوِ ، إِلَى أَنْ تُنْبَعِثَ الْمَرَائِبُ مِنْهُ بَعْدَ قَتْلِ
الْأَشْرَفِ ، كَمَا يَرِدُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَنَاطِرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٣) .

١ / ذِكْرُ خَلِيجِ قَنْطَرَةِ الْفَخْرِ

هَذَا الْخَلِيجُ يَتَدَوَّى مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ سَاحِلَ النَّيْلِ بِبُولَاقٍ ، وَيَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَصُوبُ فِي
الْخَلِيجِ النَّاصِرِي ، وَيَصُوبُ أَيْضًا فِي خَلِيجٍ لَطِيفٍ تُسَمَّى مِنْهُ عِدَّةُ بَسَاتِينَ^(١) . وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ
الْخَلِيجَيْنِ مَعْمُورُ الْجَانِبَيْنِ بِالْأُمْلَاكِ الْمُطَلَّةِ وَالْبَسَاتِينَ . وَجَمِيعُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَمُرُّ فِيهَا الْخَلِيجُ
النَّاصِرِي ، وَأَرْضُ هَذَيْنِ الْخَلِيجَيْنِ ، كَانَتْ غَافِرَةً بِالْمَاءِ ، ثُمَّ انْحَصَرَ عَنْهَا الْمَاءُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ كَمَا
ذَكَرَ فِي ظَوَاهِرِ الْقَاهِرَةِ ، وَهَذَا الْخَلِيجُ حُفِرَ بَعْدَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ^(٢) .

(١) - إضافة من مسودة الحفط . (ب) هنا على هامش أباصوفيا : بياض خمسة أسطر .

^١ فيما يلي ٥٠٣ - ٥٠٤ .

الخليج المذكور ومنه يصب في الخليج الناصري عند النقطة
التي يتلاقى فيها شارع عماد الدين بشارع قنطرة الدكة .
(أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٢٤ - ١٢٥ هـ^(٣)) .

^٣ أضاف ابن أبي الشرور البكري : وهذا الخليج بالقرب
من قنطرة اليمون (أي قنطرة باب البحر ، فيما يلي ٥٠٤ -
٥٠٥) وقد طُمّ وذُتْ الآن . (قطف الأرهاق) .

^٢ خليج قنطرة الفخر . كان قفّه يأخذ من النيل تجاه مدخل
شارع إستيلاط الطروق ببولاق ، ثم يسير بالشارع المذكور إلى
أن يتلاقى بشارع فؤاد الأول (٢٦ يولية) ، ومن هناك يسير إلى
الشرق حتى يتلاقى بشارع رمسيس تجاه مدخل شارع
عراي ، ومن هناك يسير في جزء صغير من المجرى القديم

زَكَرُ الْقَنَاطِرِ

اعْلَمْ أَنَّ قَنَاطِرَ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ عِدَّتُهَا الْآنَ أَرْبَعٌ عَشْرَةٌ قَنْطَرَةٌ^١، وَعَلَى خَلِيجِ قِمِ الْخَوَرِ قَنْطَرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَعَلَى خَلِيجِ الذَّكْرِ قَنْطَرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَعَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ خَمْسُ قَنَاطِرٍ، وَعَلَى بَنَخْرِ أَبِي الْمُنْجَا قَنْطَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَبِالْجِيزَةِ عِدَّةٌ قَنَاطِرٍ^٢.

زَكَرُ قَنَاطِرِ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ

[قَنْطَرَةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ]

قَالَ الْقَضَاعِي : الْقَنْطَرَتَانِ اللَّتَانِ عَلَى هَذَا الْخَلِيجِ - يَعْنِي خَلِيجَ مِصْرَ الْكَبِيرِ - . أَمَّا الَّتِي فِي طَرَفِ الْقُسْطَاطِ بِالْحَمْرَاءِ الْقُصْوَى ، فَإِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بَنَاهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَهُ ، وَابْتَنَى قَنَاطِرَ غَيْرَهَا . وَكَتَبَ عَلَى هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورَةِ :

«هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ أَمَرَّ بِهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ الْأَمِيرُ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَتَبَّتْ سُلْطَانُهُ عَلَى مَا تَرْضَى ، وَأَقْرَبَ عَيْنَهُ فِي نَفْسِهِ وَخَشَمِهِ ، آمِينَ . وَقَامَ بَيْنَاهَا سَعْدُ أَبُو عُثْمَانَ .

وَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ»^٣.

ثُمَّ زَادَ فِيهَا تَكْوِينَ أَمِيرُ مِصْرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ عَشْرَةٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ وَرَفَعَ سَمَكُهَا ، ثُمَّ زَادَ عَلَيْهَا الْإِخْشِيدُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، ثُمَّ عُثِرَتْ فِي أَيَّامِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ .

Abouscif, D., *Azhakiyya and its Environs*, pp. 10-12؛ محمد الششتاوي : متزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني ، ١٩٥-٢٢٦ .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ٣٨٧ ، Wiet, G., *RCEA I*, p. 7 n° ٨.

^١ حاشية بخط المؤلف : «القَنْطَرَةُ هَذِهِ الْمَعْقُودَةُ الْمَعْرُوفَةُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ أَرْجٍ قَنْطَرَةً» .

^٢ ذكر جومار أَنَّ الْقَنَاطِرَ الْمُتَقَدِّةَ عَلَى خُلُجَانَ الْقَاهِرَةِ مَكُونَةٌ جَمِيعُهَا مِنْ عَقْدٍ أَوْ عَقْدَيْنِ قَوَاطِينِ وَتَمَرَاتِهَا ضَبْجَةٌ ، يَنْمُو حَوَاجِزُهَا مَرْتَفَعَةً جَدًّا . (جومار : وصف مدينة القاهرة ١٦٦ ، وانظر اللوحة صفحة ٤٨٧ ، وانظر كذلك Behrens-

وقال ابن عبد الظاهر: وهذه القنطرة ليس لها أثر في هذا الزمان. قلت: موضعها الآن خلف حُطَّ السُّبُع سِقَايَات، وهذه القنطرة هي التي كانت تُفْتَح عند وُقَاء النَّيْل في زَمَن الخُلَفَاء. فلَمَّا انْحَسَرَ النَّيْلُ عن سَاحِلِ مِصْرَ اليَوْمِ، أَهْمِلَتْ هذه القنطرة، وَغَمِلَتْ قنطرةُ السَّدِّ عند قَمِّ بَحْرِ النَّيْلِ. فَإِنَّ النَّيْلَ كان قد رُئِيَ الجُزْفَ حيث غِيطَ الجُزْفُ الذي على يَمْنَةِ من سَلَكَ من المَرَاغَةِ إلى بابِ مِصْرَ بجوار الكِبَارَةِ^١.

قنطرة السَّدِّ^٢

هذه القنطرة موضعها ممَّا كان غامِزًا بماءِ النَّيْلِ قَدِيمًا، وهي الآن يَتَوَصَّلُ من قَوْبِهَا إلى مُنْشَأَةِ المَهْرَانِي وغيرها من بَرِّ الخَلِيجِ الغربي. وكان النَّيْلُ عند إِنْشَائِهَا يَصِلُ إلى الكَوْمِ الْأَخْضَرِ، الذي هو جَانِبُ الخَلِيجِ الغربي الآن، تَجَاهَ حُطَّ بَيْنَ الرُّفَاقَيْنِ. فَإِنَّ النَّيْلَ كان قد رُئِيَ جُزْفًا قُدَّامَ السَّاحِلِ القَدِيمِ، كما دُكِرَ في موضعه من هذا الكتاب، فَأَهْمِلَتْ القنطرةُ الأولى لِبُعْدِ النَّيْلِ، وَقُدِّمَتْ هذه القنطرةُ إلى حيث كان النَّيْلُ يَنْتَهِي، وصَارَ يَتَوَصَّلُ منها إلى بُسْتَانِ الخُشَّابِ الذي مَوْضِعُهُ اليَوْمِ يُعْرَفُ بِالْمَرِيسِ وما حَوْلَهُ. وكان الذي أَنْشَأَهَا المَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ ابنُ المَلِكِ الكَامِلِ مُحَمَّدِ بنِ العَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بنِ أَيُّوبَ في أَعْوَامِ بَضْعٍ وأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَلَهَا قَوْسَانِ.

^١ يُدَلُّ على موضع هذه القنطرة الآن النقطة الواقعة بشارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة حكر آتيفًا بأرض جنبه لآخ خلف مبنى دار الهلال، الذي يمثل الجزء الشمالي من الحفراء القُضُوبِي، وكان يقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنان الزُهري حيث حي الناصرية الآن. (استدراكات محمد رمزي على النجوم الزاهرة ٣٨٧:٧ - بك رمزي).

٣٨٨). وعلى ذلك فإن قنطرة السَّدِّ كانت تقع في شارع

^٢ قنطرة السَّدِّ. أنشأها السلطان الملك الصالح نجم الدين أيُّوب سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م على الخليج الكبير المجاور لبُستان الخُشَّابِ خارج مدينة مصر. (المقريزي: السلوك ٣٠٥:١). وكان بُسْتَانُ الخُشَّابِ يقع في المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشوارع المبتديان ومُضْرَبُ النَّشَّابِ والبُرْجاس والجزء الغربي من شارع جمال الدين أبو المحاسن (إسماعيل باشا

بورسعيد تجاه النقطة التي يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مَنْرَسَةُ الطَّب. يقول محمد رمزي: «وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفة كما شاهدها باسم قنطرة المازودي إلى منتصف سنة ١٨٩٩م التي تمَّ فيها رَدَمُ هذا الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة». (استدراكات محمد بك رمزي على النجوم الزاهرة ٣٨١:٦).



أَعَدَّ قَاطَرُ الْحَلِيجِ الْكَبِيرِ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ (مِنْ كِتَابِ وَشَفِ مِصْر)

وعُرِفَت الآن بِقَنْطَرَةِ السَّدِّ من أَجْلِ أَنَّ الثِّلِيلَ لَمَّا انْحَصَرَ عن الجانبِ الشَّرْقِيِّ ، وانْكَشَفَت الأراضي التي عليها الآن حُطَّت بَيْنَ الزُّفَاقَيْنِ إلى مَوْزِدَةِ الحَلَفَاءِ ، ومَوْضِعِ الجامعِ الجَدِيدِ إلى دارِ الثُّحَاسِ ، وما وراءَ هذه الأَمَاكِنِ إلى المَرَاغَةِ وبابِ مصرِ بجوارِ الكَبَارَةِ ، وانْكَشَفَ من أراضي الثِّلِيلِ أيضًا المَوْضِعُ الذي يُعْرَفُ اليومَ بِمَنْشَأَةِ المَهْرَانِي ، صارَ ماءُ الثِّلِيلِ إذا بَدَتْ زِيَادَتُهُ يجعلُ عندَ هذه القَنْطَرَةِ سَدًّا من التُّرابِ حتى يَسْتَدَ الماءُ إليه إلى أنْ تَنْتَهِيَ الزِّيَادَةُ إلى سِتِّ عَشْرَةِ ذِرَاعًا ، فَيُفْتَحَ السَّدُّ حينئذٍ ، ويمرُّ الماءُ في الخَلِيجِ الكبيرِ ، كما ذُكِرَ في مَوْضِعِهِ من هذا الكتابِ ، والأَمْرُ على هذا إلى اليومِ .

قَنَاطِرُ السَّبَاعِ^١

هذه القَنَاطِرُ جانبها الذي يلي حُطَّ السَّبْعِ سِقَايَاتٍ من جِهَةِ الحَمْرَاءِ القُصُوفِيِّ ، وجانبها الآخرُ من جِهَةِ جَنَانِ الزُّهْرِيِّ . وأوَّلُ من أنشأها الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبُزَسَ البَنْدُقدَارِي ، ونَصَبَ عليها سِيبَاعًا من الحِجَارَةِ - فَإِنَّ رَنْكَهُ^٢ كانَ على شَكْلِ سَبْعٍ - فَعَمِلَ لها «قَنَاطِرُ السَّبَاعِ» من أَجْلِ ذلكَ ، وكانتَ عَالِيَةً مُرْتَفَعَةً .

القَنْطَرَةُ تحت مِيدَانِ السَّيِّدَةِ زَيْتَبِ الذي دَخَلَ فيه جِزَةٌ من شارعِ الكُومِي وجزءٌ آخرٌ من شارعِ مَرَامِينَا . (ابن سُلَافَ : تاريخِ الملكِ الظَّاهِرِ ٣٤٩ ، المَقْرِيزِي : السُّلُوكُ ١ : ٦٣٩ ، أبو المحاسِنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٩١ : ٧ هـ ، جُومَارُ : وصفُ مَدِينَةِ القَاهِرَةِ وقَلْعَةِ الجَيْلِ ١٦٦ - ١٦٧ ، Cresswell, K. A. C., MAE II, p. 153 .

^٢ الرُّنْكَ ج. الرُّنُوك . كلمةٌ فارسيَّةٌ - بكافٍ معقُودَةٍ كالجِليمِ المصريِّ بمعنى لَوْنٍ - تدلُّ على الشَّارَةِ أو الشُّعَارِ أو العَلَامَةِ التي يَدْخُلُهَا الشَّخْصُ لِنَفْسِهِ ويُتَّفَرَّدُ بِهَا دونَ غَيْرِهِ عندَ تَأْمِيرِ السُّلْطَانِ المَملُوكِي لَهُ . والرُّنْكَ عِبَارَةٌ عن رَشْمٍ لشيءٍ معينٍ : حيوانٍ أو طائرٍ أو أداةٍ ، وقد يُرَسِّمُ من مَنطِقَةٍ وَاحِدَةٍ أو مَنطِقَتَيْنِ ، (وَحَسْبُ تَعْبِيرِ القَلْقَشَنْدِي سَطْرَةً وَاحِدَةً أو سَطْرَتَيْنِ) وأحيانًا يَكُونُ في ثَلَاثِ مَنَاطِقٍ أَقْبَى أَكْبَرِهَا المَنطِقَةُ الوَسْطَى . وقد يَكُونُ الرُّنْكَ من لَوْنٍ وَاحِدٍ أو أَكْثَرَ من لَوْنٍ ، وإثْمًا بَسِيطٌ أو مُرَكَّبٌ . وعَادَةً مَا تَكُونُ هذه الرُّنُوكُ ذاتُ =

^١ قَنَاطِرُ السَّبَاعِ ، وسَمَّاهَا ابنُ دُفْمَاقٍ في الْإِنْتِصَارِ (٢٩١ : ٩١ : ٤) «القَنْطَرَةُ الظَّاهِرِيَّةُ» . كانتَ تُعَدُّ حَذَّ لَوَايَةِ مِصْرَ من القَاهِرَةِ . وَصَفَهَا جُومَارُ - في نَهايةِ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ - بِأَنَّهَا مَكُونَةٌ من قَنْطَرَتَيْنِ : وَاحِدَةٍ مُتَعَامِدَةٍ على الخَلِيجِ وتَفْتَحُ في مُوَاجِهَةِ مَسْجِدِ السَّيِّدَةِ زَيْتَبِ ، وَالْأُخْرَى مَائِلَةٌ عَلَيْهِ وَأَكْثَرُ عَرْضًا وتُفْضِي إلى الشَّارِعِ المؤدِّي إلى القَلْعَةِ ، أي شَارِعِ عَبْدِ المَجِيدِ اللَّيْلَانِ الآنَ [U-12, 13, 162; U-12, 160] . (وَصِفُ مَدِينَةِ القَاهِرَةِ ١٦٧) . وَهَلَّتْ قَنَاطِرُ السَّبَاعِ قَائِمَةً إلى نَهايةِ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ ، يَقُولُ مُحَمَّدُ رَمْزِي : «هذه القَنْطَرَةُ كانتَ مَوْجُودَةً على الخَلِيجِ المِصْرِيِّ ومَعْرُوفَةٌ كَمَا شَاهَدْتَهَا بِاسْمِ «قَنْطَرَةِ السَّيِّدَةِ زَيْتَبِ» ، وكانتَ تَتَكَوَّنُ من قَنْطَرَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا تُوَصِّلُ بَيْنَ شَارِعِ الكُومِي (امتدادُ شَارِعِ نَحْوِيَّتِ الآنَ) وَبَيْنَ شَارِعِ السَّدِّ ، وَالثَّانِيَةُ كانتَ تُوَصِّلُ بَيْنَ شَارِعِ مَرَامِينَا (عَبْدِ المَجِيدِ اللَّيْلَانِ الآنَ) وَبَيْنَ شَارِعِ الكُومِي» ، وَمَعَ زَدَمِ الْجِزَةِ الأَوْسَطِ من الخَلِيجِ سَنَةَ ١٨٩٨ اخْتَفَتْ هذه



أَمُودَج لِرُنُكِ الشُّلْطَانِ الطَّاهِرِ بَيْتَرَسَ



أَمُودَج لِّلرُّنُوكِ المَرْجَبَةِ

فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني ، في موضع بُشنان الخشاب حيث مؤرزة البلاط ، وتردّد إليه كثيرًا ، صار لا يُمكّن إليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع . فتضرّر من علوها وقال للأمرءاء : إنّ هذه القنطرة حين أركب إلى الميدان وأركب عليها يتألم ظهري من علوها . ويُقال إنّ أشاع هذا ، والقصد إنّما هو كراهته لتظر أثر أحد من الملوك قبله ، ويُفضّه أن يُذكر لأحد غيره شيء يُعزّف به ، وهو كلّما يمرّ بها يرى السباع - التي هي رنك الملك الظاهر - فأحبّ أن يُرملها لتبقى القنطرة منسوبة إليه ومعروفة به ، كما كان يُنقل دائمًا في مخو آثار من تقدّمه ، وتخليد ذكره ومعرفة الآثار به ونسبها له .

فاستدعى الأمير/ علاء الدين عليّ بن حسن [ابن] المرواني^١ ، والي القاهرة وشاذ الجيهات ، وأمره بهدم قناطر السباع وعمارتهما أوسع ممّا كانت بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول . فنزل ابن المرواني وأحضّر الصنّاع ، ووقّف بنفسه حتى انتهت في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مائة ، في أحسن قالب على ما هي عليه الآن ، ولم يَضَع سباع الحجر عليها .

Ars Islamica IV (1937), pp. 349-51; id., «Huit objets inédits à Blasons mamluks en Grèce et en Turquie», *Mélanges Maspero* III, pp. 97-104
Meinecke, M., «Zur ١٦٧٢:١ هـ»، *MDAIK* 28 (1972), pp. 213-87; id., «Die Bedeutung des mamlukischen Heraldik für die Kunstgeschichte», *ZDMG* XVIII Suppl. 2 (1974), pp. 213-40
الرازق: «الرنوك على عصر سلاطين المماليك»، *المجلة التاريخية المصرية* ٢١ (١٩٧٤)، ٦٧-١١٦؛ Nasser
Rabbat, *El² art. Rank VII*, pp. 445-47
ماينكه: «الرنوك والقروسة في العصر المملوكي»، *كتاب قروسة* ١، ترجمة وتحرير شهاب الصراف، ١٥٦-١٦٣.

^١ الأمير علاء الدين عليّ بن الحسن بن المرواني ، تولى ولاية القاهرة بعد سيف الدين بلبان الحسامي ، وتوفي بعد سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩ م. (الصفدي: أعيان العصر ٣: ٣٣١-٣٣٢).

= صلة دقيقة بالوظيفة التي يشغلها الأمير المملوك بحيث أنّه يمكن معرفة وظيفته من خلال رنكه . يضيف القلقشندي : «ويُشغل ذلك دهانًا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ الشكّر ، وشؤون الغلال ، والأثلاك والمراكب وغير ذلك ؛ وعلى قماش خيولهم من مخوخ ملون متقصوص ، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تُنقش على السبي والبلاسات ونحوها ، وربما جُعِلَت على الشيوف والأقواس والتراكصطوانات للخيول وغيرها» (صبح الأعشى ٦١: ٦٢) . ويُقيّص الرنوك كذلك على العماثر الدينية وشكّت على القنود ورُسِمَت على الرجاج والخشب والحزف . وأقدم رنك مُؤكّد وصلّ إلينا هو الرنك الخاص بالسلطان الظاهر بيبرس - الذي يُشير إليه المقرئ هـ - وقد تأكّد في نماذج كثيرة مماثلة على العديد من منشآته التي وصلت إلينا أهمها : قناطر بحر أبي المتبحر (فيما يلي ٥٠٧) .

(راجع حول الرنوك وأشكالها المختلفة دراسات ، Mayer, L., *Saracenic Heraldry. A Survey*, Oxford 1933; id., «A New Heraldic Emblem of the Mamluks»,

وكان الأمير أَلْبُنْبُغا المازديني قد مَرَضَ، ونَزَلَ إلى المِيدَانِ السُّلْطَانِي فَأَقَامَ بِهِ، وَنَزَلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ مِرَارًا. فَبَلَغَ المازديني ما يَحْدُثُ بِهِ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ السُّلْطَانَ لَمْ يُخْرَبْ قَنَاطِرَ السَّبَاعِ إِلَّا حَتَّى تَبَقِيَ بِاسْمِهِ، وَأَنَّهُ رَسَمَ لِابْنِ الْمَوَانِي أَنْ يَكْسِرَ سَبَاعَ الْحَجَرِ وَيَرْمِيهَا فِي الْبَحْرِ.

• وَاتَّفَقَ أَنَّهُ غُوْفِي عَقِيبَ الْقَرَاغِ مِنْ بِنَاءِ الْقَنْطَرَةِ وَرَكِبَ إِلَى الْقَلْعَةِ، فَسَرَّ بِهِ السُّلْطَانُ - وَكَانَ قَدْ سَعَقَهُ حُبًّا - فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، وَحَادَثَهُ إِلَى أَنْ جَرَى ذِكْرُ الْقَنْطَرَةِ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: أَهَجَيْتَكَ عِمَارَتَهَا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا خَوْثِدَ لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهَا، وَلَكِنْ مَا كَمَلْتُ؛ فَقَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: السَّبَاعُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا لَمْ تَوْضَعْ مَكَاتَهَا، وَالنَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ لَهُ غَرَضٌ فِي إِزَالَتِهَا لِكُونِهَا زُكَّ سُلْطَانٍ غَيْرِهِ.

١٠ فَاِمْتَنَعُ لذلِكَ، وَأَمَرَ فِي الْحَالِ يَاحْضَرُ ابْنِ الْمَوَانِي، وَأَلَزَمَهُ بِإِعَادَةِ السَّبَاعِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. فَبَادَرَ إِلَى تَرْكِيبِهَا فِي أَمَاكِئِهَا، وَهِيَ بَاقِيَّةٌ هُنَاكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؛ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا، الْمَعْرُوفَ بِصَائِمِ الدَّهْرِ، سَوَّهَ صُورَهَا كَمَا فَعَلَ بِوَجْهِ أَبِي الْهَوَلِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْبَاتِ^١. وَلِلَّهِ ذَرُّ الْقَائِلِ:

[الرجز]

١٥ وَأَمَّا غَايَةُ كُلِّ مَنْ وَصَلَ صَيْدَ بَنِي الدُّنْيَا بِأَنْوَاعِ الْحَيْلِ

قَنْطَرَةُ عُمَرُ شَاه

هذه القنطرة على الخليج الكبير بخط^(a)، يتوصل منها إلى بَرِّ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ^(b).

(a) ساقطة من بولاق وياض مقدار كلمة في آياصوفيا. (b) في هامش آياصوفيا: بياض سبعة أسطر.

^١ انظر فيما تقدم ١: ١٣٣٣ وفيما يلي ٥٦٧. محمد بك رمزي. ومكانها الآن نجماء مدخل حازة عمر شاه في شارع بورسعيد على يسار القادم من ميدان الشجيرة زقزب، التي تؤصل إلى سيكة سوقة اللالا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٨٥ هـ^١).

^٢ وردت هذه القنطرة بنفس الاسم على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (T-11، 105)، وظلت موجودة وتُعرف بقنطرة عمارشة، إلى سنة ١٨٩٨ التي ردم فيها القسم الأوسط من الخليج، وشاهدتها

قَنْطَرَةُ طُقُزْدُمَر

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير، بِحُطِّ الْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ، يُتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ وَجُكْرَ قَوْصُونٍ وَغَيْرِهِ^(a) ١.

قَنْطَرَةُ آقِ سُنْقَر

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير، يُتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى^(b) حُطِّ قَبْوِ الْكِرْمَانِيِّ وَمِنْ حَاوِزَةِ الْبَدِيعِيِّينَ، الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْحَبْيَانِيَّةِ، وَيُخْرُجُ مِنْ قَوْفِهَا إِلَى بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ. وَعُرِفَتْ بِالْأَمِيرِ آقِ سُنْقَرٍ، شَاذَ الْعَمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ، عَمَّرَهَا لَمَّا أُنْشِئَ الْجَامِعُ بِالْبُرْجَةِ النَّاصِرِيَّةِ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ٢.

قَنْطَرَةُ بَابِ الْحَرْقِ ٣

هذه القَنْطَرَةُ على الخَلِيج الكبير، كَانَ مَوْضِعُهَا سَاحِلًا وَمَوْزِدَةً لِلشَّقَاتَيْنِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ. فَلَمَّا أُنْشِئَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ الْمَيْدَانِ السُّلْطَانِي بِأَرْضِي اللُّوقِ، وَعَمَّرَ بِهِ ١٠.

(a) في هامش آباوصوفيا: يياض ثمانية أسطر. (b) بولاق: إليها من.

^١ وَزِدَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ «قَنْطَرَةُ دَرْبِ الْجَمَامِيزِ» (R-10, 47)، وَزَالَتْ سَنَةَ ١٨٩٨ مَعَ رَدْمِ الْقِسْمِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْخَلِيجِ، وَشَاهَدَهَا مُحَمَّدُ بَكْ رَمْزِي. وَبَدُلَ عَلَى مَكَانِهَا الْآنَ مَدْخَلُ شَارِعِ قَنْطَرَةِ دَرْبِ الْجَمَامِيزِ بِشَارِعِ بُورْسَعِيدٍ، الْمَوْصِلُ إِلَى حَارَتِي السُّلْطَانِ الْخَنَفِيِّ وَالْهَيْيَاتِ حَيْثُ مَسْجِدُ الْأَمِيرِ يُوسُفَ شُورَبْجِي. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٩٤:٩، ١٠، ٧٥:٥).

حُطِّ قَبْوِ الْكِرْمَانِيِّ يَتَّعُ شَرْقِيَّ الْخَلِيجِ الْمِصْرِيِّ وَمَكَانُهُ الْآنَ الْقِسْمُ الْأَوْسَطُ مِنْ شَارِعِ دَرْبِ الْجَمَامِيزِ (بُورْسَعِيدٍ) فِي الْمَسَافَةِ بَيْنَ سَبْكَةِ الْحَبْيَانِيَّةِ وَبَيْنَ حَارَةِ السَّادَاتِ خَلْفَ جَامِعِ بُشْتَاكِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِجَامِعِ مِصْطَفَى فَاضِلٍ (الْشَيْخُ رَفَعَتْ). وَوُرِدَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ «قَنْطَرَةُ شَنْقَرِ» (P-10, 69)، وَشَاهَدَهَا مُحَمَّدُ بَكْ رَمْزِي قَبْلَ زَوَالِهَا بِزَمَنِ الْجُزْءِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْخَلِيجِ سَنَةَ ١٨٩٨، وَكَانَتْ تَجَاهُ مَدْخَلَ شَارِعِ قَنْطَرَةِ شَنْقَرِ الْمَوْصِلِ إِلَى شَارِعِ إِسْمَاعِيلِ أَبُو جَبَلٍ (دَرْبِ الْحَبْخَرِ سَابِقًا). (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٠٩:٩، ١١، ٢٧٤:٥).

^٣ حَاشِيَةُ بِحُطِّ الْمُؤَلَّفِ: «يُقَالُ لِلْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي =

وَانْظُرْ عَنِ الْأَمِيرِ طُقُزْدُمَرٍ، فِيمَا تَقَدَّمَ ٣٨٨.

^٢ أُنْشِئَتْ قَنْطَرَةُ آقِ سُنْقَرٍ نَحْوَ عَامِ ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وَكَانَ يُتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى قَبْوِ الْكِرْمَانِيِّ وَسَبْكَةِ الْحَبْيَانِيَّةِ. وَكَانَ

الْمُنَاطِرُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، أَنْشَأَ هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ لِيَمُرَّ عَلَيْهَا إِلَى الْمَيْدَانِ الْمَذْكُورِ؛ وَقِيلَ لَهَا قَنْطَرَةُ بَابِ الْحَزَقِ^١.

قَنْطَرَةُ الْمُوسِكِيِّ

- هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ، يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مِنْ بَابِ الْخَوْخَةِ وَبَابِ الْقَنْطَرَةِ^٢، وَيَمُرُّ فَوْقَهَا إِلَى بَرِّ الْخَلِيجِ الْقَرْيَةِ^٣. أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ مُوسَى بْنُ جُحْرَا [وَهُوَ ابْنُ خَالِ]^٤ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ. وَكَانَ خَيْرًا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَيُؤَاطِبُ عَلَى تِلَاوَتِهِ، وَيُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ وَيُؤَثِّرُهُمْ. وَمَاتَ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ^٥.

قَنْطَرَةُ الْأَمِيرِ حُسَيْنِ

- هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ، وَيَتَوَصَّلُ مِنْهَا إِلَى بَرِّ الْخَلِيجِ الْقَرْيَةِ. فَلَمَّا أَنْشَأَ الْأَمِيرُ سَيِّفَ الدِّينِ حُسَيْنَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جُنْدَرٍ^٦ بِكَ الزُّرُمِيِّ الْجَامِعِ الْمَعْرُوفِ بِجَامِعِ الْأَمِيرِ حُسَيْنِ فِي جُحْرٍ جَوْهَرِ الثُّورِيِّ، أَنْشَأَ هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ لِيَصِلَ مِنْ فَوْقِهَا إِلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ^٧.

(a) مسودة الخطط: يتوصل إليها من خط بين السورين. (b) بولاق: موسك قريب السلطان، والمثبت من مسودة الخطط. (c) بولاق: حيدر.

= تخرقها الرِّيح لاستوائها: الخرق. وقد وزدت هذه العبارة في بولاق وعائلة النسخ المعتمدة عليها في صُلْبِ الْمَثْنِ.

^١ المقرئ: مسودة الخطط ١٥٦ و؛ وفيما يلي ٦٢٧. وكانت قَنْطَرَةُ بَابِ الْحَزَقِ تربط بين شارعِي تَحْتِ الرُّوْبَعِ وَحَسَنِ الْأَكْبَرِ الْآنَ الَّذِي يُؤَدِّي عِبْرَ شَارِعِ عَلِيِّ ذُو الْفَقَارِ (الصَّنَافِيرِيِّ سَابِقًا) إِلَى مَوْقِعِ الْمَيْدَانِ الصَّالِحِيِّ. وَوُزِدَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ بِنَفْسِ الْأَسْمِ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةِ ١٧٩٨ (١-9، 235)، وَقَدْ زَالَتْ كَذَلِكَ عَامَ ١٨٩٨، وَكَانَتْ تَقَعُ عَلَى الْخَلِيجِ فِي مَوَاجِهَةِ شَارِعِ جَوْهَرِ الْقَائِدِ شِمَالِ تَقَاطُعِ شَارِعِ الْأَزْهَرِ مَعَ شَارِعِ بُورْسَعِدِ الْآنَ.

^٢ المقرئ: مسودة الخطط ١٨٢ و.

^٣ فيما يلي ٣٠٦.

وَوُزِدَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي =

الْحَزَقِ اسْتَبْدَلَتْ فِي أَيَّامِ الْحَيْدِيُو إِسْمَاعِيلَ، وَأُطْلِقَ عَلَى الْمَيْدَانِ اسْمُ بَابِ الْحَلَقِ (أَحْمَدُ مَاهِرُ الْآنَ)؛ لَكِنَّهُ أَزْدَحَامُ التَّاسِ بِهِ. وَهَذِئَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَامَ ١٨٧٣ مَعَ فَتْحِ شَارِعِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ

وكان يُتوصَّل إليها من باب القنطرة، فنُقل عليه ذلك، واحتاج إلى أن فتَح في الشور الخوخة المعروفة بخوخة الأمير حسين من الوزيرية، فصارت تجاه هذه القنطرة. وقد ذُكر خيَرها عند ذكر الخوخ^١.

قنطرة باب القنطرة

هذه القنطرة على الخليج الكبير، يُتوصَّل إليها من القاهرة، ويُمَرُّ فوقها إلى المقس وأرض الطَّيَّالَة^٢. وأوَّل من بناها القائد جوهر لما نَزَلَ بِمُناجِه وأدار الشور عليه وبَنَى القاهرة. ثم قَدِم عليه القزمتي، فاحتاج إلى الاستعداد لحاربه، فحَفَرَ الحَنْدَق، وبَنَى هذه القنطرة على الخليج عند باب جنان أبي المينك كافور الإخشيد، الملاصق للميدان والبستان الذي للأمير أبي بكر محمد الإخشيد، ليتوصَّل من القاهرة إلى المقس، وذلك في سنة اثنين وستين وثلاث مائة، وبها تَسْمَى باب القنطرة. ١٠

وكانت مُرتَفَعَةً بحيث تَمُرُّ المراكب من تحتها، وقد صارت في هذا الوقت قَرِينَةً من أرض الخليج لا يمكن للمراكب العبور من تحتها، وتُسَدُّ بأبوابٍ خَوْفًا من دُخُول الرُّعَاة إلى القاهرة.

قنطرة باب الشعيرية

هذه القنطرة على الخليج الكبير، يُشَلِّك إليها من باب الفُتُوح، ويُمَشَّى من فوقها إلى أرض الطَّيَّالَة، وتُعرَف اليوم بقنطرة الخزوي^٣ (a). ١٥

(a) في هامش أباصوفيا: يماض أربع أسطر.

= رَسَمَهَا علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (L-9, 10)، وكانت تُزَيِّط عبر الخليج بين شارع الاستئناف الحالي (شمال محكمة باب الحلَق) وشارع قنطرة أمير حسين على الجانب الآخر من شارع بورسعيد الآن.

^١ فهما تقدم ١٤٧.

١٩١٧/١٥١١ م. (ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ٢٣٩)، وكانت تقع أمام مدخل شارع أمير الجيوش. ^٢ وَرَدَتْ هذه القنطرة على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم القنطرة الجديدة أيضًا (D-8, 396)، وكانت تقع على الشُّقَّة الغربية للخليج بجوار جامع القذوي الذي كان على رأس سكة الفجالة وأزيل من مكانه عند توسيع شارع الخليج في خمسينيات القرن العشرين.

^٣ وَرَدَتْ هذه القنطرة على خريطة القاهرة التي رَسَمَهَا علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم القنطرة الجديدة (G-8, 56)، وهذه القنطرة رَتَمَهَا السلطان النوري سنة

القنطرة الجديدة

هذه القنطرة على الخليج الكبير، يُتَوَصَّل إليها من رُقاق الكُحل وخط جامع الظاهر، ويُتَوَصَّل منها إلى أرض الطبالة والي مئنة السريج وغير ذلك^١. أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة خمس وعشرين/ وسبع مائة، عندما انتهى حفر الخليج الناصري.

- وكان ما على جانبي الخليج من القنطرة الجديدة هذه إلى قناطر الإوز عامراً بالأفلاك، ثم خربت شيئاً بعد شيء من حين حَدَثَ فصل الباردة بعد سنة ستين وسبع مائة، وفُحِشَ الخرابُ هناك منذ كانت سنة الشراقي في زمن الملك الأشرف شُعبان بن حُسين في سنة سبع وسبعين وسبع مائة. فلما غرقت الحُسينيَّة بعد سنة الشراقي، خربت المساكن التي كانت في شَرْقي الخليج ما بين القنطرة الجديدة وقناطر الإوز، وأُحْدِثَ أنقاضها، وصارت هذه البرك الموجودة الآن.

قناطر الإوز

هذه القناطر على الخليج الكبير، يُتَوَصَّل إليها من الحُسينيَّة، ويُشَلِّك من فَوْقِهَا إلى أراضي البُعل وغيرها^٢. وهي أيضاً ممَّا أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبع مائة. وأذْرَكَتْ هُنَاكَ أَفْلاكاً مُطِلَّةً على الخليج بعد سنة ثمانين وسبع مائة.

- وهذه القناطر من أَحْسَنِ مُنْتَزَهَاتِ أَهْلِ القَاهِرَةِ أَيَّامَ الخَلِيجِ لما يصير فيه من الماء، ولما على حافتيه الشَّرْقية من البساتين الأنيقة، لِأَنَّهَا الآنَ قد خُرِبَتْ. وَتَجَاهُ هذه القنطرة مَنْظَرَةُ البُعل، التي تَقْدَمُ

^٢ قناطر الإوز. كانت تتكوَّن من غُفَّتَيْنِ، وَوَزِدَتْ على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ (A-394)، وَظَلَّتْ قائِمةً على الخليج المصري وتعرف باسم قنطرة الوِز (ويقال لها أيضاً قنطرة الوِزَّة) حتى تمَّ رَدَمُ القسم الأول من الخليج المصري من جهة غُفْرَةِ سنة ١٨٩٧. وقد شَاهَدَهَا محمد بك رمزي أيضاً وَخَدَّدَ موضعها في شارع بورسعيد تجاه الحارة المعروفة خطأً باسم حارة قنطرة الظاهر، وكانت تقع على بعد ١٨٠ مترًا شمال القنطرة الجديدة المذكورة في الهامش السابق. (نفسه).

^١ القنطرة الجديدة. وَزِدَتْ على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بنفس الاسم (A-393)، وَظَلَّتْ قائِمةً على الخليج المصري وتعرف بقنطرة الظاهر (ويقال لها أيضاً قنطرة الإسماعيلي لوقوعها عند دار الشيخ محمد الإسماعيلي أحد مشايخ الأزهر في نهاية القرن التاسع عشر) حتى تمَّ رَدَمُ القسم الأول من الخليج المصري من جهة غُفْرَةِ سنة ١٨٩٧. وقد شَاهَدَهَا محمد بك رمزي وَخَدَّدَ موقعها في شارع الظاهر عند تلاقيه بشارع بورسعيد. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٩ هـ١٩٠٩).

ذكرها عند ذكر مناظر الخلفاء ، وبقيت آثارها إلى الآن ^١ . أدركناها يَغطِين فيها الكَثَنان ، وبها
عُرِفَت الأرض التي هناك ، فشُمِيت إلى الآن بأرض البغل .

وكان هناك صَفٌّ من شَجَرِ الشَّنَط قد امتدَّ من تجاه قناطر الإوزِّ إلى مَنْطَرَةِ البغل ، وصار
فاصلاً بين مزرعتين يجلس الناسُ تحته في يومي الأحد والجمعة للثَّزَّة ، فيكون هناك من أصناف
النَّاس رجالهم ونسائهم ما لا يَنقُصُ عليه حَضَرٌ ، ويُباعُ هناك ما يَكُلُ كثيرة .

وكان هناك حاثوث من طين تجاه القَنْطَرَةِ يُباعُ فيها السَّمَك ، أدركتها وقد استؤْجِرَتْ بخمسة
آلاف درهم في السنة ، عنها يومئذٍ نحو مائتين وخمسين مِثقالاً من الذَّهَب . على أنَّه لا يُباعُ فيها
السَّمَك إلا نحو ثلاثة أشهر أو دون ذلك .

ولم يَزَلْ هذا الشَّنَط إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة فَقُطِعَ . وإلى اليوم تجتمعُ النَّاسُ هناك ،
ولكن شَتان بين ما أدركنا وبين ما هو الآن ؛ وقيل لها قناطر الإوزِّ .

قَنَاطِرُ بَنِي وَائِلَ

هذه القَنَاطِرُ على الخليج الكبير تجاه النَّاج ، أنشأها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون في سنة خمس
وعشرين وسبع مائة . وعُرِفَتْ بقَنَاطِرِ بَنِي وَائِلَ ؛ من أجل أنَّه كان بجانبها عِدَّةُ منازلٍ يسكنها عَرَبٌ
ضِعَافٌ بالجانب الشرقي ، يقال لهم بنو وائل ، ولم يَزَالوا هناك إلى نحو سنة تسعين وسبع مائة ^٢ .
وكان بجانب هذه القَنَاطِرِ ، من الجانب الغربي ، مَقْعَدٌ أَخَذَهُ الوَزِيرُ الصَّاحِبُ سَعْدُ الدِّين
نَضْرُ الله بن البُقْري لأَخْذِ المُكُوس ، واستمرَّ مُدَّةً ثم خَرِبَ . ولم يُرَ أَحْسَنُ منظراً من هذه القَنْطَرَةِ
في أَيَّامِ الثَّيْلِ وَزَمَنِ الرَّيِّع .

قَنْطَرَةُ الْأَمِيرِيَّةِ

هذه القَنْطَرَةُ هي آخِرُ ما على الخليج الكبير من القَنَاطِرِ بِصَوَاجِي القاهرة ، وهي تجاه
النَّاحِيَةِ المعروفة بِالْأَمِيرِيَّةِ فيما بينها وبين المَطَرِيَّةِ . أنشأها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون

^١ فيما تقدم ٥٦٥:٢ - ٥٦٧ . وإلى عَرَبِ بَنِي وَائِلَ هؤلاء - الذين كانوا يقيمون بجانبها -

^٢ قناطر بني وائل ، كانت تقع عند النقطة التي يلتقي فيها
الآن متدخل حي الزاوية الحمراء مع شارع بورسعيد .
القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٤ ق ٢ ج ١ (١٦:١) .
ينسب الحي المعروف الآن بالوابلي (الوابلية) . (محمد رمزي :

في سنة خمس وعشرين وسبع مائة^١.

وعند هذه القنطرة يُنْسَدُ ماء النيل إذا فُتِحَ الخَلِيجُ عند وِفَاءِ زيادة النيل ست عشرة ذراعاً ، فلا يزال الماء عند سدّ الأميرية هذا إلى يوم النوروز ، فيخرج والي القاهرة إليه ، ويشهد على مشايخ أهل الصّواحي بتغليق أراضي نواحيهم بالرّي . ثم يُفْتَحُ هذا السّدّ ، فيمرّ الماء إلى جسر شيبين القصر ، ويُسَدُّ عليه حتى يزوي ما على جانبي الخَلِيج من البلاد . فلا يزال الماء واقفاً عند سدّ شيبين إلى يوم عيد الصّليب . وهو اليوم السابع عشر من النوروز . فيُفْتَحُ حينئذٍ بعد مُحمول الرّي جميع تلك الأراضي^٢ . وليس بعد قنطرة الأميريّة هذه قنطرة سوى قنطرة ناحية ميرياقوس ، وهي أيضاً لإنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون . وبعد قنطرة ميرياقوس جسر شيبين القصر ، وسيأتي ذكره عند ذكر الجُصور من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى^٣.

(«القناطر التي على الحاج الناصري»^٤)

قنطرة الفخر

هذه القنطرة بجوار مؤرّدة البلاط ، من أراضي بُشتان الخشّاب برأس الميدان^٥ ، وهي أوّل قنطرة عُمرت على الخَلِيج الناصري على فيه ، أنشأها القاضي فخر الدّين محمد بن فضل الله بن

(a-a) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقرري : السلوك ٢ : ٢٦٣ .

^٢ فيما يلي ٥٦٣ .

^٤ أورد المقرري في مسودة الخطط هذا العنوان ، ثم ذكر القناطر الخمس الموجودة على الخَلِيج الناصري في قنطرة واحدة مطوّلة (مسودة الخطط ١٧٢ ظ) ؛ كما أوردتها ابن إياس في حوادث سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م تحت عنوان «القناطر التي بناها السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الخَلِيج الناصري الذي حفره» . (بدائع الزهور ١/١ : ٤٥٩) .

^٥ قنطرة الفخر . كانت تقع عند تقاطع شارع البرجاس (دار الشفا) مع شارع عائشة التيمورية (الوالدة باشا) في منطقة -

وشاهد محمد بك رمزي قنطرة الأميرية المَهْدُة ، وكانت لا تزال قائمة على الجزء الذي لم يؤدّم من الخَلِيج المصري خارج مدينة القاهرة والذي كان محاذاً للترعة الإسماعيلية من الجهة الشرقية (والذي تمّ زلّته الآن) ، وكانت مياهه تُستخدَم قبل سنة ١٩٤٢ لري الأراضي الواقعة عليه . ويُذَلّ على موقعها الآن النقطة التي يلتقي فيها شارع الشّواح بشارع بورسعيد . (أبو الحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ٨٣٣) .

^٦ فيما تقدم ١ : ٧٢١ - ٧٢٤ .

حُرُوف الْقَيْطِي - المعروف بِالْفَخْر نَاطِر الْجَيْش - في سنة خمس وعشرين وسبع مائة عند انتهاء حَقْرِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِي^١. ومات في رَجَب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة، وقد أَنَفَّ عَلَى السَّبْعِينَ سَنَةً، وَتَمَكَّنَ فِي الرِّيَاسَةِ تَمَكُّنًا كَبِيرًا^٢.

قَنْطَرَةُ قَدَادَار

- هذه الْقَنْطَرَةُ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِي، يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مِنَ اللَّوْق، وَيُمَشَى فَوْقَهَا إِلَى بَرِّ الْخَلِيجِ النَّاصِرِي مِمَّا يَلِي النَّيْل^٣. وَأَوَّلُ مَا وُضِعَتْ كَانَتْ تَجَاهُ الْبُشْتَانَ الَّذِي كَانَ مَبْدَأًا فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ، إِلَى أَنْ أَنشَأَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْمِيدَانَ الْمَوْجُودَ الْآنَ بِمَوْزِدَةِ الْبِلَاط، مِنْ جَمَلَةِ أَرَاظِي بُشْتَانَ الْخَشَّاب، فَفَرَسَ فِي الْمِيدَانِ الظَّاهِرِي الْأَشْجَارَ وَصَارَ بُشْتَانًا عَظِيمًا كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَاب^٤.
- وَعُرِفَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَدَادَار^٥، تَمْلُوكِ الْأَمِيرِ بُرْغِي، وَكَانَ خَبْرُهُ أَنَّهُ تَنَقَّلَ فِي الْخِدْمِ حَتَّى وَلِيَ الْغُرَبِيَّةَ مِنْ أَرَاظِي مِصْرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، فَلَقِيَ أَهْلَ الْبِلَادِ مِنْهُ شَرًّا كَثِيرًا، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى وِلَايَةِ الْبَحِيرَةِ.

(a) بولاق : الغبل .

وقَنْطَرَةُ الْمَدَائِغِ [M-16, 358]. ومكانها الآن قرب نقطة تلاقي شارع يوسف الجندي (الحوياتي سابقًا) مع شارع صبري أبو علم (جامع شركس سابقًا)، حيث كان الخليفة الناصري يؤم في هذه الجهة. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨٢:٩هـ).

^٤ فيما يلي ٦٣٥.

^٥ الأمير سيف الدين قدادار (قدودار، قدينار)، ولأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولاية القاهرة بعد الأمير عَلم الدين بيتر الحازن في شهر رمضان سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، وتوفي سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م. (الصفدي : أعيان العصر ٧٩:٤-٨٠، الوافي بالوفيات ٢٤:٢٠٦ ابن حجر : الدرر الكامنة ٣:٣٢٨-٣٢٩).

= جاردن سيتي الحالية. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨٢:٩هـ).

^١ المقرري : السلوك ٢:٢٦٢، مسودة المخطوط ١٧٢.

^٢ القاضي الرئيس قُحْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ قُضَلِ اللَّهِ بْنِ حُرُوفِ الْقَيْطِي، نَاطِرُ الْجَيْشِ بِالْمَدِينَةِ الْمِصْرِيَّةِ، التَّوَفَّى سَنَةَ ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م. (الصفدي : أعيان العصر ٥٣:٥-٥٨، الوافي بالوفيات ٤:٣٣٥-٣٣٧، المقرري : المقفى الكبير ٦:٥١٦-٥٢٠، السلوك ٢:٣٥٤؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ٤:٢٥٥-٢٥٦؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩:٢٩٥).

^٣ قَنْطَرَةُ قَدَادَار. هي نفسها الْقَنْطَرَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْخَرِيطَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ

فلما كان في سنة أربع وعشرين، / كَثُرَت الشَّاعَةُ في القَاهِرَةِ بسبب المُلُوسِ، وَتَعَتَّتِ النَّاسُ فيها، وَامْتَنَعُوا مِنْ أَخْذِهَا حَتَّى وَقَفَ الْحَالُ وَتَحَسَّنَ الشَّعْرُ. وَكَانَ حِينَئِذٍ يَتَقَلَّدُ الْوِزَارَةَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ مَغْلَطَايَ الْجَمَالِي، وَيَتَقَلَّدُ وِلَايَةَ الْقَاهِرَةِ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنْجَرِ الْخَارِزِ.

فلما تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى السَّرْحَةِ بِنَاحِيَةِ سِيرِيَاقُوسَ، بَلَغَهُ تَوَقُّفُ الْحَالِ، وَطَمَعُ الشُّوْقَةِ فِي النَّاسِ، وَأَنَّ مُتَوَلِّيَ الْقَاهِرَةِ فِيهِ لَيْتٌ، وَأَنَّهُ قَلِيلُ الْحَزْمَةِ عَلَى الشُّوْقَةِ. وَكَانَ السُّلْطَانُ كَثِيرَ الثُّغُورِ مِنَ الْعَامَّةِ شَدِيدَ الْبُغْضِ لَهُمْ، وَيُرِيدُ كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الْخَارِزِ أَنْ يَتَطَلَّشَ بِالْحَرَافِيشِ وَيُؤَثِّرَ فِيهِمْ آثَارًا قَبِيحَةً، وَيُشَهِّرَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، فَلَمْ يَبْلُغْ مِنْ ذَلِكَ غَرَضَهُ فَكْرَهُ، وَاسْتَدْعَى الْأَمِيرَ أَرْغُونَ نَائِبَ السُّلْطَنَةِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِالْإِعْلَازِ فِي الْقَوْلِ عَلَى الْخَارِزِ بِسَبَبِ فُسَادِ حَالِ النَّاسِ، وَهَمَّ بِرُوزِ أَمْرِهِ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَالَهُ.

فَمَازَالَ بِهِ النَّائِبُ حَتَّى عَفَا عَنْهُ، وَقَالَ: السُّلْطَانُ يَعِزُّلُهُ وَيُوَلِّي مِنْ يَنْقَعُ فِي مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ. فَاخْتَارَ وِلَايَةَ قَدَادَارَ عَوَضَهُ لَمَّا يَعْرِفُ مِنْ يَقْظَتِهِ وَشَهَامَتِهِ وَجَرَائِئِهِ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، فَاسْتَدْعَاهُ مِنَ الْبَحِيرَةِ، وَوَلَّاهُ وِلَايَةَ الْقَاهِرَةِ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ أَنْ أَخْضَرَ الْخَبَازِينَ وَالبَاعَةَ، وَضَرَبَ كَثِيرًا مِنْهُمْ بِالْمَقَارِيعِ ضَرْبًا مَبْرَحًا، وَسَمَّرَ عِدَّةً مِنْهُمْ فِي ذُرَارِبِ حَوَانِيئِهِمْ، وَنَادَى فِي الْبَلَدِ: «مَنْ رَدَّ فَلَسْنَا سُمْرًا»، ثُمَّ غَرَضَ أَهْلَ السَّجَنِ، وَوَسَّطَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَفْسِدِينَ عِنْدَ بَابِ زَوِيلَةَ، فَهَابَتْهُ الْعَامَّةُ وَذُعِرُوا مِنْهُ.

وَأَخَذَ يَتَّبِعُ مِنْ غَضَرِ خَفَرًا، وَأَخْضَرَ غَرِيفَ الْحَمَالِينَ وَأَلَزَمَهُ بِإِخْصَارِ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ الْعِنَبَ. فَلَمَّا خَضَرُوا عِنْدَهُ اسْتَمْلَاهُمْ أَسْمَاءً مِنْ يَشْتَرِي الْعِنَبَ وَمَوَاضِعَ مَسَاكِينِهِمْ، ثُمَّ أَحْضَرَ خُفَرَاءَ الْحَارَاتِ وَالْأَخْطَاطِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى دَلَّوْهُ عَلَى سَائِرِ مَنْ غَضَرَ الْخَمْرَ.

فَاشْهَرَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ وَخَافُوهُ؛ فَحَوَّلَ أَهْلَ حَاوَةِ زَوِيلَةَ وَأَهْلَ حَاوَتِي الرُّومِ وَالْدَّيْلَمِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمَاكِينِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْخَمْرِ، وَضَبُّوْهَا فِي الْبَلَالِيْعِ وَالْأَقْنِيَةِ، وَالْقَوَاهِ فِي الْأَرْقَةِ، وَبَدَّلُوا الْمَالَ لِمَنْ يَأْخُذُهَا مِنْهُمْ. فَحَصَلَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْأَطْرَافِ مِنْهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ، حَتَّى صَارَتْ تُبَاعُ كُلُّ جِرَّةٍ خَمْرٍ بِدِرْهَمٍ، وَيُمَوِّدُ النَّاسُ بِأَبْوَابِ الدُّورِ وَالْأَرْقَةِ فَتَرَى مِنْ جِرَارِ الْخَمْرِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَشَيْءٍ مِنْهَا.

ثُمَّ رَكِبَ وَكَبَسَ خُطَّ بَابِ اللُّوقِ، وَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْحَشِيشِ وَأَحْرَقَهُ عِنْدَ بَابِ زَوِيلَةَ، وَاسْتَمَرَ الْحَالُ مُدَّةَ شَهْرٍ مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُهْرَقُ فِيهِ خَمْرٌ عِنْدَ بَابِ زَوِيلَةَ، وَيُحْرَقُ حَشِيشٌ. فَطَهَّرَ اللَّهُ بِهِ الْبَلَدَ مِنْ ذَلِكَ جَمِيعَهُ، وَتَتَبَعَ الرُّغَارَ وَأَهْلَ الْفَسَادِ، فَخَافُوهُ وَقَرَّوْا مِنَ الْبَلَدِ.

فصارَ السُّلْطَانُ يشكره ، ويثني عليه لما يبلغه من ذلك ، وأما العائمةُ فَإِنَّهُ ثَقُلَ عليها وكَبُرَ هَتْهُ ، حتى إِنَّهُ لما تَأَمَّرَ ابنُ الأميرِ بِكَثْمَرِ السَّاقِي ، وَرَكِبَ إلى القُبَّةِ الْمُتَّصِرَةِ على العادةِ ومعه أبوه والثَّائِبُ وسائرُ الأُمَرَاءِ ، صاحَبَتِ العائمةُ للأميرِ بِكَثْمَرِ السَّاقِي : يا أميرُ بِكَثْمَرِ بحياةِ وَلَدِكَ اغزِلْ هذا الظَّالِمَ ، وَرَدِّ عَلَيْنَا وَإِلَيْنَا - يَغْنُونُ الْحَازِنُ .

- ٥ فلَمَّا عَرَفَ بِكَثْمَرِ السُّلْطَانِ ذلكَ أعجبه ، وقال : يا أميرُ ما تَخْشَى العائمةُ والشوقُ إِلَّا ظالِمًا مثلَ هذا ما يَخَافُ اللهُ تعالى . وزاد إعجابُ السُّلْطَانِ به حتى قال له : لا تُشاورِ في أَمْرِ المفسدين . فلم يَغْتَرِ بذلك ، وَرَفَعَ إليه جميعَ ما يَتَّقِي له ، وشاورَه في كُلِّ جليلٍ وحقيرٍ ، وقال له : إِنَّ جَماعَةً من الكُتَّابِ والتُّجَّارِ قد عَصَرُوا الحُمْرَ ، واستأذنه في طَلَبِهِمْ ومُصادَرَتِهِمْ . فتَقَدَّمَ له بمشاورَةِ النَّائِبِ في ذلك ، وإعلامه أَنَّ السُّلْطَانِ قد رَسَمَ بالكَشْفِ عَمَّنْ عَصَرَ من الكُتَّابِ والتُّجَّارِ الحُمْرَ . فلَمَّا صارَ إلى النَّائِبِ وعَرَفَهُ الخبرَ ، أهانَه وقال : إِنَّ السُّلْطَانِ لا يَرْضَى بِكَبْسِ يَبُوتِ النَّاسِ ، وهَتَكَ حُرْمِهِمْ ١٠ وسَرَّهَمُ وإقامةِ الشَّناعاتِ . وقامَ من قُورِهِ إلى السُّلْطَانِ ، وعَرَفَه ما يكونُ في فِعْلِ ذلكَ من الفسادِ الكبيرِ ، وما زالَ به حتى صَرَفَ رأيَه عَمَّا أشارَ به قَدَادارُ من كَبْسِ الدُّورِ ، وأَخَذَ النَّاسُ في مُماقَنتِهِ ، والإخراقِ به في كُلِّ وقتٍ ، فَإِنَّهُ كانَ يُغْنَى بِالْحَازِنِ ، ولم يعجبه عَزْلُهُ عن الولايةِ .

- فكَثُرَ جَوْرُ قَدَادارِ ، وزادَ تَتَبُعُهُ لِلنَّاسِ ، ونادَى : «أَلَّا يَفْعَلَ أَحَدٌ حَلَقَةً في^(a) بَيْنِ الْقَضَرَيْنِ ولا يَشْمُرُ هناكَ» ، وأَمَرَ أَلَّا يَخْرُجَ أَحَدٌ من بيته بعدَ عِشاءِ الآخِرَةِ ، وأقامَ عنه نائِبًا من بَطالِي الحُسَيْنِيَّةِ ١٥ ضَمِيرِ الْمُسْطَبَةِ منه في كُلِّ يومٍ ثلاثَ مائةِ دِرْهَمٍ . وانْتَحَصَرَ النَّاسُ منه ، وضاقُوا به دُرْعًا لكثرةِ ما هَتَكَ أَستارَهُمْ ، وَخَرَقَ بِكثيرٍ من المستورين . وَتَسَلَّطَتِ الْمُشْتَصِنَةُ وَأَرْبابُ المَظالِمِ على النَّاسِ ، وكانوا إذا رَأَوْا سَكْرانًا أو شَمُّوا منه رائحةَ خَمَرٍ أَخْضَرُوهُ إليه . فتوقَّى النَّاسُ شَرَّهُ ، وشكاةِ الأُمَرَاءِ غيرَ مَرَّةٍ إلى السُّلْطَانِ فلم يَلْتَمِثْ لما يُقالُ فيه . والثَّائِبُ مستمرٌّ على الإخراقِ به إلى أن قَبِضَ عليه السُّلْطَانُ ، فحَلَا الجَوُّ لَقَدَادارِ ، وأكثرَ من سَفْكِ الدِّماءِ ، وإثْلافِ الثُّفُوسِ ، والتَّسَلُّطِ على العائمةِ ٢٠ لِبُغْضِهِمْ إِيَّاهُ . والسُّلْطَانُ يُعْجِبُهُ منه ذلكَ ، بحيثُ أَنَّهُ أَهْرَزَ مَرْسُومًا لسائِرِ عُمالِهِ ووُلائِهِ أَنَّ أَحَدًا منهم لا يَقْتَصِرُ مِمَّنْ وَجِبَ عليه الْقَصاصُ ، في النَّفْسِ أو الْقَطْعِ ، إِلَّا أن يُشاورَ فيه وَيُطالِعَ بأمرِهِ ما خَلَا قَدَادارَ مُتَوَلِّي^(b) القَاهِرَةِ ، فَإِنَّهُ لا يُشاورُ على مُفْسِدٍ ولا غيرِهِ ، وَيَدُّهُ مُطْلَقَةٌ في سائِرِ النَّاسِ . فَذَهَبَ النَّاسُ منه بِعَظائِمٍ ، وسَرَّعَ في كَيْسِ يَبُوتِ السُّعْداءِ ، وَمَشَتْ جَماعَةٌ من المُشْتَصِنِينَ في

البلد، /وَكُنْتُوا الْأُورَاقَ وَرَمَوْهَا فِي بُيُوتِ النَّاسِ بِالْتَّهْدِيدِ، فَكَثُرَتْ أَشْبَابُ الضَّرَرِ، وَكَثُرَ بَلَاءُ النَّاسِ بِهِ. وَتَعَتَّتْ عَلَى الْبَاغَةِ، وَنَادَتْ: «أَلَا يَفْتَحْ أَحَدٌ حَائُوتَهُ بَعْدَ غَشَاءِ الْآخِرَةِ»، فَاِمْتَنَعَ النَّاسُ مِنَ الْخُرُوجِ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانَتِ الْمَدِينَةُ فِي اللَّيْلِ مُوحِشَةً.

واستجدَّ على كُلِّ حَاوِةٍ دَرْبًا، وَأَلْزَمَ النَّاسَ بِعَمَلِ ذَلِكَ، فَجِيَتْ بِهَذَا السَّبَبِ دَرَاهِمُ كَثِيرَةٌ، وَصَارَ الْخَفَرَاءُ فِي اللَّيْلِ يَدُورُونَ وَمَعَهُمُ الطُّبُولُ فِي كُلِّ خُطٍّ، فَطَلَفَ بِنَاسَانٍ قَدْ سَرَقَ شَيْئًا مِنْ يَتِّمٍ فِي اللَّيْلِ وَتَرَبَّأَ بِرَيْ النَّسَاءِ، فَسَقَرَهُ عَلَى بَابِ رَوَيْلَةَ. وَمَا زَالَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَثُرَتِ الشَّنَاعَةُ، فَعَزَلَهُ السُّلْطَانُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ بِنَاصِرِ الدِّينِ ابْنِ الْحُسَيْنِيِّ. فَأَقَامَ إِلَى أَيَّامِ الْحَيِّجِّ وَسَافَرَ إِلَى الْحِجَازِ، وَرَجَعَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، فَمَاتَ فِي سَادَسِ عَشَرَ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.

قُطْرَةُ الْكُتْبَةِ

هَذِهِ الْقُطْرَةُ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، بِخُطِّ بَرْكَةِ قَرَمُوطَ، عُرِفَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ يَتَشَكَّنُ هُنَاكَ مِنَ الْكُتَّابِ^١. أَنْشَأَهَا الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ أَبِي السُّرُورِ، الشَّهِيرُ بِغُبَيْرِيَالٍ بْنِ سَعِيدٍ نَاطِرِ الدَّوْلَةِ، وَوَلَّى نَظَرَ الدَّوَاوِينِ بِدِمَشْقَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ، ثَقُلَ إِلَيْهَا مِنْ نَظَرِ الْبُيُوتِ بِدِيَارِ مِصْرَ. ثُمَّ اسْتَدْعَى مِنْ دِمَشْقَ، وَقَرَّرَ فِي وَظِيفَةِ نَاطِرِ النَّظَارِ شَرِيكًا لِلْقَاضِي شِهَابِ الدِّينِ الْأَفْقَهْسِيِّ، وَاسْتَقَرَّ كَرِيمُ الدِّينِ الصَّغِيرُ مَكَانَهُ نَاطِرًا بِدِمَشْقَ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. ثُمَّ صُرِفَ غُبَيْرِيَالٌ مِنَ النَّظَرِ بِدِيَارِ مِصْرَ، وَسُفِّرَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَامِنِ عَشَرَ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَعَشْرِينَ، وَطُلِبَ كَرِيمُ الدِّينِ الصَّغِيرُ مِنْ دِمَشْقَ. ثُمَّ قَرَّرَ فِي مَكَانِ غُبَيْرِيَالٍ فِي وَظِيفَةِ النَّظَرِ بِدِيَارِ مِصْرَ الْخَطِيرُ كَاتِبُ أَرْغُونِ أَخُو الْمُؤَقِّ، وَأُعِيدَ غُبَيْرِيَالٌ إِلَى نَظَرِ دِمَشْقَ. وَمَاتَ بِدِمَشْقَ، بَعْدَمَا صُوِّدَ وَأُجِدَ مِنْهُ نَحْوُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ.

وَأَذَرْنَا الْأَمْلَاقَ مُنْتَظِمَةً بِجَانِبِي هَذَا الْخَلِيجِ مِنْ أَوَّلِهِ بِمَوْرَدَةِ الْبِلَاطِ إِلَى هَذِهِ الْقُطْرَةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْقُطْرَةِ إِلَى حَيْثُ يَصُوبُ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ. فَلَمَّا كَانَتْ الْحَوَادِثُ بَعْدَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ

^١ قُطْرَةُ الْكُتْبَةِ. ذَكَرَهَا ابْنُ لِيَاسٍ (بَدَائِعُ الزُّهَرِ) ١ / النُقْطَةُ الَّتِي يَتَلَقَّى فِيهَا شَارِعُ ٢٦ يُولِيَّةٍ (فَوَادِ الْأَوَّلِ سَابِقًا) مَعَ شَارِعِ طَالَعَتِ حَرْبِ (سَلِيمَانَ بَاشَا سَابِقًا)، حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ. (أَبُو الْخَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٨٢-١٨٣ هـ أَوَّلًا). الْقُطْرَةُ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةِ ١٧٩٨ بِاسْمِ قُطْرَةِ الْمَغْرِبِيِّ [I-15, 360]. وَيَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِهَا الْيَوْمَ

شَرَعَ النَّاسُ فِي هَذِهِ مَا عَلَى هَذَا الْخَلِيجِ مِنَ الْمَنَاطِرِ الْبَهْجَةِ وَالْمَسَاكِينِ الْجَلِيلَةِ وَتَبَعَ انْقِاضُهَا ، حَتَّى ذَهَبَ مَا كَانَ عَلَى هَذَا الْخَلِيجِ مِنَ الْمَنَازِلِ مَا بَيْنَ قَنْطَرَةِ الْفَخْرِ - الَّتِي تَقْدِّمُ ذِكْرَهَا - وَآخِرَ حُطٍّ بِزَوْكَةِ قَرْمُوطٍ ، وَأَصْبَحَتْ مُوجِشَةً قَفَرَاءَ بَعْدَ مَا كَانَتْ مَوَاطِنَ أَفْرَاجٍ وَمَغْنَى صَبَابَاتٍ ، لَا يَأْوِيهَا إِلَّا الْغُرَبَانُ وَالْبُومُ ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ .

قَنْطَرَةُ قَسَمِ الْخَوْرِ

المَعْرُوفَةُ بِقَنْطَرَةِ الْمَقْسِيِّ (a)

هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى خَلِيجٍ فَمِ الْخَوْرِ ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْ بَحْرِ الثَّيْلِ ، وَيَلْتَقِي مَعَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ عِنْدَ الدُّكَّةِ ، فَيَصِيرَانِ خَلِيجًا وَاحِدًا يُصَبُّ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ . كَانَ مَوْضِعُهَا جِسْرًا يَسْتَنْدُ عَلَيْهِ الْمَاءُ إِذَا بَدَتْ الزِّيَادَةُ إِلَى أَنْ تَكْمُلَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا فَيُفْتَحَ ، وَيَرَى الْمَاءُ فِيهِ إِلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ وَبِزَوْكَةِ الرُّطَلِيِّ ، وَيَتَأَخَّرُ فَنَحْجُ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ حَتَّى يَزُقَى الْمَاءُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا .
فَلَمَّا انْطَرَدَ مَاءُ الثَّيْلِ عَنِ النَّبْرِ الشَّرْقِيِّ ، بَقِيَ تَجَاهَ هَذَا الْخَلِيجِ فِي أَيَّامِ اخْتِرَاقِ الثَّيْلِ زَمْزَلَةٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ إِلَّا عِنْدَ الزِّيَادَةِ ، وَصَارَ يَتَأَخَّرُ دُخُولُ الْمَاءِ فِي الْخَلِيجِ مَدَّةً ، وَإِذَا كُسِبَ سَدُّ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ عِنْدَ الْوَفَاءِ مَرَّ الْمَاءُ بِهَذَا الْخَلِيجِ مُرُورًا قَلِيلًا .

وَمَا زَالَ مَوْضِعُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ سَدًّا إِلَى أَنْ كَانَتْ وَزَارَةُ الصَّاحِبِ شَمْسُ الدِّينِ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْسِيِّ ، فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شُعْبَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، فَأَنْشَأَ بِهَذَا الْمَكَانِ الْقَنْطَرَةَ فَفَرَّقَتْ بِهِ^١ ، وَأَتَّصَلَتِ الْعِمَارُوتُ أَيْضًا بِجَانِبِي هَذَا الْخَلِيجِ مِنْ حَيْثُ يَبْتَدِئُ إِلَى أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، ثُمَّ خَرِبَ أَكْثَرُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعِمَارِ وَالْمَسَاكِينِ بَعْدَ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

وَكَانَ لِلنَّاسِ بِهَذَا الْخَلِيجِ مَعَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ فِي أَيَّامِ الثَّيْلِ مُرُورٌ فِي الْمَرَائِبِ لِلتَّهْنَةِ يَخْرُجُونَ فِيهِ عَنِ الْحَدِّ بِكَثْرَةِ التَّهْنِكِ وَالْتَّمُعِ بِكُلِّ مَا يُلْهِمِي ، إِلَى أَنْ وَلِيَ أَمْرَ الدَّوْلَةِ ، بَعْدَ قَتْلِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ

(a) مِنْ مَسْوَدَةِ الْخَطِّطِ .

^١ قَنْطَرَةُ فَمِ الْخَوْرِ الْمَعْرُوفَةُ بِقَنْطَرَةِ الْمَقْسِيِّ . كَانَتْ تَقَعُ سَابِقًا فِي مَوَاجِهُةِ قَنْطَرَةِ الْكَتْبَةِ غَرْبَ مَبْنَى مَصْلُحَةِ الشَّهْرِ فِي نَقْطَةِ تَقَابُلِ شَارِعِ رَمْسِيْسٍ مَعَ شَارِعِ ٢٦ يُولَايَةِ (فَوَادِ الْأَوَّلِ) الْمَقَارِي .

شعبان بن حسين، الأميران يوقوق وبزكة. فقام الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر، في منع المراكب من مرور بالمتفرجين في الخليج، واستفتى شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني، فكتب له بوجوب منعهم لكثرة ما يتهتك في المراكب من الخومات، ويتهاجر به من الفواحش والمكدرات. فبرز مرسوم الأميرين المذكورين بمنع المراكب من الدخول إلى الخليج، وزُكيت سلسلة من حديد^(a) على^(b) قنطرة قم الخور المعروفة^(b) بقنطرة المقيسي^(b) وعلى قنطرة الفخر التي على قم الخليج بمزودة الجيس أيضًا سلسلة^(b) في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وسبع مائة، فامتنعت المراكب بأشرها من عبور هذا الخليج، إلا أن يكون فيها غلة أو متاع، فقلق الناس لذلك وشق عليهم.

وقال الشهاب أحمد بن القطار الدنيسري في ذلك :

[الطويل]

حديث قم الخور المتسلسل ماؤه بقنطرة المقيسي قد سار في الخلي
ألا فاعجبوا من مطلق ومتسلسل يقول لقد أوقفتم الماء في خلقي

وقال :

[الرجز]

تسلسلت قنطرة المقيسي مـ ما قد جرى والمنع أضحى شاملا
وقال أهل طيبة في منجنهم قوموا بنا تقطع السلايلا

ولم تزل مراكب الفروجة تمتنع من عبور الخليج إلى أن زالت ذللة الظاهر يوقوق في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة، فأذن في دخولها، وهي مستمرة إلى وقتنا هذا^١.

قنطرة باب البحر

٢. هذه القنطرة على الخليج الناصري^١، يُوقُصِّل إليها من باب

(a) من حديد : إضافة من مسودة الخطط . (b-b) إضافة من مسودة الخطط .

^١ المقريري : مسودة الخطط ١٧٢و، في ختام الحديث على الخليج الناصري : ابن لياس : بدائع الزهور ٢/١ : ٢٤٢-٢٤٣ .
^٢ قنطرة باب البحر . هي نفسها القنطرة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم قنطرة الليمون [D-15, 355] ، وكان يقال لها أيضًا قنطرة المذبولي . وكان مكانها يقع في أول شارع سيدي -

البحر^١، ويمرُّ النَّاسُ من فوقها إلى بُولاق وغيره، وهي بِنَاءُ أَنشَأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ عند انتهاء حَفْرِ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ في سنة خمس وعشرين وسبع مائة.

وقد كان مَوْضِعُهَا فِي الْقَدِيمِ غَامِرًا بِالماء عندما كان جَائِغَ الْمَقْسُ مُطْلًا عَلَى النَّيْلِ، فَلَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ بَرِّ الْقَاهِرَةِ، صَارَ مَا قُدَّامَ بَابِ الْبَحْرِ زَمَلَةً. فَإِذَا وَقَفَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ بَابِ الْبَحْرِ رَأَى الْبَرَّ الْغَرِيبَ لَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهِ بُيُوتًا وَلَا غَيْرَهُ، فَإِذَا كَانَ أَوَّانُ زِيَادَةِ مَاءِ النَّيْلِ صَارَ الْمَاءُ إِلَى بَابِ الْبَحْرِ، وَزَيْمًا قَلَفَطَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ خَوْفًا مِنْ غَرَقِ الْمَقْسِ.

ثُمَّ لَمَّا طَالَ الْمَدَى غَرِقَ خَارِجُ بَابِ الْبَحْرِ بِأَرْضِ بَاطِنِ اللُّوقِ، وَغُرَسَ فِيهِ الْأَشْجَارُ، فَصَارَ بَسَاتِينَ وَمَزَارِعَ، وَبَقِيَ مَوْضِعُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ مَجْرُفًا، وَرَمَى النَّاسُ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَصَارَ كُومًا يُشْتَقُّ عَلَيْهِ أَرْبَابُ الْجَرَائِمِ، ثُمَّ نُقِلَ مَا هُنَاكَ مِنَ التُّرَابِ، وَأُثْبِتَتْ هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ، وَتَوَدَّى فِي النَّاسِ بِالْعِمَارَةِ. فَأَوَّلُ مَا بُنِيَ فِي غَرْبِي هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ مَسْجِدُ الْمَهَامِيزِيِّ وَبُسْتَانُهُ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ حَتَّى انْتَضَمَ مَا بَيْنَ شَاطِئِ النَّيْلِ وَبُولَاقَ وَبَابِ الْبَحْرِ عَرْضًا، وَمَا بَيْنَ مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ وَمُنْتِةِ السَّيْرِجِ طُولًا، وَصَارَ مَا بِيْجَانِي الْخَلِيجِ مَعْمُورًا بِالذُّورِ، وَمِنْ وَرَائِهَا الْبَسَاتِينَ وَالْأَشْوَاقَ وَالْحَمَّامَاتِ وَالْمَسَاجِدَ، وَتُقَسِّمَتِ الطُّرُقُ، وَتَعُدَّدَتِ الشُّوَارِعُ، وَصَارَ خَارِجُ الْقَاهِرَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرِبِيَّةِ عِدَّةً مَدَائِنَ.

قَنْطَرَةُ الْحَاجِبِ

هَذِهِ الْقَنْطَرَةُ عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، يُتَوَسَّلُ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ الطُّبَالَةِ، وَيَسِيرُ النَّاسُ عَلَيْهَا إِلَى مُنْتِةِ السَّيْرِجِ وَغَيْرِهَا^٢. أَنشَأَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَكْتُمُرُ الْحَاجِبِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ

الإسماعيلية وَنَقَّلَ فَمَهَا إِلَى جَوَارِ مَنْطَقَةِ شَبْرَا الْخِيْمَةِ، وَإِلَى هَذَا الْكُوْبَرِيِّ كَانَتْ تَنْسَبُ مَحْطَةُ كُوْبَرِيِّ اللَّيْمُونِ الَّتِي كَانَتْ بِمِيدَانِ رَمْسِيْسٍ وَخَلَّ مَحَلُّهَا الْآنَ مَبْنَى هَيْئَةِ مَتْرُو الْأَنْفَاقِ. (أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ١٨٢-١٨٣ هـ^٣ ثَانِيًا).

^١ انظر عن باب البحر، فيما تقدم ٣١٥ هـ^٣.

^٢ قَنْطَرَةُ الْحَاجِبِ: هِيَ نَفْسُهَا الْقَنْطَرَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْخَرِيْطَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمْلَةِ الْقَرْنِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ قَنْطَرَةِ الْبِكْرِيَّةِ [A-8, 424] نَسَبًا إِلَى جَامِعِ الشَّاذَةِ =

الْمَدْبُولِي (شَارِعُ الْجَلَاءِ الْآنَ) مِنْ جِهَةِ مِيدَانِ رَمْسِيْسٍ حَيْثُ كَانَ الْخَلِيجُ النَّاصِرِيُّ يَمُزُّ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ.

وَلَمَّا أُنْشِئَتْ التَّرْعَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ كَانَ قَمْعُهَا يَأْخُذُ مِنَ النَّيْلِ بِخَرِي الْمَنْطَقَةِ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الْآنَ فَنَدَقَ النَّيْلِ هَيْلَتُونَ، وَكَانَتْ تَمُرُّ مُحَادِيَةً لِشَارِعِ رَمْسِيْسٍ. وَبَعْدَ أَنْ تَخْتَرَقَ مِيدَانِ رَمْسِيْسٍ تَسِيرُ شِمَالًا إِلَى الْأَمِيرِيَّةِ. وَقَدْ أَهْمَ عَلَى هَذِهِ التَّرْعَةِ كُوْبَرِيُّ لِلْمَرُورِ، بَيْنَ مَوْضِعِ مِيدَانِ رَمْسِيْسٍ وَمَوْضِعِ مِيدَانِ مَحْطَةِ مِصْرَ، غَرِفَ بِكُوْبَرِيِّ اللَّيْمُونِ لِقَرْبِهِ مِنْ قَنْطَرَةِ اللَّيْمُونِ الْمَذْكُورَةِ، وَقَدْ انْذَنَرَ هَذَا الْكُوْبَرِيُّ مَعَ زَمَنِ الثَّرْعَةِ

مائة، وذلك أنه كانت أرض الطبالة بيده . فلما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في حفر الخليج الناصري التمس بكتنر من المهندسين ، إذا وصلوا بالحفر إلى حيث الجرف ، أن يثروا به على بركة العلوان التي تعرف اليوم ببركة الرطلي ، ويتنوها من هناك إلى الخليج الكبير ، ففعلوا ذلك . وكان قصدهم أولاً أنه إذا انتهى الحفر إلى الجرف مروا فيه إلى الخليج الكبير من طرف البغل .

فلما نهياً لبتكتنر ذلك ، عمرت له أراضي الطبالة ، كما يأتي ذكرها إن شاء الله عند ذكر البرك^١ ، فعمرت هذه القنطرة في سنة خمس وعشرين وست مائة ، وأشد إليها جسراً بجله حاجزاً بين بركة الحاجب المعروفة ببركة الرطلي وبين الخليج الناصري ، وسيرد ذكره إن شاء الله عند ذكر الجسور^٢ .

ولما عمرت هذه القنطرة اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الریش ، وعمر قبالتها ربيع عرف بربيع الریتی^٣ . وكان على ظهر القنطرة صفان من خوانيت ، وعليها سقيفة بقي حر الشمس وغيره . فلما غرق كوم الریش في سنة^٤ وستين وسبع مائة ، صار هذا الكوم الذي خارج القنطرة . ومن تحت هذه القنطرة نصب الخليج الناصري في الخليج الكبير ، ويمر إلى حيث القنطرة الجديدة وقناطر الإوز وغيرها كما تقدم ذكره .

قنطرة الذكة

هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الذكة ، ثم عرفت بقنطرة التروكماني ، من أجل أن الأمير بذر الدين^٥ التروكماني عمرها . وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر ، وقد انطم ما تحتها ، وصارت مفعودة على التراب لتلاف خليج الذكر^٦ .

(a) يياض في الأصول ، وفي بولاق : بضع . (b) يياض في الأصول .

^١ فيما يلي ٥٤٠ .

^٢ فيما يلي ٥٥٢ .

^٣ فيما تقدم ٢٥٦ .

^٤ قنطرة الذكة . أعاد الأمير أرتك من طوخ تمير .

= البكرية الموجود بجوارها . ومكانها الآن بشارع البكرة على بعد نحو ثلاثين متراً من نقطة تقابله بشارع الظاهر حيث كان الخليج الناصري يمر بهذه الجهة . (أبو الحسن : النجوم الزاهرة ١٨٢-١٨٣ هـ ثالثاً) .

ولله دَرُّ إِبْرَاهِيمِ الْمُعْمارِ حَيْث يَقول :

[السريع]

يا طَالِبَ الدُّكَّة نِلْتَ الهَناءَ^(١) وَفُزْتَ مِنْهَا بِبُلُوغِ الوَطَرِ
قَنْطَرَةٌ مِنْ فَوْقِهَا دِكَّةٌ مِنْ تَحْتِهَا ثَلَى خَلِيجِ الذِّكْرِ

قَنَايِرُ بَحْرِ أَبِي الْمُنْجَا

هذه القَنَايِرُ مِنْ أَعْظَمِ قَنَايِرِ مِصرَ وَأَكْبَرُهَا^١، أُنْشِأَهَا السُّلْطَانُ المُلْكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبَرسَ
البُنْدُقْدَارِي فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَسِتْ مِائَةٍ، وَتَوَلَّى عِمَارَتَهَا الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكُ الأَقْرَمُ^(٢).

قَنَايِرُ الْحِيْزَةِ

قال فِي كِتَابِ «عَجَائِبِ البُنْيَانِ»^٣: إِنَّ القَنَايِرَ المَوْجُودَةَ اليَوْمَ فِي الْحِيْزَةِ مِنَ الأَبْنِيَةِ العَجِيبَةِ،

(c) بولاق : المئى - (d) هنا على هامش آياصوفيا : يياض أربعة أسطر -

١٩٩٣، وتُنظَرُ عَنْ بَحْرِ أَبِي الْمُنْجَا (المعروف الآن بِترعة
الشُّوْقَاوِيَّة) فِيمَا تَقْدَمُ ٥٨٤:٢-٥٨٧). وَكَانَتْ هَذِهِ القَنَايِرُ
قَدْ تَشَقَّقَتْ وَآلَتْ إِلَى السَّقُوطِ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الأَشْرَفُ قايشاي
بِتَجْدِيدِ عِمَارَتِهَا فِي جَمَادَى الآخِرَةِ سَنَةِ ٨٩٢هـ/١٤٨٧م،
يُشَارَفُ البُلْدُرِي حَسَنُ بْنُ الطُّولُونِي، وَتَكَلَّفَ ذَلِكَ سَبْعَةَ
أَلْفٍ دِينَارٍ (ابن إِيَّاس : بدائع الزهور ٣: ٢٤٠). وَمَا تَزَالُ بَقَايَا
هَذِهِ القَنَايِرِ مَوْجُودَةً إِلَى الآنَ غَرْبِي الْمَسَاكِنِ القَائِمَةِ بِنَاحِيَةِ
مِيتَ نَمَّا بِمَرْكَزِ قَلْبِيَّوسَ وَسَطِ أَرْضِ زُرَّاحِيَّةٍ وَمُزَيَّنَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ مَدِينَةِ
الشُّبَّاعِ، وَتِلْكَ المُلْكُ الظَّاهِرُ بَيْرَسَ. (أَبُو المَحَاسَنِ : النُّجُومُ
الزَّاهِرَةُ ٧: ١٤٨هـ، ٩: ١١٤، Creswell, K. A. C., «The Works of Sultan Bibars al-Bunduqdārī in Egypt», BIFAO XXVI (1926), pp. 143-54; id., MAETI, pp. 148-54 (وانظر اللوحة).

= هَذِهِ القَنْطَرَةُ وَأَعَادَ حَفَرَ الخَلِيجَ وجعلهُ بَصْبَ فِي بَرَكَةِ
الأَرْبُكِيَّةِ الَّتِي أُنْشِأَهَا يَوْضَا عَنْ بَرَكَةِ بَطْنِ البَقَرَةِ وَعُرفَ بِاسْمِ
خَلِيجِ الأَرْبُكِيَّةِ (ابن إِيَّاس : بدائع الزهور ٣: ١١٧).
وَذَكَرَتْ القَنْطَرَةُ بِنَفْسِ الأَسْمِ عَلَى خَرِيطَةِ القَاهِرَةِ الَّتِي
رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الحِمْلَةِ الفَرَنْسِيَّةِ سَنَةِ ١٧٩٨ (F-14, 350).
ثُمَّ زَالَتْ القَنْطَرَةُ نَهَائِيًّا هِيَ وَالخَلِيجُ فِي مَشْرُوعِ تَطْوِيرِ
مَنْطَقَةِ الأَرْبُكِيَّةِ فِي عَهْدِ الحَدِيدِ إِسْمَاعِيلَ (Behrens-
Abouseif, D., op.cit., p. 5, 12). وَكَانَتْ قَنْطَرَةُ
الدُّكَّةِ تَقَعُ فِي النِّقْطَةِ الَّتِي يَلْتَقِي عَنْدهَا الآنَ شَارِعُ قَنْطَرَةِ
الدُّكَّةِ مَعَ شَارِعِ الجُمْهُورِيَّةِ. (مُحَمَّدُ الشُّشْتَاوِي : مَنَازِلُ
القَاهِرَةِ ٢٢١-٢٢٢).

وَعَنِ الأَمِيرِ بَذَرِ الدِّينِ التُّرْكَمَانِي، انظُرْ فِيمَا يَلِي
٣١٣:٢.

^١ قَنَايِرُ بَحْرِ أَبِي الْمُنْجَا. وَصَفَهَا أَبُو المَحَاسَنِ بِأَنَّهَا «مِنَ
المَبْنِيِّ العَجِيبِ فِي الحُسْنِ والإِتْقَانِ» (النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧: ١٤٨،

^٢ ابن دُقْمَاق : الانتصار ٥: ٤٧؛ ابن إِيَّاس : بدائع
الزهور ١/١: ٤٧٠.

^٣ هَذَا الكِتَابُ لِشَافِعِ بْنِ عَلِيٍّ (انظُرْ مُقَدِّمَةُ المَجْلَدِ =

ومن أعمال الجبارين، وهي تيف وأربعون قنطرة، عَمَرَهَا الأمير قَرَأقُوش الأَسدي - وكان على العمائر في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - بما هَدَمَهُ من الأهرام التي كانت بالجيزة، وأَخَذَ حَجَرَهَا بَنَى مِنْهُ هَذِهِ الْقَنَاطِرَ، وَبَنَى شُورَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَبَنَى قَلْعَةَ الْجَبَلِ^١. وكان تَحْصِيًّا رُومِيًّا سَامِي الهَيْئَةِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَحْكَامِ الْمَشْهُورَةِ وَالْحِكَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِ صُنِفَ الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ الْمُسَمَّى بِ«الْقَاشُوشِ فِي أَحْكَامِ قَرَأقُوش»^٢.

وفي سنة سبع^٣ وتسعين وخمس مائة، تَوَلَّى أَمْرَ هَذِهِ الْقَنَاطِرِ مِنْ لَا بَصِيرَةٍ عِنْدَهُ، فَسَدَّهَا رَجَاءً أَنْ يَحْبِسَ الْمَاءَ، فَقَوِيَتْ عَلَيْهَا جَرِيَّةُ الْمَاءِ فَزَلَزَتْ مِنْهَا ثَلَاثُ قَنَاطِرٍ وَانْشَقَّتْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَزُ مَا رَجَا أَنْ يَزُوي^٤.

وفي سنة ثمانٍ وسبع مائة رَسَمَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ يُنْبِزُ الْجَاشَنَكِيرَ بِرَمْلَهَا، فَغَمَّرَ/ مَا خَرِبَ مِنْهَا، وَأَصْلَحَ مَا فَسَدَ فِيهَا، فَحَصَلَ النُّفْعُ بِهَا^٥.

وكان قَرَأقُوش لما أَرَادَ بِنَاءَ هَذِهِ الْقَنَاطِرِ بَنَى رَصِيْفًا مِنْ حِجَازَةٍ ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ حَيْزِ الثُّبُلِ بِإِزَاءِ مَدِينَةِ مِصْرَ، كَأَنَّهُ جَبَلٌ مُتَدَدٌ عَلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةَ سِتَّةِ أَمْيَالٍ، حَتَّى يَنْصِلَ بِالْقَنَاطِرِ^٦ ^٥.

(a) بولاق : تسع . (b) هنا في هامش أباصوفيا يياض عشرة أسطر وصفحة .

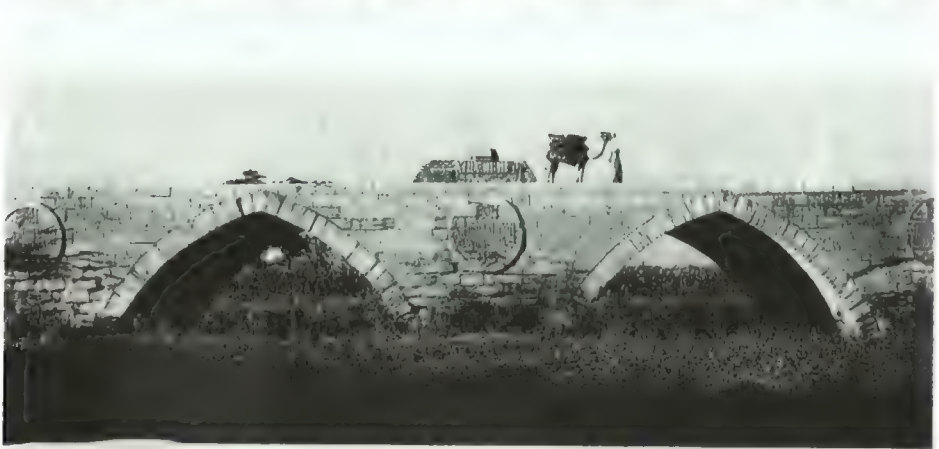
= الأول ٨٦^٥ .

^١ انظر فيما تقدم ١ : ٣٠١ ، ٣٢٥ .

^٢ هذا الكتاب من تأليف الأشهد بن ثُماني ، وانظر عن بهاء الدين قراقوش فيما تقدم ٣٠٨ هـ^٢ .

^٣ عهد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ٤٤ - ٤٥ .

^٤ بيريوس المنصوري : زبدة الفكرة ٤٠٧ ؛ المقرئ : ١٧٧ : ٦ هـ^١ .



بقايا قناطر بحر أبي اللُّججا التي أنشأها الطَّايِرُ بَنِيْس

ذِكْرُ الْبِرْكَةِ^١

قال ابنُ سِيَدَه: الْبِرْكَةُ مُشْتَقَّةُ الْمَاءِ، وَالْبِرْكَةُ شِبْهُ حَوْضٍ يُخْفَرُ فِي الْأَرْضِ^٢. انْتَهَى.
وقد رأيتُ بِحَظٍّ مُعْتَبَرٍ مَا مِثَالُهُ «وَمَلَأُوا الْبِرْكَةَ مَاءً» فَتَصَبَّ الْبَاءُ وَكَسَرَ الزَّاءُ وَفَتَحَ الْكَافُ
وَالثَّاءُ^٣.

بِرْكَةُ الْحَبَشِ

هذه البركة كانت تُعرَف بِرِوَكَةِ الْمُعَاوِرِ، وتُعرَف بِرِوَكَةِ جَعْفَرٍ، وتُعرَف أَيْضًا بِاسْطَبِلِ قُوَّة،
وُعُرِفَتْ أَيْضًا بِاسْطَبِلِ قَاش^٤ (b). وهي من أشهر بِرَكِ مِصْرَ، وهي في ظاهِرِ مَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ من
قِبَلِهَا فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالتِّلِ^٥.

(a) هنا على هامش أبيصوفيا: يباشر أربعة أسطر. (b) بولاق: قاش.

مَاءَهُ من التِّلِ جنوبي القسطنطينية؛ فكانت الأرض وقت أن
يُغمرها الماء تُشبه البركة ولهذا سُمِّيَتْ بِرْكَةً. وبعد أن ينتهي
فيضان التِّلِ ويُصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج
إلى الحِزْبِ لِيُنْهَإِ بِلِ ثَلَاثِ لَوْحًا وَتُزْرَعُ أَنْوَاعًا شَتْوِيَّةً.

وكانت هذه البركة تُشَقِّلُ مِسَاحَةً قَدَرُهَا نَحْوُ ١٥٠٠
فَدَّانٍ: منها ٢١٣ فَدَّانًا هي مجموع الزمام الذي كان يُزْرَعُ
من أراضي قرية دَفَرِ الطُّيْنِ (اسْطَبِلِ عَشْرَ)، والباقي من زمام
ناحية البساتين شمال ضاحية المعادي الحالية. وتُحَدُّ هذه
المنطقة اليوم من الشمال بصحراء القرافة الكبرى وجبل
الرُّشْدِ المعروف بجبل اسْطَبِلِ عَشْرَ وأرض قرية أَمْرِ التِّلِ في
الحَدِّ الفاصِلِ بينها وبين دَفَرِ الطُّيْنِ، ومن الغرب جسر التِّلِ
بين اسْطَبِلِ عَشْرَ وضاحية المعادي، ومن الجنوب والشرق
باقي أراضي ناحية البساتين. (تعليقات واستدراكات محمد
رمزي على النجوم الزاهرة ٥: ١٤٠، ٦: ٢٨١-٣٨٣،
محمد الششتاوي: منزهات القاهرة ٩٠-٩٧).

^١ راجع كذلك، محمد الششتاوي: منزهات القاهرة
في العصرين المملوكي والعثماني، ٩٠-١٨٦.

^٢ ابن سيده: المعجم والمحيط الأعظم ٧: ٢٣.

^٣ ابن دقماق: الاختصار ٤: ٥٥.

^٤ بِرْكَةُ الْحَبَشِ. كانت تقع جنوب مدينة القسطنطينية بين
التِّلِ والجبل المُقَطَّم، وَصَفَهَا بِالْوُثِ الحسوي في مطلع القرن
السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بأنها من أجمل عَتَرَاتِ
مِصْرَ وقال: فَرَأَيْتُهَا وَلَيْسَتْ بِبِرْكَةٍ لِلْمَاءِ وَأَمَّا شُبُهَتُ بِهَاءٍ،
لأنَّ أَكْثَرَ مَا يُحِيطُ بِهَا عَالِي عَلَيْهَا فَإِذَا امْتَلَأَتْ جَاءَ التِّلِ وَقَتَ
زِيَادَتِهِ أَشْبَهَتْ الْبِرْكَةَ. (معجم البلدان ١: ٤٠١).

وعلى ذلك فهي لم تكن بِرْكَةً عَمِيقَةً فيها ماءٌ رَاكِدٌ
بالمعنى المقصود الآن من قَلْطِ بِرْكَةٍ، وَأَمَّا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى
حَوْضٍ من الأراضي الزراعية التي يغمرها ماءُ التِّلِ وقت
فَيْضَانِهِ سَنَوِيًّا بِوَسْطَةِ خَلِيجِ بَنِي وَائِلٍ - الَّذِي كَانَ يَأْخُذُ

وكانت من المَوَات ، فاشتَبَطَها قُرَّةُ بن شَرِيك العبَّسي^(a) أمير مصر ، وأخياها وعرَّسها قَصَبًا ، فغرِفَتْ باشطَبِل قُرَّة ، وعرِفَتْ أيضًا باشطَبِل قاش^(b) ١ ، وتنقَّلت حتى صارت تُعرَف بِبِرْكَةِ الْحَبَش . ودَخَلَتْ في مِلْك أبي بكر الماذرائي فجعلها وَقْفًا ، ثم أُرْصِدت لبني حَسَن وبني حُسَيْن ابني علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فلم تَزَل جارية في الأَوْقاف عليهم إلى وَقْتِنَا هذا . قال أبو عُمَرَ^(c) الكِندي في «كتاب الأَمراء» : «قَدِيم قُرَّةُ بن شَرِيك من وفادته في سنة ثلاث وتسعين ، فاشتَبَطَ الاشطَبِل لنفسه من المَوَات ، وأخياها وعرَّسها قَصَبًا . فكان يُسَمَّى إِنْطَبِل قُرَّة ، ويُسَمَّى أيضًا إِنْطَبِل القاش^(b) - يَغنون القَصَب - كما يقولون : قاش^(b) مزوان ٢ .

وقال أبو القاسم عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن عبد الحَكَم في كتاب «فُتُوح مِصر» : وكان الاشطَبِلُ للأزْد ، فاشترَاه منهم الحَكَم بن أبي بكر بن عبد القَرِيز بن مَزوان بن الحَكَم فَبَنَاه . وكان يُعْجِز على الذي يَقرأ في المُصحف الذي وَضَعوه في المَسْجِد - الذي يُقال له «مُصْحَف أَسمَاء»^٣ - من كِراه في كُلِّ شَهر ثلاثة دنانير . فَلَمَّا جِيزَتْ أَمْوَالُهُم - يَغني أَمْوال بني أُمَيَّة - ، وَضُتْ إلى مالِ الله ، جِيزَ الاشطَبِلُ فيما جِيز . وَكُتِبَ بِأَمْرِ المُصْحَف إلى أمير المؤمنين أبي العبَّاس الشَّفَّاح ، فَكَتَبَ «أن أقرؤا مُصْحَفَهُم في مَسْجِدِهِم على حالِهِ ، وأَجروا على الذي يَقرأ فيه ثَلَاثَةُ دنانير من مالِ الله في كُلِّ شَهر»^(d) ٤ .

وقال القَضاعي : بِرْكَةُ الْحَبَش كانت تُعرَف بِبِرْكَةِ المَعافِر وَجَنَير ، وتُعرَف بِاشطَبِل قاش^(b) ٥ ، وكانت في مِلْك أبي بكر محمد بن علي الماذرائي بِجَمِيع ما تشتمل عليه من المزارع والجَنان خِلال الجَنان التي في شَرْقيها ، وأَطْلُها الجَنان المنسوبة إلى وَهْب بن صَدَقَة وتُعرَف بِالْحَبَش ، فَأُني رأيتُ في شَرْطِ هذه البِرْكَةِ «أن الحَدَّ الشَّرْقي ينتهي إلى الفَضَاء الفاصِل بينها وبين الجَنان المعروفة بِالْحَبَش» ، فَدَلَّ على أَنَّ الجَنان خارجةٌ عنها ٥ .

(a) بولاق : العبَّسي . (b) بولاق : قاش . (c) بولاق : بكر . (d) بولاق : في كل شهر من مال الله تعالى .

١ حاشية بِحْطُ المُوَلَّف : «قاس بقاف ثم سين مهمله - وقبل معجمة - هو قاس بن جريم بن ... بن ... بن بَهْران عمرو ابن الحارث بن قُضَاعَة تنسب إليه قبيلة في ... في قُضَاعَة من قبائل يَمَن منهم : المُقَدَّاد بن الأَسود الكندي من الصحابة .

٢ الكندي : ولاية مصر ٨٦ ؛ وفيما تقدم ٢ : ٤٩ .

٣ انظر عن مصحف أسماء فيما يلي ٢ : ٢٥٤ .

٤ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١١٧ .

٥ ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٠١ ؛ ابن دقماق : =

وذكر ابن يونس في «تاريخه» أن في قبلي بركة الحبش جنائاً تُعرف بقناة بن قيس بن حبشي الصّدي، شهّد فتح مصر، والجنائ تُعرف بالحبش، وبه تُعرف بركة الحبش^١. وذكر بعد هذا الشرط أن الحدّ البحري ينتهي إلى البئر الطولونية، وإلى البئر المعروفة بموسى بن أبي حليد، وهذه البئر هي البئر المعروفة بالفتش.

ورأيث في كتاب شرط هذه البركة: أنها مُحجّبة على البئرين اللتين اشتبّطهما أبو بكر الماذرائي، في بني وائل، بحضرة الخليج^٢، والقنطرة - المعروفة إحداهما بالعدق^٣ والأخرى بالعقيق^٤ - وعلى السرب الذي يدخل منه الماء إلى البئر الحجازة - المعروفة بالزواء - التي في بني وائل^٥، ذات القناطر التي يجري فيها الماء إلى المصنعة التي بحضرة العقبة التي يُصار منها إلى يَحْضُب - وهي المصنعة المعروفة بدليله - وعلى القنات المتصلة بها التي تُصبّ إلى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها، المعروفة بشمينة، وهي التي في وسط يَحْضُب. ويقال إن هناك كانت سوقٌ ليَحْضُب. وذكر في هذا الشرط داراً له في موضع السقاية المعروفة بسقاية زوف، وشرط أن تنشأ هذه الدار مصنعة على مثل المصنعة^٦ المقدم ذكرها المعروفة بشمينة - وهي سقاية زوف اليوم - وعلى القناة التي يجري فيها الماء إلى مصنعة ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة اليوم ببئر القبة، والحوض الذي هناك بحضرة المسجد المعروف بمسجد القبة. وكانت هذه المصنعة تسمى ريتاً.

وجعل هذا الحبش أيضاً على البئر التي له بالحجانية بحضرة الخندق. وذكر أنها تُعرف بالعنانية^٧، وأن ماءها يجري إلى المصنعة المقابلة للميدان^٨ من دار الإمارة في طريق المصلّى القديم^٩، ثم إلى المصنعة التي تحت مسجد المقابل لدار عبد العزيز، ثم إلى المصنعة المقابلة لمسجد

(a) بولاق: الفندق. (b) بولاق: العتيق. (c) بولاق: هذه المصنعة. (d) بولاق: القبانة.

- الانتصار ٥٥: ٤ (ومصدرهما أيضاً القاضي).

^١ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)

٣٩٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٥٥: ٤؛ القلقشندي: صبح

الأعشى ٣: ٣٣٦.

^٢ حاشية بخط المؤلف: وهذا الخليج كان عند باب

مصر المعروف اليوم بباب القنطرة.

^٣ وخيمة بني وائل كانت خارج باب القنطرة بمصر.

^٤ حاشية بخط المؤلف: «الميدان ودار الإمارة في الفضاء

الذي بين جامع ابن طولون وكوم الجارح».

^٥ حاشية بخط المؤلف: «المصلّى القديم موضع الكوم

المبطل اليوم على قبر القاضي بكّار».

الثَّوْبَةُ المجاورة لمَسْجِدِ الْأَخْضَرِ، وتاريخ هذا الشَّرْطِ شهر رَمَضَانَ سنة سبع وثلاث مائة .

وَجَعَلَ مَا يَفْضُلُ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَضْرُوفًا فِي اتِّبَاعِ بَقَرٍ وَكِبَاشٍ تُذْبَحُ وَيُطْبَخُ لَحْمُهَا، وَيُتَاعَ أَيْضًا مَعَهَا خُبْزُ بُرٍّ وَدَرَاهِمُ وَأَكْسِيَّةٌ وَأَعْبِيَّةٌ، وَيُتَصَدَّقُ بِذَلِكَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بِالْمَعَايِرِ^١ وَغَيْرِهَا مِنْ الْقَبَائِلِ بِمِصْرَ . وَكَانَ بَنَاؤُهُ السُّقَايَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بِالْمَوْقِفِ^٢، وَالسُّقَايَاتِ الَّتِي بِالْمَعَايِرِ وَيَزُوفٍ وَيَتَخَصَّبُ وَبَنِي وَائِلٍ، وَغَمِيلِ الْمَجَارِيِّ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ . وَقَدْ حَبَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْحَرَمَيْنِ ضِيَاعًا كَانَ ارْتِفَاعُهَا نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، مِنْهَا شُيُوطٌ وَأَعْمَالُهَا وَغَيْرُهَا . انْتَهَى .

وَفِي «تَوَارِيخِ النَّصَارَى» أَنَّ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ صَادَرَ الْبَطْرِيْقَ مِيخَائِيلَ بِطَرَكِ الْيَعَاقِبَةِ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَبَاعَ/ النَّصَارَى رِبَاعَ الْكَنَائِسِ بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، وَأَرْضَ الْحَبَشِ بِظَاهِرِ مِصْرَ، وَالْكَنِيسَةَ الْمُجَاوِزَةَ لِلْمُعَلَّقَةِ بِقَضْرِ الشَّمْعِ بِمِصْرَ لِلْيَهُودِ . قُلْتُ: هَكَذَا فِي تَوَارِيخِهِمْ، وَلَا أَعْلَمُ كَيْفَ مَلَكَوْا أَرْضَ الْحَبَشِ، فَلَعَلَّ الْمَادَرَاتِي هُوَ الَّذِي اشْتَرَاهَا ثُمَّ وَقَفَهَا .

وَقَالَ ابْنُ الْمَوُجِّ: بِرْكَةُ الْحَبَشِ، هَذِهِ الْبِرْكَةُ مشهورةٌ فِي مَكَانِهَا . وَقَدْ اتَّصَلَ ثُبُوتُ وَقْفِهَا عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ بَذَرِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ [بْنِ إِبْرَاهِيمَ] بَنِ سَعْدِ اللَّهِ بْنِ جَمَاعَةَ، عَلَى أَنَّهَا وَقَفَتْ عَلَى الْأَشْرَافِ الْأَقَارِبِ وَالطَّلَابِيِّينَ يَصْفَيْنَ بَيْنَهُمَا بِالسُّوِيَّةِ: النَّصِيفُ الْأَوَّلُ عَلَى الْأَقَارِبِ، وَالنَّصِيفُ الْآخِرُ عَلَى الطَّلَابِيِّينَ^٣ .

وَبَيَّنَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ بَذَرِ الدِّينِ أَبِي الْحَاسَنِ يُوسُفَ بْنِ الْحَسَنِ السُّنْجَارِيِّ، أَنَّ النَّصِيفَ مِنْهَا وَقَفَتْ عَلَى الْأَشْرَافِ الْأَقَارِبِ بِالْإِسْتِفَاضَةِ، بِتَارِيخِ ثَانِي^(أ) عَشْرِ رَجَبِ الْآخِرِ^(ب) سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . وَهُمْ الْأَقَارِبُ الْحُسَيْنِيُّونَ . وَهُوَ إِذْ ذَاكَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِالْقَاهِرَةِ وَالْوَجْهَ الْبَحْرِي وَمَا مَعَ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ الْمُضَافَةِ إِلَى مُلْكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ .

وَبَيَّنَتْ عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ عِزِّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، وَكَانَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِمِصْرَ وَالْوَجْهَ الْقِبْلِيَّ وَخَطِيبَ مِصْرَ، بِالْإِسْتِفَاضَةِ أَيْضًا أَنَّ الْبِرْكَةَ الْمَذْكُورَةَ وَقَفَتْ عَلَى الْأَشْرَافِ الطَّلَابِيِّينَ، بِتَارِيخِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

(أ) بولاق : ثالث . (ب) بولاق : الأول .

^١ حاشية بخط المؤلف : « المعايير عند القنابر التي بالقرافة »

^٢ المؤلف منه جامع ابن طولون .

^٣ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٥ - ٥٦ .

^١ حاشية بخط المؤلف : « المعايير عند القنابر التي بالقرافة الكبرى وهي كانت يُنْقَلُ الْمَاءُ عَلَيْهَا مِنْ بَرَقْعَةِ إِلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ » .

وبعدهما قاضي القضاة ووجه الدين المهلبي^(١) في ولايته .

ثم نُفَّذَهما بعد تنفيذ وجه الدين المذكور ، في شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ، قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة ، وهو حاكم الديار المصرية ، خلا نُفِّر الإشكندرية . ويأتي أصل خبر هذه البركة مُبَيَّنًا مشروحًا من أصلها في مكانه إن شاء الله تعالى .

قال : فمن جُمْلَةِ الأوقاف بركة الأشراف المشهورة ببركة الحبش . وهذه البركة محدودها أربعة : الحد القبلي ينتهي بعضه إلى أرض الغدويّة يُفَصِّل بينهما جسر هناك ، وباقيه إلى غيطان بساتين الوزير . والحد البخري ينتهي بعضه إلى أبنية الآذر التي هناك المطلة عليها ، وإلى الطريق وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبة . والحد الشرقي إلى حد بساتين الوزير المذكورة . والحد الغربي ينتهي بعضه إلى بحر النيل وإلى أراضي دير الطين ، وإلى بغض حقوق جزيرة ابن الصابوني وجسر بُشْتان المعشوق^١ الذي من حقوق الجزيرة المذكورة .

وهذه البركة وَقَفَ الأشراف الأقارب والطالبيين ، نصفين بينهما بالشوكة ، والذي شاهدته من أمرها أَنِّي وَقَفْتُ على إسجال قاضي القضاة بدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري تاريخه ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وست مائة - وهو حينذاك حاكم القاهرة والوجه البخري - على مختصر شهد فيه بالاستيفاضة أَنَّ نصف هذه البركة وَقَفَ على الأشراف الأقارب الحسنيين ، وَبَيَّنَ ذلك عنده .

ورَأَيْتُ إسجال الشيخ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام على مختصر شهد فيه بالاستيفاضة - وهو حين ذلك قاضي مصر والوجه القبلي - وأشهد عليه أَنَّهُ بَيَّنَ عنده أَنَّ البركة المذكورة بجميعها وَقَفَ على الأشراف الطالبيين ، وتاريخ إسجاله التاسع والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة أربعين وست مائة . ثم نُفَّذَهما جميعًا في تاريخ واجد قاضي القضاة وجه الدين البهنسي ، وهو قاضي القضاة حينذاك ، ثم نُفَّذَهما قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن جماعة ، وهو قاضي القضاة بالديار المصرية .

(١) بولاق : البهنسي ، وهو وجه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن الحسين بن عبد الوهاب المهلبي البهنسي الشافعي ، المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م . (السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨ : ٣١٧-٣١٨) .

^١ حاشية بخط المؤلف : «بُشْتان المعشوق هو اليوم تجاه رباط الآثار النبوية جارٍ في وقفه» .

واشتَقَّ النُّصْفُ من رِيعِ هذه البركة على الأشراف الأقارب مع قِلَّتِهِمْ ، والنُّصْفُ على الأشراف الطَّالِبِينَ مع كَثْرَتِهِمْ . وتنازَعوا غير مرة على أن تكون بينهم الجَمِيعُ بالشَّوْطِ فلم يَقْدِرُوا على ذلك ، وعَقِدَ لهم مَجْلِسٌ غير مرة فلم يَقْدِرُوا على تَغْيِيرِهِ .

وأَحْسَنُ ما وُصِفَتْ به بركة الحش قَوْلُ عيسى بن موسى الهاشمي أمير مصر ، وقد خَرَجَ إلى المَيْدَانِ الذي بَطَرْفِ المقابر ، فقال لمن معه : أَتَتَأْمَلُونَ الذي أَرَى ؟ قالوا : وما الذي يَرَى الأمير ؟ قال : أَرَى قَيْدَانِ رِهَانٍ^١ ، وَجَنَانًا نَحْلَ ، وَبُشْتَانًا شَجَرٍ ، وَمَنَازِلَ سُكْنَى ، وَذُرُوءَ جَبَلٍ ، وَجَبَانَةَ أَمْوَاتٍ ، وَنَهْرًا عُجَاجًا ، وَأَرْضَ زَرْعٍ ، وَمَرَاعِي مَاشِيَةٍ ، وَمَرْوَعٍ خَيْلٍ ، وَسَاحِلَ بَحْرٍ ، وَصَائِدَ نَهْرٍ ، وَقَانِصَ وَحْشٍ ، وَمَلَّاحَ سَفِينَةٍ ، وَحَادِي إِبِلٍ ، وَمَفَازَةَ رَمْلٍ ، وَسَهْلًا وَجَبَلًا ، فَهَذِهِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِتْرَهَا فِي أَقَلِّ من مِيلٍ فِي مِيلٍ .

وَأَمِنْ هذه الأوصافُ من وَصَفِ بعضهم قَصْرَ أَنَسٍ بالبصرة في قَوْلِهِ :

[البيط]

رُزْوَادِي الْقَصْرِ ، نِعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِي لَا بُدَّ من زُرُورَةٍ من غير مِيعَادٍ
زُرُهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يُشَاكِكُهُ من مَنَزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شِئْتَ أَوْ بَادِي
تَلْقَى بِهِ الشَّقْنَ وَالْأَغْيَاسَ حَاضِرَةً وَالضُّبَّ وَالثَّوْنَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي

(٤) وقال :

[البيط]

رُزْوَادِي الْقَصْرِ ، نِعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِي وَحَبْلًا أَهْلُهُ من حَاضِرٍ بَادِي
تَلْقَى قَرَأِيضَهُ وَالْعَيْسَ وَأَقْفَةً وَالضُّبَّ وَالثَّوْنَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي

/هكذا أَنشَدَهُمَا أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِي فِي كِتَابِ «الأغاني» ، وَنَسَبَهُمَا لِابْنِ عُيَيْنَةَ أَبُو المُنْهَالِ

ابن محمد بن أَبِي عُيَيْنَةَ بن المَهْلَبِ بن أَبِي صُفْرَةَ^٢ ، شَاعِرٌ من سَاكِنِي البصرة . وَقِيلَ إِنَّ اسْمَهُ

(٤-٥) كل هذه الفقرة حاشية في أصل نسخة المؤلف وبدأها ناسخ نسخة أباصرفيا بقوله : «هكذا على الحاشية بخط المؤلف من غير تخريج وتصحيح» وختم النقل بقوله : «اتتهى ما وجدته بخط مؤلفه على الحاشية من غير تخريج ولا تصحيح ، فليتأمل» .

^١ حاشية بخط المؤلف : «هذا المَيْدَانُ عَرَفَ بِمَيْدَانِ المعافر وَيُطْلَعُ أَقْبَحُ الحمار ، وهو الذي يُعْرَفُ اليوم بالوعُصْد» . عيسى ببغداد .

^٢ أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِي : الأغاني ٢٠ : ٩٠ وقارن ياقوت

عُدْرَة ، وقيل اسمه أبو عُيَيْنَة وَكُنِيَتْهُ أَبُو المِنْهَال ، وكان بعد المائتين ^١ .
وَأَنْشَدَ أَبُو العَلَاءِ المَعْرِي فِي «رِسَالَةِ الصَّاهِلِ وَالشَّاحِحِ» ^٢ :

[البسط]

يا صاح أَلَيْمٌ بِأَهْلِ القَصْرِ والوَادِي وَحُبْنَا أَهْلَهُ مِنْ حَاضِرٍ بِادِي
تَرَى قَرَارَةَ وَالْعَيْسُ وَإِقْفَةً وَالصَّبِّ والثَّوْنُ وَالْمَلَاخِ والحَادِي^٣

وقال أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ الأَنْدَلُسِي : فِي هَذَا الوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ - يَعْنِي أَيَّامَ النَّيْلِ -
تَكُونُ أَرْضُ مِصْرَ أَحْسَنَ شَيْءٍ مُنْظَرًا ، وَلَا سِوَمَا مُتَزَهَاتِهَا المشهورة ودياراتها المَطْرُوقَة ، كالجَزِيرَة
والجَزِيرَة وَبِرْكَة الحَبَشِ ، وَمَا جَزَى مَجْرَاهَا مِنَ المَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُقُهَا أَهْلُ الخَلَاةِ وَالْقَصَفِ ،
وَيَتَأَوَّبُهَا^٤ ذُوو الآدَابِ وَالظُّرُوفِ^٥ .

وَأَتَّفَقَ أَنْ خَرَجْنَا فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ إِلَى بِرْكَةِ الحَبَشِ ، وَأَفْتَرَشْنَا مِنْ زَهْرِهَا أَحْسَنَ بِسَاطٍ ،
وَأَسْتَظْلَلْنَا مِنْ دَوْحِهَا بِأَوْفَى رِوَاقٍ ، فَظَلَّلْنَا تَتَاعَطَى مِنْ رُجَاجَاتِ الأَقْدَاحِ شُمُوسًا فِي جَلَعٍ بُدُورٍ ،
وَمُجْشُومٍ نَارٍ فِي غَلَاثِلِ نُورٍ^٦ ؛ إِلَى أَنْ جَزَى دَهَبُ الأَصِيلِ عَلَى لَحْيِنِ المَاءِ ، وَنَشِبَتْ نَارُ الشَّفَقِ
بِفَتْحَةِ الظُّلَمَاءِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ - وَهُوَ أُمَيَّةُ المَذْكُورُ - مِنْ قَوْلِهِ المَشْهُورُ :

[النسج]

لِلَّهِ يَوْمِي بِبِرْكَةِ الحَبَشِ وَالْأَفَقُّ بَيْنَ الصُّبَا وَالْعَبَشِ
وَالنَّيْلُ تَحْتَ الرِّيَّاحِ مُضْطَرِبٌ كَصَارِمٍ فِي يَمِينِ مُرْتَعِشِ
وَنَحْنُ فِي رَوْضَةِ مُفَوَّقَةٍ دُبُجٍ بِالنُّورِ عِطْفُهَا وَوُشِي
قَدْ نَسَجَتْهَا يَدُ العَنَامِ لَنَا فَحَنَ مِنْ نَسِجِهَا عَلَى فُرْشِ
فَعَاظِنِي الرَّاحَ ، إِنَّ تَارِكَهَا مِنْ سَوَرَةِ الهَمِّ غَيْرِ مُتَعِشِ
وَأَثْقَلُ^٧ النَّاسِ كُلَّهُمْ رَجُلٌ دَعَاهُ دَاعِي الهَوَى^٨ فَلَمْ يَطِشِ

(a) فِي الرِّسَالَةِ المِصْرِيَّةِ : يَتَنَاهَا . (b) الرِّسَالَةُ المِصْرِيَّةُ : ذُوو الأَدَبِ وَالطَّرِبِ . (c) فِي الرِّسَالَةِ : وَطَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ
رُجَاجَاتِ الأَقْدَاحِ شُمُوسٌ فِي خِلْعِ البَدُورِ وَنُجُومٍ بِالصَّفَاءِ تَوَرُّ . (d) الرِّسَالَةُ : فَأَثْقَلُ . (e) الرِّسَالَةُ : الصَّبَا .

^١ أَبُو عُيَيْنَة ، اسْمُهُ وَكُنِيَتْهُ أَبُو المِنْهَال هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي
عُيَيْنَة بْنُ المَهْلَبِ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ . (أَبُو الفَرَجِ الأَصْفَهَانِي :
عائشة عبد الرحمن ، القاهرة - دار المعارف ، ١٩٨٤ ،
الأغاني (٧٥:٢٠) .
٥٥١ .

فاسقني^(a) بالكبار مُثْرَعَةً فهنُّ أَشْقَى^(b) لَشِدَّةِ الْعَطَشِ^١

وَقَالَ أَيْضًا :

[البسيط]

عَلَّلَ فُؤَادَكَ بِاللَّدَاتِ وَالطَّرِبِ وَبَاكَرِ الرُّوَّاحَ بِالنَّايَاتِ وَالشَّحْبِ
أَمَا تَرَى الْبِرْكَةَ الْعَنَاءَ لَا يَسَّةً وَشَيْئًا مِنَ الثَّوَرِ حَاكَنَةً يَذُّ الشَّحْبِ
وَأَصْبَحْتَ مِنْ جَدِيدِ الرُّؤُوسِ^(c) فِي حَلَلٍ قَدْ أَتَرَزَّ الْقَطْرُ مِنْهَا كُلَّ مُحْتَجِبٍ
مِنْ سَوَسَنٍ شَرِيقٍ بِالطَّلِّ مَحْجَرُهُ وَأَقْحَوَانٍ شَهِيٍّ الظُّلُمِ وَالشَّنْبِ
فَانْظُرْ إِلَى الْوَزْدِ يَخْكِي خَذَّ مُحْتَضِمٍ وَتَرْجِسُ طَلًّا يُعْجِدِي لِحَظَّ مُزْتَقِبِ
وَالثَّلِيلُ مِنْ ذَهَبٍ يَطْفُو عَلَى وَرْقٍ وَالزَّارِخُ مِنْ وَرْقٍ يَطْفُو عَلَى ذَهَبِ
وَرُبُّ يَوْمٍ نَقَعْنَا فِيهِ غُلَّتْنَا بِحَاجِمٍ مِنْ قِمِّ الْأَبْرِيقِ مُلْتَهَبِ
شَمْسٍ مِنَ الرَّاحِ حَيَّانًا بِهَا قَمَرٌ مَوْفٍ عَلَى غُضَنِ يَهْتَزُّ فِي كُتُبِ
أَرْخَى ذَوَائِبَهُ وَانْهَزَ مُنْعَطِفًا كَصَفْعَةِ الرَّمْحِ فِي مَسْوَدَةِ الْغَدَبِ
فَاطَرْتُ وَدَوْنُكُمَا فَاشْرَبْتُ فَقَدْ بَعَثْتُ عَلَى الثَّصَابِيِّ دَوَاعِيَ اللَّهْوِ وَالطَّرِبِ^٢

وَقَالَ :

[]

يَا نُزْهَةَ الرُّضْدِ الْمِضْرِي قَدْ جَمَعْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَا فِي جَانِبِ الْوَادِي
فَذَا غَدِيرٌ وَذَا رَوْضٌ وَذَا بَجَلٌ وَالضُّبُّ وَالثَّوْنُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الرَّفِيقِ فِي «تَارِيخِهِ»^٣ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ الْكَهْنِيُّ - وَكَانَ أَدِيبًا فَاضِلًّا قَدْ سَافَرَ
وَرَأَى بُلْدَانَ الْمَشْرِقِ - قَالَ : مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَجْمَلَ مِنْ أَيَّامِ الثُّرُوزِ وَالْغَطَّاسِ وَالْمِيلَادِ وَالْمَهْرَجَانِ وَعِيدِ

(a) الرسالة : واسقني . (b) الرسالة : أروى . (c) الرسالة : النبت .

القَيرواني ، شاعِرٌ ومَوْثِقٌ من أَفْهَلِ القَيروَانِ وَأَفْرِيقِيَّةٍ ، عَمِلَ
بَدِيوَانِ الْإِنشَاءِ الْعُشْهَاجِيِّ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَدِيمٌ مِصْرِي
فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِهَدِيَّةٍ مِنْ نَصِيرِ النُّوْلَةِ
بَادِيسِ بْنِ زَيْرِي إِلَى الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ ، وَتَوَزَّجَ نَصِيدَةً
لَهُ قَالَهَا فِي مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ هَذِهِ السَّفَاةَ (فِيمَا تَقَدَّمَ
٣٧٠:١) . وَيُتَخَذُ أَنَّ الرَّفِيقَ الْقَيروَانِي مَاتَ مَعْتَرًا زَوْجًا بَعْدَ =

^١ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الرِّسَالَةُ الْمِصْرِيَّةُ ٢٠-٤٢١
بِاقُوتَ : مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ٦٥:٧-٦٦ ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ
٤٤٠٢:١ ابْنُ دِمَاقٍ : الْإِنْتِصَارُ ٥٦:٤ .

^٢ نَفْسُهُ ١٢١ ابْنُ دِمَاقٍ : الْإِنْتِصَارُ ٥٦:٤-٥٧
وَتَنْقُصُ عَنْهُ الْأَيَّاتُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخِيرَةُ .

^٣ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْمَعْرُوفُ بِالرَّفِيقِ

الشعائين، وغير ذلك من أيام اللّهُو التي كانوا يَسْخُون فيها بأموالهم رَغْبَةً في القُصْف والعُزْف. وذلك أنّه لا يَتَقَي صَغِيرٌ ولا كَبِيرٌ إِلَّا خَرَجَ إلى يَزَكَةِ الحَبَشِ مَتَرُهَا، فَيُضْرِبُونَ عليها المَضَارِبَ الجَلِيلَةَ والشَّرَاقَاتِ والقِيَابَ والشَّرَاعَاتِ، ويخرجون بالأهل والوَلَدَ، ومنهم من يَخْرُجُ بالقَيْنَاتِ المسمعات المالكات والمحْزَرَاتِ، فيأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسْتَمْعُونَ ويتفكّهون ويتعمّون.

فإذا جاءَ اللَّيْلُ أَمَرَ الأميرُ تَمِيمَ بنَ المِيزَمَاتِيِّ فَارِسَ من عبيدة بالقُصْفِ عليهم في كُلِّ ليلةٍ إلى أن يقضوا من اللّهُو والنَّزْهَةِ أَرْبَعَةَ يَمَمَاتٍ وينصرفوا، فيَشْكُرُونَ وينامون كما ينام الإنسان في بيته، ولا يَضِيعُ لأحَدٍ منهم ما قيمته حَبَّةٌ واحدة. ويركب/ الأميرُ تَمِيمَ في عُشَارِي، ويتبعه أربعة زَوَارِقٍ مملوءةٍ فَاكِهَةً وطَعَامًا ومَشْرُوبًا، فإن كانت اللَّيَالِي مُقْمِرَةً، وإلّا كان معه من الشُّمُوعِ ما يُعِيدُ اللَّيْلَ نَهَارًا. فإذا مَرَّ على طَائِفَةٍ واستحسن من غِنَائِهِمْ صَوْتًا أَمَرَهُمْ بإِعَادَتِهِ، وسأَلَهُمْ عَمَّا عَزَّ عليهم، فيأْمُرُ لَهُمْ بِهِ، ويأْمُرُ لِمَنْ يُغْنِي لَهُمْ، وينتقل منهم إلى غيرهم بِمَثَلِ هذا الفِعْلِ عَامَّةً لَيْلَهُ، ثم ينصرف إلى قُصُورِهِ وبَسَاتِينِهِ التي على هذه البِرْكَةِ، فلا يَزَالُ على هذه الحال حتى تَنْقُضِي هذه الأيامُ وَيَتَفَرَّقَ النَّاسُ.^١

وقال محمد بن أبي بَكْر بن عبد القادر الرّازي الحنفي، وثوفي بِمَشَقِّ سنة إحدى وخمسين وست مائة، يصف بِرْكَةَ الحَبَشِ في أَيَّامِ الرَّيْبِ:

[الطويل]

إذا زِلَّ الحِشَاءُ قُرُوطَ فهذه يُزَيِّنُهَا من كُلِّ نَاجِيَةٍ قُرُوطُ
تَرْتَفِقُ فيها أَذْمُعُ الطَّلِّ غُدُوءَ فَقُلْتُ لَأَلِيَّ قَدْ تَصَمَّنَتْهَا قُرُوطُ

- سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م، فقد نَقَلَ عنه ابنُ عِدَارِي بعضَ حوادث سنة ٤١٥هـ (البيان المغرب ١: ٢٧٢). وألّف الرقيق غَدَاً من الكتب الهامة منها: كتاب «الشَّعَاء» وكتاب «الزَّاح» وال«زَّاح» وكتاب «قُطْبُ الشُّرُورِ في الأَنْبِيَاءِ والخُمُورِ» ونَقَلَ الشُّلُوكَ في مُسَامَرَةِ المُلُوكِ، أمّا الكتاب الذي ينقل عنه المَقْرِزِي فهو كتابه «تاريخ إفريقية والمغرب» الذي وُجِدَتْ منه قطعةٌ نُشِرَها في تونس سنة ١٩٦٧ المُتَّحِجِي الكُفَيِّ.

(راجع: ابن رشيقي: التَّوْجُجُ الزَّمَانِ في شعراء القُورَانِ، جمع وتحقيق محمد العروسي المنطوي وبشير البكوش، تونس - هذا النص في الأجزاء التي لم تصل إلينا من «تاريخ إفريقية والمغرب» للرقيق القيرواني، فما وصل إلينا من تاريخه فقط للولاءة الأمويين والعباسيين بإفريقية!

١ هذا النص في الأجزاء التي لم تصل إلينا من «تاريخ إفريقية والمغرب» للرقيق القيرواني، فما وصل إلينا من تاريخه فقط للولاءة الأمويين والعباسيين بإفريقية!

وقال ابن سَعِيدٍ في كتاب «المَغْرِبِ»: وَخَرَجْتُ مَرَّةً حَيْثُ بِرْكَةُ الْحَبَشِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْدَلُسِيُّ - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ :

[النسرح]

لَهُ يَوْمِي بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ وَالْأَفْقُ بَيْنَ الصَّبَايَا وَالْعَبَشِ
وَالنَّيْلُ تَحْتَ الرِّيحِ مُصْطَرِبٌ كَصَارِمٍ فِي يَمِينِ مُرْتَعِشٍ^٥

وعاينْتُ من هذه البركة أيامَ فَيْضِ النَّيْلِ عَلَيْهَا أَتَهَجُ مَنْظَرَ، ثُمَّ زُرْتُهَا أَيَّامَ غَاضِ الْمَاءِ وَبَقِيَتْ فِيهَا مَقْطَعَاتٌ بَيْنَ خُضَرٍ مِنَ الْقُرْطِ وَالْكُثَّانِ تَقْفِي النَّاطِرَ، وَفِيهَا أَقُولُ :

[الكامل]

يَا بِرْكَةُ الْحَبَشِ الَّتِي يَوْمِي بِهَا طُولُ الزَّمَانِ مُبَارَكٌ وَسَعِيدٌ
حَتَّى كَأَنَّكَ فِي الْبَسِيطَةِ بَجْنَةٌ وَكَأَنَّ ذَهْرِي كُلَّهُ بِكَ عِيدٌ
يَا حُسْنَ مَا يَتَدَوَّلُ بِكَ الْكُثَّانُ فِي نَوَّارِهِ أَوْ زَرَهُ مَعْقُودٌ
وَالْمَاءُ مِنْكَ شَبُوهُ مَسْلُوكٌ وَالْقُرْطُ فِيكَ رَوَاقُهُ تَمْدُودٌ
وَكَأَنَّ أَتْرَاجًا عَلَيْكَ عَرَائِشُ مَجْلِيَتْ وَطِيرُكَ حَوْلَهَا غَرِيدٌ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانُكَ عَائِدٌ فَالْشُّوقُ فِيهِ مَبْدِئٌ وَمَعِيدٌ^٦

٥. وَكَانَ مَاءُ النَّيْلِ يَدْخُلُ إِلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ مِنْ خَلِيجِ بَنِي وَاثِلٍ، وَكَانَ خَلِيجُ بَنِي وَاثِلٍ يُدْخِلُ بَابُ مِصْرَ مِنَ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ، الَّذِي يُعْرَفُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِبَابِ الْقَنْطَرَةِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذِهِ الْقَنْطَرَةَ كَانَتْ هُنَاكَ .

قال ابنُ الْمُتَوَّجِ: وَرَأَيْتُ مَاءَ النَّيْلِ فِي زَمَنِ النَّيْلِ يَدْخُلُ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى خَلِيجِ بَنِي وَاثِلٍ .

قلت: وَفِي أَيَّامِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ اسْتَوَلَى النَّشُوءُ نَاطِرُ الْخَاصِ عَلَى بِرْكَةِ الْحَبَشِ، وَصَارَ يَدْفَعُ إِلَى الْأَشْرَافِ مَنْ يَتَيْتُ الْمَالَ مَالًا فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَلَمَّا مَاتَ النَّاصِرُ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمُتَّصِرُ أَبُو بَكْرٍ، أُعِيدَتْ لَهُمْ .

٦.

فِي مَذْمُومِ الْمَادَرَانِيِّ^٨ - هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ رُشْتَمِ بْنِ أَحْمَدَ، وَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيْسَى بْنِ رُشْتَمِ، وَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ

(٨) بولاق: المارداني .

^١ أمية بن عبد العزيز: الرسالة المصرية ٢١. ابن دقماق: الانصار ٤: ٥٧.

^٢ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١٠: ٩١٠.

عيسى بن رُشَيم الماذراني^(a)، أخذ عظماء الدنيا^١، وُلد بنصيبين ثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقَدِمَ إلى مصر في سنة اثنتين وسبعين ومائتين، وتخلّف أباه عليّ بن أحمد الماذراني^(a) أيام نظره في أمور أبي الجيش حُمارويه بن أحمد بن طولون، وسنة يومئذ خمس عشرة سنة.

وكان مُتَعَدِّلَ الْكِتَابَةِ، ضَعِيفَ الْحِظِّ مِنَ الثُّخُو وَاللُّغَةِ، ومع ذلك فكان يَكْتُبُ الْكُتُبَ إلى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دونه على البديهة من غير نُسخة، فيخرج الْكِتَابَ سَلِيمًا مِنَ الْخَلَلِ. ولَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ في سنة ثمانين ومائتين اسْتَوَزَّه هَارُونُ بن حُمارويه، فدبّر أمر مصر إلى أن قَدِمَ ابنُ سَلِيمَانَ الْكَاتِبِ من بَغْدَاد إلى مصر، وأزَالَ دَوْلَةَ بني طُولُون وَحَمَلَ رِجَالَهُمْ إلى الْعِرَاقِ. فكان أبو بكر يَمُنْ بِحَمَلِهِ، فَأَقَامَ بِبَغْدَادِ إلى أن قَدِمَ صُحْبَةُ الْعَسَاكِرِ لِقِتَالِ حُبَابَةَ، فدبّر أمر الْبَلَدِ، وأمر ونهى، وَخَدَّتْ بِمِصْرَ عن أحمد بن عبد الْجَبَّارِ الْعُطَارِدِيِّ وغيره بِسَمَاعِهِ مِنْهُمْ في بَغْدَادِ.

وكان قَلِيلَ الْعِلْمِ، تَغَلَّبَ عَلَيْهِ مَحَبَّةُ الْمُلْكِ وَطَلَبُ السِّيَادَةِ، ومع ذلك كان يَلَازِمُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَيُؤَاطِبُ عَلَى الْحَجِّ. وَمَلَكَ بِمِصْرَ مِنَ الصُّبَاغِ الْكِبَارِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَبَلَغَ ارْتِفَاعُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَرْبَع مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ سِوَى الْخَرَاجِ، وَوَهَبَ وَأَعْطَى، وَوَلَّى وَصَرَفَ، وَأَفْضَلَ وَمَنَعَ، وَرَفَعَ وَوَضَعَ، وَحَجَّ سَبْعًا وَعَشْرِينَ حُجَّةً أَتَفَقَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ مِنْهَا مِائَةٌ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَكَانَ تَكِينُ أَمِيرِ مِصْرٍ يُشَبِّعُهُ إِذَا خَرَجَ لِلْحَجِّ، وَيَتَلَقَّاهُ إِذَا قَدِمَ.

وكان/ يحمل إلى الْحِجَازِ جَمِيعَ مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيُفَرِّقُ بِالْحَرَمَيْنِ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَالثِّيَابَ وَالْحُلُوفَ وَالطُّيُبَ وَالْحُبُوبَ، وَلَا يُفَارِقُ أَهْلَ الْحِجَازِ إِلَّا وَقَدْ أَغْنَاهُمْ. وَقِيلَ مَرَّةً وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ -: مَا بَاتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَحَدٌ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَأَعْمَالِهِمَا إِلَّا وَهُوَ شَبْعَانٌ مِنْ طَعَامِ أَبِي بَكْرٍ الْمَازَرَانِيِّ^(a).

ولَمَّا قَدِمَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بن طُغْجِ الْإِحْشِيدِ إلى مِصْرَ اسْتَتَرَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ كَانَ مَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ مِصْرَ، وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ لِقِتَالِهِ. فَاجْتَمَعَ لَهُ زِيَادَةُ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَحَارَبَ بِهِمْ بَعْدَ مَوْتِ تَكِينِ

(a) يولاق : المازراني .

^١ أورد القرطبي نص هذه الترجمة في كتاب المقفى الماذرائين لابن زولاق ؛ وانظر عن الماذرائين عموماً فيما تقدم الكبير ٢٣٤:٦-٢٤٧، مع تفاصيل أكثر نقلاً عن سيرة ٢٢٠:١.

أمير مصر، ومُرّت به خطوبٌ لكثرة فِتْنِ مصر إذ ذاك، وأُخْرِقَتْ دُورُهُ ودُورُ أَهْلِهِ ومُجاوريه، وأُخِذَتْ أَمْوَالُهُ، واسْتَنْزَعَتْ قَبِيضٌ عَلَى خَلِيفَتِهِ وَعُمَالِهِ.

فَكَتَبَ إِلَى بَغْدَادِ بِسْأَلِ إِمَارَةِ مِصْرَ، وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ بِالْقُدْسِ بِسْأَلِ ذَلِكَ، فَعَادَ الْجَوَابُ بِإِمَارَةِ ابْنِ تَكِينٍ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَاذَرَايُ^(أ) يُدَبِّرُ أَمْرَ مِصْرَ وَيُولِّي مِنْ شَاءَ. فَظَهَرَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْإِسْتِثَارِ وَأَمْرٍ وَنَهَى وَدَبَّرَ أَمْرَ الْبَلَدِ، وَصَارَ الْجَيْشُ بِأَمْرِهِ يَغْدُو إِلَى بَابِهِ، فَأَنْفَقَ فِي جَمَاعَةٍ وَاضْطَنَعَ قَوْمًا، وَقَتَلَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَكِينٍ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ بِالْقُدْسِ - وَأَمْرُ مِصْرَ كُلِّهِ لِلْمَاذَرَايِ^(أ) بِمُفْرَدِهِ - وَمَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَمُغْ، وَقَدْ قَدِمَ مِنْ بَغْدَادِ بِوِلَايَةِ ابْنِ تَكِينٍ عَلَى مِصْرَ وَوِلَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الْمَاذَرَايِ^(أ) تَدِيرُ الْأُمُورَ. فَاسْتَمَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلَمُغْ حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى ابْنِ تَكِينٍ وَحَارَبَهُ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى أَنْ قَدِمَتْ عَسَاكِرُ الْإِخْشِيدِ. فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِحَارَبَتِهِمْ، وَمَنْعَ الْإِخْشِيدِ مِنْ مِصْرَ، فَكَانَ الْإِخْشِيدُ غَالِيًا لَهُ وَدَخَلَ الْبَلَدَ. فَاسْتَنْزَعَتْ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَنْ ذُلَّ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ الْفُرَاتِ.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ قَالَ لَهُ: إِيْشَ هَذَا الْإِسْتِخَاشُ وَالتَّسْتُرُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَجَّ قَدْ أَطْلُفَ وَيَحْتَاجُ لِإِقَامَةِ الْحَجِّ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنْ كَانَ إِلَيَّ فِخْمَةُ عَشْرِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ: إِيْشَ خَمْسَةُ عَشْرِ أَلْفِ دِينَارٍ! قَالَ: مَا عِنْدِي غَيْرُ هَذَا؛ فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ: بِهَذَا ضَرَبْتَ وَجْهَ الْبَلْطَغَانِ بِالسَّيْفِ، وَمَنْعْتَ أَمِيرَ الْبَلَدِ مِنَ الدُّخُولِ. ثُمَّ صَاحَ: يَا شَايِدَ، خُذْهُ إِلَيْكَ.

فَأَقِيمَ وَأَدْخَلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ صَائِمًا، فَامْتَنَعَ مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَزِمَ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَالصَّلَاةَ طَوْلَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ وَأَصْبَحَ، فَامْتَنَعَ ابْنُ الْفُرَاتِ مِنَ الْأَكْلِ إِجْلَالًا لَهُ. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْفِطْرِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، امْتَنَعَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ الْفِطْرِ كَمَا امْتَنَعَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى، فَامْتَنَعَ ابْنُ الْفُرَاتِ أَيْضًا مِنَ الْأَكْلِ، وَقَالَ: لَا أَكُلُ أَبَدًا، أَوْ يَأْكُلُ أَبُو بَكْرٍ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ أَكَلَ.

فَأَخَذَ ابْنُ الْفُرَاتِ فِي مُصَادَرَتِهِ، وَقَبِضَ عَلَى ضِيَاعِهِ الَّتِي بِالشَّامِ وَمِصْرَ، وَتَبِعَ أَشْبَابَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ وَعَادَ بِهِ إِلَى مِصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ ثَانِيًا إِلَى الشَّامِ. فَمَاتَ الْفَضْلُ بْنُ الْفُرَاتِ بِالرَّهْثَةِ وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مِصْرَ. فَرَدَّ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدُ أُمُورَ مِصْرَ كُلِّهَا، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِهِ، وَتَقَلَّدَ الشَّيْفَ وَلَيْسَ الْمِطْطَعَةَ، وَلَيْسَ أَبُو بَكْرٍ الدَّرَاعَةَ تَنْزُهَا.

ثم تَنَكَّرَ عليه الإخشيد، وَقَبَضَهُ في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة، وَجَعَلَهُ في دارٍ، وَأَعَدَّ له فيها من الفَرَشِ والآلات والأواني والملبوس والطَّيِّبِ والطَّرَائِفِ وأنواع المأكِلِ والمشارِبِ ما بَلَغَ فيه الغاية، وَتَقَفَّدَهَا بنفسه، وطاقَهَا كُلُّهَا. فَقِيلَ له: عَمِلْتَ هذا كُلَّهُ لِمحمد بن عليٍّ المَآذِرَائِيٍّ^(a). فقال: نَعَمْ هذا مِلكٌ، وأردت ألا يُخْتَنَرُ بشيءٍ لَنَا، ولا يَحْتَاجُ أن يَطْلُبَ حاجةً إلَّا وَجَدَهَا، فَإِنَّه إن فَقَدَ عندنا شَيْئًا مِمَّا يُريدُه اسْتَدْعَى به من دارِهِ، فَتَشَقَّقُ نحن من عينيه عند ذلك، فلم يزل مُعْتَقَلًا حَتَّى خَرَجَ الإخشيدُ إلى لقاء أمير المؤمنين المُتَّقِي لله، فَحَمَلَهُ معه.

ولما مات الإخشيدُ بِدِمَشْقَ كان أبو بكر بِمِصرَ، فَقَامَ بِأَمْرِ أُوْثُوجُورَ بن الإخشيد، وَقَبَضَ على محمد بن مُقَاتِلَ وَزِيرَ الإخشيد، وَأَمَرَ وَنَهَى، وَصَرَفَ الأمورَ إلى أن كانت واقِعَةً غَلْبُونَ واتِّصال أبي بكرِ به. فَلَمَّا عَادَت الإخشيدية، قُبِضَ على أبي بكر. وَنَهَبَتْ دورُهُ وأُخْرِقَ بعضُهَا، وَأُخِذَ ابنه، وَقَامَ أبو الفضلُ جَعْفَرُ بن الفضل بن القُرَاتِ بِأَمْرِ الوِزَارَةِ.

فعندما قَدِمَ كَافُورُ الإخشيدي من الشَّامِ بالعساكرِ التي كانت مع الإخشيد، أَطْلَقَ أبا بكرٍ وأكرمه، وَرَدَّ إليه ضِيَاعَهُ وَضِيَاعَ ابنه. فَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّ وَلَدِهِ، لَحِقَهُ كَافُورُ ومعه الأميرُ أُوْثُوجُورُ عند المقابرِ، وَتَرَجَّلَا له وَعَزَّيَاهُ، ثم رَكِبَا معه حَتَّى ضَلَّيَا عليها. فَلَمَّا مَرَضَ مَرَضٌ مُؤْتَهُ، عَادَهُ كَافُورُ مِرَارًا إلى أن ماتَ^(b) من^(c) شهرِ سَوَّالِ سنة خمس وأربعين وثلاث مائة، فَدُفِنَ بِدارِهِ، ثم نُقِلَ إلى المقابرِ.

وكانت فَضَائِلُهُ جَمَّةً: منها أَنَّهُ أَقامَ أربعين سنةً يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ، وَيركبُ كُلَّ يومٍ إلى المقابرِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فيقفُ له المَوْكِبُ حَتَّى يَنْضِي إلى ثُرْبَةِ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، فيقرأُ عندهم وَيَدْعُو لَهُمْ، وينصرفُ إلى المساجِدِ في الصُّخْرَاءِ يُصَلِّيُ بها والنَّاسُ وَفُوفٌ له إلَّا أَنَّهُ كان في غايةِ العَجَلَةِ، لا يُراجِعُ فيما يُريدُهُ ولو كان ما كان.

ولما أَرَادَ المُقْتَدِرُ أن يُقِيمَ وَزِيرًا كُتِبَتْ رُقْعَةٌ فيها أَسْمَاءُ جَمَاعَةٍ، وَأُنْفِذَتْ إلى عليٍّ بن عيسى لِيشيرَ بِواحدٍ منهم - وكان أبو بكرُ مِّنْ كُتِبَ معهم اسْمُهُ - فَكُتِبَ تحت اسمِ كُلِّ واحدٍ منهم ما يستحقُّه من الوُصْفِ، وَكُتِبَ تحت اسمِ أبي بكرٍ محمد بن عليٍّ المَآذِرَائِيٍّ «مُتَرْفٌ عَجُولٌ». وَتَنَّى أبو بكرُ السَّقَايَاتِ والمَسَاجِدِ في المَعَاوِفِ وفي بَيْحُصْبِ وَبَنِي وَائِلَ، وليس لشيءٍ منها اليومُ/أَثَرٌ يُعْرَفُ. وَمَرَّتْ له في هذا الكتابُ أَخْبَارٌ، وقد أَفْرَدَ له ابنُ زُولاقي «سِيَرَةً» كبيرةً وهذا منها.

(a) بولاق: المارداني. (b) بياض بآياصوفيا. (c) بولاق: في.

ذِكْرُ بَنَاتَيْنِ الْوَزِيرِ - هذه البساتين في الجهة القبليّة من بِرْكَةِ الْحَبَش، وهي قَرْيَةٌ فِيهَا عِدَّةُ مَسَاكِينِ وَبَنَاتَيْنِ كَثِيرَةٍ، وبها جامعٌ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ، وعُرِفَتْ بِالْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيِّ^١. وبنو الْمَغْرِبِيِّ أَصْلُهُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ، وصاروا إِلَى بَغْدَادِ^٢. وكان أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ، تَخَلَّفَ عَلَى دِيْوَانِ الْمُقَرَّبِ بِبَغْدَادِ، فَنُسِبَ بِهِ إِلَى الْمَغْرَبِ، وَوُلِدَ ابْنُهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بِبَغْدَادِ، فَتَقَلَّدَ أَعْمَالًا كَثِيرَةً، مِنْهَا تَذْيِيرُ مُحَمَّدِ بْنِ يَاقُوتَ عِنْدَ اسْتِيلَائِهِ عَلَى أَمْرِ الدَّوْلَةِ بِبَغْدَادِ.

وكان خَالُ وَلَدِهِ عَلِيٍّ - وهو أَبُو عَلِيٍّ هَارُونَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَوَّارِجِيِّ الَّذِي مَدَّحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ - مِنْ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِقٍ. فَلَمَّا لَحِقَ ابْنُ رَافِقٍ مَا لَحِقَهُ بِالْمَوْصِلِ، صَارَ الْحُسَيْنُ ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ إِلَى الشَّامِ، وَلَقِيَ الْإِخْشِيدَ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَصَارَ ابْنُهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِبَغْدَادِ، فَأَتَقَدَّ الْإِخْشِيدُ غَلَامَهُ فَاتَكَ الْمَجْنُونُ، فَحَمَلَهُ وَمِنْ يَلِيهِ إِلَى مِصْرَ.

ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ الْمَغْرِبِيِّ مِنْ مِصْرَ إِلَى حَلَبَ، وَلَحِقَ بِهِ سَائِرُ أَهْلِهِ، وَنَزَلُوا عِنْدَ سَيِّفِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَانَ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَتَخَصَّصَ بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَغْرِبِيِّ، وَمَدَّحَهُ أَبُو نَصْرِ بْنِ ثُبَاتَةَ، وَتَخَصَّصَ أَيْضًا عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِسَعْدِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ، وَمَدَّحَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّامِي.

ثُمَّ شَجَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ حَمْدَانَ فَفَارَقَهُ، وَصَارَ إِلَى بَكْجُورِ بِالرُّقَّةِ، فَحَسَّنَ لَهُ مُكَاتَبَةَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ زِيَارَ وَالتَّحْيِيَّ إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَرَدَتْ عَلَى الْعَزِيزِ مُكَاتَبَةُ بَكْجُورِ قَبْلَهُ وَاسْتَدْعَاهُ، وَخَرَجَ مِنَ الرُّقَّةِ يُرِيدُ دِمَشْقَ، فَوَافَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بُولَايَةَ دِمَشْقَ وَخَلَفَهُ، فَتَسَلَّمَهَا وَخَرَجَ مُحَارَبَةً ابْنَ حَمْدَانَ بِحَلَبَ بِمَشُورَةِ عَلِيٍّ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ، فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ، وَتَأَخَّرَ عَنْهُ مَنْ كَاتَبَهُ، فَقَالَ لَابْنِ الْمَغْرِبِيِّ: غَرَّوْنِي فِيمَا أَشْرَفْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَتَنَكَّرَ لَهُ. فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى الرُّقَّةِ.

وَكَانَتْ بَيْنَ بَكْجُورِ وَبَيْنَ ابْنِ حَمْدَانَ حُطُوبٌ آلَتْ إِلَى قَتْلِ ابْنِ بَكْجُورِ وَمَسِيرِ ابْنِ حَمْدَانَ إِلَى الرُّقَّةِ. فَفَرَّ ابْنُ الْمَغْرِبِيِّ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ، وَكَاتَبَ الْعَزِيزَ بِاللَّهِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ، فَأَذِنَ لَهُ.

^١ ابن دقماق: الانصار ٤: ٥٧.

^٢ راجع عن بني المغربي، الرذرواري: ذيل تجارب الأمم ٢١٧، ٢٣٥-٢٣٨ ابن ظافر: أخبار الدول المنطقية ٤٨-٥٠ ابن العديم: زبدة الحلب ١: ١٥٢، ١٧٢-١٧٨ الفاسي: العقد الثمين ٤: ٦٩-٧٦ المغربي: اتعاظ

الحنفا ٢: ٨٢، محمد كريم إبراهيم: بنو المغربي ودورهم السياسي والإداري خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد Smoor, P., *El' art. al-Maghribi, Banu V*, ١٩٧٦ pp. 1200-2.

وقَدِمَ إلى مصر في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة، وخَدَمَ بها وتَقَدَّمَ في الخِدَمِ، فمَحْرُوصَ العَزِيزِ على أَخذ حَلَبَ. فَقُلِدَ بَنَجُوتَكِينِ بلاد الشام، وَضُمَ إليه أبا الحَسَنِ بنِ المَغْرِبِيِّ ليقوم بكتائبه ونَظَرَ الشام وتَدير الرُجال والأموال. فسارَ إلى دِمَشق في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة، وَخَرَجَ إلى حَلَبَ، وحازِبَ أبا الفَضائِلِ بنِ حَمْدانَ وَغُلَامَهُ لُؤْلُؤَ، فَكَاتَبَ لُؤْلُؤَ أبا الحَسَنِ بنِ المَغْرِبِيِّ، واستماله حتى صَرَفَ بَنَجُوتَكِينِ عن مُحازَبَةِ حَلَبَ، وعادَ إلى دِمَشق.

وَبَلَغَ ذلك العَزِيزُ بالله، فاشتدَّ حَنَقُهُ على ابنِ المَغْرِبِيِّ، وَصَرَفَهُ بِصَالِحِ بنِ عَلِيِّ الرُّوَدْبَارِيِّ، واستتَقَدَّمَ ابنِ المَغْرِبِيِّ إلى مصر. ولم يَزَلْ بها حتى ماتَ العَزِيزُ بالله، وقَامَ من بعده ابنُهُ الحَاكِمُ بِأَمْرِ الله أَبُو عَلِيٍّ منصور، فكان هو وَوَلَدُهُ أَبُو القَاسِمِ حَسِينِ من مَجْلَسائِهِ. فَلَمَّا شَرَعَ الحَاكِمُ بِأَمْرِ الله في قَتْلِ رِجالِ الدَّوْلَةِ من القُواد والكُتَّاب والقُضاة، قَبَضَ على عَلِيٍّ ومحمد ابني المَغْرِبِيِّ وقتلَهُما، ففَرَّ منه أَبُو القَاسِمِ حَسِينِ بنِ عَلِيٍّ بنِ المَغْرِبِيِّ إلى حَسَّانِ بنِ مُفَرِّجِ بنِ الجُزَّاح، فأجازه.

وقُلِدَ الحَاكِمُ يارُخْتَكِينِ^(a) الشام. فخافَهُ ابنُ جُزَّاحٍ لكَثْرَةِ عَسَاكِرِهِ، فَحَسَّنَ لَهُ ابنُ المَغْرِبِيِّ مَهاجَمَتَهُ، فَطَرَقَ يارُخْتَكِينِ^(a) في مَسيرِهِ على غَفْلَةٍ وَأَسْرَهُ، وعادَ إلى الرُّمْلَةِ فَشَنَّى الغاراتِ على زَساتِيقِها، وَخَرَجَ العَشَكُزُ الذي بِالرُّمْلَةِ فقاتَلَ العَرَبَ قِتالًا شَدِيدًا كادَتِ العَرَبُ أَنْ تَنهَزمَ لولا بُيُوتُها ابنُ المَغْرِبِيِّ، وَأشارَ عليهم بِأَشْهَارِ الدَّاءِ بِإِباحَةِ التَّهَبِ والغَنِيمَةِ فَنَبَتُوا، ونادوا في النَّاسِ، فَاجتمعَ لَهُم خُلُقٌ كَثِيرٌ، وَزَحَفُوا إلى الرُّمْلَةِ فمَلَكُوهَا، وبالَغُوا في التَّهَبِ والهُتْكَ والقَتْلِ.

فانزَعَجَ الحَاكِمُ لذلك اِزعاجًا عَظِيمًا، وَكَتَبَ إلى مُفَرِّجِ بنِ جُزَّاحٍ يُحذِّره سَوءَ العاقِبَةِ، ويُلْزمه بِإِطلاقِ يارُخْتَكِينِ^(a) من يدِ حَسَّانِ ابنِهِ ورسالَهُ إلى القَاهِرَةِ، وَوَعَدَهُ على ذلك بِخَمْسِينَ ألفَ دِينَارٍ. فبادَرَ ابنُ المَغْرِبِيِّ لَمَّا بَلَغَهُ ذلك إلى حَسَّانَ، ومازالَ يُغْرِيه بِقَتْلِ يارُخْتَكِينِ^(a) حتى أَحضرَهُ وَضَرَبَ عُنُقَهُ. فَشَقَّ ذلكَ على مُفَرِّجٍ، وَعَلِمَ أَنَّهُ قَسَدٌ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَاكِمِ.

فأخَذَ ابنُ المَغْرِبِيِّ يُحَسِّنُ لِمُفَرِّجٍ خُلْعَ طاعةِ الحَاكِمِ والدُّعاءَ لغيرِهِ إلى أَنْ اسْتَجابَ لَهُ. فراسَلَ أبا الفَتْوحَ الحَسَنَ بنَ جَعْفَرَ العَلَوِيَّ أميرَ مَكَّةَ يَدْعُوهُ إلى الخِلافةِ، وَسَهَّلَ لَهُ الأَمْرَ، وَسَيَّرَ إِلَيْهِ باينِ المَغْرِبِيِّ يَحْمِيهِ على المَسيرِ، وَجَرَّاهُ على أَخذِ مالٍ تَرَكَهُ بَعْضُ المِياسِرِ، وَنَزَعَ المَحارِبَ الدَّعَبَ والفِصَّةَ المَنصُوبَةَ على الكُفَّةِ وَضَرَبَتْها دنانيرَ ودرَاهِمَ وَسماها الكُفِّيَّةَ.

وخرج ابن المغربي من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر، ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة. فلقاه بنو الجراح، وقبلوا له الأرض، وسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ونادى في الناس بالأمان، وصلّى بالناس الجمعة.

فانقض الحايكم لذلك، وأخذ في استمالة حسان ومفرج وغيرهما، وبذل لهم الأموال، فتنكروا على أبي الفتوح، وقلد أيضا مكة بعض بني عم أبي الفتوح. فضعف أمره، وأحسن من حسان بالقدر، فرجع إلى مكة وكاتب الحايكم واعتذر إليه، فقبل عذره.

/وأما ابن المغربي فإنه لما انحل أمر أبي الفتوح، ورأى مثل بني الجراح إلى الحايكم كتب إليه :

[الطويل]

١٠ وأنت، وحشي أنت تعلم أنّ لي لسانا أمام المجد يئني ويهديم
وليس خليما من ثباس يميئه فيوضي، ولكن من نعض فيخلّم

فسير إليه أمانا بخطه، وتوجه ابن المغربي قبل وصول أمان الحايكم إليه إلى بغداد، وبلغ القادر بالله خبره، فاتهمه بأنه قديم في قتاد الدولة العباسية، فخرج إلى واسط واشتغف القادر، فغط عليه وعاد إلى بغداد، ثم مضى إلى قزواش بن المقلد أمير العرب، وسار معه إلى الموصل فأقام بها مدة.

١٥

وخافه وزير قزواش فأخرجه إلى ديار بكر، فأقام عند أميرها نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مزوان الكُردي، وتصرف له، وكان يلبس في هذه المدة الرقعة والصوف. فلما تصرف غير لباسه وانكشف حاله، فصار كمن قيل فيه، وقد ابتاع غلاما تركيا كان يهواه قبل أن يتساعه :

٢٠ [الوافر]

تبدّل من مرقعة ونسك بأنواع المسك والشفوف
وعن له غزال ليس يخوي هواه ولا رضاه بليس صوف
فعاذ أشد ما كان انيها كما كذاك الدهر مختلف الصروف

وأقام هناك مدة طويلة في أعلى حال وأجل رتبة وأعظم منزلة، ثم كويت بالمسير إلى الموصل ليشترّزه صاحبها. فسار عن ميفارقين وديار بكر إلى الموصل، فقلد وزارتها، وترد إلى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي بن بويه، واجتمع برؤساء

الذئلم والأثرak، وتحدث في وزارة الحضرة حتى تقلدها، بغير خلج ولا لقب ولا مفارقة الدواغة، في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربع مائة، فأقام شهوذاً، وأغزى رجال الدولة بعضهم ببعض.

وكانت أمور طويلة آلت إلى خروجه من الحضرة إلى قزواش، فتجدد للقاير بالله فيه سوء ظن بسبب ما أثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة، حتى ذهبت فيها عدة نفوس وأموال. ففر إلى أبي نصر بن مزوان، فأكرمه وأقطع ضياعاً وأقام عنده، فكتب من بغداد بالعود إليها، فبرز عن ميفارقين يريد المسير إلى بغداد فشم هناك، وعاد إلى المدينة فمات بها لأيام خلّت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مائة. ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مائة.

وكان أشمر شديد الشمرة، بساطاً عالماً بليغاً مترسلاً، متفتناً في كثير من العلوم الدينية والأدبية والنحوية، مشاراً إليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبدئية، عظيم القدر، صاحب سياسة وتذير وحيل كثيرة وأموار عظام. ذوخ الممالك، وقلب الدول، وسمع الحديث، ورؤى وصنف عدة تصانيف. وكان ملولاً حقوذاً، لا تليق كبده، ولا تنحل عقده، ولا يخنى عوده، ولا تزجي وعوده. وله رأي يزن له العقوق، ويتبعض إليه رعاية الحقوق، كأنه من كبره قد ركب الفلك، واستولى على ذات الحبك.

وكان بمصر من بني المغربي أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي، قد قتل الحاكم جده محمدًا مع أبيه علي بن الحسين كما تقدم^١. فلما نشأ أبو جعفر صار إلى العراق وخدم هناك، وتنقلت به الأحوال، ثم عاد إلى مصر، واضطنعه الوزير اليازوري^٢، وولاه ديوان الجيش، وكانت السيدة أم المستنصر تغنى به. فلما مات الوزير اليازوري^٣، وولي بعده الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي، قبض عليه في جملة أصحاب اليازوري^٤ واعتقله. فتقررت له الوزارة وهو في الاعتقال، وخلج عليه في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربع مائة، ولقب بـ«الوزير الأجل الكامل الأوحـد صفي أمير المؤمنين وخالصة»، فما تعرض لأحد، ولا فعل في البابلي ما فعله البابلي فيه وفي أصحاب اليازوري، فأقام سنتين

(١) بولاق: البارزي.

وشهورًا، وصُرفَ في تاسع شهر رَمَضان سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة^١. وكان الوُزراء إذا صُرفوا لم يَتَصَرَّفوا، فاقترح أبو الفرج بن المُعَرِّي لما صُرف أن يتولَّى بعض الدَّواوين، فوُلِّي ديوان الإنشاء - الذي يُعرف اليوم بِوُظيفة كِتابَةِ السَّرِّ - وهو الذي اسْتَبْطَ هذه الوُظيفة بديار مصر، واستحدثت استخدام الوُزراء بعد صُرفهم عن الوُزارة. ولم يَزَل نايبة القُدْر إلى أن توفي سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة^٢.

بِرْكَةُ الشَّعْبِيَّةِ

هذه البركة موضِعُها خَلْف جِسر الأفرم، فيما بينه وبين الجُوف الذي يُعرف اليوم بِالرُّضد^٣، وكانت تُجاوِر بِركة الحَبَش من بَحْرِها، وقد انْقَطَعَ عنها الماء، وصارت تَساتِن ومزارع وغير ذلك. قال ابنُ المُتَوَجِّج: بِركة الشَّعْبِيَّة بِظاهر مصر، كان يَدْخُل إليها ماءُ الثَّيل، وكان لها خَلِيجان: أَحَدُهُما من قِبَلِها وهو الآن بِجوار مَنظَرَةِ الصَّاحِب تاج الدِّين بن جِنَّا المعروفة بِمَنظَرَةِ المَغشوق^٤. والثاني من بَحْرِها، / ويُقال له خَلِيج بني وائِل، عليه قَنطَرَةٌ بها عُرفُ بابِ القَنطَرَةِ بِمصر. وكان يجري فيهما الماء من الثَّيل إليها، فكان الماء يَدْخُل إليها في كُلِّ سنة وَيَغْتَمها، وَيَدْخُل إليها الشُّخاتير^٥.

وكان بدائِرها من جانبِها الشَّرقي آذُر كثيرة، وكانت تُزَهِّة المِصريين. فلَمَّا استأجَرها الأميرُ عَزَّ الدِّين أَيْتُك الأفرم من الثَّائِطِ عليها من جِهَةِ الحُكَم القَزَيزي، حازَها بِالجُشور عن الماء، وغَرَسَ فيها الأَنْشَاب^٦ والكُروم، وحَفَرَ الآبار.

(a) بولاق: الأشجار.

^١ الأفرم هو الطريق الزراعي الواقع أمام منطقة أثر الثَّيبي الآن (انظر فيما يلي ٥٥١). ويَدُلُّ على موقع هذه البركة الآن المنطقة المعروفة بِالزُّهراء بِمصر القديمة.

^٢ حاشية بِحْطُ المُولَّف: «قد غَرِبت هذه القَنطَرَةُ وبقي أثرها بِالقُرْب من رِباط الآفارة».

^٣ عن الشُّخاتير، انظر فيما تَقْدَم ٤٧٦هـ.

^٤ راجع، ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوُزارة ٨٣-٨٥ وهو مصدر المقرئ في هذه الترجمة؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٨، ٢٢، ابن سعيد: النجوم ٣٥٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٢-٢٢٣؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا ٢: ٢٥١، ٢٦١، ٣٢٢، والمقفى الكبير ٥: ٥٠٢-٥٠٣.

^٥ ابن الصيرفي: الإشارة ٨٥، وفيما يلي ٤٥٩.

^٦ الرُّضد هو المنطقة المعروفة الآن بِأَشْطِل عَشْر، وجِشور

وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسون فداناً^(٥) بالقصة الحاكمية^(٦)، ولها حدود أربعة: الحد القبلي ينتهي بعضه إلى بقع أرض المعشوق الجاري في وقف ابن الصابوني، وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش، وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل إليها الماء من خليج بركة الأشرف. والحد البحري كان ينتهي بعضه إلى منظره قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وإلى جسر. والحد الشرقي ينتهي إلى الأثر التي كانت مطلة عليها وقد خرب أكثرها، وكانت مسكن أغنياء المصريين من القضاة والكتاب. والحد الغربي ينتهي إلى مجوف النيل.

ولما استأجرها الأفريم شرط له خمسة أفدنة يُعمر عليها، ويُجرها لمن يُعمر عليها: منها فدان واحد من تخريبها، وفدانان من عوئها ملاصقان لجدار البساتين، وفدانان بالجرف الذي من حقوقها. فلما مات الأفريم طمع الأمير علم الدين الشجاع في ورثته وفي الوقف وأزواجه، فعصب أرض الجرف وجعلتها فدانان ثم تركها. فلما كان في أثناء دولة الناصر محمد بن قلاوون ووزارة الأعسر، بيعت أرضها لأرباب الأبنية التي عليها. وهذه البركة وقفها الخطير بن تميمي، ودخل معهم بنو الشعيبة لاختلاط أنسابهم بالتنازل^(٧).

وقال في موضع آخر: ومن جملة الأوقاف بركة الخطير بن تميمي المشهورة ببركة الشعيبة، ومساحة أرضها أربعة وخمسون فداناً ورُبُع، ولها حدود أربعة: القبلي من البركة الصغرى منها إلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش، وفيه قنطرة يمر منها الماء إلى هذه البركة، وباقي هذا الحد إلى بعض أبنية مناظر المعشوق. ومن جملة حقوق هذا الوقف المجاز المستطيل المسلوكة فيه إلى المنظر المذكورة، ومنه دهليزها والإيوان البحري. وهذا جميعه رأته ثوعة من تراع هذه البركة المذكورة يمر الماء فيها في زمن النيل إليها. وكان باقي هذه المنظر داراً مطلة على بحر النيل من شريقها، وعلى هذه الثرعة من تخريبها، ثم ملكها الصاحب تاج الدين بن حنا وهدمها وزدّم الخليج، وعمر المنظر والحمام والبيوت الموجودة الآن، وباقي ذلك كله في أرض ابن الصابوني.

(٥-٥) إضافة من ابن دقماق.

^١ بقية النص عند ابن دقماق، وهو ينقل أيضاً عن ابن المتوج: «وبين بركة الأشرف وبينها جسر فاصل وبه قنطرة يدخل الماء إليها من خليج بركة الأشرف لما بقي من هذه البركة، وهي قطعة لطيفة بين بُستان المعشوق وغيظ ابن المراهي (المراهق)، وكان عليها آثر مطلة عليها وقد خرب أكثرها». (الانتصار ٤: ٥٥٥).

^٢ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٥٥.

وَحَدُّ هَذِهِ الْبِرْكَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ إِلَى الطَّرِيقِ الْآنَ ، وَكَانَ فِيهِ جِسْرٌ - يُعْرَفُ بِجِسْرِ الْحَيَّاتِ - كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ هَذِهِ الْبِرْكَةِ وَبَيْنَ بِرْكَةِ شَطَا ، وَكَانَ فِيهِ قَنْطَرَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْبِرْكَةِ إِلَى بِرْكَةِ شَطَا ، وَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِّ تَرْوَعَةٌ أُخْرَى يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا فِي زَمَنِ الثَّلِثِ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ ، وَرَأَيْتُهُ يَجْرِي فِيهَا ، وَرَأَيْتُ الشُّخَاثِيرَ تَدْخُلُ فِيهَا إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ .

وَأَمَّا حَدُّهَا الشَّرْقِيّ فَإِنَّهُ كَانَ إِلَى أُتَيْبَةِ الْأَدْرِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ . وَأَمَّا حَدُّهَا الْغَرْبِيّ فَإِنَّهُ كَانَ إِلَى بَحْرِ الثَّلِثِ ^١ .

وَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ اسْتَأْجَرَهَا الْأَمِيرُ عِزَّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْأَفْرَمَ ، فَزَدَمَ هَذِهِ التَّرْوَعَةَ ، وَبَنَى جِيْطَانًا هَذَا الْبُشْتَانَ ، وَجَسَرَ عَلَيْهِ ، وَزَرَعَ فِيهِ الشُّتُولَ وَالْخَضِرَوَاتِ . وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ سَنِينَ ، ثُمَّ اسْتَأْجَرَهُ إِجَارَةً ثَانِيَةً ، وَاسْتَقَرَّ الْبِنَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْدِيَّةٍ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ وَقَدْ كَانَ فِي جَانِبِهِ الْبَحْرِيِّ ^٢ . فَغَمَّرَ النَّاسُ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْجُسُورِ ، وَرَخَّصَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى رَغِبُوا فِي الْعِمَارَةِ ، وَآجَرَ كُلُّ مِائَةِ ذِرَاعٍ مِنْ ذَلِكَ بَعِشْرَةَ دَرَاهِمٍ نَقْرَةً ، وَغَمَّرَ الْبَيْتَ الْمَشْهُورَةَ بِبَيْتِ السَّوَاكِي فَغَمَّرَتْ أَحْسَنَ عِمَارَةً .

فَلَمَّا تَوَفَّى الْأَفْرَمَ طَمِعَ الشُّجَاعِيُّ فِي أَزْوَاجِ الْوَقْفِ وَفِي وَرَثَتِهِ ، وَتَزَعَّ مِنْهُمْ الْقَدَّادِينَ الْمُطَّلَّةَ عَلَى بَحْرِ الثَّلِثِ ، وَابْتَاعَ ذَلِكَ مِنْ وَكَيْلِ بَيْتِ الْمَالِ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

ذِكْرُ الْمَعشُوقِ - اِغْلَمَ أَنَّ الْمَعشُوقَ اسْمُ لِمَكَانٍ فِيهِ أَشْجَارٌ بِظَاهِرِ مِصْرَ ، مِنْ جُمْلَةِ خِطَّةِ رَاشِدَةَ ، عُرِفَ أَوَّلًا بِجِنَانِ كَهْمَسَ بْنِ مَعْمَرٍ ، ثُمَّ عُرِفَ بِجِنَانِ الْمَآذِرَائِيِّ ^(a) ، ثُمَّ عُرِفَ بِجِنَانِ الْأَمِيرِ تَمِيمِ بْنِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ ، ثُمَّ جَدَّدَهُ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجَيْشِ فَعُرِفَ بِهِ . وَآخِرُ مَا ^(b) صَارَ مِنْ وَقْفِ ابْنِ الصَّابُونِيِّ ، فَأَخَذَهُ الصَّاحِبُ تَائِجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ جِنَّا وَعَمَّرَ بِهِ مَنَاطِرَ ، وَأَوْصَى بِعِمَارَةِ رِبَاطٍ لِلْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ وَأَنْ تُوقَفَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أُنْشِيَ الرِّبَاطُ الْمَذْكُورُ ، أُرْصِدَ لِمَصَالِحِهِ ، وَهُوَ الْآنَ وَقَفٌّ عَلَيْهِ .

(a) بولاق : المارداني . (b) بولاق : وآخرون .

^١ يُدُلُّ عَلَى مَوْقِعِ بَرَكَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْآنَ مَنَاطِقَةُ الزُّهْرَاءِ جَنُوبَ كَوْبَرِيِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بِمِصْرَ الْقَدِيمَةِ (وَانْظُرْ كَذَلِكَ مُحَمَّدَ الشَّشْتَاوِي : مَنَازِلُ الْقَاهِرَةِ ، ٩٧-٩٩) .

^٢ حَاشِيَةٌ بِحَقِّ الْمَوْفِّ : «هَذِهِ الثَّلَاثَةُ أَفْدِيَّةٌ الَّتِي عُرِفَتْ بِجِسْرِ الْأَفْرَمِ فِيمَا بَيْنَ رِبَاطِ الْآثَارِ وَالْمَدْرَسَةِ الْمُعِزِّيَّةِ ظَاهِرِ مِصْرَ» .

وأرض هذا البستان يماً وقفه ابن الصابوني على بنيه ، وعلى رباطه المجاور لبقية الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - بالقرافة . وبثو الصابوني يشتادون من المتحدث على رباط الآثار شيقا في كل سنة عن جكر أرض بستان المغشوق .

قال القضاعي في ذكر خطة راشدة : ومنها المغبرة المعروفة بمغبرة راشدة ، والجنان المعروف كان^(٨) بكهمنس بن مغمر ، ثم عرف^(٩) بالماذرائي^(١٠) ، وهو المعروف الآن بالأمير تميم ابن المعز^١ .

وقال ابن يونس : كهمنس بن مغمر بن محمد بن مغمر بن حبيب ، يكنى أبا القاسم ، كان أبوه بصرياً وولد هو بمصر ، وكان عاقلاً ، وكانت القضاة تقبله . حدث عن محمد بن رافع وعيسى بن حماد زغبة ، وسلمة بن شبيب ونحوهم . توفي في يوم الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثلاث مائة^٢ .

وقال ابن خلكان : تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي ، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى القاهرة المعزية . وكان تميم فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، ولم يلب المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز فولّيتها بعد أبيه ، وأشعاره كلها حسنة ، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاث مائة^٣ . وقد ذكر كلاً من الماذرائي^(١١) وابن حنّا والأفضل^{١٥} .

(٨) بولاق : الجنان المعروفة كانت تعرف . (ب) بولاق : عرفت . (ج) بولاق : المازداني .

أثر المغشوق فيه آثار سوء

قد أدالت تذا الحوادث منه

وقد ورد هذا النص في متن طبعة بولاق .

^٢ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٤١٥ .

^٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٣٠١ ، ٣٠٣ ، وقارن

كذلك ابن ظافر : أخبار الدول المقطعة ١٢٨ المقرئ :

المغنى الكبير ٥٨٨ : ٦٠٠ .

^١ حاشية بخط المؤلف : هو بنى المغشوق على الله أحمد ابن القوكل في الجانب الشرقي من «سور» من رأى قصرًا سماء المغشوق وأقام به . وبين بغداد وتكرت منزلة فيها آثار بناء وقصور تستلج العائق والمغشوق . وفيه أنشد الشريف زهرة بن علي بن زهرة بن الحسن الحنطلي ، وقد اجتاز به يريد الحج :

[الخفيف]

قد رأيت المغشوق وهو من الهج

ونشر ديوانه محمد حسن الأعظمي وصدر عن دار

الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٦ ، ١٩٩٤ .

بحال نيبو التواظير عنه

وأما ابن ممتاتي فإنه أشعذ بن مَهْدُب بن زَكْرِيَّا بن قُدَامَةَ بن مينا، شَرَفُ الدِّين مَمَّاتِي أَبِي
المكارم بن سعيد بن أبي المَلِيح الكاتب المصري^١. أَصْلُهُ من نَصَارَى شَيْوِط من صَعِيد مصر،
وَاتَّصَلَ جَدُّهُ أَبُو المَلِيح بِأَمِير الجُيُوش بِذَر الجَمَالِي، وَزِير مصر فِي أَيَّام الخَلِيفَةِ المُسْتَنْصِر بالله،
وَكَتَبَ فِي دِيوان مصر، وَوَلِيَ اسْتِيفَاءَ الدِّيوان. وَكَانَ جَوَادًا تَمْدُوحًا، انْقَطَعَ إِلَيْهِ أَبُو الطَّاهِر
إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد، المعروف بِابن مُكْنَسَةَ الشَّاعِر^٢، فَمِن قَوْلِهِ فِيهِ لَمَّا مَاتَ^٣:

[مجزوء الكامل]

طَوَيْتُ سَمَاءَ المَكْرَمَا بَ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ المَدِيحِ
وَتَنَازَرَتْ شُهُبُ العُلا مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي المَلِيحِ
مَا كَانَ بِالتَّحْسِ الدُّنْيِي عَ مِنْ الرِّجَالِ وَلَا الشُّحِيحِ
كَفَرَ النَّصَارَى بَعْدَ مَا غَدَرُوا بِهِ دُونَ المَسِيحِ

وَرِثَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ. وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ ابْنُهُ المَهْدُبُ بن أَبِي المَلِيح زَكْرِيَّا دِيوان الجُيُوش بِمصر
فِي آخِر الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ. فَلَمَّا قَدِمَ الأَمِيرُ أَسَدُ الدِّين شِيرْكُوهُ وَتَقَلَّدَ وَزَارَةَ الخَلِيفَةِ العَاضِدِ، شَدَّدَ
عَلَى النَّصَارَى وَأَمَرَهُمْ بِشَدِّ الزُّنَانِيرِ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ إِخْرَاجِ الدُّوَاةِ الَّتِي تُسَمَّى اليَوْمَ
بِالعَدْبَةِ، فَكَتَبَ لِأَسَدِ الدِّينَ:

[السريع]

يَا أَسَدَ الدِّينَ وَمَنْ عَذِلَهُ يَحْفَظُ فِينَا سُنَّةَ المُصْطَفَى
كَفَى غِيَارًا مَدُّ أَوْسَاطِنَا فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ كَشْفَ القَفَا

فَلَمْ يُشْعِفْهُ بِطَلِيئَتِهِ، وَلَا مَكْنَهُ مِنْ إِخْرَاجِ الدُّوَاةِ.

^١ Iba Mammâtî III, pp. 886-87; id., *CE* art. *Ibn*
(Mammâtî 4, pp. 1268-69).

^٢ أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مُكْنَسَةَ
الإسكندراني، من شعراء مصر في العصر الفاطمي، المتوفى
سنة ٥١٠هـ/١١١٦م. (العقاد الكاتب: خريدة القصر
(قسم مصر) ٢: ٢٠٣-٢١٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات
٢١٣: ٢١٣-٢١٥).

^٣ هذه القصيدة كانت شبيهاً في هجر الوزير الأفضل
شاهنشاه لابن مُكْنَسَةَ وإيماده. (الخريدة ٢: ٢٠٣)، وانظر
بعض أبياتها عند القفطي: إنباه الرواة ١: ٢٣١.

^١ القاضي شَرَفُ الدِّين أَبُو المكارم الأشعذ بن مَهْدُب بن
مينا بن أبي المَلِيح زَكْرِيَّا بن قُدَامَةَ بن أَبِي مَلِيح مينا، ابن
الخطير أبي سعيد، المعروف بابن مَمَّاتِي - بفتح الميمين وتشديد
الثانية - المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م. (باتوت: معجم
الأدباء ١: ٦-١٢٦؛ القفطي: إنباه الرواة ١: ٢٣١-٢٣٤؛
العقاد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ١: ١٠٠-
١١٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١: ٢١٠-٢١٣؛
الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٨٥-٤٨٦؛ الصفدي:
الوافي بالوفيات ٩: ١٩-٢٧؛ المقرئ: القفي الكبير
٢: ٨٣-٨٧، السلوك ١: ١٧٣؛ *Aziz S. Atiya, Et* art.

وعندما أيس من ذلك أسلم، فقدم على الدواوين حتى مات. فحلَّقه ابنه أبو المكارم أشعد ابن مَهْدَب، الملقَّب بالخطير، على ديوان الجيش، واستمرَّ في ذلك مُدَّة أيام السُّلطان صلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب وأَيَّام ابنه الملك العزيز عُثْمان، وولَّى نَظَرَ الدَّواوين أَيْضًا، واختَصَّ بالقاضي الفاضل وحِطِّيَّ عنده، وكان يُسمِّيه بُلْبُل المَجْلِس لما يَرَى من حُسن خطابه.

وصنَّف عدَّة مُصَنَّفَات: منها «تَلَقِين اليَقِين» فيه الكلام على حديث «بَنِي الإسلام على خَمْس ...»، وكتاب «حُجَّة الحَقِّ على الخَلْق» في التَّحذِير من سُوء عاقِبَةِ الظُّلْم، وهو كبير، وكان السُّلطان صلاح الدِّين يُكَيِّر النَّظَرَ فيه، وقال فيه القاضي الفاضل: وَقَفْتُ من الكُتُب على ما لا تُحْصِي عِدَّتُهُ، فما رأيتُ والله كِتَابًا يَكُون قِبَالَةَ بَابٍ مِنْهُ، وإنَّه والله من أَهَمِّ ما طالِقَهُ الملوك. وكتاب «قَوَانِين الدَّواوين» صنَّفَهُ للملك العزيز، فيما يَتعلَّق بدواوين مصر ورُسُومها وأُصولها وأحوالها، وما يجري فيها، وهو أربعة أَجزاء ضخمة، والذي يَقَعُ في أَيْدِي النَّاسِ مُجَرَّدٌ واجِدٌ اختَصَرَهُ مِنْهُ غير المُصَنِّف. فَإِنَّ ابن تِمَّاتِي ذَكَرَ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ ضَيْعَةٍ مِنْ أَعْمَالِ مصر، وَمِسَاحَةِ كُلِّ ضَيْعَةٍ، وَقَانُونٌ رَافِدٌ، وَمُنْتَحَصِلُهَا مِنْ عَيْنٍ وَغَلَّة. وَنَظَمَ سِيرَةَ السُّلطان صلاح الدِّين يُوسُف، وَنَظَمَ «كَلِيلَةَ وَدِئْنَةَ»، وله ديوانٌ شِعْرٌ^١.

ولم يَزَلْ بِمصر حتى مَلَكَ السُّلطانُ الملكُ العادلُ أبو بكر بن أَيُّوب، ووَزَرَ لَهُ صَفِيُّ الدِّين علي ابن عبد الله بن شُكْر، فحافَهُ الأَشْعَدُ لما كان يَضُدُّرُ مِنْهُ فِي حَقِّهِ مِنَ الإِهَانَةِ. وَشَرَعَ الوَزِيرُ ابن شُكْر فِي العَمَلِ عَلَيْهِ، وَرَتَّبَ لَهُ مُؤَامَرَاتٍ وَنُكَبَةٍ، وَأَحَالَ عَلَيْهِ الأَجْنَادَ. فَفَرَّ مِنَ القَاهِرَةِ وَسَقَطَ فِي حَلَب، فَخَدَمَ بِهَا حتى ماتَ فِي يَوْمِ الأَحَدِ سَلَخَ جُمادى الأولى سنة سِتٍّ وَسِتِّ مِائَةٍ عَنِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وكان سَبَبُ تَلَقُّيبِ أَبِي مَلِيحَ بِمَمَّاتِي أَنَّهُ كانَ عَنْده، فِي غَلَاءِ مصر فِي أَيَّامِ المُسْتَعْصِرِ، قَمَحٌ كَثِيرٌ، وَكانَ يَتَصَدَّقُ عَلَى صِغارِ المُسلمينَ وَهُوَ إِذْ ذاكَ نَصْراني، وَكانَ الصُّغارُ إِذا رَأَوْهُ/ قالوا: مَمَّاتِي، فَلَقَّبَ بِهَا.

وما وَصَلَ إلينا مِنْ كِتابِ «قَوَانِين الدَّواوين» لَيْسَ أَضَلُّ مِنَ الكِتابِ، وَأَمَّا مُختَصَرُهُ الَّذِي يَشِيرُ إِلَيْهِ المَقْرِزِيُّ هُنا، وَنَشَرَهُ عَزِيزُ سوريال عَطِيَّةٌ بالقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٩٤٣ ضَمِنَ مَطبوعاتِ الجُمُعِيَّةِ الزَّراعيَّةِ المُلْكِيَّةِ.

^١ انظر قائمة بمؤلفات ابن تيماتي عند، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ٢٠، المقريزي: المقفى الكبير ٢: ٨٤-٨٥؛ Brockelmann, C., GALI, 335, SI, 573 وهذا النص موجود كذلك عند المقريزي في المقفى الكبير ٢: ٨٥.

ومن شعره :

[الوافر]

تُعَاتِبُنِي وَتُلْهِمُنِي عَنْ أُمُورٍ سَبِيلُ النَّاسِ أَنْ يَنْهَوْكَ عَنْهَا
أَتَغْدِرُ^(١) أَنْ تَكُونَ كَمِثْلِ غَيْثِي وَحَقُّكَ مَا عَلَيَّ أَضَرُّ مِنْهَا

وقال في أُنْزُجَةٍ كانت بين يَدَيِ القَاضِي الفَاضِل ، وهو مَعْنَى بَدِيع :

[السريع]

لِلَّهِ بَلٌّ لِلْحُسْنِ أُنْزُجَةٌ تُذَكِّرُ النَّاسَ بِأَمْرِ التَّعْهِيمِ
كَأَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ نَفْسَهَا مِنْ هَيْبَةِ الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ

بِرْكَةُ شَطَا

- ١٠ ^(١) هذه البركة موضِعُها الآنَ كَيْمَانٌ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ يَخْرُجِ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ طَالِيَا جِسْرَ الْأَقْرَمِ وَرِبَاطَ الْأَنْارِ^١ . كَانَ الْمَاءُ يَغْتَرُّ إِلَيْهَا مِنْ خَلِيجِ بَنِي وَائِلَ ، وَمَوْضِعُهُ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ يَخْرُجِ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةٌ بَنَاهَا الْقَزِيزُ بِاللَّهِ بْنِ الْمُجِزِ ، وَبِهَا سُمِّيَ بَابُ الْقَنْطَرَةِ هَذَا^(٢) .

- قال ابنُ المُنَوِّجِ : بِرْكَةُ شَطَا بِظَاهِرِ مِصْرَ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ مَرٍّ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ ، وَكَانَ الْمَاءُ يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ خَلِيجِ بَنِي وَائِلَ مِنْ تَرَايِخٍ بِالشُّورِ الْمُسْتَجِدِّ ، وَمِنْ بِرْكَةِ الشَّعْبِيَّةِ مِنْ قَنْطَرَةٍ فِي وَسْطِ الْجَيْشِ الْمَعْرُوفِ بِجِسْرِ الْحَيَّاتِ ، الَّذِي كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْبِرْكَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ ، وَكَانَ بَوْسِطُهَا مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْجَلَّالَةِ بِقَنَاطِرٍ بَوْسِطُهَا كَانَ يُشْلِكُ عَلَيْهَا إِلَيْهِ ، وَكَانَ يُطَلُّ عَلَى بِرْكَةِ شَطَا أَدْرَ خَرِبَتْ بِانْقِطَاعِ الْمَاءِ عَنْهَا ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهَا بُسْتَانٌ فِيهِ مَنَظَرَةٌ وَوَرَاقَةٌ^(٣) وَطَاحُونٌ وَحَمَّامٌ ، وَبِظَاهِرِ بَابِهِ حَوْضٌ سَبِيلٌ وَقَفَ ذَلِكَ الْمُخَلَّصُ الْمَوْقِعَ ، وَقَدْ خَرِبَ^(٤) .^٢

(١) بولاق : أنقدر . (b-b) هذه الفقرة وردت في هامش أباصوفيا ، وكتب الناسخ قبلها : «حاشية بخط المؤلف من غير تخريج» . (c) بولاق : دراية . (d) النص عند ابن دقماق ، وهو ينقل كذلك عن ابن المنوج : «كل ذلك عمره القاضي مخلص الدُّين الموقع المعروف بالمخلص ، وهذا المكان قد خرب» .

^١ بِرْكَةُ شَطَا . يَدُلُّ عَلَى مَوْقِعِهَا الآنَ الْجَزَاءُ الْجَنُوبِي مِنَ الْقَاهِرَةِ ٩٩-١٠٠ .
^٢ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٥٤-٥٥ .
خَرْطَةُ الشَّيْخِ مَبَارَكِ شَمَالِ مَحْطَةِ الزُّهْرَاءِ بِمَنْطَقَةِ مِصْرِ الْقَدِيمَةِ . (وَانْظُرْ كَذَلِكَ ، مُحَمَّدُ الشَّشْتَاوِي : مَنَازِعُ

بِرْكَةُ قَارُوق

هذه البركة موضعتها الآن فيما بين خدزة ابن قميحة، خلف جامع ابن طولون، وبين الجسر الأعظم^١ الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل. وعليها الآن عدة أدر وتعرف ببركة قراجا، وكان عليها عدة عمائر جميلة في قديم الزمان عندما عُمر العسكر والقطائع^٢. فلما خربت العسكر والقطائع - كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب - خرب ما كان من الدور على هذه البركة أيضا حتى إنه كان من خرج من مصلى مصر القديم - وموضعه الآن الكوم الذي يُطل على قبر القاضي بكار بالقرافة الكبرى - يرى بركتي الفيل وقارون والتيل.

ولم يزل ما حوّل هذه البركة خرابا إلى أن حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون البركة الناصرية في أراضي الزهري^٣، وكانت واقعة الكنائس في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة^٤، فصار جانب هذه البركة الذي يلي حطّ الشئع سقايات مقطّعة طريق فيه مركز مقيم فيه، من جهة متولّى مصر، من يخزّن المازة من القاهرة إلى مصر.

ولم يكن هناك شيء من الدور، وإنما كان هناك بُستان بجوار حوض الدمياطي، الموجود الآن تجاه كوم الأسارى، على يمتة من خرج وسلّك من الشئع سقايات إلى قنطرة الشد، ويُشرف هذا البستان على هذه البركة. فحكَر أَقْبغا عبد الواحد مكانه، وصارت فيه الدور الموجودة الآن، كما ذكر عند جكر أَقْبغا في ذكر الأحكار^٥.

قال القضاعي: دار الفيل هي الدار التي على بركة قارون، ذكر بنو مشكين أنها من حبس جدّهم^٦. وكان كافور أمير مصر اشتراها وبني فيها دارا، ذكر أنه أنفق عليها مائة

وسيدي زينهم غربا، وتقع إلى الشرق منها الأرض المعروفة الآن بحوش الأوب بك أمام الساقية الأثرية. (محمد رمزي: مذكرة في تسمية الشوارع والطرق ١١٣، Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 35-39 محمد الششتاوي: متزهات القاهرة ١٠١-١٠٢).

^٣ فيما يلي ٥٤٩. ^٤ فيما يلي ٥١٢:٢-٥١٧.

^٥ فيما تقدم ٣٨٥.

^٦ ابن دماق: الانتصار ٤: ١٢٥.

^١ فيما يلي ٥٥٢.

^٢ بركة قارون، كانت تجاه بركة الفيل، فيما بين خدزة ابن قميحة (وهي الأرض المنحدرة من تلال زينهم في اتجاه شارع زينهم المتعامد على أول شارع زين العابدين) وبين الجسر الأعظم (الذي يطل على موضعه الشارع المعروف الآن بشارع عبد المجيد اللّيان (مراسينا سابقا). ويطل على موقع البركة الآن المنطقة الممتدة بين شارع زينهم الجديد جنوبا وشارع سلامة شمالا وشارع الواور شرقا وحارة الشيخ التّغال

ألف دينار، ثم سكنتها في رجب سنة ست وأربعين وثلاث مائة .

وذكر اليماني أنه انتقل إليها في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وأنه كان أدخل فيها عدّة مساجد ومواضع اغتصبها من أربابها ولم يقيم فيها غير أيام قلائل ، ثم أرسل إلى أبي جعفر مُنْليم الحسيني ليلاً فقال له : امض بي إلى دارك . فمضى به فمَرَّ على دار ، فقال : لمن هذه ؟ فقال : لفلانك يخرير الترية . فدخلها وأقام فيها شهوراً إلى أن عمّروا له دار خماريّة المعروفة بدار الحرم وسكنها . وقيل إنّ سبب انتقاله من جنان بني مشكين بخار البركة ، وقيل وباء وقع في غلمانها ، وقيل ظهر له بها جان ^١ .

وكانت دار الفيل هذه يُنظر منها جزيرة مصر التي تُعرف اليوم بالزوّضة .

قال أبو غمر الكندي في «كتاب الموالي» : ومنهم أبو عُثَيْم ، مؤلى مَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنصاري . كان شريفاً في الموالي ، وولاه عبد العزيز بن مزوان الجزيرة ثم عزّله عنها . وكان يجلس في داره التي يقال لها دار الفيل ، فينظر إلى الجزيرة فيقول لإخوانه : أخبروني بأعجب شيء في الدنيا . قالوا : منارة الإسكندرية ؛ ^(٢) قال : ما صنعتم شيئاً ، فيقولون : الأهرام ، فيقول :^(٣) ما أصبتم شيئاً . فيقولون له : فقنّاة قراطجّة ؛ فيقول : ما صنعتم شيئاً . قالوا : فما تقول أنت ؟ قال : العجب أنني أنظر إلى الجزيرة ولا أقدر أدخلها .

وعلى هذه البركة الآن عدّة أذُرّ جليّة ، وجامع وحمام وغير ذلك .

بركة الفيل

هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة ، وهي كبيرة جدّاً ، ولم يكن في القديم عليها بُنيان . ولما وُضِعَ جوهر القايّد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ، ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة . وكان ما بين حارة السودان وحارة البانيسية وبين بركة الفيل فضاءً ، ثم عمّر الناس حَوْلَ بركة الفيل بعد الست مائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلّها ^٢ .

(a-a) ساقطة من بولاق .

^١ ابن دماق : الانتصار ٤ : ١٢٥ . الجبش وعديد آخر من برك القاهرة - بركة عميقة فيها ماء راكد

^٢ بركة الفيل . لم تكن بركة الفيل - مثلها مثل بركة بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق =

قال ابن سعيد وقد ذَكَرَ القاهرة: وأعجبتني في ظاهرها بِرُكَّةِ الفيل، لأنَّها/ دائرة كالْبُذُرِ
والمناظرُ فوقها كالنجوم، وعادةُ السُّلطان أن يركب فيها بالليل، وتُشرح أصحابُ المناظر على قَدَرِ
هممهم وقُدْرَتهم، فيكون بذلك لها منظرٌ عجيبٌ، وفيها أقول:

[البسيط]

انظرُ إلى بِرُكَّةِ الفيل التي اكْتَفَتْ بها المناظرُ كالأهدابِ لِلْبَصَرِ
كأنَّما هي والأبصارُ تَرُومُها كواكبٌ قد أداروها على القَمَرِ
ونَظَرْتُ إليها، وقد قابَلَتْها الشُّمسُ بالْعُدُوِّ، فقلت:

[البسيط]

انظر إلى بِرُكَّةِ الفيل التي تُجِرَتْ لها الغَزَالَةُ نَحْراً من مَطالِيعِها
وخلَّ طَرَفَكَ مَحْفُوقاً بِبَهْجَتِها تَهيمٌ وَجَدّاً وَحُبّاً في بدائِعِها^١

وماءُ النيلِ يَدْخُلُ إلى بِرُكَّةِ الفيل من المَوْضِعِ الذي يُعرَفُ اليومَ بِالخِيْشْرِ الأعْظَمِ تِجَاهَ الكَنْبَشِ.
وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كانَ هناك قَنْطَرَةٌ كَبِيرَةٌ فَهْدِمَتْ وَعُمِلَ مَكَانُهَا هذه المَجَادِيلُ الحَبْرُ التي يَمُرُّ عليها
النَّاسُ.

باسم «الحملة الجديدة».

وكانت البركةُ تشغل المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال
بِسِجَّةِ الحُبَّانَةِ ومن الغرب شارعُ بور سعيد (شارع قُزْبِ
الجمامير وشارع البوذية وشارع الخليج المصري سابقاً)، ومن
الجنوب شارعُ عبد المجيد اللُّبان (مراسينا سابقاً)، ثم يَمِلُ الحُدُّ
إلى الشمال الشرقي إلى مدرسة أُوْزُك البوسني حتى يتقابل مع
أوَّلِ شارعِ نور الظُّلَامِ ويسير فيه إلى أوَّلِ شارعِ الأَثْنِي، ومن
الشرق كَمَا لَ شارِعُ نور الظُّلَامِ فشارِعُ مصطفى بِيْزِي (مَهْدَبِ
الذَّيْنِ الحَكِيمِ سابقاً)، فسكةُ عبد الرحمن بك وما في امتدادها
حتى يتقابل الحدُّ البحري. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة
٣٦٥-٣٦٦ هـ؛ Salmon, G., *Études sur la topographie du Caire*, pp. 48-50؛ محمد رمزي:
القاموس الجغرافي ق ١، ص ١٥٢-١٥٣؛ محمد
الششتاوي: متزهات القاهرة ١٠٥-١٣٥).

^١ ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٢٦-٢٧؛ ابن دقماق:

الانتصار ٥: ٤٥.

= على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنوياً وقت الفيضان عن
طريق الخليج المصري، وبعد نزول الماء تررع أصنافاً شتوية،
أشهرها البرسيم الذي كان يستهلك في تغذية دواب القاهرة.
وكانت البركة محبرة في قناتير المساحة من التواحي المربوط
على أراضيها الخراج ولم يُحْدَفِ اسمُها من جداول أسماء
التواحي إلا بعد تحوُّل معظم أراضيها إلى مساكن. وبدأت
أراضيها في التحوُّل من الزراعة إلى السكن منذ سنة ٦٢٠هـ/
١٢٢٢م، ولم يبق من أرض البركة بغير بناء إلى سنة
١٢١٤هـ/١٧٩٨م- التي رُيِّبَتْ فيها لأوَّلَ مرَّةٍ بِرُكَّةُ الفيل
على خريطة مساحية - هي خريطة القاهرة التي رسمها علماء
الحملة الفرنسية في هذه السنة (انظر الصورة)، إلا قطعةً أُقيمَ
عليها فيما بعد سراي عباس باشا الأوَّلِ والتي مصرُ المعروفة
بالسراية الإلهامية (التي تحوَّلت إلى الخليمية) وحديقتهما
الكبيرة. وفي سنة ١٨٩٤ قسمت أراضي الخديفة، ثم
هدمت السراي سنة ١٩٠٢ و قسمت أراضيها أيضاً، وبيعت
جميعُ القطع وأقيمت عليها عماراتٌ حديثة وعُرفَ الحَيُّ



خريطة توضح موضع بركة الفيل (عن كتاب وصف مصر)

وَيَغْبُرُ مَاءُ الثَّلِثِ إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ أَيْضًا مِنَ الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ مِنْ تَحْتِ قَنْطَرَةٍ تُعْرَفُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا بِالْمَجْنُونَةِ^١، وَهِيَ الْآنَ لَا تُشَبِّهُ الْقَنَاطِرَ، وَكَانَتْهَا سَرَبٌ يَغْبُرُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَفَوْقَهُ بَقِيَّةُ عَقْدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَلِيجِ، كَانَ قَدْ عَقَدَهُ الْأَمِيرُ الطَّبْرُسُ^٢ وَبَنَى فَوْقَهُ مُنْتَزَعًا، فَقَالَ فِيهِ عَلَمُ الدِّينِ ابْنِ الصَّاحِبِ :

[الكامل]

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الطَّبْرُسِ وَصَحْبِهِ وَعَقُولِهِمْ بِعُقُودِهِ مَفْتُونَةٍ
عَقَدُوا عُقُودًا لَا تَصِيحُ لَهُمْ
وَكَانَ الطَّبْرُسُ^٣ هَذَا يَفْتَرِيهِ الْجُنُونُ، وَاتَّفَقَ أَنَّ هَذَا الْعَقْدَ لَمْ يَصِيحْ وَهَلِيمٌ، وَأَتَاؤُهُ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ.

بِرْكَةُ الشَّقَافِ

هَذِهِ الْبِرْكَةُ فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ بِجَوَارِ اللَّوْقِ، وَعَلَيْهَا الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ الطَّبَاخِ فِي خُطِّ بَابِ اللَّوْقِ^٤. وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ مِنْ جَمَلَةِ أَرْضِي الزُّهْرِيِّ - كَمَا ذَكَرَ فِي حِكْرِ الزُّهْرِيِّ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَحْكَارِ^٥ - وَكَانَ عَلَيْهَا فِي الْقَدِيمِ عِدَّةُ مَنَاطِرَ مِنْهَا مَنْظَرَةُ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ مُوسَى ابْنِ يَغْمُورَ، وَذَلِكَ أَجَامَ كَانَتْ أَرْضِي اللَّوْقِ مَوَاضِعَ نَزَعَةٍ، قَبْلَ أَنْ تُحْكَرَ^٦ وَتُبْنَى دُورًا، وَذَلِكَ بَعْدَ سَنَةِ سِتِّ مِائَةٍ.

(a) بولاق : الطبرس . (b) بولاق : تحكر .

عارف (الآن)، وورد ذكر البركة على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية باسم «بركة الفواوين» (N-13-99). وظلت البركة قائمة حتى زُوِّدَتْ فِي زَمَنِ الْحَدِيدِ إِسْمَاعِيلَ . وَتُشْغَلُ مَكَانَهَا الْآنَ جَزَاءٌ مِنْ مَبْنَى مَحَافِظَةِ الْقَاهِرَةِ خَلْفَ جَامِعِ الطَّبَاخِ وَيَتَدَلَّى جَنُوبًا إِلَى مِيدَانِ عَابِدِينَ .

^٣ فيما تقدم ٣٧٨.

^١ قَنْطَرَةُ الْمَجْنُونَةِ . كَانَتْ بِالْقَرَبِ مِنْ بُسْتَانِ أَبِي الْيَشَنِ قُبْلَانَةَ الْخَارِيقِ الصَّغْرَى بِقُدُوةِ الْخَلِيجِ .

^٢ حَاشِيَةٌ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ : «لَمْ تُعْرِفَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ بِبِرْكَةِ الشَّحِيلَةِ وَبِرْكَةِ الْفَرَائِينَ مِنْ أَجْلِ ذَنْغِ الْفِرَاءِ فِيهَا» .

أَقُولُ : مَا زَالَ مَوْقِعُ جَامِعِ الطَّبَاخِ مَعْرُوفًا فِي الْغَرْبِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِمَبْنَى مَحَافِظَةِ الْقَاهِرَةِ مَطْلَأًا عَلَى شَارِعِ عَلِيِّ ذُو الْفَقَارِ (الضَّنَّافِيرِيِّ سَابِقًا) وَمِيدَانِ بَابِ اللَّوْقِ (عَبْدُ السَّلَامِ



عازفٌ يُعزف على شاطئه بركة النيل نهاية القرن الثامن عشر (عن كتاب وصف مصر)

بِرْكَةُ الشَّبَاعِينَ

عُرِفَتْ بذلك لأنه أُتِخِذَ عليها دَارٌ لِلشَّبَاعِ ، وهي موجودةٌ هناك إلى يومنا هذا ، وهي من جملة جِكر الزُّهري وعليها الآن دُور ^١ . ولم تُحْدَثْ بها العِمَارَةُ إلَّا بعد سنة سبع مائة ، وأما كان جميع ذلك الخط ، وما حَوَّلَهُ من مُنشآت المَهْراني إلى المَقْصِ بساتين ، ثم حُكِيرَت .

بِرْكَةُ الرُّطَلِي

هذه البِرْكَةُ من جملة أَرْض الطُّبَّالَةِ ، عُرِفَتْ بِبِرْكَةِ الطُّلَّوَيْنِ من أجل أنه كان يُعْمَلُ فيها الطُّوب . فلَمَّا حَفَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْخَلِيجَ النَّاصِرِيَّ ، انْتَمَسَ الْأَمِيرُ بَكْتُمُرُ الْحَاجِبِ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ أَنْ يَجْعَلُوا حَفْرَ الْخَلِيجِ عَلَى الْحُرُوفِ إِلَى أَنْ يَمُرَّ بِجَانِبِ بِرْكَةِ الطُّلَّوَيْنِ هَذِهِ ، وَيَصُوبَ مِنْ بَحْرِي أَرْضِ الطُّبَّالَةِ فِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ ، فَوَاقَقُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَمَرَّ الْخَلِيجُ مِنْ ظَاهِرِ هَذِهِ الْبِرْكَةِ كَمَا هُوَ الْيَوْمَ . فَلَمَّا جَرَى مَاءُ النَّيْلِ فِيهِ رَوَى أَرْضَ الْبِرْكَةِ ، فَغُرِقَتْ بِبِرْكَةِ الْحَاجِبِ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ بِيَدِ الْأَمِيرِ بَكْتُمُرُ الْحَاجِبِ الْمَذْكُورِ ^٢ . وَكَانَ فِي مَرْقِي هَذِهِ الْبِرْكَةِ زَاوِيَةٌ بِهَا نَحْلٌ كَثِيرٌ ، وَفِيهَا شَخْصٌ يَصْنَعُ الْأَرْطَالَ الْحَدِيدَ الَّتِي تَرِنُ بِهَا الْبَاعَةُ ، فَسَمَّاها النَّاسُ بِرْكَةَ الرُّطَلِي نِسْبَةً لَصَانِعِ الْأَرْطَالَ ، وَبَقِيَ نَحِيلُ الزَّوَايَةِ قَائِمَةً بِالْبِرْكَةِ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

منها وتحولت تدريجياً إلى أراضٍ للبناء . وأقدم خريطة للقاهرة ورَدَ بها رَسْمُ تلك البركة (مثل غيرها من برك القاهرة) الخريطة التي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ م (B- 434, 10-9). وكانت تشغل المنطقة التي تُحَدُّ الآن من الشمال بشارع الظاهر ومن الغرب بشارع يوسف باشا سليمان ، ومن الجنوب بشارع يوسف باشا وهبة وما في امتداده إلى الشرق حتى يتلاقى مع شارع البكرية عند مدرسة الفرير دي لاسال . (محمد رمزي: مذكرة في تسمية الشوارع ٤١٥ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٧١١ هـ ^١، ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٥٦ محمد الششتاوي: متزهات القاهرة ١٧٠-١٧٩). .

^١ بِرْكَةُ الشَّبَاعِينَ . هي نفسها البركة المذكورة على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بِرْكَةُ الدُّمَالِشَةِ» (P-12, 224) ، كانت تقع على يمين المار من بَوَايَةِ النَّاصِرِيَّةِ إِلَى جِهَةِ الشَّيْخِ رُحْبَانَ . وَخَلَّ محلها الآن الجزء الجنوبي من قصر ومتنجان عابدين شمالاً ، وتمتد جنوباً حتى جامع محمد بك المبدول جنوب متحف فؤاد الصَّحِي .

^٢ بِرْكَةُ الرُّطَلِي (بِرْكَةُ الْحَاجِبِ ، بِرْكَةُ الطُّلَّوَيْنَةِ) . كانت تقع ضمن أرض الطُّبَّالَةِ (فيما تقدم ٤١٧) ، وكانت موجودة إلى حوالي سنة ١٨٥٠ م تروى بماء النيل أثناء الفيضان ثم نُزِّعَ أَصْنَافًا شَتَوِيَّةٌ بَعْدَ ذَلِكَ . ومن تلك السنة بَطَلَتِ الزَّرَاعَةُ

فلما جَرى الماءُ في الخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، وَدَخَلَ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ، عَمِلَ الْجِسْرُ بَيْنَ الْبِرْكَةِ وَالْخَلِيجِ، فَحَكَرَهُ النَّاسُ، وَبَنَوْا فَوْقَهُ الدُّورَ، ثُمَّ تَتَابَعُوا فِي الْبِنَاءِ حَوْلَ الْبِرْكَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِدَائِرِهَا خَلْوٌ، وَصَارَتِ الْمَرَائِبُ تَعْبُرُ إِلَيْهَا مِنَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ، فَتَدُورُهَا تَحْتَ الْبُيُوتِ وَهِيَ مَشْحُونَةٌ بِالنَّاسِ، فَتَمُرُّ هُنَاكَ لِلنَّاسِ أَحْوَالٌ مِنَ اللَّهِوِ يُقْصَرُ عَنْهَا الْوُصْفُ.

- ٥ وَتُظَاهَرُ النَّاسُ فِي الْمَرَائِبِ بِأَنْوَاعِ الْمُتَكَرَّرَاتِ مِنْ شُرُوبِ الْمُشْكِرَاتِ، وَتَبْرُجُ النَّسَاءُ الْفَاجِرَاتِ وَاجْتِلَاطِهِنَّ بِالرُّجَالِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ. فَإِذَا نَضَبَ مَاءُ الثَّلِيلِ زُرِعَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ بِالْقِرْطِ وَغَيْرِهِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي يَوْمِي الْأَحَدِ وَالْجُمُعَةِ عَالَمٌ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدٌ.
- وَأَذْرَكْتُ بِهِذِهِ الْبِرْكَةِ، مِنْ بَعْدِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ إِلَى سَنَةِ ثَمَانِ مِائَةٍ، أَوْفَاتًا انْكَفَتْ فِيهَا عَنْ كَانِ بِهَا أَيْدِي الْغَيْرِ، وَرَقَدَتْ عَنْ أَهَالِيهَا أَغْنِيُ الْحَوَاثِثَ، وَسَاعَدَهُمُ الْوَقْتُ إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ. ثُمَّ لَمَّا تَكَدَّرَ جَوُّ الْمُسْرَاتِ، وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الرِّفَاقَةِ، وَانْهَلَتْ سَحَابُيبُ الْحَيْنِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ تَلَاشَى أَمْرُهَا.

وَفِيهَا إِلَى الْآنَ بَقِيَّةُ صَبَابَةِ، وَمَعَالِمُ أَنْسَ، وَأَثَارُ ثَنِيٍّ عَنْ حُسْنِ عَهْدٍ. وَلِلَّهِ دُرُّ الْقَائِلِ^١:

[السريع]

فِي أَرْضٍ طَبَّالَتَا بِرْكَةً مُنْهَشَةً لِلْعَيْنِ وَالْعَقْلِ
تَرْجُحُ فِي مِيزَانِ عَقْلِي عَلَى كُلِّ بَحَارٍ الْأَرْضِ بِالرُّطْبِيِّ

١٥

١ / الْبِرْكَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِبَطْنِ الْبَقْرَةِ

هَذِهِ الْبِرْكَةُ كَانَتْ فِيمَا بَيْنَ أَرْضِ الطُّبَّالَةِ وَأَرْضِي اللَّوْقِ، يَصِلُ إِلَيْهَا مَاءُ الثَّلِيلِ مِنَ الْخَوَرِ، فَيَعْبُرُ فِي خَلِيجِ الذِّكْرِ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ تَجَاهَ قَصْرَ اللُّؤْلُؤَةِ وَدَارَ الذَّهَبِ فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ^٢. وَأَوَّلُ مَا

^١ انظر الأبيات عند ابن عباس: بدائع الزهور ١/٦٠:١، ٤٥٦.

^٢ كانت بِرْكَةُ بَطْنِ الْبَقْرَةِ تَمُتُّ فِي الْعَصْرِ الْفَاطِمِيِّ فِي الْمُنْطَقَةِ الَّتِي يَحُدُّهَا مِنَ الشَّمَالِ خَطُّ يَسِيرٍ مِنْ مِيدَانِ الْقَفْصِ إِلَى جَامِعِ الرَّؤُومِيِّ ثُمَّ حَازَةِ الرَّؤُومِيِّ وَشَارِعَ وَجْهِ الْبِرْكَةِ إِلَى مِيدَانِ قُلْطَرَةِ الذِّكْرِ، وَمِنْ الْغَرْبِ شَارِعٌ كَامِلٌ إِلَى مِيدَانِ الْأَوْبَرَا، وَمِنْ الْجَنُوبِ النِّهَايَةَ الْقَبْلِيَّةَ لِمِيدَانِ الْأَوْبَرَا وَشَارِعَ طَاهِرٍ وَشَارِعَ الْمَوْسِكِيِّ، وَمِنْ الشَّرْقِ خَطُّ يَسِيرٍ مُوَازٍ لِلْخَلِيجِ الْمَصْرِيِّ مَارًّا بِشَوَارِعِ الزَّيْنِ وَالبَنَادِقَةِ وَالرُّطْبِيِّ حَتَّى مِيدَانِ

القصح. ومع توالي الأعوام تحوَّلت أراضي بطن البقرة إلى مبانٍ وبساتين وأُخْدَتْ مَسَطَّحُهَا تَضْيِيقٌ حَتَّى أَصْبَحَتْ تَشْغُلُ الْجَزءَ الَّذِي يَحُدُّهُ مِنَ الشَّمَالِ شَارِعُ وَجْهِ الْبِرْكَةِ وَمِنْ الْجَنُوبِ النِّهَايَةُ الْقَبْلِيَّةَ لِمِيدَانِ الْأَوْبَرَا. وَدَخَلَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ فِي الْمَشْرُوعِ الْمَصْرَانِيِّ الَّذِي قَامَ بِهِ الْمُعَرِّ الْأَتَاكِي أَرْزُكُ مِنْ طَخِيعِ الظَّاهَرِيِّ فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ بَيْنَ سَنَتَيْ ٨٨٠-٨٨٨ هـ/١٤٧٦-١٤٨٤ م، وَالَّذِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ الْمُنْطَقَةُ وَالْبِرْكَةُ الَّتِي أُجْرِي إِلَيْهَا الْمَاءُ مِنَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ. وَوُثِّمَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ فِي مَتَنَصِفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وَأَقِيمَ عَلَى أَرْضِهَا حَدِيقَةٌ =

عُرِفَتْ من خَبر هذه البركة أَنَّها كانت بُشْتَانًا كَبِيرًا ، فِيمَا بَيْنَ المَقْصِ وَجَنَانِ الرُّهْرِيِّ ، عُرِفَ بالبُشْتَانِ المَقْصِي نسبةً إِلَى المَقْصِ ، وَيُشْرِفُ عَلَى بَحْرِ النِّيلِ من غَرْبِهِ ، وَعَلَى الخَلِيجِ الكَبِيرِ من شَرْقِهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ الخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبِي هَاشِمٍ عَلِيِّ بْنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، أَمَرَ بَعْدَ سَنَةِ عَشَرَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ بِإِزَالَةِ أَنْشَابِ هَذَا البُشْتَانِ ، وَأَنْ يُقْتَلَ بِوَكَّةَ قُدَّامَ المَنْظَرَةِ الَّتِي تُعْرَفُ بِاللُّؤْلُؤَةِ . فَلَمَّا كَانَتِ الشَّدَّةُ العَظِيمَةُ فِي زَمَنِ الخَلِيفَةِ المُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، هَاجَرَتِ البِرْكَةُ ، وَبُنِيَ فِي مَوْضِعِهَا عِدَّةٌ أَمَاكِنَ عُرِفَتْ بِحَاوِزَةِ اللُّصُوصِ^١ .

فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ الخَلِيفَةِ الأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَوَزَارَةِ الأَجَلِّ المَأْمُونِ مُحَمَّدِ بْنِ فَاتِكِ البَطْشَايَحِيِّ ، أُرِيدَتْ الأَبْنِيَّةُ ، وَعُمِّقَ حَفْرُ الأَرْضِ وَسُلِّطَ عَلَيْهَا مَاءُ النِّيلِ من خَلِيجِ الذِّكْرِ ، فَصَارَتْ بِوَكَّةَ عُرِفَتْ بِبَطْنِ البَقْرَةِ ، وَمَا يَرِخَتْ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِ مِائَةٍ .

وَكَانَ قَدْ تَلَاشَى أَمْرُهَا مِنْذُ كَانَتْ العَلْوَةُ فِي زَمَنِ المَلِكِ العَادِلِ كَتَبْنَا سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَكَانَ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ القَنْطَرَةِ يَجِدُ عَنْ يَمِينِهِ أَرْضَ الطُّبَّالَةِ مِنْ جَانِبِ الخَلِيجِ الغَرْبِيِّ إِلَى حَدِّ المَقْصِ ، وَيَجِدُ بَطْنَ البَقْرَةِ عَنْ يَسَارِهِ مِنْ جَانِبِ الخَلِيجِ الغَرْبِيِّ إِلَى حَدِّ المَقْصِ . وَيَعْبُرُ النِّيلَ الأَعْظَمَ يَجْرِي فِي غَرْبِي بَطْنِ البَقْرَةِ عَلَى حَاقَةِ المَقْصِ إِلَى غَرْبِي أَرْضِ الطُّبَّالَةِ وَيَمُرُّ مِنْ حَيْثُ المَوْضِعِ المَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْجُزْفِ إِلَى غَرْبِي البَقْلِ ، وَيَجْرِي إِلَى مِثْنَةِ السَّيْرِجِ ، فَكَانَ خَارِجَ القَاهِرَةِ أَحْسَنَ مُتَنَزَّهِ فِي مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ .

وَمَوْضِعُ بَطْنِ البَقْرَةِ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِكُومِ الجَاكِيِّ المَجَاوِرِ لِمِيدَانِ القَمَحِ وَمَا جَاوَرَ تِلْكَ الْكِيمَانَ وَالحَرَابَ إِلَى نَحْوِ بَابِ اللُّوْقِ^(أ) . وَحَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ لَقِيتُ مِنْ شُيُوخِ المَقْصِ عَنْ مُشَاهَدَةِ آثَارِ هَذِهِ البِرْكَةِ ، وَأَخْبَرَنِي عَنْ شَاهِدٍ فِيهَا المَاءِ . وَإِلَى زَمَانِنَا هَذَا مَوْضِعُ مِنْ غَرْبِي الخَلِيجِ

(أ) النص في مسودة الخطط : مكانها الآن الموضع المعروف بكوم الجاكي وشرق الحمام بآخر ميدان القمح خارج باب القنطرة .

Azbak to Ismā'īl, 1476-1869, Suppl. aux An. Isl.
Cahier n° 6 Le Caire IFAO 1985
الششتاري : متزهات القاهرة ١٤٩-١٦٩) .

^١ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٢ ، القلقشندي :
صبح الأعشى ٣: ٣٥٧-٣٥٨ ، وفيما تقدم ٤١٣ .

= الأزيكية والأوبرا الخديوية وميدان الأوبرا . وتقلصت الآن
الحديقة التي صممتها Berillet - Deschamps واحترقت دار
الأوبرا سنة ١٩٧١ وحل محلها جراج متعمد الطوابق (ابن
لياس : بلدائع الزهور ٣: ١١٧-١١٨ ، ١٣٤ ؛ محمد
رمزي : مذكرة في تسمية الشوارع ٨-٩ ، Behrens-
Abouseif, D., Azbakiyya and its Environs from



بركة الأزيكية (بطن البقرة) (عن كتاب وصف مصر)

فيما يلي ميدان القمّح يُعرف بِبَطْن البَقَرَة ، بقيةً من تلك البركة يجتمع فيه النَّاسُ لِلنَّزْهَة ^١.

بركة جنّاق

هذه البركة خارج باب الفتوح ، كانت بالقرب من منظرَة باب الفتوح التي تقدّم ذكرها في المناظر ^٢، وكان ما حولها بساتين ، ولم يكن خارج باب الفتوح شيء من هذه الأبنية ، وإنّما كان هناك بساتين ، فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبُستان ابن صيّم . فلمّا حُكِرَ بُستان ابن صيّم ، وعُمِّرَ في مكانه الآذُرُ وغيرها ، وعُمِّرَ النَّاسُ خارج باب الفتوح ، عُمِّرَ ما حوّل هذه البركة بالدور ، وسكّنها النَّاسُ . وهي إلى الآن عامرة ، وتُعرف ببركة جنّاق ^٣.

بركة الحُجّاج

هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة على نحو يريد منها . عُرِفَتْ أَوَّلًا بِحُبِّ عَمِيْرَة ، ثم قيل لها أرض الحُجْب ^٤، وعُرِفَتْ إلى اليوم ببركة الحُجّاج من أجل نُزول حُجّاج البرّ بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم ^٥. وبعض من لا معرفة له بأحوال أرض مصر يقول : « حُجْب يُوسف عليه السلام » ، وهو خطأ لا أضلّ له .

وما برحت هذه البركة مُتَنَزِّهًا لملوك القاهرة .

(a) في هامش آياصوفيا : بياض سطرين .

^١ المقرئزي : مسودة الخطوط ١٦٦٢ طحّانة بين الأوراق .

^٢ فيما تقدم ٥٦٨:٢ - ٥٧٠ .

^٣ وردت هذه البركة على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بنفس الاسم (D-7, 387) . ويُذَلُّ على موضعها الآن جزء من حي الحسينية الواقع خارج باب الفتوح في منطقة يخرقها شارع الجيش فيما بينه وبين شارع الزعفراني . (محمد الششتاوي : متزهات القاهرة ١٧٩-١٨١) .

^٤ حاشية بخط المؤلف : « الحُجْب البُرّ التي لا طي لها ، وقال أبو غنينة : لا يكون حُجًّا حتى يكون مُّأْوِجَدَ محفورًا ، لا مُّأْوِجَدَ حَفْرًا » .

١٨٦-١٨٣ .

قال ابن يونس: عُثْمِيَّة بن تميم بن جزء الثَّجِيبِي، من بني الْقَرْزَاء، صاحبُ الْحُبِّ المعروف بِحُبِّ عُثْمِيَّة، في الْمَوْضِع الذي يبرز إليه الْحَاج من مصر لخروجهم إلى مَكَّة^١.

وقال أبو عَمَرَ الْكِنْدِي في كِتَاب «الْحَنْدَق»: إِنَّ فُؤَادَ الْحَنْدَق من نُجِيب^٢ عُثْمِيَّة بن تميم ابن جزء، وصاحبُ حُبِّ عُثْمِيَّة من بني الْقَرْزَاء طُيْن في تلك الأيام، فَأَزَيْتَ فَمَاتَ بعد ذلك.

وقال في كِتَاب: «الأَمْزَاء»: ثم إِنَّ أَهْلَ الْحَوْف خَرَجُوا على لَيْث بن الْفَضْل أمير مصر. وكان الدُّبُّ في ذلك أَنَّ لَيْثًا بَعَثَ بِمُشَاح يَمْسَحُونَ عَلَيْهِمْ أَرْضِي زَرْعِهِمْ، فانتَقَصُوا من الْقَصَب أصابع. فتنظَّم النَّاسُ إلى لَيْث فلم يَسْتَمِع منهم، فتنكَّروا وسارُوا إلى الْقُسْطَاط. فخرَجَ إليهم لَيْث في أربعة آلاف من جند مصر ليومين بقيا من شَعْبَان سنة ستِّ وثمانين ومائة، فالتقى مع أهل الْحَوْف لثنتي عشرة خَلَّت من شهر رَمَضَانَ، فانهَزَمَ الْجَيْشُ عن لَيْث، وبقي في مائتين أو نحوها، فحَمَلَ عليهم من معه فَهَزَمَهُمْ حتى بَلَغَ بهم غِيَفًا. وكان التقاؤهم في أَرْض حُبِّ عُثْمِيَّة، وبَعَثَ لَيْثٌ إلى الْقُسْطَاط بِثَمَانِينَ رَأْسًا^٣ (من رءوس الْقَيْشِيَّة^٤)، وَرَجَعَ إلى الْقُسْطَاط^٥.

وقال الْمُسْتَحْيِي: ولانثني عشرة خَلَّت من ذي القعدة سنة أَرْبَعٍ وثمانين وثلاث مائة، عَزَضَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ الْعَزِيز بالله عَسَاكِرَهُ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ عند سَطْحِ الْحُبِّ، فَتُصِبَ له مَضْرِبُ دِيبَاجٍ رُومِي فيه أَلْفُ ثَوْبٍ مَقْوُفَةٍ فَضَّةً، وَنُصِبَتْ له فَارَزةٌ مُسْتَقِلَةٌ وَفِيَّةٌ مُثْقَلَةٌ بِالْجَوْهَرِ، وَضُرِبَ لَابَنُهُ الْمَنْصُورُ مَضْرِبٌ آخَرٌ، وَعُرِضَتِ الْعَسَاكِرُ فَكَانَتْ عِدَّتُهَا مِائَةً عَسْكَرٍ، وَأَقْبَلَتْ أَسَارَى الرُّومِ - وَعَدَّتْهُمْ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ - فِطِيفَ بِهِمْ. وكان يومًا عَظِيمًا حَسَنًا لم تَزَلِ الْعَسَاكِرُ تَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُخُوةِ الثَّهَارِ إلى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ^٦.

وقال ابنُ مُيَسَّرٍ: كان من عَادَةِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَعْمِرِ بالله أَنْ يَرْكَبَ في كُلِّ سَنَةٍ على الثَّجِيبِ، مع النَّسَاءِ وَالْحَشَمِ، إلى حُبِّ عُثْمِيَّة - وهو مَوْضِعُ نُزْهَةٍ - بهيئةً أَنَّهُ خَارِجٌ لِلْحَجِّ على سَبِيلِ الْهَزْوِ وَالْجَنَاحَةِ، ومعه الْخَمَرُ في الزُّوَايَا عِوَضًا عن الْمَاءِ وَيَشْقِيهِ النَّاسُ^٧.

(a) بولاق: جب. (b-b) إضافة لما تقدم ١: ٢١٥.

^١ ابن يونس: تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين)

^٢ ابن مسير: أخبار مصر ٢٤: المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣٨٠.

^٣ الكندي: ولاية مصر ١٦٦: وفيما تقدم ١: ٢١٥. ٢٦٥: ٢: وفيما تقدم ٢: ٥٨٩.

وقال أبو الخطّاب بن دحية : وَخُطِبَ لِبْنِي عُثَيْدَ بِبَغْدَادِ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً ، وَذَلِكَ / لِلْمُسْتَنْصِرِ بِلِ
لِلبَطَالِ الْمُسْتَهْزِئِ .

أَنشَدَهُ الْعَقِيلِيُّ صَبِيحَةَ يَوْمِ عَرَفَةَ :

[البسيط]

فَمَ فَإِنَحَرَ الرّاحَ يَوْمَ النَّحْرِ بِالماءِ وَلَا تُصَحِّي ضُحَى إِلَّا بِصَهْبَاءِ
وَأَذْرِكُ حَجِيجَ التَّدَامِي قَبْلَ تَفْرِهِمْ إِلَى مَنَى قَضَفَهُمْ مَعَ كُلِّ هَيْفَاءِ
وَصَلَ أَلْفَ الْقَطْعِ لِلضَّرُورَةِ وَهُوَ جَائِزُ .

فَخَرَجَ فِي سَاعَتِهِ بِزَوَايا الْخَمَرِ تُزَجِّى بِنَعَمَاتِ مُحَدَاةِ المَلاهي وَتُسَاقُ ، حَتَّى أَنَاخَ بِعَيْنِ شَمْسٍ فِي
كَبْكَبَةٍ مِنَ الْفُسَاقِ ، فَأَقَامَ بِهَا سُوقَ الْقُسُوقِ عَلَى سَاقِ . وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ أَخَذَهُ اللهُ وَأَخَذَ أَهْلَ
مِصْرَ بِالسَّنِينَ ، حَتَّى يَبِيعَ الْقُرُوصَ فِي أَيَّامِهِ بِالثَمَنِ الثَّمِينِ .

وَقَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي خَوَاوِثِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَفِيهِ خَرَجَ السُّلْطَانُ -
يَعْنِي صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ - إِلَى بَزْكَةِ الْحُبِّ لِلصَّيْدِ وَلَعِبِ الْأُكْرَةِ ، وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي
سَادِسِ يَوْمٍ مِنْ خُرُوجِهِ ^١ . وَذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا عَنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَابْنِهِ الْمَلِكِ الْقَزِيزِ
عُثْمَانَ .

وَقَالَ جَامِعُ « السِّيَرَةِ النَّاصِرِيَّةِ » مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ^٢ ، فِي خَوَاوِثِ صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
وَسَبْعَ مِائَةٍ : وَفِيهِ رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى بَزْكَةِ الْحُجَّاجِ لِلزَّمْنِي عَلَى الْكُرَاكِيِّ ^٣ ، وَطَلَبَ كَرِيمُ الدِّينِ
نَاضِرَ الْخَاصِّ ، وَرَسَمَ أَنْ يَفْعَلَ فِيهَا أَخْوَاشًا لِلخَيْلِ وَالْجِمَالِ وَمَيْدَانًا ، وَلِلْأَمِيرِ بِكَتْمَرِ الشَّافِيِّ مِثْلَهُ .
فَأَقَامَ كَرِيمُ الدِّينِ بِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْقَعْلِ ، وَلَمْ يَدْعَ أَحَدًا مِنْ جَمِيعِ الصُّنَّاعِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِمْ يَعْمَلُ فِي
الْقَاهِرَةِ عَمَلًا ، فَكَانَ فِيهَا نَحْوُ الْأَلْفِي رَجُلٌ وَمِائَةُ زَوْجٌ بَقَرٌ حَتَّى تَمَّتِ الْمَوَاضِعُ فِي مَدَّةِ قَرِينَةٍ .
وَرَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَيْهَا ، وَأَمَرَ بِعَمَلِ مَيْدَانٍ لِيَتَاجَ الْخَيْلُ فَعَمِلَ . وَمَا يَرِخُ الْمَلُوكُ يَرَكِبُونَ إِلَى هَذِهِ
الْبَزْكَةِ لِلزَّمْنِي الْكُرَاكِيِّ ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ . وَقَدْ خَرِبَتِ الْمَبَانِي الَّتِي أَنْشَأَهَا الْمَلِكُ
النَّاصِرُ .

^١ المقرئ: السلوك ٧١:١-٧٢.

حجم الإوزة الكبيرة تعيش في جماعات تبلغ المئات على

الجزر الرملية النيلية . (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar. II, ١٢٨-١٢٩، ٢٣٧) .
- (P.466)

^٢ أي اليوسفي صاحب كتاب «نزعة الناظر في سيرة
الملك الناصر» (فيما تقدم ٨٤:١، ١٢٨-١٢٩، ٢٣٧) .

^٣ كرك جـ أكرأك ، كراكى : نوع من الطيور البيضاء في

وأذكرُنا بهذه البركةَ مراحاً عظيماً للأغنام ، التي يعلفها التُّركماني حبَّ القُطن وغيره من العلف ، فتتُلغ الغاية في الشمن حتى إنه يُدخل بها إلى القاهرةَ محمولة على العجلِ لعظم جُشَّتْها وثقلها وعجزها عن المشي ، وكان يُقال كَبِش يزكاوي نسبةً إلى هذه البركة . وشاهدتُ مرّةً كَبِشاً من كباش هذه البركة وَرَزْتُ شَقَّتَهُ اليُفْنَى فبَلَّغَتْ زَنْتُها خمسة وسبعين رطلاً سوى الإلية ، وبلَغني عن كَبِشٍ أنه وُزِنَ ما في بطنه من الشُحم خاصّةً فبلغ أربعين رطلاً ، وكانت أَلَايا تلك الكباش تبلغ الغاية في الكِبَر .

وقد بَطَّلَ هذا من القاهرة ، منذ كانت الحوادثُ بعد سنة ستّ وثمان مائة ، حتى لا يكادُ يعرفه اليوم إلا أفرادُ من الناس . وبرزكةُ الحجاج اليوم أرباب دزكها قَوْمٌ من القَرَب يُعرَفون ببني صَبْرَة .

- ١٠ وقال الشريفُ محمد بن أشعد الجَوَانِي في كتاب « الجَوْهَرُ المَكْنُونُ في مَعْرِفَةِ القَبَائِلِ والبُطُونِ » : بنو بَطِيخُ بَطْنٌ من لَحْم ، وهم وَلَدُ بَطِيخ بن مُغَالَة بن دَعْبَجان بن عُمَيْث بن كَلَيْب ابن أبي الحارث بن عمرو بن ربيعة بن جدس بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لَحْم ، وفَحَّضُها بنو صَبْرَة بن بَطِيخ ، ولهم حازرة مجاورة للخطّة المعروفة اليوم بَكُوم دِينَارٍ الشايس .

- وصَبْرَة في خَنْدِيف وفي قَيْس ويزار ويَمَن : فالتى في خَنْدِيف في بني جَعْفَر الطَّيَّار بنو صَبْرَة بن جَعْفَر ابن داود بن محمد بن جَعْفَر بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن عَلِي بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طالب فَخِذ ، والتي في قَيْس بنو صَبْرَة بن بَكْر بن أَشْجَع بن رَيْث بن غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان فَخِذ ، وأما التي في زَار ففي شَيْتَان بنو صَبْرَة بن عَوْف بن مُحْكَم بن ذَهَل بن شَيْبان بن ثَعْلَبَة بن عكابة بن صَعْب ابن علي بن بَكْر بن وائِل بن قاسط بن هنب بن دَعْمِي بن جُدَيْلَة بن أَسَد بن رَيْبَعَة بن زَار فَخِذ ^(أ) وفي عبد القَيْس ثم في شَن بنو صَبْرَة بن عامر بن الدَّيْل بن شَن بن أَقْصَى بن عبد القَيْس بن أَقْصَى بن دَعْمِي ابن جُدَيْلَة بن أَسَد بن رَيْبَعَة بن زَار فَخِذ ^(أ) . وأما التي في يَمَن ففي لَحْم ومُجْدَام : فأما التي في لَحْم فبنو صَبْرَة ابن بَطِيخ بن مُغَالَة بن دَعْبَجان بن عُمَيْث بن كَلَيْب بن أبي الحارث بن عمرو بن ربيعة بن جدس ابن أَوْش بن أراش بن جزيلة بن لَحْم ، وأما التي في مُجْدَام فبنو صَبْرَة بن نصيرة بن غَطَفَان بن سَعْد ابن إِيَّاس بن حَرَام بن مُجْدَام ، وإليه يرجع الصَّبْرِيُّونَ ، وهم بالشَّام ، والله أَعْلَم .

(أ-هـ) ساقطة من بولاق .

^١ حاشية بخط المؤلف : « هذا الكوم خارج مدينة مصر بالقرب من المشهد القنيسي » .

بِرْكَةُ قَوْمُوط

هذه البركة فيما بين اللوق والمنفس . كانت من جملة بُسْتَان ابن ثَعْلَب . فلما حَفَرَ الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصري من مَوْزِدَة البلاط ، رَمَى ما خَرَج من الطين في هذه البركة ، وَبَنَى النَّاسُ الدَّورَ عَلَى الْخَلِيج ، فَصَارَتِ الْبِرْكَةُ مِنْ وَرَائِهَا ، وَغُرِفَتْ تِلْكَ الْخِطَّةُ كُلُّهَا بِبِرْكَةِ قَوْمُوط ^١ .

وَأَذْرَكْنَا بِهَا دِمَارًا جَلِيَّةً تَنَاهَى أَزْبَانُهَا فِي إِحْكَامِ بَنَائِهَا وَتَحْسِينِ شُقُوفِهَا ، وَبَالَغُوا فِي زَخْرَفَتِهَا بِالزُّخَامِ ^(٥) وَدِهَانِ الشُّقُوفِ بِالذَّهَبِ وَاللَّازُورْدِ ^(٦) ، وَغَرَسُوا بِهَا الْأَشْجَارَ ، وَأَجْرُوا إِلَيْهَا الْمِيَاهَ مِنَ الْآبَارِ ، فَكَانَتْ تُعَدُّ مِنَ الْمَسَاكِينِ الْبَدِيعَةِ النَّزِيَّةِ . وَأَكْثَرُ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهَا الْكُتَّابُ : مُسْلِمُوهُمْ وَنَصَارَاهُمْ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُتَرْفُونَ أَوَّلُو الثَّعْمَةِ ، فَلَهُ كَمْ حَوَتْ تِلْكَ الدِّيَارُ مِنْ حَسَنٍ وَمُسْتَحْسَنٍ . وَإِنِّي لِأَذْكُرُهَا وَمَا مَرَرْتُ بِأَرْقَتِهَا فَطُ إِلَّا وَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كُلِّ دَارٍ هُنَاكَ آثَارُ الثَّعْمِ : إِثْنَا زَوَائِجَ تَقَالِي الْمَطَابِخِ ، أَوْ غَيْرَ بِخُورِ الْعُودِ وَالنَّدِّ ، أَوْ نَفْحَاتِ الْخَمْرِ ، أَوْ صَوْتِ غِنَاءٍ ، أَوْ دَقِّ هَاوُنٍ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ نَمَّا يَبِينُ عَنْ تَرْفِ سُكَّانِ تِلْكَ الدِّيَارِ وَرَفَاقَةِ عَيْشِهِمْ وَغَضَارَةِ نَعِيمِهِمْ . ثُمَّ هِيَ الْآنَ مُوجِئَةٌ خَرَابٍ ، قَدْ هُدِمَتْ تِلْكَ الْمَنَازِلُ ، وَبِيعَتْ أَتْقَاضُهَا مِنْذُ كَانَتْ الْحَوَادِثُ بَعْدَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ . / فَزَالَتِ الطُّرُقُ ، وَجُهِلَتِ الْأَرْقَةُ ، وَانْكَشَفَتِ الْبِرْكَةُ ، وَبَقِيَ حَوْلُهَا بَسَاتِينُ خَرَابٍ .

وَيَلْتَقِنِي أَنَّ الْمَرَائِبَ كَانَتْ تَغْيُرُ إِلَى هَذِهِ الْبِرْكَةِ لِلتَّنَزُّهِ ، وَمَا أَحْسَبْتُ ذَلِكَ كَانَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ جَمَلَةِ الْبُسْتَانِ ، وَلَمْ يُثْقَلْ أَنَّهُ كَانَ بِقُرْبِهَا خَلِيجٌ سِوَى الْخَوَرِ ، وَيَعْدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٥-٦) إضافة من مسودة الخطط .

حرب (سليمان باشا سابقاً) غرباً . وردت هذه البركة هي والبرك المحيطة بها في عهد الخديو إسماعيل عند تنظيم وتخطيط منطقة وسط النيل . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٨١: ٨٢ هـ^٤ وتجدده عدله محمد الششتاوي : منزهات القاهرة ١٤٧-١٤٩) .

^١ وَزِدَتْ بِرْكَةُ قَوْمُوطَ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحِمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ «بِرْكَةِ الْقَوْلَةِ» (K-14, 341) ، وَكَانَتْ تَسْتَمِدُّ مَائَهَا مِنَ الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ . وَيَذَلُّ عَلَى مَوْقِعِ هَذِهِ الْبِرْكَةِ الْآنَ الْمُنَاطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّمَالِ بِشَارِعِ عَبْدِ الْخَالِقِ ثُرَوْتَ (الْمَلِكَةِ فَرِيدَةِ سَابِقًا) ، وَشَارِعِ قَصْرِ النَّيْلِ جَنُوبًا ، وَشَارِعِ جَوَادِ حُسَيْنِي شَرْقًا ، وَشَارِعِ طَلْعَتِ

(٨) وبها بِرْكَة صغيرة في ظهر الجامع المعروف بابن المغربي - المقدم ذكره - . أخبرني حسام الدين حسن بن عمر الشهرزوري أنه أدر كها بِرْكَة كبيرة ، وأن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما حفَرَ الخليج الناصري كان يُرمي الطين المُستخرج من الحفر فيها . وتلغني من غيره أن المراكب كانت تُمَوُّ فيها تحمل الناس للترّهة بها^(٩) ، وما أحسب ذلك كان فإنها كانت من جملة البستان ولم يُنقل أنه كان يقرّبها خليج سوى الخور ، ويتعد أن يصل إليها . (٩) وعلى هذه البركة الآن بساتين خراب^(١٠) .

وقرّموط هذا هو أمين الدين قرّموط ، مُستوفى الخزانة السلطانية .

بِرْكَةُ قَرَاجَا

هذه البركة خارج الحُصْنِ قَرِيبًا من الخندق . عُرفت بالأمير زين الدين قراجا التركماني ، أحد أمراء مصر ، أنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالإمارة في سنة سبع عشرة وسبع مائة^١ .

البركة الناصرية^٢

هذه البركة من جملة جَنَان الزُّهري . فلما خربت جَنَان الزُّهري ، صارَ موضعها كومَ تُراب ، إلى أن أنشأ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مَيدَان المَهارى في سنة عشرين وسبع مائة^٣ ،

(a-a) إضافة من مسودة الخطط .

على موقعها الآن المنطقة التي يخرقها شارع سني نضرة ويحدّها من الشرق شارع محمد فريد (الجزء الجنوبي من شارع عماد الدين) ، ومن الغرب شارع مصطفى كامل (الشيخ عبد الله سابقاً) ، ومن الجنوب شارع الجامع الإسماعيلي ، ومن الشمال شارع الشيخ رحمان . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٩٤ هـ^٢ ، ١٢: ٨٦ هـ^١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ٤٥٥ ، ٤٦٠ ؛ محمد الششتاوي : متزهات القاهرة ١٣٥-١٣٧) .

^٣ ميدان المهارى ، انظر فيما يلي ٦٣٠-٦٣١ .

^١ بِرْكَة قَرَا جَا . وتُعرف أيضًا بِرْكَة الأُزْمَن (فيما تقدم ٤٥٣) ، هي نفسها البركة التي وُزِدَت على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بركة الشيخ قُقر» (A-8, 426) . وكانت تقع شرق الخليج المصري شمال حي الحُصْنِ وشمال جامع الظاهر يبرس في المنطقة التي يشغلها الآن قصر السكاكيني باشا وما حوله . (محمد الششتاوي : متزهات القاهرة ١٨١-١٨٢) .

^٢ البركة الناصرية . هي البركة المذكورة على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «بركة سني نضرة» أو «بركة الشقّاتين» (Q-13, 266) . ويُدلُّ

وَقَصَدَ بِنَاءَ الزُّزْيَةِ^(a) بجوار^(b) الجامع الطَّبِيزِي ،^(c) كان مِمَّا أَرَادُوا صَرْفَهُ عَنْ ذَلِكَ بِهِ قِلَّةُ الطِّينِ الَّذِي بَنِيَ بِهِ هُنَاكَ . فَرَكِبَ بِنَفْسِهِ وَعَيْنٌ مَكَانَ الْبِرْكَةِ الْمَذْكُورَةِ وَأَمَرَ بِخَفْرِهَا وَنَقَلَ الطِّينَ مِنْهَا لِلْبِنَاءِ وَأَجْرَى الْمَاءَ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْمَيْدَانِ السُّلْطَانِيِّ وَتَحْكِيمٍ مَا حَوْلَهَا وَأَنْ تُعْرَفَ بِـ « الْبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ » ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْقَلْعَةِ اسْتَدْعَى الْقَاضِي فَخَّرَ الدِّينَ نَازِلًا الْجَيْشَ وَأَمَرَهُ بِكِتَابَةِ أَوْرَاقٍ فِيهَا أَشْوَاءُ الْأَمْزَاءِ ، وَبَعَثَ بِالْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ الْحَاجِبِ مَعَ الْمُهَنْدِسِينَ فَقَاسُوا دَوْرَ أَرْضِ الْبِرْكَةِ وَوَزَّعَ بِالْأَقْصَابِ عَلَى الْأَمْزَاءِ فَشَرَعَ كُلُّ أَمِيرٍ فِيمَا خَصَّهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي ذَلِكَ . وَكَانَ ابْتِدَاءُ الشَّرْعِ فِي هَذَا الْعَمَلِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعَ عِشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^(١) .

فَتَمَادَى الْحَفَرُ إِلَى جَانِبِ كَنِيسَةِ الزُّهْرِيِّ - وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ عِدَّةُ كَنَائِسَ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الْعِمَائِرِ الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ حَوْلَ الْبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ ، وَلَا مِنْ الْعِمَائِرِ الَّتِي فِي حُطِّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ ، وَلَا فِي حُطِّ السَّنْبَعِ سِقَايَاتٍ إِلَى قَنْطَرَةِ السَّدِّ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَسَاتِينَ وَكَنَائِسَ وَدُبُورَةً لِلنَّصَارَى - فَاسْتَوْلَى الْحَفَرُ عَلَى مَا حَوْلَ كَنِيسَةِ الزُّهْرِيِّ ، وَصَارَتْ فِي وَسْطِ الْحَفَرِ حَتَّى تَعَلَّقَتْ ، وَكَانَ الْقَصْدُ أَنْ تَشَقُّطَ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ هَذِمَهَا ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِمَهَا عَلَى يَدِ الْعَامَّةِ ، كَمَا ذُكِرَ فِي خَبَرِهَا عِنْدَ ذِكْرِ كَنَائِسِ النَّصَارَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^(٢) .

فَلَمَّا تَمَّ حَفَرُ الْبِرْكَةِ نُقِلَ مَا خَرَجَ مِنْهَا مِنَ الطِّينِ إِلَى الزُّزْيَةِ^(d) ، وَأُجْرِيَ إِلَيْهَا الْمَاءُ مِنْ جَوَارِ الْمَيْدَانِ السُّلْطَانِيِّ الْكَائِنِ بِأَرْضِي بُسْتَانَ الْحَشَّابِ عِنْدَ مَوْزِدَةِ الْبَلَاطِ^(٣) . فَلَمَّا امْتَلَأَتْ بِالْمَاءِ صَارَتْ مَسَاحَتُهَا سَبْعَةَ أَلْفِ دَنَةِ ، فَحَكَّرَ النَّاسُ مَا حَوْلَهَا ، وَبَنَوْا عَلَيْهَا الدُّورَ الْعَظِيمَةَ . وَمَا بَرِحَ حُطُّ الْبِرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ عَامِرًا إِلَى أَنْ كَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَشَرَعَ النَّاسُ فِي هَذْمِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الدُّورِ ، فَهَدِمَ كَثِيرٌ مِمَّا كَانَ هُنَاكَ ، وَالْهَدْمُ مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^(٤) .

(a) بولاق : الزرية . (b) بولاق والنسخ : وأراد بناء الزرية بجانب ، والثبت من المسودة . (c-c) هذه الفقرة من مسودة الخطط عوضاً عن الفقرة الموجودة في النسخ وبولاق .

^(١) المقرئ : مسودة الخطط ١٦٣ و - ط وبقيّة الخير أوردته المقرئ : في المبيضة عند ذكر واقعة الكنائس في آخر الكتاب . ذلك خبراً عن كنيسة الحفراء سيرد فيما يلي ٥١٦:٢ -

ذِكْرُ الْجُسُور

الجِسْرُ - بَفَتْحِ الجِيمِ - الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ جِسْرًا ... عَنْ ابْنِ دُرَيْدٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْجِسْرُ وَالْجِسْرُ لَفْتَانٌ ، وَهُوَ الْقَنْطَرَةُ وَنَحْوُهَا ثُمَّ يُغَيَّرُ عَلَيْهِ .

وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : وَالْجِسْرُ الَّذِي يُغَيَّرُ عَلَيْهِ ، وَالْجَمْعُ الْقَلِيلُ أَجْمَرُ ، قَالَ :

[الرجز]

إِنَّ فِرَاعَنَا كَفِرَاحِ الْأَوْكِرِ بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْمَرِ

وَالكَثِيرُ جُسُورٌ^١ .

جِسْرُ الْأَفْرَمِ

هَذَا الْجِسْرُ بِظَاهِرِ مَدِينَةِ مِصْرَ ، فِيمَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الْمُعَرِّيَّةِ بِرَحْبَةِ الْحَيَاءِ^٢ قِبَلِي مِصْرَ وَبَيْنَ رِبَاطِ الْأَثَارِ النَّبَوِيَّةِ^٣ . كَانَ مَوْضِعُهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ غَايِرًا بِمَاءِ الثَّلِيلِ ، ثُمَّ انْتَحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ فَصَارَ قُضَاءً إِلَى نَحْوِ خَلِيجِ بَنِي وَائِلَ ، ثُمَّ ابْتَنَى النَّاسُ فِيهِ مَوَاضِعَ ، وَهَنَّاكَ كَانَ الْهَرَى قَرِيبًا مِنَ الْخَلِيجِ . ثُمَّ صَارَ مَوْضِعُ جِسْرِ الْأَفْرَمِ هَذَا تَرْعَةً يَدْخُلُ مِنْهَا مَاءُ الثَّلِيلِ إِلَى الْبِرْكَةِ الشَّعْبِيَّةِ^٤ .

فَلَمَّا اسْتَأْجَرَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ الْأَفْرَمَ بِرْكَةِ الشَّعْبِيَّةِ ، وَجَعَلَهَا بُشْتَانًا كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْبِرْكِ^٥ ، رَدَّمَ هَذِهِ التَّرْعَةَ ، وَبَنَى حِيطَانِ الْبُشْتَانِ وَجَسَرَ عَلَيْهِ ، فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَنِينَ . ثُمَّ لَمَّا

١ ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخروجة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٤هـ ، ٣ ، ٩ : ١٩٥٠) وانظر كذلك ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩٢-٩٣ .

٢ انظر عن رباط الآثار النبوية ، فيما يلي ٢: ٤٢٩ .

٣ بما أَنَّ الْمَدْرَسَةَ الْمُعَرِّيَّةَ هِيَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِجَامِعِ عَابِدِي بِكَ الشَّهْرِ بِجَامِعِ الشَّيْخِ رُوشِ ، وَرِبَاطُ الْأَثَارِ هُوَ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِجَامِعِ أَثَرِ النَّبِيِّ جَنُوبَ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ ، فَيَكُونُ مَوْضِعُ الْجَسْرِ الَّذِي أَنْشَأَهُ الْأَفْرَمُ هُوَ الْمَسَافَةُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ الْجَامِعِ وَالرِّبَاطِ . (أَبُو الْمَحَاسَنِ : النُّجُومُ ٨: ٨١هـ^٢) .

٤ فيما تقدم ٥٢٧ .

١ ابن سيده : بالحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٨٩ .

٢ لم يُفْرَدِ الْمُقْرِزِيُّ الْمَدْرَسَةَ الْمُعَرِّيَّةَ الَّتِي بَنَاهَا الْمُعَرِّيُّ أَيْتِكَ التُّرْكُمَانِيُّ سَنَةَ ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بِمَدْخَلٍ مُسْتَقِلٍ . وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ كَانَتْ تَقَعُ بِرَحْبَةِ دَارِ الْمُلْكَ الَّتِي عُرِفَتْ أَيْضًا بِرَحْبَةِ الْخُرُوبِ لِيَبْعَهُ بِهَا ، وَالَّتِي أَصْبَحَتْ تُقَرَّفُ فِي زَمَنِ الْمُقْرِزِيِّ بِرَحْبَةِ الْحَيَاءِ (فِيمَا يَلِي ٥٨٦) .

كَانَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ تَقَعُ عَلَى شَاطِئِ نَيْلِ الْفُشْطَاطِ وَتَدُلُّ عَلَى مَكَانِهَا الْيَوْمَ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ عَابِدِي بِكَ الشَّهْرِ بِجَامِعِ الشَّيْخِ رُوشِ ، الْمُنْظَلُ عَلَى النَّيْلِ فِي آخِرِ شَارِعِ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ . وَعُرِفَ هَذَا الْجَامِعُ بِاسْمِ أَمِيرِ الْوَلَاءِ عَابِدِي بِكَ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي سَنَةِ ١٠٧١هـ/١٦٦٠م ،

استأجر أرض البركة - بعدما غرسها بالأشجار - إجازة ثانية، اشترط البناء على ثلاثة أفدنة في جانب البستان الغربي وقدان في جانبه البحري، ونادى في الناس بتحكيره، وأخص سيفر الحكر، وجعل حكر كل مائة ذراع عشرة دراهم.

فهرع الناس إليه، واحتكروا منه المواضع، وبنوا فيها الدور المطلة على النيل. فاستغنى بالعمائر عن عمل الجسر في كل سنة بين البحر والبستان الذي أنشأه، وبقي اسم الجسر عليه إلى يومنا هذا. إلا أن الأذى التي كانت هناك خربت منذ انطرد النيل عن البر الغربي، بعدما بلغ ذلك الخط الغاية في العمازة، وكان سكن الوزراء والأعيان من الكُثَّاب وغيرهم.

الجسر الأعظم

هذا الجسر في زماننا هذا قد صار شارعًا مشلوكًا يمتد في من الكيش إلى قناطر السباع. وأصله جسر يفصل بين بركة قازون وبركة الفيل^١، وبينهما سرب يندخل منه الماء، وعليه أحجار يراها من يؤه هناك، وبلغني أنه كان هناك قنطرة مرتفعة، فلما أنشأ الملك الناصر محمد ابن قلاوون الميدان السلطاني عند مؤرزة البلاط، أمر بهدم القنطرة فهدمت، ولم يكن إذ ذاك على بركة الفيل من جهة الجسر الأعظم مبان، وإنما كانت ظاهرة يراها المار. ثم أمر السلطان بعمل حائط قصير بطولها، فأقيم الحائط وصُفِّر بالطين الأصفر، ثم حدثت الدور هناك.

الجسر بأرض الطبالة

هذا الجسر يفصل بين بركة الرطلي وبين الخليج / الناصري، أقامه الأمير الوزير سيف الدين بكتمر الحاجب، في سنة خمس وعشرين وسبع مائة لما انتهى حفر الخليج الناصري، وأذن للناس في البناء عليه، فحكى ونبت فوقه الدور، فصارت تُشرف على بركة الرطلي وعلى الخليج، وتجتمع العائنة تحت منظر الجسر، وتُمر بحافة الخليج للترفة. فكثرت اغتيابات غوغاء الناس وفشاقهم بهذا الجسر إلى اليوم. وهو من أنزه فُرج القاهرة، لولا ما عُرف به من القاذورات الفاجسة.

^١ يُدَلُّ على موضع الجسر الأعظم الآن، والشارع الذي كان يُشلك فيه من الكيش إلى قناطر السباع، شارع عبد المجيد اللبان (مزاسينا سابقًا)، الذي يوصل بين ميدان الشيعة زُهَب (حيث كانت قناطر السباع) وبين جامع سينجر الجازلي (الواقع تحت قلعة الكيش)، وهناك يتقابل مع شارع الخصري. (أبو الحسن: النجوم الزاهرة ١٩١٧ هـ).

الجسر من بولاق إلى مئنة السراج

كان السبب في عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة حتى أغرق من ناحية بستان الخشاب^١، ودخل الماء إلى جهة بولاق، وفاض إلى باب اللوق حتى اتصل بباب البحر وبساتين الخور، فهدمت عدة دور كانت مبطلة على البحر وكثير من ثبوت الحكومة، وامتد الماء إلى ناحية مئنة السراج^٢. فقام الفخر ناظر الجيش بهذا الأمر، وعرف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه متى غفل دخل الماء إلى القاهرة وغرق أهلها ومساكنها. فركب السلطان إلى البحر ومعه الأمراء، فرأى ما هاله، وفكر فيما يذفع صرر النيل عن القاهرة، فافتضى رأيه عمل جسر عند نزول الماء، وانصرف.

فقويت الزيادة، وفاض الماء على منشأة المهراي ومنشأة الكتبة، وغرق بساتين بولاق والجزيرة حتى صار ما بين ذلك ملقة واحدة. وركب الناس المراكب للفرجة، ومروا بها تحت الأشجار، وصاروا يتناولون الثمار بأيديهم وهم في المراكب. فتقدم السلطان لمتولي القاهرة ومتولي مصر بيت الأغوان في القاهرة ومصر لرد الحميم والجمال التي تنقل الثراب إلى الكيمان، وألزمهم بإلقاء الثراب بناحية بولاق. ونودي في القاهرة ومصر: «من كان عنده ثراب، فليمره بناحية بولاق وفي الأماكن التي قد علا عليها الماء».

فاهتم الناس من جهة زيادة الماء اهتماما كبيرا، خوفا أن يخرق الماء ويدخل إلى القاهرة. وأزم أزباب الأملاك التي ببولاق والخور والمناشي أن يقف كل واحد على إصلاح مكانه، ويحترس من عبور الماء على غفلة. فتطلب كل أحد من الناس الفعلة من غوغاء الناس لنقل الثراب، حتى عديمت الحرافيش^٣، ولم تكدها^٤ توجد لكثرة ما أخذهم الناس لنقل الثراب وزميه. وتضررت الأثر القريبة من البحر بنزرها، وعرفت الأقباط والقلقاس والثيلة وسائر الدواليب^٥ التي بأعمال مصر.

(a) بولاق : تكن . (b) بولاق : الدواليب .

^١ حاشية بخط المؤلف : «بستان الخشاب من جملة تيدان السلطان الذي كان على النيل» .
الواصل بين بولاق ومئنة السراج . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٩٢: ٩ هـ ١٩٢٠) .

^٢ يدل على موضع هذا الجسر الآن شارع التزعة البولاقية ^٣ انظر عن الحرافيش، فيما تقدم ٩١ هـ .

فلَمَّا انْقَضَتْ أَهْلَامُ الرِّيَاذَةِ ، ثَبَتَ الْمَاءُ وَلَمْ يَنْزِلْ فِي أَيَّامِ نُزُولِهِ . فَتَسَدَّتْ مَطَامِيرُ الْعَلَّاتِ وَمَخَارِزُهَا وَشَوْنُهَا ، وَتَحَسَّنَ سَعْرُ السَّكْرِ وَالْعَسَلِ ، وَتَأَخَّرَ الزُّرْعُ عَنْ أَوَانِهِ لَطُولُ^(a) مُكْبِ الْمَاءِ . فَكَتَبَ لَوْلَاةِ الْأَعْمَالِ بِكْشَرِ الثَّرَعِ وَالْجُشُورِ كَيْ يَنْصَرِفَ الْمَاءُ عَنْ أَرْضِي الزُّرْعِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَلْحِ ، وَاجْتِنَابِ النَّاسِ إِلَى وَضْعِ الْخَرَاكِ عَنْ بَسَاتِينِ بُولَاقِ وَالْجَزِيرَةِ ، وَمُسَامَحَتِهِمْ بِتَنْظِيرِ مَا فَتَسَدَّ مِنَ الْعَرَقِ ، وَفَسَدَتِ عِدَّةُ بَسَاتِينِ إِلَى أَنْ أَيْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِنُزُولِ الْمَاءِ ، فَتَقَطَّ كَثِيرٌ مِنَ الدُّورِ . ٥

وَأَخَذَ السُّلْطَانُ فِي عَمَلِ الْجُشُورِ ، وَاسْتَدْعَى الْمُهَنْدِسِينَ ، وَأَمَرَهُمْ بِإِقَامَةِ جِسْرِ يَصُدُّ الْمَاءَ عَنِ الْقَاهِرَةِ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ نَيْلٌ مِثْلَ هَذَا ، وَكَتَبَ بِإِحْضَارِ خَوْلَةَ الْبِلَادِ . فَلَمَّا تَكَامَلُوا أَمَرَ بِهِمْ^(b) ، فَسَارُوا إِلَى النَّيْلِ وَكَشَفُوا الشَّاجِلَ كُلَّهُ ، فَوَجَدُوا نَاحِيَةَ الْجَزِيرَةِ مِمَّا يَلِي الْمُنْيَةَ قَدْ صَارَتْ أَرْضَهَا وَطِيقَةً ، وَمِنْ هُنَاكَ يُخَافُ عَلَى الْبَلَدِ مِنَ الْمَاءِ .

١٠ فَلَمَّا عَرَفُوا السُّلْطَانُ بِذَلِكَ ، أَمَرَ بِالزَّامِ مِنْ لَهُ دَارٌ عَلَى النَّيْلِ بِمِصْرَ أَوْ مُنْشَأَةَ الْمَهْرَانِي أَوْ مُنْشَأَةَ الْكُتَّابِ أَوْ بُولَاقِ ، أَنْ يُعْمَرَ قُدَّامَهَا عَلَى الْبَحْرِ زُرِّيَّةً^(c) ، وَأَنَّهُ لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ عَلَيْهَا جَكْرٌ ، وَتُودِي بِذَلِكَ ، وَكُتِبَ مَرْسُومٌ بِمُسَامَحَتِهِمْ مِنَ الْحِكْرِ عَنْ ذَلِكَ . فَشَرَعَ النَّاسُ فِي عَمَلِ الزُّرَابِي ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأُمَرَاءِ بِطَلَبِ فَلَاحِي بِلَادِهِمْ ، وَإِحْضَارِهِمْ بِالْبَقَرِ وَالْجَرَارِيفِ لَعَمَلِ الْجِسْرِ مِنْ بُولَاقِ إِلَى مُنْيَةِ السَّيْرِجِ . وَنَزَلَ الْمُهَنْدِسُونَ فَقَاسُوا الْأَرْضَ ، وَقَرَضُوا لِكُلِّ أَمِيرٍ أَقْصَابًا مَعِيْنَةً ، وَضَرَبَ كُلُّ أَمِيرٍ حَتِيْمَتَهُ ، وَخَرَجَ لِمِبَاسَرَةٍ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ^(d) . ١٥

فَأَقَامُوا فِي عَمَلِهِ عَشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى قَرَعَ ، وَنُصِبَتْ عِنْدَهُمُ الْأَشْوَاقُ . فَجَاءَ ارْتِفَاعُهُ مِنَ الْأَرْضِ أَرْبَعَ قَصَبَاتٍ فِي عَرْضِ ثَمَانِي قَصَبَاتٍ ، فَانْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ ارْتِفَاعًا كَبِيرًا . وَقَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الزُّرْعَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ خَسَنَ إِلَى الْغَايَةِ ، وَأَفْلَحَ فَلَاحًا عَجَبِيًّا ، وَانْحَطَّ السَّقْفُ لِكثَرَةِ مَا زُرِعَ مِنَ الْأَرْضِ وَخَضَبِ السَّنَةِ .

٢٠ وَكَانَ قَدْ أَتَفَقَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةِ عَرَقُ ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ أَيْضًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّيْلَ وَقِيَ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا فِي ثَالِثِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى - وَهُوَ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ شَهْرِ أَبِيبِ ، أَحَدِ شُهُورِ الْيَقِيطِ - وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَالَ الْبَذْرِيَّةَ يَكُونُ وَقَاؤُهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ مَسْرَى .

(a) بولاق : لكثرة ما . (b) بولاق : أمرهم . (c) بولاق : زرية .

فلما كُسِرَ سدُّ الحَلِيجِ ، توقَّفت الزيادةُ مُدَّةَ أَيَّامٍ ، ثم زادَ وتوقَّفَ إلى أن دَخَلَ تاسِعُ ثَوْتِ والماءِ على سبعةِ عشر ذراعًا وتسعةِ أَصابعٍ . ثم زادَ في يوم تسعةِ أَصابعٍ ، واستمرت الزيادةُ حتى صارَ على ثمانيةِ عشر ذراعًا وستةِ أَصابعٍ . ففاضَ الماءُ ، وانقَطَعَ طَرِيقُ النَّاسِ فيما بين القاهِرةِ ومصرَ وفيما بين كُومِ الرِّيشِ والمُنْبَةِ ، ونَحَرَجَ من جانبِ المُنْبَةِ وغَرَقَها .

- فكُتِبَ يَفْتَحُ جميعَ الثَّرَعِ والجُسُورِ بِسائرِ الوجهِ القِبْليِّ والبَحْريِّ ، وكُشِرَ بَحْرُ أَبِي المُنْتَجَا ، /وَفُتِحَ سَدُّ بَلْبَيسَ وغيره قبل عيد الصَّليبِ ، وغَرِقَتِ الأَقْصَابُ والزَّرَاعَاتُ الصَّغِيغَةُ ^١ .

وعَمَّ الماءُ ناحيةَ مُنْبَةِ المَسِيرِجِ وناحيةِ شُبْرَا ، فَخَرِبَتِ الدُّورُ التي هناك ، وتَلَفَ للنَّاسِ مَالٌ كثيرٌ : من جملته زيادةُ على ثمانين ألفَ بَجْرَةٍ خَعَرَ فارغةً تكسَّرت في ناحيةِ المُنْبَةِ وشُبْرَا عند هُجُومِ الماءِ ، وتَلَفَتِ مَطَامِيرُ الغَلَّةِ من الماءِ حتى بيعَ قَدَحُ القَمْحِ بِفِلَسٍ - والفِلَسُ يومئذٍ جزءٌ من ثمانيةِ وأربعين جزءًا من دِرْهَمٍ - وصارَ من بُلَاقٍ إلى شُبْرَا بَحْرًا واحدًا تمرُّ فيه المراكِبُ للثَّزْهَةِ في بَساتينِ الجَزِيرَةِ إلى شُبْرَا ، وتَلَفَتِ الفَوَاكِهُ والمُشْمُومَاتُ ، وَقَلَّتِ الحُضُرُ التي يُخْتاجُ إليها في الطَّعامِ ، وغَرِقَتِ مُنْشَأَةُ المَهْرَانِي .

- وفاضَ الماءُ من عند خائفاه رَشْلان ^٢ وأَفْسَدَ بُشْتانَ الحَشَّابِ ، واتَّصَلَ الماءُ بالجَزِيرَةِ التي تُعْرَفُ بِجَزِيرَةِ الغِيلِ إلى شُبْرَا ، وغَرِقَتِ الأَقْصَابُ التي في الصَّعِيدِ ، فَإِنَّ الماءَ أَقامَ عليها ستةَ وخمسينَ يومًا ، ففَصِرَتِ كُلُّها غَسَلًا فقط ، وغَرِبَتِ سائِرُ الجُسُورِ وعَلاها الماءُ ، وتأخَّرَ هُبُوطُهُ عن الوَقْتِ المَعتادِ ، فسَقَطَتِ عِدَّةُ دُورٍ بالقاهِرةِ ومصرَ ، وفَسَدَتِ مُنْشَأَةُ الكُتَّابِ المجاورةُ لِمُنْشَأَةِ المَهْرَانِي ؛ فلذلكَ عَمِلَ السُّلْطَانُ الجِيسَرُ المذكورَ خَوْفًا على القاهِرةِ من الغَرَقِ .

الجسر بوسط بحر النيل (ب) السيل

- وكان سَبَبُ عَمَلِ هذا الجِيسَرِ أَنَّ ماءَ النيلِ قَوِيَ زَمِيهِ على ناحيةِ بُلَاقٍ (ب) في سنة ثلاثٍ وعشرينَ وسبعَ مائةً (ب) ، وهَدَمَ جامعَ الحَظِيرِي ، ثم جُدِّدَ ، (ب) فَرَسَمَ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بن قلاوون لِسُكَّانِ البَحْرِ بِعَمَلِ زُرَّابِي قُدَّامَ بيوتهم ، وأن لا يُؤْخَذَ عليها جِكرٌ ، وكُتِبَ بذلك

(a) إضافة من مسودة الخطط . (b-b) إضافة من مسودة الخطط .

^١ انظر عن عيد الصَّليبِ ، فيما تقدم ٧٢١:١ - ٧٢٤ . ^٢ خائفاه رَشْلان (أرسلان) ، فيما يلي ٤٢٣:٢ .

مُسَامَحَاتٍ لِأَرْبَابِ الْأَمْثَلِكِ ، فَمَعَزَ كُلُّ أَحَدٍ قُدَّامَ مَلِكِهِ زَرْيَّةً فَلَمْ يُغْنِ ذَلِكَ ، وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ
 الْغُلْفِيلَةِ وَرُمِيَ الْبَحْرُ عَلَى جِهَةِ بُولاق^٥ وَقُوَّتِ عِمَارَتِهِ وَتَكَارَّرَ الْبَحْرُ لَا يَزْدَادُ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ
 إِلَّا قُوَّةً . فَأَهَمَّ الْمَلِكُ النَّاصِرَ أَمْرَهُ ، وَكَتَبَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ بِطَلَبِ الْمُهَنْدِسِينَ مِنْ
 دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَالْبِلَادِ الْفَرَاتِيَّةِ ، وَجَمَعَ الْمُهَنْدِسِينَ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ كُلِّهَا يَتْلِيهَا وَيَحْرِيهَا^١ . فَلَمَّا
 تَكَامَلُوا عِنْدَهُ ، رَكِبَ بِعَسَاكِرِهِ مِنْ قَلْعَةِ الْحَبَلِ إِلَى شَاطِئِ النَّيْلِ ، وَنَزَلَ فِي الْحَرَاةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمْزَاءُ
 وَسَائِرِ أَرْبَابِ الْخَيْزَةِ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَخَوْلَةِ الْجُسُورِ ، وَكَشَفَ أَثَرَ شَطُوطِ النَّيْلِ . فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنْ
 يَتَعَمَلَ جِسْرًا فِيمَا بَيْنَ بُولَاقَ وَنَاحِيَةِ أُنْبُوتِةَ مِنَ الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ^٢ ، لِيُرِدَّ قُوَّةَ التَّجَارِ عَنْ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ إِلَى الْبَرِّ
 الْغَرْبِيِّ . وَعَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَكَبِّتَ مَرَاسِمَهُ إِلَى وِلَاةِ الْأَعْمَالِ بِإِخْضَارِ الرِّجَالِ صُحْبَةَ الْمُشِيدِينَ ،
 وَاسْتَدْعَى شَادَ الْعِمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَأَمَرَهُ بِطَلَبِ الْحَجَّازِينَ وَقَطْعِ الْحَجَرِ مِنَ الْحَبَلِ ، وَطَلَبَ رَئِيسَ
 الْبَحْرِ وَشَادَ الصَّنَاعَةِ لِإِخْضَارِ الْمَرَائِبِ . فَلَمْ يَمُضْ سِوَى عَشْرَةِ أَيَّامٍ حَتَّى تَكَامَلَ حُضُورُ الرِّجَالِ
 مَعَ الشَّادِينَ مِنَ الْأَقَالِيمِ .

وَنَدَبَ السُّلْطَانُ لِهَذَا الْعَمَلِ الْأَمِيرَ أَقْبَغَا عَبْدَ الْوَاحِدِ وَالْأَمِيرَ بَرْسَبَغَا^٣ الْحَاجِبَ^٤ فَتَزَلَّاهُ^٥ لَذَلِكَ .
 وَأَخْضَرَ وَالِي الْقَاهِرَةِ وَالِي مِصْرَ ، وَأَمَرَا بِجَمْعِ النَّاسِ وَتَسْخِيرِ كُلِّ أَحَدٍ لِلْعَمَلِ . فَزَكَبَا وَأَخَذَا
 الْحَرَاغِينَ مِنَ الْأَمَاكِينِ الْمَعْرُوفَةِ بِهِمْ ، وَقَبَضَا عَلَى مَنْ وَجَدَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَفِي الْمَسَاجِدِ
 وَالْجَوَامِعِ ، وَتَتَبَعَهُمْ فِي الْأَشْحَارِ . وَوَقَعَ الْإِهْتِمَامُ الْكَبِيرُ فِي الْعَمَلِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ عَاشِرِ ذِي
 الْقَعْدَةِ - وَكَانَتْ أَيَّامُ الْقَيْظِ - فَهَلَكَ فِيهِ عِدَّةٌ مِنَ النَّاسِ . وَالْأَمِيرُ أَقْبَغَا فِي الْحَرَاةِ يَتَسَحَّجُ
 النَّاسَ عَلَى إِنْجَازِ الْعَمَلِ ، وَالْمَرَائِبُ تَحْمِلُ الْحَجَرِ مِنَ الْفَصِّ الْكَبِيرِ إِلَى مَوْضِعِ الْجِسْرِ . وَفِي

(a) إضافة من مسودة الحطوط . (b) بولاق : برصبا . (c) بولاق : برزا .

^١ انظر عن الأمر أقبغا عبد الواحد (فيما يلي ٣٨٤:٢) .
 وبرزبا الحاجب ، هو الأمير سيف الدين ببرزبا الحاجب ،
 أحد المساليك الناصرية محمد بن قلاوون ، المتوفى سنة
 ٧٤٢هـ/١٣٤١م . (الصفيدي: أعيان العصر ٦٨٦:١-٦٨٦:٢)
 ٦٨٨هـ ، الوافي بالوفيات ١١٤:١٠-١١٥:١ للمقريزي: الملقى
 الكبير ٥٧٠:٢-٥٧١:٢ ، السلوك ٢:٢٠٤-٢٠٥ ابن حجر: الدرر
 الكامنة ٢:٧٧ أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣:٢٨٢-٢٨٣
 . (٢٨٣)

^٢ هذا الجسر كان ممتداً في وسط النيل بين بولاق ورأس جزيرة
 وراق الحضر من الجهة القبلية مُتَّصلاً بأراضيها الزراعية شمال إمبابة
 على الشاطئ الغربي للنيل . (الشجاعي: تاريخ الملك الناصر ٣١-
 ٣٢ ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩:١٢٤هـ^١) .

^٣ أنبوتة . هي جزء من مدينة إمبابة الحالية بمحافظة الجيزة
 تشترك مع وراق الحضر في سكن واحد . (أبو المحاسن:
 النجوم الزاهرة ٦:٣٨٠ ، ٩:١٢٤هـ^١ ، ١٢٧هـ^٢) .

كل قليل يركب السلطان من القلعة، ويقف على العمل، ويهين أقبغا ويشبه ويستحثه، حتى تم القمل للنصف من ذي الحجة.

وكانت عبدة المراكب التي غرقت فيه وهي مشحونة بالحجارة اثني عشر مركبا، كل مركب منها تحمل ألف إرذبت غلة. وعبدة المراكب التي ملئت بالحجر حتى ردم^(a) وصار جسرا ثلاثة وعشرون ألف مركب، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والشرباقات^١.

وحفر في الجزيرة^٢ خليج وطيء، فلما جرى النيل في أيام الزيادة مر في ذلك الخليج، ولم يتأثر الجسر من قوة التيار، وصارت قوة جري النيل من ناحية أنبوبة بالبر الغربي ومن ناحية التكروري أيضا. فسر السلطان بذلك، وأعجبته إعجابا كثيرا. وكان هذا الجسر سبب انقطاع الماء عن بر القاهرة حتى صار إلى ما صار إليه الآن^(b) مع ما يأتي ذكره إن شاء الله^(c).

الجسر فيما بين الجزيرة والروضة

(c) المعروف بجسر منجك^(٥)

كان السبب المقتضي لعمل هذا الجسر أن الملك الناصر لما عمل الجسر فيما بين بولاق وناحية أنبوبة وناحية التكروري، انطرد ماء النيل عن بر القاهرة، وانكشف أراض كثيرة، وصار الماء يخاض من بر مصر إلى المقياس، وانكشف من قبالة منشأة المهراشي إلى جزيرة الفيل وإلى منية السراج، وصار الناس يجدون مشقة لبعد الماء عن القاهرة، وغلت زوايا الماء حتى أبيعت^(d) كل زاوية بدرهمين بعدما كانت ينصف ورزق دهم^٣.

فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائي، وإلى السلطان الملك الكامل شعبان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون. فطلب المهندسين ورئيس البحر، وركب السلطان بأمرائه من القلعة

(a) بولاق : دم . (b-b) إضافة من أباصرفيا . (c-c) إضافة من مسودة الخطط . (d) بولاق : بيعت .

^١ شراقة ج. شراقات. الشوط يصنع من جلد فرس البحر، وهو المعروف الآن بالكرباج. (Dozy, R., Suppl.) (٥٩٤).
^٢ حاشية بخط المؤلف: «هذه الجزيرة غرقت بالجزيرة»
^٣ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٢٦-١٢٨.

إلى شاطئ النيل، فلم يتهبأ غملاً لما كان من ابتداء زيادة النيل، إلا أن الرأي اقتضى نقل الثراب والشُفاف من مطابخ السكر التي كانت بمصر، وإلقاء ذلك بالوُضْعة لعمَل الجسر. فتمَلَّ شيء عَظِيم من الثراب في المراكب إلى الوُضْعة، وعَمِلَ جِسْرٌ من الجيزة إلى نحو المقياس في طول نحو ثلثي ما بينهما من المسافة فعادَ الماء إلى جهة مصر عَوْدًا يَسِيرًا، وعَجَزُوا عن إيصال الجسر إلى المقياس لِقَلَّةِ الثراب، وقويت الزيادة حتى غلا الماء الجسر بأشره^١. وأتفق قتل الملك الكامل بعد ذلك، وسَلَطَتِ أخته الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون أوَّل جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة.

فلما دَخَلَت سنة ثمان وأربعين، وَقَفَ جَمَاعَةٌ من النَّاسِ لِلسُّلْطَانِ في أَمْرِ الْبَحْرِ، واشْتَغَاوْا من بُعْدِ الماء وانْكِشَافِ الْأَرْضِ من تحت البيوت وغلاء الماء في المَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِالْكَشْفِ عَنْ ذَلِكَ. فَتَزَلَّ الْمُهَنْدِسُونَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِقَامَةِ جِسْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَنْ بَرِّ الْجِيزَةِ إِلَى بَرِّ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ وَكَتَبُوا تَقْدِيرَ مَا يُضْرَفُ فِيهِ مِائَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً. فَأَمَرَ بِجَبَائِهَا مِنْ أَزْبَابِ الْأَمْثَالِ الَّتِي عَلَى سَطِّ النَّيْلِ، وَأَنْ يَتَوَلَّى الْقَاضِي ضِيَاءُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُحْتَسِبِ جَبَائِهَا وَاشْتِخَاجَهَا.

فقيمت الدُّورُ، وَأُجِذَ عَنْ كُلِّ ذِرَاعٍ مِنْ أَرْضِهَا خَمْسَةُ عَشَرَ دِرْهَمًا. وَتَوَلَّى قِيَاسَهَا أَيْضًا الْمُحْتَسِبُ وَوَالِي الصَّنَاعَةِ، فَتَلَعَ قِيَاسُهَا سَبْعَةَ آلَافٍ وَسِتِّ مِائَةِ ذِرَاعٍ، وَجَبَى نَحْوَ السَّبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَاتَّفَقَ غَزَلُ الضِّيَاءِ عَنِ الْحِسْبَةِ وَنَظَرُ الْمَارِشْتَانِ الْمُتَّصُورِيِّ وَنَظَرُ الْحَوَالِيِّ، وَوَلَايَةُ ابْنِ الْأَطْرُوشِ مَكَانَةً، ثُمَّ قَتَلَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ وَوَلَايَةَ أَخِيهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَمَتْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ سَلْطَنَةَ مِصْرَ بَعْدَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا.

فلما كان في سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وَقَعَ الْإِهْتِمَامُ بِعَمَلِ الْجِسْرِ. فَتَزَلَّ الْأَمِيرُ بَيْبُكُ أُرُوس^٢ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ، وَالْأَمِيرُ مَتَجَلِكُ الْأَشْتَادَارِ - وَكَانَ قَدْ غُزِلَ مِنَ الْوَزَارَةِ - وَالْأَمِيرُ قَبْلَايُ الْحَاجِبِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْثَرَاءِ وَمَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ إِلَى الْبَحْرِ فِي الْحَرَائِقِ وَالْمَرَائِبِ إِلَى بَرِّ

٢ بولاق : بلبا أروس .

١ النص في المخطوطة ١٧٩ ط : فاقضى الرأي نقل الثراب من مطابخ السكر ورميها فيما بين الجيزة والمقياس حتى يصير جسراً يرفع الماء إلى جهة بولاق وجزيرة النيل ومُنشأة مصر، فلما زاد النيل غلا على هذا الجسر وغطاه.

المهрани، وألزم من عنده ثراب بحمله في مركب ليؤمى بهذا الجسر. فما زال القتل حتى تمكّل وتراجع الماء قليلاً إلى بَرِّ مصر، فلما زاد النيل غلا على هذا الجسر وغطاه.

الجيزة ، وقاسوا ما بين هُ الجيزة والمقياس ، وكُتِبَ تقديرُ المصروف : نحو المائة والخمسين ألف درهم ، وألف خَشْبَة من الخَشَب ، وخمسة مائة صَار ، وألف حَجَر في طُول ذراعين وعَرْض ذراعين ، وخمسة آلاف شُفَّة ، وغير ذلك من أشياء كثيرة .

فَرَكِبَ النَّائِبُ وَالْوَزِيرُ وَالْأَمِيرُ شَيْخُو الْأُمَرَاءِ إِلَى الْجِيْزَةِ ، وَأَعَادُوا النَّظَرَ فِي أَمْرِ الْجِسْرِ وَمَعَهُمْ أَرْبَابُ الْجِيْزَةِ . فَالْتَزَمَ الْأَمِيرُ مَنَاجِكَ بِمَقَلِ الْجِسْرِ ، وَأَنْ يَتَوَلَّى جِهَاتِ الْمَصْرُوفِ عَلَيْهِ مِنْ سَائِرِ الْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ وَالْكَتَّابِ وَأَرْبَابِ الْأُمَلَاكِ ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ حَتَّى يُوْخَذَ مِنْهُ . فَرَسِمَ لِكُتَّابِ الْجَيْشِ بِكِتَابَةِ أَسْمَاءِ الْجُنْدِ ، وَقُرِّرَ عَلَى كُلِّ مِائَةِ دِينَارٍ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ ، وَعَلَى كُلِّ أَمِيرٍ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَعَلَى كُلِّ كَاتِبٍ أَمِيرٍ أَلْفَ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَكَاتِبِ أَمِيرِ الطُّبُلُخَانَاةِ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَعَلَى كُلِّ حَائِثٍ مِنْ حَوَانِيتِ الشُّجَارِ دِرْهَمٌ ، وَعَلَى كُلِّ دَارٍ دِرْهَمَانٍ . وَعَلَى كُلِّ بُسْتَانٍ الْفَدَّانُ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا إِلَى عِشْرَةِ دِرَاهِمٍ ، وَعَلَى كُلِّ طَاحُونٍ خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ عَنِ الْحَجَرِ ، وَعَلَى كُلِّ صِبْهَرِيْجٍ فِي تَرْبَةِ بِالْقَرَّافَةِ أَوْ فِي ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ أَوْ فِي مَدْرَسَةٍ مِنْ عِشْرَةِ دِرَاهِمٍ إِلَى خَمْسَةِ دِرَاهِمٍ ، وَعَلَى كُلِّ تَرْبَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ إِلَى دِرْهَمَيْنِ ، وَعَلَى أَصْحَابِ الْمَقَاعِدِ وَالْمُتَعَشِّينَ فِي الطُّرُقَاتِ شَيْءٌ .

وَكُتِبَتْ الْبَسَاتِينُ وَالْدُّوْرُ الَّتِي اسْتَحْجَذَتْ مِنْ بُلَاقٍ إِلَى مَنِيَةِ السَّيْرِجِ ، وَالَّتِي اسْتَحْجَذَتْ فِي الْحُكُورَةِ ، وَالَّتِي اسْتَحْجَذَتْ عَلَى الْخَلِيْجِ النَّاصِرِيِّ وَعَلَى بَرْكَةِ الْحَاجِبِ وَفِي جَنْبِ أَخِي صَارُوجَا^١ . وَقِيسَتْ أَرْضُهَا كُلُّهَا ، وَأُجِذَ عَنْ كُلِّ ذِرَاعٍ مِنْهَا خَمْسَةُ عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَأُجِذَ عَنْ كُلِّ قَمِيْنٍ مِنْ أَقْمِيَةِ الطُّوبِ شَيْءٌ ، وَعَنْ كُلِّ فَاحُورَةٍ مِنَ الْفَوَاحِيْرِ شَيْءٌ . وَفُرِضَ عَلَى كُلِّ وَفِي الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَالْقَرَّاقِيْنِ ، مِنَ الْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْحَوَانِكِ وَالزُّوَايَا وَالرُّبُطِ ، شَيْءٌ .

وَكُتِبَ إِلَى وِلَاةِ الْأَعْمَالِ بِالْجِيَايَةِ مِنْ دُبُورَةِ النَّصَارَى وَكُنَائِسِهِمْ مِنْ مِائَتِي دِرْهَمٍ إِلَى مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَقُرِّرَ عَلَى الْفَنَائِدِ وَالْخَانَاتِ الَّتِي بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ شَيْءٌ . وَقُرِّرَ عَلَى صَامِنَةِ الْمَغَانِي^٢ مِائَةُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَقِيْمَ لِكُلِّ جِهَةٍ شَاذَ وَصِيْفَةٍ وَكُتَّابٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَحْجِثِيْنَ مِنْ

(١) بولاق : الأغاني .

^١ حاشية بخط المؤلف : «حَكَوْ أَخِي صَارُوجَا بِمَرْفِ الْأُخْيَرَةِ إِضَافَةً مِنْ نَسْخَةِ ص .

بِحَكَوْ أَفِيهِ وَقِيلَ الْفِيءُ ، وَقَدْ خَرِبَ بَعْدَمَا كَانَ عَابِرًا إِلَى سَنَةِ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَأَوْدَرَكْتُ أَنَا بِهِ بَعْضَ بَقِيَّةِ . هَذِهِ الْعِبَارَةُ

^٢ انظر عن صَمَانِ الْمَغَانِي ، فِيمَا تَقْدُمُ ١ : ٢٨٦ .

الأغوان . فَنَزَلَ من ذلك بالنَّاسِ بِلَاءٌ كَبِيرٌ وَشِدَّةٌ عَظِيمَةٌ . فَإِنَّهُ أُخِذَ حَتَّى من الشَّيْخِ والعَجُوزِ والأَزْمَلَةِ ، وَبِحَبِيٍّ المَالُ مِنْهُمْ بالعُسْف . وَأَبْطَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَبِيهَ لِسْغِيهِ فِي الغَرَامَةِ ، وَذَهَبِي النَّاسُ مع الغَرَامَةِ بِتَسْلُطِ الظُّلْمَةِ من العُرَفَاءِ وَالضُّمَّانِ وَالرُّشْلِ . فَكَانَ يَغْرَمُ كُلُّ أَحَدٍ لِلْقَابِضِ وَالشَّادِ والصَّمِيرِ فِي والشُّهُودِ - سَوَى مَا قُرِّرَ عَلَيْهِ - جَمَلَةٌ دَرَاهِمُ ؛ فَكَثُرَ كَلَامُ النَّاسِ فِي الْوَزِيرِ ، حَتَّى صَارُوا يَلْهَجُونَ بِقَوْلِهِمْ : « هَذِهِ سَخَطَةٌ مُرْصَصَةٌ نَزَلَتْ من السَّمَاءِ عَلَى أَهْلِ مِصْرٍ » . وَفَاسُوا شِدَّةً أُخْرَى فِي تَحْصِيلِ الْأَصْنَافِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا .

وَنَزَلَ الْوَزِيرُ مَتَجَلِّك ، وَضَرَبَ لَهُ خَيْمَةً عَلَى جَانِبِ الرُّوَضَةِ ، وَنَادَى فِي الْحَرَايِشِ^١ وَالْفَعْلَةَ : « مَنْ أَرَادَ الْقَمَلَ يَخْضِرُ ، وَيَأْخُذُ أَجْمَرَتَهُ دِرْهَمًا وَنِصْفًا وَثَلَاثَةَ أَرْغَفَةٍ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَالَمٌ كَثِيرٌ ، وَجَعَلَ لَهُمْ شَيْقًا يَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَرَتَّبَ عِدَّةَ مَرَاكِبَ لِنَقْلِ الْحَجَرِ ، وَأَقَامَ عِدَّةً من الْحَجَّارِينَ فِي الْجَبَلِ لِقَطْعِ الْحَجَرِ ، وَجَمَالًا وَحَمِيرًا تَنْقِلُهَا من الْجَبَلِ إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَحْمَلُ من الْبَرِّ فِي الْمَرَاكِبِ إِلَى بَرِّ الْجِيْزَةِ .

وابتدأ بِقَمَلِ الْجِيْشِ من الرُّوَضَةِ إِلَى سَاقِيَةِ عِلْمِ الدِّينِ بْنِ زُنْبُورٍ ، وَعَارَضَهُ بِجِشْرِ آخَرٍ مِنْ بُشْتَانِ التَّاجِ الْحَقِيقِ^(a) إِلَى سَاقِيَةِ ابْنِ زُنْبُورٍ ، وَأَقَامَ أُخْشَابًا من الْجَهْتَيْنِ ، وَرَدَمَ بَيْنَهُمَا بِالثَّرَابِ وَالْحَجَرِ وَالْحَلْفَاءِ ، وَرَتَّبَ الْجِيْمَالَ السُّلْطَانِيَّةَ لِقَطْعِ الطُّينِ مِنْ بَرِّ الرُّوَضَةِ وَحَمَلَهُ إِلَى وَسَطِ الْجِيْشِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَتَقَى بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ صَانِعٌ إِلَّا خَضَرَ الْقَمَلَ ، وَالزَّمَّ مَنْ كَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ دَارِهِ كُومُ ثَرَابٍ بِمِصْرٍ^(b) أَنْ يَنْقِلَهُ إِلَى الْجِيْشِ . فَغَرِمَ كُلُّ وَاحِدٍ من النَّاسِ فِي نَقْلِ الثَّرَابِ مِنْ أَلْفٍ / دِرْهَمٍ إِلَى خَمْسِ مِائَةٍ ٩٩٢ دِرْهَمٍ . وَكَانَ كُلُّ مَا يُنْقَلُ فِي الْمَرَاكِبِ من الْحَجَرِ وَغَيْرِهِ يُؤْمَى فِي وَسَطِ جِيْشِ الْمِقْيَاسِ ، وَتَحْمَلُهُ الْجِيْمَالُ إِلَى الْجِيْشِ .

ثُمَّ اقْتَضَى الرَّأْيُ خَفَرٌ خَلِيجٍ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهِ عِنْدَ زِيَادَةِ الثَّلِيلِ لَتَضَعُفُ قُوَّةُ النِّجَارِ عَنِ الْجِيْشِ . فَأَخْضَرَتْ الْأَبْقَارُ وَالْجَرَارِيْفُ وَالرَّجَالُ لِأَجْلِ ذَلِكَ ، وَابْتَدَأُوا حَفْرَهُ مِنْ رَأْسِ مُوزِدَةِ الْحَلْفَاءِ تَحْتَ الدُّورِ إِلَى بُولَاقٍ ، وَكَانَتْ الزِّيَادَةُ قَدْ قَرُبَ أَوَانُهَا ، فَمَا انْتَهَى الْحَفْرُ حَتَّى زَادَ مَاءُ الثَّلِيلِ وَجَرَى فِيهِ ، فَسَرَ النَّاسُ بِهِ سُرُورًا كَبِيرًا ، وَانْتَهَى عَمَلُ الْجِيْشِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ؛ إِلَّا أَنَّ الشَّنَاعَةَ قَوَّيَتْ عَلَى

(a) بولاق : إسحاق . (b) ساقطة من بولاق .

^١ انظر عن الحرايش فيما تقدم ٩١ هـ .

الوزير، وتبلغ الأمراء الثائب ما يُقال عن منجك من كثرة جباية الأموال. فحدثه في ذلك ومنعه، فاعتذر بأنه لم يُسخر أحدًا، ولا استعمل الناس إلا بأجرة، وأن في هذا العمل للناس عِدَّة منافع وما علي من قول أصحاب الأغراض الفاسدة ونحو ذلك، وتمادى على ما هو عليه.

- ٥ فلما جرى الماء في الخليج الذي تحفر تحت البيوت من مؤودة الحلفاء إلى بولاق، مَرَّت فيه المراكب بالناس للفرجة، واحتاج منجك إلى نقل خيمته من برّ الروضة إلى برّ الجزيرة، وأخضر المراكب الكبار وملأها بالحجارة، وغرق منها عشرة مراكب في البحر، ورَدَمَ التراب عليها إلى أن كمل نحو ثلثي العمل، فقويت زيادة الماء، وبطل العمل.

- فلما كثرت الزيادة، جمع منجك الخرافيش والأشرى، ورَدَمَ على الجسر التراب وقواه، فتحامل الماء عن البرّ الغربي إلى البرّ الشرقي، ومرّ من تحت الميدان السلطاني وزريعة^(أ) قوضون إلى بولاق، فصار معظمه من هذه المواضع، وحصل العرض بكون الماء بالقرب من القاهرة. وانتهى طول جسر منجك إلى مائتين وتسعين قصبَة في عرض ثمان قصبَات وارتفاع أربع قصبَات. والجسر الذي من الروضة إلى المقياس طوله مائتان وثلاثون قصبَة. وعِدَّة ما رُمي في هذا العمل من المراكب المشحونة بالحجر اثنا عشر ألف مَرَكِب سوى التراب وغير ذلك.

- ١٥ وكان ابتداء العمل في مُستَهَلَّ المحرم، وانتهأؤه في سَلَخ ربيع الآخر. ولم تنحصر الأموال التي نجيت بسببه، فإنه لم يبق بالقاهرة ومصر دار ولا فُنْدُق ولا حَتَام ولا طاحون ولا وَقْفُ جامع أو مدرّسة أو مسجد أو زاوية ولا رِزْقَة ولا كنيسة، إلّا ونجيت منه. فكان الرجل الواحد يقرم العشرة دراهم، ومن خصه درهمان يحتاج إلى غرامة أمثالهما وأضعافهما. وناهيك بما لنجيت من الدّيار المصرية على هذا الحكم كثرة.

- ٢٠ وقد بقيت من جسر منجك هذا بقية، هي معروفة اليوم في طرف الجزيرة الوسطى^١.

(أ) بولاق : زرية .

^١ المقريري : مسودة الخطوط ٩٩ ط .

جِسْرُ الْخَلِيلِي

هذا الجسر فيما بين الرُّوضَةِ من طَرَفِهَا الْبَحْرِي وَبَيْنَ جَزِيرَةِ أَرْوَى ، المعروفة بِالْجَزِيرَةِ الْوُشْطَى ،
تَجَاهَ الْخَوَرِ . وَكَانَ سَبَبُ عَمَلِهِ أَنَّ النَّيْلَ لَمَّا قَوِيَ رَمَى نَبَّارُهُ عَلَى بَرِّ الْقَاهِرَةِ فِي أَثَامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَقَامَ فِي عَمَلِ الْجِسْرِ لِيَصِيرَ زِمَى الْبُيَّارِ مِنْ جِهَةِ الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، انْطَرَدَ
الماءُ عَنْ بَرِّ الْقَاهِرَةِ ، وَانْكَشَفَ مَا تَحْتَ الدُّورِ مِنْ مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ إِلَى مِثْنَةِ السَّيْرِجِ . وَعَمِلَ مَنَاجِكُ الْجِسْرِ
الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ لِيُغَوِّدَ الْمَاءَ فِي طُولِ السَّنَةِ إِلَى بَرِّ الْقَاهِرَةِ ، فَلَمْ يَتَهَيَّأْ كَمَا كَانَ أَوَّلًا ، وَجَزَى فِي الْخَلِيجِ
الَّذِي اخْتَفَرَهُ تَحْتَ الدُّورِ مِنْ مَوْزِدَةِ الْخَلْفَاءِ بِمَصْرِ إِلَى بُوْلَاقَ ، وَصَارَ تَجَاهَ هَذَا الْخَلِيجِ جَزِيرَةٌ . وَالْمَاءُ لَا
يَرَالُ يَنْطَرِدُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَنْ بَرِّ الْقَاهِرَةِ إِلَى أَنْ اسْتَبَدَّ بِتَذْيِيرِ مِصْرَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ بَرْقُوقَ .

فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعٌ وَثَمَانِينَ وَسَبْعٌ مِائَةٌ ، قَصَدَ الْأَمِيرُ جِهَارَكَسَ الْخَلِيلِي عَمَلَ جِسْرِ لِيُغَوِّدَ
الماءُ إِلَى بَرِّ الْقَاهِرَةِ ، وَيَصِيرَ فِي طُولِ السَّنَةِ هُنَاكَ وَيَكْثُرَ النَّفْعُ بِهِ ، فَيَرْخُصُ الْمَاءُ الْحَمُولَ فِي الرُّوَايَا ،
وَيَقْرُبَ مَرْسَى الْمَرَائِبِ مِنَ الْبَلَدِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ رُجُوهِ النَّفْعِ . فَشَرَعَ فِي الْعَمَلِ أَوَّلَ شَهْرِ رَجَبِ
الْأَوَّلِ ، وَأَقَامَ الْخَوَازِقَ^١ مِنْ خَشَبِ السُّنْطِ ، طُولُ كُلِّ خَازُوقٍ مِنْهَا ثَمَانِيَةُ أَذْرُعَ ، وَجَعَلَهَا صَفَيْنِ
فِي طُولِ ثَلَاثِ مِائَةِ قَصَبَةٍ وَعَرَضَ عَشَرَ قَصَبَاتٍ ، وَسَمَّرَ فِيهَا أَفْلَاقَ التَّخْلِ الْمَمْتَدَّةِ ، وَأَلْقَى بَيْنَ
الْخَوَازِقِ ثُرَابًا كَثِيرًا ، وَانْتَصَبَ هُنَاكَ بِنَفْسِهِ وَتَمَالِيكِهِ ، وَلَمْ يَجِبْ مِنْ أَحَدٍ مَالًا أَلْبَنَةً . فَانْتَهَى عَمَلُهُ
فِي أَشْهُرِيَّاتِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ^٢ ، وَخَفَرَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ خَلِيجًا مِنَ الْجِسْرِ إِلَى زَرْيَّةٍ^٣ قَوْصُونَ .

وَقَالَ سُعْرَاءُ الْعَصْرِ فِي ذَلِكَ شِغْرًا كَثِيرًا ، مِنْهُمْ عَيْسَى بْنُ حُجَّاجَ :

[الكامل]

جِسْرُ الْخَلِيلِي الْمَقَرُّ^٣ لَقَدْ رَسَا كَالطُّودِ وَسَطَ النَّيْلِ كَيْفَ يُرِيدُ
فَإِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُمَا قُلْنَا لَكُمْ ذَا ثَابِتٍ دَهْرًا ، وَذَاكَ يَزِيدُ

(a) بولاق : زريبة .

^١ حاشية بخط المؤلف : الْخَوَازِقُ فاعول من الْخَزَقِ ، وهو الْخَزَقُ ؛ وَالْخَزَقُ عودٌ طَرَفُهُ مَحْدَدٌ وَالْخَزَقُ الشَّيْءُ فِي الْأَرْضِ ، أَيْ : ثَبَتَ .
^٢ جِسْرُ الْخَلِيلِي كَانَ مَمْتَدًّا فِي النَّيْلِ بَيْنَ رَأْسِ جَزِيرَةِ
^٣ حاشية بخط المؤلف : « هَذَا نَعِيبٌ ، أَمَّا يُخَرَّرُ عَنْ الرَّجُلِ بِالْمَقَرِّ فِي مُصْطَلَحِ الْإِنْشَاءِ لِإِجْلَالِهِ عَنْ ذِكْرِ -

الرُّوضَةِ مِنْ بَحْرِهَا ، وَرَأْسُ الْجَزِيرَةِ الْوُشْطَى (جَزِيرَةُ أَرْوَى) مِنْ قِبَلِهَا . (أَبُو الْخَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩ : ١٢٦٦هـ) .

وقال الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار :

[مجزوء الرمل]

شَكَبَ النَّيْلَ أَرْضُهُ لِلْحَلِيلِي فَأَخْضَرَهُ
وَرَأَى الْمَاءَ حَائِثًا أَنْ يَطَأَهَا فَجَسَّرَهُ^١

وقال :

[البسيط]

رَأَى الْحَلِيلِي قَلْبَ الْمَاءِ حِينَ طَفَى بَنَى عَلَى قَلْبِهِ جَسْرًا وَخَيْرُهُ
/رَأَى تَزُولُ أَرْضِيهِ وَجَدْتَهَا وَالنَّيْلُ قَدْ خَافَ يَغْشَاهَا فَجَسَّرَهُ

ومع ذلك ما ازداد الماء إلا انطراذا عن يَرِّ القاهرة ومصر . حتى لقد انْكَشَفَ بعد غَمَلِ هذا

- ١٠ الجسر شيء كثير من الأراضي التي كانت غامرة بماء النيل ، وبَعْدَ النَّيْلِ عَنْ الْقَاهِرَةِ بُعْدًا لَمْ يُعْهَدَ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ قَطُّ .

جسر شيبين

- أَنْشَأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، بِسَبَبِ أَنْ إِقْلِيمَ الشَّرْقِيَّةِ كَانَتْ لَهُ سُودٌ قَدِيمَةٌ^(a) كُلُّهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى فَتْحِ^(b) بَحْرِ أَبِي الْمُتَّجَا ، وَفِي بَعْضِ السَّنِينَ تَشْرِقُ نَاحِيَةُ سِينِتِ^(c) وَنَاحِيَةُ مَرْصَفَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّوَّاحِي الَّتِي أَرْضُهَا عَالِيَةٌ^٢ ، فَشَكَ الْأَمِيرُ بِشْتَاكَ مِنْ تَشْرِيقِ بَعْضِ بِلَادِهِ الَّتِي فِي تِلْكَ التَّوَّاحِي . فَرَكِبَ السُّلْطَانُ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَمَعَهُ الْمُهَنْدِسُونَ وَخَوَلَةُ الْبِلَادِ^٣ . وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِأُمُورِ الْقَمَائِرِ ، وَخَدَشَ جَبَدَ ، وَنَظَرَ سَعِيدَ ، وَرَأَى مُصِيبَ - فَسَارَ لَكَشَفِ تِلْكَ التَّوَّاحِي حَتَّى اتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى غَمَلِ الْجِسْرِ مِنْ عِنْدِ شَيْبِينَ الْقَصْرِ إِلَى بَنَاهَا

(a) إضافة من مسودة الخطوط . (b) المسودة : كسر . (c) بولاق : شيبين .

- اسمه ، فَأَمَّا أَنْ يُذَكَّرَ وَيُقَالُ الْقَرْ فِهَذَا

^١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٢١٣-٢١٤ .

^٢ ذكر أبو المحاسن هذا الشد باسم : سَدَ شَيْبَانَ الْقَصْرِ (النجوم الزاهرة ٩: ١٩١-١٩٢ ، وأيضًا فيما تقدم ٤٩٨) .

^٣ حاشية بخط المؤلف : «الْحَوَلَى الرَّاعِي الْحَسَنَ الْقِيَامَ عَلَى الْمَالِ وَالْعَنَمِ ، وَالْجَمْعَ : حَوَلَ كَقَرْبِي وَغَرْبِ» .

تابعة لمركز ميث غفر ، فلمَّا أُنْشِئَ مَرْكَزُ بَنَاهَا فِي سَنَةِ ١٩١٣

القتل . فَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِي عَمَلِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ مِنْ رِجَالِ الْبِلَادِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَمِائَتِي قِطْعَةً جَزَافَةً^١ ، وَأَقَامَ فِيهِ الْقَنَايِرَ . فَصَارَ مَحْبَسًا لِمَلِكِ الْبِلَادِ ، وَإِذَا فُتِحَ^٢ بَحَرَ أَيُّ الْمَتَجَاتِ الْأَمْلَاقُ بِالْمَاءِ ، وَاسْتُنِدَ^٣ عَلَى هَذَا الْجِشْرِ .

وَفِي أَوَّلِ سَنَةِ عَمَلِ هَذَا الْجِشْرِ أُبْطِلَ فَتُحِ سَدٌّ^٤ بَحَرَ أَيُّ الْمَتَجَاتِ تِلْكَ السَّنَةِ ، وَفُتِحَ مِنْ جِشْرِ شَبِيبِينَ هَذَا . وَخَصَلَ بِهَذَا الْجِشْرِ نَفْعٌ كَبِيرٌ لِبِلَادِ الْغُلُو ، وَاسْتَبَحَرَ مِنْهُ عِدَّةٌ بِلَادٍ وَطَيْفَةٍ^٥ . وَالْقَتْلُ عَلَى هَذَا الْجِشْرِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

جِسْرُ امْضَرُ وَالْجِيزَةِ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَاءَ فِي الْقَدِيمِ كَانَ مُحِيطًا بِجَزِيرَةِ مِصْرَ - الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّوْضَةِ - طُولَ السَّنَةِ . وَكَانَ فِيهَا بَيْنَ سَاحِلِ مِصْرَ وَبَيْنَ الرَّوْضَةِ جِشْرٌ مِنْ خَشَبٍ ، وَكَذَلِكَ فِيهَا بَيْنَ الرَّوْضَةِ وَبَيْنَ الْجِيزَةِ جِشْرٌ مِنْ خَشَبٍ ، يَمُرُّ عَلَيْهِمَا النَّاسُ وَالذُّوَابُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الرَّوْضَةِ ، وَمِنْ الرَّوْضَةِ إِلَى الْجِيزَةِ . وَكَانَ هَذَانِ الْجِشْرَانِ مِنْ مَرَاكِبٍ مُصْطَفَّةٍ بَعْضُهَا بِجِذَاءٍ بَعْضٍ وَهِيَ مُوثَّقَةٌ ، وَمِنْ فَوْقِ الْمَرَاكِبِ أَشْخَاطٌ مَمْتَدَّةٌ فَوْقَهَا ثَرَابٌ ، وَكَانَ عَرَضُ الْجِشْرِ ثَلَاثَ قَصَبَاتٍ .

قَالَ الْقَضَائِيُّ : وَأَمَّا الْجِشْرُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ فِي كِتَابٍ - ذَكَرَ أَنَّهُ خَطَّ أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ - صِفَةَ الْجِشْرِ وَتَقْطِيلَهُ وَإِزَالَتَهُ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا إِلَى أَنْ قَدِمَ الْمَأْمُونُ مِصْرَ ، وَكَانَ غَرِيًّا . ثُمَّ أَخَذَتْ الْمَأْمُونُ هَذَا الْجِشْرَ الْمَوْجُودَ الْيَوْمَ الَّذِي تَمُرُّ عَلَيْهِ الْمَارَّةُ وَتَرْجِعُ مِنَ الْجِشْرِ الْقَدِيمِ . فَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ الْمَأْمُونُ عَنِ الْبَلَدِ ، أَتَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَقَطَعَتْ الْجِشْرَ الْغَرِيبَ ، فَصَدَمَتْ سُفْنُهُ الْجِشْرَ الْمُحْدَثَ فَذَهَبَتْ جَمِيعًا ، فَبُطِلَ الْجِشْرُ الْقَدِيمُ وَابْتَدَأَ الْجَدِيدُ . وَمَعَالِمُ الْجِشْرِ الْقَدِيمِ مَعْرُوفَةٌ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ . وَقَالَ ابْنُ زُيْلَاقٍ فِي كِتَابٍ : « إِنَّمَا (د) كِتَابُ الْكِتْنَدِيِّ فِي أَخْبَارِ (د) أَمْرَاءِ مِصْرَ » : وَلَعَسَ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، سَارَتْ الْقَسَاكِرُ لِقِتَالِ الْقَائِدِ جَوْهَرَ ، وَنَزَلُوا الْجَزِيرَةَ بِالرُّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالْعُدَّةِ ، وَضَبَطُوا الْجِشْرَيْنِ . وَذَكَرَ مَا كَانَ مِنْهُمْ ... إِلَى أَنْ قَالَ ، فِي غُيُورِ جَوْهَرَ :

(a) المسودة : كسر . (b) بولاق : أسند . (c) إضافة من مسودة الخطوط . (d-d) إضافة اقتضاها السياق .

^١ حاشية بخط المؤلف : « الْجَزَافَةُ : مُقَالَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : سَبَّلَ جَزَافٌ يَتَحَرَّفُ بِمَزُوبَةٍ مِنْ كَثَرَتِهِ ، أَيْ يَأْخُذُ مَا مَزُوبُهُ أَخْذًا كَبِيرًا » .
^٢ المقرئ : مسودة الخطوط ٥٠ .

أَقْبَلَتِ الْقَسَاكِرُ ، فَعَبَّرَتِ الْجِسْرَ أَقْوَا جَا أَقْوَا جَا ، وَأَقْبَلَ جَوْهَرٌ فِي قُرْسَانِهِ إِلَى الْمَنَاخِ مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ ^١ .

وَقَالَ فِي كِتَابِ : « سِيرَةُ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ » : وَفِي مُسْتَهْلَ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، أَصْلَحَ جِسْرُ الْقُسْطَاطِ ، وَمُنِعَ النَّاسُ مِنْ رُكُوبِهِ ، وَقَدْ كَانَ أَقَامَ سَنَتَيْنِ مَعْطَلًا ^٢ .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ « الْمَغْرِبِ » : وَذَكَرَ ابْنُ حَوْقَلٍ الْجِسْرَ الَّذِي يَكُونُ مَمْتَدًّا مِنَ الْقُسْطَاطِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ طَوِيلٍ ، وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ إِلَى الْبَيْرِ الْغَرِبِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِبَيْرِ الْجَزِيرَةِ ، جِسْرٌ آخَرٌ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَيْهِ . وَأَكْثَرُ جَوَازِ النَّاسِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدَوَائِهِمْ فِي الْمَرَاكِبِ ، لِأَنَّ هَذَيْنِ الْجِسْرَيْنِ قَدْ اخْتَرِمَا ^٣ بِمُحْصُولِهِمَا فِي خَيْرِ قَلْعَةِ السُّلْطَانِ . وَلَا يَجُوزُ أَحَدٌ عَلَى الْجِسْرِ الَّذِي بَيْنَ الْقُسْطَاطِ وَالْجَزِيرَةِ رَاكِبًا اخْتِرَامًا لِمَوْضِعِ السُّلْطَانِ ^٤ - يَقْنِي الْمَلِكُ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيْتُوبَ .

وَكَانَ كُرْسِيُّ ^٥ هَذَا الْجِسْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ سَعِيدٍ - حَيْثُ الْمَدْرَسَةُ الْخَرْوِيَّةُ - مِنْ إِنْشَاءِ الْبُذْرِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَرْوِيُّ التَّاجِرُ عَلَى سَاحِلِ مِصْرَ ، يَتَلَي خُطَّ دَارِ الثُّحَاسِ .

وَمَا يَرِخُ هَذَا الْجِسْرَ إِلَى أَنْ خَرَّبَ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ أَيْتُكَ التُّرُكْمَانِي قَلْعَةَ الرُّوْضَةِ ، بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، فَأَهْمِلَ . ثُمَّ عَمَّرَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبُزَسَ عَلَى الْمَرَاكِبِ ، وَعَمَلَهُ مِنْ سَاحِلِ مِصْرَ إِلَى الرُّوْضَةِ ، وَمِنَ الرُّوْضَةِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، لِأَجْلِ عُثُورِ الْعَشْكَرِ عَلَيْهِ لَمَّا بَلَغَهُ خَرَكَةُ الْفَرَنْجِ ، فَعَمَلَ ذَلِكَ ^٦ .

الجسر من قتيوب إلى دقياط

هَذَا الْجِسْرُ أَنْشَأَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبُزَسَ الْمَنْصُورِي ، الْمَعْرُوفُ بِالْجَاشَنكِرِ فِي أَخْرِيَاتِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ أَنَّهُ وَرَدَ الْقَصَادُ بِمُوَافَقَةِ صَاحِبِ قُبُزَسَ عِدَّةً مِنْ

(a) بولاق : اخترما . (b) بولاق : رأس .

^١ راجع كذلك عن جسر مصر والجزيرة ، الكندي : ولاية

مصر ٧٨ ، ١٩٢ ، ٢١٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى

٣ : ٣٣٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٣١٦ ؛ ٢ : ٢١٦ ؛

السيرطي : حسن المحاضرة ٢ : ٣٨٢ ، كوكب الروضة ٩٣ ؛

Fu'ad Sayyid, A., La Capitale de l'Égypte, pp.

75-77.

المقريزي : اتعاظ الخفا ١ : ١٠٩ - ١١١ .

^٢ نفسه ١ : ٢١٨ .

^٣ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٨ : ابن حوقل :

صورة الأرض ١٤٦ ؛ المقري : نفح الطوبى ٢ : ٣٤١ -

٣٤٢ ؛ وفيما تقدم ٢ : ١٥٣ .

ملوك الفِرْنَج على عَزْوِ دِمِيَاط، وَأَنَّهُمْ أَخَذُوا سِتِينَ قِطْعَةً. فَاجْتَمَعَ الْأَمْرَاءُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِنْشَاءِ جَسِيرٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى دِمِيَاط خَوْفًا مِنْ حَرَكَةِ الْفِرْنَجِ فِي أَيَّامِ النَّبْلِ، فَيَتَعَدَّرُ الْوُضُولُ إِلَى دِمِيَاط. وَغَيْرَ لَعَلِّ ذَلِكَ الْأَمِيرُ أَقْوَشُ الرُّومِي الْحُسَامِي، وَكَتَبَ الْأَمْرَاءُ إِلَى بِلَادِهِمْ بِخُرُوجِ الرُّجَالِ وَالْأَتِقَارِ، وَرُسِمَ لِلْوَلَاةِ بِمُسَاعَدَةِ أَقْوَشَ، وَأَنْ يُخْرِجَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الْعَمَلِ بِرِجَالِ عَمَلِهِ وَأَتِقَارِهِمْ. فَمَا وَصَلَ أَقْوَشُ إِلَى نَاحِيَةِ فَارَشْكُورَ، حَتَّى وَجَدَ وِلَاةَ الْأَعْمَالِ قَدْ حَضَرُوا ١٧١:٢ بِالرُّجَالِ وَالْأَتِقَارِ، فَزَيَّنَ الْأُمُورَ، فَعَمِلَ فِيهِ ثَلَاثَ مِائَةِ جِرَافَةٍ بِسِتِّ مِائَةِ رَأْسٍ بَقَرٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ.

وَأَقَامَ أَقْوَشُ الْحُرْمَةَ - وَكَانَ عَجُوزًا قَلِيلَ الْكَلَامِ مُهَابًا إِلَى الْغَايَةِ - فَجَدَّ النَّاسُ فِي الْعَمَلِ لِكَثْرَةِ مِنْ ضَرَرَتِهِ بِالْمَقَارِعِ، وَاعْتَمَدَ أَنْفَهُ، وَاقْطَعَ أُذُنَهُ، أَوْ أَخْرَقَ بِهِ إِلَى أَنْ قَرَعَ فِي نَحْوِ شَهْرٍ وَاحِدٍ. فَجَاءَ مِنْ قَلْبِيبٍ إِلَى دِمِيَاطَ مَسَافَةً يَوْمَيْنِ فِي عَرَضٍ أَرْبَعَ قَصَبَاتٍ مِنْ أَعْلَاهُ وَبَسَتْ قَصَبَاتٍ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَمَشَى عَلَيْهِ سِتَّةَ رُءُوسٍ مِنَ الْخَيْلِ صَفًّا وَاحِدًا فَعَمَّ التُّفْعُ بِهِ، وَسَلَكَ عَلَيْهِ الْمَسَافِرُونَ بَعْدَمَا كَانَ يَتَعَدَّرُ السُّلُوكَ أَيَّامَ النَّبْلِ لِعُمُومِ الْمَاءِ الْأَرَاضِي (b) ^١.

(a) بولاق : أو . (b) هنا على هامش آياصوفيا : يياض نحو أربعة عشر سطرا .

^١ إلى هنا ينتهي الجزء الثاني من التلخيص ذات التلخيص

الثلاثي - أي الواقعة في ثلاثة مجلدات - ويوجد بعد ذلك في ختام هذا الجزء في هذه التلخيص : «الحمد لله ، وجد بخط المصنف - رحمه الله - في أصله ما صورته في آخر الجزء : أمراء القزوب يبيزوت هم بيت جشمة ومكارم ...» ، وفوائد أخرى تختص بأخبار التتار ، ثم ترجمة للسلطان محمد بن طغلق شاه ملك الهند وتمتد هذه الفوائد في نسخة حسين جلبي باستانبول رقم 791 - على سبيل المثال - أربع ورقات ختمها

ناسخها بقوله :

«هذا آخر ما وجدته كاتبه بخط المؤلف - رحمه الله - في آخر أصله المنقول منه ، والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل» .

وهي كما ترى فوائد سجلها المقرئ في آخر أصله ليفيد منها في موضوعات كنه الأخرى كما دته في سائر ما وصل إلينا بخطه ، حيث يضيف فوائد في أي مكان خال في أوزاره .

إذكتر البحار

اعْلَمُ أَنَّ الْجَزَائِرَ الَّتِي هِيَ الْآنَ فِي بَحْرِ الثَّلِثِ كُلِّهَا حَادِثَةٌ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مَا عَدَا الْجَزِيرَةَ الَّتِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالرَّوَضَةِ نِجَاهَ مَدِينَةِ مِصْرَ . فَإِنَّ الْعَرَبَ لَمَّا دَخَلُوا مَعَ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ وَحَاضَرُوا الْحِصْنَ - الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِقَصْرِ الشُّعْصَعِ فِي مِصْرَ - حَتَّى فَتَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَثْوَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، كَانَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ حِينَئِذٍ نِجَاهَ الْقَصْرِ . وَلَمْ يَتَلَفِظْ إِلَى الْآنَ مَتَى حَدَّثَتْ ، وَأَمَّا غَيْرُهَا ٤
مِنَ الْجَزَائِرِ فَكُلُّهَا قَدْ تَجَدَّدَتْ بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ .

وَيُقَالُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - إِنَّ بُلْهَيْبَ ، الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَبِي الْهَوَلِ ، طَلَسَتْ وَضَعَهُ الْقَدَمَاءُ لِقَلْبِ الرَّمْلِ عَنْ بَرِّ مِصْرَ الْغَرْبِيِّ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَرِّ الْجَزِيرَةِ . وَأَنَّهُ كَانَ فِي الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ ، بِجَوَارِ قَصْرِ الشُّعْصَعِ ، صَنْمٌ مِنْ حِجَارَةٍ عَلَى مُسَامَتَةِ أَبِي الْهَوَلِ - بِحَيْثُ لَوْ أَمْتَدَّ خَيْطٌ مِنْ رَأْسِ أَبِي الْهَوَلِ وَخَرَجَ عَلَى اسْتَوَاءٍ لَسَقَطَ عَلَى رَأْسِ هَذَا الصَّنَمِ - وَكَانَ مُسْتَقْبِلَ الْمَشْرِقِ ، وَأَنَّهُ وُضِعَ أَيْضًا لِقَلْبِ الرَّمْلِ عَنِ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ . ١٠

فَقَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ كُسِرَ هَذَا الصَّنَمُ عَلَى يَدِ بَعْضِ أُمَرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَخَفَرَ تَحْتَهُ حَتَّى بَلَغَ الْحَفْرُ إِلَى الْمَاءِ ظَنًّا أَنَّهُ يَكُونُ هُنَاكَ كَنْزٌ ، فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، وَكَانَ هَذَا الصَّنَمُ يُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ مِصْرَ بِسَرِيَّةِ أَبِي الْهَوَلِ . فَكَانَ عَقِيبَ ذَلِكَ غَلَبَةُ الثَّلِثِ عَلَى الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ حَتَّى عَمِلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَأَنْطَرَدَ الْمَاءُ عَنِ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ ، وَصَارَتْ هَذِهِ الْجَزَائِرُ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ ١٥ .

وَكَذَلِكَ قَامَ شَخْصٌ مِنْ صُوفِيَّةِ الْخَائِفَاءِ الصَّلَاحِيَّةِ سَعِيدِ الشُّعْدَاءِ ، يُعْرَفُ بِالشَّيْخِ مُحَمَّدِ صَائِمِ الدَّهْرِ ، فِي تَغْيِيرِ الْمُشْكِرِ أَغْوَامِ بَضِيعِ ثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَشَوَّهَ وَجْهَهُ بِسَبَاحِ الْحَجَرِ الَّتِي عَلَى قَنَاطِرِ السَّبَاحِ خَارِجِ الْقَاهِرَةِ وَشَوَّهَ وَجْهَ أَبِي الْهَوَلِ ، وَصَارَ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ . وَمَا بَرِحْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْمَعُ أَهْلَ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُونَ إِنَّهُ مِنْذُ أَفْسَدَ وَجْهَ أَبِي الْهَوَلِ غَلَبَ الرَّمْلُ عَلَى أَرْضِي الْجَزِيرَةِ . وَلَا يُتَكَّرُ ذَلِكَ ، فَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ أَشْرَارٌ يُطْلَعُ عَلَيْهَا مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْكَلُّ بِخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ ٢٠ . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَمْتَاذُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ وَصِيفِ شَاهٍ ، فِي كِتَابِ «أَنْبَاءِ مِصْرَ» فِي خَبَرِ الزَّوَاحَاتِ الدَّاخِلَةِ ، أَنَّ فِي تِلْكَ الصَّحَارِيِّ كَانَتْ أَكْثَرُ مُدُنِ مُلُوكِ مِصْرَ الْعَجَبِيَّةِ وَكُنُوزِهِمْ ، إِلَّا أَنَّ الرَّمَالَ غَلَبَتْ

^١ فيما تقدم ٣٣٢-٣٣٣ . ^٢ فيما تقدم ٣٣٣:١ ، وهذا المجلد ٤٩١ ، وانظر أيضًا المقرئ: السلوك ٣: ٣٥٧ .

عليها . قال : ولم يبق بمصر مَلِكٌ إِلَّا وقد عَمِلَ لِلرُّمَالِ طَلْسَمًا لَدَفْعِهَا ، فَفَسَدَتْ طَلْسَمَاتُهَا لِقَدَمِ الرُّمَانِ^١ .

وَذَكَرَ ابْنُ يُونُسَ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أَنَّهُ قال : إِنِّي لأَعْلَمُ السَّنَةَ الَّتِي تَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ مِصْرَ ؛ قال ابْنُ سَالِمٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا يُخْرِجُنا مِنْهَا يا أبا محمد ، أَعَدُّوْا ؟ قال : لا ، وَلَكِنكُمْ يُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَلُكِّمُ هَذَا ، يَغُورُ فلا تَبْقَى مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ الْكُثْبَانُ مِنَ الرُّمْلِ ، وَتَأْكُلُ سِباعُ الْأَرْضِ جِيتَانَهُ^٢ .

وقال اللَّيْثُ عن يَزِيدَ بن أَبِي حَبِيبٍ ، عن أَبِي الْحَبَرِ قال : إِنَّ الصُّحَابِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ كُفَيْبًا يَقُولُ : سَمِعْتُكَ الْيَرَأَى عَزَّكَ الْأَدِيمَ ، وَتُفَّتْ مِصْرُ فَتَ الْبَغْرِ . قال اللَّيْثُ ، وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ عن وَهْبِ الْمَعَاوِرِيِّ أَنَّهُ قال : وَتَشَقُّ الشَّامُ شَقَّ الشُّعْرَةِ .

وسأذكر من تحب هذه الجزائر المشهورة ما وصلت إلي معرفته إن شاء الله .

ذِكْرُ الرُّوْضَةِ

اعْلَمُ أَنَّ الرُّوْضَةَ تُطْلَقُ فِي زَمَانِنَا هَذَا عَلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ مَدِينَةِ مِصْرَ وَمَدِينَةِ الْجِيزَةِ . وَغَرِفَتْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ / بِالْجَزِيرَةِ وَبِجَزِيرَةِ مِصْرَ ، ثُمَّ قَبْلَ لَهَا بِجَزِيرَةِ الْحِضْنِ ، وَغَرِفَتْ إِلَى الْيَوْمِ بِالرُّوْضَةِ^٣ . وَإِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ انْتَقَلَ الْمُقَرِّسُ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقَضْرَ وَصَارَ بِهَا هُوَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ مَجْمُوعِ الرُّومِ وَالْقَيْطِ .

١٦٦٠/هـ ١٢٦١م ، في كتابه : «الحسن الشريفة في الأخاد»
الحِضْنُ بِالْجَزِيرَةِ وَهُوَ كِتَابٌ مُتَّفَعِدٌ ؛ وَعَلِيٌّ بْنُ سَعِيدٍ
الْمَغْرِبِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْمَغْرِبُ فِي حُلِيِّ الْمَغْرِبِ» فِي الْقِسْمِ الَّذِي
سَمَّاهُ «الْفُتُوحَ الْحَاكِمِيَّةَ فِي حُلِيِّ الْجَزِيرَةِ الصَّالِحِيَّةِ» ، وَهُوَ
قِسْمٌ ضَائِقٌ مِنْ كِتَابِهِ ؛ وَجَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي
بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْطَوِيُّ ، المتوفى سنة ٩١١/هـ ١٥٠٥م ،
فِي كِتَابِهِ «تَوْحِيدُ الرُّوْضَةِ فِي تَارِيخِ الثَّيْلِ وَبِجَزِيرَةِ الرُّوْضَةِ»
(نشره محمد الشَّشَاوِي وَضَدَّرَ فِي الْقَاهِرَةِ عَنْ دَارِ الْآفَاقِ
الْعَرَبِيَّةِ سَنَةَ ٢٠٠٢) ، ثُمَّ مِنْ الدِّرَاسَاتِ الْأَخَذَتْ مَا كَتَبَهُ
جُومَارُ فِي : «وصف مدينة القاهرة وقلة الجبل ٣٣٣-
٣٤٠» ، وَمَارْسِيلُ Marcel, J.J., «Mémoire sur le

^١ النوري : نهاية الأرب ١٥ : ٨٩ ، وفيما تقدم ٦٣٥ : ١ .

^٢ ابن يونس : تاريخ ابن يونس المصري (تاريخ المصريين) ٢٧٨ .

^٣ ما تَرَأَى بِجَزِيرَةِ الرُّوْضَةِ قَائِمَةً فِي وَسْطِ النَّيْلِ بَيْنَ مِصْرَ
الْقَدِيمَةِ وَالْجِيزَةِ ، وَفِي الْقِسْمِ الشَّمَالِيِّ مِنْهَا - الْمَعْرُوفُ بِالْمَثِيلِ -
فُتْدَقُ الْمَرِيدِيَّانِ Le Meridienne ، وَفِي جَزَائِهَا الْأَوْسَطِ كَلِيَّةُ
الطَّبِ جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ (الْقَصْرُ الْعَيْنِي) وَفِي مُوَاجِهَتِهَا قَصْرُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ
عَلِيٍّ تَوْفِيْقٍ ، وَفِي طَرَفِهَا الْجَنُوبِيِّ قَصْرُ الْمَالِيْشِيْزَلِيِّ وَمِقْيَاسُ الرُّوْضَةِ .

وَاهْتَمَّ الْمُؤَلَّفُونَ الْقَدَمَاءُ بِالتَّأْرِيخِ لِجَزِيرَةِ الرُّوْضَةِ وَمِنْ
أَقْدَمِهِمْ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ إِبرَاهِيمَ النَّابِلِيُّ ، المتوفى سنة



خريطة تُوضِّح جزيرة الروضة ومصر القديمة والمجيزة (عن كتاب وُصف مصر)

وبها أيضًا بنى أحمد بن طولون «الحِصْنَ»، وبها كانت «الصَّنَاعَةُ» - يعني صِنَاعَةُ السُّفُن الحربية، أي كانت بها «دَارُ الصَّنَاعَةِ» - وبها كان «الجِثَانُ الْمُخْتَارُ»، وبها كان «الهُودُج» الذي بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لحيوبته البدوية، وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب «القَلْعَةُ الصَّالِحِيَّةُ»، وبها إلى اليوم «مِقياسُ الثَّيْلِ».

وسأورد من أختار الرُّوضَة هنا ما لا تجده مُجتمِعًا في غير هذا الكتاب .

قال ابن عبد الحكم - وقد ذَكَرَ مُحَاصِرَةَ المسلمين للحِصْنَ - : فلَمَّا رَأَى القُوْمُ الجِدُّ من المسلمين على فَتْحِ الحِصْنَ والحِصْصِ، ورَأَوْا من^(٥) صَبْرِهِمْ على القِتَالِ وَرَغْبَتِهِمْ فِيهِ، خَافُوا أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ، فَتَتَخَّى الْمُقَرَّقُسُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَكْبَارِ القِبْطِ، وَخَرَجُوا مِنْ بَابِ الحِصْنَ القِبْطِيِّ - ودونهم جَمَاعَةٌ يُقَاتِلُونَ العَرَبَ - فَلَجُّوا بِالْجَزِيرَةِ مَوْضِعَ الصَّنَاعَةِ اليَوْمِ، وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الجِسْرِ وَذَلِكَ فِي جِزْيِ الثَّيْلِ^١.

وَتَخَلَّفَ فِي الحِصْنَ بَعْدَ الْمُقَرَّقُسِ الأَعْرَجُ^(ب)، فَلَمَّا خَافَ فَتْحَ بَابِ الحِصْنَ، رَكِبَ^(ج) هُوَ وَأَهْلُ القُوَّةِ وَالشَّرَفِ - وَكَانَتْ سَفَّتُهُمْ مُلَصَّقَةً بِالْحِصْنَ - ثُمَّ لَحِقُوا بِالْمُقَرَّقُسِ بِالْجَزِيرَةِ.

قَالَ : وَكَانَ بِالْجَزِيرَةِ - يَعْنِي بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ - فِي أَيَّامِ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، أَمِيرَ مِصْرَ ، خَمْسَ مِائَةِ فَاعِلٍ عُذَّةً^(د) لِحَرْبِ^(هـ) (إِنْ كَانَ فِي الْبِلَادِ^(هـ)) أَوْ هَذَا^٢.

وَقَالَ القَضَاعِي : جَزِيرَةُ قُسْطَاطِ مِصْرَ ، قَالَ الْكِنْدِيُّ : بَنِيَتْ جَزِيرَةُ^(٤) الصَّنَاعَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَحِصْنُ الْجَزِيرَةِ بَنَاهُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَمِائَتَيْنِ لِيُحْرَزَ فِيهِ حَزْمَتُهُ وَمَالُهُ . وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ تَسِيرُ مُوسَى بْنِ بُعَا الْعِرَاقِيِّ مِنَ الْعِرَاقِ وَالتَّيَا عَلَى مِصْرَ وَجَمِيعِ أَعْمَالِ ابْنِ طُولُونٍ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْمُتَعَمِّدِ عَلَى اللَّهِ . فَلَمَّا بَلَغَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ مَسِيرَهُ ، اسْتَعَدَّ لِحَرْبِهِ وَتَمَنَّاهُ مِنْ دُخُولِ أَعْمَالِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى بْنُ بُعَا إِلَى الرِّقَّةِ ، تَنَاقَلَ عَنِ الْمَسِيرِ لِعِظَمِ شَأْنِ ابْنِ طُولُونٍ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الأعرج . (c) بولاق : خرج . (d) بولاق : العدة . (e-e) بولاق : يكون في البلد . (f) بولاق : بالجزيرة .

وقوته . ثم عَرَضَتْ لموسى عِلَّة طالت به وكان بها مَوْتُهُ ، وثاوره الغلمان وطلَّبوا منه الأرزاق ، وكان ذلك سَبَبَ تَرْكه المسير . فلم يلبث موسى بن بُغا أن مات ، وكَفَّى ابن طُولون أَمْرَهُ ^١ . ولم يَزَلْ هذا الحِصْنُ على الجزيرة حتى أَخَذَهُ الثَّيْلُ شَيْقًا بعد شيء ، وقد بقيت منه بَقَايا متقطعة إلى الآن .

- ٥ . وقد اخْتَصَرَ القاضي القَضَائِي - رحمه الله - في ذِكْرِ سَبَبِ بِنَاءِ ابن طُولون حِصْنِ الجزيرة . وقد ذَكَرَ جَامِعُ «سيرة ابن طُولون» ^٢ أَنَّ صَاحِبَ الزُّنْجِ لما قَدِمَ البَصْرَةَ في سنة أربع وخمسين ومائتين واستَقْبَلَ أَمْرَهُ ^٣ ، أَتَقَدَّزَ إليه أميرُ المؤمنين المُعْتَمِدُ على الله جُفَافَ بن المُعْتَصِمِ بن الرُّشيد ، رَشُولًا في حِمْلِ أَخِيهِ المَوْفُوقِ بالله أبي أحمد طَلْحَةَ من مَكَّةَ إليه - وكان الخَلِيفَةُ المَهْتَدِي بالله محمد بن الواثق بن المُعْتَصِمِ نَفَاهُ إليها - فلما وَصَلَ إليه - جَعَلَ العَهْدَ بالخِلافة من بعده لابنه المَفُوض ، وبعد المَفُوض تكون الخِلافة للمَوْفُوقِ طَلْحَةَ ، وجَعَلَ غَرْبَ المَمَالِكِ الإسلامية للمَفُوض وشَرْفُهَا للمَوْفُوقِ ، وَكَتَبَ بينهما بذلك كِتَابًا اِزْتَمَنَ فِيهِ أَيْمَانُهُمَا بِالْوَفَاءِ بما قد وُقِّعَتْ عليه الشُّرُوط . وكان المَوْفُوقُ يُعْهِدُ أَخَاهُ المُعْتَمِدَ على الخِلافة ولا يَرَاهُ أَهْلًا لَهَا ، فلما جَعَلَ المُعْتَمِدُ الخِلافة من بعده لابنه ثم للمَوْفُوقِ بعده ، شَقَّ ذلك عليه ، وزَادَ في حَقْدِهِ . وكان المُعْتَمِدُ مُتَشَاغِلًا بِمَلَاذِ نَفْسِهِ من الصَّيْدِ واللَّيْلِ والتَفَرُّدِ بِجَوَارِيهِ ، فضاغَتْ الأُمُورُ ، وَفَسَدَ تَذْيِيرُ الأَحْوالِ ، وفازَ كُلُّ مُتَقَلِّدٍ ^٤ عَمَلًا بما يَتَقَلَّدُهُ .
- ١٥ . وكان في الشَّرْطِ الذي كَتَبَهُ ^٥ المُعْتَمِدُ بين المَفُوضِ والمَوْفُوقِ : أَنَّهُ ما حَدَثَ في عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ منهما من حَدَثٍ ، كَانَتْ الثَّقَقَةُ عليه من مَالِ خَرَاكِ قِسْمِهِ . واستَخْلَفَ على قِسْمِ ابْنِ المَفُوضِ موسى بن بُغا ، فاستَكْتَبَ موسى بن بُغا عبيدَ الله بن سُلَيْمَانَ بن وَهْبٍ ، وانْفَرَدَ المَوْفُوقُ بِقِسْمِهِ من تَمَالِكِ الشَّرْقِ ، وتَقَدَّمَ إلى كُلِّ منهما أَلَّا يَنْظُرَ في عَمَلِ الآخَرِ ، وَخَلَدَ كِتَابَ الشُّرُوطِ ^٦ بالكُفَّةِ وَأَفَرَدَ المَوْفُوقَ لِمَحَارَبَةِ صَاحِبِ الزُّنْجِ ، وَأَخْرَجَهُ إليه وَضَمَّ معه الجُيُوشَ .
- ٢٠ . فلما كَثُرَ أَمْرُهُ ، وطالَتْ مُحَارَبَتُهُ إِيَّاهُ ، وانْقَطَعَتْ مَوَارِدُهُ ^٧ خَرَاكِ المَشْرِقِ عن المَوْفُوقِ ، وتَقَاعَدَ النَّاسُ عن حِفْلِ المَالِ الذي كان يُحْمَلُ في كُلِّ عامٍ ، واحتَجَّجُوا بِأَشْيَاءَ ، دَعَتْ الصَّرُورَةَ المَوْفُوقَ إلى

(a) بولاق : استعجل أمره . (b) بولاق : من كان متقللاً . (c) بولاق : الشروط التي كتبها . (d) بولاق : كتاب الشروط . (e) بولاق : مواد .

أن كَتَبَ إلى أحمد بن طولون - وهو يومئذ أمير مصر - في حثْل ما يَشْتَعِن به في محْزُوب صاِجِب الرَنْج .

وكانت مصر في قِسْمِ الْمُفْرُوض لَأَنَّهَا من الممالك الغريبة ، لِأَنَّ الْمُؤَفَّقَ شَكَا في كِتَابِهِ إلى ابن طولون شِدَّةَ حاجته إلى المال بسَبَب ما هو بسبيله ، وَأَتَفَقَ مع الكُتَّابِ نَحْرِير^(a) خادِمِ الْمُتَوَكِّل لِتَقْبِضِ منه المال . فما هو إِلَّا أَنْ وَرَدَ نَحْرِير^(a) على ابن طولون بمصر ، وإذا بِكِتَابِ الْمُقْتَمِدِ قد وَرَدَ عليه بِأَمْرِهِ فيه بِحَثْلِ المال إليه على رَسْمِهِ ، مع ما جَزَى الرُسْمُ بِحَثْلِهِ مع المال في كُلِّ سَنَةٍ من الطَّرَازِ والرَّقِيقِ والخَيْلِ والسُّنْعِ وغير ذلك ، وَكَتَبَ أَضْحًا إلى أحمد بن طولون يَكْتَابًا في السَّرِّ أَنَّ الْمُؤَفَّقَ إِنَّمَا أَتَفَقَ نَحْرِير^(a) إِلَيْكَ عَيْنًا وَمُسْتَقْصِيًا على أَخْبَارِكَ ، وَأَنَّهُ قد كَاتَبَ بعضَ أَصْحَابِكَ ، فَاحْتَرِسْ منه ، وَاحْجِلِ الْمَالَ إِلَيْنَا ، وَعَجِّلْ إِنْفَاقَهُ .

وكان نَحْرِير^(a) لَمَّا قَدِمَ إلى مصر أَنزَلَهُ أحمد بن طولون معه في دارِهِ بِالْمِيدَانِ / وَمَنَعَهُ من الرُّكُوبِ ، وَلَمْ يُكُنْهُ من الخُرُوجِ من الدَّارِ التي أَنزَلَهُ بها حَتَّى سَارَ من مصر ، وَتَلَطَّفَ في الكُتُبِ التي أَجَابَ بها الْمُؤَفَّقُ . وما زال^(b) بِنَحْرِير^(a) حَتَّى أَخَذَ جَمِيعَ ما كان معه من الكُتُبِ التي وَرَدَتْ من العِراقِ إلى مصر ، وَبَعَثَ معه إلى الْمُؤَفَّقِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِائَتِي أَلْفِ دِينَارٍ ، وما جَزَى الرُسْمُ بِحَثْلِهِ من مصر ، وَأَخْرَجَ معه العُدُولَ ، وسَارَ بِنَفْسِهِ صُحْبَتَهُ حَتَّى بَلَغَ به العِريشَ ، وَأُرْسِلَ إلى أَمَاجُور^(c) مُتَوَلِّي الشَّامِ ، فَقَدِمَ عليه بالعِريشَ ، وَسَلَّمَ إِلَيْهِ هو والمال ، وَأَشْهَدَ عليه بِتَسْلِيمِ ذَلِكَ العُدُولِ^(d) . وَرَجَعَ إلى مصر ، وَنَظَرَ في الكُتُبِ التي أَخَذَهَا من نَحْرِير^(a) ، فإذا هي إلى جَمَاعَةٍ من قُوَّادِهِ بِاسْتِمَالَتِهِمْ إلى الْمُؤَفَّقِ ، فَقَبِضَ على أَرْبَابِهَا ، وَعَاقَبَهُمْ حَتَّى هَلَكُوا في عُقُوبَتِهِ .

فَلَمَّا وَصَلَ جَوَابُ ابن طولون إلى الْمُؤَفَّقِ ومعه المال ، كَتَبَ إِلَيْهِ يَكْتَابًا ثَانِيًا يَسْتَقِلُّ فِيهِ الْمَالُ ، ويقول : «إِنَّ الْحِسَابَ يُوجِبُ أَضْعَافَ مَا حَثَلَتْ» ، وَبَسَطَ لِسَانَهُ بِالْقَوْلِ ، وَالتَّمَسَّ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ يَخْرُجُ إلى مصر وَيَتَقَلَّدُهَا عِوَضًا عَنْ ابن طولون ، فلم يجد أَحَدًا عِوَضَهُ لَمَّا كَانَ مِنْ كَيْسِ أَحْمَدِ ابن طولون ومُلاطَفَتِهِ وجوهِ الدُّوْلَةِ . فَلَمَّا وَرَدَ يَكْتَابُ الْمُؤَفَّقِ على ابن طولون قال : وَأَيُّ جِسَابِ يَبْنِي وَبَيْنَهُ ، أَوْ حَالٍ تُوجِبُ مُكَاتَبَتِي بِهَذَا أَوْ غَيْرِهِ ؟ وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّسْمَلَةِ :

«وَصَلَ كِتَابُ الْأَمِير - أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَفَهِمْتَهُ . وَكَانَ ، أَسْعَدَهُ اللَّهُ ، حَقِيقًا بِحُسْنِ التَّخْيِيرِ لِلثَّلَاثِي ، وَتَضْيِيرِهِ إِيَّايَ عُغْمَدَتِهِ التي يَغْتَمِدُ عَلَيْهَا ، وَسَيَفْهَهُ

(a) بولاق : تحرير . (b) بولاق : ولم يزل . (c) بولاق : ماخوِر . (d) ساقطة من بولاق .

الذي يَصُول به ، وسنائه الذي يَتَمَيُّ الأَعْدَاءُ بِحَدِّهِ ، لَأَنِّي دَأْبْتُ^(a) في ذلك ، وجعلته وَكُدِّي ، واحتملت الكُلْفَ العِظَامَ والمُؤْنَ الثَّقَالَ باستِجْذاب كُلِّ مَوْصُوفٍ بِشِجَاعَةٍ ، واستِذْعاء كُلِّ مَنَعُوتٍ بِغَنَى وَكِفَايَةٍ ، بالتوسِعة عليهم ، وتَوَاضُلِ الصَّلَاتِ والمَعَاوِنِ لَهُمْ : صِيَانَةً لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَدَبَّاحَةً عَنْهَا ، وَخَسْمًا لَأَطْمَاعِ الْمُتَشَوِّفِينَ لَهَا والمُنْخَرِفِينَ عَنْهَا .

وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ سَبِيلَهُ فِي المَوَالَةِ ، وَمَنْهَجُهُ فِي المُنَاصَحَةِ ، فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يُعْزَفَ لَهُ حَقُّهُ ، وَيُوفَّرَ مِنَ الإِغْطَامِ قَدْرُهُ ، وَمَنْ كُلُّ حَالٍ بِجَلِيلَةٍ حَظُّهُ وَمَنْزِلَتُهُ . فَهُوَ مُلْتَبِضٌ بِضِدِّ ذَلِكَ مِنَ المَطَالَبَةِ بِحِمْلِ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَالْجَفَاءِ فِي المَخَاطَبَةِ بِغَيْرِ حَالٍ تَوْجِبُ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَكْلَفَ عَلَى الطَّاعَةِ مُجْعَلًا ، وَأَلْزَمَ فِي المُنَاصَحَةِ ثَمَنًا . وَعَهْدِي بِمَنْ اسْتَدْعَى مَا اسْتَدْعَاهُ الأَمِيرُ مِنْ طَاعَتِهِ أَنْ يَسْتَدْعِيهِ بِالْبَذْلِ والإِغْطَاءِ والإِزْغَابِ والإِزْوَاعِ والإِكْرَامِ لَا أَنْ يُكَلِّفَ وَيَحْمِلَ مِنَ الطَّاعَةِ مَوْئِنَةً وَثَقْلًا .

وَأَنِّي لَا أَعْرِفُ السَّبَبَ الَّذِي يُوجِبُ الرِّخْشَةَ ، وَيُوقِعُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ الأَمِيرِ - أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى - وَلَا ثَمَّ مُعَامَلَةً تَقْتَضِي مُعَامَلَةً أَوْ تُحْدِثُ مَنَافَرَةً ، لِأَنَّ العَمَلَ الَّذِي أَنَا بِسَبِيلِهِ لغيره ، والمُكَاتَبَةِ فِي أُمُورِهِ إِلَى مَنْ سِوَاهِ ، وَلَا أَنَا مِنْ قِبَلِهِ . فَإِنَّهُ والأَمِيرُ جَعَفَرًا المَفْرُوضَ - أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى - قَدْ اقْتَسَمَا الأَعْمَالَ ، وَصَارَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِسْمٌ قَدْ انْفَرَدَ بِهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، وَأُخِذَتْ عَلَيْهِ البَيْعَةُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ نَقَضِ عَهْدِهِ ، أَوْ أَخْفَرِ ذِمَّتِهِ وَلَمْ يَفِ لَصَاحِبِهِ بِمَا أَكَّدَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَالْأُمَةُ بِرِيئَةٍ مِنْهُ وَمِنْ بَيْعَتِهِ ، وَفِي حُلٍّ وَسَعَةٍ مِنْ خَلْفِهِ .

وَالَّذِي غَامَلَنِي بِهِ الأَمِيرُ مِنْ مَحَاوَلَةِ صَرْفِي مَرَّةً ، وَإِسْقَاطِ رَشْمِي أُخْرَى ، وَمَا يَأْتِيهِ بِشُومْنِيهِ نَاقِضٌ لَشَرْطِهِ مُفْسِدٌ لِعَهْدِهِ . وَقَدْ التَمَسَ أَوْلِيَائِي ، وَكثُرُوا الطَّلَبَ فِي إِسْقَاطِ اسْمِهِ وَإِزَالَةِ رَشْمِهِ ، فَأَثَرْتُ الإِقْدَاءَ وَإِنْ لَمْ يُوَثِّرْ ، وَاسْتَقَمَلْتُ الأَنَاءَ إِذْ لَمْ تَسْتَعْمِلْ مَعِي ، وَرَأَيْتُ الِاخْتِمَالَ وَالكَفْظَ أَشْبَهَ بِذَوِي المَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ ، فَصَيَّرْتُ نَفْسِي عَلَى آخَرٍ مِنَ الجَمْعِ وَأَمَرْتُ مِنَ الصَّبْرِ ،

وعلى ما لا يَسْمَعُ له الصُّدْرُ .

والأميرُ ، أيده الله تعالى ، أوَّلَى من أعانني على ما أوثره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عَقْدِهِ ، بحُسن العِشْرَةِ والإنصاف ، وَكَفَّ الأَذَى والمَضْرَةَ ، وألَّا يضطرني إلى ما يَغْلَمُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - كُزْهِي له : أن أجعل ما قد أَعَدَدْتَهُ لِحَيَاةِ الدُّوَلَةِ من الجُيُوشِ المتكاثِفةِ ، والعساكِرِ المُتَضَاعِفَةِ التي قد ضُرِسَتْ رجالها من الحُرُوبِ ، وَجَزَتْ عليهم مَحَنُ الخُطُوبِ ، مصروفًا إلى نَقْضِهَا ، فعندنا وفي حَيَازِنَا من يَرَى أنه أَحَقُّ بهذا الأمرِ وأوَّلَى من الأميرِ ، ولو أَثْنَوْنِي على أَنفُسِهِمْ - فَضْلًا عن أن يعثروا مِنِّي على مِثْلٍ أو قِيَامٍ بِنُصْرَتِهِمْ - لَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَلَضَعُوبُ عَلَى السُّلْطَانِ مُعَارَ كَتْمِهِمْ . والأميرُ يعلم أن يَازِلَاتِهِ مِنْهُمْ وَاحِدًا قد كَبُرَ عَلَيْهِ ، وَقَضُ كُلِّ جَيْشٍ أَنْهَضَهُ إِلَيْهِ ، على أَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا لَفِيفُ البَصْرَةِ وَأَوْبَاشُ عَامَّتِهَا ، فكيف من يجد رُكْنًا مَنِيحًا ونَاصِرًا مُطِيقًا ؟

وما مثل الأمير في أصالة رأيه يصرف مائة ألف عنان عُذَّةَ له ، فيجعلها عليه بغير ما سَبَبَ يُوجِبُ ذلك . فإن يكن من الأمير إغتاب أو رُجُوع إلى ما هو أَشْبَهَ به وأوَّلَى ، وإلَّا رَجُوزُ من الله - عَزَّ وَجَلَّ - كفاية أمره ، وخشم مادة سَرِّهِ ، وإجرائَنَا في الحَيَاةِ على أَجْمَلِ عَادَتِهِ عندنا . والسلام .

فلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الْمُؤَقِّقِ أَقْلَقَهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَأَغَاظَهُ غَيْظًا شَدِيدًا . وَأَخْضَرَ مُوسَى بْنُ بُغَا - وَكَانَ عَوْنُ الدُّوَلَةِ وَأَشَدُّ أَهْلِهَا بَأْسًا وَإِقْدَامًا - فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي صَرَفِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ عَنْ مِصْرَ وَتَقْلِيدِهَا أَمَاجُور^(أ) . فَاِمْتِثِلْ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَمَاجُور^(أ) كِتَابَ التَّقْلِيدِ وَأَنْفَلَهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ ، تَوَقَّفَ عَنْ إِزْسَالِهِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ لَعَجْزِهِ عَنْ مُنَاقَضَتِهِ . وَخَرَجَ مُوسَى بْنُ بُغَا عَنْ الْحَضْرَةِ مُقَدِّرًا أَنَّهُ يَدُوسُ^(ب) عَمَلَ الْمُفَوَّضِ لِيَحْمِلَ الْأُمُورَ مِنْهُ ، وَكَتَبَ إِلَى أَمَاجُور^(أ) أَمِيرَ الشَّامِ وَإِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ أَمِيرَ مِصْرَ - لِمَا بَلَغَهُ / مِنْ تَوَقُّفِ أَمَاجُور^(أ) عَنْ مُنَاقَضَتِهِ - بِأَمْرِهِمَا بِخَمْلِ الْأُمُورِ ، وَعَزَمَ عَلَى قَضْدِ مِصْرَ وَالْإِقْقَاعِ بِابْنِ طُولُونَ ، وَاسْتِخْلَافِ أَمَاجُور^(أ) عَلَيْهَا ، فَسَارَ إِلَى الرُّقَّةِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ طُولُونَ فَأَقْلَفَهُ وَعَمَّهُ ، لَا لِأَنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ مُوسَى بْنِ بُعَا ، لَكِنْ لِتَحْمُلِهِ هَتَكَ الدَّوْلَةَ ، وَأَنْ يَأْتِيَ سَبِيلَ مَنْ قَاوَمَ السُّلْطَانَ وَحَارَبَهُ وَكَسَرَ جُيُوشَهُ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ الْحَارَبَةِ لِيُدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَتَأْمُلَ مَدِينَةَ قُسْطَاطٍ مِصْرَ ، فَوَجَدَهَا لَا تُؤْخَذُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ النَّيْلِ . فَأَرَادَ - لِكَبْرِ هِمَّتِهِ وَكَثْرَةِ فِكْرِهِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ - أَنْ يَنْتَبِي حِصْنًا عَلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ الْقُسْطَاطِ وَالْجَزِيرَةِ لِيَكُونَ مَغْفِلًا لِحَرْبِهِ وَدَحَائِرِهِ ، ثُمَّ يَشْتَغَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَرْبٍ مِنْ يَأْتِي مِنَ الْبَرِّ .

وَقَدْ زَادَ فِكْرُهُ فِيمَنْ يَتَقَدَّمُ مِنَ النَّيْلِ ، فَأَمَرَ بِنَاءَ الْحِصْنِ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَاتَّخَذَ مِائَةَ مَرَكِبٍ حَرَبِيَّةٍ سِوَى مَا يُتَضَافُ إِلَيْهَا مِنَ الْغُلَاطِيَّاتِ^١ وَالْحَمَائِمِ وَالْعُشَارِيَّاتِ وَالشَّنَائِيكِ وَقَوَارِبِ الْحَيْدَمَةِ . وَعَمَدَ إِلَى سَدِّ وَجْهِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ ، وَأَنْ يَمْنَعَ مَا يَجِيءُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَاكِبِ طَرْسُوسَ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَحْرِ الْمِلْحِ إِلَى النَّيْلِ ، بَأَنْ تُوقَفَ هَذِهِ الْمَرَاكِبُ الْحَرَبِيَّةُ فِي وَجْهِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ خَوْفًا مِمَّا سِيَّجِيءُ مِنْ مَرَاكِبِ طَرْسُوسَ - كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَوْلَادِهِ ، كَأَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سِيشِرَ رَقِيقٍ - وَجَعَلَ فِيهَا مَنْ يَذُبُّ عَنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَتَقَدَّ إِلَى الصُّعِيدِ وَإِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِ بِمَنْعٍ مِنْ يَحْمِلُ الْغِلَالَ إِلَى الْبِلَادِ ، لِيَمْنَعَ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْبَرِّ الْمِيرَةَ .

وَأَقَامَ مُوسَى بْنُ بُعَا بِالرُّفَّةِ عَشْرَةَ أَشْهُرَ ، وَقَدْ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ الْأَثْرَاكُ ، وَطَالَبُوهُ بِأُزْرَاقِهِمْ مُطَابَلَةً شَدِيدَةً ، بِحَيْثُ اسْتَرْتَمَ مِنْهُمْ كَاتِبُهُ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ لَتَقْدَرُ الْمَالُ عَلَيْهِ وَخَوْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ . فَخَافَ مُوسَى بْنُ بُعَا عِنْدَ ذَلِكَ ، وَدَعَا ضَرُورَةَ الْحَالِ إِلَى الرُّجُوعِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَضَرَةِ وَلَمْ يَقُمْ بِهَا سِوَى شَهْرَيْنِ ، وَمَاتَ مِنْ عِلَّةٍ فِي صَفَرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ .

/هَذَا وَأَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ يَجِدُ فِي بِنَاءِ الْحِصْنِ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، وَقَدْ أَلْزَمَ قُوَادَهُ وَثِقَاتَهُ أَمْرَ الْحِصْنِ ، وَفَرَّقَهُ عَلَيْهِمْ قَطْعًا قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا لَزِمَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَدَّ نَفْسَهُ فِيهِ . وَكَانَ يَتَعَاهَدُهُمْ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَهُوَ فِي عَقْلَةٍ عَمَّا صَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الْكِفَايَةِ وَالْغِنَى عَمَّا يُعَانِيهِ . وَمِنْ كَثْرَةِ مَا تَدَلَّ فِي هَذَا التَّعَمُّلِ قَدَّرَ أَنَّ كُلَّ طُوبَى مِنْهُ وَقَفَّتْ عَلَيْهِ بِدَرَاهِمٍ صَحِيحٍ .

وَلَمَّا تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِمَوْتِ مُوسَى بْنِ بُعَا ، كَفَّ عَنْ الْقَتْلِ ، وَتَصَدَّقَ بِمَالٍ كَثِيرٍ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَرَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ صِيَابَاتِهِ عَمَّا يَقْبَحُ فِيهِ عَنْهُ الْأَخْذُوثَةُ .

وَمَا رَأَى النَّاسُ شَيْئًا كَانَ أَكْثَمَ مِنْ عَظِيمِ الْجَدِّ فِي بِنَاءِ هَذَا الْحِصْنِ ، وَمُبَاكَرَةِ الصُّنَّاعِ لَهُ فِي الْأَشْحَارِ حَتَّى فَرَّغُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ مِنْ تَبَازُلِهِمْ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ

^١ الغلطيَّات. تَوَجَّعَ مِنَ الْمَرَاكِبِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَسْتَخْدَمُ لِلنَّزْعَةِ لَا لِلْأَغْرَاضِ الْحَرَبِيَّةِ. (درويش النخيلي: السفن

من غير استيغاثات ، لكثرة ما سَخَا به من بَذل المال . فلَمَّا انقَطَعَ البناء لم يُرَ أَحَدٌ من الصُّنَّاعِ التي كانت فيه مع كَثْرَتِها ، كَأَمَّا هي نَارٌ صُبَّ عليها ماءٌ فَطُفِئَتْ لَوَقْتِها . وَوَهَبَ لِلصُّنَّاعِ مَالًا جَزِيلًا ، وَتَرَكَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا كَانَ سَلَقًا مَعَهُمْ . وَبَلَغَ مَصْرُوفُ هَذَا الْحِصْنِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ذَهَبًا^١ .

وكان مِمَّا حَمَلَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ عَلَى بِنَاءِ الْحِصْنِ أَنَّ الْمُؤَفَّقَ أَرَادَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ ، فَشَرَفَتْ نَعْلُهُ مِنْ بَيْتٍ حَظِيظَةٍ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا بِقَاتِهِ ، وَبَنَتْهُا الْمُؤَفَّقُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرُّسُولُ : مَنْ قَدَّرَ عَلَى أَخْذِ هَذِهِ الثَّغْلِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تَعْرِفُهُ ، أَلَيْسَ هُوَ بِقَادِرٍ عَلَى أَخْذِ رُوحِكَ ؟ فَوَاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ أَخْذُ هَذِهِ الثَّغْلِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِنَاءَ الْحِصْنِ .

وقال أَبُو عَمْرٍو الْكِتَنَدِيُّ فِي كِتَابِ «أَمْزَاءِ مِصْرَ» : وَتَقَدَّمَ أَبُو أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقُ إِلَى مُوسَى بْنِ بُغَا فِي صَرْفِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ عَنْ مِصْرٍ وَتَقْلِيدِهَا أُمَاجُورَ^(١) التُّرْكِي . فَكَتَبَ مُوسَى بْنُ بُغَا بِذَلِكَ إِلَى أُمَاجُورَ^(٢) - وَهُوَ وَالِي دِمَشْقَ يَوْمَئِذٍ - فَتَوَقَّفَ لَعَجْزِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ ، فَخَرَجَ مُوسَى ابْنُ بُغَا فَنَزَلَ الرُّقَّةَ . وَبَلَغَ ابْنُ طُولُونٍ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، فَأَخَذَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي الْحَذَرِ مِنْهُ ، وَابْتَدَأَ فِي ابْتِنَاءِ الْحِصْنِ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَبْسَرَيْنِ ، وَرَأَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَغْقَلًا لِلْمَالِ وَخَزْمَةً ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَاجْتَهَدَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي بِنَاءِ الْمَرَائِبِ الْحَرِيَّةِ ، وَأَطَافِهَا بِالْجَزِيرَةِ ، وَأَظْهَرَ الْامْتِنَاعَ مِنْ مُوسَى بْنِ بُغَا بِكُلِّ مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ .

وَأَقَامَ مُوسَى بْنُ بُغَا بِالرُّقَّةِ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي إِحْكَامِ أُمُورِهِ ، وَاضْطَرَّتْ أَصْحَابُ مُوسَى بْنِ بُغَا عَلَيْهِ ، وَضَاقَ بِهِمْ مَنْزِلُهُمْ ، وَطَالَبُوا مُوسَى بِالْمَسِيرِ أَوْ الرُّجُوعِ إِلَى الْعِرَاقِ . فَبَيَّنَا هُوَ كَذَلِكَ تُوفِّيَ مُوسَى بْنُ بُغَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ لِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ وَفِيهِ تَحَامُلٌ :

[البسيط]

لَمَّا تَوَيَّ ابْنُ بُغَا بِالرُّقَّةِ مَلَا	سَاقِيَهُ زَوَقًا إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَالْعَقِيبِ
بَنَى الْجَزِيرَةَ حِصْنًا يَشْتَجِرُ بِهِ	بِالْقَشْفِ وَالضَّرْبِ وَالصُّنَّاعِ فِي تَعَبِ
وَرَأَتْ الْجَزِيرَةُ الْقُصُوءَ فَخَنَّدَتْهَا	وَكَاذَ يُضَعِّقُ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ رُغْبِ

(a) بولاق : ماخور .

^١ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٧٧-٨٨ ؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٨٦-٩١ (عن ابن الدثينة) .

لَهُ مَرَاكِبُ فَوْقَ النَّيْلِ رَاكِدَةٌ فَمَا سِوَى الْقَارِ لِلثُّنَّارِ وَالْخَسْبِ
تَرَى عَلَيْهَا لِيَاسُ الذُّلِّ مُذْ بُيِّنَتْ بِالشُّطِّ تَمْتُوعَةٌ مِنْ عِرَّةِ الطُّلَبِ
/فَمَا بَنَاهَا لَغَزْوِ الرُّومِ مُحْتَسِبًا لَكِنْ بَنَاهَا غَدَاةَ الرُّوعِ لِلْهَرَبِ^١

وقال شعيب بن القاص^(ب) من أبيات :

[الطويل]

وإن جِئْتَ رَأْسَ الْجِشْرِ فَانْظُرْ تَأْمَلًا إِلَى الْحِصْنِ أَوْ فَاغْبِرْ إِلَيْهِ عَلَى الْجِشْرِ
تَرَى أَتْرَا لَمْ يَبْقَ مِنْ يَسْتَقْبِعِهِ مِنَ النَّاسِ فِي بَدْوِ الْبِلَادِ وَلَا حَضَرِ
مَاتِرُ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَادَ أَهْلُهَا وَمَجْدٌ يُؤَدَّى وَارْتَبَهُ إِلَى الْقَحْرِ

وما زالَ حِصْنُ الْجَزِيرَةِ هَذَا عَامِرًا أَيَّامَ بَنِي طُلولٍ ، وَغِيَلَتْ فِيهِ صِنَاعَةٌ مِصْرَ الَّتِي تُنْشَأُ فِيهَا الْمَرَاكِبُ الْحَرِيَّةُ . فَاسْتَمَرَّ صِنَاعَةً إِلَى أَنْ تَقَلَّدَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ طُفُجِ الْإِسْخِيدَ إِمَارَةَ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَسَيَّرَ مَرَاكِبَ مِنَ الشَّامِ عَلَيْهَا صَاعِدُ بْنُ الْكَلْكَمِ ، فَدَخَلَ تَيْسَ ، وَصَارَتْ مَقْدَمَتُهُ فِي الْبَرِّ ، وَدَخَلَ صَاعِدُ دُمِيَّاطَ ، وَسَارَ فَهَزَمَ جَيْشَ مِصْرَ الَّذِي جَهَّزَهُ أَحْمَدُ بْنُ كَيْفَلُغٍ إِلَيْهِ بِتَنْدِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَذَرَّائِيِّ عَلَى بَحِيرَةِ نَوْسَا ، وَأَقْبَلَ فِي مَرَاكِبِهِ إِلَى الشُّسْطَاطِ فَكَانَ بِالْجَزِيرَةِ .

وَقَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ طُفُجِ ، وَتَسَلَّمَ الْبِلَدَ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَفَزَّ مِنْهُ جَمَاعَةٌ إِلَى الْقِيُومِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاعِدُ بْنُ الْكَلْكَمِ فِي مَرَاكِبِهِ ، وَوَأَقَعَهُمُ بِالْقِيُومِ فَقُتِلَ فِي عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَقَدِمَتِ الْجَمَاعَةُ فِي مَرَاكِبِ ابْنِ كَلْكَمِ ، فَأَرْسَلُوا بِجَزِيرَةِ الصَّنَاعَةِ وَحَرَقُوهَا ، ثُمَّ مَضَوْا إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَسَارُوا إِلَى يَرْقَةِ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طُفُجِ : الصَّنَاعَةُ هُنَا خَطَأٌ ، وَأَمَرَ بِعَمَلِ صِنَاعَةٍ فِي بَرِّ مِصْرَ .

وَحَكَى ابْنُ زُولَاقٍ فِي «سِيرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ طُفُجِ» أَنَّهُ قَالَ : أَذْكَرَ أَنِّي كُنْتُ أَكُلُ مَعَ أَبِي مَنْصُورٍ تَكْنِيْنَ أَمِيرَ مِصْرَ ، وَجَزَى ذِكْرُ الصَّنَاعَةِ فَقَالَ تَكْنِيْنَ : صِنَاعَةٌ يَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا بَحْرٌ خَطَأٌ . فَأَشَارَتِ الْجَمَاعَةُ بِتَقْلُهَا ، فَقَالَ : إِلَى أَيِّ مَوْضِعٍ ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أُشِيرَ عَلَيْهِ بِدَارِ خَدِيدَجَةَ بِنْتِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، ثُمَّ سَكَتُ ، وَقُلْتُ : أَدَّعَ هَذَا الرَّأْيَ لِنَفْسِي إِذَا مَلَكَتْ مِصْرَ ، فَبَلَغْتُ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَخَدَهُ .

(a) بولاق : والمعطب . (b) بولاق : القاضي .

^١ الكندي : ولاية مصر ٢٤٤-٢٤٥ .

ولمَّا أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ دَارَ خَدِيجَةَ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا حَتَّى عُمِلَتْ . فَلَمَّا ابْتَدَأُوا بِإِنْشَاءِ الْمَرَاكِبِ فِيهَا ، صَاخَتْ بِهِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَ : خُذُوهَا . فَسَارُوا بِهَا إِلَى دَارِهِ ، فَأَحْضَرَهَا مَسَاءً ، وَاسْتَخْبَرَهَا عَنْ أَمْرِهَا . فَقَالَتْ : ابْعَثْ مَعِيَ مَنْ يَحْمِلُ الْمَالَ . فَأَرْسَلَ مَعَهَا جَمَاعَةً إِلَى دَارِ خَدِيجَةَ هَذِهِ ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَكَانٍ اسْتَخْرَجُوا مِنْهُ غَيْثًا وَوَرَقًا وَحَلِيًّا وَنِيَابًا وَعِدَّةَ ذَخَائِرَ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا ، وَصَارُوا بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ . فَطَلَبَ الْمَرْأَةُ لِيُكَافِئَهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا ، فَلَمْ تُوجَدْ . فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَالٍ وَصَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ بِمِصْرَ .

قَالَ : وَاسْتَدْعَى مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ الْإِخْشِيدَ صَالِحَ بْنَ نَافِعٍ وَقَالَ لَهُ : كَانَ فِي نَفْسِي إِذَا مَلَكَتْ مِصْرَ أَنْ أَجْعَلَ صِنَاعَةَ الْعِمَارَةِ فِي دَارِ ابْنَةِ الْفَتْحِ ، وَأَجْعَلَ مَوْضِعَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْجَزِيرَةِ بُسْتَانًا أَسْمِيهِ «الْمُخْتَارَ» . فَارْتَكَبَ وَخَطَّ لِي بُسْتَانًا وَدَارًا ، وَقَدَّرَ لِي الثَّقَفَةَ عَلَيْهَا . فَزَكَبَ صَالِحٌ بِجَمَاعَةٍ ، وَخَطُّوا بُسْتَانًا فِي دَارِ لِلْعُلَمَانِ وَدَارِ لِلتُّوْبَةِ وَخَزَائِنَ لِلْكُتُوبِ وَخَزَائِنَ لِلطَّعَامِ ، وَصَوَّرُوهُ وَأَتُوا بِهِ ، فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ : كَمْ قَدَّرْتُمُ الثَّقَفَةَ ؟ قَالُوا : ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَاسْتَكْثَرَهَا ، فَلَمْ يَزَالُوا يَضْمَعُونَ مِنَ التَّقْدِيرِ حَتَّى صَارَ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ . فَأَذِنَ فِي عَمَلِهِ . وَلَمَّا شَرَعُوا فِيهِ أَلْزَمَهُمُ الْمَالُ مِنْ عِنْدِهِمْ ، فَقَسَّطَ عَلَى جَمَاعَةٍ ، وَفَرَعَ مِنْ بَنَائِهِ . فَاتَّخَذَهُ الْإِخْشِيدُ مُتَنَزَّهًا لَهُ ، وَصَارَ يُفَاخِرُ بِهِ أَهْلَ الْعِرَاقِ^١ .

وَكَانَ تُقَالُ الصَّنَاعَةُ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى سَاحِلِ الثُّبُلِ بِمِصْرَ فِي شَعْبَانِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . فَلَمْ يَزَلِ الْبُسْتَانُ الْمُخْتَارُ مُتَنَزَّهًا إِلَى أَنْ زَالَتِ الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ وَالْكَافُورِيَّةُ ، وَقَدِمَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى مِصْرَ . فَكَانَ يَتَنَزَّهُ فِيهِ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ مَعَدُّ وَابْنُهُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ زَارًا ، وَصَارَتِ الْجَزِيرَةُ مَدِينَةً عَامِرَةً بِالنَّاسِ لَهَا وَالِيٌّ وَقَاضٍ ، وَكَانَ يُقَالُ «الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ وَالْجَزِيرَةُ» . فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ اسْتِيلَاءِ الْأَفْضَلِ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَدْرَ الْجَمَالِيِّ ، وَحَجَّرَهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، أُنْشِئَ فِي بَحْرِي الْجَزِيرَةِ مَكَانًا نَزَّهًا سَمَّاهُ «الرَّوْضَةَ» ، وَتَرَدَّدَ إِلَيْهَا تَرَدُّدًا كَثِيرًا ، فَكَانَ يَسِيرُ فِي الْمَشَارِيحِ الْمَوْكِبِيَّاتِ مِنْ دَارِ الْمُلْكِ - الَّتِي كَانَتْ سَكَنَهُ بِمِصْرَ - إِلَى الرَّوْضَةِ ، وَمِنْ حَيْثُ صَارَتِ الْجَزِيرَةُ كُلُّهَا تُعْرَفُ بِـ«الرَّوْضَةِ» . فَلَمَّا قُبِلَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، وَاسْتَبَدَّ الْخَلِيفَةُ الْآبِرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَبُو عَلِيٍّ مَنصُورُ بْنُ الْمُشْتَقْلِيِّ بِاللَّهِ ، أُنْشِئَ بِجَوَارِ الْبُسْتَانِ الْمُخْتَارِ مِنْ جَزِيرَةِ الرَّوْضَةِ ، مَكَانًا لِحُبُوبِهِ الْعَالِيَةِ الْبَدَوِيَّةِ سَمَّاهُ «الْهَوْدَجَ» .

^١ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١٦٠-١٦١ (عن كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٣: ٣٢٥).

ابن زولاق)، وانظر كذلك وصف الإدريسي لجزيرة الروضة

الهَوْدَج - قال ابن سَعيد في كتاب «الحُلَى بالأشعار» عن تاريخ القُرْطُبي^(a): قد أكثر الناس في حديث البدويّة وابن مَجاح من بني عَمَها، وما يتعلّق بذلك من ذِكر الخليفة الأمير بأحكام الله، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطلان وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك^١.

والاختصارُ منه أن يُقال: إن الخليفة الأمير كان قد ابتلي بعشق الجوّاري العَرَبِيّات، وصارت له عيونٌ في البوادي. فبَلَغَه أن بالصَّعيد جاريةً من أكمل العَرَب وأظرف نساءهم شاعرةً جميلةً. فيقال إنّه تَرَبَّأَ بِرَبِّي بُدَاة الأعراب، وصارَ يحول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حَيْثُها، وباتَ هناك/ في ضائقة، وتحوَّلَ حتى عاثَها فما مَلَكَ صَبْرَه، ورَجَعَ إلى مَقَرِّ مُلْكِه وسرير خلافته، فأرسل إلى أهلها يخطبها، فأجابوه إلى ذلك ورزَّجوها منه.

١٨٢:

فلما صارت إلى القُصور، صُعِبَ عليها مُفارقة ما اعتادت، وأحْبَبَتْ أن تُشرح طَرْفَها في الفُضاء، ولا تُقبِضَ نَفْسُها تحت جِيطان المدينة. فتبَيَّ لها البناء المشهور في جزيرة القُسطاط المعروف بـ«الهَوْدَج»، وكان على شاطئ النّيل في شكلٍ غريب.

وكان بالإشكندرية القاضي مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن ابن حديد، قد استولى على أمورها، وصارَ قاضِيها وناظرها، ولم يَتَّقِ لأخِذِ معه فيها كلام، وضمَّنَ أموالها بجملةٍ يحملها.

١٥

وكان ذا مِرْوَعة عظيمة يَحْتَدِي أفعال البرامكة، وللشُّعراء فيه مَدائح كثيرة، ومُنْ مَدَحُه ظافِرُ الحداد، وأُمَيَّة بن أبي الصَّلْت، وجماعة. وكان الأفضَلُ بن أمير الجُيُوش إذا أرادَ الاعتناء بأخِذِ كَتَبَ معه كتابًا إلى ابن حديد هذا، فيُعْنيه بكثرة عطائه.

وكان له بُسْتَانٌ يتفرَّج فيه، به جُزْنٌ كبيرٌ من رُخام قِطْعَة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من سعته، وكان يَجِدُ في نفسه برؤية هذا الجُزْن زيادةً على أهل النعم، ويُباهي به أهل عصره. فوُشِيَ به للبدويّة محبوبه الخليفة، فطالَبته من الخليفة، فأنفذ في الحال بإحضاره.

(a) بولاق: القرطبي.

فلم يَسْتَعِ ابن حديد إلا أن قَلَعَهُ من مكانه ، وَبَقَتْ به وفي نفسه حَزَازَةٌ من أَخْذِهِ مِنْهُ ، وَخَدَمَ البدوية ، وَخَدَمَ جميع من يَلُودُ بها ، حتى قالت : هذا الرَّجُلُ أَحْجَلْنَا بِكَثْرَةِ هَدَايَاهُ وَنُحْفِهِ ، ولم يُكَلِّفْنَا قَطَّ أَمْرًا نَقْدِرُ عَلَيْهِ عند الخليفة مولانا .

فلَمَّا بَلَغَهُ ذلك عنها قال : ما لي حاجة ، بعد الدُّعاء لله تعالى بِحِفْظِ مكانها وطول حياتها ، غير رد الجُزْء الذي أُخِذَ من داري التي بَنَيْتُهَا في أيامهم من نَعِيمِهِمْ إلى مكانه .

فلما سَمِعَتْ هذا عنه تَعَجَّبَتْ مِنْهُ ، وَأَمَرَتْ بِرَدِّ الجُزْءِ إِلَيْهِ . فقيل له : قد وَصَلَتْ إلى حَدِّ أَنْ خَيْرُكَ البدوية في جميع المطالب ، فنَزَلَتْ هُمُتُكَ إلى قطعة خَجَرٍ ! فقال : أنا أَعْرِفُ بِنَفْسِي ، ما كان لها أَمَلٌ سِوَى الْأُتْغَلْبِ في أَخْذِ ذلك الجُزْءِ مِنْ مَكَانِهِ ، وقد بَلَغَهَا اللهُ أَمَلَهَا .

وبَقِيََتِ البَدَوِيَّةُ مُتَعَلِّقَةً بِالْخَاطِرِ بَابِنِ عَمِّ لَهَا رُئِيتَ مَعَهُ يُعْرِفُ بَابِنِ مَيَّاح ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِقَضَرِ الخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ :

[الرمز]

يا ابن مَيَّاحِ إِلَيْكَ الْمُشْتَكَى	مَالِكٌ مِنْ بَعْدِكُمْ قَدْ مَلَكَ
كَنْتُ فِي حَيٍّ مِرًّا مُطْلَقًا	نَائِلًا مَا شَفَتْ مِنْكُمْ مُدْرِكًا
فَأَنَا الْآنَ بِقَضَرٍ مُؤَصَّدٍ	لَا أَرَى إِلَّا خَيْبًا تُمَسِّكَا
كَمْ تَشْتِينَا بِأَغْصَانِ اللُّوَا	حَيْثُ لَا نَخْشَى عَلَيْنَا ذَرَكَا
وَتَلَاعَبْنَا بِرَمَلَاتِ الْحِمَى	حَيْثُمَا شَاءَ طَلِيقُ سَلَكَا

فَأَجَابَهَا :

[الرمز]

يَسَتْ عَمِّي وَالتِّي عَدُّتُهَا	بِالْهَوَى حَتَّى غَلَا وَاخْتَنَكَا
بُحْبَ بِالشُّكْوَى وَعِنْدِي ضِفْفُهَا	لَوْ عَدَا يَنْفَعُ مِنْهَا الْمُشْتَكَى
مَالِكُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ يَشْتَكِي	هَالِكٌ وَهُوَ الَّذِي قَدْ هَلَكَا
كَأَنَّ دَاوُدَ غَدَا فِي عَصْرِنَا	مَبْدِيًا بِالتَّيْبِ مَا قَدْ مَلَكَ

فَبَلَغَتْ الْأَمِيرَ ، فقال : لولا أَنَّهُ أَسَاءَ الْأَدَبَ فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ لَرَدَدْتُهَا إِلَى حَيِّهِ وَرَوَّجْتُهَا بِهِ . قال الْقُرْطُبِيُّ^(a) : وَلِلنَّاسِ فِي طَلَبِ ابْنِ مَيَّاحِ وَاحْتِفَائِهِ أَخْبَارٌ تَطُولُ .

وكان من عَرَب طَيْحِي فِي عَصْرِ الْحَلِيقَةِ الْآمِر طَرَادُ بْنُ مُهْلِيلٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَضِيَّةُ الْآمِر مَعَ الْعَالِيَةِ الْبِدَوِيَّةِ قَالَ :

[المقارب]

أَلَا أَتْلِعُوا الْآمِرَ الْمُصْطَفَى مَقَالَ طَرَادٍ وَنِعْمَ الْمَقَالَ
قَطَعْتَ الْأَلْفَيْنِ عَنْ أَلْفَةٍ بِهَا سَمَرَ الْحَيِّ بَيْنَ الرِّجَالِ
كَذَا كَانَ أَبَاؤُكَ الْأَنْكُرْمُونَ^٥ سَأَلْتُ فَقُلْ لِي جَوَابَ السُّؤَالِ

فَلَمَّا بَلَغَ الْآمِرُ شِعْرَهُ ، قَالَ : جَوَابُ السُّؤَالِ قَطْعُ لِسَانِهِ عَلَى قُصُولِهِ . وَأَمَرَ بِطَلْبِهِ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَفَرَّ وَلَمْ يُقْبَرِ عَلَيْهِ ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : مَا أَخْشَرَ صَفْقَةَ طَرَادٍ ، بَاعَ آيَاتِ الْحَيِّ بِثَلَاثَةِ آيَاتٍ^١ !

وَلَمْ يَزَلِ الْآمِرُ يَتَزَدَّدُ إِلَى الْهَوْدَجِ بِالرُّوْضَةِ لِلتَّزَهُةِ فِيهِ ، إِلَى أَنْ رَكِبَ مِنَ الْقَصْرِ بِالْقَاهِرَةِ يُرِيدُ الْهَوْدَجَ ، فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِرَأْسِ الْجَيْشِ وَتَبَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ التَّرَارِيَةِ ، قَدْ كَمَثُوا لَهُ فِي قُرُونٍ تَجَاهَ رَأْسِ الْجَيْشِ بِالرُّوْضَةِ ، وَضَرَبُوهُ بِالشُّكَاكِينِ حَتَّى أَتَخَنَوْهُ ، وَجَرَحُوا جَمَاعَةً مِنْ خُدَّامِهِ ، فَخِيلَ إِلَى مَنظَرَةِ اللَّؤْلُؤَةِ بِشَاطِئِ الْخَلِيجِ وَقَدْ مَاتَ^٢ .

١٥ / ذِكْرُ قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ - اعْلَمْ أَنَّهُ مَا بَرِحَتْ جَزِيرَةُ الرُّوْضَةِ مُتَنَزِّعًا مَلُوكِيًا وَمَسْكَنًا لِلنَّاسِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ ، إِلَى أَنْ وَلِيَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ سُلْطَنَةَ مِصْرَ ، فَأَنْشَأَ الْقَلْعَةَ بِالرُّوْضَةِ ، فَفُرِغَتْ بِـ «قَلْعَةِ الْمِقْيَاسِ» وَبـ «قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ» وَبـ «قَلْعَةِ الْجَزِيرَةِ» وَبـ «الْقَلْعَةِ الصَّالِحِيَّةِ» .

وَشَرَعَ فِي حَفْرِ أَسَاسِيهَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ خَامِسَ شَعْبَانَ ، وَابْتَدَأَ بُنْيَانَهَا فِي آخِرِ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشْرِهِ^٣ . وَفِي عَاشِرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَقَعَ الْهَزْدُمُ فِي الدُّورِ وَالْقُصُورِ وَالْمَسَاجِدِ الَّتِي كَانَتْ

(٥) بولاق : الأندلسون .

^١ فيما تقدم ٥٧٧:٢ - ٥٧٨ . ^٣ وذلك من سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م - (ابن واصل : ملرج

^٢ حول تفاصيل مقتل الأمير ، انظر المراجع المذكورة فيما الكروب ٥: ٢٢٧٨ القريري : السلوك ١: ٣٠١ أبو تقدم ٥٨٠:٢ هـ^١ ، وابن دقماق : الانتصار ٤: ١١٦ . الخاسن : النجوم الزاهرة ٦: ٣٢٠ .

بجزيرة الروضة، وتحوّل الناس من مساكنهم التي كانوا بها، وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة. وأتفق في عمارتها أنواعاً بحمة، وبنى فيها الدور والقصور، وعمل لها ستين برجا، وبنى بها جامعاً، وغرس بها جميع الأشجار، ونقل إليها عمدة الصوان من البرابي وعمدة الرخام، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب، وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد والأقوات، خشية من محاصرة الفرنج، فإنهم كانوا حينئذ على غزم قضد بلاد مصر.

وبالغ في إيقانها مبالغة عظيمة، حتى قيل إنه استقام كل حجر فيها بدينار، وكل طوبى بدرهم. وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويترتب ما يعمل، فصارت تذهش من كثرة زخرفتها، وتخيّر الناظر إليها من حشن شقوفها المقرنصة^١ وتبديع زخامها.

ويقال إنه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مشمرة، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه، وخرب اليهودج والبشتان المختار، وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً عمرها خلفاء مصر وشرأة المصريين لذكر الله تعالى وإقامة الصلوات^١.

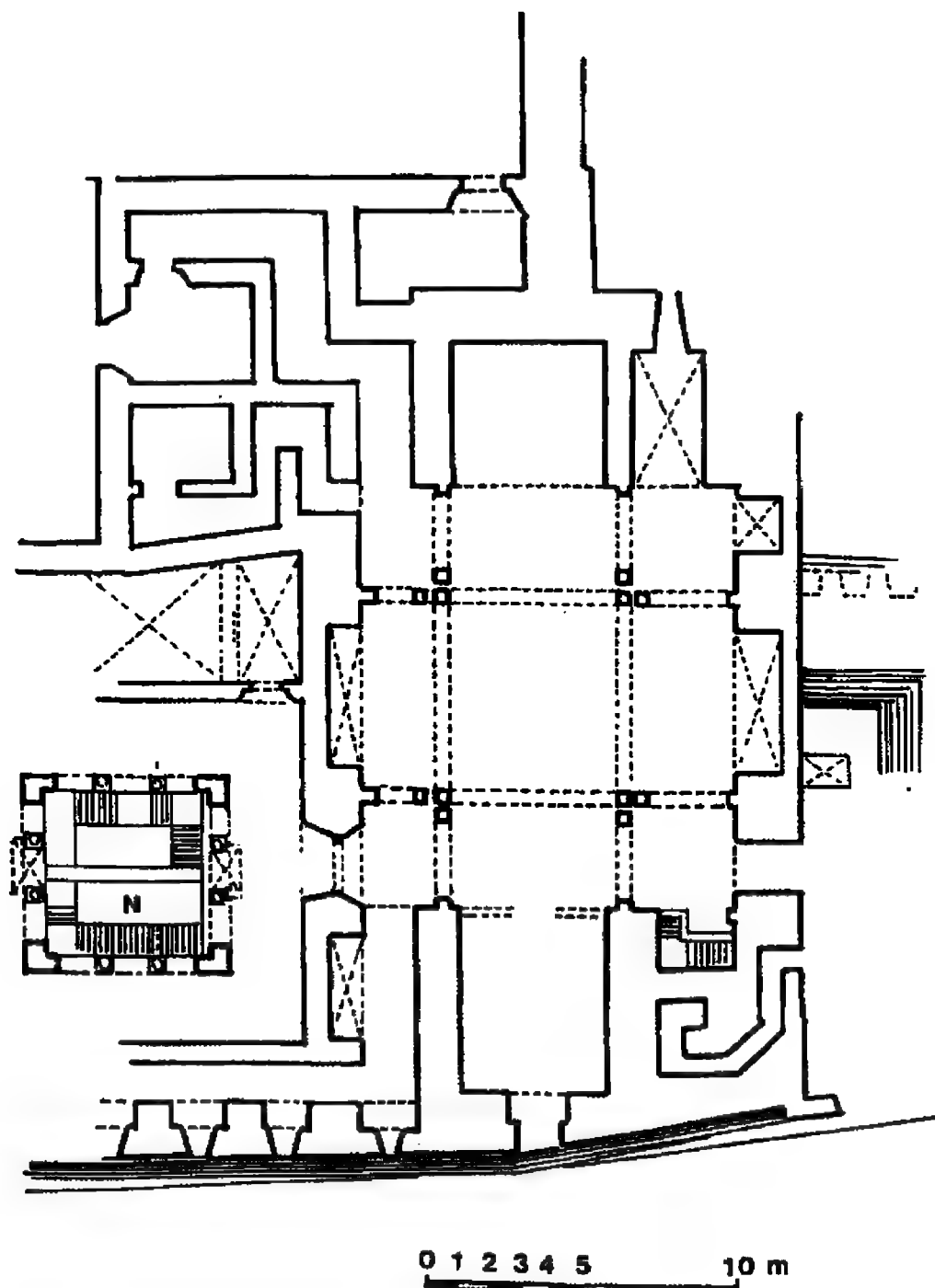
واتفق له في هدم بعض هذه المساجد خبر غريب، قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد ابن محمود بن أحمد الأسدي، الشهير بالتيغموري^٢: سمعت الأمير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى ابن الأمير شرف الدين تيمور بن جلدك بن عبد الله، قال: ومن عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أبي الفتح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل - رحمه الله تعالى - أنه أمرني أن أهدم مسجداً كان في جوار داره بجزيرة مصر. فأخبرت ذلك، وكريهت أن يكون هدمه على يدي، فأعاد الأمر وأنا أكاسر عنه. فكأنه^٣ فهم يني ذلك، فاستدعى بعض خديمه من ثوابي وأنا غائب، وأمره أن يهدم ذلك المسجد، وأن يبنى في مكانه قاعة، وقدر له صفتها. فهدم ذلك

(a) يولاق: المزينة. (b) يولاق: وكأنه.

^١ كانت هذه القلعة تشغل مساحة لا تقل عن خمسة وستين فداناً وتقع في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة. ويدل على موضعها الآن المنطقة التي تحده من الشمال بشارع المظفر، ومن الغرب بنهر النيل، ومن الجنوب قصر حسن باشا فؤاد المناشيرلي ومقياس النيل، ومن الشرق سقالة جزيرة الروضة. وقد حلّ قصر المناشيرلي في سنة ١٢٦٧هـ.

^٢ انظر عنه فيما تقدم ١: ١٦.

^٣ الزاهرة ٦: ٣٢٠هـ.



قاعة قصر الصالح نجم الدين أيوب بالزُّوْضة (عن كرفويل)

المسجد وعُمر تلك القاعة مكانه وكُمِلت^١.

وقدِمَت الفِرْنَجُ إلى الدِّيار المصرية ، وخَرَجَ المَلِكُ الصَّالِحُ مع عَسَاكِرِهِ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلْ تِلْكَ القَاعَةُ الَّتِي بُنِيَتْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ مَسْجِدًا . فَتَوَفَّى السُّلْطَانُ فِي الْمَنْصُورَةِ ، وَلَجِعَلْ فِي مَرْكَبٍ وَأَتَى بِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَجُعِلَ فِي تِلْكَ القَاعَةِ الَّتِي بُنِيَتْ مَكَانَ الْمَسْجِدِ مُدَّةً إِلَى أَنْ بُنِيَتْ لَهُ التُّرْبَةُ الَّتِي فِي جَنْبِ مَدَارِسِهِ بِالْقَاهِرَةِ فِي جَانِبِ الْقَصْرِ^٢ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُ .

وَكَانَ الثَّيْلُ - عِنْدَمَا عَزَمَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى عِمَارَةِ قَلْعَةِ الرُّوْضَةِ - مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ، فِيمَا بَيْنَ الرُّوْضَةِ وَبَرِّ الْحِيزَةِ ، وَقَدْ انْطَرَدَ عَنْ بَرِّ مِصْرَ ، وَلَا يُحِيطُ بِالرُّوْضَةِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الرِّيَاضَةِ . فَلَمْ يَزَلْ يُغْرِقُ السُّفُنَ فِي الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ ، وَيَحْتَقِرُ فِيمَا بَيْنَ الرُّوْضَةِ وَمِصْرَ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنَ الرَّمَالِ ، حَتَّى عَادَ مَاءُ الثَّيْلِ إِلَى بَرِّ مِصْرَ ، وَاسْتَمَرَ هُنَاكَ ، فَأَنْشَأَ جِسْرًا عَظِيمًا مَمْتَدًّا مِنْ بَرِّ مِصْرَ إِلَى الرُّوْضَةِ ، وَجُعِلَ عَرْضُهُ ثَلَاثَ قَصَبَاتٍ^٣.

وَكَانَ الْأَمْرَاءُ إِذَا رَكِبُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ يُرِيدُونَ الْحِدْمَةَ السُّلْطَانِيَّةَ بِقَلْعَةِ الرُّوْضَةِ ، يَتَرَجَّلُونَ عَنْ خَيْولِهِمْ عِنْدَ الْبَرِّ ، وَيَمْشُونَ فِي طُولِ هَذَا الْجِسْرِ إِلَى الْقَلْعَةِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَحَدٌ مِنَ الْعُبُورِ عَلَيْهِ رَاكِبًا سِوَى السُّلْطَانِ قَطَطَ .

وَلَمَّا كُمِلَتْ تَحْوِيلُ إِلَيْهَا بِأَهْلِهِ وَخَزَمِهِ ، وَاتَّخَذَهَا دَارَ مُلْكٍ ، وَأَسْكَنَ فِيهَا مَعَهُ مَمَالِكَهُ الْبَحْرِيَّةَ ، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ نَحْوَ الْأَلْفِ تَمْلُوكَ .

قَالَ الْعَلَّامَةُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ «الْمُتَغَرَّبِ» وَقَدْ ذَكَرَ الرُّوْضَةَ^٤: هِيَ أَمَامَ الْقُسْطَاطِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنَاطِرِ الْحِيزَةِ ، وَبِهَا مِقْيَاسُ الثَّيْلِ ، وَكَانَتْ مُتَنَزَّهًا

كَبِيرَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ عَرْضُهَا ١٢,٧٠ مترًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَطُولُهَا ١٤,٦٠ مترًا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ ، وَتَكُونُ الْقُبَّةُ الَّتِي تَعْلُو وَسْطَهَا مُسْتَطِيلًا عَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ٥,٦٠ مترًا وَطُولُهُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ نَحْوَ ٦,٨٠ مترًا ، وَيَدْعَمُ كُلَّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا الْأَرْبَعُ ثَلَاثَةَ دَعَائِمَ أَوْ أَعْمِدَةٍ مُتَصِلَةٍ عَلَى شَكْلِ مُثُلَتٍ . وَيُؤَدِّي إِلَى هَذِهِ الْقَاعَةِ عِدَّةٌ مِنَ الدِّهَالِيزِ الْمُتَبَايِنَةِ الْأَبْعَادِ ؛ وَعَنْ تَأْثِيرِ هَذِهِ الْقَاعَةِ فِي عِمَارَةِ الْمُلُوكِيَةِ انْظُرِ الْمَقْدِمَةَ

^٢ فِيمَا يَلِي ٣٧٤ . ^٣ فِيمَا تَقْدِمُ ٥٦٤ - ٥٦٥ .

^٤ الْحِزَةُ الْخَاصَّةُ بِالْجَزِيرَةِ الصَّالِحِيَّةِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا .

^١ انْظُرْ وَصْفًا لِهَذِهِ الْقَاعَةِ قَبْلَ زَوَالِهَا قَدَّمَ لَنَا ج. مارسيل ، أَحَدُ عُلَمَاءِ الْحِمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ فِي كِتَابِهِ Marcel, J.J., «Mémoire sur le Meqyas de l'île de Roudah», Description de l'Égypte, État moderne XV, Paris 1826, pp. 465-467; Creswell K.A.C., MAE II, pp. 84-87. يَقُولُ الْوَصْفُ: «إِلَى الشُّرُقِ مِنَ الْمِقْيَاسِ نَلْعَظُ كَذَلِكَ بَقَايَا قَصْرِ الصَّالِحِ نَحْمُ الدِّينَ الْهُوبَ . وَتَشْغُلُ أَطْلَالُ هَذَا الْقَصْرِ الْمُنَاطِقَةَ الْوَاقِعَةَ فِي شَرْقِ جَزِيرَةِ الرُّوْضَةِ فِي الْفَضَاءِ الْوَاقِعِ بَيْنَ مَبْنَى الْمِقْيَاسِ وَالذَّرَاعِ الْأَيْمَنِ لِلنَّهْرِ . وَلَمْ أَجِدْ أَيْ نَفْسٍ تَبْقَى مِنَ الْقَصْرِ ، وَالشَّيْءِ الْوَحِيدِ الْمَلْعُوظِ وَالتَّجَبُّي مِنْ هَذَا الْأَثَرِ قَاعَةُ

لأهل مصر. فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة، وبني بها قلعة مَسُورَة بشور ساطع اللون، مُحَكَّم البناء عالي السمك، لم تر عيني أحسن منه.

وفي هذه الجزيرة كان «الهُودُج» الذي بناه الأمير خليفة مصر لزوجه البدوية التي هَامَ في حبها، و«المختار» بُشْتَان الإخشيد وقصره، وله ذِكْرٌ في شعر تميم بن المَعز وغيره. ولشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعارٌ، منها قول أبي الفتح بن قادوس الدُمياطي^١:

[الوافر]

أرى سرح الجزيرة من بعيد كأخداق تغازل في المغازل^(a)

كأنَّ مَجْرَةَ الحُوزَا أحاطت وأثبتت المنازل في المنازل

وَكُنْتُ أَيْتُ^(b) في بعض الليالي بالفسطاط على ساحلها، فيزدهني ضحك البدر في وجه الثيل أمام سور هذه الجزيرة الدُّرِّي اللُّون. ولم أنْقِصِلْ عن مصر حتى كَمَلْتُ سورَ هذه القلعة، وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه/ هيئةً بانها، وهو من أعظم السلاطين هيئةً في البناء.

وَأَبْصَرْتُ في هذه الجزيرة إيواناً للجُلوسه لم تر عيني مثاله، ولا يُقَدَّر^(c) ما أنفق عليه، وفيه من صفائح الذهب والرخام الأبتوسي والكافوري والمجرع ما يُذهِلُ الأفكار، ويستوقف الأبصار.

وتفضل عما أحاط به السور أرضٌ طويلة، وفي بعضها حائطٌ حُظِرَ به على أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان، وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فيُنظَرُ منها^(d) أحسن منظر.

وقد تفرَّجْتُ كثيراً في طرف هذه الجزيرة ممَّا يلي بَرَّ القاهرة، ففَطَعْتُ فيه عَشِيَّات مُذهَّبات لم تَزَلْ لأخزان الغرَّة مُذهَّبات.

وإذا زاد الثيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكليَّة. وفي أيام احتراق الثيل يتصل برُّها ببرُّ الفسطاط من جهة خليج القاهرة، ويبقى مؤبَّعُ الجِسر يكون^(e) فيه المراكب^(f).

ورَكِبْتُ مرَّةً هذا الثيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن مُحمي الدين [بن سعيد]^(g) بن نَدَا وزير الجزيرة، وصعدنا إلى جهة الصعيد، ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تلالاً والثيل قد

(a) بولاق : مغازل . (b) بولاق : أشق . (h) بولاق : أقدر . (d) بولاق : بها . (c) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : مراكب .

(g) إضافة من النجوم الزاهرة لابن سعيد ٣١٨.

^١ انظر عن ابن قادوس، فيما تقدم ٤٤٨:٢ هـ.

انقسم عنها ، فقلت :

[الطويل]

تأمل الحُسن الصَّالحية إذ بدت وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبنر طالعا تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى إليها الثيل من بعد غاية كما زار مشغوف بزوم وصالا
وعانقها من فوط شوقي لحسبها فمد يمينًا نحوها وشمالا
جرى قادمًا بالسعد فاخبط حولها من السعد أعلامًا فزاد دلالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت ذؤلة بني أثوب ؛ فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين أيتك التركماني - أول ملوك الترك بمصر - أمر بهدمها^١ ، وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزفة في رحبة الخياء بمدينة مصر^٢ . وطبع في القلعة من له جاة ، فأخذ جماعة منها عدة سقوف وسبايك كثيرة وغير ذلك ، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة .

فلما صارت تملك مصر إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، اهتم بعمارة قلعة الروضة ، ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يعمور أن يتولى إعادتها كما كانت . فأصلح بعض ما تهدم فيها ، ورتب فيها الجاندارية ، وأعادها إلى ما كانت عليه من الحزمة . وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء ، وأعطى بروج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، والبرج الذي يليه للأمير عز الدين الحلي ، والبرج الثالث من بروج الزاوية للأمير عز الدين أرغان ، وأعطى بروج الزاوية الغربي للأمير بدر الدين الشنسي ، وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء ، ورسم أن تكون ثبوتات جميع الأمراء واسطبلاتهم فيها ، وسلم المفاتيح لهم .

فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون الألفي ، وشرع في بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية ، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي ، وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان في البرابي وغير ذلك^٣ . ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من عمد الصوان في بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر ، وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن^٤ .

^١ في سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م (المقريزي: السلوك ١: ٣٨١) .

^٢ فيما يلي ٤٠٧: ٢ .

^٣ فيما تقدم ٥٥١هـ .

^٤ فيما يلي ٦٥٩ .

وتأخَّرَ منها عَقْدٌ جَلِيلٌ تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ الْقَوْسَ ، كانَ بِمَا يَلِي جَانِبَهَا الْغَرْبِي ، أُذِرْكَناه باقِيًا إِلَى
نحو سنة عشرين وثمان مائة ، وبقي من أَتْرَاجِها عِدَّةٌ قد انْقَلَبَ أَكْثَرُها ، وَبَنَى النَّاسُ فَوْقَها دُورَهم
المطلَّةَ على النَّيْلِ .

قال ابنُ الْمُتَوَجِّحِ : ثم اشْتَرَى الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرُ بنَ شَاهِنْشَاهِ بنِ أَيُّوبَ جَزِيرَةَ مِصْرَ ،
المعروفة اليوم بِالرُّوْضَةِ ، فِي شَعْبَانِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالرُّوْضَةِ لِأَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ بِالْأَيَّامِ الْمِصْرِيَّةِ مِثْلَها ، وَتَخَرَّ النَّيْلُ حَائِزًا لَهَا وَدَائِرٌ عَلَيْهَا . وَكَانَتْ حَصِينَةً وَفِيهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ
وَالْعُمَائِرِ وَالْأَسْوَارِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي غَيْرِها .

وَلَمَّا قَتَعَ عُمَرُو بنُ الْعَاصِ مِصْرَ تَحَصَّنَ الرُّومُ بِهَا مُدَّةً . فَلَمَّا طَالَ جِصَارُها وَهَزَبَ الرُّومُ مِنْها ،
خَرَّبَ عُمَرُو بنُ الْعَاصِ بَعْضَ أَتْرَاجِها وَأَسْوَارِها ، وَكَانَتْ مُسْتَدِيرَةً عَلَيْها ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى أَنْ عُمَرُ
حِصْنِها أَحْمَدُ بنُ طُولُونٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْحِصْنُ حَتَّى خَرَّبَهُ النَّيْلُ .
ثم اشْتَرَاهَا الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ تَقِيَّ الدِّينِ عُمَرُ الْمَذْكُورُ ، وَبَقِيَتْ عَلَى مِلْكِهِ إِلَى أَنْ سَيَّرَ السُّلْطَانُ
صَلاَحُ الدِّينِ يَوْسُفَ بنِ أَيُّوبَ وَلَدَهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُ عُمَةُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، وَكَتَبَ
إِلَى الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ بِأَنْ يُسَلِّمَ لَهَا الْبِلَادَ وَيُقَدِّمَ عَلَيْها إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، وَوَصَلَ ابْنُ
عُمَةَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَعُمَةُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، سَقَّ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا عَوْدَ لَهُ
إِلَيْها أَبَدًا . فَوَقَّفَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ فِي مِصْرَ بِـ«الْمَدْرَسَةِ النَّقَوِيَّةِ» - الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ
بِمَنْزِلِ الْعِزِّ - وَوَقَّفَ عَلَيْها/ الْجَزِيرَةَ بِكَامِلِها^١ ، وَسَافَرَ إِلَى عُمَةِ فَمَلَكَه حِمَاةً .

وَلَمْ يَزَلْ الْحَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ وَلَّى الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ ، فَاسْتَأْجَرَ الْجَزِيرَةَ مِنْ
الْقَاضِي قُحْرِ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ قَاضِي الْقَضَاةِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ مُحَمَّدَ بنِ عَبْدِ الْعَلِيِّ بنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الشُّكْرِيِّ ، مُدْرُسَ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ ، لِمُدَّةِ سِتِينَ سَنَةً
فِي دَفْعَتَيْنِ ، كُلِّ دَفْعَةٍ قِطْعَةً : فَالْقِطْعَةُ الْأُولَى مِنْ جَامِعِ عَيْنٍ^(a) إِلَى الْمَنَاطِرِ طَوْلًا وَعَرْضًا مِنْ
الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَاسْتَأْجَرَ الْقِطْعَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ بَاقِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ^(b) الدَّائِرِ عَلَيْها بَحْرُ النَّيْلِ
حِينَ ذَاكَ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا كَانَ بِالْجَزِيرَةِ مِنَ النَّخْلِ^(b) .

(a) بولاق : جامع عين . (b-b) للثبت من آهاصوفيا ، وبولاق : بما فيها من النخل والجيزير والفروس .

فإنه لما غمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة، قطعت النخل^a ودخلت في العمائر. وأما الجييز فإنه كان بشاطئ بحر النيل صفّ جَمِيز يزيد على أربعين شجرة، وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والرياح، قطعت جميعها في الدولة الظاهرية، وغمر بها شواني عَوْض الشواني التي كان قد سَيرها إلى جزيرة قُبرس. ثم سلّم لمُدْرَس التَّقْوِيَةِ القطعة المستأجرة من الجزيرة أولاً في سنة ثمان وتسعين وست مائة، وبقي بيد السلطان القطعة الثانية.

وقد خربت قلعة الرّوضة، ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها، وبقي أيضًا عقد باب من جهة الغرب يُقال له «باب الإسطبل». وعادت الرّوضة بعد هدم القلعة منها مُتَنَزِّهاً يشتمل على دُور كثيرة، وبساتين عدّة، وجوامع تُقام بها الجماعات والأعياد ومساجد. وقد خرب أكثر مساكن الرّوضة، وبقي فيها إلى اليوم بقايا^١.

وبطرف الرّوضة «المقياس» الذي يُقاس فيه ماء النيل اليوم، ويُقال له «المقياس الهاشمي»، وهو آخر مقياس بُني بديار مصر^٢. قال أبو عُمر الكندي: ووَرَدَ كِتَابُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ بِاتِّسَاءِ الْمِقْيَاسِ الْهَاشِمِيِّ لِلنَّيْلِ، وَبَعَزَلُ النَّصَارَى عَنْ قِيَاسِهِ. فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، أَمِيرَ مِصْرَ، أَبَا الرَّدَادِ الْمُعَلِّمَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ سَلِيمَانَ بْنَ وَهْبٍ صَاحِبَ الْخِرَاجِ فِي كُلِّ شَهْرِ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ^٣.

وعلامته وفاء النيل ستة عشر ذراعاً أن يُسبِلَ أَبُو الرَّدَادِ، قَاضِي الْبَحْرِ، الشَّشْرَ الْأَسْوَدَ الْخَلِيفَتِي عَلَى شَبَاكِ الْمِقْيَاسِ، فَإِذَا شَاهَدَ النَّاسُ هَذَا الشَّشْرَ قَدْ أُسْبِلَ تَبَاشَرُوا بِالْوَفَاءِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعَادَةِ لِلْفُرْجَةِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ.

وما أَحْسَنُ قَوْلِ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْعَطَّارِ فِي تَهْنُوكِ النَّاسِ يَوْمَ تَخْلِيْقِ الْمِقْيَاسِ^b (عند اجتماعهم):

[البسيط]

تَهْنُوكَ الْخَلْقُ بِالتَّخْلِيْقِ قُلْتُ لَهُمْ مَا أَحْسَنَ الشَّشْرَ، قَالُوا الْعَقُوْ مَأْمُوْلُ
شَسْرُ الْإِلَهِ عَلَيْنَا لَا يَزَالُ قَمَا أَحْلَى تَهْنُوكُنَا وَالشَّشْرَ مَسْهُوْلُ

a) بولاق: النخل. b-b) ساقطة من بولاق.

^١ هنا على هامش نسخة (ص): «والآن فقد استخذمها أحسنه وأبهجه الله عاقبة الأمور».

^٢ انظر فيما تقدم ١٥٠: ١-١٥٢.

^٣ الكندي: ولاية مصر ٢٢٩.

وتنظر الوصف عن وضعه لما اشتمل عليه من كل شيء



قناع البئر وعشود الميماش المشمش المذبح (من كتاب Le Caire)

جزيرة الصابوني

هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار، والرباط من حملتها^١. وقَفَّها أبو الملوك نجم الدين أيوب ابن شاذي وقطعة من يوكة الحبش، فجعل نصف ذلك على الشيخ^(a) الصابوني وأولاده، والنصف الآخر على صوفيَّة بمكان بجوار قبة الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - يُعرف اليوم بالصابوني.

ذكر جزيرة الفيل^(b)

هذه الجزيرة هي الآن بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة، وتتصل بمئية السرج من بحريها، ويمر النيل من غربيها، وبها جامع تُقام به الجمعة وشوق كبير وعدة بساتين جليلة. وموضعها كله مما كان غابرا بالماء في الدولة الفاطمية، فلما كان بعد ذلك انكسر موكب كبير كان يُعرف بالفيل، وترك في مكانه، فربا عليه الرمل، وانطرد عنه الماء. فصارت جزيرة فيما بين المئية وأرض الطبالة سماها الناس «جزيرة الفيل»^٢. وصار الماء يمر من جوانبها: فغربيها تجاه بحر مصر الغربي، وشرقيها تجاه النيل، والماء فيما بينها وبين النيل - الذي هو الآن قبالة قناطر الإوز - فإن الماء كان يمر بالمقس من تحت زريبة^(c) جامع المقس الموجود الآن على الخليج الناصري، ومن جامع المقس على أرض الطبالة إلى غربي النيل^(d) حتى ينتهي من تجاه التاج إلى المئية.

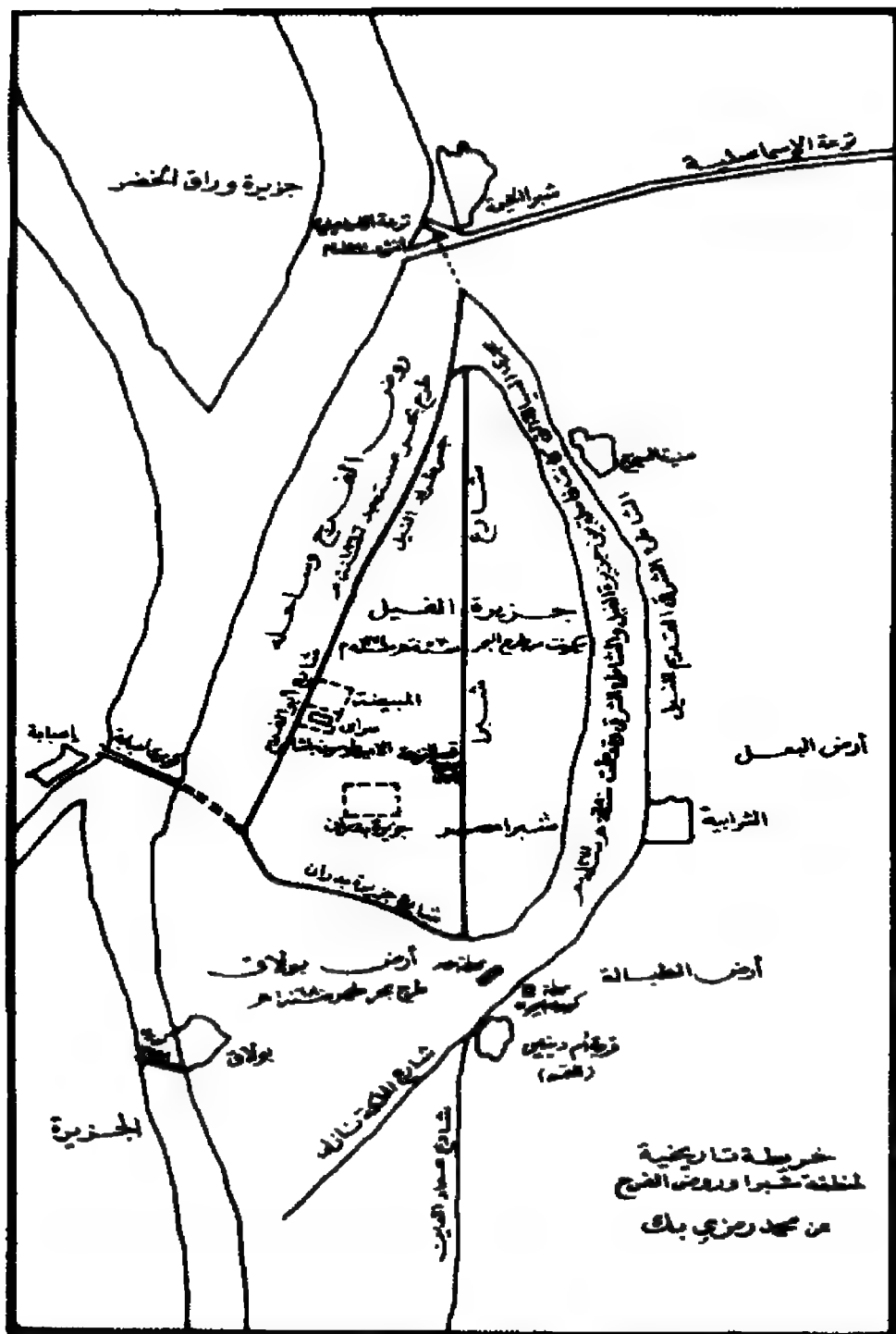
(a) يياض بنسخة أباصوفيا. (b) ساقطة من بولاقي. (c) بولاقي : زريبة. (d) بولاقي : المصلى.

^١ جزيرة الصابوني. كانت تقع إلى جوار جزيرة الذهب وأقسام مدينة القاهرة الشمالية، وكان جزيرتها الجنوبي يعرف إلى وقت قريب باسم جزيرة بدران، وكانت تشغل المنطقة التي يتوسطها الآن شارع شبرا من الجنوب إلى الشمال، ويحدها من الغرب شاطئ النيل، ومن الجنوب والشرق شارع الجلاء وشارع مهشة، ومن الشمال شبرا الخيمة.

وكانت أراضي قسم شبرا في زمن الحملة الفرنسية لأرضا زراعية وبها كثير من البساتين ومجموعة قليلة من

جزيرة الصابوني. كانت تقع إلى جوار جزيرة الذهب ويفصلهما سقالة إلى الجنوب من جزيرة الروضة بين ساحل النيل الشرقي حيث منطقة أثر النبي التي بها رباط الآثار، وبين شاطئ النيل الغربي تجاه الجزيرة. واندمجت الجزيرتان فيما بعد وتُعرف الآن باسم جزيرة الذهب وهي تابعة لمحافظة الجزيرة (محمد الششناوي : متزهات القاهرة ٤٩-٥٠).

^٢ جزيرة الفيل هي التي تُعرف الآن باسم شبرا، أخذ



خريطة تُوضح جزيرة القيل (عن محمد رمزي)

وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل، وما برحت تتسع إلى أن زُرعت في أيام الملك التاثير صلاح الدين يوسف بن أيوب. فوقفها على المدرسة التي أنشأها في القرافة^٩ بجوار قبر الشافعي - رضي الله عنه - وكثرت أطيانها بانحسار النيل عنها في كل سنة.

فلما كان في أيام الملك المنصور قلاوون الألفي، تقرب مجتهد الدين أبو الروح عيسى بن عمر ابن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب، المتحدث في الأخماس، إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي بأن في أطيان هذه الجزيرة زيادة على ما وقفه السلطان صلاح الدين. فأمر بقياس ما تجدد بها من الرمال، وجعلها لجهة الوقف الصلاحي، وأقطع الأطيان القديمة التي كانت في الوقف، وجعلها هي التي زادت.

فلما أمر الملك المنصور قلاوون بعمل المارستان المنصوري، وقف بقية الجزيرة عليه. ففرس الناس بها القروس، وصارت بساتين، وسكن الناس من المزارعين هناك.

فلما كانت أيام الملك التاثير محمد بن قلاوون، بعد عودته إلى قلعة الجبل من الكرك، وانحسر النيل عن جانب المقس الغربي، / وصار ما هنالك رمالاً متصلة من بحريها بجزيرة الفيال المذكورة، ومن قتلها بأراضي اللوق، افتتح الناس باب العبارة بالقاهرة ومصر، فعمرها في تلك الرمال المواضع التي تعرف اليوم ببولاق خارج المقس، وأنشأوا بجزيرة الفيال البساتين والقصور.

(a) بولاق : بالقرافة .

القاهرة إلى القصر. وبسبب الأعمال الهندسية التي عملت في مجرى النيل بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٦٥ لتحويل مجراه، ظهرت أرض طروح بخر جديدة سنة ١٨٦٦ هي التي تعرف اليوم بروض الفرج.

وبعد أخي الباحث المجتهد محمد أبو العمام (إبراهيم رسالة دكتوراه بكلية الآثار جامعة القاهرة موضوعها : حي شبرا منذ بداية القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين - دراسة أثرية عمرانية).

= المساكن في المنطقة المعروفة بجزيرة بدران. ولم يستجد فيها البناء إلا في منتصف القرن التاسع عشر، حيث أنشأ بها الوالي سعيد باشا سنة ١٨٥٨ قصر الزخوة (المدرسة التوفيقية فيما بعد)، ثم تبعه الأتقياء وكبار التجار فأنشأوا بها القصور والبساتين على جانبي شارع شبرا، ثم امتدت المباني إلى شاطئ النيل وثرثرة الإسماعيلية. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣٠٩:٧-٣١٠هـ). وكان محمد علي باشا قد أنشأ إلى الشمال من ذلك في حي شبرا الخيمة قصراً سنة ١٨٠٨، وفتح شارع شبرا ليكون طريقاً يوصل من

واستجَدَّ^(٥) ابنُ المَعْرُوفِي الطَّبِيب بُشْتَانًا اشْتَرَاهُ مِنْهُ الْقَاضِي كَرِيمُ الدِّين نَازِلُ الْخَاصِّ لِلأَمِيرِ سَيْفِ الدِّين طَشْقَمَرِ الشَّافِي ، بِنَحْوِ الْمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فِضَّةً : عَنْهَا زِهَاءٌ خَمْسَةُ آلَافٍ يُقَالُ ذَهَبًا .

وَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي إِنْشَاءِ الْبَسَاتِينِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِهَا مَكَانٌ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ . وَحُكِرَ مَا كَانَ مِنْهَا وَقَفًا عَلَى الْمَدْرَسَةِ الْجَاوِرَةِ لِلشَّافِعِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ وَقْفِ الْمَارِشْتَانِ ، وَغُرِسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بَسَاتِينَ ، فَصَارَتْ تُسَمَّى عَلَى مِائَةِ وَخَمْسِينَ بُشْتَانًا ، إِلَى سَنَةِ وَفَاةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَنُصِبَ فِيهَا سُوقٌ كَبِيرٌ يُبَاعُ فِيهِ أَكْثَرُ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْمَائِكِلِ ، وَانْتَهَى النَّاسُ بِهَا عِدَّةَ دُورٍ وَجَامِعًا ، فَبَقِيَ قَرْيَةً كَبِيرَةً .

وَمَا زَالَتْ فِي زِيَادَةٍ وَنُمُوٍّ ، فَأَنْشَأَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِلَالُ الدِّينِ الْقَرْوِينِي^١ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الدَّارَ الْجَاوِرَةَ لِبُشْتَانِ الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ يَزِيدَ الْحَاجِبِ عَلَى الثَّيْلِ ، فَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . فَلَمَّا عَزَلَ عَنِ قَضَاةِ الْقَضَاةِ وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ ، اشْتَرَاهَا الْأَمِيرُ بِشْتَانِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَخَرَّبَهَا وَأَتَّخَذَ مِنْهَا رُحَامًا وَشَبَابِيكَ وَأُبُوتَا ، ثُمَّ بَاعَ بَاقِيَ تَقْضِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَزِيحَ الْبَاعَةِ فِي ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا .

وَنُودِيَ عَلَى زَرْيِيهَا^(٦) فَحُكِرَتْ ، وَعَمَّرَ عَلَيْهَا النَّاسُ عِدَّةَ أَمْثَالِكِ ، وَاتَّصَلَتِ الْعِمَارَةُ بِالْأَمْثَالِ مِنْ هَذِهِ الزَّرِّيَّةِ^(٧) إِلَى مُنْتَهَى السَّيْرِجِ . ثُمَّ خَرَّبَتْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَبَقِيَ مَا عَلَى هَذِهِ الزَّرِّيَّةِ^(٨) مِنْ ١٥ الْأَمْثَالِ ، وَهِيَ تُقَرَّبُ الْيَوْمَ بِدَارِ الطَّبَّيْدِيِّ النَّاجِرِ^٢ .

وَأَمَّا بَسَاتِينُ الْجَزِيرَةِ فَلَمْ تَزَلْ عَجَبًا مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا ، مِنْ لِحْصَنِ الْمُنَظَرِ وَكَثْرَةِ الْمُتَحَصِّلِ ، إِلَى أَنْ حَدَّثَتِ الْحِجْرُ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، فَتَلَاشَتْ وَخَرِبَتْ كَثِيرٌ مِنْهَا لُغْلُؤُ الْعُلُوفَاتِ مِنَ الْقَوْلِ وَالتَّيْنِ ، وَشِدَّةِ ظُلْمِ الدَّوْلَةِ ، وَتَعَطُّلِ مُعْظَمِ سُوقِهَا ، وَفِيهَا إِلَى الْآنَ بَقِيَّةٌ صَالِحَةٌ^٣ .

(٥) بياض بنسخة آياصوفيا . (ب) بولاق : زريتها . (ج) بولاق : الزرية .

^١ قاضي القضاة بجلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن القاضي شرف الدين ثوسن الأنصاري وذلك في غاية الحسن لغر القزويني - كان يُنسب إلى أبي ذلف الجبلي - المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م .

^٢ المقرئ : مسودة المخطوط ١٧٨٠ - ظ نص في غاية

الاعتصار .

^٣ هنا على هامش (ص) : «وبالقرب منها جايما أنشأه الخوارج شمس الدين ابن الرمن وقصروا لشكناه بجوار قصر

جزيرة أروى

هذه الجزيرة تُعرف بالجزيرة الوسطى ، لأنها فيما بين الروضة وبُلاق وفيما بين بئر القاهرة وبئر الجزيرة ، لم يُنحسر عنها الماء إلا بعد سنة سبع مائة .

وأخبرني ^(a) القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب ابن الخطيب المخرومي ، عن الطبيب ^(b) الفاضل شمس الدين محمد بن الألفاني ، أنه كان يُمُر بهذه الجزيرة أول ما انكشفت ، ويقول : هذه الجزيرة تُصير مدينة - أو قال تُصير بلدة - على الشك مني . فاتفق ذلك ، وبتى الناس فيها الدور الجليلة والأشواق والجامع والطاحون والفردن ، وغرسوا فيها البساتين ، وحفرُوا الآبار ، وصارت من أحسن مُنتزهات مصر يحفُّ بها الماء .

ثم صار يُنكشِف ما بينها وبين بئر القاهرة ، فإذا كانت أيام زيادة ماء النيل أحاط الماء بها ، وفي بعض السنين يركبها الماء ، فتُمُر المراكب بين دورها وفي أزقتها . ثم لما كثر الرُمْل فيما بينها وبين البئر الشرقي - حيث كان حُطُّ الزريبة ^(c) وقَم الحُور - قَلَّ الماء هناك ، وتلاشت مساكين هذه الجزيرة منذ كانت الحوادث في سنة ست وثمان مائة ، وفيها إلى اليوم بقايا حسنة .

الجزيرة التي عُرِفَت بحليمه

لما كان في سنة سبع وأربعين وسبع مائة ، انكشفت في بئر النيل عِدَّة مواضع وقَلَّ مدده ، وصار من المقياس إلى بئر مصر تُحوضُه الناس ، ومن بُلَاق إلى مُنشأة المهراشي ومن بُلَاق إلى جزيرة الفيل إلى المئبة طريقًا يَسًا ، وصار الشقاؤون إنما يَمْلِكُون الماء من ناحية أنبوية ، فَقَلَّ الماء ووَصَلَت الراوية إلى دِزهم بعد أن كانت بنصف وربع درهم ، وخَرَجَت جزيرة فيما بين بُلَاق

(a) مسودة الخطط : وحدثنني . (b) مسودة الخطط : الحكيم . (c) بُلَاق : الزريبة . (d) النسخ : يملون .

^١ جزيرة أروى ، أو الجزيرة الوسطى . هي الجزيرة المبيّنة على الخريطة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ م باسم جزيرة بُلَاق لوقوعها تجاه بُلَاق . وهي الجزيرة المعروفة الآن باسم الجزيرة أو جزيرة الزماليك ، والتي يشغل حي الزماليك قسمها الشمالي ويشغل نادي الجزيرة الرياضي والنادي الأهلي ودار الأوبرا قسمها الأوسط ، ويشغل فندق شيراتون الجزيرة ومبنى مجلس قيادة الثورة قسمها الجنوبي .
^٢ المقريري : مسودة الخطط ١٧٨ ط .

والجزيرة الوُسطى سُمّاها العامة حليمة ، وَنَصَبُوا فِيهَا عِدَّةَ أَحْصَاصٍ ، بَلَغَ مَصْرُوفُ الْخَصِّ الْوَاحِدِ مِنْهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ تُقَرَّةٌ فِي ثَمَنٍ رُخَامٍ وَدِهَانٍ . فَكَانَ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْأَحْصَاصِ عِدَّةٌ وَافِزَةٌ ، وَزُبُرٌ حَوْلَ كُلِّ حُصٍّ مِنَ الْمَقَائِي وَغَيْرِهَا مَا يُسْتَحْسَنُ .

وَأَقَامَ أَهْلُ الْحَلَاغَةِ وَالْحُجُونِ هُنَاكَ ، وَتَهَنَّكُوا بِأَنْوَاعِ الْحُمُومَاتِ ، وَتَزَدَّدَ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ حَتَّى كَادَتْ الْقَاهِرَةُ أَلَّا يَثْبُتَ بِهَا أَحَدٌ .

وَبَلَغَ أَجْرَةُ كُلِّ قَصَبَةٍ بِالْقِيَاسِ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، وَفِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي عُرِفَتْ بِالطَّبِيعَةِ فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَالْجِيزَةِ ، مِبْلَغَ عَشْرِينَ دِرْهَمًا تُقَرَّةٌ ، فَوَقَّفَ الْقَدَّانُ هُنَاكَ بِمِبْلَغِ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ تُقَرَّةٌ ، وَنُصِبَتْ فِي هَذِهِ الْأَفْنِدَةِ الْأَحْصَاصُ الْمَذْكُورَةُ ، وَكَانَ الْإِنْتِفَاحُ بِهَا فِيمَا ذُكِرَ نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْقَدَّانُ فِيهَا بِمِبْلَغِ سِتَّةِ عَشَرَ آلْفَ دِرْهَمٍ تُقَرَّةٌ ، وَأَتْلَفَ النَّاسُ هُنَاكَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يَجَلُّ وَصْفُهُ .

فَلَمَّا كَثُرَ تَجَاهُرُهُمْ بِالْقَبِيحِ ، قَامَ الْأَمِيرُ أَرْغُونُ الْعَلَامِي ، مَعَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ سَعْبَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، فِي هَذِهِ الْأَحْصَاصِ الَّتِي بِهِذِهِ الْجَزِيرَةِ قِيَامًا زَائِلًا حَتَّى أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَأَمَرَ وَالِي مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ، فَتَزَلَّ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ ، وَكَبَسَ النَّاسَ ، وَأَرَاكَ الْخُمُورَ ، وَخَرَقًا الْأَحْصَاصَ ، فَتَلَفَ لِلنَّاسِ فِي النَّهَبِ وَالْحَرِيقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ إِلَى الْغَايَةِ .

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُ الْأَدِيبُ إِبْرَاهِيمُ الْمُفْتَمَرُ :

[المنحط]

بِجَزِيرَةِ الْبَحْرِ مُجِنَّتْ	بِهَا عُقُولٌ سَلِيمَةٌ
لَمَّا حَوَتْ مُحْسِنَ مَغْنَى	بِبَشْطَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ
وَكَمْ يَحْوَضُونَ فِيهَا	وَكَمْ مَشَوْا بِنَمِيمَةٍ ^١
أَوْ لَمْ تَزَلْ ذَا اخْتِمَالٍ	مَا تَلَّكَ إِلَّا حَلِيمَةٍ

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٧٨ ظ-١٧٩ و.

فِكْرُ الشَّجُونِ

قال ابن مبيدة: الشَّجُونُ المحَبَسُ^(a)، والشَّجَانُ صاحبُ الشَّجْنِ، وَرَجُلٌ شَجِينٌ: مشحون^١.
 قال: وَحَبَسَهُ يَحْبِسُهُ حَبْسًا فهو مَحْبُوسٌ وَحَبِيسٌ، وَاحْتَبَسَهُ وَحَبَسَهُ، أَمْسَكَهُ عَنْ وَجْهِهِ.
 قال سيبويه: حَبَسَهُ ضَبَطَهُ، وَاحْتَبَسَهُ اتَّخَذَهُ حَبْسًا، وَاحْتَبَسَ وَاحْتَبَسَ وَاحْتَبَسَ اسْمُ الْمَوْضِعِ.
 وقال بعضهم: المحَبَسُ يكون مصلوا كالحَبَسِ، ونظيره قَوْلُهُ^(b): ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [من الآية ٨٨، سورة المائدة]، أي رُجُوعُكُمْ، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ﴾ [الآية ٢٢٢ سورة البقرة]، أي الحَيْضُ^٢.
 وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث يَهْزِ بن حكيم، عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم -
 - قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، حَبَسَ فِي ثَهْمَةٍ.

وفي جامع الخلال عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَبَسَ فِي ثَهْمَةٍ
 يَوْمًا وَلَيْلَةً. ١٠

فالحَبَسُ الشرعي ليس هو الشَّجْنُ في مَكَانٍ ضَيِّقٍ، وَأَمَّا هو تَعْقِيقُ الشَّخْصِ وَمَنْعُهُ مِنَ
 التَّصَرُّفِ بِنَفْسِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَ فِي بَيْتٍ أَوْ مَسْجِدٍ، أَوْ كَانَ يَتَوَلَّى نَفْسَ الْخِصْمِ أَوْ وَكَيْلَهُ عَلَيْهِ،
 وَمُلَازِمَتَهُ لَهُ. ولهذا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ أُسِيرًا؛ كما رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنِ الْهَوَاسِ بْنِ
 حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ - رضي الله عنهما - قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِغُرَيْمٍ لِي، فَقَالَ لِي: «الزَّمَهُ». ثم قال
 لي: «يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ، مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِأُسِيرِكَ؟»، وفي رواية ابن ماجة: ثُمَّ مَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 بِي آخِرَ النَّهَارِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ أُسِيرُكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ؟». ١٥

وهذا كان هو الحَبَسُ على عهد النبي ﷺ وأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ولم يكن له مَحَبَسٌ
 مُعَدٌّ لِحَبَسِ الْخِصْمِ. ولكن لما انْتَشَرَتِ الرِّعِيَّةُ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - اِتِّبَاعُ مِنْ
 صَفْوَانَ بْنِ أُمَيْةٍ - رضي الله عنه - دَارًا بِمَكَّةَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَجَعَلَهَا سِجْنًا يُحْبَسُ فِيهَا.

ولهذا تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ يُتَّخَذُ الْإِمَامُ حَبْسًا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: فَمَنْ قَالَ لَا يُتَّخَذُ حَبْسًا، اخْتِجَ
 بَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا لِخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ حَبَسٌ، وَلَكِنْ يُعَوِّقُهُ بِمَكَانٍ مِنَ الْأَمْكَنَةِ، أَوْ

(a) بولاق: الحبس، والتصويب من المحكم. (b) إضافة من المحكم مصدر النقل.

^١ ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم ٧: ١٩٦. نفسه ٣: ١٥٢. (والاستشهاد بسبب قوله هو لابن سيدة).

يقيم عليه حافظًا - وهو الذي يُسمى الترسيم - أو يأمر غريمه بملأزمته . ومن قال : له أن يتخذ حبسًا ، اختج بفعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

ومضت السنة في عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - أنه لا يُحبس على الدُّيُون ، ولكن يتلأزم الخصمان . وأول من حبس على الدُّيْن شريح القاضي . وأما الحبس الذي هو الآن ، فإنه لا يجوز عند أخذ من المسلمين . وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيئ عنهم ، غير متمكنين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بغضهم عورة بغض ، ويؤذيهم الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، وربما يُحبس أحدُهم السنة وأكثر ولا جدة له ، وأن أصل حبسه على ضمان .

وأما سُجُونُ الْوَلَاةِ فلا يُوصف ما يجعل بأهلها من البلاء ، واشتهر أمرهم أنهم يُخْرِجُونَ مع الأغوان في الحديد حتى يتخذوا ، وهم يُصْرَخُونَ في الطُّرُقَات : الجوع . فما تُصَدَّق به عليهم لا ينالهم منه إلا ما يَدْخُلُ بُطُونُهُمْ ، وجميع ما يجتمع لهم من صدقات الناس يأخذه السَّجَانُ وأغوان الوالي ، ومن لم يرضهم بالَعَوَا في عُقُوبَتِهِ . وهم مع ذلك يُسْتَقْمَلُونَ في الحر وفي القماير ، ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ، والأغوان تَشْتَجِثُهُمْ . فإذا انقضى عَمَلُهُمْ رُدُّوا إلى السَّجْنِ في حديدهم من غير أن يُطْعَمُوا شيئًا إلى غير ذلك بما لا يَسَعُ حكايته هنا . وقد قيل إن أول مَنْ وَضَعَ السَّجْنَ والحَرَسَ معاوية .

وقد كان في مدينة مصر وفي القاهرة عدَّةُ سُجُون ، وهي : حبس المغونة بمصر ، وحبس الصَّيَّار بمصر ، وخزانة البُود بالقاهرة ، وحبس المغونة بالقاهرة ، وخزانة شمائل ، وحبس الدَّيْلَم ، وحبس الرُّحْبَة والحُبُّ بقلعة الجبل .

حبس المغونة بمصر

ويقال أيضًا «دارُ المغونة» . كانت أولًا بالشرطة ، وكانت قبلي جامع عمرو بن العاص . وأصله خطة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري - رضي الله عنهم . اختطها في أول الإسلام - وقد كان موضعها قِصَاءً - وأوصى فقال : إن كنت ببيت بمصر دارًا ، واشتغلت فيها بمغونة المسلمين ، فهي للمسلمين ينزلها ولأنهم .

^١ هنا على هامش (ص) : «وأخذت الأمير زبيل الدَّيْن - «القاعة» من أثبت السجون وأضيها ، عليه من الله ما يحى الأشقر الأشتار سيجنا بخط بين الشوزين وسناه يستحقه .

وقيل : بل كانت هي ودار إلى جانبها لنافع بن عبد قيس الفهري ، فأخذها منه قيس بن سعد ، وعوضه داراً بزقاق القناديل . ثم عرفت بدار الفلفل لأن أسامة بن زيد التثوي ، صاحب خراج مصر ، ابتاع من موسى بن وزدان فلفلاً بعشرين ألف دينار - كان كتبت فيه الوليد بن عبد الملك ليهديه إلى صاحب الزوم - فخرته فيها ، فشكا ذلك إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي^(٩) الخلافة ، فكتب أن تدفع إليه ، ثم صارت شرطاً ودار الصرّف .

فلما فرغ عيسى بن يزيد الجلودي من زيادة عبد الله بن طاهر في الجامع ، بنى شرطاً في سنة ثلاث عشرة ومائتين في خلافة المأمون ، ونقش في لوح كبير نصبه على باب الجامع الذي يدخل منه إلى الشرط ما نصه :

«بَرَكَهٗ مِنْ اللَّهِ لَعَبْدِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامِ الْمَأْمُونِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَرَ بِإِقَامَةِ هَذِهِ الدَّارِ الْهَاشِمِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ ، عَلَى يَدِ / عَيْسَى بْنِ يَزِيدَ الْجُلُودِيِّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَمِائَتَيْنِ» .

ولم يزل هذا اللوح على باب الشرط إلى صفر سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ، فقلعه يانوش الغزي ، وصارت حشاً يعرف بالمعونة إلى أن ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجعله مدرسة ، وهي التي تعرف اليوم بالشريفة^٢ .

حَبْسُ الصَّيَّارِ

هذا الحبس كان بمصر يخس فيه الزلافة بعدما عجل حبس المعونة مدرسة . وكان بأول الرقاق الذي فيه هذا الحبس حاثوث يسكنه شخص يقال له منصور الطويل ، ويبيع فيه أصناف الشوافة^(ب) ، ويعرف هذا الرجل بالصيَّار من أجل أنه كانت له في هذا الرقاق قاعة يخزن فيها أنواع الصير المعروف بالملوخة ، فقبل لهذا الحبس «حبس الصيَّار»^٣ .

ونشأ منصور الصيَّار هذا ولّد عرف بين اليهود بمصر بشرف الدين بن منصور الطويل . فلما أخذت الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفايدي المظالم في سلطنة الملك المعز

(a) بولاق : تولى . (b) بولاق : السوقة .

^٢ انظر فيما تقدم ٢ : ٩٠ .

^١ Wiet, G. RCEAT, B. 148, n. 189.

^٣ انظر عدد هذه المدرسة : ابن دماق : الاختصار ٩٣ : ٤

أَتَيْتُكَ التُّزْكُمَانِي، خَدَمَ شَرَفُ الدِّينِ هَذَا عَلَى الْمَظَالِمِ فِي جَبَايَةِ «التَّشْقِيعِ وَالتَّقْوِيمِ»، ثُمَّ خَدَمَ
بعد إبطال ذلك فِي مَكْسِ الْقَصَبِ وَالرُّمَانِ. فَلَمَّا تَوَلَّى قَضَاءُ الْقَضَاةِ تَاجَ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
ابن بنت الأَعَزِّ، تَأَدَّى عِنْدَهُ بِمَا بَاشَرَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَظَالِمِ.

وَمَا زَالَ هَذَا الْحَبْسُ مُوجُودًا إِلَى أَنْ خَرِبَتْ مِصْرُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَخَرِبَ، وَبَقِيَ
مَوْضِعُهُ وَمَا حَوْلَهُ كَيْمَانًا.

خَزَانَةُ الْبُيُود

هَذِهِ الْخَزَانَةُ بِالْقَاهِرَةِ هِيَ الْآنَ رُقَاقٌ، يُعْرَفُ بِحُطِّ خَزَانَةِ الْبُيُود، عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ سَلَكٍ مِنْ رَحْبَةِ
بَابِ الْعِيدِ يُرِيدُ دَرْبِ مُلُوحِيًّا وَغَيْرِهِ^١. وَكَانَتْ أَوَّلًا فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ خَزَانَةً مِنْ جَمَلَةِ خَزَائِنِ
الْقَصْرِ يُعْمَلُ فِيهَا السَّلَاحُ، يُقَالُ إِنَّ الْحَلِيفَةَ الظَّاهِرَ بْنَ الْحَاكِمِ أَمَرَ بِهَا. ثُمَّ إِنَّهَا اخْتَرَقَتْ فِي سَنَةِ
إِحْدَى وَسِتِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فَعُمِلَتْ بَعْدَ خَرِيقِهَا سِجْنًا يُسَجَّنُ فِيهِ الْأَمْرَاءُ وَالْأَغْيَانُ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ
الدَّوْلَةُ، فَأَقْرَها مُلُوكُ بَنِي أَيْيُوبَ سِجْنًا.

ثُمَّ عُمِلَتْ مَنَزِلًا لِلْأَسْرَى^٢ مِنَ الْفَرَنْجِ يَسْكُنُونَ فِيهَا بِأَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ بَعْدَ خُصُورِهِ مِنَ الْكُرْكُ. فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ هَدَمَهَا الْأَمِيرُ الْحَاجُّ آلَ مَلِكِ
الْجُوكَنْدَارِ، نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ، فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، فَاخْتَطَّ النَّاسُ مَوْضِعَهَا
دُورًا. وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ خَزَائِنِ الْقَصْرِ^٣.

حَبْسُ الْمُغْفَرَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ

هَذَا الْمَكَانُ بِالْقَاهِرَةِ مَوْضِعُهُ الْآنَ قَيْسَارِيَّةُ الْعَنْبَرِ بِرَأْسِ الْحَرِيرِيِّينَ. كَانَ يُسَجَّنُ فِيهِ أَرْبَابُ الْجَرَائِمِ
مِنَ الشُّرَاقِ وَقَطَّاعِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِمْ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ. وَكَانَ حَبْسًا خَرِجًا ضَيِّقًا شَنِيعًا يُسَمَّى مِنْ
قُرْبِهِ رَائِحَةُ كَرِيهَةٍ. فَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مَمْلَكَةَ مِصْرَ، هَدَمَهُ وَبَنَاهُ قَيْسَارِيَّةً
لِلْعَنْبَرِ. وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَشْوَاقِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٤.

(a) بولاق : للأمرء .

^١ فيما تقدم ١٠٤ . ^٢ فيما تقدم ٢٩٦ ، وانظر كذلك فيما تقدم ٥١٥ : ٢ .

^٣ فيما تقدم ٣٩٥ : ٢ - ٤٠١ ، وهذا المجلد ١٠٤ . ^٤ ٥١٦ ابن المأمون : أخبار مصر ٧٩ - ٨٠ ، المقيري : =

خزانة شمائل

هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يشرة من دخل منه بجوار الشور. عرفت بالأمير علم الدين شمائل والي القاهرة في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. وكانت من أشنع الشجون وأقبحها منظرًا، يُحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من الشرايق وقطاع الطريق، ومن يُريد السلطان إهلاكه من المماليك وأصحاب الجرائم العظيمة.

وكان السجان بها يُوظف عليه والي القاهرة شيئًا يحمله من المال له في كل يوم، وتبلغ ذلك في الأيام الثايرة فرج مبلغًا كبيرًا. وما زالت هذه الخزانة على ذلك إلى أن هدمها الملك المؤيد شيخ الحمودي في يوم الأحد العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وثمان مائة، وأدخلها في جملة ما هدمه من الدور التي عزم على عمارتها مكرسة.

شمائل: الأمير علم الدين، قديم إلى القاهرة وهو من فلاحي بعض قرى مدينة حماة، في أيام الملك الكامل محمد بن العادل، فخدم جندارًا في الركاب السلطاني، إلى أن نزل الفرج على مدينة دمياط في سنة خمس عشرة وست مائة، وملكوا البر، وحصرُوا أهلها وحالوا بينهم وبين من يصل إليهم. فكان شمائل هذا يُخاطر بنفسه، ويشيح في الماء بين المراكب، ويؤذ على السلطان الخبر^١.

فتقدم عند السلطان وحظي لديه حتى أقامه أمير جندار وجعله من أكبر أمرائه، ونصبه سيف يقيته، وولاه ولاية القاهرة. فبأمر ذلك إلى أن مات السلطان، وقام من بعده ابنه الملك العادل أبو بكر. فلما خلع بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، نقم على شمائل^٢.

(a) بولاق: السوق. (b) بولاق: للأمرء.

وكانت خزانة شمائل تقع موضع القسم الجنوبي من جامع المؤيد الجاور لسور القاهرة القديم الذي بناه تتر الجمالي.

^٢ راجع عن علم الدين شمائل، ابن واصل: مفرج الكروب ٤: ١٩-٢٠ ابن أبيك: كنز الدرر ٧: ٢٠٠-٢٠١ وفيما تقدم ١: ٥٨٩.

٣ مسودة المواظع ٣٩٥، ٤٢٧-٤٢٨، اتعاط الحنفا ١٠٠: ٣.

^١ المقريري: مسودة المواظع ٣٩٦-٣٩٧، السلوك ٤: ١٥٣ العيني: السيف المهند ٢٧٢: أبو الحسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٣١ ابن إياس: بدائع الزهور ٢: ٢٠ وفيما يلي ٣٢٨: ٢.

المَقْشَرَةُ

- هذا السَّجْنُ بجوار باب القُتُوح فيما بينه وبين الجامع الحَاكِمِي ، كان يُقَشَّر فيه القَشَح . ومن جُمْلَتِهِ بُزْجٌ من أُنْجَاع الشُّور ، على يَمْنَةِ الخَارِج من باب القُتُوح ، استَجِدُّ بأَعْلَاه دُور لم تَزَلْ إلى أن هُدِمَتْ خِزَانَةُ شَمَائِل . فَمِنْ هذا البُزْجِ والمَقْشَرَةُ لِسَجْنِ أَرْبَابِ الجَرَائِم ، وهُدِمَتْ الدُّوَرُ التي كانت هناك في شهر ربيع الأول سنة عشرين وثمان مائة^(a) ، وعُمِلَ البُزْجُ والمَقْشَرَةُ سِجْنًا ، وتُقِلَّ إليه أَرْبَابُ الجَرَائِم .

وهو من أَشْنَعِ السُّجُونِ وَأَضْيَقُهَا ، يُقَاسِي فِيهِ الْمَسْجُونُونَ مِنَ الْعَمِّ والكَرْبِ ما لا يُوصَف ، عَافَا اللهُ مِنْ جَمِيعِ بَلَائِهِ^١ .

الجُبُّ بَقْلَعَةُ الْجَبَلِ

- هذا الجُبُّ كان بَقْلَعَةُ الْجَبَلِ يُسَجَّن فِيهِ الْأَمْرَاءُ . وَابْتَدِئَ عَمَلُهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، / وَالسُّلْطَانُ حِينَئِذٍ الْمَلِكُ الْمُتَصَوِّرُ قَلَاوُون . وَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ هَدَمَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُون فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَابِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .
- وَذَلِكَ أَنَّ شَاذَّ الْعَمَائِرِ نَزَلَ إِلَيْهِ لِيُصْلِحَ عِمَارَتَهُ ، فَشَاهَدَ أَمْرًا مَهُولًا مِنَ الظَّلَامِ وَكَثْرَةِ الْوَطَاوِيطِ وَالزُّوْاِئِحِ الْكَرِيهَةِ . وَاتَّفَقَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ بَكْتُتُرَ الشَّاقِي كَانَ عِنْدَهُ شَخْصٌ يَشْخَرُ بِهِ وَيُمَازِحُهُ ، فَبَيَّنَتْ بِهِ إِلَى الْجُبِّ وَذُلِّي فِيهِ ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ مِنْهُ^(b) بَعْدَ مَا بَاتَ بِهِ لَيْلَةً . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى بَكْتُتُرِ أَخْبَرَهُ بِمَا عَاقَبَتْهُ مِنْ شَنَاعَةِ الْجُبِّ ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنَ الزُّوْاِئِحِ الْمَهُولَةِ . وَكَانَ شَاذَّ الْعَمَائِرِ فِي الْمَجْلِسِ فَوَصَفَ مَا فِيهِ الْأَمْرَاءُ الَّذِينَ بِالْجُبِّ مِنَ الشَّدَائِدِ . فَتَحَدَّثَ بَكْتُتُرُ مَعَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْأَمْرَاءِ مِنْهُ ، وَزَيْدٌ وَعُمَرُ فَوَقَّهَ أَطْبَاقُ الْمَالِيكَ . وَكَانَ الَّذِي زَيْدٌ بِهِ هَذَا الْجُبُّ التَّقْصُّ الَّذِي هُدِمَ مِنَ الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ الْجَمَّاورِ لِلْخِزَانَةِ الْكُبْرَى^(c) .^٢

(a) بولاق : ثمان وعشرين وثمان مائة . (b) بولاق : من . (c) هنا على هامش آياصوفيا : يياض صفحة ونصف .

^١ انظر كذلك ، المقرئ : السلوك ٤ : ٣٨٦ ، ٤٢١ ؛ أبا^٢ فيما يلي ٦٨٦ - ٦٨٨ ، ولم يذكر المؤلف : حبس المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤ : ٤٦٦ وانظر أيضًا فيما تقدم (٢٣٢) . الذئلم وبحس الرعيحة .

ذكر المواضع المعروفة بالصناعة

لَفْظُ الصَّنَاعَةِ - بكسر الصاد - مأخوذٌ من قَوْلِكَ : صَنَعَهُ يَصْنَعُهُ صُنْعًا ، فهو مصنوعٌ وصنيعٌ ، عمله . واضطَنَّعَهُ أَثْنَعَهُ . والصَّنَاعَةُ ما يُصْنَعُ من أمرٍ ؛ هذا أصلُ الكلمة من حيث اللَّغَةُ .
وأما في العُرف فالصَّنَاعَةُ اسمٌ لمكانٍ قد أُعِدَّ لإنشاء المراكب البحرية التي يُقالُ لها الشُّفُنُ ، واجدُثُها سَفِينَةٌ ، وهى بمصر على قِسْمَيْنِ : نِيلِيَّةٌ ، وحرِّيَّةٌ ^٥ .

فالحرِّيَّةُ هي التي تُنشأ للغزو العُدُوِّ ، وتُشخَن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة ، فتَمُرُّ من ثغر الإسكندرية وتمر دِمياط وتَبْيَس والقَرَمَا إلى جهادِ أعداء الله من الروم والفرنج . وكانت هذه المراكبُ الحرِّيَّةُ يُقالُ لها « الأُسْطُول » ، ولا أَحْسَبُ هذا اللَّفْظَ عَرَبِيًّا .

وأما المراكبُ النِيلِيَّةُ فإنها تُنشأ لتمرُّ في النيل ، صاعِدَةً إلى أعلى الصَّعِيدِ ، ومنحدرةً إلى أسفلِ الأرض ، لحملِ الغلال وغيرها . ولَمَّا جاءَ الله تعالى بالإسلام لم يكن البَحْرِيُّ يُركبُ للغزو في حَيَاةِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وخِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ - رضي الله عنهما - . وأوَّلُ من رَكِبَ البحرَ في الإسلام للغزو الغلَاءُ بن الحَضْرَمِيِّ ^١ رضي الله عنه - وكان على البَحْرَيْنِ من قِبَلِ أَبِي بَكْرٍ وعمر - رضي الله عنهما - فَأَحَبُّ أَنْ يُؤَثَّرَ في الأعاجِمِ أَثَرًا يُعْرِضُ اللهُ به الإسلام على يَدَيْهِ . فتَدَبَّرَ أَهْلُ البَحْرَيْنِ إلى فارس فبادروا إلى ذلك ، وفَرَّقَهُم أَجْنَادًا على أحدها الجَارُود بن المُعَلَّى - رضي الله عنه ، وعلى الآخر ^a سُوَّار بن هَئَم - رضي الله عنه ، وعلى الآخر ^b خَلِيد بن المُثَدِّر بن سَأْوَى - رضي الله عنه ، وجَعَلَ خَلِيدًا على عَائَةِ النَّاسِ ؛ فحَمَلَهُم في البَحْرِ إلى فارس بغيرِ إِذْنِ عُمَرَ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - وكان عُمَرُ - رضي الله عنه - لا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ في رُكُوبِ البَحْرِ غَارِيًّا كَرَاهَةً لِلتَّغْيِيرِ بِجَنَدِهِ ، اقْتِدَاءً بِرَسُولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم وخَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه .

(a) بولاق : الثاني . (b) بولاق : الثالث .

الفتوح في صدر الإسلام ، توفي سنة ٢١/٥٢٢م .
(الذهبي : سير أعلام النبلاء ١ : ٢٦٢ - ٢٦٦ ؛ الفاسي : العقد
التمين ٦ : ٤٤٧ - ٤٤٩) .

^١ انظر Colin, G. S & Cahen, Cl., *El² art. Dār* *al-Sinā'a* II, p. 133.

^٢ الغلَاءُ بن عبد الله بن عماد (عماد) بن أكبر بن زبيدة
من مُقَنَّعٍ ، المعروف بالغلَاءِ بن الحَضْرَمِيِّ ، صحابي من رجال

فغَبِرَتْ تلك الجنود من البَحْرَيْنِ إلى فارس، فَخَرَجُوا في إصْطِخْرَ وإِزَائِهِمْ أَهْلُ فَارِسَ عَلَيْهِمُ
الهِوَيْذُ، فَحَالُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ شُقْنِهِمْ. فَقَامَ حُلَيْدٌ فِي النَّاسِ فَقَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا جَرَتْ الْمَقَادِيرُ عَلَى مَطْبَعِهِ، وَإِنَّ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَرِيدُوا بِمَا صَنَعُوا عَلَى أَنْ دَعَوْكُمْ إِلَى خَزْبِهِمْ، وَأَمَّا حِقِّقُكُمْ
لِحَازِبَتِهِمْ، وَالشُّقْنَ وَالْأَرْضَ بَعْدَ الْآنَ لَمَنْ غَلَبَ، فَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ».

فَأَجَابُوهُ إِلَى الْقِتَالِ، وَصَلُّوا الظُّهْرَ ثُمَّ نَاهَزُوهُمْ، فَأَقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا فِي مَوْضِعٍ يُدْعَى
طَاوُوسَ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَقْتُلُوا مِثْلَهَا قَبْلَهَا؛ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ
الْبِصْرَةَ - إِذْ غَرَقَتْ شُقْنُهُمْ وَلَمْ يَجِدُوا فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْبَحْرِ سَبِيلًا - فَإِذَا بِهِمْ وَقَدْ أُخِذَتْ عَلَيْهِمُ
الطُّرُقُ، فَعَسَّكَرُوا وَامْتَنَعُوا.

وَبَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذَلِكَ فَاسْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى الْغَلَاءِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِعَزْلِهِ
وَتَوَعَّدَهُ، وَأَمَرَهُ بِأَثْقَلِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ وَأَبْقَضِ الْوُجُوهَ إِلَيْهِ: بِتَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَيْهِ، وَقَالَ:
الْحَقُّ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مِنْ قَبْلِكَ^(أ). فَخَرَجَ الْغَلَاءُ^(ب) مِنَ الْبَحْرَيْنِ بِمَنْ مَعَهُ نَحْوُ سَعْدٍ وَهُوَ يَوْمَعِذٍ
عَلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا تَبَائِثٌ وَتَبَاعُذٌ.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُثْبَةَ بْنِ عَرْوَانَ: «بَأَنَّ الْغَلَاءَ بَنَ الْحَضَرَمِيِّ حَمَلَ جُنْدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَحْرِ
فَأَقْطَعَهُمْ إِلَى فَارِسَ وَعَصَانِي، وَأَطْنَهُ لَمْ تُرِدْ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - بِذَلِكَ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يُنْصَرُوا
وَأَنْ يُغْلَبُوا، فَانْدَبَ لَهُمُ النَّاسَ، وَضَعْتُهُمْ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْتَأِجُوا». فَتَدَبَّرَ عُثْبَةُ النَّاسَ،
وَأَخْبَرَهُمْ بِكِتَابِ عُمَرَ. فَانْتَدَبَ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو، وَعُزْفَجَةَ بْنَ هَزْلَةَ، وَحَذِيفَةَ بْنَ مُخَصِّنَ،
وَمَجْرَةَ بْنَ ثَوْرٍ، وَنَهَارَ بْنَ الْحَارِثِ، وَالثَّوْرَجَمَانَ بْنَ فُلَانٍ، وَالْحُصَيْنَ بْنَ أَبِي الْحُرِّ، وَالْأَخْنَفَ ابْنَ
قَيْسٍ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي الْعَرْجَاءِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَهْلٍ، وَصَفْصَعَةَ بْنَ مُعَاوِيَةَ، فَسَارُوا مِنَ الْبِصْرَةِ
فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا عَلَى الْبِغَالِ يُجَنِّبُونَ الْحَيْلَ، وَعَلَيْهِمْ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُحْمٍ. فَسَاحَلَ بِهِمْ حَتَّى
التَّقَى أَبُو سَبْرَةَ وَحُلَيْدٌ حَيْثُ أُخِذَتْ عَلَيْهِمُ الطُّرُقُ، وَقَدْ اسْتَضَرَّخَ أَهْلُ إصْطِخْرَ أَهْلَ فَارِسَ
كُلَّهُمْ، فَأَتَوْهُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ / وَكُورَةَ. فَاتَّقَوْا هُمُ وَأَبُو سَبْرَةَ، فَأَقْتَتَلُوا، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
وَقُتِلَ الْمُشْرِكُونَ، وَعَادَ الْمُسْلِمُونَ بِالْغَنَائِمِ إِلَى الْبِصْرَةِ، وَرَجَعَ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ.

(أ) بولاق: معك. (ب) في بولاق عوضًا عن الغلاء، رضي الله عنه.

فلما فَتَحَ اللهُ تعالى السَّامَ ، أَلَحَّ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ - وهو يومئذ على جُنْدِ دِمَشْقَ وَالْأَرْدُنِ - على عُمر - رضي الله عنه - في غَزْوِ الْبَحْرِ ، وَقُرْبِ الزَّوْمِ مِنْ جَمْعٍ ، وقال : « إِنَّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى جَمْعٍ لَيَسْمَعُ أَهْلُهَا نُبَاحَ كِلَابِهِمْ وَصِيَاخَ دَجَاجِهِمْ » ، حتى إذا كَادَ ذَلِكَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ عَمْرِائِهِمْ مُعَاوِيَةُ لِأَنَّهُ الْمَشِيرُ .

وَأَحَبُّ عُمرَ أَنْ يُوَدَّعَهُ فَكَتَبَ إِلَى عُمُرِ بْنِ الْعَاصِ - وهو على مصر - « أَنْ صِفْ لِي الْبَحْرَ وَرَاكِبَهُ ، فَإِنَّ نَفْسِي تُنَازِعُنِي إِلَيْهِ وَأَنَا أُشْتَهِي خِلَافَهَا » . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ خَلْقًا كَبِيرًا يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، لَيْسَ إِلَّا السَّمَاءُ وَالْمَاءُ ؛ إِنْ رَكَدَ خَزَنَ الْقُلُوبَ ، وَإِنْ زَلَّ أَرَاغَ الْعُقُولَ ، يَزْدَادُ فِيهِ الْيَقِينُ قِلَّةً وَالشُّكُّ كَثْرَةً ؛ هُمْ فِيهِ كَذُودٌ عَلَى عُودٍ ، إِنْ مَالَ غَرِقٌ ، وَإِنْ نَجَا بَرِقَ »^١ .

١٠ فلما جَاءَهُ كِتَابُ عُمُرِ ، كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : « لَا - وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ - لَا أُحْمِلُ فِيهِ مُشْلِمًا أَبَدًا ، إِنَّا قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ بَحْرَ السَّامِ يُشْرِفُ عَلَى أَطْوَلِ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ يَسْتَأْذِنُ اللهُ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَنْ يُفِيضَ عَلَى الْأَرْضِ فَيُفْرِقَهَا . فَكَيْفَ أُحْمِلُ الْجُنُودَ فِي هَذَا الْبَحْرِ الْكَافِرِ الْمُسْتَضْعَبِ ؟ وَتَاللهِ لِمُسْلِمٍ وَاحِدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا حَوَتْهُ الزَّوْمُ . فَإِنَّكَ أَنْ تَغْرِضَ لِي - وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ عَلِمْتُ مَا لَقِيَ الْعَلَاءُ مِنِّي وَلَمْ أَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ - فِي مِثْلِ ذَلِكَ » .

١٥ وعن عُمر - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْأَلُنِي اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ رُكُوبِ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرَ أَبَدًا . وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى لَعَلَّوْتُ رَاكِبَ الْبَحْرِ بِالْمَرْوَةِ .

ثم لما كَانَتْ خِلَافَةُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رضي الله عنه - غَزَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْبَحْرِ ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا فِيهِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ بِعُثْمَانَ حَتَّى عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ بِأَخْرَجَةٍ^(a) ، وَقَالَ : لَا تَسْتَحِثَّ^(b) النَّاسَ وَلَا تَقْرَعَ بَيْنَهُمْ ؛ خَيْرُهُمْ فَمَنْ اخْتَارَ الْغَزْوَ طَائِعًا فَاخْمِلْهُ وَأَعِنِّهِ . فَفَعَلَ ،

(a) بولاق : فَأُخْرِجَهُ . (b) بولاق : وَقَالَ : تَسْخَبُ .

^١ قارن مع ابن خلدون ، المقدمة ٦٩٠ .
وهنا حاشية بخط المؤلف : « قَوْلُهُ : وَإِنْ نَجَا بَرِقَ ، الْبَرِقُ ، الدُّشْدُشُ وَالْحَيَرَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ [الآية ٧ سورة القيامة] ، يَعْنِي : إِذَا حَازَ عِنْدَ الْمَوْتِ . وَمَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الرَّاءِ أَرَادَ تَرْبِقَهُ إِذَا شَخَصَ ، وَأَرَادَ عَمُرَهُ أَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ إِذَا أَنْ يَفْرُقَ وَإِذَا أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَذْهَبًا . وَرَوَى أَنَّ عُمُرًا قَالَ : بَيْنَ غَرِقٍ وَبَرِقٍ » .

واستعملَ على البحر عبد الله بن قيس الحاسي حليف^(a) بني قزارة ، فعزّا خمسين عَزْوَةً من بين شاتية وصائفة في البر والبحر ، ولم يفرق فيه أحدٌ ولم يُنكب .

وكان يدعُو الله تعالى أن يَرْزُقَه العافية في مجنّده ، ولا يقتليه بمُصَابٍ أحدٍ منهم ، حتى إذا أراد الله - عزّ وجلّ - أن يُصيّبه في مجنّده ، وأنّه^(b) يخرج في قاربٍ طليعة ، فانهي إلى المرفأ من أرض الرّوم ، فثار به الرّوم وهجموا عليه ، فقاتلهم فأصيب وُحْدَه ، ثم قاتل الرّوم أصحابه فأصيبوا .

وغرّا عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح في البحر لما أتاه قُسطنطين بن هِرقل سنة أربع وثلاثين في ألف مَرْكَب يُريدُ الإسكندرية ، فسار عبدُ الله في مائتي مَرْكَبٍ أو تزيد شيئاً وحاربه . فكانت وقعةُ « ذات الصّواري » التي نصرَ الله فيها مجنّده ، وهزَمَ قُسطنطين وقتلَ مجنّده^١ .

وأغزى معاويةً أيضاً عُقبةُ بن عامر الجهني - رضي الله عنه - في البحر ، وأمره أن يتوجّه إلى رُودس ، فسار إليها .

ونزلَ الرّوم على البرّوس في سنة ثلاث وخمسين ، في إمارة مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد الأنصاري - على مصر ، فخرج إليهم المسلمون في البرّ والبحر . فاستشهد وُردان ، مؤلّي عُشرو بن القاص ، في جمع كثير من المسلمين . وبعتْ عبدُ الملك بن مروان ، لما وليَ الخلافة ، إلى عاميله على إفريقية حسان بن النعمان يأمره باتخاذ صناعةٍ بثونس لإنشاء الآلات البحرية . ومنها كانت عَزْوَةٌ صِقلِيَّة في أيام زيادة الله الأوّل بن إبراهيم بن الأغلب على يد^(c) شيخ الفُتيا أسد بن القُرات .

ونزلَ الرّوم تيّس في سنة إحدى ومائة ، في إمارة بشر بن صَفْوان الكلبي على مصر من قِبل يزيد بن عبد الملك ، فاستشهد جماعةٌ من المسلمين .

وقد ذُكر في أخبار الإسكندرية ودمياط وتيّس والقرّما ، من هذا الكتاب ، جملةٌ من نزلات الرّوم والفرنج عليها ، وما كان في زمن الإنشاء ، فانظروه تجده إن شاء الله^٢ .

وقد ذُكر شيخنا الأستاذ قاضي القضاة وليّ الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الحَضْرَمي الشّيبلي ، تعليلُ امتناع المسلمين من ركوب البحر للغزو في أوّل الأمر فقال :

(a) بولاق : خليفة . (b) ساقطة من بولاق . (c) ساقطة من بولاق .

^١ عن واقعة ذات الصّواري ، انظر فيما تقدم ٤٥٦:١ - ^٢ فيما تقدم ٤٥٦:١ - ٤٥٨ ، ٤٨٩ - ٤٩٠ ، ٥٧٦ - ٤٥٨ .

« والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه . والروم والفرجة لمارستهم أخواله ، ومزباهم في القلب على أعواده - مرنوا عليه وأحكموا الذرة » بثقافته .

فلما استقر الملك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة إليهم ببلغ صناعته ، واستخذموا من التوائية في حاجاتهم البخريه أمما ، وتكررت تمارستهم للبحر وثقافته ، استخذموا بصراء بها . فثقت أنفسهم^(١) إلى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن والشواني ، وشحوا الأساطيل بالرجال والسلاح ، وأعطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وتغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر وعلى ضفته ، مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس^(٢) .

وأول ما أنشئ الأسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المفضل ، عندما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين - وأمير مصر يومئذ غنبة بن إسحاق - / ١١:٢ فملكوها ، وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين ، وسبوا النساء والأطفال ، ومضوا إلى تيس فأقاموا بأشتموها^(٣) . فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول ، وصار من أهم ما يعمل بمصر ، وأنشئت الشواني برسم الأسطول ، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر ، وانتدب الأمراء له الرماة^(٤) .

فاجتهد الناس بمصر في تغليم أولادهم الرماة وجميع أنواع الحاربة ، وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو . وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمر الحرب . هذا للناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه ، لا جزم أنه كان لخدām الأسطول حرمة ومكانة ، ولكل أحد من الناس رغبة في أنه يعد من جملتهم ، فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه .

وكان من غزو الأسطول بلاد العدو ما قد شجنت به كُتُبُ التاريخ . فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا : ينال المسلمون من العدو وينال العدو منهم ، ويأسر بعضهم بعضا لكثرة

(a) مقدمة ابن خلدون : الدراية . (b) مقدمة ابن خلدون : فشرها . (c) هنا على هامش أبيصوفيا : يباض اثنا عشر سطرًا .

^١ ابن خلدون : المقدمة ٦٩٠ . Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*

pp. 77-79, 535-37.

^٢ انظر فيما تقدم ٢٨:١ وما ذكر من مراجع .

هُجُوم أساطيل الإسلام بِلَادِ الْعُدُوِّ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَسِيرُ مِنْ مِصْرَ وَمِنْ الشَّامِ وَمِنْ إِفْرِيقِيَّةَ . فَلِذَلِكَ اخْتِاجَ خُلَفَاءُ الْإِسْلَامِ إِلَى الْفِدَاءِ .

وكان ^١ أَوَّلُ فِدَائِهِ وَقَعَ بِمَالٍ فِي الْإِسْلَامِ أَيَّامَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَلَمْ يَقَعْ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِدَاءٌ مشهورٌ ، وَلَئِنَّمَا كَانَ يُفَادَى بِالنَّقَرِ بَعْدَ النَّقَرِ فِي سِوَا جِلِّ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَبِلَادِ مَلَطِيَّةٍ وَبَقِيَّةِ الثُّغُورِ الْحِزْبِيَّةِ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ خِلَافَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ .

الفداء الأول - بِاللَّامِسِ مِنْ سِوَا جِلِّ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ، قَرِيبًا مِنْ طَرُشُوسَ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَلِكِ الرُّومِ يَوْمَئِذٍ يَنْقُورُ بْنُ إِشْبَرَاقٍ [Nicephorus] . وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ مُعْتَسِكٌ بِمَرْجٍ دَائِقٍ مِنْ بِلَادِ قُسْطَرِينِ فِي أَعْمَالِ خَلْبَ ، فَفُودِيَ بِكُلِّ أَسِيرٍ كَانَ بِبِلَادِ الرُّومِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى .

^{١٠} وَخَصَّرَ هَذَا الْفِدَاءُ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، نَحْوَ مِنْ خَمْسٍ مِائَةٍ أَلْفٍ إِنْسَانٍ ، بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْغَدَدِ وَالْحَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَالْقُوَّةِ ، قَدْ أَخَذُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ ، وَضَاقَ بِهِمُ الْفَضَاءُ ، وَخَصَّصَتْ مَرَاكِبُ الرُّومِ الْحَرَبِيَّةِ ، بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الرُّيِّ ، مَعَهُمْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ . فَكَانَ عِدَّةُ مَنْ فُودِيَ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ أَسِيرٍ . وَأَقَامَ ابْنُ الرَّشِيدِ بِاللَّامِسِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا قَبْلَ الْأَيَّامِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْفِدَاءُ وَبَعْدَهَا .

^{١٥} وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي خَفْصَةَ ^٢ فِي هَذَا الْفِدَاءِ يُخَاطَبُ الرَّشِيدُ مِنْ أَيْتَابِ : [الطويل]

وَفُكَّتْ بِكَ الْأَسْرَى الَّتِي شُدَّتْ بِهَا مُحَابِسُ مَا فِيهَا حَمِيمٌ يَزُورُهَا
عَلَى حِينٍ أَغْنَى الْمُسْلِمِينَ فِكَائُهَا وَقَالُوا سُجُونُ الْمُشْرِكِينَ فُجُورُهَا ^٣

الفداء الثاني - كَانَ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ أَيْضًا بِاللَّامِسِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَمَلِكِ الرُّومِ يَنْقُورُ بْنُ إِشْبَرَاقٍ [Nicephorus] ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ ثَابِتُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ الْحِزْرَاعِيِّ أَمِيرِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ ،

^١ هذا الفصل نقله المقرئ من «التبعية والإشراف» خلكان: وفيات الأعيان ١٨٩:٥-١٩٣؛ الذهبي: سير للمسعودي ونجده فيه بين الصفحات من ١٨٩-١٩٥ .

^٢ أبو الشَّعْطِ وَيُقَالُ أَبُو الْهَيْثَمِ مَرْوَانُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي خَفْصَةَ الشَّاعِرِ الْأُمَوِيِّ ، التَّوْفَى سَنَةَ ١٨٢هـ/ ٧٩٨م ، مَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْأُمَرَاءَ وَذَاعَ شِعْرُهُ ، وَكَانَ بِخَيْلًا مُقْتَرًا عَلَى نَفْسِهِ . (راجع ، ابن المعتز : طبقات الشعراء ٤٢-٥٣ ؛ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ١٠: ٧١-٩٥ ؛ ابن

خلكان: وفيات الأعيان ١٨٩:٥-١٩٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤٢٢:٨-٤٢٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٤٤٧:٢٥-٤٥١؛ ونشر ديوان شعره حسين عطوان ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٣) .

^٣ المسعودي: التبعية والإشراف ١٨٩-١٩٠ (وسئاه فداء أبي سليم) .

وحَصَرَه أَلُوفٌ مِنَ النَّاسِ . وَكَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُوْدِي بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ^١ .

الفِداءُ الثالثُ - وَقَعَ فِي خِلَافَةِ الْوَاثِقِ ، بِاللَّامِشِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَلَكَ الرُّومَ مِيخَائِيلَ بْنِ ثِيوفِيلٍ . وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ خَاقَانُ [الْخَادِمِ] التُّرْكِي . وَعِدَّةُ مَنْ قُوْدِي بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَاثْنَانِ وَسِتُونَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى .

وَحَصَرَ مَعَ خَاقَانَ أَبُو زَمَلَةَ ، مِنْ قَبْلِ قَاضِي الْقَضَاةِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي ذُوَادٍ ، يَمْتَحِنُ الْأَشْرَى وَقَتَ الْمَغَادَاةِ ، فَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ قُوْدِي بِهِ وَأُحْسِنَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أُنَى ثَرْكَ بَأْرَضِ الرُّومِ . فَاخْتَارَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَى الرُّجُوعَ إِلَى أَرْضِ النُّصْرَانِيَّةِ عَلَى الْقَوْلِ بِذَلِكَ .

وَخَرَجَ مِنَ الْأَشْرَى مُسْلِمٌ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْحَرَمِيِّ ^٢ - وَكَانَ لَهُ مَخْلٌ فِي الثُّغُورِ - وَكُتِبَ مُصَنَّفَةٌ فِي « أَخْبَارِ الرُّومِ وَمُلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ » ، فَنَاقَتْهُ يَحْتَرِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ثُمَّ تَخَلَّصَ ^٣ .

الفِداءُ الرابعُ - فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكَّلِ عَلِيِّ اللَّهِ ، بِاللَّامِشِ أَيْضًا فِي شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَالْمَلِكُ مِيخَائِيلُ ، وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ شَتِيفُ خَادِمِ الْمُتَوَكَّلِ ، وَحَصَرَ مَعَهُ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيِّ الْقَاضِي ، وَعَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيَّ أَمِيرَ الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ . وَكَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُوْدِي بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَلْفَيْنِ رَجُلٌ وَمِائَةُ امْرَأَةٍ ، وَكَانَ مَعَ الرُّومِ مِنَ النُّصَارَى الْمَأْشُورِينَ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ مِائَةُ رَجُلٌ وَتَيْفٌ ، فَعَوَّضُوا مَكَانَهُمْ عِدَّةَ أَغْلَاجٍ ، إِذْ كَانَ الْفِدَاءُ لَا يَقَعُ عَلَى نَصْرَانِيٍّ وَلَا يَنْتَقِدُ ^٤ .

الفِداءُ الخامسُ - فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكَّلِ وَمَلَكَ الرُّومَ مِيخَائِيلُ أَيْضًا ، بِاللَّامِشِ مُسْتَهْلَ صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْأَرْمَنِيَّ أَمِيرَ الثُّغُورِ ، وَمَعَهُ نَصْرُ بْنُ الْأَزْهَرِ [الطَّائِي] الشُّيْعِيَّ - مِنْ شَيْعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ - الْمُرْسَلُ إِلَى الْمَلِكِ فِي أَثَرِ الْفِدَاءِ مِنْ قَبْلِ الْمُتَوَكَّلِ . وَكَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُوْدِي بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَلْفَيْنِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَسِتِينَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ^٥ .

^١ المسعودي : التتبع والإشراف ١٩٠ - (وسمى فداء ثابت) .

^٢ مسليم بن عبد الرحمن الحرزمي ، أخذ أبطال الإسلام

فداء خاقان .

في الفروسية . يضرب به المثل في ذلك ، قل من الروم مائة

^٤ نفسه ١٩١ (وسمى فداء شتيف) .

ألف ! توفي في حدود الثلاثين والمائتين . (الصفدي : الوافي

^٥ نفسه ١٩١ - ١٩٢ (وسمى فداء نصر بن الأزهر وعلي

ابن يحيى) .

بالوفيات ٥٧٩: ٢٥) .

الفداء السادس - كان في أيام المغتر، والملك على الروم بسيل، على يد شفيح الخادم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين^١.

الفداء السابع - في خلافة المغنطيد، باللامش في شوال سنة ثلاث وثمانين / ومائتين، وملك الروم أليون بن بسيل، وكان القائم به أحمد بن طغان، أمير الثغور الشامية وأنطاكية من قبيل الأمير أبي الجيش حمارونه بن أحمد بن طولون.

وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في سنة اثنتين وثمانين ومائتين، فقتل أبو الجيش بدمشق في ذي القعدة من هذه السنة، وتم الفداء في إمارة ولده بجيش بن حمارونه. وكان عدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام ألفين وأربع مائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنتى، وقيل ثلاثة آلاف^٢.

الفداء الثامن - في خلافة المكتفي، باللامش في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وملك الروم أليون أيضًا، وكان القائم به رستم بن شردو أمير الثغور الشامية. وكانت عدة من فودي به من المسلمين في أربعة أيام ألفا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنتى. وعرف بفداء القدر، وذلك أن الروم غدروا وانصرفوا ببيعة الأسارى^٣.

الفداء التاسع - في خلافة المكتفي، وملك الروم أليون، باللامش أيضًا في شوال سنة خمس وتسعين ومائتين، والقائم به رستم. وكانت عدة من فودي به من المسلمين ألفين وثمان مائة واثنين وأربعين من ذكر وأنتى^٤.

الفداء العاشر - في خلافة المغنطيد، باللامش في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاث مائة، وملك الروم قسطنطين بن أليون بن بسيل، وهو صغير في حجر أرمانوس. وكان القائم بهذا الفداء مؤنس الخادم، وبشير الخادم الأفشينى أمير الثغور الشامية وأنطاكية، والمتوسط له والمعاون عليه أبو حمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي التميمي الأذني؛ من أهل أدنة، وعدة من فودي به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وستة وثلاثون من ذكر وأنتى^٥.

^١ نفسه ١٩٢-١٩٣ (وسماه فداء رستم أيضًا، ويُعرف

بفداء الشام).

^٢ نفسه ١٩٢ (وسماه فداء ابن طغان).

^٣ نفسه ١٩٣ (وسماه فداء مؤنس).

^٤ نفسه ١٩٢ (وسماه فداء رستم ويُعرف بفداء القدر).

الفداء الحادي عشر - في خلافة المُقْتَدِر ، ومُلْك أزمانوس وقُسطنطين على الروم . وكان باللاميش في شهر رَجَب سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة ، والقائم به مُفْلِح الخادِم الأسود المُقْتَدِر ، وبشِير خَلِيفَة سَمَل الخادِم على الثُغُور الشَّامِيَة . وعِدَّة من قُودِيّ به من المسلمين في تسعة عشر يوماً ثلاثة آلاف وتسع مائة وثلاثة وثلاثون من ذَكَرٍ وَأُنْثَى^١ .

الفداء الثاني عشر - في خلافة الرّاضِي ، باللامِس ، في سَلَخ ذي القعدة وأيام من ذي الحِجَّة سنة ستّ وعشرين وثلاث مائة ، والمَلِكَان على الروم قُسطنطين وأزمانوس . والقائم به ابن وزقاء الشَّيْبَانِي من قِبَل الوَزِير أَبِي الفَتْح الفَضْل بن جَعْفَر بن الفُرات ، وبشِير الشَّعْلِي أمير الثُغُور الشَّامِيَة .

وعِدَّة من قُودِيّ به من المسلمين في ستة عشر يوماً ستة آلاف وثلاث مائة ونيف من ذَكَرٍ وَأُنْثَى . وبقي في أيدي الروم من المسلمين الأُمرَى ثمان مائة رَجُل رُذُوا ، فقُودِيّ بهم في عِدَّةٍ مِرَاوًا ، وزِيدُوا في الهُدْنَة بعد انقِضَاء الفِداء مُدَّة ستة أشهر ، لأَجَل من تَخَلَّف في أيدِ الروم من المسلمين ، حتى يَجْمَعَ الأُمَارَى منهم^٢ .

الفداء الثَّالِث عشر - في خلافة المُطْبِيع ، باللامِس في شهر ربيع الأوّل سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة . والمَلِك على الروم قُسطنطين . والقائم به نَصْر الشَّعْلِي من قِبَل سَيْف الدَّوْلَة أَبِي الحَسَنِ عَلِيّ ابن حَمْدَان ، صَاحِب جُنْد جَمْعٍ وَجُنْد قَتَشَرِينَ وَدِيَار بَكْرٍ وَدِيَار مِصْر وَالثُّغُور الشَّامِيَة وَالخَزَرِيَّة . وكانت عِدَّة من قُودِيّ به من المسلمين أَلْفَيْن وأربع مائة واثنين وثمانين من ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وقَصَلَ للروم على المسلمين قَوْضًا مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم . فَوَقَّاهُمْ سَيْف الدَّوْلَة ذَلِكَ ، وَحَمَلَهُ إِلَيْهِمْ .

وكان الذي شَرَعَ في هذا الفداء الأَمِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّد بن طُغْج الإخشيْد ، أَمِيرُ مِصْر والشَّام وَالثُّغُور الشَّامِيَة . وكان أَبُو عَمِيرٍ عَدِيّ بن أَحْمَد بن عبد الباقي الأَدْنِي شَيْخ الثُّغُور قَدِيمٌ إِلَيْهِ - وَهُوَ بِدِمَشْق - في ذي الحِجَّة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة - ومعه [يوانس الأَنْسِيْطُوس البَطْرِيْقُوس المَسْدُوقُوس المَتْرَهَب] رَسُولُ مَلِك الروم في إِمْتَام هذا الفِداء ، والإخشيْد شَدِيدُ الْعِلَّة ، فتوفي يوم الجمعة لثَمَانٍ خَلَوْنَ من ذي الحِجَّة منها .

^١ المسعودي : التنبيه والإشراف ١٩٣ ، (وسقاه فداء نفسه ١٩٣-١٩٤ ، (وسقاه فداء ابن وزقاء) .

مُفْلِح) .

وسار أبو الميثك كافور الإخشيدي بالجيش راجعاً إلى مصر، وحمل معه أبا غمير ورسول ملك الروم إلى فلسطين، فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال الفداء، فسارا إلى مدينة صور، وركبا البحر إلى طرسوس. فلما وصلوا كاتب نصر السعلي - أمير الثغور - سيف الدولة بن حمدان، ودعا له على منابر الثغور، فجد في إتمام هذا الفداء، فنيب إليه^١.
ووقعت أفدية أخرى ليس لها شهرة^٢.

فمنها فداء في خلافة المهدي محمد، على يد النقاش الأنطاكي.
وفداء في أيام الرشيد، في شوال سنة إحدى وثمانين ومائة، على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية.

وفداء في أيام الأمين، على يد ثابت بن نصر، في ذي القعدة سنة أربع وتسعين ومائة.
وفداء في أيام الأمين، على يد ثابت بن نصر أيضاً، في ذي القعدة سنة إحدى ومائتين.
وفداء في أيام المتوكل سنة سبع وأربعين ومائتين، على يد محمد بن علي.
وفداء في أيام المعتيد، على يد شفيع [ومحمد بن علي]، في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين^٣.

وفداء كان في الإسكندرية، في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة، خرج فيه أبو بكر محمد بن علي الماذرائي من مصر، ومعه الشريف أبو القاسم^(a) الرشي^(b)، والقاضي أبو حفص عمر بن الحسين العبّاسي وحفزة بن محمد الكتاني^(c)، في جفع كبير. وكانت عدة / من فودي به من المسلمين ستين نفسا بين ذكر وأنثى.

فلما سار الروم إلى البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاث مائة، اشتد أمرهم بأخذهم البلاد. وقويت العناية بالأسطول في مصر منذ قديم الميز لدين الله، وأنشأ المراكب الحربية، واقتدى به بنوه - وكان لهم اهتمام بأمر الجهاد^٤، واغتناء بالأسطول - وواصلوا إنشاء المراكب بمدينة مصر

(a) عياض في أباصوفيا. (b) بولاق: الرئيس. (c) بولاق: الكتاني.

^١ المسعودي: التعبه والإشراف ١٩٤-١٩٥، (وتشاه
فداء ابن حمدان). منها ٥.... (التبعية ١٩٥).

^٢ نص المسعودي: وهذا آخر فداء كان بين المسلمين
والروم إلى وقتنا المؤرخ به كتابنا، وقد ذكرت أفدية غير هذه
^٣ نفسه ١٩٥.
^٤ مصدر المعلومات التالية هو ابن الطوير في كتابه =

والإشكندرية ودمياط، من الشواني الحربية والشلنديات والمستطحات وتشييرها إلى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان.

وكانت بجريدة قواد الأسطول في آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مئونة، منهم عشرة أعيان يقال لهم «القواد» - واحدهم قائد - وتصل جاتيكية كل واحد منهم إلى عشرين دينارًا، ثم إلى خمسة عشر دينارًا، ثم إلى عشرة دنانير، ثم إلى ثمانية، ثم إلى دينارين وهي أقلها. ولهم إقطاعات تعرف بـ «أبواب الغزاة» بما فيها من التطرون، فيصل دینارهم بالمناسبة إلى نصف دينار.

وكان يُعَيَّن من القواد العشرة واحد، فيصير رئيس الأسطول، ويكون معه المقدم والفانوس^(a). فإذا ساروا إلى الغزو كان هو الذي يطلع بهم، وبه يقتدي الجميع، فيرسون بإرسائه، ويقبلون بإقلاعه.

ولا بد أن يقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسًا، ويتولى الثقة في غزاة الأسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير. فإذا أراد الثقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة - وكانت في أيام الميز لدين الله تزيد على ست مائة قطعة - وآخر ما صارت إليه في آخر الدولة نحو الثمانين شيئًا^(b)، وعشر مستطحات، وعشر حمالة فما تقصر عن مائة قطعة - فيتقدم إلى الثقباء بإحضار الرجال - وفيهم من كان يتعيش بمصر والقاهرة، وفيهم من هو خارج عنهما - فيتجمعون.

وكانت لهم المشاهدة والجرايات في مدة أيام سفرهم، وهم معروفون عند عشرين غريبًا يقال لهم «الثقباء» - واحدهم ثقيب - ولا يُكره أحد على السفر. فإذا اجتمعوا أعلم الثقباء المقدم، فأعلم بذلك الوزير، فطالع الوزير الخليفة بالخال، فقرر يومًا للثقة، فحضر الوزير بالاستدعاء من ديوان الإنشاء على العادة. فيجلس الخليفة على هيئته في مجلسه، ويجلس الوزير في مكانه، ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما: المشتوفي والكاتب، والمشتوفي هو أميرهما، فيجلس من داخل عتبة المجلس، وهذه رتبة له يتميز بها، ويجلس بجانبه من وراء العتبة

(a) بولاق: القاوش. (b) بولاق: شونه.

كَاتِبِ الْجَيْشِ فِي قَاعَةِ الدَّارِ عَلَى حُضْرٍ مَفْرُوشَةٍ. وَشَرَطَ هَذَا الْمُشْتَوْفِي أَنْ يَكُونَ غَدْلًا، وَمِنْ أَعْيَانِ الْكُتَّابِ - وَيُسَمَّى الْيَوْمَ فِي زَمَنِنَا نَاطِرُ الْجَيْشِ - وَأَمَّا كَاتِبُ الْجَيْشِ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ يَهُودِيًّا. وَيُقَرَّشُ أَمَامَ الْمَجْلِسِ الَّذِي فِيهِ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ أَنْطَاخُ تُصَبُّ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمُ، وَيَحْضُرُ الْوُزَّانُونَ بَيْتَ الْمَالِ لَذَلِكَ.

- ٥ فإذا تهيأ الإنفاقُ أُذْخِلَ الْغُرَّةُ مَائَةٌ مَائَةٌ، فَيَقْفُونَ فِي أَخْرِيَاتٍ مِنْ هُوَ وَاقِفٍ فِي الْخِدْمَةِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ نِقَابَةً نِقَابَةً، وَتَكُونُ أَشْمَاؤُهُمْ قَدْ رُتِبَتْ فِي أَوْرَاقٍ لَاسْتَدْعَائِهِمْ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ. فَيَسْتَدْعِي مُشْتَوْفِي الْجَيْشِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْرَاقِ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، فَإِذَا خَرَجَ اسْمُهُ غَبَرَ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَإِذَا تَكَمَّلَتْ عَشْرَةُ وَزَنَ الْوُزَّانُ^(a) لَهُمُ التَّقْفَةَ. وَكَانَتْ مُقَرَّرَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ خَمْسَةُ دَنَانِيرٍ، صَرُوفُ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَاحِدًا بِدِينَارٍ، فَيُسَلَّمُهَا لَهُمُ التَّقِيبُ، وَتُكْتَبُ بِاسْمِهِ وَبِيَدِهِ. وَتَمْضِي التَّقْفَةُ هَكَذَا إِلَى آخِرِهَا.

١٠ فإذا تَمَّ ذَلِكَ رَكِبَ الْوَزِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ، وَانْفَضَّ ذَلِكَ الْجَمْعُ. فَيَحْمَلُ إِلَى الْوَزِيرِ مِنَ الْقَصْرِ مَائِدَةً يُقَالُ لَهَا «غَدَاءُ الْوَزِيرِ»، وَهِيَ سَبْعُ مَخْفِيَّاتٍ^(b) أَوْسَاطُ: إِحْدَاهُمَا بَلْعَمُ الدَّجَاجِ وَفُشْتَقُ مَعْمُولَةٌ بِصِنَاعَةِ مُحْكَمَةٍ، وَالبَقِيَّةُ شِوَاءٌ، وَهِيَ مَكْمُورَةٌ بِالْأَزْهَارِ. فَتَكُونُ التَّقْفَةُ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةَ أَيَّامٍ، مُتَوَالِيَةً مَرَّةً وَمُتَفَرِّقَةً مَرَّةً.

- ١٥ فإذا تَكَامَلَتِ التَّقْفَةُ، وَتَجَهَّزَتِ الْمَرَائِبُ وَتَهَيَّأَتِ لِلسَّفَرِ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى سَاحِلِ النَّيْلِ بِالْمَقْسِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ^١ - وَكَانَ هُنَاكَ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ بِالْجَامِعِ مَنَظَرَةٌ يَجْلِسُ فِيهَا الْخَلِيفَةُ بِرَسْمِ وَدَاعِ الْأَشْطُولِ وَلِقَائِهِ إِذَا عَادَ. فَإِذَا جَلَسَ لِلْوَدَاعِ، جَاءَتِ الْقَوَاذِ بِالْمَرَائِبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هُنَاكَ لِلْحَرَكَاتِ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ بِأَشْلِيحَتِهَا وَلِبُودِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْمُتَعَجِّبَاتِ، فَيَرْمِي بِهَا وَتُنَحِّدُ الْمَرَائِبُ وَتُقْلِعُ، وَتَقْعَلُ سَائِرُ مَا تَفْعَلُهُ عِنْدَ إِقْلَاعِ الْقَدُورِ.

- ٢٠ ثُمَّ يَخْضَرُ «الْمُقَدَّمُ» وَ«الرَّئِيسُ» إِلَى بَيْنِ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ فَيُوصِيهِمَا^(c)، وَيَدْعُو لِلْجَمَاعَةِ بِالتَّضَرُّعِ وَالسَّلَامَةِ، وَيُقْطَعُ لِلْمُقَدَّمِ مِائَةُ دِينَارٍ وَلِلرَّئِيسِ عِشْرِينَ دِينَارًا، وَيُنَحِّدُ الْأَشْطُولُ إِلَى دِمْيَاطَ،

(a) بولاق : الوزانون. (b) النسخ وبولاق : مجنفات، والمثبت من المسودة. (c) بولاق : فيودعهما.

^١ ابن الطوير : نزعة المقلتين ٩٥-٩٨ الفلقشندي : ٢٩٤-٢٩٧؛ وفيما تقدم ٥٧١:٢-٥٧٣. صبح الأعشى ٥١٩:٣-٥٢٠؛ المقرري : مسودة المراءظ

ومن هناك يُخْرَج إلى بَحْرِ الْمَلْح ، فيكون له بِلاد الْعُدُو صِيَتْ عَظِيمٌ وَمِهَابَةٌ قُوَّةٌ .

والعَادَةُ أَنَّهُ إِذَا غَنِمَ الْأَشْطُولُ مَا عَسَى أَنْ يَغْنَمَ ، لَا يَتَقَرَّضُ السُّلْطَانُ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ أَلْبَنَةٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَشْرَى وَالسَّلَاحِ فَإِنَّهُ لِلْسُّلْطَانِ ، وَمَا عَدَاهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالثِّيَابِ وَنَحْوِهَا فَإِنَّهُ لُغْرَاةُ الْأَشْطُولِ لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ^١ . فَإِذَا قَدِمَ الْأَشْطُولُ خَرَجَ الْخَلِيفَةُ أَيْضًا إِلَى مَنْظَرَةِ الْمُقَسِّ وَجَلَسَ فِيهَا لِلِقَائِهِ .

وَقَدِمَ الْأَشْطُولُ مَرَّةً بِأَلْفٍ وَخَمْسٍ مِائَةٍ أَسِيرٍ . وَكَانَتِ الْعَادَةُ أَنَّ الْأَشْرَى يُنْزَلُ بِهِمْ فِي الْمُنَاحِ ، وَتُضَافُ الرِّجَالُ إِلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الْأَشْرَى ، وَيُخَصَّنَى بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ إِلَى الْقَضَرِ بَعْدَمَا يُعْطَى مِنْهُمْ الْوَزِيرُ طَائِفَةٌ . وَيُفَرَّقُ / مَا بَقِيَ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى الْجِهَاتِ وَالْأَقَارِبِ فَيَسْتَعْدِمُونَهُنَّ ، وَيَرْبُونَهُنَّ حَتَّى يُتَقَنَّ الصَّنَائِعَ . وَيُدْفَعُ الصَّغَارُ مِنَ الْأَشْرَى إِلَى الْأَشْتَادِينَ فَيَرْبُونَهُمْ وَيَتَعَلَّمُونَ الْكِتَابَةَ وَالرِّمَاطَةَ ، وَيَقَالُ لَهُمْ « الثَّرَايِي » ، وَفِيهِمْ مِنْ صَارَ أَمِيرًا مِنْ صِيبِيَانِ خَاصَّ الْخَلِيفَةِ .

وَمِنَ الْأَشْرَى مَنْ كَانَ يُسْتَرَابُ بِهِ فَيُقْتَلُ . وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ شَيْخًا لَا يُتَمَتَّعُ بِهِ ضَرِبَتْ عَنْقُهُ ، وَأَلْقِيَ فِي بَقَرٍ كَانَتْ فِي خَرَائِبِ مِصْرَ تُعْرَفُ بِبَعْرِ الْمَنَامَةِ .

وَلَمْ يُعْرَفْ قَطُّ عَنِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ أَنَّهَا فَادَتْ أَسِيرًا مِنَ الْفِرْنَجِ بِمَالٍ وَلَا بِأَسِيرٍ مِثْلِهِ . وَكَانَ الْمُتَّفَقُ فِي الْأَشْطُولِ كُلِّ سَنَةٍ خَارِجًا عَنِ الْعُدَدِ وَالْآلَاتِ

(a) ٢ .

وَلَمْ يَزَلِ الْأَشْطُولُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ كَانَتْ وَزَارَةُ شَاوَرٍ ، وَنَزَلَ مُرَي [Amaury] مَلِكُ الْفِرْنَجِ عَلَى يَزْكَةِ الْحَبَشِ ، فَأَمَرَ شَاوَرٌ بِتَحْرِيقِ مِصْرَ وَتَحْرِيقِ مَرَائِبِ الْأَشْطُولِ ، فَحُرِّقَتْ وَنَهَبَتْهَا الْعَبِيدُ فِيهَا نَهَبُوا^٢ .

فَلَمَّا كَانَ زَوَالُ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، اغْتَنَى أَيْضًا بِأَمْرِ الْأَشْطُولِ ، وَأَفْرَدَ لَهُ دِيوَانًا عُرِفَ بِهِ « دِيوَانُ الْأَشْطُولِ » ، وَعَيْنٌ لِهَذَا الدِّوَانِ الْفَيُومُ بِأَعْمَالِهَا ، وَالْحَبْسُ الْجَيُوشِي فِي الْبَرْتَيْنِ الشَّرْقِيِّ وَالْغَرْبِيِّ . وَهُوَ مِنَ الْبَرِّ الشَّرْقِيِّ تَهْنِيتُ^(b) وَالْأَمِيرِيَّةُ وَالْمُنِيَّةُ ، وَمِنَ الْبَرِّ الْغَرْبِيِّ نَاحِيَةُ سَفْطٍ وَنَهْيَا وَوُسَيْمٍ وَالْبَسَاتِينَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ .

(a) يياض بآياصوفيا . (b) بولاقي : بهتين .

^٢ انظر فيما تقدم ٥٦٤:٢-٥٦٥ .

^١ ابن الطوير : نزعة المقتلين ٩٨-١٠٠ ، للمقريزي :

^٣ فيما تقدم ١٤٢:٢-١٤٦ .

مسودة المواظ ٢٩٧-٢٩٩ ، وفيما تقدم ٥٦٣:٢-٥٦٤ .

وعَيْنُ له أَيْضًا الْحَرَّاجُ^(٨)، وهو أشجارٌ من سَنَط لا تُحْصَى كَثْرَةً، في البَهْنَسَاوِيَّةِ وَسَفَط رِيشِينَ وَالْأَشْشَوَيْنِ وَالْأَشْيُوطِيَّةِ وَالْإِخْمِيمِيَّةِ وَالْقُوصِيَّةِ... لم تَزَلْ بهذه التَّوَاحِي لا يُقْطَعُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَكَانَ فِيهَا مَا تَبْلُغُ قِيَمَةُ الْعُودِ الْوَاحِدِ مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ - وَقَدْ ذُكِرَ خَيْرُ هَذَا الْحَرَّاجِ^(٩) فِي ذِكْرِ أَقْسَامِ مَالِ مِصْرَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^١ - وَعَيْنُ له أَيْضًا النَّطْرُونَ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ صَمَاتُهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِينَارٍ.

ثُمَّ أَفْرَدَ لِدِيَّانِ الْأَشْطُولِ، مَعَ مَا ذُكِرَ، الرُّكَاةَ الَّتِي كَانَتْ تُجَنَّبِي بِمِصْرَ، وَبَلَغَتْ فِي سَنَةِ زِيَادَةَ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَفْرَدَ لَهُ الْمَرَائِبَ الدِّيَّوَانِيَّةَ وَنَاجِيَةَ أَشْنَايَ وَطَنْبُذَى. وَسَلَّمَ هَذَا الدِّيَّوَانِ لِأَخِيهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَيُّوبَ، فَأَقَامَ فِي مُبَاشَرَتِهِ وَعِمَالَتِهِ صَفِيَّ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَلِيٍّ بْنِ شُكْرٍ. وَتَقَرَّرَ دِيَّوَانُ الْأَشْطُولِ الَّذِي يَنْفَقُ فِي رَجَالِهِ نِصْفَ وَرُئُوعِ دِينَارٍ، بَعْدَ مَا كَانَ يَنْصَفُ وَثَمَنَ دِينَارٍ^٢.

فَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ، اسْتَمَرَّ الْحَالُ فِي الْأَشْطُولِ قَلِيلًا، ثُمَّ قَلَّ الْإِهْتِمَامُ بِهِ، وَصَارَ لَا يُفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. فَإِذَا دَعَتِ الصُّرُورَةُ إِلَى تَجْهِيزِهِ، طُلِبَ لَهُ الرُّجَالُ، وَقُبِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطُّرُقَاتِ، وَقِيدُوا فِي السَّلَاسِلِ نَهَارًا، وَشَجِنُوا فِي اللَّيْلِ حَتَّى لَا يَهْزُبُوا، وَلَا يُصَرَّفَ لَهُمْ إِلَّا شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنَ الْخُبْزِ وَنَحْوِهِ، وَرُبَّمَا أَقَامُوا الْأَيَّامَ بِغَيْرِ شَيْءٍ كَمَا يُفْعَلُ بِالْأَشْرَى مِنَ الْقَدَوِّ.

فَصَارَتْ خِدْمَةُ الْأَشْطُولِ عَازًا يُسَبِّبُ بِهِ الرُّجَالُ، وَإِذَا قِيلَ لِرَجُلٍ فِي مِصْرَ «يَا أَشْطُولِي» غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، بَعْدَ مَا كَانَ حُدَامُ الْأَشْطُولِ يُقَالُ لَهُمْ: «الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَالْعَزَاءُ فِي أَغْدَاءِ اللَّهِ^٣، وَيَتَّبِعُونَكَ بِدُعَائِهِمُ النَّاسَ.

ثُمَّ لَمَّا انْقَرَضَتْ ذُرَّةُ بَنِي أَيُّوبَ، وَتَمَلَّكَ الْأَتْرَاكُ الْمَمَالِكُ مِصْرَ، أَهْمَلُوا أَمْرَ الْأَشْطُولِ. إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبُوسَ الْبَنْدُقْدَارِي، فَتَنَظَّرَ فِي أَمْرِ الشُّوَانِي الْحَرِيَّةِ، وَاسْتَدْعَى بِرَجَالِ الْأَشْطُولِ - وَكَانَ الْأَمْرَاءُ قَدْ اسْتَمْتَلَوْهُمْ فِي الْحَرَارِيقِ وَغَيْرِهَا - وَنَذَبَهُمْ لِلشَّقَرِ، وَأَمَرَ بِمَدِّ الشُّوَانِي وَقَطْعِ الْأَشْخَابِ لِمَحَارَبَتِهَا، وَإِقَامَتِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ

(٨) بولاق: الحراج.

^١ فيما تقدم ١: ٢٨٨، ٢٩٨.

^٢ فيما تقدم ١: ٢٩١-٢٩٣.

الملك الصالح نجم الدين أيوب ، واختَزَر على الحراج^٥، وَمَتَعَ النَّاسَ من التصرف في أَعْوَادِ الْعَمَلِ ، وَتَقَدَّمَ بِعِمَارَةِ الشُّوَانِي فِي تَغْرِیِ الإسْكَندَریةِ وَدِمَیاط . وَصَارَ یَنْزِلُ بِنَفْسِهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ ، وَیَرْتُبُ مَا یَجِبُ تَرْتِیهِ فِي عَمَلِ الشُّوَانِي وَمَصَالِحِهَا ، وَاسْتَدْعَى بِشُوَانِي الثُّغُورِ إِلَى مِصْرَ ، فَبَلَغَتْ زِیَادَةُ عَلَى أَرْبَعِينَ قِطْعَةً ، سِوَى الْحَرَارِیقِ وَالطَّرَائِدِ فَإِنَّهَا كَانَتْ عِدَّةً كَثِیرَةً ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ سِتِّینَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

ثم سَارَتْ ثُرَیدُ قُبُورِسَ ، وَقَدْ عَمِلَ ابْنُ حَشُونِ رَئِیسَ الشُّوَانِي فِي أَهْلَامِهَا النُّصْلَانِ^١ ، یُرِیدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَحْفَى إِذَا غَبَرَتِ الْبَحْرُ عَلَى الْفِرْجِ حَتَّى تَطُوقَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ ، فَكَرِهَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا قَارَبَتْ قُبُورِسَ ، تَقَدَّمَ ابْنُ حَشُونِ فِي اللَّیْلِ لِيَهْجُمَ الْمِیْنَاءَ ، فَصَدَّمَ الشُّونَةُ الْمُقَدَّمَةَ شِغْبًا فَانْكَسَرَتْ ، وَتَبِعَتْهَا بَقِیَّةُ الشُّوَانِي فَتَكَسَّرَتْ الشُّوَانِي كُلُّهَا^٢ . وَعَلِمَ بِذَلِكَ مُتَمَلِّكُ قُبُورِسَ^٣ ، فَأَسْرَ كُلَّ مَنْ فِيهَا ، وَأَحَاطَ بِمَا مَعَهُمْ ، وَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ یُقَرِّعُهُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَأَنَّ شَوَانِيَهُ قَدْ تَكَسَّرَتْ وَأَخَذَ مَا فِيهَا - وَغَدَّتْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ شُونَةً - وَأَسْرَ رِجَالَهَا . فَحَمِدَ السُّلْطَانُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْذُ مُلْكُنِي اللَّهُ تَعَالَى ، مَا تُخْذِلُ لِي عَشْكَرًا وَلَا ذَلَّتْ لِي رَايَةٌ ، وَمَا زِلْتُ أَحْشَى الْعَيْنَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِهَذَا وَلَا بَغِيرِهِ »^٤ .

وَأَمَرَ بِإِنْشَاءِ عَشْرِينَ شُونَةً ، وَأَخْضَرَ خُمْسَ شَوَانِي كَانَتْ عَلَى مَدِیْنَةِ قُوصَ مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ ، وَلَازِمَ الرُّكُوبَ إِلَى صِنَاعَةِ الْعِمَارَةِ بِمِصْرَ كُلَّ یَوْمٍ ، فِي مُدَّةِ شَهْرِ الْحَرَمِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ إِلَى أَنْ تَنْجُزَتْ ، فَلَمَّا كَانَ فِي نِصْفِ الْحَرَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ زَادَ الثَّیْلُ حَتَّى لَیَبَتْ الشُّوَانِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَانَ یَوْمًا مَشْهُودًا^٥ .

(a) يولاقي : الحراج . (b) على هامش آياصوفيا : بياض ثمانية أسطر .

^١ الخبر عند بيرس الدوادار أن تطلی الشُّوَانِي بِالْقَارِ ويعمل عليها النُّصْلَانُ لَتَشْتَبِهَ عَلَى الْفِرْجِ بِشَوَانِيهِمْ (زبدة الفكرة ١٢٩ ، وكذلك البيني : عقد الجمان ٧٤:٢ فهو ينقل عن بيرس الدوادار) .

^٢ انظر خبر حملة قبرس كذلك عند ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٣٨٦-٣٨٧ ؛ بيرس الدوادار : زبدة الفكرة ١٢٩-١٣٠ ؛ التويري : نهاية الأرب ١٧٨:٣٠-١٧٩ .

^٣ متملك قُبُورِسَ هو Hugh de Lusignan .

^٤ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٥٥:٧ .

ابن أبيك : كنز الدرر ٨: ١١٦٢ المقيزي : السلوك ٥٩٣-٥٩٤ ؛ البيني : عقد الجمان ٧٣:٢-٧٦ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٥٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ٤٧-٤٩ .

وفي سنة اثنتين وتسعين وست مائة، تقدّم السلطان الملك الأشرف الدين خليل ابن قلاوون إلى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن الشلغوس، بتجهيز أفر الشواني، فنزل إلى الصناعة، واستدعى الرئيس، وهما جميع ما تحتاج إليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين / شونة، وشحنها بالعدد وآلات الحرب، ورثب بها عدة من المالك السلطانية وألبسهم السلاح. فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام، وصنعوا لهم قُصوراً من خشب وأخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة، واكثروا الشاحات التي قدام الدور والزراعي بالمائتي درهم كل زوية فما دونها، بحيث لم يتق يتت بالقاهرة ومصر إلا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك، فصار جمعاً عظيماً.

وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة يوم^(أ) والناس قد ملأوا ما بين المقياس إلى بُستان الخشاب إلى بولاق، ووقف السلطان ونائبه الأمير يتدرا وبقية الأمراء قدام دار الثحاس، ومُنِع الحُجاب من التعرض لطرد العائمة. فبرزت الشواني واحداً بعد واحد^(ب)، وقد عُجِلَ في كل شونة بُرج وقلعة تحاصر، والقتال عليها ملح، والتقط يُرمى عليها، وعدة من الثقابين في إعمال الحيلة في الثقب، وما منهم إلا من أظهر في شونته عملاً مُعجِلاً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه.

وتقدّم^(ج) ابن موسى الراعي، وهو في مركب نيلية، فقرأ قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية ٤١ سورة هود]، ثم تلاها بقراءة قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية ٢٦ سورة آل عمران] إلى آخر الآية... هذا والشواني تتواصل بمحاربة بعضها بعضاً إلى أن أُذِنَ لصلاة الظهر، فمضى السلطان بعسكره عائداً إلى القلعة. فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم.

وكان شيقاً بجَلِّ وصفه، وأنفق فيه مال لا يُعد، بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ست مائة درهم فما دونها. وكان الرجل الواحد يُؤخذ منه أجرة ركوبه في المركب خمسة دراهم، وحصل لعدة من الثواتية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم. وكان الخبز يُباع اثنا عشر رطلاً بدينهم، فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة أظال بدينهم. فبلغ خبر الشواني إلى بلاد الفرنج، فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح.

فلما كان المحرم سنة اثنتين وسبع مائة، في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون، تجهزت الشواني

(أ) ساقطة من بولاق. (ب) بولاق: واحدة بعد واحدة. (ج) ياض في آياصوفيا.

بالعدد والسلاح والنفطية والأزودة ، وعُيِّنَ لها جماعة من أجناد الحلقة ، وألزم كل أمير مائة بإرسال رجلين من عدته ، وألزم أمراء الطبلخانة والعشروات بإخراج كل أمير من عدته رجلاً ، وتُدبُّ الأمير سيف الدين كهرداش المنصوري الزرق إلى السفير بهم ، ومعه جماعة من تماليك السلطان الزرقين ، وزُيِّنَت الشواني أحسن زينة . فخرج معظم الناس لرؤيتها ، وأقاموا يومين بلياليهما على الساحل بالبرين . وكان جشعاً عظيماً إلى الغاية ، وتلفت أجرة الموكب الصغير مائة درهم لأجل الفرجة .

ثم ركب السلطان بكرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ، ومعه الأمير سلال النائب والأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء والعسكر ، فوقفتم الممالك على البر نحو بُمُشان الخشاب ، وعدى الأمراء في الحراريق إلى الروضة . وخرجت الشواني واحداً بعد واحد^(١) فلعبت منها ثلاثة ، وخرجت الرابعة وفيها الأمير أقوش القاري ، من مئنة^(٢) الصناعة حتى توسط البحر ، فلعب بها الرياح إلى أن مالت ، وانقلبت فصار أعلاها أسفلها . فتداركها الناس ، ورفعوا ما قدروا عليه من العدد والسلاح ، وسلمت الرجال فلم يُقدم منهم سوى أقوش وحده . فتكد الناس ، وعاد الأمراء إلى القلعة بالسلطان ، وجهز شيني^(٣) عوضاً من الذي عرق^(٤) .

وساروا إلى مئنة^(٥) طرائلس - ثم ساروا - ومعهم عدة من طرائلس - فأشرفوا من الغد على جزيرة أزواد من أعمال قُبُرس ، وقاتلوا أهلها وقتلوا كثيراً منهم^(٦) ، وملكوها في يوم الجمعة ثامن عشرين صفر ، واستولوا على ما فيها ، وهدموا أسوارها ، وعادوا إلى طرائلس ، وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان ، واقتسموا ما بقي منها ، وكان معهم مائتان وثمانون أسيراً ، فسُرَّ السلطان بذلك شرواً كثيراً^(٧) .

صناعة القس

قال ابن أبي طي في « تاريخه » عند ذكر وفاة المبعز لدين الله : إنه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس ، وأنشأ بها ست مائة موكب لم يُر مثلاً في البحر على مدينة^(٨) .

(a) بولاق : واحدة بعد واحدة . (b) بولاق : منها . (c) بولاق : شونه . (d) بولاق : عوضاً عن التي عرفت . (e) بولاق :

أكثرهم . (f) في هامش أبياصوفيا : ياض صفحة ومبعة أسطر . (g) بولاق : منها .

وقال المسيحي: إِنَّ الغَزِيرَ بالله بن المَعِزِّ هو الذي بَنَى دَارَ الصَّنَاعَةِ التي بالمنس؛ وعَمِلَ المراكِب التي لم يُر مثُلها فيما تَقَدَّمَ كِبَرًا ووثاقَةً وحشَنًا.

وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلاث مائة: ووَقَّعَت نَارٌ في الأُسْطُول وَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ لَسْتُ بَقِيْنَ من شهر ربيع الآخر فَأُخْرِقَت خَمْسُ عَشَارِيَاتٍ، وَأَتَتْ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الأُسْطُولِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ سِتَّةِ مَرَاكِبٍ فَارِغَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا. فَحَمَلَ الْبُخْرِيُّونَ السَّلَاحَ، وَأَتَهَشُّوا الرُّومَ النَّصَارَى - وَكَانُوا مُقِيمِينَ بِدَارِ مَايْكَ بِجَوَارِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي بِالْمَنْسِ^١ - وَحَمَلُوا عَلَى الرُّومِ هُمْ وَجَمْعٌ مِنَ الْعَائِمَةِ مَعَهُمْ، فَتَهَبَّؤُا أَمِيقَةً الرُّومَ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ وَسَبْعَةَ رِجَالٍ، وَطَرَّحُوا جُسُثَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ، وَأَخَذَ مِنْ بَقِي فَحْبَسَ بِصِنَاعَةِ الْمَنْسِ^٢.

ثم حَضَرَ عِيسَى بْنُ نَسْطُورِيسَ، خَلِيفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْغَزِيرِ بالله في الأَمْوَالِ وَوُجُوهِهَا بِدِيَارِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ، وَمَعَهُ بَايَسُ الصَّفَلِيِّ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ خَلِيفَةُ الْغَزِيرِ بالله عَلَى الْقَاهِرَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ - وَمَعَهُمَا مَسْغُودُ الصَّفَلِيِّ مُتَوَلِّي الشَّرْطَةِ. وَأَخْضَرُوا الرُّومَ مِنَ الصَّنَاعَةِ، /فَاغْتَرَفُوا بِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَخْرَقُوا الأُسْطُولَ.

فَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْغَزِيرِ بالله - وَهُوَ مَبْرُزٌ يُرِيدُ الشَّفَرَ إِلَى الشَّامِ - وَذُكِرَ لَهُ فِي الْكِتَابِ خَبَرُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الرُّومِ وَمَا نُهَبَ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ فِي النَّهْبِ مَا يَبْلُغُ تِسْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.

^١ وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ كَذَلِكَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَوْرَدَهَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْطَاكِيُّ (تَارِيخُ ١٧٨-١٧٩) وَخَدَّدَ أَنَّ الرُّومَ الْمُقِيمِينَ بِدَارِ مَايْكَ كَانُوا مِنَ الْمَلَانِيَّةِ Amalfitins نَسَبًا إِلَى مَدِينَةِ أَمَالْفِي Amalfi الْإِيطَالِيَّةِ، رَاجِعْ كَذَلِكَ الْمَسِيحِيُّ: نَصْرُوسُ ضَائِعَةٌ ١٥-١٦، النُّورِيُّ: نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٨: ١٦٣، الْقُرَيْبِيُّ: انْعَاظُ الْحَنَفَا ١: ٢٩٠، وَأَيْضًا CAHEN, Cl., «Un texte peu connu relatif au commerce oriental d'Amalfi au X^e siècle», *Archive storico per le provencie napolitane* (1953-54), pp. 3-8; id., «Le commerce d'Amalfie dans le proche - orient musulman avant et après la Croisade», *comptes rendus d'Académie des Inscriptions & Belles - Lettres* (1977), pp. 292-94.

^٢ رَغِمَ أَنْ نَحْنُ الْمَسِيحِيُّ ذَكَرَ خَطَأً أَنَّ دَارَ مَايْكَ، كَانَتْ تَقَعُ فِي الْمَنْسِ، فَإِنَّهُ صَوَّبَ ذَلِكَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م وَذَكَرَ دَارَ مَايْكَ بَيْنَ الدُّوَرِ الْوَاقِعَةِ فِي الْفَسْطَاطِ (أَخْبَارُ مِصْرَ ٦٩). وَتَظْهَرُ دَارُ مَايْكَ فِي أَوْرَاقِ الْجَنِيْزَةِ كَمَكَانٍ لِلذَّلْعِ الْمَكْرُوسِ عَلَى عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ السَّلْعِ الْوَارِدَةِ وَعَلَى تِجَارَةِ الْقُبُورِ، وَعَلَى الْأَخْصِ أَمْصَافِ تِجَارَةِ الْجَمَلَةِ كَالْكُكَّانِ وَالتَّوَابِلِ. (Goitein, S.D., «Mediterranean Trade in the Eleventh Century Some Facts and Problems», in Cook, M.A. (ed.) *Studies in the Economic History of the Middle East*, London - Oxford University Press 1970, p. 53; id., *A Mediterranean Society* IV, p. 27؛ أَيْمَنُ فَوَّادٍ: الدَّوْلَةُ الْفَاتِمِيَّةُ فِي مِصْرَ ٤٨٧-٤٨٨، ٧٣٣).

فطاف أصحاب الشرط في الأسواق يسجل فيه الأمر برّد ما نُهب من دار مانك وغيرها،
والتوّعد لمن ظهّر عنده منه شيء، وحفظ أبو الحسن يانيس البلد، وضبط الناس.

وأمر عيسى بن نسطورس أن يمدّد للوقت عشرون مركبا، وطرح الخشب، وطلب الصنائع،
وبات في الصناعة، وجدّ الصنائع في القتل. وبات^{١٨} أخذات الناس وعائتهم يلعبون برؤوس
القنلى، ويحرون بأرجلهم في الأسواق والشوارع، ثم قزنوا بعضهم إلى بعض على ساجل النبل
بالمقّس، وأخرقوا يوم السبت.

وضرب بالجزس في البلدان أن لا^{١٩} يتخلف أحد ممن نهب شيئا حتى يُخضّر ما نهبه ويؤدّه،
ومن علّم عليه بشيء أو كتم شيئا أو جمعه أو أخّره، خلّت به العقوبة الشديدة. وتبيّع من
نهب، فقبض على عدّة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم، وضرب ثلاثة وعشرون رجلا
بالسياط، وطيف بهم وفي غنق كل واحد رأس رجل من قتل من الزوم، وحبس عدّة أناس، وأمر
بضرب من ضربت أعناقهم فضلبوا عند كوم دينار، ورذ المصروبون إلى المطبق. وكان ضرب من
ضرب من التهابة، وقتل من قتل منهم برفاع كبيت لهم. تناول كل واحد منهم رُقعة فيها
مكتوب إما بقتل أو ضرب، فأمضى فيهم بحسب ما كان في رفاعهم من قتل أو ضرب. واشتد
الطلب على التهابة، فكان الناس يدلّ بعضهم على بعض، فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالتهب خلف
بالأيمان المغلظة أنه ما بقي عنده شيء.

وجدّ عيسى بن نسطورس في عمل الأشطول وطلب الخشب، فلم يدع عند أحد خشبا علّم
به إلا أخذه منه، وتزايد إخراج التهابة لما نهبوه، فكانوا يطرحونه في الأزقة والشوارع خوفا من أن
يعرفوا به، وحبس كثير ممن أخضّر شيئا أو عُرف عليه من النهب.

فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ضربت أعناقهم كلّهم على يد أبي أحمد جعفر،
صاحب يانيس، فإنه قديم في عسكر كثير من اليانسية، حتى ضربت أعناق الجماعة، وأغلقت
الأسواق يومئذ.

وطاف متولّي الشرطة، وبين يديه أزباط الثقط بغددهم، والنار مشتعلة، واليانسية ركاب
بالسلاح، وقد ضربت جماعة وشهّهم بين يديه وهم يُنادى عليهم: «هذا جزاء من أثار
الفتن، ونهب حريم أمير المؤمنين، فمن نظر فليعتبر، فما تقال لهم غثرة، ولا تُرحم لهم

عَبْرَةَ ... في كلام كثير من هذا الجنس . فاشتدَّ خَوْفُ النَّاسِ ، وعَظُمَ فَرَعُهُمْ .
فلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ نُودِيَ : « معاشرَ النَّاسِ قد أَمِنَ اللهُ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا أَوْ نَهَبَ شَيْئًا عَلَى نَفْسِهِ
وماله ، فَلْيَرُدُّ مِنْ بَقِي عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ النَّهْبِ ، وقد أَجْلَنَّاكُمْ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ » .
وفي سَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ نَزَلَ ابْنُ نَشْطُورِسَ إِلَى الصَّنَاعَةِ ، وَطَرَحَ مَرْكَبَيْنِ فِي غَايَةِ الْكِبَرِ مِنْ
الَّتِي اسْتَقَمَلَهَا بَعْدَ خَرَقِ الْأَشْطُولِ . وَفِي غُرَّةِ شَعْبَانَ نَزَلَ أَيْضًا ، وَطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعَةَ مَرَاكِبَ
كِبَارًا مِنَ الْمُنَشَّأَةِ بَعْدَ الْحَرَقِ .

وَاتَّفَقَ مَوْتُ الْغَزِيرِ بِاللَّهِ ، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الشَّامِ ، فِي مَدِينَةِ بَلْبَيسَ . فَلَمَّا قَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْحَاكِمُ
بِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ ، أَمَرَ فِي خَامِسِ شَوَّالٍ بِحَطِّ الَّذِينَ صَلَّيَتْهُمْ ابْنُ نَشْطُورِسَ ، فَتَسَلَّطَهُمْ أَهْلُهُمْ ،
وَأَعْطَى لِأَهْلِ كُلِّ مَصْلُوبٍ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ يَرْسُمُ كَفَّيْهِ وَذَنَبِهِ ^١ .

- ١٠ وَخَلَعَ عَلَى عَيْسَى بْنِ نَشْطُورِسَ ، وَأَقْرَهَ فِي دِيْوَانِ الْخَاصِّ ^٢ ، ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ
سَابِعِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَاعْتَقَلَهُ إِلَى لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ سَابِعِ عَشْرِينَ . فَأَخْرَجَهُ
الْأَسْتَاذُ بَرْجَوَانَ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَتَوَلَّى تَذْيِيرَ الدَّوْلَةِ - إِلَى الْمَقْسِ ، وَضَرَبَ عُقْبَهُ ^٣ . فَقَالَ وَهُوَ مَاضٍ
إِلَى الْمَقْسِ : كُلُّ شَيْءٍ قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ إِلَّا مَوْتَ الْغَزِيرِ بِاللَّهِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا . وَاللَّهُ إِنِّي
لَأَذْكُرُ وَقَدْ أَلْقَيْتُ السُّهَامَ لِلْقَوْمِ الْمَأْخُودِينَ فِي نَهْبِ دَارِ مَايْنِكَ - وَفِي بَعْضِهَا مَكْتُوبٌ « يُقْتَلُ » وَفِي
أُخْرَى « يُضْرَبُ » - فَأَخَذَ شَابٌّ مِّنْ قِبَضِ عَلَيْهِ رُقْعَةً مِنْهَا فَجَاءَ فِيهَا « يُقْتَلُ » ، فَأَمْرَتْ بِهِ إِلَى
الْقَتْلِ ؛ فَصَاخَتْ أُمُّهُ وَلَطَمَتْ وَجْهَهَا ، وَخَلَفَتْ أَنَّهَا وَهُوَ مَا كَانَا لَيْلَةَ النَّهْبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ
مِصْرَ ، وَإِنَّمَا وَرَدَا مِصْرَ بَعْدَ النَّهْبِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَنَاشَدْنِي اللَّهَ تَعَالَى أَنْ أُجْعَلَ مِنْ جُمْلَةٍ مِّنْ يُضْرَبُ
بِالْعُوطِ ، وَأَنْ يُغْفَى مِنَ الْقَتْلِ ، (هَفَسَلِمَ النَّقْبُ إِلَيْهَا ^٤) ، وَأَمْرَتْ بِضَرْبِ عُقْبِهِ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : إِنْ
كُنْتُ لَا بَدَّ قَاتِلِهِ ، فَاجْعَلْهُ آخِرَ مَنْ يُقْتَلُ لَأَتَمَتَّ بِهِ سَاعَةً . فَأَمْرَتْ بِهِ فَجُعِلَ أَوَّلَ مَنْ ضُرِبَ عُقْبُهُ .
٢٠ فَلَطَخَتْ بِذِمِّهِ وَجْهَهَا ، وَسَبَقَتْ - وَهِيَ مَنبُوشَةُ الشَّعْرِ ذَاهِلَةُ الْعَقْلِ - إِلَى الْقَصْرِ . فَلَمَّا وَافَيْتِ ،
قَالَتْ لِي : أَقَاتَلَهُ ! كَذَلِكَ يَقْتُلُكَ اللَّهُ . فَأَمْرَتْ بِهَا ، فَضُرِبَتْ حَتَّى سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . ثُمَّ كَانَ
مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ مِمَّا أَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ . وَكَانَ خَيْرُهُ عِبْرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ .

١-٢) بولاق : فلم أُنْفَتِ إِلَيْهَا .

^٣ نفسه ٢ : ٨ .

^٢ نفسه ٢ : ٦ .

^١ المقرئ : اتعاط الحنفا ٢ : ٦ .

وفي نصف شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاث مائة، ركب الحاكم بأمر الله إلى صناعة النفس ليطرح المراكب بين يديه^(٨).

صناعة الجزيرة

هذه الصناعة كانت بجزيرة مصر، التي تُعرف اليوم بالروضة، وهي أول صناعة عُملت بفسطاط مصر. بُيّت في سنة أربع وخمسين من الهجرة، وكان قبل بنائها هناك خمس مائة فاعل تكون مقيمة أبداً مُعدّة لحربي يكون في البلاد أو هدم^١. ثم اغتنى الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون بإنشاء المراكب الحربية / في هذه الصناعة، وأطاقها بالجزيرة.

ولم تزل هذه الصناعة إلى أيام الأمير أبي بكر محمد بن طنج الإخشيد، فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر، وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار، كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب^(٩).

صناعة مضر

هذه الصناعة كانت بساحل مضر القديم. يُعرف موضعها بدار تحديجة بنت الفتح ابن حاقان، امرأة الأمير أحمد بن طولون إلى أن قديم الأمير أبو بكر محمد بن طنج الإخشيد أميراً على مصر من قبل الخليفة الراضي، عوّضا عن أحمد بن كَيْغْلُغ، في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وقد كثرت الفتن. فلم يدخل عيسى بن أحمد المسلمي أبو مالك، كبير المغاربة في طاعته، ومضى معه بجحكم وعلي بن بدر وتظيف الثوشرى وعلي المغربي إلى القيوم. فبعث إليهم الإخشيد صاعداً بن الكلّكم بمراكبه، فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه، وركب فيها علي بن بدر وبجحكم، وقدموا مدينة مضر أول يوم من ذي القعدة، فأرسلوا بجزيرة الصناعة. وركب الإخشيد في جيئيه، ووقف جبالهم والتيل بينهم وبينه، فكرة ذلك وقال: صناعة تحول بينها وبين

(٨) في هامش آياصوفيا: ياض صفحة وسبعة أسطر. (٩) في هامش آياصوفيا: ياض ثمانية أسطر.

^١ ابن عبد الحكم: فتح مصر ١٠٣؛ وابن دقماق: وفيما تقدم ٥٧٠؛ وانظر كذلك A. Fy'ad Sayyid, *La Capitale de l'Égypte*, pp. 77-80. الانتصار ٤: ١٠٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٥.

صاحبها الماء ليست بشيء. فأقام بجكم وعلي بن بذر إلى آخر النهار، ومضوا إلى جهة الإسكندرية.

وعاد الإخشيد إلى داره، فأخذ في تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة إلى دار تحديجة بنت الفتح في شعبان سنة خمس وعشرين وثلاث مائة، وكان إذ ذاك عندها سلم ينزل منه إلى الماء. وعندما ابتدأ في إنشاء المراكب بها صاحت به امرأة، فأمر بأخذها إليه، فسأله أن يبعث معها من يحمل المال، فسير معها طائفة، فأنت بهم إلى دار تحديجة هذه ودلّهم على موضع منها. فأخرجوا منه عتيًا وورقًا ولحيًا وغيره، وطليت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر.

- وكانت مراكب الأسطول مع ذلك تنشأ في الجزيرة في صناعتها إلى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله تعالى؛ فلما ولي المأمون بن البطاحي الوزارة^(a) أنكر ذلك، وأمر أن يكون إنشاء الشواني والمراكب الثيلية الديوانية بصناعة مصر هذه، وأضاف إليها دار الزيب، وأنشأ بها منظرًا لمجلس الخليفة يوم تقديم الأسطول وزميه، فأمر إنشاء الحريات والشلنديات بصناعة الجزيرة. وكان لهذه الصناعة دهليز ما دبساطب مفروشة بالحضر العبدانية بسطًا وتأزيًا، وفيها محل ديوان الجهاد^١، وكان يعرف في الدولة الفاطمية^(b) بديوان العمائر، ثم عرف في الدولة الأيوبية بديوان الأسطول. وكان في الدولة الفاطمية^(b) لا تدخل من باب هذه الصناعة أخذ راكبًا إلا الخليفة والوزير إذا ركبًا في «يوم فتح الخليج» عند وفاء النيل. فإن الخليفة كان يدخل من بابها، ويشقها راكبًا والوزير معه حتى يزكب النيل إلى المقياس - كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب^٢ - ولم تزل هذه الصناعة عامرة إلى قبيل^(c) سنة سبع مائة^(d)، ثم صارت ممتانًا عرف يشتان ابن كيسان، ثم عرف في زمننا يشتان الطواشي.

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من بولاق، والعبارة فيها: ... الدولة الفاطمية أن لا يدخل. (c) بولاق: ما قبل. (d) في هامش آبا صوفيا: يياض سطر.

^١ ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠-١٠١؛ وفيما تقدم ^٢ فيما تقدم ٥٥٢:٢-٥٥٣.

قال ابنُ المَنَوَّج: وكان مَكَانُ بُشْتَانِ ابنِ كَيْسَانَ صِنَاعَةَ الْعِمَارَةِ، وَأَذْرَكَتْ فِيهِ بَابُهَا، وَبُشْتَانُ الْجُرُفِ الْمُقَابِلُ لِبُشْتَانِ ابنِ كَيْسَانَ كَانَ مَكَانَهُ بَحْرُ النَّيْلِ، وَإِنَّ الْجُرُفَ رُبَّمَا فِيهِ (٨).

قال كَاتِبُهُ: بُشْتَانُ الْجُرُفِ هَذَا مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِنَا فِيمَا بَيْنَ الْمَرَاعَةِ الَّتِي يُسَلِّكُ فِيهَا إِلَى بَابِ مِصْرَ، وَبَيْنَ الطَّرِيقِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بَيْنَ الرُّقَاقَيْنِ وَيُسَلِّكُ فِيهَا مِنْ قَنْطَرَةِ الشَّدِّ إِلَى الْجَامِعِ الْجَدِيدِ وَبُشْتَانِ ابنِ كَيْسَانَ - الَّذِي كَانَ فِي مَوْضِعِهِ الصَّنَاعَةُ - وَهُوَ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ أَيْضًا يُعْرَفُ بِبُشْتَانِ الطُّوَاشِي. فَمَنْ سَلَكَ فِي الْمَرَاعَةِ يُرِيدُ بَابَ مَدِينَةِ مِصْرَ الْمُجَاوِرَ لِلْكَبَارَةِ يَصِيرُ بُشْتَانُ الْجُرُفِ عَلَى يَمِينِهِ وَبُشْتَانُ الطُّوَاشِي عَلَى يَسَارِهِ. وَعَلَى بَابِ بُشْتَانِ الطُّوَاشِي إِلَى الْيَوْمِ حَوْضٌ مَاءٍ كَبِيرٌ تَرْدُهُ الدُّوَابُّ، وَوَرَاءَ بُشْتَانِ الطُّوَاشِي كَيْمَانٌ وَهَنَاكَ كَنِيسَةٌ لِلنَّصَارَى^١.

(٨) فِي هَامِشِ آيَاصُوفِيَا: بَعْدَ ذَلِكَ بَيَاضُ وَرَقَتَيْنِ.

وَطَوَّاحِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ثُمَّ خَرِبَ مِنْ بَعْدِ سَنَةِ سِتٍّ وَلِمَانَ مَالَةً، وَخَرِبَ بُشْتَانُ الْجُرُفِ أَيْضًا. وَإِلَى الْيَوْمِ بُشْتَانُ الطُّوَاشِي فِيهِ بَقِيَّةٌ، وَهُوَ عَلَى بَشْرَةٍ مِنْ يُرِيدُ مِصْرَ مِنْ طَرِيقِ الْمَرَاعَةِ، وَيُظَاهِرُهُ حَوْضٌ مَاءٍ تَرْدُهُ الدُّوَابُّ، وَمِنْ وَرَاءِ الْبُشْتَانِ كَيْمَانٌ فِيهَا كَنِيسَةٌ لِلنَّصَارَى.

^١ هَذَا النَّصُّ وَرَدَ فِي نَسْخَةِ الْمَكْتَبَةِ التَّيْمُورِيَّةِ رَقْمَ ١١٠ بِلَدَانِ (وَرَقَّةٌ ٤٧٨ ط) وَتَفَرَّدَتْ بِهِ عِوَضًا عَنِ الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ: «وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَبَيْنَ الرُّوْطَةِ بَحْرٌ، ثُمَّ تَرَبَّيَ الْجُرُفُ عَرِفَ مَوْضِعَهُ بِالْجُرُفِ، وَأَنْشَأَ هُنَاكَ بُشْتَانٌ عَرِفَ بِبُشْتَانِ الْجُرُفِ، وَصَارَ فِي جُمْلَةِ أَوْقَافِ خَائِفَاءِ الْمُرَاصِلَةِ، وَقِيلَ لِهَذَا الْجُرُفِ بَيْنَ الرُّقَاقَيْنِ، وَكَانَ فِيهِ عِدَّةُ دُورٍ وَخَمَامَ

ذِكْرُ الْمَيَادِينِ

مَيْدَانُ ابْنِ مَطْلُونَ

كان قد بَنَاهُ وَتَأَثَّقَ فِيهِ نَائِقًا زَائِدًا ، وَعَمِلَ فِيهِ الْمَنَاحُ وَبُرُكَّةُ الرُّبُوعِ وَالْقُبَّةُ الذَّهَبِيَّةُ . وَقَدْ ذُكِرَ خَبِيرُ هَذَا الْمَيْدَانِ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَطَائِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ٢ .

مَيْدَانُ الْإِخْشِيدِ

هَذَا الْمَيْدَانُ أَنْشَأَهُ الْأَمِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجِ الْإِخْشِيدِ - أَمِيرُ مِصْرَ - بِجَوَارِ بُشْتَانِهِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ فِي الْقَاهِرَةِ بِالْكَافُورِيِّ ، وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ هَذَا الْمَيْدَانِ الْيَوْمَ حَيْثُ الْمَكَانُ الْمَعْرُوفُ بِالْبُنْدُقَانِينَ وَحَارَةِ الْوَزِيرِيَّةِ وَمَا جَاوَزَ ذَلِكَ .

وَكَانَ لِهَذَا الْبُشْتَانِ بَابَانِ مِنْ حَدِيدٍ ، قَلَعَهُمَا الْقَائِدُ جَوْهَرٌ عِنْدَمَا قَدِمَ الْقَرْمَطِيُّ إِلَى مِصْرٍ يُرِيدُ أَخْذَهَا ، وَجَعَلَهُمَا عَلَى بَابِ الْخُنْدَقِ الَّذِي خَفَرَهُ بَظَاهِرُ الْقَاهِرَةِ قَرِيبًا مِنْ مَدِينَةِ عَيْنِ شَعْسَ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ٣ .

وَكَانَ هَذَا الْمَيْدَانُ مِنْ أَعْظَمِ أَمَاكِنِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ فِيهِ الْخُيُولُ الشُّلْطَانِيَّةُ فِي الدَّوْلَةِ الْإِخْشِيدِيَّةِ ٤ .

مَيْدَانُ الْقَهْطَرِ

هَذَا الْمَيْدَانُ مَوْضِعُهُ الْآنَ فِي الْقَاهِرَةِ يُعْرَفُ بِالْخُرْنُشُفِ . عُحِّلَ عِنْدَ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ بِجَوَارِ الْبُشْتَانِ الْكَافُورِيِّ ، وَلَمْ يَزَلْ مَيْدَانًا لِلْحُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ التُّجَانِينَ الَّذِي مَوْضِعُهُ الْآنَ

(٤) فِي هَامِشِ آهَاصُوفِيَا : يَبَاضُ .

٢ فِيمَا تَقَدَّمَ ٢ : ١٨٦ . وَفِيمَا يَلِي ٧٣٩ .

٣ فِيمَا تَقَدَّمَ ٧٢ .

١ انْظُرْ كَذَلِكَ دَرَاةَ مُحَمَّدِ الشُّشْتَاوِيِّ : مَيَادِينُ الْقَاهِرَةِ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ ، الْقَاهِرَةُ - دَارُ الْآفَاقِ الْعَرَبِيَّةِ ١٩٩٩ .

يُعرف بِقَبْوِ الحُرْنُشَف . فَلَمَّا زَالَتِ الدَّوْلَةُ الفاطمية تَعَطَّلَ ، وبقي إلى أن بَنَى به العُرُ اشطَبَلَات بِالْحُرْنُشَف ، ثم حَكِرَ وَبُنِيَ فِيهِ ، فصارَ من أخطاط القَاهِرَةِ ^١ .

مَيْدَانُ قَرَأَوْش

(a) ٢

هذا المَيْدَانُ / خارج باب القُتُوح

مَيْدَانُ الْمَلِكِ العَزِيز

هذا المَيْدَانُ كان بِجِوَارِ خَلِيج الدَّكْرِ ، وكان مَوْضِعُهُ بُيُوتَانَا .

قال القاضي الفاضل في « مُتَجَدِّدَات » ثالث عشرين شهر رَمَضَانَ سنة أربع وتسعين وخمسة مائة : خَرَجَ أَمْرُ الْمَلِكِ العَزِيزِ عُثْمَانَ ابْنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوشَفِ بْنِ أَيُّوبَ بِقَطْعِ النُّخْلِ الْمُثِيرِ الْمُسْتَغْلَ تَحْتَ اللُّؤْلُؤَةِ بِالْبُيُوتَانِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغْدَادِيَةِ . وَهَذَا الْبُيُوتَانُ كَانَ مِنْ بَسَاتِينِ الْقَاهِرَةِ الْمَوْصُوفَةِ ، وَكَانَ مَنَظَرُهُ مِنَ الْمَنَاطِرِ الْمُسْتَحْسِنَةِ وَكَانَ لَهُ مُشْتَقَلٌّ ^(b) لَهُ مَقْدَارٌ ^(b) ، وَكَانَ قَدْ غَنِيَ الْأَوَّلُونَ بِهِ لِمَجَاوَرَتِهِ اللُّؤْلُؤَةَ وَإِطْلَالِ جَمِيعِ مَنَاطِرِهَا عَلَيْهِ . وَجَعَلَ هَذَا الْبُيُوتَانُ مَيْدَانًا ، وَحَرِثَ وَقَطَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَصُولِ ^٣ ، أَنْتَهَى / . ثُمَّ حَكَرَ النَّاسُ أَرْضَ هَذَا الْبُيُوتَانِ ، وَبَنَوْا عَلَيْهَا ، وَهُوَ الْآنَ دَائِرٌ فِيهِ كَيْمَانٌ وَأَتْرَبَةٌ .

المَيْدَانُ الصَّائِحِي

هذا المَيْدَانُ كان بِأَرْضِي اللُّوقِ مِنْ بَرِّ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ ، وَمَوْضِعُهُ الْآنَ مِنْ جَامِعِ الطُّبَاخِ بِبَابِ اللُّوقِ إِلَى قَنْطَرَةِ قَدَادَارِ الَّتِي عَلَى الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، وَمِنْ جَمَلَتِهِ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكَةُ الْآنَ مِنْ بَابِ اللُّوقِ إِلَى الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَكَانَ أَوَّلًا بُيُوتَانًا يُعْرَفُ بِبُيُوتَانِ الشَّرِيفِ بْنِ ثَعْلَبَ . فَاشْتَرَاهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ ابْنُ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَاذِي ^(c) ، بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ مِصْرِيَةٍ ، مِنْ الْأَمِيرِ حِصْنِ الدِّينِ ثَعْلَبَ ابْنِ الْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ

(a) في هامش آياصوفيا : يابض اثنا عشر سطراً . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) ساقطة من بولاق .

^١ فيما تقدم ٢ : ١٤٩٦ المقيزي : مسودة المواعظ ١٣١ . البغدادي جامعه بالحسينية .

^٢ حاشية بخط المؤلف : « أنشأ به الملك الظاهر تقيز » ^٣ المقيزي : السلوك ١ : ١٤٢ .

إسماعيل بن ثعلب الجعفري، في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وست مائة، وجعله ميداناً، وأنشأ فيه مناظر جليلة تُشرف على النيل الأعظم، وصار يزكّب إليه ويلعب فيه بالكرة^١.

وكان عمل هذا الميدان سبباً لبناء القطر - التي يُقال لها اليوم قنطرة الخرق^٢ - على الخليج الكبير لجواره عليها، وكان قبل بنائها موضعها مؤزدة سقائي القاهرة. وما يرخ هذا الميدان ثلعب فيه الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح إلى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبغده عنه، فأنشأ الملك الظاهر ميداناً على النيل.

وفي سلطنة الملك المعز عز الدين أئيك التركماني الصالحى النجمي، قال له منجّمه: إن امرأة تكون سبباً في قتله. فأمر أن تُحرب الدور والحوانيت التي من قلعة الجبل بالسيّارة إلى باب زويلة وإلى باب الخرق وإلى باب اللوق إلى الميدان الصالحى^٣، وأمر ألا يترك باب مفتوح بالأماكن التي يمر عليها يوم ركوبه إلى الميدان، ولا تُفتح أيضاً طاقة.

وما زال باب هذا الميدان باقياً، وعليه طوارق مدهونة، إلى ما بعد سنة أربعين وسبع مائة، فأدخله صلاح الدين بن المقرئ في قيسارية الغزل التي أنشأها هناك. ولأجل هذا الباب قيل لذلك الخط «باب اللوق». ولما حُرب هذا الميدان حُكِر، وبني موضعها ما هنالك من المساكن. ومن جملته جكر مرادي، وهو على يمتة من سلك من جامع الطباخ إلى قنطرة قدادار، وهو في أوقاف خائفاه قوصون وجامع قوصون بالقرافة^٤. وهذا الجكر اليوم قد صار كيماناً بعد كثرة العماره به^٥.

^١ فيما تقدم ٣٩٢-٣٩٣.

^٢ فيما تقدم ٤٩٢-٤٩٣.

^٣ ويُدل على موضع الميدان الصالحى الآن المنطقة التي تُحد من الشرق بشارع محمد فريد (عماد الدين سابقاً)، ومن الشمال شارع قصر النيل، ومن الغرب شارع القاضي الفاضل وشارع يوسف الجهندي (الحوياتي سابقاً) - الذي يفصل بينه وبين موقع الميدان الظاهري -، ومن الجنوب شارع عبد السلام عارف (الاستان سابقاً) ويحددان الفلكي وشارع التحرير حتى يتلاقى مع شارع محمد فريد (عماد الدين). (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٣٧ هـ).

^٤ لم يُرد المقرئ في قيسارية الغزل يُدخل مستقلاً عند ذكره للقياسير.

^٥ فيما يلي ٤٢٥:٢.

^٦ المقرئ: مسودة الخطوط ٥٩ ط-٦٠ و.

المِيدَانُ الظَّاهِرِيُّ

هذا المِيدَانُ كان بطَرْفِ أَرْضِي اللُّوق يُشْرِفُ عَلَى النَّيْلِ الْأَعْظَمِ ، وموضعه الآن تِجَاهَ قَنْطَرَةِ قَدَادَرٍ مِنْ جِهَةِ بَابِ اللُّوقِ^١ . أَنشَأَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ يَتِيمُوسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ الصَّالِحِي لِمَا انْحَصَرَ مَاءُ النَّيْلِ وَتَعَدَّ عَنْ مِيدَانِ أُسْتَاذِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أُتُوبَ .

وما زال يَلْقَبُ فِيهِ بِالْكُرَةِ هُوَ وَمَنْ تَقَدَّهَ مِنْ ثُلُوكِ مِصْرَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، فَتَزَلَّ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ إِلَيْهِ ، وَخَرَّبَ مَنَاظِرَهُ ، وَعَمِلَهُ بُشْتَانًا مِنْ أَجْلِ بُغْدِ الْبَحْرِ عَنْهُ ، وَأُرْسِلَ إِلَى دِمَشْقَ فَحْتَلَّ إِلَيْهِ مِنْهَا سَائِرَ أَصْنَافِ الشَّجَرِ ، وَأَخْضَرَ مَعَهَا خَوَلَةَ الشَّامِ وَالْمَطْعَمِينَ ، فَعَرَّسُوهَا فِيهِ وَطَعَّمُوهَا .

وما زال بُشْتَانًا عَظِيمًا ، وَمِنْهُ تَعَلَّمَ النَّاسُ بِمِصْرَ تَطْلِيمَ الْأَشْجَارِ فِي بَسَاتَيْنِ جَزِيرَةِ الْفِيلِ . وَجَعَلَ السُّلْطَانُ فَوَاكِهَ هَذَا الْبُشْتَانِ مَعَ فَوَاكِهِ الْبُشْتَانِ الَّذِي أَنشَأَهُ بَيْسَرُ يَقُوسَ ، تُحْمَلُ بِأَشْرَافِ الشَّرَابِ خَانَاهُ السُّلْطَانِيَّةِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَلَا يُبَاعُ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا ، وَتُصَرَفُ كُلُّفُهُمَا مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ . فَجَادَتْ فَوَاكِهُ هَذَيْنِ الْبُشْتَانَيْنِ ، وَكَثُرَتْ حَتَّى حَاكَتْ بِحُسْنِهَا فَوَاكِهَ الشَّامِ ، لِشِدَّةِ الْعَيْنَانِ وَالْخِدْمَةِ بِهِمَا .

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ لَمَّا اخْتَصَّ بِالْأَمِيرِ قَوْصُونَ ، أَنْعَمَ بِهَذَا الْبُشْتَانِ عَلَيْهِ . فَعَمَّرَ تِجَاهَهُ الزَّرِّيَّةَ - الَّتِي عُرِفَتْ بِزَّرِّيَّةِ قَوْصُونَ^٢ - عَلَى النَّيْلِ ، وَبَنَى النَّاسُ الدُّوَرُ الْكَثِيرَةَ هُنَاكَ ، سَيِّمًا لَهَا خَفَرُ^(٤) الْمَلِكِ النَّاصِرِ^(٥) الْخَلِيجِ النَّاصِرِيِّ ، فَإِنَّ الْعِمَارَةَ عَظُمَتْ فِيمَا بَيْنَ هَذَا الْبُشْتَانِ وَالْبَحْرِ ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْبُشْتَانِ خَرِبَ لِتَلَاشِي أَحْوَالِهِ بَعْدَ قَوْصُونَ ، وَحُكِرَتْ أَرْضُهُ ، وَبَنَى النَّاسُ فَوْقَهَا الدُّوَرُ الَّتِي عَلَى يَمِينِهِ مِنْ صَعِيدِ الْقَنْطَرَةِ مِنْ جِهَةِ بَابِ اللُّوقِ يَرِيدُ الزَّرِّيَّةَ . ثُمَّ لَمَّا خَرِبَ حُطُّ

(a-2) ساقطة من بولاق .

^١ يُدَلُّ عَلَى مَوْضِعِ الْمِيدَانِ الظَّاهِرِيِّ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ مِنَ الشَّرْقِ بِشَارِعِ يَوْسُفِ الْجَنْدِيِّ (الْحُرَيَاتِي سَابِقًا) وَشَارِعِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، وَمِنْ الشَّمَالِ شَارِعُ قَصْرِ النَّيْلِ وَشَارِعِ مُحَمَّدٍ بَيْوَنِي (الْأَتَكْخَانَةُ سَابِقًا) ، وَمِنْ الْغَرْبِ شَارِعُ

^٢ انظر عن زَّرِّيَّةِ قَوْصُونَ فِيمَا تَقْدِمُ ٤٣٦ .

مَرِيَتْ بَاشَا وَمِنْ الْجَنُوبِ شَارِعُ عَبْدِ السَّلَامِ عَارِفُ (الْبُشْتَانِ سَابِقًا) .

محمود بـيـوني (الأتنكخانة سابقًا) ، ومن الغرب شارع

الرَّزِيَّةُ، حَرَبَ مَا عُمِّرَ بِأَرْضِ هَذَا الْبَيْتَانِ مِنَ الدُّورِ مِنْذُ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ^١.

مَيْدَانُ بَرَكَةِ الْفِيلِ

هَذَا الْمَيْدَانُ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ قِبَالَةَ الْكَئِشِ^٢، وَكَانَ أَوَّلًا اسْتَطْبَلُ الْجَوَقِ بِرَسْمِ خُيُولِ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ، إِلَى أَنْ جَلَسَ الْأَمِيرُ زَيْنُ الدِّينِ كَثِيفًا عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ بَعْدَ خُلْعِهِ الْمَلِكِ النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ فِي الْحَزْمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ، كَانَ النَّاسُ فِي أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ غَلَاءِ الْأَشْعَارِ / وَكَثْرَةِ الْمَوْتَانِ، وَالسُّلْطَانُ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ، وَمُتَحَرِّزٌ مِنْ وُقُوعِ فِتْنَةٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَنْزِلُ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى الْمَيْدَانِ الظَّاهِرِيِّ بِطَرَفِ اللَّوْقِ. فَحَشَنَ بِخَاطِرِهِ أَنْ يَعْمَلَ اسْتَطْبَلُ الْجَوَقِ الْمَذْكُورِ مَيْدَانًا يَعْوِضًا عَنْ مَيْدَانِ اللَّوْقِ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلْأَمْرَاءِ فَأَعْجَبَتْهُمْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْخَيْلِ مِنْهُ، وَشَرَعَ فِي عَمَلِهِ مَيْدَانًا.

وَبَاقَرِ النَّاسُ مِنْ حِينَمَا إِلَى بِنَاءِ الدُّورِ بِجَانِبِهِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَنْشَأَ هُنَاكَ الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سِنَجَرِ الْخَازِنِ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عُرفَ الْيَوْمَ بِجُحْرِ الْخَازِنِ^٣، وَتَلَاهِ النَّاسُ فِي الْعِمَارَةِ وَالْأَمْرَاءِ. وَصَارَ السُّلْطَانُ يَنْزِلُ إِلَى هَذَا الْمَيْدَانِ مِنَ الْقَلْعَةِ، فَلَا يَجِدُ فِي طَرِيقِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ سِوَى أَصْحَابِ الدُّكَاكِينِ مِنَ الْبَاغَةِ، لِقِلَّةِ النَّاسِ وَشُغْلِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَلَاءِ وَالْوَبَاءِ. وَلَقَدْ رَأَى شَخْصٌ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ نَزَلَ إِلَى الْمَيْدَانِ وَالطَّرِيقَاتِ خَالِيَةً، فَأَتَشَدَّ مَا قِيلَ فِي الطَّبِيبِ ابْنِ زُهْرٍ:

[النسرح]

قُلْ لِلْقَلَا أَنْتَ وَابْنُ زُهْرٍ بَلَّغْتُمَا الْحَدَّ وَالنَّهْيَا
تَرَفَّقَا بِالْوَزَى قَلِيلًا فِي وَاجِدٍ مِنْكُمَا كِفَايَا

(a) بياض في هامش أباصوفيا.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ٦٠ ط.

^٢ وَرَدَ هَذَا الْمَيْدَانُ عَلَى خَرِيطَةِ الْقَاهِرَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْقَاهِرَةِ ١٧٩٨ بِاسْمِ «وَسَقَةِ بَرَكَةِ الْفِيلِ» (Q-r).
قَدْرِي. (انظر فيما تقدم ٢٢١) مُحَمَّدُ الشَّشْتَاوِي: مَيَادِينُ الْقَاهِرَةِ ٩١-٩٢).

^٣ فيما تقدم ٤٤٨.

الْحَمْلَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ سَنَةِ ١٧٩٨ بِاسْمِ «وَسَقَةِ بَرَكَةِ الْفِيلِ» (Q-r).
٩، ١٦، وَيُذَلُّ عَلَى مَوْضِعِهِ الْآنَ الْمَنْطِقَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْحَوْضِ

وما برح هذا الميدان باقيا إلى أن عمّر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قصرا للأمير^١ بكتمر الشافي على بركة الفيل، فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان، وجعله إسطبل قصر الأمير بكتمر الشافي في سنة سبع عشرة وسبع مائة، وهو باق إلى وقتنا هذا^١.

ميدان المهاري

هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع، في برّ الخليج الغربي، كان من جملة جنان الزهري^٢. أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة عشرين وسبع مائة. ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضي الفاضل.

(ب) قال الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن يحيى في كتاب «سيرة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون»^٣ ما ملخصه^٤: وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون له شغف عظيم بالخيل. فعلم ديوانا ينزل فيه كل فرس بشيته^٥، واسم صاحبه، وتاريخ الوقت الذي حضر فيه. فإذا حملت فرس من خيول السلطان أعلم به، وترقب الوقت الذي تلد فيه. واشتكر من الخيل حتى احتاج إلى مكان يرسم نتائجها. فركب من قلعة الجبل في سنة عشرين وسبع مائة، وعين موضعا يعمله ميّدانا يرسم المهاري، فوقع اختياره على أرض بالقرب من قناطر السباع. وما زال واقفا بفريسه حتى حدّد الموضع، وسرع في نقل الطين البليز إليه، وزرعه من النخل وغيره، وزكّب على الآبار التي فيه السواقي.

فلم يمتد سوى أيام حتى ركب إليه، ولعب فيه بالكرة مع الخاصكية، ورُتب فيه عدّة لحجور

(a) بولاق: قصر الأمير. (b-b) هذه العبارة من مسودة الحطّ، وورد عوضا عنها في سائر النسخ: قال جامع «المسيرة الناصرية». (c) بولاق: بشاته.

^١ فيما تقدم ٢٢١. الجنوب بشارع المتديان (محمد عز العرب) - الذي كان في ذلك الوقت الطريق السالك إلى الميدان الناصري - ومن الشرق بشارع الناصرية، ومن الشمال شارع الجامع الإسماعيلي ومن الغرب شارع نوبار باشا. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ٢٠٤ هـ ٣).

^٢ المقرري: السلوك ٢: ٤٢١٠ ابن إياس: بدائع الزهور صحتها أن تكتب «المهارة»، وكتبها المقرري في المسودة: ويحدّد موضع ميدان المهاري للمنطقة التي تحدّد الآن من

^٣ أي كتاب «نزهة القاطرة» للمؤلف.

لِلتَّاجِ، وَأَعَدَّ لَهَا سُورًا وَأَمِيرًا خُورِيَةً وَسَائِرَ مَا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ. وَبَنَى فِيهِ أَمَاكِينَ، وَلَا زَمَ الدُّخُولَ إِلَيْهِ فِي مَرَمِهِ إِلَى الْمَيْدَانِ الَّذِي أُنْشِأَ عَلَى التِّلِّ بِمُوزِدَةِ الْمَلِخِ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَأَشْهُرٍ، حَسُنَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَبْنِيَ نِجَاهَ هَذَا الْمَيْدَانِ - عَلَى التِّلِّ الْأَعْظَمِ بِجَوَارِ جَامِعِ الطَّبِيزَنْسِيِّ - زَرْيَةً، وَيَتَزَيَّرُ بِالنَّظَرِ الَّتِي يُنْشِئُهَا فِي الْمَيْدَانِ إِلَى قَرِيبِ الْبَحْرِ^١. فَتَزَلَّ بِنَفْسِهِ، وَتَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ، فَكَثُرَ الْمُهَنْدِسُونَ الْمَصْرُوفُ فِي عَيْتِهِ، وَصَبُّوا الْأَمْرَ مِنْ جِهَةِ قَلَّةِ الطِّينِ هُنَاكَ. وَكَانَ قَدْ أَذْرَكَهُ الشَّقَرُ لِلصَّيْدِ^٢ فَتَرَكَ ذَلِكَ^٣.

وَمَا يَرِخَتْ الْحَيُولُ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ إِلَى أَنْ مَاتَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَرْقُوقُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِ مِائَةٍ. وَاسْتَمَرَّتْ بَعْدَهُ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَلَا شَىْءَ أَمْرِهِ عَمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ مِنْهُ الْحَيُولُ وَصَارَ بَرَاخًا خَالِيًا.

مَيْدَانُ سِيرْيَاقُوسَ

هَذَا الْمَيْدَانُ كَانَ شَرْفِي نَاجِيَةً سِيرْيَاقُوسَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْخَانِكَاةِ. أُنْشِأَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، وَبَنَى فِيهِ قُصُورًا جَلِيلَةً وَعِدَّةَ مَنَازِلَ لِلْأَمْوَاءِ^١، وَغَرَسَ فِيهِ بُشْتَانًا كَبِيرًا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ سَائِرَ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَحْمِلُ الْفَوَاكِهَ، وَأَخْضَرَ مَعَهَا حَوْلَةَ بِلَادِ الشَّامِ حَتَّى غَرَسُوهَا وَطَعَمُوا الْأَشْجَارَ. فَأَقْلَعَ فِيهِ الْكَرْمَ وَالشَّفَرَجِلَ وَسَائِرَ الْفَوَاكِهَ.

فَلَمَّا كَمَلَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، خَرَجَ مَعَهُ الْأَمْوَاءُ وَالْأَغْيَانُ، وَنَزَلَ الْقُصُورَ الَّتِي هُنَاكَ، وَنَزَلَ الْأَمْوَاءُ وَالْأَغْيَانُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَمَاكِينِ الَّتِي بُنِيَتْ لَهُمْ^٢. وَاسْتَمَرَّ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيُقِيمُ بِهِ الْأَيَّامَ، وَيَلْعَبُ فِيهِ بِالْكُرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ. فَفَعِلَ ذَلِكَ أَوْلَادُهُ الَّذِينَ مَلَكَوْا مِنْ بَعْدِهِ.

(a) بولاق : للصعيد . (b) مسودة الخطط : وما ذكر ذلك .

١ : ٨٠٠ هـ . وَكَتَبَ شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ، الْخَوْفِيُّ سَنَةِ ٧٣٠ هـ /

١٣٣٠ م، كِتَابُ «الْإِغْرَابِ عَمَّا اشْتَقَلَ عَلَيْهِ الْبِنَاءُ الْمَلِكِي

الْثَّائِرِي سِيرْيَاقُوسَ مِنَ الْإِغْرَابِ»، يَصِفُ فِيهِ قُصُورَ

سِيرْيَاقُوسَ (الصَفْدِي : الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ ١٦ : ٨٠).

٢ : الْمَقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ٢ : ٢٥١، ٢٦١.

١ : فِيمَا تَقْدَمُ ٤٣٥ - ٤٣٦.

٢ : الْمَقْرِزِيُّ : مَسْوَدَةُ الْخَطِّ ١٦٢ ط.

٣ : كَانَتْ قُصُورُ سِيرْيَاقُوسَ تَقَعُ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَةِ مِنَ الْمَيْدَانِ، أَيْ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَةِ مِنَ الْمَنْطَقَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى أَرْضِهَا الْآنَ مَسَاكِينَ بِلَدَةِ الْخَانِكَاةِ إِحْدَى بِلَادِ مَرْكَزِ شَبِينِ الْفَنَاطِرِ بِمَحَافِظَةِ الْقَلْبُوبِيَّةِ. (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ

فكان السلطان يخرج في كل سنة من قلعة الجبل بعدما تنقضي أيام الركوب ، إلى الميدان الكبير الناصري على التل ، ومعه جميع أهل الدولة من الأمراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر أرباب الرتب ، ويسير إلى الشوكة بناحية سرياقوس ، وينزل بالقصور ، ويركب إلى الميدان هناك للعب بالكرة ، ويخلع على الأمراء وسائر أهل الدولة ، ويقوم في هذه الشوكة أياماً . فيتم للناس في إقامتهم بهذه الشوكة أوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرورات ، ولا حصر ما يتفق فيها من المأكيل والبهيات من الأموال .

ولم يزل هذا الرسم مستمراً إلى سنة تسع وتسعين وسبع مائة^١ ، وهي آخر سنة سار إليها السلطان بسرياقوس . ومن هذه السنة انقطع السلطان الملك الظاهر برقوق عن الحركة لسرياقوس ، فإنه اشتغل في سنة ثمان مائة بتحرك الممالك عليه من وقت قيام الأمير إلي باي^٢ إلى أن مات .

وقام من بعده ابنه الملك الناصر فرج ، فما صفا الوقت / في أيامه من كثرة الفتن وتواتر العلوات والمحجن ، إلى أن نسي ذلك ، وأهمل أمر الميدان والقصور وحرب ، وفيه إلى الآن بقية قائمة . ثم بيعت هذه القصور في صفر سنة خمس وعشرين وثمان مائة بمائة دينار ليقتض خشبها وسبايكها وغيرها ، فتيقت كلها^٣ .

وكان من (عادة السلطان إذا خرج إلى^٤) الصيد بسرياقوس أو كنبرا أو البحيرة ، أن^٥ ينعم على أكابر أمراء المؤمنين^٦ قلدراً وسباً : كل واحد بألف مثقال ذهباً ، وبرذون خاص مسرج ملجم ، وكنبوش مذهب .

وكان من عادته^٧ ، إذا (أمر في متصدياته بإقطاع^٨) أمير كبير ، قلد له من الغنم والإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تشمو همة مثله إليه . فيقبله السلطان منه ، وينعم عليه بخلعة كاملة ، ورثماً أمر لبعضهم بمبلغ مالي^٩ .

(a) بولاق : علي باي . (b-b) بولاق : عادته إذا أمر في متصدياته بإقطاع . (c) بولاق : أنه . (d) بولاق : أمراء الدولة . (e) بولاق : عادة السلطان . (f-f) بولاق : إذا خرج إلى .

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣١ ؛

^١ المقرئ : السلوك ٣ : ٨٦٨ .

القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٦٣ .

^٢ نفسه ٤ : ٥٢٦ .

- وكانت عادة الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث يَؤْكَب من^(a) المدينة وخلفه بجنيب، وأما أكابرهم فيركب بجنيين، هذا في المدينة والحاضرة. وهكذا يكون إذا خَرَج إلى سِزْيَاقُوس وغيرها من نواحي الصَّيْد، ويكون في الخروج إلى سِزْيَاقُوس وغيرها من الأشفار لكل أمير طلب يشتمل على أكثر تماليكه، وقُدَّامهم خِزَانَةٌ مَحْمُولَةٌ على جَمَلٍ واحدٍ يجره راكِب آخر على جَمَلٍ والمال على جَمَلَيْن، ورُبَّمَا زاد بعضهم على ذلك. وأمام الخِزَانَةِ عِدَّةُ جَنَائِبٍ تُجَرُّ على أُنْدِي تَمَالِيك رِكَاب خَيْلٍ وَهَجْنٍ وَرِكَابِهِ^(b) من العَرَب على هَجْنٍ، وأمامها الهَجْنُ بِأَكْوَارِهَا مَجْثُوبَةٌ، وَلِلطَّبْلِخَانَةِ قِطَارٌ وَاحِدٌ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ، وَمَرْكُوبُ الهِجَانِ وَالْمَالِ قِطَارَان، ورُبَّمَا زاد بعضهم. وَعَدَّةُ الْجَنَائِبِ فِي كَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا إِلَى رَأْيِ الْأَمِيرِ وَسَعَةِ نَفْسِهِ. وَالْجَنَائِبُ مِنْهَا مَا هُوَ مُشْرِخٌ مُلْجَمٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بَقَانِيهِ^(c) لَا غَيْرَ. وَكَانَ يُضَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ وَالشُّرُوجِ الْحَلَّاءِ وَالْعُدَدِ الْمَلِيحَةِ.
- وكان من رُشُومِ السُّلْطَانِ فِي خُرُوجِهِ إِلَى سِزْيَاقُوسَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَشْفَارِ، أَلَّا يَتَكَلَّفَ إظهار كلِّ شِعَارِ السُّلْطَنَةِ، بَلْ يَكُونُ الشُّعَارُ فِي مَوَازِينِ الشَّائِرِ فِيهِ جُمْهُورُ تَمَالِيكِهِ مَعَ الْمُقَدَّمِ عَلَيْهِمْ وَأُسْتَاذَارِهِ، وَأَمَامَهُمُ الْخِزَانُ وَالْجَنَائِبُ وَالْهَجْنُ. وَأَمَّا هُوَ نَفْسُهُ فَإِنَّهُ يَرْكَبُ مَعَهُ عِدَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ وَالصُّغَارِ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْخَوَاصِّ، وَنُحْتَةٍ^(d) مِنْ خَوَاصِّ تَمَالِيكِهِ. وَلَا يَؤْكَبُ فِي الشَّيْرِ بِرَقَبَةٍ وَلَا بِعَصَائِبٍ^(e)، بَلْ تَتْبَعُهُ جَنَائِبٌ خَلْفَهُ، وَيَقْصِدُ فِي الْغَالِبِ تَأْخِيرَ الثَّرْوِلِ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ حُمِلَتْ قُدَّامَهُ قَوَانِيسُ كَثِيرَةٌ وَمَشَاعِلُ^(f)، فَإِذَا قَارَبَ مُحِيطَهُ تَلْقَى بِشُمُوعِ مَرْكَبَةٍ^(g) فِي شَمْعِدَانَاتٍ كَفَتْ، وَصَاحَتْ الْجَاوِشِيَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَزَلَ النَّاسُ كَافَّةً إِلَّا حَمَلَةَ السِّلَاحِ فَإِنَّهُمْ

(a) بولاق: في. (b) بولاق: وركاب. (c) بولاق: بعاءة. (d) بولاق: جملة. (e) بولاق: موكبيه.

^٢ القائلوس جد القوانيس. آلة كؤوفة ذات أضلاع من حديد، مُمَشَّاةٌ بِخُرُوفٍ مِنْ رَقِيقِ الْكَتَّانِ الشَّامِيِّ الْبَيَاضِ، يُخَذُّ لِلْإِسْتِزَاعَةِ بِغُرُزِ الشَّقْعَةِ فِي أَسْفَلِ بَاطِنِهِ فَيُشَفُّ عَنْ ضَوْئِهَا؛ وَمِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُحْمَلَ مِنْهَا اثْنَانِ أَمَامَ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ فِي الشَّفَرِ فِي اللَّيْلِ.

والمشاعيل مفردتها تشعل. آلة من حديد كالقَفَصِ مَفْتُوحِ الْأَعْلَى، وَفِي أَسْفَلِهِ خُرْقَةٌ لَطِيفَةٌ، تُوقَدُ فِيهِ النَّارُ بِالْحَطَبِ فَيَنْبَسِطُ ضَوْعُهُ، يُحْمَلُ أَمَامَ السُّلْطَانِ وَنَحْوِهِ فِي الشَّفَرِ لَوَيْلًا أَيْضًا. (القلقشندي: صبح الأعشى ١٣٧:٢).

^١ الرقبة. لباس لرقبة فرس السلطان تكون من حرير أصفر مَطْرُوزَةٌ بِالذَّهَبِ الزُّرْكَشِ، وَيَذُقُّ الْقَائِلُ عَلَيْهَا حَتَّى يَصْبَحَ الْحَرِيرُ غَيْرَ ظَاهِرٍ فِيهَا. تُشَدُّ عَلَى رَقَبَةِ فَرَسِ السُّلْطَانِ فِي الْمَوَاقِبِ الْعِظَامِ لِتَكُونَ مِضَاهِيَةً لِمَا يَرْكَبُ بِهِ مِنَ الْكُتُبُوشِ الزُّرْكَشِ الْمَغْطِيِّ لظَهْرِ الْفَرَسِ وَكَفَلِهِ. (القلقشندي: صبح الأعشى ١٣٣:٢، ٨:٤).

والبعصاة جد عصائب. الألوية، أجنحة ذلك من عصاية الرأس، لأنَّ الرابية تَقْصِبُ رَأْسَ الرُّمَحِ مِنْ أَغْلَاهُ، وَقَدْ يُعْتَمَرُ عَنْهَا أَيْضًا بِالسَّجَانِجِ مَفْرَدَةً تُشَجِّقُ. (نفسه ١٣٤:٢).

وراءه، والوشاقية^١ أيضًا وراءه، وتمشي الطبردارية^٢ حوله حتى إذا وصل القصور ببيزياقوس أو الدهليز من الخيم^٣ (إن كان في غير سراحة بيزياقوس فإذا دخل الدهليز الأول من الخيم^٤) نزل عن فرسه ودخل إلى الشقة - وهي خيمة مستديرة ممتعة - ثم منها إلى شقة مختصرة، ثم منها إلى اللاجوق^٥. وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخل سور خروكاه^٦، وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب يرسم المبيت فيه. وينصب بإزاء الشقة الحمام بقدر الرصاص والخوض، على هيئة الحمام المبنى في المدن إلا أنه مختصر. فإذا نام السلطان طافت به الممالك دائرة بعد دائرة، وطاف بالجميع الحرس، وتذور الزفة حول الدهليز في كل ليلة، وتذور بيزياقوس حول القصر في كل ليلة مرتين: الأولى منذ يأوي إلى النوم، والثانية عند فقوده من النوم. وكل زفة يدور بها أمير حاندار^٧ - وهو من أكابر الأمراء - وحوله القوائيس والمشاعيل والطبول والبيئات. وينام على باب الدهليز الثقباء وأزباب الثوب من الخدم.

ويصحب السلطان في أسفاره^٨ غالب ما تدعو الحاجة إليه حتى يكاد يكون معه مارستان، لكثرة من معه من الأطباء وأزباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير، وما يجري مجرى ذلك. وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه، يصرف من الشراب خاناه أو الدواء خاناه المحمولين في الصحن^٩.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) أباصوفيا: ما يادار. (c) بولاق: السفر. (d) في هامش أباصوفيا: يياض نصف صفحة.

^١ اللاجوق. تركي معرب أصله: لاجوق أو آلاجوق؛ وهي الخيمة الداخلية. (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.*, II., (p. 515).

^٢ الخروكاه. بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويُقش بالجرح ونحوه. تُحفل في الشفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية التبرد. (القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ١٣٨).

^٣ مصدر هنا النقل ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٨-٤٠، ويوجد كذلك عند القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٨-٤٩ تحت عنوان: هيته في الأسفار.

^٤ الوشاقية (الأوشاقية). لَقَب يُطلق على الذين يتولون ركوب الخيل لتسيير والريضة في عصر للمالك. وهو من الأسماء الأعجمية ويجمعون الأمير أخور، وكانوا يركبون وراء السلطان في أسفاره مع حملة السلاح. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٨، ٥: ٤٥٤؛ حسن الباشا: الفنون والوظائف ٢٨٩-٢٩٠) نبيل محمد عبد العزيز: الخيل ورياضتها في عصر سلاطين الممالك، القاهرة ١٩٧٦، ١٢١-١٢٢).

^٥ الطبردارية. الذين يحملون الأظفار أو الفغوس حول السلطان عند ركوبه في المواكب وغيرها لحراسته. (السبكي: معبد النعم ٣٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٤١: ٢؛ حسن الباشا: الفنون والوظائف ٧٣٥).

الميدان الناصري

هذا الميدان من جملة أراضي بُشْتان الخُشَّاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة . وكان موضعه قديماً غامراً بماء النيل ، ثم عُرف بِبُشْتان الخُشَّاب . فلما كانت سنة أربع عشرة وسبع مائة ، هَدَمَ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونُ المِيدَانَ الظَّاهِرِيَّ وَغَرَسَ فِيهِ أَشْجَارًا - كَمَا تَقَدَّمَ - وَأَنْشَأَ هَذَا المِيدَانَ مِنْ أَرْضِي بُشْتان الخُشَّابِ ، فَإِنَّهُ كَانَ حَيْثُ مَطْلًا عَلَى النِّيلِ ^١ .

وَتَجَهَّزَ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةِ لِلرُّكُوبِ إِلَيْهِ ، وَفَرَّقَ الْخَيُْولَ عَلَى جَمِيعِ الْأَمْراءِ ، وَاسْتَجَدَّ رُكُوبُ الْأَوْشَاقِيَّةِ^٢ بِكَوافي الرُّزْكُشِ عَلَى صِفَةِ الطَّاسَاتِ فَوْقَ رُعُوسِهِمْ ، وَسَمَّاهُمْ « الْجَفْتَاوَاتِ » . فَيَرْكَبُ مِنْهُمْ اثْنَانِ بِتَوْبِيحِ خَرِيرِ أَطْلَسٍ أَصْفَرٍ ، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ مِنْهُمَا كُوفِيَّةُ الذَّهَبِ ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ فَرَسٌ أَيْضٌ بِحِلْيَةٍ ذَهَبٍ ، وَيَسِيرَانِ مَعًا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ فِي رُكُوبِهِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى المِيدَانِ ، وَفِي عَوْدِهِ مِنْهُ إِلَى القَلْعَةِ .

وَكَانَ السُّلْطَانُ إِذَا رَكِبَ إِلَى هَذَا المِيدَانِ لِلْعِبَادَةِ ، يَفَرِّقُ خَوَائِصَ ذَهَبٍ عَلَى الْأَمْراءِ الْمُقَدِّمِينَ . وَرُكُوبُهُ إِلَى هَذَا المِيدَانِ دَائِمًا يَوْمَ السَّبْتِ ، فِي قُوَّةِ الْحَرِّ بَعْدَ وَقْفَاءِ النِّيلِ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ مِنَ السَّنَةِ ؛ فَيَفَرِّقُ فِي كُلِّ مِيدَانٍ عَلَى اثْنَيْنِ بِالتَّوْبَةِ^٣ ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَجَمَّى نَوْبُهُ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَرْبَعِ سِنِينَ ^٢ .

وَكَانَ مِنْ مُصْطَلَحِ المُلُوكِ / أَنْ تَكُونَ تَفَرُّقَةُ السُّلْطَانِ الْخَيُْولَ عَلَى الْأَمْراءِ فِي وَقْتَيْنِ : أَحَدُهُمَا عِنْدَمَا يَخْرُجُ إِلَى مَرَابِطِ خَيْلِهِ فِي الرَّبِيعِ عِنْدَ اكْتِمَالِ تَرْبِيعِهَا ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ يُعْطِي أَمْراءَ المِئِينَ الْخَيُْولَ مُسَرَّجَةً مُلْجَمَةً بِكَنَابِيشٍ مُذَهَّبَةٍ ، وَيُعْطِي أَمْراءَ الطُّبُلُخَانَةِ خَيْلًا وَغُرَبًا . وَالْوَقْتُ الثَّانِي^٤ عِنْدَ لَعِبِ السُّلْطَانِ بِالْكُرَةِ فِي هَذَا المِيدَانِ ؛ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ^٥ يُعْطِي الْجَمِيعَ خَيُْولًا مُسَرَّجَةً مُلْجَمَةً بِلا كَنَابِيشٍ بِفِصَّةٍ خَفِيفَةٍ . وَلَيْسَ لِأَمْراءِ الْعَشْرَاوَاتِ حَقٌّ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا يَتَّقَدُّهُمْ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْعَامِ . وَلِخَاصِيَّةِ السُّلْطَانِ الْمُقَرَّبِينَ ، مِنْ أَمْراءَ المِئِينَ وَأَمْراءَ الطُّبُلُخَانَةِ ،

(a) بولاق : الأوجافية . (b-b) إضافة من مسالك الأبهار .

^١ المِيدَانُ النَّاصِرِي . يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِهِ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي تُحَدُّ الْآنَ مِنَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ كُورْنِيشِ النِّيلِ ، وَمِنَ الْجَنُوبِ شَارِعُ عَائِشَةِ التِّيمُورِيَّةِ (الْوَالِدَةُ بِاشَا سَابِقًا) ، وَمِنَ الشَّرْقِ شَارِعُ الْقَصْرِ الْعَيْنِي ، وَمِنَ الشَّمَالِ شَارِعُ رَسْتَمِ بِاشَا وَمَا فِي امْتِدَادِهِ إِلَى النِّيلِ . (أَبُو الْخَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩٧:٩ هـ^٦ ، ٦٩:١٢ هـ^٧ ؛ وَفِيمَا تَقَدَّمَ ٤٩٩) .
^٢ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمَرِي : مَسَالِكُ ٣٠ : الْقَلْقَشَنْدِي : صَبْحُ ٥٥ : ٤ .

زيادة كثيرة من ذلك ، بحيث يصل إلى بعضهم المائة قرس في السنة ^١.

وكان من شعار السلطان ^٢ أن يركب إلى الميدان وفي عُتْقِ القُرس رَقَبَةُ خَرِيرِ أَطْلَسِ أَصْفَرِ بَزْرَكَشِ دَهَبَ ، فتشتر من تحت أذُنَيْ القُرس إلى حيث الشَّوْج . ويكون قُدَّامَهُ اثنان من الأوشاقِيَّةِ راكبين على حصانين أَشْهَبَيْنِ بِرَقَبَتَيْنِ نَظِيرَ مَا هُوَ رَاكِبٌ بِهِ ، كَأَنَّهُمَا مُتَعَدَّانِ لِأَن يركبهما . وعلى الأوشاقِيَّتين المذكورين قِبَاءَانِ أَصْفَرَانِ من خَرِيرِ بَطِرَازٍ مُزْرَكَشِ بِالذَّهَبِ ، وعلى رأسهما قَبْعَانِ مُزْرَكَشَانِ . وغاشِيَةُ الشَّوْجِ محمولة أمام السلطان ، وهي أَديم مُزْرَكَشِ بِذَهَبٍ يحملها بعض الرُّكَّابِ دَائِرَةً قُدَّامَهُ ، وهو ماشٍ في وَسَطِ الموكب . ويكون قُدَّامَهُ فَارِسٌ يُشَبِّبُ بِشَبَّابَةٍ لَا يَقْصِدُ بَنَاقِيهَا الإطْرَابَ ، بل مَا يَقْرَعُ بِالمُهَابَةِ سَامِعَهُ . ومن خَلْفِ السلطان الجَنَائِثُ ، وعلى رأسه العَصَائِثُ السُّلْطَانِيَّةُ ، وهي صُفْرُ مطرُوزة بِذَهَبٍ بِأَلْقَابِهِ وَاسْمِهِ .

وهذا لَا يَخْتَصُّ بِالرُّكُوبِ إِلَى المِيدَانِ ، بل يُعْمَلُ هَذَا الشَّعَارُ أَيْضًا إِذَا رَكِبَ يَوْمَ العِيدِ ، أَوْ دَخَلَ إِلَى القَاهِرَةِ أَوْ إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدُنِ الشَّامِ . ويزدادُ هَذَا الشَّعَارُ فِي يَوْمِ العِيدَيْنِ وَدُخُولِ المَدِينَةِ ، يَرْفَعُ المِظْلَةَ عَلَى رَأْسِهِ - وَيُقَالُ لَهَا الجَيْتْرُ ^٣ - وَهُوَ أَطْلَسُ أَصْفَرُ مُزْرَكَشٍ مِنْ أَغْلَاهِ قُبَّةٍ وَطَائِرٍ مِنْ فِصَّةٍ مُذَهَّبَةٍ ، يحملها يَوْمئِذٍ بَعْضُ أَمْرَاءِ المِيْنِ الأَكَابِرِ وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسَهُ إِلَى جَانِبِ السُّلْطَانِ . ويكون أَرْبَابُ الوُظَايِفِ وَالسَّلَاحِ دَائِرَةً كُلَّهُمْ خَلْفَ السُّلْطَانِ ، ويكون حَوْلَهُ وَأَمَامَهُ الطَّبِيرُ دَائِرَةً - وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الأَنْكَرَادِ ذَوِي الإِقْطَاعَاتِ وَالْإِمْرَةِ - وَيَكُونُونَ مُشَاقَّةً وَبِأَيْدِيهِمُ الأَطْبَارُ ^٤ المشهورة ^٥.

(a) بولاق : الخبر .

^١ الطَّبِيرُ . فارسي بمعنى الفأس ، ويدعو أن أصله من مدينة طَبِيرِشْتَانِ فَقَدْ ذَكَرَ بِاقُوتُ أَنَّ طَبِيرِشْتَانَ مَعْنَاهَا نَاحِيَةُ الطَّبِيرِ ، لِأَنَّ أَهْلَ هَذِهِ التَّوَاهِي كَثِيرَةَ الحُرُوبِ وَكُلَّ أَسْلِحَتِهِمُ الأَطْبَارُ . (معجم البلدان ٤ : ١٣-١٤) .

وَالطَّبِيرُ المملوكية كانت ذات رَأْسٍ شَبِيهِ دَائِرِيٍّ تَحْمِلُ بِرُخَارِفٍ مَفْرُغَةٍ أَوْ مُمَوَّجَةٍ بِالذَّهَبِ أَوْ بِكُلِيهِمَا ، وَيُغْلَبُ عَلَى الطَّنِّ أَنْ تَكُونَ الرُّخَارِفُ عَلَى هَيْئَةِ جَامَاطٍ تَحْتَوِي عَلَى ثُرُوسٍ مَحْفُورَةٍ . وَكَانَتِ الطَّبِيرُ (البَلَطَةُ) تُثَبَّتُ فِي قَائِمٍ إِمَّا مِنَ المَعْدَنِ أَوْ مِنَ الخَشَبِ ، وَيَحْمَلُ المَعْدَنِي مِنْهَا غَالِيًا بِالرُّخَارِفِ . (Mayer, L. Mamluk Costume p. 47) .

^٥ ابن فضل الله العمري : مسالك ٣٢-٣٣ ؛ القلقشندي : صبح ٤٦ : ٤٦ .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٤ وفيما يلي ٧٠١-٧٠٢ .

^٢ شعار (شارات) السلطان هي أمور تقتضيهما الأبهة والتبذخ يختص بها السلطان ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته (ابن خلدون : المقدمة ٦٩٦) . وعن رسوم الملك وآلاته في عهد المماليك . انظر القلقشندي : صبح ٦ : ٩ .

^٣ المِظْلَةُ المَعْرُوفَةُ بِالجَيْتْرِ - بِجِيمٍ مَكْسُورَةٍ قَدْ تَبَدَّلَ سَيِّئًا مَعْجَمَةً وَتَاءَ مِشَاءَ مِنْ فَوْقِ - قُبَّةٌ مِنْ خَرِيرِ أَصْفَرٍ مَزْرَكَشٍ بِالذَّهَبِ ، عَلَى أَغْلَاهَا طَائِرٌ مِنْ فِصَّةٍ مَطْلُوبَةٍ بِالذَّهَبِ ، تُحْمَلُ عَلَى رَأْسِ السُّلْطَانِ فِي العِيدَيْنِ ، وَهِيَ مِنْ بَقَايَا النُّزُلَةِ الفَائِطِيَّةِ . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٧-٨) . وَصَفْتُهَا القلقشندي فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : الجَيْتْرُ بَنُونَ بَيْنَ الجِيمِ وَالزَّي . (صبح الأعشى ١٣٣ : ٢) .

زَكَرَ قَلْعَةُ الْجَبَلِ

قال ابن سيده في كتاب «المحكم»: القلعة - بتخريك القاف واللام والعين - وقفتها - الحصن المتين في جبل، وجمعها قلاع وقلاع. وأقلعوا بهذه البلاد بنوها فجعلوها كالقلعة، وقيل القلعة - بسكون اللام - حصن مشرف، وجمعها قُلُوع^١.

- وهذه القلعة على قطعة من الجبل، وهي تتصل بجبل المقطم، وتُشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة. فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها، ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية، والنيل الأعظم في غربيها، وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية.

- وكان موضعها أولاً يُعرف بقبة الهواء، ثم صار من تحته ميدان أحمد بن طولون، ثم صار موضعها مقبرة فيها عِدَّةُ مساجد إلى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب - أول الملوك بديار مصر - على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وصارت من بعده دار الملك بديار مصر إلى يومنا هذا.

- وهي ثامن موضع صار دار الملكة بديار مصر. وذلك أن دار الملك كانت أولاً قبل الطوفان مدينة «أمشوس»، ثم صار تحت الملك بعد الطوفان بمدينة «منف» إلى أن خربها بُحْت نصر. ثم لما ملك الإشكندر بن فيليس صار إلى مصر، وجدَّ بناء الإسكندرية. فصارت دار الملكة من حينئذ، بعد مدينة منف، «الإسكندرية» إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام، وقدم عمرو بن القاص - رضي الله عنه - بجيوش المسلمين إلى مصر وفتح الحصن، واحتطت مدينة «فسطاط مصر». فصارت دار الإمارة من حينئذ بالفسطاط إلى أن زالت دولة بني أمية وقدمت عساكر بني العباس

^١ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم ١: ١٢٧.

إلى مصر، وبنوا في ظاهر القُسطاط «العشكر». فصَارَ الأُمراءُ من حينئذٍ تارةً ينزلون في العشكر، وتارةً في القُسطاط، إلى أن بَنَى أحمد بن طُولون القُصر والمُيدان، وأنشَأَ «القُطائع» بجانب العشكر. فصارت القُطائعُ منازلَ الطُلولونية إلى أن زالت دَوْلَتُهُمْ.

فَسَكَنَ الأُمراءُ بعد زوال دَوْلَةِ بني طُولون بالعشكر إلى أن قَدِمَ جُوهَرُ القَائِدِ من بلاد المغرب بمساكِرِ المُعِزِّ لدين الله وَبَنَى «القاهرة المُعِزِّيَّة»؛ فصارت القاهرة من حينئذٍ دارَ الخِلافةِ ومقرَّ الإمامةِ ومُنزَلَ المُلِكِ إلى أن انقَضَتِ الدَّوْلَةُ الفاطميَّةُ على يدِ السُلطانِ صلاح الدِّينِ يُوْسُفَ بنِ أَيُّوبَ^١.

فلَمَّا استبَدَّ بعدهم بِأَمْرِ سُلْطَنَةِ مصر بَنَى «قَلْعَةَ الجَبَلِ» هذه وماتَ؛ فسَكَنَتْها من بعده المُلِكُ الكاملُ محمد بن العادل أبي بكر بن أَيُّوبَ، واقتَدَى به مَنْ مَلَكَ مصر من بعده من أَوْلَادِهِ إلى أن انقَرَضُوا على يدِ مَمَالِكِهِمُ البَحْرِيَّةِ، ومَلَكَوا مصر من بعدهم، فاستَقَرُّوا بِقَلْعَةِ الجَبَلِ إلى وَقْتِنَا^{١٠} هذا.

وسَأَجْمَعُ - إن شاء الله تعالى - من أختار قَلْعَةَ الجَبَلِ هذه، وذاكَ من مَلَكَها ما فيه كِفَايَةٍ.

٢٠٢:١

ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ قَلْعَةِ الْجَبَلِ

قَبْلَ بِنَائِهَا

اعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا عُرِفَ مِنْ خَبَرِ مَوْضِعِ قَلْعَةِ الجَبَلِ^(ب) - فيما وَقَفْتُ عليه^(ب) - أَنَّهُ كَانَ فِيهِ قُبَّةٌ تُعْرَفُ بِقُبَّةِ الهَوَاءِ.

قال أبو عُثَرَ^(ب) محمد بن يُوْسُفَ بن يعقوب^(ب) الكِنْدِيُّ في كِتَابِ «أُمراء مصر»^(ب) ومن أَضَلِّ الفاضلي القُضَاعِي الذي قَرَأَهُ على ابنِ النُّجَّاسِ نَقَلْتُ مَا نَصَّهُ^(ب): واجْتَنَى حَاتِمُ بن هُرَيْثَةُ القُبَّةَ التي تُعْرَفُ بِقُبَّةِ الهَوَاءِ^٢، وهو أَوَّلُ من ابْتَنَاهَا، وَلَمَّا مَلَكَ مصر إلى أن صُرِفَ عنها في جُمَادَى الآخِرَةِ سنة

(a) بولاق: يومنا. (b-b) إضافة من مسودة الحطط.

^١ راجع فيما تقدم ٣٥٠:١، ٣٦٤، ٣٩٢؛ ٣:٢، ^٢ عن قُبَّةِ الهَوَاءِ، انظر فيما تقدم ٨٠:٢، ٥٨٤.

خمس وتسعين ومائة^١. قال: ثم مات عيسى بن منصور، أمير مصر، في قُبَّةِ الْهَوَاءِ بعد عَزْلِهِ لإحدى عشرة خَلَّتْ من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين^٢.

ولمَّا قَدِمَ أمير المؤمنين المأمون إلى مصر في سنة سبع عشرة ومائتين، وجلس بقُبَّةِ الْهَوَاءِ هذه، وكان بحضرته سعيد بن عُفَيْرٍ، فقال المأمون: لَعَنَ اللهُ فِرْعَوْنَ حيث يقول: «أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ بِمِصْرَ؟» فلو رأى العراق ويخضبها! فقال سعيد بن عُفَيْرٍ: يا أمير المؤمنين لا تثقل هذا، فإنَّ الله - عزَّ وجلَّ - قال: ﴿وَدُفِنْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ﴾ [الآية ١٣٧ سورة الأعراف]. فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دَمَرَهُ اللهُ هذا بَيِّنَتُهُ؟

ثم قال سعيد: لقد بَلَّغْنَا أَنَّ أَرْضًا لم تكن أعظم من مصر، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها، وكانت الأنهار بقناطرٍ ولجشورٍ بتقدير، حتى إنَّ الماء يجري تحت منازلهم وأقبيتهم يُرْسِلُونَهُ متى شاءوا ويحبسونه متى شاءوا، وكانت البساتين^(a) تُحَادِي الثَّيْلَ من أوله إلى آخره ما بين أشوان إلى رشيد إلى الشام^(b) مُتَّصِلَةٌ لا تَنْقَطِعُ. ولقد كانت الأُمَّةُ تضع المَكْتَلَ على رأسها فيمتلئ مما يَنْقُطُ من الشَّجَرِ، وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى خِمار لكثرة الشَّجَرِ.

وفي قُبَّةِ الْهَوَاءِ حَبَسَ المأمون الحارث بن مِسْكِينَ.

قال الكندي في كتاب «الموالي»: قَدِمَ المأمون مصر - وكان بها رجل يُقال له الحَضْرَمِيُّ يتظلم من ابن أسباط وابن تميم - فجلس الفضل بن مزوان في المسجد الجامع، وحضر مجلسه يحيى بن أَكْثَمَ وابن أبي دُوَادٍ^(b)، وحضر إسحاق بن إسماعيل بن حَمَادٍ بن زَيْدٍ - وكان على مظالم مصر - وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث.

وأحضر الحارث بن مِسْكِينَ لِيُؤَلِّي قَضَاءَ مصر، فدعاه الفضل بن مزوان، فبينما هو يكلمه، إذ قال الحَضْرَمِيُّ للفضل: سَلْ - أَصْلَحَكَ اللهُ - الحارث عن ابن أسباط وابن تميم. قال: ليس لهذا أحضرناه. قال: أَصْلَحَكَ اللهُ، سَلْهُ. فقال الفضل للحارث: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: ظالمين غاشمين. قال: ليس لهذا أحضرناك.

(a-a) إضافة من مسودة الخطوط. (b) بولاق: ابن أبي داود.

فاضطرب المشجّد، وكان الناس متوافرين، فقام الفضل وصار إلى المأمون بالخبر، وقال: خِفْتُ على نفسي من ثوران الناس مع الحارث.

فأرسل المأمون إلى الحارث فدعاه، فابتدأه بالمسألة، فقال: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: ظالمين غاشمين. قال: هل ظلماك بشيء؟ قال: لا. قال: فعاتلتهما؟ قال: لا. قال: فكيف شهدت عليهما؟ قال: كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط إلا الساعة، وكما شهدت أنك عزوت ولم أحضر عزوك. قال: أخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد، وبغ قليلك وكثيرك فإنك لا تعينها أبداً. وحجته في رأس الجبل في قبّة ابن هروثة.

ثم انحدر المأمون إلى البشرد وأحضره^(٥) معه. فلما فتح البشرد أحضر الحارث. فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر، فردّ عليه الجواب بعينه، فقال: فأني شيء تقول في خروجنا هذا؟ قال: أخبرني عبد الرحمن بن القايم، عن مالك، أن الرشيد كتب إليه في أهل ذلك يسأله عن قتالهم، فقال: إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا العضا فقتلهم حلال.

فقال المأمون: أنت تيس، ومالك أتيتك منك، ارجل عن مصر. قال: يا أمير المؤمنين إلى الثغور؟ قال: الحق بمدينة السلام. فقال له أبو صالح الحراني: يا أمير المؤمنين تغفر زلته. قال: يا شيخ تشققت، فازتفع.

ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبّة الهواء هذه، كان كثيراً ما يُقيم فيها، فإنها كانت تُشرف على قصره. واعتنى بها الأمير أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وجعل لها السور الجليلة والفرش العظيمة، في كل فصل ما يُناسبه.

فلما زالت دولة بني طولون، وخرب القصر والميدان، كانت قبّة الهواء مما خرب - كما تقدّم ذكره عند ذكر القطائع من هذا الكتاب - ثم عمل موضع قبّة الهواء مقبرة، ونُحِت فيها عِدّة مساجد^١.

(٥) بولاق: وأحضره.

قال الشريف محمد بن أشعد الجواني النشابة في كتاب «التقط على»^(a) الخياط: والمساجد المبنية على الجبل المتصل^(b) بالبحاميم المطل^(c) على القاهرة المعزية، التي فيها المسجد المعروف بسعد الدولة، والترب التي هناك تحتوي القلعة التي بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على الجميع وهي التي نعتها بالقاهرة. وبنيت هذه القلعة في مدة يسيرة.

- وهذه المساجد هي: مسجد سعد الدولة، ومسجد مير الدولة والي مصر^١، ومسجد مقدم ابن غليان من بني بؤيه الديلمى،^(d) والمسجد العدة، بناء أحد الأستاذين الكبار المستصيفة - وهو عدة الدولة - وكان بعد مسجد مير الدولة، ومسجد عبد الجبار بن عبد الرحمن بن شبل بن علي ابن^(e) رئيس الرؤساء، وكافي الكفاة أبي يعقوب بن يوسف الوزير بهمدان ابن علي، بناء وانتقل بالإرث إلى ابن عمه القاضي الفقيه أبي الحجاج يوسف بن عبد الجبار بن شبل، وكان من أعيان الشادة^٢. ومسجد/ قسطة، وكان أميراً^(f) أزمتيا من غلمان المظفر ابن أمير الجيوش، مات مسخوماً من أكلة هريسة.

- وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي: سمعت أبا منصور قسطة الأزمني^(g) والي الإسكندرية يقول: كان عبد الرحمن خطيب ثغر عشقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الأعياد، ف قيل له قد قرب منّا العدو. فنزل عن المنبر، وقطع الخطبة. فبلغه أن قوماً من العسكرية عابوا عليه فعله. فخطب في الجمعة الأخرى داخل البلد في الجامع خطبةً بليغة قال فيها: «قد زعم^(h) أن الخطيب فرغ، وعن المنبر ترزعزع⁽ⁱ⁾ وليس ذلك عازراً على الخطيب، وإنما يؤسه الطليسان، وحسامه اللسان، وفروسه خشب لا تجري مع الفرسان. وإنما العار على من تقلد الحسام، وسر السنان، وركب الجياد الحستان، وعند اللقاء يصيح: إلى عشقلان»^٣.

(a) بولاق في. (b) بولاق: المتصلة. (c) بولاق: المطلة. (d-d) ساقطة من بولاق. (e) ساقطة من بولاق. (f) بولاق: غلاماً. (g) عند السلفي: الأمري. (h) بولاق: قد زعم قوم، والسلفي: قد زعموا. (i) بولاق: نزع.

٦٣-٦٤.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١.

^٢ راجع مناقشة كازانوفاً لمواقع هذه المساجد
^٣ السلفي: معجم الشفر ٣٢٤ (ترجمة رقم ١١٣٧)؛
 Casanova, P., *op.cit.*, pp. 557-59 (الترجمة العربية وانظر عن السلفي فيما يلي ٧٥٥ هـ).

وكان قُشَطَة هذا من عُقلاء الأمراء المائلين إلى العدل، الثابرين على مطالعة الكتب^١، وأكثر ميله إلى الثوار يخ وسيّر المتقدمين، وكان مَسْجِدَه بعد مَسْجِد شَقِيق المُلْك^٢. وَمَسْجِدُ الدَّيْلَمِي كان على قُرْبَةِ الجَبَلِ المقابل للقلعة من شَرْقِهَا إلى الْبَحْرِي، وَقَبْرُهُ قُدَّامَ الْبَابِ. وَتُرْبَةُ وَلَحْشِي الأمير، وإلِد الشُّلْطَانِ رِضْوَانِ بْنِ وَلَحْشِي الْمَنْعُوتِ بِالْأَفْضَلِ، كان من الْأَعْيَانِ الْفَضْلَاءِ الْأَدَبَاءِ، صَرَبَ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ الْبَوَّابِ وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ مُثَنَّى، وَكَتَبَ عِدَّةَ خُتَمَاتٍ، وَكَانَ كَرِيمًا شَجَاعًا يُلقَّبُ فَحْلُ الْأَمْرَاءِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الثُّرُوبَةُ آخِرَ الصُّفِّ.

وَمَسْجِدُ شَقِيقِ الْمُلْكِ الْأَسْتَاذِ حُسْرَوَانِ، صَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ، أُضِيفَ إِلَى سُورِ الْقَلْعَةِ الْبَحْرِي إِلَى الْقُرْبِ قَلِيلًا^٣. وَمَسْجِدُ أَمِينِ الْمُلْكِ صَارِمِ الدَّوْلَةِ مُفْلِحٍ - صَاحِبِ الْمَجْلِسِ الْحَافِظِي - كان بعد مَسْجِدِ الْقَاضِي ابْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمَعْرُوفِ بِمَسْجِدِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، وَهُوَ فِي وَسْطِ الْقَلْعَةِ، وَبَعْدَهُ ثُرُوبَةُ لَاوْنِ أَحْيَى يَانِسٍ. وَمَسْجِدُ الْقَاضِي النَّبِيِّ كَانَ لَهُتَمَامُ الدَّوْلَةِ عَنَامًا، وَمَاتَ رَسُولًا بِيَلَادِ الْيَوْمِ^٤.

(a) بولاق: الشام.

1013101 RCEA 8, p. 220 n°). وواضح أنَّ سليمان باشا الخادم عند تأسيس مسجده نَقَلَ اللَّوْحَ الْقَدِيمَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَوَضَعَهُ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ثُرُوبَةِ أَبِي الْمُتَّصِرِ قُشَطَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ تُرُبِ الْمَمَالِكِ، وَتَمَازُ هَذِهِ الثُّرُبُ بِأَنَّ عَلَى شَاهِدِ كُلِّ قَبْرِ مِنْهَا تَوْحُ لِيَاسِ الرَّأْسِ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُهُ الْمَمْلُوكُ الْمَذْكُورُ فِيهِ، وَهِيَ تَقْدُمُ لَنَا بِذَلِكَ تَمَازُجٌ نَادِجٌ لَأَشْكَالٍ غَلَابِيسِ الرَّأْسِ عَنِ الْمَمَالِكِ. (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 559-60) (الترجمة العربية ٦٤-٦٦)؛ أَبُو الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١١: ٢٦٢-٢٦٣ هـ^٣، وَقَدْ خَلَطَ مُحَمَّدٌ رَمَزِيٌّ فِي تَحْدِيدِهِ لِمَوْقِعِ الْمَسْجِدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَسْجِدِ الرَّدِّيْنِيِّ الْآتِي ذِكْرَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَالَّذِي لَا يَدَّ أَنْ كَانَ مُجَاوِزًا لَهُ).

3 ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١، وفيه: «وكان هذا الأستاذ من الأجلاء الكرماء وفيه خير، وكان لأهل المساجد عليه رسومٌ في المواسم المصرية كإليالي الوقودات وأوائل الصوم».

1 السلفي: معجم الشفر ٣٢٥ (ترجمة رقم ١١٣٨).
2 يَدُلُّ عَلَى مَوْقِعِ مَسْجِدِ قُشَطَةَ الْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِمَسْجِدِ سَارِيَةِ الْوَقَاعِ بِالْقُرْبِ مِنَ السُّورِ الْبَحْرِي الشَّرْقِيِّ، وَوُزَّ هَذَا الْمَسْجِدُ عَلَى الْخَرِيطَةِ الَّتِي رَسَمَهَا عُلَمَاءُ الْحَمَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ سَنَةَ ١٧٩٨ بِاسْمِ جَامِعِ الشَّارِيَةِ (S-2, 31) بِالْقُرْبِ مِنْ قَضَرِ الْحَرَمِ. وَقَدْ جَدَّدَ وَالِي مِصْرِ الْعُثْمَانِي سُلَيْمَانَ بَاشَا الْخَادِمَ هَذَا الْمَسْجِدَ سَنَةَ ١٢٣٥ هـ/١٨٢٨ م، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي تَوْحٍ مِنَ الرُّخَامِ مُثَبَّتٍ بِأَعْلَى الْبَابِ الْغَرْبِيِّ لِلْجَامِعِ (مَسْجِدِ) بِالْآثَارِ بِرَقْمِ ١٤٢). وَيُوجَدُ دَاخِلُ هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْرٌ ضَخْمٌ يَضُمُّ بَعْضَ الثُّرُبِ وَبِأَعْلَاهُ رُخَامَةٌ تُقِشُ عَلَيْهَا أَنَّ الَّذِي هُنَا هَذَا الْمَسْجِدَ الْمُبَارَكُ الْأَمِيرُ الْمَرْتَضَى الْمُتَّصِرُ مَجْدُ الْخِلَافَةِ عُثْمَانُ الْإِمَامَةُ قَهْرُ الدِّينِ عَزَّ الْمُجَاهِدِينَ ذِي الْقَضَائِنِ خَالِصَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْمُتَّصِرِ قُشَطَةَ، كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَأَنَاتَهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَانًا وَرِضْوَانًا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 559-60; Wiet G.)

أنشأه وشرأه منه القاضي النّبیه، وقَبْرُهُ به، وكان القاضي من الأعيان^١. ذَكَرَ ذلك الشّريف التّشابه.

وقال ابنُ عبد الظّاهر: أَحْبَبْتُني والدي قال: كُنَّا نَطْلَعُ إليها - يعني إلى المَسْجِدِ التي كانت مَوْضِعَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ - قبل أن تُسْكَنَ في ليالي الجُمُع، نَبِيتَ متفرّجين كما نَبِيتُ في جِوَابِقِ الْجَبَلِ والقَرَاة^٢.

قال كاتبه^٣: وبالقَلْعَةِ الآنَ مَسْجِدُ الرُّدَيْنِي، وهو أبو الحَسَنِ عَلِيّ بن مَرْزُوق بن عبد الله الرُّدَيْنِي، الفقيه المحدث المُفسِّر، كان مُعاصِرًا لَأبي عَمْرٍو عُثْمَانَ بن مَرْزُوق الحَوْفِي، وكان يُنْكِرُ على أصحابِهِ، وكانت كلمته مقبولةً عند الملوك، وكان يأوي بِمَسْجِدِ سَعْدِ الدَّوْلَةِ ثم تَحَوَّلَ منه إلى مَسْجِدِ عُرْفَ الرُّدَيْنِي، وهو الموجود الآنَ بدَاخِلِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وعليه وَقِفٌ بالإسْكَنْدَرِيَّة. وفي هذا المَسْجِدِ قَبْرُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَبْرُهُ، وفي كُتُبِ المَزَارَاتِ بالقَرَاةِ أَنَّهُ دُفِنَ بها. وتوفي سنة أربعين وخمسة مائة وقَبِرَ بِحُطٍّ سارية شرقي تَرْبَةِ الكِيزَانِي^٤، واشتهر قَبْرُهُ بِاجَابَةِ الدُّعَاءِ عنده^٥.

(a) بولاق: مؤلفه. (b) بولاق: الكيرواني، وفي مرشد الزوار: تربة أم مودود وتربة بني درباس. (c) في مرشد الزوار: إجابة الدعاء بوفاء الدين، وهنا على هامش آهاصوفيا: يباح أربعة أسطر.

^١ قارن مع ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣١ - ١٦٠، وكان هذا المسجد بين أكر الحرم السلطانية، قال ابن ١٣٢ للمقريزي: مسودة الخطوط ١٤١ ط.

^٢ نفسه ١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ١٣٦٨ (المقريزي: مسودة الخطوط ١٤١ ط).

^٣ هذا النص نقلًا عن المؤقّن بن عثمان: مرشد الزوار

١٦٠، وكان هذا المسجد بين أكر الحرم السلطانية، قال ابن عبد الظاهر: وقال لي والدي - رحمه الله - عرض عليّ الملك الكامل إمامته، فامتنعت لكونه بين أكر الحرم.

(القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٨).

ذكر مبرياء قلعة الجبل

وكان سبب بنائها أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما أزال الدولة الفاطمية من مصر، واستبد بالأمر، لم يتحول من دار الوزارة بالقاهرة، ولم يزل يخاف على نفسه من شيعه الخلفاء الفاطميين بمصر، ومن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سلطان الشام. فاشتغ أولًا من نور الدين بأن سير أخاه الملك المعظم شمس الدولة ثوران شاه بن أيوب، في سنة تسع وستين وخمس مائة، إلى بلاد اليمن لتصير له مملكة تعصمه من نور الدين، فاشتغلى شمس الدولة على ممالك اليمن^١.

وكنى الله تعالى صلاح الدين أمر نور الدين ومات في تلك السنة، فخلا له الجؤ وأمن جانبه. وأحب أن يجعل لنفسه مقبلًا بمصر، فإنه كان قد قسم القصرين بين أمرائه وأنزلهم فيهما. فيقال إن السبب الذي دعاؤه إلى اختيار مكان قلعة الجبل، أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة، فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين، فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك وأقام على عمارتها الأمير الطواشي^٢ بهاء الدين قراقوش الأسدي. فشرع في بنائها، وبني سور القاهرة الذي زاده في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، وهدم ما كان^٣ من المساجد، وأزال القبور، وهدم الأهرامات^٤ الصغار التي كانت بالجيزة تجاه مدينة^٥ مصر. وكانت كثيرة الغدد. ونقل ما وجد بها من الحجارة، وبني به السور والقلعة وقناطر الجيزة، وقصد أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة ومصر، فمات السلطان قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة^٦. فأهمل

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: هنالك. (c) بولاق: الأهرام.

^١ فيما تقدم ١٠٩.

^٢ فيما تقدم ٢٦٤: ٢٦٧، وهذا المجلد ٥٠٨.

الانتهاء من بناء القسم الأول من القلعة، وترك لنا الوصف التالي: فوشاقدنا أيضًا بناء القلعة - وهو جصص متصل بالقاهرة حصين القلعة - يُريد السلطان أن يتخذهُ موضع سكناه، وعمد سورهُ حتى يتظم بالمدينتين مصر والقاهرة. والمتشرون في هذا البيان والتولون لجميع انبهااته =

ولقدنا وصف هام معاصر لبناء القلعة يُفيدنا - على الأخص - في معرفة المُشترين في بنائها، فقد كان الزمالة ابن جبير الأندلسي في مصر سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م عند



مَنْظَرُ عَامٍ لِسُورِ قَلْعَةِ الْجَيْلِ كَمَا يَبْدُو فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ (عَنْ وَصْفِ مِصْرَ)



مَنْظَرُ عَامٍ لِسُورِ قَلْعَةِ صَلَاحِ الدِّينِ مِنْ جِهَةِ طَرِيقِ صَلَاحِ سَالِمٍ وَالْمَقْطَمِ (عَنْ كِتَابِ Le Caire)

العمل إلى أن كانت سلطنة الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أسكن ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمد^(a) في قلعة الجبل، واشتتبه في مملكة مصر وجعله ولي عهده^(b). فأمّ بناء القلعة، وأنشأ بها الأدر السلطانية وذلك في سنة أربع وست مائة. وما برح يسكنها حتى مات، فاستمرت من بعده دار مملكة مصر إلى يومنا.

وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف يُقيم بها أياماً، وسكنها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في أيام أبيه مدة، ثم انتقل منها إلى دار الوزارة.

(c) قال العلامة محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان في كتاب «حطط القاهرة» ومنه نقلت: قلعة الجبل كان قبل بنائها بها مساجد وبعضها أوقاف منها مسجد له وقف بالإسكندرية، تولّى عمارتها قزاقوش وابتدأ بذلك في سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة^(e). وسيف حكاية حكى/ عن صلاح الدين أنه طلقها ومعه أخوه الملك العادل، فلما رآها التفت إلى أخيه وقال: يا سيف الدين قد بنيت هذه القلعة لأولادك. فقال: يا خوند من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا. فقال: ما فهمت ما قلت لك، أنا نجيب ما يأتي لي أولاد نجباء، وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء! فسكت¹.

قال كاتبه^(d): وهذا الذي ذكره صلاح الدين يوسف من انتقال الملك عنه إلى أخيه وأولاد أخيه، ليس هو خاصاً بدولته، بل اعتبر ذلك في الدول تجد الأمر ينتقل عن أولاد القاييم بالدولة إلى بعض أقاربه. هذا رسول الله ﷺ، هو القاييم بالملة الإسلامية، ولما توفي ﷺ، انتقل أمر القيام بالملة الإسلامية بعده إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن عثمان بن

(a) الثمر في بولاق: إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. (b) بولاق: ولي عهد. (c-c) هذه الفقرة من مسودة الخطوط، وجاء عرضها في المبيضة: قال ابن عبد الظاهر. (d) بولاق: قال مؤلفه.

(الرحلة ٢٥).

¹ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٠-١٣١؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٨-٣٦٩؛ المقرئ: مسودة الخطوط ١٤١ ط.

= ومؤثراته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور العظام وخفر الخندق المحقق بشور الحصن المذكور - وهو خندق يُنقى بالمعاول تُقرأ في الصخر عجيباً من العجائب الباقية الآثار - القلوع الأسارى من الزوم وعندهم لا يُخصى كثرة، ولا سبيل أن يُتقن في ذلك البنيان أخذ سواهم.

عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم^(a) بن مرة بن كعب بن لؤي . فهو - رضي الله عنه - يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب .

ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - إلى بني أمية ، كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فلم تفلح أولاده ، وصارت الخلافة إلى مزوان بن الحكم بن أبي^(b) العاص بن أمية ، فتوارثها بنو مزوان حتى انقضت دولتهم بقيام بني العباس .

فكان أول من قام من بني العباس عبد الله بن محمد السفاح ، ولما مات انتقلت الخلافة من بعده إلى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، واستقرت في بيته إلى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد .

١٠ وكذا وقع في دول العجم أيضًا ؛ فأول ملوك بني بُوَيه إِمَادُ الدِّين أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ^(c) عَلِيٌّ بن أبي شجاع^(d) بُوَيه ، والقائم من بعده أخوه رُكْنُ الدَّوْلَةِ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بن بُوَيه . وأول ملوك بني شُلُجُوق طغرل بك ، والقائم من بعده في السلطنة ابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن شُلُجُوق .

١٥ وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ ولما مات اختلف أولاده ، فانقل مثلك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن إلى أخيه الملك العادل أبي بكر محمد^(b) بن أيوب ، واستمر فيهم إلى أن انقرضت الدولة الأيوبية^(١) ، فقام بمملكة مصر المماليك الأتراك . وأول من قام منهم بمصر الملك المنصور المنصور ، فلما مات لم يفلح ابنه علي ، فصارت المملكة إلى قطز . وأول من قام بالدولة الحركسية الملك الظاهر بوقوق ، وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج إلى الملك المؤيد شيخ المحمدي الظاهري^(٢) .

(a) بولاق : تميم . (b) ساقطة من بولاق . (c-c) ساقطة من بولاق .

^١ قارن ذلك أيضًا بما ذكره ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٣٤٤:١١ - ٣٤٥ ، الذي أضاف أنه لم يبق بيد أخقاب صلاح الدين غير حلب .

^٢ هذه الإشارة تدل على أن المقرئ كتب هذا الفصل والقسم الأكبر من كتابه في فترة سلطنة السلطان الملك المؤيد الأول ٦٦ - ٦٧ .

وقد جُمِعَتْ في هذا فَضْلاً كبيراً، وَقُلْما تَجِدُ الأَمْرَ بِخِلافِ ما قُلْتَهُ لك، ولله عاقِبَةُ الأُمُور.

قال ابنُ عبد الظَّاهر: والمَلِكُ الكاملُ هو الذي اِهْتَمَّ بِعِمَارَتِها وَعِمَارَةِ أَثَرِاجِها، البُوجُ الأحمر وغيره، فَكَمَلَتْ في سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّ مائَةٍ، وَتَحَوَّلَ إليها من دارِ الوِزَارَةِ، وَنَقَلَ إليها أَوْلادُ العاضِدِ وَأَقَارِبُهُ وَسَجَنَهُم في بَيْتٍ فيها. فلم يَزَالوا به^٥ إلى أن حَوَّلُوا منه في سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مائَةٍ^١.

قَالَ: وفي أَوَاخِرِ^٥ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مائَةٍ، شَرَعَ السُّلْطَانُ المَلِكُ المَنْصُورُ قَلاوون في عِمَارَةِ بُوجٍ عَظِيمٍ على جَانِبِ بابِ السُّرِّ الكَبِيرِ، وَبَنَى عُلُوَّهُ مَشْرِفَاتٍ وَقَاعَاتٍ مُرْتَحِمَةً لَمْ يُرْ مِثْلُها، وَسَكَنَها في صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مائَةٍ. وَيُقَالُ إِنَّ قَرَأُوشَ كانَ يَسْتَعْمِلُ في بِناءِ القَلْعَةِ والسُّورِ خَمْسِينَ أَلْفَ أُسِيرٍ^٢.

البُيُوتُ الَّتِي بِالْقَلْعَةِ

هذه البُيُوتُ من العَجَائِبِ، اسْتَنْتَبَها قَرَأُوشُ: قال ابنُ عبد الظَّاهر: وهذه البُيُوتُ من عَجَائِبِ الأَثْنِيَّةِ: تَدُورُ البَقَرُ من أَغْلاها فَتَنْقُلُ المَاءَ من نَقْالَةٍ في وَسْطِها، وَتَدُورُ أَهْأَزَ في وَسْطِها تَنْقِلُ المَاءَ

(a) بولاق فيه. (b) بولاق: آخر.

^١ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٣١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٤١ ط، ويؤكد كازانوف - اعتماداً على العديد من النصوص - أنَّ القلعة لم تكن صالحةً للشكنى قبل انتقال الملك الكامل محمد إليها، وأنَّ صلاح الدين وخلفاءه حتى الكامل محمد، كانوا يقيمون في دار الوزارة بالقاهرة. وكان صلاح الدين - في الفترة التي أقام فيها في مصر - يتردَّد إليها لمُتابعة شُيْرِ البناء، الذي لم يتم منه سوى السور الرئيسي، وأنَّ الملك الكامل محمد هو الذي شَهِدَ بها أَوَّلَ المنشآت الشكنية. Casanova, P., *op.cit.*, pp. 571-72 (الترجمة العربية ٧٢-٧٤).

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٧٢-٣٧٣؛ المقرئ: مسودة المواظ ٤٤؛ وانظر كذلك ابن جبير: الرحلة ٢٥؛ البنداري: سنا البرق الشامي ١١٩؛ أبا شامة: الروضتين ١: ٦٨٧؛ ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة ٢/٣: ٨٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٥٣-٥٤؛ جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ٢٣٦-٢٣٨ الذي أطلق على التراسم «بقر يوسف» - وهي رواية شعبية ترجع إلى قصة سيدنا يوسف الصديق ولا علاقة لها باسم صلاح الدين الشخصي - ١-89 Casanova, P., *op.cit.*, pp. 585-89 (الترجمة العربية ٨٣-٨٦) Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 63-64.

^٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٩؛ القلقشندي:

من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء تنزل^(a) البئر إلى معينها في مجازٍ ، وجميع ذلك حَجَرٌ مَنْحُوتٌ ليس فيه بناءٌ .

وقيل إنَّ أرضها مُساوِمةٌ أرضَ بركة الفيل ، وماؤها عَذْبٌ ؛ سَمِعْتُ من يَحْكِي من المشايخ أنَّها لما نُفِرتْ جاءَ ماؤها حُلُواً ، فَأَرَادَ قَرَأُوش - أو نُوَّابُه - الزَّيَادَةَ في مائها ، فَوَسَّعَ نَقْرَ الجَبَلِ ، فَخَرَجَتْ منه عَيْنٌ مَالِجَةٌ غَيَّرَتْ حِلَاوَتَهَا .

وَذَكَرَ القاضي ناصرُ الدِّين شافِعُ بن علي في كتاب «عجائب البُنيان» أَنَّهُ يُنْزَلُ إلى هذه البئر بِدَرَجٍ نحو ثلاث مائة دَرَجَةٍ^١ .



البزجان متعددا الزوايا المحيطان بيتر يوسف والشور الرابط بينهما (عن ناصر رباط)

(a) بولاق : ينزل .

^١ هذا النص المنسوب إلى شافع بن علي منقول عن عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ٤٥ ، فكما سبق أن أوضحت (مقدمة المجلد الأول ٨٦) فقد نقل شافع بن علي الفصل الرابع من كتاب «الإفادة والاعتبار» الخاص بما شوهد في مصر من آثارها القديمة ، ثم اعتمد عليه المقرئ ، رغم معرفته برحلة عبد اللطيف البغدادي

ذِكْرُ صِفَةِ الْقَلْعَةِ^١

وصِفَةُ «قَلْعَةِ الْجَيْلِ» أَنَّهَا بِنَاءٌ عَلَى تَشْرِعٍ عَالِيٍّ، يَدُورُ بِهَا سُورٌ مِنْ حَجَرٍ بِأَنْوَاجٍ وَتَدْنَاتٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ^٢، ثُمَّ مِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِالْأُتُورِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى غَيْرِ أَوْضَاعٍ أَوْجَاعِ الْقِيْلَاعِ^٣.

(a) الثَّصُّ فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ، مَصْدَرُ النُّقْلِ: «الْقَصْرِ الْأَبْلَقُ النَّاصِرِيُّ الْمُسْتَجِدُّ بِنَاؤُهُ». (b) بُولَاقُ: بَابُ الْغَلَالِ.

كَازَانُوفَا الَّتِي أَرَادَ بِهَا إِخْبَاءَ مَعَالِمِ الْقَلْعَةِ بِالاعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ وَقَطْبِيقِهَا عَلَى مَا تَبَيَّنَ مِنْ أَطْلَالِ وَأَثَارِ الْقَلْعَةِ Casanova, P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, MMAF, IV (1891), pp. 509-781 (تَقْلَعُهَا إِلَى الْعَرِيَّةِ أَحْمَدُ ذَوَّاجٌ بِعَنْوَانِ: «تَارِيخُ وَوُصْفُ قَلْعَةِ الْقَاهِرَةِ»، الْقَاهِرَةُ ١٩٧٤)؛ وَدِرَاسَةُ عَالِمِ الْأَثَارِ الْإِنْجِلِيزِيِّ كَرِيزْوِيلِ الَّتِي أَهْتَمَّ فِي الْأَسَاسِ بِدِرَاسَةِ أَشْوَارِ الْقَلْعَةِ وَأَتْرَاجِهَا وَأَبْوَابِهَا مِنْ النَّاحِيَةِ الْأَثَرِيَّةِ Creswell, K.A.C., *Archaeological Researches at the Citadel of Cairo*, BIFAO XXIII (1924), pp. 89-158 (أَعَادَ تَقْرِيرَهَا مَعَ تَقْدِيْلَاتٍ وَإِضَافَاتٍ فِي الْجِزْءِ الثَّانِي مِنْ

كِتَابِهِ *The Muslim Architecture of Egypt*, Oxford 1959, II, pp. 1-40 (تَقْلَعُهَا إِلَى الْعَرِيَّةِ جَمَالُ مُحَمَّدٍ يَخْرِزُ وَأَعْدَهَا لِلتَّشْرِعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ زَكِيِّ بِعَنْوَانِ: وَوُصْفُ قَلْعَةِ الْجَيْلِ، الْقَاهِرَةُ ١٩٧٤)؛ ثُمَّ دِرَاسَةُ دُورِسِ يَهْرَنَ أَبُو سَيْفٍ عَنِ الْقَلْعَةِ كَتَشْرِيجٍ لِلْإِعْتِفَالَاتِ وَالرُّسُومِ لِلْمُلُوكِيَّةِ Behrens - Abouseif, D., «The Citadel of Cairo: Stage for Mamluk Ceremony», *An. Isl.* XXIV (1988), pp. 25-79 (وَقَوَّضُوا الدِّرَاسَةَ الشَّامِلَةَ لِنَاصِرِ رِبَّاطٍ عَنِ عِمَارَةِ الْقَلْعَةِ زَمَنَ الْمَمَالِكِ Rabbat, N., *The Citadel of Cairo - A New Interpretation of Royal Mamluk Architecture*, B.J. Brill - Leiden 1995.

وَكَتَبَ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ زَكِيِّ يَكْبَانِ بِشْتِمْلَانِ =

^١ أَقْدَمَ الْمَصَادِرَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي تُقَدِّمُ لَنَا وَصْفًا دَقِيقًا لِقَلْعَةِ الْجَيْلِ يَكْتَابُ «الْوُزْرَةُ النَّهْيَةُ الْوَاظِرَةُ فِي يَحِطُّ الْمُرِيَّةُ الْقَاهِرَةُ» لِحُجِيِّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٩٢هـ/١٢٩٣م؛ وَيَكْتَابُ «مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ» لِشَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ قُضَلِ اللَّهِ الْقُمْرِيِّ، الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. الْأَوَّلُ وَوُصِفَ الْقَلْعَةُ فِي بَدَايَةِ عَصْرِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ الْبُخْرِيَّةِ، وَالثَّانِي وَوُصِفَ الْقَلْعَةُ زَمَنَ زُهْدِهَا فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاطُونَ؛ وَعَنْ هَذَا الْمَوْلُفِ نَقَلَ الْمُقَرِّبِيُّ أَكْثَرَ عِبَارَاتِهِ وَضَرْبِهَا فِي وَصْفِ الْقَلْعَةِ، كَمَا اخْتَصَرَ عَلَيْهِ كَذَلِكَ الْقَلْقُشَنْدِيُّ فِي «صَبْحِ الْأَعْيُنِ» ٣٦٨:٣-٣٧٤. (انْظُرْ مُقَدِّمَةَ هَذَا الْمَجْلَدِ).

وَمِنْ نِهَآيَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ قَامَ تَقَرُّرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ بِسِلْسِلَةٍ مِنَ التَّحْرِيقَاتِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَثَرِيَّةِ عَنِ قَلْعَةِ الْجَيْلِ أَوْضَحَتْ لَنَا الْكَثِيرَ عَنْ طَبَوغَرَفِيَّةِ الْقَلْعَةِ وَصِفَةِ أَشْوَارِهَا، خَاصَّةً وَأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ مَعَالِمِهَا قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ كَبِيرٌ وَخَاصَّةً ابْتِدَاءً مِنْ عَضْرِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بَاشَا (١٨٠٥-١٨٤٨م). وَأَهَمُّ هَذِهِ التَّحْرِيقَاتِ، أَوَّلًا دِرَاسَةُ إِمْدِ فَرَنْسُوا جُومَارِ الَّتِي صَنَعَهَا يَكْتَابُ «وُصْفُ مِصْرَ» الَّذِي وَصَفَهُ عُثْمَانُ الْحَمَلَةُ الْفَرَنْسِيَّةِ Jomard, E. Fr., «Description abrégée de la ville et de la Citadelle du Caire», *Description de l'Égypte - Etat Moderne*, t. XVIII, Paris 1822, pp. 349-62 (تَقْلَعُهَا إِلَى الْعَرِيَّةِ كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ بِعَنْوَانِ: «وُصْفُ مَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ وَقَلْعَةِ الْجَيْلِ»، الْقَاهِرَةُ - مَكْتَبَةُ الْحَاخِجِي ١٩٨٨، ٢٢٧-٢٤١)؛ ثُمَّ دِرَاسَةُ بُولِ

وَيَدْخُلُ إِلَى الْقَلْعَةِ مِنْ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا بِأَيْهَا الْأَعْظَمُ الْمَوَاجِهَ لِلْقَاهِرَةِ - وَيُقَالُ لَهُ «الْبَابُ الْمُدْرَجُ»^١ - وَبِدَاخِلِهِ يَجْلِسُ وَالْي الْقَلْعَةِ، وَمِنْ خَارِجِهِ تَذُقُ الْخَلِيلِيَّةُ^٢ قَبْلَ الْمَغْرِبِ. وَالبَابُ الثَّانِي «بَابُ الْقَرَاةِ»^٣. وَبَيْنَ الْبَابَيْنِ سَاحَةٌ فَسِيحَةٌ فِي جَانِبَيْهَا [قِبْلَةُ بِشْرُقٍ وَشَمَالًا بِقَرْبِ] نُيُوتٍ^٤، وَبِجَانِبَيْهَا الْقِبْلِيُّ سُوْقٌ لِلْمَأْكَلِ.

- وَيَتَوَصَّلُ مِنْ هَذِهِ السَّاحَةِ إِلَى «دَرْكَاهِ»^٥ بَجَلِيلَةٍ كَانَ يَجْلِسُ بِهَا الْأَمْرَاءُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ، وَفِي وَسْطِ الدَّرَكَاهِ بَابُ الْقَلْعَةِ^٦، وَيَدْخُلُ مِنْهُ فِي دِهْلِيزٍ فَسِيحٍ إِلَى دِيَارِ نُيُوتٍ، وَالْي

(a) إضافة من مسالك الأبصار. (b) بولاق: باب القلعة.

= على عَرَضِ عَامٍ لِلْقَلْعَةِ، الْأَوَّلُ: قَلْعَةُ مِصْرَ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَى الْمَلِكِ فَارُوقِ الْأَوَّلِ، الْقَاهِرَةِ ١٩٥٠، ثُمَّ عُدِّلَ فِيهِ وَشِئَ: قَلْعَةُ صَلَاحِ الدِّينِ وَمَا خَوْلَهَا مِنَ الْآثَارِ، الْقَاهِرَةِ ١٩٧١.

^١ بَابُ الْمُدْرَجِ. أَقْدَمُ أَنْوَابِ الْقَلْعَةِ وَأَعْظَمُهَا يَرْجِعُ تَارِيخُ

إِنْشَائِهِ إِلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَيُوجَدُ فَوْقَهُ نَقْشٌ مُؤَرِّخٌ بِسَنَةِ ٥٧٩هـ/١١٨٣م نَصُهُ: «بِسْمِ اللَّهِ.. الْآيَاتِ ١-٣ سَعُورَةُ الْفَتْحِ. أَمَرَ بِإِنْشَاءِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْبَاهِرَةِ الْمَجَاوِرَةِ لِحُرُوسَةِ الْقَاهِرَةِ بِالْعَزْمَةِ الَّتِي جُمِعَتْ تَقْطَعًا وَتَحْصِينًا وَشَقَّةً عَلَى مَنْ تَجَاوَزَ إِلَى طِلْزِ مَلِكِهِ وَتَحْصِينًا، تَمُولَانَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ وَالَّذِينَ أَبُو الْمُظَفَّرُ يُوسُفُ بْنُ أَلْوَبِ مَحْيِي دَوْلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَظَرِ أَخِيهِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ سَيِّفِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى يَدِ أَمِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَشُعَيْنِ دَوْلَتِهِ قَرَأَ قُرْشُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَلِكِيِّ النَّاصِرِيِّ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ». (Wiet, G., RCEA IX pp. 123-24, n°3380).

وَكَانَ هَذَا الْبَابُ يُقْرَفُ فِي زَمَنِ الْحَمْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ بِاسْمِ «بَابِ مُنْتَحَفِظَانِ»، وَلَا يَرَالُ هَذَا الْبَابُ مُوجُودًا غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ بِجَوَارِ بَابِ الْقَلْعَةِ الْعُمُومِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَابِ الْجَدِيدِ الَّذِي أُنْشِئَ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ بِأَسَاسِ سَنَةِ ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وَشُدَّ الطَّرِيقُ الَّذِي كَانَ يُتَوَصَّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُورَشِ الْقَلْعَةِ. (أَبُو الْحَسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٦٣:٧هـ، ١٩٠هـ، ١٨١:٩هـ، Creswell،

(K.A.C., MAE II, pp. 33-37).

^٢ الْخَلِيلِيَّةُ. نَوْحٌ مُتَعَيْنٌ مِنَ الطُّبُولِ تَذُقُ كُلَّ مَسَاءٍ عِنْدَ خُلُولِ وَقْتِ النَّوْبَةِ (Casanova, P., op.cit., p. 603) (الترجمة العربية ٩٨-١٠٠)؛ وَانْظُرْ فِيمَا تَقْدِمُ (١١:٢٧٠:٢).

^٣ بَابُ الْقَرَاةِ. كَانَ يَقَعُ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ سَوْرِ الْقَلْعَةِ الْقِبْلِيِّ بَيْنَ الْبَنَاتَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِزُجْجِ الْمَطَرِ. وَلَقَدْ شُدَّ هَذَا الْبَابُ مِنَ الْخَارِجِ وَقْتُ تَجَدُّدِ الشُّورِ فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّ وَلَمْ يَذَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْخَارِجِ سِوَى الْبَنَاتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ، أَلَمَّا مِنَ الدَّخِيلِ فَآثَارُهُ مَوْجُودَةٌ كَشَفَتْ عَنْهَا إِدَارَةُ حِفْظِ الْآثَارِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْلَحَتْ، وَكَانَ يَفْتَحُ عَلَى الْقَرَاةِ الْمَوْجُودَةِ جَنُوبِي الْقَلْعَةِ. (أَبُو الْحَسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٨١:٩هـ، Creswell، (K.A.C., MAE II, p. 37-39).

^٤ دَرْكَاهُ ج. دَرْكَاهَاتُ. كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ بِمَعْنَى الْخَبَةِ أَوْ بِلَاطِ السُّلْطَنَةِ، وَهِيَ مَكُونَةٌ مِنْ مَقْطَعَيْنِ: دَرْ بِمَعْنَى بَابٍ، وَكَاهُ بِمَعْنَى مَخْلٍ، وَيُقَصَّدُ بِهَا السَّاحَةُ الصَّغِيرَةُ الْمُوْدِيَّةُ إِلَى الدَّهْلِيزِ أَوْ الْمَتَرِ الْمَكْسَرِ الَّذِي يَقُودُ إِلَى دَاخِلِ الْمَبْنَى. وَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ مَنَاطِقَ مَرَبَعَةٍ أَوْ مُسْتَطِيلَةٍ تَقْصُرُهَا مَشْطَلَةٌ، وَتَفْتَحُ عَلَيْهَا فَوْقَ بَابِ الدَّخَلِ نَافِذَةٌ صَغِيرَةٌ لِإِضَاءَتِهَا وَتَهْوِيَتِهَا، وَيَكُونُ فِي أَحَدِ أَضْلَاعِهَا بَابٌ ثَانٍ يَفْضِي إِلَى الدَّهْلِيزِ أَوْ الْمَتَرِ الْمُوْدِي إِلَى دَاخِلِ الْمَكَانِ. (الْمَقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٨٥٧:١هـ،^٣ =

الجامع الذي تُقام به الجمعة . ويُتَشَي من دَهْلِيز باب القلعة^(a) في مَدَاخِل أبواب ، إلى رَحْبَةٍ فَسِيحَةٍ في صَدْرِهَا «الإِيوانُ الكبير» المُعَدُّ لجلُوس السُلطان في يوم المَوَائِب وإقامة «دار/ العَدْل» ، وبجانب هذه الرَّحْبَةِ دِيَارٌ جَلِيلَةٌ ، وفي مُجَنَّبَتِهَا^(b) إلى باب «القَصْرِ الأَبْلَق»^١ .

وبين يَدَي باب القَصْرِ رَحْبَةٌ دون الأولى يَجْلِسُ بها خَوَاصُّ الأَمْرَاء قبل دُخُولِهِمْ إلى الخِدْمَةِ الدَائِمَةِ بِالْقَصْرِ . وكان بجانب هذه الرَّحْبَةِ ، مُحَاذِيًا لباب القَصْرِ ، خِزَانَةُ الخَاصِّ^(c) . ويُدْخَل من باب القَصْرِ في دَهَالِيز حَشِيمَةٍ^(d) إلى قَصْرِ عَظِيمٍ ، وَيَتَوَصَّلُ منه إلى الإِيوان الكبير بِبابٍ خَاصٍّ ، ويُدْخَل منه أَيْضًا إلى قُصُورٍ ثَلَاثَةِ جُؤَانِيَةٍ ، منها وَاحِدٌ مُسَامِيْتُ لأَرْضِ هَذَا القَصْرِ الكبيرِ والثَّانِ مَرْفُوعَانِ يُصْعَدُ إِلَيْهِمَا بِدَرَجٍ في جَمِيعِهَا شَبَابِيكٌ حَدِيدٌ تَخْتَرِقُ إلى مِثْلِ مَنْظَرِ القَصْرِ الكبيرِ ، ثم إلى دُورِ الحَرَمِ وَأَبْوَابِ السُّنُورِ السُّلْطَانِيَةِ وإلى البَيْسْتَانِ والحَمَامِ والحَوْشِ .

وباقِي القلعة^(e) فيه دُورٌ وَمَسَاكِنٌ لِلْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَةِ وَخَوَاصِّ الأَمْرَاءِ بَيْنَسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَمَالِكِهِمْ وَدَوَابِهِمْ وَطَشَّتْ خَانَاتِهِمْ وَفَرَشَ خَانَاتِهِمْ وَشَرَبَتْ خَانَاتِهِمْ وَمَطَابِيخُهُمْ وَسَائِرَ وَظَائِفُهُمْ .

وكانت أَكَابِرُ أَمْرَاءِ الأُلُوفِ ، وَأَعْيَانُ أَمْرَاءِ الطَّبَلْخَانَاةِ والعَشَرَاوَاتِ ، تَسْكُنُ بِالْقَلْعَةِ إلى آخِرِ الأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدُ بن قَلَاوُون .

وكان بها أَيْضًا «طَبَائِقُ» المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ و«دَارُ الوِزَارَةِ» - وتُعْرَفُ بِقَاعَةِ الصَّاجِبِ - وبها قَاعَةُ الإِنْشَاءِ وَدِيوانُ الجُيُوشِ^(f) وَبَيْتُ المَالِ وَخِزَانَةُ الخَاصِّ ، وبها الدُّورُ السُّلْطَانِيَّةُ مِنَ الطُّشَّتِ خَانَاهُ وَالرَّكَابِ خَانَاهُ وَالْحَوَائِجِ خَانَاهُ وَالزُّرُودْخَانَاهُ^٢ .

وكان بها «الجُبُ» السَّنِيْعُ لِسَجْنِ الأَمْرَاءِ ، وبها «دَارُ النِّيَابَةِ» ، وبها عِدَّةُ أَتْرَاجٍ يُخْبَسُ بها الأَمْرَاءُ والمَمَالِكُ ، وبها المَسَاجِدُ والحَوَانِيثُ والأَشْوَاقُ ، وبها مَسَاكِنُ تُعْرَفُ بِخَوَانِيثِ^(g) الشَّرِّ كانت قَدَرُ حَارَةِ خَرَبَتِهَا المَلِكُ الأَشْرَفُ بَرُوسِيَايَ في ذِي القَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةٍ .

(a) بولاق : باب القلعة . (b) بولاق والنسخ : وعمر منها ، والنَّصُّ المثلث من مسالك الأبهصار ، مصدر النقل . (c) بولاق : خزانة القصر . (d) بولاق : خمسة . (e) بولاق : القلعة . (f) بولاق : الجيش . (g) بولاق : بخرائب .

^١ القلقشندي : صبح الأعشى ٣٧٠:٣ - ٣٧١ .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبهصار ٨٣ .

= ١٤٩٠ هـ ١ عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة

الإسلامية ١٨٧ محمد محمد أمين ، ليلي علي إبراهيم :

المصطلحات الأثرية في الوثائق الملوكية (٤٧) .



• القنص النابسي لقلمة الجبل باسم صلاح الدين وبهاء الدين قرطوبس



الباب المدوّج لقلمة صلاح الدين

ومن محقوقي القلعة «الإسطنبول السلطاني»^١، وكان ينزل إليه السلطان من جانب إيوان القصر .
ومن محققيها أيضًا «الميدان» ، وهو فاصل بين الإسطبلات وشوق الخيل من غريبه ، وهو فسح
المدى ، وفيه يصلي السلطان صلاة العيدين ، وفيه يلعب بالأكرة مع خواصه ، وفيه تُعْمَل المذات
أوقات المهجات أحيانًا .
ومن رأى القصور والإيوان الكبير والميدان الأخضر والجامع ، يُقرّ الملوك مصر بقلوهم وسعة
الإنتاق والكرم^(a) ٢ .

باب التذليل

هذا الباب بجانب خندق القلعة ، ويُعرف أيضًا بباب المذرج ، وكان يُعرف قديمًا بباب
سارية^٣ . ويُوصّل إليه من تحت دار الضيافة ، وينتهي منه إلى [باب] القرافة ، وهو فيما بين سور
القلعة والجبل^٤ .

(a) نض مسالك الأبصار ، مصدر النقل : «هذه القصور والإيوان الكبير والميدان الأخضر والجامع ، وغالب العمار الضخمة
بالقلعة عمارة هذا السلطان وبناءه مطوّزة الطرز فيها بألقابه واسمه تُقرّ الملوك بها بقلوهم وسعة إنتاقه وكرمه .

^٣ باب التذليل . أخذ أبواب القلعة في سورها الشرقي
المشرف على جبل المقطم وطريق صلاح سالم ، وكان يعرف
بباب سارية - نسبة إلى مسجد سارية ، المعروف الآن بجامع
سليمان باشا ، الواقع في الجهة البحرية الشرقية من قلعة الجبل
(مسجل بالآثار برقم ١٤٢) - وأقرب باب لهذا الجامع بين القلعة
والجبل يقع بين البرجين المعروفين ببرجي الإمام . وعند تجديد
السور الشرقي للقلعة في العصر العثماني شدّ هذا الباب بالبناء
من الخارج وإن كانت آثاره ما زالت باقية من الداخل وكذلك
دهليزه . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ : ٤٣٠ هـ ١ : ابن
لباس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٠٠ ، ٢/١ : ١٧٤ ، Creswell
K.A.C., MAE II, p. 36 (الترجمة العربية ٥٧) .

^٤ وهو ما يتّفق مع وصف الصيّفي يقول في حوادث سنة
٥٧٩١ هـ : في سابع عشر جمادى الأولى : «رُسم بحدّ باب
الحقوق والباب الجديد والباب المجاور للقلعة المعروف =

^١ لم يُعْرَد المقريري فيما يلي «الإسطنبول السلطاني»
بمذخل مستقل ، ويُدلّ على مكانه الآن مجموعة المباني - التي
كان بها حتى منتصف القرن العشرين مخازن وورش الجيش
المصري بالقلعة - الواقعة على يمين الدّاخل من باب القزب
(الذي كان يسمى قديمًا باب الإسطبل) في المسافة الممتدة بين
جامع أحمد أغا قيوماجي إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية
والقلية والشرقية ؛ علما بأن المكان الحالي للإسطنبول المذكور
ليس في منسوب أرض قلعة الجبل ، بل في مستوى أوطى ممّا
عليه القلعة ، ويحيط به السور الأشفل الغربي المشرف على
ميدان صلاح الدّين . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة
٩ : ٣٦٠ هـ ١٢ : ١٤٠ هـ) .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٨٣ - ٨٤
القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٧٢ - ٣٧٣ .

والدَرْفِيلُ هو الأميرُ حُسامُ الدِّينِ لاجين الأيْدْمُري، المعروف بالدَرْفِيلِ، ذُوادار الملك الظَّاهر رُكن الدِّين بَيْبُوسُ البَنْدُقداري، مات في سنة اثنتين وسبعين وست مائة^(١).

دار العدل القديمة:

هذه الدَّارُ موضِعُها الآن تحت القلعة يُعرف بـ«الطَبْلَخانا»^٢. والذي بَنَى دار العدل الملك الظَّاهر رُكن الدِّين بَيْبُوسُ البَنْدُقداري في سنة إحدى وستين وست مائة، وصارَ يجلسُ بها لقرض التماسِكِر في كلِّ اثنين وخميس^٣.

وابتداً بالحُضُور في أوَّل سنة اثنتين وستين وست مائة. فَوَقَفَ إليه ناصِرُ الدِّين محمد بن أبي نصر، وشكا أَنَّهُ أُخِذَ له بُشْتانٌ في الأثام المَعْرِية أَيْتِك، وهو بأيدي المَقْطُعين، وأُخْرِجَ كِتابُها مَثْبُوتاً^(ب)، وإخراجِ حالٍ^(ج) من ديوان الحَيْش يَشْهَدُ بأنَّ البُشْتانَ ليس من حُقُوق الدُّيوان. فَأَمَرَ بِرَدِّه عليه، فَتَسَلَّمَهُ^٤.

(a) في هامش أباصوقيا : بياض أربعة أسطر . (b) بولاق : مثبتا . (c) ساقطة من بولاق .

^٣ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٢-١٨٣ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٤١-٣٤٢ المقرئ : السلوك ٥٠١:١ ح أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦٣:٧، ١٧٤:٩ وانظر كذلك Casanova, P., *op.cit.*, p. 608 (الترجمة العربية ١٠٣-١٠٤) Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 108-110; id., «The Ideological Significance of the Dār al-ʿAdl in the Medieval Islamic Orient», *JMES* 27 (1995), pp. 11-18.

وتدلُّ على موقع دار العدل الآن القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب القُرب مُتَّجِهاً إلى الشرق نحو الباب الجديد - الذي أنشأه محمد علي باشا - ويحدها من الغرب سِكةُ الهَجَر التي كانت تُشْرِف عليها دار العدل، ومن الشمال الدَّقْزَخانة. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٦٣:٧، ١٧٤:٩).

^٤ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ١٨٢-١٨٣.

= قديماً بباب سارية ويعرف الآن بباب المُنْرُج تحت دار الضيافة (نزعة النفوس ٢٠١:٩)، فيما ذكر المقرئ في السلوك في وصف الواقعة نفسها : «فشدُّ الباب المحروق والباب الجديد - من أبواب القاهرة - وشدُّ باب الدَرْفِيل بجوار القلعة، والباب المجاور للقلعة المعروف قديماً بباب سارية، ويعرف اليوم بباب المُنْرُج تحت دار الضيافة». (السلوك ٦٠٦:٣-٦٠٧)، الأمر الذي يوحي بأنَّ هناك بابين مجاورين للقلعة : باب الدَرْفِيل، وباب سارية وألّهما ليسا باباً واحداً كما وُزِد في الخطط^٢ وانظر كذلك Casanova, P., *op.cit.*, p. 610 (الترجمة العربية ١٠٥).

^١ انظر ترجمة الأمير حُسام الدِّين لاجين المعروف بالدَرْفِيل، المتوفى سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، عند ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ٢٠:٧ المقرئ : السلوك ٦١٣:١ العيني : عقد الجمان ٢: ١٢٧.

^٢ فيما يلي ٦٨٨-٦٩٠.

وأحضرت مُرافعةً في وَرَقَةٍ مَخْتومةٍ، رَفَعَهَا خَادِمٌ أَسْوَدٌ فِي مَوْلَاهُ الْقَاضِي شَمْسِ الدِّينِ ^(a) شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ، تَضَمَّنَتْ أَنَّهُ يُبَيِّضُ السُّلْطَانَ وَيَتَمْنَى زَوَالَ دَوْلَتِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِلْحَنَابِلَةِ مُدْرَسًا فِي الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِحُطٍّ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، وَلَمْ يُؤَلِّ قَاضِيًا حَنَبَلِيًّا، وَذَكَرَ عَنْهُ أُمُورًا قَادِحَةً. فَبَعَثَ السُّلْطَانُ الْوَرَقَةَ إِلَى الشَّيْخِ، فَخَضَرَ إِلَيْهِ وَخَلَفَ أَنَّهُ مَا جَرَى مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَّ هَذَا الْخَادِمَ طَرَدْتَهُ فَاسْتَلْقَى عَلَيَّ مَا قَالَ. فَقَبِلَ السُّلْطَانُ عُذْرَهُ، وَقَالَ: وَلَوْ شِئْتَنِي أَنْتَ فِي جِلٍّ. وَأَمَرَ بِضَرْبِ الْخَادِمِ فَضْرِبٍ ^(b) مِائَةَ عَصَا ^(c).

وَعَلَّتِ الْأَشْعَارُ بِمِصْرَ حَتَّى بَلَغَ إِزْدَبَ الْقَمْحِ نَحْوَ مِائَةِ دِرْهَمٍ وَعُلِيمُ الْحَبِيرُ، فَنَادَى السُّلْطَانُ فِي الْفُقَرَاءِ أَنْ يَجْتَمِعُوا تَحْتَ الْقَلْعَةِ، وَتَزَلَّ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ رَيْبِ الْآخِرِ مِنْهَا، وَجَلَسَ بِدَارِ الْقُدُلِ: هَذِهِ، وَنَظَرَ فِي أَمْرِ الشَّعْرِ، وَأَبْطَلَ الشَّعِيرَ، وَكَتَبَ مَرْسُومًا إِلَى الْأُمَرَاءِ بِبَيْعِ مِائَةِ إِزْدَبَ، فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا بَيْنَ وَتَيْنِ ^(d) إِلَى مَا دُونَهُمَا، حَتَّى لَا يَشْتَرِيَ الْخَزَانُ شَيْقًا، وَأَنْ يَكُونَ الْبَيْعُ لِلضُّعَفَاءِ وَالْأَرَامِلِ فَقَطْ دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ. وَأَمَرَ الْحُجَابَ فَتَزَلُّوا تَحْتَ الْقَلْعَةِ، وَكَتَبُوا أَسْمَاءَ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بِالرَّيْثِلَةِ ^(e)، وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَضَوَاجِيهِمَا حَاجِبًا لِكِتَابَةِ أَسْمَاءِ الْفُقَرَاءِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ عِنْدِي غَلَّةٌ تَكْفِي هَؤُلَاءِ لَفَرَّقْتُهَا.

(a) بياض بآياصوفيا وباريس مقدار كلمة . (b) فضرب: ساقطة من بولاق . (c) بولاق: مائتين .

وَسَمِّيَ الْمِيدَانُ بِالرَّيْثِلَةِ لِأَنَّ أَرْضَهُ وَالْأَرْضَ الْمُحِيطَةَ بِهِ كَانَتْ وَاقِعَةً بَيْنَ شَرْفَيْنِ: الشَّرْفِ الَّذِي بَنِيَ عَلَيْهِ قَلْعَةُ الْجَبَلِ شَرْقًا، وَالشَّرْفِ الَّذِي بَنِيَ عَلَيْهِ قَلْعَةُ الْكَيْشِ حَيْثُ مَسْجِدُ ابْنِ طُولُونٍ. وَلِأَنَّ الْمِيدَانَ كَانَ مُتَقَىً وَامْتِنَادًا لِرَمَالِهِمَا سَمِّيَ بِالرَّيْثِلَةِ، وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ أحيانًا الرِّثْلَةُ. (محمَّد الششتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي ٧-١٩ وانظر فيما يلي ٢٢٨:٢ الميدان بالقلمة الذي يمثل امتداد الرِّثْلَةِ مِنَ الْجَنُوبِ تَجَاهَ بَابِ الْقَرَاةِ وَتَمِيدَانِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وَتَبَعْدُ بِهِجَةِ السَّيِّدِ حَسَنَ رِسَالَةِ دَكُورَاهُ بِكَلِيَّةِ الْآلَاءِ - جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، مَوْضُوعَهَا: وَالظَّاهِرُ الْجَنُوبِيُّ لِلْقَاهِرَةِ: الرِّثْلَةُ مِنْذُ النُّشْأَةِ إِلَى نَهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ - دَرَاةُ أَثَرِهِ حَضَارِيَّةٌ.

^١ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٣. ^٢ الرِّثْلَةُ. هِيَ الْقَضَاءُ الْمُتَّحِقُ الْمَحْصُورُ الْآنَ بَيْنَ بَابِ الْقَلْعَةِ الْغَرْبِيِّ الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْقَرْبِ وَبَيْنَ جَامِعِ الرَّفَاعِيِّ وَجَامِعِ وَمَنْزَرَةِ السُّلْطَانِ حَسَنٍ وَقِسْمِ الْحَلِيقَةِ مِنَ الْغَرْبِ، وَأَوَّلُ سَبْكَةِ الْحَجَرِ وَمَنْزَرَةُ قَانِي بَايَ أَمِيرِ آخُورِ الرَّفَاحِ حَتَّى جَامِعِ الرَّفَاعِيِّ (وَدَخَلَ مَسْجِدَ الْحَمُودِيَّةِ الَّذِي بَنِيَ سَنَةَ ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م فِي الْحَدِّ الشَّمَالِيِّ لِلْمِيدَانِ) مِنَ الشَّمَالِ، وَتَبَعْدُ عَنْهُ الْجَنُوبِي مِنْ سَبِيلِ الْمُؤْمَنِيِّ (الْمَسْجِدُ بِالْآلَاءِ بِرَقْمِ ١٤٨) بِأَوَّلِ شَارِعِ الشَّيْخَةِ عَائِشَةَ إِلَى مَتَحَفِ مِصْطَفَى كَامِلٍ وَبِقُرْبِهِ حَدِيقَةُ الْمُتَشَيِّعَةِ حَتَّى جَنُوبِ بَابِ الْقَرْبِ بِمَسَافَةِ ثَلَاثِينَ مِتْرًا. وَهُوَ الْمِيدَانُ الْمَعْرُوفُ الْآنَ بِمِيدَانِ صِلَاحِ الدِّينِ وَالَّذِي كَانَ يُعْرَفُ مِنْ قَبْلِ بَقَرَةِ تَمِيدَانِ (أَيْ الْمِيدَانِ الْأَسْوَدِ) وَتَمِيدَانِ الْمُتَشَيِّعَةِ.

ولما انتهى إحصاء^(a) الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوفاً، وجعل باسم ابنه الملك الصعيد ألوفاً، وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم وجعل^(b) على كل أمير من الفقراء بعثة رجاله، ثم فرق ما بقي على الأجناد ومفارقة الحلقة والمقدمين والبحريّة، وجعل طائفة التركمان ناحية، وطائفة الأكراد ناحية، وفرز لكل واحد من الفقراء كفايته لمدة ثلاثة أشهر^١.

فلما تسلم الأمراء والأجناد ما خصهم من الفقراء، فرق من بقي منهم على الأكابر والتجار والشهود، وعيّن لأرباب الزوايا مائة إرذب قمح في كل يوم، تخرج من الشؤون السلطانية إلى جامع أحمد بن طولون، وتفرق من هناك. ثم قال: «هؤلاء المساكين الذين جمعناهم اليوم ومضى النهار لا بُدّ لهم من شيء». وأمر ففرق في كل منهم نصف دزهم ليتقوت به في يومه، ويستمر له من القد ما تقرر. فالتقى فيهم/ جملة مال، وأعطى للصاحب بهاء الدين عليّ بن محمد بن جنا طائفة كبيرة من الغنيان، وأخذ الأتابك سيف الدين أقطاي طائفة التركمان.

٢٠٦:٢

ولم يبق أخذ من الخواص والأمراء والخواشي ولا من الحجاب والولاة وأرباب المناصب وذوي المراتب وأصحاب الأموال حتى أخذ جماعة من الفقراء على قدر حاله. وقال السلطان للأمير صارم الدين^(c) المشعودي - والي القاهرة: «أخذ مائة فقير وأطعمهم الله تعالى». فقال: نعم وأخذتهم دائماً. فقال له السلطان: «هذا شيء فعلته ابتداءً من نفسك، وهذه المائة أخذها لأجلي». فقال للسلطان: السمع والطاعة، وأخذ مائة فقير زيادةً على المائة التي عُيِّنت له^٢.

وانقضى النهار في هذا العمل، وشرع الناس في فتح الشؤون والمحازن وتفرقة الصدقات على الفقراء. فنزل سعة القمح، ونقص الإرذب عشرين دزهماً، وقلّ وجود الفقراء، إلى أن دخل^(d) شهر رمضان، وجاء المغل الجديد، فأول يوم أبيع الجديد نقص سعر إرذب القمح أربعين درهماً ورقاً.

(a) بولاق: إحصاء، المسودة: حضر. (b) ساقطة من بولاق. (c) يهاض في آياصوفيا. (d) بولاق: جاء.

^١ يبرس الدوادار: زبدة الفكرة ٨٧-٨٨؛ العيني: عقد ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٨٩.

الجمان ١: ٣٧٥-٣٧٦.

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل للتعذر في أمور الأشعار، قرئت عليه قصة ضحان دار الضرب، وفيها أنه قد توقفت الدراهم، وسألوا إبطال الناصرية فإن ضمانهم يبلغ مائتي ألف وخمسين ألف درهم. فوقع عليها «يخط عنهم منها مبلغ خمسين ألف درهم»، وقال: «تخط هذا، ولا تؤذي الناس في أموالهم»^١.

وفي مستهل شهر رجب منها جلس أيضًا بدار العدل، فوقف له بعض الأجناد بصغير يميم ذكر أنه وصيه، وشكا من قضية؛ فقال السلطان لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز: إن الأجناد إذا مات أحد منهم استولى خوشرادته^٢ على موجوده، فيموت الوصي ويكبر اليتيم فلا يجد له مالا. وتقدم إليه ألا يمكن وصيًا من الأفراد بركة ميت، ولكن يكون نظرو القاضي شاملا له، وتضيق أموال الأيتام مضبوطة بأمناء الحكم، ثم إنه استدعى ثقباء العساكر وأمرهم بذلك، فاستمر الحال فيه على ما ذكر^٣.

وفي خامس عشرين شعبان سنة ثلاث وستين وست مائة جلس بدار العدل، واستدعى تاج الدين ابن القرطبي^٤، وقال له: قد أضجرتني مما تقول عندي مصالح بيت المال، فتحدث الآن بما عندك. فتكلم في حق قاضي القضاة تاج الدين، وفي حق متولي جزيرة سواكن، وفي حق الأمراء وأنهم إذا مات منهم أحد أخذ ورثته أكثر من استحقاقهم، فأنكر عليه وأمر بحجبيه. وتحدث السلطان في أمر الأجناد، وأنه إذا مات أحدهم في مواطن الجهاد لا يصل إليه شاهد حتى يشهد عليه بوصيته، وأنه يشهد بعض أصحابه، فإذا حضر إلى القاهرة لا تقبل شهادته. وكان الجندي في ذلك الوقت لا تقبل شهادته - فرأى السلطان أن كل أمير يعين من جماعته عدة ممن يعرف خبره ودينه ليستمع قولهم، وألزم مقدمي الأجناد بذلك. فشرع قاضي القضاة في اختيار رجال جياذ من الأجناد، وعيّنهم لقبول شهادتهم. ففرح العساكر بذلك.

وجلس أيضًا في تاسع عشر بدار العدل. فوقف له شخص، وشكا أن الأملاك الليوانية لا يمكن أحد من سكانها أن ينتقل منها. فأنكر السلطان ذلك، وأمر أن من انقضت مدة إجازته وأراد الخروج، فلا يمتنع من ذلك. وله في ذلك عدة أخبار كلها صالحة.

(a) بولاق: عجلداته. (b) بولاق: القرطبي.

وما يَرَحَتْ دَارُ الْعَدْلِ هَذِهِ بَاقِيَةً إِلَى أَنْ اسْتَجَدَّ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ الْإِيوَانَ ، فَهَاجَرَتْ دَارُ الْعَدْلِ هَذِهِ إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَمِئَةَ مِائَةٍ ، هَذِمَهَا^(a) السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَعَمِلَ مَوْضِعَهَا الطَّبْلَخَانَاهُ ، فَاسْتَمَرَّتْ طَبْلَخَانَاهُ إِلَى يَوْمِنَا^١ .
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي أَيَّامِ عِمَارَتِهَا إِنَّمَا يَجْلِسُ بِهَا دَائِمًا فِي أَيَّامِ الْجُلُوسِ نَائِبُ دَارِ الْعَدْلِ ، وَمَعَهُ الْقَضَاءُ وَمَوْقِعُ دَارِ الْعَدْلِ وَالْأَمْرَاءُ ، فَيَنْظُرُ نَائِبُ دَارِ الْعَدْلِ فِي أُمُورِ الْمُتَقَطِّلِينَ ، وَتُقْرَأُ عَلَيْهِ الْقِصَصُ . وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بَيْبُوسَ ، وَأَيَّامِ ابْنِ الْمَلِكِ الصَّعِيدِ بَرْكَةَ ، ثُمَّ أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ^(b) .

الإِيوَانُ

المعروف بدار العدل

- ١٠ هذا الإيوان أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحى النجفي^(c) ، ثم جددّه ابنه السلطان الملك الأشرف خليل ، واستمرّ مجلس نائِب دار العدل به . فلما عمِلَ الملك الناصر محمد بن قلاوون الزوَّك ، أَمَرَ بِهِذِمَ هذا الإيوان فهُدِمَ ، وأُعادَ بناءه على ما هو عليه الآن وزاد فيه ، وأنشأ به قُبَّةً جَلِيلَةً^٢ ، وَأَقَامَ به عُمْدًا عَظِيمَةً نَقَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الصَّعِيدِ وَرَحَّحَهُ^(d) رُحَامًا عَظِيمًا^(d) ، وَنَصَبَ فِي صُدْرِهِ سَرِيرَ الْمَلِكِ وَعَمِلَهُ مِنَ الْقَاجِ وَالْأَبْنُسِ ، وَرَفَعَ سَمَكَ هَذَا الْإِيوَانَ ، وَعَمِلَ أَمَامَهُ دَرَكَاهُ^(e) فَسِيحَةً مُتَبَلِّطَةً^(f) .^٣

١٥

(a) بولاق : فهدمها . (b) هنا في هامش أباصوفيا : يابض نحو عشرين سطرًا . (c) في هامش أباصوفيا يابض نصف سطر .

(d-d) [إضافة من مسودة الخطوط . (e) في المبيضات : رجة . والكتب من مسودة الخطوط والسلوك . (f) بولاق : مستطيلة .

٧٨ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ، والمقرئ في السلوك ٦٤٦:١ ،

^١ فيما يلي ٦٨٨-٦٩٠ .

٦٦٩ ، ٧٧٤ ، إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَوْجَدُ إِيوَانَ بِالْقَلْعَةِ مِنْذُ عَهْدِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ الْأَيْبِيِّ ، وَأَنَّ مَا قَامَ بِهِ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ وَالْأَشْرَفُ خَلِيلٌ لَا يَتَدْرَأُ أَنَّهُ يَكُونُ إِصْلَاحَاتٍ طَافِيَةً بِالْإِيوَانَ (Casanova, P., op.cit., p. 612) (الترجمة

^٢ كانت هذه القُبَّةُ مِنْ عَتَبٍ وَفَوْقَهَا رِصَاصٌ ، وَمُعَلَّفَةٌ بِقِشَانِي أَخْضَرٍ ؛ ظَلَّتْ قَائِمَةً نَحْوَ الْمِائَتِي هَامٍ إِلَى أَنْ سَقَطَتْ بِأَكْبَرِ يَوْمِ السَّبْتِ سَادِسِ عَشْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ ٩٢٨هـ / ١٥٥٢م . (ابن إياس : بدائع الزهور ٤٤١:٥) .

(الهرية ١٠٦) .

^٣ المقرئ : السلوك ١٤٨:٢-١٤٩ .

وَتَشِيرُ نَحْوَ أَوْرَدَهَا بِبِرْسِ الدَّوَادِرِ : زِيْدَةُ الْفِكْرَةِ

وجعلَ بالإيوان بابَ سِرٍّ يَدْخُلُ منه إلى القَصْرِ، وعَمِلَ بِيَابَ الإيوان حديدًا مَشْبُوكًا^١ بصناعةٍ
بديعةٍ تَمْتَنِعُ الدَّاخلُ إليه، وله بابٌ منه يُغْلَقُ، فإذا أَرَادَ أَنْ يجلسَ فُتِحَ حتى ينظرَ منه ومن تَخَارِيمِ
الحديدِ بقيةَ الغَشَكِ الواقفينَ بِسَاحَةِ الإيوان. وَقَرَّرَ لِلجُلُوسِ فيه بنفسه يومَ الاثنينِ ويومَ الخميسِ،
فاستَمَرَ الأمرُ على ذلك.

وكانَ أَوَّلًا دونَ ما هو اليومَ، فَوَسَّعَ في قُبَّتهِ، وزادَ في ارتفاعِهِ، وجعلَ قُدَّامَهُ دَرَكَاهُ كبيرةً،
فجاءَ من أعظَمَ المباني المملوكية^٢.

وأوَّلُ ما جَلَسَ فيه عندَ انتهاءِ عَمَلِ الزُّوكِ، بعدَ ما رَسَمَ لتَقْيِيبِ الجَيْشِ أَنْ يَشْتَدَّ عَمَلِي سَائِرِ
الأَجْنَادِ. فلَمَّا تَكَامَلَ حُضُورُهُمْ/ جَلَسَ، وَعَمِلَ أَنْ يحضرَ في كُلِّ يومٍ مُقَدِّمًا أَلُوفَ
بُضَافَتَيْهِمَا. فكانَ المُقَدِّمُ يقِفُ بِبُضَافَتِهِ، ويستدعي من تَقْدِمتِهِ بِبُضَافَتِهِ على قَدَرِ منازلِهِمْ.
فيتقدَّمُ الجُنْدِيُّ إلى السُّلْطَانِ فيسألهُ: أنتَ ابْنُ مَنْ وَمَلُوكُ مَنْ؟ ثمَّ يُعْطِيهِ مِثَالًا^٣. واستَمَرَ على
ذلكَ من مُستَهَلِّ الحَرَمِ سنةَ خمسٍ عشرةَ وسبعِ مائةٍ إلى مُستَهَلِّ صَفَرٍ منها. وما يَرِخَ بعدَ
ذلكَ يُواظِبُ على الجُلُوسِ بهِ في يومي الاثنينِ والخميسِ، وعندهُ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ والقُضَاةُ والوزِيرُ
وكَاتِبُ السَّرِّ وناظِرُ الجَيْشِ وناظِرُ الخاصِّ وكُتَّابُ الدُّسْتِ، وتقفُ الأَجْنَادُ بينَ يَدَيْهِ على قَدَرِ
أقدارِهِمْ.

(١) العبارة في بولاق: وعمل باب الإيوان مسبوكة من حديد.

^١ هنا على هامش (ص): «جُدَّدَهُ وَزَخَرَفَهُ وَتَجَمَّعَ زُخَامُهُ»

ودهانهُ وجُدَّدَ واجهته السُّلْطَانُ المَلِكُ الأَشْرَفُ قايتباي.

Behrens-Abouseif, D., *The Citadel* ١٢٣-١٢٧؛ Rabbat, N., *The Citadel of Cairo*, pp. 35-45؛ 191-93, 244-63.

وانظر أيضًا عن الإيوان الذي جُدَّدَهُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ

قلاوون سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، ابن أبيك: كنز الدرر

٩: ٣٢٨، ٣٧٢-٣٧٣؛ ابن فضل الله العمري: مسالك

الأبصار ٣٦، ٨١؛ المقرئ: السلوك ١٠٧: ١٤٨

١٤٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٦٩؛ أبا المحاسن:

النجوم الزاهرة ٩: ٥١، ١٨٠؛ ابن إياس ٢/١: ٣٥٨

(حيث فرش في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٦م يُسَبِّطُ جُدَّدَ أَمْرٍ

بعلها الأشراف شعبان في الكرك، ٣: ٦٠؛ تجديد الأشراف

قايتباي له)؛ جومار: وصف مدينة القاهرة ٢٣٢-٢٣٤؛

وقد أُنْذِرَ الآنَ هذا الإيوان وإن كان قد حُفِظَ لنا له

رُشْمان قَبْلَ هُدْيِهِ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ جَامِعُ مُحَمَّدٍ عَلِي بَاشَا

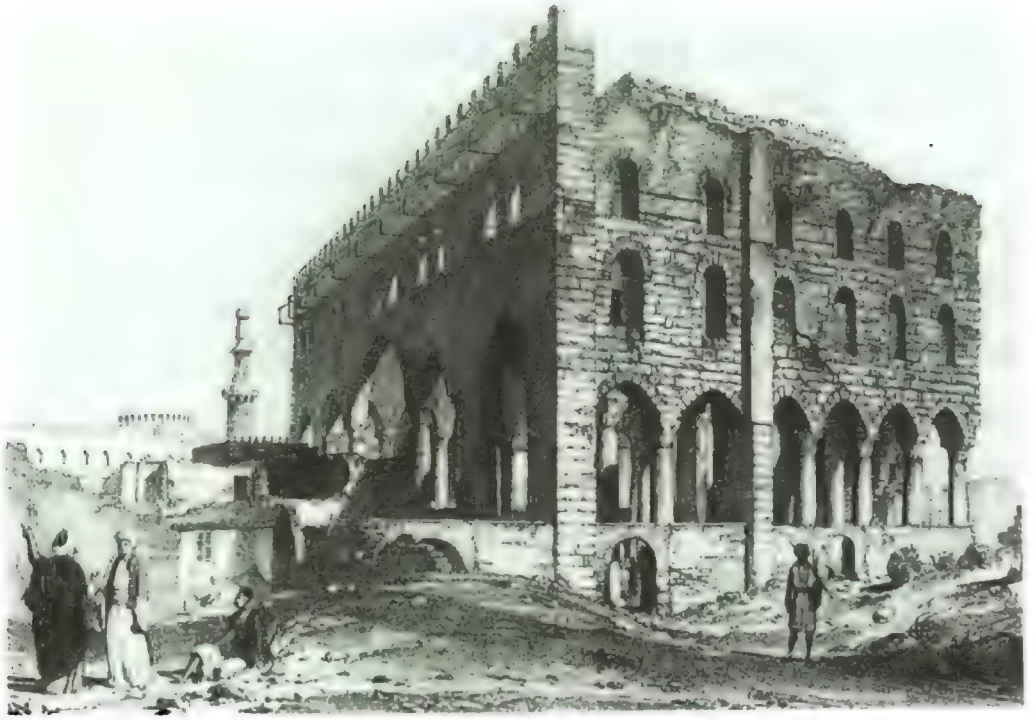
وملحقاته بالقلعة (١٨٣٠-١٨٤٨م)، أحدهما في كتاب

أوصف مصره والآخر في كتاب روبرت هاي Hay, R.,

Illustrations of Cairo, London 1840. (انظر

اللوحات الملحقة).

^٢ انظر عن الميَّال، فيما يلي ٧٠٥هـ.



رَسْمٌ يُوضِّحُ «الإيوان الكبير» بالقَلْعَةِ (عن روبرت هاي)



مَنْطَقَةُ الْقَيْمَةِ فِي الْإِيوَانِ الْكَبِيرِ (عن وُضْفِ مَصَى)

فلما مات الملك الناصر، اقتدى به في ذلك أولاده من بعده، واستمروا على الجلوس بالإيوان،^(٨) ولم تزل به الخدمة مستمرة لا يمكن تأخيرها إلا عند سفر السلطان أو مرضه أو خلوه الثخت من ملك^(٩)، إلى أن استتب بمصر الملك الظاهر بوقوق، فالتزم ذلك أيضاً إلا أنه صار يجلس فيه إذا طلعت الشمس جلوساً يسيراً يُقرأ عليه فيه بعض قصص لا معنى سوى إقامة رُشوم المملكة فقط^١.

وكان من قبله من الملوك بني قلاوون إنما يجلسون بالإيوان سحراً على الشمع، وكان موضع جلوس السلطان في الإيوان للنظر في المظالم. فأعرض الملك الظاهر عن ذلك، وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالإسطنبول السلطاني^٢ للحكم بين الناس - كما سيأتي ذكره عن قريب إن شاء الله تعالى^٣ - وصار الإيوان في الأيام الظاهرية بوقوق، وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ، إنما هو شيء من بقايا الرُشوم الملوكة لا غير.

ذكر النظر في المظالم - أعلم أن النظر في المظالم عبارة عن قود المتظلمين إلى الشايف بالرهبة وزجر التنازعين عن التجادد بالهيئة. وكان من شرط^(١٠) الناظر في المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيئة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع. لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماة وتبكت القضاة، فيحتاج الجمع بين صفتي الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين. وهي خطة حدثت لفساد الناس، وهي كل حكم يتعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى منه يدا.

وأول من نظر في المظالم من الخلفاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه. وأول من أقره للظلمات يوماً يتصفخ فيه قصص المتظلمين، من غير مباشرة النظر، عبد الملك بن مروان. فكان إذا وقف منها على مُشكيل أو احتاج فيها إلى حكم، يُنفذ رده إلى قاضيه^(١١) ابن إدريس الأودي^(١٢) فينفذ فيه أحكامه. وكان ابن إدريس هو المباشر، وعبد الملك الأمير. ثم زاد الجوز فكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردّها.

(٨-٩) إضافة من مسودة الخطط. (ب) بولاق: شروط. (ج) باض بأاصوليا. (د) بولاق: الأودي.

^٣ فيما يلي ٦٦٦.

^١ المقرري: مسودة الخطط ٦٦٦ ط.

^٢ فيما تقدم ٦٥٤ هـ^١.

ثم جلس لها خلفاء بني العباس ، وأول من جلس منهم المهدي محمد ، ثم الهادي موسى ، ثم الرشيد هارون ، ثم عبد الله المأمون ، وآخر من جلس منهم المهدي بالله محمد بن الواثق .
وأول من أعلم أنه جلس بمصر من الأمراء للنظر في المظالم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون ، فكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع . فلما مات وقام من بعده ابنه أبو الجيش حَمَازَوَيْه ، جعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حوز ، في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائتين . ثم جلس
لذلك الأستاذ أبو الميثم كافر الإخشيد ، وابتدأ ذلك في سنة أربعين وثلاث مائة - وهو يومئذ خليفة الأمير أبي القاسم أوئوجور بن الإخشيد - فعقد مجلساً صار يجلس فيه كل يوم سبت ، ويحضر عنده الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن القرات وسائر القضاة والفقهاء والشهود ووجوه البلد . وما يبرح على ذلك مدة أيامه بمصر إلى أن مات ، فلم ينتظم أمر مصر بعده ، إلى أن قديم القائل أبو الحسين جوهري بجيوش الإمام^(١) المعز لدين الله أبي تميم معذ ، فكان يجلس للنظر في المظالم ، ويوقع على رفاع المتظلمين . فمن توقيعاته بخطه على قصة رُفعت إليه :

«سوء الاجتiram أوقع بكم طول الانتقام ، وكفر الإنعام أخرجكم من حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الإهجاب ، واللازم لكم ملازمة الاجتتاب ، لأنكم بدأتم فأسأتم ، وعذتم فتعدتكم . فابتدأكم ملوم ، وعوذكم مذموم ، وليس بينهما فُرجة تقتضي إلّا اللّم لكم ، والإعراض عنكم ، ليرى أمير المؤمنين -^(ب) صلوات الله عليه^(٢) - رأيه فيكم^(٣) .»

ولما قديم المعز لدين الله إلى مصر ، وصارت دار خلافة ، استقرّ النظر في المظالم مدة يُضاف إلى قاضي القضاة ، وتارة ينفرد بالنظر فيه أحدُ عظماء الدولة . فلما ضعف جانبُ المستنصر بالله أبي تميم معذ بن الظاهر ، وكانت الشدة العظمى بمصر ، قديم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القاهرة وولي الوزارة ، فصار أمر الدولة كله راجعاً إليه ، واقتدى به من بعده من الوزراء . وكان الرسم في ذلك أن الوزير رََب^(٤) السيف يجلس للمظالم بنفسه ، ويجلس قبائنه قاضي القضاة وبجانيه شاهدان مُختبران ، ويجلس بجانب الوزير الموقّع بالقلم الدقيق ، ويليه صاحب ديوان المال ، ويقف

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : صاحب .

^١ هذا النص منقول عن أبي حيان التوحيدى : البصائر والذخائر ١ : ١٨٤ ، وانظر فيما تقدم ٢ : ٢٦٠ .

بين يدي الوزير صاحب الباب وإشفهسلار العساكر، وبين أيديهما الحجاب والثواب على طبقتهم، ويكون هذا الجلوس يومين في الأسبوع^١. وآخر من تقلد المظالم في الدولة الفاطمية، رزيك ابن الوزير الأجل الملك/ الصالح طلائع بن رزيك في وزارة أبيه، وكتب له سجل عن الخليفة منه:

«وقد قلّدك أمير المؤمنين النّظر في المظالم، وإنّصاف المظلوم من الظّالم»^٢.

وكانت الدولة إذا خلّت من وزير صاحب سيف، جلس للنّظر في المظالم صاحب الباب في باب الذهب من القصر، وبين يديه الحجاب والنّقاء، وينادي مُنادٍ بحضرته: يا أرباب الظّلمات، فيحضرون إليه: فمن كانت ظلامته مُشافهة أُرسلت إلى الولاة أو القضاة رسالة بكشفها. ومن تظلم من أهل التّواحي التي خارج القاهرة ومصر، فإنّه يُحضّر قصّة فيها شرح ظلامته، فيتسلّمها الحاجب منه حتى تجتمع القِصص، فيدفعها إلى الموقّع بالقلم الدقيق فيوّقع عليها. ثم تحتمل بعد توقيعه عليها إلى الموقّع بالقلم الجليل، فيسقط ما أشار إليه الموقّع بالقلم الدقيق. ثم تحتمل التّواقيع في خريطة إلى ما بين يدي الخليفة فيوّقع عليها. ثم تخرج في خريطة إلى الحاجب، فيقف على باب القصر، ويُسلّم كلّ توقيّع لصاحبه^٣.

وأوّل من بنى دار العدل من الملوك السّلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق عندما بلغه تغدي ظلم نواب أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى الرّعيّة، وظلمهم الثّاس، وكثرة شكواهم إلى القاضي كمال الدين الشّهزوري وعجزه عن مُقاومتهم. فلما بُنيت دار العدل أخضّر شيركوه نوابه وقال: إنّ نور الدين ما أمّر ببناء هذه الدّار إلّا بسبّتي، والله لئن أُحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم^٤ لأصلبته، فامضوا إلى كلّ من كان بينكم وبينه منازعة في مُلك أو غيره فافصلوا الحال معه وأرضوه بكلّ طريق أشكّن ولو أتى على جميع ما بيدي؛ فقالوا: إنّ الثّاس إذا علّموا بذلك استطلّوا في الطّلب. فقال: خُروج^٥ أفلاكي من يدي أسهل عليّ من أن يراني

(a) بولاق: إلى صاحبه. (b) بولاق: أحد منكم. (c) بولاق: لخروج.

^١ فيما تقدم ٣٣٧:٢-٣٣٩، ٣٤٠-٣٤٢. القلقشندي: صبح الأعشى ١٠: ٣٢٥-٣٣٧.

^٢ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٠؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٦، وانظر نصّ السّجل عند الحنفا ٣: ٣٣٥؛ وفيما تقدم ٣٣٧:٢.

^٣ نفسه ١٢٠، نفسه ١/٤: ١٣٥؛ المقرئ: اعطاء

نور الدين بعين أني ظالم، أو يساوي بيني وبين أحد من القائمة في الحكومة. فخرج أصحابه وعملوا ما أمرهم به من إرضاء أخصاصهم، وأشهدوا عليهم^١.

فلما جلس نور الدين بدار العدل في يومين من الأسبوع، وحضر عنده القاضي والفقيه، أقام مدة لم يحضر أحد يشكو شريكه. فسأل عن ذلك فعرف بما جرى منه ومن ثوابه فقال: «الحمد لله الذي جعل أصحابنا يُنصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا»^٢.

وجلس أيضا السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، في يومي الاثنين والخميس، لإظهار العدل. ولما تسلط الملك المعز عز الدين^٣ أئيك الثوكماني، أقام الأمير علاء الدين أئدكين البندقداري في نيابة السلطنة بديار مصر^٤. فواظب الجلوس بالمدارس^٥ الصالحية بين القصرين ومعه ثواب دار العدل، ليرتب الأمور ويُنظر في المظالم. فنادى بإراقة الخُمور، وأبطل^٥ ما عليها من المقرّر.

وكان قد كثّر الإزجاف بمسير الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام، لأخذ مصر. فلما انتهزم الملك الناصر، واشتدّ الملك المعز أئيك، أخذت وزيره من المكوس شيئا كثيرا^٤.

ثم إن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري بنى دار العدل، وجلس بها للنظر في المظالم كما تقدّم. فلما بنى الإيوان الملك الناصر محمد بن قلاوون، واظب الجلوس يوم الاثنين والخميس فيه، وصار يفصل فيه المحاكمات^٥ في الأحيان إذا أعيا من دونه فصلها^٥.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: في المدارس. (c) بولاق: إبطال. (d) بولاق: الحكومات.

العيني: عقد الجمان ٢: ١٧٥، ٣٤٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣٦٥، المنهل الصافي ٣: ١٥٥-١٥٦).

^٤ هو الوزير شرف الدين جبة الله بن صاعد الفاطري، انظر عنه وعن المكوس التي أحدثها فيما تقدم ١: ٢٨٣، وهذا المجلد ٤٠٩، وفيما يلي ٧٦٧.

^٥ راجع، Nielsen, J.S., «Mazālim and Dār al-ʿAdl under the Early Mamluks», *MW* 66 (1976), pp. 114-32; id., *Secular Justice in an Islamic State; Mazālim under the Bahri*

^١ ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ١٦٨؛ ابن قاضي شعبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية ٢٣.

^٢ ابن قاضي شعبة: الكواكب الدرية ٢٤.

^٣ الأمير علاء الدين أئدكين البندقداري، أخذ أغيان الأشراف الصالحية، وهو أستاذ السلطان الملك الظاهر بيبرس، توفي سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات

٤٩١: ٩٩٢؛ ابن أئيك: كنز الدرر ٨: ٢٧٦؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٨: ٣٣؛ المقرئ: السلوك ١: ٧٣٠؛

فلما استبدَّ الملك الظاهر بزُقوق بالسلطنة، عَقَدَ لنفسه مجلسًا بالإسطنبول السلطاني من قلعة الجبل، وجلس فيه يوم الأحد ثامن عشرين شهر رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة، وواظب ذلك في يومي الأحد والأربعاء، ونظَر في الجليل والحقير، ثم حوّل ذلك إلى يومي الثلاثاء والسبت، وأضاف إليهما يوم الجمعة بعد العصر، وما زال على ذلك حتى مات. فلما ولي ابنه الملك الناصر قُوز بعده، واستبدَّ بأمره جلس للنظر في المظالم بالإسطنبول اقتداءً بأبيه، وصار كاتب السر فتح الدين فتح الله يقرأ القصص عليه، كما كان يقرأها على أبيه، فانتفع أناس ونصروا آخرون بذلك، وكان الضرر أضعاف النفع. ثم لما استبدَّ الملك المؤيد شَيْخُ بالمملكة، جلس أيضًا للنظر في المظالم كما جلسنا. والأمر على ذلك مستمر إلى وقتنا هذا، وهو سنة تسع عشرة وثمان مائة^١.

وقد عُرِفَ النظر في المظالم منذ عهد الدولة التُركية بديار مصر والشام بحكم السياسة، وهو يرجع إلى نائب السلطنة وحاجب الحُجباب ووالي البلد ومَنوَلِي الحُزب بالأعمال. وسيرد الكلام في حكم السياسة عن قريب إن شاء الله^٢.

يُذكرُ خِدمة الإيوان المعروف بدار العدل - كانت العادة أن السلطان يجلس بهذا الإيوان بكرة الاثنين والخميس طول السنة، خلا شهر رمضان فإنه لا يجلس فيه هذا المجلس. وجلوسه هذا إنما هو للمظالم، وفيه تكون الخدمة العامة واستحضار رُسل الملوك غالبًا. فإذا جلس للمظالم، كان جلوسه على كُرسي إذا قَعَدَ عليه يكادُ تُلحق الأرض رجله، وهو منصوب إلى جانب المنبر الذي هو تحت الملك وسرير السلطنة. وكانت العادة أولًا أن يجلس قُضاة القضاة من المذاهب الأربعة/ عن يمينه، وأكبرهم الشافعي وهو الذي يلي السلطان، ثم إلى جانب الشافعي الحنفي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، وإلى جانب الحنبلي الوكيل عن بيت المال، ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة. ويجلس على يسار السلطان كاتب السر، وقُضاة ناظر الجيش، وجماعة الموقعين المعروفين بكتاب الدُست، وموقعي الدُست تكلمة حلقة دائرة. فإن كان الوزير من

(a) في هامش آصارفيا: ياض.

^٢ فيما يلي ٧١٣-٧١٨.

Mamluks, Netherlands Institut-Istanbul 1985.

^١ انظر فيما تقدم ٦٤٧.

أزباب الأَقْلَامِ كان بين السُّلْطَانِ وَكَاتِبِ السِّرِّ، وإن كان الوَزِيرُ من أزباب السُّيُوفِ كان واقفاً على بُغْدٍ مع بقيَّةِ أزباب الوُظَّائِفِ، وإن كان نَائِبُ السُّلْطَنَةِ فإنه يقف مع أزباب الوُظَّائِفِ. ويقف من وراء السُّلْطَانِ صَفَانٌ، عن يمينه ويساره، من السِّلَاحِ دارية والجُفْدَارِيَّةِ والخاصَّيْكَةِ؛ ويجلس على بُغْدٍ بقدر خمسة عشر ذراعاً، عن يمينه ويسارته، ذوو السِّنِّ والقَدَرِ من أكابر أُمَرَاءِ المِيقِنِ - ويُقالُ لهم «أُمَرَاءُ الْمَشُورَةِ»^١ - ويليهم من أسفل منهم أكابرُ الأُمَرَاءِ وَأَزْبَابُ الوُظَّائِفِ، وهم وقوفٌ وبقيةُ الأُمَرَاءِ وقوفٌ من وراء أُمَرَاءِ الْمَشُورَةِ. ويقف تحلف هذه الحلقة المحيطة بالسُّلْطَانِ الحُجَّابُ والدُّوَادَارِيَّةُ، لإعطاء قِصَصِ النَّاسِ، وإحضار الرُّسُلِ وغيرهم من الشُّكَاةِ وَأَصْحَابِ الْحَوَائِجِ وَالضَّرُورَاتِ. فيَقْرَأُ كَاتِبُ السِّرِّ وَمُوقِعُ الدُّسْتِ الْقِصَصَ على السُّلْطَانِ، فإن احتاج إلى مُرَاجَعَةٍ الْقَضَاةِ رَاجَعَهُمْ فيما يتعلقُ بِالْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ، وما كان متعلّقاً بِالْعَشْكَرِ: فإن كانت الْقِصَصُ في أُمَرَاءِ الْإِقْطَاعَاتِ قَرَأَهَا نَازِلُ الْجَيْشِ، فإن احتاج إلى مُرَاجَعَةٍ في أَمْرِ الْعَشْكَرِ تَحَدَّثَ مع الْحَاجِبِ وَكَاتِبِ الْجَيْشِ فيه، وما عدا ذلك يَأْمُرُ فِيهِ السُّلْطَانُ بِمَا يَرَاهُ^٢.

وكانت العَادَةُ النَّاصِرِيَّةُ أَنْ تكون الخِزْمَةُ في هذا الإيوان على ما تَقَدَّمَ ذكره في بُكْرَةِ يومِ الْاثنين. وأُثْمَا بُكْرَةُ يومِ الْخَمِيسِ فَإِنَّ الخِزْمَةَ على مثل ذلك إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّى السُّلْطَانُ فيه لِسَمَاعِ الْقِصَصِ، وَلَا يحضره أَحَدٌ من الْقَضَاةِ وَلَا الْمُوقِّعِينَ وَلَا كَاتِبِ الْجَيْشِ، إِلَّا إِنْ عَرَضَتْ حَاجَةٌ إِلَى طَلَبِ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وهذا الْقَعُودُ عَادَتُهُ طُولَ السَّنَةِ ما عدا رَمَضَانَ^٣.

وقد تَغَيَّرَ بعد الأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ هذا التَّرتِيبُ، فَصَارَتْ قُضَاةُ الْقَضَاةِ تَجْلِسُ عن يَمِينِ السُّلْطَانِ وَيَسَارَتِهِ. فيجلسُ الشَّافِعِيُّ عن يمينه، ويليهِ المَالِكِيُّ، ويليهِ قَاضِي الْعَشْكَرِ، ثم مُخْتَصِبُ الْقَاهِرَةِ، ثم مُفْتِي دَارِ الْعَدْلِ الشَّافِعِيُّ. ويجلسُ الْحَنْفِيُّ عن يَسَارَةِ السُّلْطَانِ، ويليهِ الْحَنْبَلِيُّ. وَصَارَتْ الْقِصَصُ تُقْرَأُ وَالْقَضَاةُ وَنَازِلُ الْجَيْشِ يَخْضُرُونَ في يومِ الْخَمِيسِ أَيْضاً^٤.

^١ أُمَرَاءُ الْمَشُورَةِ. كانوا كهيئة مَجْلِسِ الشَّيْخَارِيِّ

للسُّلْطَانِ، يقولُ أَبُو الْهَاسَنِ: «لَهُمْ يُقْعِدُونَ أَحْوَالَ الْمَلِكَةِ

بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ بِمَقْتَضَى عَلَيْهِمْ وَحَسَبَ اخْتِيَارِهِمْ

(النجوم الزاهرة ١٠: ١٩٠). وَخُتِّلَفَ هَذَا هَوْلَاءِ الْأُمَرَاءِ

بِحِلَالِ التَّارِيخِ الْمَلُوكِيِّ. (ابن أبيك: كنز الدرر ٩: ٢٣٩؛

المقريزي: السلوك ١: ٤٠٥، ٢: ٧٣٥، ٤٩٨: ٢، ٥٥١: ٢،

٧٤٦: ٣، ٧٥٢: ١).

^٢ ابن فضل الله العمري: مسالك الأَبصار ٣٦-٣٧

الفلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٤٤؛ السيوطي: حسن

المحاضرة ٢: ١٢٧. Rabbat, N., op.cit., pp. 252-53.

^٣ نفسه ٣٧؛ نفسه ٤: ٤٥، نفسه ٢: ١٢٧.

^٤ فيما تقدم ٦٦٦.

وعن وَظِيفَةِ قَاضِي الْقَضَاةِ فِي خِزْمَةِ دَوْلَةِ الْمَمَالِكِ

الْبَحْرِيَّةِ، انظر Escovitz, J., *The Office of Qādī al-*

Qudāt in Cairo under the Bahri Mamluks,

= Berlin 1984; Salibi, K., «Liste chronologique

وكانت العادة أنه^(a) إذا ولي أحد المملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ؛ فإنه عند ولايته يحضر الأمراء إلى داره بالقلعة ، وتفاض عليه الخليفة^(b) السوداء ومن تحتها فرجة تحضر ، وعمامة سوداء مذكورة ، وثقلد السيف العربي المذهب . ويركب فرس النوبة ، ويسير والأمراء بين يديه ، والغاشية قدامة ، والجاويشية تصيح ، والشبابة السلطانية ينفخ بها ، والطبذارية حوالبه إلى أن يعبر من باب التوحاس إلى درج هذا الإيوان . فينزل عن الفرس ويصعد إلى الثخت فيجلس عليه ، ويقبل الأمراء الأرض بين يديه ، ثم يتقدمون إليه ويقلدون يده على قدر رتبهم ، ثم تقدمو الحلقة . فإذا قرعوا حضر القضاة والخليفة ، فتفاض التشاريف على الخليفة ، ويجلس مع السلطان على الثخت ، وثقلد السلطان المملكة بحضرة القضاة والأمراء ، ويشهد عليه بذلك ، ثم ينصرف ومعه القضاة ، فيتمد السباط للأمراء . فإذا انقضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة وانصرف الأمراء . ١٠

ومما قيل في هذا الإيوان لما بناه السلطان الملك الناصر :

[الكامل]

شرفت إيوانا جلست بصدريه	فترخت بالإحسان منه صدورا
قد كان يستغلي الفراقد رفعة	إذ حاز منك الناصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعيته ملكه	من عدله لا يظلمون نقيرا
لا زال منصور اللواء مؤيدا	أبد الزمان وضده مقهورا

وقيل أيضا :

[السريع]

يا ملكا أطلع من وجهه	إيوانه لما بدا بذرا
أنسيتنا بالعدل كشرى ولن	يرضى لنا جيرانه كمشرا ^(c)

(u) بولاق : أيضا . (b) آياصوفيا وباريس : الخليفة . (c) بولاق : نرضى لنا جيرا به كسرا .

القَصْرُ الْأَبْلَقُ

هذا القَصْرُ يُشْرِفُ عَلَى الْإِسْطَبَلِ ، أَنشَأَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَانْتَهَتْ عِمَارَتُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ^١ ، وَأَنْشَأَ بِجَوَارِهِ جُحَيْنَةً . وَلَمَّا كَمُلَ عَمَلُ فِيهِ سِمَاطًا خَضَرَهُ الْأُمَرَاءُ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ أُفِيضَتْ عَلَيْهِمُ الْخِلْعُ ، وَحُجِّلَ إِلَى كُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْمُتَيْنِ وَمُقَدَّمِي الْأُلُوفِ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَلِكُلِّ مَنْ مُقَدَّمِي الْحَلْفَةِ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَلِكُلِّ مَنْ أُمَرَاءِ الطَّبَلِخَانَةِ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَفِيَّةٌ : عَنْهَا خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ . فَبَلَّغَتْ / الثَّقَفَةُ عَلَى هَذَا الْمُهَيَّمِ خَمْسَ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ^٢ .

٢١٠

(١) هنا في هامش آياصوفيا : بياض خمسة أسطر .

ويرى كازانوفًا أَنَّ الْقَصْرَ الْأَبْلَقَ هُوَ نَفْسُ الْأَنْثَرِ الَّذِي ذَكَرَهُ جُومَارٌ بِاسْمِ قَصْرِ يُوشَفٍ أَوْ يَتُّ يُوشَفٍ وَالَّذِي أَصْبَحَ فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِي مَكَانَ صِنَاعَةِ كُنُوزِ الْكَعْبَةِ (وصف مدينة القاهرة ٢٣١-٢٣٢ ، Casanova, P., ١٧٧٧-١٧٨١ ، *op.cit.*, p. 635-41 (الترجمة العربية ١٢٧-١٣١)) ، وَاَنْظُرْ كَذَلِكَ فِيمَا يَلِي ٦٧٦ (القاعة الأشرفية) .

وَيَكُنُّ عَلَى مَوْقِعِ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ الْجُزْءُ الْجَنُوبِي الْغَرْبِي مِنْ قَلْعَةِ الْحَبِلِ حَيْثُ الْمَكَانُ الْوَاقِعُ عَلَى بَيْنِ الدَّخَلِ مِنَ الْبُيُوتِ الْوَسْطَى لِلْقَلْعَةِ إِلَى السَّاحَةِ الَّتِي بِهَا الْآنَ جَامِعُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بِاشَا ، وَأَصْبَحَ يَشْغُلُ مَوْقِعَهُ السُّجُنُ الْحَرْبِيُّ الَّذِي تَحُولُ الْآنَ إِلَى مَتْحَفٍ لِلشُّرُطَةِ . (أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٣٦٩: ٣٧٠ هـ^٣ ، وَاَنْظُرْ كَذَلِكَ MAE ، Creswell, K.A.C., ١٩٠٩-١٩١٠ ، *op.cit.*, pp. 199-213. II, pp. 260-63; Rabbat, N., ١٩٨٥) بِدَأَتْ أَعْمَالُ تَنْقِيبِ مَوْقِعِ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ رَاجِعٌ عَنْهَا ، مُحَمَّدُ الْحَدِيدِي وَفَهْمِي عَبْدُ الْعَلِيمِ : «أَعْمَالُ تَرْمِيمِ الْقَصْرِ الْأَبْلَقِ بِقَلْعَةِ صِلَاحِ الدِّهْنِ» ، مَجْلَةُ عَالَمِ الْبِنَاءِ ٢٦ (أَبْرِيلُ ١٩٨٦) ، ٤-١٦ ، مُحَمَّدُ الْحَدِيدِي : «الْقَصْرُ الْأَبْلَقُ - قَصْرُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ =

^١ الْقَصْرُ الْأَبْلَقُ . كَانَ يُشْرِفُ عَلَى الْإِسْطَبَلَاتِ السُّلْطَانِيَةِ فِي أَشْفَلِ الْقَلْعَةِ (التَّوْبَرِي : نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٢: ٢٠٨ ، ابْنُ أَيْبِك : كَنْزُ الدَّرَرِ ٩: ٢٦٦ ، الشُّجَاعِي : تَارِيخُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ١١٣: ١١٤ ، ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِي : مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٣٨ ، ٨٠ ، ٨١-٨٤ ، وَهَذَا أَقْدَمُ وَاقِدٌ وَصَفَ لِلْقَصْرِ الْأَبْلَقِ : الْقُرَيْزِي : السُّلُوكُ ٢: ١٢٩ ، الْقَلْقَشَنْدِي : صَبْحُ الْأَعْشَى ٩٣: ٩٤ ، أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٩: ٣٦٩-٣٧٠ ، ابْنُ إِبْرَاهِيمَ : بَدَائِعُ الزَّهَرِ ١/١: ٤٤٥) وَفِيهِ أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلَاثَةِ قُصُورٍ مُتَدَاخِلَةٍ فِي بَعْضِهَا ، وَفِيهِمْ خَمْسُ قَاعَاتٍ وَثَلَاثَةُ تَمَرَاتٍ .

وَقَصَدَ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ أَنْ يُحَاكِي بِهِ الْقَصْرَ الْأَبْلَقَ الَّذِي بَنَاهُ الظَّاهِرُ بَيْرَسُ فِي دِمَشْقَ سَنَةِ ٦٦٥ هـ/١٢٦٧ م (ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِي : مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ١١٤: ١١٥ ، التَّوْبَرِي : نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٣٠: ١٣٦ ، الْقُرَيْزِي : السُّلُوكُ ١: ٥٦٦ ، الْعَبْدِيُّ : عَقْدُ الْجَمَانِ ٢: ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، أَبُو الْحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧: ٢٧٨) . وَسُمِّيَ بِالْأَبْلَقِ لِأَنَّهُ بَنِيَ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالْأَصْفَرِ بِالتَّبَادُلِ ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْأَبْلَقَ فِي اللَّغَةِ يَعْنِي الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ أَوْ بَصْفَةً عَامَّةً الْخِلِيطَ مِنَ اللَّوْنَيْنِ .

وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة، ما عدا يومي الاثنين والخميس فإنه يجلس للخدمة بدار العدل، كما تقدم ذكره^١. وكان يخرج إلى هذا القصر من القصور الجوانية^٢، فيجلس تارة على تحت الملك المنسوب بصدر إيوان هذا القصر المطل على الإسطبل، وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف على ما تقدم، خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فإنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس، ولا يحضر هذا المجلس من الأمراء الكبار إلا من دعت الحاجة إلى حضوره. ولا يزال السلطان جالسا إلى الثالثة من النهار، فيقوم ويدخل إلى قصوره الجوانية، ثم إلى دار حريمه ونسائه. ثم يخرج في أخريات النهار إلى قصوره الجوانية، فينظر في مصالح مملكه. ويعبر عليه^٣ إلى قصوره الجوانية خاصته من أبواب الوظائف في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه^٤، ويقال لها «خدمة القصر».

وهذا القصر تجاه بابه رجة يسلك إليها من الرجة التي تجاه الإيوان. فيجلس بالرجة التي على باب القصر خواص الأمراء قبل دخولهم إلى خدمة القصر. ويمشي من باب القصر في دهايز مفروشة بالرخام، قد فرش فوقه أنواع البسط، إلى قصر عظيم البناء شاهق في الهواء بإيوانين: أعظمهما الشمالي يطل منه على الإسطبلات السلطانية، ويمتد النظر إلى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها إلى نحو النيل، وما يليه من بلاد الحيرة وقراها. وفي الإيوان الثاني القبلي باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلى الإيوان الكبير أيام المؤكب. ويدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية: منها واحد مسامت لأرض هذا القصر، واثنان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبائك حديد تُشرف على مثل منظرة القصر الكبير.

وفي هذه القصور كلها مجاري الماء مرفوعا من النيل بدواليب تديرها الأبقار من مفره إلى موضع ثم إلى آخر، حتى ينتهي الماء إلى القلعة ويدخل إلى القصور السلطانية وإلى دور الأمراء الخواص المجاورين للسلطان، فيجري الماء في دورهم، وتداول به حكما ثمهم. وهو من عجائب

(a) بولاق: إليه.

^٢ فيما تقدم ٦٥٢.

^٣ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ١٣٨ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٥.

= بالقلعة في كتاب «دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية» - الكتاب التقديري للآثار عبد الرحمن عبد التواب، ٤٧١: ٤٨١-.

^١ المقرئ: مسودة الخطوط ١٦٦ وفيما تقدم ٦٦٠.

الأعمال لرفعته من الأرض إلى السماء قريباً من خمس مائة ذراع من مكان إلى مكان^١.

ويُتخل من هذه القصور إلى دور الحرم . وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود والحجر الأصفر ، مؤززة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات ، وشقوفها كلها مذهبة قد مؤهت باللازورد ، والثور يخرق في جذرائها بطاقي من الزجاج القزسي الملون كقطع الجوهر المولفة في الفقود . وجميع الأراضي قد قرئت بالرخام المنقول إليها من أقطار الأرض ، مما لا يوجد مثله^٢.

وتُشرف الدور السلطانية من بعضها على بساتين وأشجار ، وساحات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور والدواجن^٣ . وسيأتي ذكر هذه القصور والبساتين والأخاش مفصلاً إن شاء الله .

١٠ وكان بهذا القصر الأبلق رسوم وعوائد ، تتغير كثير منها وتبطل معظمها ، وبقيت إلى الآن بقايا من شعار المملكة ورسوم السلطنة . وساقص من أنباء ذلك إن شاء الله ما لا تراه بغير هذا الكتاب مجتموعاً ، والله يؤتي فضله من يشاء .

الأنشطة السلطانية

١٥ وكانت العادة أن يُمد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم ، أنشطة جليلة لعامة الأمراء خلا البغداديين^٤ - وقليل ما هم - فبكرة يُمد سباط أول لا يأكل منه السلطان ، ثم ثان بعده - يُسمى الخاص - قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم ثالث بعده - ويسمى الطارئ - ومنه مأكول السلطان .

١ انظر كذلك فيما يلي ٧٤٣-٧٤٥ .
٢ Dozy, R., Suppl. (Dict. Ar. I, p. 684) ، وهو هنا يعني المائدة السلطانية ، وشاه القلقشندي : صبح الأعشى ٥٦:٤ ، الخزان .
وانظر فيما تقدم ٢٩٣:٢-٢٩٨ ، ٥٩٥ الأنشطة في زمن الفاطميين .

٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٨١-١٨٢
القلقشندي : صبح ٣٧١:٣-٣٧٢ .
٤ المقريزي : السلوك ١: ٦٨٦ .

٤ يذكر ابن إياس أن السلطان سليم العماني عندما دخل إلى مصر وأخرب غالب الأماكن التي بالقلعة وقتل رعايتها وتوكل به في مراتب ، توجهوا بها إلى إستانبول . (بدائع الزهور ١٦٢:٥) .

٤ السباط جد الأنشطة . ما يتوسط على الأرض

وأما في آخر النهار فيمنع^(a) سباطان الأول والثاني المسمى بالخاص، ثم إن اشتدعي بطاري^(b) حصر^(c) ولا فلا، ما عدا المشوي فإنه ليس له عادة محفوظة النظام، بل هو على حسب ما يؤم به. وفي كل هذه الأنميطة يؤكل ما عليها، ويفرق نوالات، ثم يشقى بعدها الأقيسا^(d) المعمولة من الشكر والأفاويه المطيية بماء الزرد المبردة.

وكانت العادة أن يبيت في كل ليلة، بالقرب من السلطان، أطباق فيها أنواع من المطجنات والتوراد والفطر والقشطة والجبن المقلبي والموز والكيماخ^(e)، وأطباق فيها من الأقيسا والماء البارد يرسم أزياب التوبة في الشهر حول السلطان، ليتشغلوا بالماكول والمشروب عن التؤم. ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل، فإذا انتهت توبة تبتهت التي تليها، ثم ذهبت هي فنمت إلى الصبح^(f) هكذا أبدا سقرا وحصرا.

وكانت العادة أيضا أن يبيت في الميت السلطاني من القصر، أو الخيم إن كان في الشرخة، المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ من أزياب التوبة، ويبيت أيضا الشطرنج ليتشغل به عن التؤم^(g).

وتبلغ مضروف السباط، في كل يوم عيد الفطر من كل سنة، خمسين ألف درهم: عنها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهيه العلما والعامة. وكان يعمل في سباط الملك الظاهر يزقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم، سوى الإوز والدجاج^(h) على أنه أبطل كثيرا بما تقدم ذكره، وكان في سباط ابنه الناصر فرج ثلاثة آلاف رطل من اللحم سوى الإوز والدجاج⁽ⁱ⁾. وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم لسيماطه وداره ثمان مائة رطل من اللحم.

فلما كان في المحرم سنة ست وعشرين/ وثمان مائة، سأل الملك الأشرف برزبای عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بكرة وعشئا، فقبل له ست مائة رطل في الوجبتين، فأمر أن يطبخ بين يديه لأنه بلغه أنه يؤخذ بما ذكر لشاة الشرايخانة ونحوه مائة وعشرون رطلا. فجعل راتب اللحم في

(a) بولاق: فيمنع. (b) بولاق: بطار. (c) بولاق: الكباخ. (d) بولاق: الصباح. (e-e) ساقطة من بولاق.

¹ الأقيسا (يفتح الهمة وسكون القاف وكسر السين) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبطال ٤٠-٤١؛ وميم بعدها ألف: تقيع الرئيب، فارسي معرب. (الشهاب) الفلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤٩، ٥٦. الخفاجي: شفاء الغليل (١٩).

كلُّ يوم - بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عَدَم الخدمة - خمس مائة رطل وستة أُرطال عن وَجِبَتِي
العَداء والعشاء، ومن الدَّجاج ستة وعشرين طائرًا، ولتَمَلِّ المأمونية رِطْلَيْن ونصف سُكَّر^١، وما
يُشَمَل بِرِشَم الجَمْدارية فَإِنَّهُ يَمْتَلِي النُّحْل.

وَلَا عَدَاةَ السُّلْطَانِيَّةِ

- قد جَزَتْ العَادَةُ أَنَّ السُّلْطَانَ يَكْتُبُ خَطَّهُ عَلَى كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، فَأَمَّا مَنَاشِيرُ الْأُمَرَاءِ وَالْجُنْدِ وَكُلُّ
مَنْ لَهُ إِقْطَاع، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ عَلَيْهِ غَلَامَتَهُ، وَكَتَبَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ «اللَّهُ أَمَلِي»،
وَعَمِلَ ذَلِكَ الْمَلُوكُ بَعْدَهُ إِلَى الْيَوْمِ^١.

للسلم

غَلَامَةُ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ (عَنْ صَبِيحِ الْأَعَشَى)

وَأَمَّا تَقَالِيدُ^٢ النَّوَابِ، وَتَوَاقِيْعُ^٣ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَبَقِيَّةِ أَرْبَابِ

(a) بولاق: ونصفاً من السكر.

^١ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٣-٤٤ ١٠١:١١-١٠٧ وبه تفصيلات هائلة.

القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥٤، ١٣: ١٦١.

^٣ تَوَاقِيْع. ج. تَوَاقِيْع. اِسْمٌ لَا يُكْتُبُ فِي حَوَاشِي

الْقَصَصِ كَخَطِ الْخَلِيفَةِ أَوْ الْوَزِيرِ، هَكَذَا كَانَ مَدْلُولُهَا عِنْدَ

الْقَدَمَاءِ. (القلقشندي: صبح الأعشى ١: ٥٢=

^٢ تَقَالِيدٌ ج. تَقَالِيد. أَي أَمْرُ التَّوَلَّى، وَتُفْتَحُ دَائِمًا
بِ«الْحَمْدِ لِلَّهِ». (ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح

الشريف ١٢٢-١٢٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى

الوظائف، وتواقيع أرباب الزوايت والإطلاقات^١، فإنه يُكْتَب عليها اسمه واسم أبيه إن كان أبوه ملكاً؛ فيكتب مثلاً «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ»^٢، أو «شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ»، أو «فَرْجُ بْنُ يَزُوقٍ». وإن لم يكن أبوه ممن تَسْلُطَن - كيزوق أو شيخ - فإنه يُكْتَب اسمه فقط، ومثاله «يزوق» أو «شيخ». وأما كُتُب البريد وخلاص الحقوق والظلمات، فإنه يُكْتَب أيضاً عليها اسمه، وربما كُرم المكتوب إليه، فكتب إليه «أخوه فلان» أو «والده فلان»، و«أخوه» تُكْتَب للأكابر من أرباب الرتب^٣.

والذي يُعَلَّم عليه السلطان: إما إقطاع، فالرسم فيه أن يقال: «خَرَجَ الأَمْرُ الشريف». وإما وظائف وزوايت وإطلاقات، فالرسم في ذلك أن يقال: «رُسِمَ بالأمر الشريف». وأعلى ما يُعَلَّم عليه ما افتُتِح بخطبة أولها «الحمد لله» ثم ما افتُتِح بخطبة أولها «أما بعد، حمدًا لله»، حتى يأتي على «خَرَجَ الأمر» في المناشير، أو «رُسِمَ بالأمر» في التواقيع، ثم بعد هذا أنزل الرتب، وهو أن يُفْتَح في المناشير «خَرَجَ الأمر». وفي التواقيع «رُسِمَ بالأمر». وتتمتاز المناشير المفتحة فيها بـ«الحمد لله» أول الخطبة أن تكون^٤ بطغراء بالشواد، وتضمن اسم السلطان وألقابه^٥؛ وقد بطلت الطغراء في وقتنا هذا^٦.

(a) ساقطة من بولاق.

^٤ نفسه ٤٥-٤٦.

^٥ كان الخلفاء الفاطميون يضعون علامتهم على الشجالات والمناشير الصادرة عنهم في مكان في أعلى الشجّل أو المَشْشُور يُحَلِّيه كاتبه لهذا الغرض (انظر فيما تقدم ٣٣٨:٢). وهذه العلامة هي التي تطوّرت في العصر المملوكي والعصر العثماني وأصبحت تُعرف بـ«الطغراء» وهي لفظة فارسية، وكان ديوان الإنشاء في الدولة السلجوقية يُسمّى «ديوان الطغراء» ودُكِّرَ المقريري (قبلا يلي ٧٣٢) أنَّ الطغراء هي ملوّة المكتوب، فكان يُكْتَب أعلى من البسطة بقلم غليظ ألقاب الملك وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويُشَفَى بها عن علامة السلطان (انظر، Cahen, Cl., «La tugra seljukide».

= ١١٤:١١)؛ ثم أصبحت عَلَمًا على نوع خاص من المكاتبات التي تكتب بالوظائف لأرباب السيوف وأرباب الوظائف الدينية والدنيوية. (ابن فضل الله العمري: التعريف ١٢٣-١٢٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١١٤:١١-١٢٧؛ الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ ٢٠٨).

^١ الإطلاقات جـ. إطلاقات. هو تقرير ما أطلقه الملوك السابقون من أعباس، أو إطلاق ما لم يكن مقرّراً من قبل. (انظر نماذج له عند القلقشندي: صبح الأعشى ١٣:٤١-٤٧).

^٢ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٤٤-٤٥.

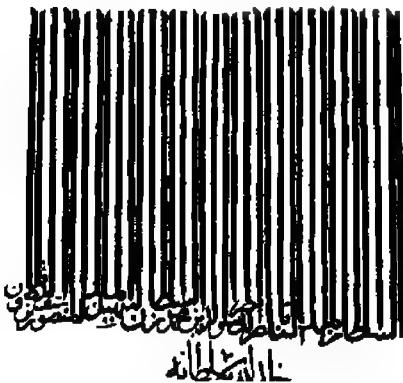
^٣ نفسه ٤٥.

وكانت العادة أن يطالع نواب المملكة السلطان بما يتجدد عندهم : تارة على أيدي البريدية ، وتارة على أجنحة الحمام ، فتعود إليهم الأجيوة السلطانية وعليها «العلامة» . فإذا ورد البريدي ، أخضره أمير جاندار - وهو من أمراء الألوف - والدوادار وكاتب السر بين يدي السلطان ، فيقبل البريدي الأرض ويأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي ، ثم يناوله للسلطان فيفتحه . ويجلس حينئذ كاتب السر ويقرأه على السلطان سرا ، فإن كان أحد من الأمراء حاضرا تنحى حتى يفرغ من القراءة ، ويأمر السلطان فيه بأمر . وإن كان الحبر على أجنحة الحمام فإنه يكتب في ورقي صغير خفيف ، ويحمل على الحمام الأزرق .

وكان الحمام الرسائل مراكز كما كان للبريد مراكز ، وكان بين كل موكرين من البريد أميال ، وفي كل مركز عدة خيول - كما ينباه في ذكر الطريق فيما بين مصر والشام^١ - وكانت مراكز الحمام كل مركز منها ثلاثة مراكز من مراكز البريد ، فلا يتعدى الحمام ذلك المركز ، ويُنقل عند نزوله المركز ما على جناحه إلى طائر آخر حتى يشق بقلعة الجبل ، فيخضره البرّاج ، ويقرأ كاتب السر البطاقة . وكل هذا مما تعلم عليه بالقصر .

ومما كان يُخضّر إلى القصر بالقلعة في كل يوم ورقة الصباح ، يرفعها والي القاهرة والي مصر ، وتشتمل على انتهاء ما تجدد في كل يوم ليلة بحازات البلدتين وأخطاطهما ، من خريق أو قتل قتيل أو سرقة سارق ونحو ذلك ، ليأمر السلطان فيه بأمره .

Tughra X, pp. 639-40.



^١ فيما تقدم ٦١٤:١ - ٦١٦ .

والعادة أن تكون فوق
 وضل بياض فوق الصعلة ، وكان لها موظف مخصوص
 بعملها وتحصيلها بالديوان ، فإذا كتب الكاتب منشورا أخذ
 من تلك الطغرات وألصق فيما كتب به (ابن فضل الله
 العمري : الترميز بالمصطلح الشريف ١١٧ ؛ القلقشندي :
 صبح ١٣ : ١٦٢ ، وانظر الأمودج المرفق ؛ وراجع كذلك
 Nielsen, J.S., «A Note on the Origin of the Turra
 in Early Mamluk Chancery Practice», *Der Islam*
 57 (1980), pp. 288-92; Gazagnadou, D.,
 «Remarques sur le problème de l'origine d'une
 pratique des chancelleries mamlukes : la Turra»,
SI 64 (1986), pp. 160-64; Bosworth, C.E., *El*² art.

الأشرفية

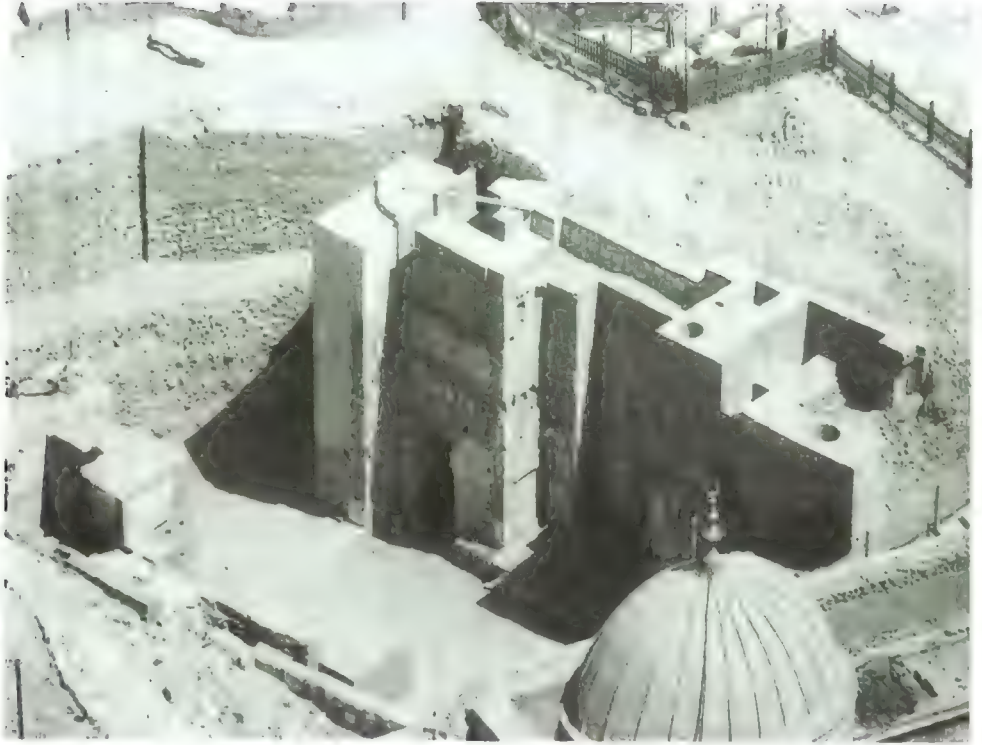
هذا القصر، المعروف بـ«الأشرفية»، أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة اثنتين وتسعين وست مائة^١. ولما فرغ صنع به مهيماً عظيماً لم يعمل مثله في الدولة التُركية^(أ)، وختن أخاه الملك الناصر محمد بن قلاوون وابن أخيه الأمير موسى بن الصالح علي بن قلاوون، وجمع سائر أرباب الملاهي وجميع الأمراء، ووقف الخازندارية^٢ بأكياس الذهب. فلما قام الخاصكية من الأمراء^(ب) للرفق، نثر الخازندارية على كل من قام للرفق حتى فرغ الختان. فأنعم على كل أمير من الأمراء بفرس كامل الفماش وألّس بخلعة عظيمة، وأنعم على عِدَّةٍ منهم؛ كل واحد بدينار بدينار وقرس، وأنعم على ثلاثين من الأمراء الخاصكية لكل واحد مبلغ خمسة آلاف دينار.

(أ) بعد ذلك في مسودة الخطط: «وذلك أنه كان قد نزل إلى ميدان القتي، المعروف بالميدان الأسود خارج باب القصر، وعمل فيه لعب القتي مدة ثلاثة أيام، ثم ضجعت إلى القلعة، فلما كان يوم [بياض سطر] عمل المهيم لختان أخيه...». (ب) العبارة في بولاق: فلما قام الأمراء من الخاصكية.

^١ ابن القرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١٦٩ العيني: عقد الجمان ٣: ١١٧٠ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٣٧٨ وانظر كذلك: Behrens-Abouscif, D., *op.cit.*, p. 55; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 150-69 ويرى ناصر رباط أن المقلم الذي أطلق عليه جومار في نهاية القرن الثامن عشر «بيت يوسف» واعتبره الباحثون، وعلى الأخص كازانوف، القصر الأتلق، ليس إلا «القاعة الأشرفية». وكانت هذه القاعة تقع في الجهة الجنوبية الغربية للقلعة في مواجهة جامع السلطان حسن، فيذكر ابن إياس أنه في سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م نصب شخص بهلوان خيلاً من مئذنة السلطان حسن إلى الأشرفية بالقلعة ومشى عليها! (بدائع الزهور ١٠٥: ٢). وتكتب أيضاً إلى الأشرف شiban قاعة بنفس الاسم كانت داخل دور الحرم (نفسه ١٨٣: ٢/١).

^٢ المهيم. مأذبة ضخمة يولها السلاطين وكبار الأمراء في المناسبات الاجتماعية الخاصة، ويولم أحياناً مهيم بمخصص للنساء فقط إلى جانب المهيم المخصص للرجال. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢: ٨٠، ٨١).

^٣ الخازندار جد الخازندارية. لفظ مؤلف من كلمتين: خزانة العربية ودار الفارسية بمعنى تمسك، أي الموكل بالخزانة المتولي لأمرها. وموضع الوظيفة الإشراف على خزائن الأموال السلطانية، وهي وظيفة محدثة كان يشغلها في بداية الأمر أمير طبخخاناه، ثم ارتفعت قيمتها فصار يشغلها أمير مائة ثقتهم ألف، وجعلها القلقشندي الوظيفة الثانية عشرة من الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان الملوكي، وكان يختار لها من بين الخاصكية. (القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢١، ٥٠٧: ٥-٤٦٣ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك ١١٦: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٤٥٣-٤٦٠).



الدَّرْقَاعَة وجِزَّة من الإيوان الشمالي الغربي للقاعة الأُخْرِيَّة (أو القصر الأَثْلَق) (عن ناصِر رِثَاط)

^(١) وَطَلَّبَ الْأَمِيرُ طُعْجِي - وَكَانَ أَخَصَّ الْخَاصَّيَّةِ عِنْدَهُ - فَكُتِبَ بِخَطِّهِ رَسْمٌ لِلشُّلْطَانِ خَلِيلِ بْنِ فُلَاوُونَ أَنْ يُنْعِمَ عَلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ طُعْجِي الْأَشْرَفِيِّ مِنَ الْخِزَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِلَامَتِهِ وَكَتَابَتِهِ بِقَلَمٍ غَلِيظٍ . وَرُسِمَ عِنْدَ الْخِيَانِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ أَمِيرٍ مُقَدَّمُ أَلْفِ يَوْمِي فِي الطُّشْتِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَكُلُّ أَمِيرٍ طَبْلُخَانَاهُ يَرْمِي خَمْسِينَ دِينَارًا وَوَكُلُّ الْوَزِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ السَّلْعُوسِ بِأَقَرِ الطُّشْتِ ، وَأَقَرُّ الْحَاكِمِ نِدَارِيَّةٍ أَنْ تَحْفَظَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ ، فَلَمَّا فَرَعَتِ الْأَمْرَاءُ مِنَ التَّقْطُوطِ أَمَرَ أَنْ يُقَسَّمْ مَا فِي الطُّشْتِ بَيْنَ أَصْحَابِ الْمَلْهُيِّ وَبَيْنَ الْمُزْنِ ، ثُمَّ طَلَّبَ الْوَزِيرُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْرِفَ لِلْبَلْبِيلِ الْمُغْنَى أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ يُغْنِيهِ فِي الْمَجْلِسِ وَعَلَى السَّمَاطِ ، وَكَانَ لَهُ غِنَاءٌ مُحَبَّبٌ وَصَوْتٌ حَسَنٌ إِلَى الْغَايَةِ . وَكَانَ الْأَشْرَفُ شَدِيدَ الْمَيْلِ لِسَمَاعِ غِنَائِهِ ، فَأَخَذَ الْبَلْبِيلُ فِي تَحْسِينِ الْغِنَاءِ وَالتَّقَنُّنِ فِيهِ حَتَّى ارْتَدَّادَ طَرِبُ الشُّلْطَانِ فَأَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ طَارَاهُ أَيْضًا ذَهَبًا .

فلما كان في اليوم [كذا] حَضَرَ إلى الوَزِير قُصَاةُ الأَمِير طُغْجِي بِمُرسُومِ السُّلْطَانِ المُكْتَسَبِ بِخَطِّهِ ، فلما رآه قامَ على قَدَمَيْهِ وَقَتَلَ الأَرْضَ ووَضَعَهُ على رأسِهِ ورَتَّبَ فِيهِ سَاعَةً وقال : الشُّفْعُ وأُلفَ طَاعَةً ، ولكن أُريدَ المُهْلَةُ قَلِيلًا ثم نَهَضَ من قَوْرِهِ إلى الأَمِير بِدُرِّ الدِّينِ يَتَدَرَا نَائِبَ السُّلْطَنَةِ وقال : يا خَوْنَدُ ، ازْحَضْنِي وإلَّا أَمُوتُ من أن أَجِدَ مائةَ ألفِ دِينَارٍ بعدَ عَمَلِ هَذَا المُهِمِّ العَظِيمِ وأَوْقَفَهُ على المَرْسُومِ ، فَمَا زَالَ الأَمِيرُ يَتَدَرَا بِالأَمِيرِ طُغْجِي حَتَّى صَالَحَ الوَزِيرُ على مائةِ ألفِ دِرْهَمٍ ^(١).

وكان الذي عُجِّلَ في هذا المِهْمِ من العَنَمِ ثلاثة آلاف رأس، ومن البَقَرِ ست مائة رأس، ومن الخَيْلِ خمس مائة أَكْدِيش^٢، ومن السكر بَرَشْمِ المشروب ألف قِنْطَارٍ وثمان مائة قِنْطَارٍ، وبَرَشْمِ الحَلْوَى مائة وستون قِنْطَارًا. وَبَلَغَتِ التَّحْقَُّةُ على هذا المِهْمِ، في عَمَلِ السَّمَاطِ والمشروب والأَقْيَةِ والطَّرَازِ والشُّرُوجِ وثِيَابِ النِّسَاءِ، مبلغ ثلاث مائة ألف دينار عَيْنًا^٣.

(a-a) إضافة من مسودة الخطط.

بل وللسلطنة في بعض الأحيان. (المقريزي: السلوك
١١٦٤: ٤^١، ابن شاعين الظاهري: زبدة ١١٥-١١٦
حسن الباشا: الفنون الإسلامية ٤٦٦-٤٦٧، Ayalon,
(D., *El² art. Khāsakiyya IV*, pp. 1130-31).

^٢ عن الإكديش، انظر فيما تقدم ٣٦٩:٢.

٣ المقرري : مسودة الخطط ٦٥ و-ظ.

١ الخاصكية. فئة من الممالك القبطانية يختارهم السلطان من الأجيال الذين ينضمون إلى خلعته وهم صفار فيُخذ منهم خزنة الخاص. وكانوا يسمون أيضًا بالجوانية، وذلك في مقابل اسم البترانية الذي كان يطلق على الممالك والأمرأ غير الخاصكية، وكانوا يلازمون السلطان في خلواته وفراغه. وكانت الخاصكية من المؤهلات للوظائف الكبرى

البَيْسَرِيَّةُ

ومن مجملّة دُور القلعة قاعةُ البَيْسَرِيَّةِ، أنشأها السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ حَسَنُ بنِ محمد بن قلاوون^١، وكان ابتداءُ بِنائها/ في أوّل يومٍ من شُعبان سنة إحدى وسبع مائة ونهاية عِمَارَتِها في ثامن عشرين ذي الحِجَّةِ من السنة المذكورة. فجاءت من الحُصْنِ في غايّةٍ لم يُرَ مثلها، وعَمِلَ لهذه القاعة من القُوش والبُسط ما لا تَدْخُلُ قيمته تحت حَصْرِ. فمن ذلك تسعة وأربعون^٥ تُرْتِياً بِرَشْمٍ وَقُودِ القَنَادِيلِ، جملة ما دَخَلَ فيها من الفِضّة البيضاء الخالِصة المضروبة مائتا ألفٍ وعشرون ألفَ درهم، وكلُّها مطلية بالذَّهَبِ. وجاءَ ارتِفَاعُ بناء هذه القاعة طَوَلاً في السَّماء ثمانية وثمانين ذِراعاً.

٢١٢:٢

وعَمِلَ السُّلطانُ بها بُرجاً يبيت فيه من العاج والأبنوس، مُطَعَّمٌ بجلسته بين يديه، وأكتاف وِبابٍ يدخل منه إلى الأرض كذلك، وفيه مُقَرَّنَصٌ قطعةً واحدة يكاد يَدْخُلُ النَّاطِرُ إليه: بشِبابيك^{١٠} ذَهَبٍ خالِصٍ، وطِرازات ذَهَبٍ مصوغٍ، وشَرَفات ذَهَبٍ مصوغٍ، وقُبّة مصوغة من ذَهَبٍ، صُرِفَ فيه ثمانية وثلاثون ألفَ يَتَقال من الذَّهَبِ، وصُرِفَ في مُؤَنه وأجره تَمَعّة ألف ألف درهم فِضّة عنها خمسون ألفَ دينار ذَهَباً^٢. وبَصْدُرِ إِيوان هذه القاعة شُبَّاكٌ حَدِيدٌ، يُقَارِبُ بابَ زَوِيَلَةٍ^٣، يطلّ على جَنينة بدِعة الرُّي^(ب)^٣.

(a) كذا في جميع النسخ، وربما المقصود أن الشباك الحديد كان يقارب باب زويلة من حيث الارتفاع! (b) بولاق: الشكل، وهنا في هامش أبيصوفيا: يياض ثلاثة أسطر.

^١ سَمّاها القريري في مسودة الخطط ٧٠: القصر العواميد سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م، ونَقَلَ إليها الرُخام الموجود بالقلعة المعروفة بِصُفِّ الدُّنْيا التي أنشأها ناطِرُ الخِصانِ النَّاصِرِي حَسَنٌ ويُعرَفُ بقاعة البَيْسَرِيَّةِ.

^٢ نهاية الموجود عن القاعة البيسرية في مسودة الخطط ٧٠: ط. وكان فيها الرُخام المُقَنَّ الذي لا يُوجد - (ابن يَوْسُف - بدائع الزهور ٤: ٦٨، ٥: ٩١، ٩٤). ثم لما دَخَلَ

السُّلطانُ سليم الأوّل العُثماني إلى مصر في سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م نَزَلَ به من القلعة وَوَضَعَهُ في صناديق خَشَبٍ وَنَزَلَ به في المراكب لِتُوجّهَ إلى إستانبول؛ وأُضيف ابنُ إِيّاس: «ومن العجائب أَنَّ السُّلطانَ العُروي ظَلَمَ أولاد ناطِر الخِصانِ يَوْسُفَ وأَخَذَ رُخام قاصعهم التي تُسمّى بِصُفِّ الدُّنْيا =

^٣ رُجماً المقصود أَنَّهُ يُقَارِبُ بابَ زويلة في الطول لا في المسافة، فباب زويلة مكانه معروف، وهو يبعد مسافةً غير قليلة من القلعة.

وقاعةُ البَيْسَرِيَّةِ أَقْنَمَ السُّلطانُ العُروي بِمِمارَتِها هي وقاعة

الدَّهِيْشَةُ

عَمَّرَهَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ عِمَادِ الدِّينِ، صَاحِبِ حِمَاةٍ، أَنَّهُ عَمَّرَ بِحِمَاةٍ دِهِيْشَةً^١ لَمْ يُنْ مِثْلُهَا، فَقَصَّدَ مَضَاهَاتِهِ، وَبَغَتْ الْأَمِيرُ أَقْبَجِيَا وَالْحُجَجِيحُ^٢ الْمُهَنْدِسُ لَكَشَفَ دِهِيْشَةَ حِمَاةٍ، وَكَتَبَ لِنَائِبِ حَلَبٍ وَنَائِبِ دِمَشْقٍ بِحَمَلِ الْفَيْ حَجَرٍ بَيْضٍ وَالْفَيْ حَجَرٍ حُمْرٍ مِنْ حَلَبٍ وَدِمَشْقٍ،^٣ وَوَاصِلَ الْبَرِيدِ بِالْأَمْتِيخَنَاتِ فِي الطَّلَبِ، فَوَقَعَ الْإِهْتِمَامُ بِذَلِكَ وَسَخَّرَ نَوَاطِبَ الشَّامِ النَّاسَ فِي حَمَلِ الْحِجَارَةِ مِنْ حَلَبٍ وَدِمَشْقٍ^٤ وَخَثِرَتِ الْجِمَالُ لِحَمْلِهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ. وَضَرِفَ فِي حُمُولَةِ كُلِّ حَجَرٍ مِنْ حَلَبٍ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا، وَمِنْ دِمَشْقٍ ثَمَانِيَةَ دِرْهَمٍ. وَاسْتَدْعَى الرُّخَامَ مِنْ سَائِرِ الْأَمْزَاءِ وَجَمِيعِ الْكُتَّابِ، وَرُسِمَ بِإِخْضَارِ الصَّنَاعِ لِلْعَمَلِ، وَوَقَعَ الشُّرُوعُ فِيهَا حَتَّى تَمَّتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا^٥. وَقَدْ بَلَغَ مَصْرُوفُهَا خَمْسَ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، سِوَى مَا قَدِمَ مِنْ دِمَشْقٍ وَحَلَبٍ وَغَيْرِهِمَا، وَغُمِلَ لَهَا مِنَ الْفَرَشِ وَالْبُشْطِ وَالْآلَاتِ مَا يَجَلُّ وَضَعُهُ، وَخَصَّرَ بِهَا سَائِرَ الْمَغَانِي^٦. وَكَانَ مُهْمًا عَظِيمًا.

(a) بولاق : وابجيج . (b-b) ساقطة من بولاق ، وفي مسودة الخطط : فبلى الناس من ذلك بمشقة زائدة لكثرة الكلف والشجرة . (c) بولاق : الأغاني .

= وَجَعَلَ ذَلِكَ الرُّخَامَ فِي قَاعَةِ الْبَيْتِيَّةِ فَتَلَطَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ أَخَذَهُ مِنَ الْبَيْتِيَّةِ وَلَمْ يَتَقَعَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ، وَاجْتِزَاءً مِنْ جُنُسِ الْقَتْلِ. (ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٦٠، ٤٨٥، ٥٠٤، ٥٥٣). وبذلك فإنها كانت تقع في الجهة الشرقية القبلية من جامع محمد علي بالقلعة. (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ٨٩-٩٠ هـ^١ ؛ Casanova, P., *op.cit.*, p. 673-75 (الترجمة العربية ١٥٢-١٥٤) .

^١ وَزِدَتْ فِي مَسُودَةِ الْخَطِّ ٧٠ ط : ذَهْشَة ، وَيَبْدُو أَنَّهُ الْأَسْمُ الصَّحِيحُ بِمَعْنَى ، الْإِنْدَاهَاشَ ، يَنْمِا لِفِظِ دِهِيْشَةٍ هُوَ التَّسْمِيَةُ الشَّاعِلَةُ عَلَى الْأَمْنَةِ .

وَالَّذِيْشَةُ بِدَأْفِي عِمَارَتِهَا النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَمَاتَ

^٢ الْمَقْرِيزِي : مَسُودَةُ الْخَطِّ ٧٠ ط .

الشيخ قاعات

هذه القاعات تُشرف على الميدان وباب القرافة، عَمَرَهَا الملك النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون، وأَسْكَنَهَا سُراريه، وماتَ عن ألفٍ ومائتي وَصِيفَةٍ مُؤَلَّدَةٍ سوى من عَداهن من بَقِيَّةِ الأُجْناس^١.

الجامع بالقلعة

هذا الجامعُ أنشأه السُّلطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون في سنة ثمان عشرة وسبع مائة. وكان قَبْلَ ذلك هناك جامعٌ دون هذا، فَهَدَمَهُ السُّلطانُ وَهَدَمَ المَطْبِخَ والحوائِجَ خاناه والفراشَ خاناه، وعَمِلَهُ جامعًا، ثم أَخْرَجَهُ في سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة، وبَنَاهُ هذا البناء^٢.



الواجهتان الشمالية الشرقية والشمالية الغربية لجامع النَّاصِر محمد بن قَلاوون بالقلعة

^١ وخَلَّ مَحَلَّ السبع قاعات بعد ذلك قَصْرُ الجَوْهَرَةِ الذي شَيَّعَهُ محمد علي باشا سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م في الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨١هـ^١).

^٢ المقريري: مسودة الخطوط ٦٦، ٦٧.

وما زال جامعُ القلعة، الذي أعادَ بِناءَهُ النَّاصِر محمد بن قَلاوون سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م، موجودًا ومُشْرِفًا على الحوش الذي فيه جامع محمد علي باشا وباب القلعة المؤدي إلى المتحف الحربي. (انظر فيما يلي ٣٢٥: ٢).

^١ يرى كازانوف أنَّ الشيخ قاعات هي الموقع المحدد على خريطة القاهرة التي رسمها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ باسم «السبع خدّرات» [U-4, 72] بالركن الجنوبي من القلعة المشرف على ميدان صلاح الدين. وباب القرافة الذي تشرف عليه هذه الشيخ قاعات هو الباب الموجود في شور صلاح الدين، وليس باب القلعة المعروف أيضًا بهذا الاسم، ويوجد هذا الباب الآن أشَقَل كوبري السيدة عائشة. (Casanova, P., *op.cit.*, p. 644) (الترجمة العربية ١٣٣-١٤٤)؛ وانظر كذلك، ابن إياس: بدائع الزهور ٤: ٧٥، ٥: ٨٨).

فلما تم بناؤه جلس فيه ، واستدعى جميع مؤدني القاهرة ومصر ، وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه ، وسمع تأديتهم وخطاباتهم وقرأتهم . فاختار منهم عشرين مؤدنا رتبهم فيه ، وقرّر فيه درس فقه وقارئا يقرأ في المصحف ، وجعل عليه نواظرا تكفيه وتفيض . وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع إلى هذا الجامع ، ويحضر خاصة الأمراء معه من القصر ، ويجيئ باقيهم من باب الجامع . فيصلي السلطان عن يمين الحراب في مقصورة خاصة به ، ويجلس عنده أكابر خاصيته ، ويصلي معه الأمراء خاصتهم وعائمتهم خارج المقصورة ، عن يمينها ويسرتها ، على مراتبهم . فإذا انقضت الصلاة دخل إلى قصوره ودور حريمه ، وتفرق كل أحد إلى مكانه .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مقروش الأرض بالرخام ، مبطن السقوف بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة^١ ، مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ، ويحف صحنه رواقات من جهاته^٢ .

الدائر الجديدة

هذه الدائر عند باب سبيل القلعة^٣ المطل على سوق الخيل ، غمرها الملك الظاهر بيبرس

(١) في هامش آياصوفيا : يباض عشرة أسطر .

الأيام الأشرفية قايتباي مع ما جدد من بناء الميضة للجامع المذكور .

^٣ باب الشر . أخذ الأبواب الثلاثة الرئيسة المؤدية إلى القلعة ، هو وباب المنبرج ، الباب الأعظم للقلعة (فيما تقدم ٦٥١) ، وباب القرافة من جهة القرافة والجبل (طريق صلاح سالم الآن) ، وكان يختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب الشر ونحوهما ، ويوصل إليه من الصخرة ، وهي بقية التل الذي بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمشي فيه من جانب جدارها البهري حتى ينتهي إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل «الإيوان الكبير» الذي يجلس فيه السلطان أيام =

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٨٠ - ٨١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٧٠ - ٣٧١ .

وأضاف ابن أبي السرور البكري : «قلت : وفي زمننا الآن في أيام العيدين : الفطرة والأضحى ، يطلع وزير مصر يوم العيد وأمامه جميع الجاوشية والمتفرقة وأمراء الحراكتة وأغوات اليككات وجميع الصناجق الذين في ذلك الأوان وهم مشاة أمامه إلى أن يذهب إلى هذا الجامع فيصلي فيه صلاة العيد ، وبأني هو وجميع من ذكر ويجلس على السماط هو وهم يأكلون ، وبعد ذلك يتفرقون كل أحد إلى منزله . (قطف الأزهار ٢٣٩) .

^٢ هنا على هامش (ص) : سقطت هذه القبة وأعيدت في

البُنْدُقْدَارِي فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَعَمِلَ بِهَا فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا دَعْوَةٌ لِلْأَمْرَاءِ عِنْدَ فَرَاغِهَا^(١).

خَزَانَةُ الْكُتُبِ

وَقَعَ بِهَا الْحَرِيقُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ صَفَرٍ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، قَتِلَ بِهَا مِنَ الْكُتُبِ ، فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ وَعِامَّةِ الْعُلُومِ ، شَيْءٌ كَثِيرٌ جَدًّا كَانَ مِنْ دَخَائِرِ الْمُلُوكِ . فَانْتَهَبَهَا الْعِلْمَانُ ، وَبِيعَتْ أَوْزَاقًا مَحْرُوقَةً ظَفِيرَ النَّاسِ مِنْهَا بِتَقَائِيسَ غَرِيبَةٍ مَا بَيْنَ مَلَاحِمَ وَغَيْرِهَا ، وَأَخَذُوهَا بِأَيْخَسِ الْأَثْمَانِ^(٢).

(١) فِي هَامِشِ أَبَاصُوفِيَا : بِبَاضِ سَبْعَةِ أَسْطُرَ .

«دَارُ الذَّهَبِ» ، وَسَمَّاهَا ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ - مِثْلَ الْمُقْرِزِيِّ - «الدَّارَ الْجَدِيدَةَ» . وَذَكَرَ شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ أَنَّ الْمُتَوَلَّى لِعِمَارَتِهَا هُوَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَيْتُكَ الْفَخْرِيُّ وَأَنَّهَا قَاعَةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ ثُمُنَتْ فِي عِمَارَتِهَا وَزُخْرَفَتِهَا وَتُتَوَهَّى فِيهَا إِلَى الْغَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ، وَلَمَّا أُخْرِجَتْ جَلَسَ بِهَا السُّلْطَانُ وَمَدَّ يَسَاطًا وَخَلَعَ عَلَى عِزِّ الدِّينِ الْفَخْرِيِّ مُشَدِّدًا . (تَارِيخُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ٣٣٩ ، الرُّوضُ الزَّاهِرُ ١٢٤٦ النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧ : ١٩٠ ، وَنَصُّ شَافِعِ بْنِ عَلِيٍّ أَوْرَدَهُ كَازَانُوفًا فِي كِتَابِ تَارِيخِهِ وَوَصَفَ قَلْعَةَ الْقَاهِرَةِ ، وَانْظُرْ كَذَلِكَ الْمُقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ١ : ٥٤٤ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ تَطُلُ عَلَى سَوَاقِ الْحَيْلِ أَسْفَلَ الْقَلْعَةِ .
Casanova, P., *op.cit.*, p. 606; Rabbat, N.,
op.cit., pp. 119-121 (الترجمة العربية ١٠١-١٠٢) .

^(٢) ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الْأَلَطَافُ الْخَفِيَّةُ مِنَ السِّيَرَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ الْمَلِكِيَّةِ الْأَشْرَفِيَّةِ ، ٦٠ ؛ وَالتَّوْبَرِي : نِهَاجَةُ الْأَرْبِ ٣١ : ٢٢٥ ؛ ابْنُ الْفَرَاتِ : تَارِيخُ الدُّوَلِ وَالْمُلُوكِ ٨ : ١١٣ ؛ الْمُقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ١ : ٧٧٧ ؛ الْعَيْنِي : عَقْدُ الْجَمَانِ ٣ : ١١٠ ؛ أَبُو الْمُحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨ : ٣٣ .

وَخَزَانَةُ الْكُتُبِ هَذِهِ مِنْ إِنْشَاءِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ ، فَيَذَكُرُ الْمُقْرِزِيُّ فِي «السُّلُوكِ» ، أَنَّهُ فِي يَوْمٍ

= الْمَوَازِبِ ، وَهَذَا الْبَابُ لَا يَزَالُ مُغْلَقًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الدَّخُولَ أَوْ الْخُرُوجَ مِنْهُ فَيُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ يُغْلَقُ . (الْمَقْلُشْنَدِيُّ : صَبْحُ الْأَعْيُنِ ٣ : ٣٧٠) ، وَذَلِكَ بِنَاءٌ عَلَى كَلِمَةِ الشَّرِّ الَّتِي كَانَتْ تَتَغَيَّرُ كُلُّ لَيْلَةٍ .

وَكَانَ هَذَا الْبَابُ يَفْتَحُ فِي مُوَاجَهَةِ الْإِيوَانِ عَلَى رُجْعِهِ التَّقَرُّبِ ، وَرَبَّمَا كَانَ هُوَ الْبَابُ الْمَذْكُورُ فِي خَرِيطَةِ الْحِمْلَةِ بِاسْمِ «بَابِ الشَّرِّ» (T-3-4, 59) الَّذِي يَفْتَحُ فِي الْقَلْعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ تَحْتَ الْإِيوَانِ ، وَهُوَ الَّذِي حُلَّ مَحَلَّهُ الْآنَ «الْبَابُ الْوُسْطَانِيُّ» وَهُوَ الْبُؤَابَةُ الْوُسْطَانِيَّةُ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ دَهْلِيزِ الْبَابِ الْعَمُومِيِّ الْبَحْرِيِّ لِلْقَلْعَةِ وَبَيْنَ الْخَوْشِ الَّذِي فِيهِ جَامِعُ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَجَامِعُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ . (أَبُو الْمُحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨ : ١٧٢ هـ ، ١٢ : ٣٠٠ هـ) .

وَتَبَقَا نَصُّ أَوْرَدَهُ ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الشُّعْرِي فَقَدْ كَانَ لِلْسُّلْطَانِ وَجْدَةً أَثَوَابٍ سَبَّوْا إِلَى الْقَرَفَةِ وَإِلَى غَيْرِهَا . (مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ ٨٤) ، وَارْجِعْ كَذَلِكَ ، Casanova, P., *op.cit.*, 593-94; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 120-121.

^(١) الدَّارُ الْجَدِيدَةُ . هِيَ نَفْسُهَا الدَّارُ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا شَافِعُ ابْنُ عَلِيٍّ «القَاعَةُ الظَّاهِرِيَّةُ» وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا ابْنُ شَدَّادٍ وَأَبُو الْمُحَاسَنِ

القاعة الصالحية

عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكانت سكن الملوك إلى أن اخترقت في سادس ذي الحجة سنة أربع وثمانين وست مائة ، واخترقت معها الخزانة السلطانية ^١.

باب الثحاس

هذا الباب من داخل باب^(a) الشتارة ، وهو أجل أبواب الدور السلطانية . عمره الناصر محمد ابن قلاوون ، وزاد في سعة دهلزيه ^٢.

(a) ساقطة من بلاق .

الملك العالم المعادل ناصر الدنيا والدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب عز نصره ، والثاني نصه : « برسم قصر بن أبي القاسم بن مسافر الأشتولابي الحنفي ١٢٢٢هـ . Casanova, P., *op.cit.*, p. 598 (الترجمة العربية ٩٣-٩٤) ، وانظر كذلك Wiet, G., *RCEAX*, p. 221 (n° 3924).

^١ المقريري: السلوك ١: ٧٣٠، Rabbat, N., *op.cit.*, p. 86.

وتبعاً لما ذكره ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك ٨٦، ظلت القاعة الصالحية تستخدم حتى بناء القصر الأتلي، وانظر أيضاً المقريري: السلوك ١: ٨٣٥.

^٢ باب الثحاس . هو الباب الذي كان يجتازه السلطان وهو قادم من الدور السلطانية إلى الجامع، وعند عودته إليها، كما كان يسلك من باب الثحاس إلى دزج الإوان. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٩: ١٨٠، ٧٩: ١٢)، كما كان يجلس عنده خواص الختام الطوائفية (ابن إياس: بدائع الزهور ١/٢: ٤٩٨)؛ أما باب الشتارة فكان من أبواب القصور المخصصة لسكنى السلطان وحرمة. وكان السلطان عند توليه ولبه لشعار المملكة يركب من عند باب =

= الأحد خامس جمادى الأولى سنة ١٢٢٦هـ/١٢٩٩م «وقعت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل، وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل في سادس عشره، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة؛ وحملت من داره - في ثالث جمادى الآخرة - تحسب خزائن الكتب مفضلة، حملها تسعة وأربعون جملاً، والجمال التي حملت الكتب تسعة وخمسون جملاً، ثلاث دفعات». (السلوك ١: ٢٣٢). ويبدو من بقية نص المقريري - الذي جاء غامضاً بعض الشيء - أن الكامل أعاد في يوم السبت ١٢ رجب من العام نفسه، أحد عشر ألف كتاب وثمان مائة وثمانية كتب، وأن جملة الكتب المأخوذة كتاب «الأوك» و«العشرون» لأبي الغلاء المعري في ستين مجلداً. (نفسه ١: ٢٣٣) وانظر كذلك (فيما يلي ٢: ٣٦٦) ختم تكوين مكتبة القاضي الفاضل ونشئها).

ولم ينج من هذه الخزانة المحترقة سوى كرة من الثحاس Sphère صوّرت عليها السماء بأثر اجها ونجمها محفوظة الآن بمتحف بورجيا بمدينة Velletri بإيطاليا يُنسب عليها نقشان: الأول نصه: «برسم خزانة مولانا السلطان الكامل

باب القلعة

عُرفَ بذلك من أجل أنه كان هناك قلعة بناها الملك الظاهر بيبرس ، وهدمها الملك المنصور قلاوون في يوم الأحد عاشر شهر رجب سنة خمس وثمانين وست مائة ، وبني مكانها قبة فوَّغَتْ عِمَارَتُهَا فِي سُؤَالٍ مِنْهَا . ثُمَّ هَدَمَهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونَ ، وَجَدَّدَ بَابَ الْقَلْعَةِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ ، وَعَمِلَ لَهُ بَابًا ثَانِيًا^١ .



بابُ القلعة الذي أنشأه محمد علي موضع باب القلعة القديم

(٢) بياض بهامش آهافوفيا .

= الشنارة (ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٤٩١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ، ٥٣٨ ، ٥٥٣ ، ٥٨٠) . وحل محل هذه القصور الآن القصر الذي أنشأه محمد علي باشا سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م في الجهة الغربية من جامع سليمان باشا ، والذي يشغله الآن المتحف الحربي . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٤٨هـ^١) .

^١ بابُ القلعة . كان يقع في أحد الأسوار الداخلية للقلعة الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي ، فيما بين باب سارية وباب القرافة تجاه جامع الناصر محمد (جامع القلعة) . وكان السور الذي يفتح فيه هذا الباب يفصل بين الشاحة التي كانت =

الرَّشَفُ

عَمَّرَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ، / وَجَعَلَهُ عَالِيًا يُشْرِفُ عَلَى الْحَيِزَةِ^(a) كُلِّهَا، وَيُضَعِّه وَصُورَ فِيهِ أَمْزَاءَ الدُّوَلَةِ وَخَوَاصُّهَا، وَعَقَدَ عَلَيْهِ قُبَّةً عَلَى عُمْدٍ وَرَحَرَفَهَا. وَكَانَ مَجْلِسًا يَجْلِسُ فِيهِ السُّلْطَانُ، وَاسْتَمَرَ جُلُوسُ الْمُلُوكِ بِهِ حَتَّى هَدَمَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^(b)، وَعَمِلَ بِجَانِبِهِ^(c) بُرْجًا بِجَوَارِ الْإِسْطَيْلِ نَقَلَ إِلَيْهِ الْمَحَالِيكَ^(d).

الْمَجْسَبُ

كَانَ بِالْقَلْعَةِ مَجْسَبٌ يُخْبَسُ فِيهِ الْأَمْزَاءُ، وَكَانَ مَهْوَلًا مُظْلِمًا كَثِيرَ الْوُطَاوِيطِ كَرِيهِ الرَّاغِبَةِ، يُقَاسِي الْمَسْجُونُونَ فِيهِ مَا هُوَ كَالْمَوْتِ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ. عَمَّرَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ إِحْدَى

(a) مسودة الخطط: الحيزية. (b) بولاق: بجواره. (c) في هامش آياصوفيا: يياض سطر ونصف.

¹ المقرئري: مسودة الخطط ٦٥ ظ.

² الرَّشَفُ (نَزَج). يبدو من بعض نُصوص المقرئري الأخرى، أَنَّ نَزَجَ الرَّشَفِ كَانَ موجودًا قَبْلَ الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ، قَفِيَ أَثْنَاءَ حَصَارِ الْأَمْزَاءِ لِلْسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُشْعِدِ بَرَكَةِ خَانَ سَنَةِ ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، يَقُولُ الْمَقْرِئَرِيُّ: «فَصَارَ السُّلْطَانُ يُشْرِفُ مِنْ نَزَجِ الرَّشَفِ الْمُظْلَمِ عَلَى الْإِسْطَيْلِ» (السلوك ١: ٦٥٤). وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِهِ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ هُوَ مُجَدِّدُهُ (انظر كذلك المقرئري: السلوك ٢: ٣٤، ١١٨، Casanova, P., *op.cit.*, pp. 626-27 (الترجمة العربية ١٠٩)، Rabbat, 1, 54-56 (N., *op.cit.*, pp. 24-26, 154-56).

وما تَرَأَى آثارَ نَزَجِ الرَّشَفِ بَاقِيَةً فِي الزَاوِيَةِ الْقِبْلِيَّةِ الْغَرِبَةِ مِنَ الشُّورِ الْغَرْبِيِّ لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الْآنَ مَتَحَفُ الشُّرْطَةِ (السَّجْنُ الْحَرْبِيُّ سَابِقًا)، وَتَوْجَدُ أَسْفَلَ هَذَا الْبَرَجِ بِقَائِمَا الْبَرَجِ الْمَجْدِيدِ الَّذِي شَيَّعَهُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ وَبِأَسْفَلِ جِدَارِهِ نَقْشٌ فِي الْحِجْرِ مُتَكَوِّنٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَسْطُرٍ مِنَ الشَّخْصِ الْمَمْلُوكِيِّ، مُتَوَرِّخٌ بِسَنَةِ ٧١٣هـ/١٣١٣م بِدَلٍّ عَلَى أَنَّ =

= خَلْفَ بَابِ الْقَلْعَةِ الْعُمُومِيِّ وَبَيْنَ الدُّوَرِ السُّلْطَانِيَّةِ - أَيْ أَنَّهُ يَفْضُلُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمَسْكُونَةِ وَالْمَدِينَةِ السُّلْطَانِيَّةِ - وَكَانَتْ هَلَهُ الشَّاعَةُ يَجْلِسُ بِهَا الْأَمْزَاءُ حَتَّى يُؤَدَّنَ لَهُمْ بِالْدَّخُولِ، كَمَا كَانَتْ مُزَوَّدَةً بِسَائِلِ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الْأَمْزَاءُ إِلَى أَنْ يَحِينَ وَفَتَ رُكُوبُهُمْ فِي الْحَيَضَةِ. وَقَدْ زَالَ كُلُّ أَثَرٍ لِבَابِ الثَّلَّةِ الْقَدِيمِ وَخَلَّ مَحَلُّهُ الْآنَ بَابٌ شَهِدَ فِي عَصْرِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بِأَشَأْ سَنَةِ ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م فِي مُوَاجَهَةِ الْبَابِ الْبَحْرِيِّ الشَّرْقِيِّ لِلْجَامِعِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَاحَةِ بَهْجَتِهَا الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ كَانَتْ تَشْغُلُهُ إِلَى وَقْتٍ قَرِيبٍ دَارُ الْوُثَاثِ الْقَوْمِيَّةِ، وَيَقَعُ فِي شِمَالِهَا الشَّرْقِيِّ وَجَنُوبِهَا الشَّرْقِيِّ «قَصْرُ الْحَرَمِ» الَّذِي شَيَّعَهُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ بِأَشَأْ سَنَةِ ١٨٢٦-١٨٢٧م، وَيَشْغُلُهُ مِنْذُ عَامِ ١٩٤٦ الْمَتَحَفُ الْحَرْبِيُّ. (الْقَلْقَشْدِيُّ: صَبِيحُ الْأَعْيُنِ ٣: ٣٧٠، أَبُو الْمُحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨: ٤٥٠هـ، ٩: ١٨٠هـ، ١٦: ٣٢٠-٣٢١، Casanova, P., *op.cit.*, pp. 646-47; Rabbat, N., *op.cit.*, pp. 39, 111-12 (الترجمة العربية ١٣٥-١٣٦)).



باب القلعة (رغم أنه بُني عليه باب الجبل) (عن وصف مصر)

وثمانين وست مائة ، فلم يزل إلى أن قام الأمير بكتغر الشاقي في أمره مع الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حتى أخرج من كان فيه من المحاميس ونقلهم إلى الأبراج وردته ، وعمّر فوق الرّدم طباقاً في سنة تسع وعشرين وسبع مائة^١.

الطبلخاناه تحت القلعة

ذكر هشام بن الكلبي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما قديم الشام ، تلقاه المقلّسون من أهل الأديان بالسيوف والزّيحان ، فكيره عمر النظر إليهم ، وقال : ردوهم . فقال له أبو غبيدة بن الجراح : إنها شنة الأعاجم ، فإن منعتهم ظنوا أنه نقض لعهدهم . فقال عمر : دعوهم . والتفليس الضروب بالطبل أو الدف .

وهذه الطبلخاناه الموجودة الآن تحت القلعة فيما بين باب السلسلة^٢ وباب المدرج ، كانت داز

السلطانية . وقد أمر بستده السلطان الناصر (الأشرف) أبو الشعدادات محمد بن الأشرف قايتباي سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م ، عندما خاف أن يقتله الناس ، فأمر بستده هو وباب الميدان وباب حوش العرب بالحجر الفص ، واستمر على ذلك مدة طويلة ، فكان الناس يطلعون إلى باب السلسلة من الباب الذي عند الصورة تحت الطبلخاناه . (ابن إياس : بدائع الزهور ٣: ٣٥٢).

وظل باب السلسلة موجوداً حتى بداية العصر العثماني تجاه جامع السلطان حسن ، إلى أن عمر رضوان كُتخدا الحلقي ، المتوفى عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٥م وباب القلعة الذي بالرميلة المعروف بباب الغزب سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م ، وعمل حوله البنتين العظيمتين والزلاقة (الجهري : عجائب الآثار ١: ٣٢٥) تقريباً في موقع باب السلسلة أو إلى الجنوب منه بمسافة قليلة . (Casanova, P., *op.cit.*, p. 651) (الترجمة العربية ١٤٠: ١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧: ١٦٣ ، ٨: ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٢: ٢٨٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، الفهارس ٣: ٢٩٠-٣٠).

وما زال باب الغزب قائماً في ميدان صلاح الدين =

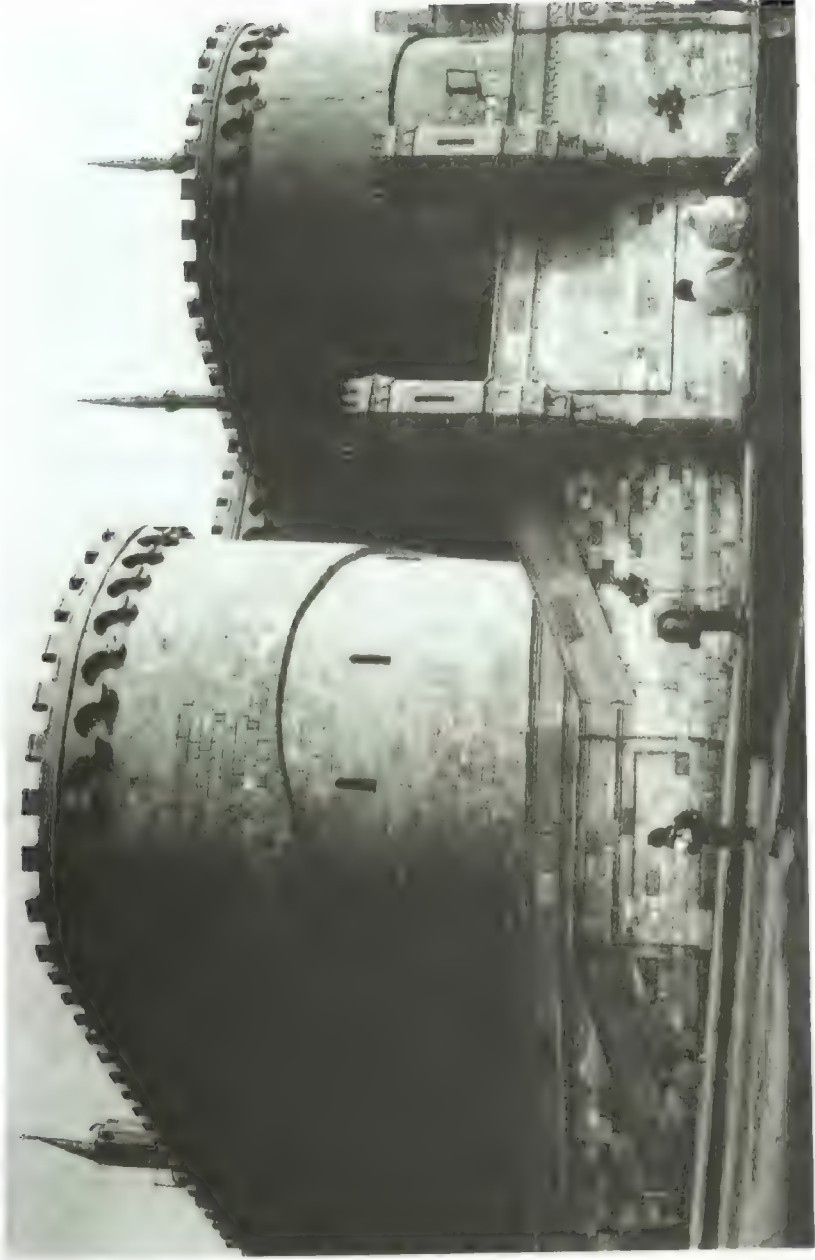
= الناصر محمد أنشأه في هذه السنة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٩٢هـ ؛ ٢: ٧٤ n° ، RCEA 14, p. 74 Wiet, G., 5318).

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٦٧ و - ط .

والجب . كان يقع في الجهة الشرقية من حوش القلعة داخل البوابة الداخلية للقلعة . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٩٢هـ ؛ ٢: ٧٤) وفيما تقدم ٢: ١٨٨).

^٢ باب السلسلة . لم يتعرض أحد من المؤرخين الطبوغرافيين الذين وصفوا القلعة لتحديد موضع هذا الباب ، على الرغم من تكرار الإشارة إليه عند سردهم للحوادث التاريخية . فالمقرئ ومن قبله ابن فضل الله العمري ذكر أنه كان يُدخل إلى القلعة من بابين أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة والمعروف بباب المدرج ، والباب الثاني وباب القراة من جهة القراة والجبل المقطم ، ويضيف الفلقشندي إليهما باباً ثالثاً هو باب الشر . (مسالك الأبصار ٨٠: صبح الأعشى ٣: ٣٧٠) وفيما تقدم ٦٥١). وعلى ذلك فإن باب السلسلة لا بد أن يكون خارج القلعة ولا يؤدي إلى القلعة ذاتها وإنما إلى المنشآت الملحقة بها وإلى الإشطبلات

العُمَّلْخَانَاه تَحْت القَلْعَة



باب الفُزْب الذي خُلِّ سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م مَحَلُّ باب السِّلْبِلَة (عن كتاب *Le Cairo*)

العَدْل القَدِيمَة التي عَمَرَهَا الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيَّزَسَ وتَقَدَّمَ حَبْرَهَا ^١.

فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، هَدَمَهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَبَنَاهَا هَذِهِ الطَّبْلُخَانَاهُ الْمَوْجُودَةُ الْآنَ تَحْتَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، فِيمَا بَيْنَ بَابِ السُّلَيْلَةِ وَبَابِ الْمَدْرَجِ ، وَصَارَ يَنْزِلُ إِلَى عِمَارَتِهَا كُلِّ قَلِيلٍ ^٢.

وَتَوَلَّى شَدَّ الْعِمَارَةِ ^٣ بِهَا آقَى شُنْثَرُ شَادَّ الْعِمَائِرِ ^٤ ، وَوَجَدَ فِي أُسَاسِهَا أَرْبَعَةَ قُبُورٍ كِبَارٍ الْمِقْدَارِ ، عَلَيْهَا قِطْعٌ رُخَامٍ مَنقُوشٌ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ الْمَقْبُورِينَ وَتَارِيخٌ وَفَاتِهِمْ . فَنَبِشُوا وَنُقِلُوا قَرِيبًا مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَكَانُوا خَلْقًا كَبِيرًا عَظِيمًا فِي الطُّولِ وَالْقَرُوضِ ، عَلَى بَعْضِهِمْ مَلَاعَةٌ ذَبِيقِيَّةٌ مَلُونَةٌ فَسَاعَةٌ مَسْتَهَا الْأَيْدِي تَمَرَّقَتْ وَتَطَاوَرَتْ هَبَاءً . وَفِيهِمْ اثْنَانِ عَلَيْهِمَا آلَةُ الْحَزْبِ وَغُدَّةُ الْجِهَادِ ، وَبِهِمَا آثَارُ الدَّمَاءِ وَالْجِرَاحَاتِ ، وَفِي وَجْهِ أَحَدِهِمَا صَرُوبَةٌ سَيْفٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَالْجُزْءُ مَسْدُودٌ بِقُطْنَةٍ . فَلَمَّا مُسِكَتِ الْقُطْنَةُ وَرُفِقَتْ عَنِ الْجُزْءِ فَوْقَ الْحَاجِبِ ، نَبَّحَ مِنْ تَحْتِهَا الدَّمُ ^(٥) حَتَّى خُيِّلَ لَهُمْ أَنَّهُ جُزْءٌ جَدِيدٌ ^(٦) . فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ^٥.

a-b من مسودة الخطط ، وفي المبيضة : تحتها دم يظن أنه جرح طري .

= تجاه جامع السلطان حسن (مسجل بالآثار برقم ٥٥٥) ٦١٦-٦١٨ .

(انظر الصورة صفحة ٦٨٩) .

^١ فيما تقدم ٦٥٥-٦٥٩ .

^٤ الْأَمِيرُ شَشَلُ الدِّينِ آقَى شُنْثَرُ شَادَّ الْعِمَائِرِ . المتوفى بدمشق سنة ١٣٣٩هـ/١٣٣٩م ، وهو الذي تُنسب إليه قُطْنَةُ آقَى شُنْثَرُ عَلَى خَلِيجِ الْقَاهِرَةِ (فيما تقدم ١٤٧:٢) والجامع بشوَيْقَةِ السَّجَاعِينَ عَلَى الْبَرَكَةِ النَّاصِرِيَّةِ (فيما يلي ٣٠٩:٢) .

^٢ المقرئ : السلوك ٢: ٢٣٦ ؛ أَبُو الْهَاسَنِ : النجوم الزاهرة ٩: ٧٤ .

(المقرئ : الملقى الكبير ٢: ٢٦٤-٢٦٥ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١: ٤٤٦ ؛ أَبُو الْهَاسَنِ : النجوم الزاهرة ٩: ٣٢٢) .

^٣ شَدَّ الْعِمَائِرِ . الْوُظَيْفَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعَشْرُونَ بَيْنَ وَظَائِفِ أَرْبَابِ الشُّيُوفِ عِنْدَ الْقَلْعَةِ شَنْدِي ، وَمَوْضُوعُهَا أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا مُتَكَلِّمًا فِي الْعِمَائِرِ السُّلْطَانِيَّةِ عَمَّا يَخْتَارُ السُّلْطَانُ إِخْدَاعَهُ أَوْ تَجْدِيدَهُ مِنَ الْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ وَالْأَشْوَارِ ، وَكَانَ مَتَوَلِّيًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَحَدَ أَرْبَاءِ التَّشَارُوَاتِ ثُمَّ صَارَ يَشْفُلُهَا قَوْمٌ بِغَيْرِ إِفْرَازَةٍ . (القلقشندي : صبح الأعشى ٤: ٢٢٢ ؛ ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ١١٥ ؛ السبكي : معيد النعم ١٣٩ ؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف

^٥ للمقرئ : مسودة الخطط ط-٦٦ و٦٧ ، السلوك ٢: ٢٣٦ ؛ أَبُو الْهَاسَنِ : النجوم الزاهرة ٩: ٧٤ الذي أضاف : وَوَقَلُوا إِلَى بَيْنِ الْقُرُوشَتَيْنِ وَجُجِلَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدُهُ . وَيَرَى كَازَانُفَا أَنَّ هَذِهِ الْحُتَّ لِبَعْضِ مَقَاتِلَةِ الْفِرْعَانِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي نَشَبَتْ بَيْنَ جَيْشِ عُمُورِي الْأَوَّلِ وَالْمَصْرِيِّينَ بِالْقَرَبِ مِنْ بَابِ الْبَرْقَةِ سَنَةَ ٥٦٤هـ/١١٦٨م .

وكانت الطَّبْلَخَانَاهُ سَاحَةً بِغَيْرِ سَقْفٍ^١، فَلَمَّا وَلِيَ الْأَمِيرُ شُوْدُون طَازز أمير آخُور، وَسَكَنَ الْإِسْطَبْلُ السُّلْطَانِي، عَمَّرَ هَذِهِ الطَّبَاقَ فَوْقَ الطَّبَاقِ. وَكَانَ الْغَرَضُ فِي^(a) عِمَارَتِهَا صَحِيحًا، فَإِنَّ الْمَدْرَسَةَ الْأَشْرَفِيَّةَ كَانَتْ حَيثُ قَائِمَةٌ تَجَاهُ الطَّبْلَخَانَاةَ. وَلَمَّا كَانَ زَمَانُ الْفِتَنِ بَيْنَ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ، تَحَصَّنَ فَوْقَهَا طَائِفَةٌ لِيَزِمُوا عَلَى الْإِسْطَبْلِ وَالْقَلْعَةِ، فَأَرَادَ بِنَاءَ هَذِهِ الطَّبَاقِ فَوْقَ الطَّبَاقِ أَنْ يَجْعَلَ بِهَا رُمَاءً حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَحَدٌ بِقِيَمِ فَوْقَ الْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ. وَقَدْ بَعَثَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَلِكَ الثَّائِرَ فَرَجَ بِنَ بَزُوقِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ، كَمَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَدَارِسِ^(b) ٢.

الطَّبَاقُ بِسَاحَةِ الْإِيوَانِ

عَمَّرَهَا الْمَلِكُ الثَّائِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُون، وَأَسْكَنَهَا الْمَمَالِكُ السُّلْطَانِيَّةَ، وَعَمَّرَ حَازَةً تَحْتَصُّ بِهِمْ^٣.

(a) بولاق : من . (b) في هامش آياصوفيا : يياض خمسة أسطر .

الواقعة على يسار الداخل من باب القَرْبِ والتي كانت تستخدم كمخازن لمهمات الجيش المصري . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٤٠١-٤١١ هـ^٤) . وتحديدًا كازانوفًا أقرب إلى الصواب وهو ما تَوَصَّلَ إِلَيْهِ كَذَلِكَ نَاصِرٍ بِرَاط (Rabbat, N., *op.cit.*, p. 110) .

^٢ لم يرد في المبيضة حديث عن المدرسة الأشرفية شعبان، ولَمَّا وَزَدَ ذَكَرَهَا فِي مَسْوَدَةِ الْخَطِّ، انْظُرْ فِيهَا بِلِي الْمَجْلَدِ الرَّابِعِ .

^٣ طَبَقَةٌ جَدِ طَبَاقٍ . كَانَتْ قَاعَاتُ مُتَجَاوِرَةٍ وَلَمْ تَكُنْ أَذْوَارًا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ . وَتَبَقًا لَمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ شَدَّادٍ فَإِنَّ الطَّبَاقَ تَرَجَّعَ إِلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ، حَيْثُ أُنْشِئَ إِلَى جَانِبِ بُرْجِ الزَّوَايَةِ الْمُجَاوِرِ لِبَابِ الشَّرِّ طَبَاقًا لِلْمَمَالِكِ مُطَلَّةً عَلَى بَابِ الدِّزْكَاهِ الْكَبِيرَةِ ... وَأُنْشِئَ دَاخِلَ بَابِ الْقَرَأَةِ دَاوِرًا كَبِيرَةً تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ قَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ لَشُكْنَى الْمَمَالِكِ (تَارِيخُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ٣٤١) . وَذَكَرَ ابْنُ شَاهِينَ الظَّاهِرِي أَنَّ وَطَبَاقَ -

^١ الطَّبْلَخَانَاهُ جَدِ . طَبْلَخَانَاتٍ . نَفْظٌ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَةِ «طَبْلٌ» الْعَرَبِيَّةِ وَكَلِمَةِ «خَانَاهُ» الْفَارْسِيَّةِ، وَبَعْنِي «تَبَّتِ الطَّبْلُ» أَوْ الْفِرْقَةُ الْمَوْسِيقِيَّةُ السُّلْطَانِيَّةُ . (الْمَقْرِيزِيُّ : السُّلُوكُ ١٤٦: ٢، ٥٢١: ٢، Farmer, H. G., *El² art.* ١٣٤: ٢، ٨: ٤، ٩، ١١٣، ١٣٤: ٢، صَبْحُ الْأَعْيُنِ) ؛ كَانَتْ تَتَكَوَّنُ مِنْ عِدَّةٍ طَبُولٍ تَصْحَبُهَا أَوَاكُ وَزَمَارَاتُ وَكُوسَاتُ تَخْتَلِفُ أَصْوَاتُهَا عَلَى إِيْقَاعٍ مَخْصُوصٍ، تُدَقُّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِالْقَلْعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَتَكُونُ صُحْبَةً الطَّلَبِ فِي الْأَسْفَارِ وَالْحُرُوبِ . (الْقَلْقَشَنْدِيُّ : صَبْحُ الْأَعْيُنِ ١٣٤: ٢، ٨: ٤، ٩، ١١٣، ١٣٤: ٢، ٢٠٤: ٢) (الْخَلِيلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَدُقُّ خَارِجَ بَابِ الْمُنْرَجِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ) .

وَيُذَلُّ عَلَى مَوْقِعِ الطَّبْلَخَانَاهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَشْغُلُهَا الْآنَ دَاوِرُ الْخَفُوضَاتِ (الْمُنْفَرِّجَاتُ سَابِقًا)، بِحَيْثُ تَكُونُ أَقْرَبُ إِلَى بَابِ الْقَرْبِ مِنْهَا إِلَى بَابِ الْمُنْرَجِ (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 651-52) (الترجمة العربية ١٤٠-١٤١) . يَبْنِي مَا يَرَى مُحَمَّدٌ رَمْزِيَّ أَنَّ مَكَانَ الطَّبْلَخَانَاهِ هُوَ الْقَاعَاتُ

وكانت الملوك تُغنى بها أتم عناية^٨، حتى إن الملك المتصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته إلى الرخبة عند استحقاق حضور الطعام للممالك، وبأمر بقرضه عليه، ويتفقد لحمتهم، ويختبر طعماتهم في جودته وزداعته. فمتى رأى فيه عيباً اشتد على المشرف والأستاذار، ونهرهما، وحلّ بهما منه أمراً^٩ مكروه. وكان يقول: كلّ الملوك عَمِلُوا شَيْئاً يُذَكِّرُون به ما بين مالي وعقاري، وأنا عَمَرْتُ أَسْوَاراً، وعَمِلْتُ حَصُوناً مَانِعَةً لي ولأولادي وللشلمين وهم الممالك.

وكانت الممالك أبداً تُقيم بهذه الطباق لا تبحر فيها، فلما تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون، سمح للممالك أن ينزلوا من القلعة في النهار ولا يبيتوا إلا بها، فكان لا يغير أحد منهم أن يبيت بغيرها. ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يوماً في الأسبوع، فكانوا ينزلون بالثوبة مع الخدام، ثم يعودون آخر نهارهم. ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت أيام بني قلاوون.

وكانت للممالك بهذه الطباق عادات جميلة: أولها أنه إذا قديم بالملوك تاجره عرضه على السلطان، ونزله في طبقة جنسه، وسلّمه لطواشي يرسم الكتابة. فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم. وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم، وتأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط، والتمرن بأداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار.

وكان الرسم ألا تجلب التجار إلا الممالك الصغار. فإذا شب الواحد من الممالك علّمه الفقيه شيئاً من الفقه، وأقرأه فيه مقدّمة. فإذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحروب من رمي السهام، ولعب الرمح، ونحو ذلك. فَيَسَلِّمُ كل طائفة مُعَلِّم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه. وإذا ركبوا إلى لعب الرمح، أو رمي الثشاب، لا يجسر مجندي ولا أمير أن يخذلهم أو يذنو منهم. فَيُنْقَلُ إذا إلى الخيمنة، وينقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء، فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه، وكثرت آدابه، واقتزع تعظيم الإسلام وأهله بقلبه، واشتد

(a) بولاق: غاية العناية. (b) بولاق: أي.

وكانت الطباق السلطانية تقع في الجانب الشمالي الشرقي للقلعة بالقرب من مسجد سليمان باشا (سيدي سارية) في الحوش الذي يطلق عليه الآن «مخكي القلعة»، Casanova،
P., *op.cit.*, p. 649 (الترجمة العربية ١٣٧-١٣٨).

= الممالك اثنا عشر طبقة، كل طبقة منها قلعة حارة تشتمل على عدة مساكن، حتى إنه يمكن السكنى في كل طبقة لألف مملوك. (زبدة كشف الممالك ٢٧). وانظر كذلك
Levanoni A., *El² art. Tabaka X*, p. 7.

سَاعِدُهُ فِي رِمَاةِ الثُّشَابِ وَخَسَنَ لَعِبِهِ بِالزُّفْحِ ، وَمَرِنَ عَلَى رُكُوبِ الْخَيْلِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيرُ رُتْبَةً فَقِيهٍ عَارِفٍ ، وَأَدِيبٍ شَاجِرٍ ، وَحَاسِبٍ مَاهِرٍ .

هَذَا ، وَلَهُمْ أَرْثَمَةٌ مِنَ الْحُدَامِ ، وَأَكَابِرُ مِنْ رُءُوسِ الثُّوبِ : يُفَخِّصُونَ عَنْ حَالِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الْقَخْصَ الشَّافِي ، وَيُؤَاخِذُونَهُ أَشَدَّ الْمُؤَاخِذَةِ ، وَيُنَاقِشُونَهُ عَلَى حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ . فَإِنْ عَثَرَ أَحَدٌ مِنْ مُؤَدِّيهِ الَّذِي يُعَلِّمُهُ الْقِرَانَ ، أَوْ الطُّوَاشِي الَّذِي هُوَ مُسَلِّمٌ إِلَيْهِ ، أَوْ رَأْسَ الثُّوبَةِ الَّذِي هُوَ حَاكِمٌ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنَّهُ اقْتَرَفَ ذَنْبًا أَوْ أَخْلَلَ بِرَسْمٍ ، أَوْ تَرَكَ أَذْيًا مِنْ آدَابِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا ، قَاتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ بِعُقُوبَةٍ مُؤَلِّمَةٍ شَدِيدَةٍ بِقَدْرِ جُرْمِهِ .

وَيَلْعَنُ مَنْ تَأْدِيبُهُمْ أَنَّ مُقَدَّمَ الْمَالِكِ كَانَ إِذَا أَتَاهُ بَعْضُ مُقَدَّمِي الطَّبَاقِ فِي الشَّحْرِ يُشَاوِرُ عَلَى تَمْلُوكِهِ أَنَّهُ يَنْتَسِلُ مِنْ جَنَابَةٍ ، فَيَنْتَعَثُ مَنْ يَكْشِفُ عَنْ سَبَبِ جَنَابَتِهِ : إِنْ كَانَ مِنْ اخْتِلَامٍ ، فَيَنْظُرُ فِي سِرَاوِيلِهِ هَلْ فِيهِ جَنَابَةٌ أَمْ لَا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِهِ جَنَابَةً جَاءَهُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

فَلِذَلِكَ كَانُوا سَادَةً يُدَبِّرُونَ الْمَالِكِ ، وَقَادَةً يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَهْلَ سِيَاسَةِ يُبَالِغُونَ فِي إظهارِ الْجَمِيلِ ، وَيَزِدُّعُونَ مَنْ جَارٍ أَوْ تَعَدَّى . وَكَانَتْ لَهُمْ الْإِذْرَارَاتُ الْكَثِيرَةُ مِنَ اللَّحُومِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْحَلَالَاتِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْكُشُوتِ الْفَاجِرَةِ ، وَالْمَعَالِيمِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بَحِثَ تَتَبُّعِ أَحْوَالِ غُلَامِيهِمْ ، وَيَفِيضُ عَطَاؤُهُمْ عَلَى مَنْ قَصَدَهُمْ .

ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الْأَيَّامُ الظَّاهِرِيَّةُ بِرَفُوقٍ ، رَاعَى الْحَالُ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ إِلَى أَنْ زَالَتْ دَوْرَتُهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ ، رَخَّصَ لِلْمَالِكِ فِي سُكْنَى الْقَاهِرَةِ وَفِي التَّوْجِيعِ . فَتَزَلُّوا مِنَ الطَّبَاقِ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَنَكَحُوا نِسَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَخْلَدُوا إِلَى الْبَطَالَةِ ، وَنَسُوا تِلْكَ الْقَوَائِدَ .

ثُمَّ تَلَاسَّتِ الْأَحْوَالُ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ فَزَجَ بِنَ بَرَفُوقٍ ، وَانْقَطَعَتِ الرُّوَاتِبُ مِنَ اللَّحُومِ وَغَيْرِهَا ، حَتَّى عَنْ تَمَالِكِ الطَّبَاقِ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وَرُتْبَةٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي الْيَوْمِ مَبْلَغُ عَشْرَةِ دَرَاهِمٍ مِنَ الْفُلُوسِ . فَصَارَ غَدَاؤُهُمْ فِي الْغَالِبِ الْقَوْلُ الْمَصْلُوقُ عَجْزًا عَنْ شِرَاءِ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ^١ .

^١ يُحْتَمَلُ هَذَا الْقَوْصُ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْقُرَيْشِيُّ نَظْرَةً تَعْدِيَّةً ثَانِيَةً لِلنِّظَامِ الْمَمْلُوكِيِّ وَالْأَشْيَابِ الَّتِي آدَتْ إِلَى تَذَهُّورِ السُّلْطَنَةِ الْمَمْلُوكِيَّةِ ، بِسَبَبِ تَسَاهُلِ سُلَاطِينَ الْمَالِكِ الْمُنَافِقِينَ فِي

الْأَخْذَ بِالنِّظَامِ الصَّارِمِ الدَّقِيقِ الَّذِي وَضَعَهُ السُّلَاطِينُ الْمُنْتَسِبُونَ .

هذا ، وبقي «الجلب من الممالك» إنما هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ، ووقاد في ثور حجاز ، ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك . واستقر رأي الثاير على أن تسليم الممالك للفقير يتلهم ، بل يتكون وشؤونهم .

فبدلت الأرض غير الأرض ، وصارت الممالك السلطانية أودل الناس وأذناهم ، وأحسنهم قدرًا وأشجعهم نفسًا ، وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم إغراضًا عن الدين . ما فيهم إلا من هو أرقى من قزد ، وألص من فأرة ، وأفسد من ذئب ، لا يجوز أن خربت أرض مصر والشام - من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات - بشوء إيالة الحكام ، وشدة عبث الولاة ، وشوء تصوف أولي الأمر ، حتى إنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فطره^(a) .

وبلغت عدة الممالك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاوون ستة آلاف وتسع مائة^(b) ، فأراد ابنه الأشرف تحليل تكميل عدتها عشرة آلاف تملوك ، وجعلهم طوائف : فأقرط طائفتي الأص^(c) والجزكس وسماها «البرجية» ، لأنه أشكنها في أبراج بالقلة ، فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبع مائة^(d) . وأقرط جنس الخطا والقبحاق ، وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية ، وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم «خاصكية» ، وعمل البرجية سلاخدارية وجمدارية وجاشنكيرية وأوساقية .

ثم شغف الملك الثاير محمد بن قلاوون بجلب الممالك من بلاد أرتك وبلاد توريذ وبلاد الروم وبغداد ، وبقت في طلبهم ، وبدل الرغائب للشجار في حقلهم إليه ، ودفع فيهم الأموال العظيمة ، ثم أفاض على من يشتريه منهم أنواع العطاء من عاتمة الأصناف دفعة واحدة في يوم واحد ، ولم يرع عادة أبيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل الممالك في أطوار الخدم حتى يتأذب^(e) ويتمون كما تقدم ، وفي تدرجه من ثلاثة دنانير في الشهر إلى عشرة دنانير ، ثم نقله من الجامكية إلى وظيفة من وظائف الخدمة ، بل اقتضى رايه أن يملأ أعينهم بالعطاء الكثير دفعة واحدة . فأتاه من الممالك شيء كثير رغبة فيما لديه ، حتى كان الأب يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه إلى مصر . وبلغ ثمن المملوك في أيامه إلى مائة ألف درهم فما دونها ، وبلغت نفقات

(a) بولاقي : فرطه . (b) بولاقي : وسع مائة . (c) بولاقي : الأرمن . (d) بولاقي : بتدرب .

المالِك في كُلِّ شهر إلى سبعين ألف درهم ، ثم تزايدت حتى صارت في سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة مائتين وعشرين ألف درهم .

دَارُ النِّيَابَةِ

كان بقلعة الجبل دار نيابة بنّاه الملك المنصور قلاوون في سنة سبع وثمانين وست مائة ، سَكَنَهَا الأميرُ حُصَامُ الدِّين طُرُنْطَاي وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَوَابِ السُّلْطَنَةِ . وكانت الثَّوَابُ تَجْلِسُ بِشَبَاكِهَا حتى هَدَمَهَا الملكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوُونٍ فِي سنة سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَأَبْطَلَ النِّيَابَةَ ، وَأَبْطَلَ الْوِزَارَةَ أَيْضًا . فصارَ مَوْضِعُ دَارِ النِّيَابَةِ سَاحَةً ^١ .

فلَمَّا ماتَ الملكُ النَّاصِرُ ، أعادَ الأميرُ قَوْضُونُ دَارَ النِّيَابَةِ عِنْدَ اسْتِيفَرَارِهِ فِي نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ ، فلم تَكْمُلْ حَتَّى قُبِضَ عَلَيْهِ . فَوَلَّى نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الأميرُ طَشْتَمُرُ حُصَصُ أَخْصَرُ وَقُبِضَ عَلَيْهِ ؛ فَتَوَلَّى بَعْدَهُ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الأميرُ شَمْسُ الدِّينِ آقُ شَتَّرُ فِي أَيَّامِ الملكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ الملكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلاوُونٍ ، فَجَلَسَ بِهَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ أَوَّلَ صَفَرِ سنة ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ فِي شَبَاكِ دَارِ النِّيَابَةِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ تَجْدِيدِهَا ، وَتَوَارَتْهَا الثَّوَابُ بَعْدَهُ ^٢ .

٢١٥:٢

وكانت العادةُ أَنَّ تَرْكَبَ مَجْبُوشُ مِصرَ يَوْمِي الْاِثْنِينَ وَالْخَمِيسَ فِي الْمَوْكِبِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، فيسيرون هناك من رأسِ الصُّوَّةِ ^٣ إِلَى بابِ الْقَرَّافَةِ ، ثُمَّ يَقِفُ الْعَشْكَرُ مَعَ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ ، وَيُتَادَى عَلَى الْخَيْلِ بَيْنَهُمْ ، وَرُجْمًا تُودِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ آلاتِ الْجُنْدِ وَالْحَيِّمِ وَالْخَوَكَوَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ ، وَرُجْمًا تُودِي عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِقَارِ . ثُمَّ يُطْلَعُونَ إِلَى الْخِدْمَةِ السُّلْطَانِيَةِ بِالْإِيوَانِ بِالْقَلْعَةِ عَلَى مَا تَقْلَمُ ذِكْرَهُ .

^١ اليوسفي : نزهة الناظر ٣٤٩ ، المقرئ : السلوك P., op.cit., pp. 647-48 (الترجمة العربية ١٣٦-١٣٧) ؛

(Rabbat, N., op.cit., p. 114) .

^٢ نزهة الناظر ٣٤٩ ، المقرئ : السلوك ٤١٠:٢ - ٤١١ ، مسودة الخطوط ٦٧ ط .

^٣ الصُّوَّةُ . اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى الْمُنْطَقَةِ الْجَبَلِيَّةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْجَنَّةِ الشَّمَالِيَّةِ الْبَحْرِيَّةِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَالَّتِي تُقَالُ بِقَعَةِ الثَّقَفِ الَّذِي بَنِيَ عَلَيْهِ قَلْعَةُ الْجَبَلِ ، فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَامِعِ الزَّفَاعِي ، وَيَتَوَسَّلُهَا الطَّرِيقُ الْمَعْرُوفُ بِسُكَّةِ الْحَجَرِ وَقَرْبِ الْمَارِسْتَانِ . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٤٣ هـ) .

^٢ الشجاعى : نزهة الناظر ٢٣٥ ، المقرئ : السلوك ٥٨٠:٢ ، ٦٠٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠: ٣٢ .

وكانت دارُ النِّيَابَةِ تَقَعُ خَارِجَ بابِ الْقَلْعَةِ مِنَ الْقَلْعَةِ (النجوم ١٠: ٢١) بِقَلْبِ الثُّرَاكِيَةِ وَبِحِوَارِ قَاعَةِ الصَّاحِبِ (فيما يلي ٢٢٣:٢) تَجَاهَ الْإِيوَانِ الَّذِي خُلِّ مَحَلُّهُ فِي سَنَةِ ١٨٢٠-١٨٤٨ جَامِعُ مُحَمَّدِ عَلِي بِاشَا . (Casanova,)

فإذا تَمَثَّلَ النَّائِبُ فِي خَضِرَةِ السُّلْطَانِ ، وَقَفَّ فِي رُكْنِ الْإِيوَانِ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الْخِدْمَةُ ، فَيُخْرَجُ إِلَى دَارِ النِّيَابَةِ وَالْأُمَرَاءِ مَعَهُ ، وَيُمَدُّ السَّمَاطُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَمَا يُمَدُّ بِسَمَاطِ السُّلْطَانِ ، وَيَجْلِسُ مُجْلِسًا عَامًّا لِلنَّاسِ ، وَتَحْضُرُهُ أَرْبَابُ الْوُظَائِفِ ، وَتَقِفُ قُدَّامَهُ الْحُجَّابُ ، وَتُقْرَأُ عَلَيْهِ^(١) الْقِصَصُ ، وَتُقَدَّمُ إِلَيْهِ الشُّكَاةُ ، وَتُفْصِلُ أُمُورَهُمْ . فَكَانَ السُّلْطَانُ يَكْتَفِي بِالنَّائِبِ ، وَلَا يَتَّصِدَّى لِقِرَاءَةِ الْقِصَصِ عَلَيْهِ وَسَمَاعِ الشُّكْوَى ، تَقْوِيلًا مِنْهُ عَلَى قِيَامِ النَّائِبِ بِهَذَا الْأَمْرِ^١ .

وَإِذَا قُرِئَتِ الْقِصَصُ عَلَى النَّائِبِ نَظَرَ : فَإِنْ كَانَ مَرْسُومُهُ يَكْفِي فِيهَا أَصْدَرَهُ عَنْهُ ، وَمَا لَا يَكْفِي فِيهِ إِلَّا مَرْسُومُ السُّلْطَانِ ، أَمَرَ بِكَتَابَتِهِ عَنِ السُّلْطَانِ وَأَصْدَرَهُ ، فَيَكْتُبُ ذَلِكَ ، وَيُثَبِّتُهُ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ بِإِشَارَةِ النَّائِبِ ، وَيُخَيَّرُ عَنْ نَوَابِ السُّلْطَانِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ بِأَنْ يُعَيَّرَ عَنْهُ بِ«كَافِلِ الْمَمْلُوكَةِ الشَّرِيفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^٢ .

١٠ وما كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَدُّ لَهُ مِنْ إِحَاطَةٍ عِلْمُ السُّلْطَانِ بِهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا أُنْ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ مِنْهُ إِلَيْهِ وَقْتُ الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، أَوْ يُرْسِلَ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ يُعْلِمُهُ بِهِ وَيَأْخُذُ رَأْيَهُ فِيهِ^٣ .

وَكَانَ دِيوَانُ الْإِقْطَاعِ - وَهُوَ الْحَيْشُ فِي زَمَانِ النِّيَابَةِ - لَيْسَ لَهُمْ خِدْمَةٌ إِلَّا عِنْدَ النَّائِبِ ، وَلَا اجْتِمَاعٌ إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ نَازِلُ الْحَيْشِ بِالسُّلْطَانِ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ . فَلَمَّا أَبْطَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ النِّيَابَةَ ، صَارَ نَازِلُ الْحَيْشِ يَجْتَمِعُ بِالسُّلْطَانِ ، وَاسْتَمَرَ ذَلِكَ بَعْدَ إِعَادَةِ النِّيَابَةِ . وَكَانَ الْوَزِيرُ وَكَاتِبُ السَّرِّ يُرَاجِعَانِ النَّائِبَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ دُونَ بَعْضٍ . ثُمَّ اضْطَحَلَّتْ نِيَابَةُ السُّلْطَانَةِ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَتَلَاسَّتْ أَوْضَاعُهَا^٤ . فَلَمَّا مَاتَ أُعِيدَتْ بَعْدَهُ ، وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَثْنَاءِ الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزُفُوقٍ . وَآخِرُ مَنْ وَلِيَهَا عَلَى أَكْثَرِ قَوَانِينِهَا الْأَمِيرُ سُودُونَ الشَّيْخِي ، وَبَعْدَهُ لَمْ يَلِ النِّيَابَةَ أَحَدٌ فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ . ثُمَّ إِنَّ النَّاصِرَ فَرَجَ بْنَ زُفُوقٍ أَقَامَ الْأَمِيرَ تَمْرَازَ فِي نِيَابَةِ

(١) ساقطة من بولاق .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبصار ٥٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٧ .
٢٩٤ ؛ وانظر كذلك القلقشندي : صبح الأعشى

(١٣٤ : ١١) .

^٢ كَافِلُ الْمَمْلُوكَةِ (المالك) الشَّرِيفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ . هُوَ نَائِبُ السُّلْطَانِ بِالْخَضِرَةِ ، يَحْكُمُ فِي كُلِّ مَا يَحْكُمُ فِيهِ السُّلْطَانُ ، وَيُعَلِّمُ فِي الثَّقَالِيدِ وَالتَّرَاقِيعِ وَالْمُنَاشِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُعَلِّمُ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، بَيْنَمَا يَقْبَلُ التُّوَابَ لَا يُعَلِّمُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى مَا

يَعْلَمُ بِخَاصَّةِ نِيَابَتِهِ . (ابن فضل الله العمري : التعريف

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبصار ٥٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٧ .

^٤ نفسه ٥٦ ؛ نفسه ٤ : ١٧ .



خريطة القلعة سنة ١٧٩٨ (عن وصف مصر)

السلطنة، فلم يسكن دار النيابة في القلعة، ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب. ولم يل النيابة بعد تمراز أحد إلى يومنا هذا^١.

وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثاني، وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكتابه في غالب ما تكتيب فيه السلطان، ويراجعونه فيه كما تراجع السلطان. وكان يستخيم الجند، ويخرج الإقطاعات من غير مشاورة، ويعين الإمرة^٢ لكن بمشاورة السلطان^٣.

وكان النائب هو المتصرف المطلق التصرف في كل أمر: فراجع في الجيش والمال والخبر - وهو البريد - وكل ذي وظيفة [في نيابة]^٤ لا يتصرف إلا بأمره، ولا يفصل أمرا مفضلا إلا بمراجعته. وهو الذي يستخيم الجند، وترتب في الوظائف، إلا ما كان منها جليلا - كالوزارة، والقضاء، وكتابة السر، والجيش - فإنه يفرض على السلطان من يصلح. وكان قل أن لا يجاب في شيء بعينه^٥.

وكان من عدا نائب السلطنة بديار مصر يليه في رتبة النيابة. وكل نواب الممالك تخاطب بـ «ملك الأمراء»، إلا نائب السلطنة بمصر فإنه يسمى «كافل الممالك» تمييزا له، وإبانة عن عظيم مكانه^٦. وبالحقيقة ما كان يستحق اسم نيابة السلطنة، بعد النائب بمصر، سوى نائب الشام بدمشق فقط. وإنما كانت النيابة تطلق أيضا على أكابر نواب الشام، وليس لأحد منهم من التصرف ما كان لتائب دمشق. إلا أن نيابة السلطنة بحلب تلي رتبة نيابة السلطنة بدمشق. وقد اختلت الآن الرسوم، وانضمت الرتب، وتلاشت الأحوال، وعادت أسماء لا معنى لها وخيالات حاصيلها عدم. والله يفعل ما يشاء^٧.

(a) مسالك الأبصار: الأمراء. (b) زيادة من مسالك الأبصار.

741-784/ 1341-1382. A Case Study» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, III, pp. 429-48.

^٢ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٥-٥٦.

^٣ نفسه ٥٥.

^٤ نفسه ٥٥.

^٥ هنا في هامش (ص): «قلت: ولو أذكرك الشيخ أياتنا لعلقت عنده أياته، والله الأمور من قبل ومن بعد».

^١ انظر لتفاصيل أكثر عن وظيفة «نائب السلطنة»، ليلي عبد الجواد إسماعيل: «نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية، المؤرخ المصري ١ (١٩٨٨)، ١٥٩-٢٢٥ محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر (من ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة - سلسلة تاريخ المصريين ١٩٩٩، Gibb H.A.R., *Et art. Nā'ib VII*, pp. 915-16; Van Steenberghe, J., «The office of Nā'ib al-Saltana of Damascus:

ذكر مجيوش الدولة التُركية

وزبها وعوايدها^١

اعلم أنه قد كان بقلعة الجبل مكاناً معداً لديوان الجيش، وأذكرتُ منه بقيةً إلى أثناء دولة الظاهر بَزْقوق. وكان ناظرُ الجيش وسائرُ كُتّاب الجيش لا يترشحون في أيام الخِدْمة نهارهم مُقيمين بديوان الجيش، وكانت لهذا الديوان عوايدٌ قد تَغَيَّرَ أكثرُها، ونُسيَ غالبُ رُسومِهِ. وكانت مجيوشُ الدولة التُركية بديار مصر على قِسمَين: منهم من هو بحضرة السلطان، ومنهم من هو في أقطار المملكة وبلادها، ومنهم سُكّانُ بادية كالقرب والتُرْكُمان. ووجدُها

^١ انظر كذلك، فيما تقدم ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ المقرئ: السلوك ٤٦١: ٤-٤٦٢.

والمُضَدَّرُ الرئيس الذي يُشير إلى ترتيب الجيش المملوكي حتى قُرب نهاية سُلْطَنَةِ الناصر محمد بن قلاوون الثالثة كتابٌ «مسالك الأتصار في تمالك الأنصار» لابن فضل الله الغفري المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م، واشتغل عليه بعد ذلك كُلُّ من القلقشندي (صبح الأعشى ٤: ١٤-١٦)، والمقرئ هنا في الخطط، والسيوطي (حسن المحاضرة ١٢٩: ٢).

أما ترتيبُ الجيش المملوكي وسائرُ رُسُومِ دولة الممالك الشَّرَابِكة، فأهمُّ مصادرها كتابٌ «كُشف الممالك وبيان الطُوق والمسالك» لغزس الدين خليل بن شاهين الظاهري، المتوفى سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م. (انظر مقدمة هذا المجلد). وأشتمَلَتِ الدِّراسات الحديثة عن بناء الجيش المملوكي

وتربيته، ما كتبه ديفيد آبالون «Studies in the Structure of the Mamluk Army», *BSOAS* 15 (1953), pp. 203-38, 448-76; 16 (1954), pp. 57-90; id., «The System of Payment in Mamluk Military Society», *JESHO* 1 (1957), pp. 37-65, 257-96 وجمِعت دراساتُ آبالون في سلسلة Variorum

Reprints في ثلاثة كتب هي: *Studies on the Mamluks of Egypt*, London 1977; *The Mamluk Military Society*, London 1979; *Outsiders in the Land of Islam*, London 1988

وانظر له كذلك *Forces of the Mamluk Sultanate*, *Der Islam* 65 (1988), pp. 13-54

وانظر ما أضافه إليها R. S., Humphreys, «The Emergence of the Mamluk Army», *SI* 45 (1977), pp. 67-99, 46 (1977), pp. 147-82; Amitai - Preiss, R., «The Remaking of the Military Elite of Mamluk Egypt by al-Nāsir Muhammad ibn Qalāwūn», *SI* 72 (1990), pp. 145-63

وانظر كذلك، إبراهيم حسن سعيد: الجيش في عصر سلاطين المالك، رسالة ماجستير بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٣ محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة ١٩٨٣.

^٢ مُضَدَّرُ كُلِّ المعلومات التالية هو ابن فضل الله الغفري: مسالك الأتصار ٢٧-٣٣؛ وقرن مع التوبري: نهاية الأرب ٨: ١٩٦-٢٠٦؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ١٠٢-١٠٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٤-١٦، ٧: ١٥٨-١٥٩ =

مُخْتَلَطٌ مِنْ أَثْرَاكِ وَجَزَكْسَ وَرُومَ وَأَكْرَادَ وَتُوكْمَانَ، وَغَالِبَهُمْ مِنَ الْمَمَالِكِ الْمُتَجَاعِينَ، وَهُمْ طَبَقَاتٌ :

أَكْبَارُهُمْ مِنْ لَهُ «إِمْرَةُ مَائَةِ فَارِسٍ وَتَقْدِيمَةُ أَلْفِ فَارِسٍ»، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ تَكُونُ أَكْبَارُ الثَّوَابِ، وَرُبَّمَا زَادَ بَعْضُهُمْ بِالْعَشْرَةِ قَوَارِسَ وَالْعَشْرِينَ ^١.

ثم «أَمْرَاءُ الطَّبَلْخَانَاهِ»، وَمَعْظَمُهُمْ مَنْ تَكُونُ لَهُ «إِمْرَةُ أَرْبَعِينَ فَارِسًا»، وَقَدْ يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَلَا تَكُونُ الطَّبَلْخَانَاهُ لِأَقَلِّ مِنْ أَرْبَعِينَ ^٢.

ثم «أَمْرَاءُ الْعَشْرَوَاتِ» مَنْ تَكُونُ لَهُ «إِمْرَةُ عَشْرَةٍ»، وَرُبَّمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ لَهُ عَشْرُونَ فَارِسًا، وَلَا يُعَدُّونَ فِي أَمْرَاءِ الْعَشْرَوَاتِ.

ثم «جُنْدُ الْحَلْفَةِ» ^٣، وَهَؤُلَاءِ تَكُونُ مُنَاشِيرُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ، كَمَا أَنَّ مُنَاشِيرَ الْأَمْرَاءِ مِنَ السُّلْطَانِ، وَأَمَّا أَجْنَادُ الْأَمْرَاءِ فَمُنَاشِيرُهُمْ مِنْ أَمْرَائِهِمْ ^٤.

وَكَانَ مُنْشَوْرُ الْأَمِيرِ يُعَيِّنُ فِيهِ لِلْأَمِيرِ ثُلُثَ الْإِقْطَاعِ وَلِأَجْنَادِهِ الثُّلُثَانِ، فَلَا يُمَكِّنُ الْأَمِيرُ وَلَا مُبَاشِرُوهُ أَنْ يُشَارِكُوا أَحَدًا مِنَ الْأَجْنَادِ فِيمَا يَخْصُمُهُمْ إِلَّا بِرِضَائِهِمْ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ لَا يُخْرِجُ أَحَدًا مِنْ أَجْنَادِهِ حَتَّى يَبَيِّنَ لِلنَّاسِ ^٥ مُوجِبَ يَقْتَضِي إِخْرَاجِهِ، فَحِينَئِذٍ يُخْرِجُهُ نَائِبُ السُّلْطَانِ، وَيَقِيمُ عَنْهُ ^٦ الْأَمِيرُ عِوْضَهُ. وَكَانَ لِكُلِّ أَرْبَعِينَ جَنْدِيًّا مِنْ جُنْدِ الْحَلْفَةِ

(a) بولاق : للنائب . (b) بولاق : عند .

مقنع إلى الآن، وإن كان يُفْتَرَضُ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْبَدَايَةِ وَخِدَّةً تُحِيطُ بِالسُّلْطَانِ كَالْحَلْفَةِ مَكُونَةً خِزْمَةِ الشَّخْصِي فَاصْتَبَتْ مِنْ هُنَا هَذَا الْأَسْمَ . (راجع، المقرئ : السلوك ١٢٢:١ هـ، ٢٨١ هـ^٥؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٣٦٥-٣٦٨؛ إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية ٤٧٨؛ إبراهيم سعيد : الجيش في عصر سلاطين المماليك ٨٧-١٠٥؛ محمود نديم : الفن الحربي ١٠٥-١٢٠؛ Ayalon D., *El art. Halka* III, pp. 101-102).

^٤ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٢٨؛ الفلقشندي : صبح الأعشى ١٤:٤، ١٥، ٢٠:٦-٢٠:٢؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية ٢٣٧-٢٤١.

= الظاهري : زبدة كشف الممالك ١١٣؛ ماجد : نظم سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ١٣٨:١-١٣٩.

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٢٧؛ الفلقشندي : صبح الأعشى ٤:١٤؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٢٤٩-٢٥٩، ١١٢٧-١١٢٨.

^٢ انظر عن وصف الطَّبَلْخَانَةِ فِيمَا تَقْدَمُ ٦٨٨-٦٩١.

^٣ جُنْدُ الْحَلْفَةِ هُمْ مُحَرَّفُو الْجَنْدِيَّةِ، كَانُوا يَكُونُونَ عَصَبَ الْجَيْشِ الْمَمْلُوكِيِّ، وَيُمَثِّلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَخِدَّةً أَجْمَاعِيَّةً عَسْكَرِيَّةً، إِلَّا أَنَّ أَهَمِّيَّتَهُمْ نَزَجَتْ أَوَّلَ نَهَايَةِ عَصْرِ الْمَمَالِكِ.

أَمَّا اسْمُ الْحَلْفَةِ الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَا يُوْجَدُ لَهُ تَفْسِيرٌ

مَقْدَمٌ عَلَيْهِمْ ، لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ مُحْكَمٌ إِلَّا إِذَا خَرَجَ الْعَشْكَرُ لِقِتَالٍ ، فَكَانَتْ مَوَاقِفُ الْأَرْبَعِينَ مَعَ مُقَدَّمِهِمْ ، وَتَرْتِيبِهِمْ فِي مَوْقِفِهِمْ إِلَيْهِ .

وَيُلْتَمَسُ بِمَصْرِ إِقْطَاعٍ يَنْقُصُ أَكْبَارَ أُمَرَاءِ الْمِيْنِ الْمُقَرَّبِينَ^(١) مِنَ السُّلْطَانِ مَائَتِي أَلْفٍ دِينَارٍ جَيِّشِيَّةٍ وَرُيْطًا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَدُونَ ذَلِكَ بِوَيْتَرٍ أَقْلَهَا إِلَى ثَمَانِينَ أَلْفٍ دِينَارٍ وَمَا حَوْلَهَا . وَأَمَّا الطَّبَلْخَانَاهُ فَمِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفٍ دِينَارٍ إِلَى ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفٍ دِينَارٍ . وَأَمَّا الْعَشْرَاوَاتُ فَأَعْلَاهَا سَبْعَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ إِلَى مَا دُونَهَا^(٢) .

وَأَمَّا إِقْطَاعَاتُ أَجْنَادِ الْحَلْفَةِ فَأَعْلَاهَا أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَهَذَا الْقَدْرُ وَمَا حَوْلَهُ إِقْطَاعَاتُ أَعْيَانِ مُقَدَّمِي الْحَلْفَةِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَجْنَادُ بِأَبَاتٍ^(٣) ، حَتَّى يَكُونَ أَذْنَاهُمْ مَائَتِينَ وَخَمْسِينَ دِينَارًا^(٤) . وَسِيرِدُ تَقْصِيلِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا إِقْطَاعَاتُ جُنْدِ الْأُمَرَاءِ فَإِنَّهَا عَلَى مَا يَرَاهُ الْأَمِيرُ مِنْ زِيَادَةِ بَيْنَهُمْ وَتَقْصُصٍ^(٥) . وَأَمَّا إِقْطَاعَاتُ الشَّامِ فَإِنَّهَا لَا تَقَارِبُ هَذَا [الْمِقْدَارَ]^(٦) ، بَلْ تَكُونُ عَلَى الثَّلَاثِينَ مِثْلًا ذَكَرْنَا ، مَا خَلَا نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِدِمَشْقَ فَإِنَّهُ يَقَارِبُ إِقْطَاعَهُ أَعْلَى إِقْطَاعَاتِ أَكْبَارِ أُمَرَاءِ مِصْرَ الْمُقَرَّبِينَ . وَجَمِيعُ جُنْدِ الْأُمَرَاءِ تُعْرَضُ بِدِيَوَانِ الْجَيْشِ ، وَيُنَبِّتُ اسْمُ الْجُنْدِيِّ وَجَلِيَّتُهُ ، وَلَا يَسْتَبْدِلُ أَمِيرُهُ بِهِ غَيْرَهُ إِلَّا بِتَنْزِيلٍ مِّنْ غَوْضٍ بِهِ وَعَرْضِهِ^(٧) .

وَكَانَتْ لِلْأُمَرَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَلَاحِشٌ يُنْعِمُ بِهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حَقٌّ وَافِرٌ^(٨) . وَيُنْعِمُ عَلَى أُمَرَاءِ الْمِيْنِ بِخَيُْولٍ مُّسَرَّجَةٍ مُّلْجَمَةٍ ، وَمِنْ غَدَاهِمَ بِخَيُْولٍ غَزِيٍّ ، وَيُيَكِّرُ خَاصَّتَهُمْ عَلَى عَامَّتِهِمْ . وَكَانَ لِجَمِيعِ الْأُمَرَاءِ - مِنَ الْمِيْنِ ، وَالطَّبَلْخَانَاهُ ، وَالْعَشْرَاوَاتِ - عَلَى السُّلْطَانِ الرُّوَاتِبُ الْجَارِيَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ اللَّحْمِ وَتَوَائِلِهِ كُلِّهَا ، وَالْخُبْزِ ، وَالشُّعْبِيرَ لَعَلِّيقَ الْخَيْلِ ، وَالزَّيْتِ ؛ وَلِبَعْضِهِمُ الشُّعْبُ وَالشُّكْرُ وَالْكُشْوَةُ فِي كُلِّ سَنَةٍ ؛ وَكَذَلِكَ لِجَمِيعِ تَمَالِيكِ السُّلْطَانِ وَذَوِي الْوُظَائِفِ مِنَ الْجُنْدِ .

(١) بولاق : المقدمين . (٢) إضافة من مسالك الأبصار .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٢٩ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠ .

القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠ .

^٢ نفسه ٢٩ .

^٣ انظر عن معنى البابات ، فيما يلي ٧١٠ .

^٤ نفسه ٢٩ نفسه ٤ : ٥٠ ، ١٨٣ .

^٥ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٢٩

وكانت العادة إذا نَشَأَ لأحد الأمراء وَلَدٌ أطلق له ذنانير وُحْمٌ وخُبْرٌ وعليق حتى يتأهل للإقطاع في جملة الخلقة، ثم منهم من ينتقل إلى إمرة عشرة، أو إلى إمرة طَبْلَخَانَاةٍ بحسب الحظ^١.
واتَّفَقَ للأميرين طُرُنْطاي وكنجغا أن كلا منهما زَوْجٌ وَلَدَهُ بَابنة الآخر، وعُيِّلَ لذلك المهيم العظيم. ثم سَأَلَ الأمير طُرُنْطاي - وهو إذ ذاك نَائِبُ السُّلْطَانِ - الأمير يَلْبَكُ الأَيْدَرْمِي والأمير طَبْيَرُوسَ، أن يسألا السُّلْطَانِ الملك المَنصُورَ قَلاوونَ في الإنعام على وَلَدِهِ ووليد الأمير كَنجِغَا بإقطاعين في الخلقة. فقال لهما: والله لو رأيتهما في مَصَافٍ الْقِتَالِ يَضْرِبَانِ بالسيف، أو كانا في رَحْفٍ قُدَامِي، أَسْتَقْبَحُ أن أعطي لهما أَعْبَارًا في الخلقة خَشْيَةً أن يُعَالَ أَعْطَى الصَّيَّانَ الْأَعْبَارَ. ولم يُجِبْ سُؤْلَهُمَا هذا، وهم مَنْ قد عَرَفْتُ.

لكن كان الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي إذا مات الجُنْدِي أعطى إقطاعه لَوَلَدِهِ، فإن كان صَغِيرًا رَتَّبَ معه مَنْ يلي أَمْرَهُ حتى يَكْبُرَ. فكان أجناده يقولون: الإقطاعات أَفْلَاكُنَا يَرِيهَا أَوْلَادُنَا الْوَلَدُ عن الوالد، فنحن نُقَاتِلُ عليها، وبه اقْتَدَى كثيرٌ من ملوك مصر في ذلك.

وللأمراءِ الْمُقَدَّمِينَ حَوَائِصُ^٢ ذَهَبٍ في وَقْتِ الرُّكُوبِ إِلَى المِيْدَانِ، ولكل أميرٍ من الخَوَاصِ على السُّلْطَانِ مُرْتَبٌ من الشُّكْرِ والحَلَوَى في شهر رَمَضَانَ، ولسائرهم الأَصْحِيَّةُ في عيد الأَضْحَى على مقادير رَتَبِهِمْ، ولهم التَزْيِينُ لتزيين دَوَائِهِمْ، ويكون في تلك المدة بَدَلُ الْعَلِيقِ المرتَّب لهم^٣.

وكانت الخِيُولُ السُّلْطَانِيَّةُ تُفَرَّقُ على الأمراءِ مَرَّتَيْنِ في كُلِّ سنة: مَرَّةً عندما يُخْرَجُ السُّلْطَانُ إِلَى مَرَايِطِ خَيْوَلِهِ فِي الرَّبِيعِ عند انْتِهَالِ تَرْبِيعِهَا، وَمَرَّةً عند لَعِبِهِ بِالْكُرَةِ فِي المِيْدَانِ.

ولخاصَّةِ السُّلْطَانِ الْمُقَرَّبِينَ زيادةً كَثِيرَةً من ذلك، بحيث يَصِلُ إِلَى بعضهم في السَّنةِ مائة فَرَسٍ. ويفرَّقُ السُّلْطَانُ أَيْضًا الْخِيُولَ على المَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي أَوقَاتٍ أُخَرَ، وَرُبَّمَا يُعْطَى بعضُ مُقَدَّمِي الْخَلْقَةِ، وَمَنْ نَفَقَ لَهُ فَرَسٌ من المَمَالِكِ، يُخْضِرُ من لحمه والشَّهَادَةُ بِأنَّهُ نَفَقَ، فيُطْلَى بِذَلِكِ^٤.

ولخاصَّةِ السُّلْطَانِ الْمُقَرَّبِينَ إِنْعَامٌ من الْإِنْعَامَاتِ، كَالْعَقَارَاتِ والأبنية الضخمة التي رُبَّمَا أُتِفِقَ على بعضها زيادةً على مائة ألف دينار^٥. وَوَقَعَ هذا في الْأَهَامِ النَّاصِرِيَّةِ مِرَارًا، كما ذُكِرَ عند ذِكْرِ

^١ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٢٩-٣٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥٥، ٥٦.

^٢ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٥٦، ٥٤.

^٣ جياصة ج. خواص. انظر فيما تقدم ٣٢٩-٣٣٠.

^٤ نفسه ٣١؛ القلقشندي: السلوك ٢: ٥٣٧.

^٥ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣٠.

الدُّور من هذا الْكِتَاب^١. وَلَهُمْ أَيْضًا كَسَاوَى الْقَنَاشِ الْمَنُوعِ ، وَلَهُمْ عِنْدَ سَفَرِهِمْ إِلَى الصَّيْدِ وَغَيْرِهِ الْغُلُوفَاتِ وَالْأَنْزَالِ^٢.

وَكَانَتْ لَهُمْ آدَابٌ لَا يُخْلُونُ بِهَا : مِنْهَا أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْخِدْمَةِ بِالْإِيْوَانِ أَوْ الْقَصْرِ وَقَفَ كُلُّ أَمِيرٍ فِي مَكَانِهِ الْمَعْرُوفِ بِهِ ، وَلَا يَجْشُرُ أَخَذَ مِنْهُمْ وَلَا مِنَ الْمَمَالِكِ أَنْ يُحَدِّثَ رَفِيقَهُ فِي الْخِدْمَةِ وَلَا بِكَلِمَةٍ وَاجِدَةٍ ، وَلَا يَلْتَقِيتَ إِلَى نَحْوِهِ أَيْضًا ، وَلَا يَجْشُرُ أَخَذَ مِنْهُمْ وَلَا مِنَ الْمَمَالِكِ أَنْ يَجْتَمِعَ بِصَاحِبِهِ فِي نَزَاهَةٍ وَلَا فِي زَمَنِ النَّشَابِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَمَنْ بَلَغَ السُّلْطَانَ عَنْهُ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِآخَرَ نَفَاةً أَوْ قَبِضَ عَلَيْهِ .

وَاخْتَلَفَ زِيَّ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ فِي الدَّوْلَةِ الشُّرُكِيَّةِ^٣. وَقَدْ يَتِمَّا مَا كَانَ عَلَيْهِ زِيَّهُمْ حَتَّى غَيَّرَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ ، عِنْدَ ذِكْرِ سُوقِ الشَّرَاطِييِّينَ^٤ ، وَصَارَ زِيَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْخِدْمَةِ بِالْأَقْيَمَةِ التَّيْرَةِ^٥ وَالْكَلَاوَاتِ^٦ فَوْقَهَا ، ثُمَّ الْقَبَاءَ الْإِسْلَامِيَّ فَوْقَهَا ، وَعَلَيْهِ تُشَدُّ الْمِنْطَقَةُ وَالسَّيْفُ^٧.

٢١٧:٢

(a) بولاق : الكلاوات .

الشلاري ، كان لها كمران يلفا الصلتر من اليسار إلى اليمين ، بدلاً من عمل الشُّقَّةِ المستقيمة التقليدية للقمصان التي كانت تُلبس في عصر الفاطميين . وكانت تصنع من الصوف والأطلس والحرير أو القطن البعلكي ، وكان لونه إما أبيض أو بُرْنِيٌّ بِأَشْرَطَةٍ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ وَالْأَزْرَقِ وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «الْمُسْهَرِ» وَلَهُ أَكْمَامٌ ضَيِّقَةٌ . (Mayer, L. A., *op.cit.*, p. 21) ; المَقْرِيزِي : السُّلُوكُ ٥٨٤:١ هـ^١ ، ٨٢٠ ، ٩٧:٢ .

^١ فيما تقدم ٢٢٠-٢٢١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤٣١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٥ .

^٣ عن أنواع الملابس والخلف المختلفة في زمن المماليك ، راجع ، Mayer, L. A., *Mamluk Costume*, Genève, 1952 ، نُقِلَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ صَالِحُ الشَّيْبِيِّ بِعنوان : الملابس للملوكة ، القاهرة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢ .

^٤ فيما تقدم ٣٢٧-٣٢٨ .

^٥ الْقَبَاءُ جَدُّ أَلِيَّةٍ . قَوَّبَتْ لِبَاسٌ فَوْقَ الْقَبَاءِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ أَطْرَافِهِ . (ابن منظور : لسان العرب ٢٠ : ١٢٨ ; Dozy, R., *Dictionnaire détaillé de noms des vêtements chez les Arabes*, p. 352; id., *Suppl. (Dict. Ar., II, p. 315* .

^٦ لَا نَعْرِفُ عَلَى التَّحْقِيقِ عَوَاصِفَاتِ التَّكَلَاوَاتِ ، وَبَرَى Mayer أَنَّهُ ثَوْبٌ كَانَ يَلْبَسُ فِي الْهِنْدِ وَمِصْرَ فَقَطْ . (Mayer, L., *op.cit.*, p. 21 n.6) .

^٧ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٣٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠ وفيه : «يُشَدُّ عَلَيْهِ السَّيْفُ مِنْ جِهَةِ الْيَسَارِ ، وَالصُّوْلِيُّ وَالْكَزْلُوكُ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ» .

وَالْأَقْيَمَةُ الشَّرِيَّةُ ذَاتُ أَضْلَلٍ أَعْجَبِي ، وَهِيَ غَيْرُ الْقَبَاءِ الشَّرِيِّ

ويتَّكِبُ الأُمَرَاءُ والمُقَدِّمُونَ وأَعْيَانُ الجُنْدِ بلبس أَقْبِيَّةٍ قَصِيرَةٍ الأَكمام فوق ذلك ، وتكون أَكمامُها أقصر من القَبَاءِ الثُّخْتَانِي ، بلا تَقَاوُفٍ كبيرٍ في قِصَرِ الكُمِّ والطُّولِ^١ ، وعلى رُءُوسِهِمَ كلِّهِمَ كَلَّوَتَاتٌ^٢ صِغارٌ غالبها من الصُّوفِ المَلَطِيِّ الأحمر ، وَيُضْرَبُ وَيُلَفُّ فوقها عَمَائِمٌ صِغارٌ^٣ .

ثم زادوا في قَدْرِ الكَلَّوَتَاتِ وما يُلَفُّ فوقها في أَيَّامِ الأَمِيرِ يَلْبِغُ الخاصَّكي ، القائمُ بِدَوَلَةِ الأَشْرَفِ شُعْبَانَ بنِ حُسَيْنٍ ، وعَرِفَتْ بِـ«الكَلَّوَتَاتِ الطَّرْخَانِيَّةِ» ، وصاروا يُسَمُّونَ تلكَ الصَّغِيرَةَ «نَاصِرِيَّةً» . فلَمَّا كانت الأَيَّامُ الظَّاهِرِيَّةُ بَرُوقُ ، بَالِغُوا فِي كَثَرِ الكَلَّوَتَاتِ وَعَمِلُوا فِي شَدَّتِهَا عِوَجًا ، وقيلَ لَهَا «كَلَّوَتَاتٌ جَزْكَيَّةٌ» ، وهم على ذلك إلى اليوم .

ومن رِيهِمَ لِبْسُ المِهْمَازِ^٤ على الأَخْفَافِ ، ويعملُ المُنْدِيلَ في الحِياصَةِ على الصُّوَرِ من الجَانِبِ الأَيْمَنِ ، ومعظمُ حَوَائِصِ المَمَالِكِ قِصَّةً ، وفيهِمَ من كان يَعْمَلُهَا مِنَ الذَّهَبِ ، وَرُبَّمَا عَمِلَتْ بِالْيَتِشَمِ^٥ .

وكانت حَوَائِصُ أُمَرَاءِ المِثْنِ الأَكَابِرِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْهِمَ مع الخِلْعِ السُّلْطَانِيَّةِ من خِزَانَةِ الخاصِّ يُرْصَعُ ذَهَبُهَا بِالْجَوَاهِرِ . وكان معظمُ العَشْكَرِ يَلْبَسُ الطُّرُزَ ، ولا يُكَفَّتُ مِهْمَازُهُ بِالذَّهَبِ ، ولا يلبسُ الطُّرَازَ إِلَّا من له إِقْطَاعٌ فِي الخَلْفَةِ . وَأَمَّا من هو بِالْجَامِئِيَّةِ أو من أَجْنَادِ الأُمَرَاءِ فلا يُكَفَّتُ مِهْمَازُهُ بِالذَّهَبِ ولا يَلْبَسُ طِرَازًا^٦ .

^١ ذُوَانَةُ شعره واشتَجَدَ العَمَائِمُ النَّاصِرِيَّةُ . (نفسه ٤: ٦٦)
المَقْرِيزِي : السُّلُوكُ ١: ٩٣ هـ^١ ؛ أَبُو الحَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧: ٣٣٠ هـ^١ ؛ Mayer, L. A., *op.cit.*, pp. 28-29 ؛ وفيما تقدم ٢: ٩٨-٩٩ .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبصار ٣٤ .

^٣ انظر فيما تقدم ٣٢٤ .

^٤ ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبصار ٣٤-٣٥ ؛ القَلْقَشَنْدِي : صِحْحُ الأَعْيُنِ ٤: ٤٠ .

^٥ نفسه ٣٠ ؛ نفسه ٤: ٤١ ؛ وفيما تقدم ٣٣٠ . والجَامِئِيَّةُ جَدُّ جَامِئِيَّاتِ وَجَوَامِكِ . كَلِمَةٌ فارسيَّةٌ معناها الرِّثَابُ المَرْبُوطُ لشَهْرِ أو أَكْثَر . وكانت تَفَقَّاتُ المَمَالِكِ جَامِئِيَّاتٍ وَعَلِيقٍ وَكُشُوفَةٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ . (القَلْقَشَنْدِي : صِحْحُ الأَعْيُنِ ٣: ٥٣) .

^١ يرى Mayer - مع شيءٍ من التَّخْطُّطِ - أَنَّهُ من الممكِنِ أَنْ يَكُونَ هَذَا القَبَاءُ مُطَابِقًا تَمَامًا لِقَبَاءِ الَّذِي أَدْخَلَهُ سَلَارُ - نَائِبُ السُّلْطَانَةِ فِي عَهْدِي النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَالْمُظَفَّرِ رُكْنُ الدِّينِ بَيْرُوسُ الجَاشَنْكِيَرِ - المَعْرُوفُ بِالْمُتَقَلِّطِ . (Mayer, L. A., *op.cit.*, p. 23) ؛ وفيما تقدم ٣٢٨ .

^٢ كَلَّوَتُهُ جَدُّ كَلَّوَتَاتٍ . غِطَاءٌ لِلرَّأْسِ مِنَ الصُّوفِ الْمُضْرَبِ بِالْقَطَنِ يُلبَسُ وَحْدَهُ أو بِعَمَامَةٍ . اسْتَخْدَمَهَا بِمِصْرَ سَلَاطِينُ الأَيُّوبِيِّينَ فَكَانُوا يَلْبَسُونَهَا مِنَ الجَوْخِ الأَصْفَرِ بِغَيْرِ عَمَامَةٍ ، وَذَوَاتِبَ شَعُورِهِمَ مَرخَاهُ تَحْتَهَا . (القَلْقَشَنْدِي : صِحْحُ الأَعْيُنِ ٣٩: ٤٠ ؛ المِصْبُوطِي : حَسَنُ المَخَاضَةِ ٢: ١١٠-١١١) . وَمَا زَالَ الأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى غَيَّرَ الأَشْرَفُ خَلِيلُ لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرِ إِلَى الحُمْرَةِ وَأَمَرَ بلبسِ العَمَامَةِ مِنْ فَوْقِهَا ؛ فَلَمَّا خِجَّ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي سُلْطَتِهِ الثَّالِثَةِ خَلَقَ رَأْسَهُ وَتَرَكَ

وكانت القساكِرُ من الأُمراء وغيرهم تلبسُ المُنوعَ من الكَمَفا^١ والحِطَاطي^٢ والكَنَجي^٣ والمُخَمَلِ والإسكَنْدَراني والثُرْب، ومن النِّصافي والأصواف الملوَّنة^٤. ثم يَطْلُ نُبُسُ الحَرِيرِ في الأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزُقُوقٍ، وَاقْتَصَرُوا إِلَى الْيَوْمِ عَلَى نُبُسِ الصُّوفِ الْمَلَوَّنِ فِي الشُّتَاءِ، وَلُبَسِ النِّصَافِيِّ الْمُصْقُولِ فِي الصَّيْفِ.

وكانت العادة أن السلطان يتولى بنفسه استخدام الجند ، فإذا وَقَفَ قُدَّامَهُ من يطلب الإقطاع المحلول ووقع اختياره على أحد ، أَمَرَ ناظر الجيش بالكتابة له فيكتب ورقة مختصرة تُسمى «المِثَال» ، مضمونها : «نَحْنُ فُلان كذا» ، ثم يكتب فوقه رِشْم^٥ المستقر له ويناولها السلطان ، فيكتب عليها بخطه : «يُكْتَب» ويُعطىها الحاجب لمن رِشِمَ له ، فيقبل الأرض . ثم يعاد المِثَال إلى ديوان الجيش ، فيشك^٦ شاهدا عندهم .

١٠ ثم تُكْتَبُ «مُرَبَّعَةً» مَكْمَلَةُ الْخُطُوطِ بِجَمِيعِ^(١) مُبَاشِرِي دِيْوَانِ الْإِنْقِطَاعِ ، وَهَمُ كُتَّابُ دِيْوَانِ الْجَيْشِ ، فَيُزَيِّنُونَ عِلَامَاتِهِمْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تُحْمَلُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ وَالْمَكَاتِبَاتِ ، فَيُكْتَبُ الْمَشْهُورُ

(a) بولاق : اسم . (b) بولاق : قیغفظ . (c) بولاق : بخاطرط جمیع .

الرسمية إيداناً بفتح أحد المالك إقطاعاً من الإقطاعات المحلولة. وهو عبارة عن ورقة تكتب فيها بيانات الإقطاع بعد ترك ثلثيها من أغلأها يائضاً. (الفقشندي: صبح الأعيى ١٣: ١٠٣-١١٥٤ الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ ٢٩٠؛ المقرئى: السلوك ١: ٤٩٠ هـ^٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٩١ محمد محمد أمين: «منشور بفتح إقطاع من عصر الشنكبان الغورى»، حوليات إسلامية ١٩ *Ann. Isl.* (١٩٨٣)، ٥-٦، وفيما تقدم ١: ٢٣٧).

٦ المُرْتَبَة. وَرَبَّةُ مُرْتَبَة الشَّكْل تُجْعَلُ عَلَى هَيْئَةِ صَفْحَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ. (راجع نَصَّ مَا يَكْتُبُ فِي الْمُرْتَبَة وَكَيْفِيَّتِهِ عِنْدَ الْحَالِدِيِّ: الْمَقْصِدُ الرَّفِيعُ الْمُنْشَأُ ٢٩٠-٢٩١ ط ١)
 ٧ مَحْمَدُ أَمِينُ: صَبَّحَ الْأَعْشَى ١٣: ١٥٤-١٥٥ مَحْمَدُ مَحْمَدُ أَمِينُ: الْمَرْجَمُ السَّابِقُ ٧-٨).

^١ الكفخا جـ. كوايخ. ثياب حريرية تصنع بغداد
وتقريز ونيسابور. (ابن بطوطة: الرحلة ١: ١٢٤٥
(Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, p. 31).

٢ الخطاطي . نوع من التسيج الصوفي ، اشتهرت به مدينة تيزيز ، وأشهر ملحن أفريزيان ، يقول ياقوت : ويقتل فيها من الثياب القباي والمثقلاتون والخطاطي والأطلس والتسج ، ما يُختل إلى سائر البلاد شرقاً وغرباً (معجم البلدان ١٣:٢) وانظر كذلك Serjeant, R. B., *op.cit.*, pp. 68, 150.

٣ الكنجي. اسم لقماش من الحرير والقطن، ينسب
للمدينة كَلْجَة قَصَبَة بلاد أَرَان. (باقوت: معجم البلدان
٤: ٤٨٧).

^٤ ابن فضل الله العمري: ممالك الأيصار ١٣٥؛
القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٤١.

^٥ المثال ج. المثالات. أَوَّلُ ما كان يكتب من الأوراق

وَيُعْلَمُ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ . ثُمَّ يُكْثَلُ الْمُنْشُورُ بِخُطُوطِ كُتَّابِ دِيْوَانِ الْجَيْشِ ، بَعْدَ الْمَقَابَلَةِ عَلَى صِحَّةٍ (٥) أَصْلِهِ ١ .

وَاسْتَجَدَّ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ طَائِفَةً سَمَّاهَا «الْبَحْرِيَّة» . وَهِيَ أَنَّ الْبَحْرِيَّةَ الصَّالِحِيَّةَ لَمَّا تَشَشَّعُوا عِنْدَ قَتْلِ الْفَارِسِ أَقْطَايَ فِي الْأَيَّامِ الْمُجْزِيَةِ أَيْتِكَ ، بَقِيََتْ أَوْلَادُهُمْ بِمِصْرَ فِي حَالَةِ زُدْبَلَةٍ ؛ فَعِنْدَمَا أَفْضَتْ السُّلْطَنَةُ إِلَى قَلَاوُونَ جَمَعَهُمْ وَرَتَّبَ لَهُمُ الْجَوَائِمَ وَالْعَلِيقَ وَاللَّحْمَ وَالْكَشُوءَ ، وَرَسَمَ أَنْ يَكُونُوا جَالِسِينَ عَلَى بَابِ الْقَلْعَةِ وَسَمَّاهُمْ «الْبَحْرِيَّة» . وَإِلَى الْيَوْمِ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَجْنَادِ تُعْرَفُ بِالْبَحْرِيَّةِ ٢ .

وَأَمَّا الْبِلَادُ الشَّامِيَّةُ فَلَيْسَ لِلتَّائِبِ بِالْمَمْلُوكَةِ مَدْخَلٌ فِي تَأْمِيرِ أَمِيرٍ عَوَاضَ أَمِيرٍ مَاتَ ، بَلْ إِذَا مَاتَ أَمِيرٌ - سِوَاهُ كَانَ كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا - طَوَّلَعَ السُّلْطَانُ بِمَوْتِهِ ، فَأَمَرَ عَوَاضَهُ : إِمَّا يُؤْمِنُ فِي حَضْرَتِهِ وَيُخْرِجُهُ إِلَى مَكَانِ الْخِدْمَةِ ، أَوْ يُؤْمِنُ هُوَ فِي مَكَانِ الْخِدْمَةِ ، أَوْ يُثْقِلُ مِنْ تَلْدٍ آخَرَ مِنْ يَفْقَهُ اخْتِيَارَهُ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا «جُنْدُ الْحَلَقَةِ» فَإِنَّهُمْ إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ اسْتَحْدَمَ التَّائِبُ عَوَاضَهُ ، وَكُتِبَ «الْمِثَالُ» عَلَى نَحْوِ مَنْ تَوَتَّبَ السُّلْطَانُ ، ثُمَّ كُتِبَ «الْمُرَبَّة» وَجُهِّزَ هَا مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ ، فَيَقَابِلُ عَلَيْهَا فِي دِيْوَانِ الْإِقْطَاعِ ، ثُمَّ إِنَّ أَمْضَاهَا السُّلْطَانُ كَتَبَ عَلَيْهَا : «يُكْتَبُ» فَتُكْتَبُ الْمُرَبَّةُ مِنْ دِيْوَانِ الْإِقْطَاعِ ، ثُمَّ يُكْتَبُ عَلَيْهَا الْمُنْشُورُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْجُنْدِ الَّذِينَ بِالْحَضْرَةِ ، وَإِنْ لَمْ يُفَضَّضْهَا السُّلْطَانُ أَخْرَجَ الْإِقْطَاعَ لِمَنْ يُرِيدُ .

وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنْدِ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ مُدَّةِ الْخِدْمَةِ ، حَوِيبَ وَرَثَتِهِ عَلَى حُكْمِ الْإِسْتِخْقَاقِ ، ثُمَّ إِمَّا يُزَجَّعُ مِنْهُمْ أَوْ يُطْلَقَ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ حُصُولِ الْعَنَاءِ بِهِمْ .

وَالْإِقْطَاعَاتُ الْأَمْرَاءِ وَالْجُنْدِ ، مِنْهَا مَا هُوَ بِبِلَادٍ يَسْتَغْلِيهَا مُقْطَعُهَا كَيْفَ شَاءَ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ تَقْدُّ عَلَى جِهَاتٍ يَتَنَاوَلُهَا مِنْهَا ٣ . وَلَمْ يَزَلْ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى رَأَى الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ

(٥) بولاق : حجة .

١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤٧-٤٨ .
٢ المقرئ : السلوك ١ : ٦٥٨ ، ٦٧٢ ، ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ١٥٠ ، «Le régiment bahriya dans l'armée mamelouke», REI 14 (1951), pp. 138-41.
٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤٧-٤٨ .
القلمشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٠٠-٥٠١ ، ٦٢ ، وانظر عن الإقضاع فيما تقدم ١ : ٢٥٧-٢٦٤ . والمراجع المذكورة في ١ : ٢٦١-٢٦٢ ، وأضيف إليها ، السيد الباز القرني : الإقضاع الحربي بمصر زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٥٦ ، =

١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٤٧-٤٨ .
٢ المقرئ : السلوك ١ : ٦٥٨ ، ٦٧٢ ، ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ١٥٠ ، «Le régiment bahriya dans l'armée mamelouke», REI 14 (1951), pp. 138-41.

البلاد - كما تقدم في أول هذا الكتاب عند الكلام على الخراج ومبلغه - فأبطل عدة جهات من المكوس، وصارت الإقطاعات كلها بلاذا^١.

والذي استقر عليه الحال في إقطاعات الديار المصرية - ما رتبته^٢ الملك الناصر محمد بن قلاوون في الرؤك الناصري، وهو عدة الجيوش المنصورة في الديار المصرية - أربعة وعشرون ألف فارس، تفصيل ذلك^٣:

أمرأة الألوف وماليكهم: ألفان وأربع مائة وأربعة وعشرون فارساً. تفصيل ذلك: نائب ووزير وألوف خاصكية ثمانية أمراء، وألوف خرجية أربعة عشر أميراً، وماليكهم ألفان وأربع مائة فارس.

أمرأة طابعاناه وماليكهم: ثمانية آلاف ومائتا فارس. تفصيل ذلك: خاصكية أربعة وخمسون أميراً، وخرجية مائة وستة/ وأربعون أميراً وماليكهم ثمانية آلاف فارس، من ذلك^٤ كشاف وولاة بالأقاليم: خمس مائة وأربعة وسبعون؛ تفصيل ذلك: ثغر الإسكندرية واجد، والبحيرة واجد، والغربية واجد، والشرقية واجد، والمنوفية واجد، وقطيا واجد، وكاشف الحيزة واجد، والقيوم واجد، والبهنسا واجد، والأشمونين واجد، وقوص واجد، وأسوان واجد، وكاشف الوجه البحري واجد، وكاشف الوجه القبلي واجد، وماليكهم خمس مائة وستون.

أمرأة القشراوات وماليكهم: ألفان ومائتا فارس، تفصيل ذلك: خاصكية ثلاثون، وخرجية مائة وسبعون أميراً، وماليكهم ألفان.

(a) بولاق: مما رتب. (b) ماقطة من بولاق.

الإقطاعات الحربية في مصر المملوكية، القاهرة ١٩٩٨.

^١ فيما تقدم ٢٣٥:١ - ٢٤٤.

^٢ لم يتخذ المقرري عتذر هذا النص التفصيلي، الذي أوجع أنه استكمال للنص الذي نقله (فيما تقدم ٢٣٧:١) عن جامع والشيرة الناصرية، أي كتاب دنزفة الناظر في سيرة الملك الناصر لموسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، الخوفي سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م. (انظر فيما تقدم ١٢٨:١هـ^٤).

= الإقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي - دراسة مقارنة، حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ٤ (١٩٥٧)، ١١٣-١٤٨ إبراهيم علي طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨ Rabie, H., *The Financial System of Egypt A.H. 564-741/A.D. 1169-1341*, London 1972, pp. 26-72; Cahen, Cl., *El* ² art. *Iktā'* III, pp. 1115-18. نزار يونس حسن: نظام

وَلَاةُ الْأَقَالِيمِ : سبعة وسبعون أَمِيرًا . تَفْصِيلُهُمْ : أَشْمُونُ الرُّمَّانِ وَاحِدٌ ، وَقَلْبُوبٌ وَاحِدٌ ، وَالْحِيزَةُ وَاحِدٌ ، وَتَرْوُجَا وَاحِدٌ ، وَحَاجِبُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَاحِدٌ ، وَأَطْفِيحٌ وَاحِدٌ ، وَمَتَقْلُوطٌ وَاحِدٌ ، وَمَمَالِيكُهُمْ سَبْعُونَ فَارِسًا .

مُقَدِّمُو الْحَلَقَةِ وَالْأَجْنَادُ : أَخَذَ عَشْرَ أَلْفَا وَمِائَةِ وَسْتَةٍ وَسَبْعُونَ فَارِسًا ، تَفْصِيلُ ذَلِكَ : مُقَدِّمُو الْمَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ أَرْبَعُونَ ، مُقَدِّمُو الْحَلَقَةِ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ .

نُقَبَاءُ الْأُلُوفِ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ نَقِيبًا .

مَمَالِيكُ السُّلْطَانِ وَأَجْنَادُ الْحَلَقَةِ : عَشْرَةُ أَلْفٍ وَتِسْعُ مِائَةٍ وَاثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا ، تَفْصِيلُ ذَلِكَ : مَمَالِيكُ السُّلْطَانِ أَلْفًا تَمْلُوكُ ، أَجْنَادُ الْحَلَقَةِ ثَمَانِيَةُ أَلْفٍ وَتِسْعُ مِائَةٍ وَاثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا .

عَبْرَةُ ذَلِكَ : الْخَاصَكِيَّةُ الْأُلُوفُ وَالتَّائِبُ وَالْوَزِيرُ : كُلُّ مِنْهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَكُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ .

الْإِرْتِفَاعُ : أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ : كُلُّ لِرْدَبٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقَمَحِ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا ، وَالْحَبُوبُ كُلُّ لِرْدَبٍ مِنْهَا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ تِسْعُ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ .

الْأُلُوفُ الْخَرْجِيَّةُ : كُلُّ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ .

الْإِرْتِفَاعُ : ثَمَانُ مِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسُونَ أَلْفًا ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شَرِخَ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَبْعُ مِائَةٍ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

الطَّبَلَخَانَةُ الْخَاصَكِيَّةُ : كُلُّ مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِرْتِفَاعُ : أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شَرِخَ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ لِكُلِّ مِنْهُمْ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ^(a) وَخَمْسَةٌ وَسِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

الطَّبَلَخَانَةُ الْخَرْجِيَّةُ : ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِرْتِفَاعُ : مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شَرِخَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ مِائَتَا أَلْفٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

العَشْرَاوَاتِ الْخَاصِّكِيَّةِ : كُلُّ مِنْهُمْ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : مَائَتَا أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ سَبْعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ لِكُلِّ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

العَشْرَاوَاتِ الْخَزَجِيَّةِ : كُلُّ مِنْهُمْ سَبْعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ خَمْسَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ لِكُلِّ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ وَتِسْتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

الْكُشْفُ : لِكُلِّ مِنْهُمْ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : مِائَةُ أَلْفٍ وَتِسْتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ خَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَالْخَالِصُ مِائَةُ أَلْفٍ وَخَمْسَةُ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

الْوَلَاةُ الطَّبَلَخَانَاةُ : كُلُّ مِنْهُمْ خَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : مِائَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، خَالِصٌ كُلُّ^٥ مِنْهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ وَعِشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

الْوَلَاةُ الْعَشْرَاوَاتِ : لِكُلِّ مِنْهُمْ خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ سَبْعَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ^٦ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، خَالِصٌ كُلُّ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

مُقَدِّمُو مَمَالِيكِ السُّلْطَانِ : كُلُّ مِنْهُمْ أَلْفٌ وَمِائَتَانِ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ عَلَى مَا شُرِّحَ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ أَلْفٌ دِرْهَمٍ ، خَالِصٌ كُلُّ مِنْهُمْ أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

مُقَدِّمُو الْخَلْفَةِ : كُلُّ مِنْهُمْ أَلْفٌ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ تِسْعَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : تِسْعَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ تِسْعُ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، خَالِصٌ كُلُّ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَمِائَةُ دِرْهَمٍ .

نُقَبَاءُ الْأُلُوفِ : لِكُلِّ مِنْهُمْ أَرْبَعُ مِائَةِ دِينَارٍ ، كُلُّ دِينَارٍ تِسْعَةُ دَرَاهِمٍ . الْإِزْتِفَاعُ : ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَسِتِّ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، بِمَا فِيهِ مِنْ ثَمَنِ الْغِلَالِ . مِنْ ذَلِكَ : الْكُلْفُ أَرْبَعُ مِائَةِ دِرْهَمٍ ،

- والخالص لكل منهم ثلاثة آلاف ومائتا درهم. تماليك السلطان: ألفان .
 بائة أربع مائة تملوك : لكل منهم ألف وخمسة مائة دينار، كل دينار عشرة دراهم، عنها
 خمسة عشر ألف درهم .
 بائة خمس مائة تملوك : كل واحد ألف وثلاث مائة دينار، سبعمائة عشرة دراهم، عنها ثلاثة
 عشر ألف درهم .
 بائة خمس مائة تملوك : لكل منهم ألف دينار ومائتا دينار، عنها اثنا عشر ألف درهم .
 بائة ست مائة تملوك : لكل واحد ألف دينار، عنها عشرة آلاف درهم .
 أجناد الحلقة: عدة^٥ ثمانية آلاف وتسع مائة واثنين وثلاثين فارساً .
 بائة ألف وخمسين مائة فارس : لكل منهم تسع مائة دينار بتسعة آلاف درهم .
 بائة ألف وثلاث مائة وخمسين جندياً : لكل منهم ثمان مائة دينار بثمانية آلاف درهم .
 بائة ألف وثلاث مائة وخمسين جندياً : كل منهم سبع مائة دينار : عنها سبعة آلاف درهم .
 بائة ألف وثلاث مائة جندي، لكل منهم ست مائة دينار بستة آلاف درهم .
 بائة ألف وثلاث مائة : كل منهم بخمس مائة دينار بخمسة آلاف درهم .
 بائة ألف ومائة جندي : لكل منهم أربع مائة دينار بأربعة آلاف درهم .
 بائة ألف واثنين وثلاثين جندياً : لكل منهم ثلاث مائة دينار، سبعمائة دراهم، عنها ثلاثة
 آلاف درهم .

وأرباب الوظائف من الأمراء بعد النيابة والوزارة: أمير سلاح، والدوادار، والحجبة وأمير جاندار،
 والأشتادار، والمهندار، ونقيب الجيوش، والؤلة .
 فلما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون، حدث بين أجناد الحلقة نزول الواحد منهم عن
 إقطاعه لآخر بمال أو مقايضة الإقطاع بغيره، فكثرت الدخيل في الأجناد بذلك، واشتدت الشوكة
 والأراذل الإقطاعات، حتى صار في زمننا أجناد الحلقة أكثرهم أصحاب حِرَف وصناعات،
 وخربت منهم أراضي إقطاعهم^١ .

(a) ساقطة من بولاق .

وَأَوَّلُ مَا حَدَّثَ ذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْكَامِلَ شَعْبَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّاصِرِ^(a) بْنِ قَلَاوُونَ، لَمَّا تَسَلَّطَنَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ، تَمَكَّنَ مِنْهُ الْأَمِيرُ شُجَاعُ الدِّينِ أُغْرُولُ شَادَ الدَّوَاوِينَ، وَاسْتَجَدَّ أَشْيَاءَ: مِنْهَا الْمُقَابِضَةُ بِالْإِقْطَاعَاتِ فِي الْحَلَقَةِ، وَالتَّزُولُ عَنْهَا. فَكَانَ مِنْ أَرَادَ مُقَابِضَةَ أَحَدٍ بِإِقْطَاعِهِ حَمَلَ كُلِّ مِنْهُمَا مَالًا لِيَبْتَ الْمَالَ يَقْرَرُ عَلَيْهِمَا، وَمِنْ اخْتَارَ خُجَيْرًا^(b) بِالْحَلَقَةِ يَزِنَ عَلَى قَدَرِ غَيْرَتِهِ فِي السَّنَةِ دَنَانِيرَ يَحْمِلُهَا لِيَبْتَ الْمَالَ؛ فَإِنْ كَانَتْ غَيْرُهُ الْخُجَيْرِ^(c) الَّذِي يُرِيدُهُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ، حَمَلَ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ. وَمَنْ أَرَادَ التَّزُولَ عَنْ إِقْطَاعِهِ، حَمَلَ مَالًا لِيَبْتَ الْمَالَ بِحَسَبِ مَا يَقْرَرُ عَلَيْهِ أُغْرُولُ. وَأَفْرَدَ لَذَلِكَ وَلِيًّا يُوَحِّدُ مِنْ طَالِبِي الْوَلَايَاتِ وَالْوُظَايِفِ^(d) دِيْوَانًا سَمَّاهُ «دِيْوَانَ الْبَدَلِ». وَكَانَ يُعَيِّنُ فِي الْمُنْشُورِ الَّذِي يَخْرُجُ بِالْمُقَابِضَةِ الْمُبْلَغَ الَّذِي يَقُومُ بِهِ كُلُّ مَنْ الْجُنْدِيِّينَ. وَكَانَ ابْتِدَاءُ هَذَا فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَقَامَ الْأَمْرَاءُ فِي ذَلِكَ مَعَ السُّلْطَانَ حَتَّى رُسِمَ بِإِبْطَالِهِ.

فَلَمَّا وَلِيَ الْأَمِيرُ مَنَجُكَ الْيُوسُفِي الْوِزَارَةَ، وَسَيَّرَهُ فِي الْمَالَ، فَتَحَّ فِي سَنَةِ تِسْعِ وَأَرْبَعِينَ بَابَ التَّزُولِ وَالْمُقَابِضَاتِ. فَكَانَ الْجُنْدِيُّ يَبِيعُ إِقْطَاعَهُ لِكُلِّ مَنْ يَدَّلُ لَهُ فِيهِ مَالًا، فَأَخَذَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَامَّةِ الْإِقْطَاعَاتِ. فَكَانَ يُدْزَلُ فِي الْإِقْطَاعِ مَبْلَغُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَأَقْلُ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ مُتَحَصِّلِهِ، وَلِلْوِزِيرِ رَشْمٌ مَعْلُومٌ، ثُمَّ مُنِيعٌ مِنْ ذَلِكَ^١.

فَلَمَّا كَانَتْ نِيَابَةُ الْأَمِيرِ سَيِّفِ الدِّينِ قَبْلَايَ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَخَمْسِينَ، مَشَى أَحْوَالُ الْأَجْنَادِ فِي الْمُقَابِضَاتِ وَالتَّزُولَاتِ. فَاشْتَرَى الْإِقْطَاعَاتِ الْبَاعَةَ وَأَصْحَابُ الصَّنَائِعِ، وَبِيعَتْ تَقَادُمُ الْحَلَقَةِ وَاتْتَدَبَ لَذَلِكَ جَمَاعَةٌ عُرِفَتْ بِالْمُهَيَّسِينَ، بَلَغَتْ عِدَّتُهُمْ نَحْوَ الثَّلَاثِ مِائَةِ مُهَيَّسٍ، وَصَارُوا يَطُوفُونَ عَلَى الْأَجْنَادِ، وَيَرْغَبُونَهُمْ فِي التَّزُولِ عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ أَوْ الْمُقَابِضَةِ بِهَا، وَجَعَلُوا لَهُمْ عَلَى كُلِّ أَلْفِ دِرْهَمٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ.

فَلَمَّا فَحَّشَ الْأَمْرُ، أَبْطَلَ الْأَمِيرُ شَيْخُونَ الْعُمَرَى التَّزُولَاتِ وَالْمُقَابِضَاتِ، عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ رَأْسُ نَوْبَةِ وَاسْتَقْبَلَ بِتَذِيرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ، وَتَقَدَّمَ لِمُبَاشِرَةِ دِيْوَانِ الْجَيْشِ أَلَّا يَأْخُذُوا بِرَشْمِ الْمُنْشُورِ وَالْمَحَاسَبَةِ سِوَى ثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ، بَعْدَمَا كَانُوا يَأْخُذُونَ عَشْرِينَ دِرْهَمًا^٢.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: حيزا. (c) بولاق: الحيز. (d) بولاق: الوظائف والولايات.

^١ انظر فيما يلي ٣٢١:٢-٣٢٢.

^٢ من المؤلف أنه لم تصل إلينا (باشيئة المنشور والمراسيم منها صمويل شيرن Stern, S.M., Fatimid Decrees

زَكَرَ الْحَاجِبَةُ (a)

وكانت رُتْبَةُ الْحَاجِبَةِ فِي الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ جَلِيلَةً، وَكَانَتْ تَلِي رُتْبَةَ نَيَابَةِ السُّلْطَنَةِ، وَيُقَالُ لِأَكْبَرِ الْحَاجِبِ (b) «حَاجِبِ الْحُجَابِ».

وَمَوْضُوعُ الْحَاجِبَةِ أَنْ تُنَوِّلَهَا بِنُصِيفِ مِنَ الْأَمْزَاءِ وَالْجُنْدِ: تَارَةً بِنَفْسِهِ، وَتَارَةً بِمُشَاوَرَةِ السُّلْطَانِ، وَتَارَةً بِمُشَاوَرَةِ النَّائِبِ [إِنْ كَانَ] (c). وَكَانَ إِلَيْهِ تَقْدِيمُ مَنْ يَغْرُضُ وَمَنْ يَرُدُّ، وَعَرُوضُ الْجُنْدِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ فَإِنَّهُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي الْبَابِ، وَالْقَائِمُ مَقَامَ الثَّوَابِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ (d).

وَكَانَ مُحْكَمُ الْحَاجِبِ لَا يَتَقَدَّى النَّظَرُ فِي مُخَاصَّاتِ الْأَجْنَادِ وَاخْتِلَافِهِمْ فِي أُمُورِ الْإِقْطَاعَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْحُجَابِ فِيمَا سَلَفَ يَتَعَرَّضُ لِلْحُكْمِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، كَتَدَاوِي الزُّوْجِيْنَ وَأَرْبَابِ الدُّيُونِ، وَلَئِنْ يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَضَاةِ الشَّرْعِ.

وَلَقَدْ عَهِدْنَا دَائِمًا أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْكُتَّابِ أَوْ الضُّمَّانِ وَنَحْوِهِمْ، يَقْرَأُ مِنْ بَابِ الْحَاجِبِ وَيَقْصِرُ إِلَى بَابِ أَحَدِ الْقَضَاةِ وَيَسْتَجِيرُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ، فَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَخْذِهِ مِنْ بَابِ الْقَاضِي.

(a) كَذَا فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ، وَعِنْدَ الْقَلْقَشَنْدِيِّ وَأَبِي الْهَاسَنِ: الْحُجُوبِيَّةُ. (b) بُولَاقُ: الْحَجْبَةُ. (c) إِضَافَةٌ مِنْ مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ.

Isl. ١٩ (١٩٨٣)، ١-٢٣.

^١ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٦-٥٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى ١٩:٤-٢٠؛ أبو الهاسن: النجوم الزاهرة ١٨٥:٧-١٨٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣١.

وعن أصل وظيفة الحاجب وتاريخها، راجع، القلقشندي: صبح الأعشى ٤٤٩:٥-٤٥٠؛ السبكي: معيد النعم ٤٠-٤٢؛ أبا الهاسن: النجوم الزاهرة ١٨٥:٧؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٣٨٨-٣٩٣؛ ماجد: نظم سلاطين المماليك ٤٥:٢-٤٦.

Ernest, H., London 1964 = *Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters*, Wiesbaden 1960) أَيْهَةٌ وَثَائِقُ أُصْلِيَّةٌ صَادِرَةٌ عَنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الْمَمْلُوكِيِّ، وَالْوَثِيقَةُ الْعَامَّةُ الْوَحِيدَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الْمَمْلُوكِيِّ الَّتِي حَفِظَهَا لَنَا التَّارِيخُ، هِيَ مَشْهُورٌ صَادِرٌ عَنِ السُّلْطَانِ الْقُورِيِّ - آخِرِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِيكِ الشَّرَافِيَّةِ - بِمَتَّحِ إِقْطَاعِ الْأَمِيرِ تَمْرُبَايَ الْهَنْفِي قَبْجَمَاسَ، أَخَذَ أَمْرَاءُ الْطَبْلُخَانَاهِ بِمَصْرِ - مُؤَرَّخٌ فِي ٧ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٩١٦ هـ/ ١٥١١ م (مَحْفُوظٌ فِي دَفْتَرِخَانَةِ وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ بِالْقَاهِرَةِ بِرَقْمِ ٧٨٩ ح)، وَنَشَرَهُ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ أَمِينٌ بِعَنْوَانِ: «مَشْهُورٌ بِمَتَّحِ إِقْطَاعِ مَنْ عَضَرَ السُّلْطَانِ الْقُورِيِّ»، حَوَالِيَاتُ إِسْلَامِيَّةِ *An.*

وكان فيهم من يقيم الأشهر والأعوام في ترسيم القاضي، حماية له من أيدي الحجاب. ثم تغيّر ما هنالك، وصار الحاجب اليوم اسماً لعدّة جماعة من الأمراء ينتصبون للحكم بين الناس، لا لغرض إلا لتضمين أبوابهم بمالٍ مُقرّر في كلّ يوم على رأس نوبة الثّقاء، وفيهم غير واحد ليس لهم على الإمرة إقطاع، وأنما يترقون من مظالم العباد.

- ٢٢٠:٢ وصار الحاجب اليوم يحكم في كلّ جليل وحقيّر من الناس، سواء كان/ الحكم شرعياً أو سياسياً برّغيمهم، وإن تعرّض قاضٍ من قضاة الشرع لأخذ غريمٍ من باب الحاجب لم يُمكن من ذلك.

وتقيّب الحاجب اليوم، مع زدالة الحاجب وسفالتة وظواهره من المُكر بما لم يكن يُعهد مثله، يتظاهر به أطراف الشوكة. فإنه يأخذ الغريم من باب القاضي، ويتحكّم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار، فلا يُنكر ذلك أحدٌ ألبتة.

- ١٠ وكانت أحكام الحجاب أولاً يقال لها «حكم السياسة»، وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زمننا أصولها، ويتساهلون في التلفّظ بها ويقولون هذا الأمر ممّا لا يمشي في الأحكام الشرعية، وأنما هو من حكم السياسة وبحسبونه هيئاً، وهو عند الله عظيم. وسأبين معنى ذلك، وهو فصل عزيز.

- ١٥ ذكر أحكام السياسة - اعلم أنّ الثّاس في زمننا، بل ومنذ عهد الدّولة التّركية بديار مصر والشّام، يزوّن أنّ الأحكام على قسمين: لحكم الشرع، ولحكم السياسة. ولهذه الجملة شرع: فالشريعة هي ما سنّ الله تعالى من الدّين وأمر به كالصّلاة والصّيام والحجّ وسائر أعمال البرّ. واشتقّ الشرع من شاطئ البحر. وذلك أنّ الموضع الذي على شاطئ البحر تُشرع فيه الدّواب، وتُسَمّى العرب «الشريعة»، فيقولون للإبل، إذا ورّدت شريعة الماء، وسرّبت: قد شرّع فلان إبله، وشرّعها - بتشديد الراء - إذا أوزّدها شريعة الماء. والشريعة، والشراع، والشرعة: المواضع التي ينحدر الماء فيها، ويُقال شرّع الدّين يشرّعه شرعاً، بمعنى سنّه. قال الله تعالى: ﴿وشرّع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً﴾ [آية ١٣ سورة الشورى].

- ٢٠ ويُقال ساس الأمر سياسة، بمعنى قام به، وهو سائس، من قوم ساسة وشوس. وسوّسه القوم: جعلوه يسوسهم. والشوس: الطّبع والخلق، فيقال الفصاحة من شوسه، والكرم من شوسه، أي

من طبعه . فهذا أصلُ وضع السياسة في اللغة ، ثم رُسِمَتْ بأنها القانونُ الموضوع لرعاية الآداب والمصالح ، وانتظام الأحوال .

والسياسة نوعان : سياسة عادلة تُخرج الحق من الظالم الفاجر ، فهي من الأحكام الشرعية ، غلبتها من غلبتها وبجملتها من بجملتها . وقد صنّف الناس في السياسة الشرعية كتباً متعددة . والنوع الآخر : سياسة ظالمة ، فالشريعة تحرّمها . وليس ما يقوله أهل زماننا في شيء من هذا ، وإنما هي كلمة مغلية أصلها «ياسة» ، فحرفها أهل مصر ، وزادوا بأولها سيناً فقالوا : «سياسة» ، وأدخلوا عليها الألف واللام ، فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية ، وما الأمر فيها إلا ما قلت لك^١ .

واستمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام . وذلك أن جنكيز خان ، القائم بدولة التتر في بلاد الشرق ، لما غلب الملك أونك خان ، وصارت له دولة ، قرّر قواعد وعقوبات اتبناها في كتاب سناه «ياسة» ، ومن الناس من يُسمّيه «يسق» ، والأصل في اسمه ياسة . ولما تمّ وضعه ، كتب ذلك نقشاً في صفائح الفولاذ ، وجعله شريعة لقومه ، فالتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم .

وكان جنكيز خان لا يتدين بشيء من أديان أهل الأرض - كما تُعرف هذا إن كنت أشرفت على أخباره - فصارت الياسة محكماً بئاً ، بقي في أعقابها لا يخرجون عن شيء من حكمه . وأخبرني القبط الصالح الداعي إلى الله تعالى أبو هاشم أحمد بن البرقان - رحمه الله - أنه رأى نسخة من الياسة بخزانة المكتبة المستنصرية ببغداد .

ومن جملته ما شرّعه جنكيز خان في الياسة أن من زنى قُتل - ولم يُفرق بين المحصن وغير المحصن ، ومن لاط قُتل ، ومن تعمّد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما

من المقالات حول ياسة جنكيزخان وتأثيراتها على دولة المماليك مع عرض للفقرة المطولة التي كتبها المقرري عن

Ayalon, D., «The Great Yasa, أحكام السياسة انظر», *SI* 33 of Chingiz Khân . A Re-examination», pp. 97-140; 34 (1971), pp. 150-180; 26 (1971), pp. 113-158; 32 (1973), pp. 107-56

وكتب مؤخرًا مورجان Morgan, D. O., «The Great Yasa of Chingiz Khân and Mongol Law in the Ilkhânate», *BSOAS* XLIX (1986), pp. 163-76.

^١ انظر أيضاً أبا الهاسن : الهجوم القاهرة ٣٦٥:٥ -

٣٦٧، ٢٦٨:٦، ١٨٢:٧-١٨٣.

وكان أول من اهتم بدراسة ياسة جنكيزخان وتأثيرها على دولة المماليك في مصر المستشرق بولياك الذي كتب في سنة ١٩٤٢ مقاله Poliak, A.N., «The Influence of Chigiz-Khan's Yasa upon the General Organization of the Mamluk state», *BSOAS* X (1940-42), pp. 862-76 ثم كتب ديفيد آبالون سلسلة

يَخَاصِمَانِ وَأَعَانَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ قُتِلَ ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ أَوْ عَلَى الزَّمَادِ قُتِلَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ
بِضَاعَةً فَخَسِرَ فِيهَا ثُمَّ أَخَذَ بِضَاعَةً أُخْرَى فَخَسِرَ فِيهَا ثُمَّ أَخَذَ بِضَاعَةً أُخْرَى فَخَسِرَ فِيهَا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ
بعد الثالثة ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَسِيرَ قَوْمٍ أَوْ كَسَاهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ قُتِلَ ، وَمَنْ وَجَدَ عَبْدًا هَارِبًا أَوْ أَسِيرًا قَدْ هَرَبَ
ولم يرْدهُ على من كان في يديه قُتِلَ .

- وَأَنَّ الْحَيَوَانَ تُكْتَفَى قَوَائِمُهُ وَيُسْقَى بَطْنُهُ وَيُرْسَ قَلْبُهُ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ثُمَّ يُؤْكَلُ لَحْمُهُ ، وَأَنَّ مِنْ ذَبْحِ
حَيَوَانًا كَذَبِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ذُبْحٌ ، وَمَنْ وَقَعَ حَمْلُهُ أَوْ قَوْسُهُ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَوْ يُفْزِ فِي حَالَةِ
الْقِتَالِ ، وَكَانَ وَرَاءَهُ أَحَدٌ ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ وَيُنَاولُ صَاحِبَهُ مَا سَقَطَ مِنْهُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْزِلْ وَلَمْ يَنَاولْهُ قُتِلَ .
وَشَرَطُ الْأَلَا يَكُونُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُؤْتَةٌ وَلَا كُفْلَةٌ ، وَأَلَا
يَكُونُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ ، وَلَا الْقُرَّاءِ ، وَلَا الْفُقَهَاءِ ، وَلَا الْأَطْيَاءِ ، وَلَا مِنْ غَدَاهُمْ مِنْ أَرْبَابِ
الْعُلُومِ وَأَصْحَابِ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَمُعْتَمِلِي الْأَمْوَاتِ كُفْلَةٌ وَلَا مُؤْتَةٌ . وَشَرَطُ تَغْضِيمِ جَمِيعِ
الْيَمْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْصُبٍ لِلْمَلَّةِ عَلَى أُخْرَى ، وَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

- وَالزَّمُ قَوْمَهُ الْأَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ يَدِ أَحَدٍ حَتَّى يَأْكُلَ الْمَنَاولَ مِنْهُ أَوَّلًا ، وَلَوْ أَنَّهُ أَمِيرٌ وَمَنْ يُنَاولُهُ
أَسِيرٌ . وَالزَّمُهُمُ الْأَلَا يَخْصُصُ أَحَدٌ بِأَكْلِ شَيْءٍ وَغَيْرِهِ نَرَاهُ ، بَلْ يُشْرِكُهُ مَعَهُ فِي أَكْلِهِ . وَالزَّمُهُمْ أَنْ لَا
يَتِمِّيزَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالشَّبَعِ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَلَا يَتَخَطَّى أَحَدٌ نَارًا وَلَا مَائِدَةً وَلَا الطَّبِيقَ الَّذِي يُؤْكَلُ
عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مَنْ مَرَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ يَأْكُلُونَ فَلَهُ أَنْ يَنْزِلَ وَيَأْكُلَ مَعَهُمْ مِنْ غَيْرِ إِذْنِهِمْ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَنَعُهُ .
وَالزَّمُهُمُ الْأَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْتَهُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْمَاءَ بِشَيْءٍ يَغْتَرِفُهُ بِهِ ، وَمَنَعُهُمْ مِنْ
غَسْلِ ثِيَابِهِمْ بَلْ يَلْبَسُونَهَا حَتَّى تَبْلَى ، وَمَنَعَ أَنْ يُقَالَ لَشَيْءٍ إِنَّهُ نَجِسٌ ، وَقَالَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ ،
ولم يُفَرَّقْ بَيْنَ طَاهِرٍ وَنَجِسٍ .

- وَالزَّمُهُمُ الْأَلَا يَتَقَصَّبُوا لَشَيْءٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ ، وَمَنَعُهُمْ مِنْ تَغْضِيمِ الْأَلْفَاظِ وَوَضْعِ الْأَلْقَابِ ، وَإِنَّمَا
يُخَاطَبُ السُّلْطَانُ وَمَنْ دُونَهُ وَيَدْعَى بِاسْمِهِ فَقَطْ .

- وَالزَّمُ الْقَائِمُ بَعْدَهُ بَعْرُوضُ الْقَسَاكِرِ وَأَسْلِيحَتِهَا إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى الْقِتَالِ ، وَأَنَّهُ يَعْزُضُ كُلُّ مَا سَافَرَ
بِهِ عَسْكَرُهُ ، وَيَنْظُرُ حَتَّى الْإِزْزَةِ وَالْحَفِيطَ ، فَمَنْ وَجَدَهُ قَدْ قَصُرَ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ غَرْضِهِ إِتَاهَ
عَاقِبَتِهِ ، وَالزَّمُ نِسَاءُ الْقَسَاكِرِ بِالْقِيَامِ بِمَا عَلَى الرِّجَالِ مِنَ السَّخَرِ وَالْكُلْفِ ، فِي مَثَدَةِ غَيْبَتِهِمْ فِي الْقِتَالِ ،
وَجَعَلَ عَلَى الْقَسَاكِرِ إِذَا قَدِمَتْ مِنَ الْقِتَالِ كُفْلَةً يَقُومُونَ بِهَا لِلْسُّلْطَانِ وَيُؤَدُّونَهَا إِلَيْهِ .

- وَالزَّمُهُمْ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ سَنَةٍ بَعْرُوضُ سَائِرِ بَنَاتِهِمْ الْأَبْكَارِ عَلَى السُّلْطَانِ لِيَخْتَارَ مِنْهُنَّ لِنَفْسِهِ
وَأَوْلَادِهِ . وَرَتَّبَ لِعَسَاكِرِهِ أَمْزَاءَ ، وَجَعَلَهُمْ أَمْزَاءَ أُلُوفٍ ، وَأَمْزَاءَ مِائِينَ ، وَأَمْزَاءَ عَشْرَاوَاتٍ . وَشَرَعَ

أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك أخس من عنده حتى يعاقبه ، فإنه يلقي نفسه إلى الأرض بين يدي الرسول وهو ذليل خاضع ، حتى يمضي فيه ما أمر به الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه .

وألزمهم ألا يتردد الأمراء لغير الملك ، فمن تردد منهم لغير الملك قُتِل ، ومن تَغَيَّر عن موضعه الذي يُرْسَم له بغير إذن قُتِل ، وألزم السلطان بإقامة البريد حتى يعرف أخبار مملكته بسرعة .
وجعل حكم الياسة لولده جغتاي بن جنكيز خان ؛ فلما مات التزم من بعده من أولاده وأتباعهم حكم الياسة كالتزام أول المسلمين لحكم القرآن ، وجعلوا ذلك ديناً لم يُعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه .

فلما كثرت وقائع الشر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبايق ، وأسروا كثيراً منهم وباعوهم ، تنقلوا في الأقطار . واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سباهم «البحرية» ، ومنهم من ملك ديار مصر ، وأولهم الميز أيك . ثم كانت لقطر معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهرم النار وأسز منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام .^١

ثم كثرت «الوافدية» في أيام الملك الظاهر بيبرس وملأوا مصر والشام ، وخطب للملك بركة ابن يوشى بن جنكيز خان على منابر مصر والشام والحرمين . فقصت أرض مصر والشام بطوائف المغل ، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم . هذا وملوك مصر وأمرأؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رغباً من جنكيز خان وبنه ، واشترج بلحمهم وديهم مهابتهم وتعظيمهم .^٢

وكانوا إنما رثوا بدار الإسلام ، ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل ، وضمو الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمر الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية ، كتداعي الزوجين وأزباب الديون ونحو ذلك . واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكيز خان والافتداء بحكم الياسة . فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه

^١ عن توافد «الوافدية» على الدولة المملوكية انظر ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ١٣٥-١٣٨؛ ومقال آيالون: Ayalon, D., «The Wafidiya and the Mamluk Kingdom», IC 25 (1951), pp. 89-104; Amitai - Preiss, R., *Mongols and Mamluks. The Mamluk - Ilkhanid War*, Cambridge 1995, pp. 106-118.

^٢ ناقش ديفيد آيالون الفقرة المطولة التي خصصها المقرئ هنا للحدث عن «باسة جنكيزخان» في مقاله Ayalon, D., «The Great Yâsa of Chingiz Khân - A Re-examination: Al-Maqrîzi's Passage on the Yâsa under the Mamluks», SI38 (1973), pp. 107-

من عوائدهم، والأخذ على يد قلوبهم وإنصاف الضعيف منه، على مقتضى ما في السياسة. وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية، عند الاختلاف في أمور الإقطاعات، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب، وكان من أجل القواعد وأفضلها. حتى تحكّم القبط في الأموال وخراج الأراضي، فشرعوا في الديوان ما لم يأذن به الله تعالى، ليصير لهم ذلك سبيلاً إلى أكل مال الله تعالى بغير حقّه. وكان مع ذلك يحتاج الحاجب إلى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الأمور.

هذا وسائر الحياء يومئذ مشدول، وظلّ القذلي صافٍ، وجناب الشريعة محترم، وناموس الحيشمة مهّاب. فلا يكاد أحد أن يزيع عن الحق، ولا يخرج عن قضيّة الحياء، إن لم يكن له وازع من دين كان له ناه من عقل. ثم تقلص ظلّ القذلي، وسفرت أوجه الفجور، وكثر الجور أنيابه، وقلت المبالاة وذهب الحياء والحيشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء. وتعدت منذ عهد الحين التي كانت في سنة ست وثمان مائة الحُجُباب، وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكماً خفيّ معه نور الهدى، وتسلطوا على الناس ممّتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم؛ ﴿لِيَذِقَ لَهُمْ نِقْمَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آية ٤١ سورة الروم].

وكان أوّل ما حكّم الحُجُباب في الدولة التركية بين الناس بمصر، أن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون استدعى الأمير شمس الدين آق شنقر الناصري - نائب طرابلس - ليؤيه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير سيف الدين بيغرا، أميراً حاجباً كبيراً يحكم بين الناس، فخلع عليه في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مائة، فحكّم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكمهم، وجلّس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبته الولاية بالأعمال ونحوهم، فاستمر ذلك. ثم رسم في جمادى الآخرة منها أن يكون الأمير رسلان يضل حاجباً مع بيغرا يحكم بالقاهرة/ على عادة الحُجُباب.

٢٢٢:١

فلما انقضت دولة الكامل بأخيه الملك المظفر حاجي بن محمد، استقر الأمير سيف الدين أرقطاي نائب السلطنة، فعاد أقر الحُجُباب إلى العادة القديمة إلى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين مجرجي الحجابة، في أيام السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون، فرسم له أن يتحدث في أقر^(٥) أرباب الديون ويفصلهم من غزائهم بأحكام السياسة. ولم

تَكُنْ عَادَةُ الْحُجَابِ فِيمَا تَقْدُمُ أَنْ يَحْكُمُوا فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ.

وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم للسلطان بدار العذل في أثناء سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة، وذكروا أنهم ما خرجوا من بلادهم إلا لكثرة ما ظلمهم التار وجاوزوا عليهم، وأن التجار بالقاهرة اشتروا منهم عدة بضائع وأكلوا أثمانها، ثم هم يثبتون على يد القاضي الحنفي إغسارهم وهم في سجنه، وقد أفلس بعضهم. فوسم للأمير مجزجي بإخراج غرمائهم من السجن، وتخلص ما في قتلهم للتجار، وأنكر على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله التركماني الحنفي ما عمله، ومنع من التخذت في أمر التجار والمدينين. فأخرج مجزجي غرماء التجار من السجن وعاقبهم، حتى أخذ للتجار ما لهم عندهم^١ شيئا بعد شيء. وتمكن الحجاب من حيلط أو الشحك على الناس بما شاءوا.

أمير جاندار

موضوع أمير جاندار^١ التسلم لباب السلطان، وله به^٢ البرددارية^٣، وطوائف الركابية، والخراسانية، والجاندارية. وهو الذي يُقدّم البريد إذا قديم مع الدوادار وكاتب السر، وإذا أراد السلطان تقرير أحد من الأمراء على شيء أو قتله بذنب كان ذلك على يد أمير جاندار. وهو أيضا المتسلم للرزخاناه، وكانت أرفع السجون قذرا ومن اغتيل بها لا تقول مدته بها، بل يقتل أو يُخلّى سبيله؛ وهو الذي يدور بالزفة حول السلطان في سفره مساء وصباحا^٤.

(a) يولات: أموالهم منهم. (b) يولات: ولرية. (c) يولات: الحرامانية.

^١ أمير جاندار. اسم يتألف من ثلاث كلمات: «أمير» العربية، و«جان» الفارسية والتركية ومعناها الروح، و«دار» الفارسية ومعناها محسك، فيكون المعنى الكلي «الأمير المحسك للروح»، قال القلقشندي: «ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبه». (صبح الأعشى ٤٦١:٥).

وانظر كذلك عن الوظائف التي استجدها الظاهر بيبرس وهي: إمرة سلاح - أمير تجليس - رأس نوبة - أمير آخور - أمير جاندار - نقابة الجيوش - أمير علم - الولاية - الحسبة، ابن لياس: بذائع الزهور ١/١-٣٢٣-٣٢٤.

^٢ البرددارية وواحدها برددار. هو الذي يكون في خدمة

^٣ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٧

القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٢٠، السيوطي: حسن -

الأشتاذار

(٥) كان^١ الأشتاذار^(٥) إليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خانا والحاشية والعلمان، وهو الذي كان يمشي بطلب السلطان في الشرحات والأشجار، وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره، وإليه أمور الجاشنكيرية - وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوي الميكن - وله أيضا الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من الثففات والكساوي وما يجري مجرى ذلك^٢.

ولم تزل رتبة الأشتاذار على ذلك حتى كانت الأيام الظاهرية بزقوق، فأقام الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصغر عنه أشتاذارا^٣، وناط به تدير أحوال المملكة، فتصرف في جميع ما يرجع إليه^(٥) أمر الوزير وناظر الخاص، وصارا يترددان إلى بابيه ويخضيان الأمور برأيه. فجعلت من حيث لا رتبة الأشتاذار بحيث أنه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء سيما إذا اعتبرت حال الأمير جمال الدين يوسف الأشتاذار في الأيام الناصرية فرج بن بزقوق، كما ذكرناه عند ذكر المدارس من هذا الكتاب^٤، فإنك تجده إنما كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذ أمره في سائر أحوال المملكة. واستقر ذلك لمن ولي الأشتاذارية من بعده، والأمر على هذا إلى اليوم.

(٥-٥) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: إلى.

لقيض المال. (القلقشندي: صبح الأعشى ٥: ٤٥٧، وقارن مع حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ٣٩-٤٠ وما ذكر من مراجع).

^٢ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٥٧-٥٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ٢٠؛ السبكي: معيد النعم ٢٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣١.

^٣ انظر عنه فيما يلي ٢: ٣٩٥-٣٩٧.

^٤ فيما يلي ٢: ٤٠٢-٤٠٣.

= المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٩٥-١٩٨؛ ماجد: نظم سلاطين الممالك ٤٨-٤٩، وفيما تقدم ٢: ٣٨، ٢٠٠).

^١ هكذا وردت في أغلب المصادر، ونكه القلقشندي إلى أنها «الإشتاذار» بكسر الهمزة، وهو مركب من لفظين فارسيين: «اشتد» بمعنى الأخذ، و«الذار» بمعنى المضيف؛ فأدغمت الدال الأولى - وهي المعجمة - في الثانية - وهي المهملة فصار: اشتكلر، والمعنى: المتولي للأخذ، لأنه المتولي

أَمِيرُ سِلَاح

هذا الأَمِيرُ هو مُقَدِّمُ السِّلَاح دارية، والمتولَّى لِحَمْلِ سِلَاح السُّلْطَان فِي الْمَجَامِعِ الْجَامِعَةِ، وَهُوَ الْمُتَحَدِّثُ فِي السِّلَاح خَانَاهُ وَمَا يَسْتَعْمَلُ بِهَا وَمَا يُقَدِّمُ إِلَيْهَا وَيُطْلَقُ مِنْهَا^١، وَهُوَ أَبَدًا مِنْ أَمْرَاءِ الْمَجِينِ^٢.

الدَّوَادِر

وَمِنْ عَادَةِ الدَّوَلَةِ أَنْ يَكُونَ بِهَا مِنْ أَمْرَائِهَا مَنْ يُقَالُ لَهُ «الدَّوَادِر». وَمَوْضُوعُهُ لَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ عَنِ السُّلْطَانِ وَإِبْلَاحِ عَائِمَةِ الْأُمُورِ، وَتَقْدِيمِ الْقِصَصِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَالْمُشَاوَرَةِ عَلَى مَنْ يَخْضُرُ إِلَى الْبَابِ وَتَقْدِيمِ الْبَرِيدِ هُوَ وَأَمِيرُ جَانْدَارٍ وَكَاتِبُ السِّرِّ. وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّمُ إِلَى السُّلْطَانِ كُلَّ مَا تُؤْخَذُ عَلَيْهِ «الْعَلَامَةُ السُّلْطَانِيَّةُ» فِي الْمُنَاشِيرِ وَالتَّوَاقِيعِ وَالْكَتُبِ، وَكَانَ يَخْرُجُ عَنِ السُّلْطَانِ بِمَرْسُومٍ مِمَّا يُكْتَبُ، فَيُعَيِّنُ رِسَالَتَهُ فِي الْمَرْسُومِ^٣.

وَاحْتَلَفَتْ أَرْزَاءُ مُلُوكِ الثُّوَكِ فِي الدَّوَادِرِ: فَتَارَةً كَانَ مِنْ مِجْمَعَةٍ^٤ أَمْرَاءِ الْعَشْرَاوَاتِ وَالطَّبَلَخَانَاهِ، وَتَارَةً كَانَ مِنْ أَمْرَاءِ الْأَلُوفِ. فَلَمَّا كَانَتِ الْأَيَّامُ الْأَشْرَفِيَّةُ شَعْبَانُ بْنُ حُسَيْنَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ، وَلِيَّ الْأَمِيرِ أَقْتَمَرَ الْحَبْلِيَّ وَظَيفَةَ الدَّوَادِرِيَّةِ - وَكَانَ عَظِيمًا فِي الدَّوَلَةِ - فَصَارَ يُخْرِجُ الْمَرَامِسِمَ السُّلْطَانِيَّةَ بِغَيْرِ مُشَاوَرَةٍ كَمَا يُخْرِجُ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ، وَيُعَيِّنُ فِي الْمَرْسُومِ أَنَّ ذَلِكَ^٥ كُتِبَ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ، وَأَقَامَ الْأَشْرَفُ عِوَضَهُ الْأَمِيرَ طَاشَقْمَرُ الدَّوَادِرِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَكْبَرِ أَمْرَاءِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: إذ ذاك أنه.

^١ انظر فيما تقدم ٢٩٥ هـ.

^٢ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبيصار ٥٨

القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٩، ٥: ٤٦٢؛ السبكي:

معيد النعم ٢٥، وانظر كذلك أبو المحاسن: النجوم الزاهرة

٧: ١٨٥؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن

الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٩-٥٣٥؛ ماجد:

نظم سلاطين المماليك ٢: ٤٦؛ Ayalon, D., *Et* art, ١٩٦٧-78.

Dawādār II, pp. 177-78.

^٣ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبيصار ٥٨

القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٨، ٥: ٤٥٦؛ السبكي:

معيد النعم ٣٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٨٤-

١٨٧، السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ١٣١؛ حسن الباشا:

الفنون الإسلامية والوظائف ٢٢٥-٢٢٧.

وعنا على هامش (ص): «ثم أتهم أميرًا شاذًا للسلاح خاناه يذمى زردكاشًا كبيرًا يتولَّى ذلك مع رُتبته».

الألوف . فافتدى به الملك الظاهر بَرَقوق ، وجعل الأمير يونس الدوادار من أكبر أشراف الألوف ، فعظمت منزلته وقويت مهابته .

ثم لما عادت الدولة الظاهرية بعد زوالها ، ولي الدوادارية الأمير بوطا ، فتحكم تحكما زائدا عن المعمود في الدوادارية ، وتصرف كتصرف الثواب ، وزلى وعزل ، وحكم في القضايا المغضلة . فصار ذلك من بعده عادة لمن ولي الدوادارية سيما لما ولي الأمير يشبك والأمير جكم الدوادارية في أيام الناصر قزج ، فإنهما تحكما في جليل أمور الدولة وحقيرها من المال والتريد والأحكام والعزل والولاية . وما يرفع الحال على هذا في الأيام الناصرية ، وكذلك الحال في الأيام المؤيدة يقارب ذلك .

نقابة الجيش

- ١٠ هذه الرتبة كانت في الدولة التوكية من الرتب الجليلة ، ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار ، وله تحلية الجند في عرضهم ، ومعه يمشي الثقباء . فإذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب أميرا أو مجنديا ، كان هو المخاطب في الإرسال إليه ، وهو الملزوم بإحضاره . وإذا أمر أحد منهم بالترسيم على أمير أو مجندي ، كان نقيب الجيش هو الذي يرسم عليه . وكان من رسمه أنه هو الذي يمشي بالخرافة^(a) السلطانية في الموكب حالة الشرحة وفي مدة الشفر^١ .
- ١٥ ثم انحطت اليوم هذه الرتبة ، وصار نقيب الجيش عبارة عن كبير الثقباء المعدن لتوزيع خلق الله ، وأخذ^(b) الأموال من الناس على سبيل القهر^(b) عند طلب أحد إلى باب الحاجب . ويضيفون إلى أكليهم أموال الناس بالباطل افتراءهم على الله الكذب ، فيقولون على المال الذي يأخذونه باطلا : هذا حق الطريق ، والويل لمن نازعهم في ذلك . وهم أخذ أشباب خراب الإقليم ، كما تبين في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الأشباب التي أوجبت خراب الإقليم^٢ .

(a) بولاق : بالخرافة . (b-b) بولاق : أخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٨-٥٩ والوظائف ١٢٩٨-١٣٠٠ .

القلقشندي : صبح الأعشى ٢١: ٢٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣٠ حسن الباشا : الفنون الإسلامية ٥٤: ١ .
^٢ لم يصل إلينا هذا الفصل ، وانظر مقدمة الجزء الأول .

الولاية

. وهي التي يُسمِّيها السُّلُفُ الشُّرُوطَةَ^١، وبعضهم يقول صاحبُ القَسَسِ . والقَسَسُ : الطُّوْفُ بالليل لشيخ أهل الرُّبْع ، يقول : عَمَّ يَعْشُ عَشًا وَعَسَسًا . وَأَوَّلُ من عَمَّ بالليل عبدُ الله ابن مسعود - رضي الله عنه أمره أبو بكر الصِّديق - رضي الله عنه - بعَمَّ المَدِينَةَ .

٥ خَرَجَ أبو داود ، عن الأَعْمَشِ ، عن زَيْدٍ قال : أتَى عبد الله بن مسعود فقيل له : هذا فلان تَقْطُرُ لحيتَه تحمراً ، فقال عبد الله : إنا قد نُهِينَا عن التَّجَسُّسِ ، ولكن إن يَظْهَرُ لنا شيءٌ نأخذ به .
وَذَكَرَ الثُّغَلَيْي عن زَيْدٍ بن وهب أنه قال : قيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عُقْبَةَ تَقْطُرُ لحيتَه تحمراً؟ فقال : إنا قد نُهِينَا عن التَّجَسُّسِ ، فإن ظَهَرَ لنا شيءٌ نأخذ به .
وكان عَمْرُو بن الخطَّاب - رضي الله عنه - يتولَّى في خِلافتِه القَسَسَ بنفسه ، ومعه مَوْلَاةٌ أَشْلَمَ - رضي الله عنه - ، ورُبَّمَا اسْتَضْحَبَ معه عبد الرحمن بن عَوْف .

١٠

قاعة الصَّاحِبِ

(a) ٢

وكانت وَظِيفَةُ الوِزَارَةِ أَجَلَ رُتَبِ أَرْبابِ الأَقْلَامِ ، لأنَّ مُتَوَلِّيها ثاني السُّلْطَانِ إِذَا أَنْصَفَ وَغَرِفَ حَقَّهُ ؛ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ قَدَّمُوا رُتْبَةَ الثَّابِتَةِ عَلَى رُتْبَةِ^(b) الوِزَارَةِ ، فَتَأَخَّرَتْ الوِزَارَةُ حَتَّى قَعِدَ بها مَكَائِهَا ، وَوَلَّيَهَا فِي الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ أَنَاثٌ من أَرْبابِ السُّيُوفِ وَأَنَاثٌ من أَرْبابِ الأَقْلَامِ^٣ ، فَصَارَ

١٥

(a) على هامش أباصوفيا : بياض عشرة أسطر . (b) ساقطة من بولاق .

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٥٩ .

وعن الوزارة في العصر المملوكي البحري بصفة خاصة ،
راجع Chapoutot - Remadi, M., «Le vizirat sous les premiers Mamluks», *Actes du XXX^e Congrès International des Orientalistes - Etudes arabes et islamiques*, Paris 1975, I, pp. 58-62; id., «Le vizirat en Égypte à l'époque =mamluke», *Revue Tunisienne de Sciences*

ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٥٩ .

^٢ لم يُحدِّد المقرئ ، أو أي مُضَلِّبٍ آخر ، موقع قاعة الصَّاحِبِ من القُلَّةِ ، وَوَضَّحَ لنا نَحْنُ آخر للمقرئ في السلوك ٢ : ٢٦ ، ٤٦ أنها كانت مجاورة لدار الثَّابِتَةِ ، التي كانت تقع تجاه الإيوان بالجانب الآخر من باب القُلَّةِ ، أي بالجانب الذي يوجد داخل سور صلاح الدِّين . (انظر كذلك ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ٨٧ : ٢/ ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٣٣٦) .

الوزير إذا كان من أرباب الأقاليم يُطلق عليه اسم «الصَّاحِب» ، بخلاف ما إذا كان الوزير^(a) من أرباب الشيوف فإنه لا يُقال له الصَّاحِب .

وأصل هذه الكلمة في إطلاقها على الوزير أن الوزير إسماعيل بن عباد كان يَصْصَحُ مؤيِّد الدولة أبا منصور يؤيه بن رُكن الدولة الحسن بن يؤيه الدَّيْلَمي صاحب بلاد الرِّي . وكان مؤيِّد الدولة شديد الميل إليه والمحبة له فسماه «الصَّاحِب» ، وكان الوزير حينئذ أبو الفتح علي بن العميد يُعاديهِ لشدَّة تمكُّنه من مؤيِّد الدولة ، فخلَّص الوزراء بعد ابن عباد بالصَّاحِب . ولا أعلمُ أحدًا من وزراء خلِّفاء بني العبَّاس ، ولا وزراء الخلفاء الفاطميين ، قيل له الصَّاحِب .

وقد جمعتُ في وزراء الإسلام كتابًا جليل القدر ، وأفردت وزراء مصر في تصنيف بديع^١ .
والذي أعرف أن الوزير صفيي الدين عبد الله بن سُكَّر - وزير العادل والكايل من ملوك مصر من بني أيُّوب - كان يُقال له الصَّاحِب ، وكذلك مَنْ بعده من وزراء مصر إلى اليوم .

وكان وَضَعُ الوزير أنه أُقيم لنفاذ كَلِمَتِهِ^(b) وتَمَامُ تصرُّفه . غير أنها انْحَطَّتْ عن ذلك بنبائة السُّلْطَنَة ، ثم انْقَسَم ما كان للوزير إلى ثلاثة : هم النَّاظِرُ في المال ، وناظِرُ الخاص ، وكَاتِبُ السِّرِّ فإنه يوقِّع في دار العدل ما كان يوقِّع فيه الوزير بمشاورة واستئْذال^٢ .

ثم تَلَاَسَتْ الوِزَارَةُ في الأَيام الظَّاهِرِيَّة بِزُفُوقِ مَا أَخَذَتْهُ مِنَ «الدِّيوان المُفْرَد» . وذلك أنه لما وَلِيَ السُّلْطَنَة أَفْرَدَ إقْطَاعَهُ لِمَا كَانَ أَمِيرًا قَبْلَ سُلْطَنَتِهِ ، وَجَعَلَ لَهُ دِيوَانًا سَمَّاهُ «الدِّيوان المُفْرَد» ، وَأَقَامَ فِيهِ نَازِلًا وَشَاهِدِينَ وَكُتَّابًا ، وَجَعَلَ مَزْجِعَ هَذَا الدِّيوان إِلَى الْأُسْتَاذِ ، وَصَرَفَ مَا يُمْتَصِّلُ مِنْهُ فِي جِوَامِكِ تَمَالِيكِ اسْتَجْدَها شَيْعًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى بَلَغَتْ خَمْسَةَ آلَافِ تَمْلُوكِ ، وَأَضَافَ إِلَى هَذَا الدِّيوان كَثِيرًا مِنْ أَعْمَالِ الدِّبَارِ الْمِصْرِيَّة . وبذلك قَوِيَ جَانِبُ الْأُسْتَاذِ وَضَعُفَتِ الوِزَارَةُ ، حَتَّى

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : كلمة السلطان .

^١ هو كتاب «تلفيح العقول والآراء في أخبار الخِلافة الوُزَّارَة» (فيما تقدم ٤٥٢:٢) . ولم يصل إلينا للأسف هذا الكتاب .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأَبْصار ٥٩ - ٦٠ .

Sociales 40-43 (1975), pp. 87-120; Abd ar-Râziq, A., «Le vizirat et les vizirs de l'Égypte au temps des Mamluks, An. Isl. XVI (1980), pp. 183-239; حمود بن محمد النجدي : «التطور الوزاري

في مصر المملوكية» ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٣ (رجب ١٤١٩هـ) ، ٢٦١ - ٣٤٩ .

صار الوزير قُصارى نظره التحدث في أمر المكوس ، فيشتخرجها من جهاتها ، ويصبرُها في ثمن اللحم وخوايج المطبخ وغير ذلك .

ولقد كان الوزير الصاحب سَعْدُ الدِّين نَصْرُ الله بن البُقْري يقول : الوزارة اليوم عبارة عن خوايج كاش غُش يشتري اللحم والخطب وخوايج الطعام ، وناظر الخاص غلام صلف يشتري الحرير والسُّنْجَاب والصُّوف والنُّصافي ، وأما ما كان للوزراء ونظار الخاص في القديم فقد بطل .
ولقد صدقَ فيما قال ، فإنَّ الأمر على هذا .

وما رأينا الوزارة من بعد انحطاط رُتبتها يرتفع قدر مُتَوَلِّيها إلا إذا أُضيفت إلى الأُستادارية ، كما وَقَعَ للأمير بحمال الدِّين يوشف الأُستادار والأمير فخر الدِّين عبد الغني بن أبي الفرج ^١ . وأما من وَلِيَ الوزارة بمفردها - سَيِّما من أرباب الأقلام - فإنَّما هو كاتب كبير يتردد ليلاً ونهاراً إلى باب الأُستادار ، ويتصرف بأمره ونَهْيهِ .

٢٢٤:٢ وحقيقة الوزارة اليوم/ أنَّها انقسمت بين أربعة ، وهم : كاتب السُّر ، والأُستادار ، وناظر الخاص ، والوزير . فأخذَ كاتب السُّر من الوزارة التَّوَقُّع على القِصَص بالولايات ، والعزل ونحو ذلك في دار العدل وفي داره . وأخذَ الأُستادار التَّصَرُّف في نواحي أرض مصر ، والتَّحَدُّث في الدَّواوين السُّلْطانية ، وفي كُشَّاف^٢ الأقاليم وولاية النواحي ، وفي كثير من أمور أرباب الوظائف . وأخذَ ناظر الخاص جانباً كبيراً من الأموال السُّلْطانية ليصرفها في تعلقات الخِزَانة السُّلْطانية .

٢٠ وبقي للوزير شيءٌ يسيرٌ جدّاً من النواحي ، والتَّحَدُّث في المكوس وبعض الدَّواوين ، ومصارف المطبخ السُّلْطاني والسُّواقِي ، وأشياء أُخَر . وإليه مَرَجِع ناظر الدَّوْلَة ، وشادَّ الدَّواوين ، وناظر بيت المال ، وناظر الأَهْرَاء ، ومُسْتَوْفي الدَّوْلَة ، وناظر الجِهات . وأما ناظر البيوت وناظر الإِسْطِبلات فإنَّ أمرَهما يرجع إلى غيره .

(a) بولاق : كشف .

^١ هو صاحبُ جامع الفُخْري المعروف الآن بهجامع البَنات الواقع بشارع بورسعيد شمال محكمة باب الخلق (فيما يلي

نَظَرُ الدَّوْلَةِ

هذه الوظيفة يُقالُ لمتوليها «ناظرُ الشُّطَّارِ»، ويُقالُ له «ناظرُ المال»، وهو يُعرف اليوم بـ«ناظر الدولة»، وتلي رُتبته رُتبة الوزارة. فإذا غاب الوزير أو تعطلت الوزارة من وزير، قام ناظر الدولة بتدبير الدولة، وتقدم إلى شاذَّ الدواوين بتحصيل الأموال وصرفَ هو^٥ النفقات والكُلف. واقتصر الملكُ الناصرُ محمد بن قلاوون على ناظر الدولة مُدَّة أعوامٍ من غير تولية وزير، ومنشئاً أمورَ الدولة على ذلك حتى مات.

ولابد أن يكون مع ناظر الدولة مُستوفون يَضبطون كُليات المملكة وجزئياتها. ورأس المُستوفين «مُستوفي العُشبة» وهو يتحدَّث في سائر المملكة مبصراً وشاماً، ويكتب مراسيم يُعلم عليها السلطان: فتكون تارة بما يُعْمَل في البلاد، وتارة بالإطلاقات، وتارة باستِخدامات^٦ كُتَّاب في صغار الأعمال ومن هذا النُحو وما يجري مجراه، وهي وظيفة جليلة تلي نَظَرُ الدولة. وبقية المُستوفين كلٌّ منهم حديثه مُقيَّد لا يتعدَّى حديثه قُطْراً من أقطار المملكة.

وهذا الديوانُ - أغني ديوان النَظَر - هو أرفعُ دواوين المال، وفيه تُثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكلُّ ديوانٍ من دواوين المال إنما هو فَرْعٌ هذا الديوان، وإليه يَرْفَعُ حسابُه وتتناهى أَسْبَابُه، وإليه يرجعُ أمرُ الإstimار الذي يشتمل على أَرْزاق ذوي الأَقلام وغيرهم مُياومةً ومُشاهرةً ومُسانهةً من الرُواتب^١.

وكانت أَرْزاقُ ذوي الأَقلام مُشاهرةً من مبلغ عَينٍ وغَلَّةٍ، وكان لأَعْيَانِهِم الرُواتبُ الجارية في اليوم من اللحم بتوايله أو غير توايله، والخُبْز والعَلِيق للدوابِّهم، وكان لأَكَابِرِهِم الشُّكْر والشُّفْع والزُّيْت والكُسوة في كلِّ سنة والأُضحية، وفي شهر رَمَضَانَ الشُّكْر والحُلُوى. وأكثرهم نَصيباً الوزير، وكان مغلُومُه في الشَّهر مائتين وخمسين ديناراً جَيِّشِيَّةً^٢ مع الأَصناف المذكورة والغَلَّة وتُجَلِّظ نظير المعلوم، ثم ما دون ذلك من المعلوم لمن عدا الوزير، وما دون دونه.

(a) بولاق: وصرفها في. (b) بولاق: باستخدامهم.

^١ انظر عن معنى الإstimار، فيما تقدم ٣٢٣:٢هـ.

^٢ الدِّينَارُ الجَيْشِيُّ. اصطلاح تمازف على استعماله ديوان ٢٢٢:١هـ. نَحَدُّ لِكُلِّ إقطاع عِيْرة دنانير مِجَّة، =

وكان مغلوم القضاة والعلماء أكثره خمسون ديناراً في كل شهر، مضافاً لما بيدهم من المدارس التي يستدرون من أوقافها .

وكان أيضاً يُصَرَّف على سبيل الصدقات الجارية والرواتب الدائرة على جهات ما بين مبلغ وعلة وخبر ولحم وزيت وكسوة وشعير، هذا سوى الأرض من التواحي التي يُعرف المرتب عليها بـ «الرزق»^١ الأخبائية^٢.

وكانوا يتوزعون هذه المرتبات ابتداءً عن أب، ويترتها الأخ عن أخيه، وابن العم عن ابن العم، بحيث أن كثيراً ممن مات وخرج إدارته من مرتبه لأجنبي، لما جاء قريبه وقدم قصته يذكر فيها أولوبته بما كان لقريبه، أعيد إليه ذلك المرتب ممن كان خرج باسمه .

نَظَرُ الْبُيُوتِ

كان من الوظائف الجليلة، وهي وظيفة متوليها متوط بالاشتادار فكل ما يتحدث فيه اشتادار السلطان فإنه يُشارِكه في التحدث، وهذا كان أيام كَوْنِ الْأَشْتَادَارِ وَنَظَرِهِ لَا يَتَعَدَّى بِيُوتِ

(a) يولاق : الأرزاق .

والرزق من هذا النوع تتحل بالقرض أصحابها . أمّا «الرزق» الأخبائية فهي الأراضي المؤتدة الموقوفة والتي يُتَصَّ على صُروف ريعها على المساجد والخواصق والرباطات والأضرحة وغيرها من الجهات الخيرية، للقيام بمصالحها ودوام عمارتها والصُروف على القائمين بإدارتها، وتضطر عن ديوان الأخباس . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ٥٣٠هـ) . وهناك نوع آخر من الرزق يُعرف بـ «الرزق الجيشية» تضطر عن ديوان الجيش تحت إشراف ديوان الأخباس، إلى الأتراء الذين أقتدهم المرض أو كبر السن عن أداء واجباتهم الخيرية المرتبطة بالإقطاع، أو إلى الأمراء الذين غضب عليهم السلطان واستولى على إقطاعاتهم ثم عفا عنهم، ويعرف هؤلاء الأمراء باسم «الطُرخان» . وهذه الرزق مؤقتة يستفيد منها الطُرخان طوال حياته فقط ولا تُورث . (محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٠٩-١١٠) .

= فلذلك كان من الممكن أن يكون متحصل مائة دينار في إقطاع ما أكثر من متحصل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر . وهو أيضاً مسقى قيمته ثلاثة عشر درهماً وثلث درهم ثغرة، أو أربعون درهماً سوداً، الدرهم منها ثلث درهم من الثغرة . (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبهصار ١٤ : القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٣٨ ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٦٩ طرخان : النظم الإقطاعية ١٥٢٥ : Rabie, H., op.cit., pp. 119-50; Cooper, R. S., «A Note on the Dinar (Jayshî), JESHO 16 (1973), pp. 317-18

^١ الرزق الأخبائية . الرزق هي أراضي زراعية كان الخلفاء والملوك والشلاطين يمنحونها بمقتضى حاجج شرعية أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الناس على سبيل الإحسان والإنعام «رزقة بلا مال» . وتنوعت هذه الرزق في العصر المملوكي، فمنها ما لا يُتَصَّ على أنه وقف فيُصرف ريعه إلى مستحقه،

السلطان وما تقدم ذكره . فأما منذ عَظُمَ قَدْرُ الْأَسْتَاذَارِ وَنَفَذَتْ كَلِمَتُهُ فِي جُمْهُورِ أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ ، فَإِنَّ نَظَرَ الْبُيُوتِ الْيَوْمَ شَيْءٌ لَا مَعْنَى لَهُ ^١ .

نَظَرُ بَيْتِ الْمَالِ

- كان وَظِيفَةُ جَلِيلَةٍ مَعْتَبَرَةً . وموضوع مُتَوَلِّيْهَا التَّحَدُّثُ فِي حُمُولِ الْمَمْلَكَةِ مَصْرًا وَشَامًا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وفي صَرَفٍ مَا يُصَرِّفُ مِنْهُ تَارَةً بِالْمِيزَانِ ^(أ) وَتَارَةً بِالتَّغْنِيبِ بِالْأَقْلَامِ ^٢ .
- وكان أَبَدًا يُصْعَدُ نَاطِرُ بَيْتِ الْمَالِ وَمَعَهُ شُهُودُ بَيْتِ الْمَالِ وَصِيْرُ بَيْتِ الْمَالِ وَكَاتِبُ بَيْتِ ^(ب) الْمَالِ ، إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ . ويجلس فِي بَيْتِ الْمَالِ فَيَكُونُ لَهُ هُنَاكَ أَفْرٌ وَنَهْيٌ وَحَالٌ جَلِيلَةٌ ، لِكثْرَةِ الْحُمُولِ الْوَارِدَةِ ، وَخُرُوجِ الْأَمْوَالِ الْمَصْرُوقَةِ فِي الرُّوَايَبِ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ . وكانت أَثَرًا عَظِيمًا بِحَيْثُ أَنَّهَا بَلَغَتْ فِي السَّنَةِ ^(ج) أَرْبَاعَ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ .
- وكان لَا يَلِي نَظَرَ بَيْتِ الْمَالِ إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ ذَوِي الْعَدَالَاتِ الْمُبْرَزَةِ ^٣ ، ثُمَّ تَلَاشَى الْمَالُ وَبَيْتِ الْمَالِ ، وَذَهَبَ الْأَسْمُ وَالْمَسْئَى ، وَلَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ مَوْضِعُ ^(د) بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَلَا يُنْذَرُ مِنْ نَاطِرِ بَيْتِ الْمَالِ مِنَ النَّاسِ ^(د) .

نَظَرُ الْإِسْطَبْلَاتِ

- هذه الْوَظِيفَةُ جَلِيلَةٌ الْقَدْرُ إِلَى الْيَوْمِ ، وموضوعها الْحَدِيثُ فِي أَمْوَالِ الْإِسْطَبْلَاتِ وَالْمُنَاحَاتِ وَعَلِيقِهَا ، وَأَرْزَاقُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْتَعْدِمِينَ ، وما بها مِنَ الْأَسْتِعْمَالَاتِ وَالْإِطْلَاقِ ، وَكُلُّ مَا يُبْتَاعُ لَهَا أَوْ يُبْتَاعُ بِهَا ^٤ . وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَجْدَّهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ زَادَ فِي رُتْبَتِهِ

(أ) بولاق : بالوزن . (ب) ساقطة من بولاق . (ج) هذه العبارة من نسخة أباصوفيا . (د) بياض أباصوفيا .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٥٧ ، ١٦١
القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣١ ، ١١ : ٣٤٢ - ٣٤٥
السبوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣٢ .
^٢ نفسه ١٦٢ نفسه ٤ : ٣١ ، ٢ : ١٣٢ .
^٣ نفسه ١٦٢ نفسه ٤ : ٣١ .
^٤ نفسه ١٦٢ نفسه ٤ : ٣١ .
٢ : ١٣٢ : ١١٨٢ - ١١٨٣ . ويُعْرَفُ صَاحِبُ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ بِأَمِيرِ
أَنْحُورٍ . (انظر فيما تقدم ٢ : ٤٥٧ - ٤٥٨ هـ) .

أَمِيرًا حُور، واعتنى/ بالأوجاقية والعرب الركابة. وكان أبوه المَنصور قلاوون يرغب في خيل بَزَقَة أكثر من خيل العرب، ولا يُعرف عنه أنه اشترى قَرَسًا بأكثر من خمسة آلاف درهم، وكان يقول: خَيْلُ بَزَقَة نافعة، وخَيْلُ الْعَرَبِ زينة، بخلاف النَّاصِر محمد فإنه شَفِيفٌ بِاشْتِدَاءِ الْخَيُْولِ من عَرَبِ آلِ مُهَنَّأ وآلِ فَضْلٍ وغيرهم، وبسببها كان يُبالغ في إكرام العرب، ويُوعِّبهم في أثمان خيولهم حتى يخرج عن الحد في ذلك.

فكثرت رَغْبَةُ آلِ مُهَنَّأ وغيرهم في طَلَبِ خَيُْولٍ من عداهم من الغزيان، وتبعوا عِتَاقَ الْخَيْْلِ من مظائنها، وسمَّحوا بدفع الأثمان الزائدة على قيمتها، حتى أتتهم طوائفُ الْعَرَبِ بكرائم خيولهم. فتمكَّنت آلُ مُهَنَّأ من السُّلطان، وبلغوا في أيامه الرُّتَبَ العلية. وكان لا يحب خيول بَزَقَة، وإذا أخذ منها شيئاً أعده للفرقة على الأمراء البراثين، ولا يشتمح بخيول آلِ مُهَنَّأ إلا لأعزَّ الأمراء وأقرب الخاصكية منه.

وكان خبيد المعرفة بالخيول شياتها وأنسائها، لا يزال يذكر أسماء من أحضرها إليه ومبلغ ثمنها. فلما اشتهر عنه ذلك، جلب إليه أهلُ البخرين والحساء والقُطيف وأهلُ الحجاز والعراق كرائم خيولهم، فدفع لهم في الفرس من عشرة آلاف درهم إلى عشرين إلى ثلاثين ألف درهم: عنها ألف وخمس مائة مثقال من الذهب سوى ما يُنعم به على مالِكِه من الثياب الفاخرة له ولنسيائه، ومن الشكر ونحوه، فلم تَبَقْ طائفةٌ من العرب حتى قاذت إليه عِتَاقَ خَيْْلِهَا.

وبلغ من رَغْبَةِ السُّلطان فيها أنه صرفَ في أثمانها دَفْعَةً واحدةً، من جهة كريم الدين ناظر الخاص، ألف ألف درهم في يومٍ واحدٍ، وتكرَّرَ هذا منه غير مرة، وبلغ ثمنُ الْفَرَسِ الواحد من خيول آلِ مُهَنَّأ الستين ألف درهم والسبعين ألف درهم، واشترى كثيرًا من الحُجُورَة بالثمانين ألفًا والتسعين ألفًا، واشترى بنتَ الْكَرْمَاء^(٥) بمائة ألف درهم: عنها خمسة آلاف مثقال من الذهب، هذا سوى الإنعامات بالضياع من بلاد الشام.

وكان من عِنايَتِهِ بِالْخَيْْلِ لا يزال يتفَقَّدُها بنفسه. فإذا أصيب منها فَرَسٌ أو كَبِيرٌ سيئه، يَتَمَتُّ به إلى الْحِشَارِ^١. وتُزَيُّ الْفُحُولُ المعروفة عنده على الْحُجُورَة بين يَدَيْهِ، وكُتَّابُ الْإِسْطِيلِ تُوَرِّخُ تاريخ

(٥) بولاق: الكرشاء.

^١ الحِشَار. صاحب مَزَج الخيل. والحِشَارُ أن تنزو خيلك فترعاهما أمام بيتك. (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٤٦٦).

نَزَوِهَا ، وَاسْمَ الْحِصَانِ وَالْحُجْرَةِ . فَتَوَالَّدَتْ عِنْدَهُ نُحْيُولٌ كَثِيرَةٌ اعْتَنَى بِهَا عَنِ الْجَلَبِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ فِي مَثَرَةٍ مَا يُجَلَبُ مِنْهَا . وَبِهَذَا ضَحُخَتْ سَعَادَةُ آلِ مُهْنًا . وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَضِيَاعُهُمْ ، فَعَزَّ جَانِبُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ ، وَهَاتِبُهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ .

وَبَلَغَتْ عِدَّةُ نُحْيُولِ الْجَشَارَاتِ فِي أَيَّامِهِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافِ فَرَسٍ ، وَكَانَ يَرْضَاهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ وَيُزَوِّجُ أَوْلَادَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيُسَلِّمُهَا لِلْمُزَيَّانِ الرَّكَّابَةِ ، وَيُنْعِمُ عَلَى الْأَمْزَاءِ الْخَاصَّكِ بِأَكْثَرِهَا ، وَيَبْتَئِجُ بِهَا ، وَيَقُولُ : هَذِهِ فُلَانَةُ بِنْتُ فُلَانٍ ، وَهَذَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانَةٍ ، وَعَمْرُهُ كَذَا ، وَشِرَاءُ أُمِّ هَذَا كَذَا وَكَذَا .

كَانَ لَا يَزَالُ يُؤَكِّدُ عَلَى الْأَمْزَاءِ فِي تَضْمِيرِ الْخِيُولِ ، وَيُلْزِمُ كُلَّ أَمِيرٍ أَنْ يُضْمِرَ أَرْبَعَةَ أَفْرَاسٍ ، وَيَتَقَدَّمَ لِأَمِيرٍ آخَرٍ أَنْ يُضْمِرَ لِلشَّلْطَانِ عِدَّةً مِنْهَا ، وَيُؤَصِّبُهُ بِكُتْمَانِ خَبَرِهَا ، ثُمَّ يُشِيعُ أَنَّهَا لَايَدْعُمُشْ أَمِيرَ آخَرَ ، وَيُرْسِلُهَا مَعَ الْخَيْلِ فِي خَلْبَةِ السَّبَاقِ خَشِيَةَ أَنْ يَسْبِقَهَا فَرَسٌ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْزَاءِ فَلَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَا يَطْبِقُ شَيْقًا يُنْقِصُ مُلْكَهُ . وَكَانَ السَّبَاقُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِمَيْدَانِ الْقَبِيحِ يَنْزِلُ بِنَفْسِهِ ^١ ، وَتَحْضُرُ الْأَمْزَاءُ بِخِيُولِهَا الْمُضْمَرَّةِ ، فَيَجْرِيهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى تَنْقُضِي نَوَّيْهَا . وَكَانَتْ عِدَّتُهَا مِائَةً وَخَمْسِينَ فَرَسًا فَمَا فَوْقَهَا .

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْأَمِيرِ قُطُلُونُغَا الْفَخْرِي حِصَانًا أَذْهَمَ سَبَقَ خَيْلِ مِصْرَ كُلِّهَا فِي ثَلَاثِ سَنِينَ مَتَوَالِيَةِ أَيَّامِ السَّبَاقِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ مُهْنًا فَرَسًا شَهْبَاءَ عَلَى أَنَّهَا إِنْ سَبَقَتْ خَيْلَ مِصْرَ فَهِيَ لِلشَّلْطَانِ ، وَإِنْ سَبَقَهَا فَرَسٌ رُدَّتْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَرْكَبُهَا عِنْدَ السَّبَاقِ إِلَّا بَدْوِي قَادَهَا .

فَرَكِبَ الشَّلْطَانُ لِلْسَّبَاقِ فِي أَثَرَاتِهِ عَلَى عَادَتِهِ ، وَوَقَّفَ مَعَهُ سُلَيْمَانُ وَمُوسَى ابْنَا مُهْنًا ، وَأُرْسِلَتْ الْخِيُولُ مِنْ بَوَكَةِ الْحُجَّاجِ ^٢ عَلَى عَادَتِهَا ، وَفِيهَا فَرَسٌ مُهْنًا ، وَقَدْ رَكَبَهَا الْبَدْوِي غُرَبًا بَغِيرِ سُرُجٍ . فَأَقْبَلَتْ سَائِرُ الْخِيُولِ تَتَّبِعُهَا حَتَّى وَصَلَتْ الْمَدَى ، وَهِيَ غُرَبِي بَغِيرِ سُرُجٍ ، وَالْبَدْوِي عَلَيْهَا بِقَمِيصٍ وَطَاقِيَةٍ . فَلَمَّا وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ الشَّلْطَانِ ، صَاحَ الْبَدْوِي : السَّعَادَةُ لَكَ الْيَوْمَ يَا مُهْنًا لَا شَقِيتُ .

فَشَقَّ عَلَى الشَّلْطَانِ أَنَّ خَيْلَهُ سَبَقَتْ ، وَأَبْطَلَ التَّضْمِيرَ مِنْ خَيْلِهِ ، وَصَارَتْ الْأَمْزَاءُ تُضْمِرُ عَلَى عَادَتِهَا .

(a) بولاق : بركة الحاج .

^١ انظر فيما تقدم ٣٦٩ .

ومات الثَّانِيَرُ محمد عن أربعة آلاف وثمان مائة قَرَسٍ ، وَتَرَكَ زِيَادَةً عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
الْهَجْنِ الْأَصَائِلِ وَالثُّوْقِ الْمَهْرِيَّاتِ وَالْقَرَشِيَّاتِ سَوَى أَتْبَاعِهَا ، وَبَطَلَ بَعْدَهُ الشَّبَاقُ ^١ .
فَلَمَّا كَانَتِ الْأَيَّامُ الظَّاهِرِيَّةُ يَزُوقُ غُصْنِي بِالْحَيْلِ أَيْضًا ، وَمَاتَ عَنْ سَبْعَةِ آلَافٍ قَرَسٍ وَخَمْسَةِ
عَشَرَ أَلْفٍ جَمَلٍ .

ديوانُ الإنشاء

وكان بجوار قاعة الصَّاحِبِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ دِيوانُ الْإِنشَاءِ ^٢ ، يجلس فيه كَاتِبُ السَّرِّ وعنده مَوْقِعُ
الدَّرَجِ ومَوْقِعُ الدُّسْتِ ، فِي أَيَّامِ الْمَوَازِبِ طُولُ النَّهَارِ ، وَيُحْتَمَلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُطَبِّخِ السُّلْطَانِي
الْمَطَاعِمِ .

وكانت الْكُتُبُ الْوَارِدَةُ وَتَقْلِيْقُ مَا يُكْتَبُ مِنَ الْبَابِ السُّلْطَانِي ، مَوْضُوعُهُ بِهَذِهِ الْقَاعَةِ . وَأَنَا
جَلَسْتُ بِهَا عِنْدَ الْقَاضِي بَذْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْغَمَرِيِّ ، أَيَّامَ مُبَاشَرَتِي التَّوْقِيعِ
السُّلْطَانِي ، إِلَى نَحْوِ التَّسْعِينَ ^٣ وَالسَّبْعَ مِائَةَ .

فَلَمَّا زَالَتْ / الدَّوْلَةُ الظَّاهِرِيَّةُ يَزُوقُ ثَمَّ عَادَتِ ، اخْتَلَّتْ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا أَمْرُ قَاعَةِ الْإِنشَاءِ ^{٢٢٦:٢}
بِالْقَلْعَةِ وَهَجَرَتْ ، وَأُخِذَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ وَبِيعَتْ بِالْقَنْطَارِ ^٤ ، وَنُسِي رَسْمُهَا .

وَكِتَابَةُ السَّرِّ رُتِبَةٌ قَدِيمَةٌ وَلَهَا أَصْلٌ فِي السَّنَةِ ، فَقَدْ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ سُلَيْمَانِ
ابْنِ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِي فِي «كِتَابِ الْمَصَاحِفِ» ، مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ عُثَيْدٍ ، عَنْ
زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «[أَتَحْسِنُ السَّرِّيَانِيَةَ فـ]» ^(ب) إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ لَا أُحِبُّ

(B) بولاق : السبعين . (b) زيادة من كتاب المصاحف .

^١ تقدم ٧٢٢هـ ، وما أَنَّ دِيوانَ الْإِنشَاءِ خُتِبَ وَضُفِ
المقريزي كان مُجاوِرًا لقاعة الصَّاحِبِ فُجِبَ أَنْ يَكُونَ
مَوْضِعُهُ مُجاوِرًا أَيْضًا لِدَارِ الثَّيَابَةِ تَجَاهُ الْإِيوَانِ .

^٢ هذا نَصٌّ هَائِمٌ يَدُلُّ عَلَى كَيْفِيَّةِ مَتَاعِ الزُّنَاقِ
الْأَرْشِيَّةِ ، وَقَدْ اسْتَفَادَ الْمُقَرِّي نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَلَاتِيَّاتِ
وَاقْتَنَى بَعْضَ الْأَوْرَاقِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ دِيوانِ الْإِنشَاءِ
الْمَمْلُوكِي بِالْقَلْعَةِ فِي نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ / الرَّابِعِ -

^٣ هَذَا النُّصُّ الْمَطْلُوعُ الَّذِي أوردَه الْمُقَرِّي كُنْهَهُ فِي
السلوك ٥٢٥:٢ - ٥٢٧ ، يَوْجِدُ عِنْدَ أَبِي الْهَاسَنِ : النجوم
الزاهرة ١٦٧:٩ - ١٧٠ دُونَ تَحْدِيدٍ لِلْمَصْدَرِ .

^٤ ذَكَرْتُ احْتِمَاذًا عَلَى بَعْضِ الشُّخُوصِ الَّتِي أَوْرَدَهَا
المقريزي وَأَبُو الْهَاسَنِ ، أَنَّ قَاعَةَ الصَّاحِبِ كَانَتْ مُجاوِرَةً لِدَارِ
الثَّيَابَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ تَجَاهُ الْإِيوَانِ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ بَابِ
الْقَلْعَةِ ، أَيْ بِالْجَانِبِ الَّذِي يَوْجِدُ دَاخِلَ سُرِّ صَلَاحِ الدِّينِ (فِيمَا

أن يقرأها كلُّ أحدٍ ، فهل تستطيع أن تَعْلَمَ كتاب العِبرانية أو قال السِّريانية ؟^١ فقلت : نَعَمْ . قال : فتعلّمتها في سبع عشرة ليلة^٢ .

ولم يَزَلْ خُلُقَاءُ الإِسْلام يَخْتارون لِكِتَابَةِ سِرِّهم الوَاحِدَ بعد الوَاحِد .

وكان موضوعُ كتابَةِ السِّرِّ في الدَّولة التُّركِيَّة على ما استقرَّ عليه الأَمْرُ في الأَيَّام النَّاصِرِيَّة محمد

- ابن قلاوون ، أنَّ لتوليها - المسمَّى بِـ «كاتبِ السِّرِّ» وبـ «صاحبِ ديوانِ الإنشاء» ، ومن النَّاس من يقول «ناظرِ ديوانِ الإنشاء» - قِراءة الكُتُب الوارِدة على السُّلطان ، وِكِتَابَةِ أَجْوِبَتِها إمَّا بِحَظِّه أو بِحَظِّ كُتَّابِ الدَّست أو كُتَّابِ الدَّرَج ، بِحَسَبِ الحال . وله تَسْفِيرُ الأَجْوِبَةِ بعد أَخْذ «عَلَامَةِ السُّلطان» عليها ، وله تَصْرِيفُ المراسيم وَرُودًا وَصُودًا ، وله الجُلُوسُ بين يَدَيِ السُّلطان بدارِ العَدْل لقِراءة القِصَص والتَّوَقُّعِ عليها بِحَظِّه في المَجْلِس^٣ . فصارَ يُوقَّعُ فيما كان يُوقَّعُ عليه بِقَلَمِ الوِزارة ، وصارَ إليه التَّحَدُّثُ في مَجْلِسِ السُّلطان عند عَقْدِ المَشُورَةِ ، وعند اجْتِماعِ الحُكَّام لِفَضْلِ أَمْرِهم ، وله التَّوسُّطُ بين الأَمراء والسُّلطان فيما يَنْدَبُ إليه عند الاختِلاف أو التَّذْيِير ، وإليه تَرْجِيحُ أُمُورِ القُضاةِ وَمَشايخِ العِلْمِ ونحوهم في سائرِ المملكةِ مِصرًا وشامًا ، فيُمْضِي من أُمُورهم ما أَحَبَّ ، وَيُشاوِرُ السُّلطان فيما لا بُدَّ من مُشاوَرَتِهِ فيه .

a) في كتاب المصاحف : في تسعة عشر يومًا .

القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣٠ ، وانظر كذلك السبكي : معبد النعم ٣٠ : القلقشندي : صبح الأعشى ١ : ١٠٤ ، ٥ : ٤٦٤ ، ١١ : ٢٩٤ ؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ٩٢٢-٩٢٥ ، ماجد : نظم سلاطين المماليك ١ : ٥٤-٥٧ ، «Les secrétaires de la chancellerie (Kuttâb al-Sirr) en Égypte sous les Mamlouks circassiens (784-922/1382-1517)» ، Mélanges René Basset, Paris 1923, pp. 1-44 أحمد ذُراج : «ترسوم السلطان قايتباي الخاص بكتاب السِّرِّ والقضاة الصادر في شهر شوال سنة ٨٧٤هـ» ، مجلة البحث العلمي والراث الإسلامي - مكة المكرمة ٣ (١٤٠٠هـ) ، ٢٥٧-٢٨٢ ؛ «تراجم كُتَّابِ السِّرِّ في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)» ، المصدر نفسه ٤ (١٤٠١هـ) ، ٣١٥-

= عشر الميلادي . فمُسَوَّدَةُ المَوَاطِظ والاختِيار المحفوظة بقسمها في متحف طوبقوسراي بإستانبول ، وأيضًا الكُرَّاسَةُ المحفوظة بِحَظِّه في مكتبة Liège بلجيكا نُكِت على كواغيد ديوانية تَصَدَّرُها ديوان الإنشاء المملوكي (انظر مقدمة المجلد الأول ١٠٩-١١١م) .

^١ الثَّغرُ في كتاب المصاحف لابن أبي داود الشَّجْستاني ٣ : «قال النَّبِيُّ ﷺ : أَتَحْسِرُ السَّريانية فَإِنَّها تَأْتيني كَتَبٌ ؛ قلت : لا ؛ قال : فَتَعْلَمُها . قال : فَتَعْلَمُها في تسعة عشر يومًا . وواضح أنَّ الشَّحْخَ التي اعتمد عليها المقرئُ تختلف عن النسخة الوحيدة لكتاب المصاحف التي نُشِرَ عليها أَزْفَرُ جُفْرِي الكتاب وهي محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأُسْد الوطية) .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ١٦٠ .

وكانت العادة أن يجلس تحت الوزير، فلما عظم تمكن القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر من الدولة، جلس فوق الوزير الصباح سعد الدين إبراهيم البشير، فاستمر ذلك لمن بعده.

ورتبة كتابة^(a) السر أجل الرتب، وذلك أنها منتزعة من الملك. فإن الدولة العباسية صار خلفاؤها في أول أمرهم، منذ عهد أبي العباس السفاح إلى أيام هارون الرشيد، يستبدون بأمرهم. فلما صارت الخلافة إلى هارون بن محمد^(b) ألقى مقاليد الأمور إلى جعفر بن يحيى^(c) البزيمكي؛ فصار جعفر^(d) يوقع على رفاق الرافعين بخطه في الولايات، وإزالة الظلامات، وإطلاق الأرزاق والعطيات. فجعلت لذلك رتبته، وعظمت من الدولة مكانته. وكان هو أول من وقع من وزراء خلفاء بني العباس، وصار من بعده من الوزراء يوقعون على القصاص كما كان يوقع.

وربما انفرد رجل بديوان السر وديوان الترسل، ثم أفردت في أخریات دولة بني العباس، واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزراء. وكانوا يتعداد يقال لهم «كتاب الإنشاء»، وكبيرهم يدعى «رئيس ديوان الإنشاء» ويطلق عليه تارة «صاحب ديوان الإنشاء»، وتارة «كاتب السر». ومزج هذا الديوان إلى الوزير وكان يقال له «الديوان العزيز»، وهو الذي يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفاء.

وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الإنشاء بـ«ديوان الطغراء»، وإليه ينسب مؤيد الدين^(e) الطغرائي. و«الطغراء» هي طوة المكتوب، فيكتب بأعلى من البشملة بقلم غليظ ألقاب الملك، وكانت تقوم عندهم مقام خط السلطان يده على المناشير والكتب، ويشتغى بها عن «علامة السلطان»، وهي لفظة فارسية^١.

وفي بلاد المغرب يقال لرئيس ديوان الإنشاء «صاحب القلم الأعلى». وأما مصر فإنه كان بها في القديم - لما كانت دار إمارة - «ديوان البريد». ويقال لتولييه صاحب

(a) بولاق : كاتب . (b) سافطة من بولاق . (c) بولاق : يحيى بن جعفر . (d) بولاق : يحيى . (e) يياض في أمصونيا .

^١ انظر فيما تقدم ٦٧٤هـ^٥، ومقال بوزورث Bosworth, C.E., *El² art. Tughrā X*, pp. 639-40.

البريد، وإليه مزج ما يرد من دار الخلافة على أيدي أصحاب البريد من الكتب، وهو الذي يطالع بأخبار مصر. وكان لأمرء مصر كتاب ينشئون عنهم الكتب والرسائل إلى الخليفة وغيره. فلما صارت مصر دار خلافة، كان القائد جوهر يوقع على قصص الرافعين إلى أن قديم الميز لدين الله فوق، وجعل أمر الأموال وما يتعلق بها إلى يعقوب بن كلس وعشولوج بن الحسن، فوليا أفعال الدولة. ثم فوض العزيز بالله أمر الوزارة ليعقوب بن كلس، فاستبد بجميع أحوال المملكة، وجرى مجرى جعفر بن يحيى البرمكي، وكان يوقع، ومع ذلك ففي أمراء الدولة من يلي البريد. وجرى الأمر فيما بعد على أن الوزراء يوقعون، وقد يوقع الخليفة بيده.

فلما كانت أيام المستنصر بالله أي تميم معذ بن الظاهر وصرف أبا جعفر محمد بن جعفر بن المغربي عن وزارته، أقره له «ديوان الإنشاء»، فولى مدة طويلة، وأدرك أيام أمير الجيوش بدر الجمالي، وصار يلي ديوان الإنشاء بعده الأكابر، إلى أن انقرضت الدولة وهو بيد القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني. فاقتدت بهم الدولة الأيوبية، ثم الدولة التركية في ذلك، وصار الأمر على هذا إلى اليوم.

وصار متولي رتبة كتابة السر أعظم أهل الدولة، إلا أنه في الدولة التركية يكون معه من الأمراء واحد يقال له «الدوادار»، منزلته منزلة صاحب البريد في الزمن الأول^١. ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان الإنشاء، إلا أنه يتميز بالتوقيع على القصص تارة بمراجعة السلطان، وتارة بغير مراجعة. فلذلك يحتاج إليه/ سائر أهل الدولة من أرباب الشيوف والأقلام، ولا يستغني عن محسن سفارته نائب الشام فمن دونه، والله الأمر كله.

و(كان هذا الديوان (a).

وأما في الدولة الأيوبية، فإن كتاب الدراج كانوا في الدولة الكاميلية قليلين جدًا، وكانوا في غاية الصيانة والثراة وقلة الخلطة بالناس. وأتفق أن الصاحب زين الدين يعقوب بن الرثير كان من جملتهم، فسمع عنه^٢ الملك الصالح نجم الدين أيوب أنه يحضر في الساعات، فصرفه من ديوان الإنشاء، وقال: هذا الديوان لا يَحْتَمِلُ مثل هذا.

(a-a) ساقطة من بولاق، وأماها في هامش أباصوفيا: بياض سبعة أسطر. (b) ساقطة من بولاق.

وكانت العادة ألاّ يخضّر كتاب الإنشاء الديوان يوم الجمعة . فعرض للملك الصالح في بعض أيام الجمع شغل مهم ، فطلب بعض الموقعين فلم يجد منهم أحداً ، فقليل له إنهم لا يخضرون يوم الجمعة ، فقال : استخدموا في الديوان كاتباً نصرانياً يقعد يوم الجمعة لهم يقرأ ، فاستخدم الأماجد بن العسال كاتب الدّرج لهذا المعنى .

نظراً للجيش

قد تقدّم أنّه كان يجلس بالقلعة دواوين الجيش في أيام المؤكّب ، وتقدّم في ذكر الإقطاعات وذكر النّياحة ما يدلّ على حال متّوّلّي نظير الجيش . ولابدّ مع ناظر الجيش أن يكون من المشوّفين من يضبط كليات المملكة ومجزئاتها في الإقطاعات^(٥) .

نظراً لخاصّ

هذه الوظيفة - وإن كان لها ذكر قديم من عهد الخلفاء الفاطميين^٢ - فإنّ متّوّلّيها لم يبلغ من جلاله القدر ما بلغ إليه في الدّولة التركيّة . وذلك أنّ الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أبطل الوزارة ، وأقام القاضي كريم الدّين الكبير في وظيفة نظير الخاصّ ، صار متّحدّثاً فيما هو خاصّ بمال السلطان يتحدث في مجموع الأمر الخاصّ بنفسه ، وفي القيام بأخذ رأيه فيه ، فبقي تحدّثه فيه وبسببه كأنّه هو الوزير لقربه من السلطان وزيادة تصوّفه^٣ .

والى ناظر الخاصّ التّحدّث في الخزّانة السلطانية ، وكانت بقلعة الجبل ، وكانت كبيرة الوضع لأنّها مستودع أموال المملكة . وكان «نظير الخزّانة» منصّباً جليلاً إلى أن استحدثت وظيفة «نظير الخاصّ» ، فضغف أمر «نظير الخزّانة» وأمر الخزّانة أيضاً ، وصارت تُسمّى بـ«الخزّانة الكبرى» ، وهو اسم أكبر من اسمها ، ولم يبق بها إلاّ نخلع تُخلع منها أو ما يخضّر إليها ويصرف أوّلاً فأوّلًا ،

(٥) في هامش أباصوفيا : بياض سبعة أسطر .

^١ فيما تقدم ٦٩٩ - ٧٠٠ .

القائمشندي : صبح الأعشى ١١ : ١٣١٦ السيوطي : حسن

المحاضرة ٢ : ١٣٠ - ١٣١ .

^٢ انظر أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٥٥ .

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٥٤ - ٥٥ ؛

وصارَ نَظَرُ الخِزَانَةِ مُضَافًا إِلَى نَاطِرِ الْخَاصِّ . وكانَ الرُّسْمُ أَنَّ لَا يَلِي نَظَرَ الْخِزَانَةِ إِلَّا الْقَضَاةُ أَوْ مِنْ يَلْحَقُ بِهِمْ^١ .

وما يَرِحُ الخِزَانَةُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ حَتَّى عَمَلَهَا الْأَمِيرُ مِثْطَاشَ سِجْنًا لِلْمَمَالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ بِزَوْقٍ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَتَلَاثَتْ مِنْ حَيْثُ عِزِّ وَثِيْبِي أَمْرُهَا ، وَصَارَتْ الْخِلْعُ وَنَحْوُهَا عِنْدَ نَاطِرِ الْخَاصِّ فِي دَارِهِ .

زَكَرَ عَادَةُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فِي الْخِلْعِ وَرَتَبَتِهَا^٢

وكانت^٣ لأَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي الْخِلْعِ عَوَائِدُ ، وَهَمَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : أَرْبَابُ الشُّيُوفِ ، وَالْأَقْلَامِ ، وَالْعُلَمَاءِ . فَأَمَّا أَرْبَابُ الشُّيُوفِ فَكَانَتْ يَخْلَعُ أَكْبَارُ أَمْرَاءِ الْمِيقِينَ الْأَطْلَسِ الْأَحْمَرِ الرُّومِيِّ ، وَتَحْتَهُ الْأَطْلَسُ الْأَصْفَرُ الرُّومِيِّ ، وَعَلَى الْفَوْقَانِيِّ طَرِيزُ زَرْكَشٍ ذَهَبٌ وَتَحْتَهُ سِنْجَابٌ ، وَلَهُ سَجْفٌ مِنْ ظَاهِرِهِ مَعَ الْإِشْيَاءِ قَنْدُسٌ^٤ ، وَكَلْوَتَةٌ زَرْكَشٍ^٥ بِذَهَبٍ وَكُلَالِيْبٍ ذَهَبٌ^٦ ، وَشَاشٌ لَانِسٌ^٧ زَفِيعٌ مُزَوِّجٌ بِهِ فِي طَرَفِيهِ خَرِيرٌ أَيْضٌ مُزَوِّجٌ بِالْقَابِ السُّلْطَانِ ، مَعَ نُقُوشٍ بِأَهْرَةِ مِنَ الْخَرِيرِ الْمَلُونِ ، مَعَ مِثْطَقَةٍ ذَهَبٍ .

(a) هذا العنوان موجود في مسالك الأبحار مصدر المعلومات التالية .

في المخطوط . Mayer, L. A., *Mamluk Costume*, pp. 58-60 .

^٣ قَنْدُسٌ وَيُقَالُ الْمُقَنْدَسُ . الْقِمَاشُ الْمَنْسُوجُ مِنْ فِرَاءِ الْقَنْدَسِ ، وَهُوَ كَلْبُ الْبَحْرِ ، وَيَعْرِفُ بِالْكَشْفُورِ (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٦٩ هـ^٢) .

^٤ الْكَلْوَتَةُ . انظر فيما تقدم ٧٠ هـ .

^٥ كُلَالِيْبٌ ج . كُلَالِيْبٌ . هُوَ الْمَشْبِكُ أَوْ الْأَبْرِمُ ، وَأَكْثَرُ اسْتِخْدَامِهِ فِي تَحْلِيَةِ الْكَلْوَتَةِ (ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٦٩ هـ^٤) .

^٦ الشَّاشُ مَا يُلَفُّ حَوْلَ غَطَاءِ الرَّأْسِ مِنْ قِمَاشٍ (نفسه ٦٩ هـ^٥) .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبحار ٦١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٣١ ، ١١ : ٣٣٦-٣٣٩ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٣٢ ؛ وانظر كذلك حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ١٢٠٢-١٢٠٦ .

^٢ من هنا ينقل المقرئ عن مسالك الأبحار ، وقد اعتمد Mayer عند حديثه على ثياب التفطير في عصر المماليك على ما أوردته ابن فضل الله العمري (والذي ضخته المقرئ في هذا الفصل) وعلق على قيمته بقوله : «حتى أن الإنسان ليجد صعوبة كبرى إذا أراد أن يحاول مُحَاوَلَةَ أَفْضَلِ وَكْدَقٍ مِمَّا قَدَّمَ هَذَا الْمُؤَلِّفُ بِأَسْلُوبِهِ الْخَاصِّ» ، وَأُزِدَ هَذَا النَّصُّ فِي كِتَابِهِ عَنِ الْمَلَابِسِ الْمَمْلُوكِيَةِ اعْتِمَادًا عَلَى مَا ضَمَّنَتْهُ الْمُقَرَّرِي

ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم ، فأغلاها أن يُعمل^٥ بين عُمدتها بواكير أو شط ، ومجتبتان بالبَلْعَش والزُمُرْد واللؤلؤ ، ثم ما كان ببيكارية واجدة مُرَصَّعة ، ثم ما كان ببيكارية واحدة غير مرصعة^١ . وأما من تقلد ولاية كبيرة منهم فإنه يُزاد سيفا محلى بذهب يُخَصَّر من السلاح خاناه ويحلبه ناظر الخاص ، ويُزاد قَرَسًا مُشْرِجًا مُلَجَّمًا بكتبوش ذهب^٢ ، فالقَرَس من الإسطبل وقماشه من الزكاب خاناه . ومزجج العمل في شُرُوج الذهب والكتنايش إلى ناظر الخاص .

وكان رَسْم صاحب حَمَاق^٣ من أغلى هذه الخيل ، ويُعطى بَدَل الشَّاش اللانيس شاش من عمل الإسكندرية خريز شبيه بالطول ، ويُنسج بالذهب ، ويُعرف بالمُتَمَر^٤ ، ويُعطى قَرَسَان أحدهما كما ذُكر ، والآخر يكون عَوْض كَتبوشه زناري أَطْلَس أحمر . وكانت لَنَائِب الشَّام - على ما استقر في أيام الناصر محمد بن قلاوون - مثل هذا ، وزيد لتتكرز^٥ تركيبة زَرَكَش ذهب دائرة بالقباء الفوقاني^٦ .

ودون هذه الزئبة في الخيل نَوْح يُسَمَّى طَرْد وَخَش^٧ يُعمل بدار الطراز التي كانت بالإسكندرية وبمصر وبدمشق ، وهو مجوَّخ جاخات كتابة باللقاب السلطان ، وجاخات طَرْد وَخَش^٨ ، وجاخات ألوان ممتزجة بقَصَب مذهب ؛ يُفصل بين هذه الجاخات نُقُوش ، وطرارُ هذا يكون من القَصَب ، وربما كَثُر^٩ بعضهم فَرَكَب عليه طَرَارًا مُزْرَكَشًا بالذهب ، وعليه قَرُو

(a) بولاق : ما عمل . (b) بولاق : طرز وخش . (c) بولاق : كبر .

^١ هذا وَصِف هيئة المنطقة (المهاضنة) (انظر فيما تقدم ٧٠٤) . والبيكارية جد . بواكير وبواكير . رقيقتان مستطيلتان من المَدِين عليهما نُصُوش منقوشة تَوَضَّع اسم الأمير الذي صُنِعت من أجله . (Mayer, L. A., op.cit., pp. 27-28) .

^٢ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبهصار ٦٩ - ٧٠ .
^٣ انظر وصف خلعة صاحب حماة عند أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ٤ : ٨٧ ، حيث يذكر أنه منح هذه الخلعة يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ٧٢٠ هـ .

^٤ المتكرر يرى Mayer أن العمري ، ومن نقل عنه ،
^٥ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبهصار ٧٠ ،
^٦ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٢ - ٥٣ ، ٥ : ٤١٩ .

انفردوا بذكر هذا النوع من الأطلس ، وهو من أغلى وأتمن أنواع النسيج ، وكان يستخدم في صناعة أجمل ثياب التشریف الخاصة بالطبقة العليا (Mayer, L. A., op.cit., p. 14) .

^٧ تذكر بن عبد الله الحسامي الناصري ، ولي نهاية دمشق ثمانية وعشرين سنة ، ثم حبسه الناصر محمد في الإسكندرية إلى أن قتل بها سنة ٧٤١ هـ .

^٨ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبهصار ٧٠ ،
^٩ القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ٥٢ - ٥٣ ، ٥ : ٤١٩ .

سِنْجَاب وَقَنْدُس كما تقدّم ، وتحت القباء الطُودَوْحَش^(a) قَبَاءٌ من المَفْرُجِ الإسْكَنْدَرَانِي الطُّرُح ،
وَكَلَوْتُهُ زَزَكَش بَكَلَالِيْب وشاش على ما تقدّم ، وحيَاَصَة ذَهَب ، فتَارَة تكون بِيكَارِيَة ، وتَارَة لَا
يَكُون لَهَا بِيكَارِيَة ، وهذه لأَصَاغِرُ أَمْزَاءِ المِيْنِ ومن يُلَحَقِي بِهِمْ^٢ .

ودون هذه الرَنْبَة فِي الخِلْعِ كَنْجِي^(b) عليه نَقْشٌ من لَوْنٍ آخَرٍ غَيْرِ لَوْنِهِ ، وقد يَكُون من نَوْعِ لَوْنِهِ
بِتَفَاوُثٍ بَيْنَهُمَا ، وتحت سِنْجَاب مَقَنْدَس ، والْبَقِيَّةُ كما تقدّم ، إِلَّا أَن الحِيَاَصَة والشَّاش لَا يَكُونَانِ
بِأَطْرَافِ رَقْمٍ ، بَلْ تَكُونُ مُجَوَّخَة بِأَخْضَرٍ وَأَصْفَرٍ مُدْهَبٍ ، والحِيَاَصَة لَا تَكُونُ بِيكَارِيَة^٣ .

ودون هذه المَرْبِطَة كَنْجِي^(b) تَكُونُ وَاحِدَة بِسِنْجَاب مَقَنْدَس ، والْبَقِيَّةُ عَلَى / مَا ذُكِرَ ، وتَكُونُ
الْكَلَوْتَةُ خَفِيْفَة الذَّهَب ، وَجَانِبَاهَا يَكَادَانِ يَكُونَانِ خَالِيَيْنِ بِالْجَمْلَةِ ، وَلَا حِيَاَصَة لَهُ .

ودون هذه الرَنْبَة مُجَوِّمٌ لَوْنٌ وَاحِدٌ ، والْبَقِيَّةُ عَلَى مَا ذُكِرَ ، خِلَا الكَلَوْتَةِ والكَلَالِيْب . ودون
هذه الرَنْبَة مُجَوِّمٌ مَقَنْدَس ، وَهُوَ قَبَاءٌ مَلَوْنٌ بِجَاخَاتٍ من أَحْمَرٍ وَأَخْضَرٍ وَأَزْرَقٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ من
الْأَلْوَانِ بِسِنْجَابٍ وَقَنْدَس ، وتحت قَبَاءً إِمَّا أَزْرَقٌ أَوْ أَخْضَرُ ، وشَاشٌ أَيْضَ بِأَطْرَافٍ من نِسْبَةِ مَا تَقْدَمُ
ذِكْرُهُ ؛ ثَمَ دُونَ هَذَا من هَذَا النُّوعِ^٤ .

وَأَمَّا «الْوَزْرَاءُ» وَالْكَتَّابُ فَأَجْلٌ مَا كَانَتْ خِلْفُهُمُ الكَنْجِي^(c) الْأَبْيَضُ الْمَطْرُزُ بِرَقْمٍ حَرِيرٍ
سَاجِدٍ ، وَسِنْجَابٌ مَقَنْدَسٌ وتحت كَنْجِي^(b) أَخْضَرُ ، وَتَشْيَارٌ كَانَ من عَمَلِ دِمْيَاطِ مَرْقُومٍ
وَطَرَحَةٍ .

ثَمَ دُونَ هَذِهِ الرَنْبَةِ عُيْدِ الْمَسْنَجَابِ ، بَلْ يَكُونُ الْقَنْدُسُ بِدَائِرِ الْكُمُيْنِ وَطُولِ الْفَرْجِ ،
وَدُونَهَا تَرَكِ الطُّرُوحَةِ ، وَدُونَهَا أَنْ يَكُونَ التُّخْتَانِي مُجَوِّمًا ، وَدُونَ هَذَا أَنْ يَكُونَ الْفُوقَانِي من
الْكَنْجِي^(c) لَكِنَّهُ غَيْرُ أَيْضٍ ، وَدُونَهُ أَنْ يَكُونَ الْفُوقَانِي مُجَوِّمًا أَيْضَ ، وَدُونَهُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَهُ
عَقَابِي طَرُحٍ^(d) .

(a) بولاق : طرودوحش . (b) بولاق : كمخا . (c) بولاق : الكمخا . (d) ساقطة من بولاق .

^١ الطُودَوْحَشُ بِمَعْنَى الْمَطْرُزِ عَلَيْهِ صُورُ الْوَحْشِ الْقَافُضَيْنِ : صَبْح ٤ : ٥٣ .

^٢ نفسه ٧١ . Mayer, L. M., *op.cit.*, p. 59; Serjeant, (راجع ،

(R.B., *Islamic Textiles* p. 150 .

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك ٧٠ - ٧١ .

^٤ نفسه ٧٢ .

وأما «القضاء والغلمان» فإن خلعتهم من الصوف بغير طراز، ولهم الطرخة، وأجلهم أن يكون أبيض وتحت أخضر، ثم ما دون ذلك^١.

وكانت العادة أن أهبة الخطباء - وهي السواد - تُحمل إلى الجوامع من الخزائن، وهي دلق مدور، وشاش أسود، وطرخة سوداء، وعلمان أسودان مكتوبان بأبيض أو بذهب، وثياب المتبلغ قدام الخطيب مثل ذلك خلا الطرخة. وكانت العادة إذا خلعت الأهبة المذكورة، أُعيدت إلى الخزائن، وصُرف عوضها^٢.

وكانت للسلطان عادات بالخلع: تارة في ابتداء سلطنته، وتشمل حينئذ الخلع سائر أرباب المملكة. بحيث خلع في يوم واحد - عند إقامة الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون - ألف ومائتا تشريف في وقت ليله بالكثرة على أناس جرت عوائدهم بالخلع في ذلك الوقت، كالجوكندارية والولاءة ومن له خدمة في ذلك^٣. وتارة في أوقات الصيد عندما يشرح، فإذا حصل أحد شيئاً مما يصيده خلع عليه قباءً مُسججاً مما يناسب خلعة مثله على قدره، وكذلك يخلع على البزدارية وخمالة الجوارح ومن يجري مجراهم عند كل صيد.

وكانت العادة أيضاً أن يُنعم على غلمان الطشت خاناه والشراب خاناه والفراش خاناه، ومن يجري مجراهم، في كل سنة عند أوان الصيد. وكانت العادة أن من يصل إلى الباب من البلاد، أو يرد عليه أو يهاجر من مملكة أخرى إليه، أن يُنعم عليه مع الخلع بأنواع الإذارات والأوزاق والإنعامات^٤. وكذلك التجار الذين يصلون إلى السلطان، ويبيعون عليه، لهم مع الخلع الروائب الذائمة من الخبز واللحم والتوابل والخلوى والعليق والمساحات، بنظير كل ما يتباع من الرقيق الممالك والجواري، مع ما يُسامحون به أيضاً من حقوق أخرى تُطلق.

وكل واحد من التجار إذا باع على السلطان، ولو رأساً واحداً من الرقيق، فله خلعة مكملة بحسبه - خارجاً عن الثمن وعملاً يُنعم به عليه أو يُسقر به - من مال السبيل، على سبيل القروض ليتاجر به^٥.

^١ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧٢، انظر عن الجوكندار، فيما تقدم ٣٩١-٣٩٢ هـ.

^٢ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٧٣-٧٤.

^٣ نفسه ٧٢.

٥٠-٥١.

وَأَمَّا جَلَابَةُ الْحَيْلِ مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْبَحْرَيْنِ وَبَرَقَةِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَإِنَّ لَهُمُ الْخِلْعَ وَالرَّوَاتِبَ وَالْغُلُوفَاتِ وَالْأَنْزَالَ وَرُسُومَ الْإِقَامَاتِ ، خَارِجًا عَنْ مُسَامَحَاتِ تُكْتَبَ لَهُمُ بِالْمَقَرَّرَاتِ عَنْ تَجَاوَزِ يَتَجَرَّوْنَ بِهَا مِمَّا أَخَذُوهُ مِنْ أَثْمَانِ الْحَيْوَلِ . وَكَانَ يُثَمِّنُ الْفَرَسُ بِأَزِيدٍ مِنْ قِيَمَتِهِ ، حَتَّى رُبَّمَا بَلَغَ ثَمَنُهُ عَلَى السُّلْطَانِ - الَّذِي يَأْخُذُهُ مُحْضِرُهُ - نَظِيرَ قِيَمَتِهِ عَلَيْهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، غَيْرَ الْخِلْعِ وَسَائِرِ مَا ذَكَرَ^١ . وَلَمْ يَتَّقِ الْيَوْمَ سِوَى مَا يُخْلَعُ عَلَى أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ .

وَقَدْ اسْتَحْجَدَ فِي الْأَيَّامِ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَكَثُرَ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ فَرَجَ نَوْعٍ مِنَ الْخِلْعِ - يُقَالُ لَهُ «الْجُبَّة» - يَلْبَسُهُ الْوَزِيرُ وَنَحْوُهُ مِنْ أَرْبَابِ الرُّتَبِ الْعَلِيَّةِ جَعَلُوا ذَلِكَ تَرْفُعًا عَنْ لِبَاسِ الْخِلْعَةِ . وَلَمْ تَكُنِ الْمُلُوكُ تَلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ إِلَّا الْمُتَوَسُّطَ ، وَتَجْعَلُ حَوَائِصَهَا بِغَيْرِ دَهَبٍ . فَلَمْ تَزِدْ حِيَاصُهُ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ عَلَى مِائَةِ دِرْهَمٍ قِصَّةً ، وَلَمْ يَزِدْ أَيْضًا سَقَطُ سَرَجِهِ عَلَى مِائَةِ دِرْهَمٍ قِصَّةً عَلَى عِبَادَةِ صُوفٍ تَذْمُرِي أَوْ شَامِي . فَلَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ أَوْلَادِهِ بِالْعُرْفِ ، وَخَالَفُوا فِيهِ عَوَائِدَ أَصْلَافِهِمْ ، ثُمَّ سَلَكَ الظَّاهِرُ بَرْقُوقَ فِي مَلَابِسِهِ بَعْضَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ الْأَكْبَارُ لَا كُلَّهُ ، وَتَرَكَ لِبَاسَ الْحَرِيرِ .

الْمَيْدَانُ بِالْقَلْعَةِ

هَذَا الْمَيْدَانُ مِنْ بَقَايَا مَيْدَانِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ - الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَطَائِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ^٢ - ثُمَّ بَنَاهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أُمَيُّ بْنُ بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَعَظَّمَهُ إِلَى جَانِبِهِ بِرُكْنًا ثَلَاثًا تُمَلَّأُ^٣ لِسَقِيهِ ، وَأَجْزَى الْمَاءِ إِلَيْهَا ، ثُمَّ تَعَطَّلَ هَذَا الْمَيْدَانُ مُدَّةً . فَلَمَّا قَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ أَهْتَمَّ بِهِ . ثُمَّ أَهْتَمَّ بِهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ بْنُ الْكَامِلِ أَهْتِمَامًا زَائِدًا ، وَجَدَّدَ لَهُ سَاقِيَةَ أُخْرَى ، وَأَنْشَأَ حَوْلَهُ الْأَشْجَارَ ، فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى أَنْ مَاتَ . فَتَلَاشَى أَمْرُ الْمَيْدَانِ بَعْدَهُ ، وَهَدَمَهُ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ أَيْتُكَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَعَقَّتْ آثَارَهُ^٤ .

(a) ساقطة من بولاق .

^١ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٧٤ .

^٢ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٣٢ ؛ الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٧٣ - ٣٧٤ .

^٣ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ٧٤ .

^٤ فيما تقدم ٢ : ٨٦ ، وهذا المجلد ٦٢٥ .

فلما كانت سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، ابتدأ الملك النَّاصِرُ محمد بن قلاوون عمارته^١،
فانقطع من باب الإسطبل إلى قريب باب القرافة، وأحضَر إليه^٢ جميع جمال الأمراء، فتعلت
إليه الطين حين كَساه كله وزرعه، وحفر به الآبار/ وزكَّب عليها الشواقي، وغرس فيه النخل
الفاخير والأشجار المثمرة، وأدار عليه هذا السور الحجر الموجود الآن، وبني حوضًا للسبيل من
خارج^٣.

فلما كمل ذلك نزل إليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه، وخلع عليهم، واستمر يلعب فيه يومي
الثلاثاء والست، وصار القصر الأتلق يُشرف على هذا الميدان، فجاء مبدأنا فسيح المدى يساير
النظر في أرجائه^٤.

وإذا ركب السلطان إليه نزل من درج تلي قصره الجواني. فينزل السلطان إلى الإسطبل
الخاص، ثم إلى هذا الميدان وهو راكب وخواص الأمراء في خدمته. فيعرض الخيول في أوقات
الإطلاقات، ويلعب فيه الكرة. وكان فيه عِدَّة من أنواع الوحوش المستحسنة المنظر، وكانت
ترتبط به أيضًا الخيول الخاصة للشمس^٥.

وفي هذا الميدان يصلي السلطان أيضًا صلاة العيدين، ويكون نزوله إليه في يوم العيد وضوؤه
من باب خاص من دهليز القصر، غير المعتاد النزول منه^٦. فإذا ركب من باب قصره، ونزل إلى
منقلبه من الإسطبل إلى هذا الميدان، ينزل في دهليز سلطاني قد ضرب له على أكتل ما يكون من
الأنجفة، فيصلي ويتمتع الخطبة. ثم يزكَّب ويتنود إلى الإيوان الكبير، ويمتدُّ به السباط، ويخلع
على حامل القبة والطير، وعلى حامل السلاح والأشتادار والجاشنكير وكثير من أرباب
الوظائف^٧.

(أ) إضافة من مسودة الخطط.

^١ يُدُلُّ على مَوْضِع الميدان تحت القلعة المنطقة المستنة

الآن جنوب باب القرب حتى باب القرافة بسور مجرى

العيون بميدان السيدة عائشة، الواقع أسفل كوبري السيدة

عائشة الآن، وكان يخرج منه أهل القاهرة إلى فرافة الإمام

الشافعي. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١١: ٩ هـ ١١١١؛ محمد

الشتاوي: ميادين القاهرة في العصر المملوكي ٧-٥٩).

^٢ ابن أبيك: كثر الدرر ٩: ٢٤٥.

^٣ المقرئ: مسودة الخطط ٦٦ و٦٧.

^٤ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبهار ٨٣.

^٥ نفسه ٨٣.

^٦ نفسه ٨٣، الفلقشندي: صبح الأعشى ٣: ١٣٧٣

المقرئ: مسودة الخطط ٦٦ و٦٧.

وكانت العادة أن تُعَدَّ للسلطان أيضًا جلُعةُ العبد ، على أَنَّهُ يلبسها كما كانت العادةُ في أَيَّام الخلفاء ، فيُنْعِمُ بها على بعض أكابر أُمراء الميِّين . ولم يُزَلْ الحالُ على هذا إلى أن كانت سنة ثمان مائة ، فضلَّى الملك الظَّاهرُ بَرَفوق صلاةَ عيد الثَّغر بجوامع القلعة لتخوفه بعد واقعة^(a) الأمير آل يه^(b) ، فهَجَرَ الميِّدان . واستمرت صلاةُ العيد بجوامع القلعة من عايشِ طول الأَيَّام النَّاصِرِيَّةِ والمُؤَيَّدِيَّةِ .

الحَوْشُ

(c) خارج باب القِرَاءَةِ

الْبَدِيَّةُ الْعَمَلُ فِيهِ عَلَى أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ قِيَاسُهُ أَرْبَعَةَ قَدَادِينَ ، وَكَانَ مَوْضِعُهُ بِرَكَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ قُطِعَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَجَرِ لِعِمَارَةِ قَاعَاتِ الْقَلْعَةِ حَتَّى صَارَتْ غَوْرًا كَبِيرًا^(d) . وَلَمَّا شَرِيعَ فِي الْعَمَلِ رَتَّبَ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الْمِيِّينِ مِائَةَ رَجُلٍ وَمِائَةَ بَهِيمَةٍ لِنَقْلِ التُّرَابِ بِرَشْمِ الرُّذَمِ ، وَعَلَى كُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أُمَرَاءِ الطَّبَلْخَانَاهِ بِحَسْبِهِ . وَنَذَبَ الْأَمِيرُ أَقْبَغَا عَبْدَ الْوَاحِدِ شَاذًا لِعَمَلِ ذَلِكَ^(e) ، فَحَضَرَ مِنْ عِنْدِ كُلِّ مِنَ الْأُمَرَاءِ أَسْتَاذَاهُ وَمَعَهُ جُنْدُهُ وَدَوَابُّهُ لِلْعَمَلِ ، وَأَخْضَرَ الْأَسَارَى ، وَسَخَّرَ وَالِي الْقَاهِرَةِ وَوَالِي مِصْرَ النَّاسِ^(f) ، وَأَخْضَرَتْ رِجَالُ الثَّوَاخِي ، وَجَلَسَ أَسْتَاذَاؤُ كُلِّ أَمِيرٍ فِي خَيْمَةٍ ، وَوُزِعَ الْعَمَلُ عَلَيْهِمْ بِالْأَقْصَابِ .

وَوَقَّفَ الْأَمِيرُ أَقْبَغَا يَسْتَنْجِثُ النَّاسَ فِي سُرْعَةِ الْعَمَلِ ، وَصَارَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ يَخْضُرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ . فَنَالَ النَّاسُ مِنَ الْعَمَلِ ضَرَرًا زَائِدًا ، وَأَخْرَقَ أَقْبَغَا بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَمَاثِلِ النَّاسِ ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ فِي الْعَمَلِ ، لَشِدَّةِ الْعَشْفِ وَقُوَّةِ الْحَرِّ ، وَكَانَ الْوَقْتُ صَبِيحًا . فَانْتَهَى عَمَلُهُ فِي سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا .

وَأَخْضَرَ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِ الصُّعِيدِ وَمِنْ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ أَلْفِي رَأْسَ غَنَمٍ ، وَكَثِيرًا مِنْ الْأَبْقَارِ الْبَلْقَى لِنَوَقْفِ فِي هَذَا الْحَوْشِ ، فَصَارَ مَرَاخِ غَنَمٍ وَمَرْبِطٌ بَقَرٍ ، وَأُحْجِزَى الْمَاءُ إِلَى

(a) بولاق : وقعة . (b) بولاق : علي باي . (c-c) إضافة من مسودة الخطط . (d) مسودة الخطط : عظيما .

(e) بولاق : شاد العمل ، والمثيت من مسودة الخطط . (f) مسودة الخطط : وأخذ والي القاهرة يُسَخَّرُ مِنْ ظَفَرِ بِهِ مِنَ الْحَرَايِشِ .

هذا الحوش من القلعة، وأقام الأغنام حوله^١.

وتتبع في كل سنة المراحات، من عتذاب وقوص إلى ما دونهما من البلاد، حتى يؤخذ ما بهما من الأغنام المختارة، وجلبها من بلاد الثوبة ومن اليمن. فبَلَّغَتْ عِدَّتُهَا بعد مَوْتِهِ ثلاثين ألف رأس سيوى أتباعها، وبلغ البقل الأخضر الذي يشتري لِفِرَاحِ الأور في كل يوم خمسين درهما: عنها زيادة على مِئْثَلَيْنِ من الذهب.

فلما كانت الأيام الطَّاهِرِيَّةُ يَرْفُوقُ، حَمَلَ المَوْلِدُ التَّبَوِي بِهذا الحوش في أوَّل ليلةِ جُمُعَةٍ من شهر ربيع الأول في كل عام. فإذا كان وَقْتُ ذلك صُيرَت خِيَمَةٌ عَظِيمَةٌ بهذا الحوش، وجلس السلطان وعن يمينه شَيْخُ الإسلام سراج الدين عُمر بن رِشْلان بن نصير البلقيني، (عليه الشَّيْخُ الْمُتَقَدِّمُ يُوْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بن محمد بن بهادر بن أحمد بن رفاعَة الغَزِّي^٢) وِليهِ وَلَدُ شَيْخِ الإسلام وَمَنْ دُونَهُ، وعن يَسَارِ السلطان الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بن سَلَامَةَ التَّوَزْرِي المغربي، وِليهِ قُضَاةُ القُضَاةِ الأربعة وشُيُوخُ العِلْمِ، وَيَجْلِسُ الأَمْرَاءُ على بُعْدٍ مِنَ السُّلْطَانِ.

فإذا فَرَغَ القُرَاءُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَامَ الْمُتَشِدُّونَ وَاحِدًا بعد وَاحِدٍ - وهم يَزِيدُونَ على عشرين مُتَشِدًّا - فَيَذْفَعُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ضَرْبَةٌ فِيهَا أَرْبَعُ مِائَةٍ دِرْهَمٍ فِضَّةً، وَمِنْ كُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ شَقَّةٌ خَرِير. فإذا انْقَضَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، مُدَّتْ أَسْطِطَةُ الْأَطْعِمَةِ الْفَائِقَةِ فَأُكِلَتْ وَحُمِلَ مَا فِيهَا، ثُمَّ مُدَّتْ أَسْطِطَةُ الْحَلْوَى الشَّكْرِيَّةِ مِنَ الْجَوَازِشَاتِ وَالْعَقَائِدِ وَنَحْوِهَا فَتَوَكَّلَ وَيَخْطِطُهَا الْعَقَمَاءُ. ثُمَّ يَكُونُ تَكْمِيلُ إِنْشَادِ الْمُتَشِدِّينَ وَوَعْظُهُمْ إِلَى نَحْوِ ثَلَاثِ اللَّيْلِ. فإذا فَرَغَ الْمُتَشِدُّونَ، قَامَ الْقُضَاةُ وَانْصَرَفُوا، وَأَقِيمَ السَّمَاعُ بِقِيَةِ اللَّيْلِ^٣. واستمر ذلك مُدَّةَ أَيَّامِهِ، ثُمَّ أَيَّامُ ابْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَرَجَ.

(a-a) ساقطة من بولاق.

^١ ١٨٩٤م، والمعروفة أيضًا بديوان كخدا، ودار الطُّرُوب القديمة (النجوم الزاهرة ١١٩:٩-١٢٠)، Casanova, P., *op.cit.*, p. 653 (الترجمة العربية ١٤١-١٤٢).

المقريزي: مسودة الخطط ٦٧ط-٦٨و؛ السلوك ٤٣٣:٢-٤٣٥؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١٩:٩-١٢١. ١٨٢، ١٢١.

^٢ المقريزي: السلوك ٨٩٠:٣-٨٩١، وهو وُضِفَ الاحتفال بالمولد النبوي سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م.

ويدلُّ على مكان الحوش الآن القسم المنخفض من مباني القلعة في الجهة القبلية الشرقية منها، حيث موضع قاعة القُدُل التي أنشأها محمد علي باشا سنة ١٢٢٩هـ/

زكرو المياه التي بقلعة الجبل

وَجَمِيعُ مِيَاهِ الْقَلْعَةِ مِنْ مَاءِ النَّيْلِ ، تُنْقَلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ حَتَّى تَمُرَّ فِي جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالْقَلْعَةِ . / وقد اعتنى الملوك بعمل السواقي التي تنقل الماء من بحر النيل إلى القلعة عناية عظيمة .
فَأَنْشَأَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، أَرْبَعَ سَوَاقٍ عَلَى بَحْرِ النَّيْلِ
تَنْقِلُ الْمَاءَ إِلَى الشُّورِ ، ثُمَّ مِنَ الشُّورِ إِلَى الْقَلْعَةِ . وَعَمِلَ نَقْلَهُ مِنَ الْمَصْنَعِ الَّذِي عَمِلَهُ الظَّاهِرُ بَيْبُوسُ
بِجَوَارِ زَاوِيَةِ تَقِيِّ الدِّينِ رَجَبِ بْنِ النَّيْلِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، إِلَى بَقَرِ الْإِسْطَبَلِ ^١ .

٢٣٠:٢

فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، عَزَمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ عَلَى حَفْرِ خَلِيجٍ مِنْ نَاحِيَةِ
حُلْوَانَ إِلَى الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ الْمُطَّلِّ عَلَى الْقَاهِرَةِ ، لِيَسْقَى الْمَاءَ إِلَى الْمَيْدَانِ الَّذِي عَمِلَهُ بِالْقَلْعَةِ ، وَيَكُونَ
حَفْرُ الْخَلِيجِ فِي الْجَبَلِ . فَتَزَلَّ لِكَشْفِ ذَلِكَ وَمَعَهُ الْمُهَنْدِسُونَ ، فَبَاءَ قِيَاسُ الْخَلِيجِ طَوْلًا اثْنَيْنِ
وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ نَصَبَةٍ ، فِيمَرُ الْمَاءِ فِيهِ مِنْ حُلْوَانَ حَتَّى يُحَازِي الْقَلْعَةَ ، فَإِذَا حَازَاهَا بَنَى هُنَاكَ خَنَابًا ^{١٠}
تَحْمِلُ الْمَاءَ إِلَى الْقَلْعَةِ لِيَصِيرَ الْمَاءُ بِهَا غَزِيرًا كَثِيرًا دَائِمًا صَفِيحًا وَشِئَاءًا لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَتَكَثَّفُ لِحُمْلِهِ
وَتَقْلِهِ ، ثُمَّ يَمُرُّ مِنْ مُحَازَاةِ الْقَلْعَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ ، فَيَصُبُّ مِنْ أَغْلَاهُ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ
حَتَّى تُزْرَعَ .

وَعِنْدَمَا أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي ذَلِكَ طَلَبَ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ قُطْلُوبَكْ بْنِ قَرَأْسُفَرِ الْجَاشَنكِيرِ ، أَخَذَ
أَمْرَاءَ الطَّبَلُخَانَةِ بِدِمَشْقَ ، بَعْدَمَا فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْقَنَاطَةِ وَسَاقَ الْعَيْنَ إِلَى الْقُدْسِ . فَحَضَرَ وَمَعَهُ الْعُصْبَانُ
الَّذِينَ عَمِلُوا قَنَاطَةَ عَيْنِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ عَلَى خَيْلِ الْبَرِيدِ ، إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ فَأَنْزَلُوا . ثُمَّ أُقِيمَتْ لَهُمُ
الْجِرَابَاتُ وَالزُّوَاتِبُ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى حُلْوَانَ ، وَوَزَّلُوا مَجْرَى الْمَاءِ ، وَعَادُوا إِلَى السُّلْطَانِ ، وَصَوَّبُوا
رَأْيَهُ فِيمَا قَصَدَ ، وَالتَزَمُوا بِمَعْلِيهِ . فَقَالَ : كَمْ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا
بِكَثِيرٍ فَقَالَ : كَمْ تَكُونُ مُدَّةُ الْعَمَلِ فِيهِ حَتَّى يُفْرَغَ ؟ قَالُوا : عَشْرَ سِنِينَ . فَاسْتَكْثَرَ طَوْلَ الْمُدَّةِ .
وَيُقَالُ إِنَّ الْفَخْرَ نَازِلَ الْجَيْشِ ، هُوَ الَّذِي حَسَّنَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا هَذِهِ الْمُدَّةُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ
عَمَلُ هَذَا الْخَلِيجِ . وَمَا زَالَ يُخَيَّلُ لِلْسُّلْطَانِ ، مِنْ كَثْرَةِ الْمَصْرُوفِ عَلَيْهِ وَمِنْ خَرَابِ الْقَرَاةِ ، مَا

(a) بولاق : خنابا .

^١ المقرئ : مسودة الخطوط ٦٦ و٦٧ .

حَمَلَهُ عَلَى صَرْفِ رَأْيِهِ عَنِ الْقَتْلِ ، وَأَعَادَ قُطْلُوبَكَ وَالصُّنَاعَ إِلَى دِمَشْقَ . فَمَاتَ قُطْلُوبُكَ عَقِيبَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ^١ .

فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، اهْتَمَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِسُقُوطِ الْمَاءِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَتَكْثِيرِهِ بِهَا ، لِأَجْلِ سَقْيِ الْأَشْجَارِ وَمَلْءِ الْفَسَاقِي ، وَلِأَجْلِ مَرَاحَاتِ الْقَنَمِ وَالْأَبْقَارِ . فَطَلَّبَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْبُنَّائِينَ ، وَنَزَلَ مَعَهُمْ ، وَسَارَ فِي طُولِ الْقَنَاظِرِ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَاءَ مِنَ الثَّلِيلِ إِلَى الْقَلْعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الشَّاحِلِ ، فَأَمَرَ بِحَفْرِ بَقْرِ أُخْرَى لِيُرَكَّبَ عَلَيْهَا الْقَنَاظِرُ حَتَّى تَتَّصَلَ بِالْقَنَاظِرِ الْعَتِيقَةِ ، فَيَجْتَمِعَ الْمَاءُ مِنْ بَثْرَتَيْنِ ، وَيَصِيرَ مَاءً وَاحِدًا يَجْرِي إِلَى الْقَلْعَةِ فَيَسْقِي الْمَيْدَانَ وَغَيْرَهُ ، فَعُمِلَ ذَلِكَ ^٢ .

ثُمَّ أَحَبَّ الزَّيَادَةَ فِي الْمَاءِ أَيْضًا ، فَزَكَّبَ وَمَعَهُ الْمُهَنْدِسُونَ إِلَى بَرْكَةِ الْحَبَشِ ، وَأَمَرَ بِحَفْرِ خَلِيجٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ ، وَيَمُرُّ إِلَى حَائِطِ الرُّضْدِ ، وَيَنْقَرُ فِي الْحَجَرِ تَحْتَ الرُّضْدِ عَشْرَ آبَارٍ يُصَبُّ فِيهَا الْخَلِيجُ الْمَذْكُورُ ، وَيُرَكَّبُ عَلَى الْآبَارِ السَّوَاكِي لِتَنْتَقِلَ الْمَاءُ إِلَى الْقَنَاظِرِ الْعَتِيقَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْمَاءَ إِلَى الْقَلْعَةِ زِيَادَةً لَهَا وَتَكْثِيرًا فِي الْمَاءِ ^٣ .

وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ أَوَّلِ هَذَا الْمَكَانِ الَّذِينَ عُيِّنَ لِحَفْرِ الْخَلِيجِ ، وَبَيْنَ آخِرِهِ تَحْتَ الرُّضْدِ ، أُمْلَاكٌ كَثِيرَةٌ وَعِدَّةٌ بَسَاتِينَ . فَتَدَبَّرَ الْأَمِيرُ أَقْبَعًا عَبْدَ الْوَاحِدِ ^(ب) وَالشُّهَابِي شَاذَ الْقَمَائِرِ ^(ج) لِحَفْرِ هَذَا الْخَلِيجِ ، وَشِرَاءِ الْأُمْلَاكِ مِنْ أَرْبَابِهَا . فَحَفَرَ الْخَلِيجَ ، وَأَجْرَاهُ فِي وَسْطِ بُشْتَانِ الصَّاحِبِ بِهَاءِ الدِّينِ بْنِ حِثَّا ، وَقَطَعَ أَنْشَابَهُ ، وَهَدَمَ الدُّورَ ، وَجَمَعَ عَامَّةَ الْحُجَّارِينَ لِقَطْعِ الْحَجَرِ وَنَقْرِ الْآبَارِ .

وَصَارَ السُّلْطَانُ يَتَعَاهدُ الثَّرْوَةَ لِلْقَتْلِ كُلِّ قَلِيلٍ ، فَعَمِلَ عُثْمُ الْخَلِيجِ مِنْ قَمِ الْبَحْرِ أَرْبَعَ قَصَبَاتٍ ، عُثِقَ كُلُّ بَقْرِ فِي الْحَجَرِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا ^٤ . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَوْتَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ قَبْلَ تِمَامِ هَذَا الْعَمَلِ ، فَبَطَلَ ذَلِكَ وَانْطَمَ الْخَلِيجُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَبَقِيَتْ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ قِطْعَةٌ بِجَوَارِ رِبَاطِ الْآثَارِ ^(د) .

(a) من المسودة ، وفي المبيعة : زيادة للمائها . (b-b) إضافة من مسودة الخطوط . (c) في مسودة الخطوط : وبقيت قطعة منه قريبة من البركة المعروفة بالشامية .

^١ المقريري : مسودة الخطوط ٦٧ و .

١٤٤٤-١٤٤٧) .

^٢ الشجاعى : تاريخ الملك الناصر محمد ٩٥-٩٦ . وكانت قناظر الناصر محمد نحو بمنطقة كُوم الجارح

^٣ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩: ١٦٠-١٦١ ؛ ابن

إبراهيم : بدائع الزهور ١/١ : ٤٥٩ ؛ وانظر كذلك

بالآثار تحت رقم ٧٨ ، فهو من إنشاء السلطان قاضيه =

Casanova, P., *op.cit.*, pp. 659-65 (الترجمة العربية

وما زالت الحائِطُ قائِمةً من الحَجَرِ في غاية الإثقان من إحكام الصَّنعة وجودة البناء ، عند سطح الجُوف الذي يُعرف اليوم بالوعُصْد ، قائِمةً من الأرض في طُول الجُوف إلى أعلاه ؛ حتى هَدَمَهُ الأميرُ يَليغا السالمِي في سنة اثنتي عشرة وثمان مائة ، وأَخَذَ ما كان به من الحَجَرِ فَرَمَ به القَنَاطِرُ التي تَحْمِلُ إلى اليوم الماءَ حتى يَصِلَ إلى القَلعة . وكانت تُعرف بتسواقي السلطان ، فلما هُدِمتَ جَهِلَ أَكثَرُ النَّاسِ أَمْرَها ، ونَسُوا ذَكرَها ^١ .

المَطْبُخُ

كان أَوَّلًا مَوْضِعُهُ في مَكَانِ الجامع ، فأدْخَلَهُ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلاوونَ فيما زادَهُ في الجامع ، وبنى هذا المَطْبُخَ الموجود الآن ، وعمل عُقودَهُ بالحِجَارَةِ ، ^(a) وكذلك جميع عماراتِهِ بالقَلعة عَمَرُها كُلُّها بالحَجَرِ ^(b) خَوْفًا من الحَرِيق ^٢ .

وكانت أحوالُ المَطْبُخِ مُتَسِعَةً جَدًّا سِمْما في سَلْطَنَةِ الأَشْرَفِ خَلِيلِ بْنِ قَلاوونَ ، فَإِنَّهُ تَبَسَّطَ في المأكِلِ وغيرِها . حتى لَقَدْ ذَكَرَ جَماعَةٌ من الأَغْنياء أَنَّهُمْ أَقامُوا مُدَّةَ سَفَرِهِمْ مَعَهُ يُزِيلُونَ كُلَّ يَوْمٍ عَشرين دِرْهَمًا ، فيشتري لَهم بِها مِمَّا يَأْخُذُهُ العِلمانُ أَرْبَعَ خَوافِقَ صِينيٍّ مَملوءَةً طَعامًا مَفْتَحَرًا بالقُلُوبِياتِ ونحوها ، في كُلِّ خَافِقَةٍ ما يَنيفُ على خَمسة عَشَرَ رِطْلَ لَحْمٍ ، أو عَشْرَةَ أَطْيَارَ دَجَاجِ سُمَانٍ .

وَبَلَغَ رَاتبُ الحَوَائِجِ خاناهُ ، في أَيَّامِ المَلِكِ العادِلِ كَتَبُغا ، كُلَّ يَوْمٍ عَشرين أَلْفَ رِطْلَ لَحْمٍ ، وراتِبُ البُيُوتِ والحِراياتِ غيرَ أَزْبابِ الرِّوايِبِ في كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مائة أَرْدَبَ قَفْحا . واعتَبَرَ القاضِي شَرَفُ الدِّينِ عبد الوَهَّابِ النَّشْوَ ناظِرَ الخَاصِّ ، أَمَرَ المَطْبُخَ السُّلْطاني في سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاثين وَسَبْعَ مائة / فَوَجَدَ عِدَّةَ الدَّجَاجِ الذي يُذْبَحُ في كُلِّ يَوْمٍ لِلسُّمَاطِ ، والخَافِي ^(b) التي تُحْصَرُ السُّلْطَانُ وَيَتَمَتُّ مِنْها ^(c) إلى الأَمْرَاءِ سَبْعَ مائة طائِرٍ ، وَبَلَغَ مَصْرُوفُ الحَوَائِجِ خاناهُ في كُلِّ

٢٣١:٢

(a) = إضافة من مسودة الخطوط . (b) بولاق : المحاجي . (c) بولاق : بها .

= القوري سنة ٩١٢هـ/١٥٠٧م . (ابن إياس : بدائع ١٥٧) .

الزهور ٤ : ١١٠ وانظر كذلك Creswell K.A.C. ، المقريزي : مسودة الخطوط ٦٨ و-ظ .

٢ نفسه ٦٩ و . MAE II, pp. 255-59 سعاد ماهر : «مجرى مياه قم

الخليج» ، المجلة التاريخية المصرية ٧ (١٩٥٨) ، ١٣٤ -

يوم ثلاثة عشر ألف درهم، فأكثر أولاد الناصر من مصروفها حتى توقفت أحوال الدولة في أيام الصالح إسماعيل.

وكتب أوراق مكلف^(٥) الدولة في سنة خمس وأربعين وسبع مائة، فبلغت في السنة ثلاثين ألف ألف درهم، منها مصروف الخوايج خاناه في كل يوم اثنان وعشرون ألف درهم. وبلغ في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون راتب الشكر، في شهر رمضان خاصة، (ب) من كل سنة ألف قنطار. ثم تزايد حتى بلغ إلى (ج) شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مائة ثلاثة آلاف قنطار، عنها ست مائة ألف درهم، عنها ثلاثون ألف دينار مصرية.

وكان راتب الدار^(د) السلطانية، في كل يوم من أيام شهر رمضان، ستون قنطاراً من الحلوى (ب) الشكرية، وأجر ما كان يعمل في الأيام الأشرقية شعبان بن حسين في كل يوم من أيام شهر رمضان ستون قنطاراً من الحلوى (ب) يرشم التفرقة للدور وغيرها. وكانت الدولة قد توقفت أحوالها، فوفر من المصروف في كل يوم أربعة آلاف رطل لحم، وست مائة كمامة سميد، وثلاث مائة أرذب من الشعير، وبلغ ألفي درهم في كل شهر. وأضيف إلى ديوان الوزارة شوق الخيل والدواب والجمال، وكانت بيد عدة أجناد عوضوا عنها إقطاعات بالتواحي.

واغتنب في سنة ست وأربعين وسبع مائة متحصل الحاج علي الطباخ^(١)، فوجد له على المعاملين في كل يوم خمس مائة درهم، ولابنه أحمد في كل يوم ثلاث مائة درهم سوى الأعيمة المفتخرة وغيرها، وسوى ما كان يحصل له في عمل المهمات مع كثرتها. ولقد تحصل له من ثمن الرؤوس والأكارع وسقط الدجاج والإوز، في شهر عمله للأمير بكتغر الشافي، ثلاثة وعشرون ألف درهم، عنها نحو ألفين ومائتي دينار. فأوقعت الخوطة عليه، وصودر، فوجد له خمسة وعشرون داراً على البحر وفي عدة أماكن.

واغتنب مصروف الخوايج خاناه، في سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، فكان في كل يوم اثنين وعشرين ألف رطل من اللّحم.

(٥) بولاق : بكلف . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : في . (d) بولاق : الدور .

^١ هو صاحب جامع الطباخ بيدان باب اللوق، انظر ترجمته فيما يلي ٢: ٣١٥. وانظر كذلك نبيل محمد عبد العزيز : المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والملوك ، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩.

ذكر أبراج الحمام

(١) وكان بقلعة الجبل أبراج الحمام المعدة لحفل البطائق .

قال ابن عبد الظاهر في كتاب «تأيم الحمام» : ذكر أبراج الحمام التي بالقلعة وغيرها وما بها من الحمام ومن يقوم بها ويُدريجها والمُستقر لها من العلف ولِغاليها ولِرجاليها من الكلف ، وجملتها ألف وتسع مائة طائر ، تفصيل ذلك بأسماء مُقدِّمها وِراجِها إلى آخر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وست مائة :

المُقدِّم عُثمان خمس مائة طائر ، أيوب ثلاثة مائة طائر ، يَفْقُوب ثلاث مائة وسبعون طائرًا ، خِضْر ثلاث مائة طائر ، علي مائتان وأربعون طائرًا . وكلُّ هذه الأبراج بالقلعة غير بُرج واحد ، وهو بُرج البزقيّة ، يُعرَف بِبُرج الفَيّوم^(٢) ، رَبّه الأمير فَخر الدّين عُثمان بن قُزل ، أستاذار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وقيل له بُرج الفَيّوم ، فإنَّ جميع الفَيّوم كانت في إقطاع ابن قُزل ، وكانت البطائِقُ تُرَدُّ إليه من الفَيّوم ، ويتعشّنها من القاهرة إلى الفَيّوم من هذا البُرج ، فاستمرَّ هذا البُرج يُعرَف بذلك .

وكان بكلِّ مَرَكزٍ حمامٍ في سائر نواحي المملّكة ، مِصرًا وشامًا ، ما بين أسوان إلى الفُرات . فلا تُحصى عدده ما كان منها في الثُّغُور والطُرُقات الشاميّة والمصريّة ، وجميعها تدرج وتنقل من القلعة إلى سائر الجهات .

وكان لها بِغالُ الحُفَل من الإسطبلات السلطانيّة ، وجامعيّات البُراجين والغُلُوفات تُصَرَف من الأَهراء السلطانيّة ، فتبلغ الثَّقَّة عليها من الأموال ما لا يُحصى كثرة . وكانت صَريّة العلف لكلِّ مائة طائر رُبْع وِميّة قُول في كلِّ يوم .

(a-a) هذه الفقرة من مسودة الخطوط جوفًا عن ما هو موجود بالمخطّطة .

^١ هذا النصّ وَرَدَ في طَيَّارة في مسودة الخطوط ٧٠و- مُقدِّمة هذا المجلّد .
٧٠ط ، وأثبتّ مطلقه لاختلافه على تفلومات هائلة ، وبقيّة
النصّ في المخطّطة يختلف اختلافًا غير مُجَلٍّ عن ما وَرَدَ في
الغُمرى : التعريف بالمصطلح الشَّريف ٢٥٤-٢٥٥ ؛
القلقشندي : صبح الأعشى ٨٩:٢-٩٠ ، ٣٨٩:١٤-
وعن كتاب «تأيم الحمام» لابن عبد الظاهر ، انظر ٣٩٤ .

(a) قال: كان الجاري به العادة أنها لا تحمّل البطاقة إلا في جناحها لأمرٍ منها: حفظها من المطر، ولقوة الجناح، ورأيهم في هذا الوقت لا يجعلونها إلا في أذناها^a. وكانت العادة إذا بطلت من قلعة الجبل إلى الإسكندرية فلا تشرح الطائر إلا من ثنية غفيرة بالحيزة - وهي أول المراكز - وإذا سرح إلى الشرقية لا يطلق إلا من مسجد يثر خارج القاهرة، وإذا سرح إلى دشايط لا تشرح إلا من ناحية يسوس. وكان يسير مع الزاجين من يؤصلهم إلى هذه الأماكن من الجاندارية.

وكذلك كانت العادة في كل مملكة يؤخى الإبقاء في التشريع عن مستقر الحمام. والقصد بذلك أنها لا ترجع إلى أفراسها من قريب. وكان يعمل في الطيور السلطانية غلايم، وهي ذاعات في أزجلها أو على مناقيرها، ويسمى^b أزباب الملعوب «الاضطلاح».

وكان الحمام إذا سقط بالبطاقة لا يقطع البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد^c. وكانت لهم عناية شديدة بالطائر، حتى إن السلطان إذا كان يأكل وسقط الطائر، لا يمهّل حتى يفرغ من الأكل، بل يجل البطاقة ويترك الأكل، وهكذا إذا كان نائما لا يمهّل بل يهيه.

قال ابن عبد الظاهر: وهذا الذي رأينا عليه ملوكنا، وكذلك في المؤكب وفي لعب الكرة، لأنه بلمحة يفوت، ولا يستدرك المهم العظيم، إما من أصل أو هارب، وإما من متجدد في الثور.

قال: ويتنبه أن تكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك، ورأي الأول لا يكتبون في أولها بسملة، وتوزع بالساعة واليوم لا بالسنين، وأنا أوزعها بالسنة، ولا يكثر في نفوس الخاطب فيها، ولا يذكر خشو في الألفاظ، ولا يكتب إلا لب الكلام وزبدته. ولا بد وأن يكتب «سرح الطائر وزيقه» حتى إن تأخر الواحد ترقب حضوره أو يطلب. ولا يعمّل للبطائق هامش ولا تحمدل^d، ويكتب آخرها حشبة، ولا تهنون إلا إذا كانت منقولة. مثل/ أنها^e تشرح إلى السلطان من مكان بعيد، فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا

a-a هذه الفقرة من مسودة الخطوط عوفاً عن ما هو موجود بالمبينة. (b) بولاق: ويسمىها. (c) ساقطة من

بولاق. (d) بولاق: ولا تجمل. (e) بولاق: أن.

يَفْتَحُهَا أَحَدٌ. وَكُلُّ وَالٍ تَصِلُ إِلَيْهِ بِكُتُبٍ فِي ظَهْرِهَا أَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ وَنَقَلَهَا، حَتَّى تَصِلَ مَخْتُومَةً.

قَالَ: وَمِمَّا شَاهَدْتُهُ وَتَوَلَّيْتُ أَمْرَهُ أَنَّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، حَضَرَ مِنْ جِهَةِ نَائِبِ الصَّبِيَّةِ نَيْفٌ وَأَرْبَعُونَ طَائِرًا صُحْبَةً الْبُرَاجِينَ، وَوَصَلَ كِتَابُهُ أَنَّهُ دَوَّجَهَا إِلَى مِصْرَ. فَأَقَامَتْ مُدَّةً لَمْ يَكُنْ شُغْلٌ يُنْطَقُ^(a) فِيهِ، فَقَالَ بَرَّاجُهَا: قَدْ أَرَفَ الْوَقْتُ عَلَيْهَا فِي الْفَرِيضَةِ^(b). وَجَزَى الْحَدِيثُ مَعَ الْأَمِيرِ^(c) بَهْرَ الدِّينِ^(d) يَتَدَرَأُ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ، فَتَقَرَّرَ كُتُبُ بَطَائِقَ عَلَى عَشْرَةٍ مِنْهَا بِوَصُولِهَا لَا غَيْرَ، وَسَرَّحَتْ يَوْمَ أَرْبَعَاءَ جَمِيعُهَا فَاتَّفَقَ وَفُورُ طَائِرَتَيْنِ مِنْهَا، فَأَحْضَرَتْ بَطَائِقُهُمَا وَحَصَلَ الْاسْتِهْزَاءُ بِهَا.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَصَلَ كِتَابُ السُّلْطَانِ أَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى الصَّبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِينَهُ⁽¹⁾، وَبُطِقَ بِذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعِينَهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى دِمَشْقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. وَهَذَا مِمَّا أَنَا مُصَرِّفُهُ وَحَاضِرُهُ وَالْمُشِيرُ بِهِ.

قَالَ كَاتِبُهُ^(d): قَدْ بَطَلَ الْحَمَامُ مِنْ سَائِرِ الْمَمْلَكَةِ إِلَّا مَا يُنْقَلُ مِنْ قَطِيَا إِلَى يَلْبِيسَ، وَمِنْ يَلْبِيسَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَلَا تَسَلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَيْءٍ، وَكَأَنِّي بِهِذَا الْقَدْرِ وَقَدْ ذَهَبَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

(a) بولاق : تبطن. (b) بولاق : الفرنسة. (c-c) سائطة من بولاق. (d) بولاق : مؤلفه.

¹ آخر الموجود في المطبوعة الموجودة في مسودة الخطوط.

ذِكْرُ مُلُوكِ مِصْرَ مِنْذُ بُنِيَتْ قَلْعَةُ الْجَبَلِ

اعْلَمْ أَنَّ الَّذِينَ وَلَّوْا أَرْضَ مِصْرَ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ - مَنْ وَلَّى بِقُسْطَاطِ مِصْرَ مِنْذُ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْضَ مِصْرَ عَلَى أَيْدِي الْعَرَبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَتَابِعِيهِمْ ، فَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ أَبُو الْحُسَيْنِ جَوْهَرٌ مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةٍ بِعَسَاكِرِ غُزَاهِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَقَدَّ ، وَبَنَى الْقَاهِرَةَ . وَهَؤُلَاءِ يُقَالُ لَهُمْ «أَمْرَاءُ مِصْرَ» ، وَمُدَّتْهُمْ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا : أَوَّلُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلَ الْحَرَمِ سَنَةَ عَشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَآخِرُهَا يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . وَعِدَّةُ هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ مِائَةً وَاثْنًا عَشَرَ أَمِيرًا .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي - مَنْ وَلَّى بِالْقَاهِرَةِ مِنْذُ بُنِيَتْ إِلَى أَنْ مَاتَ الْإِمَامُ الْعَاضِدُ لَدَيْنَ اللَّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ . وَهَؤُلَاءِ يُقَالُ لَهُمْ «الْخُلَفَاءُ الْفَاطِمِيُّونَ» ، وَمُدَّتْهُمْ بِمِصْرَ مِائَتًا سَنَةً وَثَمَانِي سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَانِ وَعِشْرُونَ يَوْمًا : أَوَّلُهَا يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ سَابِعَ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَآخِرُهَا يَوْمُ الْأَحَدِ عَاشِرَ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ . وَعِدَّةُ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ أَحَدَ عَشَرَ خَلِيفَةً .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ - مَنْ مَلَكَ مِصْرَ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ إِلَى وَفَاتِنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ «الْمُلُوكُ وَالسُّلَاطِينُ» ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ : مُلُوكُ بَنِي أُيُوبَ ، وَهُمْ أَكْثَرَادُ . وَالْقِسْمُ الثَّانِي : الْبَحْرِيَّةُ وَأَوْلَادُهُمْ ، وَهُمْ تَمَالِكُ أَتْرَاكُ لَبْنِي أُيُوبَ . وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : تَمَالِكُ أَوْلَادِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَهُمْ جَبْرَاكِسَةُ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ ذِكْرُ الْأَمْرَاءِ وَالْخُلَفَاءِ^١ . وَسَتَقِفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذِكْرٍ مِنْ مَلَكَ مِنَ الْأَكْثَرَادِ وَالْأَتْرَاكِ وَالْجَبْرَاكِسَةِ وَتَعْرِفُ أَخْبَارَهُمْ عَلَى مَا سَرَطْنَا مِنَ الْاِخْتِصَارِ . إِذْ قَدْ

^١ انظر فيما تقدم ٤٠٢-٥٦ ، ٨٠-٨٣ - المُسْتَطَاطُ وَالْمُسْتَكْرَ وَالْفُطَايِحُ كِتَابُهُ وَعَقْدُ جَوَاهِرِ الْأَشْفَاطِ مِنْ أَخْبَارِ مَدِينَةِ الْمُسْتَطَاطِ ، وَهُوَ كِتَابٌ مَفْقُودٌ الْآنَ (فِيهَا ١٠٤ ، ١٨٣-٢٠٦ .
وَقَدْ خَصَّصَ الْقُرَيْشِيُّ لَذِكْرِ أَمْرَاءِ مِصْرَ الَّذِينَ وَلَّوْا تَقْدِيمَ ٢: ٢١٢؛ الْقُرَيْشِيُّ: اتعاط الحنفيا ٤: ١، السلوك =

وَصَفْتُ لِبَسْطِ ذَلِكَ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ كِتَابُ «الشُّلُوكِ لِمَعْرِفَةِ دَوْلِ الْمُلُوكِ»^١، وَجَزَّذْتُ تَرَاجِمَهُمْ فِي كِتَابِ «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ الْمُقْفَى»^٢. فَتَطَلَّبُهُمَا نَجِدُ فِيهِمَا مَا لَا نَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى سِوَاهُمَا فِي مَقْنَاهُمَا.

وَكُزْمَنُ مَلِكُ بَصْرَةَ مِنَ الْأَكْرَادِ

اعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي الْأَكْرَادِ، فَذَكَرَ الْعَجَمُ أَنَّ الْأَكْرَادَ فَضَّلُ طَعْمَ الْمَلِكِ يِيوراشف. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَنْ يُذْبَحَ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ إِنْسَانَانِ، وَيَتَّخِذُ طَعَامَهُ مِنْ لَحْمِهِمَا. وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُقَالُ لَهُ^٣ أَرْمَاتِيلُ، فَكَانَ يُذْبَحُ وَاحِدًا، وَيَسْتَحْيِي وَاحِدًا وَيَبْعَثُ بِهِ إِلَى جِبَالِ فَارِسَ. فَتَوَالَدُوا فِي الْجِبَالِ وَكَثُرُوا.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَلْحَقَهُم بِإِمَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - حِينَ شَلِبَ مُلْكُهُ، وَوَقَعَ عَلَى نِسَائِهِ الْمُنَاقِبَاتِ الشَّيْطَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْحَسَدُ، وَعَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَلَّقَ مِنْهُ الْمُنَاقِبَاتِ. فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُلَيْمَانَ مُلْكَهُ، وَوَضَعَ هَؤُلَاءِ الْإِمَاءَ الْحَوَامِلَ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ:^٤ أَكْرَدُوهُمْ^٥ إِلَى الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ. فَزَيَّنَهُمْ أَهْمَانُهُمْ، وَتَنَاقَحُوا وَتَنَاسَلُوا. فَذَلِكَ بَدْءُ نَسَبِ الْأَكْرَادِ.

(a) يسمى . (b) يولاقي : أكردوهم .

^١ صَدَرَتْ الثُّبُوتُ الْكَامِلَةُ لِكِتَابِ «الشُّلُوكِ لِمَعْرِفَةِ دَوْلِ الْمُلُوكِ» فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ، كُلُّ جُزْءٍ فِي ثَلَاثَةِ أَقْصَامٍ، أَصْغَرُ الْجُزْأَيْنِ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي مُحَمَّدُ مَصْلُفِي زِيَادَةُ فِي الْقَاهِرَةِ بَيْنَ سَنَتَيْ ١٩٣٤ وَ ١٩٥٨، وَأَصْدَرَ الْجُزْأَيْنِ الثَّالِثَ وَالرَّابِعَ سَعِيدُ عَبْدِ الْفَتَّاحِ عَاشُورُ فِي الْقَاهِرَةِ أَيْضًا بَيْنَ سَنَتَيْ ١٩٧٠ وَ ١٩٧٣. (انظر فيما تقدم ٤٢:١ هـ^٦).

^٢ تَشَرَّ مُحَمَّدُ الْبَعْلَاوِيُّ الْأَجْرَاءُ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ «الْمُقْفَى الْكَبِيرِ» فِي سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى جُزْءٍ لِلْكَشَّافَاتِ، وَصَدَرَ عَنْ دَارِ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ بِبِروَتِ سَنَةِ ١٩٩١. (انظر فيما تقدم ٤٣:١ هـ^٦، ٤٤:٢ هـ^٦ - ٥٦ هـ^٦).

= ٩:١، ضَوْءُ السَّارِيِّ فِي خَبَرِ تَحْمِيمِ الدَّارِيِّ (٣١)؛ وَخُصَّصَ لِذِكْرِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ كِتَابُهُ «الْمَنَاطُ الْحَقُّقُ بِأَعْيَانِ الْأَكْمَةِ الْفَاطِمِيِّينَ الْخُلَفَاءِ»، (تَشَرَّ لِلْمَشْرِقِ الْأَلْمَانِي Hugo Bunz الْقِطْعَةُ الْمَوْجُودَةُ مِنَ الْكِتَابِ بِكُطْبِ الْمَقْرِيزِيِّ وَالْمَحْفُوظَةُ فِي مَكْتَبَةِ غُوطَا بِالْمَآلِيَا بِرَقْمِ 1625 فِي لَيْبِزِجِ سَنَةِ ١٩٠٩، ثُمَّ أَعَادَ نَشْرَهَا بِجَمَالِ الدِّينِ الشَّيْخَالِ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٤٨. ثُمَّ تَشَرَّ بِجَمَالِ الشَّيْخَالِ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنَ الْكِتَابِ اعْتِمَادًا عَلَى النُّسخَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي وُجِدَتْ فِي مَكْتَبَةِ أَحْمَدِ الثَّالِثِ بِإِسْتَانْبُولَ، وَصَدَرَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٩٦٧ عَنْ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلشُّعُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ أَمَّ نَشْرَ الْجُزْأَيْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ مُحَمَّدُ حَلَمِي أَحْمَدُ وَصَدَرَ عَنْ الْمَجْلِسِ فِي سَنَتَيْ ١٩٧١، ١٩٧٣، وَانظر فيما تقدم ٤٢:١ هـ^٦).

والأكراد عند الفُرس من وَلَد كُرْد بن اسفندام بن منوشهر . وقيل هم يُنسبون إلى كُرْد بن مُرزد ابن عمرو بن صَغَصَغَة بن مُعاوية بن بَكْر ، وقيل هم من وَلَد عمرو مُزَيْقِيَا بن عامر بن ماء السماء ، وقيل من بني حامد بن طارق من بقية أولاد حَمِيد بن زهير بن الحارث بن أَسَد بن عبد الغُزَّى ، بن قُصَي . وهذه أقوالٌ لِقَهْهَاء لهم مَن أراد الخطوة لديهم لما صار المُلك إليهم .

وأما هم قَبِيل من قَبَائِل العَجَم ، وهم قَبَائِل عَدِيْدَة : كورانية ؛ بنو كوران ، وهَذَبَانِيَّة ، وَهَشْتَوِيَّة وشَاصَنجَانِيَّة وسَرْجِيَّة^٥ وقِرْوَلِيَّة ومَهْرَانِيَّة وزَزْدَارِيَّة وَكَيْكَانِيَّة وَجَاك وكِرودَنْبَلِيَّة وزَوَادِيَّة وَذَنْبِيَّة وَهَكَارِيَّة وَلَحْمِيْدِيَّة وَوُزْجِيْكِيَّة وَمَزَوَانِيَّة وَجَلَالِيَّة وسَنْبِيْكِيَّة وَجَوْتِي . وَتَزْعُم المَوَانِيَّة أَنَّها من بني / مَزَوَان بن الحَكَم ، وَتَزْعُم بعضُ الهَكَارِيَّة أَنَّها من وَلَد عُثْبَة بن أَبِي سُفْيَان بن حَرْب^١ .

وأوَّل من مَلَكَ مصر من الأكراد الأيوبيَّة «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّين» أَبُو الْمُظْفَر يُوسُفُ بن نَجْم الدِّين أَبِي الشُّكْر أَنُوب بن شاذي بن مَزَوَان الكُرْدِي ، من قَبِيل الزَّوَادِيَّة أَخَذَ بُطُون الهَذَبَانِيَّة^٢ .

(a) بولاق : سرنجية .

820-830; Humphreys, R. C., *From Saladin to the Mongols : The Ayyubids of Damascus*, Albany N. Y. 1977; Wiet, G., *L'Egypte arabe de la conquête arabe à la conquête ottomane*, Paris 1937, pp.309-86; Chamberlain, M., «The Crusader era and the Ayyubid Dynasty», *The Cambridge History of Egypt I*, pp. 211-241

وانظر الدراسات الخاصة بكل من الملك العادل والملك الكامل والملك الصَّالِح والسُّلْطَانَة شَجَر الدُّر .

^٢ من المُتَحَرِّض خُضِر المصادر الأصلية عن السُّلْطَان صَلَاح الدِّين يُوسُفُ بن أَنُوب وأُخْبَارُه ، وأَهْتَمَّا مَا كَتَبه الْعِمَادُ الْكَاتِبُ الْأَصْغَهَانِي وَغَيْرُ الدِّينِ ابْنِ الْأَثِيرِ وَالْقَاضِي الْفَاضِلِ وَغَيْرُ الدِّينِ بِنِ شَدَّاد وَبَحْثِي بِنِ أَبِي طَلْحٍ وَابْنُ أَبِي شَامَةَ وَابْنُ وَاجِلِ الْحَمَوِي ، إِضَافَةً إِلَى النُّوَيْرِيِّ وَالْمَقْرِزِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ ابْنِ تَغْرِي بِرْدِي . وَانْظُر أَهَمَّ تَرْجُمَاتِه عِنْد ، ابْنِ خُلْكَانَ : وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٣٩:٧ - ٢١٨ : الدَّهْلِي : سِيرُ أَعْلَامَ =

^١ راجع ، ابْنِ خُلْكَانَ : وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ١٣٩:٧ - ١٤٠ .
وعن تاريخ الدَّوْلَةِ الْاَيُّوبِيَّة فِي مِصْرَ رَاجِعْ إِضَافَةً إِلَى الْمَصَادِرِ الْمَشَارِإِلَيْهَا فِي الْهُوَامِشِ التَّالِيَةِ ، عَلِي يَوسُفِي : قِيَامُ الدَّوْلَةِ الْاَيُّوبِيَّة فِي مِصْرَ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٥٢ السَّيِّدُ الْبَازِ الْعَرِينِي : مِصْرُ فِي عَصْرِ الْاَيُّوبِيِّينَ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٦٠ ، نَفْسُهُ : الشَّرْقُ الْأَدْنَى فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى (١) الْاَيُّوبِيُون ، بِيْرُوت ١٩٦٧ سَعِيدُ عَبْدِ الْفَتَّاحِ عَاشُور : الْاَيُّوبِيُون وَالْمَمَالِكُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٦٩ ، ١٩٩٠ ، وَفَاةُ مُحَمَّدٍ عَلِي : قِيَامُ الدَّوْلَةِ الْاَيُّوبِيَّة فِي مِصْرَ وَالشَّامِ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٨٧ قَاسِمُ عَهْدِ قَاسِمَ ، عَلِي السَّيِّدُ عَلِي : الْاَيُّوبِيُون وَالْمَمَالِكُ - التَّارِيخُ السِّيَاسِي وَالْمَسْكُورِي ، الْقَاهِرَةِ ١٩٩٦ ل . ا . سَمِيْعُوف : صَلَاحُ الدِّينِ وَالْمَمَالِكُ فِي مِصْرَ ، تَرْجُمَةُ حَسَنِ يَوسُفِي ، الْقَاهِرَةِ - الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِلتَّقَاةِ ١٩٩٨ أَحْمَدُ فُؤَادُ سَيِّد : تَارِيخُ مِصْرَ الْإِسْلَامِيَّة فِي زَمَنِ سُلْطَانِيْنِ بَنِي أَيْوُبَ ، الْقَاهِرَةِ - مَكْتَبَةُ مَدَبُولِي Cahen, Cl., *Et* ² art. *Ayyûbides I*, pp. ٢٠٠٢ .

نَشَأَ أَبُوهُ أَيُّوبُ وَعُمُهُ أَسَدُ الدِّينِ شِيرُكُوهُ بَيْلِدُ دَوِينٍ مِنْ أَرْضِ أَذْرَبَيْجَانٍ^١ مِنْ جِهَةِ أَرَانَ وَبِلَادِ الْكُزْجِ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَخَدَّمَا مُجَاهِدَ الدِّينِ بَهْرُوزَ شَيْخَةَ بَغْدَادَ. فَبَعَثَ أَيُّوبُ إِلَى قَلْعَةِ تَكْرِيتَ، وَأَقَامَهُ بِهَا مُسْتَحْفِظًا لَهَا وَمَعَهُ أَخُوهُ شِيرُكُوهُ - وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ سِنًا - فَخَدَمَ أَيُّوبَ الشَّهِيدَ زَنْكِيَّ لَمَّا انْهَزَمَ، فَشَكَرَ لَهُ خِدْمَتَهُ.

٥. وَاتَّفَقَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ شِيرُكُوهُ قَتَلَ رَجُلًا بِتَكْرِيتَ، فَطَرِدَ هُوَ وَأَخُوهُ أَيُّوبُ مِنْ قَلْعَتَيْهَا، فَمَضَيَا إِلَى زَنْكِيٍّ بِالْمَوْصِلِ فَأَوَاهُمَا وَأَقْطَعَهُمَا إِقْطَاعًا عِنْدَهُ، ثُمَّ رَتَّبَ أَيُّوبَ بِقَلْعَةٍ بِغَلَبَكِ مُسْتَحْفِظًا، ثُمَّ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةٍ. وَاتَّصَلَ شِيرُكُوهُ بِثُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَنْكِيٍّ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ وَخَدَّمَهُ. فَلَمَّا مَلَكَ حَلَبَ بَعْدَ أَبِيهِ، كَانَ لِنَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ عَمَلٌ كَثِيرٌ فِي اخْتِذِ دِمَشْقَ لِثُورِ الدِّينِ. فَتَمَكَّنَا فِي دَوْلَتِهِ حَتَّى بَعَثَ شِيرُكُوهُ مَعَ الْوَزِيرِ شَاوَرِ بْنِ مُجْبِرِ السَّغْدِيِّ إِلَى مِصْرَ، فَتَارَ صِلَاحَ الدِّينِ فِي خِدْمَتِهِ مِنْ جَمَلَةِ أَجْنَادِهِ.

صلاح الدين - أعلام العرب ٤١، القاهرة ١٩٦٥؛ قدرى قلعجي: صلاح الدين الأيوبي - قِصَّةُ الصُّرَاعِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ خِلَالِ الْقَرْنَيْنِ الثَّانِي وَعَشَرَ وَالثَّلَاثِ عَشَرَ، بِيْرُوت ١٩٦٦ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، بيروت - مؤسسة الرسالة ١٩٨٦. Gibb, H.A.R., «The Armies of Saladin», *Cahiers d'histoire égyptienne* III (1951), pp. 304-320; id., «The Achievement of Saladin», *Bulletin of the John-Rylands Library*, 35 (1952), pp. 44-60 (نقلها إلى العربية محمود زايد في كتاب هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، بيروت - دار العلم للملايين ١٩٧٩، ٩٧-١٤٢) Ehrenkreutz, A.S., *Saladin*, Albany, N.Y. 1972; Gibb, M.A.R., *The Life of Saladin*, Oxford 1973; Lyons, M.C. & Jackson, D.E., *Saladin. The Politics of the Holy War*, Cambridge 1982; Chauvel, G., *Saladin-Rassembleur de l'Islam*, Paris 1991; Lev, Y., *Saladin in Egypt*, Leiden - Brill 1999.

^١ دَوِين - بضم الدال المهملة وكسر الواو وبعدها الياء المشددة من تحتها وبعدها نون. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٥٩:٧، ١٣٩).

= النبلاء ٢١: ٢٧٨-٢٩١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٩: ١٠٣-١٥٤؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٤: ٣٢٥-٣٤١.

وَكُتِبَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ السِّيرُ هَامِلْتُونُ جِبْ مَقَالًا مَطُوعًا Gibb, H.I., «The Arabic Sources for the Life of Saladin» *Speculum* XXV (1950), pp. 58-72 (يُقَالُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِعنوان المصادر العربية عن حياة صلاح الدين) في كتاب جب، أ.ر.: صلاح الدين الأيوبي - دراسات في التاريخ الإسلامي، تحرير يوسف إيش، بيروت ١٩٧٣، ١٩٩٦، ٦٩-٩٦؛ وانظر كذلك مقال دونالد ريتشارد Richard D. S., «A Consideration of Two Sources for the Life of Saladin», *JSS* XXV (1980), pp. 45-65، ومقاله في دائرة المعارف الإسلامية ٦٥، art. *Salah al-Din* VIII, pp. 241-46.

وَالدِّرَاسَاتُ الَّتِي كَتَبَتْ عَنْ صِلَاحِ الدِّينِ لَا يُمْكِنُ كَذَلِكَ الْإِحَاطَةُ بِهَا، وَأَهْمُهَا وَأَحَدُهَا: نَظِيرُ حُشَّانِ سَعْدَاوِي: جَيْشُ مِصْرَ فِي أَيَّامِ صِلَاحِ الدِّينِ، الْقَاهِرَةُ ١٩٥٦ نفسه: التاريخ الحربي المصري في عَهْدِ صِلَاحِ الدِّينِ، الْقَاهِرَةُ ١٩٥٧؛ عبد النعم مَاجِد: الناصر صلاح الدين، بيروت ١٩٥٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الناصر

وكان من أقر شيوخه ما كان حتى مات^١، فأقيم بعده، في وزارة العاصد، ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمس مائة، ولقبه بالملك الناصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة؛ فاشتمال قلوب الناس، وأقبل على الجدد، وترك اللهور، وتعاصد هو والقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني على إزالة الدولة الفاطمية، وولى صدر الدين بن دباس قضاء القضاة، وعزل قضاة الشيعة، وبني بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية، ومدرسة للفقهاء الشافعية، وقبض على أمراء الدولة، وأقام أصحابه عيوضهم، وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر. ولم يزل يذاب في إزالة الدولة حتى تم له ذلك، وخطب الخليفة بغداد المستضيء بأمر الله^٢ أبي محمد الحسن القباسي.

وكان العاصد مريضاً، فتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام، واستبد صلاح الدين بالسلطنة من أول سنة سبع وستين وخمس مائة، واستدعى أباه نجم الدين أيوب وإخوته من بلاد الشام، فقدموا عليه بأهاليهم. وتأهب لغزو الفرج، وسار إلى الشوبك وهي بيد الفرج فواقعهم، وعاد على^٣ أيلة فجبي الزكوات من أهل مصر، وفرقها على أصفائها، ورفع إلى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم مقاتلة وسهم المكاتبين^٤.

وأنزل الغز بالقصر العزي، وأحاط بأموال القصر وبعث بها إلى الخليفة بغداد وإلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام، فأنته الخلع الخليفة فلبسها، ورثب ثوب الطبلخاناه في كل يوم ثلاث مرات. ثم سار إلى الإسكندرية وبعث ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر إلى بركة، وعاد إلى القاهرة.

ثم سار في سنة ثمان وخمسين إلى الكرك - وهي بيد الفرج - فحصرها وعاد بغير طائل. فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب إلى بلاد الثوبة، فأخذ قلعة أبريم، وعاد بعتائمه وبسبي^٥ كثير، ثم سار لأخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها^٦.

(a) بولاق: المستصر بأمر الله. (b) بولاق: إلى. (c) بولاق: وسي.

^٣ فيما تقدم ١٠٩.

^١ فيما تقدم ٢٠٣: ٢٠٥.

^٢ فيما تقدم ١: ٢٩٨.

فلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بْنُ زَنْكِي، تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ فِي أَوَّلِ صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعِينَ إِلَى الشَّامِ، وَمَلَّكَ دِمَشْقَ بِغَيْرِ مَانِعٍ، وَأَبْطَلَ مَا كَانَ يُؤْخَذُ بِهَا مِنَ الْمَكُوسِ كَمَا أَبْطَلَهَا مِنْ دِيَارِ مِصْرٍ^١، وَأَخَذَ حِفْصَ وَحَمَاةَ، وَحَاصِرَ حَلَبَ وَبِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ مُجِيرُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَادِلِ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بْنُ زَنْكِي، فَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا قِتَالًا شَدِيدًا فَوَحَلَ عَنْهَا إِلَى جَنْصَ، وَأَخَذَ بَغْلَيْكَ بِغَدَا^٢ حِصَارَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ، فَوَقَّعَ الصُّلْحَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا بِيَدِهِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مَعَ الْمُعَرَّةِ وَكَفَرطَابَ، وَلَهُمْ مَا بِأَيْدِيهِمْ. وَعَادَ فَأَخَذَ بَغْرَاسَ بَعْدَ حِصَارَ، وَأَقَامَ بِدِمَشْقَ، وَنَدَبَ قَرَأُوشَ التَّقْوَى لِأَخْذِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَأَخَذَ أَوْجَلَه^٣ وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ. وَكَانَتْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الْحَلَبِيِّينَ وَقَعَةُ هَزْمَتِهِمْ فِيهَا وَخَصَرْتُهُمْ بِحَلَبَ أَيْامًا، وَأَخَذَ بُزَاغَةَ وَمُنْبِجَ وَعَزَازَ^٤، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ.

وَقَدِمَ الْقَاهِرَةَ فِي سَادِسَ عَشْرِينَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ، بَعْدَمَا كَانَتْ لِقَسَاكِرِهِ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ مَعَ الْفَرَنْجِ، فَأَمَرَ بِنَاءَ سُورٍ يُحِيطُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَقَلْعَةَ الْجَبَلِ، وَأَقَامَ عَلَى بِنَائِهِ الْأَمِيرَ بَهَاءَ الدِّينِ قَرَأُوشَ الْأَسَدِيَّ^٥. فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَعَمَلَ الشُّورَ وَخَفَرَ الْخَنْدَقَ حَوْلَهُ^٦. وَبَدَأَ السُّلْطَانُ بِتَمَلُّ مَدْرَسَةِ بِحْوَارِ قَبْرِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ^٧ فِي الْقَرَاةِ، وَعَمِلَ مَارِشَتَانًا بِالْقَاهِرَةِ^٨.

وَتَوَجَّهَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَةِ فَصَامَ بِهَا شَهْرَ رَمَضَانَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى الْحَافِظِ أَبِي طَاهِرٍ أَحْمَدَ السَّلْفِيِّ^٩، وَعَمَّرَ الْأُسْطُولَ، وَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَأَخْرَجَ قَرَأُوشَ التَّقْوَى إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ مَا كَانَ يُؤْخَذُ مِنَ الْحُجَّاجِ، وَعَوَّضَ أَمِيرَ مَكَّةَ عَنْهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَلْفِي دِينَارٍ وَأَلْفَ أَرْدَبَ غَلَّةٍ، سِوَى إِقْطَاعِهِ بِضَعِيدِ مِصْرَ وَبِالْيَمَنِ وَمِبلَغُهُ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ أَرْدَبَ.

(a) بولاق : بغير . (b) بولاق : أبجلن .

^١ انظر أبا شامة : الروضتين ١ : ٤٤٣ ، ٤٢٢ .
^٢ راجع ، ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٠٩ ، ٤ : ١١٨ ، ٢٠٥ : ٥ .

^٣ فيما تقدم ٢٦٤ : ٢٦٧ .
^٤ فيما تقدم ٢٦٤ : ٢٦٧ .
^٥ ابن جبير : الرحلة ٢٢ - ٢٣ ، وتم الفراغ من بنائها سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م .

^٦ راجع وصف ابن جبير لمارستان صلاح الدين في الرحلة ٢٦ : ٣٥٠ .
^٧ الإمام الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد الشافعي .
أحد كبار الحفاظ أصحاب الرحلة في طلب العلم (الحديث) أصله من أصبهان واستقر به المقام بالإسكندرية وبها توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م عن مائة وست سنين ، سمع عليه الناصر صلاح الدين الحديث بالإسكندرية وأكل عنده طعامًا ، وأرسل إليه صلاح الدين بمال فقبله . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ١٠٥ - ١٠٧ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٦ : ٣٢٢ - ٤٤ : الصفدي : الوافي بالوفيات ٧ : ٣٥١ - ٣٥٦ : المقريزي : القفى الكبير ١ : ٧٠٦ - ٧١١) .

ثم سار من القاهرة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين إلى عسقلان - وهي بيد الفرينج - فقتل وأسّر وسبى وغنم، ومضى يريدُهم بالرملة، / فقاتل البرنس أرناط مَمْلُوكَ الكرك قتالاً شديداً، ثم عادَ إلى القاهرة.

٢٣٤:٢

ثم سار منها في شعبان يريدُ الفرينج، وقد نزلوا على حماة، حتى قديم دِمَشق وقد رَحَلوا عنها، فواصلَ الغارات على بلاد الفرينج، وعساكره تغزو بلاد المغرب، ثم قَتَحَ يَتَ الأُخْزَانِ من عَمَلِ صَفَدَ وأَخَذَهُ من الفرينج عَنُوةً.

وسار في سنة ست وسبعين لحزب عزه^١ الدين فليج أرسلان صاحب قوتيه من بلاد الروم وعادَ، ثم تَوَجَّهَ إلى بلاد الأرمن، وعادَ فحزبَ حِصْنِ بَهْشَنَّا^٢. ومضى إلى القاهرة، فقَدِمَها في ثالث عشر شعبان، ثم خَرَجَ إلى الإسكندرية وسَجِعَ بها «موطأ» الإمام مالك على الفقيه أبي طاهر ابن عوف^٣، وأنشأ بها مَارِشَتَانَا ودارًا للمَغَارِبَةِ ومَدْرَسَةً، وجَدَّدَ حَفْرَ الخَلِيجِ ونقلَ قُوَّتَهُ، ثم مَضَى إلى دِمِياط، وعادَ إلى القاهرة.

١٠

ثم سار في خامس المحرم سنة ثمان وسبعين على أَيْلَةَ، فأغارَ على بلاد الفرينج، ومضى إلى الكرك، فعالت عساكره بلاد طَبْرِيةً وعُكَا، وأخذَ الشَّقِيفَ من الفرينج، ونَزَلَ السُّلْطَانُ بَدِمَشقَ، وركبَ إلى طَبْرِيةَ فَوَاقَعَ الفرينج. وعادَ فتَوَجَّهَ إلى حَلَبَ ونازلَها، ثم مَضَى إلى البيرة على الفُرات، وغدَى إلى الرُّهَا فأخَذَها، وملكَ حُرَّانَ والرُّوْقَةَ ونَصِيبِينَ، وحاصَرَ المَوْصِلَ فلم يَنْتَلِ منها غَرْضًا؛ فنَازَلَ سِنْجَارَ حَتَّى أَخَذَها. ثم مَضَى على حُرَّانَ إلى أَمِدَ فأخَذَها، وسارَ على عَيْنِ تَابٍ إلى حَلَبَ فمَلَكَها في ثامن عشر صَفَرٍ سنة تسع وسبعين، وعادَ إلى دِمَشقَ، وعَبَّرَ الأُردنَ^٤ وخرَقَ بَيْسَانَ على الفرينج. وخرَّبَ لهم عِدَّةَ حُصُونٍ وعادَ إلى دِمَشقَ، ثم سارَ إلى الكرك فلم يَنْتَلِ منها غَرْضًا وعادَ.

١٥

ثم خَرَجَ في سنة ثمانين من دِمَشقَ فَنَازَلَ الكرك، ثم رَحَلَ عنها إلى نَائِلُسَ فخرَقَها، وأكثرَ من الغارات حتى دَخَلَ دِمَشقَ، ثم سارَ منها إلى حَمَاة، ومضى حَتَّى بَلَغَ حُرَّانَ، ونَزَلَ على المَوْصِلِ

٢٠

(a) بولاق: قَتَحَ. (b) بولاق: بَهْشَنَّا. (c) بولاق: الأُرَانِ.

^١ الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن المقرئ: اللقي الكبير ١٨٣:٢ - ١٨٤:١ أبو الحسن: عيسى بن عوف المالكي، المتوفى سنة ٥٨١هـ/ النجوم الزاهرة ٦: ١٠٠ ابن فرحون: الدياج المنهب ١١٨٥م. (الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٢٢٨ ١٢٩٢:١ - ٢٩٥).

وحصرها، ثم سارَ عنها إلى خلّاط فلم يملكها، فمَضَى حتّى أخذَ ميافارقين وعادَ إلى الموصل، ثم رَحَلَ عنها وقد مَرَضَ إلى حرّان، فتَقَرَّر الصلّح مع المواصلَة على أن يخطُبوا له بها وبديار بكر وجميع البلاد الأرتقيّة، وضُرب الشكّة فيها بأسيه.

ثم سارَ إلى دِمَشق، فقلّمها في ثاني ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين، وخرَجَ منها في أوّل سنة ثلاث وثمانين، ونازلَ الكرك والشّوبك وطبريّة، فمَلَكَ طبريّة في ثالثَ عشرين ربيع الآخر من الفرينج. ثم واقَعَهُم على جِطّين وهم في خمسين ألفاً فهزَمَهُم بعد وقائعَ عديدة وأسَرَ منهم عدّة ملوك^١.

ونازلَ عكا حتّى تسلّمها في ثاني جمادى الأولى، وأنقَذَ منها أربعة آلاف أسير مُسلم من الأُسر، وأخذَ متجذّل يافا وعدّة محصّون منها الناصريّة وقيسارية وحيفا وصُفوريّة والشّقيف والنوّلة والطّور وسبسطيّة ونابلُس وتينين وصرّخد وصيدا ويّزوت وجبّيل، وأنقَذَ من هذه البلاد زيادة ١٠ على عشرين ألف أسير مُسلم كانوا في أَسَر الفرينج، وأسَرَ من الفرينج مائة ألف إنسان، ثم مَلَكَ منهم الرملة وبلد الخليل - عليه السلام - وبيت لحم من القُدس ومدينة عسقلان ومدينة غزّة وبيت جبريل.

ثم فتحَ بيت المقدس في يوم الجمعة سابع عشرين رجب، وأخرجَ منه ستين ألفاً من الفرينج، بعدما أسَرَ ستة عشر ألفاً ما بين ذكّر وأنثى، وقبَضَ من مالِ المُفاداة ثلاث مائة ألف دينار مصرية، ١٥ وأقامَ الجمعة بالأقصى^٢، وبنى بالقُدس مدرّسة للشّافعيّة، وقرّرَ على من يرد كنيّسة قُمامة من الفرينج قُطعة يؤدّيها. ثم نازلَ عكا وصور، ونازلَ في سنة أربع وثمانين حصن كوكب، ونَدَب القساكِرَ إلى صفد والكرك والشّوبك.

وعادَ إلى دِمَشق فدخلها سادسَ ربيع الأول وقد غابَ عنها في هذه الغزوة أربعة عشر شهراً وخمسة أيّام. ثم خرجَ منها بعد خمسة أيّام فشنّ الغارات على الفرينج، وأخذَ منهم أنطَرشوس ٢٠

^١ خطبة الجمعة يومئذ القاضى محيى الدّين أبو المعالي محمد بن زكيّ الدّين عليّ القرشي - (البنداري: سنا البرق الشامى ٣١٣-٣١٥؛ أبو شامة: الروضتين ٣٤٣:٢-٣٤٦؛ وانظر نصّ الخطبة عند ابن واصل: مفرج الكروب ٢١٨:٢-٢٢٨).

^٢ أخبار معركة جِطّين ذُكرت بالتفصيل في مصادر سيرة صلاح الدين (فيما تقدم ٧٥٢-٧٥٣هـ)، وانظر كذلك سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ٦٢٥:٢-٦٣٧؛ محسن محمد حسين: الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ٤٣٠-٤٦٦.

^٢ في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وأتت

وَحَرْبَ سُورَها وَخَرْفَها ، وَأَخَذَ جَبَلَةَ وَاللَّادِيَّةَ وَصَهْيُونَ وَالشُّغْرَ وَبَكَاسَ وَبَغْرَاسَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ آخِرَ شَعْبَانَ ، بَعْدَ مَا دَخَلَ حَلَبَ ، فَتَلَّكَتْ عِساكِرُهُ الْكَرَّكَ وَالشُّونْبَكَ وَالشَّلْعَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَخَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى صَفَدَ وَمَلَكَها مِنَ الْفَرِجِ فِي رَابِعِ عَشْرِ شَوَّالَ ، وَمَلَكَتْ كَوُكَبَ فِي نِصْفِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَسَارَ إِلَى الْقُدْسِ ، وَمَضَى بَعْدَ النَّخْرِ إِلَى عَشَقْلَانَ وَنَزَلَ بِعُكَّا ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ أَوَّلَ صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ . ثُمَّ سَارَ مِنْهَا فِي ثَلَاثِ ربيعِ الْأَوَّلِ ، وَنَزَلَ شَقِيفَ أَرْثُونَ ، وَحَارَبَ الْفَرِجَ حُرُوبًا كَثِيرَةً ، وَمَضَى إِلَى عُكَّا - وَقَدْ نَزَلَ الْفَرِجُ عَلَيْها ، وَحَصَرُوا مَنْ بِها مِنَ الْمُسْلِمِينَ - فَتَزَلَّ بِمَرْجِ عُكَّا وَقَاتَلَ الْفَرِجَ مِنْ أَوَّلِ شَعْبَانَ حَتَّى انْقَضَتِ السَّنَةُ . وَقَدْ خَرَجَ الْأَلْمَانُ مِنَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي زِيَادَةِ عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ يَرِيدُ بِلَادَ الْإِسْلَامِ ، فَاسْتَدَّ الْأَمْرَ .

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَالسُّلْطَانُ بِالْخُرُوبَةِ عَلَى حِصَارِ الْفَرِجِ ، وَالْأُمْدَادُ تَصِلُ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَ الْأَلْمَانُ طَرَسُوسَ يُرِيدُ نَيْتَ الْمَقْدَسِ ، فَخَرَّبَ السُّلْطَانُ سُورَ طَبْرِيقَةَ وَيَافَا وَأَرْسُوفَ وَقَيْسَارِيَّةَ وَصَيْدَا وَجَبْتِلَ . وَقَوِيَ الْفَرِجُ بِقُدُومِ ابْنِ الْأَلْمَانِ إِلَيْهِمْ تَقْوِيَةً لَهُمْ ، وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ بِطَرَسُوسَ وَمَلَكَ بَعْدَهُ ، فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَوْتَهُ أَيْضًا عَلَى عُكَّا .

وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ ، فَتَلَّكَتْ الْفَرِجُ عُكَّا فِي سَابِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَسْرَوْا مَنْ بِها مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَارَبُوا السُّلْطَانَ ، وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ أَسْرَوْهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَارُوا إِلَى عَشَقْلَانَ . فَوَحَلَ السُّلْطَانُ فِي أَثَرِهِمْ ، وَوَأَقَعَهُمْ بِأَرْسُوفَ ، فَأَنْهَزَهُمْ مَنْ مَعَهُ وَهُوَ ثَابِتٌ حَتَّى عَادُوا إِلَيْهِ ، فَقَاتَلَ الْفَرِجَ وَسَبَقَهُمْ إِلَى عَشَقْلَانَ وَخَرَّبَها ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الرُّمَّةِ وَخَرَّبَ حِصْنَهَا وَخَرَّبَ كَنِيسَةً لَهُ . وَدَخَلَ الْقُدْسَ فَأَقَامَ بِها إِلَى عَاشِرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى يَافَا فَأَخَذَهَا بَعْدَ حُرُوبٍ ؛ وَعَادَ إِلَى الْقُدْسِ ، وَعَقَدَ الْهُدْنَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرِجِ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، أَوَّلُها حَادِي عَشَرَ شَعْبَانَ ، عَلَى أَنَّ الْفَرِجَ مِنْ يَافَا إِلَى عُكَّا إِلَى صُورَ وَطَرَابُلُسَ وَأَنْطَاكِيَّةَ ، وَتُؤَدِّي بِذَلِكَ فَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا .

وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى دِمَشْقَ فَدَخَلَهَا خَامِسَ عَشْرِينَ شَوَّالَ - وَقَدْ غَابَ عَنْهَا أَرْبَعُ سِنِينَ - فَمَاتَ بِها فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعَ عَشْرِينَ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ عَنْ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، مِنْهَا مُدَّةُ مُلْكِهِ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا .

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِمِصْرَ وَلَدُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ» ، وَقَدْ كَانَ يَوْمَئِذٍ يُنُوبُ عَنْهُ بِمِصْرَ ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِدَارِ الْوِزَارَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، وَعِنْدَهُ جُلٌّ عَسَاكِرِ أَبِيهِ مِنْ

الْأَسَدِيَّةِ وَالسَّلَاحِيَّةِ وَالْأَنْكِرَادِ^١. فَأَتَاهُ يَمِّنُ كَانَ عِنْدَ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ عَلِيٍّ : الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ
بِجَهَازِ كَسٍّ ، وَالْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ مَيْمُونُ الْقَضْرِي ، وَالْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ شَنْقَرُ الْكَبِيرِ - وَهُمْ
عُظَمَاءُ الدَّوْلَةِ - فَأَكْرَمَهُمْ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فَبَالَغَ فِي كَرَامَتِهِ .

وَتَكَثَّرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ الْأَفْضَلِ ، فَسَارَ مِنْ مِصْرَ لِحَازِنَتِهِ ، وَخَصَرَهُ بِدِمَشْقَ . فَدَخَلَ بَيْنَهُمَا
الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى عَادَ الْعَزِيزُ إِلَى مِصْرَ عَلَى صُلْحٍ فِيهِ دَخَلَ ، فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَتَوَحَّشَ مَا بَيْنَهُمَا ،
وَخَرَجَ الْعَزِيزُ ثَانِيًا إِلَى دِمَشْقَ ، فَدَبَّرَ عَلَيْهِ عُمَهُ الْعَادِلُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَرُولَ مُلْكُهُ وَعَادَ خَائِفًا ، فَسَارَ
إِلَيْهِ الْأَفْضَلُ وَالْعَادِلُ حَتَّى نَزَلَا بِبَلْبَيسَ ، فَجَرَتْ أُمُورٌ آَلَتْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَإِقَامَةِ^(٥) الْعَادِلُ مَعَ الْعَزِيزِ
بِمِصْرَ ، وَعَادَ الْأَفْضَلُ إِلَى مَمْلَكَتِهِ بِدِمَشْقَ .

فَقَامَ الْعَادِلُ بِتَذْيِيرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ ، وَخَرَجَ بِالْعَزِيزِ لِحَازِنَةِ الْأَفْضَلِ فَخَصَرَاهُ بِدِمَشْقَ حَتَّى أَخَذَاهَا
مِنْهُ بَعْدَ حُرُوبٍ ، وَبَقِيَاهُ إِلَى صَرْخَدَ . وَعَادَ الْعَزِيزُ إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَامَ الْعَادِلُ بِدِمَشْقَ حَتَّى مَاتَ
الْعَزِيزُ فِي لَيْلَةٍ^(٦) عَشْرِينَ الْمَحْرُومِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ عَنْ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً
وَأَشْهَرُ ، مِنْهَا مُدَّةُ سَلْطَنَتِهِ بَعْدَ أَبِيهِ سِتُّ سِنِينَ تَقْصُ شَهْرًا وَاجِدًا .

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ» ، وَعَمَرَهُ يَشَعُ سِنِينَ وَأَشْهَرُ
بِعَهْدِهِ مِنْ أَبِيهِ . وَقَامَ بِأُمُورِ الدَّوْلَةِ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَأُوشُ الْأَسَدِي الْأَتَابِكُ ، فَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ أُمَرَاءُ
الدَّوْلَةِ ، وَكَاتَبُوا الْمَلِكَ الْأَفْضَلُ عَلِيَّ بْنَ صَلاَحِ الدِّينِ ، فَقَدَّمَ مِنْ صَرْخَدَ فِي خَامِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ،
فَاسْتَوَلَى عَلَى الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَتَّقِ لِلْمَنْصُورِ مَعَهُ سِوَى الْأَسْمِ^٢ .

(٥) بولاق : وأقام . (٦) بياض في أماسوفيا .

^١ انظر ترجمته عند ، ابن خلكان : وفیات الأعيان ١٢٠٠:٦-١٤٥ .

^٢ انظر أخبار الملك المنصور محمد عند ، ابن واصل :
٢٥١:٣-٢٥٣:٣ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٩١:٢٩-٢٩١:٣
٢٩٤:٣ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٩:٥١٦-٥١٦:٣ ابن
واصل : مفرج الكروب ٣:٣٦-١٨٦:٣ النويري : نهاية الأرب
٢٨:٢٤٢-٤٤٥:٣ ابن أيلك : كنز الدرر ٧:١١٥-١٤١:٣
ابن الفرات : تاريخ الدول ٢/٤:١٤٣-١٤٨:٣ القرطبي :
السلوك ١:١٤٣-١٤٤:٣ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة

النجوم الزاهرة ٦:١٤٦-١٥٩ .

ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب يُريدُ أخذَ دِمَشْقَ من عَمّه العادل بعدما قَبَضَ على عِدَّةٍ من الأمراء، وقد تَوَجَّه العادلُ إلى مازدين، فحَصَرَ الأَفْضَلَ دِمَشْقَ. وقد بَلَغَ العادلُ خَبْرَهُ فَعَادَ وسارَ يُريدُه حتى دَخَلَ دِمَشْقَ. فجزت حروب كثيرة آلت إلى عَوْدِ الأَفْضَلَ إلى مصر بِمَكِيدَةٍ دَبَّرَهَا عليه العادل.

وَنَحَرَ العادلُ في آتَرِه ووَاقَعَه على بَلْبَيسَ، فَكَسَرَه في سَادِسَ رَبِيعِ الآخِرِ سنة سِتٍّ وتسعين، وَالتَّجَأَ إلى القاهرة وَطَلَبَ الصُّلْحَ، فَعَوَّضَه العادلُ صَرْخَدَ، وَدَخَلَ إلى القاهرة في يوم السَّبْتِ ثامن عشره، وَأَقَامَ بِأَتَابِكِيَّةِ الْمَنُصُورِ، ثم خَلَعَه في يوم الجمعة حادي عشر سَوَّال. وكانت سُلْطَنَتُهُ سنةً وثمانية أشهر وعشرين يوماً.

وَاسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَنَةِ بعده عَمُّ أَبِيهِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ»، فَخُطِبَ لَهُ بِدِيَارِ مِصْرَ وَبِلَادِ الشَّامِ وَخِرَازِنِ وَالرُّمَّا وَمِيفَارِقِينَ، وَأَخْرَجَ الْمَنُصُورَ وَأَخَوْتَهُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الرُّمَّا، وَاسْتَتَابَ ابْنَهُ الْمَلِكَ الْكَامِلَ مُحَمَّدًا عَنْهُ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ بعده بِالسُّلْطَنَةِ، وَخَلَفَ لَهُ الْأُمَرَاءُ، فَسَكَنَ قَلْعَةَ الْجَبَلِ، وَاسْتَمَرَ أَبُوهُ فِي دَارِ الْوِزَارَةِ.^١

وَفِي أَيَّامِهِ تَوَقَّفَتْ زِيَادَةُ الثَّيْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ سِوَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ ذِرَاعًا تَنْقُصُ ثَلَاثَةَ أَصَابِعَ، وَشَرِقَتْ أَرْضِي مِصْرَ إِلَّا الْأَقْلَ، وَغَلَّتِ الْأَشْعَارُ، وَتَعَدَّرَ وَجُودُ الْأَقْوَاتِ حَتَّى أُكِلَتْ الْحَيْفُ وَحَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَبَعَ ذَلِكَ فِتَاءٌ كَبِيرٌ، وَاقْتَدَى ذَلِكَ ثَلَاثَ سَنِينَ، فَلَبَقَتْ عِدَّةٌ مِنْ كَفَّتِهِ الْعَادِلُ وَخَذَهُ مِنَ الْأُمُوتِ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ نَحْوَ مَائَتِي أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، فَكَانَ بَلَاءٌ شَنِيعًا.^٢

(B) بياض في آياصوفيا.

الحامسن: النجوم الزاهرة ١٦٠:٦-٢٢٦، Dahlmanns, F.J., *Al-Malik al-Adil. Ägypten und der Vordere Orient inden Jahren 589/ 1193 bis 615/ 1218*, Giessen 1975

الأيوبي، صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، القاهرة ١٩٨٠، Gibb, H.A.R., *El art. al-Adil* I, pp. 203-4.

^٢ وَصَفَ لَنَا هَذِهِ الشُّدَّةَ عَبْدُ اللَّطِيفِ التَّيْمُودَارِيُّ، الَّذِي كَانَ فِي مِصْرَ وَقْتُ خُلُودِهَا، انظر، عبد اللطيف =

^١ انظر أخبار الملك العادل الأيوبي عند، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (مواضع متعددة)؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١٦٢:٣-٢٧٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧٤:٥-٧٩؛ ابن أبيك: كنز الدرر ١٤٠:٧-٢٠١؛ النويري: نهاية الأرب ٩:٢٩-٨٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١٥:٢٢-١٢٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٣٥:٢-٢٣٨؛ المقرئ: السلوك ١٠٢:١-١٩٤؛ أبي

وَعَقِبَ ذَلِكَ تَحَرُّكُ الْفِرَجِ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ . فَكَانَتْ مَعَهُمْ عِدَّةُ خُرُوبٍ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ آلتَ إِلَى أَنْ عَقَدَ الْعَادِلُ مَعَهُمُ الْهَدْنَةَ . فَعَاوَدُوا الْحَوْبَ فِي سَنَةِ سِتِّ مِائَةٍ ، وَعَزَمُوا عَلَى اخْتِذِ الْقُدْسِ ، وَكَثُرَ عَيْشُهُمْ وَفَسَادُهُمْ . وَكَانَتْ لَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ شُغُورٌ آلتَ إِلَى نُزُولِهِمْ عَلَى مَدِينَةِ دِمَاطٍ فِي رَابِعِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَسِتِّ مِائَةٍ وَالْعَادِلُ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ . فَخَرَجَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ لِمُحَارَبَتِهِمْ ، فَمَاتَ الْعَادِلُ بِمَرْجِ الصُّفْرِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْهَا ، وَخِيلَ إِلَى دِمَشْقَ . فَكَانَتْ مَدَّةُ سُلْطَانَتِهِ بِدِيَارِ مِصْرَ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَشَهْرًا وَاجِدًا وَتِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وَقَامَ مِنْ بَقْدِهِ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي مُحَمَّدٌ» بِقَهْدِ أَبِيهِ ، فَأَقَامَ فِي السُّلْطَانَةِ عَشْرِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشْرِينَ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ^١ .

وَأَقِيمَ بَقْدَهُ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ/ الْمَلِكُ الْعَادِلُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ» ، فَاشْتَغَلَ بِاللَّهُوِ عَنِ التَّذِيرِ ، وَخَرَجَتْ عَنْهُ حَلَبٌ ، وَاشْتَوَحَشَ مِنْهُ الْأُمَرَاءُ لِتَقْرِيبِهِ الشَّبَابِ . وَسَارَ أَخُوهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ إِلَى دِمَشْقَ وَأَخَذَهَا فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ ، وَخَرَجَتْ لَهُ أُمُورٌ آخِرُهَا أَنَّهُ سَارَ إِلَى مِصْرَ . فَقَبِضَ الْأُمَرَاءُ عَلَى الْعَادِلِ وَخَلَعُوهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَامِينَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فَكَانَتْ سُلْطَانَتُهُ سِتْنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ ^٢ .

وَقَامَ بِالسُّلْطَانَةِ ^(a) بَقْدَهُ أَخُوهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْوحِ أَيُّوبُ» ، فَاشْتَوَلَى عَلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعِ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ

(a) بِيَاضَ فِي أَبَا صُوفِيَا .

^٢ انظر أخبار الملك العادل الثاني الأيوبي عند ابن خلكان : وفیات الأعيان ٨٤٥:٥-٨٥٠ ابن واصل : مفرج الكروب ١٧٤:٥-٢٧٠ ابن أبيك : كنز الدرر ٣٢٦:٧-٣٣٩ النوري : نهاية الأرب ٢٣٤:٢٩-٢٥٧ المقرئ : السلوك ٢٦٧:١-٢٩٦ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة Gibb, H.A.R., *El² art. al-Ādi I*, ٣٠٣-٣١٨, p. 204.

= البغدادى : الإفاضة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر ، ٨٥-١٠٦ ، ودراسة منيرة شابوتو رمادي Chapoutot - Remadi, M., «Une grande Crise à la fin du XII^e siècle en Égypte», *JESHO* XXVI (1983), pp. 216-45.

^١ مترد ترجمة مفصلة للملك الكامل محمد ، فيما يلي ٣٧٥:٢ عند ذكر دار الحديث الكاملية .

الملك بها - وكان قد خطب له قبل قدومه - فضبط الأمور، وقام بأغناء المملكة أتم قيام، وجمع الأموال التي أثقلت أحماله. وقبض على الأمراء، ونظر في عمارة أرض مصر، وحارب غزبان الصعيد، وقدم مماليكهم أمراء، وبني قلعة الروضة، ونحو من قلعة الجبل إليها وسكنها، وملك مكة، وبث لغزو اليمن، وعمر المدارس الصالحية بين القصرين من القاهرة وقزز بها دُرُوشا أربعة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة.

وفي أيامه نزل الفرج على دُمياط في ثالث عشرين صفر سنة سبع وأربعين، وعليهم الملك ريدافرنس^٥ وملكوها. وكان السلطان بدمشق، فقدم عندما بلغه حركة الفرج، ونزل أشموم طناح وهو مريض، فمات بناحية المنصورة مقابل الفرج في يوم الأحد رابع عشر شعبان منها. وكانت مدة سلطته بعد أخيه تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما^١.

فقامت أم ولده خليل - واسمها شجر الدر - بالأمر وكنتمت مؤته، واشتدعت ابنه ثوران شاه من حضن كيفا، وسلمت إليه مقاليد الأمور^٢.

فقام من بعده ابنه «السلطان الملك المعظم غياث الدين ثوران شاه». وقد سار من حضن كيفا في نصف شهر رمضان، فمر على دمشق، وتسلطن بقلعتها في يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه^٣؛ وركب إلى مصر فنزل الصالحية طرف الزمل لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة. فأعلن حينئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموت السلطان، بل كانت الأمور على حالها والخدمة تعمل بالذليل والسماط يمد، وشجر الدر تدبر أمور الدولة، وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لأخذ عليه سبيل ولا وصول^٤.

ثم سار المعظم من الصالحية إلى المنصورة، فقدمها يوم الخميس حادي عشرينه، فأساء تدير نفسه، وتهذد البحري حتى خافوه - وهم يومئذ جحرة العسكر - فقتلوه بعد سبعين يوما في يوم

(a) بولاقي: روادفرنس.

^١ انظر ترجمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، فيما يلي ٣٧٤:٢ عند ذكر المدارس الصالحية.

^٢ انظر تفصيل ذلك فيما تقدم ٢١٩:١ - ٢٢١.

^٣ راجع أخبار المعظم ثوران شاه عند، ابن واصل: مفرج الكروب (نسخة باريس رقم 1703)؛ التويري: نهاية الأرب

٣٨٦ - ٣٧٤:٧ كتر الدر ٣٧٤:٧ - ٣٦٢ - ٣٤٠:٢٩ ابن أيك: كتر الدر ٣٧٤:٧ - ٣٨٦

المقري: السلوك ٣٥١:١ - ٣٦١؛ أبي الحسن: النجوم

الزاهرة ٣٦٤:٦ - ٣٧٢ - ٣٧٢ art. al- Humphrey, R.S., El

Mu'azzam VII, pp. 272-76.

^٤ فيما تقدم ٥٩٨:١ - ٥٩٩.

الاثنتين تاسع عشرين المحرم سنة ثمان وأربعين وست مائة^١. وَمَوْتُهُ انْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُيُوب
من ديار مصر، بعدما أَقَامَتْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَمَلَكَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةَ
مُلُوكٍ.

ذِكْرُ دَوْلَةِ الْمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ

وهم الملوك الأتراك، وكان ابتداء أمر هذه الطائفة أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أُيُوبَ ،
كان قد أَقْرَبَهُ أَبُوهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بِلَادَ الشَّرْقِ ، وَجَعَلَ ابْنَهُ الْعَادِلَ أَبَا بَكْرٍ وَلِيَّ
عَهْدِهِ فِي السُّلْطَنَةِ بِمِصْرَ . فَلَمَّا مَاتَ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْعَادِلُ فِي السُّلْطَنَةِ ، وَتَنَكَّرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ
الْمَلِكِ الْخَوَادِ مُظَفَّرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ مُؤَدُّودِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرَ بْنِ أُيُوبَ ، وَهُوَ نَائِبُ دِمَشْقَ ،
فَاسْتَدْعَى الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أُيُوبَ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ ، وَرَتَّبَ ابْنَهُ الْمُعْظَمَ ثُورَانَ شَاهٍ عَلَى بِلَادِ
الشَّرْقِ ، وَأَقْرَبَهُ بِحِضْنِ كَيْفَا ، وَقَدِمَ دِمَشْقَ وَمَلَكَهَا .

فَكَانَتْهُ أَمْرَاءُ مِصْرَ تُحْتَمِيهِ عَلَى أَخْذِهَا مِنْ أَخِيهِ الْعَادِلِ ، وَخَافَتْ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَارَ مِنْ دِمَشْقَ فِي
رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ . فَانْزَعَجَ الْعَادِلُ انْزِعَاجًا كَبِيرًا ، وَكَتَبَ إِلَى النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبِ
الْكُرْكِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ لِيُعَاوَنَهُ عَلَى أَخِيهِ الصَّالِحِ . فَاتَّفَقَ مَسِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي
بَكْرَ بْنِ أُيُوبَ مِنْ حِمَاةٍ وَأَخَذَهُ دِمَشْقَ لِلْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرَ بْنِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدَ فِي سَابِعِ
عَشْرِينَ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَالْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمَ الدِّينِ أُيُوبَ يَوْمئِذٍ عَلَى نَابِلُسَ . فَانْخَلَّ أَمْرُهُ ،
وَفَارَقَهُ مِنْ مَعِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مَمَالِكُهُ وَهُمْ نَحْوُ الثَّمَانِينَ ، وَطَائِفَةٌ مِنْ خَوَاصِّهِ نَحْوَ الْعَشْرِينَ ،
وَأَمَّا الْجَمِيعُ فَإِنَّهُمْ مَضَوْا إِلَى دِمَشْقَ . وَكَانَ النَّاصِرُ دَاوُدَ قَدْ فَارَقَ الْعَادِلَ ، وَسَارَ مِنَ الْقَاهِرَةِ
مُغَاضِبًا لَهُ إِلَى الْكُرْكِ ، وَمَضَى إِلَى الصَّالِحِ نَجْمَ الدِّينِ أُيُوبَ ، وَقَبَضَهُ بِنَابِلُسَ فِي ثَانِي عَشْرِ رَجَبِ
الْأَوَّلِ مِنْهَا ، وَسَجَنَهُ بِالْكُرْكِ .

فَأَقَامَ مَمَالِكُ الصَّالِحِ بِالْكُرْكِ حَتَّى خَلَصَ مِنْ سِجْنِهِ فِي سَابِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا ،
فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مَمَالِكُهُ وَقَدْ عَظُمَتْ مَكَانَتُهُمْ عِنْدَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ حَتَّى مَلَكَ مِصْرَ ، فَرَعَى
لَهُمْ ثِبَاتَهُمْ مَعَهُ حِينَ تَفَرَّقَ عَنْهُ الْأَكْرَادُ ، وَأَكْثَرَ مِنْ شِرَائِهِمْ وَجَعَلَهُمْ أَمْزَاءَ دَوْلَتِهِ وَخَاصَّتَهُ وَبِطَانَتِهِ

^١ فيما تقدم ٦٠٤:١-٦٠٥.

والمحيطين بدميئزته إذا سائر، وأُسكنَهم معه في قلعة الرُّوضَة^١، وسَمَّاهم «البَحْرِيَّة»^٢. وكانوا دون الألف تَمْلُوك - وقيل ثمان مائة وقيل سبع مائة وخمسون - كُلُّهم أَتْرَاك.

فلَمَّا ماتَ الملكُ الصَّالِحُ بِالنَّصُورَة، أَحْسَنُ الْفَرَنْجُ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ، / فَرَكَّبُوا مِنْ مَدِينَةِ دِمِيَّاط ٢٣٧:٢ وساروا على فَارَشْكُور ووَاقَفُوا الْعَشَّكَزَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ أَوَّلَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ، وَنَزَلُوا بِقَرْيَةِ شَرْمِاسَاحَ ثُمَّ بِالْبَرْمُونِ، وَنَزَلُوا تَجَاهَ الْمَنْصُورَة. فَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى خَامِيسٍ ذِي الْقَعْدَةِ، فَلَمْ يَشْعُرِ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا وَالْفَرَنْجُ مَعَهُمْ فِي الْمَعْسَكِ، فَقَتَلَ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ شَيْخِ الشُّيُخِ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ، وَوَصَلَ رِيْدَا فَرَنْسِ^٣ مَلِكُ الْفَرَنْجِ إِلَى بَابِ قَصْرِ السُّلْطَانِ. فَتَبَرَّزَتِ «الْبَحْرِيَّة» وَحَمَلُوا عَلَى الْفَرَنْجِ حَمَلَةً مَنَكْرَةً حَتَّى أَرَاخُوهُمْ وَوَلَّوْا، فَأَخَذَتْهُمْ الشُّيُوفُ وَالذَّبَابِيْسُ، وَقُتِلَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ أَلْفٌ وَخَمْسٌ مِائَةً. فَظَهَرَتِ «الْبَحْرِيَّة» مِنْ يَوْمِئِذٍ وَاسْتَشْهَرَتْ^٤.

ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ ثُورَانَ شَاه، أَخَذَ فِي تَهْدِيدِ شَجَرِ الدَّرِّ وَمُطَابَلَتِهَا بِمَالِ أَبِيهِ، فَكَاتَبَتْ الْبَحْرِيَّةُ تُذَكِّرُهُمْ بِمَا فَعَلَتْهُ مِنْ ضَبْطِ الْمَمْلَكَةِ حَتَّى قَدِيمِ الْمُعْظَمِ، وَمَا هِيَ فِيهِ مِنَ الْخَوْفِ مِنْهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ قَدْ وَعَدَ الْفَارِيسَ أَقْطَايَ^٥ التَّوَجُّهَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْصُورَةِ لِاسْتِئْذَانِهِ مِنْ جِصْنَ كَيْفَا بِإِثْرَةِ فَلَمْ يَفِ لَهُ، فَتَنَكَّرَ لَهُ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ الْبَحْرِيَّةِ، وَأَعْرَضَ مَعَ ذَلِكَ عَنِ الْبَحْرِيَّةِ، وَاطْرَحَ جَانِبَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى قَتَلُوهُ. وَأَجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُقِيمُوا بِقَدِّهِ فِي السُّلْطَنَةِ سَرِيَّةً أَسْتَإْذِمَهُمْ

(a) بولاق: روادفرنس.

^١ فيما تقدم ٥٨٤.

^٢ فيما تقدم ٥٩٩:١ - ٦٠١.

^٣ انظر أخبار الفارس أقطاي الجعدار أخذ أكابر الممالك البحرية المتعلمين إلى السلطنة، والذي توفي مقتولاً بمؤامرة دبرها له السلطان المنير أيتك التركماني سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، عند ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٥٢- ٥٤؛ النويري: نهاية الأرب ٤٢٩:٢٩-٤٣٢؛ ابن أيتك: كنز الدرر ٢٤:٨-٢٦؛ بيرس السوادار: زبدة الفكرة ١٠، ١١٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣١٧-٣١٨؛ المقرئ: السلوك ٣٤٥:١، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٨٩-٣٩١؛ العيني: عقد الجمان ٨٥:١-٨٧؛ أبي الحاسن: المنهل الصافي ٥٠٢:٢-٥٠٤، النجوم الزاهرة

^٤ اختلقت المصادر والدراسات الحديثة حول أصل كلمة «البَحْرِيَّة» وهل هي نسبة إلى بحر النيل - حيث كانت قلعة الرُّوضَة - أو لأنهم جاءوا من وِزَاءِ الْبَحْرِ؟ وراجع مناقشة ذلك عند: أحمد مختار المعادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشَّام، بيروت ١٩٦٩، ٩٦-٩٩، Ayalon, D., «Le régiment Bahriyya dans l'armée mamelouke», REI 19 (1951), pp. 133-41; id., EI² art. al-Bahriyya I, pp. 973-74; id., «From Ayyubids to Mamluks», REI 49 (1981), pp. 43-57; id., «Bahri Mamluks, Burji Mamluks - Inadequate Names for the Two Reigns of the Mamlûke Sultanate», Tarîh I (1990), pp. 3-53.

«المَلِكَةُ عِصْمَةُ الدِّينِ أُمُّ خَلِيلِ شَجَرِ الدُّرِّ الصَّالِحِيَّة»^١، فأقاموها في السُّلْطَنَةِ وحلَّقُوا لها في عاشر صَفَرٍ، ورَثَبُوا الأَمِيرَ عِزَّ الدِّينِ أَيْتِكَ التُّرْكُمَانِي الصَّالِحِي أَحَدَ التَّبَحْرِيَّةِ مُقَدِّمَ العَشْكَرِ. وسارَ عِزُّ الدِّينِ أَيْتِكَ الرُّومِي من العَشْكَرِ إلى قَلْعَةِ الجَبَلِ، وأنهى ذلك إلى شَجَرِ الدُّرِّ. فقامت بِتَذْيِيرِ المملكة، وغَلَّتْ على التَّوَالِيَةِ بما مِثَالَهُ :

«وَالِدَةُ خَلِيلِ»

وَنُقِشَ عَلَى السُّكَّةِ اسْمُهَا وَمِثَالُهُ :

«المُسْتَعْقِصَةُ الصَّالِحِيَّةُ، مَلِكَةُ المُسْلِمِينَ، وَالِدَةُ الْمُتَصَوِّرِ خَلِيلِ خَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ».

وكانت التَّبَحْرِيَّةُ قد تَصَلَّحَتْ مَدِينَةَ دِمَاطٍ من الملك ريدا فرنس^٢ بعدما قَرَزَ على نفسه أربع مائة ألف دينار، وعادَ العَشْكَرُ من المتصورة إلى القاهرة في تاسع صَفَرٍ، وحلَّقُوا لشَجَرِ الدُّرِّ في ثالث عشره، فحلَّتْ عليهم، وأنفَقَتْ فيهم الأموال. ولم يُوافِقْ أَهْلُ الشَّامِ على سَلْطَنَتِهَا، وطلَّبُوا الملكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بنَ العَزِيزِ صَاحِبَ حَلَبَ، فسارَ إليهم بِدِمَشْقَ ومَلَكَهَا.

(a) بولاق : روادفرنس .

١ ٣٧٣:٦-٣٧٩، الشَّهْلُ الصَّافِي ٢١٩:٦-٢٢١؛ Schregle, G., *Die Sultanin von Ägypten. Schagarat ad-Durr in der arabischen Geschichtsschreibung und Literatur*, Wiesbaden 1961; Gottschalk, H.L., «Die ägyptische Sultanin Shagarat ad-Durr in Geschichte und Dichtung», *WZKM LXI* (1967), pp. 41-61; Cahen, Cl. & Chabbouh, Ibr., «Le Testament d'al-Malik as-Sâlih Ayyûb», *BEO XXIV* (1977), pp. 97-114; Chapoutot - Remadi, M., «Chajar ad-Durr (- 1257). Esclave, mamluke et sultane d'Égypte», dans Ch.-A. Julien (ed.), *Les Africains IV*, Paris 1977, pp. 101-27; Amman, L., *El³ art. Shadjar al-Durr VIII*, pp. 181-82; Levanoni, A., «Šagar ad-Durr: A Case of Female Sultanate in Medieval Islam» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid* (and Mamluk Eras, III, pp. 209-18

^١ شَجَرِ الدُّرِّ (لَا شَجَرَةُ الدُّرِّ كَمَا يَكُتِبُ الْبَاحِثُونَ الْخَطُّونَ) أُمُّ خَلِيلِ الصَّالِحِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ، جَارِيَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيْتِكَ وَأُمُّ وَلَدِهِ خَلِيلِ. قَوَّلَتْ لِحُكْمِ مِصْرَ فِي قَرَّةِ مَرَضِي زَوْجَهَا فِي الْمَنْصُورَةِ، ثُمَّ مَسْتَقِلَّةً لَمَدَّةِ ثَمَانِينَ يَوْمًا فِي سَنَةِ ٦٤٨هـ/١٢٥٠م قَبْلَ زَوَاجِهَا مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُجَرِّزِ أَيْتِكَ التُّرْكُمَانِي الَّذِي أَسْكَنَهَا فِي الدُّورِ السُّلْطَانِي فَقَذَّرَتْ لِقَتْلِهِ فِي سَنَةِ ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، ثُمَّ وَجِدَتْ مَقْتُولَةً تَحْتَ الْقَلْعَةِ فِي ١١ ربيع الثاني سَنَةِ ٦٥٥هـ/٢٨ أبريل سَنَةِ ١٢٥٧م. (راجع، ابن واصل: مفرج الكروب (الجزء السادس مخطوطة باريس رقم 1703) ابن أيتك: كنز الدرر ١٢:٨-١٣، ٣٠-٣٣ النويري: نهاية الأرب ٢٩:٣٦٢-٣٦٤، ٤٥٧-٤٥٨ للصفدي: الوافي بالوفيات ١٦:١٢٠؛ المقرئ: السلوك ١:٣٦٨-٣٦٩، ٤٠١-٤٠٤؛ المعني: عقد الجمان ١:٢٩-٣٤، ١٦٥-١٦٦؛ أبا الحسن: النجوم الزاهرة

فانزعج المشكّر بالقاهرة، وتزوج الأمير عز الدين أيتك التركماني بالملكة شجر الدر، ونزلت له عن السلطنة، وكانت مدتها ثمانين يوماً^١.

Mamluk VI, pp. 299-305; id., *Studies on the Mamluks of Egypt (1250-1517)*, London 1977; id., *The Mamluk Military Society*, London 1979; id., *Islam and the Abode of War: Military Slaves and Islamic Adversaries*, London 1997; id., *Outsiders in the Lands of Islam: Mamluks Mongols and Eunuchs*, London 1988; Irwin, R., *The Middle East in the Middle Ages: The Early Mamluk Sultanate 1250-1382*, London 1986; Holt, P. M., *The Age of the Crusades: The Near East from the Eleventh Century to 1517*, London and New York 1986; id., «The Position and Power of the Mamluk Sultan», *BSOAS* 38 (1975), pp. 237-49; id., *El² art. Mamluks VI*, pp. 305-315; id., «The Structure of Government in the Mamluk Sultanate», in Holt, P. M. (ed.), *The Eastern Mediterranean Lands in the Period of the Crusades*, Warminster 1977, pp. 44-61; النظام المالي والاقتصادي في ظل دولة المماليك، والمماليك البحرية بوجه خاص، راجع، Rabie, H., *The Financial System of Egypt A.H. 564-741/ A.D. 1169-1341*; Ashtor, E., *Histoire des prix et des salaires dans l'Orient médiéval*, Paris 1969; راجع دراسة Lapidus, I., *Muslim Cities in the Later Middle Ages*, Cambridge Mass., 1967, 1999; Levani, A., «The Mamluk Conception of the Sultanate», *INES* 26 (1994), pp. 373-92; id., «The Mamluk's Ascent to Power in Egypt», *SI* 72 (1990), pp. 121-44; Chapoutot - Remadi, M., *Liens et relations au sein de l'élite mamluke sous les premiers sultans bahrides, 648/1250-741/1340*, Damas - IFÉAD 1995; Northrup, L., «The Bahrie Mamluk Sultanate, 1250-1390», *The Cambridge History of Egypt I*, pp. 290-317; Little, D. P., *An Introduction to Mamluk Historiography*, Wiesbaden 1970.

^١ قارن مع المقرئ: السلوك ١: ٣٦٨، العيني: عقد الجمان ١: ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٥٤.

وكتبت القدي من الدراسات عن تاريخ دولة سلاطين المماليك البحرية (التركية): السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كما كان أهم سلاطينها موضوعاً لدراسات مستقلة وعلى الأخص السلطنة الثالثة للثامير محمد بن قلاوون (فيما يلي ٣٠٤-٣٠٦). ومن أهم الدراسات التي تناولت تاريخ الدولة عموماً انظر، علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤ محمد مصطفى زيادة: بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك بمصر، مجلة كلية الآداب - الجامعة المصرية ٤ (مايو ١٩٣٦)، ٧١-٨٨ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩ نفسه: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٦٢ نفسه: العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة ١٩٦٥، ١٩٧٦ السيد الباز العربي: المماليك - القروية في مصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٧٠ - ١٥١٧، بيروت ١٩٦٧ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت ١٩٦٩ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ١-٢، القاهرة ١٩٧٩-١٩٨٢ نفسه: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر - دراسة تحليلية في الازدهار والانهار، القاهرة ١٩٨٨ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي - عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩ نفسه: عصر سلاطين المماليك - التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة ١٩٩٨ حياة ناصر الحجي: السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، فترة حكم المماليك البحرية، الكويت ١٩٩٧ Wiet, G., *L'Égypte arabe*, pp. 387-510; Ayalon, D., *El² art.*

وَمَلَكَ بِقَدْحِهَا «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ عَزَّ الدِّينُ أَيْتُكَ الْجَاشَنْكِيرُ التُّرْكَمَانِي الصَّالِحِي»
أَخَذَ الْمَمَالِكُ الْأَتْرَاكُ الْبَحْرِيَّةَ^١. وَكَانَ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ مِنْ أَوْلَادِ ابْنِ التُّرْكَمَانِي،
فَغَرَفَ بِالتُّرْكَمَانِي، وَرَقَّاهُ فِي تَحْدِيدِهِ حَتَّى صَارَ مِنْ جَمَلَةِ الْأُمَرَاءِ، وَرَجَّبَهُ جَاشَنْكِيرُ. فَلَمَّا مَاتَ
الصَّالِحُ وَقَدَّمَتْهُ الْبَحْرِيَّةُ عَلَيْهِمْ فِي سُلْطَنَةِ شَجَرِ الدَّرِّ، كَتَبَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَقْفِصِمُ مِنْ بَغْدَادَ
يَدْعُهُمْ عَلَى إِقَامَةِ امْرَأَةٍ، وَوَأَفَّقَ مَعَ ذَلِكَ أَخَذَ النَّاصِرُ لِبَدْمَشَقَ وَخَرَّكَتْهُمْ لِحَارِبِهِ. فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ
عَلَى إِقَامَةِ أَيْتُكَ فِي السُّلْطَنَةِ، فَأَزْكَبُوهُ بِشِعَارِ السُّلْطَنَةِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ آخِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ
ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَلَقَّبُوهُ بِ«الْمَلِكِ الْمُعِزِّ»، وَجَلَسَ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ. فَوَزَدَ
الْحَبِيرُ مِنَ الْعَدُوِّ بِأَخْذِ الْمَلِكِ الْمُغِيثِ عُمَرَ بْنِ الْعَادِلِ الصَّغِيرِ الْكَرَّكَ وَالشُّوْكَ، وَأَخَذَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ
قَلْعَةَ الصَّبِيَّةِ.

- ١٠ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ الْأُمَرَاءِ عَلَى إِقَامَةِ الْأَشْرَفِ مُظَفَّرُ الدِّينِ مُوسَى بْنِ النَّاصِرِ - وَيُقَالُ الْمَشْعُودُ يُوسُفُ
ابْنَ الْمَلِكِ الْمَشْعُودِ يُوسُفَ، وَيُقَالُ أَطْمِيزُ، وَيُقَالُ أَيْضًا أَتْسِيسُ ابْنَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ ابْنَ الْعَادِلِ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَهْوَبَ - شَرِيكًا لِلْمُعِزِّ فِي السُّلْطَنَةِ، فَأَقَامُوهُ مَعَهُ - وَعَمَرَهُ نَحْوَ سِتِّ سِنِينَ - فِي خَامِيسٍ
جُمَادَى الْأُولَى، وَصَارَتِ الْمَرَاسِيمُ تَبَيَّرُ عَنْ الْمَلِكِينَ. إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ وَالتَّهْيِئَةَ لِلْمُعِزِّ، وَلَيْسَ لِلْأَشْرَفِ
سِوَى مَجْرُودِ الْأَسْمِ^٢.

- ١٥ وَوُلِّيَ الْمُعِزُّ الْوِزَارَةَ لِشَرَفِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ صَاعِدِ الْفَائِزِيِّ - وَهُوَ أَوَّلُ قَيْطِي وَلِيِّ
وِزَارَةِ مِصْرَ^٣ - وَخَرَجَ الْمُعِزُّ بِالْعَسَاكِرِ وَعُزْبَانِ مِصْرَ لِحَارِبَةِ النَّاصِرِ يُوسُفَ فِي ثَالِثِ ذِي الْقَعْدَةِ،
وَعَيَّيْمَ بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِيَّةِ وَتَرَكَ الْأَشْرَفُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَاقْتَتَلَ مَعَ النَّاصِرِ فِي عَاشِرِهِ. فَكَانَتِ النُّصْرَةُ لَهُ
عَلَى النَّاصِرِ، وَعَادَ فِي ثَانِي عَشْرِهِ.

- فَنَزَلَ بِالنَّاسِ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ بَلَاءٌ لَا يُوصَفُ، مَا بَيْنَ قَتْلِ وَنَهْبٍ وَسَبْيٍ، بِحَيْثُ لَوْ مَلَكَ
الْفَرِجُّ بِلَادَ مِصْرَ مَا زَادُوا فِي الْفَسَادِ عَلَى مَا فَعَلَهُ الْبَحْرِيَّةُ. وَكَانَ كُبْرَاؤُهُمْ ثَلَاثَةَ: الْأَمِيرُ^٤

Aybak's Rule : An Example of Factionalism in
the Mamluk State», *Der Islam* 71 (1994), pp. 241-
54.

^٢ انظر، العيني: عقد الجمان ١: ٣٩-٤٤.

^٣ انظر ترجمة الوزير هبة الله بن صاعِدِ الْفَائِزِيِّ، فيما

تقدم ٢٩٧-٢٩٨.

^١ راجع أخباره عند، ابن أيتك: كنز الدرر ٨: ١٢-
٣٢ النويري: نهاية الأرب ٢٩: ٤١٩-٤٥٩ ميرس
الوادار: زبدة الفكرة ٦، ٧، ٢٤ القريري: السلوك
١: ٣٦٨-٤٠٤ العيني: عقد الجمان ١: ٣٤-١٤٤٠ أي
الحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ٣-٤٠، المنهل الصافي ١: ٢٠-
٢٨ Levanoni, A., «The Consolidation of

فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايَ، وَرُحْنُ الدِّينِ بَيْتُوسُ البُنْدُقْدَارِي، وَبُلْبَانُ الرَّشِيدِي.

ثم في محرم سنة تسع وأربعين، خَرَجَ المَعِزُّ بالأشرف والعساكر، فَنَزَلَ بالصَّالِحِيَّةَ وَأَقَامَ بِهَا نحو ستين، والرُّسُلُ تتردُّ بينه وبين النَّاصِرِ، وَأَعَدَّتْ الوُزَيْرُ الأَشْعَدُ هِبَةً الله الفَائِزِي مَظَالِمَ لم تُقَهَّدَ بمصر قبله. فَوَزَدَ الحَبِيرُ في سنة خمسين بِحَرَكَةِ الشَّرِّ على بَغْدَادَ، فَقَطَعَ المَعِزُّ من الخُطْبَةِ اسمَ الأَشْرَفِ وَانْقَرَدَ بِالسُّلْطَنَةِ، وَقَبِضَ على الأَشْرَفِ وَسَجَنَهُ، وَكَانَ الأَشْرَفُ مُوسَى أَحْمَرَ مُلُوكِ بَنِي أَيُّوبَ بِمِصْرَ.

ثم إنَّ المَعِزُّ جَمَعَ الأَمْوَالَ، فَأَخَذَتْ الوُزَيْرُ مُكُومًا كَثِيرَةً سَمَّاها «الحَقُوقُ السُّلْطَانِيَّةُ»^١. وَعَادَ المَعِزُّ إِلَى قَلْعَةِ الحَبِلِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَأَوْقَعَ بِعَرَبِ الصَّعِيدِ وَقَبِضَ على الشَّرِيفِ حِضْنِ الدِّينِ ثَغْلَبَ بْنِ ثَغْلَبَ، وَأَذَلَّ سَائِرَ عَرَبِ الوُجْهَيْنِ القِبْلِيِّ وَالبَحْرِيِّ، وَأَقْنَاهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَسَبِيًّا، وَزَادَ فِي القَطِيعَةِ/ على من بقي منهم حتى ذَلُّوا وَقُتِلُوا، ثُمَّ قَتَلَ الفَارِسَ أَقْطَايَ فَقَرَّ مِنْهُمْ مُعْظَمُ البَحْرِيَّةِ: بَيْتُوسَ وَقَلَاوُونَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنْهُمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا^٢.

وَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ قَتَلَتْهُ سَجَزُ الدُّرِّ فِي الحُمَامِ لَيْلَةَ الأَرْبَعَاءِ رَابِعَ عَشْرِينَ رَجَبِ الأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَبْعَ سِنِينَ تَنْقُصُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا. وَكَانَ ظَلُومًا غَشُومًا، سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ، أَقْنَى عَوَالِمَ كَثِيرَةٍ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

وَقَامَ مِنْ بَغْدَادِ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ المَلِكُ المَنْصُورُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ المَعِزِّ أَيْمَنُ» فِي يَوْمِ الخَمِيسِ خَامِسَ عَشْرِينَ رَجَبِ الأَوَّلِ وَعَمَرَهُ خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةً؛ فَذَهَبَ أَمْرُهُ نَائِبُ أَبِيهِ الأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُ، ثُمَّ خَلَعَهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ رَابِعَ عَشْرِينَ ذِي القَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سِتِّينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^٣.

النوري: نهاية الأرب ٤٥٩:٢٩-٤٦٨ ابن أيمك: كنز الدرر ٣٣:٨-٣٨ بئرس الدوادار: زبدة الفكرة ٢٤-٢٥ المقرئ: السلوك ٤٠٥:١-٤١٧ العيني: عقد الجمان ١٤٣:١-٢١٩ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤١:٧-٧١.

^١ راجع عن المكوس التي أخذتها الوزير الفائزي فيما تقدم ٢٨٣:١-٢٨٤، وهذا المجلد ٤٠٩، ٥٩٨.

^٢ فيما تقدم ٢٨١:٢-٢٨٢، ويضاف إليه، بئرس الدوادار: زبدة الفكرة ١٢-١٣ المقرئ: السلوك ٣٩١:١-٣٩٣ العيني: عقد الجمان ٨٧:١-٨٩.

^٣ راجع أخبار السلطان المنصور نور الدين علي عند

وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُ» فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَأَخْرَجَ الْمُصَوِّرَ ابْنَ الْمُعِزِّ مُنْفِيًا هُوَ وَأَقَمَهُ إِلَى بِلَادِ الْأَشْكَرِيِّ ، وَقَبِضَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الْأَمْزَاءِ ^١ .

وَسَارَ فَأَوْقَعَ بِجَمْعٍ هُولَاكُو عَلَى «عَيْنِ جَالُوتَ» ^٢ . وَهَزَمَهُمْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشْرِينَ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَّ كَثِيرًا بَعْدَمَا مَلَكَوا بَغْدَادَ ، وَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَعْتَصِمَ بِاللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَزَالُوا دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَرَّبُوا بَغْدَادَ وَدِيَارَ بَكْرٍ وَحَلَبَ ، وَنَازَلُوا دِمَشْقَ فَمَلَكَوْهَا . فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ أَوَّلَ هَزِيمَةٍ غُرِفَتْ لِلتُّرْكِ مِنْذُ قَامُوا .

وَدَخَلَ الْمُظْفَرُ قُطْرُ إِلَى دِمَشْقَ وَعَادَ مِنْهَا يُرِيدُ مِصْرَ ؛ فَقَتَلَهُ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبُزُوسُ الْبُتْدُقْدَارِيُّ ، قَرِيبًا مِنَ الْمَنْزِلَةِ الصَّالِحِيَّةِ ، فِي يَوْمِ السَّبْتِ نِصْفِ ذِي الْقِعْدَةِ مِنْهَا ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَنَةً تَنْقُصُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

١٠ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ بَيْبُزُوسُ الْبُتْدُقْدَارِيُّ الصَّالِحِيُّ» التُّرْكِيُّ الْجِنْسُ ، أَحَدُ الْمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَجَلَسَ عَلَى تَحْتِ السُّلْطَنَةِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي (قِيَوْمٍ) ^٣ سَابِعِ عَشْرِ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى مَاتَ بِدِمَشْقَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ عَشْرِينَ الْحَرَمِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سِتِّعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَشَهْرَيْنِ وَاثْنِي عَشَرَ يَوْمًا ^٤ .

(a-a) ساقطة من بولاق : واليباض في آياصونيا .

^١ تيمسان ونائلس بفلسطين (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ١٧٧) -
في المصادر المذكورة في الهامش السابق ، وأضيف إليها عبد
النعم ماجد : «أضواء جديدة على موقعة عين جالوت» ،
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الموسم الثقافي
١٩٧٦-١٩٧٧ ، القاهرة ١٩٧٨ ، ١٥١-١٦٨
Lewis, B., *El² art. 'Ayn Djālut I*, pp. 810-11;
Thorau, P., «The Battle of 'Ayn Jālut: A Re-
examination» in Edbury, P. W., (ed.), *Crusade
and Settlement*, Cardiff 1985, pp. 236-41.

^٢ سترد أخبار السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ بَيْبُزُوسَ ، الْمُؤَسَّسِ الْحَقِيقِيِّ
لِدَوْلَةِ الْمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ ، فِيمَا يَلِي ٣٠٠:٢ عِنْدَ ذِكْرِ جَامِعِ
الظَّاهِرِ بَيْبُزُوسَ .

^١ راجع أخبار السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ الْمُظْفَرِ سَيْفِ الدِّينِ قُطْرُ
عِنْدَ ، ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الرُّوضُ الزَّاهِرُ ٦٣-٦٨ ، ٩٣-١٩٦
التَّوْبَرِيُّ : نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٢٩:٤٦٩-٤٨٦ ابن أَيْلِك : كَنْزُ
الدَّرَرِ ٨:٣٩-٦٤ بَيْرَسُ الدَّوَادَارِ : زِينَةُ الْفِكْرِ ٤٦-٥٥
الصَّفْدِيُّ : الْوَفَائِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ٢٤:٢٥٣-٢٥٣ الْمُقْبِرِيُّ :
الْبُلُوغُ ١:٤١٧-٤٣٥ الْعَيْنِيُّ : عَقْدُ الْجَمَانِ ١:٢٢٠-
٢٦٠ أَيُّ الْمَحَاسِنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٧٢:٧-٩٣ ، الْمَنْهَلُ
الصَّافِي *El² art. Kutuz* ٧٤:٩-٧٧
٧، pp. 575-76 ، وَلِقَاسَمُ عَبْدِ قَاسَمٍ : السُّلْطَانُ الْمُظْفَرُ سَيْفُ
الدِّينِ قُطْرُ يَبْطُلُ مَعْرَكَةَ عَيْنِ جَالُوتَ ، دِمَشْقَ-دَارُ الْقَلَمِ ١٩٩٨ .
^٢ انظر تفاصيل مَوْقِعَةِ عَيْنِ جَالُوتَ - وَهِيَ بَلَيْتَةُ بَيْنَ

وَتَسْلُطَنَ وَلَقَّبَ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ الْكَامِلِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهْرَمَهُ ، وَاسْتَعَاذَ دِمَشْقَ .

ثُمَّ قَدِمَتِ النَّصْرُ إِلَى بِلَادِ حَلَبَ وَعَاتُوا بِهَا ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ بِعَسَاكِرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ عَلَى حِصْنٍ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشْرِينَ رَجَبَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَهَرَمَهُمْ بَعْدَ مَقْتَلَةِ عَظِيمَةٍ ، وَعَادَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ .

وَتَوَجَّهَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ حَتَّى نَازَلَ حِصْنِ الْمَوْقَبِ ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَأَخَذَهُ عَثْوَةٌ مِنْ الْفَرِجِ ، وَعَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ . ثُمَّ بَعَثَ الْعَشْكَرَ فَعَزَا بِلَادَ الثُّوبَةِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَعَادَ بِعَنَائِمٍ كَثِيرَةٍ .

ثُمَّ سَارَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ لَعَزُو الْفَرِجِ بِطَرَائِئُسٍ^١ ، فَنَازَلَهَا أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا حَتَّى قَتَحَهَا عَثْوَةٌ فِي رَابِعِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَهَدَمَهَا جَمِيعَهَا ، وَأَنْشَأَ قَرْيَةً مِنْهَا مَدِينَةَ طَرَائِئُسَ الْمَوْجُودَةِ الْآنَ ، وَعَادَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ . وَبَعَثَ لَعَزُو الثُّوبَةِ ثَانِيًا عَشْكَرًا ، فَقَتَلُوا وَأَسْرَوْا وَعَادُوا .

= المماليك الشراكسة (البيرونية) . (راجع ، ابن عبد الظاهر :
تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد
كامل ، القاهرة ١٩٦١ ؛ شافع بن علي : الفضل المأثور من
سيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق عمر عبد السلام
تدمري ، بيروت - المكتبة المصرية ١٩٩٧ ؛ النوري : نهاية
الأرب ٣١:٧-١٧٦ ؛ ابن أبيك : كنز الدرر ٨:٢٣١-
٣٠٣ ؛ بيرس الدوادار : زبدة الفكرة ١٧٤-٢٧٢ ؛
الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٤:٢٦٦-٢٧١ ؛ اليوسفي :
نزهة الناظر في دولتي المنصور والثاصر (وهو كتاب اعتمد
عليه كثيرًا العيني : عقد الجمان ٣:٢٩ ، ووصل إلينا منه قسم
عنوانه «نزهة الناظر في سيرة الملك الثاصر (انظر المقدمة) ، ابن
حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبينه ١:٤٨-١٣٥ ؛
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧:١٥٢-٢٨٠ ، ٨:١-
٩٨ ؛ المقرئ : السلوك ١:٦٦٣-٧٥٧ ؛ العيني : عقد
الجمان ٢:٢٢٥-٣٩١ ، ٣:٩٠٣-٢٢ ؛ أبا المحاسن : النجوم
الزاهرة ٧:٢٩٢-٣٤٣ ، المنهل الصافي ٩:٩١-٩٧ .

^١ حول مدينة طرائس - الواقعة الآن في شمال لبنان
الحالية - وتاريخها والإنشاعات التي أقامها بها السُلْطَانُ
المنصور قلاوون ، راجع السيد عبد العزيز سالم : «طرائس
الشام ، تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي» ، مجلة كلية
الآداب - جامعة الإسكندرية ١٦ (١٩٦٢) ، - ١ : نفسه ؛
طرائس الشام في التاريخ الإسلامي ، الإسكندرية ١٩٦٧ ؛
عمر عبد السلام تدمري : تاريخ طرائس السباسي والحضاري
عبر المنصور ، ١-٢ ، بيروت ١٩٧٤ ، ١٩٨١ ؛ نفسه :
تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرائس في عصر المماليك ، -

وراجع كذلك الدراسات التالية ، محمد جمال الدين

ثم خرج لغزو الفريخ بمكاً وهو تريض، فمات خارج القاهرة ليلة السبت سايس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وست مائة. فكانت مدته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوماً.

وقام من بعده ابنه «السلطان الملك الأشرف الدين خليل» في يوم الأحد سابع ذي القعدة المذكور^١، وسار لفتح عكا في ثالث ربيع الأول سنة تسعين وست مائة، ونصب عليها اثنين وتسعين متجنيقا، وقاتل من بها من الفريخ أربعة وأربعين يوماً حتى فتحها غنوة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وهدمها/ كلها بما فيها وحرقها، وأخذ صور وحباً وغنم وأتظرسوس وصيدا وهدمها، وأجلى الفريخ من الساحل، فلم يبق منهم أحد والله الحمد.

وتوجه إلى دمشق، وعاد إلى مصر، فدخل قلعة الجبل يوم الاثنين تاسع شعبان، ثم خرج في ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وست مائة، بعدما نادى بالتقير للجهاد، فدخل دمشق وغرض القساكر، ومضى منها فتم على حلب، ونازل قلعة الزوم، ونصب عليها عشرين متجنيقا حتى فتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوماً غنوة، وقتل من بها من النصارى الأرمين، وسبى نساءهم وأولادهم، وسماها «قلعة المسلمين»، فغرقت بذلك.

وعاد إلى مصر فدخل قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة، وسار في رابع المحرم سنة اثنين وتسعين حتى بلغ مدينة قوص من صعيد مصر، ونادى فيها بالتجهز لغزو اليمن وعاد.

كذلك، مجهول: تاريخ سلاطين المماليك ٨-٢٥،
التوحي: نهاية الأرب ٣١:١٧٧-٢٦٣ ابن أبيك: كثر
الدر ٨:٣٠٣-٣٥٢ بيرس الدوادار: زبدة الفكرة
٢٧٢-٢٩٨ الصغدني: الوافي بالوفيات ١٣:٣٩٩-
٤١٠ ابن حبيب: تذكرة النبي ١:١٣٦-١٦٨ ابن
الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨:٩٨-١٦٩ المقرئ:
السلوك ١:٧٥٦-٧٩٣ العيني: عقد الجمان ٣:٢٣-
٢١٢ (وهو ينقل عن نزهة الناظر وزبدة الفكرة) أبا
الحسن: النجوم الزاهرة ٨:٣-٤٠، المهمل الصافي
Haarmann, U., *El² art. Khalil* ٢٨٠-٢٧٠:٥
IV, pp. 996-98.

= بيروت ١٩٧٤ نفسه: الحياة الثقافية في طرابلس الشام
خلال العصور الوسطى، بيروت ١٩٧٣ Irwin, R.,
«The Mamluk Conquest of the Country of
Tripoli», in P.W. Edbury (ed.), *Crusade and
Settlement*, Cardiff 1985.

^١ أهم مصدر لفترة سلطنة الأشرف خليل كتاب
«الأنطاف الحفية من الشيرة الشريفة السلطانية الأشرفية»
لمحي الدين بن عبد الظاهر، ولم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا
قسم يتناول الحوادث من سنة ٦٩٠ إلى ٢٧ محرم سنة
٦٩١هـ، نشره موبج بعنوان *Ur² Abd ez-Zābir biografi over Sultanen
Allāh B. el-Melik el-Ashraf Halil*, Lundberg 1902 وراجع

ثم سار مُخَفًّا على الهُجُن في البرِّيَّة إلى الكرك، ومَضَى إلى دِمَشق، فَقَدِمَهَا في تاسع جُمادى الآخرة، وَقَصَدَ غَزُو بَهْشَناء) وَأَخَذَهَا من الأَرَمَن، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ وَسَلَّمُواها من تِلْقَاء أَنفُسِهِمْ، وَسَلَّمُوا أَيْضًا مَرْعَشَ وَتَلَّ حَفْدُونَ.

وَمَضَى من دِمَشق في ثاني رَجَب، وَعَبَّرَ من جِصص إلى سَلَمِيَّة، وَهَجَمَ على الأمير مُهَنَّأ بن عَيْسَى وَقَبَضَهُ وَإِخْوَتَهُ، وَحَمَلَهُمْ في الحَدِيد إلى قَلْعَةِ الجَبَل، وَرَجَعَ إلى دِمَشق.

وعاد^(ب) إلى مصر، فَقَدِمَ قَلْعَةَ الجَبَل في ثامن عشرين رَجَب، ثم تَوَجَّهَ لِلصَّيْدِ فَبَلَغَ الطَّرِيقَةَ^١، وَانْفَرَدَ في نَقَرٍ يَسِيرُ لِيَصْطَاد. فَاقْتَحَمَ عَلَيْهِ الأمير يَتَذَرَا في عِدَّةٍ مَعَهُ^٢ وَقَتَلُوهُ في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مائة. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ. ثم حُمِلَ وَدُفِنَ بِمَدْرَسَتِهِ الْأَشْرَفِيَّةِ^٣.

(a) بولاق: بهنسا. (b) بولاق: وعاد إلى دمشق ثم رجع.

مجهول: تاريخ سلاطين الممالك ٢٩-٣٢؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ٢٦٣-٢٧٣، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٨: ١١٨٨؛ العيني: عقد الجمان ٣: ٢١٣-٢٢١؛ أبا المحاسن: المشعل الصافي ٣: ٤٩٣-٤٩٥).

^٣ تقع للدرسة الأشرفية والتربة الملحقة بها بالقرب من المشهد القيسي، وهي من إنشاء السلطان الأشرف خليل الذي رُئِبَ بها دُرُوسًا لِلْفُقَهَاءِ وَمُفَرِّغِينَ وَخَدَمًا لِلتَّزِينَةِ. (ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢٤).

وما زالت القُفَّةُ الْمُشْتَمِلَةُ على قَبْرِ الْمُنْشَى قَائِمَةً بِشَارِعِ الْأَشْرَفِ إِلَى الشَّمَالِ مِنَ الْمَشْهَدِ الْقَيْسِيِّ وَتَعْرِفُ بِاسْمِ «قُفَّةِ الْأَشْرَفِ» أَوْ «تُرْبَةِ الْأَشْرَفِ» وَمُسَجَّلَةٌ بِالْأَثَارِ بِرَقْمِ ٢٧٥، وَعَلَيْهَا كِتَابَةٌ تَارِيخِيَّةٌ تُفِيدُ أَنَّ الْأَشْرَفَ خَلِيلَ أَمَرَ بِإِنْشَائِهَا فِي شَهْرِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَهُوَ مَازَالَ وَلِيًّا عَهْدَ أَبِيهِ، ثُمَّ أَتَمَّ عِمَارَتَهَا وَزَخَرَفَهَا بَعْدَ أَنْ تَسَلَّطَنَ وَشَجَّلَ بِأَعْلَى حَوَائِطِهَا الْخَارِجِيَّةِ جَمِيعَ أَقْبَابِهِ الْمَلِكِيَّةِ. (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٨: ٢٠ هـ ١: ٤، Wiet, G., *RCEA* XIII, pp. 65-66, n° 4895).

^١ الطَّرِيقَةُ. قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ تَقَعُ عَلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ لِنَجْرَعِ النَّيْلِ الْغَرْبِيِّ (قَوْعَ رَشِيدٍ) ضَمَّنَ قَرْيَ مَرْكَزَ كَوْمِ حِمَاةَ بِمَحَافِظَةِ الْغَرْبِيَّةِ جَنُوبِي كَفَرِ الدُّوَارِ بِثَلَاثَةِ كِيلُومِتَرَاتٍ. (محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ٢/ ٣٣١: ٢).

^٢ الأمير يَتَذَرَا الَّذِي يَتَذَرَا الْمَنْصُورِي، نَائِبُ السُّلْطَانَةِ بِالْأَيْدَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ. كَانَ أَصْلُهُ مِنَ مَمَالِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَأَعَزَّ أَمْرَانَهُ، ثُمَّ تَوَلَّى نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ فِي عَهْدِ وَلَدِهِ الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ. وَكَانَ السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ لِأُمُورٍ يَتَذَرَّتْ مِنْ نَوَائِبِ الَّذِينَ اسْتَوْلُوا عَلَى الْمَتَاجِرِ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَتَهَدَّدَهُ. فَاقْتَرَفَ يَتَذَرَا مَعَ حَسَنَامِ الدِّينِ لَاحِجِ بْنِ الْمَنْصُورِيِّ عَلَى قَتْلِ السُّلْطَانِ. وَلَمَّا نَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ سَلَطَتُهُ أَصْحَابَهُ وَلَقَبُوهُ بِ«الْمَلِكِ الرَّحِيمِ» وَقِيلَ بِ«الْمَلِكِ الْقَاضِي» وَقِيلَ أَيْضًا بِ«الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ»، وَلَكِنْ الْمَمَالِكُ الْأَشْرَفِيَّةُ لَمْ يَمْهَلُوهُ وَقَتَلُوهُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَدَخَلُوا بِرَأْسِهِ عَلَى رُشُجٍ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي ١٣ مُحَرَّمِ سَنَةِ ٦٩٣ هـ. (انظر مصادر ترجمة الأشرف خليل وأصف إليها،

وأقيم من بعده أخوه «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُون» وغمره سبع سنين، وقام الأمير زَيْنُ الدِّين كَثْبُغَا بِتَظْيِيرِهِ، ثُمَّ خَلَقَهُ بَعْدَ سَنَةٍ تَنْقُصُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^١.

وقام من بعده «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ زَيْنُ الدِّين كَثْبُغَا الْمَنْصُورِي» أَخَذَ مَمَالِيكَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُون، وَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، وَتَلَقَّبَ بِ«الْمَلِكِ الْعَادِلِ»^٢. فَكَانَتْ أَيَّامُهُ شَرًّا أَيَّامٍ لَمَّا فِيهَا مِنْ قُصُورٍ مَدَّ الثَّيْلَ وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ، وَكَثْرَةِ الْوَبَاءِ فِي النَّاسِ، وَقُدُومِ الْأَوِيْرَاتِيَّةِ. فَقَامَ عَلَيْهِ نَائِبُهُ الْأَمِيرُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ، وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ دِمَشْقَ بِمَنْزِلَةِ الْعَرْجَاءِ، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِينَ الْحَرَمِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ فَقَرَّ إِلَى دِمَشْقَ، وَاسْتَوَلَى لَاجِينَ عَلَى الْأَمْرِ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سِتِينَ وَسَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَقَدِمَ لَاجِينَ بِالْقَشْكَرِ إِلَى مِصْرَ.

وقام في السُّلْطَنَةِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ الْمَنْصُورِي»، أَخَذَ مَمَالِيكَ الْمَنْصُورِ قَلَاوُون، وَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَتَلَقَّبَ بِ«الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ» فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِينَ الْحَرَمِ الْمَذْكُورِ^٣، وَاسْتَنَابَ تَمْلُوكُهُ مَنَكُوتُمْرَ. فَتَفَرَّتِ الْقُلُوبُ عَنْهُ، حَتَّى قُتِلَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ حَادِي عَشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتٍّ مَائَةٍ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سِتِينَ وَشَهْرَيْنِ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

١٠

١ انظر فيما يلي ٣٠٤:٢-٣٠٦.

٢ راجع حول سُلْطَنَةِ الْعَادِلِ زَيْنُ الدِّين كَثْبُغَا، مجهول: ٣٨٣؛ بِيْرَسُ الدُّوَادَارِ: زِيْدَةُ الْفِكْرَةِ ٣١٣-٣٢٥؛ الصَّفْدِي: الْوَلَفِي بِالْوَلَفِيَّاتِ ٣٨٥:٢٤-٣٨٩؛ أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١٦٥:٤-١٧٦؛ ابْنُ حَبِيبٍ: تَذَكُّرَةُ النَّبِيَّةِ ١٩٤:١-٢١٢؛ ابْنُ الْفَرَاتِ: تَارِيخُ الدُّوَلِ وَالْمُلُوكِ ٢٢٢:٨-٢٢٣؛ الْمُقْرِيزِي: السُّلُوكُ ٨٢٠:١-٨٧٢؛ الْعَيْنِي: عَقْدُ الْجَمَانِ ٣٤٥:٣-٤٣٦؛ أَبَا الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٨٥:٨-١١٤؛ اَنْشَهُلُ الصَّافِي ١٦٦:٩-١١٧٣؛ وَانْظُرْ كَذَلِكَ Holt, P. M., «The Sultanate of Mansur Lachin (696-8/1296-9)», BSOAS XXXVI (1973), pp. 521-32; Elham, Shah Morad, Kitbuga und Lâgin : Studen sur Mamluken - Geschichte nach Baibars al-Mansûri und al-Nuwairi, «Islamkundliche Untersuchungen», Band 46, Freiburg - Klaus Schwarz 1977.

٣ راجع حول سُلْطَنَةِ الْعَادِلِ زَيْنُ الدِّين كَثْبُغَا، مجهول: تاريخ سلاطين الممالك ٣٣-٤١؛ التويري: نهاية الأرب ٣١٣-٢٨٢؛ ابن أبيك: كنز الدرر ٣٥٧-٣٦٦؛ بِيْرَسُ الدُّوَادَارِ: زِيْدَةُ الْفِكْرَةِ ٣٠٥-٣١٢؛ الصَّفْدِي: أَعْيَانُ الْعَصْرِ ١٤٤:٤-١٤٦؛ الْوَلَفِي بِالْوَلَفِيَّاتِ ٣١٨:٢٤-٣١٩؛ ابْنُ حَبِيبٍ: تَذَكُّرَةُ النَّبِيَّةِ ١٧٥:١-١٩٣؛ ابْنُ الْفَرَاتِ: تَارِيخُ الدُّوَلِ وَالْمُلُوكِ ١٩٢:٨-٢٢١؛ الْمُقْرِيزِي: السُّلُوكُ ٨٠٦:١-٨٢٠؛ الْعَيْنِي: عَقْدُ الْجَمَانِ ٢٦٧:٣-٣٤٣؛ أَبَا الْحَاسَنِ: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٥٥:٨-٨٤؛ الْمَهْلُ الصَّافِي ١١٥:٩-١١٨.

٣ راجع حول سُلْطَنَةِ الْمَنْصُورِ لَاجِينَ، مجهول: تاريخ سلاطين الممالك ٤١-٥٣؛ التويري: نهاية الأرب

وَدُفِنَ الْأَمْرَاءُ بَعْدَهُ أُمُورَ الدَّوْلَةِ ، حَتَّى قَدِيمَ مِنَ الْكَرْكِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» ، وَأُعِيدَ إِلَى السُّلْطَنَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ سَادِسَ مُجْمَازَى الْأَوَّلَى ، وَقَامَ بِتَذِيرِ الْأُمُورِ الْأَمِيرَانِ سَلَارِ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ ، وَبَيْتُوسَ الْجَاشَنْكِيرِ أَسْتَادَارَ حَتَّى سَارَ كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْحَيَجَ ، فَمَضَى إِلَى الْكَرْكِ ، وَانْخَلَعَ مِنَ السُّلْطَنَةِ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ تِسْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

٥. فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ رُكْنُ الدِّينِ بَيْتُوسَ الْجَاشَنْكِيرِ» أَخَذُ تَمَالِيكَ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثَ عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، حَتَّى قَرَأَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ^١ .

١٠. ثُمَّ قَدِيمَ مِنَ الثَّمَامِ فِي الْقَسَاكِرِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» ، وَأُعِيدَ إِلَى السُّلْطَنَةِ مَرَّةً ثَالِثَةً فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي شَوَّالٍ مِنْهَا ، فَاسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ حَتَّى مَاتَ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ حَادِي عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَتْ مُدَّتُهُ الثَّالِثَةَ اِثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ، وَدُفِنَ بِالْقُبَّةِ الْمَنْصُورِيَةِ عَلَى أَبِيهِ ^٢ .

١٥. وَأَقِيمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ سَيِّفُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ» بِعَهْدِ أَبِيهِ ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ حَادِي عَشْرِينَ ذِي الْحِجَّةِ ، وَقَامَ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ بِتَذِيرِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ خَلَعَهُ بَعْدَ تِسْعَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِعَشْرِينَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ اِثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ ^٣ .

وَأَقَامَ بَعْدَهُ أَخَاهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ عَلَاءُ الدِّينِ كُجُكُ بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» وَلَمْ يَكْمُلْ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِ سِنِينَ . فَتَكَرَّرَتْ قُلُوبُ الْأَمْرَاءِ عَلَى قَوْصُونَ ، وَحَارَبُوهُ وَقَبَضُوا عَلَيْهِ كَمَا ذُكِرَ فِي تَرْجُمَتِهِ ، وَخَلَعُوا الْأَشْرَفَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَّلَ شَعْبَانَ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ^٤ .

^١ سترد ترجمة مُفَصَّلَةً لِلْمَلِكِ الْمُظْفَرِ رُكْنِ الدِّينِ

الزاهرة ١٠: ٣-٢٠ .

بَيْتُوسَ ، السُّلْطَانِ الشُّرَاسِي الْوَحِيدِ فِي دَوْلَةِ الْمَمَالِكِ الْبُخَرِيَّةِ (الأتراك) فِيمَا بَلِيَ ٢: ٤١٧-٤١٨ .

^٢ سترد ترجمة مُفَصَّلَةً لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ

قَلَاوُونَ فِيمَا بَلِيَ ٢: ٣٠٤-٣٠٦ .

^٣ راجع ، ابن حبيب : تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٣: ١٧ ، ٢٤-٢٥ ؛

الْمَقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ٢: ٥٥١-٥٧٠ ؛ أَبَا الْهَاسَنِ : النُّجُومُ

^٤ راجع ، ابن حبيب : تَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ ٣: ٢٦ ؛ الصَّفَدِيُّ :

أَعْيَانُ الْعَصْرِ ٤: ١٤٨-١٤٩ ، الْوَاقِعِيُّ بِالْوَفَايَاتِ ٢٤: ٣٣٠-

٣٣١ ؛ الْمَقْرِزِيُّ : السُّلُوكُ ٢: ٥٧١-٥٩٣ ؛ ابن حجر :

الذُّرَرُ الْكَامِنَةُ ٣: ٣٥١-٣٥٢ ؛ أَبَا الْهَاسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ

١٠: ٢١١-٤٩ ، الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٩: ١٢٠-١٢٢ ، وَفِيمَا بَلِيَ

٢: ٣٠٧ .

وقام الأمير أَيْدَغُمُشُ بأمر الدَّوْلَةِ، وَبَعَثَ يَسْتَنْدَعِي مِنْ بِلَادِ الْكُرْكِ «السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ شِهَابَ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قَلَاوُونَ» - وَكَانَ مُقِيمًا بِقَلْعَةِ الْكُرْكِ مِنْ أَيَّامِ أَبِيهِ - فَقَدِمَ عَلَى الْبَرْيُوتَةِ^(٥) فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكُرْكِ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ثَامِنَ عَشْرِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَغَبَرَ الدُّورَ مِنْ قَلْعَةٍ/ الْجَيْلِ بَيْنَ قَدِيمٍ مَعَهُ، وَاسْتَحْجَبَ عَنِ الْأَمْزَاءِ، وَلَمْ يُخْرِجْ لَصَلَاةِ الْعِيدِ، وَلَا خَضَرَ^{٢٤٠:٢} السَّمَاطَ عَلَى الْعَادَةِ إِلَى أَنْ لَيْسَ شِغَارُ السُّلْطَنَةِ وَجَلَسَ عَلَى الثُّغْتِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ عَاشَرَ شَوَّالٍ، وَقُلُوبُ الْأَمْزَاءِ نَافِزَةٌ مِنْهُ لِإِعْرَاضِهِ عَنْهُمْ، فَسَاءَتْ سِيرَتُهُ.

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْكُرْكِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَاسْتَخْلَفَ الْأَمِيرَ أَقَى سُنْتُرُ الشَّلَارِي نَائِبَ الْقَيْتَةِ^١. فَلَمَّا وَصَلَ قَبْلَةَ النَّصْرِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَلَيْسَ ثِيَابَ الْعَرَبِ، وَمَضَى مَعَ خَوَاصِّهِ أَهْلَ الْكُرْكِ عَلَى الْبَرْيُوتَةِ^(٥)، وَتَزَكَّى الْأَطْلَابُ فَسَارَتْ عَلَى الْبَرِّ حَتَّى وَافَقَهُ بِالْكَرْكِ، فَزِدَّ الْعَشْكَرُ إِلَى بَلَدِ الْخَلِيلِ، وَأَقَامَ بِقَلْعَةِ الْكُرْكِ وَتَصَرَّفَ أَقْبَحَ تَصَرُّفٍ. فَخَلَعَهُ الْأَمْزَاءُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشْرِينَ الْحَوْمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا^٢.

وَأَقَامُوا بَعْدَهُ أَخَاهُ «السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الصَّالِحَ عِمَادَ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ» فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشْرِينَ الْحَوْمِ الْمَذْكُورِ، وَقَامَ الْأَمِيرُ أَرْغُونُ زَوْجُ أُمِّهِ بِتَنْذِيرِ الْمَمْلَكَةِ مَعَ مُشَارَكَةِ عِدَّةٍ مِنَ الْأَمْزَاءِ، وَسَارَتْ الْأَمْزَاءُ وَالْعَسَاكِرُ لِقِتَالِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ فِي الْكُرْكِ حَتَّى أُخِذَ وَقُتِلَ. فَلَمَّا أُخْضِرَتْ رَأْسُهُ إِلَى السُّلْطَانَ الصَّالِحِ وَرَأَاهَا فَرَّغَ وَلَمْ يَزَلْ يَفْتَنَاهُ الْمَرْصُ حَتَّى مَاتَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا^٣.

(٥) بولاق: البريد.

^١ انظر عن نَائِبِ الْقَيْتَةِ، فيما تقدم ٦٩٨. ^٢ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣٧٣-٣٩؛ الصغدِي: أعيان العصر ١: ٥٢٤-٥٢٥، الوافي بالوفيات ٩: ٢١٩-٢٢٠، المقرئ: السلوك ٢: ٦١٩-٦٨٠، المقفِي الكبير ٢: ٦٦٢-٦٩؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٤٠٦؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٧٨-١١٥، المنهل الصافي ٢: ٤٢٥-٤٢٧. ^٣ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٤٠-٧٩؛ الصغدِي: أعيان العصر ١: ٣٧٠-٣٧٥، الوافي بالوفيات ٨: ٨٦-١٩٠، المقرئ: السلوك ٢: ٥٩٣-٦١٩، المقفِي الكبير ١: ٦٢٧-٦٣٦ (ترجمة هامة)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ١: ٣١٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٥٠-٧٧، للمنهل الصافي ٢: ١٥٨-١٦٤.

وقام بعده أخوه «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ سَيِّفُ الدِّينِ شَعْبَانُ» بِعَهْدِ أَخِيهِ ، وَجَلَسَ عَلَى الثُّغْتِ مِنْ عَدِّ . فَأَوْحَشَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمْرَاءِ حَتَّى رَكِبُوا عَلَيْهِ ، فَزَكِبَ لِقِتَالِهِمْ فَلَمْ يَنْبُتْ مَنْ مَعَهُ ، وَعَادَ إِلَى الْقَلْعَةِ مُنْهَزِمًا ، فَتَبِعَهُ الْأَمْرَاءُ وَخَلَعُوهُ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مُسْتَهْلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَنَةً وَثَمَانِيَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا^١ .

٥ فَأُقِيمَ بَعْدَهُ أَخُوهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ زَيْنُ الدِّينِ حَاجِي» مِنْ يَوْمِهِ فَسَاءَتْ سِيرَتُهُ ، وَانْهَمَكَ فِي اللَّعِبِ . فَزَكِبَ الْأَمْرَاءُ عَلَيْهِ ، فَزَكِبَ إِلَيْهِمْ وَحَارَبَهُمْ ، فَخَانَهُ مَنْ مَعَهُ وَتَرَكَهُ حَتَّى أُحْجِذَ وَذُبِخَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَانِي عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنِي عَشَرَ يَوْمًا^٢ .

وَأُقِيمَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بَدْرُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ» فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ عَشْرِهِ ، وَعَمَرَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَالْقَائِمُ بِالْأَمْرِ ١٠ الْأَمِيرُ شَيْخُو الْقُمَرِيِّ . فَلَمَّا أَخَذَ فِي الْاِسْتِبْدَادِ بِالْقَصْرِ خُلِعَ وَشُجِنَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ اِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ تَنْقُصُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، مِنْهَا تَحْتَ الْحَجَرِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَنِيفَ ، وَمُدَّةُ اِسْتِبْدَادِهِ نَحْوَ مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ^٣ .

وَأُقِيمَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ صَلَاحُ الدِّينِ صَالِحُ» فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْمَذْكُورِ ، فَكَثُرَ لَهْوُهُ وَخَرَجَ عَنِ الْحَدِّ فِي التَّيْدُلِ وَاللَّعِبِ . فَتَارَ عَلَيْهِ الْأَمِيرَانُ شَيْخُو وَطَارَ وَقَبِضَا ١٥ عَلَيْهِ وَسَجَنَاهُ بِالْقَلْعَةِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^٤ .

^١ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٨٠-٩٠ ٨٣: ٢-٨٥ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨-١٨٦، المنهل الصافي ٥٠: ٥٥.

^٢ انظر ترجمة مفصلة للسُّلْطَانِ النَّاصِرِ حَسَنَ، فيما يلي ٣١٧: ٢ عند ذكر جامع ومدرسة السُّلْطَانِ حَسَنَ.

^٣ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١٤٨-١٧٥

المقريزي: السلوك ٢: ٨٤٣-٩٣٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٣٠٢-٣٠٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ٢٥٤-٣٠١، المنهل الصافي ٦: ٣٣٠-٣٣٣.

^١ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٨٠-٩٠ ٨٣: ٢-٨٥ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨-١٨٦، المنهل الصافي ٥٠: ٥٥.

^٢ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ٩١-١٠١ ٨٣: ٢-٨٥ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨-١٨٦، المنهل الصافي ٥٠: ٥٥.

وأعيد «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ قَلَاوُونَ» في يوم الاثنين المذكور، فأقام حتى قام عليه تملُّوكُهُ الأمير يَلْبِغَا الْخَاصَكِي وَقَتْلَهُ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ تَابِعَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ هَذِهِ سِتِّ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ^١.

وَأَقِيمَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أَخِيهِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُتَّصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظْفَرِ حَاجِي ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» وَعَمَرَهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ الْمَذْكُورِ. وَقَامَ بِالْأَمْرِ الْأَمِيرُ يَلْبِغَا، ثُمَّ خَلَعَهُ وَسَجَنَهُ بِالْقَلْعَةِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ^٢.

وَأَقَامَ بَعْدَهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْمَعَالِي شَعْبَانُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَّصِرِ قَلَاوُونَ» وَعَمَرَهُ عَشْرَ سِنِينَ، فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ خَامِسِ عَشْرِ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ، وَلَمْ يَلْ مِنْ بَنِي قَلَاوُونَ مَنْ أَبَوْهُ لَمْ يَتَسَلْطَنَ سِوَاهُ. فَأَقَامَ تَحْتَ حَجَرٍ يَلْبِغَا حَتَّى قُتِلَ يَلْبِغَا^٣ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ عَاشِرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. فَأَخَذَ يَسْتَبْدُ بِمُلْكِهِ حَتَّى انْقَرَضَ بِتَذْيِيرِهِ إِلَى أَنْ قُتِلَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ سَادِسِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ، بَعْدَمَا أَقِيمَ بِدَلَّةِ ابْنِهِ فِي السُّلْطَنَةِ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ عَشْرِ يَوْمًا^٤.

وَصَارَ بَعْدَهُ^٥ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُتَّصِرُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنِ» وَعَمَرَهُ سَبْعَ سِنِينَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَالِثِ ذِي الْقَعْدَةِ الْمَذْكُورِ، وَأَبَوْهُ حَيٌّ. فَلَمْ يَكُنْ حَظُّهُ مِنْ السُّلْطَنَةِ سِوَى الْأَسْمِ، حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَالِثِ عَشْرِينَ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. فَكَانَتْ مُدَّتُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا^٥.

(a) بولاق: فقام بالأمر.

^١ انظر فيما يلي ٣١٧:٢.

^٢ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢٥٩:٣-٢٣٧.

(حتى حوادث سنة ٧٧٠هـ) ١ المقرئ: السلوك ٨٣:٣-١٢٨٣ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٢٨٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٤-١٤٧، المنهل الصافي ٦: ٢٣٣-١٢٤٨ Holt P. T., *El art. Sha'ban IX*, p. 160.

^٢ راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٢٤٠:٣-٢٥٨؛ المقرئ: السلوك ٣: ٦٤-٨٢، درر العقود الفريدة ١: - أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣-٢٣، الدليل الشافي ٢: ٦٦١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧: ٢١٦.

^٣ راجع، المقرئ: السلوك ٣: ٢٨٤-٤١٢ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٣٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ١٤٨-٢٠٥، المنهل الصافي ٨: ٨٢-٨٤.

^٣ الأمير سيفُ الدِّينِ يَلْبِغَا العمري الحسني النَّاصِرِي الْخَاصَكِي الْأَتَابَكِي، المتوفى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م. (ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١٣٠؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٣٦-٤٠؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٥: ٢١٣).

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ أَخُوهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ زَيْنُ الدِّينِ حَاجِي» فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ عَشْرِينَ صَفَرِ الْمَذْكُورِ. فَقَامَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَتَذْيِيرِ الْأُمُورِ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ يَزِيدُ بْنُ قُتُوبٍ، حَتَّى خَلَعَهُ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَائِسِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. وَكَانَتْ مُدَّتُهُ سَنَةً وَشَهْرَيْنِ يَنْقُصَانِ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ^١. وَبِهِ انْقَضَتْ «دَوْلَةُ الْمَالِكِ الْبَحْرِيَّةُ: الْأَثَرُكَ وَأَوَّلَادُهُمْ»، وَمُدَّتُهُمْ مِائَةً وَسِتِّ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ أَيَّامٍ: أَوَّلُهَا يَوْمُ الْخَمِيسِ عَاشِرُ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَآخِرُهَا يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ/ ثَمَنَ عَشَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ. وَعِدَّتُهُمْ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ ذَكَرًا مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَصَبِيٍّ، وَامْرَأَةٍ وَاجِدَةٍ، وَأَوَّلُهُمْ امْرَأَةٌ، وَآخِرُهُمْ صَبِيٌّ^٢.

٢٤١:٢

(٨) وَلَمَّا أَقِيمَ النَّاصِرُ حَسَنَ بَعْدَ أَخِيهِ الْمُظَفَّرِ حَاجِي، طَلَبَتْ^(ب) الْمَالِكُ الْجَرَاكِسَةُ، الَّتِي قَرَّبَتْهُمْ الْمُظَفَّرُ، لِسَفَارَةِ الْأَمِيرِ أُعْرُولُ، فَإِنَّهُ كَانَ يَدَّعِي أَنَّهُ جَوْكَسِي الْجِنْسِ، وَجَلَبَتْهُمْ مِنْ أَمَاكِنَ حَتَّى ظَهَرُوا فِي الدَّوْلَةِ، وَكَثُرَتْ عَمَائِشُهُمْ وَكُلُّوَاتُهُمْ، فَأُخْرِجُوا مِنْهُنَّ خُرُوجَ، فَقَدِمُوا عَلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ^(أ).

١٠

دَوْلَةُ الْمَالِكِ الْجَرَاكِسَةِ^٣

(ج) الْجَرَاكِسَةُ جُنُشٌ^(د) وَهُمْ وَالْأَصْدُ^(هـ) وَالزُّوسُ فِي مَدَائِنَ عَابِرَةٍ، وَجِبَالِ ذَاتِ أَشْجَارٍ، وَلَهُمْ أَغْنَامٌ وَزُرُوعٌ، وَكُلُّهُمْ فِي تَمَلُّكَ صَاحِبِ مَدِينَةِ سَرَايَ قَاعِدَةِ خُورَزْمٍ. وَمُلُوكُ هَذِهِ الطُّوُافِ لِلْمَلِكِ

a-a) هذه الفقرة في نسخة أبياصوفيا، والنسخ المنقولة من خط المؤلف موجودة في الهامش وكتب الناصح بجوارها: يحرر محله! (b) بولاق: طلب. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: اللاض.

ملك من ملوك التُّوك بمصر (فيما تقدم ٢: ٤٩٧)، وهذا المجلد ٥٨٦، ٦٤٧؛ فيكون حديثه هنا عن أنَّ أَوَّلَ سُلَاطِينِ الْمَالِكِ هِيَ شَجَرَةُ الدُّزْنِاقِيَّةُ لَا خَرَصَ عَلَى تَأْكِيدِهِ مِنْ قَبْلِ. ^٣ راجع عن تاريخ دَوْلَةِ سُلَاطِينِ الْمَالِكِ الشَّرَاسِيَةِ (الْجَرَاكِسَةِ) أَوْ الْبَرْجِيَّةِ، مُحَمَّدُ مَصْطَفَى زِيَادَةُ: «نَهَايَةُ سُلَاطِينِ الْمَالِكِ فِي مِصْرَ»، الْمَجْلَدُ الْتَّارِيخِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ ٤ (١٩٥١)، ١٩٧-٢٢٨؛ إِبْرَاهِيمُ عَلِي طَرْخَان: «مِصْرُ فِي عَصْرِ دَوْلَةِ الْمَالِكِ الْجَرَاكِسَةِ»، الْقَاهِرَةُ ١٩٦٠؛ حَكِيمُ =

^١ راجع، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ٩: ٩٤-٩٥؛ ١٨٥؛ القُرَيْشِيُّ: السُّلُوكُ ٣: ٤٣٩-٤٧٥، ٦٢٠-٦٧٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٤٨٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٠٦-٢٩٣، المنهل الصافي ٥: ٤٨٥-٥٥٠؛ الصيرفي: نزعة النفوس ١: ٢١٤-٢٨٦؛ Levant, A. El² art. ٢٨٦-٢١٤؛ al-Sâlih Haddj VII, pp. 1021-22.

^٢ ذكر القُرَيْشِيُّ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ «الْخَطِّطَةِ» أَنَّ السُّلْطَانَ الْمُرْتَضَى بْنَ التُّرْكُمَانِي هُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنَ الْمَالِكِ سُلْطَنَةَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ (فِيمَا تَقْدَمُ ٢: ٢٨١) لَوْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ

سراي كالزعيقة، فإن داروه وهادوه كف عنهم، ولأغراضهم وحضرهم، وكم مرة قتلت عساكره منهم خلايق، وسبت نساءهم وأولادهم، وجلبتهم رقيقاً إلى الأقطار. فأكثر المنصور قلاوون من شرايهم، وجعلهم وطائفة الأص^٥ جميعاً في أبراج القلعة، وسماهم «البرجية»، فبلعت عدتهم ثلاثة آلاف وسبع مائة، وعمل منهم أوشاقية وجمقدارية وجاشنكبرية وسلاحدارية.

وأولهم «السلطان الملك الظاهر أبو سعيد بزقوق بن أنص»، أخذ من بلاد الجزكس، وأبيع ببلاد القرم، فجلبه خواجه فخر الدين عثمان بن مسافر^١ إلى القاهرة، فاشتراه منه الأمير الكبير يلبيغا الخاصكي وأعتقه، وجعله من جملة تماليكه الأجلاب، ففرق بيزقوق العثماني.

فلما قتل يلبيغا أخرج الملك الأشرف الأجلاب من مصر، فساّر منهم بزقوق إلى الكرك فأقام في عدة منهم مشجوتاً بها عدة سنين، ثم أفرج عنه وعين كان معه فمضوا إلى دمشق وخدموا عند الأمير منجك نائب الشام، حتى طلب الأشرف اليلبغاوية، فقدم بزقوق في جملتهم، واستقر في خدمة ولدي السلطان علي وحاجي مع من استقر من خنداشيته، ففرقوا باليلبغاوية إلى أن خرج السلطان إلى الحج. فناروا بعد سفره، وسلطوا ابنه علياً.

(٥) بولاق: اللاض.

Petry, C., *The Civilian Elite of Cairo in the Later Middle Age*, Princeton 1981; id., *Twilight of Majesty: The Reigns of the Mamlūk Sultans al-Ashraf Qāyibāy and Qānsūh al-Ghawrī in Egypt*, Seattle 1993; id., *Protectors or Praetorians? The Last Mamlūk Sultans of Egypt's Waning as a Great Power*, Albany 1994; Garcin, J.- Cl., «The Reign of the Circassian Mamluks», *The Cambridge History of Egypt*, I, pp. 318-38.

^١ خواجه فخر الدين عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الأشعري جالب الأتابك بزقوق من بلاده ثم جالب أبيه وأخوته إلى الديار المصرية بالقاهرة. كان بزقوق إذا رآه قام له من يمد وأكرمه وقيل شفاعته وأعطاه ما طلب. توفي في ١٦ رجب سنة ٧٨٣هـ/١٣٨٢م وهو من أعيان المملكة. (أبو المحسن: النجوم الزاهرة ١١: ٢٢٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر ١: ٢٢٧؛ ابن قاضي شبة: تاريخ ٣: ٧٣).

= أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة ١٩٦٧؛ دراسات سعيد عبد الفتاح عاشور وعبد النعم ماجد المذكورة فيما تقدم ٧٦٦هـ؛ Wiet, G., *L'Égypte arabe*, pp. 511-636; Ziyada, M. M., «The Fall of the Mamluks 1516-1517», *BEA - Cairo University* VI (May 1942), pp. 1-40; Ayalon, D., «The Circassians in the Mamluk Kingdom», *JAOS* 69 (1949), pp. 135-47; id., *El*² art. *Burdjiyya* I, pp. 1365-66, id., «Bahri Mamluks, Burji Mamluks Inadequate Names for the Two Reigns of the Mamluk Sultanate», *Tārīh* I (1990), pp. 3-53; id., «The End of the Mamlūk Sultanate», *SI* 65 (1984), pp. 55-76; Popper, W., *Egypt and Syria under the Circassian Sultans*, Berkeley 1955-57; Martel - Thoumian, B., *Les civiles et l'administration dans l'État militaire mamlūk (IX^e/XV^e siècle)*, Damas - IFEAD 1992;

وَحَكَمَ فِي الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ الْأَمِيرَ قَرَطَايَ الشُّهَابِي . فَتَارَ عَلَيْهِ خُشْدَانُشْهُ أَبْنَيْكَ الْبَذْرِي ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الشَّامِ ، وَقَامَ بَعْدَهُ بِتَذِيرِ الدَّوْلَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَتَارَتْ عَلَيْهِ الْيَلْبَغَاوِيَّةُ - وَفِيهِمْ بَرْقُوقُ ، وَقَدْ صَارَ مِنْ جَمَلَةِ الْأُمَرَاءِ - فَعَادَ قَبْلَ وُضُولِهِ بَلْبَيْسُ ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ . وَقَامَ بِتَذِيرِ الدَّوْلَةِ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي أَيَّامِ يَسِيرَةٍ .

٥. فَزَكَبَ بَرْقُوقُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَلَاثَ عَشْرِينَ رَّبِيعَ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَقَتِ الظُّهَيْرَةِ فِي طَائِفَةٍ مِنْ خُشْدَانِشْهُ ، وَهَجَمَ عَلَى بَابِ السُّلَيْسَةِ ، وَقَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ يَلْبَغَا النَّاصِرِيِّ - وَهُوَ الْقَائِمُ بِتَذِيرِ الدَّوْلَةِ - وَمَلَكَ الْإِسْطَبَلِ ، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى خُلِعَ الصَّالِحُ حَاجِي^١ .

- وَتَسَلَّطَنَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَقَتِ الظُّهْرِ ، فَتَعَيَّرَ الْقَوَائِدَ وَأَفْتَى رِجَالَ الدَّوْلَةِ وَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَلْبِ الْجَرَاكِمَةِ إِلَى أَنْ تَارَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ يَلْبَغَا النَّاصِرِيُّ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَائِبُ حَلَبَ - وَسَارَ إِلَيْهِ . فَقَرَّ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ خَامِسَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمَلَكَ النَّاصِرِيُّ الْقَلْعَةَ ، وَأَعَادَ الصَّالِحُ حَاجِي وَلَقَّبَهُ بِ«الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ» ، وَقَبِضَ عَلَى بَرْقُوقُ ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْكَرْكِ فَسَجَنَهُ بِهَا .

- فَتَارَ الْأَمِيرُ يَنْطَاشُ بِالنَّاصِرِيِّ^(أ) ، وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَسَجَنَهُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ . وَخَرَجَ يُرِيدُ مُحَازَبَةَ بَرْقُوقُ - وَقَدْ خَرَجَ مِنْ سِجْنِ الْكَرْكِ ، وَسَارَ إِلَى دِمَشْقَ فِي عَشْكَرٍ - فَحَازَبَهُ بَرْقُوقُ عَلَى شَفْحَبِ ظَاهِرِ دِمَشْقَ ، وَمَلَكَ مَا مَعَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَأَتَّخَذَ الْخَلِيفَةَ وَالسُّلْطَانَ حَاجِي وَالْقَضَاةَ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، فَقَدِمَهَا فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَاسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَنَةِ حَتَّى مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِلْعُصْفِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِ مِائَةٍ . فَكَانَتْ مُدَّتُهُ أَتَانِكَا وَسُلْطَانًا إِحْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، خُلِعَ فِيهَا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرَ وَتِسْعَةَ أَيَّامَ .

(أ) بولاق : علي الناصري .

^١ عندما ذكر المقرئ المرسلة الظاهرية الجديدة في مُسَوِّدَةِ الْخَطِّ - وهي غير موجودة في المخطوطة - كَتَبَ مَدْخَلًا لِيُجَرِّمَ لِبَرْقُوقُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّ . وَرَاجِعْ عَنْ بَرْقُوقُ ، ابْنِ الْفَرَاتِ : تَارِيخُ الدَّوْلِ وَالْمُلُوكِ ، الْجُزْءُ الثَّاسِعُ ؛ الْمَقْرِئِي : السُّلُوكُ ٤٧٦:٣ - ٤٦٩ ، ٧٠٤ - ٩٤٧ ، دُرَرُ الْعُقُودِ الْفَرِيدَةِ ١ : ١ - ابن حجر : ذَيْلُ الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٦٩ ، إِنْشَاءُ الْعَمْرِ

٢٦٦:٢ - ٢٦٩ : أَبَا الْحَسَنِ : النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٢٢١:١١ - ٣١٨ ، ١:١٢ - ١٦٧ ، الْمَنْهَلُ الصَّافِي ٣٨٥:٣ - ٢٨٥ ، (تَرْجُمَةُ حَافِلَةٍ) : الصِّيرْفِيُّ : نَزْهَةُ النُّفُوسِ ١ : ٣٣ - ٥٦ ، ٢١٠ - ٢١٤ ، ٢٨٦ - ٥٠٤ : السَّخَاوِيُّ : الضُّوءُ اللَّامِعُ ١٠:٣ - ١١٢ : Wiet, G., *El² art. Barkūk*, pp. 1082- 83.

وقام من بغيه ابنه «السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج» في يوم الجمعة المذكور، وعمره نحوه العشر سنين، فدبر أمر الدولة الأمير الكبير أيتش، ثم ناز به الأمير يثربك وغيره، ففر إلى الشام، وقُتل بها.

ولم تزل أنعام الناصر كلها كثيرة الفتن والشُرور والغلاء والوباء، وطرق بلاد الشام فيها الأمير تيمورلنك فخر بها كلها وخرقها، وغنمها بالقتل والنهب والسبي^(٥) والأسر، حتى قُيد منها جميع أنواع الحيوانات، وتمزق أهلها في جميع أقطار الأرض. ثم ذهبت بعد رحيله عنها جزاء لم يترك بها خضرًا، فاشتد بها الغلاء على من تراجع إليها من أهلها، وشنع مؤثمهم.

واستمرت بها مع ذلك الفتن، وقصرت مد النبل بمصر حتى شرفت الأراضي الأقبليًا، وعظم الغلاء والفناء. فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع، وصاؤوا أرقاء تملوكين وسجل الخراب الشنيع عامة أرض مصر وبلاد الشام، من حيث نصب النبل من الجنادل، إلى حيث مجرى الفرات.

وابتلي مع ذلك بكثرة فتن الأميرين نوروز الحافظي وشيخ الحمودي، وخروجهما ببلاد الشام^{٢٤٢:٢} عن طاعته، فتزدحمت لهما مزارًا حتى هزماه، ثم قتلاه بدمشق في ليلة السبت سادس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة. فكانت مدهته - منذ مات أبوه إلى أن فر في يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأول سنة ثمان وثمان مائة واختفى، وأقيم بعده أخوه عبد العزيز، ولقب «الملك المنصور» - ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يومًا.

وأقام الناصر في الاختفاء سبعين يومًا، ثم ظهر في يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة، واستولى على قلعة الجبل، واشتد بملكه أقبج استياد إلى أن توجه لحرب نوروز وشيخ، وقتلتهما على اللجون في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة، فانهزم إلى دمشق وهما في أثره - وقد صار الخليفة المستعين بالله في قبضتهما ومعه مباشر الدولة - فتزلا^(٦) على دمشق وحصره، ثم ألزما الخليفة بخلعه من السلطنة، فلم يجد بُدًا من ذلك، وتخلعه في يوم السبت خامس عشرينه، وتوذي بذلك في الناس، فكانت مدهته الثانية ست سنين وعشرة أشهر سوا^١.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فنزل.

^١ راجع أخبار الناصر فرج الذي غده للقريري وأشام ٩٥٩:٣ - ١١٧٨:٤ - ٨:٤ - ٢١٤، درر العقود الفريدة ٢: - ملوك الإسلام (السلوك ٢٢٥:٤) عند، المقرري: السلوك ١ ابن حجر: إنباء الفهر ٥٣٠:٢ - ٥٣١:١ أبي المحسن: =

[الخلفاء العبّاسيون بمصر] ^١ - وأقيم من بعده «الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو الفضل العبّاس بن محمد العبّاسي» ^٢.

وأصل هؤلاء الخلفاء بمصر أن أمير المؤمنين المستنصر بالله عبد الله، آخر خلفاء بني العبّاس، لما قتله هولاكو بن تولي بن جنكيز خان في صفر سنة ست وخمسين وست مائة ببغداد، وخلت الدنيا من خليفة، وصار الناس بغیر إمام قرشي إلى سنة تسع وخمسين. فقَدِمَ الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد ابن الخليفة الناصر العبّاسي، من بغداد إلى مصر في يوم الخميس تاسع رجب منها. فركب السلطان الملك الظاهر بيبرس إلى لقائه وصعد به قلعة الجبل وقام بما يجب من حقه، وبايعة بالخلافة وبايعة الناس، وتلقب بـ «المستنصر». ثم توجه لقتال التتر ببغداد، فقُتِلَ في محاربتهم لأيام خلّت من المحرم سنة ستين وست مائة. فكانت خلافته قريتا من سنة.

ثم قَدِمَ من بعده الأمير أبو العبّاس أحمد بن أبي عليّ الحسن بن أبي بكر، من ذُرِّيَةِ الخليفة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد، في سابع عشرين ربيع الأول، فأنزله السلطان في بُرج بقلعة الجبل، وأجرى عليه ما يحتاج إليه، ثم بايعة في يوم الخميس ثامن المحرم سنة إحدى وستين، بعد ما أثبتت نسبته على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز، ولقبته بـ «الحاكم بأمر الله»، وبايعة الناس كافة.

«Studies on the Transfer of the 'Abbasid Caliphate from Bagdād to Cairo», *Arabica* VII (1960), pp. 41-59; Chapoutot - Remadi, M., «Une institution mal connue : le Khalifat Abbasid du Caire», *CT* 20 (1972), pp. 11-23; Holt, P. M., «Some Observations on the Abbasid Caliphate of Cairo», *BSOAS* 47 (1984), pp. 501-517 محمد عبد العال أحمد: أضواء جديدة على إحياء الخلافة العبّاسية - أسبابها ومواقف حكام بعض الأقطار الإسلامية منها، القاهرة ١٩٨٧، Amitai - Preiss, R., «The Fall and Rise of the Abbasid Caliphate», *JAOS* 116 (1996), pp. 487-94.

^٢ راجع، المقرئ: السلوك ٢١٤:٤-٢٤٢، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٣:١٨٩-٢٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٢٦٣، ٢٧٥-٢٧٦.

= النجوم الزاهرة ١٢:١٦٨-٣٣١، ١٣:٤٠-٤٨، ١٨٨، المنهل الصافي ٨:٣٧٩-٤٠٢؛ الصيرفي: نزهة النفوس ٢:٥-٣١٦؛ السخاوي: الضوء اللامع ٦:١٦٨-١٦٩، *El* ² art. ١٦٩-١٦٨؛ Wansbrough J., *Faradj* II, pp. 800-1، وانظر رأي المقرئ في سلطنته في السلوك ٤:٢٢٤-٢٢٨.

وتتخلل هذه الحوادث الفترة التي تتسلطن فيها السلطان الملك المنصور عبد العزيز.

^١ يتناول المقرئ هنا، بمناسبة تولي الخليفة العبّاسي المستنصر بالله السلطنة، انتقال الخلافة العبّاسية إلى مصر في زمن سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري بعد سقوط بغداد، راجع حول هذا الموضوع ودور هذه المؤسسة بعد انتقالها إلى مصر، القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٢٦٠-٢٦٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء ٧٥٧-٨٢٩، Ayalon, D.,

ثم خطب من الغد وصلى بالناس الجمعة في جامع القلعة ، ودُعِيَ له من يومئذ على منابر أراضي مصر كلها قبل الدعاء للسلطان ، ثم خطب له على منابر الشام ، واستمر الحال على الدعاء له ولمن جاء من بعده من الخلفاء . وما زال بالبرج إلى أن منعه السلطان من الاجتماع بالناس في الحرم سنة ثلاث وستين ، فاختجب وصار كالمسجون زيادة على سبع وعشرين سنة بقبلة أيام الظاهر بيبرس وأيام ولديته محمد بركة وسلايمش وأيام قلاوون .

فلما صارت السلطنة إلى الأشرف خليل بن قلاوون ، أخرجه من سجنه مكرماً في يوم الجمعة العشرين من شهر رمضان سنة تسعين وست مائة ، وأقره . فصعد يثرب الجامع بالقلعة وخطب عليه سواده ، وقد تقلد سيفاً محلياً ، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة قاضي القضاة بذو الدين بن جماعة ، وخطب أيضاً خطبة ثالثة في يوم الجمعة تاسع عشرين ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ، وخرج سنة أربع وتسعين .

ثم منع من الاجتماع بالناس فامتنع حتى أفرج عنه المنصور لاجين في سنة ست وتسعين ، وأشكته بمنابر الكيش^١ ، وأقيم عليه بكشوة له ولعياله ، وأجرى عليه ما يقوم به . وخطب بجامع القلعة خطبة رابعة ، وصلى بالناس الجمعة ، ثم حج سنة سبع وتسعين ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر لجمادى الأولى سنة إحدى وسبع مائة . فكانت خلافته مدة أربعين سنة ليس له فيها أمر ولا نهى ، إنما خطه أن يقال «أمير المؤمنين» .

وكان قد عهد إلى ابنه الأمير أبي عبد الله محمد المستنكف ، ثم من بعده لأخيه أبي الربيع سليمان المستنكفي . فمات المستنكف في حياته ، واشتد جزعه عليه ، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستنكف . فلما مات الحاكم أقيم من بعده ابنه «المستنكفي بالله» أبو الربيع سليمان بعنده له ، فشهد وقعة شغب مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وعليه سواده ، وقد أرحى له عذبة طويلة ، وتقلد سيفاً عربياً محلياً .

ثم تنكر عليه ، وسجنه في برج بالقلعة نحو خمسة أشهر ، وأفرج عنه وأنزله إلى داره قريباً من المشهد القيسي بقرية شجر الدر^٢ ، فأقام نحو ستة أشهر ، وأخرجه إلى قوص في سنة سبع وثلاثين

^١ فيما تقدم ٤٤٤ .

أمام مشهد السيدة زكية ومسجلة بالآثار برقم ١٦٩ .

Herz, M., «Le tombeau de la Sultane Chagarat

el-Dorr», CR du comité, exersice 1900, pp. 112-

= 19; Creswell, K.A.C., MAE II, pp. 136-39

^٢ ما تزال قرية شجر الدر - التي أنشأها سنة ٦٤٨هـ /

١٢٥٠م قبل وفاته - موجودة تحت قبة داخل مسجد صغير

أصله مدرسة أنشأها شجر الدر بجوار ثوبها بشارع الخليفة

وسبع مائة، وقُطِعَ رَأْيُهُ، وأُجْزِيَ لَهُ بِقُوصٍ مَا يَتَقَوَّزُ بِهِ. فَمَاتَ بِهَا فِي خَامِسِ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ.

وَعَهَّدَ إِلَى وَلَدِهِ، فَلَمْ يُقْبَضِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ عَهْدَهُ، وَثَوَّبَ ابْنُ أَخِيهِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُشْتَمِسِكِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَاكِمِ بَيْعَةَ خَفِيَّةٍ لَمْ تَظْهَرْ، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ خَامِسَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ، وَأَقَامَ الْخُطْبَاءُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لَا يَذْكُرُونَ فِي خُطْبَتِهِمْ الْخَلِيفَةَ، ثُمَّ خُطِبَ لَهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا، وَلُقِّبَ بِـ«السَّوَالِقِ بِاللَّهِ».

فَلَمَّا مَاتَ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ وَأَقِيمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُتَّصِرُ أَبُو بَكْرٍ، اسْتَدْعَى أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ شَلِيمَانَ وَأَقِيمَ فِي الْخِلَافَةِ، وَلُقِّبَ بِـ«الْحَاكِمِ» بَعْدَمَا كَانَ يَلْقَبُ بِالْمُشْتَمِسِرِ، وَكُنِيَ بِأَبِي الْقِيَاسِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ سَلَخَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ. فَاسْتَمَرَ حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ.

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ أَخُوهُ «الْمُقْتَضِدُ بِاللَّهِ» أَبُو بَكْرٍ، وَكُنِيَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ سَلِيمَانَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ عَشْرِهِ، وَاسْتَقَرَّ مَعَ ذَلِكَ فِي نَظَرِ مَشْهَدِ الْمَشِيدَةِ نَفِيسَةً لِيَسْتَعِينَ بِمَا يَرِدُ إِلَى ضَرْحِهَا مِنْ نَذْرِ الْعَامَّةِ عَلَى قِيَامِ أَوْدِهِ - فَإِنَّ مُرْتَبَ الْحُلَفَاءِ كَانَ عَلَى مَكْسِ الصَّاعَةِ، وَحَشِبُهُ أَنْ يَقُومَ بِمَا لَا بَدَ مِنْهُ فِي قُوَّتِهِمْ، فَكَانُوا أَبَدًا فِي عَيْشٍ غَيْرِ مُوَسَّعٍ - فَحَسَنَتْ حَالُ الْمُقْتَضِدِ بِمَا يَبِيعُهُ مِنَ الشَّعْعِ

الْمَحْمُولِ إِلَى الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ وَنَحْوِهِ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ. وَكَانَ يَلْفُغُ بِالْكَافِ، وَحَجَّ مَرَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ، وَالثَّانِيَةَ سَنَةِ سِتِينَ.

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ «الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ» أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بَعْدَهُ إِلَيْهِ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَانِي عَشْرِهِ، وَخُلِيعَ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُتَّصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ حَاجِي، وَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمَشْهَدِ، وَنَزَلَ إِلَى دَارِهِ. فَلَمَّ يَزُلْ حَتَّى تَتَكَرَّرَ لَهُ الْأَمِيرُ أَيْبُكُ فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، بَعْدَ قَتْلِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، وَأُخْرِجَهُ لِيَسِيرَ إِلَى قُوصٍ، وَأَقَامَ عِوَضَهُ فِي الْخِلَافَةِ ابْنُ عَمِّهِ زَكْرِيَا بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فِي ثَالِثِ عَشْرِينَ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ.

{Nafisa}, MDAIK XXXIX (1983), pp. 3-20

أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها ٤٠: ٢، وفيما تقدم ٥٦-٥٧هـ.

= المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٧٨: ٦هـ؛ Behrens - Abouseif D., «The Lost Minaret of Shajarat al-Durr at the Complex in the Cemetery of Sayyida

وكان قد أَمَرَ بِرَدِّ الْمُتَوَكِّلِ مِنْ نَفْيِهِ ، فَوُذِيَ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ يَوْمِهِ ، فَأَقَامَ بِهِ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ أَبْنَيْكَ ، وَأَعَادَهُ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا إِلَى خِلَافَتِهِ . ثُمَّ سَخِطَ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ بِزُقُوقِ ، وَسَجَنَتُهُ مُقَيَّدًا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلِ رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، وَقَدْ وَثَّقَ بِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ الثُّورَةَ وَأَخَذَ الْمَلِكُ .

وَأَقَامَ عِوَضَهُ^(a) فِي الْخِلَافَةِ «الوَائِقُ بِاللَّهِ» أَبُو خَفَصَ عُمَرُ بْنُ الْمُغْتَصِمِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَاكِمِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْمَذْكُورِ . فَمَا زَالَ خَلِيفَتُهُ حَتَّى مَاتَ يَوْمَ السَّبْتِ تَابِعَ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ . فَأَقَامَ الظَّاهِرُ بَعْدَهُ فِي الْخِلَافَةِ أَخَاهُ زَكْرِيَّا بْنَ إِبْرَاهِيمَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَامِنِ عَشْرِينَ ، وَلَقَّبَ بِهِ «الْمُسْتَعِصِمَ» ، وَرَكِبَ بِالْخِلَافَةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْقَضَاءُ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى مَنْزِلِهِ .

فَلَمَّا أَشْرَفَ الظَّاهِرُ بِزُقُوقِ عَلَى زَوَالِ مُلْكِهِ ، وَقَرَّبَ الْأَمِيرُ يُلْبَغَا النَّاصِرِي نَائِبَ خَلْبٍ بِالْقَسَاكِرِ ، اسْتَدْعَى الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مَعْصِيَةِهُ وَأَعَادَهُ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَوَّلِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَبَالَغَ فِي تَعْظِيمِهِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى خِلَافَتِهِ حَتَّى تَوَفَّى لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ ثَامِنِ عَشْرِينَ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ انْتَسَبَتْ أَخْوَالُهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ^(b) أَهْلَ بَيْتِهِ^(b) بِمِصْرَ ، وَصَارَ لَهُ إِقْطَاعَاتُ وَمَالٌ .

فَأَقِيمَ بَعْدَهُ فِي الْخِلَافَةِ ابْنُهُ «الْمُسْتَعِصِمُ بِاللَّهِ» أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ ، وَخُلِعَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ شَعْبَانَ بِالْقَلْعَةِ بَيْنَ يَدَيْ النَّاصِرِ فَزَجَ^(c) ، وَنَزَلَ إِلَى دَارِهِ ، ثُمَّ سَارَ مَعَ النَّاصِرِ إِلَى الشَّامِ ، وَخَصَرَ مَعَهُ رُقْعَةً اللَّجُونِ حَتَّى انْتَهَزَمَ . فَدَعَاهُ الْأَمِيرَانِ شَيْخُ وَنُورُوزَ ، فَمَضَى مِنْ مَوْفِقِهِ إِلَيْهِمَا وَمَعَهُ مُبَاشِرُو الدَّوْلَةِ ، فَأَنْزَلَاهُ وَوَكَّلَاهُ بِهِ ، وَسَارَا بِهِ لِحِصَارِ النَّاصِرِ ، ثُمَّ أَلْزَمَاهُ حَتَّى خَلَعَهُ مِنَ السُّلْطَانَةِ وَإِقَامَةَ شَيْخِ فِي السُّلْطَانَةِ ، وَبَاقِيَهُ وَمِنْ مَعِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ خَامِسَ عَشْرِينَ الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ، وَبَعَثَ إِلَى نُورُوزَ وَهُوَ بِشِمَالِي دِمَشْقَ حَتَّى بَاقِيَهُ .

فَنَالُوا بِإِقَامَتِهِ أَغْرَاضَهُمْ مِنْ قَتْلِ النَّاصِرِ وَانْتِظَامِ أَمْرِهِمْ ، ثُمَّ سَارَ بِهِ شَيْخُ إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَامَ نُورُوزَ بِدِمَشْقَ . فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ أَشْكَنَتِ الْقَلْعَةُ ، وَنَزَلَ هُوَ بِالْحَرَوَاقَةِ مِنْ بَابِ السُّلَيْلَةِ^١ ، وَقَامَ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَتَرَكَ الْخَلِيفَةَ فِي غَايَةِ الْحَصْرِ حَتَّى اسْتَبَدَّ بِالسُّلْطَانَةِ . فَكَانَتْ مُدَّةُ الْخَلِيفَةِ مِنْذُ أَقَامُوهُ سُلْطَانًا سَبْعَةَ

(a) بولاق : وأقيم بعهده . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : بن بركات .

^١ الحَرَوَاقَةُ مِنْ بَابِ السُّلَيْلَةِ . نَقَعْدُ بِالْإِسْطِطْلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . (الفاشندي : ص ٣ : ٢٧٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة

أشهر وخمسة أيام. وتُقْبَلُ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَعْضِ دُورِ الْقَلْعَةِ، وَوُكِّلَ بِهِ مِنْ يَحْفَظُهُ وَأَهْلُهُ.

وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِالسُّلْطَنَةِ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ أَبُو النَّصْرِ شَيْخُ الْمُحْمُودِي»، أَخَذَ تَمَالِيكَ الظَّاهِرِ يَزُوقُ، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلَ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ عَشْرَةٍ وَثَمَانِ مِائَةٍ. فَتَسَجَّنَ الْخَلِيفَةُ فِي بُرْجِ بِالْقَلْعَةِ، ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَةِ فَسَجَّنَتْهُ بِهَا. وَلَمْ يَزَلْ سُلْطَانًا حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ الْحَرَمِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَمَانِي سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ^١.

فَأَقِيَمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو السَّعَادَاتِ أَحْمَدُ» وَعَمَرَهُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنِصْفَ. فَقَامَ بِأَمْرِهِ الْأَمِيرُ طَطَّرُ، وَقَرَّقَ مَا جَمَعَهُ الْمُؤَيَّدُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَخَرَّجَ بِالْمُظْفَرِ يُرِيدُ مُحَازَرَةَ الْأَمْزَاءِ بِالشَّامِ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَخَلَعَ الْمُظْفَرُ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ تَنْقُصُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ^٢.

وَقَامَ بَعْدَهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ أَبُو الْفَتْحِ طَطَّرُ»، أَخَذَ تَمَالِيكَ الظَّاهِرِ يَزُوقُ، وَجَلَسَ عَلَى الثُّخْتِ بِقَلْعَةٍ وَتَشَقَّى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ. وَقَدِمَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَهُوَ مَوْعُوكُ الْبَدَنِ، فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعَ شَوَّالٍ، فَتَقَلَّ فِي مَرَضِهِ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشْرِينَ حَتَّى مَاتَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعٍ^٣ ذِي الْحِجَّةِ، فَكَانَتْ مُدَّتُهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَيَوْمَيْنِ^٤.

فَأَقِيَمَ بَعْدَهُ ابْنُهُ «السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ» وَعَمَرَهُ نَحْوَ عَشْرِ سِنِينَ،

(a) بولاق: رابع عشرين.

^١ ١٩٧، المنهل الصافي ٣١٤:١-٣١٧؛ الصيرفي: نزعة النفوس ٢٠٧:٣؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣١٣-٣١٤.

^٢ راجع، المقرئ: السلوك ٥٨٢:٤-٥٨٩؛ العيني: عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٤٤-١٥٨، وكتب العيني رسالة في سيرته عنوانها: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر وططَّر»، نشرها هانس إرنست في القاهرة - دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢٥٧:٣-٢٥٨؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٩٨-٢١٠، المنهل الصافي ٣٩٧:٦-٤٠٥؛ الصيرفي: نزعة النفوس ٥١٣:٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧:٤-٨.

١ راجع، العيني: الشيف المُنَهَّد في سيرة الملك المؤيَّد، حققه وقَدَّم له فُهيم محمد شلتوت، القاهرة ١٩٦٧، عقد الجمان، تحقيق عبد الرزاق القرموط، القاهرة ١٩٨٩، ٨٥-١١٦؛ المقرئ: السلوك ٢٤٣:٤-٥٥١؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٢٥٦:٣-٢٥٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١١٦، المنهل الصافي ٢٦٣:٦-٣١٢ (ترجمة مفيدة)؛ الصيرفي: نزعة النفوس ٣١٧:٢-٤٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣٠٨:٣-٣١١؛ Holt, P. M., *El* ² art. *al-* ١٣١١-٣٠٨؛ Mu'ayyad Shaykh VII, pp. 273-74.

^٣ راجع، المقرئ: السلوك ٥٦٣:٤-٥٨١؛ العيني: عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١١٧-١٤٤؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٤٤١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٦٧-

٢٤٤:٢

فقام بأمره الأمير بوشباي الدقمافي ، ثم خلعه بعد أربعة أشهر / وأربعة أيام^١ .
وقام من بعده «السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر بوشباي» ، أخذ ممالك
الظاهر برفوق ، وجلس على تخت الملك في يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس
وعشرين وثمان مائة^(٢) .

*
* *

انتهى ما وجدته في هذا الجزء المبارك بخط مؤلفه تَعَدَّهُ اللهُ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ .
وَوَافَقَ الْقَرَأَغُ مِنْ مَشَقِّهِ فِي الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ الْمَوَافِقَ لِثَانِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ

سنة ثمان وسبعين وثمان مائة على يد فقير رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ
أبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أحمد الأزهرى الشافعي
الخطيب المعروف بالسرووي ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ
وَلِإِخْوَاتِهِ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ آمِينَ .

أنهاؤه كاتبه داعيًا لمؤلفه ومالكه
ولمن كان السبب في كتابته ، وأصلح ما وجدته فيه ،
والحمد لله وحده ، وخمسينا الله
ونعم الوكيل .

كُتِبَ هَذَا الْجُزْءُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ مِنْ خَطِّ الْمَوْلَفِ غَفَرَ اللهُ عَنْتِي
وعن والديه والحمد لله وحده .

(a) في هامش أباصونيا : ياض نحو صفحة .

عقد الجمان (تحقيق القرموط) ١٨٠-٥٠٣ : ابن حجر : إنباء
الفرع ٧٨: ٤-٨٠ : أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٢٤٢-
٣٧٣ ، ٧: ١٥-٢٢١ ، المنهل الصافي ٣: ٢٥٥-٢٧٦
الصيرفي : نزعة النفوس ٣: ٥٠-٤٢١ : السخاوي : الضوء
اللامع ٣: ٨-١٠ : Darrag, A., *L'Égypte sous le règne*
de Barsbay 825-841/ 1422-1438, Damas - IFD
1961; Wict, G., *El³ art. Barsbay I*, pp. 1085-86.

^٣ خَرُودُ مَثْنٍ (Colophon) نُسخة الأصل .

^١ راجع ، المقرئ : ٥٩٠-٦٠٦ : العيني : عقد الجمان
(تحقيق القرموط) ١٥٨-١٧٩ : ابن حجر : إنباء الفرع
٣: ٤٥٠ : أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤: ٢١١-٢٣٤ ،
وحكم في هذه السنة (٨٢٤هـ) أربعة سلاطين : المؤيد شيخ ،
والمظفر أحمد ، والظاهر طغر ، والشالغ محمد (نفسه)
١٤: ٢٣٥-٢٤١ : الصيرفي : نزعة النفوس ٣: ٢٠٩ :
السخاوي : الضوء اللامع ٧: ٢٧٤ : *El² art. Barsbay I*, pp. 1085-86.
art. al-Sâlih Muhammad, VIII, p. 1022.

^٢ راجع ، المقرئ : السلوك ٤: ٦٠٧-١٠٥١ : العيني :